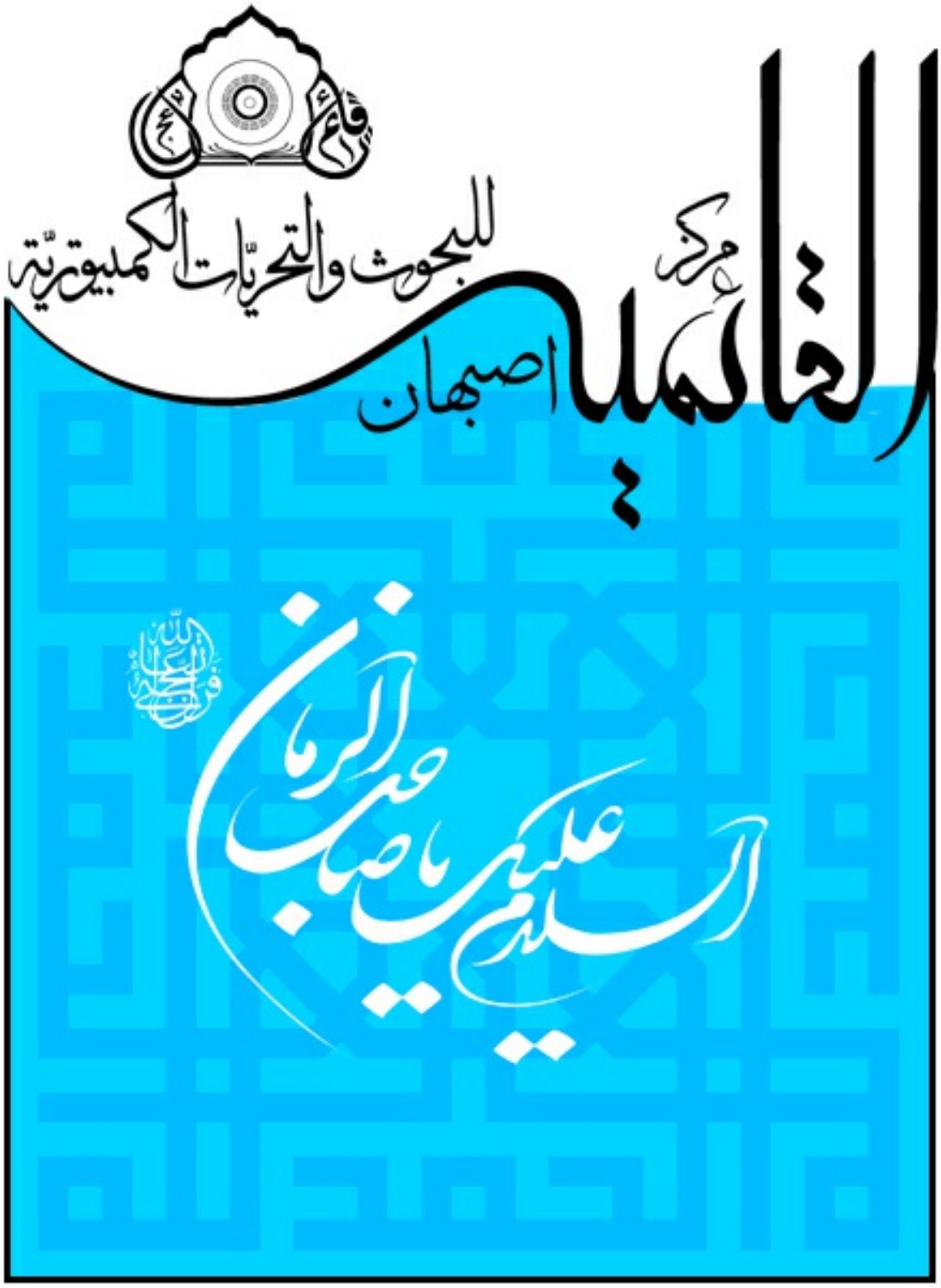

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

المحقق آية الله الشيخ محمد السند

الموسوعة التفسيرية ٩

تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم

الشيخ محمد الحسون

بسم الله الرحمن الرحیم

تفسير امومه الولايه و المحكمات للقرآن الكريم ، الولايه قطب القرآن عليها تستدير محكماته

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

موسسه الامام الصادق (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵

تفسیر امومه الولایه و المحکمات للقرآن الکریم ، الولایه قطب القرآن علیها تستدیر محکماته ----- ۲۷

اشاره ----- ۲۷

المجلد ۱ ----- ۲۷

اشاره ----- ۲۷

تقدیم ----- ۳۱

اشاره ----- ۳۱

التعریف بمنهجنا التفسیری: ----- ۳۱

الفصل الأول: منهجنا فی التفسیر ----- ۴۳

اشاره ----- ۴۳

منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات فی القرآن فضلاً عن المتشابهات ----- ۴۵

اشاره ----- ۴۵

۱- المقدمه: ----- ۴۵

اشاره ----- ۴۵

خطه البحث ----- ۴۹

تفسیر أمومه ولایه أئمه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی الکتاب الکریم ----- ۵۳

۲ - توطئه عن تاریخ کل علم ----- ۵۵

ما الفائده فی الخوض فی تاریخ کل علم؟ ----- ۵۵

الخلاصه: ----- ۵۶

۳ - صعوبه علم التفسیر ----- ۵۷

اشاره ----- ۵۷

معنی القرآن فی الأوصیاء: ----- ۵۹

۴ - منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی القرآن ----- ۶۱

اشاره ----- ۶۱

الأمر الثانی: دور القرآن الکریم فی حفظ اللغه العربیه ---- ۶۷
۵ - تعریف بمنهج أمومه ولایه أهل البیت علیهم السلام فی تفسیر محکمات القرآن ---- ۶۹
مقدمه: ---- ۶۹
امتیاز وحده القواعد: ---- ۷۲
الرسم الهندسی الریاضی لمنهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی حدیث الثقلین: ---- ۷۹
وجه اختلاف منهج أمومه المحکمات الولایه عن منهج السید العلامه محمد حسین الطباطبائی (قدس سرّه) وغیره الذی هو تفسیر القرآن بالقرآن: ---- ۸۰
الفصل الثانی: قیمومه أهل البیت (علیهم السلام) فی تعلیم القرآن - أدله وبراهین - ---- ۸۵
اشاره ---- ۸۵
المبحث الأول: باب الاجتهاد مفتوح علی مصراعیه عند الشیعه الإمامیه ---- ۸۷
المبحث الثانی: لماذا المذاهب الإسلامیّه تُخَطِّر من فتح باب الاجتهاد؟ ---- ۹۱
المبحث الثالث: مقارنه بین فقه الإمام جعفر بن محمد الصادق (علیه السلام) وبین فقه المذاهب الأربعه فی فقه الفروع وغیره ---- ۹۹
المبحث الرابع: الأدله والبراهین علی قیمومه أهل البیت (علیهم السلام) فی تعلیم القرآن ---- ۱۰۱
اشاره ---- ۱۰۱
الدلیل الأوّل: البرهان التأریخی الحضاری العلمی: ---- ۱۰۱
اشاره ---- ۱۰۱
إلفات نظر: ---- ۱۰۳
الدلیل الثانی: القرآن کتاب غیبی سماوی: ---- ۱۰۶
اشاره ---- ۱۰۶
۱ - هل المعتبر فی حجیّه الروایه سَندُها أم برهانیّه المضمون: ---- ۱۰۸
۲ - الروایات الداله علی احتیاج القرآن إلی معلم إلهی: ---- ۱۱۱
۳ - ما هو السرُّ فی عدم اند ثار اللغه العربیه: ---- ۱۱۷
۴ - اللغه العربیه هی أتقن لغه علمیه فی العالم: ---- ۱۱۹
الدلیل الثالث: مقامات ومنازل القرآن الکریم: ---- ۱۲۰
اشاره ---- ۱۲۰
المقام الأوّل: أم الکتاب: ---- ۱۲۲
المقام الثانی: الکتاب المبین: ---- ۱۲۴

المقام الثالث: الكتاب المكنون: ---- ۱۲۷
المقام الرابع: تنزيل الكتاب: ---- ۱۲۹
المقام الخامس: لوحٌ محفوظ: ---- ۱۳۱
المقام السادس: لا يمسه إلا المطهرون ---- ۱۳۲
المقام السابع: قرآن كريمٌ: ---- ۱۳۵
اشاره ---- ۱۳۵
تساؤلات فی استخلا ص نتيجه البحث: ---- ۱۳۷
الدليل الرابع: (المعلم الرابع) حجيه الظاهر حجيه معيّه بين الكتاب والسنه: ---- ۱۳۷
أولاً: المقدمه وبيان مضمون الدليل الرابع: ---- ۱۳۷
ثانياً: البيان البرهانی للمعلم الرابع: ---- ۱۳۸
ثالثاً: بعض المؤاخذات التی تسجل علی أصحاب منهج تفسير القرآن بالقرآن: ---- ۱۴۱
اشاره ---- ۱۴۱
ثمره المعلم الرابع: ---- ۱۴۶
الفصل الثالث: المنهجيه والمناهج فی التفسير ---- ۱۴۹
اشاره ---- ۱۴۹
المقام الأول: المنهجيه فی التفسير ---- ۱۵۱
اشاره ---- ۱۵۱
أهميه وضع المنهجه: ---- ۱۵۱
ثلاثه عوامل أساسيه فی بحوث علم التفسير ---- ۱۵۲
اشاره ---- ۱۵۲
العامل الأوّل: البحوث الأصوليه: ---- ۱۵۲
العامل الثانی: وفره إطلاع المُفسّر علی مواد التفسير: ---- ۱۵۶
العامل الثالث: القرآن ذ و منازل: ---- ۱۵۷
بدايه علم التفسير ---- ۱۵۷
بدايه البحث التفسيری ---- ۱۵۸
توضيح للأمومه ---- ۱۶۰

الصله بين فقه الفروع وبين العقائد: ---- ۱۶۰
ما هو نوع الصله بين فقه الفروع والعقائد ---- ۱۶۱
فی مبحث الولایه ---- ۱۶۱
هیمنه العقائد علی فقه الفروع ---- ۱۶۴
تطبیق منهج الأمومه والهیمنه وطبقاتها ---- ۱۶۹
علی مثل بحث الولایه ---- ۱۶۹
المقام الثانی: وحده معیه الثقلین ---- ۱۷۱
اشاره ---- ۱۷۱
وحده معیه الثقلین ---- ۱۷۱
اشاره ---- ۱۷۱
حدیث الثقلین کلام الله فی القرآن: ---- ۱۷۳
الهیمنه والفوقیه ---- ۱۷۷
من الذی جمع القرآن کما أُنزل ؟ ---- ۱۸۳
اشاره ---- ۱۸۳
إلفات نظر: ---- ۱۸۳
النتائج السلبیه المترتبه علی عدم التمسُّک بالقرآن ---- ۱۸۵
العلاقه بین ولایه الله تعالی وولایه الرسول (صلی الله علیه و آله) والأئمه ---- ۱۸۷
وبین منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات من القرآن ---- ۱۸۷
المقام الثالث: بحث مقارن بین منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات فی القرآن فضلا عن المتشابهات والمناهج الأخری ---- ۱۹۳
اشاره ---- ۱۹۳
۱ - بحث امتیاز منهج أمومه ولایه أئمه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات فی القرآن فضلاً عن المتشابهات، عن غیره: ---- ۱۹۳
أم الکتاب ---- ۱۹۳
العلاقه بین الظاهر والباطن ---- ۱۹۷
المعلم الثانی: لمنهج تفسیر أمومه المحکمات: ---- ۱۹۷
ممیزات المنهج الثانی - العلاقه بین الظاهر والباطن: ---- ۱۹۷
العلاقه بین الفتق والرتق ---- ۲۰۱

أهميه البحث المقارن ----- ۲۰۷
اشاره ----- ۲۰۷
ما المراد بالبحث المقارن؟ ----- ۲۰۷
الفوارق بين منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) ----- ۲۰۹
على المحكمات فى القرآن فضلاً عن المتشابهات ----- ۲۰۹
وبين التفاسير الأُخرى - بحث مقارن ----- ۲۰۹
اشاره ----- ۲۰۹
أهم مميزات منهج تفسير أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فى القرآن الكريم فضلاً عن المتشابهات: ----- ۲۱۰
القيمومه فى التعليم والتبيان ----- ۲۳۵
حجيه آيات وسور القرآن حجيه معيه لا حجيه مستقله ----- ۲۴۱
اشاره ----- ۲۴۱
فكره منهج تفسير القرآن بالقرآن: - ----- ۲۴۱
المؤاخذات على المناهج الأُخرى ----- ۲۴۵
مؤاخذات على منهج تفسير القرآن بالقرآن: ----- ۲۴۵
العلاقه بين الظهور والتأويل (قاعده التعريض) وبين منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) ----- ۲۵۰
الفصل الرابع: نظم وقواعد التفسير ومميزات وخصائص منهج أمومه ولايه أهل البيت عليهم السلام على المحكمات فضلاً عن المتشابهات ----- ۲۵۱
اشاره ----- ۲۵۱
المقام الأول ----- ۲۵۵
المقدمه: ----- ۲۵۵
اشاره ----- ۲۵۵
ألفات نظر: ----- ۲۵۶
أصول وقواعد تفسير منهج أمومه ولايه أهل البيت على المحكمات ----- ۲۶۱
مميزات وخصائص منهج أمومه الولايه على المحكمات ----- ۲۶۵
الفرق بين الأنظمه الثلاثه ----- ۲۶۹
الأفعال - الصفات - الأسماء ----- ۲۶۹
اشاره ----- ۲۶۹

إلفات نظر: ----- ۲۷۱
العلاقه بين الأنظمه الثلاثه: الأفعال - الصفات - الأسماء ----- ۲۷۳
نظريه تجسم الأعمال ----- ۲۷۷
اشاره ----- ۲۷۷
أولاً: مضمون النظريه: ----- ۲۷۷
ثانياً: مدرک النظريه: ----- ۲۸۰
أفعال الإنسان اختياريه أو لا؟ ----- ۲۸۳
النظام اللفظی فی القرآن الكريم ----- ۲۸۷
المقام الثانی: النظام الاستعمالی اللفظی فی القرآن الكريم ----- ۲۸۹
اشاره ----- ۲۸۹
القاعده الأُولی: التعريض ----- ۲۹۱
المقدمه: ----- ۲۹۱
اشاره ----- ۲۹۱
التعريض: ----- ۲۹۴
ما معنی التعريض؟ ----- ۳۰۰
تنبيه ----- ۳۰۵
اشاره ----- ۳۰۵
ما هی الصله بين الصبر والتعريض: ----- ۳۰۸
أهميه دلاله التعريض وفائدتها ----- ۳۱۳
اشاره ----- ۳۱۳
التعريض ليسَ مختصا بعلم تفسير القرآن: ----- ۳۱۹
بيان إعجاز القرآن الكريم هو أحد أدلَّه إمامه أهل البيت (عليهم السلام) ----- ۳۲۳
برهان علمی حديث علی إعجاز القرآن الكريم وحقانيته وعلی إمامه أهل البيت (عليهم السلام) ----- ۳۲۵
المقام الثالث ----- ۳۲۷
اشاره ----- ۳۲۷
الظهور والتأويل ----- ۳۳۰

البداهه والنظر أمران إطلاقيان أم نسبيان ؟ ----- ۳۳۲
الحشويه وخفاء القرآن ----- ۳۳۶
اشاره ----- ۳۳۶
الحقيقه لا تُحْجم: ----- ۳۳۹
إشكالات على مبحث التعريض ----- ۳۴۲
اشاره ----- ۳۴۲
كيف يفرق الباطن بالظاهر: ----- ۳۶۴
هل الولوج فى باب التأويل حكراً على فئه من الناس ----- ۳۶۸
اشاره ----- ۳۶۸
إثاره: التأويل لا يمكن ضبطه بقواعد اللغه العربيه: ----- ۳۷۰
بيان مشرب فكرى آخر ----- ۳۷۲
التأويل يندرج تحت الظهور بلْ جزء منه ----- ۳۷۶
روايات تأويليه تعبديه ----- ۳۸۰
نظريه أُخرى فى معنى دلاله الظهور ----- ۳۸۲
ارتباط نظام التأويل والدلاله الخفيه بنظام عالم الظهور ----- ۳۸۶
علم اللغه فى الأداء اللغوى للقرآن ----- ۳۹۰
علم اللغه فى الأداء والإعجاز اللغوى القرآنى ----- ۳۹۲
التبيان الروائى فى التفسير المأثور ----- ۳۹۶
المقارنه فى التأويل بين مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) ----- ۴۰۴
وبين مدرسه فلسفه الألسنيات ----- ۴۰۴
مقدمه: ----- ۴۰۴
اشاره ----- ۴۰۴
نقاط الافتراق: ----- ۴۰۵
نظريه السيد المرتضى (رحمه الله) ----- ۴۱۰
هل الظهور صفه ثابته للألفاظ ----- ۴۱۴
أو صفه لإدراک الإنسان ؟ ----- ۴۱۴

حجیه الدلاله فی اللغه العربیه ----- ۴۲۲
اشاره ----- ۴۲۲
الوضوح والخفاء أمران نسبیان: ----- ۴۲۲
التوریه ----- ۴۲۴
البیان تعلیم إلهی فطری للبشر ----- ۴۲۶
تلخیص لنتائج القاعده الأُولی ----- ۴۲۸
من قواعد نظام الاستعمال اللفظی ----- ۴۲۸
الفصل الخامس: القاعده الثانیه - قاعده الالتفات ----- ۴۳۲
اشاره ----- ۴۳۲
قاعده الالتفات ----- ۴۳۶
مقدمه: ----- ۴۳۶
سبب عدم ترکیز أغلب المفسرین علی قاعده الالتفات ----- ۴۴۸
الضوابط التطبیقیه لقاعده الالتفات ----- ۴۵۲
الهجره والنصره فی مدرسه أهل البیت علیهم السلام ----- ۴۷۰
السرد القصصی القرآنی ----- ۴۷۸
الجری والتطبیق ----- ۴۸۲
اشاره ----- ۴۸۲
ضابط الجری والتطبیق: ----- ۴۸۲
الآیات والروایات لا یقتصر فیها علی الجانب التطبیقی فقط ----- ۴۸۴
اشاره ----- ۴۸۴
مدرک مورد الجری - والتطبیق: ----- ۴۸۶
وحده السیاق وما یترتب علیها من آثار سلبیه ----- ۴۸۸
النسبیه فی القرآن وعند الحداثویین ----- ۴۹۴
الإعجاز البلاغی فی القرآن الکریم ----- ۵۰۰
روایه عن الإمام الباقر علیه السلام ----- ۵۰۴
قاعده الالتفات ومعرفه تکثر بطون القرآن وظهوره ----- ۵۰۸

المعالجات البيانيه فی روایات أهل البیت علیهم السلام ---- ۵۱۴
لسطح ظاهر ألفاظ القرآن الکریم ---- ۵۱۴
الفرق بین مقام المعلم الإلهی ومقام الآمریه والأولویه ---- ۵۱۶
الفصل السادس: القاعده الثالثه: إیاک أعنی وأسمعی یا جاره ---- ۵۲۰
اشاره ---- ۵۲۰
القاعده الثالثه: إیاک أعنی واسمعی یا جاره ---- ۵۲۲
اشاره ---- ۵۲۲
مضمون القاعده ---- ۵۲۴
اشاره ---- ۵۲۴
تنبیه: ---- ۵۲۵
المقارنه بین قاعده الالتفات وقاعده إیّاک أعنی واسمعی یا جاره ---- ۵۲۶
الفوائد المترتبه علی قاعده إیاک أعنی واسمعی یا جاره ---- ۵۲۸
أهمیه علوم اللغه والبلاغه والنحو فی قراءه النص الوحیانی ---- ۵۳۲
تنبیه: ---- ۵۳۲
الضوابط والنماذج التطبیقیه لقاعده: إیاک أعنی واسمعی یا جاره ---- ۵۳۶
محکمات القرآن تفسر متشابهات السنه ---- ۵۴۴
تأکید القرآن الکریم علی عاقبه الأمور ---- ۵۵۸
الفصل السابع: القاعده الرابعه: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ---- ۵۶۶
اشاره ---- ۵۶۶
قاعده استعمال اللفظ فی أکثرمن معنی ---- ۵۶۸
استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ---- ۵۷۱
مقدمه: ---- ۵۷۱
القسم الأوّل: استعمال اللفظ فی معنی واحد: ---- ۵۷۲
اشاره ---- ۵۷۲
أصل بحث قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی فی علم الأصول ---- ۵۷۹
أهمیه علم الأصول: ---- ۵۷۹

أقوال ومبانی علماء الأصول فی قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ---- ۵۸۳
اللفظ بحسب الوضع اللغوی یمکن أنْ یکون لفظاً واحداً یرتبط بعدّه معانی أو لا؟ ---- ۵۸۷
اشاره ---- ۵۸۷
موقف الباحثین من المشترک اللفظی: ---- ۵۸۸
المشترک المعنوی: ---- ۵۸۹
إلفات نظر: ---- ۵۹۴
أقسام الدلاله ---- ۵۹۷
بحث حول القرائن ---- ۶۰۳
اشاره ---- ۶۰۳
تنبیه: ---- ۶۰۳
الأدله علی إثبات قاعده ---- ۶۱۱
استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ---- ۶۱۱
الشرائط المعتبره فی قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ---- ۶۱۷
اشاره ---- ۶۱۷
نتائج القاعده علی ضوء الشرط الأوّل: ---- ۶۱۹
النتیجه الأولی: تنبیه هام ---- ۶۱۹
النتیجه الثانیه: ---- ۶۲۰
شرائط حجیه التفرعات والنتائج ---- ۶۲۳
المترتبه علی قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ---- ۶۲۳
العلاقه بین منهج أمومه المحکمات وولایه أهل البیت علیهم السلام وبین التوحید ---- ۶۳۳
ادّعاء المنهج السلفی اتّباعه الروایات الصحیحه ---- ۶۳۹
اشاره ---- ۶۳۹
رأی الشیخ الکبیر جعفر کاشف الغطاء (قدس سرّه): ---- ۶۳۹
اشاره ---- ۶۳۹
تنبیه: ---- ۶۴۳
الثمره المترتبه علی استعمال الوحده بمعنی وحده النظام والمنظومه ---- ۶۴۵

طرزٌ آخر من الاستدلال على قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی: ۶۴۹
علم النقد الأدبی من أهم علوم اللغه ۶۵۳
ولایه أهل البیت (علیهم السلام) هی مدار القرآن وباقی الکتب السماویه ۶۵۷
الشرط الثانی: ۶۵۷
ما هو الأثر المترتب علی تمامیه الشرط الثالث: ۶۶۰
الضوابط التطبیقیه لقاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ۶۶۱
بحث آخر حول القرآن ۶۶۴
القسم الثانی: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ۶۶۹
اشاره ۶۶۹
المواد التطبیقیه لقاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ۶۷۳
اشاره ۶۷۳
أهمیه القاعده: ۶۸۶
علاقه القاعده: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی بالأسماء الإلهیه اللفظیه ۶۸۸
الطعون الموجهه إلی قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ۶۹۲
المراتب المعلومه والبحث العلمی ۶۹۴
اشاره ۶۹۴
الفرضیه العلمیه (التخیل العلمی): ۶۹۴
النتیجه النهائیه: ۷۰۲
الفصل الثامن ۷۰۴
اشاره ۷۰۴
الأمر الأول: ارتباط القواعد المبحوثه فی الأنظمه الثلاثه بمنهج أمومه ولایه أهل البیت علیهم السلام علی المحکمات ۷۰۶
الأمر الثانی: امتیاز وحده النظام فی منهج أمومه الولایه علی المحکمات ۷۱۰
الأمر الثالث: الدلیل علی إمکان تکرار استعمال القاعده الواحده فی الانظمه الثلاثه ۷۱۶
الأمر الرابع: الدلیل علی العموم ۷۱۶
الأمر الخامس: التسلسل الهرمی لقواعد الأنظمه الثلاث - والحاکم هو النظام الثالث - نظام الحقائق ۷۲۰
الأمر السادس: علم النبره الصوتی «النظام الصوتی الإعجازی فی الکلام» ۷۲۸

الأمر السابع: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِى لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِين ---- ۷۳۰
الأمر الثامن: خروج الوزن الصوتى للقرآن عن أوزان الشعر ---- ۷۳۲
الأمر التاسع: خطاب القرآن عامٌّ ---- ۷۳۶
المجلد ۲ ---- ۷۳۸
اشاره ---- ۷۳۸
اشاره ---- ۷۳۸
هویه الکتاب ---- ۷۴۱
القاعده الخامسهقاعده الجرى فى التعبير لا التطبيق ---- ۷۴۲
اشاره ---- ۷۴۲
المقدمه ---- ۷۴۶
قاعده الجرى بمعنى تطبيق أو تعيين ---- ۷۵۸
اشاره ---- ۷۵۸
الأمر الأوّل: معنى القاعده: ---- ۷۵۹
الأمر الثّانِى: مدرک القاعده: ---- ۷۶۰
تفسير لقاعده الجرى والتطبيق أو التغيير ---- ۷۷۰
اشاره ---- ۷۷۰
توطئه: ---- ۷۷۰
القاعده الأولى: الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ ---- ۷۷۶
اشاره ---- ۷۷۶
تعريف الشىء بغايته من أكمل تعاريف الشىء ---- ۷۸۰
تأكيد القُرآن وأهل البيت عليهم السلام ---- ۷۸۲
العلاقه بين القاعدتين ---- ۷۸۴
خذ الغايات واترک المبادئ والجرى والتطبيق أو التعبير ---- ۷۸۴
القاعده الثانيه: هل اللغه ألفاظ وأصوات فَقط ---- ۷۸۶
اشاره ---- ۷۸۶
عالم المعانى لغه مِنْ اللغات: ---- ۷۸۷

مطلب هام ذی صله بالمقام ---- ۷۹۲
الأقوال أو النظریات فی تفسیر قاعده الجری والتطبیق أو التعبیر ---- ۷۹۶
اشاره ---- ۷۹۶
تمیُز حقیقه المدلول الاستعمالی عَنْ الجدّی: ---- ۸۰۲
الفرق بین المعنی التنزیلی والمعنی التأویلی والاستعمالی: ---- ۸۰۶
وأمّا معنی التعبیر ب اللفظ تنزیله هکذا: ---- ۸۱۰
بیان موقف: ---- ۸۱۰
خواص ومیزات النظریه الأولی ---- ۸۱۲
النظریه الثانیه فِی قاعده الجری والتطبیق أو التعبیر ---- ۸۱۶
اشاره ---- ۸۱۶
قاعده الجری والتطبیق (أو التعبیر) ---- ۸۱۶
لا تختص بنظام الاستعمال اللفظی: ---- ۸۱۶
التعبیر والترجمان جریّ ولغه تفاهم ---- ۸۲۴
بین العالم الربوبی وعالم المخلوقات: ---- ۸۲۴
أوسعیّه تعدد المعانی بمقتضی النظریه الثانیه ---- ۸۲۶
اشاره ---- ۸۲۶
تنبیهان ---- ۸۲۹
ربما یعبر عَنْ علم التشریع والتنظیر بعلم الشریعه: ---- ۸۳۳
عزل التطبیق عَنْ التنظیر یُعْدِم التصنیف الموضوعی ---- ۸۳۵
للآیات حسب النظریه الأولی: ---- ۸۳۵
عدم جری أصناف الآیات حسب النظریه الأولی ---- ۸۳۶
فی موضوع أصناف أُخْرَی مِنْ الآیات: ---- ۸۳۶
تماهی حدود الآیات بمقتضی النظریه الأولی ---- ۸۴۱
وانضباطها عَلَی النظریه الثّانیه: ---- ۸۴۱
عموم التخاطب والمشافهه فی قاعده ---- ۸۴۶
الجری بمعنی التطبیق أو التعبیر ---- ۸۴۶

تعمّق إشكال حجّيه الظهور بالمخاطبين والمشافهين: ----- ۸۴۶
هل التأويل حاكم على التنزيل (التفسير) أو العكس ----- ۸۴۸
علم التأويل المتأخر رتبه ----- ۸۵۲
اشاره ----- ۸۵۲
تعدد علم التأويل ومفارقته عَنْ التفسير: ----- ۸۵۳
منهج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات ----- ۸۵۶
المحور الأساسى فِى قاعده الجرى ----- ۸۶۰
الفوارق العمليه بين النظريتين ----- ۸۶۶
عالم التطبيق لا صله له بالألفاظ والمعانى الذهنيه ----- ۸۷۶
اشاره ----- ۸۷۶
النظريه الثّانيه تُسائِل النظريه الأولى: ----- ۸۷۸
المخاطب الأصلى فى القرآن هو النبى وأهل بيته ----- ۸۸۲
اشاره ----- ۸۸۲
ولاده الروح أعظم مِنْ ولاده البدن: ----- ۸۸۴
وَقَاعدِه الجرى والتطبيق أو التعبير: ----- ۸۸۴
المصاديق الأتم للطبيعه تتجلى فيها آثار الطبيعه ----- ۸۸۸
اشاره ----- ۸۸۸
تعدد مراتب المعنى الجدى: ----- ۸۸۹
تعدد كُلّ مراحل المعانى: ----- ۸۹۱
تعالى معانى القُرآن عَلَى النّظَريّه الثّانيه: ----- ۸۹۴
تنوّع دلاله الآيه الواحد فِى علوم شتى ----- ۸۹۵
عَلَى النّظَريّه الثّانيه: ----- ۸۹۵
قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير ----- ۸۹۸
قاعده الجرى واستفاده التوحيد فِى عالم الصفات ----- ۹۰۴
منهج أمومه الولايه يرسم منهاج نظريه المعرفه الدينيه ----- ۹۱۰
اشاره ----- ۹۱۰

جداره تفسیر القُرآن بالقرآن لِلْسَیّد العلامه الطباطبائی قدّس سرّه: ۹۱۱
القاعده: قاعده فِی موقعها الصحیح ۹۱۴
التفاتتان وثمرتان نفیستان فِی قاعده الجری ۹۱۶
اشاره ۹۱۶
الحقیقه أحری بالاتباع: ۹۱۷
إعاده کتابه قواعد علم البلاغه ۹۱۹
عَلَی ضوء علم الألسنیات وتعدد القراءه: ۹۱۹
علم التأویل یزیل تشابه القُرآن ۹۲۴
التفسیر بالمأثور وشمولیته ۹۲۸
أمومه التأویل ۹۳۴
اشاره ۹۳۴
النمط الأوَّل: ثمره عامّه: ۹۳۶
النمط الثَّانِی: الثمره الخاصّه ۹۳۸
لقاعده الجری والتطبیق أو التعبیر: ۹۳۸
الثمره الأولی: تحدید علم التأویل فِی القرآن عَنْ تفسیره: ۹۳۸
علم التأویل قطب تدور علیه قطب رحی علم تفسیر القران ۹۴۰
قطب رحی علم تفسیر القُرآن: ۹۴۰
التفسیر والتأویل جناحان فی القرآن الکریم: ۹۴۲
تلاوه المعانی أهم من تلاوه الألفاظ فی القرآن الکریم ۹۴۴
أمثله تطبیقیه لقاعده الجری ۹۴۸
اشاره ۹۴۸
تنوّع الاستفاده مِنْ الآیه الواحده ۹۵۴
لعلوم شتی عَلَی النّظَرِیّه الثّانیه: ۹۵۴
الإمامه والعمل الأمنی ۹۷۴
اهتمام القرآن بجانب الشرور الواقعه جریاً کقاعده ۹۸۶
اشاره ۹۸۶

تنبیه هام ---- ۹۸۸
خاتمه ---- ۹۹۱
القاعده السادسه:قاعِدَهُ الذِکْر فِی القُرآن الکریم ---- ۹۹۴
اشاره ---- ۹۹۴
قاعِدَهُ الذِکْرِ فِی القُرآن الکریم ---- ۹۹۶
اشاره ---- ۹۹۶
الذِکْرُ فِی القُرآن الکریم ---- ۹۹۸
الإعجاز البلاغی فِی القُرآن ---- ۱۰۱۶
اشاره ---- ۱۰۱۶
حقیقه الإعجاز فِی القُرآن وصله ذَلِکَ بأنَّ حقیقته ذکر: ---- ۱۰۱۷
السر فِی عدم اکتشاف إعجاز القُرآن ---- ۱۰۳۲
اشاره ---- ۱۰۳۲
طبیعه حقیقه القُرآن أنَّهُ یُفَعّل کُلّ علم: ---- ۱۰۳۵
ما معنی الذکر ---- ۱۰۳۸
اشاره ---- ۱۰۳۸
مِنْ الضروریات للمفسر تأسیس الجنبه العلمیه ---- ۱۰۴۰
الذکر بمثابه الأصل الذی ینحدر مِنْهُ القُرآن الکریم: ---- ۱۰۴۲
ضروره تأسیس الجانب العملی للمفسیر فِی قَاعدِه الذکر: ---- ۱۰۴۴
الحقیقه لا تقتنص بالتنظیر الفکری فَقَطْ: ---- ۱۰۴۵
تأثیر العداله والتقوی عَلَی الجانب العملی: ---- ۱۰۴۶
الشعائر الحسینیه وَقَاعدِه الذکِر: ---- ۱۰۵۰
الطهاره الروحیّه ودخالتها فِی جانب التفسیر: ---- ۱۰۵۱
أهم ممیزات قَاعدِه الذکر ---- ۱۰۵۲
اشاره ---- ۱۰۵۲
الفرق بین الندبه بالذکر والندبه بالنیاحه: ---- ۱۰۵۴
ارتباط حقیقه الذکر بالوحی ---- ۱۰۵۶

الذكر ميزانٌ فِی الكشف عَنْ الوحی: ---- ۱۰۵۶
أهم الشرائط المعتبره فِی المُفَسّر للقرآن الكريم ---- ۱۰۵۸
الإشارات القرآنيه للخواص ولطائفِهِ للأولياء ---- ۱۰۶۲
اشاره ---- ۱۰۶۲
لَيْسَ كُلّ تهذيب أخلاقی ذكر: ---- ۱۰۶۷
صفتان مختصتان بالنبی الأكرم صلّی الله عليه و آله: ---- ۱۰۶۹
نتفهٌ عقائديه: ---- ۱۰۷۱
طبيعه العلاقه بين قواعد منهج أمومه الولايه ---- ۱۰۷۸
اشاره ---- ۱۰۷۸
قَاعدِه الذكر بالمعنی الذی ذكرناه: ---- ۱۰۸۰
المعانی الأُخْرَی لقاعده الذكر: ---- ۱۰۸۱
الفرق بين نداء القُرآن ---- ۱۰۸۲
وعرض أصحاب علم الهندسه الصوتيه: ---- ۱۰۸۲
الفرق بين القُرآن الكريم كَقَاعدِه ذكر وبين الشعر: ---- ۱۰۸۴
كيفيه اكتشاف قَواعِد الذكر: ---- ۱۰۸۷
الذكر نظام فِی العلوم يُوظِّفُها إلی الكمال ---- ۱۰۹۰
قَاعدِه الذكر: قَاعدِه استراتيجيه ---- ۱۰۹۰
أو ناظوم لعلوم التفسير وميزان معادلی: ---- ۱۰۹۰
الذكر: هُوَ أحد معانی أشهر أَنَّكَ تلوت الكتاب حق تلاوته: ---- ۱۰۹۱
يفترق تفسير المعصوم عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ غَيْر المعصوم: ---- ۱۰۹۲
المفسر الناجح من يستطيع التمييز بين الآيه الأم وغيرها ---- ۱۰۹۴
بل اكتشاف مجموع الآيات الَّتِی تشكل نظام ---- ۱۰۹۴
ومنظومه الأمومه فِی القُرآن ---- ۱۰۹۴
علاقه قَاعدِه الذكر بمنهج أمومه الولايه عَلَی المُحْكَمات: ---- ۱۰۹۷
أهميه وخطوره علم التفسير ---- ۱۱۰۱
فِی تنظيم متطلبات أفراد المجتمع فِی يومياتهم: ---- ۱۱۰۱

فرق القُرآن الذی یقودک إلی الذکر ----- ۱۱۰۲
عَنْ بَقیّه العلوم الروحیه الأُخْرَی ----- ۱۱۰۲
الَّتِی لا تقودک إلی حاله الذکر: ----- ۱۱۰۲
علم التفسیر هُوَ للمفسر الناجِح ----- ۱۱۰۸
الذی یلبی حاجه البشر أینما کَانَتْ: ----- ۱۱۰۸
أهم ثلاث مِیزات لقاعده الذکر ----- ۱۱۱۲
القَاعِدَه السابعه:الأمثال فی القُرآن الکریم ----- ۱۱۱۴
اشاره ----- ۱۱۱۴
الفهرس الإجمالی لقاعده الأمثال ----- ۱۱۱۶
القاعده السابعه: قاعده الأمثال ----- ۱۱۲۰
اشاره ----- ۱۱۲۰
الکلام فی قاعده الأمثال یقع فی جهات ----- ۱۱۲۴
الجهه الأولی: المعنی اللغوی والاصطلاحی: ----- ۱۱۲۴
الجهه الثَّانیه: نذکر فیها أمرین: ----- ۱۱۳۸
اشاره ----- ۱۱۳۸
الأمر الثَّانِی: مدرک القَاعِدَه مِنْ الآیات والروایات: ----- ۱۱۳۸
قراءه الأمثال بلغه عقلیّه فکریّه: ----- ۱۱۴۵
الجهه الثالثه: القُرآن الکریم اعتمد أسلوب المَثَل ----- ۱۱۴۸
مِنْ ضمن أسالیب عدیده اعتمدها، ----- ۱۱۴۸
کَمَا نبّهت عَلَیْهِ روایات أهل البیت علیهم السّلام ----- ۱۱۴۸
الجهه الرابعه: ارتباط أسلوب المَثَل بالتعریض: ----- ۱۱۴۹
اشاره ----- ۱۱۴۹
المثل تسمیه واسم ولقب وتوصیف وعِبَرٌ وآیه: ----- ۱۱۵۰
الترادف العقلی: ----- ۱۱۵۲
الترادف الوجودی: ----- ۱۱۵۳
الأحکام الشرعیه السابقه یمکن أنْ تکون مثلاً: ----- ۱۱۶۱

الفرق بين المَثَل البلاغی والمَثَل القُرآنی: ---- ۱۱۶۲
المثل فِی علم البلاغه تشبیه لَهُ حقیقه ---- ۱۱۶۲
حسب نظریه السَّیّد العلامه الطباطبائی قدّس سرّه: ---- ۱۱۶۲
العلاقه بین قاعده المثل، وقاعده الجری ---- ۱۱۶۶
اشاره ---- ۱۱۶۶
الجهه السَّادسه: نظام حقائق القُرآن: ---- ۱۱۶۶
المثل منهج معرفی ---- ۱۱۷۰
الجهه السابعه: أساليب القُرآن الثمانيه ---- ۱۱۷۰
برهانیه وَلَیْسَ لمجرد إقناع: ---- ۱۱۷۰
عموم البرهان لِكُلِّ العلوم وقِوی النفس: ---- ۱۱۷۰
عموم الكشف البُرهانی والشهود ---- ۱۱۷۲
والبُرهان العیانی لِكُلِّ قوی النفس: ---- ۱۱۷۲
الفوارق بین القسمین: ---- ۱۱۷۳
الجهه الثَّامنه ---- ۱۱۸۲
الفرق بین ضرب المثل، وجعل المثل، وصَرَّف المثل ---- ۱۱۸۲
الفرق بین ضرب المَثْل وصَرْف المثل: ---- ۱۱۸۶
الجهه التَّاسعه: حقیقه استعمال المَثَل ---- ۱۱۸۸
فِی القُرآن الكريم والحقائق القرآنيه: ---- ۱۱۸۸
الجهه العاشره: لیس كمثله شیء ---- ۱۱۹۲
الأوصاف القرآنیه للجنه حقائق أم تمثیل ---- ۱۱۹۸
الجهه الحادیه عشر: ---- ۱۱۹۸
اشاره ---- ۱۱۹۸
قَاعدِه المثل ونظریه المعاد: ---- ۱۲۰۰
الجهه الثَّانیه عشر: إنَّ قصص الأنبياء والمرسلين ---- ۱۲۰۲
والمصطفین مثل لآل مُحمَّد صلّی الله علیه و آله فِی القُرآن الكريم: ---- ۱۲۰۲
بیان القُرآن لحقیقه عظیمه فِی قصص الأنبیاء: ---- ۱۲۰۵

نماذج التفضيل القرآنی لأهل البيت عليهم السَّلامُ ---- ۱۲۰۷
عَلَی بَقيَّه أنبياء أُولی العزم عليهم السَّلامُ: ---- ۱۲۰۷
الأمثال عَلَی طبقات كَذَلِكَ الأسماء: ---- ۱۲۱۱
حالات الأسماء: ---- ۱۲۱۲
حقيقه الاسم الإلهی: ---- ۱۲۱۲
الغرض مِنْ مبحث الأسماء: ---- ۱۲۱۳
صله وطيده بين حقيقه الإمامه والولايه ---- ۱۲۱۸
وحقيقه القُرآن وعلاقتها بقاعده الأمثال: ---- ۱۲۱۸
أحاديه البُعد والقول فِی النظر ---- ۱۲۲۱
سبب انحراف بَعْض الفرق المحسوبه عَلَی الإسلام: ---- ۱۲۲۱
الأمثال عَلَی طبقات: ---- ۱۲۲۴
صله قاعده الأمثال بأقسام الوحی وأنواعه وأسراره ---- ۱۲۲۶
اشاره ---- ۱۲۲۶
صله أنَّ للقُرْآن ظهر وبطن بمبحث الأمثال: ---- ۱۲۲۸
لماذا لَمْ تذكر دلائل إمامه أهل البيت عليهم السَّلامُ ---- ۱۲۲۹
فِی القُرآن كَمَا فِی ذكر موسی وعيسی عليهم السَّلامُ: ---- ۱۲۲۹
نتفه عقائديه: ---- ۱۲۲۹
لِمَ يُصَرِّح القُرآن الكريم بأنَّ قصص الأنبياء عبره: ---- ۱۲۳۰
الجهه الثالثه عشر: تقابل مثل أهل البيت عليهم السَّلامُ ---- ۱۲۳۴
وأعداؤهم فِی القُرآن: ---- ۱۲۳۴
البُرهان الأوَّل: برهان العِبْره فِی المثل: ---- ۱۲۳۴
البُرهان الثَّانِی: برهان الجری: ---- ۱۲۳۵
توسعه القَاعِدَه عموميه الجهه والقاعده ---- ۱۲۳۸
اشاره ---- ۱۲۳۸
البُرهان الثَّالِث: المثل والأمثال ---- ۱۲۳۹
اسم وتسميه وتوصيف ووصف: ---- ۱۲۳۹

البُرهان الرَّابِع: ---- ۱۲۴۰
الجهه الرابعه عشر: ---- ۱۲۴۴
المثل الأعلی ومَثَل السَوْء ---- ۱۲۴۶
الجهه الخامسه عَشْرَه: ---- ۱۲۴۶
السیر فِی المعرفه لا ینتهی ---- ۱۲۵۰
اشاره ---- ۱۲۵۰
الجهه السادسه عشر: أنَّ الذی لا یعتبر ---- ۱۲۵۰
ولا یعبر بالمثل إلی ما وراء یَضِلُ: ---- ۱۲۵۰
الجهه السابعه عشر: الثمره الکبری لقاعده المَثَل: ---- ۱۲۵۱
اشاره ---- ۱۲۵۱
الطعون الوارده عَلَیْهِم مما أثار إعجاب المفضل: ---- ۱۲۶۱
تمییز الإمام بین الحَقّ مِنْ کلامهم ---- ۱۲۶۲
والباطل وبیان أساس الانحراف: ---- ۱۲۶۲
نسبه القول بکفایه العقیده ---- ۱۲۶۶
عَنْ العمل إلیهم وتفسیر الإمام عَلَیْهِ السَّلامُ لها: ---- ۱۲۶۶
فهرس الموضوعات ---- ۱۲۷۶
المجلد ۳ ---- ۱۲۸۹
اشاره ---- ۱۲۸۹
اشاره ---- ۱۲۸۹
هویه الکتاب ---- ۱۲۹۲
القاعده الثامنه: أسباب النزول قاعده تفسیریه أم قاعده معرفیه ولائیه ؟ ---- ۱۲۹۳
الفهرس الإجمالی لقاعده: ---- ۱۲۹۳
أسباب النزول بمثابه القرینه اللفظیه المقامیه والحال أنها مؤثر فِی الظهور ---- ۱۳۰۷
تنبیهان ---- ۱۳۲۱
الوجوه البلاغیه لاستعمال کل کلمه بنحو مستقل فِی الآیه الواحده ---- ۱۳۳۱
الترتیب داخل الآیه الواحده ---- ۱۳۳۵

ليس المراد من ترتيب السور ترتيبها حسب ما أنزل ---- ١٣٣٧
التأريخ وطمس وتحريف الوقائع ---- ١٣٤٥
تصوير المشهد الثالث من معركه أحد فی روايات أهل البيت عليهم السلام ---- ١٣٥٥
تنقيح حقائق تاريخ الإسلام والسيره النبويه فی الوقوف علی حقيقه الدين ---- ١٣٦٧
لماذا تُغَيَّبُ أسباب النزول ---- ١٣٧٢
كيف نقرأ السيره النبويه والولويه والتأريخ بالقراءه الصحيحه ---- ١٣٧٥
ارتباط قاعده أسباب النزول بقاعده ترتيب آيات القُرآن الكريم ---- ١٣٧٩
فِی السوره الواحده فضلاً عَنْ سائر سوره ---- ١٣٧٩
التأريخ يحتاج إلی آلات متعدده لتمحيصه ---- ١٣٨٣
نظريه الشوری وارتباطها بغزوه أحد ---- ١٣٨٥
أمثله وشواهد قرآنيه علی دحض نماذج من أسباب النزول الملفقه ---- ١٣٩٩
محكمات القُرآن والسنه والعقل والوجدان ---- ١٤١٥
أسباب النصر لا تقتصر علی الجانب المادی بل المعنوی والروحی ---- ١٤٢٩
الميزان والمدار فِی نجاح الخطاب القرآنی ---- ١٤٣٣
قاعده الشوری قاعده فقهيه وسياسيه وعقائديه ---- ١٤٧٥
تحريف أسماء سور القُرآن ---- ١٥٧٩
أسباب النزول والتنزيل والتأويل ---- ١٦٢٧
نزول القُرآن جمله ونجوما لا ينحصر بعمليه وحقيقه الأنباء والنبوه، بل ولها حقيقه الحاكميه والولايه مستمره إلی يوم القيامه ---- ١٦٥٩
القُرآن الكريم نظام تكوينی حقائقی لإداره شؤون الموجودات ---- ١٦٧٧
القاعده التاسعه: قابليه ظهور الكلام الواحد للتعدد و التكثر تاويل كل شیء نهايته و ما يوول اليه طبقات المعنی التاويلی كلها تندرج فی الظهور ---- ١٦٨٧
فهرس الموضوعات ---- ١٧٢٧
تعريف مركز ---- ١٧٢٩

تفسیر امومه الولایه و المحکمات للقرآن الکریم ، الولایه قطب القرآن علیها تستدیر محکماته

اشاره

سرشناسه:جصانی، محسن

عنوان و نام پدیدآور:تفسیر امومه الولایه والمحکمات للقرآن الکریم [کتاب] : الولایه قطب القرآن علیها تستدیر محکماته/ تالیف محسن الجصانی؛ [محقق و مقدمه نویس] بحوث سماحه محمد السند.

مشخصات نشر:تهران: موسسه الصادق الطباعه والنشر، ۱۳۹۲.

فروست:الموسوعه التفسیریه؛ ۱

شابک:۹۷۸-۹۶۴-۵۶۰۴-۹۷-۲

یادداشت:عربی.

موضوع:تفسیر -- فن

موضوع:قرآن -- علوم قرآنی

شناسه افزوده:عابدینی، حسین، ۱۳۴۹ - ، مقدمه نویس

رده بندی کنگره:BP۹۱/۵/ج۶ت۷ ۱۳۹۲

رده بندی دیویی:۲۹۷/۱۵۱

شماره کتابشناسی ملی:۳۳۵۷۱۲۷

ص :۱

المجلد ۱

اشاره

تفسير امومه الولايه والمحكمات للقرآن الكريم ، الولايه قطب القرآن عليها تستدير محكماته

تاليف محسن الجصانى

محقق و مقدمه نويس بحوث سماحه محمد السند

ص :۳

تقدیم

اشاره

باسمه تعالی

لا شکَّ ولا ریب أنَّ القرآن الکریم فیه علوم تواکب مع ما یحصل من تطوّرات فی مختلف العلوم وعلی کافه الأصعده من حین إنزاله إلی یوم الدین، إلّا أنَّ ذلک موقوف علی الاستظهار الصحیح وفق القواعد والموازین العلمیّه والتأمل وبذل المزید من الجهد لاستخراج ما قدْ خفی علی مِن قبلنا بما یوفق الله تعالی له، ولا یکون هذا بمقدور البشر لوحده وبمعزل عن أهل القرآن الناطق الذین أذهب الله عنهم الرجز وطهرهم تطهیراً؛ هم الرسول وآله الطاهرین، وکل مَن زاغ أو مال من الأولین والمعاصرین عن مدرسه الوحی مدرسه أئمه أهل البیت (علیهم السلام) کما هو واضح لمن تتبع التأریخ وجدناه قدْ ضَلَّ ودخل صحراء التیه، ولم یزدد إلّا بُعْداً عن جاده الحق، وهَلَک وأهلک.

ومن الواضح أنَّ الصفه العلمیه السلبیه فی أی علم من العلوم وخاصه فی فقه الفروع والعقائد والتفسیر... الخ هی أخطر من الصفات العملیه السلبیّه.

التعریف بمنهجنا التفسیری:

ویقع فی أمور عِدَّه: -

الأمر الأوَّل: إنَّ منهجنا التفسیری أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات فضلاً عن المتشابهات فی القرآن لا یبحث مطلق الموضوعات

التی بحثها القرآن الکریم، وإنَّما یبحث ویتتبع ویقف علی محکمات القرآن لأنَّ المحکمات هی العمود الفقری والهیکل الأساسی الذی تبتنی علیه خارطه القرآن الکریم.

الأمر الثانی: أکَّد وحَثَّ القرآن الکریم والنبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) وأئمه أهل البیت (علیهم السلام) علی إتقان المحکمات، فإنَّ المتقن لا یحصل لدیه إتقان بکل تفاصیل القرآن تلقیائیاً.

أمَّا القرآن الکریم فأکَّد علی ذلک بقوله تعالی: هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ... ۱ کِتابٌ أُحْکِمَتْ آیاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ۲.

ولا یفهم: من هذا الکلام أنَّ الآیات المتشابهه لا یُعْمل بها ویُعْرَض عنها، کلا، وإنَّما العمل بالمتشابهه جائز وحُجّه ویرتب علیه الأثر کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا۳ ولکن بشرط إرجاع المتشابه إلی المحکم ورفع تشابهه بذلک، والروایات نهت عن العمل بالمتشابه بمعزل عن المحکم ومستقلاً عنه، بخلاف ما إذا أرجع العمل به إلی المحکم فإنَّه آنذاک المتشابه - حجه فهناک آیات کثیره من قسم المتشابه منها: - قوله تعالی وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ ناضِرَهٌ۴ و إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصادِ ۵ وَ جاءَ رَبُّکَ۶ و أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ

أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَ مِمّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِی النّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَ الْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ...۱ و يَدُ اللّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ۲ و وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلی۳.

وغير ذلك من الآيات القرآنيه المتشابهه بلْ سيأتی أنَّ المتشابه ليست ضابطته إثباتيه فقط وهی إجمال الدلاله، بلْ العمده هو كون مضمون الآيه مسأله تفصيليه تفريعيه ومن الرتب الدانيه فی منظومه ونظام قواعد الدين والشريعه، إذنْ المتشابه بالأصل بحث ثبوتی فی نظام ومنظومه الدين، ولا يصح العمل به إلّا بالإرجاع إلی المحكمات القرآنيه كقوله تعالی: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَیْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ۴ و إِنَّ اللّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّهٍ۵ و إِنَّ السّاعَهَ لَآتِيَهٌ لا رَيْبَ فِيها۶ ، وغيرها.

وذلك لأنَّ المحكم كما هو واضح لا يحتاج إلی تفسير ويَدُلّ علی المعنی المقصود منه دلاله واضحه قطعيه لا تحتمل تأويلاً ولا تخصيصاً ولا نسخاً، بلْ المحكم ليسَت ضابطته - كما سيأتی إنْ شاء الله خلال البحث - دلاليه وإثباتيه فقط، بلْ العمده فی دلالته هی ثبوتيه بلحاظ رتبه المضمون فی منظومه قواعد الدين والشريعه، فالمحكم ضابطته ثبوتيه فی نظام ومنظومه قواعد الدين، ولا نترك مجالاً للذين فی قلوبهم مَرَضٌ أنْ يُضلِلوا

ویُفتنوا بالتأویل والتحریف.

وعلیه فهذهِ حقیقه المنهج التفسیری المسمی بأمومه ولایه أئمه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات الذی دلَّت علیه روایات أهل البیت (علیهم السلام).

أولاً: ما رواه العیاشی فی تفسیره.. عن مسعده بن صَدَقه، قال:

قال أبو عبدالله (علیه السلام): - إنَّ الله جعل ولایتنا أهل البیت قطب القرآن، وقطب جمیع الکتب، علیها یستدیرُ محکم القرآن وبها نوّهت الکتب ویستبین الأیمان(۱).

ثانیاً: مُحمَّد بن یعقوب عن علی بن إبراهیم عن أبیه، عن ابن سنان، أو عن غیره عمن ذکره، قال: -

سألتُ أبا عبدالله (علیه السلام) عن القرآن والفرقان أهما شیئان أو شیء واحد؟ فقال (علیه السلام): القرآن جمله الکتاب والفرقان المحکم الواجب العمل به(۲).

ثالثاً: مُحمَّد بن یعقوب عن علی بن مُحمَّد عن بعض أصحابه، عن آدم بن إسحاق عن عبدالرزاق بن مهران، عن الحسین ابن میمون، عن مُحمَّد بن سالم عن أبی جعفر (علیه السلام)، قال: -

إنَّ أُناساً تکلموا فی القرآن العظیم بغیر عِلم وذلک أنَّ الله تبارک وتعالی یقول : هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ...

الآیه، فالمنسوخات من المتشابهات، والمحکمات من الناسخات(۳).

رابعاً:... علی بن إبراهیم قال: -

حدثنا مُحمَّد بن أحمد بن ثابت، قال:

۱- (۱) تفسیر العیاشی، ج ۱، ص ۷۸، ح ۸ باب فضل القرآن.

۲- (۲) البرهان فی تفسیر القرآن، ج ۲، ص ۶، ح ۳؛ الکافی، ج ۲، ص ۴۶۱ ح ۱۱.

۳- (۳) البرهان فی تفسیر القرآن، ج ۲، ص ۷.

حدثنا الحسن بن مُحمَّد بن سماعه عند وهيب بن حفص عن أبی بصیر عن أبی عبدالله (علیه السلام)، قال: - سمعته یقول: إنَّ القرآن زاجر وآخر یأمر بالجنه ویزجر عن النار، وفیه محکم ومتشابه، فأمّا المحکم فیؤمن به ویُعْمل به ویُعتبر به، وأمّا المتشابه فیُؤمن به ولا یُعمل به وهو قوله: فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ یَقُولُونَ آمَنّا بِهِ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا ، قال: آل مُحمَّد الراسخون فی العلم(۱).

خامساً: عن أبی مُحمَّد الهمدانی عن رجل عن أبی عبدالله (علیه السلام)، قال:

سألتُه عن الناسخ والمنسوخ والمحکم والمتشابه، قال: الناسخ: الثابت، والمنسوخ ما مضی، والمحکم: ما یُعْمَلُ به والمشابه الذی یشبه بعضه بعضاً(۲).

سادساً: عن أبی بصیر، قال: سمعتُ أبا عبدالله (علیه السلام)، یقول:

إنَّ القرآن فیه محکم ومتشابه، فأمّا المحکم فنؤمن به ونعمل به، وندین به، وأمّا المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به(۳).

سابعاً: عن مسعده بن صَدَقه، قال:

سألتُ أبا عبدالله (علیه السلام) عن الناسخ والمنسوخ والمحکم والمتشابه؟ قال: الناسخ: الثابت المعمول به، والمنسوخ ما قدْ کان یُعْمل به ثُمَّ جاء ما نسخه، والمتشابه ما اشتبه علی جاهله(۴).

ثامناً: فی احتجاج النبی (صلی الله علیه و آله) یوم الغدیر وأنَّ علیاً هو کتاب الله والداعی إلیه:.. معاشر الناس تدبروا القرآن وافهموا آیاته.. وانظروا محکماته وإلی

۱- (۱) تفسیر البرهان، ج ۲، ص ۹، ح ۷؛ تفسیر القمی، ج ۲، ص ۴۵۵.

۲- (۲) تفسیر العیاشی، ج ۱، ص ۸۵، ح ۱؛ بحار الأنوار، ج ۹۲، ص ۳۸۲ ح ۱۹.

۳- (۳) تفسیر العیاشی، ج ۱، ص ۸۷، ح ۶؛ بحار الأنوار، ج ۹۲، ص ۳۸۲، ح ۲۱.

۴- (۴) تفسیر العیاشی، ج ۱، ص ۸۷، ح ۷؛ بحار الأنوار، ج ۹۲، ص ۳۸۲، ح ۲۲

متشابهه، فوالله لن يُبين لكم زواجره، ولا يوضح لكم عن تفسيره، إلّا الذى أنا آخِذٌ بيده(۱).

الأمر الثالث: هناك أمرٌ هامّ ينبغى الالتفات إليه والتنبيه عليه من قِبَل أهلِ كل اختصاص وفى كل العلوم وبالأخص علوم فقه الفروع والأصول والتفسير والعقائد و... الخ وحاصله: -

إنَّ الخوض فى التفاصيل بعيداً وعميقاً بنحو مترامى الأطراف يعتبره القرآن الكريم زيغٌ، ما لم يُتمسك بالعمود الفقرى للقرآن وهو أمومه ولايه الأئمه (عليهم السلام) على المحكمات فضلاً عن المتشابهات، وهذا هو التعمُّق المذموم فى الروايات، مع أنَّ التعمق تحقيق فى بادى النظره الأولى كما يُفهم من الروايات إلّا أنَّ هناك روايات ذامَّه للتعمق والغورر فى التفاصيل منها: -

أولاً: ما رواه الشيخ الكلينى مُحمَّد بن يعقوب عن على بن إبراهيم عن أبيه عن حمّاد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليمانى عن عُمرَ بن أذينه، عن أبان بن أبى عيّاش عن سليم بن قيس الهلالى عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: بُنى الكفر على أربع دعائم: الفسق والغلو والشك والشبهه.. والغلو على أربع شُعَب: على التعمق بالرأى، والتنازع فيه، والزيغ والشقاق فمن تَعَمَّق لم يَنُب إلى الحق ولم يزدد إلّا غرقاً فى الغَمَرات، ولم تنحسر عنه فتنهٌ إلّا غشيته أُخرى وانخرق دينه فهو يهوى فى أمر مريج(۲).

ثانياً: ما رواه الشيخ الصدوق فى الخصال بإسناده عن الأصبغ بن

۱- (۱) الاحتجاج للطبرسى، ص ۶۰، الوسائل ج ۲۷، ب ۱۳، ص ۱۹۳، ح ۴۳.

۲- (۲) أصول الكافى للكلينى، ج ۲، ص ۳۷۳-۳۷۴ باب ۱۹۷؛ دعائم الكفر وشعبه، تحف العقول، ص ۱۶۶؛ روضه الواعظين لابن فتّال ص ۴۳.

نباته عن أمير المؤمنين (عليه السلام): والعتو على أربعه شعب... الخ(۱).

ثالثاً: من كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) القصار...

مَن تَعَمَّق بالباطل لم يُنَب(۲).

ومن مجموع هذهِ الروايات وغيرها يتبيَّن: أنَّ المحكم هو المحور العمود والحق، وأمَّا المتشابه الذى هو التفاصيل وتفاصيلها هى غَمَرات وفتنه ومريج إذا عكف عليها - التفاصيل - وسَبَّبَ الانشغال بها متاركه المحكمات المحوريه.

إنْ قلت: إنَّ الآيات القرآنيه وكذا الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليه السلام) تأمر بالتدبر والتأمُّل، كقوله تعالى: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها۳ و أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً۴.

قلتُ: صحيح إنَّ الآيه المباركه فى مقام بيان التحضيض فى صوره الاستفهام، والتدبر بعد التدبر، والتأمُّل بعد التأمُّل بالآيه عقيب الآيه، ولكن السبب فى ذم التعمق هو لأنَّ الاشتغال والانشداد إلى التفاصيل والخوض بها وفى تفاصيل التفاصيل وجزئيات الجزئيات وهلم جرا، فإنَّ مثل هذا فممّا لا ريب فيه ينتهى إلى الزيغ، وهذا معناه الخوض فى المتاهات ولا تنتظم لديك الحقائق بالتفاصيل إلّا بالرجوع إلى الآيات المحكمه وهى

۱- (۱) الخصال للصدوق، ص ۲۳۳.

۲- (۲) عيون الحكم والمواعظ لليثى الواسطى، ص ۴۵۷.

المحور والأم.

ومن الواضح أنَّ الزيغ مقابل الإِحكام ليسَ مختصاً بآيات القرآن أو الروايات أو علم معين أو... الخ، وإنَّما هو منهج فكرى عظيم فى أى علم من العلوم ولا يمكن لأى باحث أنْ ينجو منه - الزيغ - إلّا بالحذر والتوقى من الانشغال بالتفاصيل وتفاصيلها عن المحاور الأصليّه التى هى أهم فى بنيان العلم والركن الشديد الذى هو التمسُّك بآيات الأحكام والأمومه وهى العمده، ولذا عَبَّرَ القرآن الكريم عن الدخول فى التفاصيل وتفاصيلها هو اتّباع للمتشابه وللزيغ.

والخلاصه: إنَّ أحد أهم أسباب النهى عن الدخول بالتفاصيل هو لأنَّ كثره الاشتغال بالتفاصيل وتفاصيل التفاصيل انغماراً يغفلك عن المحاور التى هى الأم والأعمده البنيويّه سواء كان العمود البنيوى خيراً أو شرّاً، وعليه فإذا كان العمود البنيوى هو أساس النظام والمنظومه وعُمْدَه الحق والخير وأنت تركتها فإنَّك إذنْ دخلت فى تفاصيل مترامیه مما يوجب الشبه والاشتباهات فى المسارات وسلوك مسير الباطل والشر - والعياذ بالله - وتوظيف تفاصيل المحاور للباطل من حيث لا يشعر، أو بالعكس لعله يكون العمود البنيوى عظامهُ نخره ولكن الدخول فى الجزئيات والتفاصيل وإنْ كان فيها إيجابيات إلّا أنَّه أين هذهِ التفاصيل والجزئيات الإيجابيه إذا وُظِّفَت لتبيان الشرّ مما لو وُظِّفت لتبيان الخير، وبينهما بونٌ واسع وهنا سوف تضيع الموازنه عند الباحث الكريم.

ولأجل هذا لو رجعنا إلى القرآن الكريم فإنَّه لم يحمد الجزئيات سواء كانت خيراً أم شرّاً وإنَّما القرآن الكريم يريد منك أنْ تكون ذا قوه فكريه

متميزه وتملك نظام فكرى خاص ومن أهل البصائر، فإنَّ طلب مطلق العلم أمرٌ غير ممدوح فى الكتاب والسنه وإنَّما المهم هو العلم ومعرفه الأمومه والأهم فالأهم وليسَ هذا خاصاً بعلم الفروع أو الأصول أو التفسير أو الكلام أو... الخ وإنَّما هو مطلوب فى كل العلوم.

ولذا وَرَدَ عن الإمام الصادق (عليه السلام)

..إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يُحب معالى الأمور ويكره سفاسفها(۱) ويروى (يبغض).

وإنْ كانت سفاسف الأمور حقائق إلّا أنها أين من أعالى الأمور.

وليست هذهِ دعوى لعدم الأكتراث بالجزئيات بحيث يلزم التفريط والتهاون بها ليسَ الأمر كذلك فلا يشتبه الأمر عليك؛ إذْ لا يتهاون بشىء فى الدين كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا۲.

إلّا أنَّه ينبغى التنبيه والالتفات إلى أنَّ مقدار الأهميّه التى توليها للشىء العظيم ليسَ بنفس درجه الأهميه للشىء الوضيع والأقل؛ لأنَّه إذا ساويت بينهما صار الأمر فيه خبط وخَلْط.

ولذا فى ديننا الإسلامى الحنيف أنَّ التعظيم لله تعالى بدرجه والتعظيم للنبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) بدرجه أُخرى، وبثالثه لتعظيم سيد الأوصياء أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) وهكذا بدرجات متفاوته لباقى ذوات المعصومين الطاهره (عليهم السلام).

۱- (۱) الوسائل، ج ۱۷، ص ۷۳، ب ۲۵ من أبواب مقدمات التجاره ح ۳، ثم ذكر صاحب الوسائل: قال صاحب الصحاح: - السفساف: - الردىء من كل شىء والأمر الحقير.

وعليه فلابـدَّ من الالتفات والتمييز بين أصل الاكتراث وبين تساوى الاكتراث والموازنه بينها؛ ولـذا مَن عَرَّف العدلَ بالمساواه فإنَّه ليسَ تعريفـاً دقيقاً، وإنَّما التعريف الصحيح للعـدل: - إعطاء كل ذى حق حقه. إذنْ الموازنه ضـروريه ومهمه جـداً لـدى الباحث الكريم.

ولذا وَرَدَ فى بعض قصار كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام)

«كل علمٍ لا يؤيده عقل مضله»(۱).

وقول الشاعر: ولا خير فى علمٍ يكون بلا عقلٍ.

فـإنَّ العلم بلا عقل يشـكل خطراً على نتائـج البحث العلمى فقـد تخرج النتائـج سـلبيةً وغير منضـبطه بقواعـد وموازين العقل، فإنَّ العقـل بلاـ علم أهونُ شـراً وأقـل خطراً من علم بلاـ عقـل لأـنَّ العقـل يوازن بين الأمور المهمه وبين ما هو أهم كالأمومه ومعالى الأمور.

فليس المهم مطلق العلم وإنَّما المهم نوع خاص من العلم، وهكذا ليسَ كل بصـيره مهمه وإنَّما المهم الأهم نافذ البصـيره، وهكذا عندما يؤكِّد القرآن على التمسُّك بالعروه الوثقى فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقى۲ فإنَّ هناك عُرَى كثيره منها وثيقه وأُخرى وثقى أى الأـوثق والمهم منهـا هو الوثقى فـإنَّ كـل نبى من أنبيـاء الله تعالى وكل مُرسل هو عروه ولكن هناك عروه وثقى أكَّد القرآن الكريم على التمسُّك بهـا وهو الخاتم مُحمَّد رسول الله (صـلى الله عليه و آله) فيجعل أمومه رسول الله (صـلى الله عليه و آله) هى المهيمنه وباقى أنبياء الله تعالى ورسله تحت ظله.

۱- (۱) غرر الحكم للأمدى/ ۶۴۳۱.

إذنْ القرآن الكريم والروايات تؤكّد على ضروره الإبصار بالدرجات والتمسك بالمحكمات لأنَّ الدخول فى التفاصيل وتفاصيلها سوف لا يهتدى ولا يُبْصِر صاحبُها إلى إحكام القرآن وهدايته البالغه ولعلَّ بعض مَن يدخل فى التفاصيل يشتبه عليه الحال ويجعل الفرع أصلاً، والأصل فرعاً، وهذا إنْ صَحَّ التعبير ظُلْمٌ للعلم والمعرفه وكارثه معرفيه، والصحيح هو جعل الأصل أصلاً والفرع فرعاً فإذا أراد الباحث أنْ يُقوِّض كيان الأصل رعايةً للفرع فهذهِ موازنه مقلوبه.

و لا يفهم ممّا تقدَّم أنَّ الفرع والجزئيات لا يكترث بها، بلْ على العكس يُهتم بها إلّا أنَّه لا إلى درجه الاكتراث والرعايه لفرع بمستوى الأصل وإلّا لما جُعِل الأصل أصلاً والفرع فرعاً.

وفى الختام وبكمله أخيره أقول: إنَّ منهج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات هو البصيره التى ما فتئنا أنْ نستلهمها من أهل البيت (عليهم السلام) وأنَّ المُفَسِّر لا يصير ذا بصيره إلّا إذا اكتشف المحكمات فى القرآن؛ لأنَّ ليسَ من العزيز أنْ تصبح مُفَسِّراً وإنَّما العزيز والمهم أنْ تُبْصر وتفهم محكمات الآيات، كما وَرَدَ

«اللَّهُمَّ إنّى أسألك بمعاقد العزّ من عرشك ومنتهى الرحمه من كتابك» ولم يقل اللَّهُمَّ إنّى أسألك العز من عرشك وإنَّما قال: - اللَّهُمَّ إنّى أسألك بمعاقد العز وليسَ أسألك مطلق العزّ وإنَّما أسألك بمعاقد العز من عرشك وليسَ أسألك الرحمه من كتابك بلْ أسألك منتهى الرحمه أى العلو، وهكذا

«اللَّهُمَّ إنى أسألك باسمك العظيم الأعظم» وليسَ فقط أسألك باسمك العظيم وإنَّما أسألك باسمك الأعظم الأعظم الأعظم - الأعلى - وعليه فالمحكمات وامومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) هى

نُظْم الدين ولا تستتم معرفه نظم الدين إلّا بمعرفه الأمومه والمحكمات لا بمجرد معرفه جرد مجموعى متراكم للدين والقرآن فإنَّه لا يكفى فى الوصول إلى الهدايه المطلوبه فى الدين، وهذا يكشف لنا أنَّه ليسَ المهم فى القرآن وجود الدليل وإنَّما المهم نوعيّه وأهميّه وأقوائيه الدليل وطبقته ودرجته فى ضمن الطبقات فى نظر القرآن فإنَّها أهم من أصل وجود الدليل، فالبصير مَن يستطع أنْ يَحْصى المحكمات فى القرآن وطبقاتها لا مجرد معرفه إجماليه للمحكمات، فهذهِ مهمه صعبه جداً، ومن الله نستمد العون والتسديد.

من جوار مولانا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام

النجف الأشرف

مُحمَّد السند

١٥ / ربيع ١٤٣٤/١ ه -

٢٠١٣/١/٢٧ م

ص:١٦

الفصل الأول: منهجنا فی التفسیر

اشاره

منهج أمومه وولایه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی القرآن

۱ - تقدیم بقلم سماحه الشیخ الأستاذ مُحمَّد سند حفظه الله.

۲ - مقدمه.

۳ - توطئه عن تاریخ کل علم.

۴ - علم التفسیر وصعوبته.

۵ - منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی القرآن الکریم.

۶ - التعریف بمنهج أمومه وولایه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی تفسیر محکمات القرآن.

منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فى القرآن فضلاً عن المتشابهات

اشاره

١ - مقدمه.

٢ - توطئه عن تاريخ كل علم.

٣ - علم التفسير وصعوبته.

۴ - منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فى القرآن فضلاً عن الممتشابهات.

۵ - التعريف بمنهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فى القرآن الكريم فضلاً عن المتشابهات.

وفيه:

١ - المقدمه:

اشاره

لا يخفى على ذى البصيره والتضلع فى المعارف الحقّه ما للقرآن من أهميه عُظمى فى تنظيم حياه البشر وغيره بما فيهم المسلم وغيره باعتباره دستور منظم لأمورهم المعيشيه كامله؛ ولذا يتكفل القرآن الكريم - إنْ اتبع البشر قانونه - الحياه الآمنه الخاليه من الظلم والاضطهاد والعيش برغد وسلامه الدارين.

ولذا انبرى العلماء والباحثون والمختصون فى كل مزق وطائفه من طوائف المسلمين البحث والتدقيق فى كشف وإزاله الغموض عن كلمات القرآن وتيسرها واستخراج ما تتضمنه من معانى كثيره، وكان من بين علماء ومفسرى المسلمين، علماء ومفسرو الشيعه الإماميه لهم قصب السبق فى فن

التفسير ودورهم المتميز منذ زمن متقدم أيام الأئمه المعصومين (عليهم السلام) فى القرن الثانى والثالث والرابع والخامس... الخ فى تفسير القرآن والغوص فى بحار مفاهيمه ومعانيه واستجلاء معانى النص القرآنى بالسؤال من الإمام المعصوم (عليه السلام) ونتيجه هذا الاهتمام بتفسير القرآن والكشف عن غوامضه وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمه بزغت أسماء عالم التفسير، تفاسير كثيره منها تفسير: -

١ - تفسير جابر بن يزيد الجعفى.

٢ - تفسير فرات الكوفى.

٣ - تفسير أبى الجارود.

۴ - تفسير على بن إبراهيم المعروف بتفسير القمى.

۵ - تفسير الشريف المرتضى المعروف بنفائس التأويل.

۶ - التبيان للشيخ الطوسى.

٧ - مجمع البيان للشيخ الطبرسى.

٨ - جوامع الجامع للشيخ الطبرسى أيضاً.

٩ - آلاء الرحمن للشيخ محمد جواد البلاغى.

١٠ - الميزان فى تفسير القرآن للسيد العلامه محمد حسين الطباطبائى، وكذا له البيان فى تفسير القرآن، تفسير روائى.

١١ - مواهب الرحمن للسيد عبدالأعلى السبزوارى.

١٢ - الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازى.

إلى عشرات التفاسير القيمه لمفسرى الشيعه الإماميه فضلاً عن باقى تفاسير علماء ومفسرى المسلمين بل وغير المسلمين.

والغرض الأساسى من اختيار منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) وأمومه المحكمات فى القرآن الكريم من بين المناهج التفسيريه الأُخرى المستفاد من آيات القرآن الكريم وأحاديث السُّنه الشريفه والروايات الوارده عن أئمه الهدى أئمه أهل البيت (عليهم السلام) هو لأجل التحقيق والكشف عن المعانى الحقيقه للكلمات، قال تعالى: وَ لا يَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلاّ جِئْناکَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً١. أى بياناً وتفصيلاً.

وبذلنا غايه وسعنا وجهدنا واجتهادنا فى بيان أكبر عدد ممكن استخدامه فى التفسير من القواعد البلاغيه والنحويه واللغويه والصرفيه والحديثيه والتفسيريه و... الخ؛ لأنَّ من الواضح أنَّ التفسير وزنه [التفعيل] نظراً للمبالغه فى محاوله استنباط المعنى كما فى خرج واستخرج وكشف واكتشف، أمَّا فى الثانى إفاده زياده المحاوله فى الاستخراج والكشف؛ ولذا كان الفعل المزيد أخصّ من الفعل المجرد انطلاقاً من زياده المبانى تدلُّ على زياده المعانى.

وبعد بيان ما هو الحق فى تلك الآيه المباركه والكلمه من خلال استعمال القواعد والموازين الصحيحه المتبعه فى ذلك الفن طبقناها على موارد استعمال تلك الكلمه فى الآيات الكريمه ليظهر الحق ويزيل الباطل.

ولا يخفى على ذوى الحجى أهميه القواعد التفسيريه ومنصتها الخطيره فى تفسير القرآن الكريم وهى قواعد ممهده لتحصيل الحجه على

استکشاف مراد الوحی من آیاته النازله لهدایه البشر وکقانون إنْ طبقه البشر یُسلک بهم طریق الرشاد والکمال وبه یرتسم صراطه المستقیم، کما قال تعالی: وَ أَنَّ هذا صِراطِی مُسْتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ[1] مضافاً لما سنُبَیِّنه فی محله إنْ شاء الله تعالی من الفرق بین القواعد التفسیریه وبین علم التفسیر، وکذلک سنتعرض بحوله وقوته إلی ذکر قواعد ومسائل مرتبطه بعلم التفسیر ودخیله فیه بصوره کُبریات وقواعد عامه.

وفی إثر هذهِ الدقه فی التحقیق التی تمیَّز بها سماحه شیخنا الأُستاذ آیه الله محمد سند البحرانی دامت فیوضاته، ببرکه مجاوره سید الأوصیاء أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب (علیه السلام) اتضحت حقائق لامعه ومعارف حقّه ونکات ولطائف شریفه ونفیسه قدْ خفیت علی أکثر المفسرین واشتبهت علیهم.

ولا یفهم من هذا أنَّ المراد تهمیش باقی المناهج التفسیریه الأُخری باختیارنا لمنهج أمومه الولایه والمحکمات، وإنَّما هم مشکورون ما توصلوا إلیه وشکر الله مساعیهم إلّا أنَّ الذی نودُّ التنبیه علیه إلی أنَّ باقی المناهج التفسیریه لا تلبی أکبر قدر ممکن من حاجه الباحث والمطالع الکریم بخلاف المنهج المختار؛ منهج أمومه المحکمات إذا تدبرته بإمعان تجد صدق ما أقول لمَّا یتمتع به من مطالب علمیه بحثیه دقیقه.

خطه البحث

باسمه تعالى

لا يخفى على الباحث الكريم أنَّ هذا الكتاب هو مجموع البحوث التى ألقاها سماحه الأستاذ البارع والمحقق آيه الله محمد السند - دام ظله العالى - على جمع من طلبه العلوم الدينيه فى النجف الأشرف عند تشرفه مجاوره أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) فى النجف الأشرف وتشرفنا بحضور درسه المبارك، درس التفسير طيله أيام التحصيل من السبت إلى الأربعاء فضلاً عن الجلسات الخاصه التى تفضل بها سماحته وأعطانا من وقته الثمين بقراءه التقرير والإضافه والتعديل، وقد تسلَّط الأضواء فى هذهِ البحوث المعمَّقه وقبل الدخول فى خضم بحر تفسير الآيات المباركه للقرآن الكريم وسوره على القواعد التى لا غنى عنها للباحث والمفسِّر الكريم الناجح ذو النَفَس التحقيقى والعلمى بإعمال القواعد التفسيريه المهمه والبلاغيه واللغويه والنحويه و... وبيان ما انطوت عليها من نكات خفيّه قد خفيت على الكثير فنشكره تعالى التنبيه عليها والالتفات لمثلها والتى تعتبر بمثابه اللبنه الأساسيه لمنهجنا المختار أمومه الولايه والمحكمات وغيره من المناهج التفسيريه الأُخرى.

ومن منن الله تعالى علىَّ أنْ وُفِقْتُ لتقرير هذهِ الأبحاث القيِّمه والمعمَّقه، وجاءت مرتبه على مقدمه وفصول ثمانيه.

وكان الفصل الأوَّل قد بُيِّنَ فيه توطئه عن تاريخ كل علم مع بيان صعوبه علم التفسير ودور القرآن الكريم فى حفظ اللغه العربيه، و... الخ.

ص:٢٣

والفصل الثانی: قیمومه أهل البیت (علیهم السلام) فی تعلیم القرآن، أدله وبراهین.

والفصل الثالث: المنهجیه والمناهج فی التفسیر: - فقد ترکَّز فیه البحث بیان أهمیه وضع المنهجیه مع بیان العوامل الأساسیه فی بحوث علم التفسیر وعدم استغناء المفسر عنها، مع بیان وحده المعیه بین الکتاب والعتره، وبیان العلاقه بین ولایه الله وولایه الرسول (صلی الله علیه و آله) والأئمه (علیهم السلام) وبین منهج أمومه الولایه والمحکمات، مع بیان امتیاز منهج أمومه الولایه عن باقی المناهج التفسیریه الأُخری، مع الوقوف علی بیان أهمیه البحث المقارن، وذکر المؤاخذات علی المناهج التفسیریه الأُخری، و... الخ.

الفصل الرابع: نظم قواعد التفسیر - بحث نظری إجمالی - وتعرضنا فیه إلی بیان مقدمه ثم بیان إجمالی للأنظمه الثلاثه: - النظام اللفظی الاستعمالی، ونظام المعانی ونظام الحقائق مع بیان القواعد المرتبطه بکل نظام علی حِده.

الفصل الخامس: القاعده الثانیه، قاعده الالتفات.

الفصل السادس: القاعده الثالثه، قاعده: إیاکِ أعنی واسمعی یا جاره.

الفصل السابع: القاعده الرابعه: - استعمال اللفظ فی أکثر من معنی.

الفصل الثامن: ویشتمل علی بیان ضوابط منهجیه فی أمور تسعه.

وفی هذا الکتاب تعرضنا إلی ذکر ضابط النظام الأوَّل اللفظی الاستعمالی مع أربعه قواعد مهمه. التعریض والالتفات وإیاک أعنی واسمعی یا جاره واستعمال اللفظ فی أکثر من معنی.

وفی الختام أُقدِّم خالص شکری واحترامی لمقام شیخنا الأُستاذ محمد

سنـد البحرانى حفظه الله لمَّا أولاه من عنايه خاصه وبذله لوقته الثمين على مراجعه ومتابعه ما أقدمه له من فصول هذا الكتاب ولله دَرّه.

كما وأشكر كل مَنْ ساعدنى ويسر لى إخراج هذا السِّفر المبارك.

نسأله تبارك وتعالى أنْ يتقبل هذا خالصاً لوجهه الكريم وأنْ ينفع به إخواننا طلبه العلوم الدينيه آملين أنْ يتحفونا بنقودهم البنّاءه وأنْ يسامحونا فيما شطّ به القلم، وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين.

محسن الجصانى

١٩ /ج ١٤٣٣/١ ه -

٢٠١٢/٤/١١

النجف الأشرف

ص:٢٥

تفسیر أمومه ولایه أئمه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی الکتاب الکریم

تفسیر أمومه ولایه أئمه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی الکتاب الکریم(۱)

قواعد التفسیر: القاعده جمعها قواعِد، وهی لغه الأساس(۲).

القاعده اصطلاحاً: هو الضابطه أی الأمر الکلی المنطبق علی جمیع الجزئیات(۳).

التفسیر لغهً: الکشف عن معنی اللفظ وإظهاره، والفَسَر: البیان(۴).

واصطلاحاً: ذکرت عدَّه تعریفات للتفسیر: -

أولاً: ما ذکره الشیخ الطبرسی: کشف المراد من اللفظ المشکل.

ثانیاً: علمٌ یُعْرَف به فهم کتاب الله المنزل علی نبیه محمد (صلی الله علیه و آله) وبیان معانیه واستخراج أحکامه وحِکَمِهِ(۵).

ثالثاً: هو إزاحه الإبهام عن اللفظ المشکل فی إفاده المعنی المقصود.

رابعاً: علم یبحث فیه عن کلام الله تعالی المنزل للإعجاز من حیث الدلاله علی مراده تعالی(۶).

وهناک تعاریف أُخری وردت فی کلمات المفسرین والمحققین نتعرض لبعضها عند المقارنه بین علم التفسیر وعلم التأویل فی مبحث الدلالات الخفیه وعدم الاقتصار علی منصَّه سطح الظاهر فی محله إنْ شاء الله تعالی.

۱- (۱) هذا العنوان مقتبس من بیانات القرآن الکریم کقوله تعالی: هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ [آل عمران: ۷].

۲- (۲) معجم مقاییس اللغه لابن فارس.

۳- (۳) کما یقال: کل إنسان حیوان ناطق إنسان، مجمع البحرین، ماده قعد.

۴- (۴) المصدر السابق، ماده (فَسَرَ).

۵- (۵) تفسیر البرهان فی علوم القرآن ج ۱ ص ۱۳.

۶- (۶) مجمع البحرین.

۲ – توطئه عن تاریخ کل علم

ما الفائده فی الخوض فی تاریخ کل علم؟

الخوض فیه لیس بحثاً مُؤَرَّخاً محضاً، بل یعطی طابعاً صناعیاً وفائده علمیه فی کیفیه بناءً معادلات وقواعد ومسائل ذلک العلم، ویعطی بصیره لدی الباحث عن کیفیه تطوّر العلم من مرحله إلی أُخری، وما هی الحالات والظواهر التی قادت العلم إلی ذلک المسیر.

فمثلاً لو طالعنا دیباجه التبیان بدقه وتأمل لاستطعنا معرفه المنهج التفسیری للشیخ الطوسی، وتتشکل لدینا صوره واضحه عن الجوّ العلمی الذی کان یعیشه الشیخ (رضی الله) والانطلاقات التی ینطلق منها، وکان منهج الشیخ الطوسی فی التفسیر: بأنَّ ذکر مقومات تمهیدیه نافعه فی معرفه أسالیب القرآن ومناهج بیانه وسائر شؤونه مما یرتبط بالتفسیر والتأویل، والمحکم، والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، ومعرفه وجوه إعجاز القرآن وأحکام تلاوته... الخ.

کذلک مما امتاز به هذا التفسیر هو التعرُض لمسائل علم الکلام بصیغه أدبیّه رفیعه ولا یترک موضِعاً من الآیات الکریمه التی جاءت فیها الإشاره إلی جانب من مسائل العقیده، إلّا وتعرَّض لها بتفصیل وبسط کلام.

وبعد الاطلاع یستطیع المُتَخصص أنَّ یُقیّم هذا الجهد الکبیر للشیخ الطوسی (رضی الله) ومَدَی الإنجازات التی توصَّل إلیها، وبیان الخطَّه التی وضعها الشیخ (رضی الله) فی منهجه هذا وکم أنجز منها وما هو الباقی منها.

ص:۲۹

وهكذا لو قرءنا واطلعنا على المنهج التفسيرى الذى اعتمد عليه الشيخ الطبرسى صاحب مجمع البيان(۱) وما هى انطلاقاته وما هى الفوارق فى الرُّأى التى كانت عند الشيخ الطوسى والطبرسى (رضى الله) فى كتابيهما وما يتميز به كتابيهما من جوانب القوه فى المطالب العلميّه.

والكتابان هما الآن مصدران مهمان كبيران لعلوم اللغه العربيه فضلاً عن التفسير عند المذاهب الإسلاميّه كافّه، ومُقّرران فى المناهج الأكاديميه العصريه والحوزويه فى جامعاتهم المختلفه العربيه وغيرها، الإسلاميه وغيرها.

والسِرُّ فى ذلك هو أنَّ الشيخ الطوسى (رضى الله) حَفِظ على كل أهل السُّنه مصادر هى ليست بأيديهم الآن ولا طريق لهم إليها إلّا عن طريق كتابى التفسير المذكورين آنفاً.

ولو قارنا بين التفسيرين ومعرفه المنهجه التى اتبعها كل من الشيخ الطوسى فى تبيانه، والشيخ الطبرسى فى بيانه لصار لدينا بحثاً مقارناً بينهما.

الخلاصه:

إنَّ تاريخ كل عِلم يُعطى الإنسان نوع من البصيره عن كيفيه اختلاف المسارات فى ذلك العلم، والالتفات إلى اختلاف المسارات، وأخيراً يحصل للإنسان البلوغ والنضوج الفكرى، ونوع من البصيره، كل ذلك يتحصل من خلال المقارَنه والالتفات إلى امتيازاته.

۱- (۱) الطبرسى: أبو على الفضل بن الحسن، توفى سنه ۵۴۸ ه - له تفسير مجمع البيان وهو تفسير حاشد بالأدب واللغه والقراءات أو حججها، ويختصّ بالإحاطه بآراء المفسرين السَلَف، وكان الشيخ الطبرسى قدْ جعل تفسير التبيان للشيخ الطوسى أسوه له فى هذا المجال فجعله أصلاه بنى عليه زيادات المبانى والفروع.

۳ – صعوبه علم التفسیر

اشاره

جاء فی الروایات الوارده عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) الداله علی صعوبه علم التفسیر ما رواه النعمانی(۱) بإسناده عن إسماعیل بن جابر الجعفی.. قال (علیه السلام)

«إنَّ الله بَعَثَ محمداً (صلی الله علیه و آله) فختم به الأنبیاء فلا نبی بعده وأنزل علیه الکتاب فختم به الکتب فلا کتاب بعده».

یمکن أنْ یُقال أنَّ هذهِ الروایه الشریفه أشارت إلی مطلبین أساسیین:

المطلب الأوَّل: أنَّه من الأوصاف الفریده من نوعها والظریفه التی بینها أئمه الهُدی أئمه أهل البیت (علیهم السلام) هی أنَّ النبی محمداً (صلی الله علیه و آله) خاتمُ الأنبیاء والمرسلین فلا نبی بعده، وهذا ظاهره واضح وبیِّن إلّا أنَّ الأئمه (علیهم السلام) یرمون إلی معنی أوسع من هذا الظاهر، وهو أنَّ هذا وصفٌ أساسی بنیوی رکنی فی بناءِ جانب الاعتقاد بنبوه الخاتم (صلی الله علیه و آله).

المطلب الثانی: القرآن خاتم الکتب فلا کتاب بعده، أیضاً هو الآخر فی کونه وصفاً أساسیاً رکنیاً فی معرفه أصول وقواعد علم التفسیر للقرآن الکریم.

وهذا توصیف علمی عمیق جداً للکتاب الکریم یحمل فی طیاته بُنی

۱- (۱) قال النجاشی فی ترجمه النعمانی ص ۳۸۳ حدیث ۱۰۴۳، ما نصَّه «أبو عبدالله الکاتب النعمانی المعروف بابن زینب شیخ من أصحابنا عظیم القدر شریف المنزله صحیح العقیده، کثیر الحدیث قدم بغداد وخرج من الشام ومات فیها» وهو من أجله تلامذه الشیخ الکلینی ت سنه ۳۳۳ ه – وإنْ کان البعض ذکر أنَّه المعروف بابن أبی زینب خلاف ماذکره النجاشی من ابن زینب.

كبيره جداً وهذا شبيه ما وَرَدَ فی حق أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنَّه القرآن الناطق، لمَّا أشارت له بعض النصوص مِنْ أنَّ هناك قرآن ناطق وقرآن صامت وعليه فما المراد بالنطق والصمت للقرآن؟

ما وَرَدَ عنهم (عليهم السلام) فی بيان ذلك من أنَّ المراد من نفس الصمت فی القرآن أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) دائماً يُبينون بُنی خطيره جدّاً بعجز الآخرون عن الالتفات إليها، وهذا يدلُّ على أنَّ علمَهم لَدُنی وحيانی وليس بشری.

وهكذا ما وَرَدَ عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام):

«لا جبر ولا تفويض بل أمرٌ بين أمرين»(۱) فهو شاهدٌ آخر على أنَّ الله تعالى أنزل كتاباً على النبی (صلى الله عليه و آله) فجعله النبی (صلى الله عليه و آله) بأمر الوحی علماً باقياً فی القرآن فی أوصيائه (عليهم السلام) العتره الطاهره.

ولذا ما وَرَدَ عنه (صلى الله عليه و آله):

«القرآن مع علی، وعلی مع القرآن»(۲) وأهل بيته، فإنَّ القرآن فی الأوصياء له معنی آخر فما هو ذلك المعنی؟

إشاره إلى المقامات العُليا من القرآن الكريم التی هی أُسُّ عظمه القرآن وأساسه، وتلك الطبقات التی توجب الإحاطه بكل تفاصيل الطبقات النازله هی مختصَّه بهم (عليهم السلام) كما فی الآيه المباركه من سوره الواقعه (لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) وهو المكنون من كتابه، وإشاره الآيه المباركه (آياتٍ بَيِّناتٍ) لا إلى مطلق البشر وإنَّما إلى خصوص صدور اَلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ * وَ ما

۱- (۱) الكافی ج ۱ ص ۱۶۰ ح ۱۳.

۲- (۲) رواه الطبرانی فی الصغير والأوسط - مجمع الزوائد والمستدرك للحاكم ج ۳، ص ۱۲۴ وابن حجر الهيثمی فی الصواعق المحرقه فی الرد على أهل البيت (عليهم السلام) والزندقه ص ۱۹۱ وغيرها.

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ فتلك الطبقات لا تنطق إلّا بهم ولا يُفْصَح عنها إلّا بهم.

معنى القرآن فى الأوصياء:

وليس هذا - كما يدعيه البعض - أنَّه يوجب التعطيل، كما لا يوجب التطويل وبالتالى لا تعطيل مطلق ولا تطويل مطلق، وإنَّما أمرهُ بين أمرين، وسوف نستقرى معالم هذهِ المدرسه العظيمه حتَّى نسميه مسلك: لا تعطيل ولا تطويل بل أمرٌ بين أمرين. حسب قراءتنا المحدوده.

وعليه كان لزاماً علينا التحرى عن أصول وقواعد التفسير فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) الذى يُعْتبر من أهم المواد الأساسيّه الركنيه عند المُفَسِّر؛ لأنَّهم (عليهم السلام) يُبينون ما يَعْجز الآخرون عن بيانه؛ ولذا يجد المتتبع المُنصِف أنَّ هناك بوناً واسعاً بين أصول وقواعد التفسير عند أهل البيت (عليهم السلام) وبين الطرف الآخر.

إلّا أنَّه وللأسف الشديد إلى الآن لم تُبيَّن تلك القواعد والأصول التى بينوها (عليهم السلام) من خلال ما وَرَدَ عنهم (عليهم السلام) فى علم التفسير من قبل علماء الإماميّه أَنفُسِهم، وإنْ كان لا يُنكَر ما قدَّمه الماضون (رحمهم الله تعالى) من إنجازات علميّه وجهود مضنيّه فى هذا المجال شكر الله مساعيهم، وبُذلت محاولات منهم لاقتناص منهج أهل البيت (عليهم السلام) وتعاليمهم وتوصياتهم فى استكشاف أصول التفسير التى يُرشِدون ويُوصون الأئمه (عليهم السلام) بها ومع ذلك الأمر لم يُنجز إنجازاً حافلاً، بل ولعلَّ بعض مفسرى الإماميّه بَنى الأمر على الخلط بين أصول التفسير لدى مدرسه الإماميّه وبين الطرف الآخر.

وبالتـالى هـذا ما يُثقِل المسؤوليّه علينا أكثر فأكثر، ويحتاج الأمر إلى جهـد وجـدٍّ واجتهاد، لعلَّ الله يعيننا على إنجاز خطوه تُضاف إلى خطى ما تَوصَّل إليه الماضون رحمهم الله من مُفَسِرى الإماميّه، والأمرُ ليس بالسهل ومن الله نطلب العون والتسديد.

ص:٣٤

۴ – منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی القرآن

اشاره

بیَّن القرآن الکریم أمومتین من خلال ما جاء فی الآیه السابعه من سوره آل عمران هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ یَقُولُونَ آمَنّا بِهِ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما یَذَّکَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ

وکذا فی سوره هود/ ۱... کِتابٌ أُحْکِمَتْ آیاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ

والأمومتان هما:

۱ – أمومه المحکمات – أی أمومه الله تعالی.

۲ – أمومه الراسخون فی العلم.

وما ذکره العیاشی فی تفسیره عن مَسعَده بن صدقه، قال: – قال أبو عبدالله (علیه السلام)

«إنَّ الله جعل ولایتنا أهل البیت قطب القرآن، وقطب جمیع الکتب علیها یستدیر محکم القرآن وبها نَوَّهت (یوهب) الکُتُب ویستبین الأیمان»(۱).

وهکذا ما جاء فی کلام أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب (علیه السلام) فی نهج البلاغه کفایه: – إذْ قال (علیه السلام)

«أین الذین زعموا أنَّهم الراسخون فی العلم دوننا، کَذِباً وبغیاً، علینا أمَّا رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا یُستعطی الهدی، ویُستجلی العمی إنَّ الأئمه من

۱– (۱) تفسیر العیاشی ج ۱، ص ۷۸ ح ۸.

قریش غرسوا فی هذا البطن من هاشم لا تصلح سواهم، ولا تصلح الولاه من غیرهم»(۱).

وعلیه فالحاکم والفیصل بین المحکمات والمتشابهات هو الله تعالی ثم الراسخون فی العلم.

هناک أمومتان: - أمومه لله، وأمومه الراسخون فی العلم الذین هم النبی (صلی الله علیه و آله) والعتره الطاهره (علیهم السلام) وَبَیَّن القرآن الکریم أنَّ قطب القرآن والمحور المرکزی الذی یستدیر علیها محکم الکتاب هی ولایه وأمومه أهل البیت (علیهم السلام).

وعلیه فإنَّ تسمیّه منهجنا التفسیری بهذا الاسم مستفاده ومقتبسه من مجموع الآیات والروایات الوارده فی المقام فی ترسیم نظام القرآن، ولیس هذا الاقتباس مجرد عنوان إعلامی ومجاملی کلا ثم کلا، وإنَّما هو ضروره منهجیه علمیه وصناعیه سنبینها فی أبحاث هذا الکتاب إنْ شاء الله تعالی.

وهذا المنهج یبحث فیه أمران:

الأمر الأوَّل: تأکید القرآن علی أهمیه رجوع المتشابه إلی المحکم:

سنتعرض إنْ شاء الله فی القاعده الرابعه من قواعد استعمال النظام اللفظی فی القرآن وهی: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی إنْ شاء الله تعالی إلّا أنَّه أحد شرائط هذهِ القاعده هو مما یرتبط بمنهج الأمومه المرکزیه ومحوریه المحکمات للآیات والسور، القرآنیه المتشابهه وولایه أهل البیت علی المحکمات، وأنَّ منهج أمومه المحکمات عباره عن منهج منظومی

۱- (۱) نهج البلاغه، خطبه/ ۱۴۴.

موحَّد وله محاور مركزيه فى دوائر تكبر وتتمركز شيئاً فشيئاً وبالتالى فهذا المنهج التفسير لأمومه المحكمات سوف يُضفى بظلاله على كـل قاعـده قاعـده فى التفسـير وعلى كل أصل أصل فى أى نظام من الأنظمه لثلاثه الآتيه: سواء نظام الاسـتعمال اللفظى فى القرآن وما فيه من قواعد كما سيأتى تفصيله من قاعده التعريف أو الالتفات أو إياك أعنى واسـمعى يا جاره أو اسـتعمال اللفظ فى أكثر من معنى أو.....؟ أو فى نظام المعانى فى القرآن أو فى نظام الحقائق فلو قارنا بين أى قاعـده عن قواعـد علم التفسـير فى كتـب علـوم القرآن على المنهـج التفسـير الموضـوعى أو التفسـير التجزيئى أو أسـباب النزول أو تفسـير القرآن بـالقرآن وكيف صياغتهـا وسـبكها مع القواعـد وصـياغتها وسـبكها فى منهـج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السـلام) لوجـدنا طبيعه وهندسه تلك القواعد تختلف اختلافاً بنيوياً كبيراً.

فقاعده اسـتعمال اللفظ فى أكثر من معنى وإنْ كان الباب مفتوح على مصـراعيه فى منهج أمومه المحكمات إلّا أنَّه مشروط ولسنا كبقيه التفاسـير اللغويه والأـدبيه والنحويه للقرآن الكريم بأنْ يأخـذ المفسـر فى تفسـير آيه البعـد الأدبى أو بُعْـد أحادى ويَنقُل فيه الآراء بلا أى قيـد وضابطه إلّا ضوابط قواعـد اللغه والأدب ويغفل عن ملاحظه قواعد العلوم الأُخرى ودخالتها فى تفسـير الآيه وما هو مقدار التدخل - فالقرآن يؤكِّد على منهج المحكمات دائماً هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ١.

إذنْ القرآن أكَّد على اتباع المحكمات ونهى عن اتباع المتشابهات فَيَتَّبِعُونَ

ما تَشابَهَ ۱.

أی ما تشتت وسَبَّبَ شتات، بخلاف الرجوع إلی المحکمات فإنَّه وقوف علی الروابط الموصله إلی بیان ارتباط الآیات فیما بینها والسور ومعانیها والدلاله الخفیه... الخ ولعله یتبادر إلی ذهن الباحث والمطالع الکریم سؤالٌ:

هل أنَّ الأمومه فی الکتاب الکریم علی الآیات المتشابهات هی فقط للآیات المحکمات أم یوجد معها غیرها؟

الجواب: تجیب الآیه المبارکه عن ذلک وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ ۲.

ومعنی العلم بتأویله هو الذی یربط المتشابه بالمحکم، وهذا لیس بید المحکم بمفرده، وإنَّما یوجد حاکم علی المحکمات وولایهٌ علیها وهی ولایه الراسخون فی العلم فالله تعالی یَرسِلُ علمه عبر القرآن والقرآن فیه آیاتٌ محکمات وأُخری متشابهات، ولأجل أنْ یرفع الله تعالی إجمال وإبهام المشتبه جعل آیاتٌ محکمات، إلّا أنَّ المحکمات لیس لوحدها وبمفردها ترفع الاشتباه والمتشابه، بل بتعلیم من الله وهذا التعلیم الإلهی أوصله تعالی البشر عبر الراسخون فی العلم یعنی عبر الثقلین وهم النبی (صلی الله علیه و آله) وقرباه وعلیه فالمحوریه هی علم الله ثم علم الراسخون فی العلم وهم الطریق المنتدب الذی یصل إلینا.

كذلك التفسير الأدبى فى القواعد الأدبيه فى استعمال اللفظ فى أكثر من معنى فما دام على القواعد والموازين العلميه الصحيحه فحينئذٍ بالإمكان أنْ تُنْشأ عِدَّه صياغات للظهور فى البُعد الصرفى والبُعد النحوى والبلاغى والاشتقاقى و... الخ.

وهذا يمكن اعتباره كشرط أوَّل.

والشرط الثانى: لابدَّ من ملاحظه نسق الآيه مع الآيات، بأنْ لا يُفيد هذا الاحتمال الذى نحتمله فى الآيه المباركه دالٌّ لفظى آخر؛ لأنَّ تعدد الاحتمال وإنْ كان على الموازين إلّا أنَّه يقطع الطريق ولا ينسجم مع مجموعه الدوال فى الجمله الواحده أو الآيه الواحده وعليه إذا حصل هكذا تهافت فحينئذٍ نرفع اليد عن هكذا احتمال مع بقاء الهيمنه والحاكميه لمحكمات القرآن وأنَّ المحكمات لها طبقات، كما سيتضح ذلك فى محله.

والقرآن الكريم يحذر من اتباع الآيات المتشابهات وإنْ كانت من القرآن الكريم فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ١. أى يزيغون وينحرفون إذا اتبعوا المتشابهات، وكأنَّما القرآن الكريم يُنادى: - أيها المتَّبع للمتشابه لا تُدَلِّس ولا تكذب على الآخرين.

وإذا قال المستمسك بالآيه المتشابهه لوحدها أنى أتبع هذه الآيه المتشابهه وأنها من القرآن الكريم.

قلنا له: التمسُّك بهذه الآيه لوحدها وبمفردها يُسبب شتات للفكر وعدم التمسك بكل آيات الذكر الحكيم: أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ

وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ١. فأما الإيمان ببعض الكتاب دون بعض هذا ضلال وعمايه؛ ولذا لابد من إيمان مجموعى منظومى.

ولـذا نلاحظ أصـحاب المـذاهب الاعتقاديه المنحرفه التى نشأت فى فرق المسـلمين وكذا أصـحاب التفاسـير الخاطئه سـببها عدم مراعـاه منهـج امومه ولايه أهل البيت (عليهم السـلام) والمحكمات وإلا لما وقع هـذا التشابه والاشـتباه وتعـدد الفِرَق، ويعتبر هـذا شرط أساسى فى استعمال اللفظ فى أكثر من معنى ولكن بشرط أنء لا يتصادم مع احتمالات أخرى فى آيات وسور أخرى.

ص:۴۰

الأمر الثانى: دور القرآن الكريم فى حفظ اللغه العربيه

من الواضح فى علوم الأدب العربى أن الذى حافَظَ على اللغه العربيه من بين لغات البشر الأخرى وقوتها وجزالتها وعظمتها هو نفس القرآن الكريم، وهو ليس بالأمر السهل.

بعد مرور أكثر من أربعه عشر قرناً نجد هذا الكتاب الكريم مُوَّحَدٌ فى الإفهام والتفهيم بين أبناء لغه معينه سواء كان هذا الكلام علمياً أو لغوياً فى العلوم، بخلاف ما لو قرأنا كتاباً ما فى أنواع اللغه الأُخرى غير العربيه قبل أربعه عشر قرناً، وبين أنْ نقرأه الآن بنفس اللغه نجد من الصعوبه بمكان أنْ تحافظ تلك اللغه على معانيها وقوتها وجزالتها... بين تلك الفتره السابقه والمعاصره، ولو كان أصحاب هذه اللغه أكبر قوه فى العالم، بل حتى لو كانت الفتره ليست كالقرن والقرنين، بل وحتى مثل الخمسين سنه فنجد أن اللغه تفقد الكثير من خصائصها ومميزاتها ومعانيها عدا العكس ما هو عليه فى دور القرآن الكريم فى حفظ اللغه العربيه وديمومتها واستمرارها فى الحفاظ على حيويتها الى يومنا الحاضر.

علماً أن علوم الأدب مستقاه من القرآن الكريم والقرآن أرضاً خِصبه للاستفاده منه فى النظم والقواعد، ولا زالت علوم اللغه فى توسع أمثال: فقه اللغه ونحت اللغه... الخ.

بالأخير القرآن له شأن ودور عظيم ترعرت وبُنيت عليه اللغه العربيه وعلوم اللغه والأدب، وليس العكس لأنَّه - القرآن - بُنيان وحيانى إلهى... الخ.

ص:۴۱

۵ – تعریف بمنهج أمومه ولایه أهل البیت علیهم السلام فی تفسیر محکمات القرآن

مقدمه:

من الضروری جداً التعریف بهویه المنهج المختار من بین المناهج التفسیریه المتعدده ألا وهو منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) فی تفسیر محکمات القرآن، ودور المحکمات فی تفسیر سائر آیات القرآن الکریم.

ونودُّ بیان فوائد هامّه اعتمدناها فی خطه التفسیر لعلَّها تلبی بعض الحاجه فی الرد علی بعض الأسئله التی قد تُثار أو الإشکالات التی تُناقش، وهی: –

الفائده الأولی: سنتعرض إنْ شاء الله تعالی إلی قواعد مختلفه کل بحسب بابه ونظامه المناسب لتلک القاعده، وقبل ذکر الضوابط التطبیقیه للقاعده نعطی تعریفاً لها، وما هی الشروط التی اخترناها؟ والمناسبه؟ ولیس بالضروری موافقه لمَّا هو مشهور البلاغیین مثلاً أو النحویین أو اللغویین فی تلک القاعده.

وقواعد علوم التفسیر بمثابه مبانی تؤثر تلقائیاً علی مسیره ومنهج المُفسر فی یومیات التفسیر؛ لأنَّها قواعد ترتبط بمناهج التفسیر للآیات والسور.

الفائده الثانیه: لعلَّ أهم ما یمیز المنهج التفسیری لأمومه الولایه والمحکمات هو أنَّ طبیعه هذا المنهج هی طبیعه قواعدیه أکثر مما هو تفسیر

موضوعی أکثر مما هو تفسیر تفصیلی أو تجزیئی أو تفسیر القرآن بالقرآن الذی هو تتبع القرائن القرآنیه فقط.

وعلیه المفسِّر الذی یختار منهج تفسیر أمومه المحکمات والولایه کان علیه لزاماً مراعاه مجموعه قواعد منظومیه کنظام واحد.

الفائـده الثالثه: لعلک بعـد الاطلاع علی منهـج أمومه المحکمات والولایه یتبادر إلی ذهنک - بعد ما عرفت أنَّه منهج قواعدی - هل توجد نهایه فی المکث فی بحث القواعد التفسیریه أو لا؟.

الجواب: إنَّ البحث فی القواعد التفسیریه هی روح منهجنا التفسیری وأنها مسـتمره معه إلی آخر عمر التفسیر وما یوفق الله تعالی الباحثین من التفاتات صناعیه وعلمیه وفنیه تتلاءم وطبیعه المنهج التفسیری لأمومه المحکمات.

وفی منهـج أمومه المحکمـات والولایـه فی کـل آیه آیه لا تتم المعالجه بالتفسـیر فحسب کباقی المناهـج التفسـیریه الأُخری کل حسب منهجته، بل فی هذا المنهج المختار تطعیم التفسیر بالقواعد التفسیریه کما مَرَّ.

ولا یفهم من هذا أنَّ فی المناهج التفسـیریه الأُخری تُلغی وتُشـطَّب ویُقلل من أهمیتها کلا وإنَّما هم مشـکورون علی ما بذلوه من جهد لما توصـلوا إلیه إلّا أنَّه لابدَّ وأنْ یؤخذ بنظر الاعتبار أنَّ تلک المناهج التفسیریه لیست هی نهایه المطاف وإنَّما هی بدایه أو وسط المسـیر، وإنْ کان حتَّی منهج أمومه المحکمات لیسَ هو الخاتم کلا، وإنَّما یتمیز هذا المنهج المختار عن غیره من المناهج بمقدار سعه البشر والاستفاده من کلام المعصوم (علیه السلام) ویُترک الباقی للأجیال اللاحقه بعدنا وربما یکتشف ما هو الاعظم محل کل ذلک من بیانات الوحی.

فمثلاً ـ من جمله الأمور والمطالب التی استطعنا أنْ نستخلصها ونستفیدها من بیانات الوحی هو منهج أمومه المحکمات وأمومه الولایه للمحکمات وأنَّ المحکمات موصوفه بأنها أم الکتاب، وأنَّ أم الأم هی الولایه، وان هذا المنهج یُراعی فیه قواعد ومبانی ترتبط بعضها مع البعض الآخر کمنظومه نظام واحد، وعلیه فلیس بوسع المفسر لمنهج أمومه المحکمات التخلی عن مجموع هذهِ المبانی والقواعد فی تفسیر آیات أو آیه، وهذا معناه أنَّ تفسیر القرآن لأمومه محکمات الکتاب والولایه قائم علی ملفات وأعمده لا علی أساس الوجوه الموضوعیه کما فی التفسیر الموضوعی فإنَّه قائم علی الوحده الموضوعیه وهذا بُعدٌ آخر.

الذی نرید أنْ نثبته فی هذهِ الفائده المهمه هو أنَّ منهج تفسیر أمومه المحکمات والولایه هو منهج وحیانی ولا ندعی أنَّه هو آخر وخاتمه منهاج أهل البیت (علیهم السلام) وإنَّما نقول هذا ما وصلت إلیه مسیره علماء التفسیر عند الإمامیه، وما استطعنا أنْ نلتفت إلیه بتوفیق الله وعنایته، ولیست هذهِ هی النهایه بل هی البدایه إلی مسافات لاشک أنَّها أبعد وأعمق، إلّا أنَّ هذهِ الدرجه من المسیره فی علم التفسیر لا تعتمد علی الوحده الموضوعیه وإنَّما تعتمد علی وحده المنظومه أی وحده تأثیر أمور بعضها علی البعض وترابط قواعد وبُنی ورکائز بعضها مع البعض الآخر.

ولذا یأتی الإمام (علیه السلام) بآیات من سور عدیده ولا یوجد لها وحده موضوعیّه، إنَّما وحده أعظم من الوحده الموضوعیّه والتی هی وحده القواعد أو وحده النظام فإنَّ لها أبعاد عدیده.

امتياز وحده القواعد:

تتميز وحده القواعد بأمور:

أولاً: تاره تكون القواعد فى عرض واحد فتؤثر بعضها على الآخر، وإنْ لم يكن لها وحده موضوعيه عنوانيه.

ثانياً: تكون القواعد بعضها فى طول الآخر وتأثيرها تأثير طولى طبقاتى، كما سيتضح كل ذلك من خلال التطبيق لعملى للقواعد إنْ شاء الله تعالى.

القواعد المتبعه فى تفسير منهج أمومه الولايه والمحكمات هذا هو نمطها وفى هذا العرض يكون جواباً للسائل عندما يسأل ويقول أنَّه كيف الإمام (عليه السلام) فى روايه واحده يجمع آيات عديده من سور مختلفه، وإنْ كانت بالنظره الأولى ليست لها وحده موضوعيه ولكن الإمام (عليه السلام) يكشف لدى السامع أو القارئ عن ماهيه إذْ لعلَّ الآيه الواحده لا يوجد فيها ترادف موضوعى رغم العناوين المختلفه قام الإمام (عليه السلام) بجمعها فى ضمن مجموعه واحده، كما لا يلاحظ الإمام (عليه السلام) مورد النزول ولا وحده السياق ولا وحده السوره، بلْ ولا وحده الآيه ولا وحده الترادف اللفظى ولا وحده على صعيد التشاهد فى الظهور اللفظى، بلا ولا وحده التحليل العقلى وهو الترادف العقلى ولا غير ذلك من الوحدات التى تقوم عليها مناهج التفسير المختلفه كالتفسير الموضوعى ومنهج أسباب النزول والتفسير الإشارى الفعلى وغير ذلك من مناهج التفسير، قد يأتى (عليه السلام) من آيات مختلفه، وحده النظام الوحدوى، وهذا ليس باليسير فإنَّه صعب ويحتاج إلى مؤونه وجهد كبير؛ لأنَّ هذا يحتاج إلى أنْ تطوى المناهج التفسيريه الأُخرى فى الآيه الواحده وتراعيها لأنَّه كما ذكرنا سابقاً ليس منهج أمومه المحكمات

والولایه یُشَطِب ویهمل المناهج التفسیریه الأخری ولا یلغیها.

إذنْ صعوبه منهج أمومه المحکمات والولایه تکمن فی تجمیع المفسِّر للمناهج التفسیریه الأُخری ویُضیفها إلی هذا المنهج المختار، وهذا یتحتم علی مفسِّر منهج أمومه المحکمات وولایه أهل البیت (علیهم السلام) إلّا أنَّه تبقی العنایه الإلهیه وتوفیقه لکل مفسر بحسبه ونمو وتطور کل مفسر بحسبه.

ثالثاً: إنَّ منهج أمومه المحکمات وولایه أهل البیت (علیهم السلام) الذی یتمیز بوحده القواعد یعطی أفقاً واسعاً للمفسر وبحسب قدرته وهیمنته علی المطالب ومن الطبیعی هذا یختلف من شخص إلی آخر.

سؤال: العنوان هو تفسیر القرآن علی منهج أمومه المحکمات وولایه أهل البیت (علیهم السلام)؟ إلّا أنَّ الولوج فی خضم وقلب تفسیر الآیات لم یأتِ، فلماذا هذا البحث المعمق فی القواعد فی الأنظمه الثلاثه الآتیه - النظام اللفظی الاستعمالی، ونظام المعانی ونظام الحقائق -؟

الجواب: إنْ أحطت أیُّها الباحث أو المطالع الکریم بالقواعد التی لها دخاله فی الغور فی فهم المعنی، وعدم الاقتصار والحبس علی ظواهر قوالب الألفاظ آنذاک صار عندک علم تفصیلی بموضوعات التفسیر؛ لأنَّ التفاصیل مرتبطه بالأعمده، فإنَّ القرآن الکریم له أرکان، وأعمده والمهم فی تفسیر القرآن الکریم اکتشاف تلک الأعمده والقواعد فی التفسیر واکتشاف معاقد العِز من الکتاب ومحکمات المحکمات؛ لأنَّ هذهِ القواعد عباره عن خارطه مهیمنه تمسح خارطه القرآن الکریم، ولقد أولی أهل البیت (علیهم السلام) عنایه خاصه وفائقه فی اکتشاف تلک الأعمده والقواعد، ولولاهم (علیهم السلام) لتاه بنا الدرب وهذا بالتالی یکلفنا مسیر طویل، والمهم هو

السيطره على بدايه التفسير ونهايته والالتفات إلى المحاور والمفاصل، فإذا انتهيت ودخلت بالتفاصيل من دون أنْ تستعين بروايات الأئمه المعصومين (عليهم السلام) فى هذا المجال ضلَّ وتاه بك الطريق لا محاله فإنَّ أحد معانى الغور فى الأعماق والتفاصيل من دون قواعد وضوابط وموازين صحيحه فإنَّه يُعرِّض المفسر والباحث الكريم للوقوع فى التيه والضلال؛ لأنَّه وَرَدَ هكذا [من تَعمَّق ضلَّ] بعكس المفهوم الشائع أنَّ المفسر والباحث الذى يتعمق يصبح محققاً ويركز على التفاصيل وتفاصيل التفاصيل دون التركيز على الأعمده والمحاور والإحاطه بهم مجموعاً منظومياً يكون هو المحقق، إلّا أنَّ الأمر ليس كما يُتوهم فإنَّه لا محاله يُبتلى بالتيه.

نعم إذا كان يولى التفاصيل أهميه تحت ظل المفاصل فإنَّه تستقر به تماميه الصغرى أى صغرى الحقيقه وحينئذٍ لا مانع من الغوص فى تفاصيل التفاصيل إلّا ان عدسه التركيز الباصره لديه حدِّقت وحَلِّقت نحو التفاصيل فحينئذٍ المفاصل والأعمده تلقائياً يَخفُت عنها التركيز وحينئذٍ يُخاف عليه من الوقوع فى صحراء التيه.

الفائده الرابعه: لا يُتوهم أنَّ دورَ القواعد التى سنتعرض لبحثها على ضوء منهج تفسير القرآن لأمومه المُحكمات وأمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات - دورُ مقدمه بيان أصول التفسير، وإذا عُبِّرَ عنها المقدمه فهو مسامحه؛ لأنَّ هذهِ القواعد التفسيريه هى عباره عن أعمده داخليه وأسس، وأحد عظائم القرآن الكريم هو التركيز على القواعد والأعمده الأساسيه والرئيسيه لا بيان الفوائد التفصيليه المتناثره الجزئيه فأحد وأهم أدوار مسؤوليات المفسر فى تفسير القرآن هو اكتشاف الأعمده وأكبر تأثير هدايه

لتفسير القرآن هو أنْ تكتشف قوائم وأعمده القرآن وأسسه.

نعم على غير منهج أمومه المحكمات والولايه - أى بحسب باقى المناهج التفسيريه، لا مانع ولا بأس من أنْ توصف هذهِ القواعد بالمقدمه الخارجيه أو بالمقدمه الإعداديه.

القرآن الكريم يُركِّز على ذكر القواعد والأعمده الأساسيه، فمثلاً الأسلوب القصصى فى القرآن، فإنَّ القرآن لم يتعرض إلى كل كبيره وصغيره فى حياه الأمم والأنبياء و... الخ فمثلاً ركَّز القرآن على جانب من بعض القصص التى حدثت لبعض الأنبياء كما فى قصه يوسف فإنَّه لم يتعرض إليها تفصيلاً فالأمور الهامشيه يُسْقِط ذكرها القرآن لأنَّها ليست لها التأثير البالغ فى بيان تلك القصه وإنَّما يكون التركيز على المفاصل والأعمده الأساسيه والقوائم فيها، والحال لا يختص بسوره دون أُخرى وإنَّما يشمل مجموع القرآن.

ولذا دائماً أئمه أهل البيت (عليهم السلام) يؤكدون على ضروره أنَّ المفسِّر لابدَّ له من الالتفات إلى الأعمده والمفاصل الرئيسيه والمحوريه دون التشاغل بالتفاصيل؛ لأنَّها الأكثر هدايه وتأثير فى حياه البشر من التفاصيل، وهذا لا يتنافى مع أنَّ القرآن هو تبيان لكل شىء إذا التفت وانتبه وركَّز على الأعمده والمفاصل الأساسيه فى الهدايه، وحتى فى هذهِ الأسس فإنَّه فوق كل ذى أساس أساسٌ.

ويؤيد هذا ما ذكره الإمام الصادق فى تنبيهه (عليه السلام) على أنَّ المحكمات التى وصفها القرآن بأنَّها أم الكتاب ومع ذلك يؤكِّد الإمام العسكرى على عدم التسرع والمطلوب هو التمهل رويداً رويداً ولا نقول بأنَّ هذهِ الآيه

محكمه وانتهى الأمر، وإنَّما (عليه السلام) أراد التأكيد على أنَّ لهذهِ المحكمات أمٌ أيضاً

«إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطع جميع الكتب عليها يستدير محكمات القرآن وبها نوهت الكتب ويستبين الإيمان»(۱) فالروايات الوارده عنهم بيَّنت العلاقه والارتباط بين القرآن وباقى الكتب السماويه الأُخرى من التوراه والإنجيل والزبور و.... الخ.

ولكن نتساءل هل خاض مُفسرٌ من المفسرين فى بيان وجه العلاقه والارتباط بين القرآن والتوراه أو الإنجيل أو الزبور أو... الخ، نعم يذكره المفسرون إلّا أنَّه كارتباط وبيان نوع العلاقه وتحليلها لم يتعرض لها المفسرون ولم يبحثوها، وإنْ كان أهل البيت (عليهم السلام) بَيَّنوا تلك العلاقه والارتباط، إلّا أنَّه لم نَخُض فى مثل هكذا مبحث إلى حد الآن.

الإمام الصادق (عليه السلام) استعمل فى تعبيره القطب والمحوريه والاستداره وربط هذهِ الأمور مع بعضها الآخر تحتاج إلى دقّه هندسيه عاليه لربط هذا المنهج؛ ولذا المُفسِّر الذى يستطيع أنْ يصل إلى أعماق سابحه عميقه فى القرآن فبها ونِعْمَتْ وإلّا نلاحظ أنَّ ما فسرته المناهج التفسيريه الأُخرى لا يلبى الغرض المطلوب فمثلاً: - التفسير الموضوعى تقدم أنَّه لا يُفسِّر إلّا موضوعات مبعثره ومشتته، وهو وإنْ كان جيد إلّا أنَّه مرحله ابتدائيه أو متوسطه وبالتالى لا يعطيك صوره مجسَّمه واضحه المعالم وإنَّما يعطيك كل عمود على حِده.

وهذا بخلاف منهج أمومه المحكمات الذى أشار إليه الإمام الصادق (عليه السلام) بتعبير «قطب القرآن» وهو أفضل المناهج التفسيريه واستعمال كلمه قطب

۱- (۱) تفسير العياشى، ج ۱ / ح ۸.

معناه هناك وجود مُجسم ومهيكل.

وهكذا تفسير القرآن بالقرآن يعتمد كذلك على بيان تفسير الحقائق ومع ذلك لا يُبينها بشكل مرتبط ونظامى، بينما نفس آيات وسور القرآن هى عباره عن منظومه ونظام.

وهكذا الحال فى باقى المناهج التفسيريه سواء التفسير التجزيئى أو أسباب النزول أو التفسير اللغوى الذى هو تفسير قشر ولباس القرآن، فإنَّها تعالج زاويه ووجهه وطبقه معينه فى القرآن.

إلّا أنَّ المنهج الذى لم يكتشفه البشر وإنَّما اكتشفه أهل البيت (عليهم السلام) ولم يلتفت إليه حتَّى مفسرى الخاصه فضلاً عن العامه إلّا بعض مفسرى الصوفيه نتيجه بيانات الفرق الباطنيه الشيعيه المستمده من بيانات أهل البيت (عليهم السلام) ألا وهو منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام).

وذكرنا سابقاً أنَّه باستطاعه المفسر على باقى المناهج الأُخرى يستطيع المفسر أنْ يوجد ربط وترابط عَرْضى حَلَقى دائرى بين سور القرآن وآياته، إلّا أنَّ هذا ليس هو القرآن، وإنَّما المنهج التفسيرى الصحيح مَن يستطيع أنْ يوجِد تفسير نظامى متكامل بين الآيات وبين السور وإنْ كان فيه نوع من التبعثر إلّا أنَّه يمكن التوصل إليه شيئاً فشيئاً وخطوه فخطوه إلى الأمام.

وعليه فالإمام الصادق (عليه السلام) أراد أنْ يبين فى كلامه أنَّه حتَّى التوراه والإنجيل والزبور و... الخ إذا أُريد لها تفسير عميق لا يستطيع أحدٌ أنْ يفسرها بعمق إلّا ولايه أهل البيت (عليهم السلام)، فإنَّ أهل البيت (عليهم السلام) أعلم بالتوراه من نبى الله موسى (عليه السلام) وأنَّ أهل البيت (عليهم السلام) أعلم بالإنجيل من عيسى (عليه السلام)، وأعلم بالزبور من نبى الله داود (عليه السلام)، وهكذا أعلم بصحف إبراهيم (عليه السلام)

من نفس إبراهيم.

إذنْ أهل البيت (عليهم السلام) أعلم من الأنبياء الذين أوحى إليهم وتلقوا الكتب، وهذا بحسب مقتضى بيانات أُخرى فى القرآن الكريم يصف القرآن بأنه مهيمنٌ على الكتب الأُخرى.

ولاـيه أهـل البيت (عليهم السـلام) فى تفسـير القرآن لاسـيما الآيـات المحكمـات منه نقطه مركزيه التى أشار إليها الإمام الصادق (عليه السلام)

«عليهـا يسـتدير محكمـات القرآن» أى على ولاـيه أئمه أهـل البيت (عليهم السـلام) وعليه فمحكمـات القرآن تـدور حول محور وقطبيه أُخرى أعظم منهـا ألاـ وهى ولايه أهل البيت (عليهم السـلام) فالمحكمات التى وصـفها القرآن بأنها أم الكتاب وأنَّ لهـذهِ المحكمات أم فرع أم أصلٌ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ... وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ١ فتدلُّ على أنَّ الراسـخين فى العلم بعد الله تعالى لهم مرجعيهٌ، فلو كانت مرجعيه المحكمات كافيه ويسـتقل بها البشـر لمَّا احتيـج إلى الآيه المباركه وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ وهذه الآيه المباركه تدلُّ على أنَّ المحكمـات لاـ تسـتطيع البشـر أنْ يسـتثمرها إلّا بتعليـم الراسـخون، وهـذه تـدلُّ على أمـومه الراسـخون فى العلـم بعـد الله تعـالى والمحكمات الكتاب، علماً أنَّ القرآن الكريم، قال هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ والمراد من الأم أى الأصل والمدار.

أمومه ولاـيه أهـل البيت (عليهم السـلام) لمحكمـات القرآن أمر ضـرورى لاـ يمكن الاسـتغناء عنه بحـال من الأحوال ولا يمكن استثمار المحكمات بلا ولايه لأهل البيت (عليهم السلام)؛ لأنَّها القطب والمحور. هذا بالنسبه لمرجعيه الولايه وأنها

أم وأصل للمحكمات.

وأمَّا بالنسبه للمتشابهات فكذلك لا يمكن للبشر الاستقلال بنفسه ولوحده أنَّ يزيل المتشابه إلّا بالرجوع إلى أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) والتمسك بالمحكمات لرفع وحلَّ وإزاله المتشابهات.

إذنْ هذهِ الآيه المباركه من سوره البقره هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ.... كما فی تعبیر أئمه أهل البیت (علیهم السلام) أنَّها هی حدیث الثقلین القرآنی، وفیها معادلات كثیره وتدل على أعظمیه العتره الطاهره.

الفائده الخامسه: حدیث الثقلین عن النبی (صلی الله علیه و آله) فی بیان أحقیه أهل بیته العتره الطاهره وبیان عظمه منزلتهم وأنَّهم حَبْلُ الله الممدود، وهذا التعبیر كنایه عن بیان أنَّ طریق النجاه والفوز فی الدارین منحصر بالتمسك بهذا الحبل الذی بَیَّنَه رسول الله (صلی الله علیه و آله)، وعبَّر (صلی الله علیه و آله) بالحبل لا بحبلین یرید أنْ یبین (صلی الله علیه و آله) أنَّ الثقلین - كتاب الله وعترتی أهل بیتی - عندما یتصاعدان منهما یتصاعدان حقیقه واحده، وهذا أشبه ما یكون بقاعده الشكل المخروطی أو الهرمی عندما یبدأ من أسفل القاعده عریضاً ثم یتضیق بالصعود شیئاً فشیئاً إلى أنْ یصل إلى قمه الهرم وهو شیء واحد.

إذنْ النبی (صلی الله علیه و آله) أراد أنْ یرسم لنا رسماً هندسیاً ریاضیاً من خلال حدیث الثقلین لمنهج أمومه المحكمات.

الرسم الهندسی الریاضی لمنهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) والمحكمات فی حدیث الثقلین:

النبی الأكرم (صلی الله علیه و آله) رسم لنا منهجاً من خلال حدیث الثقلین لأمومه المحكمات والولایه فإنَّ هذا الحدیث النبوی فیه زوایا فنیه وریاضیه وهندسیه،

وهـذا الرسم الرياضـى الهندسـى لهذا المنهج ليس أفقى أو عمودى مبعثر، وما نذكره فى هذا المنهج ليس من باب التمثيل فقط، أو خيـال شـعرى؛ لأـنَّ التمثيـل: - معناه أنَّ المعانى لها نظام محاذى رياضـى هندسـى فى نفس عالَم المعانى، فإنَّ المعانى يمكن ضبطها فى نظام رياضى هندسى.

ويتميز حـديث الثقليـن أنَّه يمكـن أنَّ يُسْـتَخْرَج منه كـل علـوم القرآن، ولم تمر قاعـده من قواعـد الأـنظمه الثلاـثه الآـتيه - نظـام الاسـتعمال اللفظى أو المعنوى أو الحقائقى - إلّا وفيها ترسـيخ لهذا الحديث النبوى الشـريف - إنِّى تارك فيكم الثقلين - والنبى (صـلى الله عليه و آله) تميز عن سـائر الأنبيـاء فضـلاً عن البشـر بـأنه [أعطى جوامع الكلم] فبإمكـانه (صـلى الله عليه و آله) بكلمه واحده قصيره وبليغه أنْ يلخص ما بين الأرض إلى آخر عالم الخلقه برسم هندسى رياضى دقيق.

وجه اختلاف منهج أمومه المحكمات الولايه عن منهج السيد العلامه محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه) وغيره الذى هو تفسير القرآن بالقرآن:

ذكرنا سابقاً أنَّ المنهـج الـذى لم يكتشـفه البشـر وإنَّما بَيَّنه أهل البيت (عليهم السـلام) هو منهج أمومه المحكمات والولايه، وأنه المنهج الذى لم يلتفت إليه مفسرى الخاصه والعامه، إلّا من بعض مفسرى الخاصه، من بيانات أهل البيت (عليهم السلام).

وأيضاً تقدم أنَّ منهج أمومه أهل البيت لا يُشَطِّبُ ولا يُهَمِّشُ المناهج التفسيريه الأُخرى، نعم لم يجعلها هى الخاتمه والنهايه، كما لم يجعل نفسه هو الخاتمه.

إلّا أنَّ منهج الأمومه يُناقش باقى المناهج التفسيريه الأُخرى، فمثلاً

منهجیه السید العلامه الطباطبائی فی تفسیره المیزان وغیره کان العلامه السید الطباطبائی قدْ سلک فیها مسلکاً وهو «أنَّ ولایه أهل البیت (علیهم السلام) مصداق تطبیقی للقرآن الکریم».

جوابه: ما اعتمده العلامه الطباطبائی (قدس سرّه) بعیدٌ عن حقیقه واقعیه القرآن؛ لأنَّ العلامه الطباطبائی (قدس سرّه) جعل تفسیره خارجاً عن المعنی الاستعمالی للقرآن، والحال أنَّ المعنی الاستعمالی للقرآن لیس تنظیراً کلیاً وإنَّما أحد أهم مصادیق القرآن هم أهل البیت (علیهم السلام) أی أهل البیت (علیهم السلام) یأتون فی الدرجه البَعْدیه بَعْد ولایه الله وولایه الرسول الأکرم (صلی الله علیه و آله).

وفی العلوم العقلیه یریدون من المعنی هو ظل الحقیقه، فکیف یصبح المعنی هو کلی وهو الأصل والحقیقه هی تطبیق.

والعجیب من العلامه الطباطبائی (قدس سرّه) رغم خوضه وممارسته وخبرته العالیه فی المباحث العقلیه کیف جعل الحقیقه تطبیق للمعنی، والواقع عکسه - والعصمه لأهلها - ولعلَّ السید العلامه الطباطبائی (قدس سرّه) یستدرک بشیء آخر والله العالم.

إذنْ ولایه الله وولایه الرسول (صلی الله علیه و آله) وأهل البیت (علیهم السلام) بهذا التسلسل الطولی لیست هی مصدقا وهامش، وإنَّما ولایه أهل البیت هی أصل وحقیقه القرآن وأصل المعنی، نعم فی غیر أمومه ولایه الله والرسول (صلی الله علیه و آله) والأئمه تستعمل ظلاً للحقیقه.

وعلیه ما ذهب إلیه السید الطباطبائی (قدس سرّه) فی میزانه، والسید الخوئی فی البیان، والسید عبدالأعلی السبزواری فی مواهبه، والمیرزا علی القاضی، ومحمد حسین الأصفهانی الکمبانی فی نهایه الدرایه وغیرهم، جعلوا ما هو

عمودٌ هامشياً، وما هو هامش عموداً، وعليه فلا يستقيم لك المعنى فى كل نسيج مَعْرفى، ولم ينتظم لك أبداً، وعليه فيكون المعنى الكلى هو المعنى الظلى المنعكس والمحقق للقرآن.

معنى الأمومه والولايه - بحسب منهج تفسير أمومه المحكمات والولايه - هى المعنى الأصلى ومعنى الكليه هى ظلٌ وفئٌ، وظل الظل أو انعكاس الانعكاس ما شئت فعبر وعليه فإنَّ السيد العلامه الطباطبائى وغيرها مرّ ذكرهم - يفسرون قوله تعالى: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ١ بأنَّ أهل البيت (عليهم السلام) هم المصداق الأكمل والأهم والأول للآيه المباركه، وليس هذا المراد - والله العالم - وإنَّما بحسب تفسير منهج أمومه المحكمات والولايه فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ فإنَّ المعنى الأصلى لها هو النبى وأهل بيته لأنَّهم المصداق - فإنَّ النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته [ذِكْراً رَسُولاً]٢ أى النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل الذكر أى أهل الرسول (صلى الله عليه و آله) وتلك المعانى البَعْديه معانى مخففه.

وعليه فإنَّ الروايات الوارده فى ذيل الآيات القرآنيه - كما يُنبه عليه أهل البيت - أنَّه يُستطاع استخراجها من سطح ظاهر القرآن، وهذا العمل الكبير يحتاج إلى جهود ضخمه ومسؤوليه أجيال - وإنْ كنّا لم نجزم بأنَّ علمائنا الكبار لم يعملوا على طول القرون السابقه إلّا بقله استخراج بيانات أهل البيت (عليهم السلام) من متن وسطح ظاهر القرآن ولو بترامى المعادلات اللغويه بأنَّ تترامى بشكل منتظم ودقيق وسديد فإنَّها توصلنا إلى لب

اللبـاب من المعـانى وليس تأويلاً ـ لأصـله له بالظـاهر، وهـذا ما يُلقى على عاتق الجبل الجديـد بتحمل مسؤوليته وكيفيه اسـتخراج بيانات أهل البيت (عليهم السلام) من متن وسطح ظاهر القرآن ولو بترامى المعادلات اللغويه بشكل منتظم كما ذكرنا قبل قليل.

ص:٥٧

الفصل الثانی: قیمومه أهل البیت (علیهم السلام) فی تعلیم القرآن – أدله وبراهین –

اشاره

المبحث الأوَّل: باب الاجتهاد مفتوح علی مصراعیه عند الشیعه الإمامیه.

المبحث الثانی: لماذا المذاهب الإسلامیه تخطر من فتح باب الاجتهاد.

المبحث الثالث: مقارنه بین فقه الإمام جعفر بن محمد الصادق علیه السلام وبین فقه المذاهب الأربعه فی فقه الفروع وغیره.

المبحث الرابع: البرهان التأریخی الحضاری العلمی.

الدلیل الأوَّل: البرهان التأریخی الحضاری العلمی.

الدلیل الثانی: القرآن کتاب غیبی سماوی.

الدلیل الثالث: مقامات ومنازل القرآن الکریم.

الدلیل الرابع: حجیه الظاهر حجیه معیّه بین الکتاب والسنه.

المبحث الأول: باب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه عند الشيعه الإماميه

إنَّ باب الاجتهاد فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) وباب التحقيق فى فقه الفروع وفقه المعارف مفتوح على مصراعيه وعلى حاله على مَدَى أربعه عشر قَرْناً مضت، ولم يحصل التشرذم والانقسام وهو ليس بالأمر السهل والصدفوى أبداً، وإنَّما وليدُ وجودُ سرٍّ فى البين، وهذا السِرُّ هو:

إنَّ الأصول العلميه التى بناها وجذّرها أئمه أهل البيت (عليهم السلام) هى أصول عاصمه واقيه عن المروق عن الدين، ولم تأتِ هذهِ الأصول من صدفه فإنَّ الظواهر التكوينيه ليست كالاعتباريه، فإنَّ الاعتباريه أمرها راجع إلى المعتبر بخلاف التكوينيه فإنَّها ناشئه من علاقه السبب والمسبب وعليه فلا يمكن لأى فقيه أم مُفسِّر أو باحث فى العلوم الدينيه أنَّ يتخطى هذهِ الأصول ويتجاوزها، فإنَّ مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) رسمت ووضعت المنهاج الصحيح والقواعد الترسانيه الجحفليه بحيث ما استطاع بنو أميّه ولا بنو مروان ولا بنو العبّاس ولا من قبلهم ولا من بعدهم من دول شرقيه أو غربيه ولا نظام اشتراكى ولا رأسمالى ولا... الخ. إلى اليوم أنْ يتخطوا هذهِ المعادله سواء فقهيةً أو عقائديةً أو تفسيريه أو... الخ فإنَّها رسمت للإنسان نوع العلاقه مع ربه ابتداءاً من كتاب التوحيد إذْ وضعوا فيه قاعدةً وهى: -

[أنَّ توحيده تعالى تمييز صفهٍ لا تمييز عُثْمهٍ]

هذهِ الضابطه لا يمكن للباحث أنْ يتخطاها ووقفت لها القمم العلميّه الشامخه من كلا الطرفين بإكبار واحترام.

وقاعده أَخرى فى التوحيد من صفاته تعالى:

[داخِلٌ فى الأسماء لا بممازجه خارج عنها لا بالمزايده قريبٌ فى بُعْده بعيدٌ فى قربه](۱).

وهكذا رسمت لنا مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) منهاجاً ووضعت القاعده فى كتاب الحُجه والنبوّه والإمامه فى الأصول انتهاءاً بفقه الفروع من الصلاه والصوم والزكاه والحج... الخ والمعارف والعقائد والتفسير.

وهكذا بيّنت لنا مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) ميزانيّه العبد فى الأفعال وقالت:

[لا جبر ولا تفويض أمرٌ بين أمرين](۲).

فلا أحد يستطيع أنْ يتعدى هذهِ المعادله ويوفق فى عمله ومنهاجه أبداً ما لم يرجع إليها.

وكذا بيَّنت معنى: - مَنْ أحبَّ عَمَل قوم حُشِرَ معهم(۳).

وما يتداعن على هذا القول.

وكذلك أوضحت ما يتعلق بأصول التشريع فى فقه الفروع من معنى الآيه: - أَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا۴. وأنَّها حَرَّمت الربا وما يترتب عليه من مضار ومفاسد وبيَّنت حرمه الحيل التمويهيه وما يترتب عليها من مفاسد وحرمه الخمر والفواحش والمجون و... الخ وما يترتب عليه نَحْرٍ فى جسد الأمَّه والمجتمع، والتى أقَرَّ بها النظام الغربى مؤخراً فى خضم الأزمه الاقتصاديه.

۱- (۱) التوحيد للصدوق/ ص ۳۱۹، الأمالى للصدوق، ص ۴۰۵.

۲- (۲) الكافى ج ۱ / ص ۱۶۰ والتوحيد/ ۳۶۲.

۳- (۳) الغدير ج ۲ ص ۲۹۲ (يبدل المصور بمصور أقوم).

كُلَّ هذا وغيره بينته الشريعه المقدَّسه من خلال مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) التى وضعت الأعمده والضوابط والثوابت التى لا يمكن لأى نظام من صنع البشر فى الكون كله أنْ يتخطاها، ومَن تخطاها بحاله سلبيه وعدم اعتراف كُتِبَ عليه الفشل فى كل مشاريعه الاقتصاديه والعمرانيه والفكريه والعلميّه... الخ بل من جميع العلوم سواء الفقهيه منها أو العقائديه أو التفسيريه أو المَعْرفيه أو... الخ.

إذنْ هذهِ القواعد والأُسس التى جذّرتها مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) وفتحوا أبوابها وأسرارها هى حصون منيعه لا تستطيع البشريه أنْ تتسلق وتقفز عليها من دون تطبيق ومُجازات لهذهِ الأصول العلميه والمعادلات، وهذا هو السِرُّ فى بقاءها وديمومتها بعد مضى أكثر من أربعه عشر قَرْناً على تأسيسها.

وهذا نظير ما يقوله علماء الرياضيات مِن أنَّ الرياضيات كلها من علم الهندسه وعلم المثلثات والجبر والميكانيكا والقوى والهندسه الفضائيه والفلكيه و... الخ.

تتشعب من معادلات تِسْع هى عمليه الجمع والطرح والضرب والقسمه والجبر والهندسه والمثلثات و... الخ.

وعليه فأىِّ عمليه حسابيَّه فى إنشاء مفاعل نووى، أو أسلحه ذريه كيميائيه وأى تطور بيولوجى لا يمكن أنْ تتجاوز المعادلات التسع.

ص:٦٣

المبحث الثانى: لماذا المذاهب الإسلاميّه تُخَطِّر من فتح باب الاجتهاد؟

المذاهب الإسلاميَّه كافه عدا مذهب الشيعه الإماميَّه أتباع مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) أغلقت باب الاجتهاد فى فقه الفروع فضلًا عن باب المعارف وأصول العقائد لاسيّما علم التفسير وغيره؛ لأنَّهم استشعروا خطوره مُدَّمِرَه من فتح باب الاجتهاد فى القرن الثالث والرابع والخامس... الخ ورأوا فى ذلك - أى فى سد باب الاجتهاد - ضروره ملحه والى يومنا هذا ونحن فى القرن الخامس عشر الهجرى لا زالت الجوامع الدينيه عند أهل السُّنه تشعر بكل ثقه واطمئنان أن فتح باب الاجتهاد فى فقه الفروع فضلًا عن غيره سوف يشرذم المسلمين من أهل السُّنه الى فرق متعدده وتصدع المذهب الواحد الى مذاهب متعدده، وبالتالى لم تبق لهم باقيه.

وهذا المنع من فتح باب الاجتهاد مستمر على قدم وساق الى يومنا هذا وسبب ذلك كله هو: -

أنَّهم لم يكتشفوا الوحده المُنسِقه الناظمه بين المعارف الدينيه من فقه وعقائد وتفسير وحديث وتاريخ... الخ.

واكتشاف الوحده الناظمه المنُسِقه يحتاج إلى علم لَدُنى، كما وَرَد ذلك فى خطبه الزهراء (عليها السلام)

«وطاعتنا نظاماً للمله، وإمامتنا أماناً للفُرْقه و... الخ».(١).

١- (١) خطبه الزهراء (عليها السلام) فى روايه عبدالله بن الحسن بإسناده عن آبائه (عليهم السلام).

وأرادت الزهراء (عليها السلام) بذلك - أنَّ الإمامه هى العنصر الموحِّد والمُنسِّق بين شتات الدين إذْ ليس بوسع البشر من المسلمين والفقهاء والمجتهدين لوحدهم أن يكتشفوا تلك العناصر المُنسِقه والموحِّده فى علم الفقه فضلاً عن العقائد والأخلاق والآداب والتفسير والسياسه والاقتصاد والتأريخ... الخ.

وأمثله ذلك كثيره فى مختلف مجالات الحياه، فما نلاحظه اليوم من التضخم الانتاجى عند البشر فى جانب صناعى أو تكنولوجى أو ذرى أو... الخ.

فإن يستلزم تصحر الأرض الخضراء عند البشر، وعليه فلا يُعقل عدم وجود وحده منسقه بينهما.

وهكذا التنسيق والتنظيم بين الزراعه والاقتصاد، بين علم البيئه وعلم الاقتصاد وكذلك الإفراط فى الاستهلاك بكل ما فى السوق من البضائع سَبَّبَ لهم اختراق طبقه الأوزون.

وهكذا وحده نظام فى التشريع والتقنين فى فقه الفروع فى القانون المدنى، فإن الموزانه ووحده النظام بين فقه التشريع - السلطه التشريعيه - وبين السلطه التنفيذيه - النظام السياسى، وبين النظام التشريعى مطلوبه، وهكذا فى كل القوانين والمعادلات الكونيه، إذا لم تُرْعَ فيها الكتاب والسنه - أى الثقلين - فإنه يقع فيها التصادم والتنافر بعضها مع البعض الآخر.

الزهراء البتول (عليها السلام) بنت النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) عَبَّرَت فى كلمتها

«إمامتنا نظاماً للمله» إشاره الى أنَّ هذه المله هى: - فطره الله التى فطر الناس عليها جميعاً، وهذه الفطره هى الوحده المُنسِّقه بين أنظمه البشر الاجتماعيه

والاقتصاديه والسياسيه والتأريخيه والجيولوجيه والبيئيه... الخ والمُنَظِم والمُنسَق لهم هو صاحب العلم اللدُنى الذى لولاه لساخت الأرض بأهلها - أى تبعثرت وتشتت وتزلزت -

ولذا كانت تصرفات بعض البشر وإنْ كان عالِماً وعنده معادلات وقواعد رياضيه وفيزيائيه وكيميائيه و... دقيقه وعلميه، إلَّا أنَّه من دون أنْ يرجع إلى المُنظم والمُنسِّق لهذهِ العلوم وهو الإمام القائم المنتظر الحجه بن الحسن (عج) حتّى يَعْرِف إلى ماذا تنتهى وما تكون النتائج، وإلّا - أى من دون الرجوع إلى الإمام (عج) - يحصل ما يحصل من الفشل والتراجع فى كل شىء كما يعيشه الآن الغرب وغيره فى أنظمتهم الاقتصاديه والسياسيه والتربويه الاجتماعيه والتكنولوجيه والبيئيه و... الخ وسبب فشلهم أنَّهم اعتمدوا على قدراتهم الشخصيه والذاتيه من دون الرجوع إلى المنظم والمُنسِق والمُنقِذ للبشريه من مستنقع الرذيله والهاويه وهو إمامتنا نظاماً للمله؛ ولذا وقعوا فى الهاويه أثبتت التجارب الكيميائيه والفيزيائيه أنَّه كلما اكتُشِفت معادلات وحدويه فى العلم كانت هى الأقرب إلى الحقيقه والواقع، وكلما جهلنا المعادلات الوحدويه بأن كانت هناك تَكَثُّر وتبعثر كانت نتائج العلم عقيمه.

وعلى هذا قِس جميع العلوم والفنون على اختلاف معادلاتها وقوانينها من علم نفس فردى أو تعدد النفس البشريه ازدواجيه - أى انفصام فى الشخصيه - وارتباط الروح بموجودات أثيريه.... الخ.

وفشل وتراجع كل تلك القوانين والأنظمه الوضعيه بسبب ابتعادها عن ما شرعه الله تعالى ورسم للبشر نظاماً ومنهاجاً يسير عليه حتى يضمن

سلامه ونجاح الدارين.

لـذا شـرَّع الله الأحكام الشـرعيه ورسم لنا منهاجاً نسـير عليه منذ أنْ كنا فى بطون أمهاتنا إلى يوم الدين، جعل لنا الدين بما له من معنى واسع ينفتـح ويتلاـئم مع كل ملفات الحياه بما للانفتاح من معنى واسع أيضاً، وهو ليس مختصاً بالبشـر فحسب، بل كما عَبَّرَ القرآن الكريم وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ١.

فالدين هو برنامج رسـمه الله لكل المخلوقات كُلٌّ بحسب تكليفه وما يُناسبه، وهذا الدين عباره عن آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم درجات، وليس مختصاً بالنبى (صلى الله عليه و آله) فحسب وإنَّما هو كذلك بالنسبه إلى أوصياء النبى (صلى الله عليه و آله) لأنَّ القرآن ذكر وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ٢ و لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ٣.

ومن خلال هذا كُلَّه يُعْلم ضروره وجود المُعِّلِم الإلهى المتمثل – كما مَرَّ – بالنبى (صلى الله عليه و آله) وأوصياؤه (عليهم السلام) – فى مـدرسه الأـئمه الأـثنى عشـر (عليهم السـلام) وأتباعهم، ولم يمرُّوا – وما مرّوا – بتشـرذم وبقيت الفرقه الحقَّه الإماميّه الأثنى عشريه هى الرائِده بين المذاهب الأخرى التى انحرفت عن خط مدرسه أهل البيت (عليهم السلام).

وسبب تشرذم هذهِ الفرق الإسلاميّه – غير الفرقه الإماميه الاثنى عشريه – من خوارج ومُجَبِّره ومجسمه ومرجئه وقدريه و... الخ بل وحتَّى

الفرق التى انشقَّت عن مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) هو أنَّهم نظروا إلى جانِب فى الدين وجهلوا وغفلوا جوانب، بينما الدين فى الواقع وحده واحِدَه لا تتبعَّض، وهذا ما يؤكِّد عليه القرآن الكريم من أنَّ القرآن والدين وحده نظام واحِدَه مَن لم يحافظ عليها سوف يؤول أمره إلى التبعثر والتشتت فى أمر هذا الدين.

وحَذَّر القرآن من خطوره هذا التفكيك والتبعض فى الدين اَلَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ١.

ولربما تسأل وتقول: مَن الذى يستطيع أنْ يُتَسِقَ ويجعل القرآن والدين نظاماً واحداً؟

الجواب: هم أهل البيت (عليهم السلام) ويؤيده ما رواه العياشى فى تفسيره عن مسعده بن صدقه، قال: - قال أبو عبدالله (عليه السلام)

«إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكتب، عليها يستدير محكم القرآن وبها نَوَّهتُ الكتب ويستبين الإيمان»(١).

والمراد بقطب القرآن يعنى المحور المركزى إذْ لولا ولايه الأئمه (عليهم السلام) لساخت الأرض بأهلها لأنَّ غير أئمه أهل البيت (عليهم السلام) لا يمتلك القدره على اكتشاف وحده النظم والتنسيق لذا يكون عنده القرآن يضرب بعضه بعضاً؛ لذا تكثَّرت الفرق منها: - الجبريه والقدريه والمرجئه و... الخ.

بعد وضوح أنَّ القرآن الكريم من أهم الكتب السماويه وخاتمها وقطبه المركزى هم النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام)، بل حتَّى وحده النظام فى باقى الكتب

١- (٢) تفسير العياشى ج ١، ص ٧٨.

السماویه الأخری کالتوراه یکتشفها النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) لا النبی موسی (علیه السلام).

المعلم الأجدر للتوراه وباقی الکتب السماویه هو النبی (صلی الله علیه و آله) وأوصیاؤه.

ویؤکِّد هذا المعنی ما قاله أمیر المؤمنین (ع

)«أمَّا والله لو ثنیت لی الوساده لعلمت وحکمت بین أهل التوراه بالتوراه و... الخ»(۱). وهکذا الإنجیل وباقی الکتب السماویه الأُخری.

والخلاصه: أنَّ النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) وأهلَ بیته (علیهم السلام) هم أحفظ لکتب الله تعالی من غیرهم من أنبیاء الله الذین بعثوا بتلک الکتب؛ لأنَّ القرآن مهیمن علی تلک الکتب، ومن الطبیعی الذی یعلم بالمهیمن بعلم أکثر من صاحب المهیمَن علیه.

وهناک ثمره تترتب علی هذا: - وهی أنَّ التأکید علی أنَّ ولایتنا أهل البیت قطب القرآن، إشاره إلی أمومه ولایه أهل البیت وأمومه المحکمات علی غیرها من الآیات، هو أنَّ مَنْ لم یلتفت إلی ما عند أهل البیت من علوم وقواعد لا یستطیع أنْ یؤلِّف القرآن وحده نظامیَّه واحده، فلا محاله یقع فی ورطه جعل القرآن عضین، کما وقع فی ذلک الیهود أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْکِتابِ وَ تَکْفُرُونَ بِبَعْضٍ۲.

مضافاً إلی ما ذکرته الزهراء (علیها السلام) فی ذیل خطبتها

«إمامتنا نظاماً للمله علیها یستدیر محکم القرآن» الذی أشار له القرآن الکریم فی سوره آل عمران هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ وَ ما یَعْلَمُ

۱- (۱) بحار الأنوار ج ۴۰ ص ۱۳۵.

تَأْوِيلِهِ١.

وهنا القرآن الكريم أسس قاعده هامّه وهى «إنَّ أصل قطب المتشابه يرجع إلى المحكمات».

والذى يَعْلَمُ تأويله هو الله والراسخون فى العلم، ويذكر المفسرون بعد الرجوع إلى أحاديث النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته أنَّ الراسخون فى العلم بعد الله عَزَّ وَجَلَّ هى ولايه وإمامه أهل البيت (عليهم السلام) التى يستدير عليها محكم القرآن.

ومن كل هذا يُعْلَم: - أنَّ محكم القرآن له أمومه ومرجعيه للمتشابهات.

ص:٧١

المبحث الثالث: مقارنه بين فقه الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وبين فقه المذاهب الأربعه فى فقه الفروع وغيره

لو قارنا بين ما أسسه ومنهجه الإمام الصادق (عليه السلام) وآبائه وأبنائه - عليهم أفضل الصلاه والسلام - فى فقه الفروع مثلاً وبين ما أسَّسته المذاهب الإسلاميه الأربعه لتراءا لنا بالنظره السطحيه أنَّ هناك فى معظم المواضيع، ولعلَّ المتتبع فى هذا المجال يعطى نسبه الوفاق بينهما بحدود ٨٠٪ كنسبه تقريبيه واختلاف بنسبه ٢٠٪ فى تفاصيل فرعيه فى أصول القواعد وهذه مُبتنيه على أسس غيبيّه وأُسس الكلام ليسَ فى العدد الكمى وإنَّما أُسس مكاشفيه؛ لذا لا تستلزم وجود أعداد ضخمه من الفوارق، والكلام فى الأسس ليسَ من جهه العدد بقدر ما هو فارق كيفى عميق فإنَّ ٢٠٪ من الاختلاف، وإنْ كان من حيث العدد ٢٠٪ إلّا أنَّ هذهِ الكميّه حيث كانت فى الأسس لا فى مجرد التفاصيل، كان الاختلاف كبيراً جداً، إذْ الاختلاف فى التفاصيل البعيده هيِّن بالقياس إلى الاختلاف كبيرٌ كيفاً، بلْ وكثير كمّاً أيضاً بلحاظ ما يرتتب عليه من فروع كثيره متخالفه.

إذنْ المدار ليسَ على عدد الاختلاف من جهه الكم بلْ المدار على النوعيه الكيفيه فى ما هو أساس الموجب للاختلاف فى المسار من البدايات. ليس فى العدد الكمى وإنَّما أسس مكاشفيه لذا لا تستلزم وجود أعداد ضخمه جداً من الفوارق.

فمثلاً هناك فرق شاسع وعميق بين ما تقوله المذاهب الإسلاميّه عن

أنس بن مالك عن رسول الله (صلى الله عليه و آله)، قال:

«إذا مَرَرْتَ ببلدٍ ليسَ فيها سلطان فلا تدخلها إنَّما السلطان ظل الله فى الأرض»(۱).

وبين ما تقوله الإماميّه

«كلمه حق عند سلطان جائر»(۲).

فالفرق بين المسيرين المسير السلطوى البلاطى وبين مسير معارضٍ مصحح للخطأ واضحٌ عميق بينهما.

فإنَّ مدرسه أهل البيت ونظامها الجعفرى - نسبه إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) - لا يمكن لأى نظام فى الكون أنْ يخترقها لأنَّ إعجازها إعجاز وحيانى إلهى يعجز الآخرون عن الإتيان بمثله فى مختلف علوم المنظومه المعرفيه من فقه وعقائد وتفسير وحديث و... الخ، فإذا استطعنا أنْ نشخِّصها عند أهل البيت نكون فى وقايه وحمايه.

وهذا ما يُميِّز ولايه وأمومه المحكمات من غيرها.

۱- (۱) السنن الكبرى للبيهقى ۱۶/۸؛ أمالى الطوسى.

۲- (۲) سنن الترمذى ج ۸ ص ۳۴۵.

المبحث الرابع: الأدله والبراهين على قيمومه أهل البيت (عليهم السلام) فى تعليم القرآن

اشاره

وفيه:

تنبيه: الأدله التى سنذكرها ليست فقط أدله على ضروره أخذ أصول التفسير ومنهاجه من أهل البيت (عليهم السلام)، بل هى بنفسها قواعد ومناهج التفسير عند أهل البيت (عليهم السلام)، كما وأنَّ هذهِ الأدله مرتبطه بنظام الحجج وأنَّ القرآن حجةٌ من الله عَزَّ وَجَلَّ وأنَّ الرسول (صلى الله عليه و آله) وعترته الطاهره هم حجج من الله على البرايا، وأيضاً الحجه هو العقل البشرى، ومقصودنا من نظام الحجج هو التنسيق ووحده التأليف بين هذهِ الأمور المتكثره والمتشتته.

الدليل الأوَّل: البرهان التأريخى الحضارى العلمى:

اشاره

لا يخفى على الأخوه الباحثين فى العلوم والمعارف الدينيه بل وغيرها من الفنون الأُخرى ذات الصِّله أهميه علم التفسير ومتابعه نتائج المفسرين عند القدماء وعند متأخرى المفسرين، بل والمعاصرين - رحم الله الماضين وحفظ الباقين - والأهم فى الوقوف عليه والالتفات إلى ما أشار إليه أئمه أهل البيت (عليهم السلام) ونبَّهوا عليه فى أصول وقواعد التفسير وغيره من العلوم الأُخرى، بسبب أنَّهم معصومون وأرادوا تأسيس قواعد فسوف تكون تلك القواعد وحيانيه لا يرد عليها الإشكال بخلاف ما لو كان المؤسس للقاعده الفقهاء والمجتهدين وبالتالى يكون إنتاج بشرى يأتى عليه ما يأتى.

وربما يخوض الكثير من مفسرى العامه والخاصه فى قواعد علم التفسير ومنهاجه، ولكن وللأسف القليل منهم بل هذا من مفسرى الخاصه مَنْ يغور عُمْقاً وبحثاً عن الأصول والقواعد التى يشير إليها أئمه أهل البيت (عليهم السلام) بنحو خاص وبطريقه معينه تختلف عن القواعد الثابته والسائده لدى عموم المفسرين كما سيتضح من خلال البحوث الآتيه، مِن أنَّ الذى يُنبه عليه أهل البيت (عليهم السلام) له أدلته ومبرراته الكثيره جداً.

وإذا غُرْنا فى هذا البحث أكثر نجد عندما نقرأ سيره الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) إنَّ الفتره التى عاشها (عليه السلام) فترةً علميه وليست سطحيةً وتأريخيه.

فقد نقل الطبرى(١) وكذا الكشى فى رجاله(٢) عن أحد المخبرين السريين للخليفه هارون الرشيد الذى نقل له تقريراً معيناً عن وضع الشيعه آنذاك وأنَّ اتباع الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) هم ثمانٍ فرِق منها: -

١ - الزراريه: أتباع زراره بن أعين(٣).

٢ - وعماريّه: إتباع عمار الساباطى(٤).

٣ - بصيريه: أتباع أبو بصير(٥).

١- (١) تاريخ الطبرى، تاريخ هارون الرشيد.

٢- (٢) رجال الكشى.

٣- (٣) وهو أحد أبرز فقهاء الإماميه فى زمان الإمام الصادق (عليه السلام) وله مناظرات ومواقف علميه مُثبَّته اعترف بها العامه ويذكرونه، وجابر بن يزيد الجعفى وغيرهما من أتباع أهل البيت (عليهم السلام) شموخ واحترام ووقار بغض النظر عما يوجه إليهما من الانتقادات من ناحيه الانتماء العقيدى.

٤- (٤) عمار الساباطى: من أصحاب الصادق (عليه السلام) والكاظم (عليه السلام) وهو ثقه.

٥- (٥) يحيى بن القاسم أبو بصير الأسدى وهو من الثقاه، روى عن الباقر والصادق.

۴ – وهشاميه: أتباع هشام بن الحكم(۱).

على عـدد بيوت المرجعيه والفقـاهه والعلم، فكـل واحـد من هؤلاء كان مرجعاً فى علم من العلوم، فهشام كان مرجعاً فى العقيـده والكلام، وزراره مرجعاً فى الفقه وكذا محمد بن مسلم... الخ.

وعليه إذا لاحظنا هـذا الازدهار والنجوميه لفقهاء ورواه ومتكلمى ومفكرى ومفسـرى الشـيعه فى سـماء العلم، وهذا التعدد لهؤلاء العلمـاء والمرجعيـات التى خرّجها الإمام الصادق (عليه السـلام) فى جميع المجالات أتباع الإمام جعفر الصادق (عليه السـلام) فى جميع العلوم واختلاـف المجالات ومع ذلك لم يحـدث أى تشـتت وتشـرذم لمـذهب أهل البيت (عليهم السـلام)، ولم تَضَع ولم تندرس معالم وهويه المذهب والطائفه الحقه.

إلفات نظر:

حتَّى أنَّ كثير من علماء مفسـرى وفقها ومتكلمى العامه بمختلف مذاهبهم يسـتنجدون علمياً بعلماء وشخصيات علميه شيعيه، فهذا ابن أبى ليلى تلميذ أبى حنيفه كان يستنجد علمياً بمحمد بن مسلم وهذا مُوثَّقٌ.

وهكذا الحكم بن عتبه الذى كان أُسـتاذ زراره بن أعين قبل اسـتبصاره – زراره – وبعد اسـتبصار زراره وأصـبح من أتباع مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) أُجريت مناظرات مسجله بين زراره وأُستاذه الحكم بن عتبه.

۱- (۱) هشـام بن الحكم من أصـحاب الإمـام الصادق (عليه السـلام) وهـذا صـدر الإمام الكاظم (عليه السـلام) ثقه وله مناظرات كثيره مع المخالفين وكان من فتق الكلام فى الإماميه.

وكانت علماء العامه تجلّ زراره كثيراً وتوقّره لوطئته العلميه، رغم انتقادهم له بالانتماء العقيدى المخالف لهم، ومصادرهم زاخره بذلك.

بينما إذا لاحظنا الطرف الآخر - المذاهب الأربعه - وقارناها بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) فنجد أنَّ لكل من الأُستاذ والتلميذ مذهباً، كما فى مالك وأبى حنيفه، وكذا ابن حنبل والشافعى أيضاً بينهما تمذهب، وإنَّ مالك وابن حنبل تتلمذا على يد الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، فضلاً عن التمذهب بين الأقران، لاحظ - النخعى الثورى له مذهب فقهى وسفيان بن عيينه له مذهب آخر، وسفيان الثورى له ثالث، والحكم بن عتبه رابع وهكذا.

لذا يذكر لنا التأريخ الموثوق به أنَّ مذاهب الفقه والفروع عند أهل السُّنه فى القرن الثانى والثالث بلغت العشرات، وليس مذهباً واحداً حصر المذاهب الأربعه.

وهنا تأتى حاجه المذاهب الأُخرى لسد باب الاجتهاد لتنقذهم من التشرذم والتشتت المذهبى فى فقه الفروع والعقائد والتفسير... الخ.

علماً أنَّ هذا التشرذم والتمذهب حصل بين بعضهم البعض فى زمن مُؤسسى هذهِ المذاهب وهم لا زالوا على قيد الحياه ولم تتمادَ بهم القرون.

سؤال علمى صناعىٌّ: لماذا فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) مهما تفرعت وتكثرت قممه العلميه فى مختلف العلوم ومع ذلك باب الاجتهاد مفتوح ولا تجد تَمُرّداً ولا تشرذماً، وإنَّما تجد وحده متماسكه؟

الجواب: إنَّ الأصول التى ثبتها أئمه أهل البيت (عليهم السلام) هى أصول لها

منظومه خاصه أصولٌ وحدويه بينها إلفه ووحده، وهذه الوحده ليست نفسيه فقط، بل وحده فكريه وعلميه ومنهجيه، إذا سار عليها الإنسان الناشد للوحده تخلص من التمزق والتبعثر والتشتت.

ومن الشواهد على ذلك: -

ما قالته الزهراء (عليها السلام):

«... وجعل إمامتنا نظاماً للمله» والمراد من النظام هو الوحده والتطابق.

ولذا نجد بعض الفرق المرتبطه بالشيعه كالزيديه والإسماعيليه والفطحيه... الخ لمّا انقطعت سلسله الأئمه (عليهم السلام) عندهم وقَدَّموا مَن ليس بإمام وليس بمعصوم ولم يسيروا على الأصول الحقّه التى أسسها وجذرها أهل البيت (عليهم السلام) نجد أنَّهم تشرذموا وضاعت هويتهم واختلفت وتغيّرت عقيدتهم ومذهبهم؛ ولذا أصبح بعضهم على المذهب الحنفى والآخر المالكى وثالث الشافعى ورابع الحنبلى... الخ.

ومن الواضح لا يوجد توافق بين المذهب الحنفى ومدرسه أهل البيت (عليهم السلام).

فمثلاً: الزيديه أحد الفرق المرتبطه بالشيعه والذين يقرون بإمامه أربعه من الأئمه (عليهم السلام) ١ - أمير المؤمنين (عليه السلام). ٢ - الحسن بن على (عليه السلام). ٣ - الحسين بن على (عليه السلام). ۴ - على بن الحسين (عليه السلام). ثم ينعطفون إلى القول بإمامه زيد بن على، ويحيى بن زيد... الخ تجد فقههم الآن فقه حنفى، ومن المعلوم أنَّ الفقه الحنفى لا يتوافق مع الفقه الإمامى، وإنْ كان هناك تشابه بنسبه عاليه واختلاف بنسبه قليله، إلّا أنَّ هذهِ النسبه القليله المختلف فيها

هی من الأـصول، أی اختلاف فی أصول الفروع، وعلیه لا یتلاءم ولا یتفق الفقه الحنفی مع ما عنـد الشـیعه الإمام الأثنی عشـر من نهج البلاغه والصحیفه السجادیه... الخ.

لـذا نجد هؤلاء - الزیدیه - أیضاً تشـرذموا کالمذاهب الأربعه؛ لأنَّهم لم یسـیروا علی المنهج الذی جَذّره أئمه أهل البیت (علیهم السلام).

بخلاف الذی سار علی نهجهم (علیهم السـلام) واتّبعهم فنجد کُلَّ إمام یزیدک ارتباطاً بالإمام السابق علیه واللاحق له، وهذا إنَّما یَدُلُّ علی برهان علمی علی إمامه وعِصْمه الأئمه (علیهم السلام) الذین نعتقد بإمامتهم علیهم أفضل الصلاه والسلام.

ونفس هذا المعنی فی وَحْده المنظومه یأتی عند الکلام عن الأنبیاء والمرسلین، فأنَّهم وَحْدَهٌ واحِده یُصَدِّقُ بعضُهم بعضاً وَ إِذْ قالَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ یا بَنِی إِسْرائِیلَ إِنِّی رَسُولُ اللّهِ إِلَیْکُمْ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْراهِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اسْمُهُ أَحْمَدُ۱.

ویَقِرُّ بمن قبله؛ لأنَّ المنبع واحِدٌ والأساس الموحِی لهم واحد:

لا نُفَرِّقُ بَیْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ۲.

الدلیل الثانی: القرآن کتاب غیبی سماوی:

اشاره

بعـدما تقدم فی الدلیل الأوَّل علی قیمومه أهل البیت فی بناءً ورسم أصول التفسـیر عبر التأریخ الحضاری والعلمی الذی أثبت أنَّ الأصول المعرفیه - لا سـیما التفسـیریه - وضـعت بیـد أهل البیت (علیهم السـلام) ولولا وضـعهم لها بیـدهم لاسـتلزم ذلک تمزق ونشوء فرق کما حدث فی فقه الفروع وکذا فی

فقه العقائد والتفسير... الخ.

وسدُّ باب الاجتهاد عند المذاهب الإسلاميّه غير مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) والسبب فى ذلك واضحٌ.

هو أنَّ الأئمه (عليهم السلام) أسسوا لتلك العلوم جوامع وأسس تُدار عليها وحده النظام.

ونذكر فى هذا الدليل: أنَّ القرآن كتاب إلهى فيحتاج إلى مُعلِّم إلهى أيضاً.

وقدْ أشار أهل البيت (عليهم السلام) فى الروايات الوارده عنهم بطريق معتبر أنَّه من الخطأ الذى وقع فيه المفسرون من الفقهاء والمجتهدين أنَّهم نظروا إلى كلام الله نظره تشبيه ومماثله إلى كلام البشر، علماً أنَّ أصول التفسير لكلام الله تعالى تختلف عن أصول استظهار كلام البشر، فإنَّ فعل الله وكلام الله لا يُقاس بفعل وكلام البشر ولا تشابه بينهما.

إنْ قلت: بناءاً على هذا - أى عدم مقايسه ومشابهه كلام الله بكلام البشر - يلزم أنْ تكون هناك قطيعه مطلقه بين كلام الله وكلام البشر، فكيف يفهم البشر كلام الله والحال أنَّه فى جمله من الآيات القرآنيه وصفت كلام الله بأنه بلسان عربى مبين وبيان للناس وعليه يلزم تعميه وإجمال وتلغيز القرآن الكريم، وهذا لا يتلاءم مع مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) أمر بين أمرين لا تعطيل للقرآن ولا تفويض.

قلتُ: صحيح الروايات ذكرتْ وركَّزتْ على هذا الاستدلال والبرهان - من أنَّ أصول تفسير كلام الله يختلف عن أصول تفسير كلام

البشر، إلّا أنَّه لا يلزم هذا المحذور - أى تعطيل القرآن وتجميده وحجبه عن العقول وإفاده واستفاده البشر - وإنَّما القرآن مُفعَل وحجه فعليّه فى هذا الزمان وكل الأزمان على البشر، إلّا أنَّ هذهِ الحجه المفعله ليست مفوضٌ سكان إدارتها إلى البشر بنحو مطلق.

الخلاصه من هذا: إنَّ البشر ليسوا محرومين من الاستفاده من هذهِ الحجه القاهره وهو القرآن الكريم، وليسوا هم بمنأى عنه ولا توجد فجوه بينهما، ولكن فى نفس الوقت قياده هذا النظام وهذه الظاهره الإلهيّه ليست بيد البشر تماماً، بل الأمر هو بين أمرين.

ونتعرض إلى ذكر أمور:

١ - هل المعتبر فى حجيّه الروايه سَندُها أم برهانيّه المضمون:

رُبَّ قائل يقول: إنَّ الروايات الوارده عن أهل البيت (عليهم السلام) فى المعارف والتفسير و... الخ ليست صحيحةً سنداً ولا موثقه، رُبَّما تكون ضعيفه أو مرسله، وبالتالى لا يمكن الركون إليها فماذا نصنع؟

الجواب: هناك نقطه أساسيّه نعتمدها فى المقام هى: برهانيه المضمون سواء صحَّ السند أو لا؛ لأنَّ التغذيه التعليميه من أهل البيت (عليهم السلام) أرفع من التغذى بمعنى المتابعه - أى متابعه الطاعه - وإنْ كان هذا إتباع لهم شريفٌ ومقدس، خاصه إذا كان إتباعهم عن بصيره وعلم فهذا مستوى أرفع فى الإتباع.

وهذا ما يصطلح عليه بالحجيه البيانيّه، وحجيه العلم هى أرفع من الحجيّه التعبديه.

وعليه لأجل التعرف على منهج أهل البيت (عليهم السلام) فى التفسير عن طريق الروايات الوارده عنهم:

أولاً: يجب أنْ لا يكون أسارى الحجيه التعبديه بحيث يكون ضعف السند عائقاً أمامنا فى التدبر فى كلمات أهل البيت (عليهم السلام) فيما يتعلق بتفسير القرآن الكريم وتبيان آياته، فإنَّه مَرَّ أنَّ مضامين القرآن تختلف عن مضامين كلام البشر وتبيانها.

ثانياً: ينبغى أنْ يختلف فى مسالك حجيته من حيث الأخذ به وعدمه عن مسالك التعامل البشرى أو العقلائى فيما بينهم، فإنَّ حجيه القرآن ذاتيه، وهذا معناه إنَّه لم يكن خاضعاً لضعف السند وعدمه فى لزوم التصديق به، وإنَّما كانت نفس مضامينه بما انطوت عليه من قدرات بيانيّه وعلوم عاليه هى المُسوِّغ فى الأخذ به والاعتقاد بصدقه وإعجازه.

ثالثاً: ينبغى أنْ يكون الحال فى الأخذ بكلام أئمه أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم عِدْل القرآن، والالتفات إلى مضامين كلامهم (عليهم السلام) فى هذا الجانب وما تنطوى عليه قدراتهم البيانيه، وعلومهم التفسيريه العاليه تكشف عن الإحاطه التامَّه بعلوم القرآن الكريم.

ومن خلال هذا كله يتضح أنَّه نأخذ بكلامهم (عليهم السلام) بغض النظر عن كون السند صحيحاً معتبراً أو كان ضعيفاً، وهذا ما يمكن أنْ نصطلح عليه: - بالحجيه البيانيه، التى هى أرفع من الحجيه التعبديه فإنَّ مناط الأخذ بالقرآن الكريم والإذعان بإعجازه كان مُستنِداً إلى الحجيه المذكوره دون الحجيه التعبديه، كما لا يخفى.

وهـذا بالتالى تكون له ثمره مهمه جـداً لنا فى البحث التفسيرى بل والبحث المعرفى العقائدى، ألا وهى النظره إلى التراث النقلى للآيات والروايات نظره استنطاق بيانى علمى.

إنْ قلت: بنـاءاً على أنَّ القرآن كتـاب سـماوى ويحتـاج إلى معلم إلهى أيضاً يـدعى البعض من المـدارس الإسـلاميه بل حتَّى من بعض المناهج المنتسـبه لأهل البيت (عليهم السلام) بأنْ تكون النتيجه المتوخاه هى تعطيل القرآن وحجم العقول عنه عندما يُقال: - أهل البيت هم القيّمون على تعليم القرآن وبيانه.

قلت: كلا لا يلزم المحـذور، فإنَّ الإيمان بالقرآن وحجيته ليس بمعطل بل مُفعَل وحجه فى هذا الزمان وكل زمان على البشـر، إلّا أنَّ هذهِ الحجه ليست مفوضه إدارتها إلى البشر بنحو مطلق، ولا يعنى هذا أنَّ البشر محرومون من تلك الإداره بالمرَّه، ولا مفوض إليهم إدارتها بيدهم تماماً، بل الأمر بين أمرين.

وسـيأتى فى محله - إنْ شـاء الله تعـالى - بيان المعيه والعلاقه بين الثقلين كتاب الله والسُّنه الشـريفه، أى سـنه المعصومين المتمثله بالنبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته.

وعليه لاـ يفهم من القول: كتـاب الله يختلف عن كتـاب البشـر - القطيعه بين البشـر وبين كتـاب الله، وهـذا كما مَرَّ تعطيل للكتاب وعدم استفاده البشر منه.

مضافـاً إلى أنَّ القرآن ليس كتابـاً يسـتطيع فقيه أو مُفسِّر ينفرد ببيـانه عن الرسول (صـلى الله عليه و آله) والعتره الطاهره أهل بيته، وهذه المعيه - كما سيأتى - هى أحد الخرائط التى ترسم لنا العلاقه بين الثقلين، ولا يمكن الاكتفاء والاستغناء

بأحدهما دون الآخر، لا حسبنا كتاب الله فقط، ولا حسبنا السنه الشريفه، بل لابدَّ منهما معاً.

إذنْ القرآن كتاب الله يتناوله ويتعاطاه البشر ولكن بشرط أنْ يكون له معلم خاص مُعَلِم إلهى.

٢ – الروايات الداله على احتياج القرآن إلى معلم إلهى:

هناك روايات دلَّت على المعلم الخاص فى وصف الكتاب الكريم والمتواتر بين الفريقين كثيره منها: –

أولاً: قوله (صلى الله عليه و آله):

«إنِّى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى لن يفترق حتَّى يردا علىَّ الحوض...»(١).

ثانياً:

«كتاب الله حَبْلٌ ممدود من السماء إلى الأرض طرفٌ منه عند الناس فى الأرض وطرف عند الله»(٢).

ثالثاً: قوله (عليه السلام):

«إياك أنْ تُفسِّر القرآن برأيك حتَّى تفقهه عن العلماء»(٣). يعنى بالعلم اللدنى أى الربانيين.

رابعاً: قوله (صلى الله عليه و آله):

«على مع القرآن والقرآن مع على، لن يفترقنا حتّى يردا علىَّ الحوض» أو القرآن مع أهل البيت(۴).

١– (١) الطبرى فى ذخائر العقبى ص ١۶ / والدارمى فى سننه ج ٢ ص ۴٣٢ والنسائى فى خصائصه ص ٣٠.

٢– (٢) مسند أحمد ج ٢٢ ص ٣٢۴.

٣– (٣) غرر الحكم.

۴– (۴) الحاكم فى المستدرك ج ١٢۴/٣، والحموينى فى فرائد السمطين ج ١٧٧/١ مع تفاوت يسير؛ والخوارزمى فى المناقب، ص ١١٠، ط الحيدريه؛ والكنجى الشافعى فى كفايه الطالب، ص ٢٥٣ ط الغربى؛ وابن حجر فى الصواعق، ص ٧۴؛ والذهبى فى تلخيص المستدرك ح ١٢۴/٣، بهامش المستدرك؛ والمتقى الهندى فى منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد، ج ٣١/٥.

خامساً: أم سلمه قالت، قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى مرضه الذى قُبض فيه وقد امتلأت الحجره من أصحابه:

«أيُّها الناس يوشك أنْ أقبض قبضاً سريعاً فيُنطلق بى، وقد قَدَّمتُ إليكم القول معذرهً إليكم، ألا إنى مخلفٌ فيكم كتاب ربى عَزَّ وَجَلَّ وعترتى أهل بيتى، ثم أخذ بيد على فرفعها، فقال: هذا على مع القرآن، والقرآن مع على، لا يفترقان حتّى يردا علىَّ الحوض، فأسلدهما ما خلّفتُ فيهماأيُّها»(۱).

وعليه فالطرف الذى عند الله عَزَّ وَجَلَّ ليس عند الناس، ولهذا فلابدَّ أنْ يكون هناك مُعلِّمٌ إلهى يستطيع أنْ يَصْرف ما عند الله حتَّى يوصله إلينا؛ لأنَّ الحبل له طرفان وليس له طرف وحد، إذْ لو كان طرفاً واحداً لكان هذا الجعل مقطوعٌ عن الطرف الآخر، أى لو كان عند الناس وهو أحادى الطرف لكان مقطوع الصله بالله، وإذا كان عند الله فقط ولم يُنصِب تعالى عليه مُعلِماً يوصله ويبينه إلينا فإنَّه لا فائده فيه والله تعالى مُنزه عن اللغويه والعبثيه(۲).

والمعلم الذى نصبهُ الله تعالى من خلال ما وَرَدَ فى الروايات المعارف:

۱- (۱) الصواعق المحرقه، ص ۷۵، الميمنيه الرودانى فى جمع الفوائد، ح ۳۳۲/۲.

۲- (۲) هناك حديث عن الإمام الرضا (عليه السلام) ينبه المأمون أو الهارون العباسى ما مضمونه: «ما الدليل على أنَّ السماء لا زالت مرتبطه بالأرض بعد رسول الله... الخ»، وهكذا الروايات الداله على أنَّ المؤمن ينظر بنور الله، فإذا ازداد المؤمن إيماناً يزداد نوراً وفهمه النور.

العقائد والتفسير و... الخ هو النبى (صلى الله عليه و آله) وأهلُ بيته (عليهم السلام).

فإذا كنّا نستقى ونأخذ أصول التفسير من المعلم الأوَّل وهو النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام). فلم يُؤاخذ علينا وعلى هذا المعتقد الحق من تعطيل للكتاب، بل هو تفعيلٌ للكتاب بكل درجاته لطرفى الحبل الذى عند الله وعند الناس.

ومن هذا كله: يتضح أنَّ المعلم الثانى يعنى الإحاطه بمعادلات الظاهر لذلك تكرر هذا المعنى كثيراً فى بيانات أهل البيت (عليهم السلام) من أنَّهم (عليهم السلام) عندهم علم خصوص وعموم القرآن، وتنزيل القرآن وأين نزل فى ليل أم نهار، وفى أى واقعه وأى مشهد، وهم (عليهم السلام) الوحيدون الذين جمعوا تنزيل القرآن ولا يستطيع مُدَّع أنْ يدعى بأنه يحيط بتنزيل الكتاب كأهل البيت (عليهم السلام) على كافه الأصعده والعلوم سواءاً النحويه أو البلاغيه أو الصرفيه أو اللغويه أو... الخ.

إذْ لا يستطيع عالمٌ من علماء هذهِ الفنون والعلوم وغيرها بأنَّ يدعى أنَّه وقف واستقصى كل المعادلات اللفظيه التى تتصل بمسأله أو قاعده نحويه أو صرفيه أو بلاغيه أو لغويه أو... الخ.

والشاهد على ذلك ما نراه من نقض بعض العلماء على البعض الآخر من هذهِ العلوم وغيرها والسجال مفتوح بالنقض بآيات الكتاب الأُخرى التى غفل عنها الآخر، وهذا معناه: أنَّ النظام القرآنى يُشكّل مجموعه أنظمه من علوم شتى لها ارتباط وثيق فيما بينها كالنحو والصرف والبلاغه واللغه والتفسير... الخ ولم تكتشف جميع قواعد كل فنٍ فن فى القرآن وإنَّما لا زال

علماء النحو يوماً بعد يوم يكتشفون القاعده تلو القاعده والتركيبه تلو التركيبه وهكذا التراكيب البلاغيه والقواعد الصرفيه والتفسيريه... الخ. لعدم التفاتهم إلى ما موجود من نكات فى الآيات.

والشاهد على ذلك: - مثلاً الذكر الوارده فى قوله تعالى: وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِى لَهُ إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ١.

فما المراد من كلمه الذكر؟

الذكر له تفعيله معينه فى الصرف وله رسم مُعيَّن، إلّا أنَّه ليس بخطاب ولا شعر ولا مغالطه ولا برهان ولا بلغو؛ لأنَّ الحق يقول: وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ٢. ولا لهو؛ لأنَّ الحق يقول: مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ٣.

ما المراد من الذكر؟

الجواب: إلى يومنا هذا لم تكتشف البشريه وبعد مرور أكثر من أربعه شعر قرناً - عرباً أو غيرهم - وبالأخص المتخصصين منهم بقواعد اللغه العربيه المعنى المراد من كلمه الذكر فى الآيه المباركه، وكذا لم يكتشِف المتخصصون أنَّ نظام الذكر لحد الآن وأنَّه مندرج تحت أى نظام والذى أشار له القرآن الكريم وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ٤. ولم يكتشفوا كُلَّ مدارجُ وزوايا القرآن الظاهره، بل عجز البشر عن الهيمنه والإحاطه

بـالقرآن، بعـدما عكفت المؤسـسات والـدوائر التخصصـيه والكوادر العلميه من أقصـى الشـرق إلى أقصـى الغرب فى كـل أرجاء المعموره وبجهود مُضنيه إلى أنْ يتوصلوا إلى معرفه كل ظاهره لم يتمكنوا من ذلك.

نعم اكتشفوا الكثير من المناهج العلميه فى القرآن مثلاً:

١ - أسلوب القرآن النفس.

٢ - أسلوب القرآن الأمنى.

٣ - أسلوب القرآن الاقتصادى.

٤ - أسلوب القرآن السياسى.

٥ - أسلوب القرآن الاجتماعى.

٦ - أسلوب القرآن الأسرى.

٧ - أسلوب القرآن التكنولوجى.

٨ - أسلوب القرآن التنموى... الخ.

وإنْ لم يكن هؤلاء مصدقين ومعتقدين بالقرآن، إلّا أنَّهم ينظرون إلى القرآن كأنَّه بحرٌ يجنون ويسـتخرجون منه اللئالئ، ومع كل ذلك لم يستطيعوا الوصول إلى إدراك كل أبعاد القرآن.

وهذا الذى نريد أنْ نتوصل إليه من خلال كل ما تقدم: أنَّ القرآن كتابٌ إلهى يعجز البشر عن إدراك كل حقائقه.

ولـذا مهما حاول الغربيون وغيرهم ممن لم يعتقد بالقرآن، رغم أنَّهم يعترفون بأنَّ القرآن فيه مناهج علميه غير متناهيه وعلى كافه الأصعده، نشر طبعات مُحَرَّفه تُباع فى المكتبات سواء فى أفريقيا أو

أوروبا أو... الخ.

كى يتلاعبوا بألفاظ القرآن بإضافه أو حذف بعض الكلمات، إلّا أنَّه لم يتمكنوا من ذلك؛ لأنَّه تعالى قال:

«إنَّا أنزلنا الذكر ونحن له حافظون» أى حافظون له من كل ما يحاول إليه البعض من أصحاب النفوس المريضه والأقلام المأجوره من التلاعب والتحريف، علماً أنَّهم قاموا بطبع كميات كبيره من نسخ القرآن المحرَّف والمتلاعب بآياته وطرحها فى الأسواق وبأسعار زهيده.

هذا أيضا من إعجازات القرآن الكريم لكى يتوافد عليه الناس ويطلعوا على ما فيه من حقائق أبديه خالده.

هذا مضافاً إلى أنَّه مهما تطوَّرت البحوث الكمبيوتريه والانترنت تعتمد على نظام مُعيَّن يرسمه البشر فهى عاجزه عن إدراك سِرِّ النظام الرياضى الذى اعتمده القرآن الكريم فى المعادلات العدديه لسور القرآن وآياته.

ولماذا هذا الترتيب فى النزول؟ ولماذا كل سوره لها عدد مُعيَّن من الأرقام؟ وأنَّ هذا العدد يرمز إلى أى نحو من التأثير، وأنَّ هناك تأثيرات عجيبه وغريبه فى ذلك فإنَّها تؤثر حتَّى على الظواهر الفيزيائيه والكيمائيه الكونيه والأحياء فضلاً عن علوم جمه لم تكتشف إلى حد الآن.

ولذا وَرَدَ فى روايه عن الإمام الباقر (عليه السلام): أنَّه (عليه السلام) سألوه عن الصمد، فقال تفسيره فيه الصمد خمسه أحرف... ثم قال (عليه السلام) لو وجدت لعلمى الذى آتانى الله عَزَّ وَجَلَّ حكمةً لنشرتُ التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد، وكيف لى بذلك ولم يجد جدى أمير المؤمنين (عليه السلام) حملةً لعلمه حتّى كان يتنفس الصُعَداء، ويقول على المِنْبَر:

«سلونی قبل أنْ تفقدونی فإنَّ بین الجوانح منِّی علماً جمَاً..»(۱) إنَّ من هذهِ اللفظه الواحده یستطیع المعصوم (علیه السلام) أنَّ یستخرج قواعد الدین کُلِّه... الخ.

۳ – ما هو السرُّ فی عدم اندثار اللغه العربیه:

السرُّ فی بقاء ودیمومه اللغه العربیه وحفاظها علی مفرداتها وثراءها العلمی دون باقی اللغات هو القرآن الکریم فهو الحافظ والمبقی لحیویتها دون العکس – أی لیست اللغه العربیه هی الحافظه للقرآن –

ومن أجل هذا الفرق أنَّه إذا کانت هناک أسرار عجیبه وقواعد متینه فی اللغه العربیه ولا زال العلماء سواء النحو أو الصرف أو البلاغه أو اللغه أو... الخ یکتشفون قواعد جدیده وأسالیب وتراکیب متینه فضلاً عن عدم اکتشاف جمله من القواعد للبرهان وللمغالطه وللخطابه ذلک راجع إلی الاستمداد من النظام الأدبی فی القرآن وإلی یومنا هذا.

إنْ قلت: إنَّ القرآن الکریم نزل بالأمثال والحکم والجدل... الخ، وعلیه فالقرآن مستوعِبٌ لأغلب قواعد اللغه والبلاغه والصرف والشعر والقصه... الخ إذنْ أین القواعد التی لم یُشِر إلیها القرآن ولو ضمناً؟ وإنَّما أشار إلی ذلک کلّه.

قلتُ: صحیح ما ذکرتموه، وأنَّ القرآن نزل بأبواب ثمانیه – سلمنا بذلک – ولکن کلها تندرج تحت عنوان الذکر، مضافاً إلی أنَّ علماء اللغه والبلاغه – کما مَرَّ – یکتشفون فی القرآن الکریم یوماً بعد یوم قاعده نحویه أو بلاغیه أو صرفیه إذْ لو کان قد اکتُشِف ذلک کُلَّهُ من أوَّل یوم. لمَّا دام

۱- (۱) التوحید للصدوق/ باب تفسیر قل هو الله أحد إلی آخرها، ص ۸۵-۹۰ ح ۶.

واستمرَّ هذا السِّرُّ العجيب الإعجازى إلى يومنا هذا، ولصار القرآن كأى كتاب آخر ليس فيه سرٌّ للخلود والبقاء إلى نهايه الدنيا، والى اليوم لم يكتشف كبار النحويين والبلاغيين واللغويين و... الخ أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدى أو الكسائى أو سيبويه أو الغرّاء أو ابن جنّى. قواعد الذكر فى القرآن بحيث يضعون أيديهم ويقولون هذا الموضع فيه قاعده للذكر ويُصرحون بذلك.

ومن أمثله ذلك: - ما جاء فى سوره الشعراء فى القرآن الكريم وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ * أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ * وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ١.

بيَّنت الآيه القرآنيه أنَّ القرآن ليس شعراً؛ لأنَّه يوجد فارق جوهرى بين الشعر من حيث الصوت والتفعيله، بل وحتَّى فى النبره الموسيقيه.

ومن هذا يتضح أنَّه توجد عِدَّه تساؤلات تحتاج إلى أجوبه شافيه كافيه: -

١ - ما هو الفرق بين الشعر والذكر؟

٢ - ما هو الفرق بين القصه والذكر؟

٣ - ما هو الفرق بين الخطابه والذكر؟

۴ - ما هو الفرق بين البرهان والحكمه والذكر؟

وإلى يومنا هذا هناك بحوث قدْ حارت فيها عقول النوابغ من البشر ولم يكتشفوا أسرار تأثير النبره الموسيقيه الصوتيه للقرآن، فعند سماع القرآن

تنبعث الطمأنينه فى القلب، والهدوء وسكينه للروح ويحدث توازن فى قوى الإنسان حتَّى لو لم يفهم معناه، فإنَّ علم الطب الروحى والطب الفسلجى يؤكِّد أنَّ النبره الصوتيه الموسيقيه المعينه لها تأثير فى شفاء الإنسان وتخلصه من بعض الأمراض البدنيه والفسيولوجيه والروحيه.

إذنْ إلى يومنا الحاضر لم يكتشف علماء اللغه والأصوات تأثير نظام الصوت فى القرآن، وعليه فكيف يقول قائلهم: -

حسبّنا كتاب الله، وهو إلى الآن وبعد مرور أكثر من أربعه عشر قرناً على نزول القرآن لم تكتشف الكثير من أسراره، ومنها مسأله تأثير النظام الصوتى فى القرآن على النفس والروح وتسبيب الهدوء والاطمئنان لهما.

۴ – اللغه العربيه هى أتقن لغه علميه فى العالم:

أثبتت جُلّ نتائج الدراسات والبحوث الغربيه إنَّ أضبط لغه علميه لضبط العلوم التجريبيه كالفيزياء والكيمياء والتكنولوجيا والفلك والهندسه الفضائيه... الخ هى اللغه العربيه، وإنَّ أفشل لغه فى هذا المجال هى اللغه الانكليزيه.

والغرض من بيان هذا المطلب، هو أنَّ هناك قواعد مشتركه بين اللغات حتَّى طغت تلك القواعد فى بعض اللغات غير العربيه وكأنها هى الأصل ومن مختصات تلك اللغه وليس الواقع كذلك.

فمثلاً- انظر اللغه الفارسيه فإنَّ علوم البلاغه واللغه و... فيها مقتبسه بتمامها من علوم اللغه العربيه، وكذا الحال فى باقى اللغات الأُخرى كالهنديه والأوروبيه و.... الخ.

والسبب فی ذلک بحسب ما أثبتته تجاربهم علی مختلف الأصعده لاسیما العلمیه، من أنَّ أجدر لغه هی اللغه العربیه التی هی لغه معاجز القرآن الکریم، ولیس معاجز العرب.

وعلیه فاللغه العربیه هی أثری لغه وأم اللغات بحسب ما أثبتته نتائج دراساتهم وبحوثهم فی مختلف مجالات العلوم العربیه.

لم یکتشف فی علم البلاغه معنی الذکر لأنَّ قواعد اللغه العربیه والبلاغه وغیرها قواعد عامه تعم العربیه وغیرها، فمثلاً علم البلاغه فی کل اللغات غیر العربیه مسروق من اللغه العربیه؛ ولذا کثیر من علوم اللغه وإنْ أقیمت وشیدت وبنی صرحها الکبیر.

الدلیل الثالث: مقامات ومنازل القرآن الکریم:

اشاره

من الأدله المهمه علی لزوم استکشاف منهج وقواعد أصول التفسیر للقرآن الکریم عن طریق النبی (صلی الله علیه و آله) وعترته أهل بیته (علیهم السلام) الذین لم یقف غیرهم علی تلک البواطن وأم الکتاب، فتحمل النبی (صلی الله علیه و آله) سنخ ونمط تبلیغ الکتاب المجید، وتحمّل أهل بیته (علیهم السلام) عنه وتبلیغهم لیس سنخ نمط تحمل وتبلیغ الرواه للأخبار الحسیّه المسموعه لفظاً التی تحملوها لیؤدوها إلی غیرهم، کی یکون الحال فی هذا التبلیغ «رُبَّ حامل فقه إلی من هو أفقه منه» کلا وإنَّما ما تحمله النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) عن الله تعالی وتحمله أهل بیته (علیهم السلام) عنه (صلی الله علیه و آله) هو تحمل للحقائق المهیمنه والمحیطه بالمعانی(۱).

وهناک حقیقه ثانیه مُسلمه بین ذوی البصیره من المسلمین، وهی

۱- (۱) الإمامه الإلهیه ج ۳ للشیخ محمد سند تقریر الشیخ صادق ممحمد رضا الساعدی.

حقیقه قرآنیه من أنَّ القرآن ذو منازل ومقامات متعدده غائره وغیبیه خفیت علی الکثیر من علماء المسلمین بسبب ابتعادهم عن التعلم من مذهب أهل البیت (علیهم السلام) والنمیر من عطائه، وهذا صادق حتَّی علی جمله من العلماء والمنتسبین لمدرسه أهل البیت (علیهم السلام)؛ لأنَّهم بشر والبشر محدود القابلیه فی الاغتراف والأخذ من منهل علوم أهل البیت (علیهم السلام) رغم أنَّ علماء الإمامیه معتنقون لإمامه أئمه أهل البیت (علیهم السلام) وإتباعهم لهم (علیهم السلام)، إلّا أنَّه - کما مَرَّ - جهودهم محدوده القابلیه، وهکذا الجیل الذی یأتی بعدهم من المتعلمین فإنَّه ینهل من مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) أکثر فأکثر... الخ.

وإجمالاً نذکر بعض مقامات ومنازل القرآن الکریم لا علی سبیل الحصر والاستقراء التام، وإنَّما بما وفق الله تعالی الالتفات إلیها وإنْ کان بعضها ذکره المفسرون فی تفاسیرهم، ومن تلک المقامات والحقائق أنَّ القرآن المنزَّل ذو تأویل کما قال تعالی: وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ[1].

وأنَّ للقرآن بطون لا- تنفذ من بحور حقائق القرآن ترقی وتتصل بأصل حقیقه القرآن الغیبیه التی یُطلق علیها الکتاب المکنون، والکتاب المبین، أو اللوح المحفوظ أو أم الکتاب أو تنزیل الکتاب أو لا یمسه إلّا المطهرون، أو قرآن کریم أو... الخ.

وعلیه فمنازل ومقامات القرآن کثیره، وبعضها کالحروف المقطعه لها تشفیرات ورموز ومعانی مغلقه وتحتاج إلی جهد حثیث فی تعلمها من البیانات العلمیه لأهل البیت (علیهم السلام)، ثم أنَّه قبل استعراض تلک المقامات للقرآن الکریم لعلَّه یتبادر إلی ذهن البعض أنَّه ما الفائده والثمره من

ذكر هذهِ المقامات للقرآن، وأنَّها هل أوحيت إلى النبى (صلى الله عليه و آله) أم لا؟

قطعاً أوحيت إليه (صلى الله عليه و آله) فتنزلت فى ذهنه الشريف ثم أنَّ النبى (صلى الله عليه و آله) هل أعطاها لأحد من بعدها أم جَمَّدَها؟

قطعاً أنَّه ورَّثها لعترته الذين ورثوه بوراثه الاصطفاء، وتكون الثمره هى بيان أنَّ هذهِ المقامات متصله بأصل حقيقه القرآن الغيبيه التى يطلق عليها: - أم الكتاب، واللوح المحفوظ وتنزيل الكتاب و... الخ.

ومن خلال هذا كله يُعْلم ما لدى النبى (صلى الله عليه و آله) من حقيقه الذات وحقيقه الروح المحيطه والمهيمنه على أم الكتاب وغيرها المدركه لها.

وتلك المقامات هى:

المقام الأوَّل: أم الكتاب:

إنَّ هذهِ المقامات والمنازل بل وحتى الأدله السابقه والآتيه نذكرها لا من باب الحصر فى حين كونها أدله هى فى نفس الوقت وفى الحقيقه أيضاً هى بنفسها قواعد وأصول للمنهج التفسيرى.

وهذا المقام العظيم للقرآن الكريم كما وَرَدَ فى القرآن يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ١ ومن الواضح أنَّ لوح المحو والإثبات وما فوقه من أم الكتاب ليس فى المصحف الورقى بل هو فى نشأه الغيب(١) فقد ذكر الطبرى وكذا الآلوسى و... وهم من كبار أعلام مفسرى إخواننا السنه(٢) بأنَّ [أم الكتاب] أى أم البيان ولها مقام

١- (٢) الإمامه الإلهيه للشيخ محمد السند ج ٣ ص ٣٦٧.

٢- (٣) تفسير الطبرى، روح المعانى للآلوسى ج ٢١٤/١٣.

غیبی هو الأصل الذی انحدر منه القرآن الکریم وینحدر منه لوح القضاء والقدر ولها الهیمنه علیه.

وأنَّ المراد ب - (أم الکتاب) هو العلم؛ لأنَّ جمیع ما فی صحف الملائکه وغیرها لا یقع حیثما یقع إلّا موافقاً لمَّا ثبت فیه فهو أمٌّ لذلک أی أصلٌ، وإنْ کان المشهور الذی ادّعاه الآلوسی هو أنَّ المراد من (أم الکتاب) أنَّها اللوح المحفوظ قالوا: - أصل الکتب إذْ ما من شیء من الذاهب والثابت إلّا وهو مکتوب فیه کما هو(۱).

وکذلک ما ذکره الشیخ الطوسی فی تفسیره التبیان فی تفسیر الآیه أنَّ المراد من [أم الکتاب] أی أصل الکتاب، لأنَّه یُکْتَب أولاً سیکون کذا وکذا، لکل ما یکون، فإذا وقع کتب أنَّه قدْ کان ما قیل أنَّه سیکون.

وقیل: - أصل الکتاب لأنَّ الکتب التی أنزلت علی الأنبیاء منه نُسِخَتْ، وهناک معانٍ أُخری ل - [أم الکتاب] منها الذکر المذکور فی قوله تعالی وَ لَقَدْ کَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّکْرِ۲,۳.

وکذا ما ذکره السید العلامه الطباطبائی (قدس سرّه) فی تفسیره المیزان: - من أنَّ [أم الکتاب] أی أصله فإنَّ الأم هو الأصل الذی ینشأ منه الشیء ویرجع إلیه(۲).

وأودُّ التنبیه علی أنَّ معنی [أم الکتاب] لیس نفس الحقیقه التکوینیه لأم الکتاب التی تحیط بلوح القضاء والقدر لکل عالم الخلقه لأم الکتاب.

۱- (۱) المصدر السابق.

۲- (۴) المیزان فی تفسیر القرآن ج ۱۳ ص ۳۷۸.

المقام الثانی: الکتاب المبین:

أحد النعوت المهوله والعظیمه التی وصف الله تعالی بها کتابه الکریم أنَّه ذو مقام: - الکتاب المبین وأنَّه فیه تباین لکل شیء، وهناک عِدّه آیات دلَّت علی ذلک هی: -

۱ - قوله تعالی: وَ ما مِنْ غائِبَةٍ فِی السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ۱.

۲ - قوله تعالی: عالِمِ الْغَیْبِ لا یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِی السَّماواتِ وَ لا فِی الْأَرْضِ وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْبَرُ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ۲.

۳ - قوله تعالی: وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ إِلاّ أُمَمٌ أَمْثالُکُمْ ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ۳.

۴ - قوله تعالی: کَفی بِاللّهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتابِ۴.

وهذه الآیات المبارکه وغیرها دالهٌ علی استطار کل شیء فی الخلقه فی الکتاب فکل غائبه وکل رطب وکل یابس لم یُفرط فی تدوینه الکتاب، وکل ما یمحی ویثبت فی عالم الخلقه فی الکتاب.

وقدْ ذکر الشیخ الطوسی (قدس سرّه) فی تفسیر التبیان أنَّ المراد من الکتاب، فیه قولان: -

أحدهما: أنَّه أراد الکتاب المحفوظ عنده من آجال الحیوان

وأرزاقه وآثاره ليعلم ابن آدم أنَّ عمله أولى بالإحصاء والاستقصاء.

والآخر: أنَّه القرآن وقدْ بُيِّنَ فيه كل ما يحتاج إليه فى أمور الدين والدنيا إمَّا مجملاً أو مُفصلاً، فما هو صريح يُفيد لفظاً، وما هو مجملٌ بيَّنه على لسان نبيه وأمر بإتباعه فى قوله وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا١ ودلَّ بالقرآن على صدق نبوته ووجوب إتباعه، فإذاً لا يبقى أمرٌ من أمور الدين والدنيا إلّا وهو فى القرآن(١).

وذكر العلامه السيد محمد حسين الطباطبائى فى تفسيره للآيه المباركه(٢).

والمراد بالكتاب إنْ كان هو اللوح المحفوظ الذى يسميه الله سبحانه فى موارد كلامه كتاباً مكتوباً فيه كل شىء مما كان وما يكون وما هو كائن، كان المعنى أنَّ هذهِ النظامات الأمميّه المماثله لنظام الإنسانيه كان من الواجب فى عنايه الله سبحانه أنْ يبنى عليها خلقه الأنواع الحيوانيه فلا يعود خلقها عبثاً ولا يذهب وجودُها سُدَىً، ولا تكون هذهِ الأنواع بمقدار ما لها من لياقه القبول ممنوعه من موهبه الكمال.

وإنْ كان هو القرآن الكريم وقدْ سماه الله كتاباً فى مواضع من كلامه، كان المعنى أنَّ القرآن المجيد لمَّا كان كتاب هدايه يهدى إلى صراط مستقيم على أساس بيان حقائق المعارف التى لا غنى عن بيانها فى الإرشاد إلى صريح الحق ومحض الحقيقه لم يُفرّط فيه بيان كل ما يتوقف على معرفته

١- (٢) تفسير التبيان للشيخ الطوسى ج ۴ ص ١٢٨ و ١٢٩.

٢- (٣) الميزان فى تفسير القرآن ج ٧ ص ٨٢ و ٨٣.

سعاده الناس فی دنیاهم وآخرتهم کما قال تعالی: وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکَلِّ شَیْءٍ۱.

إذنْ إذا کان المراد من الکتاب: اللوح المحفوظ فإنَّه مشتمل علی ما یجری فی العالم من جلیل ودقیق لم یُهمل فیه أمر حیوان ولا جماد.

وقدْ ذکر أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی نهج البلاغه فی ذم اختلاف العلماء فی الفُتیا: - «أمْ أنزل الله - سبحانه - دیناً ناقصاً فاستعان بهم علی إتمامه، أم کانوا شرکاء له فلهم أنَّ یقولوا وعلیه أنْ یرضی، أم أنزل - الله سبحانه - دیناً تاماً فقَصَّرَ الرسول عن تبلیغه وأداءه، والله یقول: ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ وفیه تبیانٌ لکل شیء»(۱).

وفی حدیث وصف الإمامه عن الرضا (علیه السلام): - فی العیون(۲) وغیره: -

«جَهِل القوم وخُدعوا عن أدیانهم إنَّ الله یم یُقبض نبیه (صلی الله علیه و آله) حتَّی أکمل له الدین وأنزل علیه القرآن فیه تفصیل کل شیء، بَیَّن فیه الحلال والحرام والحدود والأحکام وجمیع ما یحتاج إلیه کملاً، فقال عَزَّ وَجَلَّ ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ».

واشتمال القرآن الکریم علی الکلمات الوجودیه - والمراد بالکلمه: هی الشیء الدال بذاته تکویناً علی أمر آخر ومِن ثَمَّ یُطلق علی وجودات الأشیاء المخلوقه لاسیما الشریفه أنَّها کلمات الله؛ لدلالتها علی صفات الباری تعالی کما أشارت عِدَّه آیات إلی ذلک منها قوله تعالی قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی

۱- (۲) نهج البلاغه / ۶۱ خطبه / ۱۸.

۲- (۳) العیون/ ۲۱۶ / ح ۱، الکافی ۱۹۹/۱.

لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً۱.

وکذا قوله تعالی: وَ لَوْ أَنَّ ما فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ کَلِماتُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ۲. وغیرها من الآیات الداله علی ذلک، وعلیه فالکتاب المبین متکون من وجود جملی لکافه الکلمات الوجودیه بالوجود الملکوتی ومن ثم نُعتَ الکتاب المبین بأنه مفاتیح الغیب للآیه وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَیْبِ۳.

المقام الثالث: الکتاب المکنون:

أی مصون وهو اللوح.

ذُکِرَ هذا المقام فی سوره الواقعه فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ * وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِیمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ * فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ * لا یَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ *۴.

الباری جلَّ اسمه مَهَّد عِدَّه أمور لبیان أهمیه المقسم علیه وهو القرآن الکریم وهی: -

۱ - لا تدعونی أُقْسِم.

۲ - أنَّه لقسم لو تعلمون عظیم.

۳ - هل القسم بنجوم السماء أی الکواکب أم نجوم من شیء آخر من

عالم الخِلْقه؟

نعم القسم بهـذهِ الأجرام السـماويه باعتبار أنَّها آيات الله لا بأس به، ولكن المهم وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَـدُونَ أى الاهتداء بأصـحابى من أهل بيتى الأوصياء كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم من أهل بيتى يعنى من بنى هاشم.

۴ - المُقسَم عليه هو قرآن كريم فى كتاب مكنون: - والكن يعنى الحفظ بمنأى عن البشر، والحفظ من أنَّ يصل إليه عادى البشر هو من أشـد الكرامـات التكوينيه للقرآن هـذا فى دار الـدنيا، وأمَّا فى الآـخره فله - للقرآن - منزل غيبى لـذلك ينعته القرآن فى سوره الواقعه: - لاـ يَمَسُّهُ إِلاَّـ الْمُطَهَّرُونَ أى لا يصل إليه أحـدٌ من البشـر إلّا ثله خاصه، وهكـذا قوله تعالى أَ فَبِهـذَا الْحَـدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ١ قال ابن عباس معنى مدهنون أى مكذبون(١) فالله تعالى يعبر عن كل القرآن بالحديث والمراد منه حديث الله مع البشر أى القرآن، ثم يستفهم الحق تعجباً من هؤلاء الذين يرتابون فى آيات الله والقرآن.

إذنْ المكنون هو المصون وجاء فى الآيه المباركه وصـفاً ثانٍ للقرآن بعد وصفه تعالى بالآيه السابقه إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ والكريم فى صفـات الله من الصـفات النفسـيه التى يجوز فيهـا لم يزل كريماً لأنَّ حقيقته تقتضـى ذلك من جهه أنَّ الكريم الـذى من شأنه أنْ يعطى الخير الكثير، ثم جاءت

۱- (۲) تفسير البيان للشيخ الطوسى ج ۹ ص ۵۱۱ والمُدْهَن الذى يجرى فى الباطل على خلاف الظاهر كالدُهن فى سهوله ذلك عليه والإسراع فيه، وكل مُدهن بصواب الحديث مذموم.

الآیه التالیه کِتابٍ مَکْنُونٍ قیل: - هو اللوح المحفوظ أثبت الله تعالی فیه القرآن والمکنون المصون(۱).

والکلام علی أی حال: مسوق لتعظیم أمر القرآن وتجلیله فمسّه هو العلم به وهو فی الکتاب المکنون(۲).

المقام الرابع: تنزیل الکتاب:

هذا المقام یختلف عن المقامات السابقه، فإنَّها تتصف بصفه العلو والإعلاء والتصعید، أمَّا هذا المقام فیتصف بصفه مضاده لتلک وهی صفه الإنزال والتنزیل، مضافاً إلی أنَّ المقامات السابقه فیها حفظ وإقصاء لبعض مقامات القرآن عن أعین البشر. وهذا نظیر الحدیث الشریف:

«إنِّی تراک فیکم الثقلین کتاب الله وعترتی أهل بیتی ما أنْ تمسکتم بهما لن تضلوا بعدی» فإنَّ الترک والتخلیف کذلک فیه أطراف

«أهل بیتی حبل ممدود طرف منه عند الناس وطرف عند الله»(۳).

فطرف عند الناس وهو الطرف الهابط والنازل، وطرفٌ مُغَیَّب عن الناس وهو عند الله لا یعلمه إلّا الله والراسخون فی العلم، وهم النبی وعترته أهل بیته (علیهم السلام) ولو أمعنا النظر فی هذا الحدیث لو جدنا أنَّه أقرب معنی ومقتبس من قوله تعالی: - أَ فَبِهذَا الْحَدِیثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ۴ قال ابن

۱- (۱) المصدر السابق، ص ۵۱۰.

۲- (۲) المیزان فی تفسیر القرآن: ج ۱۹ ص ۱۴۲.

۳- (۳) صحیح مسلم، فضائل الصحابه الحدیث ۵، ۴۴، ورواه الصدوق فی إکمال الدین وتمام النعمه، ج ۱، ص ۲۴۱ ح ۶۲؛ والبحار ج ۱۳۶/۲۳ /ح ۷۷.

عباس معنی مدهنون مکذبون، أی ترتابون بأنَّ للقرآن منزل غیبی بمنأی عن البشر.

مقام - تنزیل الکتاب - أی تنزیل الکتاب من رب العالمین فإنَّه أنزله الله الذی خلق الخلائق ودبرهم علی ما أراد(۱).

ومقام تنزیل الکتاب - وصف آخر للقرآن، والمصدر - تنزیل - بمعنی اسم المفعول أی مُنْزَل من عند الله إلیکم تفهمونه وتعقلونه بعدما کان فی کتاب مکنون لا یمسه إلّا المطهرون، والمراد من المسّ هو العلم والإطلاع علی تقدیر کونها صفه للقرآن کما یصح علی تقدیر کونها صفه لکتاب مکنون(۲).

وتفسیر العلامه الطباطبائی فی المیزان للآیه المبارکه یتلاءم مع ما ذکرناه قبل قلیل من أنَّ هذا المقام - تنزیل الکتاب - إلیکم أیُّها البشر لأجل أنْ تفهمونه وتعقلونه وهو ظاهر ونازل وفی متناول أیدیهم وهو الطرف النازل کما فی الحدیث السابق، بعدما کان الطرف الآخر منه مستتر ومخفی عن عقولکم ومتناولکم أیُّها البشر.

تنبیه: من خلال هذا کُلِّه یُعْلَم أنَّ الله تعالی لا یُطالب البشر بالاعتقاد فقط بالمصحف الشریف، فإنَّ الاعتقاد بهذهِ الوحده یدلُّ علی عدم تمام الاعتقاد وأنَّ العقیده ناقصه، وإنَّما لابدَّ أنْ تؤمن أیُّها البشر أیُّها المسلم بمرتبه ومقام آخر للقرآن غیر مقام التنزیل وهی مرتبه ومقام الاعتقاد بأنه من عند الله وهو غیبی وبمنأی عن البشر.

۱- (۱) تفسیر التباین للشیخ الطوسی ج ۹ ص ۵۱۰.

۲- (۲) المیزان فی تفسیر القرآن ج ۱۹ ص ۱۴۳.

المقام الخامس: لوحٌ محفوظ:

وهذا المقام صرحت به الآيه المباركه من سوره البروج بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ١ ذكر الشيخ الطوسى (قدس سرّه) فى تفسير الآيه [لوح محفوظٌ] عن التغيير والتبديل والنقصان والزياده، قال مجاهد: المحفوظ أم الكتاب، وقيل أنَّه اللوح المحفوظ الذى كتب الله جميع ما كان وما يكن فيه - ذكره أنس بن مالك - أى كأنه بما ضمن الله من حفظه فى لوحٍ محفوظٍ ومَن رفعَ (محفوظ) جعله صفه القرآن، ومَن قرأه بالخفض جعله صفه للوح(١).

وذكر الآلوسى فى روح المعانى: - فى تفسير الآيه [لوح محفوظ] فى لوح: - أى كائن فى لوحٍ (محفوظٌ) أى ذلك اللوح من وصول الشياطين إليه(٢).

وذكر العلامه الطباطبائى فى ميزانه صفه هذا اللوح وأنَّ اللوح المحفوظ له طرفان طرف على يمين العرش على جبين إسرافيل فإذا تكلم الرب جلَّ ذكره بالوحى ضرب اللوح جبين إسرافيل فنظر فى اللوح فيوحى بما فى اللوح إلى جبرائيل(٣).

من خلال المقامات المتقدمه وغيرها يعلم أنَّ مقام [لوح محفوظ هو نفس معنى مكنون ومجيدٌ وكريم و... الخ ومنازل ومقامات القرآن كُلُّها مجيده ولكن أمجدها وأعلاها هو أنْ يُحْفظ عن أيدى البشر وعقولهم

١- (٢) تفسير التبيان للشيخ الطوسى ج ١٠ ص ٣٢٢.

٢- (٣) روح المعانى للآلوسى ج ٣٠ ص ٤٢٥.

٣- (٤) الميزان فى تفسير القرآن ج ٣٠ ص ٢٨٧.

وأرواحهم وأفكارهم و... الخ.

وعن جابر قال: - سألتُ أبا جعفر (عليه السلام) عن شيء فی تفسير القرآن فأجابنی ثم سألتُه ثانيةً فأجابنی بجواب آخر، فقلت جعلتُ فداك، كنتَ أجبتَ فی هذهِ المسأله بجواب آخر غير هذا قبل اليوم؟

فقال (عليه السلام) لی: يا جابر إنَّ للقرآن بطناً، وللبطن بطن وظهر، وللظهر ظهرٌ، يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إنَّ الآيه ليكون أوّلها فی شيء وآخرها فی شيء، وهو كلامٌ متصلٌ يتصرف على وجوه(۱).

وعليه لو كانت عقول وأوهام وأيدی البشر تدرك القرآن لمَّا كان مكنوناً ومحفوظاً ولما وصفه الحق تعالى بذلك.

ولعلَّ سائل يسأل لماذا هذا الاهتمام بمقامات القرآن ومنازله هل هناك سِرٌّ وراء ذلك؟ قطعاً هناك سرٌّ وحكمه بالغه من وراء ذلك الوصف المهاب العظيم كوصف القرآن بالمجيد وفی لوح محفوظ وتنزيل الكتاب وأم الكتاب و... الخ إلّا أنَّه لا تدرك عقولنا ذلك السر إلّا الله والراسخون فی العلم.

المقام السادس: لا يمسه إلا المطهرون

عبَّرت الآيه المباركه بلفظ المطهرون ولم تعبر بلفظ المتطهرون.

- الطهر - والطهور لغةً هو البليغ فی الطهاره، والطهور هو صفه

۱- (۱) تفسر العياشی ج ۱ ص ۸۷ من أبواب مقدمه التفسير من باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه ح ۸.

زائده على الطهاره بمعنى الطاهر المطهَّر، والطهاره: - شرعاً حقيقه فى رافع الحدث، والثناء والمحبه، ولها معانٍ أخرى منها: - الطهاره من الذنوب(۱).

والمتطهرون: - هو ما يشمل عموم الأمَّه إذا تطهروا وتابوا بشتى أنواع التوبه من الكف عن الأذى، والاستغفار، والإنابه أو الغُسْل أو الغَسْل أو... الخ وسواء طهاره ماديه أو معنويه أو... الخ.

المطهرون: - هو وصفٌ لأشخاص مخصوصين مُصْطَفَين نَوَّه القرآن عن أسماءهم وبيِّن أوصافهم وأنَّهم من قُرْبى النبى (صلى الله عليه و آله) ودلَّت الآيه المباركه... إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً۲

وأنهم مطهَّرون بإراده إلهيه وأنَّ القرآن لا يصل إليه إلّا مَن طهّرَه الله من الذنوب كما فى قول ابن عباس ومجاهد والضحّاك: - لا يمس الكتاب الذى فى السماء إلّا المطهرون من الذنوب(۲) والمراد بالمس هو العلم والإطلاع على تقدير كونها صفه للقرآن كما يصح على تقدير كونها صفه لكتاب مكنون.

والمراد بالطاهره: - أى الطهاره من الحدث والخبث جميعاً وقُرئ: - المطَّهِّرون بتشديد الطاء والهاء وكسر الهاء أى المتطهرون(۳) وإنَّ مطهّرون أصلها متطهرون فأدغمت التاء بالطاء فصارت مطّهِّرون - أى يَحْرُم مس كتابه القرآن على غير طهاره.

۱- (۱) مجمع البحرين، ماده طَهُر.

۲- (۳) التبيان للشيخ الطوسى ج ۹ ص ۵۱۰.

۳- (۴) الميزان فى تفسير القرآن ج ۱۹ ص ۱۴۷.

وقدْ فسّرها البعض بان [لا يمسه المطهرون] إشاره إلى الحقائق والمفاهيم العاليه فى القرآن الكريم لا يَدْركها إلّا المطهّرون، كما فى قوله تعالى ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ١ فإنَّ طهاره الروح فى طلب الحقيقه تمثل حدّاً أدنى من مستلزمات إدراك الإنسان لحقائق القرآن، وكلما كانت الطهاره والقداسه أكثر كان الإدراك لمفاهيم القرآن محتوياته بصوره أفضل.

وقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله):

«لا يَمُسُّ القرآن إلّا الطاهر»(١).

وهو اللمس المعنونى نُقل عن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنَّه قال:

«إنَّه لقرآن كريم فى كتاب مكنون، قال عند الله فى صحف مطهّره - لا يسمه إلّا المطهرون - قال المقربون»(٢).

وبعض فسَّر المطهرون إشاره إلى الملائكه المطهرين الذين لهم علم بالقرآن ونزلت بالوحى على قلب الرسول (صلى الله عليه و آله) فى مقابل قول المشركين الذين كانوا يقولون: إنَّ هذهِ الكلمات قدْ نزلت بها الشياطين على محمد (صلى الله عليه و آله)(٣).

والقرآن الكريم قدْ أفصح وبيَّن العِدْل الثانى للقرآن وهم النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) ولا تُعقل أنْ تكون الوسيله بين البشر وبين هذهِ المنازل والمقامات مُعَطَّله؛ لأنَّها لو كان مُعَطَّله فهى خلاف الحكمه الإلهيه؛ لأنَّ الحكمه والغرض من تلك المقامات هى انتفاع البشر منها، وبما أنَّ هذهِ

١- (٢) الدر المنثور ج ٩ ص ١٦٢؛ عن عبدالله بن عمر ومعاذ بن جبل، وابن حزم الانصارى عن رسول الله.

٢- (٣) المصدر السابق، ج ٦ ص ١٦٢.

٣- (٤) الأمثل فى تفسير كلام الله المنزل/الشيخ ناصر مكارم الشيرازى، دام ظله - ج ١٧-٣٢١.

المقامات غیبیه وبمنأی عن البشر فصارت الحاجه إلی الواسطه قطعیه وواجبه، وتلک الواسطه هی فقط النبی (صلی الله علیه و آله) وأهل بیت النبی (صلی الله علیه و آله) من أصحاب الکساء والذریه التسعه الأئمه المعصومین (علیهم السلام) من ذریه الحسین - علیهم أفضل الصلاه والسلام.

الخلاصه: إنَّه من الواضح عدم إراده القرآن فی وجوده فی رسم المصحف الشریف، بل المراد من الوجود وجوداً أسمی مکنوناً، محفوظاً فی لوح غیبی لا یناله ولا یصل إلیه إلّا مَن کان علی ارتباط بذلک الغیب واطّلاع بالمغیبات، وهذا الوجود للقرآن لیس فیه متشابه؛ لأنَّ المتشابه وصف للقرین المنزل أی فی وجوده النازل علی صوره آیات وسور ومنه محکم، وإلّا فهو فی وجوده الغیبی کتابٌ علم مُبَیَّن وهذا سبب کون القرآن بتمامه آیاتٌ بینات فی صدور الذین أوتوا العلم حیث أنَّهم مطهرون یطلعون علی الوجود الأرفع للقرآن أی الغیبی وهو معنی مَسَّهم للکتاب المکنون(۱).

المقام السابع: قرآن کریمٌ:

اشاره

وهذا المقام امتداد للمقامات السابقه للقرآن الکریم، وهذا المقام یُعْطی للمصحف مَنْزِل ومقام متمیز، من أنَّ کل الذی تلوناه علیکم فی جمیع سوره القرآن الکریم (۱۱۴) مئه وأربعه عشر سوره وما یَقرب من (۶۵۰۰) سته آلاف آیه وخمسمائه، من أنَّه قرآنٌ تفرقون به بین الحق والباطل و (کریم) فالکریم هو الذی من شأنه أنَّ یُعطی الخیر الکثیر بالأدله التی تؤدی إلی الحق فی الدین کان کریماً علی حقیقه معنی الکریم، لا

۱- (۱) الإمامه الإلهیه ج ۲ ص ۹۱.

على التشبيه بطريق المجاز، والكريم فى صفات الله من الصفات النفسيه التى يجوز فيها لم يزل كريماً؛ لأنَّ حقيقته تقتضى ذلك من جهه أنَّ الكريم الذى من شأنه أنْ يُعطى الخير الكثير، فلما كان القادر على التكرم هو الذى لا يمنعه مانع من شأنه أنَّ يُعطى الخير الكثير صح أنْ يُقال: - أنَّه لم يزل كريماً(١).

وذكر الآلوسى فى تفسيره أنَّ معنى كون القرآن كريماً: - أنَّه حسنٌ مَرْضىٌ فى جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع وكيف لا وقدْ اشتمل على أصول العلوم المهمه فى إصلاح المعاش والمعاد(٢).

ووصف القرآن ب - (الكريم) إشاره للجمال الظاهرى للقرآن من حيث الفصاحه وبلاغه الألفاظ والجمل، وكذلك فإنَّها إشاره لمحتواه الرائع؛ لأنَّه نزل من قبل مبدأ ومنشأ كُلَّه كمال وجمال ولطف.

نعم، إنَّ القرآن كريم وقائله كريم ومَن جاء به كذلك، وأهدافه كريمه أيضاً(٣) وهذا المقام للقرآن مقامٌ متميز ويريد أنْ يكرمه بكرامه أعظم من المصحف الشريف وإنْ كان المصحف الشريف كريم وعظيم، إلّا أنَّ هناك الأعظم درجه وكرامه.

وهناك مقامات أُخرى كثيره ستأتى إنْ شاء الله تعالى.

والمستفاد من ذكر هذهِ المقامات هو أنَّ القرآن أراد أنْ يُركِّز على قضيه

١- (١) التبيان فى تفسير القرآن ج ٩ ص ٥٠٩ و ٥١٠.

٢- (٢) روح المعانى ج ٢٧ ص ٢١٧.

٣- (٣) تفسير الأمثل ج ١٧ ص ٣٢٠.

مهمه جداً وهى أنكم أيُّها البشر لا تتوهمون بأنه برحله النبى (صلى الله عليه و آله) قدْ انقطعتم عن الغيب والسماء وأنَّ الحبل قدْ انقطع بين البشر وبين تلك المقامات الغيبيه، كلا ثم كلا، وحَذّر القرآن من ذلك أشد تحذير.

وإنَّ الاتصال مع الغيب موجود بواسطه أناس (قدرهم وأمكنهم الله على مَسِّ القرآن بقوله تعالى: وهم النبى (صلى الله عليه و آله) والعتره المعصومين (عليهم السلام).

تساؤلات فى استخلا ص نتيجه البحث:

بعد استعراض بعض منازل ومقامات القرآن يوجد تساؤل وهو أنَّ القرآن إذا كان ذو منازل ومقامات مختلفه فكيف تكون حجيتها متساويه وكلها حجه، فمثلاً كيف تكون حجيه المصحف النازل وهو تنزيل الكتاب بنفس نمط حجيه الكتاب المكنون واللوح المحفوظ والكتاب المبين وأم الكتاب و... الخ من منازل ومقامات للقرآن؟

وسيتضح الجواب من خلال عرض بعض الأدله والمطالب التاليه إنْ شاء الله تعالى.

الدليل الرابع: (المعلم الرابع) حجيه الظاهر حجيه معيّه بين الكتاب والسنه:

أولاً: المقدمه وبيان مضمون الدليل الرابع:

الإحاطه بظاهر القرآن ليس من نصيب البشر - كما مَرَّ - إلّا بإعانه مَن نَصَّبَهم الله تعالى وهم معلمون للبشر: النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) وليس المراد

هنا أنْ ننفى مطلق درجات القدره للإحاطه بالظاهر وإنَّما نريد أنْ ننفى القدره المطلقه التى باستطاعه النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) المنصبون من قبل الله تعالى الهدايه وتعليم البشر، ذلك المنهاج الذى يرسمه نفس القرآن الكريم وأنَّه لم طرفان: -

طرفٌ نازلٌ عند الناس، وطرف عند الله، ولا يمكن للبشر الوصول إلى الطرف الذى عند الله إلّا بوساطه مُعَلِّم إلهى؛ لأنَّه من الواضح اختلاف الطرفين فإنَّ الطرف الذى عند الله تعالى طرفٌ غيبى ملكوتى، وهذا ليس عند عامّه الناس وإنَّما عند الراسخون فى العلم، ولا يعنى هذا تعطيل الطرف الذى عند الناس، وإنَّما الطرف الذى عند الناس حجيته قائمه عند الناس وليس هذا معناه تعطيل الكتاب.

إذنْ حجيه الظاهر بل حتَّى حجيه القرآن لابدَّ أنْ تكون حجيه معيّه مع ثقل العتره، وهذا هو المبنى الذى التزم به متكلمو الإماميه وعلماء أصول الفقه الإمامى من أنَّ القرآن حجه، كما أنَّ السُّنه المطهره للمعصومين حجه أيضاً.

وهذا معناه أنَّه لا يصح أنْ نحتج بالكتاب وحده، بل لابدَّ من عدم افتراقه فى الاستنباط والاستظهار عن حجيّه السُّنه.

إذنْ ذهبت الإماميه إلى أنَّ حجيه الظاهر حجيّه معيّه بين الكتاب والسنه وليست حجيه مستقله كلٌّ عن الآخر.

ثانياً: البيان البرهانى للمعلم الرابع:

(الإحاطه بظاهر سور وآيات القرآن ليس بمقدور البشر)

الذى التزم به هؤلاء الأعلام أنَّ الظاهر بنفسه ليس من قُدْره البشر

ص:١١٢

الإحاطه والاستحواذ عليه برمته، تَقدَّم أنَّه ليس بمقدور البشر أنْ يحيط بسور الظاهر - إنْ صح التعبير - نعم الإحاطه ببعض الظاهر هو فى متناول يد البشر، وليس مرادنا نفى درجات مطلق القدره؛ لأنَّه فى الجمله يمكن الإحاطه ببعض الظاهر.

وإنَّما المراد نفى القدره المطلقه أى الإحاطه التامه الشامله للظاهر وحيث لا تكون الإحاطه التامَّه به (الظاهر) - كما مَرَّ - فإنَّه حينئذٍ لا يمكن للبشر أنَّ ينفردوا وينعزلوا بالأخذ من ظاهر القرآن والتمسُّك به من دون مُمْسِك وحافظ آخر لتمسكهم بالكتاب وهو العتره - أى الثقل الثانى.

إلفات نظر: لا تلازم بين أصل حجيه الكتاب - أنَّه غير معطل وبين استقلال الحجيّه.

إشكال على المدرسه الإماميّه: أحد إشكالات المدارس الإسلاميه على مسلك المدرسه الإماميه، إنَّكم إذا قرنتم أو اشترطتم - أيُّها الإماميه - العتره هنا فهذا معناه إنكم أفقدتم الكتاب الحجيه - وهذا - والعياذ بالله محذور عظيم يؤول إلى تعطيل الكتاب لا إلى حجيته، وإنَّكم حصرتم حجيه الكتاب بما ستبينه العتره وإلّا فلا.

الجواب: فى هذا الإشكال أو المدعى خلطٌ بين أصل الحجيه لشىء وبين كونه حجه مستقله فهو شىء آخر.

وهناك أمثله كثيره تدلُّ على الحجيه المعيه لا المستقله - نذكر بعضها: -

المثال الأوَّل: كيف نتصور معيّه حجيه أنبياء الله تعالى مِن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى إلى سيد الأنبياء محمد (صلى الله عليه و آله)، علماً أنَّ كل واحدٍ

من هؤلاء (عليهم السلام) حجه مستقله، وكذا الأئمه الأثنى عشر (عليهم السلام) ليس حجيه كل واحد منهم مستقله وإنَّما حجيه معيه، أى أنَّ النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) أو الإمام الأسبق حجه بمعيه اللاحق وهكذا.

المثال الثانى: آيات القرآن التى تبلغ أكثر من سته آلاف آيه، وفضلاً عن سوره المائه وأربعه عشر سوره، أيضاً هى الأُخرى حجيه كل آيه وكل سوره حجيه معيّه لا- حجيه مستقله؛ لأنَّ القرآن فيه عام وخاص، ومطلق ومقيد، ومجمل ومُبين، ومحكم ومتشابه و... الخ.

وهذا بعضه مرتبط مع البعض الآخر، وعليه فتكون حجيته حجيه معيه لا حجيه مستقله.

لذا نجد كثير من الفرق الإسلاميه - كما تقدم - تولّدت ونشأت واختلفت وزاغت عن وحده الصراط المستقيم بسبب أنَّها أخذت بباب فى الدين وتركت آخر، أو أخذت بمجموعه أبواب وتركت أُخرى؛ لأنَّه مَرَّ فى المعلم الأوَّل - إنَّ الدين عباره عن وحده نظام أى رابطه مُنسِقَه بين مجموعه أجزاء ليست مبعثره.

القرآن بكل آياته وسوره حجه مرتبطه بعضها مع البعض الآخر ولا يمكن أنْ تكون مشتته وحجج مستقله لا ترتبط بعضها مع البعض الآخر.

وهذا أيضاً يُعتبر أحد الأدله على أمومه المحكمات وأنَّ الدين فيه وحده نظام.

المثال الثالث: ما ذكره علماء الأصول فى كتاب الحجج من أنَّ الكتاب

والسنه والعقل والإجماع أو الثلاثه الأول ورجوع الإجماع إلى الكتاب والسنه، أيضاً توجد وحده نظام وارتباط عضوى فيما بينها مرتبطه بالمركز.

وعليه فحجيه كل واحدٍ ليست مستقله وإنَّما حجيّه معيّه.

ثالثاً: بعض المؤاخذات التى تسجل على أصحاب منهج تفسير القرآن بالقرآن:

اشاره

قبل ذكر بعض أهم المؤاخذات التى تُسجَل على أصحاب منهج تفسير القرآن بالقرآن وإنْ لم يكن هو محل كلامنا وبحثنا إلّا أنَّه تعرضنا له استطراداً من باب بيان بعض الفوارق بين ما نحن فيه ومحل كلامنا فى المعلم الرابع وهو - حجيه الظاهر حجيه معيّه بين الكتاب والسنه - وبين باقى المناهج التفسيريه الأُخرى(۱) وهى:

غرضنا التنبيه على هذهِ الزوايا المهمه الناتجه من اتباع منهج تفسير القرآن بالقرآن وليس الغرض الإخلال بمقام وجلاله أصحاب هذا المنهج وجهودهم العظيمه التى تفتخر الطائفه الحقه أتباع مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) بتلك الجهود ولولاها لاندثرت كثير من القواعد والأمور المهمه.

وإنَّما هذا بحث علمى وانطلاقاً من مضمون كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ووصيته:

«يا مؤمن إنَّ هذا العلم والأدب ثمن نفسك فاجتهد فى تعلمها فما يزيد من علمك وأدبك يزيد فى ثمنك وقدرك، فإنَّ بالعلم تهتدى إلى ربك،

۱- (۱) إلفات نظر: ليس الفرض من ذكر هذهِ المؤاخذات سواء على منهج تفسير القرآن بالقرآن أم باقى المناهج التفسيريه الأُخرى، استقصاءً لمنهجهم وباقى المناهج التفسيريه الأُخرى، كلا، ولكن بما أنَّ البحث هو استعراض منهج أمومه المحكمات القائل بأنَّ صياغه المعيه بين الكتاب والعتره الطاهره المتمثله بالسنه فى كل خطوه خطوه ولبنه لبنه بأنَّ لا يفترق القرآن عن العتره ولا العتره عن القرآن انطلاقاً من حديث النبى «... إنِّى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترى أهل بيتى.. لن يفترقا حتَّى يردا علىَّ الحوض...».

وبالأدب تُحْسِن خدمه ربک، وبأدب الخدمه یستوجب العبد ولایته وقربه، فاقبل النصیحه کی تنجو من العذاب»(۱) والمعروف عند أصحاب أهل الفن والتحقیق والتدقیق أنَّ حاله النقد لا تستلزم - و العیاذ بالله - إساءه الأدب إلی مقام وجهود العلماء الأبرار مع شکرنا لمساعیهم الکبیره والعظیمه التی أنجزوها، ولکن هذا لا یُنافی طبیعه تکامل البشر بحیث یلتفتوا إلی جوانب النقص وأنَّ الکمال لله عز اسمه ومن بعده لعباده المکرمین المعصومین علیهم أفضل الصلاه والسالم والعصمه لأهلها.

إلّا أنَّ طبیعه مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) وأتباعهم لیس سد باب الاجتهاد - سواء علی المصوِّبه - أو المخطئه أیضاً وإنَّما تفتح المجال للفکر الحر الموزون لأجل تطویر عملیه التکامل فمثلاً: - الجهود التی یبذلها العلامه السید محمد حسین الطباطبائی (رحمه الله) أحد علمائنا الأبرار ومن مفخره علماء أتباع مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) مشکورٌ علیها ولله درُّه فی ذلک فی تألیف وتفسیر کتابه الموسوم بتفسیر المیزان الذی طُبع بلغات عِدَّه منها فضلاً عن العربیه والانکلیزیه والفرنسیه والفارسیه و... الخ والذی یعتبر مصدر ومرجع فی کثیر من الأندیه العلمیه والأدبیه والأکادیمیه حتَّی من قبل أندیه إخواننا أهل السنه فی البلاد العربیه وغیرها، بل حتَّی فی حواضرهم العلمیه قُرِّرَت بعض تفاسیر أتباع مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) أمثال التبیان للشیخ الطوسی، ومجمع البیان للشیخ الطبرسی (قدس سرهما) هذا من جهه.

۱- (۱) مشکاه الأنوار للشیخ علی الطبرسی، ص ۲۳۹؛ بحار الأنوار للمجلسی، ح ۱، ص ۱۸۰، ح ۶۴..

وعمليه تطوير البحث وتعميقه للوصول والاقتراب أكثر من العتره والقرآن جهه أخرى، ولا يعنى هذا وجود تصادم وتنافى بين الأمرين والجهتين أبداً عند من يتعمق ويُحلل ويبحث فى النكات العلميه ومَن كانت لديه المهنيه العلميه والإنصاف فى التحقيق.

أولاً: إنَّ أصحاب هذا المنهج - تفسير القرآن بالقرآن - لا يتمكن المفسر الإحاطه بكل شى، أو لا أقل الإحاطه بأوفر عدد ممكن من المعلومات فى هذا المجال.

ثانياً: لا يستطيع أصحاب هذا المنهج أنْ يبلغوا كل غايات وغور أعماق آيات القرآن.

ثالثاً: خطوره هذا المنهج تكمن فى أنَّ بعض أصحاب هذا المنهج فى هذا اليوم وصل بهم الأمر فى تصورهم أنَّ السنه الشريفه - النبى وأهل بيته (عليهم السلام) لا دور لها فى تفسير القرآن - والعياذ بالله - وهذا تمادى وتترتب عليه نتائج خطيره جداً، ومَن قال لك إنَّك أقدرت الإحاطه بالقرآن.

رابعاً: - مَرَّ فى المعلم الأوَّل أنَّ المُعَلِّم الأوَّل للقرآن بعد الله عَزَّ وَجَلَّ هو النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته الذى صَرَّح به البارى عزَّ اسمه.

وبعض أصحاب هذا المنهج - أى منهج تفسير القرآن بالقرآن - صار فى تدافع مع بيانات القرآن الكريم (يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ١ وأنَّ تفسير القرآن بسنه النبى (صلى الله عليه و آله) تأتى بالدرجه الثانيه والتحتانيه بعد منهج تفسير القرآن بالقرآن، وهذا الامر فى معرفه نظام خريطه الحجج له أبعاده

الخطیره، فإنَّ معرفه نظام الحجج ومراتبه أمرٌ خطیر فی المعرفه الدینیه، بل حتَّی فی منهج تفسیر أمومه المحکمات أو منهج ولایه أهل البیت فی تفسیر القرآن، والقرآن الکریم أکَّد علی منهج أمومه المحکمات بشکل جذری ومصیری علی طبقات نظام الحجج کما فی الآیه هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ۱ وهذا التأکید من القرآن یبین أهمیه جدوی الحذر من الوقوع فی فتنه عقائدیه مذهبیه أو دیانیّه.

وهذا یکشف عن التطابق بین الحدیث القرآنی... مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ وبین الحدیث النبوی حدیث الثقلین، واللذان یدلان علی شیء واحد وهو: - ألا تریدون عاصماً لکم من الفتنه ومن الزیغ، فعلیکم بشیئین هما: -

۱ - المحکمات من الآیات.

۲ - الراسخون فی العلم الذین یتلقون من المعلِّم الأوَّل وهو الله تعالی والراسخون فی العلم.

وعلیه فیا أصحاب منهج تفسیر القرآن بالقرآن أین حدیث معیَّه الثقلین الذی نادی به رسول الله (صلی الله علیه و آله) فی أعلی صوته

«... لن یفترقا حتَّی یردا علیَّ الحوض» وما تعنیه کلمه (حتَّی) بلاغیاً ونحویاً واشتقاقیاً و... الخ.

خامساً: بعض أصحاب هذا المنهج جعل تفسیر الصحابه للقرآن فی مقام وعَرض تفسیر أهل البیت (علیهم السلام)، وهذا أمر تترتب علیه نتائج خطیره جداً.

سادساً: ومن سلبیات منهج تفسر القرآن بالقرآن إنکار الجانب الإیجابی لمنهج تفسیر أمومه المحکمات الذی أحد معالمه کما مَرَّ فی المعلم

الثالث من أنَّ للقرآن عدَّه منازل ومقامات غيبيّه مثل: - مقام أم الكتاب، ومقام الكتاب المبين، ومقام الكتاب المكنون، وتنزيل الكتاب، ولوحٍ محفوظ، ولا يمسّه إلّا المطهرون، وقرآن كريم... الخ. فإنَّ هذا المنهج ينكر تلك المنازل الغيبيه للقرآن.

وعليه نسأل أصحاب منهج تفسير القرآن بالقرآن هل أنَّ كل المنازل الغيبيه فى القرآن هى فى متداول يَدِّ الفهم أم أنَّها تحتاج إلى وسيط ومُعَلِّم؟

الجواب:

أولاً: بالنفى وإنه قطعاً ليس كل المنازل الغيبيه فى القرآن فى متناول يد الفهم.

ثانياً: نقطع ونجزم بالاحتياج إلى المعلِّم والوسيط بيننا وبين الغيب حتَّى يعلمنا ويفهمنا بعض تلك المقامات والمنازل لصريح القرآن بأنَّه كتاب [عربى فُصِّلَتْ آياته] وبيّنت بلسان قومه، وعليه فماذا تقولون يا أصحاب منهج تفسير القرآن بالقرآن فى مثل هذهِ الآيات، ويجب علنيا أنْ نؤمن بكل الكتاب لا أنْ نؤمن ببعض ونكفر بالبعض الآخر، والعياذ بالله.

ومن الواضح أنَّ هذهِ المقامات والمنازل الغيبيّه هى مُؤثِره فى تفسير القرآن، كذلك يتعاض هذا المنهج مع المعلِّم الآخر من منهج أمومه المحكمات القائل: وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْم وعلى هذا فمن يستطيع غير النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) أنْ يدَّعى أنَّه قد أحاط بتأويل الكتاب كُلَّهُ وليسَ الغرض التهويل فى تفسير التنزيل والتأويل، وسيأتى فى محله - إنْ شاء الله تعالى - بيان دور تأثير التأويل فى منهج التفسير، ولكن للأسف

المفسرون فی غفله عن هذا الذی طالما أکّدت روایات أهل البیت (علیهم السلام) علیه.

تنبیه: منهج تفسیر القرآن بالقرآن من التفاسیر المهمه ولابدَّ أنْ نقف عنده ملیًّا وکثیراًن وإنَّما تعرضنا لذکر هذهِ المؤاخذه علی هذا المنهج، والآن بمناسبه التعرض إلی المعلم الرابع - حجیّه الظاهر حجه معیّه - تعرضنا له، وإلّا بحثه یأتی إنْ شاء الله تعالی، وسنقف بما یتلاءم والمقام.

ثمره المعلم الرابع:

أحد ثمرات هذا المعلم المهم هو التفرقه بین الحجیه المستقله والحجیه المعیّه ودرجاتها: -

الحجیه المستقله: - وهی الحجیه التی لا تتقدم علیها حجه ولا تنقض حجه أُخری منها أی مقدار کما فی حاله التقیید التخصیص، کما أنَّ الاعتماد علیها لا یقوم علی حجه أُخری، وقدْ تطلق الحجه المستقله علی الاستقلال النسبی للدلیل وهی الحجه التی لولا وجود حجه أقوی منها سواء بنحو التخصیص أو التقیید أو غیر ذلک من أقوائیه الحجه الأُخری لولا وجود حجه أقوی لعُمِل بها.

الحجیه المعیّه: وهو الدلیل الذی یعتمد علیه فی نفسه ولکن تکون حجیته اقتضائیه مشروطه بعدم حجه أُخری لا مساویه ولا أقوی منها فإذا وجدت حجه مساویه لها کان المحصَّل من الحجیه مجموع الدلیلین بنحو توفیقی وتولیفی.

درجات المعیّه: وحیث إنَّ الحجج ذات مراتب طولیّه فی القوّه والضعف وبالتالی فی التقدیم والتأخیر فمنه یتولد درجات فی المعیّه بین

الحجج بحسب العرضيه والطوليه بينها.

والنزاع فی مدرسه الإمامیه بین الأصولیّه والإخباریّه مضی علیه قرون وهو فی حقیقته یرجع إلی تصدیر الحجیّه المعیّه بین الکتاب والسنه، ولکن بأی مفاد؟

هل بمفاد أننا نتمسک فقط بسُنه النبی (صلی الله علیه و آله) وأهل بیته ونستغنی بها عن القرآن - والعیاذ بالله -

وهذا أحد الإشکالات التی سُجِّلتْ علی المدرسه الإخباریّه الذی نتیجته تؤدی إلی تعطیل الکتاب ولا نستفید ولا نستهدی بالرجوع إلی بیانات وأنوار آیات الکتاب تحت ذریعه أنَّ القرآن مختص بمن خوطب به ولا یفهمه إلّا النبی (صلی الله علیه و آله) وأهل بیته هذا من جانب.

ومن جانب آخر یقول البعض: - إنَّ الکتاب حجه وهو الأصل وهذا معناه بالتالی أنَّ السُنّه لا دور لا تحت ذریعه أنَّ الأحادیث ضعیفه، وأنَّ المجامیع الحدیثیه کُلِّها أو أغلبها موضوعه - والعیاذ بالله - وهؤلاء بمختلف ألوانهم سواء إسلامیون أو علمانیون أو مدارس مختلفه من الاتجاهات الفکریه ذات ألوان عدیده تحت شعارات لیست مُزیَّفه کما یدّعون وأنَّ لکل واحد منها مبرر فکری.

وهناک قسم ثالث یقول: - العقل هو المدار فما وافق العقل من الکتاب والسُنَّه نأخذ به، وعجباً لهؤلاء الذین یستذوقون ویستحلون ما وافق العقل البشری المحدود وما نفر منه العقل البشری تنفر منه، وعلیه فی هذهِ الموازنه بین عقل بشری محدود وبین مَن خالف العقل وهو الحق،

وهـذه جدليّه ليست سـهله، وهذه عقول أكابر علماء عبر قرون ولم يَجُل فكرهم فى تسـليط الأضواء على بيان كيفيه تصوير النزاع فى الحُجيّه المعيّه المتقدمه.

ص:١٢٢

الفصل الثالث: المنهجیه والمناهج فی التفسیر

اشاره

ص:۱۲۳

المقام الأول: المنهجيه فى التفسير

اشاره

*أهميه وضع المنهجه.

*ثلاثه عوامل أساسيه فى بحوث علم التفسير.

*بدايه علم التفسير.

*بدايه البحث التفسيرى.

*توضيح للأمومه.

*ما هو نوع الصله بين فقه الفروع والعقائد.

*هيمنه العقائد على فقه الفروع.

*تطبيق منهج الأمومه والهيمنه وطبقاتها على مثل بحث الولايه.

أهميه وضع المنهجه:

إنَّ البحث فى وضع الأسس ورسم المنهجيه من الأمور البالغه الأهميه فى أى علم من العلوم؛ لأنَّ البحث فى أىّ علم لا على ضوء المنهاج أو القواعد والأسس والأصول مهما كان سوف يسير على غير بصيره فى البحث فى المنهجيه. فكيف بك فى علوم القرآن الذى يكون البحث فيها مُفَصَّلاً ومُعَمَّقاً، وهذا التفصيل يحتاج إلى وضع منهج وتشجير المعلومات قبل الولوج (الخوض فى خضم ذلك العلم) لأنَّه حينئذٍ الساكن فيه ساكن فى سفينه يعلم أنَّ البوصله فيها إلى أين تتجه به والامواج... الخ.

ليسَ هذا مختصاً بعلوم القرآن فحسب، كذلك فى علم الرجال إذا

توقف فی القواعد سوف تکون أکثر بصیره فی المباحث الرجالیّه من أنْ تخوض بها من غیر تدقیق ومنهجه.

وهکذا علم الفقه والاصول، وقواعد علم التأریخ، والعلوم الأدبیه...

وعلیه فالبحث فی القواعد والمنهجیه أمرٌ مثمرٌ یُعطی انضباط میزان منهجیه نظم وانتظام وتسلسل متواصل ومتوافق بشکل طبیعی وانسیابی منسق.

ولذا یمکن لأی طالب علم أو باحث أنْ یستعلم هذهِ الأهمیه بطریقه أُخری وهی أنَّه لو تَعَقَّد البحث لدیک فی مسأله من المسائل العلمیّه حاول أنْ تلتفت وتنظر لعلَّ الصعوبه فی المسأله ولیدهٌ عن عدم وضوح قاعده منهجیه معینه هی توجب حل العقده فی تلک المسأله..

ولا ندعی أنَّ البحث فی مسائل العلوم هو البحث المنهجی والقواعدی والأصولی هو کل شیء... کلا

إنَّما جانب إلمام المواد وجمعها أیضاً هو شیء له أهمیّه، وإلّا لا یمکن تحصیل اتقان صناعی منهجی قواعدی نظامی بلا مواد، مثله مثل الهندسه بلا مواد للبناء فإنَّه غیر ممکن.

ثلاثه عوامل أساسیه فی بحوث علم التفسیر

اشاره

إنَّ بحوث علم التفسیر من أصول وقواعد یمتزج فیها عاملان مؤثران وهما:

العامل الأوَّل: البحوث الأصولیه:

یعتبر علم الأصول من العلوم ذات المرتبه العالیه والمتقدمه، وله دخاله

فى كل العلوم الدينيه المترامیه الأطراف، والذى يتكفَّل بتأصيل أصول متينه وقويه الثبات والمنهجيه هو علم الأصول.

وإنْ كان من الخطأ، أو المسامحه فى التعبير حصـر الأصول بفقه الفروع، كلا، بلْ إنَّ علم الأصول علم مهنى يُهنـدِس المنهجه فى العلوم الإسلاميه والدينيه كافه؛ لذا أجرينا هذا التعديل فى بحث الأصول، وقلنا هناك: -

إنَّ علم أصول فقه الـدين بأكمله لا فقه الفروع فقط، بلْ فقه التفسـير، وفقه العقائـد والسـيره والتاريـخ الـدينى، وفقه الرجال، وفقه الآداب، والحديث والأخلاق... الخ.

وعليه يكون من الغفله بمكان إذا أجرينا على ما جرى عليه الأوائل من حصر علم أصول الفقه فى خصوص علم الفروع.

ولـذا لأجل البصـيره عنـد الخوض فى قواعـد علم التفسـير وأصوله، إذا أردتَ أنَّ تُقَلِّدَ مُفَسِّراً ما فلابـدَّ أنْ تتحرى عن كم ومَدَى الثبات المنهجى عند ذلك المُفسِّر، وكم هو الصواب المنهجى عنده، فإذا كنت مُتَضَلِّعاً فى بحوث منهج التفسير وقواعدِهِ وأصوله فتكون بصيرتُك نافِذَه.

وهذا شبيه ما قاله الأصوليون: - كُلَّما تُبصِّر وتتقوى وتتطور وتتضلع فى علم الأصول - أصول الفقه - كلما تَقْوَى على هندستك وصناعتك فى علم الفقه.

ومن خلال هذهِ المقدمه يتضح أنَّ علم الأصول له اليد الطولى وله الدخاله فى كل علم من العلوم الدينيه.

والشاهد على ذلك: إنَّ قواعد علم التفسير، وكذا قواعد علم السيره

والأخلاق، وكـذا قواعـد علم السير والسـلوك والعرفان، وقواعـد بقيه العلوم الـدينيه الأخرى، لا يمكن أنْ تُهذب وتؤطر، وتُقَعِدَ قواعد بقيه تلك العلوم إلّا بموازين بُحثت فى علم الأصول.

وهذهِ ليست مجرد دعوى، بلْ مشـفوعه بالدليل، باعتبار أنَّ العلوم الدينيه هى المعرفه الدينيه والفهم الدينى، كما دلَّت على ذلك الآيه المباركه فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ١.

بتقريـب: أنَّ الآـيه قـالت (ليتفقـوا) أى ليفهمـوا وهى مطلقـه، ولم تُقيـد بفهم الفروع فحسب، وإنَّمـا بإطلاقهـا تشـمل كـل العلـوم والمعارف الدينيه.

والسـبب فى هـذهِ التوسـعه: هو أنَّ المعرفه الدينيه تسـتند على الحجيّه الشـرعيه والعقليّه معاً لا على أحدهما دون الآخر، بلْ تعتمد على الحجيه الفطريه، بلْ على الحجيه الوحيائيّه، والـذى يضـبط وُيصـحِح ويُسدد معرفه الحجيه الشـرعيّه عن غير الشـرعيه هو علم الأصول.

لـذا نجـد أصـحاب التخصـصات فى العلوم الـدينيه المختلفه عنـدما يُـدونون قواعـد تلك العلوم فإنَّهم مضـطرون لإقحام مباحث أصوليه فى تلك القواعد.

فلو لاحظنا مثلاً كتب المتكلمين وما فيها من القواعد الكلاميه المُمَهِدَه للاسـتنباط فى علم الكلام أمثال ما صـنعه جمله من أعلام الشيعه وفضلاؤها كالشيخ الصدوق (رحمه الله) فى اعتقاداته، والشيخ المفيد والسيد

المرتضى و... الخ من المتقدمين، وكذا ما صنعه العلامه الحلى فى نهايه المرام فى علم الكلام و... انتهاءاً بما ردَّ به الشيخ محمد حسن المظفر فى دلائل الصدق لنهج الحق فى الرد على الفضل ابن روزبهان وغيره من الذين أثروا المكتبه الكلاميه الشيعيه بالمصنفات والشروحات العاليه المضامين.

فنلاحظ هذهِ الكتب أنَّها مملوءه بمباحث من علم الأصول، كمباحث الحجه، والشك فى الحجيّه، وبيان مراتب الحجيه... ونظام الحجيه ما هو... الخ كذلك إذا لاحظنا قواعد علم التفسير فى جمله من مصادرها حتّى فى العلوم القرآنيه، كما فى كتاب الاتقان للسيوطى فى علم التفسير، أو كتاب العلوم القرآنيه للزركشى أو غيرها.

فنلاحظ كل مُفَسِّر فى بدايه تفسيره يكتب قواعد علم التفسير فى المجلد الأوَّل، فتلك القواعد لا يمكن أنْ تتجاوز وتتخطى المباحث الأصوليه حتّى توظفها فى مواد ذلك العلم، فإنْ كانت موادّ فى علم الكلام، فكلاميه وإنْ كانت من التفسير فتفسيريه، وإنْ كانت فى العرفان فعرفانيه، وإنْ كانت فى علم الرجال فرجاليه تحتاج إلى بحث التوثيق، وما هو ضابطه، وهل التوثيق حجه أو لا؟ وكذا بيان مراتب حجيه التوثيق، وما هى دلاله كل أماره، وكم عدد الأمارات، كل هذا يبحث فى علم الأصول.

وعليه فالباحث فى علم الرجال مثلاً ـ ليست كل مباحثه رجاليه محضه، ولا أصوليه محضه وإنَّما هو مزج بين الطرفين، فلا يكون الإنسان رجالياً نحريراً بلحاظ إلمامه بمواد رجاليه غزيره، إلّا أنَّه لا بصيره له فى علم الأصول، فحينئذٍ تكون النتائج خاطئه جداً لأنَّه لا يوازن بين المواد،

وكيف يخرج بنتيجه التوثيق أو بنتيجه الجرح، بخلاف ما إذا كانت له إلمامه أصوليه قويه، فإنَّه يكون ذو بصيره رجاليه نفّاذه ثاقبه، ولكن الجانب الأصولى لوحده من دون تبحر فى المواد الرجاليه لا ينفع ويصير كالهندسه فى أرض جرداء قاحله.

وعليه فلابدَّ من ممارسه الإلمام بالمواد الرجاليه شيئاً فشيء ويوماً بعد يوم إلى أنْ يتضلع ويتبحر فيها.

وكذا فى بحوث السيره النبويه، أو سيره المعصومين (عليهم السلام) وكذا فى كتابه وتدوين السيره، وهذهِ الظواهر العلميه فى العلوم لا تأتى صدفه، كذلك الحاجه بالنسبه إلى علم التفسير، فالكلام هو الكلام، ومتى يكون المُفسِّر أقدر وأجدر وأكفأ؟

يكون كذلك عندما ينهض له جناحان قويان، قد ينهض فيه جناحٌ قويٌ، والآخر ضعيفٌ.

النتيجه: تكون مجموع نسبى متأثره فكلما اشتد المُفسِّر جداره وقوه فى علم الأصول، كلما صار أدق منهجه فى علم التفسير.

العامل الثانى: وفره إطلاع المُفسِّر على مواد التفسير:

كإلمامه بتأريخ جمع القرآن وبالسور والآيات وأحكام الناسخ والمنسوخ... الخ.

وعليه:

كلما كان إلمام المفُسِّر بالمواد التفسيريه أكبر كان تنظيره وقولبته وتفعيله لقواعد علم التفسير أضلع، ولا يكون ذلك إلّا بضم هذين

العاملين – البحث الأصولى مضافاً إلى الإلمام بالمواد التفسيريه.

فمثلاً عند ملاحظه كتاب البيان للسيد الخوئى (قدس سرّه) فى تفسير القرآن نجده (قدس سرّه) كتب قواعد علم التفسير كمدخل إلى قواعد أصول التفسير وإنْ لم يستوفها كلها وأعطى نبذه يسيره عن تلك القواعِد، وأقحم (قدس سرّه) المباحث الأصوليه علماً أنَّ البحوث التى اضطر إلى تنقيحها وتحريرها هل هى تفسيريه محضه أم أصوليه محضه؟

بالتالى لابدَّ أنْ تمتزج المواد التفسيريه المترامیه الأطراف بالمباحث الأصوليه.

الخلاصه: الذى ذكرناه من العاملين يجب أنْ يَطَّلع عليها الإنسان إذا أراد أنْ يكون مُفَسِّراً ناجحاً والخوض فى مباحث علم التفسير، والمفسر الناجح هو الذى يجعل موازنةً بين العاملين السابقين لا أنَّه يُراعى أحدهما دون الآخر.

العامل الثالث: القرآن ذ و منازل:

من أمهات الطبقه الأولى لأصول التفسير التى يرسمها القرآن الكريم وأهل البيت (عليهم السلام) هو وضع المفُسِّر نصب عينيه هذهِ الحقيقه من أنَّ القرآن الكريم ذو منازل ومقامات صرحت به آيات القرآن – كما مرَّ تفصيله بالفصل الثانى.

بدايه علم التفسير

مَرَّ علم التفسير بمراحل شبيهه بالمراحل التى مرَّ بها الفقه – فقه الفروع – فمثلما لم يكن فى بدايه علم الفقه شىءٌ اسمه علم الأصول – أصول الفقه – وإنَّما الأئمه أشاروا إليه – عن أحمد بن أبى نصر، عن الرضا (عليه السلام)،

قال:

«علينا إلقاء الأصول إليكم وعليكم التفريع»(۱).

وكون هـذا أصل وباب ينفتـح من ألف باب، هـذهِ التعبيرات وغيرها عنهم (عليهم السـلام) منذ زمن أمير المؤمنين (عليه السـلام) مؤسـس كل العلوم الإسـلاميه باعتبار أنَّه (عليه السـلام) أوتى جوامع العلم، إلى أنْ أتى حفيده الإمام الباقر (عليه السـلام) والإمام الصادق (عليه السـلام) ثم كتب فى ذلك زراره وهشام بن الحكم قبل الشافعى فى علم الأصولن فأخذت البحوث الأصوليه تنتزع من بحوث فقهيه وتُميز وتُبين.

كذلك: - علم التفسير فى بدايته وترعرعه ونموه وتوسّعه واشتداده وتطوره وازدهاره مرَّ بنفس المراحل التى مرَّ بها علم الفقه.

بدايه البحث التفسيرى

بـدأ البحث التفسـيرى بعلم القراءات(۲) وكـانت مـن المتميزيـن فى مـدرسه الإمـاميه أبـان بـن تغلِب، وحمران بن أعْيَن، وحمزه الكوفى وغيرهم من جمله القرّاء العشـر، هم من أتبـاع أهـل البيت (عليهم السـلام) ومن الشـيعه الإمـاميه الـذين بـدأوا فى الميول والبروز مثل زياد بن المنذر والهمدانى من اليمن فإنَّه كان من تلامذه الإمام الباقر (عليه السـلام) رغم أنَّه انتهج المذهب الزيدى، وكذا بُرير

۱- (۱) الوسائل، ب ۶، من أبواب صفات القاضى/ ح ۵۱.

۲- (۲) علم القراءه: تعنى القراءه لغةً التلاوه، واصطلاحاً: كيفيه قراءه ألفاظ آيات القرآن الكريم وقد ظهرت القراءه كعلم مستقل فى جمله علوم القرآن، وألَّف العلماء والباحثون فى القرآن عشـرات الكتب بشأنها، تناولت بعضـها بيان القراءات المختلفه لبعض الآيـات: منهـا: معجم القراءات القرآنيه لمؤلفه أحمـد مختار عمر، وعبـدالعال سالم مُكرَّم. منها: (علل القراءات السـبع) لأبى على حسن بن أحمد الفارسى، وذكر فيه الدليل على كل قراءه. - القراءات للشيخ محمد تقى مصباح اليزدى.

بن خُضير الشهيد فى كربلاء مع الإمام الحسين (عليه السلام) سيد الشهداء، فكان بارعاً ومُتضلعاً فى علم القراءات؛ ولذا لما استُشهد وقُتِل أصبحت ندامه خاصه عليه من الطرف الآخر.

وهكذا من قبله: - عبدالله بن عباس تتلمذ على يد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والحسن والحسين (عليهما السلام)، وكان يملك مدرسه تفسيريه معينه وإنْ كان عى مدرسته مؤاخذات من قبل الأئمه (عليهم السلام) اللاحقين كالباقر والصادق (عليهما السلام).

وإنْ كان عبدالله بن عباس (رضى الله) هو تلميذ مدرسه الأئمه، لكن حيث لم يحصل لديه متابعه للاستقاء من مدرسه أهل البيت أصبحت هناك فجوه فاصله بين مدرسته رغم أنَّها قريبه جداً من مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) فى التفسير، وبين المدرسه التفسيريه للإمام الباقر (عليه السلام) والصادق (عليه السلام) وباقى المعصومين (عليهم السلام) إذْ أخذت تسجل المؤاخذات على مدرسه التفسير لعبدالله بن عباس، وهكذا حال كل من حاول الابتعاد عن مدرسه أهل البيت التفسيريه أو ابتعد عنها أمثال:

عبدالله بن مسعود، وأُبى بن كعب وغيرهم من الصحابه الذين تضلعوا واختصوا فى التفسير على يد الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) فى علوم القرآن، حيث ابتعدوا عن مدرسه أئمه أهل البيت (عليهم السلام) بدأ يَدُبُّ فيهم جرس المؤاخذات والملحوظات الخطيره على منهجيه التفسير بسبب هذا الابتعاد شيئاً فشيئاً إلى أنْ انفصلوا عن مدرسه أهل البيت وصارت لهم استقلاليات وحينئذٍ بدأت هشاشتهم واضحه، كما سنبين هذا مفصلاً إنْ شاء الله تعالى فى الملحوظات على المنهج التفسيرى عند الصحابه وعند التابعين وعند تابعى التابعين... الخ.

الصله بین فقه الفروع وبین العقائد:

جرت عاده الفقهاء قدیماً وحدیثاً إلی التفصیل فی باب الفقه - أی فقه الفروع - بین العبادات والمعاملات وما یتضمنه کل واحد منهما من فروع ومسائل... الخ.

وکان بعض الفقهاء القدماء یذکر مُقدِّمهً ترتبط بعلم العقائد فیذکر شیئاً یرتبط مثلاً بباب التوحید ثم باب النبوه ثم العدل ثم الإمامه ثم... الخ.

أمَّا عند المتأخرین فلیس الأمر کذلک إلّا ما ندر.

إلّا أنَّه وللأسف هناک أمراً مهماً غفلوا عنه ولم یهتموا به وهو مهم جداً وهو عدم بیان الصله بین کل باب فقهی فی الفروع بالعقائد أو بالعکس، وعلیه فماذا ینجم من أبواب العقائد فی أعمال الفروع، فمثلاً ما وَرَدَ فی الروایات عن ابن مسکان عن أبی عبدالله (علیه السلام)، قال:

«نحن أصل کل خیر ومن فروعنا کلُّ برٍّ فمن البر التوحید والصلاه والصیام وکضم الغیظ... وعدونا أصل کل شرّ ومن فروعهم کل قبیح وفاحشه فمنهم الکذب والبخل والنمیمه والقطیعه.. فکذب من زعم أنَّه معنا وهو متعلّق بفروع غیرنا»(۱).

فکیف یکون ذلک وما هی العلاقه بین أنْ یکون أئمه الشرّ أصلٌ وبین الفجور والفسوق، بخلاف أئمه الهُدی علیهم أفضل الصلاه والسلام - فإنَّه ما وَرَدَ أنَّهم

«أصل کل خیر»(۲). وأنَّ کل خیرٍ نتمسَّک به هو تولی لأئمه

۱- (۱) الکافی، ج ۸، ص ۳۳۶؛ الوسائل ب ۷، من أبواب صفات القاضی، ح ۲۴.

۲- (۲) المصدر السابق.

الهُدى (عليهم السلام).

وهكذا الأمر فى مباحث كثيره منها:

أولاً: ما هى العلاقه والصله بين بحث الشورى والإمامه والسياسيه وما هى صلتها بالفقه العقائدى، فإنَّ الإمامه السياسيه بحثٌ فقهى فرعى وليسَ عقائدى، فإنَّه حتّى عند أهل السنه والجماعه لم يُبينوا نوع وظيفه الصله بينهما.

ثانياً: أيضاً لابدَّ من معرفه العلاقه بين الإسلام وبين الصلاه والصوم والحج والزكاه والخمس والولايه، ليسَ فقط هذهِ الفروع الفقهيه الست أو الأكثر نريد معرفتها، وما هى علاقتها بالإسلام من الناحيه العقائديه والتأكيد على الولايه وكيف أنَّ الولايه مرتبطه بالصلاه والحج...

وهذ الولايه فيها جانب فقهى أم كُلُّها جنبه عقيده؟

هكذا ذكر الفقهاء أنَّ من الفروع هو مسأله التولى والتبرى، وما هى علاقتها بالعقيده.

ما هو نوع الصله بين فقه الفروع والعقائد

فى مبحث الولايه

من جمله فروع الدين التى ذكرها الفقهاء مسأله التولى والتبرى، بعد ذكر الصلاه والصوم والزكاه والحج والخمس والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر... الخ.

وعليه فهل الولايه من فروع الفقه والدين أم أنها تصلح أنْ تكون من

أصول العقائد؟(۱).

وكان ديدن الفقهاء القدماء يذكرون صله المطلب الفقهى الفرعى بالمطلب العقائدى ضمناً، وهكذا الأئمه (عليهم السلام) من قبل، فقد وردت روايات عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) كما ذكر صاحب الوسائل الحر العاملى ذلك، فيبينون مضافاً للمطلب الفقهى بيان جوانب ومطالب أُخرى لا علاقه بالمطلب سواء كان مطلباً أخلاقياً أو عقائدياً أو... الخ.

وهذا ليسَ خلطاً بين المطالب وإنَّما هو مزج وخلط صوره صحيحه تبين الارتباط بين المبادئ الوجوديه الظاهريه مع واجب الوجود.

وعليه فمن الضرورى ربط المطالب العلميه ببعد روحى، بخلاف أهل الاختصاص فإنَّهم لا يذكرون إلّا المطالب الخاصه باختصاصهم ولم يربطوا ذلك بالبعد الروحى.

وهذا ما يعبر عنه بجامعيه العلوم؛ ولذا شاهدنا فى ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم - القرن العشرين - ودَعَت الدراسات الأكاديميه إلى التخصص ولكن سرعان ما غيرت هذهِ الدراسات نغمتها فى الثمانينات

۱- (۱) الولايه تأتى بفتح الواو (وَلايه) فتكون مصدراً للفعل الثلاثى المجرد (وَلِى) وهو فعل مُعتل مثال واوى على وزن فَعَلَ نقول: - وَلِىَ ولايهً. وأُخرى تأتى بكسر الواو (وِلايه) فتكون اسم مصدر. وذكر الراغب الأصفهانى فى مفرداته: - الولاء والتَّوالى: - أنْ يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليسَ بينهما ما ليسَ منهما، والوَلايه بالفتح: النُصْرَه والوِلايه (بالكسر) تولى الأمر [الراغب الأصفهانى فى مفرداته]. وقال الجوهرى فى صحاحه: - الوَلى: القُرْب والدَّنو، يُقال: - تباعدنا بَعْدَ وَلْيَن وكل مما يليك أى مما يُقاربك... الخ.

من نفس القرن إلى دعوى الجامعيه بين التخصص وغيره حتّى يكون لدى المتخصص بُعْد أعمق.

ومن الشواهد على ذلك أنَّه توجد مقوله للشيخ البهائى (قدس سرّه) أحد علمائنا الأبرار «ما جلست مع متخصص إلّا غلبنى، وما جلست مع جامعى إلّا وغلبته».

وإنْ كان كلامنا فى التفسير والفروع إلّا أنَّه يمكن أنْ يكون له ارتباط وثيق بأصول العقائد.

وذلك لأنَّ القرآن بَيَّن فى موارد عديده الآيات الداله على الولايه وماده - و - ل - ى، بألفاظ داله على الطاعه والطهاره والمباهله و... الخ. ومن تلك الآيات:

١ - قوله تعالى: إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا...١.

٢ - قوله تعالى: اَلنَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ٢.

٣ - قوله تعالى: وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَهٍ إِذا قَضَى اللّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ٣.

۴ - قوله تعالى: أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ۴.

۵ - قوله تعالى: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ۵. وغيرها.

وعليه: إذا لاحظنا الآيات القرآنيه وكذا الروايات الوارده فى الولايه وبيان معناها والتأكيد عليها كثيره جداً.

وأمَّا الآيات الوارده فى بيان حق وأهميه الصلاه لم تصل إلى أجزاء العشره بالمائه ١٠٪ من مجموع آيات القرآن، وعليه فتقدم ما هو وارد فى الولايه.

هيمنه العقائد على فقه الفروع

بعدما تقدم أنَّ الولايه ذُكِرت فى فقه الفروع، علماً أنَّها أيضاً أخذت مساحه واسعه جداً فى العقائد، بلْ وأكَّد عليها القرآن أكثر مما أكَّد على باقى فقه الفروع من الصلاه والصوم والزكاه... الخ.

والسؤال: هو أنَّه كيف العقيده - كالولايه - تهيمن، ما هو وجه الهيمنه فيها؟.

الجواب: كل العبادات التى تصح فيها النيابه عن المنوب عنه، سواء كان المنوب عنه ميتاً كما فى الصوم والصلاه و... الخ أو حيّاً كما فى مسأله الإجازه للنيابه عن الحى العاجز فى الحج و... الخ.

يُشترط فيها كون النائب مؤمناً وأمَّا غير المؤمن فعبادته غير صحيحه.

وأمَّا أنَّه لماذا عبادته باطله؟

فإنَّ الفقهاء لم يقفوا عنده ملياً ويحللونه ويوضحونه بالمستوى المطلوب، وإنَّما وكلوا ذلك إلى بحث العقائد.

وعندما نأتى إلى العقائد فإنَّ المتكلمين وللأسف، وكذا الفلاسفه لم

يبينوا ذلك بالبيان المطلوب مع أمثلته، وإنَّما استعرضوا بعض جوانبه وذكروا بعض الأمثله.

إلّا أنَّه نقول هنا: -

لو نظرنا إلى تراث أئمه أهل البيت (عليهم السلام) ابتداءاً بأحاديث النبى (صلى الله عليه و آله) إلى نهج البلاغه إلى الصحيفه السجاديه إلى الروايات التى نقلها أصحاب المجامع الحديثيه أمثال الشيخ الكلينى فى الكافى والصدوق فى فقيهه والطوسى فى تهذيبه، والمجلسى فى بحاره والكاشانى فى وافيه والحر العاملى فى وسائله والمحدث النورى - خاتمه المحدثين - فى مستدركه... الخ.

لوجدنا فى كل المصادر المذكوره مثلاً فى نهج البلاغه: - لو أخذنا مقطعاً من خطبه معينه نجد فيها إشاره إلى عِدَّه مطالب مثلاً فيه بيان للبُعد العقائدى فى نهج البلاغه، أو البُعد الأخلاقى أو الآداب أو الفقه السياسى أو الاقتصادى أو العسكرى أو الاجتماعى أو... الخ وهذهِ ليست خلطاً بين الأبحاث بعضها مع البعض الآخر كلا.

كما أشكل بعض الحضور فى بعض المؤتمرات على بعض علمائنا وقالوا هذا خلطاً بين المباحث فأجابهم: -

للأسف أنكم لم تَّعون نظام نهج البلاغه الذى هو انعكاس لنظام القرآن.

وهكذا مثل الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) فى أى فرع من الفروع الصلاه أو الصوم أو الزكاه أو الحج، أو الوصيه أو الميراث أو... الخ.

فنلاحظ أنَّ الإمام (عليه السلام) يتكلم فى هذا الفرع المعين كالصلاه مثلاً- نجد فجأةً يُحوِّل مسار الحديث وَيردُ على شبهه عقائديه أو يشير إلى مطلب عقائدى

معین، وهذا المطلب له صله یعیه من یعی ویغفل أو غفل عنه مَن غفل.

اعتراض: إنَّ القرآن وکذا الأحادیث النبویه والروایات الوارده عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) یأتی بمبحث فی العقائد وفی نفس الوقت والمناسبه یشیر إلی مبحث ذی صله بالفروع أو بالأخلاق أو... الخ فبناءاً علی التفسیر الموضوعی والمنهجه الموضوعیه وتباین موضوعات العلوم فیما بینها بناءاً علی تمایز العلوم بتمایز موضوعاتها، فإنَّ هذا خلطٌ.

الجواب: لو استقرأنا جمیع الروایات الوارده فی المجامیع الحدیثیه فی مثل الوسائل وفی کل الأبواب من کتاب الصلاه إلی کتاب الدیّات، بلْ فی جمیع أبواب الصلاه من أوائل باب الرکوع أو السجود أو... الخ نجدها مشحونه بأمور عقائدیه، ولیسَ ذکرها من باب الاستطراد وطرداً للباب وأنَّه من باب الشیء بالشیء یذکر، کلاّ وإنَّما هذا نظام یذکر فی جمیع الأبواب فی أوائلها وأواسطها وأواخرها فیها وحده النظام أی نظام القرآن والدین یُعَرَّج فیه علی المبحث العقائدی.

فمثلاً: وَرد فی وصیه رسول الله (صلی الله علیه و آله)

[...ألا- إنَّ لعنه الله ولعنه ملائکته المقربین وأنبیائه المرسلین ولعنتی علی مَن انتمی إلی غیر أبیه، أو ادّی إلی غیر مواله، أو ظلم أجیراً أجره](۱).

وفعلاً ارتقی أمیر المؤمنین (علیه السلام) المنبر وأوصل وصیه رسول الله إلی المسلمین وظنَّ بعضهم بأنَّ هناک وصیه خطیره، نجد هل أنَّ کتاب الإجاره فی الفقه محتاجه إلی بیان، أنَّ مَن یمنع إجاره أجیر فهو ملعون من قبل الله تعالی، وهذا شیء واضح، وکذا مسأله عقوق الوالدین أو إباق

۱- (۱) أمالی الطوسی، ص ۹۱.

العبد عن مواليه فهذهِ أمور واضحه لا تحتاج إلى تأكيد.

والأمه الآن تحتاج إلى تحديد مصير بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى أواخر أيّامه من هذهِ الدنيا.

أَوَتظُن أنَّ النبى (صلى الله عليه و آله) أراد بهذهِ الوصيه ظاهر هذهِ الأمور الثلاثه الواضحه كالشمس فى رابعه النهار؟! والأمه بحاجه إلى تحديد المصير والعقيده وتنظيم شؤونهم بعد رحيله (صلى الله عليه و آله)، ولكن بعد أنَّ خفَّ عن رسول الله المرض جاء إلى المسجد وخطب بالناس وفَسَّرَ الوصيه التى نقلها عنه وصيه بالحق على بن أبى طالب (عليه السلام).

حيث نلاحظ هذهِ البنود الثلاثه فى الوصيه مرتبطه بفقه الفروع، فانظر كيف ربط رسول الله (صلى الله عليه و آله) بينها وبين المبحث العقائدى الذى نريد بيانه فى مقامنا وهو: -

أولاً: مَن منع أُجره أجير فعليه لعنه الله، هذا ما يرتبط بالفروع وأمَّا ما يرتبط بالعقائد فأنا وعلى أجيرا هذهِ الأمه قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى ١.

فانتقل (صلى الله عليه و آله) من الإجاره التى هى عقدٌ فى الفروع إلى عقد فى العقائد وهذا غورٌ فى بيان الصله بين الفروع والعقائد.

ثانياً: مَن عَقَّ والديه فعليه لعنه الله؛ لأنَّ العقوق من الكبائر التى توعد الله مرتكبيها النار، وما يرتبط بالعقائد: - أنا وعلى أبوا هذهِ الأمه فمن عقّنا فعليه لعنه الله.

وكثير من الروايات دلَّت على هذا المعنى «أبٌ أولدك وأبٌ زوجك،

وأبٌ علمك» فإنَّ والدك أعظم حقاً عليك من ولدك وزوجتك.

ثالثاً: لعن الله عبداً أبق عن مواليه.

يقول الرسول (صلى الله عليه و آله): الناس مأمورون بطاعتنا ونحن أولياؤهم فمن أَبَق من ولايتنا فعليه لعنه الله.

الشارع عبدنا بولايه النبى (صلى الله عليه و آله) ووصيه بالحق وأهل البيت (عليهم السلام) فمن أبق عن طاعتنا وولايتنا فعليه لعنه الله.

وعلى أى حال فهناك الكثير من البحوث التى قد يتوهم فيها البعض بلْ حتّى عند العرفاء والمتكلمين والمفسرين ويشتبه عليهم الأمر كما فى مبحث التمييز بين معرفه التوحيد وبين معرفه ولايه الله، فإنَّ ثمره معرفه التوحيد هو ولايه الله أو المعرفه بولايه الله هى الإيمان بالتوحيد أو بذات الله والمقام الأعظم كمالاً منه الإيمان بولايه الله.

ص:۱۴۲

تطبيق منهج الأمومه والهيمنه وطبقاتها

على مثل بحث الولايه

لعلَّه هناك سؤال أو إشكال يدور فى الأذهان من خلال ما تقدم وهو:

أنَّه إذا كانت الآيات الوارده فى القرآن فى حق الولايه وأهميتها أكثر بكثير من الآيات الوارده فى الصلاه والصوم والزكاه و... الخ فلِمَ هذا الاختلاف بين المسلمين، ولِمَ عدم التسالم على الولايه ومعناها بخلافه فى الصلاه والصوم والزكاه و... الخ فإنَّهم تسالموا على ذلك.

الجواب: هناك مستويان من الجواب: -

المستوى الأوَّل: هو محل اتفاق وتسالُم باعتبار أنَّ المراد من الولايه هى ولايه الله ورسوله والأئمه (عليهم السلام)، إذْ لا أحد يستطيع أنْ يُنكر الولايه لله ورسوله والأئمه وبالأخص مودَه الرسول (صلى الله عليه و آله) ومحبه أهل البيت (عليهم السلام). فقد تسالم المسلمون عليها، وأنَّها ضروره قرآنيه بديهيه والمنكِر لها منكر لأصل الدين وأصوله لدى كل المسلمين.

المستوى الثانى: لا أحد من المسلمين يستطيع أنْ يُنكر أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) لا يستقى العلم منهم كلا وإنَّما هم من أهل بيت زقوا العلم زَقَّاً، إذْ لا يختلف اثنان من المسلمين فى علم أمير المؤمنين (عليه السلام) سيد الأوصياء وأنَّه يمير العلم ميراً - أى يقسم العلم بين العباد - وهكذا فاطمه الزهراء (عليها السلام) سيده نساء العالمين والحسن والحسين والتسعه المعصومين من ذريه الحسين، وأنَّهم حجج الله على الخلق، ومَن يُنكر هذا يُردَّ عليه ويمرق من

الدين، وهذا المقدار إلى هنا أيضاً متسالم عليه.

أمَّا أنَّه كل المسلمين يعملون ويعتقدون بتلك الولايه فذاك بحث آخر علماً أنَّ الولايه على درجات عديده: -

منها: كما تقدم فى المستوى الأوَّل - المحبه والموده للنبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) - إذنْ على مستوى التنظير والإقرار لا يستطيع أحد أنْ يُنكر ذلك وأنَّ أهل البيت (عليهم السلام) لهم بُناه الدين الأوائل الذين بفضلهم استقام وبقى الدين إلى يومنا هذا، إذْ لا يستطيع أحد أنْ يُنكر ما قام به أمير المؤمنين (عليه السلام) بنفسه وماله وأولاده وبسيفه، وأنَّ الحق مع على وعلى مع الحق وحديث المباهله وباقى فضائلهم فى خدمه وديمومه بقاء الإسلام.

وإنْ كان هناك خلاف لا يُنكر - أيضاً - بين المذاهب الإسلاميه فى الفروع الفقهيه من الصلاه والصوم والزكاه والحج.

وعليه فإنَّ المقدار الضرورى لولايه أهل البيت (عليهم السلام) أوسع من المقدار الضرورى للصلاه والصوم والحج... الخ باعتبار أنَّ أهل البيت هم المصدر لعلم الدين وهو مقوم على الصلاه باعتبار أحكام الصلاه تستقى من القرآن والسنه وأهل البيت (عليهم السلام)، لذا لم يُنادَ بشىء أعظم مما نودى بالولايه إلّا أنَّه وللأسف المسلمون لم يُفعِلوا نظام اليقظه لهذا الأمر وأنَّه متروك ومغفولٌ عنه.

المقام الثانی: وحده معیه الثقلین

اشاره

*الهیمنه والفوقیه.

*مَن الذی جمع القرآن کما أنزل؟.

*إلفات نظر.

*النتائج السلبیه المترتبه علی عدم التمسُّک بالقرآن.

*العلاقه بین ولایه الله وولایه الرسول (صلی الله علیه و آله) والأئمه وبین منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات فی القرآن.

وحده معیه الثقلین

اشاره

ما المراد بالمعیه وعدم الافتراق بین الکتاب والعتره الوارد فی الروایات؟

لربَّ سائل یسأل ما هی السُبُل الصحیحه التی یتبعها الإنسان لأجل التمسُّک السدید والتام بالقرآن الکریم؟ لأنَّه حتّی الذین وصفهم القرآن بأنهم عضین کما فی الآیه المبارکه اَلَّذِینَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِینَ ۱ لیسوا رافعی الید عن القرآن الکریم بالمرَّه وأنَّهم تمسکوا ببعض القرآن دون بعضه الآخر، وهو لیسَ بتام ولا سدید(۱).

۱- (۲) عضین: جمع عضه أی التفریق وأصلها عضوٌ منقوصه الواو مثل عِزَه وعزین، عضه عضین، والمراد ب - (عضین) علی ما جاء فی الروایه فی تفسیر العیاشی ج ۲ ص ۲۷۱ ح ۴۳ هم قریش، فإنَّهم قسموا الآیات القرآنیه فما کان ینفعهم أخذوه وما لا ینسجم ومشتهیاتهم ترکوه فبدل أنْ یتخذوا کتاب الله هادیاً وقائداً لهم جعلوه کآله بأیدیهم ووسیله للوصول إلی أهدافهم الشریره، کما ذکره صاحب تفسیر الأمثل ح ۸ ص ۷۳ بتصرف.

والجواب: إنَّه لا يخفى على ذوى الألباب أنَّ نظام القرآن واحد لا يتبعض فإنَّه ذو وجوه منظوميه واحده، ولذا بعض الفرق الإسلاميه التى أخذت ببعض القرآن ظنَّنت أنها مستمسكه ومتمسكه بالقرآن الكريم وهو غير صحيح(۱) والصحيح كما هو عليه الواقع والحقيقه هو ما تعتقده الإماميه: - بأنَّ التمسُّك بأحد الثقلين الذى هو تعبير قرآنى الأصل نبوى الحديث

«إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وعترتى- كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض وعترتى أهل بيتى، وأنَّ اللطيف الخبير أخبرنى أنَّهما لن يفترقا حتّى يردا علىَّ الحوض فانظروا بماذا تخلفونى فيهما»(۲). والضمان لعدم الضلال هو التمسُّك بهما معاً لا بأحدهما، وسبب تسميتهما بالثقلين كما قالت به الروايه؛ لأنَّ التمسُّك بهما ثقيل(۳).

ومعنى المعيّه للثقلين - الكتاب والعتره - هو أنَّ العتره الطاهره للنبى (صلى الله عليه و آله) هم عين حقيقه القرآن وهذا هو معنى عدم افتراق القرآن عن العتره أى يوم عدم افتراق حقيقه القرآن التكوينيه وهو الكتاب المكنون وهو الروح الأعظم عن ذوات الفتره المطهّره، بلْ هو أحد أرواحهم الذى يسدّدهم(۴).

۱- (۱) الروايه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال أبى (عليه السلام) «ما افترق رجل القرآن بعضه ببعض إلّا كفر» العياشى ج ۱ ص ۹۷.

۲- (۲) إكمال الدين وإتمام النعمه للشيخ الصدوق ج ۱ باب اتصال الوصيه ص ۲۲۵ ح ۴۴.

۳- (۳) المصدر السابق: ج ۴۹ ص ۲۲۶.

۴- (۴) الإمامه الإلهيه ج ۲ للشيخ السند.

وهـذا المعنى هو أحـد الخرائط التى ترسم لنا العلاقه بين الثقلين، فهى لا تقول بمنطق: – حسـبنا كتاب الله فقط، ولا حسـبنا السـنه الشـريفه للنبى (صـلى الله عليه و آله) وأهـل بيته، بـلْ لابـدَّ منهمـا معاً نحن مفوضون بالانفراد به، ولا مقطوعون عنه، وإنَّما هما – الكتاب والسنه – مقترنان اقتران معىّ، وبالتالى لا نستطيع أنْ ننفرد بأحدهما دون الآخر، بلْ لابدَّ منهما معاً.

حديث الثقلين كلام الله فى القرآن:

وبمناسبه التعرض لذكر حديث النبى (صلى الله عليه و آله) المعروف بحديث الثقلين ناسب التكلم عن عدَّه أمور:

الأمر الأوَّل: الوحى وأقسامه.

الأمر الثانى: حديث الله فى القرآن.

الأمر الثالث: الحديث القدسى.

الأمر الرابع: الحديث النبوى.

أمَّا الأمر الأوَّل/ الوحى لغةً: مصدر من – وحى يحى وحياً – بمعنى الكتاب والبعث والإلهام والتفهيم بإخفاء وإيماء.

هو الإفهام بالرمز والإشاره الخفيّه، ومن هذا يُعرف أنَّ الوحى فى الأصل عباره عن الإعلام فى خفاء، أو الكشف عن أمر مجهول، أو إعلام بسرعه.

وقد يُطلق الوحى ويُراد به اسم المفعول (المُوحَى) وهو ما ينكشف لك بالفعل.

وعليه فالوحى الإلهى: – هو الفعل أو الإفهام الذى يكشف به الله

للإنسان عن الحقائق التی تتجاوز نطاق عقله.

وأمَّا الوحی فی اصطلاح الشریعه هو کلام الله المُنزَّل علی نبی من أنبیائه.

وذکرنـا فی مبحث الإمامه الإلهیه أقسام الوحی تحت عنوان منابع علومهم هی مصادر ومتون الشـریعه(۱) وأنَّ الوحی علی أقسام: -

أ) الوحی التشریعی والإنبائی.

ب) الوحی التأییدی والتسدیدی.

ج) الوحی الإلهامی والتوفیقی.

د) الوحی الإیتـائی والملـذانی والبسـط فی العلم والإلقائی وغیرها من العناوین الوارده فی السور والآیات القرآنیه الشارحه لأنواع الوحی.

وقد دلَّت النصوص القرآنیه علی مختلف أقسام الوحی: -

۱ - قوله تعالی: وَ ما رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لکِنَّ اللّهَ رَمی۲.

۲ - قوله تعالی: وَ النَّجْمِ إِذا هَوی ما ضَلَّ صاحِبُکُمْ وَ ما غَوی وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْیٌ یُوحی عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی۳.

۳ - وقـدْ أشـیر إلی الوحی التسدیـدی وغیره فی مواطن عدیـده من القرآن کقوله تعالی: وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَیْنا إِلَیْهِمْ فِعْلَ الْخَیْراتِ وَ إِقامَ

۱- (۱) المصدر السابق: ص ۲۵۷.

اَلصَّلاهِ وَ إِيتاءَ الزَّكاهِ١.

حيث إنَّ الوحى فى الآيه ليسَ هو الوحى التشريعى الذى هو عباره عن الأمر والنهى الإنشائى؛ لأنَّ متعلق الوحى جُعل نفس فعل الخيرات أى أنَّها كانت تصدر عنهم بوحى مقارن بصدور الفعل، كما أشار إلى ذلك العلامه السيد الطباطبائى فى الميزان، فالآيه تشير إلى أنَّ الموصوفين بجعلهم أئمه من قبله تعالى مؤيدون بحقيقه أمريه من عالم الأمر، وهو روح القدس الطاهره ومسدّدون بقوه ربانيه ينبعث منهم بتوسطها فعل الخيرات.

وسيأتى الكلام مفصلاً فى قاعده الوحى مستقلاً مفصلاً بحول منه تعالى وقوه.

الأمر الثانى: حديث الله فى القرآن: فإنَّ كلام الله هو الوحى المنزل على نبينا محمد (صلى الله عليه و آله) بصوره الكلام أو الكلمه سواء التكوينى الملكوتى أو الكلام المتموّج فى الهواء من الأصوات المتموّجه منه تعالى، والكلام الإلهى على أقسام، يأتى بيانها فى قاعده الوحى.

الأمر الثالث: الحديث القدسى: وهو ما يحكى كلامه تعالى غير متحد بشىء وهو غير القرآن أى الكلام المنزل بألفاظ بعينها فى ترتيبها لا لغرض الإعجاز.

وهذا الكلام يُوحى معناه إلى النبى (صلى الله عليه و آله) فيجرى الله على لسانه (صلى الله عليه و آله) فى العباره عنه ألفاظاً مخصوصه فى ترتيب مخصوص، ليسَ للنبى (صلى الله عليه و آله) أنْ يُبدلها ألفاظاً غيرها أو ترتيباً غيره(١).

١- (٢) المعجم الشامل.

الأمر الرابع: الحديث النبوى: للحديث فى اللغه معنيان:

الأوَّل: الجديد ضد القديم.

الثانى: الخبر والكلام(۱) وهو الموافق للمعنى الاصطلاحى والمعنى الأصلى للحديث هو الجديد، وإنَّما أُطلق على الكلام، بلحاظ أنَّه يحدُث ويتجدد.

وأمَّا الحديث فى اصطلاح المتشرعه: فقدْ اتفق المسلمون على أنَّه ما روى عن النبى (صلى الله عليه و آله) من قول أو فعل أو تقرير. والمراد من التقرير: - ارتضاء النبى (صلى الله عليه و آله) لما يُمارس بحضرته من سلوك فردى أو اجتماعى، وعدم إنكاره له.

وعليه فنسبه الحديث إلى النبى (صلى الله عليه و آله) من باب النسبه أى الأحاديث التى تحدّث بها النبى (صلى الله عليه و آله).

۱- (۱) لسان العرب ابن منظور، ماده (حدث).

الهيمنه والفوقيه

هناك عِدَّه مستويات لمعنى الهيمنه والفوقيه: -

المستوى الأوَّل: هيمنه وأمومه بعض آيات القرآن المحكمه والمتشابهه على بعضها الآخر - سواء أمومه المحكمات على المتشابهات أم أمومه المحكمات بعضها على بعض أو... فإنَّه لا يمكن بيانها بالمناهج التفسيريه الأُخرى - غير منهج أمومه المحكمات - كالمنهج التفسير الموضوعى، ولا التجزيئى الترتبى ولا فى أسباب النزول، ولا فى تفسير الأثر السطحى ولا تفسير القرآن بالقرآن ولا... الخ.

وهذهِ الهيمنه لا ضوابط وقواعد، فإذا اكتشفت هذهِ القواعد من خلال نظام الثقلين فى تفسير القرآن الكريم سنكون ألمّ بمبانى القرآن من المناهج التفسيريه تواجه مشكله هى أنَّها ليست فى صدد استخراج هذهِ القواعد من معارفها والمنهج الوحيد الذى يتكفل استخراجها ويُعرفنا القرآن بمعرفه غير مشتقه هو منهج أمومه المحكمات.

فمثلاً: ما هو الارتباط والعلاقه بين قوله تعالى: إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ١ وقوله تعالى وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَهً إِلى عُنُقِكَ٢.

فهنا المنهج الوحيد الذى يُبين لنا نوع الارتباط بين هذين الآيتين وغيرهما من موارد أُخرى من القرآن هو منهج أمومه المحكمات وولايه

أهل البيت (عليهم السلام) الذى يؤكّد عليه القرآن الكريم، وهو المنهج الوحيد والأجدر الذى يكشف اللحمه والارتباط بين جميع الآيات بعضها مع البعض الآخر.

أيضاً تقدم أنَّ منهج أمومه المحكمات يتميز بنظام وحده وألفه وتناسق نسيجى على أصعده ومستويات مختلفه.

فمثلاً ـ عندما يكنْ الإيمان بغنى الله تعالى هو عدم اليأس من الله، فهناك آيات عديده تدلُّ على أنَّ الله تعالى أمر بالكرم ونهى عن البخل الآيه: وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ ١.

وأنَّ البخل ينشأ من اليأس من معرفه هذا النشوء وهيمنه المُنْشَأ على المَنْشأ وقبض اليد عن العطاء ناشىء من البخل، وهذا معناه هيمنه المُنْشأ على المُنْشأ.

فمثلاً أُشيع بين المفسرين بالآونه الأخيره أمثال العلامه السيد محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه) الذى يتوخى منهج تفسير القرآن بالقرآن ذكر الله تعالى فى ذيل كُلّ آيه أو مجموعه آيات مثل: - إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ٢ أو إِنَّ اللّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ٣ أو فَإِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ٤ وغيرها وهنا حاول السيد العلامه الطباطبائى أنْ يوجِد الصله بينها من بعض الجوانب.

أمَّا المنهج الذى اعتمدناه، فإنَّ الأسماء الإلهيه التى أشار لها القرآن الكريم لها هيمنه وبيان أمور كثيره وما هى نوع الصله بين صدر الآيه

وذيلها، فمثلاً: - الآيه التى تنهى عن الحسد والغيبه وجميع المعاصى ثم بعد ذلك يَذكر القرآن: - إنَّ الله واسع عليم، فما هى الصله بينهما؟.

الجواب: سعه الله تعالى لها معنى واسع، والذى يتكفل ببيان معنى هذهِ السعه هو منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) فإنَّ الواسع صفه من الصفات الإلهيه الداله على اللا تناهى لرحمه الله تعالى وقدرته والإفاضه منها على المتناهى المحدود... الخ.

للآيه قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّى ١.

المستوى الثانى: الهيمنه والأمومه على مستوى العلوم الإنسانيه إذا أرادوا أنْ يكتشفوا ظاهره مجتمعيه إنسانيه، ولا يستطعيون دراستها وتحليلها بدقّه وعمق إلّا بالرجوع إلى الرؤيه العقائديه فإنَّهم يشاهدون ويُدركون أنَّ هذهِ الظاهره الإنسانيه أو الأخلاقيه منبثقه من رؤيه فكريه وعقائديه.

المستوى الثالث: الهيمنه والأمومه من مستوى العلوم الأكاديميه فمثلاً الذى يريد أنْ يَدرس طب بدن الإنسان - كطب الأعصاب - لا يمكن أنْ يصل إلى العلاج الناجع والناجح إلّا بدراسه أمور عقائديه مرتبطه بالمدارس الأخلاقيه؛ وذلك لأنَّ حركه بدن الإنسان وأفعاله ذات صله بالصفات وعلوم الأخلاق ذات صله بعلوم العقيده والملل والنِحل.

وهكذا الارتباط بين كَرَم الله تعالى وبين صفه السخاء عند الشاب العاصى على ما وَرَدَ

«الشاب السخى المقترف للذنوب أحبّ إلى الله من

الشيخ العابد البخيل»(۱).

فغن صفتى البخل والسخاء من الصفات العمليه، فإنَّ السخاء كفعل وليد من صفه السخاوه، وقبض اليید كفعل وليد صفه البخل، ومرجع هذا إلى أنَّ مَن يحمل صفه البخل يكون أبعد عن الله ممن يحمل صفه السخاء؛ لأنَّ السخاء صفه تنطوى على الإيمان بوجود منبع لا ـ ينضب وفطرته – أى فطره السخى – هاديه له إلى نفق المعرفه بالحضره الإلهيه فطرياً تلقائياً، كما أنَّ البخيل – والعياذ بالله – منطوى على جحود خفى وهو جحود بوجود قدرهٍ وكرمٍ لا ينضب.

والسؤال: أيُّهما أفضل معرفياً؟ السخى العاصى أم البخيل العابد؟ فإنَّ البخيل عابدٌ ببدنه ولكنه متمردٌ بقلبه، فمثلاً إبليس كان ساجداً لله ببدنه، وأمَّا قلبه فهو متمرد، فهو يأبى طاعه الله تعالى فى الوسيله التى نصبها الله له، بخلاف السخى فإنَّه متمرد على الله تعالى ببدنه ولكن عابدٌ بقلبه فأيُّهما أفضل؟

الجواب: إن عباده القلب أعظم من عباده البدن، فإنَّ عباده البدن تضرُّ عباده السطحيين من البشر الذين يُساقون إلى عباده البدن التى عندهم أعظم خطباً من عباده القلب، وهذا معنى أنَّ الإيمان أعظم من العمل؛ لأنَّ الإيمان عباده القلب بخلاف عباده البدن فإنَّها عملٌ ولا فائده فى طوعانيه البدن مع تمرد الروح والقلب والعياذ بالله.

لذا دلَّت الأخبارُ على أنَّه ما نودى بشىء أعظم مما نودى بالولايه، فإنَّ الولايه أعظم من العمل؛ لأنَّ الولايه عباره عن عمل قلبى وهو أعظم من

۱- (۱) فقه الرضا لابن بابويه القمى، ص ۳۲۶؛ المفيد فى الاختصاص، ص ۲۵۳؛ ومستدرک الوسائل للمحدث النورى/ ج ۷ ص ۱۵.

العمل البدنى، وهكذا الدين هو الحبُّ والبغض، فإنَّه يوالى ويحب بقلبه، فإنَّه يلى الجانب الإلهى بقلبه ويُسلِّم ويعمل كل ذلك بقلبه، ولذا ما ورد فى الأخبار من التأكيد عليها - الولايه - وأنها أعظم من الصلاه؛ لأنَّ الصلاه فيها جنبه خضوع بدنى أو جسمى، وهكذا الحج فيه جنبه وفود على الله بالبدن وهكذا السخى فإنَّه يَسْخى بماله.

بينما الولايه هى وفود على الله بالقلب وهو أعظم من الوفود عليه بالبدن وهكذا السخى فإنَّه يسخى بذات نفسه إلى الله تعالى ولا يتوجه إلى أنانيه ذاته كما توجه بها إبليس - خلقتنى من نار وخلقته من طين - فإنَّ جبت الإنانيه فى إبليس لم يتدكدك ولم يصغ إلى الحضره الإلهيه وهكذا جهاد النفس هو تسليم لما قضى به الله فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً١. فإنَّه أعظم من جهاد العدو بالبد، وعليه فجهاد النفس جهاد جهادٌ حقيقى وهو الصلاه الحقيقيه وهو الزكاه الحقيقيه وهو... الخ.

ولذا صار التريكز والإصرار على حذف فقره «حَىَّ على خير العلم» من الأذان والإقامه للصلاه، وهل الأعمال الخيريه فيها أخير وأفعل تفضيل؟

نعم ألا وهو نور الولايه التى هى خير الأعمال.

المستوى الرابع: إنَّ هيمنه الصفه على الفعل، والذات على الصفه أى نشوء شاكله الفعل من الصفه، ونشوء شاكله الصفه من نمط الذات أو العقيده أو الرؤيه باعتبار العقيده؛ لذلك الصله بين العقيده والذات هى أنَّ

العقيـده تخلِق وتوجـد الـذات، وبما أنَّ العقيده موطنها القلب فهى من شؤون القلب والذات والروح، وهذهِ هى الفصل الأخير من ذات الإنسـان وذات المخلوق متقومه بالعقيـده باعتبـار أنَّ موطنها – العقيـده – أعالى وجود المخلوق وفصـله الأخير وعليه تكون العقيده جوهراً لا عرضاً، باعتبار أنَّ العقيده والذات تعبيران متقابلان متلازمات يكشف أحدهما عن الآخر.

ص:١٥٦

من الذى جمع القرآن كما أَنزل ؟

اشاره

لمْ يجمع القرآن كما أُنْزِل غير على بن أبى طالب (عليه السلام).

ولا تعنى هذهِ الإجابه قطع الصله بين البشر وبين تنزيل الكتاب العزيز.

وكذلك لا تعنى تجميد تنزيل الكتاب، وظاهر الكتاب.

وإنَّما المراد هنا نفى القدره المطلقه لا- نفى مطلق القدره، ومطلق درجات القدره، كلا- فإنَّ بعض درجات القدره موجوده، ولذلك بعض الأفهام السقيمه التى لا- تفهم إلّا فهماً سطحياً وتجمد على ظاهر اللفظ والعباره، وليسَ عندها نظره تأمل وعمق وغور فى الأعماق عندما يسمع هؤلاء: أنَّ القرآن لا يقدر عليه البشر، فيفهم: أنَّ البشر لا يستطيعون ولا يقدرون عليه بقدره مطلقه، كلا وإنَّما يقدرون عليه ولكنْ بقدره ما متبعه.

إلفات نظر:

لا- يكفى للباحث العلمى أو المُفسِّر للقرآن أنْ يستنتج نتائج كيف ما اتفق، وإنَّما المهم هو أنَّه كيف يؤلِّف بين هذهِ النتائج وكيفيه الموازنه بينها وفرز الأهم من المهم والمقدَّم من المؤخر، وما هو مكيال المُقدَّم وهل يُكال به المؤخر أم بمكيال آخر، هذا هو المهم.

وعدم مراعاته كما وقعت به المدارس الإسلاميه تنتج نتائج سلبيه ويحاسبون ويحاكمون عليها علمياً.

النتائج السلبيه المترتبه على عدم التمسُّک بالقرآن

هناک بعض الفِرق التی ضلَّت وانحرفت عن منهج أهل البيت (عليهم السلام) بادّعاء أنها من فِرق الشيعه، بسبب أنَّها ترکت التمسُّک الصحيح بالقرآن الکريم، المترتب عن هذا الترک ترک منهج أهل البيت (عليهم السلام) والابتعاد عنهم، وکذلک الذين ترکوا التمسُّک بأهل البيت (عليهم السلام) ويدعون أنَّهم متمسکون بالقرآن کلا بلْ هم مبتعدون کل البعد عن القرآن من حيث يشعرون أو لا.

وبعد هذهِ المقدمه يأتی السؤال: ما المقصود من التفرقه بين القرآن وأهل البيت (عليهم السلام) إذْ هؤلاء الذين فرَّقوا وتمسکوا بأحدهما دون الآخر ظنوا أنَّهم متمسکون بالقرآن وهذا توهمٌ؛ لأنَّ التمسُّک بأحدهما دون الآخر معناه ترکهما معاً من حيث لا تشعر، وإنْ کانت النفس تظن ولو صورةً أنَّها متمسکه بأحدهما.

کلا هما معاً لن يفترقا وإنْ ظننت أنک فرّقت بينهما، إلّا أنَّه بالواقع أنت افترقت وابتعدت عنهما بالتمسک ولو ظناً منک بأحدهما.

وهذا يستلزم نتيجه خطره جداً ذات عاقبه وخيمه وسيئه وهی التفرقه بين الله ورسوله، وبالتالی هم فارقوا الله ورسوله.

وهکذا فيما لو أرادوا التفرقه بين الرسل فکذلک هم بالواقع فارقوا الرسل، نظير ما فعل أتباع موسی والمسيح (عليهما السلام)، فاليهود والذی استمسکوا بموسی (عليه السلام) وترکوا التمسُّک بعيسی (عليه السلام) بالواقع هم تارکوا کلا النبيين.

وهکذا اتباع نبی الله عيسی بن مريم (عليه السلام) عندما نُصِروا بتوسط بورص

الذى أغوى النصارى بالواقع لا أنَّهم تمسكوا بالنبى عيسى (عليه السلام) أكثر وتركوا سيد الرسل محمد (صلى الله عليه و آله) وإنَّما تركوا الاثنين معاً ويحسبون أنَّهم متمسكون بهما والواقع ليسَ كذلك.

والسبب فى ذلك؛ لأنَّ أنبياء الله تعالى سلسله واحده لا تنفصل ولا تنفك، نظير الابتعاد عن حلقه سلسله متصله هو ابتعاد عن كل الحلقات.

كذلك الإيمان بأئمه أهل البيت (عليهم السلام) الاثنى عشر هو إيمان على نحو الكلى المجموعى فإذا أنكرت إمامه واحدٍ منهم تركتهم كلهم لا أنك ترك أحدهم وتمسكت بالآخر، كما فعلت بعض الفرق التى تدّعى أنَّها من الشيعه كالزيديه والإسماعيليه والفطحيه.. الخ. وكذلك صله أئمه أهل البيت (عليهم السلام) بنبى الإسلام بحسب الإيمان وستتضح الحقيقه فى الآخره.

ومن خلال هذا كُلَّهُ يتضح أنَّ معيه الثقلين لا تتفككك ولا تنفصل بعضها عن بعض بأى حال من الأحوال، وعليه فالمنهاج الذى يضعه أهل البيت (عليهم السلام) ليسَ معناه قطيعه وتجميد للقرآن وتمسك بأهل البيت (عليهم السلام).

ولذا عندما نلتجئ إلى المُعَلِّم الإلهى وهم أهل البيت (عليهم السلام) لا يعنى أننا نترك الكتاب، كلا، وإنَّما ذهبنا إلى مُعَلِّم ذلك الكتاب بغيه التمسُّك والوقوف والتركيز والتدبر والتعلم أكثر فأكثر من ذلك الكتاب، لا أننا نأخذ بكلام المُعلم ولا نوازى ولا نركز ولا ـ ندقق فيما يقول فى ذلك الكتاب وإنَّما بالعكس، وهذهِ الموازاه تفك لنا الكثير من الإجمالات والإبهامات؛ لأنَّ هذا الكتاب يحتوى على أمر عظيم.

العلاقه بين ولايه الله تعالى وولايه الرسول (صلى الله عليه و آله) والأئمه

وبين منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات من القرآن

لا يخفى على ذوى البصيره وذوى العقول السليمه أنَّ ولايه أهل البيت (عليهم السلام) هى ولايه الله تعالى وولايه للرسول ومتفرعه عنهما – أعنى عن ولايه الله وولايه الرسول – وعليه فولايه الرسول (صلى الله عليه و آله) وعترته بهذهِ المراتب المتسلسله ليست نِدّاً لولايه الله أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ۱ فطاعه الرسول هى مثال لتجلى ونوع من التمثل لطاعه الله تعالى.

وهكذا طاعه أولى الأمر من أهل بيت النبى (صلى الله عليه و آله) أيضاً تمثل لطاعه الرسوله (صلى الله عليه و آله) وولايه الرسول (صلى الله عليه و آله) التى هو تمثل لطاعه الله، وولايه الله فى الأرض أعطائها لخلفائه فى الأرض.

ولو فرضنا أنَّه لم نلتزم بهذهِ المراتب المتسلسله هل تقوم للدين قائمه من دون أنْ نجعل محور الدين هو ولايه الله؟

كلا، لا يمكن، وهل يمكن أنْ تقوم للدين قائمه من دون أنْ نجعل التوحيد هو المحور الأساسى والمركزى؟ كلا لا يمكن.

وهل يمكن أنْ تستقى أبواب الأصول والفروع بشكل غير موصول ولا مرتبط بتوحيد الله تعالى؟ كلا لا يمكن.

وعليه الحلقات الثلاث المتسلسله والمترابطه ولايه الله ثم ولايه الرسول

ثم ولايه الأئمه (عليهم السلام) هى الأصل الذى يرجع إليه، وأنَّ هذهِ الأسلاك النوريه التى تربط السماء بالأرض لا يستطيع أحدٌ أنْ يبينها إلّا المعصوم اَللّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها١. والمعصوم (عليه السلام) يبين لنا كيفيه الانطلاق من النقطه المركزيه وهو التوحيد إلى الرساله (النبوه) ثم الإمامه ثم بقيه دوائر وأبواب الدين.

ثم أنَّه هل لفروع الدين قطيعه عن أصول الدين؟ كلا لا يمكن لأنَّ فروع الدين متفرعه ومتولده وناميه ونموّها من أصول الدين.

هذا مضافاً إلى وجود برهان وحيانى أعظم من البرهان الفلسفى وهو الحديث النبوى، قال النبى (صلى الله عليه و آله):

«إنَّما العلم ثلاثه: آيه محكمه أو فريضه عادله أو سنه قائمه وما خلاهن فهو فضل»(١).

فقدَّم النبى (صلى الله عليه و آله) الآيه المحكمه وأراد بها العقائد والأصول، ثم السنه القائمه وقصد بها علم الأخلاق والنفس والآداب والسنن، ثم الفريضه العادله أى الفرائض التى فُرضت على البدن.

إذنْ هذهِ الحلقات المتعاقبه هى دوائر تتبع بعضها البعض؛ لأنَّ نسيج الدين قائمٌ على مركزيه التوحيد، فإنَّ النبوَّه هى توحيد الله فى التشريع، والإمامه هى أيضاً توحيد الله فى الطاعه والولايه، والمعاد هو توحيد الله فى المنتهى ولقاء الله، والآخره هى مظهرٌ لتوحيد الله هو الأوَّل وهو الآخر.

كل أصول الدين هى مجرى لتوحيد الله تعالى وهكذا الفروع من الفقه وغيره من المعارف الدينيه هى توحيد الله تعالى.

١- (٢) الكافى ج ١ ص ٧٩ ب ٢ باب صفه العلم وفضله ح ١.

ولكن تمتاز مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) فی التوحید عن غیرها من المدارس الإسلامیه الأخری، والتوحید الذی عندها لیسَ عند غیرها من المدارس الأُخری وهو توحید الطاعه؛ لأنَّ الله تعالی عنده برنامج نظری وبرنامج تطبیقی للبشر وأنَّ الحاکم هو الله تعالی والحاکم السیاسی دائماً هو الله تعالی، هذا علی منهاج مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) بینما لا نشاهد هذا فی المذاهب الإسلامیه للأسف عندهم فقط البرنامج النظری دون التطبیقی ولیسَ عندهم توحید وحاکم سیاسی.

وحده القرآن لیست وحده سیاق الآیات ولیست وحده المعنی والموضوع، وإنَّما وحده القرآن هی وحده الدین ووحده الدین هی وحده نظام، کما سیأتی مفصلاً فی محله - إنْ شاء الله تعالی -

ولذا ولایتنا وإمامتنا نظاماً للمله وتنسیق للقلوب والأفکار فهی ترتبط وتتناسق فیما بینها وکل هذهِ البیانات تشیر إلی منهج أمومه المحکمات.

المقام الثالث

وفيه:

*بحث امتياز منهج أمومه الولايه عن غيره.

*العلاقه بين الظاهر والباطن.

*العلاقه بين الفتق والرتق.

*أهميه البحث المقارن.

*الفوارق بين منهج أمومه ولايه أهل البيت عليهم السلام على المحكمات فى القرآن فضلا عن المتشابهات وبين التفاسير الأُخرى - بحث مقارن -.

*القيمومه فى التعليم والبيان.

*حجيه آيات وسور القرآن حجيه معيه لا حجيه مستقله.

*المؤاخذات على المناهج الأُخرى.

*العلاقه بين الظهور والتأويل - قاعده التعريض - وبين منهج أمومه ولايه أهل البيت عليهم السلام.

المقام الثالث: بحث مقارن بين منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فى القرآن فضلا عن المتشابهات والمناهج الأخرى

اشاره

وفيه:

١ – بحث امتياز منهج أمومه ولايه أئمه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فى القرآن فضلاً عن المتشابهات، عن غيره:

يُعلم مما تقدم يمكن القول: أنَّ أصول التفسير لابدَّ وأنْ يكون الواضع الأوَّل هو الله تعالى ثم النبى (صلى الله عليه و آله) ثم أئمه أهل البيت (عليهم السلام)، وليسَ المفسرون والمجتهدون والفقهاء، وإلّا لكان فى تفسير هذا القرآن تمزق وتشتت وذلك لأنَّ القرآن له وَحْدَه منظوميه لا يمكن كشفها إلّا من قبل المعصومين (عليهم السلام).

ثم بعد ذلك إذا حافظنا على الأصول التى هم أسسوها يمكن أنْ تنبثق أصول اجتهاديه تفسيريه لا توجب تشتتات وتمزّقات، بلْ توجب وحده منهاج.

ولابدَّ من تحقيق الحال فى العنوان التالى:

أم الكتاب

قبل الخوض فى معنى الأمومه والهيمنه للآيات المحكمه المحكمه يمكن طرح هذا التساؤل وهو:

هل أنَّ الآيات المحكمه هى أم الكتاب، أم لا؟

وهل أنَّ أمَّ الأمِ هو أصل الأصل أم أنَّ الأمَّ هو أصل ولايه أهل البيت؟.

والجواب: أنَّ القرآن الكريم فی بـدايه سوره آل عمران(۱) بيَّن أنَّ معنی أمومه وهيمنه ومركزيه المحكمـات هو يرد المتشابهات إليها، وهذهِ قاعده معرفيه مهمه جداً فی ردِّ المتشابه إلی المحكم.

وبيَّن القرآن الكريم أنَّ البشـر لو أُعطوا فقـط الآيـات المحكمـات والمتشابهات فإنَّه ليسَ لهم القـدره علی ردّ ومآل وسـير مرجع المتشابهـات إلی المحكمات، وكـذا ليسَ باسـتطاعه المحكمات لوحـدها برفع نقاط الشـبه والتشابه عن المتشابهات، وإنَّما الـذی يمتلك القـدره الكافيه لردِّ ذلك فقط هو الله تعالی وهو المعلم الأوَّل والراسـخون فی العلم هم المهيمنون علی هـذهِ المحكمات والمتشابهات.

ومن الواضـح أنَّ العالم بالشـیء محيطٌ به، وبما أنَّ الله تعالی والراسـخون فی العلم هم فقط الذين يعلمون بالمحكمات ومصداقها الأوَّل وإليه ينتهی ما عداه، بعد الله تعالی هم النبی (صلی الله عليه و آله) وأهل بيته العالمون بذلك.

النتيجه: - إنَّ المحكمـات أعظم من المتشابهات، وبما أنَّ العالِم والمحيط بالمحكمات أعظم من المتشابهات فننتهی إلی أنَّ أهل البيت (عليهم السـلام) أمومتهم وولاـيتهم (عليهم السـلام) - التی أكَّد عليها القرآن فی مواضع مختلفه من سوره المباركه منها ما نحن بصـدده إلاَّـ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ والـواو هنـا فی الآـيه المبـاركه للعطـف والعطـف يقتضـی التشـريك فی الحكم بين المعطوف والمعطوف عليه، وإنْ كان للقوم آراء أُخری فی أنَّ الواو استئنافيه أو غير ذلك.

وأمومه النبی (صلی الله عليه و آله) هی أعظم من أمومه المحكمات علی المتشابهات، ولا يكون إحكام المحكم إلّا بعلوم وببيان أهل البيت (عليهم السلام).

۱- (۱) سوره آل عمران: الآيه ۷، هُوَ الَّذِیَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ....

أيضاً ذكر القرآن أم الكتاب وأنَّ لها أماً فی مورد آخر يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ١ وهناك شواهد قرآنيه كثيره على ذلك كما سيتضح فی بحث المحكم والمتشابه.

أيضاً من مميزات منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) عن غيره، هو أنَّ هذا المنهج يتميز بأنَّ له ظاهر وباطن وأنَّ الظاهر عند الناس والباطن ليسَ عندهم.

وأنَّ الذی عند الله تعالى ليسَ خفياً وإنَّما جلياً وإلّا لمْ تستفد البشريه منه.

نعم، يحتاج إلى مُعَلِّم يعلمهم بذلك ووساطه.

ويعتمد هذا المنهج على عدم تسطيح القرآن، ولا يفهم أنَّ القرآن سطح ليسَ له عمق كما فهمه البعض.

وذكر القرآن مثلاً فی سوره آل عمران أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ٢.

ولم يقل القرآن [هن وحده موضوعيّه أو لغويه أو فلسفيه أو عقليه... الخ] بلْ قال [هن أم الكتاب].

والقرآن المجيد يحذر من جحود حقائق لأنَّ القرآن يفصح بأنَّ للسور والآيات القرآنيه تنزيل ولها تأويل، كما أنَّ لها ظاهر له باطن، للآيه المباركه يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَهِ هُمْ غافِلُونَ٣ فالآخره باطن الدنيا، فإنَّ الآخره باطن هذا الظاهر.

المعلم الثانى: لمنهج تفسير أمومه المحكمات:

ويسمى هذا المعلم بالخفاء والجلاء، أو إجلاء الخفاء، ومعنى تجليه الخفى أى إظهار باطنه بنزعه باطنيه، بلْ ينزعه قرآنيّه.

وهـذا المبحث يُعدُّ من المباحث المهمه جداً والذى مُلِئتْ كتب الحديث عند الفريقين ببيان رسول الله (صـلى الله عليه و آله) من أنَّ للقرآن ظهو وبطن ولظهره بطن إلى سبعين بطناً.

والتفاسـير الأُـخرى – التى مَرَّ ذكرهـا – الأـدبيه منهـا والنحويه والعقليه و... الـخ. لها درجات ومساحات معينه لا لكل الآفاق وإنَّما بسـعه قدره البشر، ومن الجلى أنَّ الحقيقه الإلهيه أوسع من الطاقه البشريه وأوسع من القدرات العقليه؛ لذا القدرات والنتاج العقلى البشرى هو بقدر الطاقه البشريه، وهى قاصره عن آفاق وسعه بحور الحقيقه الإلهيه.

والنبى (صـلى الله عليه و آله) كمـا مرَّ، بَيَّن فى حـديث الثقلين بيانـاً معرفيـاً فى وصف القرآن وأنه حبـل له طرفان طرف عنـد الله وطرف عند الناس، وهذا إشاره إلى أمومه المحكمات.

مميزات المنهج الثانى – العلاقه بين الظاهر والباطن:

يتميز المعلم الثانى بعدّه مميزات:

أولاً: إنَّ للقرآن ظاهر وهو عند الناس، وله باطن وهو ليسَ عند

الناس، وكيف ما عند الله جلى ظاهر للناس لا خفى باطن.

ثانياً: يعتمد موازنه عدم تسطيح القرآن الكريم، ولا يفهم منه أنَّ القرآن سطح ليسَ له عمقٌ - كما فهمه البعض -.

ثالثاً: أكَّد القرآن الكريم فى مواضع مختلفه على أهميه وجود حقائق قرآنيه، وحذّر من جحودها، فمثلاً قوله تعالى: أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ١ عَبَّرت الآيه ب - (أم الكتاب) ولم تعبر [هُنَّ وحده موضوعيه أو لغويه أو فلسفيه أو عقليه أو... الخ].

وهذا يدلُّ على أنَّ آيات القرآن لا تنزيل ولا تأويل، كما أنَّ لها ظاهر ولها باطن للآيه المباركه: يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَهِ هُمْ غافِلُونَ٢.

والقرآن الكريم بعد أنَّ سجل دعامه معرفيه أساسيه حذَّر البشر من أنَّ يَسجن معرفته بالظاهر من القرآن الكريم فقط، أو بالباطن فقط أو بالتنزيل فقط أو بالتأويل فقط، وإنَّما أكَّد القرآن على أنَّه إذا آمنت بالقرآن الكريم فلابدَّ أنْ يكون إيمانك بالظاهر على حد سواء إيمانك بالباطن، ومثلما تؤمن بالتنزيل كذلك بالتأويل على حدٍّ سواء وهكذا.

وهذا مما أكَّد عليه قرناء وعِدْل القرآن الكريم وهم الأئمه المعصومون (عليهم السلام) وهو أهميه وجود التأويل.

بينما لو لاحظنا المناهج الأُخرى من المدارس الإسلاميه، بلْ حتَّى من

مفسری الإمامیه نراهم یؤکّدون کُلّ التأکید علی جانب التنزیل ولم یعتنوا بجانب التأویل، وسِرُّ ذلک واضح باعتبار - کما مرَّ - أنَّ تنزیل القرآن له طرفان طرف ممدود من السماء بالأرض وهذا الطرف مقدور لعموم الناس، وأمَّا الطرف الآخر الذی هو فی السماء وعند الله غیر مقدور لهم وهم فی عجز عن تناوله إلّا أنَّه غیر خفی عنهم بواسطه معلموه ألا وهم النبی والأئمه المعصومون (علیهم السلام) حتَّی لا یحرموه؛ ولذا تری العکوف من قبل العلماء والمفسرین و... علی التنزیل.

وهذا مما لا کلام لنا فیه ولا مشکله، إنَّما المشکله تکمن فیما لو حَصَر المُفسِّر نظام حقیقه القرآن والنظام القرآنی فقط وفقط فی التنزیل، وهنا نواجه مشکله وهی أنَّ القرآن الکریم نفسه بُیِّنَ بلسان عربی مُبین ونورٌ وهُدَی، فکیف یصیر فیه غموض وخفاء وبطون.

وعلیه فالمشکله التی تواجهها المناهج التفسیریه الأُخری غیر منهج أمومه المحکمات هی مشکله العکوف علی جانب التنزیل فی القرآن الکریم ورسم نظام تفسیری للقرآن محدود بحدود التنزیل.

إلّا أنَّه وللأسف إذا رجعنا إلی قواعد وأصول التفسیر عند المفسرین نجدهم غالباً حتَّی عند علماء الإمامیه فإنَّهم یُغفلون أو لمْ یُفَعِلوا الطرف الغیبی والطرف التأویلی فی القرآن الکریم.

ومن أهم فوارق المعلم الثانی الذی نحن الآن فی صدد بیانه هو أنَّ الجانب الغیبی فی القرآن أوسع من الجانب التنزیلی بنسبه لا متناهیه، کما سیأتی تفصیله فی محله إنْ شاء الله تعالی.

العلاقه بين الفتق والرتق

من الفوارق المهمه والفارقه بين منهج تفسير أمومه المحكمات عن المناهج الأُخرى هو أنَّه فى تفسير أمومه المحكمات يتمُّ فيه التعرف على عمليه الفتق بعد الرتق أو التبين بعد الاندماج أو التفصيل بعد الإحكام.

والفتق فى اللغه هو الشق والفتج(۱).

والرتق فى اللغه: ضد الفتق وهو الإلتئام(۲).

وقد ورد فى وصف النبى (صلى الله عليه و آله) أنَّه الفاتق الراتق يعنى فاتق الجور وممزقه وراتق الخلل الذى وقع فى الدين والكلام استعاره(۳).

وهذهِ القاعده من القواعد المهمه التى أكَّد عليها القرآن الكريم وأئمه أهل البيت (عليهم السلام) إلّا أنها وللأسف أصبحت نسياً منسياً فى مناهج تفسير المفسرين، وهذا المَعْلَم نخوض به الآن على نحو الإجمال، وسيأتى بسط الكلام فيه وتفصيله كأصل تفسيرى مهم إنْ شاء الله تعالى.

سؤال: ما المراد بالبيان أو الفتق أو التفصيل؟ أى التفصيل بعد إجمال.

الجواب: سيأتى فى نظام قواعد المعانى ونظام قواعد الحقائق الوجوديه للقرآن أنَّ التفصيل والإحكام والفتق والرتق قد تكون على صعيد المعنى وذلك باستخراج معانٍ عديده من معنى واحد مدمج، فالمعانى المستخرجه

۱- (۱) مجمع البحرين ج ۲ ص ۲۲۳ ماده فتق.

۲- (۲) المصدر السابق ص ۱۶۶ ماده رتق.

۳- (۳) المصدر السابق، ص ۲۲۴.

فتق لوحده إجماليه للمعنى الوحدانى بوحده رتقيه وهو ما يعبر عنه بالعقليات بطباعه التحليل والتركيب وهذا فى الترادف العقلى والجزئيه وتفكيك المعنى الواحد إلى معانٍ عديده، وقد يكون الاستخراج لا من بطن وذات معنى معين، بلْ استخراج المعانى من الترابط والتأثير الوجودى بين معانى مختلفه. فالتفكيك والتفصيل للمعانى والدمج لها فى معنى واحد أحكام التفكيك للمعانى والدمج لها أحكام.

فى كل علم من العلوم هناك مراتب وطبقات متسلسله مترتبه فيه، وسسلسله مراجع مبتنيه أنَّ المرجع الأعلى حاكم على الأسفل كما هو المعروف فى قوانين البشر الوضعيه، فضلاً عن قانون ونظام القرآن الذى أكَّد عليه قبل أكثر من أربعه عشر قرناً.

مثال: علم القانون فيه مراتب وطبقات.

الطبقه الأولى: التقنين الدستورى، والذى يعبر عنه أحياناً بالفقه الدستورى.

الطبقه الثانيه: تقنين الفقه النيابى فى المجالات النيابيه، والمعبر عنه اليوم بالبرلمان – مجلس النواب –.

الطبقه الثالثه: التقنين الوزارى الذى تقوم به الوزارات والمجالس الوزاريه.

الطبقه الرابعه: التقنين البلدى تقوم به المحافظات والأقضيه والبلديات وغيرها.

وسير عمل هذهِ الطبقات أنَّ الطبقه الأعلى تفصيل أُجمِل فى الطبقه

الأقل، وهكذا مع تفاصيل أكثر فى الطبقه اللاحقه، فمثلاً الطبقه الثانيه - التقنين النيابى - عباره عن تفصيل للتقنين الدستورى أُجمِلَ فى التقنين الوزارى، والتقنين الوزارى عباره عن تفصيل أكثر بسطاً وشموليه وسبقه من التقنين النيابى، وهكذا التقنين البلدى الذى هو تفصيل أكثر وأكثر من التقنين الوزارى.

وبعد اتضاح هذا نقول: العلاقه بين الطبقه الأولى (التقنين الدستورى) والطبقه الثانيه (الفقه النيابى) علاقه أمومه فهذهِ أحد معانى الأمومه التى بيّنها القرآن فى سوره آل عمران هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ[1].

وكذا أهل البيت (عليهم السلام) بيَّنوها لنا وأكَّدوا عليها.

الخلاصه: إنَّ الطبقه العليا تعتبر أمّاً ومرجعاً وأصل يحتكم إليه بالنسبه للطبقه الأقل وهكذا.

وعليه فالمراد بالفتق بعد الرتق هو التفصيل بعد الإجمال وعليه يقوم نظم المجتمع أو دوله المجتمع فإنَّه قائم عدا أساس وجود دستور وأمومه فوقيه لما تحتها وأنَّ كل طبقه من طبقات القانون لها معالم معينه والطبقه الأعلى مهيمنه على الطبقه الأدنى وهكذا الأدنى هى أعلى لما دونها ولها الهيمنه، وهكذا، بلْ حتّى ديباجه الدستور - أى الطبقه الأولى التى فيها تقنين دستورى - فبها هيمنه على فصول وأبواب الدستور كُلَّها - أى أنَّ ديباجه الدستور هى أم للدستور - بأنَّ كل طبقات الدستور وتفريعاته

ترجع وتحتكم إلى الأم وهى الديباجه.

أيضاً ديباجه الدستور لها مرجع وأم وهو ما ترفعه الدول من سفارات مثلاً: جمهوريه مستقله ديمقراطيه حُرَّه فهذهِ الكلمات الأربعه تحدد أمومه مرجعيه ديباجه الدستور.

مثال الثانى: علم الرياضيات - تقدم سابقاً - أيضاً له أمومه وهيمنه على جمله من العلوم التجريبيه كعلم الهندسه الفراغيَّه، والهندسه الميكانيكيه الفضائيه، والهندسه الفيزيائيه، والكيمائيه، حساب الجبر، حساب الأجسام، حساب علم الإحصاء، وحساب الاحتمالات، واللوغارتم... الخ وهذا معناه أنَّ هذهِ العلوم لا يقوم لها أمر وينفرط أمرها ولا يستثمر من دون الرياضيات.

الذى بات اليوم واضحاً ومعترفاً به علمياً وعالمياً ودولياً أنَّ الرياضيات قائداً وسيداً ومرجعاً وأُمّاً للعلوم التجريبيه، بلْ حتّى القواعد والمعادلات التسعه فى الرياضيات لها أمومه على كل تخصصات علوم الرياضيات.

أمومه علم الرياضيات هى ما تسمى فتق وتفصيل وبيان بعد رتق وإجمال وإحكام. وهكذا باقى العلوم، وليسَ المقصود عدم أهميه أو إجحاف فى العلوم الما دون القمه والمرجع كلا، بلْ حتّى فكره التشجير ترجع إلى فكره الأمومه.

والمتحصل من كل هذا: - تبين أنَّ المنهج الوحيد من بين المناهج التفسيريه للقرآن الذى يُراعى هذهِ الأمومه والهيمنه هو منهج أمومه المحكمات وأمومه أهل البيت (عليهم السلام).

مثال ثالث: المعروف لدى كل العلوم أنَّ المسائل النظريه تستولد وتستنتج من المسائل البديهيه - أى المبادئ التصوريه والتصديقيه فى ذلك المعلم - والفكر والعقل الإنسانى إنَّما يتنامى ويتسع وتترامى استنتاجاته واستنباطاته انطلاقاً من البديهيات، وعليه فالمعلومات بينها ترابط توالدى فى اصطلاح المنطق الأرسطى المعروف وكل تفاصيل العلوم من صغرى وكبرى ومبادى تصوريه وتصديقيه بات مفروغاً عنها بأنَّها تتوالد تلك الحقائق من نظريات أو فرضيات وهكذا.

وعليه حاله توالد العلوم هو توالد وانطلاق من البديهيات إلى النظريات، وكلما توغلت النتيجه والبحث العلمى فى النظريات كلما زاد غموضاً أكثر ويَقِل فيه نور الاطمئنان واليقين والجزم.

إذنْ عمليه التوالد هذهِ هى أيضاً عمليه أُمومه، فالأم والدائره المركزيه والقطب هى البديهيات التى تنطلق منها دوائر متعدده أوسع فأوسع.

ص:١٧٩

أهميه البحث المقارن

اشاره

من الواضح أنَّ الفطنه والتدبر فى أصول وقواعد ومناهج التفسير تعطى بصيره ناقِدَه للمُفسِّر ومنهجيه رائعه ومضبوطه وعميقه، وتقدم أنَّ المُفَسِّر كلما يستقصى ويتوافر على معلومات ومواد تفسيريه عديده كلها كانت اليقظه لديه فى المنهج التفسيرى أكثر ويكون سيره ومنحاه التفسيرى أكثر صواباً وسداداً وعمقاً.

ويترتب على هذا الاطلاع على آراء المفسرين ومناهجهم سواءً من مفسرى الإماميه ومقارنه بعض المناهج التفسيريه مع البعض الآخر، أو من مفسرى العامه مع إجراء المقارنه مع مناهجهم التفسيريه أيضاً.

وهذا ما يعبر عنه بالبحث المقارن.

ما المراد بالبحث المقارن؟

ويرادُ به جمع الآراء المختلفه وتقييمها والموازنه بيها بالتماس أدلتها وترجيح بعضها على بعض، وهو بهذا المعنى أقرب اليما كان يسميه الباحثون من القدامى بعلم الخلاف أو الخلافيات(١).

والبحث المقارن يُركز فيه البحث على عِدَّه أمور منها: -

أولاً: التعرف على الهويه العلميه الشخصيه للمُفسِّر، والتاريخ العملى له.

ثانياً: معرفه الأسس التى أراد أنْ يبنى عليها تفسيره، ويتم ذلك من

١- (١) الفقه المقارن للسيد محمد تقى الحكيم، ص ١٥-١٦.

خلال الاطلاع على مقدمه أو ديباجه التفسير، وأحياناً هذا لوحده غير كافٍ بأنَّ يستحوذ الباحث على معرفه المنهج التفسيرى من البدايه لاحتمال أنْ يُبين المُفسِّر بعض آراءه من خلال تفسير بعض الآيات فى وسط أو آخر التفسير، وهذا أيضاً يختلف بحسب المستوى العلمى والعملى وتطوره من خلال معرفه ذلك.

هـذهِ الأمور وغيرها تعطى الباحث المتأمِل والمطالع الكريم صوره واضحه عن اختلاف المنهجيه أو تقاربها، وكـذا تعطيه نكات كثيره عن جهه الامتياز الإيجابى وجهات الإخفاق السلبى التى قد تعتور المُفَسِّر.

والخلاصه: إنَّ البحث المقارن لا يمكن الاستغناء عنه؛ لأنَّه يُعطى الباحث إلمامه واسعه بأصول التفسير وبموارد الاختلاف، كما عبَّر عن ذلك أمير المؤمنين (ع

):«عند مقارنه الأقوال يُعلم الخطأ من الصواب».

ص:١٨٢

الفوارق بين منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام)

على المحكمات فى القرآن فضلاً عن المتشابهات

وبين التفاسير الأُخرى – بحث مقارن

اشاره

إنَّ مِن أتمِّ وأبلغ مناهج وأصول التفسير لتفسير القرآن الكريم هو أمومه المحكمات لتفسير تمام آيات القرآن الكريم، وكذلك أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) لتفسير المحكمات.

إذنْ مثلما المحكمات لها أمومه على المتشابهات، كذلك ولايه أهل البيت (عليهم السلام) لها أمومه على المتشابهات فى تفسير المحكمات.

فلو قارنا بين نظام الثقلين الذى هو بمثابه نظام هِرَمى مخروطى كبير يسمى بنظام القرآن ونظام ولايه أهل البيت (عليهم السلام)، لمنهج التفسير القرآنى هو من أشد وأمتن، بلْ وأصوب من باقى التفاسير الأُخرى كالتفسير الموضوعى والتفسير التجزيئى المعروف والمتبع عند المفسرين، والتفسير الأثرى والإشارى أو اللطائفى... الخ.

وللتعرف على هذا المنهج – أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) يستدعى الخوض فى أصول التفسير المتعدده الأُخرى والمقارنه بينها كالتالى:

المنهج الأوَّل: أمومه المحكمات والمتشابهات وأمومه أهل البيت (عليهم السلام) للمحكمات وهو الحق المتبع.

المنهج الثانى: التفسير الموضوعى.

المنهج الثالث: التفسير التجزيئى.

المنهج الرابع: التفسير الأثرى الحديثى.

المنهج الخامس: التفسير الاجتهادى.

المنهج السادس: التفسير الإشارى أو ما يعبر عنه بالإشاره.

المنهج السابع: التفسير اللطائفى.

المنهج الثامن: التفسير الأَنْفُسِى بلغت أنفُسيه.

المنهج التاسع: التفسير المادى أو الطبيعى بقراءه العلوم الطبيعيه التجريبيه من فيزياء وكيمياء وفسيولوجى... الخ.

المنهج العاشر: التفسير بالحروف والعلوم الغريبه.

المنهج الحادى عشر: التفسير العقلى المنطقى الفلسفى الرياضى الأدبى... الخ.

وستأتى المقارنه خلاف مباحث الكتاب، وبيان خواص كل منهج من هذهِ المناهج التفسيريه إنْ شاء الله تعالى.

أهم مميزات منهج تفسير أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فى القرآن الكريم فضلاً عن المتشابهات:

أولاً: يتميز هذا المنهج المبارك عن باقى المناهج التفسيريه الأُخرى بأنَّه منهج قواعدى أكثر مما هو تفسير موضوعى أو تفصيلى أو تجزيئى أو تفسير القرآن بالقرآن الذى هو تتبع القرائن القرآنيه فقط.

ومنهجنا هذا يُلزِم المُفَسِّر بمراعاه مجموعه قواعديه منظوميه كنظام

واحـد؛ وذلك بسـبب أنَّ القواعـد التفسـيريه هى أعمـده داخليه وأَسـس، ولذا أحد عظائم القرآن أنَّه جَمَعَ القواعد والأركان فى مراكز ومحاور رئيسيه مُحكمه هى المرجع، وأحد أدوار ومسؤوليات المُفَسِّر أنْ يكتشف من خلال تفسير تلك الأعمده والأسس فى القرآن، ومن الواضـح أنَّ أسـلوب القرآن الكريم لاـ يتناول السـرد القصصـى والتعرض إلى سـرد الوقائع والأحـداث فى حياه الأمم والأنبياء، كلا، وإنَّما يركِّز على ذكر الوقائع والأحـداث الرئيسـيه والمفصـليه الهامه فى ذلك الزمان من دون التعرض لـذكر التفاصـيل والجزئيـات، فمثلاًـ فى قصـه نـبى الله يعقـوب (عليه السـلام) ذكر الأحـداث الهـامه فقـط ولم يتعرض القرآن إلى ذكر الجزئيـات كـذكر بـاقى أولاـد يعقـوب أخوه يوسف واقتصـر على ذكر قصه يوسف (عليه السـلام) والأحـداث البـارزه فيهـا ومن الواضـح لو تتبعنـا الروايـات الوارده فى التفسـير للاحظنـا أنَّ الإمـام (عليه السـلام) يـأتى من سور متعـدده ولاـ يوجـد لهـا وحـده موضوعيه، وإنَّمـا لهـا وحـده أعظم من الوحـده الموضوعيه ألاـ وهى وحـده القواعـد ولمـا لها من أبعاد عديـده. علماً أنَّ وحـده القواعد على نحوين:

النحو الأوَّل: إنَّ هذهِ القواعد فى عرض واحد ويؤثر بعضها على البعض الآخر وإنْ لم يكن لها وحده موضوعيه عندائيه.

النحو الثانى: وحده موضوعيه لها تأثير وتأثر طولى طبقاتى.

ولذا أئمه أهل البيت (عليهم السـلام) دائماً يؤكِّدون على المُفَسِّر الالتفات إلى هذهِ الأعمده والمفاصل الرئيسـيه؛ لأنَّها هى الأكثر هـدايه وتأثير على حياه البشـر ولا يُفهم من هـذا أننا نهمل التفاصـيل، وأنَّ القرآن فيه تبيان لكل شـىء، كلا فإنَّ هذا لا يتنافى مع تركيز الأضواء على الأعمده والمفاصل الرئيسيه.

ولـذا نجد الإمام الصادق (عليه السـلام) ينبهنا على أنَّ المحكمات التى وصـفها القرآن بأنَّها أَمّ الكتاب أيضاً هذهِ المحكمات لها أمٌّ لقول الصادق (عليه السلام):

«إنَّ الله جعـل ولايتنـا أهـل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكُتُب، عليهـا يسـتديرُ محكم القرآن، وبهـا نوّهت الكتب ويسـتبين الإيمان»(١).

ثانياً: يتميز هذا المنهج عن سائر المناهج التفسيريه الأُخرى؛ لأنَّه المنهج الذى يحرص أهل البيت (عليهم السلام) تعليمه الآخرين، وإنْ كـانوا يواكبون الأمه على مناهـج تفسـيريه متعـدده أُخرى، إلّا أنَّ التفسـير الأكمل هو الـذى اخترنا - أمومه ولايه أهل البيت على المحكما فى القرآن.

ثالثاً: اختيار منهـج أمومه ولايه أهل البيت والمحكمات فى القرآن، ليسَ معناه تخطئه باقى المناهج التفسـيريه الأُخرى، وإنَّما هى أيضاً حافله بإيجابيات وبإنجازات منهمه ومُعَذِّره إلّا أنها ليست هى المنهج المهيمن.

وتكامل منهـج أمومه ولايه أهل البيت والمحكمات فى القرآن مبتنٍ على تكامل قواعـد المناهج التفسـيريه الأُخرى، إذْ لو جُعِلت تلـك المناهـج الأُخرى - غير منهـج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السـلام) والمحكمات هى المحور والمركز بـدل المحكمات لوقعت المحاكمات والمحاسبات إلى ما شاء الله بخلاف العكس؛ لأنَّ مـدد منهج تفسير القرآن وأمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) والمحكمات وحيانى.

رابعاً: منهجنا يسـتوعب المناهج التفسـيريه الأُخرى ويخفظ وجودها وجهودها ومقدراتها ويحتفى بها ويرى ضرورتها ولا يُفندها، إلّا أنَّه يقول

١- (١) تفسير العياشى ج ١ ص ٧٨ ح ٨.

تحتاج إلى مزيد كمال لكى تكون منهج جمع الجمع وهو الأكمل.

وعليه فمنهج أمومه الولايه والمحكمات يُفعِّل بقيه المناهج التفسيريه ولكن لا يكتفى بها ولا يقصر عليها وإنَّما يواصل المسيره إلى قمم وأبعاد وغور الأعماق أكثر فأكثر كل ذلك ينطلق به من مَنصَّه الظاهر إلى عالم الباطن والدلالات الخفيه، كما ستضح ذلك كُلَّهُ فى مبحث الظاهر والباطن.

خامساً: منهجنا ليسَ بصدد بيان تقييم المناهج الأُخرى، وإنَّما بصدد بيان نِعَم هذا الفهم وكيف هيمنه هذا المنهج على باقى المناهج التفسيريه الأُخرى، بلْ وحتّى المنهج التفسيرى الذى رسمه العلامه السيد محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه) وجعله المهيمن فى القرآن، الكريم على بقيه مناهج التفسير وهو تفسير القرآن بالقرآن، وسيتضح من خلال البحث أنَّه فعلاً هو تفسير القرآن بالقرآن أم بشيء آخر إنْ شاء الله تعالى، ولا نريد أنْ نقول: إنَّ المنهج الذى اتبعه العلامه الطباطبائى (قدس سرّه) ليسَ له ثمار وفوائد، ولكن ليسَ هو المنهج الأكمل والمهيمن والأم.

وما عدا منهج أمومه المحكمات ليسَ هو المرجع والمنتهى والمهيمن على باقى المناهج التفسيريه الأُخرى؛ لأنَّ لو جُعل غير منهج أمومه المحكمات هو المرجع ينبغى وضع ضوابط رقابيه عليه ولا يَفْلُت زمام الأمور منه، وهذا معناه أنَّه ليسَ هو المنهج المهيمن، وإذا لم يكن مهيمناً معناه أنَّه يوجد فوقه منهج آخر مهيمن ألا وهو منهج تفسير أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام).

سادساً: يمتاز هذا المنهج التفسيرى بقاعده النظم والنظام والذى معناه وجود القواعد المنسِّقه بين أمور متعدده - كما سيتضح الحال خلال

البحث إنْ شاء الله تعالى - فهناك تنسيق بين المناهج وإنَّ لكل منهج حدوده فإنَّ تعداها يقع فى أخطاء وإخفاق بدلاً من أنْ تكون له ثمار.

منهج أمومه المحكمات وأهل البيت يمتاز بأنَّه منهج يبنى ويؤسس قواعد الاتصال والتنسيق بين المناهج، ولا يجعل الأمر فوضى بين مناهج تفاسير القرآن الكريم.

سابعاً: منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) الذى نروم استنباطه وفهمه بحدود قدرتنا القاصره - أنَّ القرآن الكريم يُشير إليه فى موارد عديده وكذا العتره الطاهره أشارت إلى ذلك، ونستظهر من بيانات الوحى - بحدود قدرتنا القاصره - إنَّ هذا المنهج هو المنهج والنظام الوحيانى على بقيه الأنظمه أى هيمنه القراءه الوحيانيه للقرآن على القراءه الفَعّليه والقراءه اللغويه والموضوعيه والتجزيئيه... الخ.

وتلك القراءات عدا - أمومه المحكمات - ليست أُفقها وآفاقها وحيانيه، فهى إمَّا عقليه أو قلبيه، أو جسمانيه أو ماديه أو أزليه وهى فى حدود الصوت.

ثامناً: يتميز هذا المنهج بالهيمنه أى السيطره والاحتواء ليسَ على مَن قبله فقط، الهيمنه بلحاظ وحده الموضوع، وإنَّما المراد من الهيمنه يعنى شموليه نظام الهيمنه على نظم أُخرى، وهذا فارق علمى صناعى وجوهرى بين الوحده الموضوعيه وبين وحده النظام، وهى فوارق كثيره وخطيره.

فهناك فرق كبير بين المنهج التفسيرى للقرآن الكريم الذى يبتنى على قراءه الوحده العقليه فى القراءه الفلسفيه للتفسير الفلسفى وبين وحده

النظام أی أمومه المحکمات الذی یتمیز بوحده نظام أکثر شمولیه وهیمنه وسِعَه حتّی من قراءه الوحده العقلیه للتفسیر الفلسفی أو العقلی أو القلبی أو الروحی أو الأنفسی أو... الخ.

تاسعاً: قد لا توجد وحده موضوعیه فی أمومه المحکمات بین الآیه المحکمه والآیه المتشابهه، ولکن توجد صله حقیقیه بینهما کصله المنبع والولاده والمرجعیه فإنَّ المتشابه مرجعه ومنبعه المحکمات.

وهناک تساؤل یُطرح: - هل عدم وجود الوحده الموضوعیه بین الأشیاء یکشف عن عدم حقیقه الصله بینها، ولابدَّ من حصر الصلاه والارتباط بالوحده الموضوعیه؟.

الجواب: کلا، حَصْر الصِّلاه والارتباطات بالوحده الموضوعیه لا یکشف عن الحقیقه وذلک ببیان: -

لو لاحظنا التفسیر الموضوعی مهما بلغ شأوه وتحلیقه لا یصل إلی کشف کل أطراف الحقیقه، فقط هو محبوس ومتقوقع بما إذا کانت هناک وحده موضوعیه فقط، وهو أشبه ما یکون بالترادف اللغوی، بینما الترادف العقلی لا یتسع أُفق التفسیر الموضوعی له، فإنَّ الترادف العقلی أکثر سِعه من الترادف الموضوعی.

نذکر الفوارق باختصار بینها: -

الترادف لغه: التتابع(۱).

اصطلاحاً: هو اشتراک لفظین متغایرین فی معنی واحد.

۱- (۱) مجمع البحرین، ماده «رَدَفَ».

المترادِف: ما يكون فيه المعنى قد وُضِع له أكثر من لفظ لغرض الدلاله عليه، مثل: - الحيوان المفترس، فإنَّ له مجموعه من الألفاظ قد وضعت للدلاله عليه، مثل لفظ: الأسد، والليث والهزبر(١).

فائده الترادف: - أنَّ يثبت غناء اللغه وسِعَه إمكانيتها، ونظراً لوقوع الترادف وكثرته فى اللغات، نستطيع بواسطته ترجيح غناء لغه على أُخرى. وهذا هو الترادف اللغوى.

الترادف العقلى: هو التنسيق والتأليف بين الأشياء المختلفه والتى تتفق فى جنس من الأجناس المؤلفه لذواتها كلها من جنس واحد.

إلّا أنَّ الوحده العقليه بين الأشياء لا تُغطّى تمام ذوات هذهِ الأشياء وإنَّما بعضها.

الترادف الموضوعى: أى التلازم فى عين الوجود الخارجيه، نظير تلازم المعلول والعله فأنهما لا ينفكان.

الترادف التكوينى الوجودى: وهو الذى لا ينحصر بالمتماثلين والمتشابهين والذى تكون فيه الصِّلاه أوسع من الترادف العقلى والفلسفى، كالصِّلاه الموجوده فى نظام العلل والمعلولات.

وهكذا ربما الحال بين العله والمعلول، بين الخالق والمخلوق فإنَّه لا توجد وحده جنس بين البارى تعالى وبين مخلوقاته، فإنَّ ذاته تعالى أجل من أنْ تتركب من أشياء، أو تفتقر ذاته إلى أجزاء فليس يجمعه مع مخلوقاته وحده ماده ليسَ كمثله شىء وهو السميع البصير.

١- (١) المعجم الشامل، ج ١ ص ٣٤٢ الترادف.

الله تعالى لا يتجانس مع خلقه بشيء - داخل فى الأشياء بلا ممازجه خار عنها... الخ.

وعليه فما هى العلاقه بين الخالق والمخلوق هل توجد علاقه أم لا؟

توجد علاقه بينهما، بلْ من أقوى العلاقات والارتباطات واستقاءها منه تعالى، وهذهِ العلاقه لا تندرج تحت أفق أوسع وأرحم من غير امومه مَنْ هو الأوَّل والآخر وإليه منتهى الخلق وهو الله تعالى.

الخلاصه من كل هذا: إنَّ أمومه ولايه المحكمات للمتشابهات وأمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) للمحكمات أمومه هيمنه وقدره وسلطنه أوسعُ من الترادف اللغوى والوحده العقليه والتفسير الموضوعى... الخ.

فكل ماعدا ولايه المحكمات لها مساحه معينه ومحدوده.

والترادف التكوينى هو الأقرب لأمومه المحكمات.

عاشراً: يؤكِّد القرآن الكريم من خلال منهج أمومه المحكمات على أنَّ للقرآن طرفان طرف تنزيل، وطرف تأويل، بينما المناهج التفسيريه الأُخرى من المدارس الإسلاميه فضلاً حتّى عن بعض المناهج التفسيريه عند علماء الإماميه، تَصُب اهتمامها على الطرف النازل من القرآن الذى هو عند عامه الناس وهو التنزيل دون التأويل.

بينما الصحيح فى منهج أمومه المحكمات التأكيد على كلا الطرفين التنزيل والتأويل.

أحد عشر: امتياز منهج أمومه المحكمات على غيره، فإنَّه يتمُّ التعرف فيه على عمليه الفتق بعد الرتق، أو التبين بعد الاندماج، أو التفصيل بعد

الإحكام.

اثنى عشر: هذا المنهج يُفَعِّل الطبقات الظاهِرَه والغريبه منه فى كل طبقات القرآن الطرف الذى عند الله، والطرف الذى عند الناس.

ثلاثه عشر: يمتاز هذا المنهج بأنَّه ليسَ فيه تعطيل وتجميد لحجيه القرآن، وإنَّما فيه إعمار وإحياء له، عكس ما عند المناهج الأُخرى.

أربعه عشر: يركِّز هذا المنج على كلا الحجتين الظاهره والباطنه، والمراد من حجيه الظاهر حجيه مَعيه بين الكتاب والسنه.

خمسه عشر: يتميز منهج أمومه المحكمات بأنَّه يُبحث فيه ثلاثه أنظمه:

١ - النظام الاستعمالى اللفظى للقرآن الكريم.

٢ - النظام المعنوى والمعانى للقرآن الكريم.

٣ - نظام حقائق القرآن.

وفى كل واحد من هذهِ الأقسام الثلاثه يُبحث فيه أيضاً ثلاثه مباحث:

١ - نظام الأفعال - الأفعال الإلهيه -.

٢ - نظام الصفات الإلهيه.

٣ - نظام الأسماء.

بينما المناهج الأُخرى يبحث فيها نظام واحد.

سته عشر: يتميز منهج أمومه المحكمات فى القرآن وقطبيه أهل البيت فى القرآن: - بالتركيز على نظام الحقائق فى تفسير القرآن، أى الجانب الغيبى الذى لم تركز عليه المناهج التفسيريه الأُخرى.

سبعه عشر: يرعى منهج أمومه المحكمات ويصب اهتمامه على نظام الصفات والأسماء فضلاً عن نظام الأفعال الإلهيه، بخلاف المناهج التفسيريه الأُخرى، لم تَرْعَ كثيراً لهذه البحوث، وإنَّما ركَّزت وأكَّدت على نظام الأفعال، بدعوى أنَّ البحث الصفاتى أيضاً مطلب بعيد المنال، كما أنَّ البحث فى الأسماء كذلك بعيد المنال، علماً أنَّ نظام الأفعال الذى ركَّزت عليه منهاهجهم - غير أمومه المحكمات - لا يُفهم إلّا بنظام الصفات، كما أنَّ نظام الصفات لا يُفهم إلّا بنظام الأسماء لتوحيد الذات، كما سيتضح فى محله إنْ شاء الله تعالى.

ثمانيه عشر: يمتاز هذا المنهج عن باقى المناهج التفسيريه، أنَّه بصدد استخراج القواعد والجزئيات من معارفها، ويتكفل ببيان هذهِ القواعِد والنكات المعرفيه ببيان غير مشتت.

تسعه عشر: كل منهج من مناهج التفسير له إيجابياته ودوره وإيفاداته ولكن له نواقصه وإخفاقاته وقصوراته، فمنهاج أمومه المحكمات يؤمن تلافى وتفادى القصورات التى تُشاهد فى المناهج التفسيريه الأُخرى لتُدارك الإخفاقات فى تلك المناهج التفسيريه الأُخرى، كل ذلك يتمُّ عبر منهج تفسير أمومه المحكمات.

عشرون: من المعلوم أنَّ القرآن الكريم ذو طبقات متعدده وهذا يستلزم تعدد الخطاب القرآنى وتعدد الخطاب هذا لا يعنى تجميد القرآن فى البيانات العلميه لأهل البيت (عليهم السلام)، والإتيان بالحروف المقطعه فى بدايات السور مثل [يس، حم، الم، الر، ق، ن، كهيعص...] فإنَّه لا يُفرق معناها ومَن المخاطب بها وهذا يدلل على أنَّ القرآن ذو طبقات مختلفه وليسَ على

نسق واحد، وهذهِ المعانی لیست واضحه لعموم الناس، وإنَّما القرآن بکل طبقاته هو بیان لبعض ولثُلَّه من البشر وهم النبی (صلی الله علیه و آله) وعترته الطاهره بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ۱. ومن هذا نعرف الترابط بین ولایه أهل البیت وولایه الله ورسوله وإلقاء کُلّا منهما بظلاله وتُکلل بوارث ظلها علی قواعد وأصول تفسیر القرآن وهذا یدلل علی محوریه وقطبیه ومرکزیه منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) للمحکمات والذی یؤکِّد علیه الإمام الصادق (علیه السلام)

«إنَّ الله جعل ولایتنا أهل البیت قطب القرآن، وقطب جمیع الکتب علیها یستدیر محکم القرآن وبها نَوَّهت - یوهب (ن) - الکتب ویستبین الإیمان»(۱).

فالتوراه لا- تفهم من دون مرکزیه أهل البیت (علیهم السلام)، وعلیه فالتوراه کمنظومه للشریعه وتنظم حیاه المجتمع المتشرع لا یمکن أنْ تُفْهم تلک الشریعه والمنظومه فی التوراه إلّا من خلال القرآن، وبما هو موجود فی تراث النبی (صلی الله علیه و آله) وأهل بیته.

وهذا هو معنی الأمومه للمحکمات وولایه أهل البیت (علیهم السلام) للمحکمات فی القرآن ولجمیع الکتب السماویه کما تقدم فی الروایه عن الصادق (علیه السلام).

وعلیه إذا أراد أهل التوراه من الأحبار وعلماء الیهود أنْ یفهموا التوراه علی ما هی علیه بالنسق المنظومی فیجب أنْ یفهموا ولایه أهل البیت (علیهم السلام) وأنَّ هندسه التوراه قائمه علی نظام مرکزی والنقطه المرکزیه فیه هی ولا-یه محمد وآل محمد - صلوات الله علیهم أجمعین -.

۱- (۲) تفسر العیاشی، ج ۱ ص ۷۸ ح ۸.

واحد وعشرون: يتميز منهج أمومه ولايه أئمه أهل البيت (عليهم السلام) عن باقى المناهج التفسيريه الأخرى، بأنَّه لا يقف الأمر فى تفسير القرآن عند حدٍّ معين بخلاف غيره من المناهج التفسيريه فإنَّها تقف عند حدٍّ معين فى تفسير القرآن.

ولذا يذكر أحد العلماء فى الحوزه العلميه فى النجف الأشرف أنَّه حضر درس تفسير لأحد العلماء، وأنَّه ذكر لآيه واحده خمسةً وعشرين أو ثلاثين وجهاً وكلّ هذهِ الوجوه منطبقه مع موازين اللغه وقواعد البيان لتفسير الآيه المباركه وتَحمُّلُ الكلام الواحد لمعانى كثيره وعديده متباينه ومتخالفه بموازين واحده يُدلِّل على غَنَاء تلك اللغه وعلى عمق وتحليل المُفسِّر والغور فى الأعماق، واستخراج تلك المعانى المتطابقه مع قواعد وموازين اللغه المنضبطه بنجاح.

هذا ما نريد التأكيد عليه فى اختيار منهج تفسر أمومه المحكمات.

ما دامت تستبق قواعد العلوم اللغويه والموازين فى الاستظهار بلغ ما بلغ من استكثار وتعداد المعانى كلُّها حجه.

اثنان وعشرون: يُركِّز ويؤكِّد منهجنا على أنَّ نظام اللغه والبيان نظامٌ عظيم ولا يمكن أبداً أنْ نحبس علم اللغه فى مقوله محدوده كما اشتهر فى لسانهم أنَّ اللغه والبيان تدور مدار العرف، فإنَّ هذا يرفضه منهجنا التفسيرى المختار، والذى يؤكِّد عليه أهل البيت (عليهم السلام) وهو منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) الذى يرى إنَّ علم اللغه علمٌ منفتح وليسَ محبوس بحسب ادراكات العرف المحدوده.

ثلاث وعشرون: منهجنا التفسيرى - أمومه المحكمات وأمومه ولايه

أهل البيت (عليهم السلام) يتعاطى مع بيانات القرآن الكريم ليسَ بحجه تعبديه وإنَّما يتعاطى مع بيانات القرآن الكريم وبيانات أهل البيت (عليهم السلام) كبيانات علميّه لا أنَّها حجه ظنيه.

أربع والعشرون: التأويل ومبحث الدلالات الخفيه على منهجنا التأويل له أقسام وأنواع مختلفه تختلف بحسب الأنظمه الثلاثه:

١ - نظام الاستعمال اللفظى.

٢ - نظام المعانى.

٣ - نظام الحقائق.

وأمَّا ما يُترائى من المنهج التفسيرى الذى سلكه العلامه الطباطبائى فى الميزان فى تفسير القرآن حصر منى التأويل فى النظام الثالث إلّا الحقائق وأمَّا التأويل من سنخ الحقائق وأنَّ عاقبه حقائق الأمور هو فى الحقيقه نمطٌ من التأويل فى نظر السيد العلامه الطباطبائى صاحب تفسير الميزان (قدس سرّه).

خمس وعشرون: المناهج التفسيريه الأُخرى لا ترى نظام الحقائق له صله بالقرآن وإنَّما هى بحوث كشف عنها القرآن وإنَّما هى كعقائد نبّه عليها القرآن وليست جزء من متن القرآن، وهذا بالتالى يؤثر كثيراً على منهجيه المفسر فى تفسير القرآن ويكون للمفسر نظامان فقط؛ نظام الاستعمال اللفظى، ونظام المعانى، بخلاف منهج أمومه المحكمات فإنَّ فى منهجها لتفسير الأنظمه الثلاثه: -

١ - نظام الاستعمال اللفظى. ٢ - نظام المعانى. ٣ - نظام الحقائق. وأنَّ نظام الحقائق له تأثيره الكبير والعميق على منهجيه تفسير المفسر للقرآن،

فإنَّ المعنى إذا كان يحمل رؤيه واضحه عن نظام الحقائق يختلف عن المعنى الذى لا يحمل هذهِ الرؤيه المهمه والعميقه فإنَّه يؤثر عليه حتَّى فى كيفيه أداؤه وبيانه لتفسير آيات القرآن الكريم ويختلف عنه تماماً. فمثلاً المُفَسِّر الذى لا يعرف مدى ارتباط شجره ليله القدر بنظام القرآن ككل أحد المباحث التى ستأتى فى نظام حقائق القرآن لا يمكنه أنْ يُفسِّر جمله من الآيات والسور لماذا؟.

لأنَّه لا يمكنه أنْ يُفُسِّر بشكل دقيق إلّا مع معرفه نظام الحقائق، وإنْ كان المفسرون الأوائل من المسلمين يقتصرون على نظام الاستعمال اللفظى فقط من دون إقحام نظام المعانى فى التفسير إلّا أنَّ هذا النمط من التفسير يعتبر ابتدائياً.

ست وعشرون: من الامور التى تُمَيِّز منهج امومه المحكمات التركيز على الأنظمه الثلاثه كما بينا والنظام الاستعمالى اللفظى فيها التركيز على عدَّه قواعد منها التعريض ومنها الالتفات، ومعنى قاعده الالتفات هو تعدد الخطاب القرآنى، والروائى فى مقطع أو آيه واحد قدْ يتبدل المخاطب أو المتكلم أو كلاهما معاً أو غير ذلك، وفى قاعده الالتفات يركز على المعلومات الخطيره والمهمه التى يترتب عليها الأثر والنتيجه وهو ما يعبر عنه باللب اللباب، وهذا يتماشى مع ثوره إنجاز المعلومات المعاصره فإنَّها تركز على المعلومات الخطيره والدقيقه التى لها الأثر البالغ ولها المحوريه المركزيه فى باقى العلوم الأُخرى، وهذا مرتبط كذلك بمنهج أمومه المحكمات مما يعنى وجود معلومات مركزيه عليها تدور سائر المعلومات الأُخرى وهى عمدتها، فإنَّها لا تكترث بنقل كُلّ ما هَبَّ ودَبَّ، وهذا ما

یسمی بمصطلح العلوم الحدیثه بعلم (نظم المعلومات) وهو علم یلازم کُلّ العلوم التی یراد بها أنْ تنتهی إلی نتائج صحیحه ومثمره وعلیها یرتب الأثر لابدَّ أنْ یکون فیها نظم معلوماتی وفق قواعد وموازین وحسابات خاصه ومرتبه لا مبعثره.

سبع وعشرون: منهج أمومه المحکمات یُحذر المسلمین من اتباع المتشابهات ذروا المتشابهات وإیاکم من الانخراط فیها وابعدوا المحکمات وحوموا حولها؛ لأنَّ اتباع المتشابهات فیها فتنه عقائدیه وسیاسیه وفکریه لذا حَذَّر القرآن والنبی (صلی الله علیه و آله) والأئمه (علیهم السلام) من اتباع المتشابه، وبالتالی فإنَّ فی منظومه الدین لا یُقام لها وهج وهُدَی إلّا بمحوریه المحکمات وإلّا سوف تلتبس علینا اللوابس سواء فی القرآن أو السنه، وأنَّ معنی الأمومه هو لا تساوی ولا توازن أبداً بین المحکم والمتشابه.

علیک أنَّ لا تجعل من المتشابه محور تضِل به نفسک والآخرین، اجعل من المحکمات محوراً تهتدی به والآخرین.

ثمان وعشرون: أحد المعانی التی تمیز منهج أمومه المحکمات وولایه المحکمات وأهل البیت (علیهم السلام) هو أنَّ معنی الأمومه یعنی یجب أنْ تنظر إلی الأمور کمنظومه مجموعیه یعنی مجموع العاقبه من الصدر والذیل لا تنظر إلیها مبعثره الشتات أی لابدَّ أنْ تکون هناک نقطه مرکزیه فی المعرفه الدینیه فی معرفه تفسیر القرآن الکریم وتلک النقطه المرکزیه وهی المحکمات ومحکم المحکمات هی ولایه أهل البیت (علیهم السلام) [أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ]۱ یعنی الولایه ثم المحکمات فی سائر بنود القرآن الکریم والدین هو النقطه المرکزیه

لمحكمات القرآن وبالتال يتنتظم صحه حقائق التفسير حتّى فى قضاء الله وقدره وبالتالى تنتظم المعرفه... فانظر إلى ما قالته العقيله زينب (عليها السلام) ليزيد الفجور: -

«أحسبت يا يزيد أنْ أخذت علينا أقطار الأرض واستوسق لك ملكنا و... أنَّ بك على الله كرامه وبنا على الله هواناً ما ملكك إلّا بدد وما جمعك إلّا عدد...» فلاحظ عاقبه الأمور ولا تلاحظ صوره القضاء والقدر وانظر إلى باب المراد الجدى أين يكمن؟.

فإنَّ رضا الله وسخطه لا يكمن فى صوره القضاء والقدر إنَّما يكمن فى عاقبه الأمور لذا يقول الإمام الحسين (عليه السلام) سيد الشهداء فى دعائه نفس الأمر ما مضمونه: [إلهى إنْ أعطيتنى لمْ يضرنى شىء هو ركتبه وأعنى وإنْ أعنتنى لمْ يضرنى شىء...](1).

الضابط فى العاقبه ما قالته الآيه المباركه فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّهَ فَقَدْ فازَ٢.

تسع وعشرون: لا- يكفى فى منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) صحه ميزان الظهور كموازين فى علوم اللغه فقط - وإنْ كان هذا لابدَّ منه - ولا يكفى انسجام الآيه فى فقراتها المتعدده فقط أو السور الواحده فى آياتها بلْ ينبغى أنَّ لا يخالف النقطه المركزيه التى هى أكبر من المحكمات وهى ولايه الله وولايه الرسول وولايه أهل البيت (عليهم السلام).

واحد وثلاثون: يتميز منهجنا المختار عن باقى المناهج التفسيريه اللغويه والأدبيه والنحويه للقرآن الكريم، بأنَّ تلك المناهج تأخذ تفسير الآيه بلون أدبى فقط أى أحادى البُعد، وينقل به المُفَسِّر بلا قيد أو ضابطه

١- (١) دعاء الإمام الحسين يوم عرفه الرابعه....

إلّا الضابطه الأولى والأخيره هو أنَّه من قواعد الادب اللغوى مثلاً أو النحوى أو البلاغى أو... الخ.

أمَّا فى منهج أمومه ولاـيه أهل البيت (عليهم السلام) والمحكمات فليس الأمر كذلك فليس البُعد أحادياً يجب أنْ يصبح الاستعمال وفق موازين قواعد علوم اللغه مع الانسجام مع معنى الآيه المباركه.

اثنان وثلاـثون: من الأمور التى يتميز بها منهج أمومه المحكمات وأمومه ولاـيه أهل البيت (عليهم السلام) عن باقى المناهج التفسيريه الأُخرى هو أنَّ منهج الأمومه من مواليد مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) ومن مدرسه الوحى، وإنْ كان قد اعتمدته بعض الفرق الإسلاميه كالصوفيه والعرفانيه وما شابه ذلك، أمَّا أنَّه مَدَى تطبيقهم لهذا المنهج هل طُبِّق بالصوره الصحيحه أو لا؟ فذاك بحث آخر.

والذى يهمنا أنَّ أصل فكره هذا المنهج المختار وهو منهج الأمومه من مواليد مدرسه أهل البيت (عليهم السلام).

ثلاث وثلاثون: يتميز منهج أمومه المحكمات بأنَّه المنهج الذى أكَّدت عليه روايات أهل البيت (عليهم السلام) وتأكيد القرآن على اتباع المحكمات والنهى عن اتباع المتشابهات؛ لأنَّ اتباع المتشابه يؤدى إلى التشتت والانحراف، والتمسك والإيمان ببعض دون بعض أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ١. فإنَّ الإيمان بالبعض المفعل عن الإيمان بالبقيه هذا ضلال وليسَ هدايه.

ولذا نلاحظ التفاسير الأُخرى الخاطئه والمنحرفه، بلْ حتَّى المذاهب

الاعتقاديه الخاطئه التى نشأت فى فرق المسلمين سببها عدم مراعاه منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام).

أمَّا المناهج التفسيريه الأُخرى من التفسير الموضوعى الذى أقصى ما يلاحظه ويرعاه هو تكرر هذا العنوان كموضوعه واحده فى سائر الآيات والسور، أو التفسير التجزيئى، والأمر أعظم إذْ يَقْتَصِر المفسر فيه على ملاحظه المقطع الذى هو فيه، وهكذا صاحب تفسير أساب النزول يلاحظ سبب النزول فقط، وهكذا صاحب التفسير الأدبى فإنَّه يلحظ الأمور الأدبيه التى تخصه دون ملاحظه غيرها، وهكذا صاحب التفسير النحوى أو الصرفى أو بالبلاغى أو تفسير القرآن بالقرآن، بلْ حتَّى التفسير العقلى والعرفانى والأشارى... الخ.

فإنَّ هذهِ المناهج التفسيريه وغيرها الكثير - إنَّما ذكرت هذهِ على نحو المثال لا الحصر - للأسف لمْ تُقِم وزناً ولم تلحظ خطوره الآيات المحكمه وأهميتها، ولم يُرْعَ التناسب العملى فى الرتبه والتسلسل.

والشيء المهم الذى تتميز به منهجه أمومه المحكمات أنَّها ذات وحده مركزيه لها الهيمنه المركزيه هى أعظم من يتذرع به بعض الباحثين من أنَّ عدم التمسُّك أو الاهتمام ببحث المحكمات على اعتبار أنَّها لا تتميز بوحده الموضوع، وهذا ليسَ بالمهم بقدر أهميه الوحده المركزيه المهيمنه على ما هو دونها فى الرتبه.

أربعه وثلاثون: يتميز منهج أمومه المحكمات أنَّ الآثار المترتبه على مباحثه وأنظمته خاصه فى مبحث الاستعمال اللفظى - فى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى - هو حجيه كُلّ الدلالات - من الدلاله التصوريه والدلاله الاستعماليه والتفهيميه والجديه -.

وأساس البحث فى هذهِ القاعده الشريفه وهى قاعده استعمال الدال اللفظى فى أكثر من معنى قائمه على عدم امتناع إراده المتعدد فى عرض واحد بدءاً من المعنى أو المدلول المحورى إلى الاستعمالى إلى التفهيمى فى لسان واحد، والبناء على هذهِ القاعده ليسَ يحدث فجوه بين المسار الموجود عليه المفسرين وهذا المنهج التفسيرى لأمومه المحكمات فحسب، بلْ يوجد فجوه بين البناء والمسار والمنهج الذى عليه كافه العلوم الإسلاميه الذين يبنون فيه على لغه وحدانيه المعنى وأحديه المراد فى لسان واحد بينما تجد على العكس تماماً فى منهج أمومه المحكمات من أنَّ الباب مفتوح على مصراعيه ولكنْ بشرائط وهو أنْ يكون احتمال تعدد المعنى للداله اللفظيه الواحده هو حسب ضوابط وقواعد منضبطه فى كُلّ علم.

وأمَّا باقى المناهج الأُخرى جميعها عدا بعض المناهج التفسيريه كالتفسير التأويلى أو التفسير الإشارى أو التفسير اللطائفى أو... الخ فإنَّها لا ترى حجيه كُلّ الدلالات التصوريه والاستعماليّه والتفهيميّه والجدّيه، وإنَّما ترى حُجيّه بعضها كالدلاله الجديّه والتفهيميه فالمناهج التفسيريه الأُخرى غير منهج أمومه المحكمات دائماً تفترض أنَّ الظهور على صعيد التصوُّر وحدانى على صعيد الاستعمال والتفهيمى والجدى، والمراد من الوحدانى هو واحد على صعيد الاستعمال من بين المعانى الاستعماليّه المتعدده وعلى صعيد التفهيم أى يريد معنى واحد من بين المعانى التفهيميّه المتعدده، وهكذا المعنى الجدى يُراد منه معنى جدى واحد.

وإنْ كان فى بعض الحالات قدْ يبنون على تعدد المراد الاستعمالى عن المراد التفهيمى وتعدد التفهيمى عن الجدى، مع الالتفات إلى أنَّ هناك طبقات من المعانى بحسب الظهور الاستعمالى اللغوى بأنَّ يوجد مراد

استعمالی وتفهیمی وجدی قدْ یُطابق وقدْ لا یُطابق.

وهم بهذا المقدار یقبلوه ولا نرید أنْ نقول باقی المذاهب التفسیریه الأُخری غیر منهج أمومه الولایه علی المحکمات لا دور لها ومنشطبه بالمرّه کلا، فهناک مناهج عدیده یُشْهد لها بالصحه کالتفسیر الأدبی والموضوعی والإشاری و... الخ فلها دورٌ معین ولکنْ لیسَ لها دور الهیمنه وإنْ کانت تختلف تمام الاختلاف مع منهج أمومه المحکمات.

ومن الجدیر ذکره: - أنَّ الدور المهیمن فی أمومه ولایه أهل البیت وأمومه المحکمات هو دورٌ مرسومٌ لهذا المنهج فی تفسیر القرآن ولا ندعی أنَّ هذا هو المنهج النهائی الذی نستطیع أنْ نستکشفه من الآیات والروایات، ربما والله العالم بحقائق الأمور - یأتی جیل فی المستقبل ویستکشف منهج مهیمن أکبر وأعظم من هذا المنهاج، وإلّا فعلم أهل البیت (علیهم السلام) وتراث أهل البیت (علیهم السلام) محیطٌ لا ینفذ، قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی۱. وَ لَوْ أَنَّ ما فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَهٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ کَلِماتُ اللّهِ۲.

نستطیع أنْ نقول أنَّ منهج أمومه الولایه والمحکمات فی تفسیر القرآن هو المهیمن، بلْ مهیمن حتَّی علی تفسیر المقدار الباقی من الإنجیل غیر المحرف، وکذا التوراه ونتسطیع الهدایه لأتباع التوراه والإنجیل العهد القدیم، أو بعباره أُخری ببرکه منهاج أهل البیت الشریف نستطیع إحیاء المقدار السلیم والسدید من الإنجیل وننبذ زیفهم.

وهكذا نستطيع إحياء التوراه وننقذ المقدار الباقى منها الصحيح والسليم عن التحريف والتلاعب الصهيونى والماسونى أو التحريفات الأُخرى الجديده، فإنَّ كثيراً من أتباع الهيود تراهم مستضعفين اليوم حتَّى كبير رجال الحاخامات اليهود ولهم مشكله مع الحركه الصهيونيه.

ومن الواضح أنَّ الحركه الصهيونيه تُعدّ تحريفٌ جديد فى اليهوديه فضلاً عن التحريفات السابقه من تلاعب فى نصوص التوراه وتلاعب فى نصوص الإنجيل، إلّا أنَّ منهج أمومه المحكمات هذا المنهج العظيم الذى نحن بصدده يستطيع الحمايه من الانحراف لكتاب الله العزيز إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ١. فإنَّه بحسب بيانات أهل البيت (عليهم السلام) إنَّ هذا المنهج يمتاز بإعطاء الأمان والحفاظ على القرآن بلْ وكتب السماء أجمع.

الخلاصه: إذا أردنا أنْ نُطلِق مناشده لإحياء البقيه الباقيه من التوراه والإنجيل، وإنقاذ البقيه الباقيه من صحف الأنبياء السابقين والمطبوعه مع العهد القديم والكتب التى نزلت من السماء، علينا الاعتماد على منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام)، بلْ ربما نأنس حتَّى فى التراث النبوى الموجود عند المدارس الإسلاميه الأُخرى نستطيع أنْ ننقذه عن التلاعب والطمس وعن الحذف؛ لأنَّ عمليه التلاعب فى تراث السماء تحدث جيلاً بعد جيل، والحافظ لها والمنقذ لها بتوصيه القرآن وأهل البيت (عليهم السلام) الأكيده هو هذا المنهج أى منهج أمومه الولايه والمحكمات.

وهناك قاعده ما فتئ الفقهاء والمفسرون عن ذكرها اعرضوا الحديث على كتاب الله [فإنَّ خالف كتاب الله والسنه فهو ردٌّ وما وافق فهو هدى

وفوز..]، والروايات المستفيضه بين الفريقين التى تدلّ على أنَّ المدار فى الموافقه والمخالفه فى الصواب والغوايه هو ما وافق كتاب الله والسنه فهو مُحكمٌ وهدايه ونور وما خالفهما فهو غوايه.

وعليه فالثمار الأديانيه المترتبه على منهج أمومه المحكمات ليسَ فقط على صعيد تفسير القرآن وإنَّما على صعيد حفظ القرآن بلْ وحفظ كتب الأديان عن النماذج فى التحريف أكثر وأكثر بلْ وإبداء حركه التصحيح والتسديد وإنّا لا ننكر الجهود التى بذلت ولا تزال من قبل المسلمين لدراسه العهدين وتقويم المعوَّج منها وانطلاقاً من منهج أهل البيت ورؤيه أهل البيت (عليهم السلام) للقرآن الكريم فى تصحيح حتَّى المذهبيّه الإسلاميه والأديان السماويه وهذا يعنى محوريه الولايه والمحكمات ولا نحتاج إلى أكثر من التفاته تعليميه من ولايه أهل البيت ولمحكمات الالتفات إلى المحكمات الصحيحه الموجوده فى الإنجيل والتوره أو فى تراث النبى (صلى الله عليه و آله) لسائر مدارس المسلمين.

الخامس والثلاثون: يمتاز منهج أمومه المحكمات فى تفسير معنى الوحده والتوحيد فى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى من باقى المناهج التفسيريه الأُخرى، بأنَّ الوحده والتوحيد فى منهج أهل البيت ليست المقصود منها الوحده فى المعنى أو وحده الموضوع، كلا وإنَّما المراد من وحده الاستعمال هو وحده النظام والمنظومه. ووحده النظام تتكفلها قواعد صحيحه فى العلوم وعدم التناقض والتضارب بين القواعد بخلاف المناهج التفسيريه الأُخرى فإنَّها تقصد من الوحده فى الاستعمال أى وحده المعنى ووحده الموضوع، وهذا معنى ضيّق تترتب عليه آثار سلبيه نتيجتها

تضارب القواعد فيما بينها.

ووحده النظام أيضاً تحتاج إلى النظام يوحدها وينظمها وإنْ كانت وحده النظام تختلف عن وحده المعنى وعن وحده الموضوع والنظام الذى يوجد وحده النظام هو المركز ومن ثم الولايه - أى ولايه الله تعالى وولايه الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله)، وولايه الله هى الناظمه لولايه الرسول (صلى الله عليه و آله) والناظم لولايه الأئمه الثلاثه عشر - أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمه والحسن والحسين (عليهم السلام) والتسعه المعصومين من ذريه الحسين (عليهم السلام) - هو ولايه الله وولايه الرسول (صلى الله عليه و آله)، وكذا ولايه الله والرسول والأئمه من أهل البيت (عليهم السلام) هى المحور والناظم للمحكمات والمحكمات هى أيضاً على طبقات كُلّ طبقه هى ناظمه لما تحتها وهكذا.

وعليه فإنَّ منهج أمومه الولايه والمحكمات يفترق عن باقى المناهج التفسيريه الأُخرى هو أنَّ منهج الأمومه يرى الشتات والتدافع ليسَ فى تكثر المعانى وتعددها فى جمله واحده وآيه واحده، بلْ يرى منهم الأمومه أنَّ الشتات ومزقه الأمه والبشريه بلْ فِرقه الخلائق هى بسبب عدم تمسكهم بالولايه فإنَّ الخلائق تتشتت إذا لمْ تتمسك بالولايه والمحكمات، وعليه فإنَّ الرجوع إلى المتشابهات والتمسك بها يوقع بالهلكه.

السادسه والثلاثون: منهج الأمومه لولايه أهل البيت والمحكمات يُطَمئن المُفسِّرَ الذى ينتهجه من عدم الخوف من تكثر المعانى للآيه الواحده، وأنه ليسَ تلاعب من القرآن وإنَّما التلاعب بالقرآن يحصل إذا ترك نظام الوحده المركزيه والمحوريه لأمومه ولايه الأئمه (عليهم السلام) والمحكمات فى القرآن الكريم فآنذاك تذهب الفروع وتشتت.

مضافاً إلى أنَّ تعدد المعانى من اللفظه الواحده لا يستلزم تهافت وتضارب المعانى على منهج أمومه الولايه؛ لأنَّ السير فيه على الموازين والقواعد بخلاف باقى المناهج التفسيريه الأُخرى التى حَصَرَتْ وفَسَّرَت معنى الوحده بوحده المعنى والموضوع.

السابعه والثلاثون: يتميز منهج أمومه اولايه والمحكمات بأنَّ الآيات المحكمات وكذا المتشابهات هى على طبقات، والواقع أنَّ الآيه الواحده فيها طبقات من الدلالات المحكمه والآيه المتشابهه فيها كذلك طبقات من الدلاله المتشابهه، وأنَّ الآيه الواحده فيها محوريه للمحكمات ومحوريه للمتشابهات، وأنَّ الآيه الواحده أيضاً: يتصور لها مصداق محورى ولولايه الله وولايه الرسول (صلى الله عليه و آله) ثم ولايه أهل البيت (عليهم السلام).

إذنْ المحكمات على طبقات إلى أنْ تصل إلى المتشابهات فى الآيه الواحده وهى غير متناهيه وعليه فهذا النظام لا ترسمه مجموع آيات القرآن الكريم وسوره، بلْ يُرْسم بلحاظ الآيه الواحده، بلْ ويُرسم بلحاظ الجمله الواحده من جُمَل الآيه الواحده بلْ ويُرسم بلحاظ الكلمه الواحده من أبعاض الجمله الواحده.

وعلى أى حال فإنَّ مثل هذا التوسع لا يكون إلّا بقدره المعصوم (عليه السلام).

وهناك فرقٌ أنْ نقول: توجد قدره من هذا الشىء، وبين أنْ نقول: هذهِ القدره موجوده أو لا، بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ١.

ومن الجدير ذكره: - إنَّ المحكمات هى نظام رياضى مُعقَّد مهم فى

جمیع آیات القرآن الکریم، بلْ وفی مفرداته المبارکه، حتّی علی مستوی تطبیق القاعده الأدبیه ومواردها، وکذا المتشابهات.

ومن أبرز مصادیق تطبیق المحکمات - کما مرَّ بالآیه أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ۱. وهکذا التطبیق علی المتشابهات کقوله تعالی وَ کَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلی مَرْیَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ أو وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ ناضِرَهٌ إِلی رَبِّها ناظِرَهٌ۲. لا تُدْرِکُهُ الْأَبْصارُ۳.

وعلیه: فإنَّ نظام المحکمات وکذا المتشابهات یجری فی کل مفرده مفرده من القرآن وفی کل قاعده تُطَبَّق فیه.

ص:۲۰۸

القیمومه فی التعلیم والتبیان

من الوظائف الملقاه علی النبی (صلی الله علیه و آله) أنَّه معلم الکتاب، وقد دلَّت علی ذلک آیات فی سور متعدده أقر الباری تعالی نبیه الکریم (صلی الله علیه و آله) بتبیان وتعلیم القرآن وأنَّه (صلی الله علیه و آله) معلم الکتاب، کما فی سوره الجمعه مثلاً: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ۱.

وهذهِ الآیه المبارکه بیَّنت أنَّ للنبی (صلی الله علیه و آله) وظائف ومقدمات عدیده منها: -

۱ - یتلو علیهم آیاته یعنی یبلغهم - وبلّغهم - آیات القرآن وأوصل (صلی الله علیه و آله) للناس آیات القرآن.

وینبغی الالتفات إلی أنَّه لا یُحبس معنی التلاوه بالاقتضاء عدا قراءه ألفاظ القرآن، علماً أنَّ التلاوه لها معانی عظیمه وکثیره أُخری غیر قراءه ألفاظ القرآن، وإلّا فمن غیر الحکمه أنَّ الله تعالی یبعث نبیاً لأجل أنَّ یُبلِّغ ویوصل إلی الناس ألفاظ آیات القرآن فقط وفقط - حاشا لله تعالی - هذا مضافاً إلی ما وَرَدَ فی زیاره أئمه أهل البیت (علیهم السلام) وما نعتقد بهم (علیهم السلام) «أشهد أنَّک تلوت القرآن حق تلاوته» إذا لا یُعقل أنَّ المعصوم (علیه السلام) وظیفته یجوِّد القرآن فقط، وإنْ کانت مسأله تجوید ألفاظ مفردات القرآن أمر مهم إلّا أنَّه لا یُقتصر أمر التلاوه علی هذا المعنی فحسب.

۲ - ویزکیهم ویعلمهم الکتاب والحکمه من منازل ومقامات النبی (صلی الله علیه و آله) أنَّه یُزَکی قومه ویصفیهم من درن المعاصی ویُنمی الطاعه عندهم.

ومن الواضح أنَّه (صلی الله علیه و آله) لیست وظیفته فقط یعلمهم الکتاب والحکمه

بأنْ يقرأ عليهم ألفاظ الآيات المباركه من القرآن، وإنَّما يُعلمهم بأنَّه معلم الكتاب، وتقدم - وسيأتى أيضاً إنْ شاء الله تعالى - إنَّ حجيه الرسوله (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته كمعلمين من قبل السماء وهذا مقام يختلف عن مقام أنهم أولياء.

٣ - ما جاء فى سوره البقره رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ١.

وهذهِ الآيه المباركه يحكيها الله تعالى على لسان النبى إبراهيم (عليه السلام) وهى عكس ترتيب ما جاء فى سوره الجمعه.

٤ - ما جاء فى سوره النحل: بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ٢.

بينت من وظائف سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) البيان والتبيان، وإنْ كان بعضهم يفهم من التبيان هو قراءه ألفاظ القرآن فقط وهو غريب.

٥ - ما جاء فى سوره القيامه: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ٣.

ومن الواضح أنَّ الآيه المباركه فرقت بين البيان والقرآن وأنَّ لكل واحدٍ منهما دورٌ فالقراءه لها دور، والبيان له دورٌ آخر.

فلكل مقام فمثلاً مقام إنَّما وليكم الله يختلف عن مقام أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم التى حجيتها حجيه تعليميه؛ لأنَّه من الخطأ أنْ

نتعامل مع القرآن كحجيه تعبديه فقط، بلْ يجب أنْ نتعاطاه كمصدر علمى وتعليمى أعظم من الحجيه التعبديه؛ لأنَّ أعلى مراتب العباده والتعبد عن معرفه وعلم.

ومن الواضح والبيِّن أنَّ القرآن فيه آيات محكمات وهى أم الكتاب وأُخر متشابهاً ومطلق ومقيد وعام وخاص وناسخ ومنسوخ و... الخ.

وليسَ بوسع البشر أنْ يتعلمه ونفسه من دون أنْ يُنصب البارى تعالى معلماً؛ لأنَّ للقرآن مقامات غيبيه نأى البارى تعالى آيه من أنَّ تصيبه مطلق عقول البشر وإنَّما خَصَّ أناس معينين لذلك ونصب معلماً أولاً وهو: -

والمعلم الأوَّل: - رسول الله (صلى الله عليه و آله) خصمه بهذا المقام من دون باقى أنبياء الله تعالى ورسله وأوصياؤه (صلى الله عليه و آله) من بعده أولهم أمير المؤمنين (عليه السلام) سيد الأوصياء.

والآيات الداله على ذلك: -

منها: قوله تعالى: وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ١.

يعنى مع سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) بعده هناك راسخون فى العلم ومعلمون تعلموا منهم.

منها: قوله تعالى: بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ٢.

أى أوتوا العلم وهم معلمون وهؤلاء الذين عندهم عيبه خزينه علم القرآن.

منها: فى سوره الواقعه: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ

اَلْمُطَهَّرُونَ ۱.

ومن توهم وقال: حسبنا كتاب الله ولا نحتاج إلى مُعَلِّم غيره تعالى؛ لأنَّ الكتاب من الله تعالى وأنَّ معلم الكتاب هو صاحب الكتاب وهو الله تعالى.

الجواب: نُسَلِّم أنَّ صاحب الكتاب وهو الله تعالى هو المعلِّم الأوَّل، وأننا محتاجون إلى تعليم الله تعالى لكتابه وبيان مقاماته ومنازله الغيبيه، وتفسير آياته من محكم ومتشابه ومجمل ومبين و... الخ.

وكذلك القرآن يؤكِّد على هذا المعنى وأنَّ المعلم الأوَّل هو الله تعالى كما فى سوره القيامه ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ، وبما أنَّ البشر بما هم لا يستطيعون مهما بلغوا أنْ يصلوا إلى تلك المقامات الغيبيه العاليه من دون تنصيب معلم إلهى يبين لنا ذلك بعد المعلم الأوَّل وهو الله تعالى هم النبى (صلى الله عليه و آله) وقُربى النبى (صلى الله عليه و آله) وليسَ فى ذلك انقطاع عن السماء؛ لأنَّ علاقه الله تعالى مع البشر هى دائماً تنطلق من علاقه

«لا جبر ولا تفويض أمرٌ بين أمرين»، وإنْ كان الله تعالى أودع فى البشر تلك القدرات التكوينيه العاليه إلّا أنَّها ليست مسنده ومفوضه إلى البشر تمام التفويض ولا تمام الجبر، بلْ أمرٌ بين أمرين كذلك علم الله تعالى الذى يعطيه للبشر من معصوم وغيره ينطلق من هذهِ

القاعده «لا جبر ولا تفويض أمرٌ بين أمرين»(۱).

وهذهِ الآيات المباركه وغيرها يصرِّح القرآن بمَن يتأهل لتعليم البشريه وخصهم بآيات كثيره، ولكنْ وللأسف بعضهم يستغرب ويستبعد بلْ

۱- (۲) الكافى، ج ۱/۱۶۰، والتوحيد/ ۳۶۲.

ویستنکر من أنْ یرصد القرآن لنفسه معلم أوَّل خاص وبعده معلمون خاصون، بینما کُلّ کتب البشر الأخری ذات التخصص لا یستنکر ولا یستغرب البعض من وجود أکفاء وأخصاء وأدلاء علیه، وهذا شیء غریب.

القرآن یُنادی بأعلی صوته أنَّ له معلم ومعلمون إلهیون سماویون لدنیون بإذن الله تعالی. وهل یوجد محذور فی نصب معلم سماوی إلهی للقرآن أم لا؟ وبعد هذا هل بإمکان أحد أنْ یقول القرآن معطلاً؟ کیف یکون معطلاً وقدْ رصد القرآن له مُعلِم ومُفَعِل وهم النبی (صلی الله علیه و آله) وأهل بیته (علیهم السلام).

ونصب المعلم والقیم من قبل الله تعالی لکتابه تعالی لا یعنی - والعیاذ بالله إزواء البشر عن القرآن أو العکس - أزواء القرآن عن البشر - کلاـ بلْ نَصبُ المعلم هو مُدُّ جسر للبشر لکی یصلوا إلی منازل الکتاب التی هی فی منأی عن عقول البشر وإلّا کیف یصل البشر إلی تلک المقامات الغیبیه ویستفید منها أنَّه لا یتمُّ ذلک إلّا عن طریق نصب المعلم والمبین.

إذنْ بعد نصب القیم والمعلم الإلهی وبإذن من الله تعالی فإنَّ هذا لیسَ تعطیل وتجمید وإزواء للبشر بلْ هو تفعیل وتنشیط للاستفاده من المقامات العلیا للقرآن، إذْ لو اقتُصر علی الطرف النازل - الذی فیه طبقات - لکان هذا نوع من إضاعه لحقائق القرآن؛ لأنَّه سوف لمْ نصل إلی المقامات الغیبیه الأُخری وسوف یکون هذا تجمید لتلک المنازل الغیبیه للقرآن.

وهناک تساؤل: ما هی النتیجه المترتبه علی التمسُّک والعکوف علی تنزیل الکتاب علی ظاهر الکتاب؟.

الجواب: هذا یؤدی إلی نتیجه خطره جداً لا یمکن التمسُّک بها علی مبنی مدرسه أهل البیت (علیهم السلام)؛ لأنَّه لو تمسکنا بذلک فقط فإنَّه یؤدی إلی أنْ

نرفع أيـدينا عن أم الكتـاب وعن الكتـاب المكنون وعن اللوح المحفوظ وعن الكتاب المبين وعن باقى المقامات الغيبيه للقرآن، وهذا يلزم منه محذور خطير جداً وهو تجميد، بلْ تضييع الكتاب وإقصاء للبشر عن بقيه منازل ومقامات القرآن الكريم.

وسـيأتى إنْ شـاء الله تعـالى فى نفس أدلَّه الظهور والتأويـل أنْ نفس ظـاهر الكتـاب وتنزيل الكتاب هى من أدنى منازل ومقامات القرآن، وأنه لا يمكن للبشـر اقتناص تلك المنازل بشـكل إحاطى تفصـيلى دقيق إلّا من خصَّهم ونصـبهم القرآن كمعلمين للبشر كما سيأتى توضيحه إنْ شاء الله تعالى.

ص:٢١۴

حجیه آیات وسور القرآن حجیه معیه لا حجیه مستقله

اشاره

سیأتی إنْ شاء الله تعالی فی المعلم الرابع: - حجیه الظاهر حجیه معیه بین الکتاب والسنه تفصیل ذلک، وسنشیر إلیه إجمالاً.

وهو أنَّ الإحاطه بظاهر القرآن بتمامه لیسَ بمقدور البشر إلّا بإعانه مَن اصطفاهم الله تعالی وهم المُعَلِّم الأوَّل بعد الله تعالی النبی (صلی الله علیه و آله) وأهل بیته علیهم أفضل الصلاه والسلام.

والبرهان الذی ینتهی إلیه البیان فی المعلم الرابع هو: - أنَّ حجیه الظاهر القرآنی حجیه معیَّه.

وهذهِ النتیجه هی إحدی المؤاخذات التی تُسجَّل نقداً علی منهج تفسیر القرآن بالقرآن الذی تبناه العلامه محمد حسین الطباطبائی (قدس سرّه) من علماء الإمامیه الأبرار، وکذا صاحب تفسیر المنار من أهل السنه وغیره.

فکره منهج تفسیر القرآن بالقرآن: -

هی أنْ یَتَفَرَّد المجتهد أو المُفسِّر بأنْ یستظهر من الظهور القرآنی بقدره نفسه هذا المعنی الذی یستظهره، سواءً کان هذا المعنی الذی یحیط بکل ظاهر القرآن نحویاً أو بلاغیاً أو لغویاً أو صرفیاً أو فلسفیاً أو عرفانیاً أو طبّیاً أو فیزیاویاً أو کیمیاویاً أو فسیولوجیاً أو... الخ فإنَّ کُلَّ العلوم لها حقائق موجوده فی القرآن الکریم.

وعلیه إذا لمْ تکن مواد الإحاطه بالظاهر متوفره تحت ید المُفَسِّر

فکیف یقال: أنَّ حجیه القرآن منفرده ولیست حجیه معیّه تحت شعار أنَّ القرآن نورٌ مبین وبیانٌ وهُدی للناس، فهذا صحیح إذا کان الآخرون بمفردهم - غیر النبی وأهل بیته (علیهم السلام) قادرین علی استیعاب تلک الهدایه والإرشاد.

إلّا أنَّ الواقع لیسَ کذلک فهم محتاجون إلی معلم ومُربِّی وقیّم علیهم فی کیفیه الاغتراف والأخذ الصحیح من القرآن الکریم.

وإنْ کان السید محمد حسین الطباطبائی (قدس سرّه) استدل لمنهجه الذی یراه بحسب رؤیته وقناعته وأنَّ هذا هو المنهج الذی ترسمه لنا الروایات الوارده عن أئمه الهدی علیهم أفضل الصلاه والسلام، بوجوه عدیده لهذا المنهج القرآنی الذی یستنبطه العلّامه من روایات أهل البیت (علیهم السلام).

ولا نرید من عرض هذا أننا ننکر ما فی هذا المنهج الذی اختاره السید الطباطبائی (قدس سرّه) من إیجابیات کثیره، وکذا لا ننکر أنَّه المنهج الذی تشیر إلیه روایات أهل البیت (علیهم السلام) إلّا أنَّه فی نفس الوقت لیسَ هو المنهج الأکمل وعدیم النواقص.

وعلی هذا تکون نتیجه هذا المنهج عدم تمکن انفراد المجتهد والمُفَسِّر فی تبیان القرآن الکریم.

وإنْ کان منهج تفسیر القرآن بالقرآن له زوایا عدیده سنتعرض لها فی ما بعد إنْ شاء الله تعالی.

والذی نرید أنْ نسلط الأضواء علیه فی هذا المطلب هو: -

أنَّ المراد من تفسیر القرآن بالقرآن معناه استقلال وانفراد حجیه

ظواهر القرآن عن البشر وحسب البشر كتاب الله كما قاله قائلهم.

النتيجه: القرآن قائمٌ بنفسه لوحده وفيه كُلّ شيء، فلا يحتاج إلى المعيه وهى الثقل الآخر العتره الطاهره.

وأمَّا بالنسبه إلى دراسه إيجابيات وسلبيات منهج تفسير القرآن بالقرآن ومدى أهميته وقيمته وما هو المقدار الذى يجب إصلاحه منه ويتم فيه ببركه منهج أمومه المحكمات، علماً أنَّ منهج تفسير القرآن بالقرآن بمعنى الاستقلاليه عن السُنه والعتره ليسَ فقط عند علماء ومفسرى الإماميه، وإنَّما حتَّى عند المذاهب الإسلاميه الأُخرى أمثال صاحب تفسير المنار.

وسيأتى إنْ شاء الله تعالى تحقيق أنَّ هذا المنهج هو الذى يؤكِّده الكتاب والعتره أم الصحيح هو منهج الأمومه، وسيأتى الصحيح إنَّ منهج تفسير القرآن بالقرآن مندرج تحت منهج أمومه المحكمات.

المؤاخذات على المناهج الأخرى

مؤاخذات على منهج تفسير القرآن بالقرآن:

(۱)

ص:۲۱۹

۱- (۱) الغرض من بيان هذا المنهج ليسَ لأجل استقصائه وإنَّما نحن بصدد المقارنه بين منهجنا - أمومه المحكمات - الذى يقول بصياغه المعيه فى كل خطوه خطوه ولبنه لبنه من مبانى الكتاب العزيز بأنَّه لا القرآن يفترق عن العتره ولا العتره تفترق عنه، وكما قال رسول الله: «لن يفترقا - الكتاب والعتره - حتّى يردا علىَّ الحوض»، وبين المناهج الأُخرى غير منهج أمومه المحكمات. وعليه يجب أنْ تكون كل الأنظمه تحمل وجهين - كتاب وعتره - لحقيقه واحده، ومن خلال هذا يتضح أنَّ الغرض من إجراء المقارنه بين منهجنا والمناهج التفسيريه الأُخرى هو لأجل الوصول إلى رسم منهج تفسيرى للقرآن متكامل لا ترد عليه - مهما أمكن وبحسب ما يوفق الله له - نقوضات أكثر كما ترد على المناهج الأُخرى. كل ذلك بفضل الرجوع إلى الروايات الوارده عن أئمه العتره الطاهره (عليهم السلام) وبِعَرْض الجوانب السلبيه لا يظنن ظان بأننا نريد تهميش واستقصاء المناهج الأُخرى وتضييع جهود وعلماء عمالقه أتعبوا أنفسهم الشريفه فى ذلك - رضوان الله عليهم - والعياذ بالله أمثال العلامه السيد محمد حسين الطباطبائى (قدس سره) صاحب الجهد العظيم الذى يعجز القلم واللسان عن تثمينه ومواجهته العظيمه للفكر الشيوعى والنازى والفكر الغربى، وتربيته لجيل من تلامذته الجهابذه - حفظهم الله تعالى - وهذا كُلَّهُ من إنجازاته العظيمه التى لا كفران لسعى العلامه الطباطبائى (قدس سره). ولكن من باب هو أنَّ نفس العلامه الطباطبائى (قدس سره) تعلمنا منه عمليه النقد والبحث أخذاً بأمر أخذاً بوصيه النبى والأئمه الهداه المهديين (عليهم السلام) وهى: أولاً: على بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير، عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله (عليه السلام)، قال: «قال رسول الله: إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يقول تذاكر العلم بين عبادى ممّا تحيى عليه القلوب الميته إذا هم انتهوا فيه إلى أمرى» الكافى/ج ۱، كتاب فضل العلم، ب ۹، ح ۶. ثانياً: مُحمَّد بن يحيى عن أحمد بن مُحمَّد عن عبدالله بن مُحمَّد الحجّال عن بعض أصحابه رفعه، قال: قال رسول الله: «تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا فإنَّ الحديث جلاءٌ للقلوب، إنَّ القلوب لترين كما يرين السيف جلاؤها» الكافى/ج ۱، كتاب فضل العلم، ب ۹، ح ۸.وعندما نكون بصدد نقل التأويل لا لأجل جحود وإنكار جهود العلامه والعياذ بالله إلّا أنَّه وبحمد الله تعالى فإنَّ طبيعه مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) ليست سد باب الاجتهاد وإنَّما نحن المخطئه وفى هذهِ المدرسه يُفسح المجال للفكر الحُرّ الموزون حرصاً على تطوير عمليه التكامل العلمى.

يدَّعى أصحاب هذا المنهج(١) الاستقلاليه للقرآن بمعزل عن العتره الطاهره التى هى العِدْل الآخر للقرآن، والتفكيك بينهما فى معرفه الأحكام والمناهج القرآنيه، وأنَّ هذا التفسير هو العاصم للفكر عن الوقوع فى الخطأ وأنه يوصل إلى الحقيقه وليسَ فيه تخطئه، والحال نرى أنَّ أصحاب هذا المنهج يُخطىء بعضهم بعضاً وهم مختلفون فيما بينهم فى تفسير الآيه الواحده، وحتَّى لو بنينا أنَّ اختلافهم ليسَ تناقضياً فهل أنَّ اختلافهم توافق وكمال أكمل أم لا؟

وعلى هذا فتُرصَد عِدَّه مؤاخذات على هذا المنهج - تفسير القرآن بالقرآن: -

أولاً: إنَّ الظاهر الذى نحن فيه جميعاً لا نحيط به، فكيف يستطيع مَن يدعى أنَّ هذا المنهج التفسيرى - القرآن بالقرآن - هو المهيمن وهو الموصل إلى الحقيقه وهو... الخ، وأنه يتمكن ويُمكِن الآخرين على تفسير القرآن بكل ما فى القرآن بحيث يستطيع أنْ يقول:

١- (١) كالسيد محمد حسين الطباطبائى (قدس سره) من علماء الإماميه وتلامذته بلْ لعلَّه حتّى السيد الخوئى فى تفسيره البيان، وكذا صاحب تفسر المنار من علماء ومفسرى إخواننا السنه.

تفسير هذهِ الآيه المباركه يتمُّ بوساطه الآيه الفلانيه، إلّا أنَّ هذهِ دعوى كبيره وأنّى لمدعيها إثباتها - وقدْ مَرَّ - إننا لا نحيط بالقرآن، وهذا لا يتمُّ إلّا من خلال مَن اصطفاهم وعلّمهم الله تعالى وهم أهل البيت (عليهم السلام).

مضافاً إلى أنَّه تقدم أنَّ النحوى والصرفى والبلاغى واللغوى و... الخ لمْ يستطع كُلّ واحد منهم أنْ يدعى أخذ بُعْدَ علمه من القرآن، فالنحوى لمْ يَدَّع ولا يستطيع أنْ يدعى أنَّه يُفسر البُعد النحوى بالنظام النحوى فى القرآن بنفسه، ولا يدعى البلاغى كذلك ولا الصرفى ولا اللغوى ولا... الخ.

فمثلاً الشيخ الطوسى فى تفسيره التبيان والشيخ الطبرسى فى تفسير البيان والزمخشرى فى تفسيره و... الخ لا يجرأ أحد من هؤلاء الأعلام ولا غيرهم القولَ بأنَّ النظام الأدبى والبلاغى و... فى القرآن نحن نفسره بأنْ نفسر الآيه ببيانها البلاغى الموجود بالقرآن مثلما هو عليه.

علماً أنَّ علمء البلاغه لا زالوا يكتشفون نكات بلاغيه فى القرآن لمْ تكتشف طيله أكثر من أربعه عشر قرناً من قبل الأوائل، وإنْ كان لا يُنكر ما اكتشفوه من نكات بلاغيه وغيرها بمقدار ما أُوتوا من قدرات عقليه جزاهم الله خيراً.

الخلاصه: إنَّ الذى يدعى أنَّه يُفسر القرآن بالقرآن ليسَ كُلّ القرآن بيده، وعليه فكيف يرفع مثل هذا الشعار: بأنَّ هذا التفسير هو لا غير، علماً أنَّ كُلّ مُفسر التزم على نفسه فى هذا المنهج أنَّه لمْ يُحِط بكل حقائق القرآن.

وعليه فإنَّ هذا المنهج التفسيرى - القرآن بالقرآن - لمْ يؤمِن لكم بحسب ما رفعتم من شعار؛ لأنَّ الاختلاف والتناقض بين المفسرين فى هذا المنهج لمْ يؤمن الوصول إلى المنتهى الأفضل والأحسن.

ثانياً: لا يستطيع المُفَسِّر فى هذا المنهج أنْ يبلغ كُلّ الغايات التى يهدف إليها القرآن، وإنَّما غايه ما يستطيع الوصول إليه هو اكتشاف بعض النكات العلميه وهذا لا مانع منه.

إلّا أنَّه يُقال له كما قيل: - حُفِظتَ شيئاً وغابت عنك أشياء.

ثالثاً: بعض أصحاب هذا المنهج يدعى أنَّ سُنه النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل البيت (عليهم السلام) لا دور لهم فى تفسير القرآن علماً أنَّه مَرَّ فى المُعلِّم الأوَّل بعد الله تعالى هو النبى (صلى الله عليه و آله) ومن بعده أهل بيته (عليهم السلام)، كما مرَّ من الآيات القرآنيه الداله على ذلك.

رابعاً: تقدم حديث معيه الثقلين - كتاب الله والعتره الطاهره - من قول الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله)

«إنى تاركٌ فيكم الثقلين...» فضلاً عن عشرات الآيات الدالى على عدم استقلاليه أحدهما عن الآخر.

خامساً: بعضهم جعل تفسير الصحابه للقرآن فى مقام تفسير أهل البيت (عليهم السلام) والعياذ بالله.

سادساً: تقدم أنَّ القرآن له منازل غيبيه وهى قطعاً مؤثره فى تفسير القرآن، فيقال لمفسر هذا المنهج: - هل كُلّ المنازل الغيبيه فى القرآن فى متناول يدك وفهَمك؟.

الجواب: كلا، القرآن يُجيب فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ١.

وإنَّ القرآن له منازل ومقامات غيبيه خارج طوق البشر - وعنده أم

الكتـاب – فـأم الكتـاب هى عنـد الله لا عنـد الناس، وكـذا كتابٌ مسطور فى رقت منشور وَ كِتابٍ مَسْطُورٍ فِى رَقٍّ مَنْشُورٍ۱ فهذهِ المنازل والمقامات الغيبيه هى عند الله وليست عند البشر.

لا أحد يستطيع أنْ يدعى ويقول: أنْ أُفسر القرآن بالقرآن، ولا أحد يستطيع أنْ يعلم تأويله إلّا الله والراسخون فى العلم وهم النبى (صلى الله عليه و آله) وعترته الطاهره (عليهم السلام)، هم فقط أحاطوا بتأويل الكتاب كُلَّهُ.

سابعاً: هناك حديث منسوب للنبى (صـلى الله عليه و آله) يشـير فيه (صـلى الله عليه و آله) إلى النظام الاستعمالى فى القرآن وأنَّ القرآن فيه طبقات ما مضـمونه سـند الحديث روى عن الإمام على (عليه السلام) من بيان المراحل المعرفيه الأربع للقرآن أنَّه قال: –

«كتاب الله على أربعه أشياء: – على العباره، والإشاره، واللطائف، والحقائق، فالعباره للعَوامِّ، والإشارهُ للخواصِّ واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»(۱) والمأخـذ الـذى يُسـجل على هـذا المسـلك – تفسـر القرآن بـالقرآن – هو أنَّه هـل بإمكـان كـل طبقه من الطبقات تفسـر بقيه الطبقات؟ ومَن له القـدره اللامتناهيه للوصول لكل طبقات القرآن كى يُفسـر بها بقيه الطبقات؟ وهـذهِ ليسـت قدره مُفسـر أو مجتهد أو فقيه أو كلامى أو... الخ وإنَّما هى قدره معصوم، نعم، المُفَسِّر والمجتهد يبذل جهوده ويتوصل بحسـب ما يبذله من وسع الطاقه والجهد وبالتالى تكون سعه دائرته محدوده بخلاف المعصوم فإنَّ دائرته لا تتحدد.

۱- (۲) عوالى اللآلى ج ۴ ص ۱۰۵ ح ۱۵۵؛ جامع الأخبار: ص ۱۱۶؛ بحار الأنوار ج ۹۲، ص ۱۰۳ ح ۸۱.

العلاقه بين الظهور والتأويل (قاعده التعريض) وبين منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام)

بناءً على ما ذكره العياشى فى أوائل تفسيره من قول الإمام الصادق (عليه السلام)

«إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكُتب، عليها يستدير محكم القرآن وبها نوَّهت الكتب ويستبين الإيمان»(١).

تدل الروايه على أنَّ النقطه المركزيه لمحكمات القرآن تدور على ولايتنا وعليها يدور مُحكم القرآن بلْ على ولايتنا يدور كل كتاب أنزل من السماء من صحف آدم وإبراهيم وإدريس وجميع صحف الأنبياء، والتوراه والزبور والإنجيل.

فإنَّ هؤلاء الأنبياء بعثوا بهذهِ الشرائع السماويه وأنها قائمه على نظام التصريح لا على نظام التعريض، ومع ذلك فإنَّ القطب المركزى التأويلى لتلك الكتب هى ولايه أهل البيت (عليهم السلام).

وسنتعرض لذلك فى محله مفصلاً إنْ شاء الله تعالى

١- (١) تفسر العياشى ج ١ / ص ٧٨ ح ٨.

الفصل الرابع: نظم وقواعــد التفســير ومميزات وخصائص منهج أمومه ولايه أهل البيت عليهم الســلام على المحكمات فضــلاً عن المتشابهات

اشاره

ص:۲۲۵

الفصل الرابع

وفيه عده مقامات:

المقام الأوَّل:

*المقدمه.

*ما هى الشروط التى ينبغى توفرها بالمفسر؟

*أصول وقواعد التفسير لمنهج أمومه الولايه على المحكمات.

*مميزات وخصائص منهج أمومه الولايه على المحكمات.

*الفرق بين الأنظمه الثلاثه.

*العلاقه بين الأنظمه الثلاثه.

*نظريه تجسم الأعمال.

*أفعال الإنسان اختياريه أو لا.

*النظام اللفظى فى القرآن الكريم.

ص:٢٢٧

المقام الأول

المقدمه:

اشاره

توسعت البحوث حول قواعد التفسير وأصوله إلى بحوث حول مناهج التفسير شيئاً فشيئاً، فلو لاحظنا كتب التفسير القديمه فأنَّها توسعت إلى مناهج التفسير وأُخِذَ بالتوسع أكثر فأكثر إلى أنْ وصلت إلى علوم التفسير أو العلوم القرآنيه كما يُعَبَّر عنها اليوم وهى بحق كذلك؛ لأنَّ كل أصل تفسيرى أو منهج تفسيرى كى يطّلع الباحث على أسسه ومنهجه ونظامه توسع فيه؛ لأنَّه أصبح علماً قائماً بذاته.

ومن الواضح أنَّ البحث القرآنى فيه هذهِ القابليه، كيف لا والقرآن أعظم كتاب تشهده البشريه، وهو كتاب الخالق وليسَ كتاب المخلوقين، وهو من أعظم كتب الخالق التى أُنزلت على الخلائق.

ومن ثَمَّ قد وُصِف القرآن بأوصاف شبيهه بالأوصاف التى هى ذات طابع سماوى إلهى كأوصاف اللاتناهى قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّى وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً١.

وعلى هذا فإنَّ كُلّ قاعده فى القرآن وكلّ منهجه فيه توسعت وأصبحت علماً قائماً برأسه.

ص:٢٢٩

ألفات نظر:

إنَّ كُلّ ما تقدم وما سيأتى بيانه هو بالحقيقه بيان لجمله من معالم المنهج التفسيرى الجديد - منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) والمحكمات فى القرآن الكريم - هو ليسَ جديداً وإنَّما هو موجودٌ فى بيانات أهل البيت ومتأصل وعميق، ومقصودنا من الجديد هو من جهه بلورته فى الساحه التفسيريه، وهذا المنهج لا يعتمد على آيه محكمه واحده، بلْ يعتمد على مجموع المحكمات كمنظومه، وهذا الأمر ليسَ بالسهل على مستوى التطبيق العملى، وإنْ كان سهلاً بلحاظ التنظير الكلامى.

هذا وقدْ حاول علماؤنا الأعلام (رضى الله عنه) بمحاولات عديده وشمَّروا عن ساعد الجدِّ فى البحث واستكشاف تلك القواعد والأصول التى بَيَّن أهلُ البيت (عليهم السلام) أهميته وأهميه مراعاتها فى القرآن الكريم.

ومن بين تلك المحاولات:

أولاً: محاوله الفيض الكاشانى (قدس سرّه)(١) فى تفسيره الصافى الذى اعتمد فيه الفيض على ما ذكره صاحب تفسير البيضانى، ثم على نصوص الأحاديث المرويّه عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام).

وذكر الفيض الكاشانى (قدس سرّه) فى مقدمه تفسيره مقدمات مهمّه منها: -

أ) نقل الروايات المبيّنه لفضل القرآن.

١- (١) محمد بن مرتضى المدعو ب - (محسن) المُلقَّب بالفيض كان مُحدِّثاً وفقيهاً وفيلسوفاً فاضلاً حكيماً عارفاً ولد ب - (كاشان) عام ١٠٠٧ هج، والمتوفى سنه ١٠٩١ هجه وله تفسير مزج فيه بين الروايه والدرايه المسمى ب - (الصافى) المطبوع بخمسه أجزاء شاملاً لجميع سور وآيات القرآن الكريم.

ب) إنَّ علم القرآن كُلَّهُ عند أهل البيت (عليهم السلام) يعلمون ظاهر القرآن وباطنه علماً شاملاً لجميع آی القرآن.

ج -) إنَّ جل القرآن واردٌ بشأن أولياء الله تعالى ومعاداه أعداء الله... الخ(۱).

بيان قواعد وأصول التفسير واستنباطها من بيانات أهل البيت (عليهم السلام) فی هذا المجال لتقاوِم قواعد التفسير فی الكتب الأُخرى المستفاده من غير بيانات أهل البيت (عليهم السلام).

وذكر الفيض الكاشانی (قدس سرّه) الفوارق بين تفسيره - الصافی - ومن اعتمده وبين تفاسير أُخرى من الشيعه أو السنه فمن الشيعه مثل تفسير التبيان للشيخ الطوسی، ومجمع البيان للشيخ الطبرسی (قدس سرّه)، ومن السنه (العامه) كتفسير الكشاف للزمخشری، وإتقان العلوم للسيوطی أو الزركشی،... الخ.

ثانياً: محاوله السيد هاشم البحرانی فی كتابه تفسير البرهان(۲) حاول (قدس سرّه) أنْ يستنبط قواعد منهجيه معينه لتفسير القرآن من خلال نصوص أهل البيت (عليهم السلام)، والآيات التی نبّه عليها أهل البيت (عليهم السلام)، مما يؤشر إلى أنَّ تلك القواعد كانت ضروريه ومرعيّه تفسير القرآن.

ثالثاً: محاوله الشيخ الحويزی فی تفسير نور الثقلين(۳) إلى حدٍّ ما نقل

۱- (۱) مقدمه تفسير الصافی للفيض الكاشانی.

۲- (۲) السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل البحرانی من أحفاد السيد المرتضى - علم الهُدى - كان من علماء القرن الحادی عشر ومعاصری الشيخ الحر العاملی صاحب الوسائل.

۳- (۳) هو الشيخ العلامه المحدث الخبير عبد علی بن جمعه العروسی الحويزی، وأنَّه حويزی المولد شيرازی المسكن واختلف فی سنه وفاته بين ۱۱۱۲ هج وبين ما ذكر الشيخ أقغا بزرك الطهرانی أنها سنه ۱۰۹۷ هج، عاصر العلامه المجلسی (قدس سره)، والحر العاملی (قدس سره).

أحاديث النبى (صلى الله عليه و آله) والأئمه فى تفسير الآيات أكثر مما فعله صاحب تفسير البرهان وإنْ كان الأخير أسبق منه.

رابعاً: محاوله العلامه ملا شريف الفتونى فى مرآه الأنوار، وقدْ ذكر العلامه الفتونى عِدَّه مقدمات لعلم التفسير على ضوء ما استنبطه من بيانات منهجيه وحاول أنْ يستكشفها ويؤلف قواعد فى علم التفسير(١).

خامساً: محاوله السيد العلامه محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه) فى تفسيره البيان فى تفسير القرآن(٢) ولا شك أنَّ القيام بمثل هذهِ المهمه الصعبه التى تحتاج إلى الإحاطه الشامله والعميقه فى المعارف القرآنيه، وكذا المعرِفه الكامله باللسان المُفَسِّر لتلك الآيات أى الروايات الوارده عنهم (عليهم السلام) والقدره على تطبيق ما يوصل أحدهما من الآخر بالتوفيق بين الآيات بظواهرها وحسب ما يعطيه مفادها، وبين الروايات الوارده فى تفسيرها عدا كثرتها وما يترائى من الاختلاف الشاسع فى مضامينها(٣).

وهذهِ المحاوله من السيد العلامه الطباطبائى (قدس سرّه) لاستكشاف المنهج الذى يُرشِد إليه أهل البيت (عليهم السلام) فى تفسير القرآن.

١- (١) مراجعه ترجمه العلامه الملا شريف الفتونى (قدس سره) ولعل الشيخ كاشف الغطاء من تلامذته.
٢- (٢) تفسير البيان فى الموافقه بين الحديث والقرآن للسيد محمد حسين الطباطبائى يقع فى سته أجزاء فى الطبعه الأولى ١۴٢۵.
٣- (٣) تفسير البيان للسيد محمد حسين الطباطبائى (قدس سره).

- علماً إنَّ تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائى هو وليد تفسير البيان.

الخلاصه: إنَّ السيد العلامه الطباطبائى (قدس سرّه) وسواه من الذين سبقوه من أعلام المفسرين من علماء الإماميه قدْ طرحوا نظريه خاصه فى استنباط منهج وقواعد خاصه فى علم التفسير الذى فى رؤيته هو منهج أهل البيت (عليهم السلام) الذين حملوه لإنَّهم عِدْل القرآن وهم الثقل الثانى الذى أُمِرَ بالتمسك بهما.

ثانياً: ما هى الشروط التى ينبغى توفرها فى المُفَسِّر؟.

يُعلم مما سبق أنَّ هناك شروطاً ينبغى توفرها فى المُفَسِّر: -

١ - توفر الملكه التفسيريه فى المُفَسِّر نفسه التى هى عباره عن الإحاطه والتضلع فى أصول التفسير وقواعده وعلوم القرآن.

٢ - أنْ تكون لديه ممارسه ومطالسه وقوه فى النقض والإبرام.

٣ - أنْ يكون ذا بصيره نافذه تفسيريه ينضم إليها المقاربه بين كتب التفسير وغزاره التفسير.

إلى غير ذلك من الشروط التى ستتضح من طيّات البحث؛ لأنَّ المفسير يقِف أمام كتاب إلهى فيه كلام الله لا يأتيه الباطل فالذى يريد الولوج فى هذا المضمار لابدَّ أنْ تتوفر عنده المؤهلات لذلك من مؤن علميه وإعداده الإعداد المناس بالذى يتناسب وحجم موضوع علم التفسير.

علماً أنَّ علم التفسير كما لا يخفى، فيه آراء متضاربه أشد التضارب فهناك من يُحرر علم التفسير من الكلاسيكيه التقليديه القديمه والتقيد بالمصطلح، ويفرض افتراضات هى أقرب للخيال، وبالتالى يفتح المجال فى

علم التفسير بلا ضوابط وبلا مناهج.

وهناك: - من هو عكس الأوَّل، بأنْ يتقيد بالمصطلح والكلاسيكيه القديمه.

وثالث سار سيراً وسطاً.

لأجل هذا الاختلاف أو سواه نشأت مناهج وأصول وقواعد التفسير المختلفه المشارب فيما بين بعضها البعض.

وعلم التفسير ليسَ كباقى العلوم يقف أمام ظاهره كونيه ويعالجها وإنَّما علم التفسير يقف أمام كلام الله تعالى، وهذا الموقف فيه من الصعوبه ما لا يقوم بعبء ثقلها علم آخر.

ص:٢٣٤

أصول وقواعد تفسير منهج أمومه ولايه أهل البيت على المحكمات

تنقسم أصول وقواعد منهج أمومه المحكمات إلى:

القسم الأوَّل: النظام الاستعمالى اللفظى فى القرآن الكريم أى نظام تنزيل الكتاب الشريف، وقدْ يسمى هذا النظام لألفاظ الكتاب الكريم كما فى الحديث – العباره للعوام أو للعامّه –.

القسم الثانى: النظام المعنوى والمعانى فى القرآن الكريم، وليسَ المراد به المعنى الأوَّل من المعانى التى تقدّمت بالألفاظ، وإنَّما المراد به جمله طبقات المعانى فى القرآن.

ومن الواضح إنَّ لمعانى تأثيراً على الجانب العقلى فى الإنسان وبالتالى يؤثر على الروح – أى التأثير الروحى لمعانى القرآن – وتوازن العَقِل فى ذلك بسبب معانى القرآن.

فلو قرأنا كتب المعقول للقدماء والجُدد من فلسفيه وعقليه وحكميه و... الخ، لوجدنا الطبع يَمُج منها وتأثيرها جزئى على شريحه معينه من العقول البشريه بخلاف قراءه القرآن فإنَّه يهيمن على كُلّ مَن يقرأه، فليس قراءه آيات القرآن هى صناعه البرهان ولا فن الخطابه ولا الجدل ولا... الخ.

فمثلاً المناطقه حصروا الصناعات بالخمس، وإنْ كان هذا الحصر ليسَ فى محله وإنَّما هى أكثر من ذلك، فصناعه منها ترتبط باللغه العقليه، وصناعه ترتبط بلغه الخيال وثالثه بالوهم، ورابعه بالجدل وخامسه بالجانب

العاطفی النفسانی الغریزی من الغضب أو المحبه. وهی الخطابه، وسادسه ترتبط بفنون الأدب کاللفظ و... الخ.

وعلیه فالسؤال فالسؤال الذی یُطرح: - هل تأثیر معانی ألفاظ القرآن علی الروح هو من قبیل هذهِ الصناعات التی ذکرها المناطقه، أو من قبیل المعانی البلاغیه فی علم المعانی والبیان والبدیع، أو هل هو من قبیل المعانی اللغوی والنحویه أو الصرفیه أو الکلامیه أو... الخ.

وعلیه فالسؤال الذی یُطرح: - هل تأثیر معانی ألفاظ القرآن علی الروح هو من قبیل هذهِ الصناعات التی ذکرها المناطقه، أو من قبیل المعانی البلاغیه فی علم المعانی والبیان والبدیع، أو هل هو من قبیل المعانی اللغوی والنحویه أو الصرفیه أو الکلامیه أو... الخ.

الجواب: لیسَ الأمر کذلک؛ لأنَّ القرآن الکریم فیه قدره عالیه لا تضاهیه قدره فی باقی العلوم، وتلک القدره العلمیّه التی یمتلکها القرآن متمیزه عن غیرها بمهاره وخلابه عظیمه فی تحویر المعانی، والانتقالات المرتبه فی عالم المعانی بانسیابیّه لیسَ لها نظیر بحیث وصلت إلی حدِّ الإعجاز.

ونظام المعانی ینقسم إلی نظامین: -

النظام الأوَّل: نظام الإشاره وکما وَرَدَ فی بعض کلمات أمیر المؤمنین (علیه السلام) (۱)[الإشاره للخواص] ویسمی بالتفسیر الإشاری وفیه یُجهد المُفَسِّر نفسه بالالتفات إلی الإشارات فی الآیات، لا إلی السطح الظاهر کما

۱- (۱) روی عن الإمام علیّ (علیه السلام) فی بیان المراحل المعرفیه الأربع للقرین أنَّه قال: کتاب الله علی أربعه أشیاء: علی العباره، والإشاره، واللطائف، والحقائق، فالعباره للعَوام، والإشاره للخواصِّ، واللطائف للأولیاء، والحقائق للأنبیاء، بحار الأنوار ج ۹۲ ص ۱۰۳ ح ۸۱.

فی الصعید الأوَّل: نظام الألفاظ وهو المنهج والتفسیر الموجود فی کلمات أهل البیت (علیهم السلام) وهو غیر منهج أمومه المحکمات الذی نتبناه فی تفسیرنا للقرآن.

النظام الثانی: نظام اللطائف وکما وَرَدَ فی بعض کلمات أمیر المؤمنین (علیه السلام) «اللطائف للأولیاء».

واللطائف: هی الطبقات العمیقه التی هی أبطن البطون وتحتاج إلی لطف وشفافیّه خاصه فتکون أکثر لطافه، أی معانی باطنیه خفیّه، ومعانی أبطن وتوغل فی الباطن والعمق أکثر فأکثر.

القسم الثالث: نظام حقائق القرآن وهو ما یُعبَّر عنه بالحدیث النبوی والحقائق للأنبیاء کما وَرَدَ(۱).

وکل قسم من هذهِ الأقسام الثلاثه له قواعده ومنهاجه، فغیر المُطّلِع علی هذهِ المناهج والقواعد رُبَّما یهاجمها ویقول هذا تلاعِبٌ فی التفسیر وما شابه ذلک.

وکُلُّ قسم من هذهِ الأقسام الثلاثه یبحث فیها هذهِ الأنظمه الثلاثه أیضاً: -

---

۱- (۱) یمکن أنْ یکون هذا التقسیم مستفاد مما ذکره أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی وصف القرآن وأنَّه علی طبقات أربعه ولیست نظم ثلاثه وهی:أ) العباره للعوام أو العامه.ب) الإشاره للخواس.ج -) اللطائف للأولیاء.د) الحقائق للأنبیاء.والألفاظ تعود إلی نظام الاستعمال، واللطائف والإشارات مرتبطه بعالم المعانی، والحقائق للأنبیاء، وهکذا الإشاره للخواص مِن عالم اللطائف للأولیاء أیضاً من عالم المعنی، ولکن بشکل أعمق وأخفی.

النظام الأوَّل: نظام الأفعال أى الأفعال الإلهيه.

النظام الثانى: نظام الصفات الإلهيه.

النظام الثالث: نظام الأسماء – أى إثبات الربوبيه.

ص:٢٣٨

مميزات وخصائص منهج أمومه الولايه على المحكمات

يتميز منهج أمومه المحكمات بعدَّه خصائص، وهى: -

أولاً: بسط وتفصيل الكلام فى الأقسام الثلاثه - الاستعمال اللفظى، والمعنوى وحقائق القرآن - بما فى كُلّ واحد منها البحث عن نظام الأفعال والصفات الإلهيه.

بينما المناهج الأُخرى أكَّدت وركَّزت فى أصول قواعد التفسير بلحاظ النظام الاستعمالى، وشيئاً ما فى النظام المعنوى، ونادراً ما فى نظام الحقائق.

وسبب ندره استعمال المناهج الأُخرى لنظام الحقائق وتأكيدها فى المعارف على طرف الحبل الممدود إلى الناس وهو النظام الاستعمالى؛ لأنَّ المعارف استعماليه، وأمَّا الحقائق فندره استعمالها هو بسبب أنَّها غيبيّه، وعليه فهى بعيده المنال عن المناهج الأُخرى غير منهج أمومه المحكمات.

ثانياً: مضافاً إلى أنَّ المناهج التفسيريه الأُخرى غير منهج أمومه المحكمات، لمْ يُتعب أصحاب تلك المناهج أنفسهم فى البحث عن الجانب الحقائقى حتَّى يتوصلوا ولو إلى شىء معين، بحجه أنَّها غيبيات وحقائق القرآن وهى بعيده المنال، علماً أنَّها مؤثَّره فى التفسير، لذا صارت مناهجهم التفسيريه بسبب غياب هذا الجانب ليست هى الأكمل، والأمثل.

ولذا امتاز منهج أمومه المحكمات عن باقى المناهج التفسيريه بسبب تركيزه على جانب نظام الحقائق - الغيبى - فى القرآن.

إذنْ امتياز منهجنا وكونه أصلاً أو له أصوليه وقطبيه مستمده من روايات أهل البيت (عليهم السلام) فى القرآن ميَّزته عن باقى المناهج التفسيريه بحق ولهذه القطبيه مركز وأصل.

ثالثاً: يتميز هذا التقسيم للأصول والقواعد التفسيريه، بصب اهتمام منهج أمومه المحكمات على نظام الصفات، ونظام الأسماء، فضلاً عن نظام الأفعال الإلهيه، بخلاف المناهج التفسيريه الأُخرى، لمْ ترعَ كثيراً لهذه البحوث، وإنَّما ركَّزت وأكَّدت على نظام الأفعال.

بدعوى أنَّ البحث الصفاتى أيضاً مطلب بعيد المنال، كما أنَّ البحث فى الأسماء كذلك بعيد المنال.

علماً أنَّ نظام الأفعال الذى ركَّزت عليه مناهجهم - غير منهج أمومه المحكمات - لا يُفهم إلّا بنظام الصفات، كما أنَّ نظام الصفات لا يفهم إلّا بنظام الأسماء لتوحيد الذات، كما سيتضح ذلك كُلَّهُ من خلال البحث إنْ شاء الله تعالى.

رابعاً: كيف يؤثر منهج أمومه المحكمات فى النظام الاستعمالى الذى هو العباره والألفاظ.

علماً أنَّ نفس أمومه المحكمات لها أمومه للمتشابهات على شكل طبقات محوريه، وهكذا كيفيّه تأثير أمومه المحكمات فى النظام الثانى أى نظام المعانى أو الإشارات؛ لانه كما أنَّ منهاج الثقلين وأمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) عاصم فى النظام الأوَّل من الضلال فى التفسير الإشارى أو نظام معانى القرآن.

خامساً: القرآن الكريم فيه أنظمه بيانيه تؤثر على المنهاج التفسيرى للمفسر فمثلاً: نظام الاستعمال اللفظى هو نظام تحته أنظمه هو ناظم لها وهكذا الفرع تحت الفرع ويتشعب إلى شعب... فإنَّه حتَّى الأنظمه لها نظام مهيمن.

وأنَّ نظام عالم المعانى له نظم معينه وقواعد ترسم نظام المعانى وليسَ عباره عن ركام من المعانى مكدس.

والنظام الثالث أى نظام الحقائق الذى أيضاً له بُعده العميق فى منهجيه تفسير المُفَسِّر ولولاه لما استطاع المُفَسِّر الغور إلى الأعماق.

وسنبين فى جمله الصله الوطيده بين هذهِ الأنظمه الثلاثه.

ص:٢٤١

الفرق بين الأنظمه الثلاثه

الأفعال – الصفات – الأسماء

اشاره

مقدمه/ المشهور بين المتكلمين بلْ والحكماء والعرفاء أنهم فرَّقوا بين الأنظمه الثلاثه.

الفعل: ما يَلْحَظ الحدث بما هو أى يدلُّ على معنى مستقل مقترن بزمان.

الاسم: هو اللفظ المأخوذ إمَّا من الذات بما هى هى كلفظ الجلاله له سبحانه وتعالى، والرجل والإنسان و... الخ أو بكونها – الذات – موصوفاً بوصف كالعالِم والقادر أو مبدأ الفعل: كالرازق والخالق.

الصفه: فهو الدال على المبدأ مجرداً عن الذات كالعلم والقدره والرزق والخلقه، وعلى هذا – رأى المشهور – يصح أنْ يقال: –

الاسم: ما يصح حمله كما يقال: الله عالِمٌ، وخالقٌ، ورحمنٌ، ورحيمٌ و... الخ.

والصفه: لا يصح كملها كالعلم، والخلق والرحمه و... الخ.

إذنْ على رأى المشهور الصفات مندكه فى الأسماء من غير عكس(۱).

وذكر السيد العلامه محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه) لا فرق بين الاسم والصفه، غير أنَّ الصفه تدلُّ على معنى من المعانى تلبس به الذات، أعمُّ من العينيه والغيريه.

والأسم: – هو الدال على الذات مأخوذهٌ بوصف، فالحياه والعلم

۱- (۱) مفاهيم قرآنيه للشيخ جعفر السبحانى ج ۶، ص ۳۳.

صفتان، والجماد والعالِم أسمان(۱).

هذا كُلَّهُ على ما هو المشهور ويوافقه ظاهر الكتاب من أنَّ أسماء الله سبحانه وتعاليمن قبيل الألفاظ والمعانى فيكون لفظ الجلاله وسائر الأسماء كالرحمن والرحيم والعالِم والقادر أسماء الله الحسنى الحقيقيه، ولها معانٍ ومفاهيم فينتقل إليها الذهن عند السماع.

وأمَّا عند أهل المعرفه: فالأسماء والصفات ليست من قبيل الألفاظ والمفاهيم بلْ حقيقه الصفه ترجع إلى كمال وجودى قائمٌ بالذات، والاسم عباره عن تعيُّن الذات بنفس ذلك الكمال، والأسماء والصفات الملفوظه أسماء وصفات لتلك الأسماء والصفات الحقيقيه التى سنخها سنخ الوجود والكمال والتحقق والتعين، فلفظ الجلاله ليسَ أسماً بلْ أسماً للأسم، ومثله العلم والقدره والحياه و.. فهى ليست صفات بالحقيقه، وإنَّما مرأه تعكس أوصافهُ الحقيقيه(۲).

وأقول: الفعل: يلحظ الحدث كحدثٍ، أمَّا إذا لوحظ حاله أو هيئهً عارضه فيكون صفه.

وإذا صيغ من الهيئه ما يكون قالباً مشيراً إلى الذات الموصوفه يكون اسماً.

وليسَ المراد من الفعل فى مباحث المعارف الإلهيه ما يكون عرضٌ فى مقابل الجوهر، بلْ أعم من ذلك - حتَّى لو تعلَّق الفعل بجوهر مخلوق، كما أنَّه ليسَ المراد من الصفه ما يكون هيئه وجوديه عارضه بلْ ما يشمل الجواهر المخلوقه، إذا لوحظت ناعته بنحو الصفات الفعليه لخالقها.

۱- (۱) تفسير الميزان ج ۸ ص ۳۶۹.

۲- (۲) مفاهيم قرآنيه: ج ۶ ص ۳۳-۳۴.

كما أنَّ الأسماء ليسَ المراد بها الإشاره الذهنيه أو الصوتيه، بلْ ما يشمل الآيات المخلوقه وإنْ كانت جواهر مخلوقه عاليه.

والصفه فى كُنهها لا توصِل إلّا إذا لوحظت مشيره إلى الذات أى لوحظت فيها حيثيه الاسم لأنَّ فى الصفات لحاظٌ وحجابٌ ذاتى بخلاف الأسماء.

وهناك أصلٌ مهم جداً مؤلف من مراحل ثلاث: -

المرحله الأُولى: أنَّ كُلّ فعل له ارتباط بالصفه، هو فعل الإنسان.

المرحله الثانيه: والفعل مرتبط بالصفه لا محاله له ارتباط بصفه الإنسان.

المرحله الثالثه: إنَّ الصفه لا محاله لها ارتباط بعقيده الإنسان، والعقيده والمعتقد هو جوهر الإنسان.

وهذهِ المراحل الثلاث يُعبر عنها كثير من علماء الأخلاق والفلسفه بأنَّ كُلّ رؤيه معرفيه أو عقائديه تولد صفات مناسبه لها، كما أنَّ كُلّ صفه معينه تولد أفعال متناسبه معها.

وتوضيح ذلك: مثلاً صفه البُخل تؤثر فى الإنسان عملاً فيكون بخيلاً فتولد الصفات المتلائمه مع شخصيه الإنسان البخيل من الجبن والخِسَّه... الخ.

وهكذا صفه الكرم تؤثر فى الإنسان فتجعله مبسوط اليد، وهكذا الجبن يُولِّد عند الإنسان صفه الانهزام والفرار فى ميدان الحرب وغيره.

إلفات نظر:

من خلال عرض الأنظمه الثلاثه وما يتفرع عنها سنجد قاعده واحده قدْ تتكرر فى الأنظمه الثلاثه أو الأربعه، إلّا أنَّه لا تتكرر بنفس

هويتها، وإنَّما تتكرر بهويه أَخرى بمضمون آخر.

الخلاصه: إنَّ كُلّ من الأسماء والصفات تنقسم إلى ذاتيه وفعليه، فللّه أسماءٌ وصفات ذاتيه هى عين ذاته غير زائده عليها، وله عز وجل أسماء وصفات فعليه هى عين فعله.

فالقدره والعلم والحياه صفاتٌ ذاتيه يُشتق منها القادر والعالم والحى، وهى أسماء ذاتيه غير زائده على الذات الإلهيه المقدسه.

والخلق والرزق والتدبير والربوبيه والحكم والعدل وغيرها من الصفات الفعليه يُشتق منها أسماء فعليه، هى الخالق والرازق والمدبر والرب والحكم والعَدْل، ولا ريب أنَّ الأسماء الفعليه غير الذات وليست عينها مخلوقه لها مُشتقةٌ من أفعاله عز وجل.

ولا ريب أيضاً أنَّ جمله وافره من الأسماء الإلهيه هى أسماء فعليه مشتقه من أفعاله ومخلوقاته تعالى.

والمخلوق يكون اسماً لله عز وجل بملاحظه صدوره من خالقه وأنه فقيرٌ له مُتقوِّم به ليسَ له من نفسه شىء، دالٌّ بسبب افتقاره بما فيه من كمال على كمال خالقه وبارئه.

وعليه فالاسم هو سِمَةٌ وعلامه على صانعه، وما فيه من عظمه وحكمه داله على عظمه وحكمه الخالق؛ إذْ ليسَ له من ذاته إلّا الفقر والاحتياج(١).

١- (١) الإمامه الإلهيه، ج ۴ ص ۲۴۳ للشيخ محمد السند.

العلاقه بين الأنظمه الثلاثه: الأفعال – الصفات – الأسماء

توجد صله وطيده بين هذهِ الأنظمه الثلاثه: –

١ – نظام إسناد الأفعال.

٢ – نظام إسناد الصفات.

٣ – نظام إسناد الأسماء والذات.

وبأيِّ شيء يرتبط سواءاً على الصعيد الربوبى أو البشرى.

أمَّا على الصعيد الربوبى: هناك حاكميه وهيمنه بين الأنظمه الثلاثه يمكن تصورها بما يلى: –

أولاً: إنَّ النظام الذاتى الربوبى حافظ ومهمين على نظام الأسماء والصفات.

ثانياً: نظام الأسماء والصفات حاكم على نظام الأفعال الإلهيه.

فهذه المخلوقات هى آيات الله وشأنه تعالى وهى تمثل صفات الله وذاته وأسمائه، ولهذا يُذكر هذا المبحث فى البحوث العقليه والفلسفيه.

وعليه فالنظام الذاتى الربوبى يَظهر فى نظام الصفات والأسماء، ونظام الأسماء والصفات يَظهر فى نظام الأفعال.

إذنْ توجد صِله وارتباط تكوينى بين هذهِ الأنظمه الثلاثه، وليسَ غرضنا بيان وجود الصله بينها فقط، وإنَّما نحن بصدد بيان: – أنَّ الفعل

لوحده لا يصل إلّا بالصفه، والصفه فى كنهها وحقيقتها لا تصل إلّا بالأسماء.

وعليه فالصفات المحموده أو المذمومه هى عباره عن رؤى عقائديه فكريه وإيمان يكون فى جوهر الإنسان، ثم ينزل إلى هذا الإيمان إلى صفات الأفعال التى تصدر من الإنسان كصفه: - الكرم، والشجاعه والكرامه والإباء و... الخ كما فى كلمات الإمام الحسين (عليه السلام):

«وأنوفٌ حميّه ونفوس أبيَّه لا تؤثر مصار اللئام على مصارع الكرام».

وهكذا التوكُّل كمعرفه اعتقاديه: وهو الاعتقاد بغنى الله تعالى وهذا معناه أنَّه يُسلِّم ويذعِن أنَّ الله ذو القوه المتين، فإنَّه يعتقد بغنى الله تعالى، ولذا يؤثر بالكرم - ومن الواضح أنَّ الكرم يؤثِّر على شخصيه المُكرِم.

ولذا وَرَدَ فى بعض الروايات - كشاهد على ذلك - إنَّ الله يُحب الشاب العاصى السخى من الشيخ الزاد الناسك البخيل - وذلك باعتبار أنَّ السخاء كصفه وفعل وليد معرفه نظريه بغنى الامتناهى ولا محدود لله عز وجل، عكس البخيل ليسَ على معرفه ويقين من غنى الله اللامحدود، وإنْ كان بدن البخيل يتعب بالعباده ولسانه يتعبد، إلّا أنَّ قلبه ليسَ على معرفه ويقين والعياذ بالله من غنءا الله اللامحدود.

ومن الواضح أنَّ عباده القلب أعظم من عباده البدن.

إذنْ هذا الشاب عاصٍ ببدنه ولكنْ بقلبه وبفطرته مطيع عابد، ويؤيده ما جاء فى الحديث الشريف: وَرَدَ فى الحديث الشريف عن رسول الله (صلى الله عليه و آله): -

«يا أبا ذر إنَّ الله تبارك وتعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكنْ ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(١).

١- (١) أمالى الطوسى/ ٥٣٦؛ مكارم الأخلاق للطبرسى/ ٤٦٩؛ البحار للمجلسى/ ج ٦٧، ص ٢٤٨، ح ٢٣.

وعليه فهذه الصفات وغيرها رؤى عقائديه فكريه نابعه من أعماق جوهر الإنسانيه الذى ينزل إلى الصفات الخارجيه سواء صفه مدح أو ذم، وهذهِ الصفات ترجع إلى تجلى الإيمان واليقين فى الذات الإلهيه والقدره الإلهيه.

وعليه فهناك علاقه وطيده وترابط بين الأنظمه الثلاثه: - إسناد الأفعال، وإسناد الصفات وإسناد الأسماء والذات على الصعيد الربوى والبشر صعوداً ونزولاً.

فعلى مستوى الصعيد الربوى: فنلاحظ هذهِ المخلوقات التى هى آيات الله تعالى وشأن من شؤونه تعالى فهذه المخلوقات تمثل صفات الله وأسماء الله وذاته تعالى، ولذا تعرّض أهل المعقول والفلسفه إلى هذا المطلب وقالوا: -

بإنَّ النظام الذاتى الربوبى يظهر فى نظام الصفات والأسماء ونظام الصفات والأسماء يظهر فى نظام الأفعال.

وكذلك يتميز النظام الذاتى الربوبى بصفه أُخرى وهى: - صفه الهيمنه والمحافظيه على نظام الأسماء والصفات، وأيضاً نظام الأسماء والصفات بدوره حاكم على نظام الأفعال الإلهيه.

وأمَّا على الصعيد البشرى: فإنَّ هويه أى فعل يفعله الإنسان - سواء خير أو شر - لا يمكن أنْ تحدد بالدقه؛ لأنَّ هناك سلوكيات معينه فى الإنسان لا يمكن تحديدها إلّا عن طريق الصفات للحديث النبوى: -

«إنَّما الأعمال بالنيات»(١) ، لأنَّ جوهر الفعل وروحه هو النيّه للصفه التى توقع

١- (١) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسى، ج ۴، ص ۵۱۹ ح ۱۸۶؛ دعائم الإسلام للقاضى النعمان المغربى ج ۱، ص ۲.

الفِعل على أثرها، وهذهِ النيّه ترجع إلى فعل قلبى مرتبطه بالصيغه.

والحصيله من كُلّ هذا هو أننا لأجل أنْ نبنى ونرسم منهج تفسيرى متكامل لابدَّ من الالتفات إلى الأنظمه الثلاثه؛ لأنَّها تشكل هرميه مترابطه ومنتشره وساريه فى علوم كثيره تذعن لها، أمَّا أنَّه يلتفت إلى أحد هذهِ الأنظمه الثلاثه دون الآخرَين، فإنَّ ذلك يكون تفسيراً ناقصاً.

وعليه فهذا هو أحد أسباب اختيارنا لمنهج أمومه ولايه أهل البيت على المحكمات فضلًا عن المتشابهات، ورفض المناهج الأُخرى بسبب الإخفاقات والسلبيات والنواقص الموجوده فيها.

ص:٢٥٠

نظريه تجسم الأعمال

اشاره

إنَّ قاعده إسناد الأسماء والصفات والأفعال فى القرآن الكريم سيأتى بسط البحث فيها فى مجموعه النظام الثالث، والغرض فى المقام للإشاره إلى نبذه حول أطراف هذهِ القاعده:

أولاً: مضمون النظريه:

هناك عدَّه حقائق كشف عنها القرآن الكريم والروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) منها:

١ - تجسم الأعمال.

٢ - تجسم الملكات.

٣ - تجسم النيّات.

وكلّ واحد من هذهِ الأقسام الثلاثه له تجسم، فالأعمال تتجسم وهى محل البحث وسيأتى عنها الكلام بعد قليل، وأمَّا الملكات كذلك لها تجسم فالملكات التى يكتسبها الإنسان فى هذهِ الدنيا تاره يكتسب ملكه الطاعه والعدل، وأُخرى يكتسب ملكه التمرد والعصيان فلكل من الملكتين ظهور دنيوى وظهور أخروى يتنعم الإنسان بواحده منهما ويُعذب بالأخرى، وهكذا الحال فى النيّات(١).

ومحل الكلام هو تجسم الأعمال: - وهذهِ النظريه من النظريات المهمه

١- (١) مفاهيم القرآن ج ٨ ص ٣٣٠.

التى نقّحها بوضوح فائق فلاسفه الإماميه مسترشدين بالآيات والروايات عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) ومؤداها: - أنَّ كُلّ عمل من الأعمال التى يكررها الإنسان فهى تؤكِّد ملكات.

١ - إمَّا ملكات حَسَنَه نورانيه: وهذا ما يُعبر عنه بجنبه الصعود والدرجات وهو يمثل الجنبه الإيجابيه فى عمل الإنسان(١) وعليه فيكون هذا ظهور للعمل بوجوده الدنيوى وحينئذٍ ما يكتسبه الإنسان من الأعمال الحسنه كالصلاه والصوم والحج و... الخ.

أوما يحققه من أعمال الخير كالزكاه والصدقه، وما يقوم به من البر والإحسان كلَّها أعمال دنيويه، ولا ظهور لها بحسب هذهِ النشأه سوى ما نشاهده منها.

وكذلك للأعمال ظهوراً فى النشأه الأخرويه بوجود يُناسبها كالجنه ونعيمها وصورها وغلمانها وما تشتهيه الأنفس وتلتذ به، فليس لها حقيقه وراء تلك الأعمال التى اكتسبها أو حققها فى حياته، فالأعمال الدنيويه تظهر بهذا النحو من الجزاء(٢).

٢ - أو ملكات رديئه أو ما يُعبر عنه بجنبه النزول والدركات، وهو يمثل الجنبه السلبيه فى عمل الإنسان، فما يقترفه الإنسان من الأعمال السيئه كالشرك بالله سبحانه وظلم العباد وهتك الأعراض وسفك الدماء فى هذهِ النشأه تظهر فى يوم القيامه بوجودها المناسب لها، فتظهر بصوره الجحيم ونارها وما يواجهه من أنواع العذاب.

١- (١) الإمامه الإلهيه ج ١ ص ٧٥ للشيخ محمد السند.

٢- (٢) مناهج القرآن ج ٨ ص ٣٣٠.

وكلتا الملكتين – الملكه الحسنه النورانيه، والملكه الرديئه – كلما ازدادت ترسَّخت فى النفس أكثر حتَّى تصبح جوهريه، ومن هنا قالوا إنَّ الإنسان ليسَ هو النوع الأخير، بلْ يتلبس بعد الصوره الإنسانيه بصوره وفعل إمَّا ملائكى أو شيطانى بهيمى سبُعى.

والله تعالى يُزد الذين آمنوا وعملو الصالحت قُرباً منه وهدايه عقائديه بسبب فعلهم الأعمال المُقربه إليه تعالى والمحببه له فزادهم قُرباً وهدايه، هذا بلحاظ قوس الصعود، بخلاف قوس النزول فإنَّه مَن يَفسِق – والعياذ بالله – فإنَّ عقيدته تنهدم ويوقِع نفسه فى الهاويه بنفسه وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَهٍ فَمِنْ نَفْسِكَ١. فإنَّ الفعل السىء الذى يرتكبه الإنسان بسبب سوء اختياره فى قوس النزول يورث صفه سيئه، والصفه السيئه تورث جحود عقائدى كما أشارت إلى ذلك الآيه المباركه ثُمَّ كانَ عاقِبَهَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللّهِ٢.

والإنسان فى سعيه نحو الكمال إنَّما يبتغى أنْ يحصل على حاله الثبات، وهذا ما يُسمى بالكمال العَرَضى الذى سوف يكون فى معرض الزوال فتعود حاله إلى ما كانت عليه قبل تحصيله. فهو يسعى لأنْ يحصل على كمال ذاتى بنحو جوهرى لا يكون معرضاً للزوال، وبهذا يتكامل ويصعد فى سُلَّم الكمالات ويثبت عند كُلّ درجه، ويحصل هذا التغيير الجوهرى عن طريق الأفعال المؤديه للكمال حيث يحدث الفعل – عند تكراره والمواظبه عليه – حالات فى النفس تنتقل إلى هيئات ثم تنتقل إلى ملكات فتشتد حتَّى

تصل وتصبح فصولاً جوهريه.

بالإضافه إلى ذلك فإنَّ البدن يكون بشكل يتناسب مع القوّه التى يمتلكها الإنسان وغيره، فمثلاً فى الأسد الهيئه الجمسانيه له تناسب القوه التى يمتلكها ودلَّت الآيات والروايات على أنَّ الأجسام الأخرويه هيأتها تابعه للفصول الجوهريه التى يتكامل بها الإنسان أو يتناقص.

كذلك فى محل كلامنا إنَّ موارد الحكم بالحُسن هى نفسها فى موارد الفضائل والكمالات، حيث يتبين أنَّها توجب تجسم الأعمال بصوره نورانيه، وموارد القبح هى بنفسها موارد النقص التى تتجسم بصوره رديئه ظلمانيه، فيظهر أنَّ الحكم بالقبح والحسن ليسَ اعتبارياً بلْ أمر عقلى له مناشىء تكوينيه(١).

ثانياً: مدرک النظريه:

دلَّت الآيات القرآنيه والروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) على ذلك:

أمَّا الآيات هى: -

١ - قوله تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً٢.

بتقريب: إنَّ الآيه المباركه تصرِّح بحضور عمل الإنسان من خيرٍ وشرٍّ فى النشأه الأُخرى.

١- (١) الإمامه الإلهيه، ج ١ الشيخ محمد السند.

۲ - قوله تعالى: عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ۱.

۳ - قوله تعالى: وَ وُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلاّ أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً۲.

بتقريب: إنَّ هاتين الآيتين الأخيرتين يستفاد منها التصريح فى كيفيه التجسم للأعمال، إنْ خيراً فخير، وإما شرّاً فشرٌ، فمثلاً عمل السوء فى كتمان الحقيقه والواقعيه فى مقابل ثمن بخس، أو أكل مال اليتيم ظلماً فإنَّه سوف يتجسم ذلك العمل فى الأخيره بصوره النار، وعليه فكأنما لكل عمل يعمله الإنسان ظهورين: - ظهور فى الدنيا وهو ما يشاهده كُلّ إنسان خلال سنى عمره التى يعيشها، وظهوراً فى الآخره هو تجليه بصوره النار المحرقه، ويؤيد ذلك أنَّه سبحانه وتعالى تصِف الآخره بأنَّها يوم تُبلى السرائر، ويقول: يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ۳.

وكأنما الحقيقه اختفت تحت اللثام فأضحت سرَّاً مستوراً، وفى ذلك اليوم تزول كافه الحجب وتظهر الحقيقه فى أنصع صورها.

والمحصل من هذا كُلَّهُ: كأنَّ هذهِ الآيات الثلاث وإنْ كان يوجد غيرها - أوضح ما فى الباب للدلاله على تجسيم الأعمال، وهى تثبت أنَّ نفس الأعمال التى اكتسبها واقترفها الإنسان يجدها أمامه يوم القيامه بأعيانها وتحضر بواقعها، ولو كان هناك اختلافاً فإنَّما هو فى كيفيه الظهور، وإلّا فالعمل نفس العمل والواقعيه محفوظه ولكنْ ظهورها مختلف(۱).

۱- (۴) الكافى ج ۳۳۲/۲ باب الظلم من كتاب الكفر والإيمان ح ۱۱.

۴ – قوله تعالی: وَ یَزِیدُ اللّهُ الَّذِینَ اهْتَدَوْا هُدیً...۱.

وأمَّا الروایات: فهناک عَّده طوائف من الروایات دلَّت علی تجسیم الأعمال نذکر منها:

أولاً: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله)

«اتقوا الظلم فإنَّها ظلمات یوم القیامه»(۱).

بتقریب: – کأنَّ الظلم یتجلی فی الآخره بصوره الظلمه، وعلیه یکون للظلم ظهورین: – دنیوی وأخروی.

ثانیاً: وقال رسول الله (صلی الله علیه و آله) فی ضمن وصایاه لقیس بن عاصم: –

«إنَّه لابدَّ لک یا قیس من قرینٍ یُدفن معک وهو حیٌ وتدفن معه وأنت میت، فإنْ کان کریماً أکرمک، وإنْ کان لئیماً أسلمک، ثم لا یُحْشر إلّا معک، ولا تبعث إلّا معه ولا تُسأل إلّا عنه فلا تجعله إلّا صالحاً»(۲).

ثالثاً: عن رسول الله (صلی الله علیه و آله)، قال:

«مَن تَقَرَّب إلیَّ شبراً تقربتُ إلیه ذراعاً، ومَن تَقَرَّبَ منی ذراعاً تقربتُ منه باعاً، ومَن أتانی مشیاً أتیته هرولهً»(۳).

هذهِ بعض الأحادیث عن تجسم الأعمال ومَن أراد الاستقصاء فعلیه الرجوع إلی الجوامع الحدیثیه.

۱– (۲) باب أحوال المتقین والمجرمین فی القیامه من کتاب العدل والمعاد ح ۶۹؛ والمحاسن للبرقی، ج ۲۸۸/۱، ح ۴۳۲.
۲– (۳) راجع: – أمالی الصدوق المجلسی الأوَّل ح ۴، نهج البلاغه قسم الحِکَم، الحکمه السادسه، بحار الأنوار، ج ۷ / ص ۱۹۷
۳– (۴) مسند أحمد بن حنبل، ج ۲، ص ۴۸۲؛ عوالی اللئالی لابن جمهور الأحسائی، ج ۱، ص ۵۶، ح ۸۱.

أفعال الإنسان اختياريه أو لا؟

هنـاك نزاعٌ بين الفقهاء وغيرهم أنَّ بعض الأفعال القبيحه والمـذمومه التى تصـدر من الإنسان مثل الحسـد والبخل وشـرب الخمر والكذب والسرقه والعصبيه و... الخ.

هل هذهِ الأفعال وغيرها اختياريه للإنسان أو لا؟.

الجواب: إنْ قلتَ أنَّهـا ليست اختيـاريه فكيف نطـالب بـأنْ لاـ نحسِّـد وأنَّ الحسـد حرامٌ ومن الكبائر التى توعَّد الله مرتكبيها النار، فحينها يصبح الإنسان مُجبراً، وهذا ليسَ صحيحاً ولا تقول به مدرسه أهل البيت (عليهم السلام).

وإنْ قلت: أنَّها اختياريه فمن الصـعوبه بمكان أنْ نقول بسـهوله أنَّ هذا الفعل الذى يصدر من الإنسان كالبخل أو الجبن أو إدمان المخدرات أو... الخ، هو اختيارى.

نعم، فى بدايه حصول هذهِ الأفعال والعادات المَرَضيه الخفيفه القاتله والهدّامه هى خطوات اختياريه.

أمَّا بعد مرور فتره طويله على ممارسـتها وإدمانها وبعد أنْ تسيطر وتستفحل على مرتكبها ففى مثل هذهِ الحاله يَفلت زمام السيطره على النفس، وعليه يمكن أنْ نقول: - أنها فى هذا الظرف والوقت الراهن أنها ليست اختياريه، وليسَ معنى هذا أنَّه يبقى ويسـتمر عليها، وإنَّما لابدَّ من معالجتها والحدِّ منها ثم القضاء عليها.

وإنْ كان سدُّ الباب من أوَّل الأمر أمام إبليس والشياطين إحصانٌ

وعملٌ وقائى من أنْ يدخل الشيطان وأعوانه إلى النفس حتّى لا يتعود الخبيث من أنفسكم والسيطره عليها، كما قال الإمام الصادق (عليه السلام): -

«لا تعودوا الخبيث من أنفسكم بنقض الصلاه فتطمعوه، فإنَّ الشيطان خبيث يعتاد لما عُوِّدَ.. الخ»(۱).

ولو تنزلنا وقلنا أنَّ الشيطان نفث ودخل فى النفس الإنسانيه فإنَّ هذا ليسَ معناه هو أنْ نُسَلِّم للأمر الواقع وأنَّ ما نحن فيه هو للشيطان وأتباه، كلا ثم كلا، إنَّما هنا يأتى دور الرؤيه العقائديه السليمه من الإنحراف التى بدورها تولِّد الصفه والصفه تولد فعل اختيارى فى النفس وقوّه إراده، فإذا جعل الإنسان هذا فى أعماق نفسه وتوكل على الله فإنَّ المصروع يصبح صارعاً بإذنه تعالى: إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ۲.

الخلاصه: فليحذر الإنسان من الاعتقاد برؤىً فاسده وخاطئه؛ لأنَّ تولد فى النفس آثار سلبيه وتمرُّد وعصيان وعدم انقياد لله تعالى؛ لأنَّ الرؤيه العقائديه الحسنه تولِّد صفه حسنه وتولد فعل حسن.

ولذلك يُلحظ أصحاب الرؤى الفاسده والعياذ بالله - أنَّهم يعتقدون بأنَّهم أصبحوا أُسارى للشيطان ولهذه الهيئات المعينه ويوسوس لهم الشيطان أنَّه لن يستطيع التخلص منها، ولذا حَذَّر الإمام الصادق (عليه السلام) من تعويد الشيطان؛ لأنَّه أنْ عودتموه الخبيث تعوَّد - والعياذ بالله - والتخلص من حبائل الشيطان وشراكه عندما توقِع الرؤى الفاسده نفس الإنسان فيها

۱- (۱) الكافى - للكلينى، ج ۳، ص ۳۵۸ / ح ۲؛ الطوسى فى الاستبصار، ج ۱، ص ۱۴۲۲/۳۷۵.

فمن الصعوبه بمكان التخلص منها خاصه ذو النفوس الضعيفه والمريضه، الذين دائماً يصابون ويسحرون بمسٍّ بسبب تفاقم الرؤى العقائديه الفاسده التى يقع فيها بخلاف ما إذا كانت نفس الإنسان مؤمنه مطمئنه بعقائد نوريه وحيانيه محمديّه صحيحه فإنَّ الشيطان وأتباعه لا يقرُب منها؛ لأنَّها لمْ تنقاد إليها بخلاف ما إذا كان الإنسان ضعيف النفس، فهؤلاء الذين يُسحرون أو يصابون بمسٍّ ذلك بسبب تفاقم الرؤى العقائديه الفاسده التى يعتقدون بها.

وهذا النظام الثلاثى الذى اخترناه، ليسَ فقط بالنسبه إلى العلوم والمعارف الدينيه بشتى أنواعها، وإنَّما حتَّى فى باقى العلوم الجامعيه والأكاديميه الأُخرى، فمثلاً فى علم القانون والعلوم الإنسانيه وغيرها أيضاً يعتمدون هذا النظام الثلاثى للتفسير – فعل صفه رؤيه.

فالعلوم الإسلاميه عندهم مثلاً الرؤيه الكونيه والأيديولوجيه هى أساس الفلسفه الأخلاقيه، وهذهِ الفلسفه هى صفات الرؤيه الكونيه يعنى عقيده وفكر وفلسفه، وهكذا الفلسفه الأخلاقيه هى أساس للفلسفه الحقوقيه والدستوريه والقانونيه.

النتيجه: من كُلّ هذا يُعلم أنَّ النظام الثلاثى – ألفاظ، معانى – حقائق – نظام حاكم ومهيمن على العلوم الباحثه عن حتَّى مثل أحوال الطب الإنسانى، بلْ وحتَّى ما يرتبط بعالم الماده والظواهر الطبيعيه.

إذنْ هناك سلسله مراتب علوم عقائديه أو رؤويه – أى من العقيده والفكر – ثم علوم إنسانيه ثم علوم بدنيه تربط بالبدن بعضها مهيمن على البعض الآخر.

وهو ما يُعبَّر عنه بعلم الاشتقاق والوصول إلى جذر وأساس الكلمه المعروف ب - (علم الصرف).

فإذا قرأت القرآن تلاحظ أنَّ البشر يعجز من أنْ يمارس نظام الاشتقاقات فى القرآن، فالخبير المتخصص فى هذا المجال يُلاحظ أنَّ القرآن يأتى بتفعيله للفعل، وثانيه للاسم، وثالثه للجمله الأسميه ورابعه جمله مُؤكده و... الخ.

ويلاحظ المُتخصص كيف يتجول القرآن بانسيابيه فائقه فى المواد اللفظيه فى الآيه الواحده فضلاً عن السوره الواحده.

علماً أنَّ هذهِ الممارسه الاشتقاقيه - كما مَرَّ - وكما سيتضح كذلك من خلال البحوث الآتيه فى المواد القرآنيه، يعجز عنها متكلمو وبلاغيو وصرفيو ونحويو ومفكرو البشر، فمثلاً النحويون لمْ يحيطوا باشتقاقاته وتعدد المصارد والصفه المشبهه والفعل...، وأحياناً يأتى القرآن بالمعنى فى موضعٍ وباللفظ فى موضعٍ آخر وهكذا مسأله التقديم والتأخير والقواعد المرتبطه بها فإنَّ لها انسيابيه ونسق واحد من القرآن ولا يلزم منها التافت.

وهكذا الشاعر لمْ يستطع أنْ يأتى فى قصيدته بسبك نفس السبك القرآنى ويحافظ عليه وهكذا باقى التخصصات الأُخرى، بلْ البشر بكافه عقولهم وباختلاف مستوياتهم الفكريه والثقافيه والتخصصيه يعجزوا من أنْ يأتوا بآيه واحده ممارسٌ فيها سبك كالسبك القرآنى.

هذا كُلَّهُ فى الطرف الذى عند الناس، وإنْ كان حاق بعض اللغات

غير مكتشف فى القرآن الكريم، علماً أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) أشاروا من خلال بياناتهم إلى قِمم هذهِ العلوم، وأنَّ أَسسها مبثوثه ومشروحه على مختلف العلوم.

هذا من جانب الألفاظ والاشتقاقات، وهو بالطبع غير جانب صياغه فك المعنى.

ص:۲۶۲

المقام الثانی: النظام الاستعمالی اللفظی فی القرآن الکریم

اشاره

وفیه بیان:

القاعده الأُولی: - التعریض، وفیها بیان عدَّه أمور:

*أولاً: ما معنی التعریض؟

*ثانیا: تنبیه.

*ثالثا: الکنایه أبلغ من التصریح.

*رابعاً: کلام أمیر المؤمنین علیه السلام حول التعریض.

*خامساً: أهمیه دلاله التعریض وفائدتها.

*سادساً: التعریض لیسَ مختصاً بعلم التفسیر.

*سابعاً: بیان إعجاز القرآن الکریم هو أحد أدلَّه إمامه أهل البیت علیهم السلام.

*ثامنا: برهان علمی حدیث علی إعجاز القرآن وحقانیته علی إمامه أهل البیت علیهم السلام.

ص:۲۶۳

القاعده الأولى: التعريض

المقدمه:

اشاره

إنَّ الخوض فى قواعد نظام الاستعمال اللفظى فى القرآن سيكون معمَّقاً لا سطحياً ضمن سلسله أنظمه، وكما سنتعرض خلال البحوث الآتيه - إنْ شاء الله تعالى - وفق منهج أمومه المحكمات وأمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) فى القرآن - ولا نريد أنْ ندعى أنَّ البحوث التى تَعَرَّضنا إليها هى خاتمه البحث والتحقيق، وإنْ كنَّا بحثناها بحثاً معمَّقاً وكان البحث مشتملاً على بيان دقائق النكات العلميه والفنيه والصناعيه، إلّا أننا نوصى الأخوه الباحثين والمتتبعين وأنفسنا جميعاً فى التبحر والتأمل فى إجراء هذهِ القواعد البلاغيه المختلفه فإنَّه يزيد الباحث والمتتبع مهاره ومراس لمْ يصل إلى درجته جمله من كبار علماء الادب والبلاغه السابقين أمثال الزمخشرى الذى عكف على دراسه التركيب فى الجانب الأدبى والدلالات الأدبيه الخفيه فى آيات القرآن وقال عنها نفس الزمخشرى أنَّها نكات لطيفه وإنْ كان المعروف عنه - الزمخشرى - استفاد هذهِ النكات من تفسير التبيان للشيخ الطوسى (رضى الله).

وعليه فهذا الزمخشرى البلاغى العملاق رغم عقود بهذا المراس واكتشاف النكات البلاغيه الأدبيه إلّا أنَّه هناك نكات فنيه وعلميه وصناعيه لمْ يكتشفها ولم يشم رائحه اكتشافها إلّا أنَّها اكتشفت بعده، وهذا أمر طبيعى عند أصحاب كُلّ فن.

وهكذا علماء النحو والصرف أمثال رضى الدين الاسترابادى(١).

١- (١) المعروف بنجم الأئمه من علمائنا الأبرار الإماميه - ألَّف كتاب الكافيه فى الصرف تحت قبه أمير المؤمنين (عليه السلام).

وهذهِ القواعد التى بحثناها ولا زال البحث فيها قائماً هى أوسع شأواً وأَفقاً من أنى يستوعبها جيلٌ من البشر، بلْ هى بتعاطى جهود الأجيال تتسع تطبيقاً ومساحةً ومداراً لتراكم جهود الأجيال البشريه وعليه فمن الخطأ جداً، بلْ من غير المنطقى ولا المعرفى التعديل والاعتماد على أفق درجه جيل سابق والاعتماد على نتاج أفكار الأجيال السابقه فقط من دون أنْ نطورها ويُضاف إليها نتاج الجيل اللاحق وإبداعاته وأفكاره الناتجه عن نضوج تلك القواعد لدى الجيل اللاحق مع ضمان كامل الاحترام والتقدير للجهود العلميه التى بُذلت فهم مشكورون وجزاهم الله خيراً على سعيهم فى هذا المجال.

ولكنْ بنفس الوقت على الجيل اللاحق أنَّ يواصل الدرب، ومثل هذا ليسَ فقط عند أصحاب فن معين كالبلاغه أو النحو أو الصرف، بلْ حتَّى الناقد الأدبى الذى يرفع التقاضى لمحكمه التنافس والسياق الأدبى سواء كان هذا الأدب قبل الإسلام وفى الجاهليه وسواء فى لغه العرب وبعد الإسلام أو لغات أُخرى، فإنَّ الناقد الأديب دائماً يصل إلى مساحات من تطبيق علم الأدب لا يصل إليها غيره مما يعنى أنَّ مساحه اكتشاف تطبيق القواعد أو اكتشاف قواعد جديده ليسَ يقف عند حدٍّ معين فى علوم اللغه الإنسانيه لاسيما اللغه العربيه.

وغرضنا الأساسى الذى نريد تسليط الأضواء عليه هو أننا لا نريد أنْ نشبع أو نستفظع على الآخرين الذين تقدمونا أو قبلنا بقليل من الأجيال التى سبقتنا بأنَّ هناك ظهورات فى كينونه القالب اللفظى للمفرده القرآنيه

ولم يكتشفوها وأنَّ هناك قواعد وشواهد موجوده وقدْ أشارت إليها الروايات، ولكنْ وللأسف لمْ يعتنِ بها حتَّى مفسرو الخاصه - كما سيتضح كُلّ ذلك من خلال البحث عن كُلّ قاعده فى محلها -

إلّا أنَّه نريد التنبيه على خطأ أدبى كان يرتكبه المفسرون والقرّاء والمجودون للقرآن وعلماء القراءات بحسب نفس منصّه أصل الوضع اللغوى، والكل غافل، وعلينا أنْ لا نستعظم اكتشاف مثل هذهِ القاعده الموجوده فى كيان القالب اللفظى للمفرده القرآنيه، وهذا يمكن العثور عليه من خلال المداوله لروايات أهل البيت (عليهم السلام) التى أشارت إلى خطأ لغوى ارتكبه المفسرون والمجودون فى كيفيه الوصول إلى ما يريده أهل البيت (عليهم السلام) أى ما يوصلهم إلى أصل وحاق الدلاله التصوريه أى بحث فى أصل وضع اللغه ثم يتفرع البحث إلى الدلاله الاستعماليه التفهيميه ثم المراد الجدى والكل على طبقات كما سوف يتضح كُلّ ذلك إنْ شاء الله تعالى.

وعلى أى حال فإنَّ الأئمه (عليهم السلام) بيّنوا وجود خطأ فى أصل الالتفات إلى الوضع اللغوى فى الآيه عند المفسرين أو القرّاء.

إذنْ تطبيق القواعد المعروفه لمْ ينته بَعْدُ، ولا زال هناك قواعد غير مكتشفه فضلاً عن تطبيقها فى القرآن الكريم ورغم وجودها فى كينونه حاق اللفظ والمسيره لا زالت طويله.

وبعد هذهِ المقدمه نقول: -

تباينت آراء البيانيين واختلفت كلمتُهم، فمنهم مَن ذهب إلى أنْ الكنايه والتعريض شىء واحدٌ.

ومنهم مَن جعل التعريض قسماً من الكنايه، وثال ذهب إلى أنَّ الكنايه تختلف عن التعريض ولكَلٍّ وجهٌ.

ولا غرو أنْ نقول: إنَّ نظام الاستعمال اللفظى ونظام التعريض هو نظام الدلالات الخفيه.

الكنايه لغةً: ما يتكلم به الإنسان ويُريـد به غيره، وهى مصدر كالرمايه والعنايه والهدايه، فيقال: - هدى هدايه، وعنى عنايه، ورمى رمايه، وكنّى كنايةً.

اصطلاحاً: لفظ أُريد به غير معناه الذى وضع له مع جواز إراده المعنى الأصلى لعدم وجود قرينه مانعه من إرادته.

إذنْ الكنايه اصطلاحاً: ما يُراد بها المعنى ويُعبر عنه بغير لفظه الموضوع له.

فمثلاً- فلان كثيرُ الرمادِ، كأنَّ تريـد إثبات الكرم لإنسانٍ ما، ولكنك تعبر عنه بغير اللفظ الموضوع له، فتقول مثلاً: كثير الرماد ولا شك أنَّ كثره الرماد لمْ توضع لمعنى الكرم - وهو الذى اختاره عبدالقاهر الجرجانى، وعليه يكون معنى الكنايه هو: -

أنَّ تُطلِق اللفظ وتريد به لازم معناه مع قرينه لا تمنع من إراده المعنى الحقيقى.

التعريض:

التعريض لغةً: خلاف التصريح، وهو إماله الكلام إلى عُرْض - بضم العين - وهو الجانب والناصيه.

اصطلاحاً: فقدْ عُبِّرَ بعدَّه تعبيرات.

أولاً: ما ذكره السبكى فى عروس الأفراح: - وهو الدلاله بالمفهوم

بقصد المتكلم(۱).

ثانیاً: قال السکاکی: - إبراز غیر الحاصل فی معرض الحاصل إمَّا لقوه الأسباب وکون ما هو للوقوع کالواقع، والتفاؤل وإظهار الرغبه.

وأمَّا تعریضاً: - بأنْ ینسب الفعل إلی واحد والمراد غیره کما فی قوله تعالی: وَ لَقَدْ أُوحِیَ إِلَیْکَ وَ إِلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکَ لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ وَ لَتَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِینَ ۲.

قال ابن عباس هذا أدب من الله تعالی لنبیه (صلی الله علیه و آله) وتهدید لغیره؛ لأنَّ الله تعالی قدْ عصمه من الشرک.

والشاهد فیه: قوله تعالی: لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ فالمخاطب هو النبی (صلی الله علیه و آله) مقطوع به، حیث استعملت هنا کلمه إنْ مع لفظ الماضی تعریضاً علی مَن صدر منه الشرک، إذنْ الإتیان بلفظ الماضی (أشرکت) للإشاره إلی أنَّ المعنی علی الاستقبال - وإبرازاً للإشراک الغیر الحاصل فی معرض الحاصل أی إبرازاً للإشراک (الشرک) الذی هو غیر حاصل من النبی (صلی الله علیه و آله) فی أحد الأزمنه فی معرض الحاصل، کل ذلک علی سبیل الفرض والتقدیر تعریضاً بمن صدر عنهم الإشراک بأنْ قد حبطت أعمالهم، کما إذا شتمک أحدٌ فتقول: - والله إنْ شتمنی الأمیر لأضربنه وهذا تعریضٌ بأنَّ إذا شتمک یستحق العقوبه وإنک تضربه وإنْ کان أمیراً، فتمیل الکلام إلی جانب أی ضربک الأمیر علی تقدیر صدور الشتم منه ینتقل إلی الذهن بالقرینه منه إلی

۱- (۱) عروس الأفراح ج ۴ ص ۴۰۸.

ما هو المقصود وهو المقصود وهو ضربك المخاطب الذى صدر منه الشتم(١).

ثالثاً: ما ذكره ابن معصوم فى أنوار الربيع: - التعريض: هو الإتيان بكلام مشار به إلى جانب هو مطلوب وإبهام أنَّ الغرض جانب آخر، وسُمىَ تعريضاً لما فيه من الميل إلى المطلوب إلى عُرضٍ بالضم أى الجانب ويُقال: - نظر إليه بعُرض وجهه أى بجانبه.

ومنه المعاريض فى الكلام وهى التوريه بالشىء عن الشىء، وفى المثل: إنَّ المعاريض لمندوحه عن الكذب أى سعه وفسحه، وهو إمَّا لتنويه جانب الموصوف كما يُقال: - أمْرُ المجلس السامى نَفَذَ، والستر الرفيع قاصِدٌ لكذا تعريضاً بأنَّ المعبر عنه أرفع قدراً وشأناً من أنْ يَسَعَ الذاكر له التصريح باسمه وترك تعظيمه بالسكينه(٢).

رابعاً: ما ذهبنا إليه التعريض: هو أنَّ يُطلق الكلام ويُشار به إلى معنى آخر يُفهم من السياق فتقول: - عرَّضتُ بفلان، إذا قلت قولاً لغيره وأنت تعنيه هو: - إياك أعنى واسمعى يا جاره، أو مثل قولك للمؤذى: - المسلم مَن سلَّم المسلمون من لسانه ويده، تعريضاً ينفى صفه الإسلام عن المؤذى.

وعليه فالتعريض: هو أنْ يُذكر المتكلم جملةً من القول يريد بها شيئاً آخر.

الخلاصه: هذهِ توصيهٌ وشقشقه لابدَّ من دق جرس الإنذار مَرَّات فيها؛ لأنَّ المُفَسِّر دائماً فى حاله سُبات ويظن بأنَّ هذهِ المنظومه الأدبيه والرسم الأدبى الذى رسمه للآيه هو منتهى ما فى الآيه من ظهور، وهذا

١- (١) دروس فى علم البلاغه للبامبانى ج ٢ ص ١۴٣.

٢- (٢) أنوار الربيع لابن معصوم/ ج ۶ ص ۶٠.

أوَّل الكلام وأوَّل غفله سيقع فيها المُفَسِّر إذا كان يدور فى خلده هذا المعنى.

وليكن نصب أعيننا روّاد البلاغه الإلهيين وهم النبى (صلى الله عليه و آله) وعترته الطاهره من قولهم العلمى فى المعجز فى علم البلاغه حيث يقولون (عليهم السلام):

«... ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتَّى يعرف معاريض كلامنا وإنْ الكلمه من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهاً لنا من جميعها المخرج»(۱).

وعليه فالقرآن الكريم كتاب الله ومِن خالق الكلام هو منظومه نظام جحفلى لا انتهائى انشطارى وإنَّما اكتشاف القواعد والنكات العلميه والبلاغيه والنحويه والأدبيه واللغويه و... الخ. إلى اللامحدود وأنَّ فى كل آيه كما هو مضمون تعبير الإمام زين العابدين (عليه السلام) - كنوز وجواهر - إلّا أنَّ المشكله التى تواجه المفسرين يدعى أنَّ ما أتى به فى مختلف المناهج التفسيريه هو بضاعه ليسَ فوقها بضاعه وهى السهم المُعَلَى وهى... الخ ومن الواضح هذا خطأ، وربما يقول البعض إنَّ هذا بيان أو قاعده إجماليه وهى بدورها تعطى ضابطه لمنهجيه المُفَسِّر الانفتاح على آفاق غير محدوده، فهذا صحيح بخلاف ما إذا جزموا وقالوا إنَّ هذا هو المراد وقطعاً ونجزم به فإنَّ مثل هذا غير صحيح؛ لأنَّ البحوث الحديثه فى الفلسفات الحديثه والألسنيات تقول: -

إنَّ الحقيقه لا يمكن أنَّ يمتلكها شخص إلّا إذا كان بعون وبمدد من المعصوم (عليه السلام) باعتبار أفقه واسع ووحيانى ولهم القدره على ذلك - كما أشرنا إليه - فإنَّه لمْ يستطع جهابذه وأكابر أهل العلم الوصول إليها لا بالمطالب البلاغيه ولا النحويه ولا الصرفيه ولا... الخ بخلاف بقيه الباحثين غير

۱- (۱) معانى الأخبار للصدوق، الكافى ج ۸ الروضه.

المعصوم من علماء ومحققين ومفسرين دائماً يجب أنْ يقولوا

«لا علم لنا إلّا بمقدار يسير»؛ لأنَّ الباحث والمُفَسِّر لمْ يدرس الآفاق اللامتناهيه حتَّى تقول تفسيرى لهذه الآيه هو المطابق للواقع وهو... كلا إنَّما فيه من الجهاله الشيء العظيم.

فائده: المعاريض: جَمع لِمِعْرَاض، يُقال: عرفتُ ذلك فى معراض كلامه أى فى فحواه. حتَّى ضُرب مثلاً هكذا وَرَدَ من كلام عمران بن حُصين ابن عبيد أبو نجيد خزاعى (٥٣ هج - ٦٧٢ م) والأجود من هذا أنْ يُقال التعريض ضد التصريح وهو أنْ يُلْغِزَ كلامه عن الظاهر فكلامه مُعَرَّض(١).

سؤال: ما هو الفرق بين الكنايه والتعريض؟

الجواب: ذكر البلاغيون فى كلماتهم - من خلال ما تقدم بيانه - هو: - إنَّ الكنايه ما يتكلم الإنسان بجمله ويريد بها غيره، وهذا يُفهم من خلال اللزوم.

والتعريض: هو نفس ما فى الكنايه ويفهم من خلال السياق لا اللّزوم كما مَرَّ.

تنبيه: تعتبر هذهِ القاعده - التعريض - الأس الأساس فى النظام الاستعمالى فى ألفاظ القرآن، إلّا أنَّ المفسرين وللأسف لمْ يولوه العنايه القصوى ولم يُعتَنَ بالظاهر الأولى لألفاظ القرآن الكريم التى تعتبر منطلقاً ومبدءً الحلقات أُخرى ومع ذلك لا يصح الاقتصار على مبحث الظهور

١- (١) مجمع الأمثال للميدانى، ج ٨۴/١.

والظاهر، بلْ لابدَّ من التوسع والتبحر فی علم التعریض.

وعلم التعریض کما سیأتی تفصیل ذلک - ومَرَّ بعضه - له أقسام عدیده: -

منها - الکنایه، ومنها الاستعاره، ومنها الالتفات، ومنها التلویح، ومنها التنبیه، ومنها الإیحاء والإشاره... الخ من أقسام الدلاله الالتزامیه، إلّا أنَّه توجد ثغرات فی هذهِ الأقسام وهی عدم بیان موازین هذهِ الأبواب والأقسام، صحیح علم البلاغه اعتمد علی هذهِ الأبواب إلّا أنَّه لمْ یعطها حقها من العنایه، إذْ لمْ یتوسع فی علم البلاغه فی باب التعریض وأقسامه بشکل مبسوط وواسع، نعم، فی کتب الأصول لعلَّه شیئاً ما تُوسِّع فی هذهِ المباحث عند القدماء، أمَّا عند متأخری محققی الأصولیین والمعاصرین للأسف هجرت بالمرَّه، فمثلاً کتاب القوانین للمیرزا القمی تعرض لمثل هذهِ المباحث ولعلَّه توسع فیها شیئاً ما، علماً أنَّ هذهِ المباحث من صمیم بحوث الاستظهار التی تُعدُّ من أهم أدوات الاستنباط هو کون استظهاره سلیماً من الآیات القرآنیه والروایات الشریفه.

نعم، مبادرات بُذلت من بعض العلماء المتأخرین أمثال: - المیرزا مهدی الأصفهانی (رحمه الله)(۱) له کتاب المعاریض من نفس حاقه التعریض، وکذا الشیخ أبو المجد الأصفهانی(۲) له کتاب فی علم الأصول فی مباحث الألفاظ توسع توسعاً لطیفاً فی بمحث التعریض.

۱- (۱) من سُلاله آل کاشف الغطاء، اشتهر بلقب (آغا نجف).

۲- (۲) المیرزا مهدی الأصفهانی من تلامذه الشیخ النائینی (قدس سره) والسید الیزدی من خریجی حوزه النجف الأشرف ثم انتقل إلی مشهد الإمام الرضا (علیه السلام) وأسس مدرسه کلامیه تقریباً فی ضمن منهاج أهل البیت (علیهم السلام) تسمی بمدرسه التفکیک.

الخلاصه: الغرض من هذا التأكيد والتشديد على أهميه مبحث قاعده التعريض؛ لأنَّ هذهِ القاعده هى أس أساس النظام الاستعمالى فى القرآن الكريم والوحى الشريف وبالتعريض بُعث سيد الأنبياء محمد (صلى الله عليه و آله)، وبُعث سائر الأنبياء والمرسلين بالتصريح وإذا كان الأمر كذلك فلابدَّ للأدباء والمفسرين والأصوليين ومن اتقان هذهِ القاعده المهمه والتوسع والتضلع فيها كى يكون المسير فى الدلالات التعريضيه سيراً وفق منهج منضبط.

وعدم توسع العلماء من فنون مختلفه فى هذا الباب - التعريض -؛ لأنَّه باب وعلمٌ صعبٌ وتمام مقاليد وأزمّه هذا العلم عند المعصوم (عليه السلام).

ما معنى التعريض؟

التعريض لغه: هو الإشاره إلى جانب وإراده غيره، هو الحجيّه العظيمه ولكنْ بشكل مخفف وفى إعطاء المهله وقطع العذر تُستمهِل أكثر بياناً وأعظم منه؛ لأنَّ رسول الله (صلى الله عليه و آله) بُعِثَ بالكتاب المهيمن على من قبله من الكتب، ورغم كون هذا الكتاب مهيمن وقاطع للعذر ولكنَّه بشكل مخفف المعلومه عظيمه العلم، والقرآن الكريم يوصل هذهِ المعلومه العظيمه العلم إلى البشر بشكل رقيق وبأسلوب ليِّن وفيه مهله وإمهال ورويّه وتروى وتدبر أكثر فأكثر، ولذا كان بعث النبى (صلى الله عليه و آله) أرأف وأرحم للبشر، ولكنْ كُلّ هذا يحتاج إلى صبر وسِعَه صدر وتحمل من سيد الأنبياء ولأنّه كان ذو صبر أكثر كان ذو سعه صور وشرح صدر أَ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ١ ؛ لأنَّه (صلى الله عليه و آله) فى مقام تحمل مسؤوليه عظمى ألا وهى مسؤوليه التربيه والتزكيه والتعليم للبشريه أكثر من سائر الأنبياء (عليهم السلام)، فمثلاً على لسان موسى (عليه السلام) يخاطب ربّه

قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی وَ یَسِّرْ لِی أَمْرِی وَ احْلُلْ عُقْدَهً مِنْ لِسانِی۱.

بینما خاتم الأنبیاء یقول له الحق جل وعلا ابتداءاً منه تعالی أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ۲.

إذنْ أسلوب التعریض أبلغ بکثیر من أسلوب التصریح، ولذا قال علماء البلاغه، (الکنایه أبلغ من التصریح) فی البلوغ والوصول لهدف لهدایه من التصریح، وهذا جواب عمن یقول لماذا لا یوجد تصریح فی القرآن الکریم؟ فإنَّ التصریح فی بعض حالاته یولِّد حاله تشنج وتمرد وعصیان لدی المخاطب، وربما تُولَّد له ردَّه فعل معاکسه.

بخلاف التعریض والتعبیر الهادی الذی فیه توصیه من النبی (صلی الله علیه و آله) والأئمه (علیهم السلام) فی عموم أبواب الدین، فمثلاً- باب الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر فیه التوصیه بأسلوب الرفق دون الجِدَّه؛ لأنَّ الرفع أبلغ وهو أسلوب الإحسان ونهج أئمتنا (علیهم السلام) فی کافه مجالات الحیاه الاجتماعیه والثقافیه والاقتصادیه والسیاسیه و... بما فی ذلک مجال الحرب والجانب العسکری فإنَّهم یتمتعون بأخلاق عسکریه عالیه وشعارهم الرفق واللین والإحسان حتّی فی ساحه الحرب، ولذا جسَّد هذا المعنی الإمام الحسین (علیه السلام) عندما قال یوم عاشوراء: أکره أنْ أبدأهم بقتال... وکانت کلماته (علیه السلام) أهملونی أنْ أخاطبکم بکلام الله فیه رضاً لکم وموعظه وهدایه... وکل ما قال الحسین یوم کربلاء هو دائماً فیه أسلوب الرفق وهو أبلغ.

الخلاصه: إن التعریض کما ذکره أمیر المؤمنین (علیه السلام) أبلغ من التصریح

فی جوانب عدیده:

منهـا: الجـانب التربوی والاجتمـاعی والثقـافی والسیاسـی والحربی... الـخ؛ لأنَّ التعریض تخفیف وهو لینٌ فیُعطیک فرصه واختیار وخیار وإراده للطرف المقابل للهدایه لذا بُعِثَ (صلی الله علیه و آله) بالتعریض بینما باقی أنبیاء الله تعالی بالتصریح.

کمـا ویؤکِّد أمیر المؤمنین (علیه السـلام) فی هـذا الحـدیث الشـریف علی أنَّ أحـد المفاتیـح الکـبری للتمکن من تفسـیر القرآن ومعرفه ظـاهر القرآن هو معرفه نظـام التعریض فی الأسـلوب والکلام وأنَّه أسـلوبٌ اعتمـد علیه القرآن الکریم، بلْ یعم الأحادیث القدسـیه من الله تعالی علی لسان النبی أو العتره، وکـذلک یعم حـدیث النبی (صـلی الله علیه و آله) نفسه الـذی أوتی (صـلی الله علیه و آله) جوامع الکلم، وکـذلک یعم کلامـه العتره الطـاهره الحـافظه للقرآن بکـل مـا للحفـظ من معنی أیضـاً قائمه علی نظام التعریض لا التصریح بخلافه فی الکتب السماویه الأُخری من التوراه والزبور والإنجیل وصحف آدم وإبراهیم فإنَّ نظام الاستعمال فیها قائم علی التصریح، وهذا لا یتنافی مع وجود تأویل فی تلک الشرائع والکتب السماویه.

أیضـاً هنـاک بیـان یصـلح کشاهـد علی مـا نحن فیه وبـاقی المقامـات الأُخری مـا جاء فی کلام الإمام الصادق (علیه السـلام) ما مضمونه:

«إنَّ لکلامنا هذا أبطن تحت بطن... إلی سبعین بطناً» أو

«إنَّ فی کلامنا متشابه ومحکم» ورَدّ المتشابه إلی المحکم وهذا معناه تطبیق أمومه المحکمات.

کما للقرآن باطن وظاهر ومحکم ومتشابه کذلک لکلامنا (کلام المعصوم) باطن وظاهر ومحکم ومتشابه؛ لأنَّهم (علیهم السـلام) نقله الوحی، کما أنَّ

القرآن ينقل الوحى الإلهى.

فائـده: قال السـكاكى: تتفاوت الكنايه إلى: تعريضٍ وتلويحٍ ورمزٍ وإيماء وإشاره وذكر التفتازانى: إنَّ السـكاكى قال: تتفاوت ولم يقل تنقسم؛ وذلك لأنَّ التعريض وأمثاله مما ذكر ليسَ من أقسام الكنايه فقط بلْ هو أعم كذا فى شرح المفتاح(١).

وأمَّا مـا هو المختـار حسب منهجتنـا الخـاصه من أنَّ الكنـايه من ضـمن أقسـام التعريض ويعبر عنها بالكنايه العرضـيه أو التعريض بالكنايه: - وهى إماله الكلام إلى عارضٍ دال على المقصود، والمراد من عارض أى جانب مائل عرضى وليسَ بشكل مستقل.

التلويح لغةً: ما تُشير إلى غيرك من بُعْدٍ.

واصطلاحاً: هو اقتضاب بالدلاله على الشىء بنظيره وإقامته مقامه.

أو: ما يُقتبس من الآيه أو يكتفى بمعناها تلويحاً.

أو: هو الكلام الذى كَثُرت وسائِطُه بلا تعريض أى كثره الوسائط بين اللازم والملزوم وتشير إلى المعنى المقصود ومن بعيد.

كما قول الشاعر: -

وما يَكُ فىَّ من عيبٍ فإنِّى جبان الكلب مهزولُ الفصيل

وهنا كنّى الشاعر عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب مهزول الفصيل فإنَّ الفكر ينتقل إلى جمله وسائط.

١- (١) مختصر المعانى أقسام الكنايه.

الرمز لغةً: أنْ تشير إلى قريب منك خِفيةً بنحو شِفَهٍ أو حاجب.

واصطلاحاً: هو الذى قَلَّتْ وسائطه مع خفاءٍ فى اللزوم بلا تعريض نحو: فلانٌ عريض القفا، أو عريض الوساده، كنايه عن بلادته وبلاهته، وكذا: هو مكتنز اللحم كنايه عن شجاعته، ومتناسب الأعضاء كنايه عن ذكائه وغليظ الكبد كنايه عن القسوه.

الإيماء أو الإشاره: هو الكلام الذى قلَّت وسائِطُهُ مع وضوح اللزوم بلا تعريض وبلا خفاء دلاله بوسائط. وغيرها الكثير من أقسام الدلاله الالتزاميّه كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد رضا المظفر (قدس سرّه)(۱) إلى دلاله الإيماء والإشاره والتنبيه و... الخ.

فهذه نموذج من نماذج الدلاله الالتزاميه الخفيّه وليسَ على سبيل الحصر وإلّا فأنواع الدلالات الالتزاميه كثيره جداً.

۱- (۱) أحد علماء ومفكرى الإماميّه صاحب كتاب أصول الفقه وله كتاب المنطق، وعقائد الإماميه وكُلَّها تدرَّس كمنهج فى الحوزات العلميه الشيعيه.

تنبیه

اشاره

أولاً: قدْ تستعمل القاعده الواحده فی أکثر من نظام من الأنظمه السابقه - نظام الاستعمال للألفاظ، ونظام المعانی الإشارات أو اللطائف، ونظام الحقائق، کما سیتضح خلال البحوث الآتیه إنْ شاء الله تعالی، ولکنْ تکررها لیسَ بنفس هویتها، وإنَّما تتکرر بهویه أُخری وبمضمون وببیان آخر.

ثانیاً: إنَّ النظام الاستعمالی بألفاظ القرآن الکریم قائمٌ علی نظام التعریض، وینبغی الالتفات إلی أنَّ مبحث التعریض کما مَرَّ لیسَ قائماً بالکنایه فقط، وإنَّما هناک أقسام تشمل التلویح الکنایه والاستعاره والإشاره والإیماء والتنبیه... الخ.

ثالثاً: [الکنایه أبلغ من الحقیقه والتصریح]

ذکر البلاغیون أنَّ المجاز والکنایه أبلغ من الحقیقه ومن التصریح أی معناه أنَّ کُلّ من المجاز والکنایه أبلغ فی إیصال المطلوب، وهذا لأوَّل وهله قدْ یستغرب منه حتَّی مَن عنده شیء من الفضل والتحصیل فضلاً عن الجاهل بأنَّه: کیف الکنایه والتی هی عباره عن نوع من الخفاء والستر والتعریض والتفاف ودوران ومع ذلک هی أبلغ فی الإیصال إلی المعنی من التصریح أو قل أنَّ الکنایه: کُلّ دلاله خفیه مشتمله علی الدلاله علی الشیء المدعی بالبینه والبرهان فهو یفید زیاده تأکید للإثبات.

من الواضح إنَّ المتکلم یأتی ببیان وبدلیل فیشیر إلی النتیجه بالدلیل

بدلاً أنْ يُصرِّح بها.

كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لأصحابه فى حرب صفين عندما رأوا معسكر معاويه يسبون ويلعنون فقال (عليه السلام):

«لا أحب أنَّ تكونوا لعانين ولكنْ اذكرو أعمالهم»(۱).

بتقريب: إنَّك إذا ذكرت أعمالهم وبينت هذهِ الحقائق ولعموم المسلمين فإنَّه سوف يغنيك عن ذكر النتيجه؛ لأنَّه فى ذكر مثل هذهِ الحقائق هو نوع من ذكر النتيجه مع البرهان.

مضافاً إلى أنَّه قدْ فى بعض الأحيان قدْ تذكر النتيجه من دون ذكر برهانها فإنَّ الكثير منهم يشمئز من ذلك ولكنْ لو ذُكر البرهان ولم يذكر النتيجه فإنَّ الطرف إذا كان داعياً يلتفت إلى أنَّ هذا البرهان وهذهِ الأعمال التى ذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصحابه لمعسكر معاويه ماذا تؤدى إلى من نتيجه.

وعليه فإنَّ علماء البلاغه يعللون أنَّ الحجيه فى الدلاله فى التعريض أبلغ من التصريح؛ لأنَّ الحجيه التعريضيه فيها تضمن الدلاله للبيان والدليل والبرهان. ومعنى أبلغ أى أثبت وضوحاً للسامع؛ لأنَّه من باب التدليل على الشىء ببينه فهو يفيد زياده تأكيد للإثبات.

رابعاً: وخيرُ شاهد على استعمال التعريض ما جاء فى كلام أمير المؤمنين علىُّ بن أبى طالب (عليه السلام) حول التعريض.

وَرَدَ فى احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) على زنديق جاء مُستدلاً عليه بآى

۱- (۱) الاحتاج للطبرسى، ج ۱، ص ۳۰۹.

من القرآن، متشابه: -

«... وأمَّا قوله - تعالى - للنبى (صلى الله عليه و آله) - وما أرسلناك إلّا رحمه للعالمين...» أشار (عليه السلام) فى هذا التفسير البديع إلى أنَّ بعثه النبى (صلى الله عليه و آله) هو أحد مصاديق مظاهر الرحمه الإلهيه، وهذا ما يرتبط بكون الخطاب الوحيانى فى القرآن وفى أحاديث النبى (صلى الله عليه و آله) قائمٌ على نظام التعريض.

ثم يقول (عليه السلام) فى الرد على الزنديق

«وإنك ترى أهل الملل المخالفه للإيمان ومَن يجرى مجراهم من الكفار مقيمين على كفرهم إلى هذهِ الغايه» اى إلى الساعه التى كان يُحدِّث فيها أمير المؤمنين (عليه السلام).

«وإنه لو كان رحمهً عليهم لاهتدوا جميعاً ونجوا من عذاب السعير، فإنَّ الله تبارك وتعالى إنَّما عنى بذلك: إنَّه جعله سبباً لأنظار أهل هذهِ الدار؛ لأنَّ الأنبياء قبله بعثوا بالتصريح لا بالتعريض».

والإمام (عليه السلام) أجاب عن اعتراض السائل: بأنَّ الله تعالى جعل النبى (صلى الله عليه و آله) سبباً لإنذار أهل هذهِ الدار، وهذهِ المهله التى فيها رحمه وتوسعه ورفق بالعباد سببها خاتم الأنبياء (صلى الله عليه و آله) الذى هو حجه على الخلائق أجمعين بُعث بالتعريض لا بالتصريح بخلاف ما لو كان خطاب بعثه النبى (صلى الله عليه و آله) سواء من القرآن الكريم أو من الأحاديث النبويه هى بالتصريح لما كانت هناك مهله، وإنَّ أحد الآثار المترتبه على التصريح ذكر أمير المؤمنين (صلى الله عليه و آله)

«... وكان النبى منهم إذا صدع(۱) بأمر الله وأجابه قومه سلموا وسَلِمَ أهل دارهم من سائر الخليقه، وإنْ خالفوه هلكوا وهلك أهل دارهم بالآفه التى كان نبيهم

۱- (۱) صدع: - أى بيَّن الأمر أبانهً وأظهره وفرَّق بينهم الحق والباطل، مجمع البحرين ماده (صَدَعَ).

يتوعدهم بها ويخوفهم حلولها ونزولها بساحتهم من: - خسفٍ أو قذفٍ أو رجفٍ أو ريحٍ أو زلزله أو غير ذلك من أصناف العذاب التى هلكت بها الأمم الخاليه»(۱).

إذنْ بيَّن (صلى الله عليه و آله) أنَّ أنبياء الأمم السابقه لأنهم بعثوا بالتصريح فلا يكون لأممهم مهله فإنَّهم: إمَّا أنْ يستجيبوا أو يُهلكوا فى العذاب وأنَّ الله تعالى عَلِمَ من نبينا (صلى الله عليه و آله) ومن الحجج فى الأرض أى الأئمه (عليهم السلام) أوصياء النبى (صلى الله عليه و آله) الصبر على ما لمْ يُطِق من تقدمهم من الأنبياء الصبر على مثله... فبعثه الله تعالى بالتعريض لا بالتصريح وأثبت حجه الله تعريضاً لا تصريحاً ومن هذا يُعلم الرد على أولئك الذين يريدون أنْ يفهموا الحقيقه من القرآن فقط عن طريق الصراحه والنص، أنهم سيخفقون فى الوصول إلى الحقيقه القرآنيه والحقيقه الدينيه؛ لأنَّ الله تعالى أوصل الحقيقه إلى العباد من طُرُقٍ شتى ولم يحصرها بالصراحه والنص الصريح، بلْ أغلب الحقيقه أوصلها عن طريق التعريض أو الظهور الخفى... الخ.

ما هى الصله بين الصبر والتعريض:

لقائل أنْ يقول: ما هو نوع الصله بين الصبر وبين شاكله وقالب نمط الحجيه التى كُلِّفَ بها سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) باتباعها فى إبلاغ معارف الشريعه والدين وهو التعريض فبعثه الله تعالى بالتعريض - أى أثبت حجه الله تعريضاً لا بالتصريح، وعليه فنظام بيانات الحديث النبوى والمولوى والأئمه (عليها السلام) قائم على معرفهِ نظام الدلاله فى باب التعريض.

وتقدم الكلام أنَّه حتَّى البلاغيين لمْ يوفوا البحث فى علم المعانى

۱- (۱) الاحتجاج للطبرسى، ج ۱، ص ۲۰۹.

وعلم البيان فى نظام الدلاله التعريضيه أو الخفيّه وإنَّما أشاروا إلى رؤوس نقاط ومطالب ولم يفيضوا فيها البحث بسطاً لوعوره البحث باعتراف جمله من كبّار البلاغيين منهم الزمخشرى وأنَّ البلاغيين لمْ يخوضوا فى هذا البحر الطمطام إلّا يسيراً رغم جهودهم المتكاثره والمتكدسه لذلك كانت قراءه الشريعه قراءه النصوص الوحيانيّه فيها المسافات الكبيره لطى الطريق إليها؛ لذلك كانت أحد مميزات الدلاله التعريضيه أو التأويل عن الدلاله التصريحيه هو أنَّ الدلاله التعريضيه والدلاله الخفيه أوفر معلومات ودلائل من الدلاله التطبيقيه، ولذا أحد أسرار سيّد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) أنَّه بُعثَ بالتعريض، بيما سائر الأنبياء بعثوا بالتصريح؛ لأنَّ علمه (صلى الله عليه و آله) أوفر ومهيمن على علم سائر الأنبياء، وكذا ما نزل عليه من الكتاب - القرآن - كذلك هو المهيمن على سائر الكتب، وعليه بالتالى لابدَّ أنْ ما ينشره (صلى الله عليه و آله) ويوصله إلى البشر من علوم يفوق ما قام به الأنبياء من قبله ومن ثَمَّ بُعث بالتعريض.

كذلك أثبت وبالحجه تعريضاً لا تصريحاً لقوله (صلى الله عليه و آله): من كنت مولاه فهذا علىٌ مولاه وهو بمنزله هارون من موسى إلّا أنَّه لا نبى بعدى.

فلزم النبى (صلى الله عليه و آله) الأمه: إنَّه لما كانت النبوه والأخوه موجودتين فى خِلْقَه هارون معد ومتين فيمن جعله النبى (صلى الله عليه و آله) من ذريته، وليسَ هو نبىٌ من الأنبياء وهو على بن أبى طالب (عليه السلام)، وهذا التشبيه والتنزيل ب - (هارون) يشير به (صلى الله عليه و آله) إلى أنَّه قدْ استخلف علياً (عليه السلام) على أمته كما استخلف موسى هارون حيث قال، وأخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين.

وبيَّن أمير المؤمنين (عليه السلام) فى جوابه لهذا السائل: [الموصوف بالزنديق وإنْ كان من خلال كلماته وبالنتيجه هو لى بزنديق وإنَّما هو باحث وفاحص

عن الحقيقه] كيفيه التلويح والتعريض فى آيات القرآن بإمامته (عليه السلام) وبما قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) وأمر به كسد الأبواب إلّا باب على (عليه السلام) وقال (صلى الله عليه و آله):

«وما تركتُ ولكنى أُمرتُ فأطعتُ» فقال: سددتَ بابنا وتركتَ لأحدثنا سِنّاً(۱).

وهذا الكلام من أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) فيه إشاره إلى جامع يستعمل الأنظمه الثلاثه أعنى نظام الاستعمال اللفظى، ونظام المعانى، ونظام الحقائق فى القرآن.

وبعد هذهِ المقدمه، نبين العلقه بين الصبر وبين التعريض، فنقول:

تقدم فى بيان أمير المؤمنين (عليه السلام) من أنَّ السبب فى بعث النبى (صلى الله عليه و آله) بالتعريض لا بالتصريح هو لأنَّ الله تبارك وتعالى اسمه لما علم من صبر وقوّه تحمل النبى (صلى الله عليه و آله) وقدرته على ذلك وكذا عترته وآله الطاهرين الأوصياء صبرهم فى هدايه البشر وتعليمهم، بينما فى سائر الأنبياء بُعثوا بالتصريح لقِلَّه صبرهم، فهم بالقياس إلى النبى (صلى الله عليه و آله) صبورين وكذا بالقياس إلى سائر البشر فإنَّ أنبياء الله تعالى ورسله من أصبر البشر وأشد الناس ابتلاءاً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فالقرآن الكريم امتدح صبر بعض أنبياء الله تعالى مثل: نبى الله أيوب (عليه السلام) وأولوا العزم فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ۲ ، إلّا أنَّ قياس صبر سائر الأنبياء إلى صبر سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) كقطره فى بحر باعتبار أنَّ علم رسول الله (صلى الله عليه و آله) ومعرفته وكمالاته أكبر من بقيّه الأنبياء فمن ثمَّ صار صبره أكثر.

وهكذا لو لاحظنا الفرق بين القرآن وبين الكتب السماويه الأُخرى

۱- (۱) الاحتجاج للطبرسى، ج ۱، ص ۳۰۹.

كالتوراه والإنجيل بغض النظر عن تحريفها فإنهما الكثير من القضايا الملكوتيه المصرَّح بها والمكشوف عنها، ولذا البعض يُفضل أسلوب التصريح؛ لأنَّه جاهزوبارز ولا يحتاج إلى تأمل فى عالم المعانى والدلالات الخفيه؛ وذلك لأنَّ المقطع الزمنى الذى بُعث به موسى (عليه السلام) وعيسى (عليه السلام) مثلاً يحتوى على درجه من الملكوت لا كل الدرجات بخلاف أسلوب التعريض فى القرآن الكريم فإنَّ قضايا الملكوت غير مُصرَّح بها ويشتمل على درجات الشهاده ودرجات الغيب و... الخ.

ومن الواضح أنَّ سعه التعريص والدلاله الخفيه تختلف عن التصريح ولو صُرِّحَ بالملكوت، فمثلاً وصايا وعظات الإنجيل ملكوتيه صارخه وواضحه لكنَّها بالحقيقه هى محدوده، وفيه قليل من المباحث التى يتعرض فيها إلى الحضره الإلهيه، بخلاف القرآن الكريم لا يُقتصر فيه على الملكوت الأوَّل ولا الثانى ولا الثالث ولا... الخ إلى أنْ يصل إلى الحضره الربوبيه وفيه شمول وهيمنه على الكتب التى قبله.

وعليه فالبارى عزَّ اسمه لم يعتمد فى إيصال الحجه والهدايه والنور إلى البشر بأسلوب التصريح، والسبب فى ذلك - والله العالم - هو أنَّ أسلوب التصريح، يُنجز الحجيه وإذا نجزت الحجيه وتمَّ نصاب حجيتها فإنَّه لا يُعذر البشر ولا يمهلون ومن الواضح هذا أشد ثقلاً على البشر.

بخلاف أسلوب التعريض الذى بيِّن حكمته وفلسفته أمير المؤمنين (عليه السلام) وما هى ثمره وعنايه هذهِ القاعده التى هى أنجح وأرق أسلوب فى التربيه، ولها غايات كماليه هى أكمل فى أسلوب التعريض منه فى أسلوب التصريح، ولذا بيَّن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنَّ الله تعالى عجَّل بالعذاب لأقوام

سائر الأنبياء ولم يُمهلوا بسبب أنَّ أسلوبهم الذى بعثوا فيه هو التصريح لا التعريض فلم يُمهَلوا ولم يُرفق بأممهم.

بينما سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) الذى بُعثَ بالتعريض وُصِفَ بأنَّه وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ١.

ويعتبر أسلوب التعريض من أرفق الأساليب بالبشر.

ص:٢٨٦

أهميه دلاله التعريض وفائدتها

اشاره

هناك عدَّه فوائد للتعريض منها:

الفائـده الأُولى: ما أفيـد من كلام أمير المؤمنين (عليه السـلام): من أنَّ السـنه النبويه المطهره فضـلاً عن القرآن المجيد قائمه على التعريض لا على التصـريح، فإنَّ السـنه مثل القرآن ليست قائمه ومنحصـره بالتصـريح فقط، كلا وإنَّما التصريح فيهما مساحته قليله جداً.

ولـذا تعتـبر مسـاحه المعلومـات والحقـائق فى التصـريح أقـل بكـثير مـن المسـاحه الأـكبر مـن الحقـائق والمعرفه الـدينيه المتقرره والموجوده فى التعريض.

إذنْ أحد مميزات الدلاله التعريضـيه أو الباطنيه فى دلالات القرآن والسنه أنَّها أوفر معلومات ودلائل من الدلاله التصريحيه، وهذا هو أحـد أسـباب أنَّ سـيد الأنبياء (صـلى الله عليه و آله) أنَّه بُعث بالتعريض بينما سائر الأنبياء بعثوا بالتصـريح لوفره علمه بالكتاب الذى نزل عليه (صلى الله عليه و آله) مهيمن على سائر الكتب السماويه الأُخرى التى نزلت على الأنبياء والمرسلين.

بالتالى أنَّ ما ينشره (صلى الله عليه و آله) ويوصله إلى البشر من علوم لابدَّ أنْ يفوق ما قام به الأنبياء والمرسلين من قبله ولذا بُعث بالتعريض.

الفائـده الثـانيه: إنَّ حجيه التعريض أوسـع زمانـاً وأداؤهـا الـتربوى للنفس والمجتمـع أنفـع وأفقه أرحب من التصـريح؛ لأـنَّه دائماً التصريح معلوماته تكون ضيّقه بخلاف التعريض الذى تكون معلوماته أوسع وفيه طيّات وبطون تترامى إلى ما لا نهايه.

ولذا بيَّن أمير المؤمنين (عليه السلام): أنَّ أحد الأسباب والحِكَم فى بعثه النبى (صلى الله عليه و آله) بالتعريض هو لأنَّه (صلى الله عليه و آله) وعترته أهل بيته أصبر على أداء الرساله والقيام بمسؤوليه الدين؛ لأنَّه أفضل من الأنبياء السابقين لعلم الله تعالى المسبق بقوه صبرهم لذا جعلهم الله تعالى يُبلغون رسالاته بالتعريض بخلاف من سبقهم من الأنبياء لمْ يكونوا بقوّه ذلك السطح، ومن ثَمَّ بُعثوا بالتصريح، وفى التصريح كما هو معلوم تشديد الحجيه ومع المخالفه إنزال العقاب مباشره، بخلاف التعريض فإنَّ فيه رخاء وسِعَه وفسحه فى الحجيه.

الفائده الثالثه: الكتب السماويه الأُخرى غير القرآن كالتوراه والإنجيل والزبور و... الخ مقتصر فيه على التصريح، بينما القرآن الكريم حتَّى فى الشريعه لا يقتصر على التصريح، ولذا شريعه سيد الأنبياء خالده إلى الأبد ولا تنسخ إلى يوم القيامه.

وهذا يُدلِّلُ على أنَّ التعريض ليسَ فقط فنٌّ فى البيان بلْ يرجع إلى كيان معنوى مترامى غير محدود والوصول إلى كيان معانٍ غير محدود لا يمكن أنْ تؤدى إلّا بالتعريض؛ لأنَّها إنْ أُديت عبر اللسان والبيان لا محاله تكون حبيسه درجه أو درجات معينه ولا يمكنه أنْ يكون مُتسعاً إلى ما لا نهايه وبالتالى هذا الطعن الذى كان يوجه ويُسجل على مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) عادَ برهاناً إعجازياً علمياً لرياده وجداره مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وهذا مما أدركته العقول الناضجه والمفكرين من البشر.

الفائده الرابعه: من حِكَم التعريض وفوائده هو أنَّ التعريض حَسَنٌ لإسماع المتكلمين المخاطبين الحق على وجه لا يُثيرهم ولا يغضبهم، وهذا أدخل فى لحاظ النص ومتابعته واستكشاف نكته العلميه والفنيه الخفيه،

وبهذا يكون التعريض أسلوباً تربوى ناجحٌ، ويعتبر من الخطأ فى الأسلوب التربوى معالجه المشكله بجهاله مُكَشِّرَه وصريحه، وحتَّى فى أسلوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإنَّ الطريقه المثلى لذلك هو أنْ تعالج الخطأ وتنهى عن المنكر وتأمر بالمعروف دائماً بأسلوب فيه نوع من الإيماء والخفاء واللين ممزوج بتلويح، فإنَّ مثل هكذا أسلوب أنجح وأنجع؛ لأنَّه أحد الثمرات المترتبه على هذا الأسلوب هو المحافظه على هيبه وشخصيه الطرف المقابل الذى تريد إرشاده وهَدْيه إلى الطريق الصحيح وتعالج الداء فيه بأسلوب هادئ غير متشنج، وبخلافه ينتج نتيجه معاكسه ونقض المطلوب؛ لأنَّ الخطأ فى بعض الأحيان يمارسه المُخطئ بشكل جهرى وعلنى مع عناد، وهذا يتطلب فطنه والتفات من الطرف الآخر فى اختيار الأسلوب المناسب لردعه وهذا بحث آخر.

إلّا أنَّه فى أغلب الموارد التى ليسَ فيها جهارٌ وعنادٌ وإنَّما لابدَّ من مداراه الطرف الآخر بأسلوب هادئ تربوى فيه لينٌ ولأنَّه يعطيه فرصه لمراجعه الطرف المقابل نفسه وقراره وإرادته ولا يُعاجل به، لذا كان هذا أحد الأسباب التى بُعث النبى (صلى الله عليه و آله) وكذا أسلوب القرآن قائمٌ على نظام التعريض والدلاله الخفيه أو الدلاله الترويحيه، وهذا أسلوب تربوى ناجح يجذب المخاطب بطريقه معسوله وذكيه وهادئه لا بطريقه مُنفِّره، ولذا وَرَدَ التأكيدعلى إتباع مثل هذا الأسلوب من قبل أهل البيت (عليهم السلام):

«عن أبى عبدالله (عليه السلام)... أوصيكم بتقوى الله العظيم (ن) والعمل بطاعته واجتناب معاصيه، وأداء الأمانه لمن ائتمنكم، وحُسن الصحبه لمن صحبتموه وأنْ تكونوا لنا دعاةً صامتين، فقالوا يا بن رسول الله وكيف ندعوا إليكم ونحن صموت (صامتون) قال تعلمون ما أمرناكم به من العمل بطاعه الله

وتتناهون عمّا نهيناكم منه من ارتكاب محارم الله وتعاملون الناس بالصدق والعدل وتردون الأمانه وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر... الخ»(۱).

أی بأعمالکم فإنَّ الطریقه المثلی دائماً لردع الطرف الآخر هو أنْ نلتزم عملاً بالشیء الذی ترید أنَّ تُثقف وتدعو الطرف الآخر إلیه من دون کلام فإنَّه تلقائیاً سوف یؤثر به عملاً ولا یُفهم من هذا أنَّ الکلام واللسان لیسَ له أی دور وتأثیر، کلا، وإنَّما المقصود هو أنَّ التأثیر بالطرف المقابل من جهه الالتزام بالعمل أکثر تأثیراً من جهه الکلام، ولأنَّ الأسلوب العملی دائماً هو أسلوب مثمر ولیّن ولذلک اتّبعه الأنبیاء والمرسلین لما فیه من اللطافه فی کیفیه التربیه، ولیسَ فیه غِلظه وحِدَّه وخَرْق؛ لأنَّ ما وَرَدَ عن أئمه الهدی (علیهم السلام) فی کلماتهم الحِکْمِیَّه حول اللین: عن زراره عن أبی جعفر (علیه السلام)، قال: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله):

«بأنَّ الرفق لمْ یوضع علی شیء إلّا زانه، ولا نُزِع من شیء إلّا شانه»(۲).

ولذلک من دقائق قناعه التعلیم وسیاسه الأسلوب التربوی فی القرآن هو لا یُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاّ مَنْ ظُلِمَ۳.

وعلی المعلم أنْ لا یتعرض بسوء إلی طریقه التعریض مهما أمکن، وما أمکنه أنْ لا یُصرِّح فلیفعل فإنَّ التصریح والجهر والتشهیر أسلوبٌ لیسَ بتربوی ولیسَ بناجح إلّا فی بعض الموارد الاستثنائیه، وإلّا فإنَّ الأصل الأولی یقتضی الستر والخفاء لأنَّ الله تعالی ستّار وستور؛ لأنَّ فی سیاسه الستر والخفاء - کما مَرَّ - المحافظه علی هیبه وشخصیه الطرف المقابل

۱- (۱) دعائم الإسلام للقاضی النعمان المغربی، الکافی للکلینی، ج ۲.

۲- (۲) الکافی - للکلینی، ج ۲، ص ۱۱۹ ح ۶؛ الوسائل، ب ۹، من أبواب غسل المیّت، ح ۳.

ويمكن هَـدْيه إلى الطريق الصحيح والقويم ويراجع ويصحح أعماله التى ارتكبها لأنَّ التصريح يهتك حجاب الهيبه ويورِّث الجرأه ومن المعلوم أنَّ الجهر بالسوء فيه إعانه لجانب الشر ويعبر عنه باللغه الحديثه دعايه للشرور وإعانه ومعاضده دعائيه لجانب الشر عكس ما فى الخفاء من إعانه وتعقيم دائماً لسطح الظاهر وإنْ كان فيه تحت الستار شيءٌ من السوء إلّا أنَّه لا يطفو إلى سطح الظاهر.

ولذا نلاحظ الدين الحنيف دائماً يوكِّد ويحرص على نقاء الظاهر لذلك لا يُقال الظاهر من دون الواقع فإنَّ الظاهر من دون الواقع زيف، وأنَّ الظاهر درجه من درجات الواقع غايه الأمر إنَّ هذا الظاهر تاره يتواصل من خلاله إلى الأعماق وهذا هو المطلوب وأُخرى: - يقف عند هذا السطح أيضاً درجه من درجات الإصلاح، ولذلك بدأت الآيات والروايات باللسان والاكتفاء بالظاهر؛ لأنَّ فى هذهِ الدرجه نوع من السداد والصراحه، وعليه فالمحافظه على الظاهر أمرٌ هام.

وحجيه التعريض تتفادى تلويث الظاهر وهو أسلوب تربوى عظيم جداً، ودائماً أهل التقوى والصلاح وأهل المعنى يتوخون التعريض لما فيه من التربيه القرآنيه كمنهاج سياسى، ويحمل بين طيّاته أسلوب اللين والرحمه والستر.

الفائده الخامسه: إنَّ التعريض فيه تفادى من إثاره الحرص لأنَّ التعريض فيه علاج لغرائز الإنسان من دون إثاره، فمثلاً القرآن الكريم يذكر معالجات لقضايا كثيره ولكنَّه لمْ يصرح بها وإنَّما استعمل التعريض والكنايه والتلويح والإشاره والتلميح و... الخ.

فمن تلك المعالجات مثلاً- يريد القرآن معالجه الأمور الجنسيه والشهويه فى الإنسان فإنَّه لا يأتى بألفاظ صريحه مثيره، وإنَّما يستعمل ألفاظ تعريضيه يُعالج فيها الداء من دون إثاره للغريزه الجنسيه ويعالجها بطرق ترويضيه وتربويه وبطريقه ذكيه، كما فى سوره يوسف (عليه السلام).

ولذا يلاحظ أنَّ من أخطاء المجتمع الغربى أنهم يثقفون الأجيال على ثقافه جنسيه صارخه ورديئه وهابطه بخلاف القرآن والروايات التى تبين فيها ذلك بنوع من التعريض، وبيان الروايات مثلاً- لآداب ليله الزفاف وآداب الجُماع واختيار الأوقات المناسبه والطعام المناسب و... الخ.

أو يعالج القرآن الكريم مثلاً- قوه الغضب باعتبارها قوه مستنفذه فى الإنسان أيضاً يعالجها القرآن بطريقه التعريض، وهنا يكمن الفرق بين عدسه تعريض القرآن وبين غيره، فإنَّ عدسه التعريض ف يالقرآن حتَّى فيسوره يوسف (عليه السلام) لا- توجه إلّا أماكن صارخه ومثيره وإنَّما يوجهها إلى الظل فإذا شاهدت الظل عرفته من الظل، وهذا أسلوب عظيم استعمله القرآن الكريم.

بخلاف عدسه غير القرآن فإنَّ الجانب العملى يعكس الجانب التربوى وبيئه وأسره الشخص، فمثلاً- نلاحظ مصوِّر أو مخرج سينمائى ملتزم أخلاقياً كيف يوجه عدسته فإنَّه لا يوجهها إلى أماكن الإثاره الشهويه الجنسيه أو الغضبيه أو... الخ بخلاف غير المتلزم أخلاقياً لا يهمه كيف يوجه عدسته سواء إلى مواضع الإثاره أو غيرها.

تنبيه: ليسَ الأصل فى علم التفسير بكل إضافه - التفسير الموضوعى، التفسير الروائى التفسير اللغوى أو أمومه الولايه على المحكمات فى القرآن،

أو التجزيئى أو اللطائفى أو... الخ. قائم على الحصر فى الظهور البدوى الأوّلى - كما ادّعاه البعض - بلْ علم التفسير حسب منهج تفسير أهل البيت (عليهم السلام) ذو أفق وسيع ورحب قائم على التأويل.

التعريض ليسَ مختصا بعلم تفسير القرآن:

قاعده التعريض ليسَ مختصاً بعلم التفسير بلْ فى بقيه علوم الدين الأُخرى من الفقه والعقائد والحديث والكلام و... الخ أيضاً كذلك قائمه على التعريض وأنماط وألوان الدلالات الخفيه كما هو واضح.

فمثلاً فى علم الفقه قالت الآيه فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَهٍ مِنْهُمْ طائِفَهٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ ١.

بتقريب: إنَّ الغرض من النفره والمهاجره لطلب العلم ليسَ فقط يروى روايه أو ينقل حكماً معيناً أو... الخ وإنَّما لأجل أنْ يتفقهوا أى يفهموا، ومن الواضح أنَّ الفهم لا ينحصر فقط بالظاهر وإنَّما هناك مجال واسع جداً لفهم الآيات والروايات من خلال ما تدلّ عليه من المفهوم والدلالات الخفيه.

إذنْ بحسب علوم اللغه وبحسب العلوم الدينيه المختلفه من أنَّ علم النص الدينى وعلم التفسير كعلم بارز، وكذا بقيه العلوم الأُخرى القائمه على النص الدينى هى علوم قائمه على ترامى الدلالات إلى حدٍّ لا يقف عند حدٍّ معين.

وهذا هو المستفاد من بيان أمير المؤمنين (عليه السلام) من أنَّ

«سيد الأنبياء بعث

بـالتعريض لاـ بالتصـريح». والاكتشـاف التـدريجى لعلماء كُلّ علم من العلوم خاصه العلوم الـدينيه القائمه على النص الـدينى من القواعـد والحقائق التى لمْ يكتشـفها العلماء السابقون فإنَّ مثل هـذا لا يـدعو إلى عـدم حقيقه القواعد المكتشـفه والنكات العلميه والفنيه والصـناعيه غير المكتشـفه عنـد السابقين، فهى حقيقه ما دام تحفظ الموازين والضوابط والقواعـد فى جمله العلوم، ومجرد خفاءها وعدم اكتشاف السابقين لها لا يخرجها عن حجيه الظهور فى كُلّ العلوم وبالأخص الدينيه منها القائمه على النص الدينى، فـإنَّ الغور فى النصوص الـدينيه والتأمـل والتـدبر فيهـا أكثر لأجـل أنْ يسـتخرج منهـا كنوز أكثر فـأكثر على وفق قواعـد وموازين منضبطه.

ومن خلالـ عرض هـذا يُفرَق الفرق بين مـدرسه أهل البيت (عليهم السـلام) وباقى المـدارس الأُخرى من فلسـفات غربيه حـديثه ألستيّه والمدارس التعدديه:

الفرق الأوَّل: هو أنَّ مدرسه أهل البيت (عليهم السـلام) القائمه على قاعده التعريض والتى لا تناهى فيها وتمادى مسـيره اسـتنطاق قراءه النص الـدينى وتفسـير القرآن تـدعو إلى التوسـعه فى كُـلّ الاتجاهـات ولكنْ بمـوازين وقواعـد حـتَّى تبقى حجه وتوسـعها منضبط ومع الشواهد لا الكلام التخرصى الاستذواقى.

بينما المدارس الأُخرى سواء الفلسـفيه الغربيه أو غيرها أيضاً يدعون إلى التوسـعه والتعدديه ولكنْ وللأسف بلا انضباط وهذا مما يؤدى إلى الفوضى والجهاله واللاعلم.

الفرق الثـانى: البرمجه العصبيه فى قراءه النص الـدينى، فالحـداثيون يـدعون إلى تعـدد القراءات لكنْ بلاـ حساب ولا ميزان وإنَّما يفتح الباب على

مصراعيه، ولكنْ وللأسف بشكل فوضوى وهذا بحسب منطق العقل والعقلانيه ليسَ فتحاً للباب وإنَّما سفسطه وسدٌّ للباب.

أمَّا مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) تدعو إلى فتح الباب على مصراعيه أيضاً أى فتح باب التأويل والدلالات الخفيّه إلّا أنَّها تشترط أنْ يكون ذلك على وفق قواعد وموازين منضبطه تنطلق من سطح الظاهر الأوّلى ومنطقه بديهيه واضحه، ثم شيئاً فشيء إلى مناطق نظريه أبعد مبهمه مظلمه متوغله فى الإبهام ينقشع الظلام عنها ببركه نور المناطق النيره، لكنَّ طبق قواعد وموازين متعاقبه ومتلاحقه ومتسلسله ومنتظمه حتَّى تصل إلى نتائج يقينيه لا موهومه ومتزلزله فى كافه أنواع العلوم الدينيه وغيرها كالرياضيات والهندسه بأصنافها وأنواعها.

فالتطور والنضوح العلمى واكتشاف نظريات جديده فى الرياضيات الحديثه وما توصل إليه علم الرياضيات الآن ودخالته فى العلوم الأُخرى الحديثه لمْ يأتِ قفزه واحده ووصول عشوائى، وإنَّما حصل ذلك شيئاً فشيئاً، وبُذل جهدٌ دؤوب من قبل علماء متخصصين بعدما كانت مسائل علم الرياضيات مثلاً مبهمه ومتوغله فى النظريه ثم سُهِّلت، فهل يعنى هذا أنَّه سوف تقف مسيره قافله علم الرياضيات إلى حدّ وتنتهى؟

كلا لا تنتهى ما دامت المسيره الفكريه للبشر مستمره فى كُلّ العلوم وليسَ الرياضيات فقط بلْ تتعداه إلى كُلّ العلوم الأُخرى من الفيزياء والكيمياء والأحياء والهندسه والفسلوجيا والبيلوجيا وعلم الإداره والسياسه والاقتصاد و... الخ.

وهذا كُلَّهُ يجرى فى علم التفسير وإنْ حاله حال أى علم آخر تجرى

عليه التوسعات والتطورات العلميه وتوسيع دائره المعلومات والمباحث الجديده التى كانت متوغله فى عالم النظريه والإبهام فتتبده شيئاً فشيء.

وهذا ما يجرى فى تفسير القرآن الكريم فى شأن التأويل والظهور فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام)، ويُفاد أنَّ التأويل أمرٌ خفى ومجهول لدى الباحثين، وإنْ كان سبب ذلك الخفاء هو بسبب عدم فطنه وتفطن الباحث الكريم بالطريق الموصل لهذا المعنى التأويلى من منطقه ومنصه الظاهر فى القرآن.

النتيجه: التى نريد أنْ نصل إليها وهى مهمه جداً هو أنَّ حجيه الظهور فى تفسير القرآن أو بقيه النصوص الدينيه لا تخضع لمقوله التقابل بين الوضوح والخفاء وإنَّما تخضع تحت ضابطه الموازين والقواعد وإنْ خفيت.

كما تقدم سابقاً، مثال بعض المسائل فى علم الرياضيات المعقده، أو فى علوم الفيزياء، والعلوم التجريبيه ففيها بعض المسائل المعقده والمُحَيِّرَه ولكنْ بالتأمل فى المعادلات والمسائل الرياضيه والفيزيائيه و... الخ وملاحظه مراحل الحلول السليمه الموصله إلى النتيجه، إذا اكتشفت فإنَّ ذلك الإبهام والخفاء يتبدد ويتبده وينقلب الخفاء إلى وضوح.

بيان إعجاز القرآن الكريم هو أحد أدلّه إمامه أهل البيت (عليهم السلام)

أحد براهين ودلالات أئمه أهل البيت (عليهم السلام) كما أنّه أحد إعجازات القرآن الكريم هو: -

إنَّ هناك نكات ونتف من الآداب القرآنى لمْ يتفطن إليه الأوّلون ولا الآخرون إلّا فى كلمات أهل البيت (عليهم السلام) الإشاره إليه وهى دلالات منتزعه من ظاهر ألفاظ القرآن الكريم، ومع ذلك لمْ يلتفت ولم يتفطن إليها مراجع علماء النحو والبلاغه والأدب والتفسير والفقه والكلام و... الخ ولذلك البعض يقول:

بأنَّ أهل البيت (عليهم السلام) فى تفسيرهم لجُمل آيات القرآن أنهم تأويليون وهذا صحيح لأنَّ الأمور التى ينتزعها الإمام المعصوم (عليه السلام) من ظاهر لفظ الآيه هى أمور خفيه خفيت على غير الإمام (عليه السلام) علماً أنَّ الإمام (عليه السلام) عندما يبين هذا المعنى التأويلى يُشفع هذا البيان ببيان معه ضميمى يبين فيه كيفيه الوصول لهذا المعنى التأويلى من حاق ظواهر ألفاظ القرآن الكريم.

وقدْ غفل المفسرون والفقهاء والأدباء و... الخ عن بيان مثل هذهِ التأويلات والأمور الخفيه حتَّى فقهاء ومفسرو و... مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) إلّا لعله عند البعض أمثال: - الملا شريف الفتونى صاحب مرآه الأنوار، وربما صاحب كنز الدقائق الملا شريف الفتونى الجبعى العاملى لهم باع فى بيان هكذا نكات باستعمال القواعد والموازين.

ص:٢٩٧

والنكته والسر فى ذلك واضح من أنَّ جل روايات أهل البيت (عليهم السلام) للآيات متضمنه لنكات الدلاله اللفظيه فى فتح ظاهر القرآن الموصله إلى ذلك المعنى التأويلى، إلّا أنَّه وللأسف كثير من مفسرينا فضلاً عن مفسرى المدارس الإسلاميه الأُخرى يتلقون هذهِ المعانى التى أدّاها وبيّنها أهل البيت بأنَّها تعبديه هذا لمن يؤمن ويُذعن بعصمه أهل البيت (عليهم السلام) وإلّا لا يستطيع أنْ يتقبلها؛ لأنَّ الإمام (عليه السلام) يبين أمور من ظاهر لفظ الآيه التى لا يلتفت إليها حتَّى الأوحدى من المفسرين والفقهاء والأدباء وليسَ بمقدوره الإحاطه بذلك إلّا من بيده تمام الإحاطه وزمام مقاليد الأمور الذى هو فقط الإمام المعصوم (عليه السلام) علماً أنَّ الأئمه – عليهم أفضل الصلاه والسلام – لمْ يبينوا تلك النكات والتأويلات كمصادره أو ادعاء، بلْ رغم عصمتهم وحجيتها يبينوها مشفوعه بالأدله والبيانات القرآنيه من سطح ألفاظ القرآن الكريم وهنا يكمن سِرُّ عظمه المعصوم (عليه السلام).

ص:٢٩٨

برهان علمی حدیث علی إعجاز القرآن الکریم وحقانیته وعلی إمامه أهل البیت (علیهم السلام)

کان الغربیون والمستشرقون فی القرن السابع عشر، والثامن عشر والتاسع عشر یوسمون مذهب أهل البیت بأنَّه مذهب ذو نزعه باطنیه وإغراق فی عالم الدلاله الخفیه و... الخ إلّا أنَّ کلاً من الغربیین وکذا المستشرقین تراجع عن طعنه السابق وهذا الطعن أصبح بالواقع تفوقاً عظیماً لمدرسه أهل البیت علی غیرهم، وأقرَّ واعترف جمیع هؤلاء وأصحاب النظریات والمدارس الفکریه لا أقل فی المساحه الصحیحه منها والبدیهیه - سواء فی شرق الأرض وغربها، والمسلم وغیر المسلم - أنَّ المدرسه التی منهجها التعریض منذ أکثر من أربعه عشر قرناً هی بحق تستحق أنْ تکون رائده البشر وهی مدرسه أهل البیت (علیهم السلام)، وإذا لاحظنا الیوم الساحه الدولیه والعالمیه نجد أنَّ أی إثاره فکریه بشریه وبلغتها الحدیثه أنَّ الجانب المشرق فیها هو مقتبس ومطابق لمدرسه أهل البیت قبل أکثر من أربعه عشر قرناً، والکل یلهج ویعترف بأنَّ منهاج أهل البیت الیوم هو رائد فائق لعقول الملل والنحل المختلفه من البشر.

وبهذه الإطلاله التأریخیه الیسیره علی نفس قاعده التعریض أو الدلالات الخفیه أو التأویل نلاحظ وبوضوح مدی خطوره وأهمیه هذهِ القاعده لأهم منهج من المناهج التفسیریه وغیرها هو منهج أهل البیت (علیهم السلام)، وأصبحت هذهِ القاعده کبرهان ودلاله علی منهج هذهِ المدرسه الحقه التی تعتمد علی قواعد وموازین منظمه لا مبعثره.

ص:۲۹۹

ولا يخفى على ذوى البصيره والتأمل الدقيق فى الآيات والروايات أنَّ هناك جمله من حقائق القرآن أودعت فى التأويل والتعريض والدلاله الخفيه لا فى عالم الظهور والتصريح.

وعليه لو لاحظنا بين كُلّ آونه من الآونات يتجلى برهان وإعجاز وبيان لحقانيه القرآن والدين الإسلامى ومنهاج الإيمان لأهل البيت (عليهم السلام).

فمثلاً: كان الغربيون وكذا المستشرقون يعيبون على تشدد الإسلام فى قوانين حفظ الأسره ابتداءاً بالعلاقه الزوجيه الشرعيه الصحيحه والمثاليه ثم إلى تربيه الأولاد ثم رسم النظام المعيشى للأسره ومسأله الحجاب والمحافظه على الدين و...، وكان الغرب يردد مقولته: - اجعلوا الأسره منفتحه إباحيه ولا مانع من ذلك وأطلقوا الحريات لأفراد الأسره لهم حق ممارسه أشىء يرغبون فيه من الربا والزنى والقمار و... الخ.

الآن أفاق الغرب من نومته ووجد أنَّ زعزعه الأسره تُشكل كوارث هدامه للمجتمع وهكذا حرمه الربا وصل إلى حدٍّ أنَّ بعض الفضلاء أراد أنَّ يرتاجع عن حرمه الربا نتيجه عدم اليقين بتشريعات الدين وفلسفه تشريعاته.

المقام الثالث

اشاره

ونتعرض فيه: -

*الظهور والتأويل.

*البداهه والنظر أمران إطلاقيان أم نسبيان.

*الحشويه وخفاء القرآن.

*إشكالات على مبحث قاعده التعريض وأجوبتها.

*كيف يفرق الباطن بالظاهر.

*هل الولوج فى باب التأويل حكراً على فئه من الناس.

*إثاره: - التأويل لا يمكن ضبطه بقواعد اللغه العربيه.

*بيان مشرب فكرى آخر.

*التأويل يندرج تحت الظهور بلْ جزءٌ منه.

*روايات تأويليه تعبديه.

*نظريه أُخرى فى معنى دلاله الظهور.

*ارتباط نظام التأويل والدلاله الخفيه بنظام عالم الظهور.

*علم اللغه فى الأداء الإعجازى اللغوى القرآنى.

*التبيان الروائى فى التفسير المأثور.

*المقارنه فى التأويل بين مدرسه أهل البيت (عليهم السلام)، وبين مدرسه فلسفه الألسنيات.

*نظريه السيد المرتضى رضى الله عنه.

*هل الظهور صفه ثابته للألفاظ أو صفه لإدراك الإنسان.

*حجيه الدلاله فى اللغه العربيه.

** الوضوح والخفاء أمران نسبيان.

*التوريه.

*البيان تعليم إلهى فطرى للبشر.

*تلخيص لنتائج القاعده الأُولى - أعنى التعريض - من قواعد النظام الاستعمالى اللفظى.

ص:٣٠١

الظهور والتأويل

الظهور لغةً: ما لا يخفى، والبروز بعد الخفاء، فيقال: ظهر لى رأىٌ إذا علمت ما لمْ تكن تعلمه(۱).

ويقال: بَدْوّ الشىء الخفى(۲).

اصطلاحاً: هو البيان الذى نستطيع به إيراد المعنى الواحد بصور مختلفه.

أو: هوما برز وانسبق إلى ذهن السامع من الكلام سواءً كان مُفاداً ومدلولاً مطابقياً أو التزامياً، أو ما يهتدى السامع إليه بحسب موازين المحاوره والكلام والأدب.

التأويل لغةً: تفسير الكلام الذى تختلف معانيه ولا يصح إلّا ببيان غير لفظه(۳).

أوْلُ: مبتدأ الشىء... ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه، وذلك قوله تعالى: - هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا تَأْوِيلَهُ۴.

اصطلاحاً: ما كان خفياً ولا ينسبق إليه الذهن، أو ما لا يهتدى إليه السامع بحسب موازين وقواعد اللغه والأدب والتفاهم المحاورى.

ويعتبر الظهور والتأويل من قواعد نظام الاستعمال اللفظى فى القرآن،

۱- (۱) مجمع البحرين، ماده (ظَهَرَ).

۲- (۲) كتاب العين للفراهيدى.

۳- (۳) المصدر السابق، ماده (أوَل).

وهذهِ القاعده بدورها تتشعب إلى قواعد عديده أَخرى أيضاً، نتعرض إليها لاحقاً ضمن بعض المباحث التاليه إنْ شاء الله تعالى.

وهـذهِ القاعـده وإنْ كنّـا لمْ نسـلط الأضواء عليها كثيراً فى مبحث نظام الاسـتعمال اللفظى فى القرآن؛ لانه سوف نبحثها أيضاً فى القسمين الآخرين فى نظام المعانى فى القرآن، ونظام الحقائق القرآنيه - ونسلط عليها الأضواء أكثر هناك. فانتظر.

ودراسه وبحث هذهِ القاعده له أهميه وفائده تظهر فى جمله من المقامات:

منها: مقام قراءه تفسير القرآن الكريم والسـنه المطهره للنبى (صـلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السـلام) أى قراءه النصوص الدينيه بأكملها.

فـالمُفَسِّر أو الفقيه إذا توصـل إلى تفسـير غامض او ظهور غير واضـح وخفى يصـعب إدراكه على الآخرين فحينئـذٍ ربما لا يكون هناك ظهور ولا يوجد تفسير بلْ يكون تأويلًا... الخ.

وعليه فيكون البحث عن مثل هذهِ القاعده بحثاً مهماً يُعَيِّن مصـير قيمه التفسـير أَنَّه اسـتظهار من الآيات والسور أو تأويلٌ، سيما أنَّ التأويل يحتاج إلى شاهد وميزان وإلّا لمْ يُعَوَّل عليه، فإذا لمْ يكنْ للشىء ظهور فهو تأويلٌ ومن الصعوبه بمكان الوقوف على دليله أو قدْ لا يتمكن فى بعض الأحيان من الوقوف على دليله.

البداهه والنظر أمران إطلاقيان أم نسبيان ؟

هل المراد بالبديهى ما يشمل مطلق الأفراد والذى يُعبَر عنه إطلاقى أى يسرى إلى كُلّ الأفراد أم نسبى؟.

توضيح ذلك: - البديهى سواء كان فى الأمور التكوينيه وعالم المعانى أو عالم الألفاظ فإنَّ الأمر بديهى وكذا النظر كُلّ منهما يمكن أنْ يوجد فى الإنسان ويمكنه أنْ يزيله.

وبناءاً على ما تقدم من ذكر بعض الأمثله ثبتت فى الآونه الأخيره أنَّ البداهه والنظريه أمران نسبيان، ومن الواضح أنَّه ليسَ المقصود من ذلك أنَّه كُلّ بديهى ليسَ له وصف ذاتى ثابت، بلْ نسبى قدْ يتحقق وقدْ يزول وكذلك ليسَ مقصودنا أنَّ كُلّ نظرى يمكن أنْ يتبده، وإنَّما المراد فى دائره مركزيه أوليه للبديهيات فإنَّ هذهِ الأمور البديهيه ثابته كالتناقض فهو بديهى البطلان وبداهته ثابته فى دائره مركزيه أوليه، وكذا التضاد كالوجود والعدم لا يقع فمثلاً معرفه كنه البارى لا تتبده فإنَّها تبقى غيب خفى، فإنَّ مثل هذا لا يقع لأنَّها مفاهيم واضحه وبديهيه وبداهتها ليست نسبيه، بلْ إطلاقيه وعامه.

والإحاطه بكل هذهِ الأمور يكون أمراً نظرياً غيبياً وعليه فيبقى الغيب المطلق غيباً مُطلقاً ولا يتبده، وكذا الشهاده المطلقه تبقى مطلقه أى لا تتبدل فى حصه من الظاهر إلى الباطن وإنَّما تبقى ظاهراً، والباطن يبقى باطناً.

وكذلك الغيب النسبى: - ليسَ المراد منه ذلك الغيب النسبى فى مناطق متوسطه بين طرفين - الغيب المطلق والشهاده المطلقه - أى ما بينهما

يكونْ نسبى بين البديهى المطلق الذى هو فى الدائره المركزيه الأوليه، والبديهى المطلق هو ما بين هاتين الدائرتين فإنَّ هذا المعنى المغيب النسبى والبديهى المطلق ليسَ هو المراد، وإنَّما المراد هو بونٌ نسبى وسيع لا يتناهى يصبح نسبياً.

وعليه فليس المدعى: - إنَّ كُلّ ظهور هو ظهور نسبى، وإنَّ كُلّ بطون وخفاء هو بطون وخفاء نسبى، وإنَّما بعضه ظهور مطلق، ويكون أقصى الطرفين ظهورٌ مطلق والآخر بطونٌ مطلق وما بينهما يكون نسبياً، وهذا لا يُفرَّق فيه بين عالم المعانى فى القرآن وبين عالم دلاله الألفاظ فيه.

وهذا مطلبٌ مهم جداً بمعرفه دقائقه تندفع كثير من التساؤلات والشبهات، وإنْ لمْ نكن الآن فى صدد استعراض تلك الشبهات والتساؤلات وإنَّما موكول إلى محله ونُقصر الكلام على ما نحن بصدد بيانه: - من أنَّ الظهور للألفاظ ومنه ظهور ألفاظ القرآن الكريم هل ظهور نسبى أم ظهورٌ مطلق، وكذا البطون والخفاء نسبىٌ أم مطلق، وأين منطقه النسبيه فيهما - الظهور وبطون - وأين منطقه الإطلاق.

وعلى معرفه هذا المبحث المهم تتعدد المسالك وما يتبناه أصحاب ذلك المسلك من ثبوت الظهور النسبى أم المطلق عندهم، وما هى سعه حدود دائره كُلّ منهما، وهكذا الخفاء والبطون هل المراد الخفاء المطلق أم النسبى وما هى سعه حدود دائره كُلّ منهما؟.

فمثلاً أصحاب مسلك الظهور يَدَّعون أنَّ القرآن كُلَّهُ ظاهر وبيِّن وبإمكان قدره نفس البشر بعد ترويض النفس والعقل بالعلوم من دون حاجه إلى تعليم مُعلم بأنْ يستكشف ويستجلى دلالات القرآن الكريم،

وهذا المسلک يتبناه كثير من المفسرين من العامه، بلْ ربما حتَّى من الخاصه أمثال العلامه السيد محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه).

إلّا أنَّه مسلک منقوض ومخدوش بنفس ما جاء فى بيانات القرآن الكريم والروايات الوارده عن أئمه الهُدى بأنَّ دلالات القرآن الكريم بعضها غيبٌ وخفاء وبطون مطلق لا يقدر عليه إلّا الراسخون فى العلم وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ١. ولا يُفهم من هذا أنَّه يستوجب تعطيل القرآن - والعياذ بالله - وإنَّما الذى يُفهم هو أنَّ الانتفاع بتلک المنطقه التى هى غيب مطلق فى القرآن لا يتمُّ إلّا عبر أصحاب قناه ونافذه الراسخون فى العلم، ولا يمسَّه إلّا المطهرون، إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً فقط الذين اختارهم الله واصطفاهم يمسوّن ويغترفون من الغيب المطلق فى القرآن ويرفدون البشريه.

إنْ قلتَ: ما جاء فى أوائل سوره النحل: يُنَزِّلُ الْمَلائِكَهَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ٢ إنَّها غير مختصه لا بنبى ولا رسول ولا...، إنَّما ما يشاء من عباده.

قلتُ: معنى - من يشاء من عباده - أى الذين تتعلق بهم مشيئه الاصطفاء الإلهى - هم أصحاب سوره القدر التى بينات هويتهم تَنَزَّلُ الْمَلائِكَهُ وَ الرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِىَ حَتّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ وكذا حم وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ إِنّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَهٍ مُبارَكَهٍ إِنّا كُنّا مُنْذِرِينَ٣.

وعليه فمنطقه الغيب ليست مُفعَّله ولكنْ تفعيلها بتوسط الراسخين فى العلم والذين تعلقت بهم مشيئه الاصطفاء وهم محمد وآل محمد (صلى الله عليه و آله) فقط ومن هذا يتبين أنَّه ليسَ بمقدور البشر وحده استجلاء واستكشاف ظاهر دلالات ألفاظ وبيان القرآن الكريم من دون معلم إلهى.

ص:٣٠٨

الحشویه وخفاء القرآن

اشاره

نذکر دعویین ادعتهما الحشویه وبعض من أیدهم بذلک.

الدعوی الأُولی: إنَّ القرآن الکریم کُلَّهُ خفاء.

وفیها: هذهِ الدعوه غیر صحیحه وذلک لأنَّ بعض دلاله بیان ألفاظ القرآن الکریم بدیهی وظاهر للکل لما دَلَّت علی ذلک الآیات القرآنیه بصراحه مثل قوله تعالی: أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلی قُلُوبٍ أَقْفالُها۱.

فالقرآن الکریم فی هذهِ الآیه وجّه خطابه لمن کان إدراکه متواضعاً فی عقله وفهمه وروحه فالقرآن یخاطبه بلحاظ تلک المنفعه البینه والظاهره ظهوراً مطلقاً.

ونفس الکلام یُقال بالنسبه للروایات الوارده عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) بعضها ظاهر وبیِّن ومُطلق یفهمه حتَّی ذو المدرکات المتواضعه، ولا ینکر أنَّ بعضها الآخر فیه إجمال وغموض فیحتاج إلی فهمها ذوی فضل فی العلم.

الدعوه الثانیه: إنَّ بعض فهم من بعض روایات أهل البیت (علیهم السلام): - أنَّ عامه الناس الذین لیسو لهم فضل فی العلم ومدرکاتهم متواضعه یجب أنْ لا یقرأوا بعض الروایات کالروایات التی تخص باب العقائد مثلاً أو التی تخص باب التفسیر أو الفقه أو الحدیث أو... الخ؛ لأنَّ قراءه مثل هکذا روایات تسبب لهم إرباک وتشویش لهم فی المعرفه؛ لأنَّ فیها روایات متشابهه مثل آیات القرآن: فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ

اَلْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ١.

وقراءه هكذا روايات متشابهه قدْ تؤدى إلى ذوى الإدراكات العقليه المتواضعه إلى ما لا يحمد عقباها.

وفيها: قراءه ومطالعه الروايات الموجوده فى الموسوعات الحديثيه أمثال الكافى والغنيه أو التهذيب والاستبصار أو الوسائل أو البحار أو الوافى أو... الخ هو ليسَ حكر على أحد بلْ هى مأدبه ألهيه مفتوحه للكل - إنْ صحَّ التعبير - فليس من حق أحد أنْ يمنع الآخرين من الجلوس على هذهِ المائده الإلهيه العظيمه وخُذْ بمقدار ما تستطيع بحسب حجم وسعه معلوماتك، إلّا أنَّه فى نفس الوقت أحذر الاقتحام فى بحار المتشابهات فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ٢ ؛ لأنَّك سوف تُغرَق قطعاً ما لم تستعن وتستغث بسفن النجاه الذى وصفهم القرآن الكريم بأوصاف خاصه.

١ - الراسخون فى العلم.

٢ - لا يسمُّه إلّا المطهرون.

٣ - إنَّما يريد الله ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت.

ومن الواضح أنَّ التمسُّك بسفن النجاه حتماً سوف ينجو من الغرق.

ولذا كان أحد مميزات دلاله التعريض والدلاله الخفيه أو التأويل عن المسلك الظاهرى أو المسلك الحشوى أو القشرى الذى يجمد على حرفيه

سطح الدلاله والألفاظ والنص هو إمَّا مسلك دلاله التعريض الذى يعتبر أحد مميزات وأسرار سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) الذى بعث بالتعريض دون سائر الأنبياء الذين بعثوا بالتصريح هو لوفره علمه (صلى الله عليه و آله) على سائر الأنبياء، والكتاب الذى نزل عليه (صلى الله عليه و آله) المهيمن على سائر الكتب السماويه التى نزلت على باقى الأنبياء والمرسلين فلابدَّ أنْ يتميز ما ينشره (صلى الله عليه و آله) ويوصله إلى البشر من علوم يفوق ما قام به الأنبياء من قبله ومن ثم بُعث بالتعريض وبالمقابل فإنَّ المسلك الظاهرى أو الحشوى يُباين ويُباعد عن مسلك دلاله التعريض بدرجه (١٨٠) درجه، فإنَّ هذا المسلك يجمد على حرفيه سطح الدلاله والألفاظ والنص فإنَّ مثل هذا المسلك وكذا مسلك مدرسه الألسنيات أو الحداثويات والفلسفات الحديثه الغربيه المسماه بالهرمونطيقيا - أو باللاتينيه تسمى بالهرمونتك - أو منهج التعدديه التى تسمى باللاتينيه - كواليراليس - وغيرها ويعبر عن جميع هذهِ المدارس الغربيه الحديثه العلمانيه بالحداثويات فى قراءه النص الدينى أو غيره، أيضاً هم يؤمنون بشىء من الغيب إلّا أنَّهم لا يتقيدون بقواعد وشواهد ودلائل عكس مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) التى تعتمد فى منهجتها على الدلائل والموازين والتحاكم إلى قواعد وانضباط.

وإنْ كانت هناك بعض المسالك الظاهريه يقبل السطح الظاهرى وشىء من الباطن والخفاء ويقف أيضاً عند حدٍّ معين إلّا أنَّه بالتالى لا ينطبق ولا يوافق مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) لا يقف عند حدٍّ يتعاقب ويترامى لكن شريطه أنْ يكون وفق موازين، وكلّ إنسانٍ حسب قدرته فى بيان الدلاله الخفيه واستنطاقها وهنا تتميز قدره المعصوم التى لا تقف عند حدٍّ معين؛ لأنَّها بتسديد وحيانى ولديه علم لدُنى وبين القدره المحدوده لغير المعصوم، فإنَّ المعصوم يتميز بسعه آفاق العلم الذى عنده وبقابليه

الاختزان الذى وَرَدَ وصف المعصوم بذلك فى أحد بنود زياره أمير المؤمنين:

«السلام عليك يا خازن وحى الله وهذا الوحى الذى بُعث به سيد الأنبياء على طبقات غيبيه عديده، والناس تختلف قابليتهم فى استيعاب هذهِ العلوم والحيانيه على درجات».

الحقيقه لا تُحْجم:

لابدَّ من الالتفات إلى الفرق بين لا يُكلف الله نفساً إلّا وسعها وبيّن ما آتاها وأودع فيها من قدره وقوّه، ولكنْ على المُكلَّف الذى تتسع قدرته وسعته إلى حدٍّ معين عليه أنْ لا يقول أنَّ الحقيقه كُلّ الحقيقه هى منحصره بهذا الحدِّ الذى توصلتُ إليه وبمقدار سعتى وقدرتى، وسواء كان الفقيه المجتهد أو عالم الذرّه أو الفيزياء أو الكيمياء أو الطب أو... الخ وِسْعُه مُعيَّن ومحدد بهذا المقدار، ولكنْ عليه أنْ لا يقول أنَّ الحقيقه هى بهذا الوسع وإنَّما يقول: - توصلتُ إلى مقدار من الحقيقه بحسب وسعى وقدرتى المعينه؛ لأنَّ وسع الحقيقه ووعاؤها سعته عظيمه، بخلاف ما يدركه المعصوم (عليه السلام) من الحقيقه التى أعظم وأعظم بكثير مما يُدركه ويكتشفه غير المعصوم.

لأنَّ من أخطأ الأخطاء الفادحه أنْ يُحدد الإنسان حجم الحقيقه بجد حجم سعه نفسه وقابليتها، ومن الخطأ كذلك أنْ يحدد الإنسان غير المعصوم سعه قابليه وحقيقه نبى الله المعصوم بحسب نفس وقدرات تلك النفس المحدوده الضعيفه، ويقول: - أنا أستطيع أنْ أحدد وأنهى مَعرفه حقيقه سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) مثلاً بحسب حد نفسى، وإنَّما لابدَّ أنْ يقول: - إنَّ

هذا ما استطعتُ إدراكه بحسب قابليتى الذهنيه وقدراتى، وهذا ما استطيع إدراكه وما غاب عنى فأكثر.

ولذا يقول القرآن وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی وَ ما أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِیلًا۱ و لا تُکَلَّفُ نَفْسٌ إِلاّ وُسْعَها۲ وإذا تكلَّف الإنسان بما وراء سعته تصير محل مؤاخذه وعتاب على الإنسان.

إذنْ درجات وطبقات حقيقه نظام الدلاله فى القرآن لا يقف عند حدٍّ وإنَّما يقف عند قدراتنا وهذا أمرٌ آخر، ولذا من أحد المؤاخذات التى تؤاخذ على المناهج الفلسفيه سواء منهج مدرسه المشاء أو الإشراق أو الحكمه المتعاليه، أو المدارس الفلسفيه الغربيه الحديثه وإنْ كُنّا لا ننكر أنَّه يوجد فيها جانب سليم ونحترم ذلك إلّا أنَّه من الخطأ فيها أنَّها نتاج عقلى بشرى أنْ نجعل نتاجها تمام الحقيقه، أو أنَّه وحىٌ منزل وهذا خطأٌ؛ لأنهم يعرفون الفسلفه: بأنَّها معرفه الحقيقه وحقائق الأشياء بقدر الوسع البشرى وهذا يلازمه أنَّ الحقيقه وبحسب سعه الإنسان على عكس ما تذهب إليه مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) التى تقول:

إنَّ حقيقه الأشياء أوسع من أنَّ تُدرِك بعقل بشرى محدود ويقف عند حدٍّ معين عند غير المعصوم (عليه السلام) وعليه فليس كُلّ ما فى الحقيقه أنحصر بالفلسفه، وليسَ كُلّ الفلسفه قدْ استوعبت أو أدركت كُلّ الحقيقه.

وبالتالى كيف يسوغ لك أنْ تجعل المنهج الفلسفى هو المنهج الوحيد

الحصـرى لإدراك تمام الحقيقه بحسب تعريفهم للفلسفه وأنه بها تُدرك تمام حقائق الأشياء وأنَّ الفيلسوف يعتمد فى كُلّ نتاجه على ملاكـات وإدراكات العقل البشـرى، من دون الاعتراف من قبل الفيلسوف بجانب الوحى، فهـذا غيرُ صـحيح فإنَّ أمر الوحى شىء آخر وسعهٌ أُخرى.

ص:٣١۴

إشكالات على مبحث التعريض

اشاره

من الواضح إنَّ تحليل النص الدينى وتداعياته والإشكالات التى توجه إليه لا تقتصر على علم التفسير فقط، وإنَّما تتعدى إلى علم الفقه والعقائد والرجال والكلام فإنَّ كُلّ هؤلاء كما سيتضح يتجنبون الغور فى تحليل النص الدينى، ولذا قال الزمخشرى صاحب تفسير الكشّاف - ويعتبر الزمخشرى من الذين يُتابعون الدلالات الخفيه فى تراكيب استعمالات القرآن الكريم فى تفسير كُلّ مجمل - [إنَّ أسرار التنزيل ورموزه فى كُلّ باب بالغه من اللطف والخفاء حدّاً تدق عنك حظك العالى] وهذا معناه أنَّ المُفَسِّر يحتاج إلى بذل مزيد تركيز ومع ذلك تزِّلَ عنه عيناه.

وبعضهم ذهب إلى أنَّ الخفاء يتوقف على أعمال التأمل والرويّه والانتقال من سطح الظاهر إلى الأعماق والغور بها وليسَ الخفاء لكثره الوسائط والانتقالات وإنَّما المهم الوصول إلى النتيجه وفق قواعد وموازين وإنْ كانت الوسائط لها دور ولا تُنكر إلّا أنَّ الوسائط سواء كثُرت أو قلَّت ليسَ هى كُلّ شىء وإنَّما دورها كعامل مساعد.

وهذهِ الإشكالات للحشويه أو الظاهريه(١) أو مسلك السلفيه والأخباريه بلْ حتَّى من بعض الأصوليين: -

الإشكال الأوَّل: إنَّ الإغراء بالتعريض والتأويل يستلزم استنتاجات ذوقيه مزاجيّه - أى حسب مزاج الشخص - بحسب الصيغه الفكريه

١- (١) المراد من الظاهريه هم شبيه بالإخباريه الذى لا يعتمد على تحليل صناعى.

للمُفَسِّر فإنَّها تنعكس على استنباطه لاسيما فى باب التعريض والتأويل والدلالات الخفيه، وبالتالى لا يُعدَّل على الدلاله الخفيه المستنبطه ولا حجيه لها؛ لأنَّ مفاد الآيه إذا كان خفياً فهو ليسَ بحجه؛ لأنَّه مفادٌ تخرصى وتهجسى إلّا أنْ يثبت بنص شرعى تعبدى فيؤخذ به.

أمَّا استنطاق الآيات والسور للوصول إلى المعانى والمداليل المستنطقه الخفيه فإنَّ مثل هكذا استنطاق خاطئٌ وكافر؛ لأنَّه لا يستند إلى قواعد علوم اللغه العربيه وتمسكوا لدعوتهم وإشكالهم هذا بعدَه أدلَّه: -

الدليل الأوَّل: إن خطاب الدين الوحيانى يُخاطب به عموم الناس، وإذا كان كذلك فلابدَّ أنْ يكون الميزان والمعيار هو قدره وقابليه تحمل عموم عقليه الناس وأهل اللغه العربيه بأنْ يستطيعوا أنْ يتحملوا فَهْمَ واستخراج هكذا خطاب فيه معانٍ ومضامين غير ظاهره ومستبطنه وخفيّه؛ لأنَّ الخطاب إذا كان خفياً ومستبطناً لا يصل إليه إلّا آحاد الناس - أى الأوحدى منهم - وعليه فهم هكذا خطاب يكون فيه دلالات خفيّه لمْ يكنْ فهماً متعارفاً للحوار الكلامى والخطاب الإلهى، وإنَّما هو تهجسات ذوقيه فلا يُعوَل عليها.

الدليل الثانى: إنَّ الظهور العرفى أمرٌ ظاهرٌ وبيِّنٌ يتعارف عليه أبناء اللغه، أمَّا إذا كان خارجاً عن فهم أبناء اللغه والعرف فهو ليسَ بظهور عرفى وإنَّما هى تكلفات يُحَمَّل بها النص الدينى.

الدليل الثالث: وهو قريب من الدليل الثانى - أنَّ الدلاله المُستنِده إلى قواعد اللغه العربيه المفروض أنها دلاله دليل مُرشد وموصِل، فكيف يوصَف بالخفاء؛ لأنَّه معنى دلاله الظهور الحجه هو ما يوصلك ويدلك

على المطلوب؛ لأنَّ كل ما يُخفى ويحجب عنك فهو ليسَ بحجه.

الدليل الرابع: إنْ القرآن الكريم نزل ببيانٍ مُبين واضحٍ ونور وهُدى فكيف يكون فيه خفاء وإبطان؟.

الدليل الخامس: إنَّ مبحث التأويل والدلالات الخفيّه يوجب التلاعب فى نصوص الدين ونصوص القرآن الكريم والأحاديث والروايات وبالتالى يكون الاستنتاج كُلَّهُ ذوقى ومزاجى.

الجواب عن الإشكال الأوَّل: يجاب عن الإشكال الأوَّل بأدلته الخمسه بعدَّه أجوبه.

الجواب الأوَّل: لو سَلَّمنا ذلك فإنَّه لا يستلزم سدّ باب التعريض أو التأويل، بلْ غايه ما يلزم أنَّه يجب أنْ ينضبط باب التعريض والتأويل وفَهْم باب الدلالات الخفيه للنص الدينى بأسس وموازين ذلك العلم، وهذا لا مانع منه إذا كانت هناك ضوابط يسير عليها الذى يدخل ويستعمل باب التعريض والتأويل حتّى لا يقع فى محذور المزاجيه والهلوسه وما شاكل ذلك.

لا أنَّه لأجل أنْ نتفادى هذا المحذور نقوم بغلق أصل باب التعريض أو التأويل أو التلميح أو التنبيه أو الإشاره أو باب الدلاله الالتزاميه.

الجواب الثانى: لو كان باب التأويل ليسَ باباً علمياً وأنَّه بابٌ عاطل ومتروكٌ فلماذا شَيَّدَ القرآن الكريم أركانه فى الآيه المباركه وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ١ ، ولماذا استحباب التأويل فى سور متعدده وجعل

القرآن الكريم جزء مهم وكبير من حقائق القرآن واقعه فى منطقه التأويل لا فى منطقه الظهور البدوى وإنْ كانت هناك مساحه مهمه من القرآن واقعه فى ساحه الظهور والبيان إلّا أنَّه من الإجحاف بحق القرآن حصره فى منطقه الظهور فقط، بلْ القرآن الكريم يعمل على كلا المنطقتين وما وقع فى منطقه التأويل أجل وأعظم، وعليه ما فائده الظهور إذا كانت منطقه أضيق وأقلَّ من الخفاء.

والقرآن الكريم يشدد ويُصرُّ على أنْ جزءاً وافراً من حقائق الكتاب العزيز مودعه فى التأويل، كما فى الآيه المباركه وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ أو قوله تعالى يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ١ وغير ذلك من الآيات، وليسَ هذا فقط فى تفسير القرآن، بلْ حتَّى فى فقه الفروع نفسه يأتى.

ويؤكِّد هذا ما قاله الإمام الصادق (عليه السلام)

«حديث تدريه خيرٌ من ألف حديث ترويه، لا يكون الرجلُ منكم فقيهاً حتَّى يَفرِّق معارض كلامنا، وإنَّ الكلمه من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهاً لنا من جميعها المخرج»(١).

الفقيه هو الذى يَفْهَم لَحْنَ المعانى أى معانى الألفاظ بنظره هندسه معانى لا بصروه مزاجيه خلطيه.

هذا ولا يزال إلى يومنا هذا بعض الفرق المنحرفه فكرياً فى الإسلام وأصحاب السَيْر المعنوى القلبى تشابهت عليهم الأمور وأُبهمت بعدما أغلقوا باب التأويل ويتصورون أنَّ رواه الحديث هم الذين يروون نفثات وشغفات القلب والنفس الثاقبه، وإذا سألت مفسرهم من أين لك هذا

١- (٢) الكافى ج ٨، للكلينى؛ معانى الأخبار للصدوق؛ خاتمه المستدرك، ج ١.

التفسیر، یُجیب: هذا ما أفاضه سیرُ القلب، ولا یزال بعض الناس وللأسف یعتقدون بهکذا صنف من البشر من أنهم عندهم استرسال فکری ویتخذونه وحیٌ منبری عن رب العالمین، وأنهم أصحاب مقامات معنویه ویُنذرون عمّا فی الغیب، وهو وإنْ کان بوابه إلی بحور عظیمه من الغیب، إلّا أنَّه قدْ یؤدی بغیر أهله إلی الانزلاقات والغرق فی بحر الجهاله والعمایه.

ولا یُفهم من هذا الکلام أنَّنا نغلق الأبواب أمام أصحاب هکذا ادّعاء، ولکنْ فی نفس الوقت علیهم بالوسطیه والمعادله والتوازن أی لا إفراط ولا تفریط، وَ لا یَجْرِمَنَّکُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلی أَلّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوی۱.

الجواب الثالث: وهو جواب عن الدلیل الأوَّل – من قال بأنَّ الدین برمته مخاطب به عموم الناس، نعم نُسلِّم أنَّ الفصول الضروریه للدین یخاطب بها عموم الناس، أمَّا الفصول المترامیه الأطراف والواسعه من الدین لا نُسلِّم مخاطبتها لعموم الناس؛ لأنَّه لیسَ کُلّ فصول الدین برمتها مبتذله وجاهزه تحت متناول أیدی وعقول عامّه الناس، وهناک من قال [حسبنا کتاب الله] هل عنده قناعه تامه أنَّ الکتاب کُلَّهُ ظاهره ومنسوخه... کُلّ ذلک تحت متناول یده وأنَّه قدْ أحاط به کُلَّهُ؟.

الجواب: عن ذلک یتضح مما سبق وأنَّ هذا الأمر منحصر بالنبی (صلی الله علیه و آله) وعترته أهل بیته (علیهم السلام) والذی یدعی ویقول [حسبنا کتاب الله] أنَّ یُجیبنا ما معنی الآیات القرآنیه التالیه: –

۱ – قوله تعالی: وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ۲.

۲ – قوله تعالی: لا یَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ۱.

۳ – قوله تعالی: بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ۲.

۴ – قوله تعالی: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ۳، فالباری عز اسمه بواسطه أولیائه یبین ویفسر لنا القرآن ولیسَ البشر.

۵ – قوله تعالی: وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الذِّکْرَ لِتُبَیِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَیْهِمْ۴.

۶ – قوله تعالی: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ۵.

۷ – قوله تعالی: أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلی قُلُوبٍ أَقْفالُها۶.

۸ – قوله تعالی: وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ۷.

۹ – قوله تعالی: قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی۸.

۱۰ – قوله تعالی: وَ فَوْقَ کُلِّ ذِی عِلْمٍ عَلِیمٌ۹.

۱۱ – قوله تعالی: وَ ما أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِیلاً۱۰.

۱۲ قوله تعالی: هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ۱.

إلی عشرات الآیات الکریمه التی تبین أنَّ طبقات العلم وطبقات الخطاب القرآنی منه طبقات علویه مکنونه فی کتاب مکنون، محفوظه فی اللوح المحفوظ لا یمسُّه ویتناوله إلّا ثله خاصه وهم المطهرون، نعم بعض درجات وطبقات تنزیل الکتاب یخاطب به العموم.

وهذا أمر مهم وأصل أصیل قدْ غَفَلَ عنه کبار المحققین.

وهکذا الروایات الوارده عن أئمه الهدی (علیهم السلام):

«إنَّما یعرف القرآن مَن خُوطِب به»(۱) وهذا معناه أنَّه بعض طبقات الخطاب القرآنی لیسَ خطاباً موجّه للکل وإنَّما هو للقله الرائده البارزه من البشر الذین اصطفاهم وهم بدورهم بعد ذلک یُوَّصلون المعلومات بشکل مخفف إلی بقیه البشر.

أی أنَّ التوراه لا تفهم من دون مرکزیه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) فإذا أراد أهل التوراه من الأحبار وعلماء الیهود أنْ یفهموا التوراه علی حقیقتها وما هی علیه بنسق منظومی یجب أنْ یفهموا ولایه أهل البیت وأنَّ هندسه التوراه قائمه علی نظام مرکزی والنقطه المرکزیه فیه ولایه محمد وآل محمد - صلوات الله علیهم أجمعین -

وعلیه فلا ینتظم النظام اللفظی الاستعمالی حتّی فی التوراه - والتوراه بالعبریه أی الشریعه - فضلاً عن نظام المعانی ونظام الحقائق، وکذا فی الإنجیل - والذی یعنی بالعبریه هدیه الملکوت - لأجل أنْ یفهم النصاری الإنجیل فهماً معمقاً فعلیهم بمراجعه الصحیفه السجادیه وسیعرفون حلّ

۱- (۲) الوافی للفیض الکاشانی، ج ۲۶، والکافی للکلینی، ج ۸.

كثير من العقد فى الإنجيل لم يستطيعوا فك طلسمها ورموزها إلّا من خلال الرجوع إلى الصحيفه السجاديه.

وهـذا الكلام ليسَ مجرد ادعاءات ومصادرات، بلْ قارن علماء الأخلاق وعلماء الروح والفلسـفه و... الخ بين الإنجيل الصـحيح لا المُحرَّف وبين الصحيفه السجاديه، فماذا يجدون؟

مَن وصل إلى أوج الملكوت وسبَحَ فى بحر الملكوت سوف يُفرِّق بين قواعـد نظام الإنجيل وما أودع فيه وبين ما هو موجود فى القرآن الكريم والصحيفه السجاديه.

الجواب السادس: ترامى دلالات الألفاظ إلى طبقات ومراحل من الدلاله لا يُخرِج مداليل الدلالات المتعاقبه المترامیه والمتلاحقه عن الظهور، ومن الواضـح أنَّ ترامى العدول يعطى نفس أهل تلك اللغه - أى لغه كانت من لغات العالم - إمكانيه ألفاظ الكلام ويدل على أنَّ هذهِ اللغه تشـتمل على حلقات من المعانى وطبقات لا تخرج عن موازين قواعد علم اللغه، بلْ يمكن أنَّ يُقال أكثر من ذلـك فى عمليه النقـد الأـدبى إذْ يحـاول الأدباء - اليوم - أنْ يقرؤا شخصـيه المتكلم، وفى العلوم الإنسانيه يحاول العلماء أنْ يقرأوا شخصـيه المتكلم من خلال كلامه ويعرفون أخلاقه ويعرفون الكثير عن ملامح شخصـيته الروحيه والنفسـيه وقدراته العقليه ويعرفون ذلك من خلال قراءه كلماته أو سماع كلامه، وهذا ما أشارت إليه روايات أهل البيت (عليهم السلام)

«المرءُ مخبوء تحت طى لسانه لا طيلسانه»(۱) أى المرء مخبوء تحت طيات وفلتات لسانه لا تحت طيلسانه - أى ثيابه - ولا يتوهم

۱- (۱) الأمالى للصدوق، ص ۵۳۱، وله عيون أخبار الرضا/ ج ۲، ص ۷۸.

أحـدٌ ويقول: – هـذا مختص بعلوم القرآن والتفسير أو الفقه أو الحـديث أو العقائـد... الـخ وإنَّما يشـمل كل العلوم بما فى ذلك التجريبيه منها الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء و... الخ.

فمثلاً: علم الرياضيات كل طبقات البشر حتّى المتواضعه منها يدركون أهميه وضروره علم الرياضيات والحساب ولا يستغنون عنه من عـدٍّ وحسـاب الأرقام فى مختلف شؤون الحياه لا أقل فى محاسـبه وتـدبير إداره معيشـته وأسـرته و... فحينئـذٍ لابـدَّ من إعمال موازنه كل بحسب مقـدارها حاجته، فالـذى يعلم موازنه ماليه لتدبير دخله اليومى أو لأسـرته أو لدائره معينه أو حساب شـهرى أو سنوى أو.. فإنَّه يأخذ من الرياضـيات العمليات السطحيه الواضحه غير ما ياخذه العالم الفيزيائى أو الكيميائى أو المهندس لهندسه فضائيه الـذى يحتاج إلى أنْ يغور فى أعماق المعادلات الرياضـيه الصـعبه والمعقـده ويسـتخرج منها الـذى ينفعه ويؤدى مطلوبه، وعليه فاخذ مثل هذا الإنسان من الرياضيات يختلف عن أخذ الإنسان البسيط أو تلميذ الابتدائيه أو المتوسطه.

وبالتالى كُلٌّ يأخذ بحسب مستواه فإنَّ هناك قواعد ومعادلات رياضيه لا يدركها كل أحدٍ.

وهكـذا النقـد الأـدبى أوليس النقـد الأـدبى كـان عريقـاً فى اللغه العربيه وحتّى فى بـاقى اللغـات الأُـخرى غير العربيه كالانكليزيه والفارسـيه و... الـخ وما كان قبل الإسـلام تُعقـد فى سوق عكاظ من مباريات وسـجالات شـعريه ونقد أدبى لأصـحاب المعلقات السبع وغيرهم، ومن الواضح أنَّ هذهِ المعلقات السبع لم يخترها عموم الناس وإنَّما اختارها عموم أهل اللغه

والمتخصصين فى هذا المجال.

فالناقد الأدبى كان يعيش فى الجاهليه ما قبل الإسلام وكان مُؤهلاً لأنَّ يعرف عظمه القصيده الشعريه وتفوقها على قصائد عظام أُخرى، وكان الشعراء والأدباء وأهل اللغه ينتخبون كل سنه ناقدٌ وحَكَمٌ فى سوق عكاظ فى مِنى فى موسم الحج غير الناقد الذى كان فى العام الماضى وهكذا، وهذا يدلل على أنَّ بين النقاد فى الأدب العربى هناك تسابق بين النقاد ومباريات ومهاره فى الحذاقه للوصول إلى المعانى التى لا يصل إليها الناقد الآخر، مع أنَّ هؤلاء النقاد هم فى طبقه واحده التى تعتبر هى المرجع وقتها.

إذنْ مجالس النقد الأدبى التى تنعقد وقائمه على قدم وساق فى اللغه العربيه وبقيه لغات العالم إلى يومنا هذا منهى بين ثُلَّه خاصه وهم النقاد الأدبيون تجد بينهم مباريات، فالناقد الأدبى عندما يُحلل الكلام ويستخرج من الكلام معانٍ كثيره إلى ما شاء الله فهل يعتبر التفطن والالتفات إلى مثل هذهِ المعانى الدقيقه التى يستكشفها جليّاً ثم يدلل على ما توصل إليه بشواهد لا أنَّه يدعى مدعيات بدلائل خفيت على غيره وهو تفطن إليها فقط، وهذا نظير بعض المسائل المعقده والمشكله فى بعض العلوم كالمسائل والمعادلات الرياضيه فإذا حلَّها والتفت إليها النابغه والفطِن ويدلل عليها بشواهد تصبح سهلهً وواضحه بعدما كانت متوغله فى ظلمه النظريه.

وعليه فماذا نسمى مثل هكذا خفاء ثم ظهر لذلك قال البعض: -

«إنَّ الخفاء والظهرو والبطون صفه إدراكيه للعقل لا لنفس المُدرك»

الجواب الرابع: نظام التعريض مقابل نظام التصريح، ونظام التعريض فيه أقسام عدَّه:

منها: الكنايه فی الاستعمال القرآنی.

ومنها: المجاز فی الاستعمال القرآنی.

ومنها: الإيماء والإشاره والتنبيه و... الخ، وبعض كتب التفسير بعبورن عن دلاله الإشاره بالتفسير الإشارى أى الذى يتتبع ويتصيد ويُتابع ويجمع الإشارات الموجوده فی القرآن الكريم.

وبناءاً على ما وَرَدَ فی الحديث المنسوب لأمير المؤمنين (عليه السلام).

«العباره للعوام، والإشاره للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»(۱).

وعليه فلطائف القرآن إشاراته كلها تندرج تحت بحث ما وراء سطح العباره فی ألفاظ القرآن وليسَ نصاً ظاهِراً جلياً، وليسَ من الصحيح حصر فهم معانى القرآن بالعبائر فقط، إلّا أنَّ الوصول إلى هذهِ الطبقات للأقسام من العباره إلى الإشاره إلى اللطائف إلى الحقائق ليسَ بسهل وبصوره مباشره وإنَّما هناك سلالم وحلقات مستلسله ومترابطه وليسَ الأمر مزاجى أو جزافى، وإنَّما هناك نظام وميزان للوصول إلى تلك الأقسام وهذهِ الطبقات الأربعه موجوده، فوجود العباره للعوام من الناس ليسَ معناه أنْ طبقه الإشاره معدومه أو طبقه اللطائف معدومه أو الحقائق كلا وإنَّما هذهِ الطبقات موجوده وكل طبقه منها تعمل بمستوى معين من الناس.

الجواب الخامس: يمكن أنْ يكون هذا الجواب عباره عن قاعده تعدد الخطاب القرآنى هى أيضاً من قواعد نظام المعانى وسنبيِّنها فی محلها مفصلاً،

۱- (۱) بحار الأنوار/ ج ۹۲ ص ۱۰۳ ح ۸۱.

ولكن بما أنها مرتبطه بقاعده التعريض فى الحدود والنتيجه.

ومفاد القاعده: أى قاعده تعدد الخطاب القرآنى: - كون القرآن نظام خطابه لعموم الناس نُسَلِّم به، وأمَّا بالنسبه للبعض الآخر من الخطابات القرآنيه فهى للخواص أو للأولياء أو للأنبياء وعلى أثر هذا الكلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) بُيِّن بكلام أمير المؤمنين (عليه السلام).

ومن هذا يُعلَم أنَّ مستوى الخطاب القرآنى للبشر ليسَ على وتيره واحدَه بلْ مختلفه كما بينتها الروايه الشريفه.

وعليه فتعدد الخطاب القرآنى ليسَ معناه تجميد للقرآن الكريم فى بيانات أهل البيت (عليهم السلام) العلميه، فمثلاً: - لماذا أتى القرآن الكريم فى عديد من السور بالحروف المقطعه فى مثل سوره: يس، الم، المر، كهيعص، حم، طه، ن، ق و... الخ؟ ولعلّه - والله العالم - أهم فائده من وجود الحروف المقطعه فى السور القرآنيه هى للتدليل على أنَّ الخطاب القرآنى ليسَ على نسق وطبقه واحده بلْ هو متعدد، وعليه فأدل دليل على أنَّ طبقات القرآن متعدده هى خطابات القرآن المتعدده.

وليسَ الغرض من تعدد الخطابات القرآنيه الألغاز والإجمال، وإنَّما القرآن كتبا هُدى ونور فى كل طبقاته ولكل مَن خوطب به كلٌّ بحسب طبقته، فمثلاً فى قوله تعالى (يس) من هو المخاطب أو (كهيعص) أو (حم) أو (ألم)... الخ.

نعم، مجموع القرآن كُلَّهُ بطبقاته آياتٌ بينات وبيانٌ للبعض وهم

النبی (صلی الله علیه و آله) وعترته الطاهره بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ۱.

وهـذا ترابـط واضـح بین ولاـیه أهـل البیت (علیهم السـلام) وبین ولایه الله ورسوله، وإلقاء کُلّ منهما بظلاله علی قواعـد وأصول تفسـیر القرآن وأنَّهـا لاـ تقوم لهـا قـائمه سدیـده وصـحیحه إلّـا بالالتفـات إلی محوریه وقطبیه ومرکزیه ولاـیه أهـل البیت (علیهم السـلام) للمحکمات ومرکزیه المحکمات للمتشابهات وإلّا سوف تضـیع من بین أیدینا حتَّی أبسط القواعد فی الاستعمال اللفظی للقرآن الکریم.

وهذا ما أکَّد علیه الإمام الصادق (علیه السلام) فی تفسیر العیاشی

«ولایتنا قطب القرآن وعلیها تدور محکمات القرآن وعلیها تدور جمیع الکتب المنزله علی الأنبیاء»(۱).

وکذلک القرآن أشار إلی ذلک وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِی لَحْنِ الْقَوْلِ وَ اللّهُ یَعْلَمُ أَعْمالَکُمْ۳.

ونفس معرفه لحن قول المتکلم هی عملیه استظاهر منضبطه وصحیحه وعلی وفق قواعد وشروط مُثبته فی کُلّ فنٍّ.

بلْ یمکن أنْ یقال أنَّ علماء العلوم الحدیثه توصـلوا إلی أنَّ کثیر من علوم النفس تبتنی مباحثها وقواعدها علی نبره کلام المتکلم أی علی الألفاظ التی ینتخبها فی الکلام فهی وسیله حدیثه.

بلْ حتَّی فی التحقیقات الجنائیه والتحرّیات الأمنیه فإنَّه من خلال

۱- (۲) تفسیر العیاشی، ج ۱ ح ۸.

ألحان مداليل خفيّه للكلام يستطيعون أنْ يستجوبوا ويستنطقوا ويستخرجوا اعترافات من شخص من دون أنْ يقصدها... الخ.

وبالتالى كُلّ هذهِ الأمور تشكل ظهورات فى الكلام يتوصل إليها بموازين وقواعد لا على تهجسات وتخرصات.

فمجرد وجود خفاء ودلاله تعريض وتأويل لا يدعو ولا يستلزم عدم حجيّه تلك الدلاله الخفيه.

فلو لاحظنا نفس علماء البلاغه - علم معانى وعلم بيان وبديع - نلاحظ وجود سجالات فى اكتشاف تلك القواعد الصحيحه وكيفيه تطبيقها علماً أنَّها كلها فيها درجات من الخفاء والظهور ومع ذلك لمْ يستلزم خروجها عن الظهور.

جواب بالدليل الخامس عن الإشكال الأوَّل: تقدم الدليل الخامس وهو أنَّ مبحث التأويل والدلالات الخفيه يوجب التلاعب فى نصوص الدين ونصوص القرآن الكريم والأحاديث والروايات وبالتالى يكون الاستنتاج كُلَّهُ ذوقى -

والجواب: - هذا المحذور مُبرر له بمعنى أنَّ أسسه وقناعاته لا يمكن أنْ يكون الاسنتاج فيها عفوى قريحى، وإنَّما لابدَّ أنْ يكون مُنضبطاً ضمن موازين وقواعد ولا يعنى انضباطه ضمن الموازين والقواعد دليل على أنَّها جليّه للكل؛ إذْ لو كان معنى سلامه النتائج وسدادها لكان النتائج واضحه للكل وبالتالى تكون كُلّ بحوث العلم ونتائجه كلّها جهالات ومدعيات ومصادرات.

ص:٣٢٨

فنلاحظ انقشاع وتبدی الخفاء فی مختلف المسائل العلمیه فی مختلف العلوم جیلاً بعد جیل إلی جلاء ووضوح ضمن قواعد وموازین ومع ذلک لا یؤثر ولا یضر فی عملیه النتائج والاستنتاجات حتّی لو کانت خفیه.

فمثلاً ـ لو سمع أحدٌ من البشر قبل قرنین من الزمان - قبل اکتشاف الطائره - أنَّ معدن الحدید یطیر ویمتطی الهواء وهو یحمل المئات من البشر وآلاف الأطنان من المواد ألم یُسَفهوا عقله؟!

نعم یُسفّه لأنَّ الأمر کان خفیاً، وکونه خفیاً لا ـ ینافی حقیقته وحقّانیته ولم یَصُّد الخفاءُ البحث العلمی عن البحث والاکتشاف وتجلیته وما أکثر هذهِ البحوث العلمیه.

وعلیه مهما توغلت النتائج فی النظریه والخفاء وغیابها عن ذهن عامه البشر فلا یستلزم خفاء تلک النتائج أو الحقائق شریطه استنادها - النتائج - إلی الموازین والقواعد العلمیه ولنعم ما قال أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب (علیه السلام)

«لا تَستوحشنَّ من طریق الحق لقلَّه سالکیه»(۱).

وعلیه فلا تستوحش أیُّها الباحث الکریم من بعض المسائل النظریه المتوغله فی الإبهام إلّا أنَّه بعد البحث سرعان ما تنقشع تلک الظلمه وتصبح نیّره بنور البحث والعلم علی أفق قواعد وموازین منضبطه وسلیمه.

وکذا ما قاله الإمام موسی الکاظم (علیه السلام) لهشام

«یا هشام لو کان فی یدک جوزه، وقال الناس (فی یدک) لؤلؤه ما کان ینفعک وأنت تعلم أنَّها جوزه، ولو کان فی یدک لؤلؤه وقال الناس: أنَّها جوزه ما ضَرَّک وأنت تعلم أنَّها

۱- (۱) رجال الفکر/ ج ۲، للسید مرتضی الرضوی.

لؤلؤه»(۱).

وإنْ كان الإمام الكاظم (عليه السلام) ليسَ بصدد بيان الآيه المباركه وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلاّ هُوَ۲.

وإنَّما الإمام بصدد بيان أنَّه لا تُقام حقيقه الأشياء وعلميتها بالخفاء والظهور؛ لأنَّ هذا خفى على الناس فلا يعرفون ما فى يدك من جوهره أو حجاره وعدم معرفتهم؛ لأنَّه أمر خفى عليهم وهو لا يزلزل الواقع عمّا هم عليه من حقيقه علمك بالشى، بأنَّك تعلم ما فى يدك إنْ كان جوهره أو حجاره، فعدم معرفتهم لا يزعزع يقينك بأنَّ ما فى يدك هو أحدهما.

الخلاصه: ليكن عملك مُسْتَقى من دلائل وقواعد وموازين علميه متسلسله وسليمه ومنتظمه، لا أنَّ ميزان علمك على قبول الناس وعدمه وجلاء أو خفاء الشىء لدى الناس، وإنَّما ليكن انطلاقك من منطق علمى رائد وشامخ وهو ما قاله أهل البيت (عليهم السلام) قبل أربعه عشر قرناً ما مضمونه

«إنَّ العلم لا يعرف وحشهً ولا أُلفهً» وإنَّما يعرف العلم التنقيب والفحص طبق آليات وموازين وقواعد.

إذنْ: - إذا أردت العلم فاخلص له فإنَّ العلم صديقه الدليل والقواعد الصحيحه لا الظهور والخفاء.

الإشكال الثانى: لو فرضنا أنَّ المتكلم غير ملتفت لهذه الدلالات والمعانى الخفيه التى يستبطنها كلامه وعليه فكيف يُخرِّج فى حقه مبنى أنَّ

۱- (۱) ابن شعبه الحرّانى، تحف العقول، ص ۳۸۶.

الكلام له سبعين وجهاً وله سبعين بطناً وأنه حجه فی حقه - غير الملتفت - فهناك بعض الكلمات التی تُرصَد على المتكلم يمكن استخراج ملفات كثيره جداً إلى ما شاء الله لمْ يكنْ يقصدها تفصيلاً، إلّا أنَّه يمكن أنَّ يُقال أنَّها مقصوده له إجمالاً وارتكازاً ومن الواضح كما تقدم وننبه عليه الآن إلى أنَّ هذا الكلام لا يختص بعلم التفسير فقط، بلْ يتعدى إلى علم الفقه فإنَّ الفقهاء يذكرون استنتاجات واستظهارات من دلالات خفيه بناءاً منهم على مبنى أنَّ المتكلم خاصه إذا كان معصوماً فإنَّ كلامه يتحمل ويقصد هذهِ التفاصيل والمعانى الخفيه.

فی كلام الله تعالى وكذا فيمن استخلفهم الله جل وعلا على البشر فلا يتطرق إليهم الجهل فإنَّ الله تعالى يزودهم بالعلم اللدنى وهذا لا كلام لنا فيه.

وهناك مسلك آخر: - حصر فيه البعض حجيه الظهور فيما لو قصد المتكلم تفصيلاً وهذا المسلك فيه ما فيه.

أيضاً يوجد مسلك ثالث وهو مسلك صحيح ومعتمد ومتين وحاصله: -

الجواب: إنَّ الارتكاز الإجمالى للمعلومات والمعانى والدلالات الخفيه يكفى للاعتماد عليها وإنْ لمْ يلتفت إليها المتكلم ويتدبرها ملياً وإنَّما يكفى أنْ تكون مرتكزه فی خلده وهذا له أمثله عديده منها: -

مثال: قراءه علماء التأريخ لقطعه تأريخيه مأثوره لأجل معرفه تأريخ أقوام شعوب البشر فيستنتجون عدَّه أمور منها: -

١ – معرفه اقتصاد تلك الحقبه وما هى حاله الاقتصاد آنذاك.

٢ – معرفه النظام الأخلاقى فى تلك الحقبه.

٣ – معرفه الوضع القانونى فى المجتمع من خلال قراءه تلك الحقبه وكيف كانت فى تلك القرون الغابره؟

فبعض البارعين فى علم القانون مثلاً استعرض جزءاً من مقطع تأريخى لقريش قبل الإسلام واستنتج أموراً منها:

١ – أنهم كانت لديهم بنود قانونيه تحترم كرامه الإنسان أكثر مما يمارسه البعض فى زماننا.

٢ – إنَّ المرأه محترمه لا يدخل عليها ما يدخلها الآن من الابتذال والهوان والحط من كرامتها وشخصيتها.

مثال ٢: بعض العلماء البارعين والماهرين فى الجانب الأمنى والاستخباراتى لو قرآ الآيات القرآنيه الخاصه بالجانب الأمنى، نلاحظ كيف يستنطق الوصايا الأمنيه فى القرآن غير ما يستظهر المُفَسِّر أو الفقيه، والسبب فى ذلك – هو أنَّ التفات ذلك العالم البارع فى العلوم الأمنيه لبنود معينه فى القرآن لمْ يلتفت إليها الفقيه أو المُفَسِّر.

فاستنطاق الجانب الأمنى والبنود الأمنيه من خلال لقاء موسى (عليه السلام) بالخضر (عليه السلام) ويلاحظ البرنامج الأمنى الذى يراعيه الخضر (عليه السلام) ويشرحه لنا القرآن الكريم ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ١. عن اليمين وعن الشمال.

ویستنتج منها دلالات ومعانی خفیه.

الإشکال الثالث: بعض المذاهب الإسلامیه حاولت - ولکنْ لمْ تفلح - فی أنْ تجعل مصدر طعن علی مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) فی أنَّها تنتهج المنهج التأویلی وأنَّها مدرسه باطنیه وفیها جانب خفاء وأنَّها تتوسع فی منهجها الدلالی فی قراءه النص الدینی، وحاول کثیر من علماء الجمهور عندما ترجموا شخصیه الإمام الرضا (علیه السلام) مثلاً ترجموها بإجلال وإکبار وإعظام وکانوا یثنون علی شخصیته بالمدح والثناء وأنْ سید النبی (صلی الله علیه و آله) فی زمانه ویعترفون بسلالته وأنه وافر العلم وأنه... الخ.

إلّا أنهم حاولوا أنْ یسجلوا مؤاخذه علی الإمام الرضا (علیه السلام) هم بسحب فهمهم یتصورون أنَّ الإمام (علیه السلام) یأتی بالغرائب عن أبیه الکاظم بتفسیرات وأمور خفیه ومن الواضح أنَّ الإمام الرضا (علیه السلام) من الأئمه الذین سنحت لهم الفرصه أنْ یعقد مؤتمرات لعلماء ومفسری وفقهاء وفلاسفه وعرفاء ومتکلمی و.. المذاهب الإسلامیه الأُخری تحت إشراف ورعایه وتدبیر الدول العظمی فی زمانها ألا وهی الدوله العباسیه التی کانت تضم خمسه وخمسین دوله من شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها - لکی یبین حقائق کنوز علوم أهل البیت (علیهم السلام) وهذهِ الأمور التی بیَّنها الإمام (علیه السلام) کانت خفیه علیهم وأظهرها لهم الإمام الرضا (علیه السلام) لذا استغرب وجعلها غریبه الجانب الآخر.

الجواب عن الإشکال الثالث: یصلح الجواب لهذا الإشکال ما رواه الصدوق بسنده عن الحسن بن الجهم، قال: - حضرتُ مجلس المأمون یوماً وعنده علی بن موسی الرضا (علیه السلام)، وقدْ اجتمع الفقهاء وأهل الکلام من

الفرق المختلفه فسأله بعضهم، فقال له: يا بن رسول الله بأى شىء تصحّ الإمامه لمدعيها؟ قال بالنص والدليل، قال له: - فدلاله الإمام فيما هى؟ قال فى العلم واستجابه الدعوه، قال فما وجه أخباركم بما يكون؟ قال: ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله (صلى الله عليه و آله)، قال: فما وجه أخباركم بما فى قلوب الناس؟ قال (عليه السلام) له: أَمَا بَلَغَكَ قولُ الرسول (صلى الله عليه و آله) اتقوا فراسه المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله، قال: بلى، قال: وما من مؤمن إلّا وله فراسه ينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه وقدْ جمع الله الأئمه منّا فرقه فى جميع المؤمنين، وقال عز وجل فى محكم كتابه إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ - الحجر/ ٧٥ - فأوَّل المتوسمين رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم أمير المؤمنين (عليه السلام) من بعده ثم الحسن والحسين والأئمه من ولد الحسين (عليهم السلام) إلى يوم القيامه، قال فنظر إليه المأمون، فقال له: يا أبا الحسن زدنا مما جعل الله لكم أهل البيت، فقال الرضا (عليه السلام): إنَّ الله عز وجل قدْ أيدنا بروح منه مقدسةً مطهَرةً ليست بملك لمْ تكن مع أحد ممن مضى إلّا مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) وهى مع الأئمه منّا تسددهم وتوفقهم وهو عمود من نور بيننا وبين الله عز وجل..

بتقريب: إنَّ الإمام الرضا (عليه السلام) نلاحظه كيف يغور فى حديث نبوى أصيل فى بيان دلالات خفيه لهذا الحديث الشريف ويثبت هذا الحديث الشريف: - أنَّ هناك نور أعظم من العرش الرحمانى يرتبط ببعض الصلحاء من البشر وأنهم حبل الله الممدود وسفراء الله فى خلقه.

فنلاحظ بوضوح كيف يُفسِّر الإمام (عليه السلام) الحديث بالتعريض والتلويح فى مسأله نور [الإيمان للمؤمن وفراسه المؤمن، فهذه أمورٌ ودلالات خفيه يستظهر منها المؤمن أموراً يمكن له ترتيب الأثر عليها إذا كان قدْ استعمل

آليات استظهار واستنباط الإشارات الخفيه بصوره منضبطه وتحت قواعد وموازين صحيحه.

ولكنْ سبحان الله سرعان ما تبدل ذلك الطعن إلى مدح وصفه إيجابيه تدل على الغور فى الأعماق وعالم التحليل بعدما انتشرت لدى البشر تعدد القرارات للنص الواحد ما يسمى بالمصطلح (الهرمونطيقيا) أى فلسفه الألسنيات والحداثويات، وأصبح من البديهى لدى عقول البشر أنَّ النص الواحد له أعماق وطبقات وباستطاعه العقول البشريه الغور والوصول إلى الحقيقه فى النص الوحيانى تختلف درجه الوصول باختلاف قدرات البشر.

وعليه أصبح من الواضح لدى المثقفين من إخواننا أهل السنه هذهِ الأمور التى هى أساس منهج مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) التى هى مهد الحضاره والعلم والتحليل والتدقيق والعمق بحق، بعد أنْ راجت وللأسف بعضهم روَّج لها ثم انخدع بها - فى الغرب فلسفه الألسنيات التى هى موجوده لدينا قبل أنْ تترعرع عندهم قبل العقود الأخيره من القرن العشرين الميلادى، إذْ لا تجد مدرسه تحتفى وتهتم بمباحث الألفاظ فى قراءه متن النص اللفظى أى أسس وأصول الفقه والفهم مثلما هو موجود فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) والباب مفتوح أمام علماء القانون وغيرهم فى شرق الأرض وغربها فى كيفيه منهجه قراءه القانون ليدلوا بدلوهم وفى المقابل لتدلى الحوزات الشيعيه بعلمائها ومفكريها وفضلائها من مذهب أهل البيت (عليهم السلام) الأثنى عشريه ليرى من هو الأوفر دلواً وصدقاً.

الإشكال الرابع: إذا كان بحث الظهور والتأويل والدلالات الخفيه من المباحث المهمه جداً فى مصادر الوحى كالقرآن والسنه المطهره

للمعصومين (عليهم السلام) فكيف يكون للدلاله الخفيه أعلام وإيصال وكشف عن الخفى أو عمّا هو أخفى منها، فإنَّ البعض يستصعب تصور إنَّ الدلاله إذا كانت خفيّه فهى إذنْ ليست ظاهره وإنْ لمْ تكن الدلاله ظاهره وكانت خفيه فكيف تكون كاشفه عن الخفى أو ما هو أخفى منها، وبالتالى كيف يكشف الكاشف الخفى عن المُنكشف الأخفى، والحال أنَّ المشهور كيف يجمعون على أنَّ الدلاله بين كونها دلاله كاشفه مُجليه وهى خفيه تحتاج لمن يُجَّليها والمعروف أنَّ الجلى والظاهر يكشف عن الخفى لا العكس، إذنْ كيف هى دلاله وهى خفيّه لأنَّ نفس الدلاله مأخوذه فيها الظهور الوضوح.

الجواب على الإشكال الرابع: من الواضح أنَّه لا يوصل إلى الباطن إلّا من خلال الظاهر، وهذهِ الدلالات الخفيه تترامى فى الخفاء وتتسلسل إلّا أنَّ المنطلق الأساس الثابت والرصين لهذه الدلالات لابدَّ أنْ يبتدأ من منصه الظاهر وبخطوات موزونه وبقواعد وحلقات توصل إلى الطبقات الخفيه.

وبعد هذا نقول: إنَّ الخفاء على طبقات وهذهِ الطبقات فيها الخفى وفيها ما هو أخفى وأخفى، فإنَّ القليل فى الخفاء إذا وصل إليه العقل والإدراك فهو بدوره يكشف عما هو أخفى منه وهذا أشبه ما يكون بطبقات الأرض فكلما نصل إلى طبقه فهى بدورها سطحٌ ساتر للطبقه التى هو تحتها إلى الباطن، وعليه فلا تنافى بين القول بأنَّها دلالات وبين كونها خفيه، وعليه يتضح أهميه وضروره الطبقه الأُولى الظاهره فى الدلالات كذلك أهميه علم التجويد فى علم قراءات القرآن ونظام العلوم القرآنيه وأهميه التجويد؛ لأنَّه يتعامل مع ألفاظ المصحف الشريف فبعدأنء نثبت

ألفـاظ المصـحف ثم نبـدأ بمحاسـبات العلوم الأـخرى للألفاظ كعلم النحو والصـرف والبلاغه وعلوم فقه اللغه ونحت اللغه وعلم الاشتقاق... الخ.

وكذلك أهميه علم الحديث وعلم الدرايه فإنَّه يضبط ألفاظ الحديث ثم علم النحو والصرف وعلم اللغه العربيه.

وعليه فالعلوم تتناول ظاهر القرآن وهى علوم ضـروريه ولا يمكن الاستغناء عنها فى حين أنَّ منهج تفسر أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) يؤكِّد على خطوره المحكمات وأهميه طبقات المعانى وحقائق القرآن ووجود الطبقات الخفيه وما لها من الأـهميه الكبيره ومع ذلـك فـإنَّ منصه الظاهر الأُولى للألفاظ لا يُسـتغفل فى منهـج أمومه المحكمات؛ لأنَّ وراءها منطلق لما وراءه وهكذا.

كيف يفرق الباطن بالظاهر:

لا ـ إشـكال فى أنَّ لكـل ظـاهر بـاطن لأـنَّ نفس معنى كلمه الظـاهر مأخوذٌ بها معنى البطون فلا يُقال ظاهر إلّا ويتبعه وجود باطن، فمثلاً فى اصـطلاحات علوم القرآن يوجد مثل مصـطلح علم المصحف والتصحيف ومعناه تثبيت رسم الألفاظ القرآنيه وحركاتها وكيفيه أداءها وتلحظ من جوانب عدَّه أُخر، فمثلاً ضـبط رسم الكلمه والتثبيت منه هو ظاهر يؤثرعلى المعنى والدلاله الخفيه لهذه المفرده، ونحن نريد الوصول إلى الباطن والمعنى الخفى من خلال سلوك الطرق العلميه واستعمال القواعد والموازين العلميه فى الوصول إلى صـحراء الباطن والخوض فى عالم الدلالات الخفيه واسـتخراج المعانى التى يمكن ترتيب الآثار عليها والوصول إلى الحقائق، ولا نريد الوصول إلى تلك الحقائق من خلال

العرفان العملی، والفرق بین المسلکین - أی مسلک القواعد العلمیه للوصول إلی الدلالات الخفیه والمعنی الخفی وبین مسلک العرفان العلمی للوصول إلی عالم الدلالات الخفیه والمعنی - واضحٌ إنَّه علی الثانی - مسلک العرفان العملی - لا یرید سالکه أنْ یصل إلی الحقائق عن طریق تعلم علوم الحدیث والتفسیر والمعارف الموجوده فی الآیه أو الحدیث، والشخص الذی یرید الوصول إلی الحقائق عن طریق مسلک العرفان العملی مهما زاول من ریاضات فإنَّه لمْ یصل إلی الحقائق بمثل ما وصل إلیه سید الأنبیاء (صلی الله علیه و آله) وکذا سید الأوصیاء والأئمه (علیهم السلام) وهم قدْ جُعلوا السبب فی الوصول إلی تلک المراتب العالیه، وجُعلوا (علیه السلام) حبل الله والثقلین، ومَن أراد الوصول إلی الحقائق عن غیر هذا الطریق الذی جعله الله تعالی وهو طریق القرآن وطریق تعلم علوم آل النبی (صلی الله علیه و آله) بهجر علومهم (علیهم السلام) وأحادیثهم الموجوده فی المصادر، واعتمد فقط علی الریاضیات الروحیه والعقلیه الفکریه الفلسفیه ویحاول أنْ یطیر الإنسان بهذین الجناحین الضعیفین أی جناح العقل المحدود وجناح القلب الضعیف فإنَّه لا یتمکن الوصول إلیهما إلی کُلّ الملکوت بهذا العقل الجزئی وبالقلب الوضیع الوسطی، وعلیه فیستحیل ولا یتمکن أنْ یطیر الإنسان من دون أنْ یستمسک بالحبل الذی أتی به الأنبیاء (علیهم السلام) وعلیه فبدایه الحبل جعل الله تعالی أطراف منه عند الناس بواسطه النبی (صلی الله علیه و آله) الذی قال:

«إنی تارک فیکم الثقلین».

الخلاصه: إنَّ المنطلق الأساسی الثابت والرصین للوصول إلی عالم الدلالات الخفیه هو لابدَّیه الانطلاق من منصه الظاهر والسیر بخطوات موزونه مُقعده بقواعد وحلقات توصل إلی المعانی الخفیه والأخفی.

وبعد هذا یتبین الجواب عن أنَّها کیف دلالات وهی خفیه؟

فيقال فى الجواب: هى خفيه بالقياس إلى ما هو أجلى منها؛ لأنَّه كما تقدم إنَّ الجلاء فيه درجات والخفاء فيه درجات وكلّ من الجلاء والخفاء نسبى باعتبار أنَّ الظهور والخفاء - كما مَرَّ - صفتان لإدراك الإنسان قبل أنْ تكونان صفتان واقعيتان للمعلومه بما هى حقيقه عينيه ترتبط بإدراك الإنسان، بانه كلما فُعِّل إدراك الإنسان أكثر فأكثر كلما استوضح الطريقه لديه أكثر فأكثر فإنَّه يُستوضح لديه الطريق بقدر ما أُبهم وأُظلم الطريق على غيره، ومن الواضح أنَّ ظلمه الطريق على غيره لا يُنافى إناره وظهور الطريق لديه.

ص:٣٣٩

هل الولوج فی باب التأویل حکراً علی فئه من الناس

اشاره

لعلَّ البعض یتصور أنَّ الولوج فی باب التأویل والتعریض والدلاله الخفیه حکراً علی فئه من الناس، وهذا تصورٌ خاطئ، ولکنْ فی نفس الوقت هناک بعض الناس یقتحمون باب التأویل بأراجیف وتهجسات وأهواء وهذا أیضاً لیسَ صحیح، ولا یعنی التأویل باطل وأنَّه لیسَ هناک میزان للتأویل الحق کلا، غایه الأمر علی الإنسان أنی یتفحص عن قواعد وموازین بأنْ یأخذ کُلّ شیء عن دلیل وبیّنه لا عن شبهه وإبهام، ولذا نلاحظ القرآن الکریم یذم من یتبع ویسترسل مع الشبهات بقوله تعالی: فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ...۱. وتکون نتیجه إتباع المتشابه هی الوقوع فی الفتنه، کذلک الولوج فی باب التعریض فإنَّه باب کبیر وفیه أقسام عدیده من التلویح والإیماء والإشاره والکنایه، والکنایه أیضاً علی أقسام استقصاها البلاغیون: - کنایه حسیه، وکنایه تخلیه، وکنایه عن الصفه المعنویه، وکنایه عن الموصوف وکنایه نسبه الصفه إلی الموصوف، وهکذا باب المجاز والدلاله الالتزامیه فإنَّها أیضاً ذو أقسام کثیره.

وعلیه فالوقوع فی الخطأ فی باب التأویل والتعریض لیسَ معناه سدّ الباب وأنَّ هذا الباب لا یدخله إلّا فئه معینه من الناس، وإنَّما لابدَّ من تقویم وتصحیح الفکره بإقامه الموازین وتطبیق القواعد الصحیحه الخاصه بباب التعریض والتأویل والالتزام بها.

ومَن أراد الدخول فی هذا الباب الطویل العریض الذیل فعلیه أنْ

یسیر علی طبق القواعد والأدله الصحیحه حتّی یخرج بنتائج طیبه ونافعه وعملیه، حتّی إذا طلب منه دلیل علی صحه ما یدعیه فعلیه أنْ یقدمه إذا کان.

فالباری تعالی فقط الذی لا یُطالب بدلیل لا یُسْئَلُ عَمّا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ۱.

ومع ذلک یخاطب البشر بالدلیل وأنه علی البشر لا یقبل شیء إلّا عن علم ودلیل ومعرفه هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ۲ فالله تعالی یحث علی العلم والعقل والتعقل أَ فَمَنْ کانَ عَلی بَیِّنَهٍ مِنْ رَبِّهِ..۳.

الخلاصه: إنَّ الدخول والغور فی باب التأویل والتعریض یحتاج إلی قواعد وموازین حاله حال باقی الأبواب الأُخری خاصه التی فیها جنبه خفاء وبطون وغیب.

إِنّا کُلَّ شَیْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ ۴ وَ أَقِیمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لا تُخْسِرُوا الْمِیزانَ۵. إذنْ لابدَّ من میزان.

هذا ولکنْ من الغریب جداً أنَّ من یرید اقتحام باب التأویل والتعریض فی تفسیر القرآن الکریم، ویرید اقتناص واصطیاد مفاد الآیات والسور القرآنیه عبر منهج التأویل والتعریض وهو لا یعی ولا یُلم وغیر محیط بقواعد علم البلاغه أو قواعد اللغه أو النحو أو الصرف أو العلوم الشهیره والتی لها دخاله فی علم التفسیر، نعم لا نقول الإحاطه بمثل هذهِ القواعد هو کُلّ شیء إلّا أنَّها أساسیه فی ضبط عملیه التفسیر.

إثاره: التأويل لا يمكن ضبطه بقواعد اللغه العربيه:

أثار البعض(۱) هذهِ الدعوى وحاصلها:

إنَّ التأويل والدلاله الخفيه لمْ يمكن أنْ ينضبط بقواعد العلوم العربيه باعتبار عدم انسباق أذهان عموم المخاطبين إليها، وأنَّ هذهِ الدلالات لا تستند إلى أصل لغوى، وبالتالى لا يندرج فى حجيه مداليل الدلالات الحواريه واللغويه.

ولعلَّ البعض يتحفظ فى التعبير عن التعريض أو التأويل وأنه يندرج فى حجيه الظهور ويقول: - التعريض أو التأويل لا يندرج تحت حجيه الظهور؛ وذلك باعتبار أنَّ التأويل مقابل الظهور وعليه فكيف التأويل يرجع إلى الظهور؟

إلّا أننا نقول باندراجه تحت حجيه الظهور، ببيان: -

تقدم فى مبحث التعريض أنَّ السيد المرتضى فى دفع بعض الإشكالات وأطلق على التفسير التأويلى أو التفسير للدلالات الخفيه أطلق عليه الظهور الخفى، علماً أنَّ هناك دعوى من بعضهم: - أنَّ التأويل لا ينضبط بقواعد وعلوم اللغه العربيه وعلوم القرآن، وهذا مبحث خطر وحسّاس؛ لأنَّ ما وَرَدَ فى كلمات أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام): - أنَّ جُلَّ دلالات القرآن الكريم والنظام الاستعمالى لها قائم على أساس قاعده التعريض وعليه فكيف تدفع هكذا دعوى عن مثل هذهِ القاعده؟ وللأسف يركِّز أصحاب الفكر السلفى المنحرف على هذهِ الدعوى الخطيره الدعوى

۱- (۱) إشاره إلى بعض أقوال الفقهاء والمتكلمين والمفسرين من الفريقين، بلْ حتّى لدى بعض الأصوليين وبعض الأخباريين من الفريقين.

الخطيره والجدل والحوار العقائدى من السلفيه قائم على إنكار الدلالات الخفيه فى الآيات وإنْ كانت هى موجوده على إمامه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)، إلّا أنَّهم يتمسكون بشىء وهو أنَّه ما دامت هناك دلالات خفيه بمعنى لا ينسبق ولا يتبادر إليها ذهن عموم الناس فى الوهله الأُولى، وإنَّما يحتاج إلى تروى وتدبر وعليه فيدعون أنَّ مثل هذهِ القواعد ليست دلالتها حجه وغير صالحه لإثبات شىء فى الدين، بلْ رُبَّما حتَّى فى الوسط الداخلى يخشى البعض أو يتحاشا الخروج والتوسع عن دائره الصريح ويُريد أنْ يقوقع ويحبس الذهنيه الإسلاميه أو الإيمانيه فقط فى ضمن دائره الدلاله الصريحه والنصيّه.

ومع ذلك فإنَّ السلفيه يُعطون لمثل هذا المنهج طابعاً علمياً مع أنَّه بالواقع حشوى ظاهرى، ويريدون العكوف على سطح الظاهر فقط، ويتركون الغور والخوض إلى الأعماق؛ لأنَّ فى ذلك مخاطر عليهم من الغرق لو جازفوا وغاروا إلى الأعماق، ولذلك فضلوا الحياه العلميه والمعرفيه السطحيه.

الخلاصه: تبين أنَّ مراد الحشويه والظاهريه الذين يعتقدون بان كُلَّ ما وراء الدلاله الصريحه والظاهره هو إيهام وفوضى واستنتاج مزاجى، ومن الواضح المقطوع به هو بطلان هذا كُلّه وخطأه كما مَرَّ توضيحه.

ص:٣٤٤

بيان مشرب فكرى آخر

هناك مشرب فكرى لدى فئات من المشتغلين بالعلوم الإسلاميه والتيارات الفكريه المختلفه يقول: -

إنَّ الدلاله الصريحه ليسَ لها أى دور وإنَّما عليك الاكتراث بالدلاله الخفيه المبتنيه على الاستخراج والاستذواق من دون انضباط قواعد.

إلّا أنَّ هذا فيه إفراط كثير لما يقوله الإمام الصادق (عليه السلام) مضمون الروايه:

«من طلب باطناً بلا ظاهر ضلَّ، ومن طلب ظاهراً بلا باطن ضلَّ».

والإمام الصادق (عليه السلام) يشير إلى أنَّه يجب الإيمان بظاهر الشريعه كما يجب الإيمان بباطن الشريعه ويجب الإيمان بظاهر الدين كما يجب الإيمان بباطن الدين وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلًا١.

وليسَ كُلّ ما علمته فهو الدين كُلَّهُ، وعليه فيجب الإيمان بباطن الدين الخفى، وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً٢.

وعليه فكيف لا أكذب بما لمْ أُحط به علماً بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظّالِمِينَ٣.

وفى الروايه أنَّ الإمام الصادق (عليه السلام) يبين أنَّ الآيه فيها وصيتان: -

الوصيه الأولى: قوله تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ١.

بتقريب: أنَّ الذى خفى عليك لم تُحِط به فلما تُنكِرْه؟ فعليك أنْ تؤمن بوجوده ولا تنكره والذى ينكره ظالمٌ.

الوصيه الثانيه: قوله تعالى: وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً٢.

أى لا تُثبت ولا تنفى شىء من دون دليل ومستند كالإثبات أو النفى بالادعاءات أو المصادرات... الخ.

إذنْ الدعوى عامّه من البارى جل ذكره إلى البشر بأنْ لا يغوينك ولا يخادعنك قول القائل أنَّ هذا الأمر من أسرار الدين ولا تسئل عن الدليل، فإنَّ القرآن يدعو كما تقدم إلى التعقل والإدراك.

وعليه فيجب أنْ يكون عندك علم ودليل لما تتبعه وتثبته سواء أمراً باطناً وخفياً فى الدين أو الشريعه أو التفسير أو الثقه أو... الخ ولا تسمح لعقلك أنَّ يُسلِّم ويُذعن بشىء لا علم وبلا دليل عليه تتبعه.

الخلاصه: إنَّ التمسُّك بالظاهر دون الباطن أو بالعكس يصبح التمسُّك بالمسيره العلميه عرجاء وعوجاء، بلْ لابدَّ أنْ يكون للظاهر الذى هو منطلق لما خفى من جناح آخر ألا وهو الباطن والجانب الخفى، وبنفس الوقت لا يظنَّ ظان أنَّ التمسُّك بالظاهر فقط أمرٌ نستخف أو نزدرى به، كلا، بلْ التمسُّك بالظاهر أساس القرآن، وأساس الدين، والظاهر هو

منطلق الشروع بالشريعه إلّا أنَّه له جناح آخر له من دونه يَضِل المستمسك بالظاهر فقط وكذا العكس ألا وهو الباطن والدلالات الخفيه، ولابدَّ أنْ يكون التمسُّك بالباطن وفق قواعد وموازين وضوابط علميه.

وبهذا ولله الحمد وصلنا إلى رسم المعادله العلميه الدقيقه بين دور الظاهر ودور الباطن ولابدَّ من الاعتناء وبكلا الطرفين حتَّى نصل إلى نتيجه علميه متعادله.

وأمَّا ما يبنى عليه جمله من الفقهاء والمفسرين من الاقتصار على الظاهر وأنه قول رائج فيجب علينا أنْ نعالجه بدقه.

ص:٣٤٧

التأويل يندرج تحت الظهور بلْ جزء منه

جرت سيره العقلاء وديدنهم فى أى علم من العلوم وفن من الفنون على ضبط منهاج ذلك العلم والفن بقواعد وأسس وموازين سليمه كى يكون سير خطوات تقدم ورقى ذلك العلم والفن علميةً، والانتقال من المسائل المتوغله فى النظريه وصحراء التأويل إلى نور عالم البيان والوضوح والبداهه، وهذا سيرٌ علمى موزون ضمن ثوابت لا يختلف فيه العلماء والمثقفون والعقلاء، لا سيراً تخبطياً استذواقياً، وهذان السيران متعاكسان.

وهنا يكمن سر اختلاف منهاج مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) مع المنهج الفكرى الحداثوى والفلسفات الألسنيه الجديده، والفرق الفارق والأساسى بينهما هو ما يُقال: البرمجه العصبيه فى قراءه النص الدينى، وهم - الحداثويون - يدعون إلى تعدد القراءات ولكنْ بلا حساب للوصول إلى النتيجه النهائيه العلميه المبتنيه على قواعد وموازين، انطلاقاً من شعار: افتح الباب على مصراعيه، لكنَّ وللأسف كان فتحهم للباب عشوائياً وهوجاوياً، وهذا يُعتبر بحسب منطق العقل والعلم سدٌّ للباب وسفسطةٌ. وهذا على العكس تماماًمع منهاج مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) الذى فُتِح فيه باب التأويل والدلالات الخفيه على مصراعيه بشرط أنْ تكون النتائج وفق قواعد وموازين تنطلِق منها شيئاً فشيئاً إلى مناطق نظريه مبهمه سرعان ما ينقشع عنها ظلام الجهل والتوغل فى النظريه ببركه نور المناطق المبدهه والمبينه والنيره على طبق قواعد وموازين متعاقبه ومُتسلسله.

وأمثله ذلك كثيره منها: - ما فى علوم الرياضيات: - كعلم الجبر وعلم

الهندسه، الميكانيكيه والفضائيه، والفراغيه، والسطحيه، والفيزيائيه والكيمائيه وعلم الأحياء الهندسى ونظريه اللوغارتم ونظريه الاحتمالات و... الخ. ومن الواضح أنَّ تشعب وتكثر أقسام علم الرياضيات - الذى يدخل فى كُلّ أو أغلب العلوم إنْ لمْ تكن مبالغين لأهميته العمليه والنظريه - لمْ تكتشف هذهِ العلوم الحديثه للرياضيات سابقاً، وعلم الرياضيات ابتدأ بمرحله ابتدائيه ثم أخذ بالتطور شيئاً فشيئاً وقَرْناً بعد قَرْن بعد بذل العلماء والمتخصصين الجهود الضخمه فى حلِّ المسائل المعقده والمتوغله فى عالم النظريه وانقاذها إلى مرافأ شاطىء العلم والبيان والنورانيه، وهل بعد هذا التطور والنضوج الحاصل فى علم الرياضيات معناه أنَّه سيقف إلى حدٍّ وينتهى؟ كلا سيستمر إلى ما لا نهايه ما دام مسيره الفكر البشرى مستمره، هكذا شأن علم الرياضيات.

ومن الواضح أنَّ هذا التطور والنضوج فى المسائل المبهمه ونقلها إلى عالم البيان والوضوح ليسَ من مختصات علم الرياضيات وإنَّما يشمل باقى العلوم الأُخرى كالفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء والبيلوجيا والفسلوجيا، وعلم الإداره،، وعلم السياسيه وعلم الاجتماع... الخ. وكلّ هذهِ العلوم ابتدأت - كما هو المعلوم - بمساحه ابتدائيه فى العمران ثم اتسعت بلاد العلوم شيئاً فشيئاً.

وعلم تفسير القرآن شأنه شأن العلوم الأُخرى فإنَّه يجرى فيه عين ما جرى بتلك العلوم كما فى مثل مبحث التأويل والظهور فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) الذى فتحت فيه الباب على مصراعيه شريطه أنْ تكون النتائج مبتنيه على قواعد وموازين علميه، نعم - لا يُنكر - أنَّ مبحث التأويل من

المباحث التى قلما يلتفت ويتفطن إليها الباحث المتجر فى علوم القرآن بالطريق الموصل لهذا المعنى التأويلى من منطقه ومنصه الظاهر، إذْ لو استطاع الباحث أنْ يهتدى إلى الطريق الموصل له من منطقه الظاهر إلى منطقه صحراء التأويل الموصِل إلى بيوت وغمرها بعدما كانت خاويه، ولكنْ هذا الأمر لا يتمكن منه إلّا النزر اليسير من الذين زوّدهم الله تعالى بالعلم الغفير، فمثلاً لو كانت هناك مسأله معقده ومجهوله وقدْ حارت فيها الألباب وتبلبلت فيها الأفكار وأعيت فيها المذاهب، فى أى علم كانت هذهِ المسأله من العلوم كعلوم الرياضيات أو الطب أو الفيزياء أو... الخ، ثم يأتى عالم متخصص وباحث مُدقق وفطن يكتشف الطريق لحل هذهِ المسأله المعقده بخطوات موزونه وطريق علمى ومتسلسل وفق قواعد وموازين وصل إلى حلها بعدما كانت نظريه ومتوغله فى ظلمه عالم الإبهام والإجمال والنظر فتدخل بعد أنْ زال عنها الغموض فى منطقه الظهور فحينئذٍ سوف يندرج التأويل فى منطقه الظهور وهذا يُعتبر تعريفاً آخر للتأويل غير ما تقدم ذكره – ومنه يظهر أنَّ التأويل لا يأبى الاندراج تحت منطقه الظهور، بلْ التأويل جزء الظهور.

إلّا أنَّه وللأسف أكثر الباحثين وأغلبهم لمْ يلتفتوا ويتفطنوا إلى كيفيه اندراج التأويل فى الظهور علماً أنَّ هناك حلقات مُوصله – إلى عالم التأويل من خلال منصه الظاهر.

وما ذهب إليه كثير من المفسرين وعلماء العلوم القرآنيه وأصول الفقه من أنَّ التأويل هو ما ليسَ بظاهر وما لا يدلُّ عليه الكلام فليس صحيحاً؛ وذلك لأنَّ ظاهر الكلام له دلالته على التأويل، وله حلقاته التى توصل إليه.

ولذلك الظهور والخفاء يكونان حالةً ونعتاً للقوّه الإدراكيه فى الإنسان وليسا – الظهور والخفاء – صفه للمعلومه نفسها وبذاتها.

ومن هذا يُعلم أنَّ الظهور والتأويل أمران نسبيان وليسَا إطلاقيين أى هما ثابتان للشخص بحسب قدراته الذهنيه وفهمه لا أنَّه صفه ثابته للشىء بحسب عين الشىء فى الواقع.

والظهور والبداهه حاله حال أى مسأله من مسائل أى علم تصبح واضحه ومُبيّنه بعدما كانت متوغله فى عالم الإجمال والنظريه والإبهام، كذلك الظهور والبداهه قدْ تكون مسأله فى زمن نظريه تأويليه وفى آخر ظاهره بديهيه، أو قدْ يكون الأمر بالعكس والعياذ بالله – وقدْ تكون دلاله ومدلولها واضحه وبديهيه فى زمان ولكنْ فى زمان لاحق تصبح هذهِ الدلاله المجهوله ونظريه نتيجه لتباعد الأجيال عن عصر النص والرساله، كما فى حكم الفقهاء من أنَّ الضرورى والبديهى قدْ يكون لفئه من خواص الناس كالفقهاء مثلاً ونظريه بالنسبه لغيرهم من عامه الناس.

الخلاصه: إنَّ الظهور والخفاء والتأويل أمورٌ إضافيه نسبيه تُضاف إلى شخص ولا تضاف إلى آخر، وما يُعْرَف به بين الظهور والدلاله الخفيه من أنَّ مفاد الظاهر يوصل إليه من خلال قواعد وموازين، والخفى لا يوصل إليه من خلال ذلك فهو غير صحيح، فإنَّ كلا المفادين لهما موازين وقواعد توصل إليهما غايه الأمر الخطوات الموصله إلى الظاهر جليه عند الباحث بخلافها فى الأمر الخفى فهى خفيَّه لديه.

وما اشتهر من أنَّ التأويل مفادٌ قريحى ورجماً بالغيب وعفوى فهو خطأ لأنَّ التأويل بالنتيجه يجب أنْ يوصل إليها وفق قواعد وموازين تخفى على كثير وتظهر للقلّه، وهنا يتجلى الفرق بوضوح بين المعصوم وغيره.

روايات تأويليه تعبديه

هناك جمله من روايات أهل البيت (عليهم السلام) الوارده فى تفسر القرآن الكريم يتعاطى معها فقهاء ومفسرو وفلاسفه وعرفاء الفريقين – من العامه والخاصه، أنَّها روايات تأويليه تعبديه، أى روايات لا يهتدى بها إلى كيفيه الوصول إلى المعنى التأويلى من ظاهر القرآن الكريم.

والواقع ليسَ الأمر فإنَّ أئمه أهل البيت (عليهم السلام) بينوا لنا الآيات التأويليه ووضحوها ولكنْ بشكل مطوى يغفل غالباً عنه المفسرون أو العرفاء أو الفلاسفه أو غيرهم. وسبب غفله هؤلاء المفسرون والعرفاء – هى بسبب عدم ترويهم وعدم تأملهم العميق فى استنطاق واستخراج الذى بينه أهل البيت لهذا التأويل، فإنَّ دأب أهل البيت دائماً وأبداً عندما يبينون المعنى التأويلى البيِّن عندهم (عليهم السلام) يحتاج فى المقابل من المُفَسِّر أو الفقيه أنْ يتدبر ويتأمل فإذا فعل ذلك سيجد كيف الأئمه بينوا ذلك المعنى التأويلى إلّا أنَّه وبسبب عدم التروى والتأمل والاستعجال حُرِم علم التفسير من بيان هذهِ الكنوز العلميه الضخمه التى خلَّفها لنا الأئمه (عليهم السلام) من خلال الروايات فى باب علم التفسير، ولكنْ وللأسف أنَّ الكثير من مفسرى الفريقين يتعاملون مع روايات أهل البيت بأنَّها تأويل تعبدى محض، صحيح أنَّها تأويليه ولكنها لو تعاملوا معها من أوَّل القرآن إلى آخره بالتأمل والتدبر والالتفات بدقه إلى النكات العلميه والفنيه التى بينها المعصوم (عليه السلام) فى معالجه هذا التأويل وكشف القناع عن ألفاظ تحتها معانى عميقه لأوصلتنا إلى طبقات وطبقات ومعانى غزيره لو تعاملنا معها أوصلتنا إلى كشف مناهج كثيره وغير متناهيه وجديده.

نظریه أَخری فی معنی دلاله الظهور

هناک نظریه یتبناها جیلٌ من الفقهاء والمحدثین والمتکلمین والمفسرین والأدباء ومن أصحاب علوم مختلفه عند الفریقین، وهؤلاء ذهبوا إلی عدم حجیه الدلالات الخفیه؛ لأنَّها متوغله فی الإبهام وعدم الوضوح، وأنَّ الغرض من ألفاظ مفردات اللغه هو عن طریق الحوار الذی یوصل المتکلم إلی مقصوده ولا ـ حاجه إلی عالم ما وراء الألفاظ أی عالم المعنی والدلاله الخفیه والتعریض والتأویل.

وحاصل النظریه:

«إنَّ دلاله الظهور للفظ الغرض منها هو أنْ تُدِل السامع وتوصله إلی المعنی».

واستدلوا أصحاب هذهِ النظریه بعدَّه أدلَّه علی صحتها وخروج الدلالات والمدلولات الخفیّه عن نطاق عالم الألفاظ وحجیه الظهور، وهی: -

الدلیل الأوَّل: إنَّ عالم الدلاله قائم علی الظهور العام والوضوح لدی عموم الأذهان، وما کان وراء الوضوح لدی عامه الأذهان ولم تتبادر إلیه أذهانهم فهو لیسَ بظهور ولیسَ بدلاله ظهور وإنَّما هو تحمیل وتکلف للفظ.

إذنْ معنی الظهور هو أنْ یدلُّ علی إیصال المعنی والوضوح والظهور إلی عموم أذهان الناس.

الدلیل الثانی: إنَّ الغرض من الخطاب القرآنی هو خطاب وبیان لعموم الناس، وإذا کان کذلک فکیف یقوم أسلوب القرآن الکریم أو السنه الشریفه للنبی (صلی الله علیه و آله) وعترته المطهره علی أحجیات الألغاز والتعمیه،

وهـذا نقضٌ للفرض وخلاـف الحكمه ولاـ يفهمه إلّا البعض النخبوى التخصصـى لا عموم أذهان الناس، ومن الواضـح أنَّ التكلم والحوار اللفظى هو جسرٌ ووسيله لانتقال المتكلم إلى المخاطبين.

الـدليل الثـالث: إنَّ علوم اللغه والأـدب هى عبـاره عن نظام اللغه فى بيئه أهل تلك اللغه وأهل اللسان، وإذا كان المعنى المقصود من هذا اللفظ ليسَ واضـحاً وكان خفياً ويقصيهم إلى مسافات بعيده ولا يعلمون بها وليست فى حضيره بيئتهم وتوظف وتستخدم الألفاظ بآليات بعيده عن عالمهم خارجه عن عالم حوار أبناء اللغه.

ومن الواضح أنَّ علوم اللغه هى مأخوذه من أبناء اللغه فكيف تتجاوز ما هو المعروف عند أبناء اللغه.

وعليه فأصـحاب هـذهِ النظريه يـذهبون إلى عـدم حجيه دلاـله التعريض ودلاـله الخفاء وأنَّ المقصود من الإعراب فى اللغه العربيه يعنى الإبانه والظهور، وأنَّ العرب بناءاً على ما وصـفهم الإمام محمـد بن على الباقر (عليه السـلام): - يُظهرون ويُقربون مقتضـيات الفطره الإلهيه وهو ولايه الله ورسوله وأهل بيته (عليهم السلام).

والجواب: يمكن الإجابه عن هذهِ النظريه واستدلالاتهم باختصار:

هـل أنَّ علوم اللغه من وضع أبنـاء اللغه أم هى ظـاهره كونيه فطر الله النـاس عليها سواء اللغه العربيه أو غيرها، اَلرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ١ ، فهـذا جواب من القرآن الكريم بـأنَّ اللغه والبيـان هى من تعليم الله تعالى وما أودعه تعالى فى الفطره المبرجمه فى خُلْد البشر كالفطره

المودعه فى النحل، وفى هـذا ردٌّ على مَن قال: - كيف تكون اللغه هى من التأسيس الربانى والحال نلاحظ أنَّ علوم اللغه والنحو والبلاغه والصرف والأدب و... الخ تتوسع جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن، والجيل اللاحق يكتشف أموراً لم يكتشفها السابقون - وإنْ كان البعض يستبعد أنْ تكون اللغه من التأسيس الربانى لأنَّ علم اللغه يتصل مع كل البشر وهذا يعنى عندهم اتصال الوحى بكل البشر.

والجواب عنه: ليسَ المقصود من الوحى المتعارف المركوز فى الأذهان وإنَّما المراد بشكل آخر كما سيتضح بعد قليل.

وهـذا دليل على أنَّ علوم اللغه ليست من صنع البشر إذْ لو كانت كذلك لكانت محدوده ومقصوره على ما بنوه وأنجزوه، بينما نلاحظ الآن علوم اللغه أشبه بالترسانه المنظوميه اللامتناهيه.

إذنْ اللغه هى ليست من صنع البشر وإنَّما من إعجازات ربِّ العالمين، كما فى الآيه السابقه من أول سوره الرحمن.

ألفات نظر: هناك فرق ينبغى الالتفات إليه بين علوم اللغه، وأبناء اللغه حملةٌ لها وبين هم مؤسسون لها.

ومن الواضح أنَّ مقصودنا من أنَّهم حَمَلةٌ وليسوا بمؤسسين لها وهى من ربِّ العالمين لا نقصد من ذلك أنَّهم نَزَلَ عليهم وحىٌ نبوى وعلَّمهم ذلك، وإنَّما المراد أنَّ الله تعالى خلق الفطره وأودع فى عقول البشر ما يحتاجون إليه، كما أودع فى عقل غير البشر - حسب ما يحتاج إليه فى حياته - كالفطره المودعه عند النحل وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً

وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمّا يَعْرِشُونَ١.

كُلّ ذلك بشهاده أنَّ القرآن الكريم هو استثمار لعلوم اللغه العربيه بدرجه خارجه عن قدره البشر ولذلك يُقال: - الإعجاز البلاغى فى القرآن، وهذا مؤشر على أنَّ اللغه وعلومها آليه ومنظوميه مترامیه القدرات والقواعد والمعادلات، خارج بناءها عن قدره البشر وإنَّما هى من إيجاد ووضع رب العزه خالق الخلائق أجمعين.

مضافاً إلى أنَّ أبناء اللغه فى سنّهم اليافع لا- يحيطون بدقائق أسرار اللغه تماماً وإنَّما كلما كبر سنهم فإنَّه سوف يتصل بسطح منظومه اللغه أكثر فأكثر.

وسيأتى توضيحه أكثر بعد قليل.

والخلاصه: إنَّ دور أبناء اللغه كحمله لعلوم اللغه فعليهم استثمار ذلك البيان بما فيهم علماء البيان واللغه و.. بما منحهم الله تعالى وأودع فيهم من قدره عظيمه من رب العالمين.

ص:٣٥٨

ارتباط نظام التأويل والدلاله الخفيه بنظام عالم الظهور

إنَّ نظام التأويل والدلاله الخفيه وعلاقته بعالم الظهور وتعدده وترامى أطرافه فيتعرض له ضمن مبحث التعريض والتأويل وعالم الظهور باعتباره نظام وفق أسس وقواعد لا فوضى ركاميه،، وتعدد سلسله القراءات للنص الدينى ولمعانى الآيات القرآنيه التى هيأيضاً وفق موازين وقواعد علوم الأدب واللغه هى أمر واقعى وذو طبقات غير متناهيه يقف عليها ويعلمها من علم وعرف القواعد الصحيحه لعلوم اللغه والنحو والصرف و.. أنَّ تعدد الطبقات إلى ما شاء الله لا يعنى أنَّها غير موصوله وسوف نقع فى متاهات وأمور غامضه ومجمله وأنَّها غير متصله بوصال رابط مع المعنى الظاهر الأولى، بلْ هى مرتبطه مع المعنى الظاهر الأولى بحلقات وروابط وفق قواعد وعلوم اللغه.

هذا مضافاً إلى أنَّ هذهِ القاعده - أعنى الارتباط بعالم الدلالات الخفيه والتعريض والتأويل عن طريق منصه الظاهر وحجيه الظهور - لا تقتصر على الظهور عند عامه السامعين أو الظهور عند النخب أو ما شابه ذلك، إنَّما حجيه الظهور فقط تتقيد بتسلسل الدلالات ومدلولاتها وفق قواعد علوم اللغه والعلوم الأُخرى، فإذا تمَّ ربط الدلاله وتعاقبها وفق هذهِ القواعد تكون الدلاله موزونه صحيحه وسديده فتتبّع عرفها من عرف وجهلها من جهل، نظير الناقد الأدبى فى أى لغه من لغات العالم إذا توصل أو تفطن إلى نكته أو قاعده أو نظام خفى قبل أنْ يلتفت إليه غيره يعتبر هذا سبقٌ أدبى لذلك الناقد علماً أنَّه نفس هذا الناقد لمْ يكنْ ملتفتاً إلى هذهِ القاعده الخفيّه

وهذهِ النكته لا تخرج المعنى المستفاد عن حجيه الدلاله أبداً.

ولذلك نلاحظ علماء أى لغه من اللغات المعبر عنهم بعلماء الألسنيات لديهم اكتشافات مُذهله من أنَّ البيان عند الكائن الإنسانى أمر إعجازى من رب العالمين؛ لأنَّ هـذا البيان نظام قنواتى لإيصال المعلومات بشـكل غريب تعجز عنه عقول البشـر، وهنا يكمن سر الإعجـاز فى الاكتشافـات المتلاـحقه لتلـك القواعـد الخفيـه والأسـرار العظيمـه فى عـالم التعريض والـدلالات الخفيه وكيفيه ارتباطها بعالم الظهور؛ ولذا البارى تعالى شأنه يتباهى فى أفعاله العظيمه اَلرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ١. مما يدلل على أنَّ فى البيان وحده إعجاز إلهى يمُن الله تعالى به على خلقه الإنسانى.

إذنْ البيان ونظام الـدلاله ليسَ بمقـدور العُرف أنْ يوجده ويخلقه وإنَّما العرف هو حاملٌ له – للبيان – وخالقه هو الله تعالى، وكم فرق بين الخالق للبيان والحامل له إذْ لو كان البيان من صـنع البشـر لما كانت البشـريه جيلًا بعد جيل وفى أى لغه من لغات العالم يكتشف العلماء فيه علوم جديده تلو العلوم ولا زال العلماء يكتشـفون أسـرار هذهِ اللغات شـيئاً فشيءً، وهذا يدلل على أنَّ الخالق والموجد للبيان هو الله تعالى علماً أنَّ علم اللغات وعلم الألسنيات أصبح علماً مشتركاً بين سائر اللغات وهذا يدلُّ على وجود

ثوابت وقواعـد وضوابط مشتركه بين سائر اللغات وهذا يدلَّ على وجود ثوابت وقواعد وضوابط مشتركه بين لغات كُلّ البشـر فى العالم.

وعلى كُلّ حال فإنَّ نظام البيان نظامٌ موحـدٌ وقائمٌ ومسـتقلٌ ولا تُسـجِّل براعه اكتشاف لمكتشف قواعده ونكته إنَّما هى موجوده، وإنَّمـا يحتاج الكشف عنها إلى تفطن والتفات وقوّه تركيز وتأمل، وما توهمهُ بعضٌ من أنَّ نظام اللغه والـدلاله والبيان بأنَّه مرهونٌ وضيِّق النطاق بحسب إدراك العرف وما شابه ذلك فهو غير سليم.

وتوضـيحه: إنَّ ابن اللغه واللسان فى سنِّهِ اليافع لا يحيط باللغه تماماً وإنَّما كلما يكبر يتصل بسطح منظومه اللغه أكثر فأكثر، وحتَّى إذا مـا كبر سنَّه واشـتدَّ ربمـا لاـ يحيـط بكـل درجـات علم اللغه الـذى هو من أبنائها، وإنَّما الـذى يحيط بها النخب العلميه، ومن الواضح يوجد تفاوت بين النخب العلميه فى درجات الإحاطه باللغه.

الخلاصه: الـذى يزيـد التوصل إليه كشواهد على أنَّ علم اللغه والبيان هو نظام مفهومى حقيقى موجود عَلِمَ به مَنْ عَلِمَ وجَهِلَه من جهـل ولا يتقيـد بالانكشاف والوضوح لـدى أبناء اللغه أنفسـهم، وإنَّما هو نظام فى نفسه موجود، حاله حال سائر العلوم والأنظمه الأُخرى كالفيزياء والكيمياء والأحياء والرياضيات و... الخ وعليه فعلم اللغه علم عامٌ وقدْ دلَّت النظريه القديمه التى كانت تتعاطاها الجامعات الأكاديميه فى مختلف علوم اللغه، وإنْ كانت بعضـها لا زالت تسـير بسـيرها هو تعليم البشـر لغه مشتركه بين أبنائه وأنَّ اللغه حبيسه بحدود ما ينطبق لدى أبناء اللغه وحواریاتهم عن أنفسهم لا أنَّ علم اللغه علم عام.

«المرء مخبوءٌ تحت طيِّ لسانه لا طيلسانه»(۱).

من هول عظمه علم البيان وعلم اللغه ما يشير إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل أكثر من أربعه عشر قرناً

«المرء مخبوءٌ تحت طيِّ لسانه لا طيلسانه».

بتقريب: إنَّ قيمه المرء بعلمه ومنطقه وأنَّ المرء لا زال مُهاباً حتَّى يتكلم فإذا تكلم عُرفت قدرته الكلاميه والبيانيه ومكانته العلميه، ومن العلوم النفسانيه والعلوم الأمنيه والاستراتيجيه أنَّه من خلال مقطوعه كلاميه من كلام المتكلم تُدرس فيه شخصيه هذا المتكلم بكل أبعاده، ولا يختص هذا بالمتكلم الذى على قيد الحياه، وإنَّما يشمل المقطوعات الكلاميه قبل أجيال.

ومن خلال استنطاق تلك المقطوعه الكلاميه التى تعتبر كنز ثرٌّ لاستخراج معارف ومعلومات عديده منها:

۱ - كيف كانت بيئتهم التى يعيشون فيها.

۲ - كيف كانت قوانينهم.

۳ - كيف كانت حياتهم الاقتصاديه والاجتماعيه وأعرافهم و... الخ.

۱- (۱) الأمالى للشيخ الصدوق، ص ۵۳۱، عيون أخبار الرضا له أيضاً، ج ۲، ص ۷۸.

هناك سؤالٌ يتبادر إلى الذهن وهو: لماذا البيان القرآنى وصل إلى حدِّ الإعجاز؟

وجوابه: تميّزت عظمه القرآن الكريم وأنَّ فيه بيـان إعجازى؛ لأنَّ القرآن فيه بيان لحقائق معلومات، وتلك لمْ تكن مقتصـره على البشـر فى القرون السابقه، وإنَّما استطاع القرآن أنْ يكشف لنا مقطوعات كلاميّه عن كائنات خلقيه أُخرى، كعالم الملائكه، ومن خلال هذا يستطيع المتأمل والملتفت تقييم بحوث كونيه وفلسفيه ومعلوماتيه حول عالم الملائكه وطبيعه خلقتهم.

وكـذلك أخبرنا القرآن الكريم من خلال مقطوعات كلاميه - أعنى الآيات الكريمه - عن عالم الجن وعالم الروح وعالم البرزخ وما شابه ذلك.

إذنْ تميّز القرآن الكريم من خلال نقـل هـذهِ المقطوعـات الكلاميه عن عوالم مختلفه فإنَّها تكشف وتُبرز لنا حقائق ذلك العالم وما يجرى من حوار بين كائنات من عالم آخر.

وعليه لمْ يَعُـد البيـان منجمـداً ومنحبساً على تلك المقوله [ما يسـتفاده العرف ظاهراً من هـذا الكلام هو الحجه] ومن الواضـح أنَّ العرف ليسَ هو الحاكم مع وجود ظهور ومؤدى أقوى وهو علوم البيان، وإنَّما دور العرف وأبناء اللغه هو دور الحامل الناقل لهـذا النظام والخازن والحافظ له لا أنَّ دور العرف دور الميزان وكلمه الفصل.

ومن هذا يُعرَف: أنَّ المدار ليسَ على العرف ولا أبناء العرف واللغه وإنَّما الحاكم هو علوم البيان وأبناء اللغه عليهم استثمار ذلك البيـان بمـا فيهم علمـاء البيان واللغه بما منحهم الله تعالى وأودع فى البشـر من قـدره عظيمه من رب العالمين، وسـيأتى إنْ شاء الله تفسـير جديـد فى مبـاحث لاـحقه وفق منهجنـا التفسـيرى، أمومه ولاـيه أهـل البيت (عليهم السـلام) على المحكمـات فضـلاً عن المتشابهات لمعنى الإعجاز اللغوى أو الأدبى فى القرآن بما يتناسب ويتصل بهذا البيان.

ص:٣٦۴

علم اللغه فی الأداء والإعجاز اللغوی القرآنی

بلغ القرآن الکریم مرتبه الإعجاز فی کثیر من العلوم منها البلاغه والبیان والنحو والأدب والاشتقاق و... الخ ومنها الإعجاز اللغوی للقرآن أی أنَّ القواعد التی استثمرها وفعّلها ونشطها القرآن الکریم فی علم اللغه هو الأداء اللغوی القرآنی الذی باعتراف البشر وإلی یومنا لمْ یکتشف سرُّ عجز البشر عن اکتشاف سرّ إعجاز القرآن، وکذا لمْ یکتشفوا سر إعجاز کلام رسول الله (صلی الله علیه و آله) الذی أحد سؤدده (صلی الله علیه و آله) أنَّه أُوتی جوامع الکلم منها

«إنَّما الأعمالُ بالنیات»(۱) و «خیر الکلام ما قلَّ ودلَّ» «أغنی الناس من لمْ یکنْ للحرص أسیراً»(۲). «الحمیه أس الدواء والمعدهُ بیتُ الداء وعود بدناً ما تعوَّد»(۳). «إنَّ المرأه ریحانه ولیست بقهرمانه»(۴).

هذهِ التفاسیر النبویه القصیره تصلح أنْ تکون جامع تشریعی یُصطلح علیه بتعبیر العلوم الحدیثه بدیباجه الدستور، فمثلاً التعبیر النبویه الوارد فی حق المرأه: -

«أنَّ المرأه لا تُحمَّل مسؤولیات فبها بطشی وقوه وسبعیه وحرّب وقهر وشده و...» الخ وإنَّما یصل دور المرأه فی کُلّ التشریع هو دورٌ أمومی ودور عاطفی ودور أُلفه وریحانه، نظیر ما جری فی واقعه کربلاء فإنَّ فیها

۱- (۱) دعائم الإسلام للقاضی النعمان المغربی، ج ۱، ص ۲.

۲- (۲) الأمالی للصدوق، ص ۲۱؛ معانی الأخبار/ ۱۹۶.

۳- (۳) الصدوق فی الخصال، ص ۱۲، ح ۳؛ الطبرسی فی مکارم الأخلاق، ص ۳۶۲؛ المجلسی فی البحار، ج ۵۸، ص ۳۰۷، ح ۱۷.

۴- (۴) الکافی للکلینی، ج ۵، ص ۵۱۰ ح ۳؛ والوسائل ب ۸۷ من أبواب مقدمات النکاح وآدابه ح ۱.

دور علم ومعرفه ومشهد عسكرى لسيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) والمشهد الآخر فى كربلاء وهو المشهد العاطفى والروحى والقلبى ألا وهو صوت العقيله زينب (عليه السلام) تخطب وتقول:

«إنَّ الله قدْ شاء أنْ يراهنَّ سبايا»(١) فنلاحظ كلا زاويتى الحديث فى كربلاء موجوداً جابن القهرمانه والحرب والقتال لسيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)، وجانب الريحيانيه للعقيله زينب (عليها السلام).

وهكذا كلام أمير المؤمنين (عليه السلام):

«إظهار الحرص يورث الفقر»(٢).

فإنَّهم عجزوا عن اكتشاف سرِّ إعجازه، فكيف بكلام الله تعالى أنْ يدرك البشر سر إعجازه ومن الواضح: - أنَّه لا يُفهم من كلامنا هذا أنَّه يستحيل اكتشاف ذلك، وإنَّما يمكن ذلك ولكنَّه بالتدريج مع الالتفات والفطنه؛ ولذلك نلاحظ أنَّ علماء البيان واللغه والأدب و... الخ يكتشفون القواعد شيئاً فشيئاً لا دفعه واحده، ولذا أحد أبعاد الإعجاز البلاغى فى القرآن هى القدره الفنيه فيه على ممارسه هذهِ الفنون بدرجه لا يصل البشر إلى إدراكها فضلاً عن ممارستها فأتوا بسورهٍ من مثله بلْ فأتوا بآيه من مثله لذلك نرى جمله من العلماء والمفسرين من الفريقين يحسبون كثيراً من بيانات أهل البيت (عليهم السلام) الوارده فى تفسير الآيات أنَّها تأويلات خفيه باطنيه، والحال أنَّ هذهِ البيانات من أهل البيت (عليهم السلام) معالجه لنفس ظاهر القرآن، لذا يكون ظاهر القرآن مستعصياً التدقيق فيه على المفسرين، كما ستأتى أمثله ذلك مفصله فى مبحث الالتفات إنْ شاء الله تعالى.

والخلاصه: إنَّ القواعد الإعجازيه الموجوده والمخبئه فى علم اللغه والتى فُعِّلت ونُشِّطت فى القرآن أكبر تنشيط واستثمار، وإعمال تلك القواعد

١- (١) ابن طاووس/ اللهوف فى قتلى الطفوف، ص ٦٥؛ المجلسى فى البحار، ج ۴۴ ص ٣۶۴.

٢- (٢) الخصال للصدوق، ج ٢ ص ۵٠۴.

فی کلام الله تعالی أعظم مما هو فی کلام النبی (صلی الله علیه و آله) وإعمالها فی کلام النبی (صلی الله علیه و آله) أعظم مما هو فی کلام سید الأوصیاء علی بن أبی طالب (علیه السلام)، وفی کلامه (علیه السلام) أعظم مما هو فی کلام بقیه المعصومین، وفی کلامهم (علیهم السلام) إعمالها أعظم لتلک القواعد وأکبر من بقیه الناس غیر المعصومین (علیهم السلام) من العلماء وغیرهم.

وبعد هذا العرض یتضح معنی قوله (علیه السلام)

«المرء مخبوء تحت طی لسانه لا طیلسانه» بأنْ یستطیع الإنسان الباحث أنْ یعرف أقدار المتکلم أنَّه معصوم أو غیر معصوم من خلال کلامه.

فمثلاً لو قارنّا بین مقطوعه کلامیّه لأمیر المؤمنین (علیه السلام) فی نهج البلاغه وبین أی مقطوعه کلامیه عربیه قدیمه أو حدیثه أو مقطوعه لأحد الصحابه فیها قطرات علمیه مقارنهً علمیهً، لوجدنا بونٌ شاسع واسع بینهما إذْ نجد اللطافه والشفافیه والسبک العلمی وإعمال القواعد بصوره متوازنه من قواعد بلاغیه ولغویه ونحویه و... أدلُّ علی المطلوب فی کلمات المعصوم (علیه السلام) منها فی غیر کلام المعصوم.

ألم یقل أمیر المؤمنین (علیه السلام)

«المرء مخبوء تحت طی لسانه لا طیلسانه» یا لها من کلمه مختصره تنطوی تحتها مطالب وعناوین علمیه ضخمه، وهکذا قوله (علیه السلام)

«والله لا تسألونی عن شیء إلّا وأبیِّن لکم أین هو فی کتاب الله»(۱).

وهذا یبین أنهم (علیهم السلام) یمتلکون القدره علی البیان والاستبیان علی استشکاف الدلالات الخفیه.

وهکذا لو أجرینا مقارنه علمیه بین زبور داود (علیه السلام) وبین زبور آل محمد (صلی الله علیه و آله) وهو الصحیفه السجادیه للإمام زین العابدین علی بن الحسین

۱- (۱) الوسائل أبواب صفاه القاضی.

السجاد (عليهما السلام) وبميزان علمى سواء كان ذلك الميزان العلمى عقلياً أو فلسفياً، فالكلمات التى أبرزها الإمام زين العابدين على بن الحسين (عليهما السلام) فى مناجات ربه مع تلك الكلمات التى ناجى داودُ ربَّه فسوف نلاحظ أنَّ كلمات الإمام السجاد (عليه السلام) أكثر لطفاً وشفافيه، وهذا هو برهاننا على أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) قدْ فضلهم الله وزوَّدهم بعلم وكرامه ومقامٌ أكثر من بقيّه الأنبياء وهذا الكلام ليسَ دعوى وعاطفه، بلْ هو برهانٌ وبيان.

والمتحصل من كُلّ هذا: إنَّ نظام اللغه والبيان نظام عظيم ولا يمكن أبداً أنْ نحبس علم اللغه فى مقوله محدوده كما اشتهر أنَّ اللغه والبيان تدور مدار العرف وإنْ كُنّا نرفض هذا المشهور حسب منهجنا التفسيرى - أمومه الولايه على المحكمات فى القرآن - الذى يرى هذا المنهج أنَّ علم اللغه علم منفتح وليسَ محبوساً بحسب قدرات وإدراكات العرف وهذا أحد الفوارق الفاصله بين منهجنا وباقى المناهج التفسيريه الأُخرى.

وأحد أهم الثمرات المترتبه التى تقع مسؤوليه علميه على عاتق الباحثين من علماء الإماميه خاصه فى الحوزات العلميه هو أنَّ مبنى عالم الدلاله فى اللغه وأنه غير محبوس ومقصور بحدود قدره ما يدركه العرف، وإنَّما هو على طبق معادلات وقواعد وموازين تترامى وتتعاقب بعضها تلو البعض الآخر ويصل إليها مَن يصل ويعجز عنها مَن عجز، ومن ثمراته هو - التبيان الروائى فى التفسير المأثور - الذى ما سنبحثه تحت العنوانى الآتى.

لو نظرنا نظره أولیّه إلی ما یوجد من بیانات تفسیریه فی الروایات الوارده عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) لوجدنا أنَّ کُلّ أو أغلب هذهِ البیانات تأویلیه، ثم إذا دققنا النظر لوجدنا هذهِ التأویلات ترجع فی الحقیقه إلی کشف أنحاء من الظهور خفیت علی الآخرین وأراد أئمه أهل البیت (علیهم السلام) أنْ یُجْلوها ویوضحوها للآخرین، کیف أنَّها ظاهره وکیف أنَّ فیها دلاله علی ما هو أخفی؟

وهذهِ المباحث البالغه الأهمیه للأسف لمْ یَخُض فیها الأخوهُ الباحثین کثیراً من مفسری الإمامیه فضلاً عن مفسیر العامه، ولم تُبذل الجهود الکبیره ما عدا محاولات یسیره من بعضهم ولم یتعاملوا مع روایات أهل البیت (علیهم السلام) بأنَّها روایات تأویلیه تعبدیه.

ولا یخفی أنَّ التعبدی علی قسمین:

١ - تعبدی فیه تبیان علمی برهانی.

٢ - تعبدی محض أی لیسَ فیه تبیان علمی وهو تعبدی نازل.

القسم الأوَّل أعظم من الثانی بقدر ما هو إفاده واستفاده وإیقاظ إلی وجود هذهِ المحاولات فی منصه الظهور ولکنْ بتدبر وإمعان نظر.

وبعد هذا نقول: - أنَّ نقوم بتبیان الروایات الوارده عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) فی ذیل الآیات القرآنیه المعروف مثلاً بالتفسیر المأثور بأنْ یُبین الأخوه الباحثین فی هذا المجال الروایات ذات الصله بظاهر القرآن الکریم

عبر سلسله من القواعد اللغويه والأدبيه والدلالات المنضده والمنظمه والمؤلفه اللفظيه ولو بضميمه جمله من قواعد العلوم الأخرى المبدهه، وتُبين تأويلات أهل البيت (عليهم السلام) التى يُنظر إليها كتأويلات أنَّها تفسيرات تعالج طبقات الظهور وليسَ صرف تأويل، يعنى لها صله متسلسله تُستنبط من ظاهر الآيات ومن الظهور الأوّلى من الآيات علماً أنَّه لا توجد روايه عن أهل البيت (عليهم السلام) إلّا ويُشارُ فيها إلى كيفيه الوصول إلى هذا المعنى التأويلى من منصه سطح الظاهر.

وعليه فروايات أهل البيت (عليهم السلام) ليسَ فيها بيان للنتيجه فقط والمفاد الخفى التأويلى، بلْ فيها إشاره خفيه إلى الطريق الموصل إلى هذهِ النتيجه الخفيه من منصه سطح ظاهر ألفاظ الآيات القرآنيه، ومن الطبيعى أنْ قدره الالتفات والوقوف على ذلك عند الأشخاص مختلفه، بينما السيره الدارجه عند بعض مفسرى الإماميه فضلاً عن مفسرى غير الإماميه أنَّ النظره عندهم إلى تلك الروايات أنَّها تأويلات تعبديه توقيفيه بلا بيان الوجه الاستدلالى وهو ما يعرف عندهم بالاصطلاح تعبدى محض، والحال أنَّ فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) التركيز بالدرجه الأُولى على التعليم والبيان وبالدرجه الثانيه التركيز على التعبد الظنى والآمريه، ومن الواضح أنَّ التعليم هو نوع ولايه أعظم من آمريه الولايه والطاعه والحجيّه.

وبيَّن القرآن الكريم وبالدرجه الأُولى أنَّ أحد الأدوار الأساسيه الرئيسيه لسيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) دور ومقام التعليم هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ١.

بأنْ يتلو عليهم ألفاظ القرآن وإنْ كان لمعنى (يتلو) معانى أَخرى - يأتى التعرض إليها فى محلها إنْ شاء الله تعالى - وتعليم النبى (صلى الله عليه و آله) للبشر ليسَ ناشئاً من نتاج فكر بشرى أو علوم البشر وإنَّما تعليم الوحى السماوى وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ١.

وعليه فيتجلى ويتجسد المعلم والمُبيِّن الإلهى فى المعلم البشرى ألا- وهو الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه و آله)، وهذا البحث يعتبر من المباحث المهمه فى بيان مقامات النبى (صلى الله عليه و آله) وأحد تلك المقامات أنَّه معلِّم إلهى للبشر، إذْ لمْ يُبحث هذا المقام وماذا يُراد بالمعلم بالشكل المناسب له لا فى علم الأصول ولا علم الكلام ولا التفسير ولا العرفان، نعم بُحث فى علم الأصول إنَّ هذا المقام كعلم من العلوم الدينيه أشير فيه إلى أنَّ حجيه اليقين أو القطع أعظم من الحجيه التعبديه ومقدمات القطع مقدمه على مقدمات الظن... الخ، وذكر علماء الأصول أنَّ المراد من معلم يعنى يوجد لديك القطع أو اليقين ليسَ عبر الظنون أو الصدفه وإنَّما اليقين يحصل طبق دلائل مُبدّهه.

إذنْ لابدَّ من بيان حقيقه هذا المقام للنبى (صلى الله عليه و آله) وأنّه معلم إلهى وبيان أنَّ النبى (صلى الله عليه و آله) فى جانب يعنى إنَّه وليٌّ مفترض الطاعه - اطيعوا الله وأطيعوا رسول الله - ومن جانب آخر يجب التصديق برسالته وكذلك أهل بيته (عليهم السلام) يجب التصديق بهم لأنّهم ورثوا منه (صلى الله عليه و آله) هذهِ المقامات العلميّه، والقرآن الكريم أشار إلى هذا الجانب فى عدَّه مقامات: -

١ - قوله تعالى: وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ٢.

۲ – قوله تعالی: وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَی الرَّسُولِ وَ إِلی أُولِی الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِینَ یَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لا فَضْلُ اللّهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّیْطانَ إِلاّ قَلِیلًا۱.

۳ – قوله تعالی: بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ ما یَجْحَدُ بِآیاتِنا إِلَّا الظّالِمُونَ۲.

وغیرها من الآیات القرآنیه التی ذکرت وأکّدت علی أنَّ هؤلاء (علیهم السلام) لهم صفه علمیه ومقام علمی شبیه ما نعت به القرآن الکریم الخضر: فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَیْناهُ رَحْمَهً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً۳ وهذا الإتباع والانقیاد هو عن علم ودرجه الإنقیاد عن علم أعلی درجه من الآمریه والإنقیاد التعبدی ومن الواضح أنَّ الحجیه الیقینیه حجیه قطع وإتباعها أعظم من حجیه الظن، وإنْ کان اتّباع موسی (علیه السلام) للخضر لیسَ اتباع ظنی أو علی عمایه – والعیاذ بالله – وإنَّما اتباعٌ فیه نور ولکن إجمالی وإبهامی.

الخلاصه: إذا تعاطینا مع بیانات القرآن الکریم تعاطی التعلیم والاستعلام والبیان سیکون تعاطی للآیات القرآنیه علمیاً وعن دلیل لا تعاطی ظنی أو جه تعبدیه ظنیه.

وهکذا تعاملنا مع الروایات الوارده عن طریق أئمه أهل البیت (علیهم السلام) تعاملاً علمیاً وبالتالی سوف ینتج أنَّه لیسَ تعاملنا مع الروایات أنها تأویلیه بمعنی تعبدیه بلا معرفه، نعم نُسَلِّم التعبدیه الظنیه إلّا أنَّها لیسَ تعاطیاً

بمستوى عالٍ من الاتّباع، نظير عباده الأحرار أعظم من عباده التجار، وعباده التجار أعظم من عباده العبيد، وغير خفى أنَّ العباده هى انقياد وطاعه ن فالعباده عن معرفه يعنى عباده علميه، وهى أعظم من العباده عن سطوهٍ وخوف أو طمع ومغنم، والعباده العلميه حجيتها أعظم من حجيه العباده الظنيه التى تعنى خوفٌ وتنجيز وتعذير وعقوبه ومثوبه.

تنبيه: إنَّ منهجنا التفسيرى - منهج أمومه الولايه على محكمات القرآن فضلاً عن المتشابهات - يتعاطى مع بيانات القرآن الكريم ليسَ كحجيّه ظنيه تعبديه وإنَّما يتعاطى مع بيانات القرآن الكريم وكذا بيانات أهل البيت (عليهم السلام) كبيانات علميّه لا أنَّه نتعاطى معها كحجيه ظنيه.

فنستكشف من دلاله الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) فى علم التفسير أنَّ مناشئ الدلاله فى ظهور القرآن التى توصل لهذا المفاد الخاص المُصرَّح به فى الروايه، فإذا تمسَّكنا بهذا بلا معرفه الطريق للوصول إليه من الظاهر الأولى فى القرآن صارت الحجيه حجيةً ظنيه وتعبديه، بخلاف ما لو كان الخبر مستفيضاً فإنَّ الحجيه سوف ترقى إلى درجه القطع أى حجيه قطعيه إجماليه والإجمال بسبب الإبهام. أمَّا لو تعاطينا وتداولنا ونظرنا إلى مفاد الروايات الوارده فى ذيل الآيات وأنها ملفته لنا ومنبهه إلى كيفيه دلاله ظاهر القرآن للوصول إلى هذا المعنى والنتيجه الخفيّه.

إذنْ الذى تريد الوصول إليه هو البحث والتنقيب عن الطريق الذى تشير إليه الروايه فى كيفيه الوصول من منصه الظاهر إلى هذا المعنى الباطن، وسيكون البحث عن مثل هذا الأمر علمياً، ولن تكون حينئذٍ هذهِ الروايات تأويليه محضه، بلْ سيكون مآلها تفسيريه للظاهر، وبعد هذا

سوف يصير ذلك المعنى الخفى ظاهراً وبيِّناً، نظير الوصول للنتيجه فى المسأله الرياضيه المجهوله عبر مراحل فى الاستنتاج الرياضى المتلاحق.

وثمره هذا المنهج التفسيرى - أمومه ولايه أهل البيت على محكمات القرآن فضلاً عن متشابهاته - ليسَ فقط أنَّه حجيه علميه وأنَّه أرقى من الحجيه الظنيه فحسب بلْ هذا المنهج - الذى يعتمد على علم اللغه والبيان - هو القيام بمسؤوليه يوصى بها القرآن الكريم ألا وهى... لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفى بِاللّهِ شَهِيداً١.

وأحد معانى الظهور هو الغلبه والانتشار بعد الخفاء والحبس الذى هو نوع من الخفاء.

وبعد هذا البيان ينبغى تصحيح النظره إلى الروايات الوارد فيها تفسير للآيات وأنَّها ليست فقط تأويليه تعبديه محضه، وإنَّما تأويليه مبتنيه على التعبديه العلميه وعلى نهج التعليم فحينئذٍ قدْ قمنا بخدمه علميه عظيمه لعلم أهل البيت (عليهم السلام) بأنْ نوقف الآخرين على مدى علميه تراث أهل البيت (عليهم السلام) ونهج أهل البيت (عليهم السلام) فى القرآن الكريم.

ومن خلال البحث فى التأويل والدلالات الخفيه والظهور والدلالات الجليه: أنَّ نُبَدِّه وتظهر بيانات أهل البيت (عليهم السلام) التأويليه التى يحتملها الآخرون بأنَّها تأويليه خفيه من خلال الطريق للوصول إليها من سطح ظاهر دلاله الآيات شريطه أمور يأتى ذكرها فى محلها إنْ شاء الله تعالى.

فمثلاً كثير من المفسرين يغفلون عن ملاحظه قاعده الالتفات

وتشعباتها وهى من الموارد الصعبه بحق؛ لأنَّ المُفَسِّر يغفل عن ملاحظه حالات التغير والتبدل التى تحدث فى أجواء الآيه القرآنيه المباركه أو الجمله أو حتَّى المفرده، فيحسب أو يظن أنَّ كثيراً من الآيات أنَّها تأويليه وخفيّه باطنه إلّا أنَّه إذا دقَّقَ النظر سيرى أنَّ هذهِ الآيات سوف تعالج سطح الظاهر لألفاظ القرآن الكريم من منشأ خفى على الآخرين ومن ثم تلقّاه الآخرين بأنَّه تأويل وباطن، فإنَّ مثل هكذا منهج من التعاطى مع التفسير بالمأثور لن يفتح بابه الآن بشكل وسيع ومُفعَّل وإنْ خاض فيه جملةٌ من المحققين إلّا أنَّه بشكل بسيط.

إذنْ عمده التعاطى مع التفسير بالمأثور دائماً التعامل معه على أنَّه حجيته تعبديه تأويليه يُقتصر فيها على المصداق، ومن باب الجرى والتطبيق الذى هو أحد ضوابط باب الالتفات الذى تعامل معه بعض مفسرى الإماميه كالسيد العلامه محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه) صاحب تفسير الميزان الذى كان أكثر تعاطيه وتعامله مع التفسير الروائى المأثور كما فى تفسيره الروائى [البيان] إنَّه تأويل ومن باب الجرى والتطبيق فى منطقه محدوده قدْ يكون تعبدياً تأويلياً.

ص:٣٧٥

المقارنه فی التأویل بین مدرسه أهل البیت (علیهم السلام)

وبین مدرسه فلسفه الألسنیات

مقدمه:

اشاره

قبل الخوض فی ذکر الفوارق فی التأویل بین مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) وبین مدرسه فلسفه الألسنیات المعبر عنها بالهرمونطیقیا والحداثویات فی معرفه قراءه النص الدینی، لابدَّ من إلفات نظر إلی نقطه مهمه وهی:

أولاً: أنَّ التأویل یختلف بحسب الأنظمه الثلاثه - النظام الاستعمالی اللفظی، ونظام المعانی، ونظام الحقائق - وإنْ کان السید العلامه محمد حسین الطباطبائی قدْ یُترائی فی جمله من أبحاثه أنَّ التأویل حصری، بالنظام الثالث أعنی نظام الحقائق، ویعتبر السید العلامه التأویل من سنخ الحقائق والحقیقه العینیه وإنْ لمْ یکنْ نظام الحقائق هو کُلّ التأویل، فإنَّ التأویل له أقسام وأنواع عدیده کما سوف یتضح کُلّ ذلک فی محله.

ثانیاً: هناک نقطه أُخری مهمه فی بحث التأویل والظهور فی النظام الاستعمالی اللفظی فی القرآن الکریم، وهی: - وجود فوارق مهمه بین تعدد القراءات فی منهج أهل البیت (علیهم السلام) للنص الدینی وبین تعدد القراءات والتأویل الذی یسلکه أصحاب مدرسه الحداثه فی عصرنا الراهن.

ولو أجرینا مقارنهً بین المدرستین لوجدنا نقطه اشتراک ونقاط اختلاف بیهما: -

أمَّا نقطه الاشتراک: إنَّ کلا المدرستین یقرُّ بتحمل النص الدینی وفیه

قابليه لدلالات ومدلولات متكثره وليست حصرياً بدلاله واحده وبمدلول واحد.

وإنْ كان هذا الجانب المشترك بينهما ما فتئ الكثير من المذاهب الإسلاميه يطعنون ب حتَّى إلى الآونه الأخيره بلْ العقود الأخيره قبل ما يزيدعلى ثلاثه عقود كان هذا مصدر طعن على مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) ولكنْ سرعان ما انقلب إلى مدح وإعجاز عظيم بعد رواج فلسفه الحداثويات والهرمونطيقيا والألسنيات التعدديه وتبيَّن عندهم أنَّ هذا ليسَ مصدر طعن، بلْ مدح وعظمه وإجلال وهذا ما تقدم بيانه.

نقاط الافتراق:

الفرق الأوَّل: إنَّ خفاء القرائن والغفله وعدم الالتفات إليها عند الكثير أو عند الكل لا يخدش فى دليليه الدليل.

وذلك ببيان: - إنَّ فى منهج مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) لابدَّ من تتابع الدلالات والمداليل الخفيه وفق قرائن وموازين وقواعد وأدله غايه الأمر هذهِ الشواهد والموازين قدْ تكون غير ملتفت إليها ومغفولاً عنها عند الكثير أو الكل فإنَّ مثل هذا الخفاء لا يؤثر على دليليه الدليل كما تقدم تفصيله فى المباحث السابقه، وأنَّ هذا المنهج لا يتقيد بمعرفيه الشواهد بحسب قدره الأغلب أو الكل أو لدى العرف إلّا أنَّه لابدَّ من وجودها.

إنَّ مدرسه الحداثويين: - ليسَ الأمر عندهم كذلك، وعندهم الأمر مجرد صرف إبداء الاحتمال ويُرتب عليه الأثر ويتبنونه إلى درجه الجزم فى كثير من الأحيان عكس مدرسه أهل البيت (عليهم السلام).

الفرق الثانی: فی منهج مدرسه الحداثیون یرفضون وللأسف التحاکم إلی میزان وقواعد وشواهد مشترکه توصلهم إلی المعانی المتلاحقه والمتعاقبه، ورفضهم هذا یدلُّ علی عدم عدم اعترافهم بوجود قواعد وموازین یترافعون إلیها عند الاختلاف إلّا بمقدار إبداء الاحتمال والمفاد، کذلک یرفضون فتح باب محاسبه الأفکار إذا کانت المحاسبه بالسلاح والقوه، ونحن نُسلِّم معهم بذلک وهذا المقدار من المحاسبه مرفوض، إلّا أننا نقول لهم: -

ما المانع من محاسبه الفکر بالفکر مثلما یحاسب العمل بالعمل، علماً أنهم یدّعون حریه إطلاق الفکر ولکنهم وللأسف لا یعملون بها وإنَّما هذا مجرد رفع شعار وواقعه سدٌّ لباب الفکر بلون آخر، وهذا بالأخیر یترتب علیه حبس الأفق الفکر، ومن الواضح أنَّ فتح باب المحاسبه الفکریه یؤدی إلی توسعه الأفکار، أالیس یدعون ویرفعون شعار الانفتاح علی الأفکار الأُخری، وهذا الانفتاح علی الأفکار الأُخری یصیر تلقائیاً مقارنه وهذهِ المقارنه کذلک تلقائیاً تؤدی إلی الموازنه بمیزان المحاسبه والمحاکمه الفکریه وترک وسد مثل هکذا باب ینتج نتیجه وخیمه ویولِّد الانهزام النفسی والفکری لدی الباحثین فی هذا المجال وعدم تحمُّل مسؤولیه فتح هذا الباب تحت ذرائع مختلفه.

أمَّا مدرسه أهل البیت (علیهم السلام): - فعلی العکس من مدرسه الألسنیات والحداثویین، فتطلق الحریه للفکر ولا تحاکم الفکره فی نفسها فکریاً، وإنَّما علی الأقل تحاسب الفکره بآداب فکریه وبنمط فکری، مضافاً إلی أنَّ تحمُل المسؤولیه أمرٌ لابدَّ منه ولا یمکن التخلی عنه ورفع الید عنها فإنَّ الکلَّ

يُسألُ فی مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) ویُحاسب لا أقل بمحاسبه الفکر بالفکره فإنَّ النقد کما قالوا لا یُفسِد فی الود قضیه، وأنَّ حیاه العلم بالنقد والبحث کما وَرَدَ فی کلمات أئمه أهل البیت (علیهم السلام).

الفرق الثالث: منهج الحداثویین یدَّعی أنَّ الحقیقه لا یمتلکها الإنسان وما عرف الإنسان من الحقیقه فهو جزء الحقیقه ولدی الآخرین أجزاء أُخری، وأنَّ هذا الجزء لا یعتمد علیه بتاتاً وعلیه فلا تحاکم مع الطرف الآخر.

إذنْ آراء الحداثویین بالحقیقه متعدده: -

١ - منه: - من یقول الحقیقه لا یمتلکها أحد.

٢ - ومنهم: - من یقول الحقیقه موزعه بین الأطراف المختلفه.

٣ - ومنهم: - وهو الأکثر ربما یقول: - بأنَّ الحقیقه لا یتناوشها أحدٌ وإنَّما کُلّ ما یکون لدی الأطراف قدْ یکون زبدٌ سرابٌ بقیعه یحسبه الظمآن ماءاً.

وعلیه فمنهج الحداثویین منهجٌ سفسطیٌ - ومعنی السفسطه أی التشکیک والتشکیک عباره عن الرفض بلا دلیل لکل شیء - وهذا شیء مذموم فإنَّ الرفض والإنکار لا یستند إلی دلیل علمی وهذا بالتالی أمرٌ غیر علمی، وإنْ کانوا یرفعون شعار التنقیب فی کُلّ شیء والسؤال عن کُلّ شیء فهذا محمودٌ، إلّا أنَّ هذا یرفعونه مجرد شعار ثم یشککون به وعلیه فهم - الحداثیون - یقولون بتعدد الآراء ولا مانع من تعدد القراءات وتعدد الفهم یدلُّ علی أنَّ کُلّ واحد ما بحوزته هو سراب بقیعه.

وهكذا النظريه النسبيه التى ترفعها مدرسه الألسنيات هى بالحقيقه يطرحونها وللأسف بشكل نسبيّه سفسطيه تشكيكيه، وأنَّ الحقيقه لا يمتلكها الإنسان - كما مَرَّ - ولا تتحاكم مع الطرف الآخر، بحجه أنَّك لديك جزءٌ من الحقيقه والآخرين لديهم أجزاء من الحقيق فأنت ماذا تُريد أنْ تداينه وتحاكمه بأى شىء؟

ومن هنا يعلم أنَّ الحداثويين يريدون أنْ يجنّدوا هذا المنهج للامسؤوليه واللاتعهد واللاالتزام واللاتدين؛ لأنَّ الالتزام والتعهد هو التدين وهم لا يريدون ذلك وإنَّما يريدون التوظيف للمنهج اللادينى، وهذا نمطٌ من أنماط العلمانيه، وهذا مما يؤدى إلى أنْ يكون الجانب التربوى عندهم منفتحاً على اللاثوابت، وهذا بلحاظ وآخر يستلزم تضييع الهويه على مسلك الحداثويات الحديثه أو الاستخفاف بالهويه بنمط وبلونٍ آخر.

إذنْ النسبيّه لديهم سفسطيةٌ لا يعتمد عليها فهم عندهم رؤيه الكل صحيحه وعليه لا تُداين الطرف الآخر برأيه؛ لأنَّه لا أحد يقبل بأنْ تصدر رأيك على رأيه إلّا أنَّ الواقع ليسَ المسأله مسأله رأى، وهذا له رأيه، وأنت لك رأيك و... الخ.

انظر أيُّها المتأمل المدقق المنصف كيف يلبسون تعتيماً فى هذا البحث وكأنما يجعلون هويه الفكره هو الشخص لا هويه الشخص الفكره، وبالتالى صار عندهم الرأى ملك هذا وذاك، وأنه يتلون بفكر هذا وبفكر ذاك فى نفسه ولا يتلون الرأى بلون العلم فى حد نفسه وهكذا لا يتصورون من أنَّ العلم مجرد فى حدِّ نفسه.

بخلاف مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) من أنَّ الحقيقه والنسبيه تعنى أنَّ

السائر على الصراط المستقين يصل إلى درجات وغيره يصل إلى درجات أعلى أو أدون، إذنْ هناك درجات فى طى الصراط واحتواء الحقيقه تصل إليها من وصل ويغفل عنها من يغفل وعند الله العلم الكامل ويطّلع عليه تعالى ويظهره لمن يشاء وما شاء من عباده المصطفين المعصومين (عليهم السلام) النبى (صلى الله عليه و آله) وآله صلوات الله عليهم أجمعين.

ص:٣٨٢

نظریه السید المرتضی (رحمه الله)

نظریه السید المرتضی (رحمه الله)(۱)

تقدَّم أنَّ السید المرتضی (رحمه الله) ذکر فی کتابه الشافی فی الإمامه نظریه مفادها [أنَّ الحجیه لا یُقتصر فیها علی الصریح بلْ تعم غیره].

وکأنما هذهِ النظریه جاءت ردّاً علی من کان عنده انحراف معرفی یظن أنَّ الحجیه منحصره فقط فی الدلاله الصریحه، وأنَّ الدین یُؤخذ من الکتاب والسنه من الدلالات الصریحه فقط، وما عداه فلیس بحجه.

ولازم رأی هؤلاء المنحرفون فکریاً أمثال: - السلفیه والوهابیه وغیرهما أنَّ غیر الصریح لیسَ بحجه وإذا لمْ یکنْ حجه فهو لیسَ من الدین وهذا مما تترتب علیه لوازم وأمور خطیره جدّاً.

بینما القرآن الکریم یؤکِّد علی أنَّه یجب أنْ یؤمن المسلم والمؤمن بظاهر القرآن کما یؤمن بتأویله ویؤمن بمحکمه کما یؤمن بمتشابهه وأنْ لا یقتصر أمر الدین علی التمسُّک بالظاهر فقط والشاهد علی ذلک ما جاء فی سوره آل عمران وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ۲ ، و یَوْمَ یَأْتِی تَأْوِیلُهُ۳ إلی غیر ذلک من الآیات، التی تثبت أنْ القرآن له تأویل کما له تنزیل، ومن الواضح أنَّ التأویل أخفی من الظهور الخفی وکلٌ منهما - التأویل والظهور الخفی - حجه حسب نظریه السید المرتضی، وعلیه فکیف یحبسون أصحاب الفکر

۱- (۱) فی نتابه الشافی فی الإمامه.

المعرفی المنحرف والمعوّج الحجیه علی خصوص الظهور الصریح للنص.

إشکال: قدْ یشکل البعض علی أنَّ الخوض فی غیر النص الصریح والظاهر یوجب التلاعب بالدین والتخرُّص و....

الجواب: نُسلِّم أنَّ هذا محذور فی حدِّ نفسه، ولا یقبل أحدٌ منّا أنْ یُبنی الدین علی أمور استحسانیّه وحدسیه وذوقیه التلاعب وقیاس ظنی علی أهواء وآراء متکلفه متصنّعه، هذا کُلَّهُ نُسلِّم أنَّه غیر صحیح، إلّا أنَّ هذا المحذور محذوراً یلجئنا إلی حصر الحجیه فقط بالظهور فما هو الدلیل علیه؟.

الطریق لا ینحصر بهذا فإنَّ هناک بعض الطرق خاطئه وأُخری صحیحه فإنَّ المعروف من إنَّ إثبات الشیء لا یستلزم نفی ما عداه.

وبعضهم وللأسف یُسَّری هذا إلی المنهج الفقهی فضلاً عن المنهج التفسیری للقرآن بأنْ یعتمد فقط علی دلاله الآیات والروایات الصریحه علی المطلب بأنَّها الداله علی الحکم الفقهی وغیرها التی فیها خفاء فهی لیست بدلیل لأنَّها تحتاج إلی کلفه ومؤونه زائده...

وخیر شاهد علی ذلک ما قاله صاحب الجواهر محمد حسن الجواهری (قدس سرّه) [لو بُنی الفقه علی الصریح فقط ما قامت للفقه قائمه].

إذنْ علینا أنْ لا نجمد علی القراءه السطحیه للنص فإنَّه یوجد فرق بین لا نتکلف ولا نتخرص ولا نتصنع وهذهِ من صفات سید الأنبیاء (صلی الله علیه و آله) أنَّه (صلی الله علیه و آله) کان من المتکلفین ولاـ یبدأ بشیء من نفسه وإنَّما یُوحی إلیه من ربه، وبین أنْ نجمد علی ظاهر النص ویکون مظهراً ظاهریاً فقط، فإنَّ مثل هذا غیر صحیح کما تقدم من أنَّه لا عمومیه فی الإثبات إلّا بموجب دلیل، کما

لا تعميم فی النفی إلّا بموجب دلیل وإثبات.

الخلاصه: إنَّ نظریه السید المرتضی (قدس سرّه) تنقسم إلی قسمین: -

القسم الأوَّل: حجیه مضیّقه أی الظهور الجلی والواضح والأمر منجز ولیسَ فیه تروی واستمهال، والمراد من الحجیه هنا العقاب الصارم وانضباطٌ حدّی یخرس الألسن... الخ.

القسم الثانی: حجیه موسعه أی الظهور الخفی أی الحجیه موسعه السعه وهی حجه عند السید المرتضی بخلاف غیره الذی نفی الحجیه عن الظهور الخفی وحصرها بالقسم الأوَّل فقط.

ومعنی الحجیه الموسّعه: هی التی فیها تروّی واستمهال وتدبر وتأمل کما فی الظهور الخفی.

وهذا السر الذی شرحه أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی اعتماد القرآن الکریم وشریعه سید المرسلین للتعریض من أنَّ التعریض: - حجیه معها مُهله وتروی ورأفه بالعباد لئلا یُعاجلوا بالعقاب.

ولا یوجد تنافی بین وجود المهله وبین کونها حجه ودلیل فإنَّ الکثیر وللأسف یظن وجود تنافی بینهما - أی بین دلیل الحجیه وبین وجود المهله والتروی وأنَّه مع وجود المهله فی الدلیل لا یصلح الدلیل للحجیه.

وعلیه فلا توجد ملازمه بین کون هذا دلیلاً وکونه صارماً أی لو کان هناک دلیلاً لکان هناک قطعاً - لا کما توهمه البعض من وجود الملازمه بینهما وهو غیر صحیح، والصحیح ما أشار إلیه أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی کلماته إلی فلسفه الحجیه وأنَّ القطع والحجیه علی قسمین: - قطعٌ موسع، وقطع مضیق.

وأنَّ الحجيه الموسعه: - هى نظام تعليمى تربوى ناجحٌ ونافعٌ وفيه مهله وتروى ورفق وأنَّ الله تعالى رفيق بالعباد ويحب الرفق فى الأمور كلها.

والشاهد على ذلك ما قاله الإمام (عليه السلام): - ما وضع اللين على شىء إلّا زانه وما وضعت الشده والحده على شىء إلّا شانه.

ص:٣٨۶

هل الظهور صفه ثابته للألفاظ

أو صفه لإدراک الإنسان ؟

وقبل الخوض عن الظهور وأقسامه، يُثار هذا التساؤل هو أنَّ الظهور ظهورٌ نسبى بأنْ يكون الظهور ظهوراً عند شخص وواضح وجلى، وعند شخص آخر ليسَ بظاهر وغير واضح، أو أنَّ الظهور صفه إطلاقيه؟

وتتجلى مسأله الظهورات النسبيه عند الفقهاء والمفسرين و... الخ فإنَّ الفقهاء خاصه لديهم دائره ظهورات تختلف عن دائره ظهورات غيرهم، فمثلاً- لو قرأ الفقيه نصاً فقهياً معيناً فإنَّه سوف يلتفت إلى مفادات هذا النص الدينى ما لا يلتفت إليها غيره من الفقهاء وغيرهم، وهذا معناه أنَّ الظهور ظهورٌ نسبى يختلف من شخص إلى شخص آخر وهو ظهور خفىٌّ ويكون حجةً ويستطيع الفقيه أنْ يستنبط من هذا الظهور الخفى حكماً شرعياً قدْ يُفتى أو يحتاط على أثره إذا ولَّد له هذا الظهور الخفى اطمئناناً لهذا الحكم فإنَّه سوف يكون حجه عليه وعلى من اتبعه فيما بينه وبين ربه.

ولذا ترى بعض الفقهاء يستغرب ويتعجب من حكم بعض الفقهاء وأنه كيف استظهر هذا المعنى الخفى غير الظاهر وأنه لا يلتفت إليه إلّا الأوحدى منهم وأنه يحتاج إلى التفات وانتباه شديدين.

ومن خلال هذا يتبين أنَّ الظهور نسبىٌّ وليسَ صفه اطلاقيه.

هناك إشكال أو تساؤل أثارته بعض المدارس الإسلاميه على مدرسه

أهل البيت (عليهم السلام) وحاصله: -

إنكم تعتقدون بأنَّ الإمامه من أهم أركان الفروع فهى أهم من الصلاه و الصوم والحج والزكاه و... الخ فكيف لا تكون بيّنه وواضحه كوضوح وبيّنه بقيه أركان فروع الدين الأُخرى.

الجواب: أجاب السيد المرتضى علم الهدى (رحمه الله) وهو أحد علمائنا الأبرار أنَّ الظهور ظهوران: ظهور جلى وظهور خفى، وأدله إمامه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) وأئمه أهل البيت (عليهم السلام) من قسم الظهور الخفى وإنَّ هناك أدلَّه يقينيه قطعيه على إمامه على (عليه السلام) ووصايته، فهو حجه ولا يستلزم تكفير بعض المذاهب الإسلاميه(١) ؛ لأنَّ ضابط الكفر عندنا هو إنكار وجحود ما كان ظهوره جليّاً فى الآيات القرآنيه، وكذا السنه النبويه.

أمَّا إذا كان ظهوره من قسم الظهور الخفى فلا يوجب ولا يستلزم تكفير كافه المسلمين وإخراجهم عن ظاهر الإسلام، وإنَّما ذلك يوجب سلب الإيمان عنهم لا سلب الإسلام وإنَّما بقاؤهم على نعت الإسلام ولو بحسب ظاهر الإسلام باعتبار أنَّ المسلمين فاتحون للبلاد الأُخرى غير الإسلاميه وجعلها بلاد مسلمه واتساع رقعه الإسلام، وعليه فلهم حرمه من تشهد الشهادتين حرم دمه وماله وعرضه وأهله على حاله.

إلّا أنَّ الإيمان مطلب آخر وحقيقه أُخرى قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ٢. غير ظاهر وحقيقه

١- (١) كتاب الأمالى للسيد المرتضى.

الإسلام.

إشكال: لماذا لمْ تحكموا بكفر أو ارتداد من ينكر إمامه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) ووصايته إذا كان عندكم أدلَّه يقينيه قطعيه على إمامته (عليه السلام)؟

الجواب: ليسَ كُلّ ما هو يقينى وقطعى وأنكره الطرف الآخر نُحكم بكفره وارتداده ومروقه عن الدين، بلْ هناك شرط آخر كون المنكر والجاحد بأمر يقينى وقطعى وجلى مصرَّح به آنذاك يحكم بكفره، وعليه يكون الحكم بالكفر والارتداد فرع كون الدليل قطعياً ويقينياً مصرح به وإلّا بأنْ كان المنكر منكر لأمر خفى وإنْ كان قطعياً ويقينياً فإنَّه لا يترتب على ذلك جحوده وإنكاره لا يترتب عليه الكفر هذا هو منهاج أهل البيت (عليهم السلام) سواء على صعيد تفسير القرآن أو سواء على صعيد الفقه السياسى أو الاجتماعى أو... الخ.

وهذا للأسف ما لا يستطيع أنْ يفهمه أصحاب المذاهب الإسلاميه الأُخرى فى نظام التعايش الإسلامى على صعيد فكرى أو على صعيد حقوقى أو مدين وحرمه الأموال والدماء والنفوس و... الخ.

وعليه يكون الفرق بين التصريح أى الظهور الجلى وبين التعريض أى الظهور الخفى أنَّه فى التعريض لا يكون الجاحد والمنكر مارقاً بحسب الظاهر فإنَّه يُمهل ويُعطى فرصه أكثر بخلاف التصريح.

إذنْ دلائل إمامه أهل البيت (عليهم السلام) هى من قسم الظهور وهى حجةٌ وإنْ كان هذا الظهور خفياً، فإنَّه يتراكم من القطع واليقين وينجلى هذا الظهور الخفى بذوى البصيره، ويُعذر فيه من ضعف عن الأبصار والبصيره

ولا يُعدُّ جحوداً حينئذٍ.

وعليه فالسيد المرتضى (قدس سرّه) حلَّ هذهِ المشكله العويصه من خلال قسم الظهور الخفى وليسَ من قسم تأويل وأنه حجةٌ وإنْ غفل عنها فئام الناس، وكون الظهور خفياً لا ينافى أنَّه يقينى وقطعى.

إذنْ الحجه عند السيد المرتضى لا تقتصر على الصريح بلْ تعم غير الصريح.

ونذكر بعض المؤيدات لما ذكره السيد المرتضى من أنَّ الظهور الخفى حجه وليسَ من قسم التأويل، وهى: -

أولاً: ما اعتاده الناقد الأدبى - كاتب أو شاعر - من زمن الجاهليه وأيام سوق عكاظ وما كان يجرى بين الشعراء والأدباء فى المسابقات الأدبيه ويتبارون ويتسابقون ويقف الشاعر أو الكاتب ويتفطن نكاتاً لا يلتفت إليها زميله ومسابقه ويصل إلى نتائج نثريه أو شعريه تعتبر أبلغ وأفصح من بقيه المقطوعات، إلى زمن الإسلام إلى يومنا الحاضر، فإنَّ كُلّ ما يستظهره الناقد الأدبى يُدرج فى قسم الظهورات وإنْ كان لمْ يلتفت إليها إلّا الأوحدى من الناس ورُتبت عليها الآثار.

ومن خلال هذا كُلَّهُ يفرق ويظهر أنَّ ميزان حجيه الظهور ليسَ تحكيم العرف اللغوى أو بروز هذا المعنى لدى جل أو نصف أو أقل أهل اللغه بلْ الميزان شىء آخر سيتضح خلال البحوث الآتيه إنْ شاء الله تعالى.

ثانياً: - ما يذكره جمله من محققى علم الأصول: بأنَّ أدلَّه الاستصحاب شامله لاستصحاب العدم الأزلى إلّا أنهم يذكرون أنَّ العرف لا يفهمها

ولا يستطيع أنَّ يدرك أنَّ عموم الاستصحاب شامل لاستصحاب العدم الأزلى، فعدم الجزم بشمول أدلَّه الاستصحاب لاستصحاب العدم الأزلى لا إشكاليه فى ماهيه الاستصحاب، بلْ هو على وتيره باقى الاستصحابات الأُخرى، ولكنْ شمول أدلَّه الاستصحاب لمثل هذا الاستصحاب الخفى صعب على البعض وخفى عنهم.

ولذلك يتصور بعضهم أنَّ روايات أهل البيت (عليهم السلام) وكلامهم يجب أنْ يفهمه عامه الناس، أمَّا إذا فُسِّر بمعانى قواعديه تحليليه صناعيه غامضه غائره فإنَّ مثل هذا ليسَ بظهور حجه.

وهكذا نلاحظ بعض حالات الظهور جليه المعنى فى زمانٍ معين من آيات وروايات ولكنْ يأتى بعد ذلك الزمان المعين جيلٌ يكون عندهم هذا الظهور الجلى خفياً.

وبالتالى يُشكل غموض المعنى المُستظهرعلامه عند هؤلاء على خطأ هذا الاستظهار.

إشكال: إذا كانت أدلَّه إمامه أهل البيت (عليهم السلام) أو أدلَّه الحقائق فى القرآن بنحو التعريض لا التصريح، ومن المعلوم أنَّ التعريض فيه خفاء، وعليه يلزم محذور أنَّه أىُّ حجيه فى التعريض والخفاء وعدم التصريح؟

وهذا أمرٌ بالغ الخطوره فلابدَّ من الالتفات إلى رفعه وجوابه.

الجواب: لابدَّ أنْ نلتفت جميعاً – العامه والخاصه – من الفرق الإسلاميه إلى أنَّ الحجيه ليست مقصوره على التصريح والنص الصريح، كلا، وإنَّما الحجيه عامه وشامله لكل درجات الظهور وإنْ لمْ تكن

صريحه، ومن الخطوره بمكان فى منهج المعرفه أنْ نحصر معرفه الدين والتفسير والحجيه بالصريح فقط أو النصوصيه فإنَّ هذا منهج خطرٌ جداً.

وهذا يشبه إلى حدٍّ ما حبس بعض الفقهاء مسالكهم الرجاليه، وكذا المفسرين بالتفسير المأثور بالاعتماد على الخبر الصحيح وطرح الخبر الموثق والخبر الحسن والمستفيض و... وقدْ يتشكل من الضعيف خبر مستفيض أو متواتر ويمكن بالتالى ترتيب الأثر عليه، بخلاف ما لو حبسنا وضيقنا دائره الاعتبار والحجيه على الخبر الصحيح فسوف نقع فى ضيق.

كذلك فى المقام فإنَّ حبس وقصر الجيه على دلاله الظهور فقط أيضاً فيه من اللوازم والتداعيات الخاطئه والخطيره.

ولذا وللأسف نجد الكثير من الماديين أو العلمانيين أو المنتفعين أو المتعلمين أو الحداثويين أو السلفيه أو الوهابيه أو ما شابه ذلك من المدارس الفكريه رفعوا شعاراً:

[عدم الاستجابه للغير إلّا إذا كان عند الطرف الآخر دليل قطعى يقينى فأنَّ ذاك تناقشه إنْ كان هناك مجال للمناقشه وإلّا فلا].

إلّا أنَّه سوف يتسجل عليهم إشكال لا يستطيعون دفعه والتخلص منه، وحاصله: كيف تستحلون وتعذرون أنفسكم فى بناء منهاجكم ومساركم على الظن بينما تطالبون الآخرين بأنَّه لابدَّ أنْ يكون عنده دليل قطعى يقينى، علماً أنَّ الذى يرفع مثل هكذا شعار المفروض أوَّل من يلتزم به ويطبقه هم حملته ورافعوه.

نعم، نُسلِّم أنَّ اليقين هو أصلٌ ومن الأساسيات ولابدَّ منه أمَّا أنْ

نطالب بأنْ يكون هذا اليقين هو أصلٌ فى كُلّ صغيره وكبيره فإنَّ هذا غير صحيح.

الجواب: ما رفعوه ليسَ صحيحاً بلْ هو متعذر فى الحياه الأرضيه وحياه البشر وأوَّل من تخلى عنه هم حملته والذين رفعوه، ذكرنا أنَّ اليقين نُسلِّم به كأصل أمَّا أنَّه أصل فى كُلّ التفاصيل فليس بصحيح، بلْ هم أنفسهم الذين رفعوه شعاراً غير قادرين على ذلك، وإنَّما يكفى الظن فى التفاصيل والعمل بالظن بمواصفاته وشروطه الصحيحه والتامه المستنده إلى اليقين.

ص:٣٩٣

حجیه الدلاله فی اللغه العربیه

اشاره

قبل الخوض فی مبحث نظام الاستعمال اللفظی فی القرآن والسنه، وأنه قائمٌ علی التعریض لابدَّ من الخوض مفصلاً فی أنَّ حجیه الدلاله فی اللغه العربیه وفی القرآن ومن السنه هل تقتصر علی درجه الظهور الجلی أم الظهور الخفی أم علی ما هو الأعم من ذلک؟

ولتحریر البحث لابدَّ من الالتفات إلی أمور أهمها:

الوضوح والخفاء أمران نسبیان:

هناک سؤالاً یدور فی الأذهان أنَّه: لماذا یُقال: هناک أمور نسبیه وأمور مطلقه عامه؟

توضیحه: لابدَّ من إلفات نظر الباحث المتتبع الکریم أنَّه لیسَ المدعی فی المقام أنَّ کُلّ ظهور هو ظهور نسبی، وأنَّ کُلّ خفاء وبطون هو خفاء وبطون نسبی وإنَّما بعض الظهور نسبی وبعضه ظهور مطلق، وکذا الخفاء.

وهذا الأمر لیسَ مختصاً بنظام استعمال دلاله الألفاظ فی القرآن، وإنَّما حتَّی فی نظام استعمال المعانی فی القرآن الذی هو معانی عقلیه بحته أو غیر عقلیه وأمثله ذلک کثیره.

منها: مسأله اشتغال الإنسان کثیراً بعلم من العلوم فإنَّه سوف تصبح کثیر من الأمور المجهوله لدیه سابقاً معلومه وبدیهیه بالنسبه إلیه، ونظریه فی نفس الوقت لشخص آخر لمْ یشتغل بهذا العلم... وعلی مثل هذا قس

البواقی(۱).

وبالتالی: حصیله البدیهیات کلما ازدادت رقعتها ازدادت قوه حدس الإنسان وفهمه للأمور النظریه یصبح أکثر فأکثر.

الخلاصه: إنَّ الظهور والخفاء أمورٌ نسبیه وصفات بلحاظ الإدراک لقوی إدراکیه، ولیست حقائق علمیه.

وأنَّ المنضبط فی الحقائق العینیه فی استنطاق الدلالات الدینیه هو أنها یجب أنَّ ترسو ویوصل منها إلی نتیجه وحجه یمکن ترتیب الأثر علیها ضمن قواعد وضوابط معینه:

المهم هو الوصول إلی هکذا نتیجه مهمه وحجه حتَّی علی ضوئها یمکن حل وجواب کثیر من الشبهات والإشکالات الموجهه علی منهج التأویل والخفاء وأنه لیسَ بحجه وأنه لمْ یکنْ موجَّهاً إلی عموم أذهان الناس وأنه منهج مُبطن لا تُراعی فیه الحقیقه، وحل مثل هکذا إشکالات والإجابه عنها ذلک بسبب أنَّ الخفاء والوضوح لیسَ میزان الصحه فی الدلاله والانضباط ما لمْ یکنْ منضبطاً تحت ضابطه ومیزان مُعین.

۱- (۱) توجد أمثله ذکرها الأستاذ وأکتفینا بذکر واحد منها.

التوريه

من أقسام التعريض التوريه: هو أنَّ يذكر المتكلم لفظاً مُفرداً له معنيان أحدهما قريب غير مقصود ودلاله اللفظ عليه ظاهره، والآخر بعيد مقصود، ودلاله اللفظ عليه خفيّه، فيتوهم السامع أنَّ المتكلم يريد المعنى القريب، وإنَّما هو يريد المعنى البعيد بقرينه نشير إليه لا يكشفها إلّا الفطن(۱).

إذنْ التوريه عن الشيء بالشيء هو أحد أقسام الدلاله وللأسف إلى الآن علماء البلاغه لم يبسطوا ويفتقوا هذهِ المباحث وكيف تستثمر وإنَّما باقيه على طبيعتها الأوليه، وإنَّما يذكرها علماء البلاغه والبيان بشكل وصوره خاطفه وسريعه.

وعليه إذا كان المتخصص من النخب وهم علماء البلاغه والأدب واللغه لمْ يستوعبوها ولم يقفوا على تفاصيلها فكيف بباقى النخب الأُخرى أنَّ يعلموها ويستثمروا من آلياتها وهى سلسله مترامیه الأطراف والدلالات.

وبعباره أُخرى: إلى الآن علماء البلاغه المتخصصين تنظيراً لمْ يقفوا على كُلّ التفاصيل فضلاً عن التمثيل والإجراء على صعيد الدلاله القرآنيه.

۱- (۱) المعجم الشامل، ج ۲، ص ۱۱۶.

البيان تعليم إلهى فطرى للبشر

وردت كلمه البيـان فى سـوره الرحمن اَلرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسـانَ عَلَّمَهُ الْبَيـانَ١. أحـد الأـمور التى يفتخر الله عز وجل بها كمعجزه قرآنيه هو سوره الرحمن التى تسمى بعروس القرآن(١) ولامناسب لها أنْ تكشف عن الحقيقه التكوينيه؛ ولذا ابتدأ باسم من أسـماء الله تعـالى الجمـاليه وهو الرحمن وأوّل النعم التى يَمُنَّ الله تعالى به على خلقه هى نعمه البيان وأنها تعليم فطرى لـدُنى إلهى، وهذا البيان يُعبِّر عن الإنسان بأنَّه حيوان ناطق أى أنَّ النطق والبيان معلم خاص ومميز لإنسان عن غيره.

ولاـ زال علماء اللغه – فى أى لغه من لغات العالم – إلى يومنا هـذا لاسـيما العربيه التى هى معجزه اللغات بحسب البحوث الغربيه الاستراتيجيه الحديثه الدوليه أنَّ اللغه العربيه تشـكل أعظم لغه علميه تناسب دقه العلوم وتطورها وفى المقابل أثبتت هذهِ الدراسه والتقرير فشـل اللغه الانكليزيه وأنها لغه لا توافق الانضـباط فى البحث العلمى على قـدم وساق يبتكر كل من البحوث اللغويه علماً تخصصياً جديداً فى علم اللغه إلى أنَّ توسعت إلى ما شاء الله من العلوم فى اللغه.

إذنْ عالم اللغه عالمٌ عظيم له تأثير على خلق الإنسان الـذى علّمه البارى البيان، ومن الواضـح أنَّ هذهِ القواعد التى تسـتكشف فى علوم اللغه

١- (٢) والتعبير عنهـا بعروس القرآن معناه أنَّ هـذهِ السوره المباركه مزدانه بزينه آلاء الرحمن وآلاء الخلقه الإلهيه والفعل الإلهى فكلَّها مباهات بأنواع أشعه عظمه الجمال الإلهى.

ليست وليده الساعه وإنَّما هى قواعد كانت موجوده ولكنَّها مجهوله عند البشر ومغفول عنها، ولا يعنى جهل البشر الذين زُوِّدوا من قبل الرب تعالى بالبيان واللغه أنَّ هذا الأمر التكوينى نظام مهول وفق قواعد ومعادلات معقده جداً، وإنَّما هذا بنفسه برهانٌ على أنَّ علم الدلالات الخفيه والنظام الصوتى من علوم اللغه وأنَّ علم الدلالات هو بحث واستنتاج وفق أسس علميه متعاقبه ومترامیه علمها من علم وجهلها من جهل لا أنها تكلف واصطناع بلْ هو اكتشافٌ لحقائق موجوده تنكشف للبعض وتُحجب عن البعض الآخر لا أنها غير موجوده.

وعليه فباب التعريض بابٌ واسعٌ، وأنَّ ما أنجزه علماء اللغه العربيه من علماء لغه ونحو وصرف واشتقاق وبلاغه وباقى العلوم الأُخرى كعلم الفقه والأصول والتفسير والمنطق فى مباحث الألفاظ، هم جميعاً مشكورون على ما بذلوه من جهود مضنيه وجزاؤهم على الله تعالى إذا كان الهدف هو الله تعالى، ويكفينا فى ذلك قوله تعالى اَلرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ١.

ومعنى تعليم البيان: - إنَّ البيان من المعاجز أو النعم الإلهيه العظيمه التى يردُفها الله تعالى فى سباق منه تعالى على الإنسان بأصل خلقته بمنّه عظيمه وهى تعليم القرآن للإنسان علّمه البيان.

إذنْ علم البيان واللغه علم بمعنى إبداعٌ إلهى، فالله تعالى علَّم الإنسان البيان، والبيان عباره عن منظومه عظيمه التى عجز البشر وإلى يومنا هذا من أنْ يكشف سِرَّ إعجازها؛ ولذا البشريه الآن حتَّى الغرب فى صدد أنَّه - البيان - ظاهره تكوينيه إعجازيه فلسفيه لذا يعبرون عنها بفلسفه الألسنيات أى الجانب التكوينى والغيبى وأسرار وقضايا وهو الصحيح.

تلخيص لنتائج القاعده الأولى

من قواعد نظام الاستعمال اللفظى

هناك عدَّه نتائج انتهينا إليها فى القاعده الأُولى – التأويل والظاهر – من قواعد نظام الاستعمال اللفظى، ونلخصها بنقاط: –

النقطه الأُولى: خلصنا إلى تعريف جديد للظهور يشمل التأويل.

بيانه: من خلال البحوث المتقدمه يمكن أنْ نستفيد هذهِ النتيجه وهى أنَّ الظهور على قسمين: –

ظهور بالمعنى الخاص: وهو الظهور المتعارف لدى عموم الأذهان وما يتبادر من دلاله الدليل ومدلوله وما شابه.

ظهور بالمعنى الأعم: وهو أوسع من الأوَّل ويراد منه أى مدلول يصل إليه القارئ الكريم المتدبر فى النصوص الدينيه – القرآنيه والروائيه وغيرهما – ولو بعد التروى والتأمل والمهم أنْ يصل إلى هذا المعنى العام من خلال نظام موازين قواعد الأدب وعلوم اللغه مع الاستعانه بقرائن أُخرى ولو كانت خفيه وسواء وصل من خلال تلك القرائن إلى طبقه من المعانى أم طبقات، وكلما ازداد خفاءاً كلما ازداد توغلاً أكثر فى التأويل ومع كُلّ ذلك فهو يندرج فى الظهور وذلك لأجل أنَّه وصل إلى رفع ذلك الخفاء والإبهام والإجمال بسبب وعن طريق استعمال قواعد وموازين منضبطه فى علوم اللغه والأدب والبلاغه... الخ فتوصل إلى تلك النتيجه الخفيه واستظهرها وإنْ خفيت على الجميع.

ص:۴۰۱

النقطه الثانيه: منهجنا فى حجيه التأويل وأنه جزء من حجيه الظهور هو أنَّ التأويل الخاضع لموازين وقواعد علوم اللغه والبلاغه والأدب و.. فمثل هذا التأويل حجه لأنَّ طبق موازين ودلالات لا أنَّه تأويل على طبق الهوى أو ما يعبر عنه التفسير بالرأى فإنَّ مثل هذا التأويل ليسَ بحجه فإنَّه منهج عبثى فالإشكالات والطعون إنْ كانت فهى على الثانى لا الأوَّل.

تنبيه: التأويل الحجه يوصل إليه بالموازين فى جمله علوم كالبلاغه والأدب والصرف و... الخ إلّا أنَّه القدره على استكشاف معانى خفيه لدلالات مترامیه الأطراف والغور إلى الأعمال والخروج بنتائج منضبطه هنا تختلف قدره المعصوم عن قدره علماء الاختصاص عن المجتهدين والفقهاء، فالمعصوم يستطيع أنْ يصل بترامى موازين الدلاله وقواعد علوم الأدب إلى كافه تفاصيل الدين والشريعه ويحيط ويُلم بها بما زوّده الله تعالى من العلم اللدنى فيصل إلى كُلّ تلك التفاصيل من خلال موازين الدلاله، لما نصَّ على ذلك القرآن وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ١. أى تأويل آيات القرآن هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم أى فى صدور الذين أوتوا العلم اللدنى من الله.

بخلاف غير المعصوم فإنَّه لا يصل إلّا إلى حد محدود تتظافر عليه جهود علماء الأمه جيلاً بعد جيل لتصل إلى منازل لمْ تكن علماء الأمه قدْ وصلوا إليها هذا بالنسبه إلى سائر العلماء والمجتهدين أو الفقهاء ذوى الاختصاص فى العلوم الدينيه.

هذا مضافاً إلى أنَّ المعصوم ليسَ عنده آيات متشابهات وإنَّما كُلّ

الآيات بينات وهى محكمه عند المعصوم متشابهه عند غيره.

فالمعصوم ليست فقط المعانى الخفيه ظاهره لديه وبعمقها العميق والإحاطه بها، بلْ هى بيّنه لديه ولذلك وَرَدَ فى زياره أمير المؤمنين (عليه السلام) وباقى المعصومين (عليهم السلام) «أشهد أنَّك كنت على بينه من ربك».

بتقريب: إنَّ الأمور بينه لديه لا أنَّها ظهرت أو لاحت وتوضحت بدرجه متبدهه بلْ أنَّ الأمور بينه لديه من أوَّل الأمر، والمعصوم عنده الأمر بيّن وبديهى وليسَ فقط يعلمه بلْ يعلمه ويعلم أصله ومآله ومنشأهُ ومرجعه وباطنه بخلاف غير المعصوم الذى يعلم بالشىء من خلال القواعد ولكنْ لا يعلم منشا أصله ومآله ومرجعه فحيئنذ لا يكون لديه الأمرُ بيّناً وإنَّما يعلمون ظاهراً من الحياه الدنيا.

وأحد معانى البيِّن هو مايُجمع فيه بين ما يغيب وما يظهر أى الجمع بين عالم الشهاده والغيب، يعنى الشهاده للآخرين، والغيب غيب عن الآخرين، فالمعصوم عالم بعالم الشهاده الذى استبان له، بلْ المعصوم بيِّن له كُلّ طبقات القرآن النازله هى آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم.

إذنْ المعصوم له اقدره ن العاليه على التنقل من طبقه الدلاله إلى طبقه أُخرى والوقوف على حلقات الوصل بين الشبكات المترامیه واللامتناهيه.

كما فى الروايه عن الإمام الباقر (عليه السلام) فى تفسير سوره التوحيد: [... لو شئتُ لاستخرجت الدين كُلَّهُ من لفظ الصمد](١).

بتقريب: - إنَّ المعصوم له القدره على استخراج واستنباط أحكام

١- (١) الروايه فى تفسير البرهان / هاشم البحرانى - وتفسير نور الثقلين للحويزى.

الـدین والشـریعه من لفظه واحده ومن الواضح أنَّ قدره المعصوم لمْ تنحصـر بالاسـتنباط للآیه [ولو ردوه إلی الرسول وإلی أولی الأمر منهم لعلمه الذین یستنبطون منهم][(۱)] یعنی الراسخون فی العلم أی الذین فی قلوبهم القرآن آیات بینات.

۱- (۱) سوره النساء: الآیه ۸۳.

الفصل الخامس: القاعده الثانيه – قاعده الالتفات

اشاره

ص:۴۰۵

قاعد الالتفات

١ - مقدمه وتشتمل على:

*تعريف الالتفات لغه.

*تعريف الالتفات اصطلاحاً.

*تعريف الالتفات عند الجمور.

بيان أقسام الالتفات.

٢ - سبب عدم تركيز أغلب المفسرين على قاعده الالتفات.

٣ - الضوابط التطبيقيه لقاعده الالتفات:

*الفصل والوصل.

*التقديم والتأخير.

*التجريد.

*الابتداء والانتهاء.

*السؤال والجواب.

*منه آيات بعضها فى سوره وتمام الآيه فى آيه أو سوره أُخرى.

٤ - الهجره والنصره فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام.

- السرد القصصى القرآنى.

- فائده حول علم نظم المعلومات.

- الجرى والتطبيق وضابطه.

٥ - الآيات والروايات لا يقتصر فيها على الجانب التطبيقى.

ص:٤٠٧

۶ – وحده السیاق وما یترتب علیها من آثار سلبیه.

۷ – النسبیه فی القرآن وعند الحداثیین.

۸ – الإعجاز البلاغی فی القرآن الکریم.

۹ – روایه الإمام الباقر علیه السلام کمدرک لقاعده الالتفات.

۱۰ – قاعده الالتفات ومعرفه تکثر بطون القرآن وظهوره.

۱۱ – المعالجات البیانیه فی روایات أهل البیت علیهم السلام لسطح ظاهر ألفاظ القرآن الکریم.

۱۲ – الفرق بین المعلم الإلهی ومقام الآمریه والأولویه.

ص:۴۰۸

قاعده الالتفات

مقدمه:

القاعده الثانیه من قواعد الاستعمال اللفظی والتی ترتبط بنظام التعریض، ولا نرید الدخول فی تفاصیل هذهِ القاعده البلاغیه المهمه ألا ـ وهی قاعده الالتفات من أجلّ علوم البلاغه وهو أمیرُ جنودها والواسطه فی قلائدها وعقودها، وإنَّما نذکرها لأجل التأکیدعلی أنَّ نظام التعریض هو الأساس فی النظام الاستعمالی فی القرآن ولا شک إنَّ الالتفات مخصوص بهذه اللغه – أی العربیه – دون غیرها.

الالتفات لغهً: مأخوذ من التفات الإنسان یمیناً وشمالاً، فتاره یُقبلُ بوجهه وتاره کذا، وثالثه کذا، أو هو الانصراف والتفت إلیَّ التفاتاً أی انصرف بوجهه نحوی(۱).

واصطلاحاً: والالتفات فی علم المعانی من علوم البلاغه، ذکر البلاغیون له معنیین:

المعنی الأوَّل: أنْ یلتفت وینتقل المتکلم – سواء کان شاعراً أو راویاً أو أدیباً أو... الخ من معنی إلی آخر حین یُعرض له ثم یعدل إلی الأوَّل.

المعنی الثانی: أنْ ینتقل المتکلم من ضمیر إلی ضمیر کقوله تعالی: حَتّی إِذا کُنْتُمْ فِی الْفُلْکِ وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَهٍ۲. فانتقل الباری عز اسمه من

۱- (۱) مجمع البحرین، ماده (لفت).

ضمير الخطاب كنتم - خطاب المتكلمين إلى الغائبين -

وعند الجمهور: الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثه - أعنى التكلم والخطاب والغيبه - بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، بشرط أنْ يكون التعبير الثانى على خلاف مقتضى الظاهر، ويكون مقتضى الظاهر سوق الكلام أنْ يُعبَّر عنه بغير هذا الطريق، وهذا واضح؛ لأنَّ الالتفات هو انتقال الكلام من أسلوب التكلم والخطاب والغيبه إلى أسلوب آخر غير ما يترقبه المخاطب ليفيده تطرأهً لنشاطه وإيقاظاً فى إصغائه، فلو لم يعتبر هذا القيد لدخل فى هذا التفسير أشياء ليست من الالتفات:

منها: أنا زيدٌ، وأنت عمر، ونحن رجال وأنتم رجال، ويا زيد قم ويا رجلاً له بصر، خذ بيدى... الخ مما عُبِّر به عن معنى واحد تاره بضمير المتكلم أو المخاطب وتاره بالاسم الظاهر أو ضمير الغائب(١).

وقال السكاكى: الالتفات هو إمَّا ذلك الذى التقدم، أو أنْ يكون مقتضى الظاهر التعبير عنه بطريق منها فعدل الآخر. فالالتفات عند السكاكى أعم، فكل التفات عند الجمهور التفات عنده من غير عكس.

وقال فى المفتاح: والعرب يستكثرون من الالتفات إلى الكلام وإنْ انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل فى القلوب عند السامع وأحسن تطريةً لنشاطه وأملأ باستدرار إصغائه وهم أحرياء بذلك، أليس قرى الأضياف سجيتهم، ونحر العشار للضيف دبأهم وهجيراهم؟ لا مزقت أيدى الأدوار لهم أديماً ولا أباحت لهم حريماً، أفتراهم يحسنون قرى

١- (١) المطول فى شرح تلخيص المفتاح ص ٢٨٦.

الأشباح فيخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد، فإنَّ الكلام المفيد عند الإنسان - لكن بالمعنى لا بالصوره - أشهى غذاءً لروحه وأطيب قرى لها.

وأقسام الالتفات ستهٌ، حاصل ضرب ثلاثه (التكلم والخطاب والغيبه) فى اثنين لأنَّ كلاً من الطرق الثلاثه ينقل إلى الآخرين:

القسم الأوَّل: الالتفات من الغيبه إلى الخطاب - كقوله تعالى: اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ١ إلى قوله إِيّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيّاكَ نَسْتَعِينُ ٢ فالتفت من الغيبه إلى الخطاب - وإنْ كان التعبير العدول من أسلوب فى الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأوَّل أفضل وأولى الأسلوب من الأوَّل - الالتفات من الغيبه إلى الخطاب - فالأوَّل خاص والثانى يعم سائر الالتفات كلَّها(١).

النكته فيه: - إنَّ العبد إذا ذكر الحقيقه بالحمد عن قلب حاضر، ثم ذكر صفاته التى كل صفه منها تبعث على شده الإقبال.

القسم الثانى: الالتفات من الخطاب إلى الغَيبه وهو عكس الأوَّل، ومثاله قوله تعالى: حَتّى إِذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَهٍ ٣. والأصل (بكم) ونكته العدول عن خطابهم إلى حكايه حالهم لغيرهم هو التعجب من كفرهم وفعلهم، واستدعاء الإنكار منهم عليهم، فلو استمر تعالى على خطابهم لفاتت هذهِ الفائده، وقيل فيها غير ذلك.

١- (٣) الطراز للسيد يحيى العلوى اليمنى ص ٢٦٥.

القسم الثالث: الالتفات من الغيبه إلى التكلم، كقوله تعالى: وَ اللّهُ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلی بَلَدٍ مَیِّتٍ۱. والأصل فساقه، وقال الزمخشری، وفائدته (الالتفات) فی هذهِ الآیه وأمثالها: - التنبیه علی التخصیص بالقدره وأنَّ أمر الریاح لایدخل تحت قدره أحد.

القسم الرابع: الالتفات من التكلم إلى الغيبه - وهو عكس ما قبله - ومثاله قوله تعالى: إِنِّی رَسُولُ اللّهِ إِلَیْکُمْ جَمِیعاً۲. إلى قوله تعالى فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ. والأصل (بی) فعدل الحق تعالى عنه لنكتتين: -

الأولى: دفع التهمه عن نفسه بالمعصیه.

الثانیه: تنبیهمم علی استحقاقه الاتّباع بما اتصف به الصفات المذکوره والخصائص المتلوّه.

القسم الخامس: الالتفات من الخطاب إلى التكلم ولم يقع فى القرآن، وإنْ قال السيوطى فى الاتقان مثَّل له بعضهم بقوله تعالى: فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ۳. إلى قوله تعالى: إِنّا آمَنّا بِرَبِّنا۴. إلّا أنَّ هذا لا يصح كمثال للالتفات لأنَّ شرطه الالتفات أنْ يكون المراد به واحداً.

القسم السادس: الالتفات من التكلم إلى الخطاب وهو عكس الذى قبله - كقوله تعالى: وَ ما لِیَ لا أَعْبُدُ الَّذِی فَطَرَنِی وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ۵. والأصل (إليه أرجع) فالعدول من التكلم إلى الخطاب، نكتته أنَّه أخرج الكلام فى

معرض منا صحته لنفسه، وهو يريد نصح قومه تلطُفاً وإعلاماً أنَّه يريد لهم ما يريد لنفسه، ثم التفت إليهم لكونه فى مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله(۱).

وأقول: بعد عرض كلمات الأعلام وبيان أقسام الالتفات، فإنَّ المتحصل منها:

إنَّ الالتفات هو انتقال المتكلم بتوجيه خطابه مع أكثر من مخاطب، فيتكلم مع المخاطب الأوَّل ولم يستتم كلامه بعدُ فيحوِّل كلامه وخطابه إلى طرف ثانٍ، وقبل أنْ يستمم كلامه مع الثانى يرجع إلى الأوَّل أو ينتقل إلى ثالث وهكذا.

وقدْ وَرَدَ التأكيد والاهتمام بهذه القاعده البلاغيه الصعبه والمهمه - الالتفات - فى كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) وباقى الأئمه (عليهم السلام) إلّا أنَّ هذهِ القاعده يغفل عنها أغلب المفسرين وللأسف، وهذا هو أحد أسباب إخفاقهم من الوصول إلى مراد الآيات والسور، فالالتفات معناه كما تقدم أنَّه فى سياق آيه واحده بدايتها المتكلم طرف والمخاطب طرف آخر ثم يتبدل إلى متكلم ثانٍ وربما مخاطب ثالث أو رابع أو المتكلم نفسه يتبدل وكذا المخاطب أو أحدهما يختلف أو كلاهما فى وسط الآيه أو فى ذيلها كذلك ولربما هناك أكثر من ثلاث مقاطع فى الآيه الواحده.

ويحسب المُفَسِّر وحده السياق فى الآيه فضلاً عمّا بين الآيات أمراً متبعاً وغالباً عند أكثر المفسرين وهذا هو موطن الإخفاق فى تفسير كلام الله، كما يبين ذلك أئمه أهل البيت (عليهم السلام) أنَّ آيات القرآن الكريم فيها سبكٌ بنمط وشاكله خاصه وفى

۱- (۱) أنوار الربيع لابن معصوم، ج ۱، ص ۳۶۲.

الحقيقه سبك القرآن بهذه الشاكله خاصه وفى الحقيقه سبك القرآن بهذه الشاكله فيه حكم ومغزى وقواعد عظيمه: -

منهـا: مـا تعرضت لبيـان سوره يوسف (عليه السـلام) من قصه يوسف ومـا جرى عليه مع أخوته فإنَّهـا لمْ تتعرض إلى بيـان دقائق مقـاطع حيـاه يعقوب والنبى يوسف وأخوته، وإنَّمـا اقتصـر القرآن الكريم على بيـان لقطات مصـيريه انعطافيه خطيره وحساسه فى مسلسل حياه النبى يوسف (عليه السلام) والنبى يعقوب والأنبياء عموماً والأمم السابقه بشكل منسبك وببلاغه إعجازيه.

وهذا هو فرق تاريخ القرآن الكريم عن تاريخ كتب التأريخ للشعوب والأمم والحضارات فإنَّ الفرق بينها شاسع.

فـإنَّ المؤرخ فى كتب التأريـخ يتعرض إلى ذكر الهامش والمتن والأشـياء التى قـدْ لا يكترث بها والتى يكترث بها وسواء بشـكل مبعثر أم منتظم و... الخ.

أمَّا القرآن الكريم فحاشاه من أنْ يكون كتاباً تأريخياً قصصياً يدغدغ المخيله وحس الشاعريه أو حس الثمر فى الإنسان و... كلا، وإنَّما القرآن كتاب الذكر وإنماء لتنميه الإنسان فإنَّه يتعرض فقط إلى اللقطات الحساسه فى تأريخ الأمم، فمثلاً لا يتعرض القرآن الكريم إلى كُلّ أهل الفساد، وإنَّما يقتصر على ذكر أهل المخاطب الخطيره من أهل الفساد.

وهكذا عندما كتب التأريخ عن الفراعنه وأقسامهم وما يتعلق بشؤونهم فإنَّهم بسـطوا الكلام حول ذلك بشـكل تفصـيلى مُمِلٌّ و... بينمـا القرآن اقتصـر على بيـان بنود معينه مفصـليه حساسه وخطره فى حياتهم تشـكل خطراً على المجتمع عالجها وذكرها وسـلَّط عليها الأضواء.

لـذا يتميز القرآن الكريم فى قصِّ قصـصه بـأنَّه يتتبع الآثـار الخطيره التى لهـا انعطافات مهمه فى الوصول إلى الغايه، ولـذا نلاحظ فجأه انتقال العدسه

القرآنیه من لقطه إلی أخری متسلسله لکنَّ لا یعنی هذا أنَّ المشهد واحدٌ فی هذهِ الآیه الواحده المبارکه وإنْ کان نسق اتصال الآیه أو الآیات واحداً، وإنَّما القرآن ینقل لنا فی الآیه الواحده مشاهدُ لقطات متعدده وهم یحسبون أنهم لا زالوا فی المشهد الأوَّل.

إلّا أنَّه وللأسف أنَّ المفسرین من کلا الطرفین غفلوا عن ملاحظه ارتباط بعض القواعد مع بعضها الآخر، کُلّ ذلک نتیجه الابتعاد عن ملاحظه البیانات العلمیّه الموجوده فی روایات أهل البیت (علیهم السلام).

فمثلاً هناک ارتباط وثیق بین قاعده الالتفات وقاعده أسباب النزول، وإنْ کان البحث عن قاعده أسباب النزول یأتی مفصلاً فی محله إنْ شاء الله، إلّا أنَّه نشیر إلی ذلک من باب بیان ارتباط بعض القواعد مع بعضها الآخر مع بیان نوع العلاقه والصله فمثلاً بعضهم وللأسف لا یتبنی مسأله تعدد أسباب النزول وأنَّ الآیه الواحده لها أسباب مُتعدده، بلْ حتَّی جُمل تلک الآیه أو بحسب کلماتها فإنَّهم لا یبنون علی وجود أکثر من سبب، والحال قدْ یظن بعض المفسرین أو قرّاء القرآن أنَّ سبب نزول هذهِ الآیه هو الواقعه أو الحادثه الفلانیه أو الشخص الفلانی والحال فی بعض الآیات قدْ یکون سبب نزول صور الآیه شخص، ووسطها شخص آخر أو حادثه أُخری، وذیلها فی ثالث، بلْ یمکن أنْ نقول أکثر من هذا بأنْ تکون فقرات الآیه الواحده صدرها فی شخص أو واقعه أو حادثه معینه، ووسطها فی آخر، وذیلها فی ثالث و... الخ.

وعلیه فغفله المفسرین عن الالتفات والتنبیه لمثل هذهِ المطالب العلمیّه المهمه یوقعهم فی أخطاء تفسیریه خطیره.

توضیح ذلک: ما جاء فی سوره الأحزاب یا نِساءَ النَّبِیِّ لَسْتُنَّ کَأَحَدٍ مِنَ

اَلنِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِی فِی قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً... إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً۱.

فنلاحظ أنَّ صدر الآیه کان الکلام فیه موجهاً إلی نساء النبی (صلی الله علیه و آله) - أی یا نساء النبی لا تخرجن من بیوتکن لا لحرب - کحرب الجمل مثلاً التی خرجت فیها زوج النبی (صلی الله علیه و آله) عائشه علی إمام الأصل ووصی رسول الله (صلی الله علیه و آله) - علی بن أبی طالب (علیه السلام) ولا لما شابهها، ثم یحوِّل القرآن الکریم خطابه من نساء النبی (صلی الله علیه و آله) إلی خطاب أهل البیت (علیهم السلام): إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً ولم یقل القرآن الکریم یطهرکن، فنلاحظ الالتفات والانتقال من ضمیر المخاطب وهو جماعه الأناث (کُنَّ) و (بیوتکن) إلی خطاب (لِیُذهب عنکم) فإنَّ مثل هذا نحو التفات.

مورد آخر للالتفات فی القرآن الکریم فی بعض الآیات یخاطب القرآن شخص ذو أوصاف متعدده عکس ما یظنه المفسرون کما فی قوله تعالی: لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِینَ الَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ یَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً وَ یَنْصُرُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِکَ هُمُ الصّادِقُونَ وَ الَّذِینَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِیمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ۲.

وهاتان آیتان محکمتان من محکمات القرآن الکریم، وما بینته فاطمه الزهراء (علیها السلام) فی خطبتها وجدالها مع الخلیفه الأوَّل - أبی بکر - والثانی - عمر بن الخطاب - أَلیس الخمس للمهاجرین والأنصار؟(۱).

۱- (۳) خطبه الزهراء (علیها السلام) مع المهاجرین والأنصار.

قالت:

«إنَّما المهاجرين من هاجر إلى الله تعالى ولنا عتره النبى (صلى الله عليه و آله) والنصره التى عُقِدت فى بيعه العقبه والتى هى نفس نصره النبى (صلى الله عليه و آله) لرب العالمين وبالتالى نصره الله ولرسوله وعتره النبى (صلى الله عليه و آله)، لا من قاطعنا وأدبر عنَّا».

وقوله تعالى: وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ١. شاهدٌ على أنَّ المخاطب بها هو على بن أبى طالب (عليه السلام) بناءً على ما وَردَ فى بيانات وروايات أهل البيت (عليهم السلام) بأنَّه (عليه السلام) أوَّل من هاجر مع النبى (صلى الله عليه و آله) وليسَ المراد من الهجره هى الهجره الجغرافيه التى قد تكون أحد آليات الهجره هو الهجره الجغرافيه والانتقال بالبدن والمال، وإنَّما المراد بالهجره فى محل الكلام هى هجره عقيده فاسده إلى عقيده حقّه وصالحه وهجره نفسانيّه أى هجره نفس رذيليه وجاهليه إلى نفس فضيليه وأعراف وتقاليد وحيانيه سماويه نبويّه مطهّره نوريه سهله وسمحهٌ.

وهناك منطق آخر للهجره فى القرآن: - وهى النصره والأنصار وليسَ المراد منها النصره العكسريه وإلّا لو كان المراد ذلك فقط لكانت فى وقتها قبائل مشركه أو يهوديه تحالفوا مع الرسول (صلى الله عليه و آله) ونصروه عسكرياً إلّا أنَّهم لم يُسموا بالأنصار.

وعليه فيكون المراد من الأنصار هى ديمومه العهود والتعهد والالتزام والثبات لنصره الدين وأهل الدين من النبى (صلى الله عليه و آله) وعترته الطاهره، بخلاف من خذل الله - والعياذ بالله - وخذل الرسول (صلى الله عليه و آله) والعتره الطاهره، فهو لا يستحق وصف النصره والانتصار.

الخلاصه: آیتان من سوره الحشر کان سبب نزولهما والمخاطب بهما واحد.

تلخیص ما تقدَّم: القاعده الثانیه من قواعد نظام الاستعمال اللفظی هی قاعده – الالتفات – وهی من القواعد المهمه التی تجب أنْ تولی عنایه وأهمیّه خاصه؛ لأنَّها من القواعد البلاغیه الصعبه، ولابدَّ أنْ نعترف: –

أولاً: بعجزنا عن الإحاطه بقواعد ومتشعبات قاعده الالتفات؛ لأنَّها من القواعد المتشعبه والمتوسعه دائرتها والمترامیه إلی أطراف بعیده وأفرع وسبل غریبه بالنسبه إلینا وقدره ممارستها إنَّما تکون للحق تعالی رب الکلام الذی عندما یمارسه بممارسهٍ سلیمه تعجز قدره البشر عن السیطره أو التر کیز أو الإحاطه بها.

ثانیاً: إنَّ ما ورد فی بیانات أهل البیت (علیهم السلام) إنَّ الالتفات له أقسام عدیده فی القرآن غالباً ما یتغیر إسناد الجمل باستمرار فقد یتغیر الإسناد من مخاطب إلی آخر، ومن متکلم إلی آخر أو یتغیر أحدهما أو کلاهما، وقد یختلف فی الآیه الواحده بلْ فی الجمله الواحده إذا کان فیها أوصاف وإسنادات متعدده، فضلاً عن السوره والسور بأنْ یکون صدرها فی شیء ووسطها فی شیء آخر، وذیلها فی شیء ثالث.

ثالثاً: إنَّ استعمال مثل هکذا قاعده ونظام فی اللغه العربیه قلیل لصعوبه القدره فی السیطره علی استعماله فمن الصعوبه بمکان أنْ تذکر جمله مبتدأ مثلاً ثم تذکر خبر أوَّل وخبر ثانٍ وخبر ثالث، والحال إنَّک تر ید مبتدأً غیر المبتدأ فی الخبر الثانی، وفی الثالث مبتدأً غیر الأوَّل والثانی وهکذا.

رابعاً: لعلَّ أحد أسباب صعوبه قاعده الالتفات فی القرآن باعتبار أنَّ خطاب القرآن الکریم یتعدد ویتبدل بشکل خفی غیر متنبه إلیه، ولعل هذا

أحـد أهم أسـباب إخفاق المفسـرين من الوصول إلى مراد الآيات والسور وليعلم المفسِّر إنَّ من أوليات تفسـير القرآن الكريم أنَّ يُراعى المُفَسِّر هذهِ القاعده – الالتفات – وإلّا سوف يُشق به مسار التفسير بعيداً جداً عن حقيقه تفسير القرآن.

إذنْ إذا لم نمكث مليّاً فى قاعـده الالتفـات ولم نراعهـا حفيـاً سوف نخفق عن الوصول إلى المطـالب العلميه والنكـات والآيـات القرآنيه، وكـذا فى الروايات بحسب توصـيات أئمه أهل البيت (عليهم السـلام) فى الاهتمام بهـذهِ القاعده فى تفسـير القرآن؛ لأنَّ تفسـير القرآن هو تفسـير لكلام الله وليسَ على حد كلام البشر، وإنْ لم يكن ورد لفظ الالتفات بنفسه فى الآيات والروايات وإنَّما ورد معناه.

إذنْ الالتفـات: هو أنْ يتكلم المتكلم بكلاـم يخـاطب به مخاطباً ثم يلتفت ويوجه خطابه إلى مخاطب آخر ثم إلى ثالث ثم... الخ وهذا معناه أنَّ خطاب المتكلم يكون متوجهاً إلى أكثر من مخاطب فيتكلم مع الطرف الأوَّل ولم يسـتتم كلامه بَعْدُ فيحوِّل كلامه وطابه إلى طرف ثانٍ وقبل أنَّ يسـتمم كلامه مع الثانى يرجع إلى الأوَّل أو ينتقل إلى ثالث وهكـذا، علماً أنَّ المتكلم والحال هذهِ لم يجعل فواصل ومنبهات للانتقال من طرف إلى آخر وإنَّما مسترسلاً بكلامه بنسق واحد، فمن لم يكن له دربه وخبره فى ذلك يحسـبه كلاماً واحـداً ومتكلماً واحـداً ومخاطباً واحـد ولعل الحال ليسَ كـذلك، فلعلَّ المتكلم يُحرِّك خطابه إلى متعددين، فقد يتبدل المخاطَب دون المخاطِب والمتكلم أو بتبديل المخاطِب دون المخاطب (السامع) أو بتبديلها معاً.

ولذا حذَّر أهل البيت (عليهم السلام) من أنْ يعيش القارئ للقرآن فضلاً عن المُفَسِّر

حاله الغفله وعـدم الالتفات إلى تبدل المخاطَب أو المخاطِب أو كليهما. وعدم الالتفات إلى هذهِ التلاوين المتنوعه والعيش حاله العفويه وعدم الالتفات إلى مثل هذهِ النكات فإنَّ لها تأثيرها البالغ الأهميه على معنى الآيات والسور القرآنيه المباركه.

إذنْ قاعـده الالتفات فنٌّ بـديع وعظيم تُمارَس فى تراكيب القرآن الكريم كثيراً حسب كلام أمير المؤمنين (عليه السـلام) مثلاً فى أسـباب النزول فإنَّها مختلفه بلحاظ الآيه الواحـده كما تقـدم، وسـيأتى تفصـيل كل ذلك فى قاعده أسـباب النزول، وإنَّما ذكرت قاعده أسباب النزول كشاهد على قاعده الالتفات.

فقاعده الالتفات تؤثر كثيراً على كثير من الاسـتظهارات التفسـيريه، سواء فى علم الفقه - أى فى مجال الاستنباط - أو فى أى علم آخر من العلوم الدينيه كالعقائد والفقه والتفسير و... الخ بلْ وغير العلوم الدينيه.

سبب عدم تركيز أغلب المفسرين على قاعده الالتفات

أكّدت بعض الروايات وبيّنت أنَّ من الأسباب الكبيره الخطأ المفسرين حيث أنَّهم لا يصلون إلى معرفه كنه كلام الله تعالى؛ ذلك بسبب ابتعادهم عن رعايه المعصوم، ولا يصلون إلى الالتفات إلى ذلك إلّا بالرعايه التعليميه من أئمه أهل البيت (عليهم السلام) إذْ لم يسترشدوا بتعاليمهم (عليهم السلام) ووصاياهم العلميه فإنَّهم سوف يخفقوا فى التنبأ إلى نكات قاعده الالتفات وتلاوينها وتنوعها فى التفاتات القرآن بشكل متكثر إلى ما شاء الله.

ولعلَّ سائل يسأل: لِمَ هذهِ الصعوبه؟

فإنَّه ليسَ من السهل خَلق المُفَسِّر للأحجيه واللغز من القرآن الكريم، وإنَّما هذهِ الشبكيه فى تنويع خطاب القرآن بمثابه سدود فلعلَّ المُفَسِّر المتدبر يصل إلى منطقه السد الأوَّل وحدودها من مخارج الآيات والسور، إلّا أنَّ وصوله إلى منطقه أعمق يحتاج إلى الالتفات إلى وجود سدود أُخرى أعمق، فكيف يتجاوزها إلى ما وراءها.

إذنْ المعنى الأوّلى الذى هو رَحِبٌ وفيه سِعَهٌ فإنَّ بإمكان كل مُفَسِّر الوصول إليه وإنَّما الكلام فيما بعد المعنى الأولى من المعانى العميقه، فهنا يحتاج المُفَسِّر إلى الالتفات ورعايه تعليميه خاصه من قبل المعصوم (عليه السلام) للمنظومه الشبكيه فى الخطاب القرآنى فمثلاً الروايه التى رواها السيد المرتضى (رضى الله) فى كتابه المحكم والمتشابه عن أبى زينب النعمانى فى تفسيره عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يمزج بين حديثه وحديث

جده أمیر المؤمنین (علیه السلام):

«واعلموا رحمکم الله أنَّ من لم یعرف من کتاب الله الناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمحکم والمتشابه والمبهم من القرآن فی ألفاظه المنقطعه والمؤتلفه»(۱).

وحیث اشتملت هذهِ الروایه علی بنود علمیه ضخمه لسنا الآن بصدد بیانها - ستأتی فی بحث المحکم والمتشابه - حفاظاً علی وحده سیاق الکلام وأخذ محل الشاهد منها. إذْ لو قارنا بین الروایات الصادره عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) المتضمنه لبیان المنهج التفسیری بحسب مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) التی صدرت فی القرن الأوَّل والثانی الهجری وما أودع فیها من قواعد أصیله فی منهج التفسیر تعتبر أسس بنیویه شامخه لدی علماء التفسیر عند کافه المسلمین، وهذهِ القواعد التی بیّنتها روایات أئمه أهل البیت (علیهم السلام) لیست مختصه بالتفسیر فقط بلْ تتعدی لمثل الفقه والأصول والحدیث والرجال والعقائد وباقی فنون المعرفه، فی ذکره أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی علم الرجال وفی اختلاف الحدیث.

ما رواه الشیخ الکلینی عن علی بن إبراهیم بن هاشم عن أبیه،، عن حمّاد بن عیسی عن إبراهیم ابن عمر الیمانی عن أبان بن أبی یعیش عن سلیم بن قیس الهلالی، قال: قلت لأمیر المؤمنین (علیه السلام) إنی سمعتُ من سلمان والمقدار وأبی ذر شیئاً من تفسیر القرآن وأحادیث عن نبی الله (صلی الله علیه و آله) غیر ما فی

۱- (۱) السید علی بن الحسین المعروف بالسید المرتضی فی کتبا المتشابه والمحکم فی القرآن یروی عن ابن أبی زینب النعمانی - تلمیذ الکلینی - صاحب کتاب الغیبه وللأسف لم یبق من هذا التفسیر إلّا رساله یسیره رواها السید المرتضی باسم رساله فی المحکم والمتشابه وفیها روایات محدوده إلّا أنها تشتمل علی أصول وقواعد تفسیریه هامه.

أیدی الناس، ثم سمعت منک تصدیق ما سمعت منهم، ورأیت فی أیدی الناس أشیاء کثیره من تفسیر القرآن ومن الأحادیث عن النبی (صلی الله علیه و آله) أنتم تخالفونهم فیها وتزعمون أنَّ ذلک کُلَّهُ باطل، أفتری الناس یکذبون علی رسول الله (صلی الله علیه و آله) متعمدین ویفسرون القرآن بآرائهم؟ قال: فأقبل علیَّ فقال: - قد سألت فافهم الجواب: إنَّ فی أیدی الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وکذباً وناسخاً ومنسوخاً، وعامّاً وخاصّاً، ومحکماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً و... وإنَّما أتاکم الحدیث من أربعه لیسَ لهم خامس رجلٌ منافقٌ یظهر الإمان مُتصنع بالإسلام لا یتأثم ولا یتحرج أنْ یکذب علی رسول الله (صلی الله علیه و آله)... الخ ورجل ثالث سمع من رسو لالله (صلی الله علیه و آله) شیئاً أمر به ثمَّ نهی عنه وهو لا یعلم أو سمعه ینهی... الخ وآخر رابع لم یکذب علی رسول الله (صلی الله علیه و آله) مبغضٌ للکذب خوفاً من الله وتعظیماً لرسول الله (صلی الله علیه و آله)... الخ.

فذکر أمیر المؤمنین (علیه السلام) أسساً بنیویه متشعبه عن بنود قرآنیه من الآیه المبارکه إِنْ جاءَکُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَیَّنُوا أَنْ تُصِیبُوا قَوْماً بِجَهالَهٍ فَتُصْبِحُوا عَلی ما فَعَلْتُمْ نادِمِینَ ۱.

وهکذا فی أسباب النزلو کعلم مستقل وأنَّ أحد أبحاثه التی ستأتی فی محلَّها هو الآیات والسور المکیّه، والمدنیه فإنَّ أساس تفصیله هو من أمیر المؤمنین (علیه السلام) حتّی قال عبدالله ابن عباس «إنَّما أغرف من نمیر أمیر المؤمنین (علیه السلام)».

إذنْ الأسس التی أسسها أئمه أهل البیت (علیهم السلام) هی أسس ثابته وعظیمه وأساسیه عند کافه علماء المسلمین فی کافه العلوم ولا یُنکرها إلّا من لا ینصف نفسه ولا یحترم البحث العلمی وعقله.

وعليه فلو قارنّا بين ما ورد عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) وبين باقى المدارس الإسلاميه الأخرى فى علم الفقه والأصول والعقائد والرجال و... الخ لوجدنا المُفَسِّر يحتاج فقط ما ورد عن أهل البيت (عليهم السلام)؛ لأنَّها مدرسه وحيانيه متصله بالسماء والوحى بخلاف غيرها فإنَّها من صنع البشر فهى تقرُّ بعجزها وضعفها.

ص:۴۲۴

الضوابط التطبيقيه لقاعده الالتفات

هناك عدَّه ضوابط وموارد تطبيقيه لقاعده الالتفات نذكر بعضها على سبيل الاختصارمنها: -

أولاً: الفصل والأصل - المنقطع والمؤلف - فى كلام القرآن، ولهما محلٌّ عظيم فى علم المعانى وواقعان منه فى الرتبه العليا، ونحن نشير إلى زبدٍ منهما مما يتعلّق بغرضنا أمَّا الفصل - أو الانقطاع - فهو عباره عن ترك الواو العاطفه بين الجملتين - وربما أطلق الفصل على توسط الواو بين الجملتين، والأمر فى ذلك قريبٌ بعد الوقوف على حقيقه المعانى.

وهناك مواضع فى القرآن تنقطع وتنتهى عندها سلسله الحوار وتبدأ بحوار وسياق جديد قد يتبدل فيه المتكلم أو المخاطب أو الموضوع أو... الخ.

فمثلاً فى قصه موسى (عليه السلام) مع فرعون - فإنَّ الجمله وارده على تقدير سؤال يقتضيه الحال - قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ ١. فإنما جاءت من غير واو على تقدير سؤال تقديره: فماذا قال فرعون لما دعاه موسى إلى الله تعالى قال فرعون لمّا دعاه موسى إلى الله تعالى قال فرعون وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ ثم قال موسى قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٢.

أمَّا الوصل: - قدْ ياتى اتصال الجمله مع ما بعدها بالواو وقدْ لا يأتى،

أمَّا الاتصال بالواو كما فی قوله تعالی: أَ فَلا یَنْظُرُونَ إِلَی الْإِبِلِ کَیْفَ خُلِقَتْ وَ إِلَی السَّماءِ کَیْفَ رُفِعَتْ۱.

وأمَّا الاتصال من دون الواو کقوله تعالی: وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ وَ بِالْیَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِینَ۲. ثم قال یُخادِعُونَ اللّهَ وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ ما یَخْدَعُونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ۳. فجرد قوله (یخادعون الله) عن الواو إراده الإیضاح ما سلف من قوله: آمَنّا بِاللّهِ وَ بِالْیَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِینَ.

فمثل هکذا مورد لا یمکن الحکم بوحده السیاق التی قد اتخذها بعض المفسرین من الفریقین شعاراً وفی حاله عدم فرز المطالب وتداخلها، ولأجل الخروج من أزمه ومشکله التشخیص بین عناوین الموضوعات بدقه یلجأ المفسرون إلی مسأله وحده السیاق وهذا بالتالی مؤشر العجز عن فهم المنقطع والمؤلف والمنفصل والمتصل فی تراکیب ألفاظ القرآن الکریم.. الخ.

ولذا کان الغرض من ذکر أمیر المؤمنین (علیه السلام)

«... المبهم من القرآن فی ألفاظه المنقطعه والمؤلفه» عن أبی جعفر (علیه السلام)

«إنَّ رجلاً قال له أنت تقول لیسَ شیء من کتاب الله إلّا معروف... إنَّ للقرآن ظاهراً وباطناً، ومعایناً، وناسخاً ومنسوخاً، ومحکماً ومتشابهاً، وسُنناً وأمثالاً وفَصْلاً، ووصلاً، وأحرفاً وتصریفاً، فمن زعم أنَّ الکتاب مبهم فقد هَلَکَ وأَهْلَکَ»(۱) یعنی أنَّ

۱- (۴) الوسائل، ج ۲۷، ص ۱۸۳ ب ۱۳، من أبواب صفات القاضی، ح ۲۲.

هنـاک مواضع قطع ومواضع وصـل فی القرآن الکریم، ویبین علمـاء التجویـد أنَّ هـذهِ الآـیه المبارکه فیها موضع للوصل مثلاً أو للقطع، فیُسال ذلک العالم بالتجوید من أین عرفت أنَّ هذا الموضع موضعُ فصل أو وصل أو موضع قطع أو... الخ؟

فسوف یجیب أنَّه لاـ یعلمه بالـدقه والمتـانه إلّا من یُحیـط ببحور معانی وحقائق القرآن الکریم، ورباط التجویـد اللفظی بالتجوید الترکیـبی، وکیفیه فرز الجمله الموصوله بـالمؤلفه کـل ذلـک أشـار له المعصوم (علیه السـلام)، ومـا هـذا إلّا مشـهد من مشـاهد الالتفات، وبهـذا تبین أنَّ القطع والوصل قاعـده تنـدرج تحت نظام الالتفات فی القرآن الکریم، وتسـمی هـذهِ القاعده فی ألفاظه المنقطعه والمؤلفه، أو تسمی فی بعض الروایات بقاعده «المؤتلف والمختلف فی ألفاظ القرآن».

ثانیاً: التقـدیم والتأخیر: بأنْ یکون حق الکلام أنْ تقـدم هـذهِ العباره وتؤخر تلک لـدواعٍ وأغراض أکثر تأثیراً فی نفس السامع قدْ تکون الـدواعی بلاغیه أو نحویه أو أدبیه أو لغویه أو... الخ أو لغرض أنَّ المُفَسِّر مثلاً إذا بدأ بوحده السیاق ظن أنَّ المتأخر ذکراً هو متأخر معنی والحال أنَّه غیر متأخر مثلاً قدّمه لنکته تعدد اللفظ ومتأخر معنی أو بالعکس.

والتقدیم والتأخیر وإنْ کان قاعده مستقله إلّا أنَّه یمکن جعلها مورداً من موارد قاعده الالتفات.

فالمُفَسِّر إذا حسب أنَّ آیات القرآن فی ترتیب استرسالی صـرحی وانسـیابی واحد فهذه بادره خطأ یقع فیها المُفَسِّر وعلی المُفَسِّر أنْ یعیش الیقظه التامه لمراعات هذهِ الآلیه والتلاوین فی خطاب القرآن الکریم وکذا

الحديث والروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام).

وخير شاهد على التقديم والتأخير: الآيه الناسخه والآيه المنسوخه، فنلاحظ أنَّ عند مفسر علماء الإماميه فى موارد عديده يرون: - أنَّ الآيه الناسخه متقدمه على الآيه المنسوخه ذكراً، مع أنَّ العكس لوكنا نراعى الترتيب الزمنى فالعكس هو الصحيح بأنَّ تكون الآيه الناسخه متأخره زماناً عن الآيه المنسوخه.

إذنْ لعلَّ القرآن الكريم يقدم ذكر الناسخ الذى لعله متأخر زماناً والمنسوخ أُخر ذكره مع أنَّه متقدم زماناً.

وعليه فالمُفَسِّر إذا لمْ يكنْ مستفيقاً من غفله عدم الانتباه والتنبه، وأنَّ هناك قاعده مهمه وهى قاعده التقديم والتأخير فى القرآن، بغض النظر عن مسأله وحده السياق وما يتشبث به المُفَسِّر غير الملتفت والتى تمثل مؤشر العجز عنده، وأنَّ هناك ناسخ متقدم ومنسوخ متأخر لمْ يكنْ عنده توالد استرسالى وامتيازى وإنَّما يصبح العكس، بغض النظر عن مسأله لماذا قُدِّم الناسخ وأخر المنسوخ وإنْ كان الناسخ متأخر عن المنسوخ واقعاً، ولكنْ فى القرآن ترى عكس هذا الترتيب إمَّا بسبب أنَّ طريقه جمع آيات القرآن هى كما عليه الآن أو لدواعٍ أُخر.

إذنْ المُفَسِّر الذى لمْ تكن عنده يقظه عاليه إلى وجود قاعده التأخير والتقديم فى القرآن فسوف تضيع عليه حقيقه المراد فى الآيات، ولذا وَرَدَ فى بعض تعبيراتهم (عليهم السلام) أنَّ المُفَسِّر إذا لمْ يلتفت إلى وجود مثل هذهِ النكات فى القرآن فكيف يدعى التفسير؟

وهكذا أمثله آخرى للتقديم والتأخير نحو:

١ - التقدم بالزمان: - كتقدم الشيخ على الشاب، والأب على الأبن فإنَّ الوالد وحده زمان لمْ يوجد فيه الابن، فهذه المعانى كلها عقليه، فما كان منهما متقدماً على غيره سواء كان التقدم بالعله على المعلول كتقدم الكون على الكائنيه، والعلم عن المعالميه أو التقدم بالذات كتقدم الواحد على الاثنين على معنى أنَّ الوحده لا يمكن تحقق الأثنينيه إلّا بعد سبقها أو التقدم بالشرف كتقدم الأنبياء على الاتباع، والعلماء على الجهال فإنَّه تقدم معقول أو تقدم بالمكان كتقدم الإمام عن المأموم، ونحو من تقدم من يَقرُب إلى الحائط دون من تأخر عنه، فمن يلى الحائط فإنَّه يُقال عنه، - أنَّه سابق على من تأخر عنه أو... الخ فإنَّ من كان متقدماً على غيره فى هذهِ الاعتبارات كان فى العباره كذلك اتباعاً للمعانى بالألفاظ.

فمن التقدم بالزمان: كقوله تعالى: وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَساكِنِهِمْ١.

وهكذا قوله تعالى: وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ٢ فإنَّ الظلمه سابقه على النور؛ لأنَّ الحق أنَّ الظلمه هى عدم النور، وليست أمراً ثبوتياً، ولا شك أنَّ عدم الشىء سابق على وجوده؛ لأنَّ العدم بلا أول والوجود يتلوه، فلهذا كان تقدم الظلم على الأنوار من باب تقدم الأزمنه.

وهكذا القول فى الظلمه المعنويه؛ لأنَّها إذا أريد بها الجهل والكفر فإنَّها تكون سابقه على النور المعنوى وهو العلم والإسلام ويؤيده قوله تعالى: وَ اللّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ٣

فانتفاء العلم ظلمه معنويه مجازيه فهى متقدمه بالزمان على نور الإدراكات الخمسه كلها، وقوله تعالى فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ۱ يريد ظلمه البطن والرَحِم والمشيمه(۱).

۲ - التقدم بالشرف: كقوله تعالى: فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ۳ وقوله وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ۴ فإنَّ الوجه أشرف من اليد، والرأس أفضل من الرجل، ومنه قوله مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ۵ فإنَّ النبى أشرف من الصدّيق، وقوله وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِينَ۶ فإنَّ الشهداء على درجه من غيرهم من أهل الصلاح.

ثالثاً: التجريد: فى أصل اللغه هو: - إزاله الشىء عن غيره فى الاتصال فيقال: جرَّدت السيف عن غمده، وجردت الرجل عن ثيابه إذا أزلتهما عنهما، ومنه قوله (عليه السلام) «لا مدَّ ولا تجريد» يعنى فى حدِّ القذف وحدِّ الشرب، وأراد أنَّ المحدود لا يُمد على الأرض ولا يجرد عن ثيابه.

وأمَّا فى اصطلاح البلاغيين: فهو مقولٌ على إخلاص الخطاب إلى غيرك وأنت تريد به نفسك وقدْ يطلق على أخلاص الخطاب على نفسه خاصه دون غيرها.

وهو من محاسن علوم البيان ولطائفه، وقدْ استعمل على ألسنه الفصحاء

۱- (۲) الطراز يحيى العلوى اليمانى ص ۲۳۰.

كثيراً فصار مقولاً على هذين الوجهين: -

الوجه الأوَّل: التجريـد المحض: - وهو أنْ تأتى بكلام يكون ظاهره خطاباً لغيرك وأنت تريـده خطاباً لنفسك فتكون قـدْ جردت الخطاب عن أنفسك وأخلصته لغيرك فلهذا يكون تجريداً محققاً.

إلامَ يَراكَ المجدُ فى زيِّ شاعر وقدْ نَحَلَتْ شوقاً فروع المنابر

كَتَمْتَ بعيب الشعر حِلماً وحكمةً ببعضهما ينقادُ صعبُ المفاخِرِ

أمَّا وأبيكَ الخير إنَّكَ فارسُ ال - مقال ومُحْبى الدراسات الغوائرِ

وإنَّك أَعْيَيْتَ المسامِعَ والنُهَى بقولك عمّا فى بطون الدفاترِ

فهـذا وما شاكله أحسن ما يوجـد فى التجريـد، ألا تراه فى جميع هذهِ الخطابات ظاهرها يُشـعر بأنَّه يخاطِبُ غيره والغرضُ خطابُ نفسه، وهذا هو السرُّ واللباب فى التجريد.

الوجه الثانى: التجريـد غير المحض: وهو أنْ تجعل الخطاب لنفسك على جهه الخصوص دون غيرها وفى التفرقه بين هذا والأوَّل ظـاهره فإنـك فى الأـوَّل جردت الخطـاب لغيرك وأنت تريـده لنفسـك، فإطلاـق اسم التجريـد عليه ظـاهرٌ، بخلاف الثانى، فإنَّه خطابٌ لنفسك لا غير.

ومثال الثانى ما قاله بعض الشعراء:

أقولُ للنفس تأساءً وتعزيه إحدى يدىَّ أصابتنى ولم تردِ

فهو قدْ خصَّ الخطاب لنفسه، بأنَّ إحدى يديه أصبحت عاطله.

وما قاله الأعشى:

وَدِّع هُرَيرَه إنَّ الركب مُرْتَّحِلُ وهل تطيقُ وداعاً أيُّها الرَّجُلُ

وأيضاً قصر الأعشى الخطاب فى هذا البيت على نفسه دون غيره(۱).

إذنْ التجريد: - هو أنْ ينتزع من أمرٍ ذى صفه آخر مثله، وفائدته المبالغه فى تلك الصفه كقولك: مررتُ بالرجل الكريم والنسمه المباركه، فجردت من الرجل نسمه مباركه فتصفه بالبركه وعطفتها عليه كأنها غيره وهو هو(۲).

أقولُ: - من المعلوم أنَّ النفس الإنسانيه ذو طبقات، وعنوان التجريد وإنْ كان قدْ ذُكر فى علم البلاغه فى الفن الثالث: علم البديع كمحسِّن بديعى ولكنَّه كما تقدم له أصل عقلى من أنَّ الذات الإنسانيه الواحده ذات طبقات وذات قِوى جوهريه متعدده فهى بمثابه جواهر عديده لكل منها طابع خاص ومقتضيات ومتطلبات خاصه متميزه، فمن ثمَّت تعددت شخصيه الإنسان وكأنما إلى أشخاص وحقائق.

ومثال ذلك ما وَرَدَ فى الحديث القدسى المروى عند الفريقين عندما نزل جبرائيل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه و آله) لمنع أبى بكر تبليغ سوره البراءه عن النبى (صلى الله عليه و آله) حيث جاء الخطاب الإلهى لرسول الله (صلى الله عليه و آله) على لسان جبرائيل: يا محمد لا يُبلِّغ عنك إلّا أنت أو رجلٌ منك.

فَفُرض أنَّ هناك مُبلَّغ وهو الرسول (صلى الله عليه و آله) ومبلِّغٌ عنه فى نفس ذات الرسول (صلى الله عليه و آله) وكأنَّما يوجد شخصان وهذا إشارةٌ إلى المقام النورى للنبى (صلى الله عليه و آله) وقلبه المبارك لا يبلِّغ عنه إلّا بدن النبى (صلى الله عليه و آله) وفمهُ المبارك أو شخص أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) فصار كُلّ من نفس أمير المؤمنين (عليه السلام) ونفس النبى (صلى الله عليه و آله) النازله يتلقون من مِعْدِنٍ واحد، وهو قلب ونور النبى، وهذا نمطٌ

۱- (۱) الطراز، ص ۴۳۴.

۲- (۲) خزانه الأديب للحموى.

من التجريد.

وهكذا قوله تعالى: وَ طَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّهِ ١ فإنَّ فاعل (يخصفان) و (طفقا) و (عليهما) هو آدم وحواء هكذا ينبغى لوحده السياق، إلّا أنَّ المراد بالإسناد فى (طفقا يخصفان) يعنى الملكين مع آدم وحوّاء يخصفان على آدم وحواء.

رابعاً: الابتداء والانتهاء: - أيضاً من الأمور التى ينبغى على المُفَسِّر معرفتها هو أنَّه لابدَّ أنْ يعرف متى يبتدأ الحديث فى القرآن عن موضوع معين ومتى ينتهى وإلّا إذا لمْ يعرف المُفَسِّر ابتداء الموضوع فى الآيه وأين انتهائه فإنَّه لمْ يكنْ عنده البحث التفسيرى القرآنى حول موضوع معين منتظماً ومتسلسلاً وإنْ كان فى واقعه متسلسلٌ ومنتظم إلّا أنَّ المُفَسِّر لمْ يعرف ذلك النظام والتسلسل وبالطبع إذا لمْ يراجع المُفَسِّر البيانات العلميه الموجوده فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) فكيف يمكنه حينئذٍ أنَّ ينفرد بجهده المحدود، وهذا ينتهى إلى ما لا تحمد عقباه وينتج نتائج غير متوازنه وغير صحيحه.

خامساً: السؤال والجواب: من الواضح والبهديهى إنَّ السؤال له جوانب وقرائن إلّا أنَّ السؤال ليسَ مرتبطاً بصياغه السؤال وإنَّما مرتبط بصياغات أُخرى، وأنَّ هذا الكلام جواباً عن ذلك السؤال، وهذا معناه أنَّه هنا يوجد وصال لا انقطاع، وعليه فهذا نوع من الالتفات؛ لأنَّ السائل متكلم غير المجيب، والمجيب متكلم آخر غير السائل، والمُفَسِّر إذا لمْ يميز أنَّ هذا سؤال وذاك جواب أو ظن أنَّ المتكلم واحد، وهو وإنْ كان خطاباً واحداً إلّا أنَّ له خطابان خطاب السؤال وخطاب الجواب.

وهناک نماذج وموارد تطبیقیه لقاعده الالتفات فی القرآن الکریم بیَّنهما الإمام غیر ما تقدم مثل المستثنی منه والجار والمجرور والصفه والمؤکد و المُفَسِّر والموصول من الألفاظ والمحمول علی ما قبله وعلی ما بعده و... الخ.

والروایه التی ذکرها أمیر المؤمنین (علیه السلام) وکذا الإمام الصادق (علیه السلام)

«... ومقدم ومؤخر ومنقطع وموقوف ومنقطع غیر موقوف، وحرفٌ مکان حرف ومنه آیات بعضها فی سوره وتمامها فی سوره أخری»(۱).

سادساً: «منه آیات بعضها فی سوره وتمام الآیه فی آیه أو سوره أُخری» وذلک بأنْ یحتمل المُفَسِّر أنَّ هذهِ الآیه فی هذهِ السوره وتمامها فی آیه أو سوره أُخری فإنَّ بعض الآیات صدرها فی آیه أو سوره وتتمتها بآیه أو سوره أُخری، وللأسف هذا الباب لم یفتق بوسع فی القرآن ولعلَّ أکثر المفسرین من الفریقین فی غفله عنه إلّا من ندر.

فمثلاً ما جاء فی سوره الحشر لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِینَ الَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ یَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً وَ یَنْصُرُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِکَ هُمُ الصّادِقُونَ۲ وقوله تعالی: وَ الَّذِینَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِیمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ یُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَیْهِمْ وَ لا یَجِدُونَ فِی صُدُورِهِمْ حاجَهً مِمّا أُوتُوا وَ یُؤْثِرُونَ عَلی أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۳ فإنَّ مثل قوله تعالی وَ لَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ هو تتمه لآیات أُخر فی سوره الدهر بحسب بیانات أهل البیت (علیهم السلام).

۱- (۱) البحار، ج ۸۹.

وهكذا ما جاء فی سوره الأحزاب فی آیه التطهیر یا نِساءَ النَّبِیِّ لَسْتُنَّ کَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَیْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَیَطْمَعَ الَّذِی فِی قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً وَ قَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِیَّهِ الْأُولی وَ أَقِمْنَ الصَّلاهَ وَ آتِینَ الزَّکاهَ وَ أَطِعْنَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً۱.

هاتان الآیتان المبارکتان یمکن أنْ یستفاد منها أکثر من مطلب: -

المطلب الأوَّل: صلوحها شاهد علی الالتفات وعلی المورد الذی نحن فیه من أنَّ صدر الآیه فی مجال وذیلها فی مجال آخر - وهذا من برکات النقاش العلمی الذی حصلت منه یقظه والتفات إلی ما بینه أهل البیت (علیهم السلام) وذلک ببیان: -

الخطاب فی الآیه الأُولی موجّهٌ إلی النساء بقرینه نون الإناث فی قوله تعالی - لستُنَّ، وقَرْن واطعنَ، وتبرجن، وآتین - ثم عدل القرآن خطابه إلی - لیذهب عنکم - فهنا المخاطَب أو المخاطِب تغیر، وسواء تغیّرا کلیاً أو جزئیاً.

وهکذا انتقال الآیه المبارکه من التعبیر [بیوتکن] إلی التعبیر إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ فهناک عبّرت (بیوت) وهنا (بیت).

وعلیه فمثل هذهِ الآیات المبارکه لا مشکله فیها إذْ وقعت محلاً للبحث العلمی

والمجادله فحصلت يقظه والتفات من قبل المفسرين إلى ما ذكره وبيّنه أهل البيت (عليهم السلام).

وإنَّما الكلام فى الآيات الأُخرى التى لمْ تقع موضوعاً للبحث العلمى والمجادله فإنَّ مثل هذهِ الآيات ينبغى الالتفات إليها وإعمال قاعده ونظام الالتفات فيها بموارده المختلفه من التقديم والتأخير، والسرد والقصصى والابتداء والانتهاء و... الخ.

المطلب الثانى: مفاد صدر الآيه الأُولى عدم عصمه ازواج النبى (صلى الله عليه و آله) عن الوقوع فى الخطأ ولذلك حذرهُنَّ ونبهنن من ارتكاب الأخطاء من تبرج أو خروج من البيت أو إتيان الفاحشه وأنَّ من تأتِ الفاحشه منكن يضاعف لها العذاب ضعين.

المطلب الثالث: إنَّ صدر الآيه الأُولى فيه تهديد وتفريع وإنذار وإرهاب ومحاسبه واشتُرط فيها الحذر من إمكانيه صدور الذنب، ومفادها الالتزامى: - أنَّه لا عصمه لأزواج النبى (صلى الله عليه و آله) إلّا بالتقوى، وأنهن: - لستن كأحد النساء ولكنْ مشروط: - أنَّ اتقيتن وبخلافه أى إنْ لمْ تتقين فانت كأحد وكسائر النساء والباقيات أى لا ميزه للزوجيه التى تأخذ شرفُها من النبى (صلى الله عليه و آله).

المطلب الرابع: ذيل الآيه الثانيه إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً فيه بيان للطهاره والعصمه الذاتيه أى إنَّ الرجس لا يذهبكم.

والفرق فى التعبيرين (ليذهب الرجس عنكم) وبين (يُذهبكم) هو أنَّ الإذهاب بمعنى الإبعاد أى إبعاد التعليم القرآنى فإنَّ الرجس لا يُبعدكم بمعنى أنتم لستم بمقبلين على الرجس كى يبعدكم الله عن الرجس وإنَّما الرجس يريد أنْ يقبل عليكم إلّا أنَّ الله تعالى يقيكم ويُبعده عنكم؛ لانكم معدن العصمه والطهاره وهذا دفعٌ ورفعٌ مجملٌ.

وأمَّا البيـان المفصـل فنقول: إنَّ الإبعاد بمعنى أنَّ الرجس يمكن أنْ يأتى إليكم وعليه فلا فرق ما بينكم وهؤلاء فإنكم لا تبعـدون عن الرجس، بـلْ تبعـدون عن الطهـاره والآـيه [ليـذهب عنكم] فإنَّهـا مـورد من موارد التقـديم والتـأخير كـذلك (ليُـذهب عنكم الرجس] والتقديم هنا يفيد الحصـر كما فى قوله تعالى فى سوره يوسف (عليه السـلام): [ليصـرف عنه السوء] بمعنى أنَّ الله تعالى يصـرف السوء عن يوسف (عليه السـلام) ولم يقل ليصرف يوسف عن السوء إذْ لو كان ليصرف يوسف (عليه السلام) عن السوء لكان معناه - والعياذ بالله - أنَّ يوسف مقبل على السوء، والحال جاء التعبير القرآنى بالعكس، وإنَّما لصرف السوء وهو فعل زليخا عن يوسف (عليه السـلام) لاـ أنَّه يصـرف يوسف عن زليخـا فـإنَّ يوسف (عليه السـلام) ليسَ بمقبـل وإنَّما هى - زليخا - المقبله بـدليل ما ذكرته الآيه المباركه قالَتْ ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً... وَ شَـهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ١ فالمقبل هى زليخا وليسَ يوسف النبى (عليه السـلام). ولذا عبَّرَ القرآن [لنصـرف عنه السوء](١) وهذا إشاره لطهـاره يوسف (عليه السـلام) وعصـمته الـذاتيه، بـلْ وعصـمته كحصانه وسـياج وقائى، لم تلبسك الجاهليه من مـدلهمات ثيابها باعتبار أنَّ يوسف (عليه السلام) ليست فيه جاهليه ولا مدلهمات ولم تنجسه الجاهليه بأنجاسها؛ لانه من معدن فطره طاهره.

فائده: من باب الكلام يجر الكلام وإنْ لم يكن موضوع بحثنا وخروجاً عن محل البحث - لكن ما دام تعرضنا فى مبحث الالتفات للآيه المباركه إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً٣ وقع

۱- (۲) سوره يوسف: الآيه ۲۴.

الكلام بين المفسرين وأرباب العلم حول أمرين: -

الأوَّل: هل تدخل فى بيت الرجل زوجاتُه أو لا؟

الثانى: ما المراد من البيت فى الآيه [... أهل البيت] وأى بيت هو؟

أمَّا جواب الشق الأوَّل: فقد أجاب الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) عن سؤال وجهه له معاويه أو أصحاب معاويه بمحضر معاويه(۱) وهو أنَّه إذا كان أهل البيت أولهم النبى (صلى الله عليه و آله) فبيت مَن الذى أولهم النبى (صلى الله عليه و آله)، وإنَّ النبى (صلى الله عليه و آله) له أهل فبيت مَن هذا الذى النبى (صلى الله عليه و آله) أوَّل أهله؟

إذنْ هل يصدق على أهل بيت الرجل أنَّهم أهلُ بيته أو لا؟

والجواب: وإنْ كان عبدالله بن عباس (رضى الله) أجاب بأنَّ زوجه الرجل لا تدخل فى أهل بيته بقرينه أنَّ تلك الزوجه الحنون التى يعيش معها الزوج عمراً من الزمن ومع ذلك يطلقها وتعود أجنبيه لا صله لها بالرجل ولا ببيته - وإنْ كنّا لا نحتاج لمثل هذا الكلام وإنَّما نريد التعرف على أن لأهل البيت معنى آخر أو لا.

وأمَّا جواب الشق الثانى: - أعنى ما المراد من البيت فى الآيه المباركه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت - أيضاً أجاب الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) من أنَّ المراد بالبيت هو المسجد النبوى فيكون التقدير: - [أهل بيت المسجد النبوى]، وأوّل أهله هو سيد الأنبياء مع الأربعه الطاهرين - علىٌّ (عليه السلام) وفاطمه (عليها السلام) والحسن (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) - الخمسه أصحاب الكساء، فسدَّ النبى (صلى الله عليه و آله) جميع الأبواب التى كانت مفتوحه إلى داخل المسجد من باب

۱- (۱) راجع الاحتجاج للطبرسى.

العباس بن عبدالمطلب وباب الحمزه من عبدالمطلب وباب... الخ إلّا باب على (عليه السلام) حتّى قال العباس بن عبدالمطلب للنبى (صلى الله عليه و آله) لِمَ يا رسول الله سَدَدْتَ أبوابنا وأبقيت بابه - أى باب بيت على (عليه السلام)؟ فأجابه النبى (صلى الله عليه و آله) لم أفعله من تلقاء نفسى وإنَّما بأمر من الله تعالى ولا يحلُّ ذلك إلّا لى وله - أى للنبى (صلى الله عليه و آله) ولعلى بن أبى طالب (عليه السلام) وذريتنا.

المراد من البيت هو بيت وعرصه النبى (صلى الله عليه و آله) وروضته من رياض الجنه أولهم الخاتم محمد (صلى الله عليه و آله) وبقيه أصحاب الكساء والخيبرى أى خيبرى الملكوت وهم على وفاطمه والحسن والحسين (عليهم السلام).

ومحل الشاهد: لقاعده الالتفات هو أنَّ الكثير من المفسرين التفت وانساق وحسب صرف التعرف (ال -) عوضاً عن الضمير فى (بيته) إذْ لم يعبر القرآن [... أهل بيته] وإنَّما عبَّرَ [... أهل البيت] فلو كان عبَّر [... أهل بيته] فإنَّ الضمير يعود على النبى (صلى الله عليه و آله)، بينما بلحاظ التعبير [... أهل البيت] وملاحظه سياق التعبير السابق [يا نساء النبى...] قالوا بأنَّ الضمير يعود على النبى (صلى الله عليه و آله) بدليل ولحاظ وحده السياق التى ذكرنا سابقاً أنَّ البيانات الوارده عن أئمه الهدى (عليهم السلام) حذَّرت من خطوره محذور وحده السياق الذى أحد محاذيرها ما نحن فيه بأنَّ فهم المفسرون بالقرينه وحده السياق من التعبير القرآنى الصادر فى صدر الآيه وبين ذيلها فعدّوا الضمير لنكته وحده السياق على النبى (صلى الله عليه و آله)، ولكن الأمر ليسَ كذلك.

إذنْ ليسَ المراد من البيت هو أهل بيت النبى (صلى الله عليه و آله) حتّى تقول الزوجات داخله أو لا، وإنَّما المراد من البيت هو روضه المسجد النبوى ذات الرفعه النوريه المقدسه.

مثال آخر: لمورد أنَّ الآیه بعضها فی سوره وبعضها الآخر فی نفس السوره أو سوره أخری - ما ورد فی سوره الحشر ما أَفاءَ اللّهُ عَلی رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُری فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ...۱.

وقوله تعالی فی نفس سوره الحشر فی آیه أُخری: وَ الَّذِینَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِیمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ یُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَیْهِمْ وَ لا یَجِدُونَ فِی صُدُورِهِمْ حاجَهً مِمّا أُوتُوا وَ یُؤْثِرُونَ عَلی أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۲.

وقوله أیضاً فی سوره الحشر: لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِینَ الَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ یَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً وَ یَنْصُرُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِکَ هُمُ الصّادِقُونَ۳.

وقوله تعالی: وَ الَّذِینَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ یَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِینَ سَبَقُونا بِالْإِیمانِ وَ لا تَجْعَلْ فِی قُلُوبِنا غِلًّا لِلَّذِینَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّکَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ۴.

هذهِ الآیات الأربع من سوره الحشر کأنما تکلمت عن طوائف ثلاث وهم: - المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان نظیر ما وَرَدَ فی سوره التوبه وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِینَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِینَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِیَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها أَبَداً ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ۵.

بینما نشاهد فی بیانات أهل البیت (علیهم السلام): أنَّ المهاجرین والأنصار لیسَ

عنوانان متباينان بالضروره، فإنَّه يد يكون شخص واحد مهاجرٌ وأنصارى عكس ما حَسِبَه كثير من المفسرين بأنَّ خطاب القرآن فى هذا المقطع من الآيه المباركه متعدد ومتنوع والحال أنَّه موحَّد وغير متعدد، وهذا ناشئ عن تخيل وحده السياق فى المقام وليسَ الأمر كذلك.

وتوضيح ذلك: أطلقت كلمه - المهاجرين والأنصار - فى الآيه وهى تدلُّ على الجمع والحال قدْ يكون المراد بها شخص واحد، نظير ما تقدم فى قوله تعالى: إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ١. فإنَّ الخطاب الذى هو موجَّه لجمعٍ يُراد به شخصٌ واحد، وهكذا العكس قدْ يأتى لفظ مفرد ولكنْ يُراد به الجمع عكس ما عليه الشاكله الصوريه فى الألفاظ، وعليه فلابدَّ أنْ يلتفت المُفَسِّر الكريم إلى عدم الاغترار والسير وراء صوره الخطاب؛ لأنَّ عدم الالتفات إلى تشعبات قاعده الالتفات فى القرآن الكريم فإنك سوف تنساق صورياً مع صوره الخطاب الذى يوقعك بهوّه وحده السياق الذى حذَّر منه أهل البيت (عليهم السلام).

واستعمال القرآن لقاعده الالتفات فى هذهِ الآيه المباركه على خلاف الصوره والشاكله الأوليه فى خطاب القرآن الذى تقدَّم.

والسِّرُّ فى ذلك: إنَّ الخطاب متعدد والمخاطب واحد، و المُفَسِّر - إذا لمْ يكنْ ملتفتاً - وبحسب المخاطب أيضاً متعدداً والحال ليسَ كذلك وإنَّما المتعدد هو الخطاب دون المخاطب؛ لأنَّ معنى الهجره والنصره فى القرآن الكريم غير المعنى الذى أسسته المدارس الإسلاميه الأُخرى سواء مدرسه السقيفه أو مدرسه بنى أميه أو بقيه المدارس الإسلاميه.

الهجره والنصره فی مدرسه أهل البیت علیهم السلام

معنی الهجره والنصره الذی بیّنته مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) مدرسه الوحی یختلف عن باقی المدارس الأُخری التی تمسکت بظاهر سطح الألفاظ وبالقشور وترکوا اللبَّ کمدرسه السقیفه ومدرسه بنی أمیه و... الخ.

فإنَّ معنی الهجره فی بیان القرآن الکریم ومدرسه أهل البیت (علیهم السلام) بالتبع المتمثله بأحادیث النبی (صلی الله علیه و آله) والروایات الوارده عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) هوعباره عن: - العزوف عن البُعد عن أحکام الدین ومعارفه، والهجره إلی بیئهٍ سلوکیه أو بیئه ممارسیه أو بیئه أعمال أو بیئه التزام، فإنَّ بیئه غیر الملتزم إذا صار ملتزماً فإنهی قال له هاجر أی هجر ما کان علیه من الجاهلیه برحاب التسلیم والالتزام والتدین، ولذا دائماً القرآن الکریم یؤکِّد علی المهاجره إلی الله ورسوله.

وما جاء فی احتجاج فاطمه الزهراء (علیها السلام) علی أبی بکر وکذا عمر بن الخطاب فی مسجد رسول الله (صلی الله علیه و آله) بعد وفاه رسول الله فیه بیان کاف وافٍ لمعنی الهجره والنصره.

فقدْ روی عن المفضّل بن عمر قال: -

قال مولای جعفر الصادق (علیه السلام) لما ولی أبو بکر بن أبی قحافه... ثم سرد (علیه السلام) منعه فاطمه وعلی وأهل بیته الخمس والفیء وفدکاً و... فقالت (علیهما السلام): - إنَّ المهاجرین برسول الله وأهل بیت رسول الله هاجروا إلی دینه، والأنصار بالإیمان بالله ورسوله ولذی القربی أحسنوا فلا هجره إلّا إلینا، ولا نصره إلّا

لنا، ولا إتباع بإحسان إلّا بنا ومن ارتد عنا فإلى الجاهليه(۱).

ما ذكرته الزهراء (عليها السلام) فى خطبتها من قوله تعالى: ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ۲.

بمعنى أنَّ ما أفاءه الله على رسوله (صلى الله عليه و آله) من الثروات العامّه فهو لنا وولايته بيد عليّ وفاطمه والحسن والحسين (عليهم السلام).

فقال الخليفه الثانى: إذنْ ما المقصود من المهاجرين والأنصار فى الآيه: لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً وَ يَنْصُرُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمّا أُوتُوا وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۳.

وذكرت الزهراء (عليها السلام) ما مضمونه أنَّ المهاجر من هاجر إلينا لا من هجرنا، والأنصار من نصرنا ولم يكن عوناً علينا... الخ.

إذنْ الهجره التى بينها القرآن الكريم وأئمه أهل البيت (عليهم السلام) هى الهجره إلى الله وإلى الرسول ولم يهاجر إلى امرأه جميله يكتسبها أو مال يُصيبه أو... فمثل هذهِ الهجره ليست هجره إلى الله وإلى رسوله.

ولذا كانت هناك نماذج هاجرت مع رسول الله من مكه إلى المدينه وتحملوا ما تحملوا من مصاعب الطريق وفراق الأهل والبلد و... الخ

۱- (۱) الكشكول فى ما جرى على آل الرسول ۲۰۳-۲۰۵؛ وبحار الأنوار ج ۱۹۴/۲۹ ح ۴۰، نقلاً عنه.

ولكن وللأسف لم تكن هجرتهم مبتنيه على نوايا ومقاصد دنيويه بحته كالحصول على المال أو المنصب الدنيوى أو الجاه أو السُمعه أو جاريه يسترقها أو... الخ فالهجره التى يريدها الله ورسوله بأنْ يهجر الإنسان ما كان عليه من سلوك جاهلى ويهاجر إلى التقوى والورع وهذا ما نعبر عنه بالالتزام الدينى، وإنْ لم يهاجر ببدنه جغرافياً وبقى فى بيئته التى كان يعيش فيها إلّا أنَّه انتقل وهاجر بسلوكه وبعقائده ومعارفه من الضلال إلى هدى الهجره كما هو الحال فى الأخوه المستبصرين والذين استبصروا هدى الإيمان وتركوا ما كانوا عليه من ضلاله الانحراف العقائدى والفكرى، وهذا بالتالى يصدق عليه أنَّه هاجر من الضلال إلى الهدايه ولسنا الآن بصدد بيان أنَّه لا هجره بعد الفتح اعتمادُ بعضٍ ربما على الحديث النبوى ويريد أنْ يبين أنَّ معنى الهجره بعد الفتح لا يتحقق و... إنَّما نريد أنْ نبيِّن أنَّ الهجره لم تنقطع ولا نحبس الهجره على ذلك المعنى الضيِّق وهو الهجره بلحاظ الانتقال الجغرافى فقط، وإنَّما نريد أنْ نوضح معنى الهجره وأنَّها ليست الهجره فقط تلك التى هاجرها النبى (صلى الله عليه و آله) من مكه إلى المدينه والانتقال الجغرافى واتساع حدود دوله الرسول (صلى الله عليه و آله) الجغرافيه واتساع رقعه حكومه النظام الإسلامى، وإنَّما الهجره بمعنى أوسع من الانتقال بالبدن من مكان إلى آخر بما لها من معنى مضافاً إلى الانتقال الجغرافى بالبدن كذلك ترك العقائد الفاسده والأفكار المنحرفه واتباع طريق الهدايه وترك الضلاله، فهذا أيضاً نوع من الهجره.

وهكذا مفهوم النصره لله ولرسوله وأهل بيته فهى ليست خاصه بالأنصارى الذى كان يعيش ببقعه جغرافيه محدوده ك - (يثرب)، ولذا قد يخسر الإنسان ويمزج من صلاحيات وامتيازات كان يتمتع بها بسبب اتباع

أهل الضلال والشرک والکفر فیحرم نفسه من ذلک الخیر الوفیر وتلک الهدایه بسبب اختیاره لهؤلاء الضالین.

وعلی أی حال: قال المفسرون أنَّ قوله تعالی: [من قبلهم] فی الآیه قید [للذین تبؤوا الدار] ولیسَ قیداً للإیمان، ومن الواضح أنَّ هذا خلاف نسق الترتیب للآیه المبارکه [یحبون من هاجر إلیهم]، والحال ربما بعضهم یفسر [والذین تبؤوا الدار] بأنَّ هناک قبائل (تبوءوا الدار) أی حلّوا بها کقبیله الأوس والخزرج والساعده و... الخ، أو الآیه تساعد علی العکس بأنَّ الذی تبوَّء هو من انتقل مع النبی (صلی الله علیه و آله) من مکه إلی یثرب لا بالضروره أنْ یقال لمجموعه من القبائل الیمنیه کالأوس والخزرج و... أنها تبوءات الدار وانتقلت إلی یثرب.

وعلیه فهذا تمحل وتکلف فی عود الضمیر فی [من قبلهم] إلی أی فقره من الفقرات السابقه من الآیه أو السوره وهذا بخلاف ما إذا جعلنا هذا التعدد فی العنوان المراد به تعدد فی المخاطب بلْ المخاطب واحد.

ثم قالت الآیه [یحبون من هاجر إلیه] فإنَّ المهاجرین الأوائل یحبون ویحتظنون من هاجر إلیهم فیما بعد، ولذا ورد فی بیانات أهل البیت أنَّ الآیه المبارکه وَ لا یَجِدُونَ فِی صُدُورِهِمْ حاجَهً مِمّا أُوتُوا وَ یُؤْثِرُونَ عَلی أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۱. أنَّها نزلت فی علی بن أبی طالب (علیه السلام) وهو (علیه السلام) من قربی النبی (صلی الله علیه و آله)، بینما لو تتبعنا سیاق الخطاب نجد عود الضمیر علی المهاجرین والأنصار.

بینما حسب قاعده الالتفات والذی أحد ضوابطها: [تفریق المتسق والمتحد وتوحید المختلف] فإنَّه یصبح الخطاب فی الآیه [للفقراء الذین هاجروا] هو أمیر المؤمنین (علیه السلام)؛ لأنَّه أوَّل من هاجر إلی الرسول (صلی الله علیه و آله) وتابعه، وکذلک هو أوَّل من ناصره (صلی الله علیه و آله) وهکذا الحال فی باقی الآیات الأُخری التی یظن أنها فی عموم الصحابه مثل الآیه [السابقون الأولون من المهاجرین والأنصار...](۱) فإنَّ السابق الأوَّل من المهاجرین هو علی بن أبی طالب (علیه السلام)، وسواء قلنا أنَّ حرف الجر فی الآیه [من] بمعنی أوّل من سبق وتجاوز المهاجرین والأنصار فی السبق أو بمعنی (من البیانیه) وهو بیان أنَّ علی بن أبی طالب (علیه السلام) مهاجریٌ وأنصاریٌ، کما کان یقول: عبدالله بن عباس، فإنَّ هذهِ الآیه المبارکه تُناغم ما جاء فی سوره الحشر من قوله تعالی وَ الَّذِینَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ یَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِینَ سَبَقُونا بِالْإِیمانِ۲.

بتقریب: - إنَّ علیَّ بن أبی طالب (علیه السلام) هو السابق للإیمان وأنَّ کُلَّ من سبقه علیٌّ (علیه السلام) بالإیمان فهو مأمور من رب العالمین أنَّ یُحبوا علیاً (علیه السلام) ویوالوه وَ لا تَجْعَلْ فِی قُلُوبِنا غِلًّا لِلَّذِینَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّکَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ۳.

والخلاصه: إنَّه یجب علی کل من هاجر ونصر رسول الله (صلی الله علیه و آله) بعد علی (علیه السلام) أنَّ یُحبِّ علیاً (علیه السلام) ویوالیه ویحرُم علیه أنْ یغل قلبه بالضغن والعداء لعلی بن أبی طالب (علیه السلام)؛ لأنَّ علیاً أوَّل السابقین من المهاجرین والأنصار.

ولذا تعتبر هذهِ الآیات المبارکه من آیات المودّه فی القرآن الکریم

۱- (۱) سوره التوبه: الآیه ۱۰۰.

لأهل البيت (عليهم السلام) ولأمير المؤمنين (عليه السلام) خاصه، وهكذا غيرها كقوله تعالى: لا أَسْئَلُكَمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى ۱.

وعليه فيجب اتباع السابقين بالهجره والنصره بإحسان ومقام الإحسان لا يصل إليه إلّا الأئمه الاثنى عشر (عليهم السلام) للآيه وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِىَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ۲. والذين يتّبع النبى (صلى الله عليه و آله) وعلىّ (عليه السلام) بإحسان هم الأئمه الاثنا عشر فقط لأنّهم الوحيدون الذين يطبقون قواعد الاتباع بإحسان ولذا وَرَدَ فى بيانات أهل البيت (عليهم السلام) فى تفسير الآيه المباركه [والذين اتبعوهم بإحسان] إنَّ أوَّل التابعين هو علىٌّ بن أبى طالب (عليه السلام) والذين اتبعوهم بإحسان هم الأئمه لأحد عشر بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) والتابع لابدَّ وأنْ يكون بدرجه متابعه عاليه وشيعه ولذا وَرَدَ عن الإمام الرضا (عليه السلام): - شيعهُ علىّ: هم الحسن والحسين (عليهما السلام) والتسعه المعصومين من ذريه الحسين (عليهم السلام) فاتبعوا أمير المؤمنين (عليه السلام) ليسَ فقط متابعه فى كُلّ صغيره وكبيره، وإنَّما مضافاً لذلك اتّبعوه بإحسان، ومقام الإحسان مقامٌ متميز إذْ لو استنطقنا القرآن من هم المحسنون لأجاب أنهم فى درجه فوق درجه المصطفين وأهل اليقين، كما دلَّ على ذلك ما وَرَدَ فى سوره يوسف (عليه السلام) وَ لَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ۳.

بتقريب: أنَّ المحسِن معناه من وصل إلى درجه يؤتى علم لدُنى وحكمه لدّنيه.

وعليه فالإحسان من الإخلاص والإيثار والزُهد والعفو عن الناس، ودرجه الإحسان أعلى من درجه المتقين وأهل اليقين كما بيَّن القرآن الكريم فى موارد عديده ملفّات المحسنين وعليه فالإحسان درجه لا يصل إليها كُلّ الصحابه.

وليسَ المقصود من التابعيه فى بيانات أهل البيت (عليهم السلام) فى تفسير الآيه [والذين اتبعوهم بإحسان] بيان التابعيه الزمانيه، وأنَّ من جاء من بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) من الأئمه (عليهم السلام) هم متأخرون زماناً، كلاً، وإنَّما المراد من التابعيه هى الرتبه والآن العقليه الإسلاميه للمفسر وغيره يفسرون التابعين ب -- الجيل الثانى - فى القضيه الزمانيه، إلّا أنَّ هذهِ عناوين مقلوبه فى العقليه الإسلاميه، بينما القرآن الكريم يُريد من هذا المُختلف يريد المؤتلف، وكثيراً ما هو مؤتلف يُراد منه متعدد، وهذا التلوِّن والتنوع فى الخطاب القرآنى الذى قدْ يكون المخاطب متعدد ولعلّه المُفَسِّر يراهم متعددون إلّا أنهم متحدون بينما مُراد القرآن مخاطبون كثيرون أو بالعكس.

والخلاصه من كُلّ هذا هناك موارد تطبيقيه أُخرى يأتى الكلام عنها فى محلّها كمورد القضاء والقدر، والسرد القصصى القرآنى وغيرهما.

والحاصل أنَّ المُفَسِّر إذا لمْ يكنْ ملتفتاً ومتنبهاً لمثل هكذا مطالب وموارد فهذا معناه أنَّه سوف يخفق فى اصطياد مراد الآيه المباركه ويبتعد عنه كُلّ البعد وهذا ما يؤكِّد عليه أهل البيت (عليهم السلام) من أنَّ أحد القواعد المهمه الأوليه الضروريه لمعرفه القرآن الكريم هو عدم الانخداع بتخدير وحده السياق الذى يعتبر من المخدرات المحرّمه على المُفَسِّر الذى قلَّما أو يكاد

ينعـدم أنْ ينجو مفسـر من الاسـتنشاق من هـذهِ المخدرات المزروعه والتى انتشـرت وللأسف علماً أنَّ روايات أهل البيت (عليهم السلام) أكَّدت على خطوره وحده السياق ومردوده السلبى والخطير فى الجانب المعرفى للمُفسِّر وغيره.

ص:۴۵۰

السرد القصصی القرآنی

لعلَّ سائل یسأل ویقول لماذا سُبکت الآیات القرآنیه بهذه الشاکله؟ بعدما کان أکثرُ المفسرین یغفل عن متابعه مبحث الالتفات فی القرآن ویتمسک ویبنی علی وحده السیاق فی الآیات فضلاً عن الآیه الواحده والذی یعتبر هذا موطن الإخفاق فی تفسیر کلام الله کما بیَّن ذلک أهل البیت (علیهم السلام) وحذَّروا من مغبه عدم الالتفات إلیه وتأثیره سلباً علی المعنی.

الجواب: إنَّ سبک القرآن بهذه الشاکله فیه حکمٌ ومغزی مُعیَّن وقواعد عظیمه منها التی تعتبر أحد الموارد التطبیقیه لقاعده الالتفات وهی: -

- السرد القصصی القرآنی - فإنَّ القرآن الکریم وکذا الروایات الوارده عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) عندما تتعرض لسرد قصص الأنبیاء بصوره عامه وأحوال أممهم لا یتعرض فیها عموماً إلی کُلّ صغیره وکبیره ودقائق شؤونهم الحیاتیه، وإنَّما یُتعرض فیها ویتم ترکیز الأضواء ویقتصر علی ذکر اللقطات المصیریه التی تشکل منعطفاً خطیراً وحساساً فی مُسلسل حیاه الأنبیاء (علیهم السلام) ولهذا یفترق السرد القصصی فی القرآن عن سرد التأریخ القصصی - وبینهما بون شاسع - فالقرآن الکریم حاشاه أنْ یکون کتاب تأریخی قصصی یدغدغ ویعیش مع المخیله والحس الشاعری أو حبس الثمر والفکر فی الإنسان کلا وإنَّما القرآن کتاب ذکر وتبیان لکل شیء کما مَرَّ. وما تعنیه کلمه الذکر والبیان فإنَّ أحد معانیها أنَّه کتاب تنمیه وإنماء للإنساء ویتعرض فیه فقط إلی اللقطات الحساسه فی التأریخ من تاریخ الأنبیاء وأممهم، ولذا یتمیز السرد القصصی فی القرآن الذی هو من سرد الله

تعالى لا يُتعرض فيه إلى كُلّ حالات الفساد التى كانت تعيشها أمم الأنبياء وإنَّما يتعرض إلى ذكر المخاطر الخطيره من أهل الفساد.

فمثلاً يذكر القرآن الكريم قصه يوسف وأخوته (عليه السلام) اللقطات المصيريه التى تشكل منعطفاً تأريخياً مهماً فى حياه النبى يعقوب (عليه السلام) وولده يوسف (عليه السلام) وباقى أخوته وكذا باقى الأنبياء.

وهكذا عندما يتكلم القرآن الكريم ويقص لنا حياه بعض الفراعنه فإنَّه يقتصر على بيان بنود معينه بارزه لها أثر خطير على المجتمع.

فيتعرض الكاتب للقصه أو المخرج إلى متن القصه ثم هامشها وكذلك يتعرض إلى ما يُكترث به وما لا يكترث بغض النظر فى بعض الأحيان إلى أنَّ تلك المعلومات مرتبه ومنظمه أو لا ويحاول الكاتب أنْ يعيش فى تصوير قصته التأريخيه مع المخيله والحس الشاعرى و... الخ ومع ذلك قدْ يصل فى بعض الأحيان إلى نقل تقل الوقائع والاحداث بصوره واضحه وقدْ تكون فى بعضها الآخر عليها ضبابيه وهذا بخلاف ما يسرده إلينا القرآن الكريم من قصص كما بيَّنا ذلك قبل قليل.

الخلاصه: بعد هذهِ المقارنه نجد أنَّ السرد القصصى القرآنى يواكب جميع الأزمنه السابقه والحاضره والمستقبليه، ولاحظنا كيف القرآن ينقلك فى آيه واحده إلى عدَّه مشاهد وأحداث، نظير الإخراج الفنى لقصه تأريخيه فنلاحظ الإخراج القديم يحاول الإسهاب فى ذكر المعلومات لأجل أنْ يوصل فكره القصه بعدّه مشاهد ومقاطع، بخلاف الإخراج الفنى الحديث فإنَّه يختصر كُلّ ذلك بخبر فنى واحد مُركَّز مضغوط وهذا ما يُسمى بثوره إنفجار المعلومات وحضاره المعلومات وإذا انفجرت المعلومات

عند البشر فإنَّهم لا يأتون بكل صغيره وكبيره، بلْ يأتون بعمده المعلومات وإيصالها بطرق علميّه فنيه حديثه معاصره فى التعامل مع الحاسبه الالكترونيه والانترنيت والفيس بوك وما علَّم الإنسان ما لمْ يعلم.

ومن الواضح أنَّ هذا الكلام مرتبط بالمنهج المختار عندنا وهو منهج أمومه المحكمات، وهذا يعنى وجود معلومات محوريّه مركزيه تدور عليها سائر المعلومات الأُخرى، وهى عمدتها فإنَّها لا تكترث بنقل كُلّ ما هبَّ ودبَّ من المعلومات.

فائده: لو لاحظنا فى زماننا الحاضر بلْ حتَّى السابق أنَّ ثوره العلم والمعلومات على مختلف الأصعده لوجدنا فى كُلّ علم ما يسمى بعلم نظم المعلومات؛ لأنَّ كُلّ من العلماء عندهم العلم إلّا أنهم لا يمتلكون قدره نظم العلم لتلك المعلومات؛ لذا تراهم لا يستطيعون استثمار ذلك العلم وتلك المعلومات التى عندهم ولكن متى بإمكانهم وباستطاعتهم أنْ يستثمروا تلك المعلومات وذلك العلم؟ ذلك عندما يُكفكفوا ويوظفوا تلك المعلومات فى سلك نظم المعلومات وهذا بالتالى يقودهم إلى الاقتصار على أمهات الحقائق والمعلومات التى لها دور هيمنى ومصيرى فى أى علم من العلوم سواء فى علم الاقتصاد أو الزراعه أو السياسه أو الكيمياء أو الفيزياء أو الاجتماع أو علم النفس أو... الخ.

وبالتالى لابدَّ من وجود علم آخر ناظم لتلك المعلومات فى أى علم من العلوم حتَّى يستثمر بالصوره الصحيحه وتترتب عليه الآثار والنتائج الصحيحه المثمره.

وبالتالى نلاحظ كيف تتطابق هذهِ القاعده اللفظيه – قاعده الالتفات –

مع روح منهج أمومه الولايه على المحكمات فى القرآن أمومه مركزيه بأنَّ يقتصر على المعلومات المركزيه دون المعلومات والأحداث الهامشيه انطلاقاً من قصار كلماتهم (عليهم السلام) [خير الكلام ما قل ودلَّ] أى ما دلَّ من البلاغه فى بلوغ الغايه فى عباره أقصر.

ص:۴۵۴

الجرى والتطبيق

اشاره

وإنْ كنا سنتعرض لضابط الجرى والتطبيق مفصَّلاً فى النظام الثانى - نظام المعانى - إنْ شاء الله تعالى إلّا أنَّ هذهِ الضابطه التى نحن بصددها أحد الموارد التطبيقيه لقاعده الالتفات والذى تعامل بها مفسرى الخاصه منهم السيد العلامه محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه) فى الميزان فضلاً عن غيره فضلاً عن مفسر العامه كذلك تعاملوا مع النصوص الوارده عن أهل البيت (عليهم السلام) أى التفسير بالمأثور من باب الجرى والتطبيق.

ضابط الجرى والتطبيق:

هو تسريه الأحكام التى دلَّت عليها الآيات القرآنيه وكذا النصوص النبويه والولويه الصادره عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) إلى غير زمن نزول الآيه أو صدور الروايه فتطبَّق فى غير زمانها ومكانها إذا كان المورد يحمل الخصوصيات المناسبه لذلك. وسواء كانت الأحكام شرعيه أو لا.

فمثلاً: تحريم القرآن للخمر والسرقه والزنى والكذب و... أو تحذير القرآن من المنافقين فإنَّ هذهِ المحرمات بلْ وحتَّى الواجبات وباقى الأحكام لمْ تكن مختصه بزمان النزول المعاصره للنبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) وهكذا الروايات فى زمان الأئمه (عليهم السلام)؛ لأنَّه من الواضح أنَّ القرآن الكريم وكذا السنه النبويه الشريفه هما مصدران من مصادر هدايه البشر، وليسَا مختصين بزمان نزول الآيه إذا كان المنزل فيه سواء فرد أو مجتمع أو معالجه لحاله عامه أو خاصه متوفره فيه خصوصيات معينه بلْ يمكن أنْ يجرى تطبيقها

فی زمان ومکان آخرَین إذا کانت الخصائص التی نزلت الآیه فیها متوفره، فیتنقح المناط، وإلغاء الخصوصیه یمکن التعدی من زمان النص والمعاصره والمشافهه إلی غیره إذا کان یحمل نفس المواصفات والخصوصیات.

ومن الطبیعی هذا التطبیق لا یتمُّ لمن هبّ ودبَّ وإنَّما لمن کان یتمتع بخصوصیات معینه وقابلیه الإحاطه بمعانی مفردات القرآن ومدی إحاطته بالقواعد والموازین والضوابط البلاغیه والنحویه والتفسیریه و... الخ.

إذنْ معالجات القرآن للأحداث وتصویره للوقائع أو توصیفه لبعض الحالات الاجتماعیه التی کانت سائده سواء علی مستوی الفرد والأسره أو علی مستوی المجتمع سواء کان المجتمع صغیراً أم کبیره، لمْ تکن معالجات القرآن مختصه بذلک الزمان بلْ تتعدی إلی کُلّ زمان ومکان بشرط توفر الخصوصیات التی تعالجها الآیه الکریمه.

ص:۴۵۶

الآيات والروايات لا يقتصر فيها على الجانب التطبيقى فقط

اشاره

الآيات القرآنيه وكذا الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) لمْ تكن ناظره إلى الجانب التطبيقى ومعالجته فحسب وإنَّما تعالج كذلك الصعيد النظرى فى الدرجه الأُولى من قَبْل لا أنَّه تقتصر المعالجه على الجانب التطبيقى العملى فحسب فى مورد خاص ومحدود والذى ينتهى بانتهاء زمنه وأمده، وهذا معناه أنَّ التفسير بالمأثور انتهى أمده؛ لأنَّه تطبيق خاص، وهذا بالتالى إجحافٌ بالفائده العلميه من التراث التفسيرى بالمأثور عن النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام)، كيف والقرآن يقول وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ (۱).

إذْ لا يعقل أنَّ فائده القرآن تكون مختصره على بيان الأحكام ومعالجه بعض الحالات فى زمان معين ومكان خاص وما هذا إلّا إماته للقرآن، ثم أنَّ النبى (صلى الله عليه و آله) يبين موارد معينه لتطبيقات خاصه؟ فإنَّه لا يعقل ذلك وأنَّ التفسير المأثور ينتهى بانتهاء أمده ومناسبته فإنَّه يتنافى مع ثوابت القرآن التى أكَّد عليها بأنَّها كانت ولا تزال وستبقى إلى يوم القيامه لا أنها محدوده بزمن معين.

إذنْ ما ارتكبه وتعاطاه مفسرى المسلمين من الفريقين مع الآيات القرآنيه وأحاديث النبى (صلى الله عليه و آله) وروايات أهل البيت (عليهم السلام) من الضيق العملى وأنه فقط حجيه تعبديه تأويليه مقطعيّه وأنَّها تُبيِّن مصداق تأويلى خفى

۱- (۱) سوره النحل: الآيه ۴۴.

وكأنما تقتصر على بيان هذا الفرد فقط فإنَّه ليسَ بصحيح فمثلما أكَّدت الروايات والأحاديث على الجانب العملى كذلك أكَّدت على الجانب النظرى، لا التركيز على أحدهما دون الآخر وإنَّما أكَّدت عليهما بصوره متوازنه.

ومن خلال هذا كُلَّهُ يُعلم أنَّ قاعده التعريض والالتفات تفتح لنا طريقاً لتصحيح الكثير من القواعد التفسيريه، وهذا يدلِّل على أنَّ قاعده الالتفات قاعده فى أصلها الأصيل لغويه وبلاغيه مُعترف بها، إلّا أنَّ التفطن فى مراعاتها فى موارد عديده من الموارد الصعبه التى عاده يُغفل منها إنْ لمْ نقل بالمره، لذا نلاحظ البيانات الوارده فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) لا ينطلقون فى هذا الأمر من أمور تعبديه بلْ من أمور بينه موجوده فى حاق العلم اللغوى وفى أدب اللغه العربيه ومراعاه هذهِ الدلائل والقواعد ليسَ فى قدره المفسرين بلْ هو فى قدره النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته، ومن ثم يسهل عند غيرهم بالتعليم ببيناتهم وبياناتهم، وبالتالى نخلص إلى هذهِ النتيجه.

أولاً: إنَّ قاعده الالتفات تعطى لنا منظاراً آخر للتفسير بالمأثور بأنَّه ليسَ جرىٌ وتطبيق بالمعنى الذى يذكره المفسرون لنا، وإنَّما هو تفسير بالمأثور فى صدد معالجه البيان التنظيرى على الصعيد النظرى للآيات لا على الصعيد التطبيقى العملى المحدود فحسب.

ثانياً: إنَّ التفسير بالمأثور فى صدد إبراز وإظهار بيانات وبراهين موجوده فى نفس ألفاظ القرآن الكريم إلّا أنَّها خفيت على الآخرين.

ثالثاً: بحث الجرى والتطبيق فى قاعده الالتفات ليسَ تعاطياً ظنياً تعبدياً، وإنَّما تعاطياً علميّاً إيقانياً وإنْ كان هذا اليقين بطن وخفى على

الآخرين إلّا أنَّه ليسَ ظنى ولا تعبدى.

وحينئذٍ يكون هذا البحث استثماراً لجواهر علميه عظيمه فى ظاهر ألفاظ القرآن الكريم وفى البيانات الروائيه المأثوره عن النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته المعصومين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

مدرک مورد الجرى – والتطبيق:

هناک جمله من النصوص الوارده فى المجاميع الحديثيه لا أقل من طرقنا يمكن أنْ تكون هى المدرک لقاده الجرى والتطبيق وإليک بعهضا: –

أولاً: ما رواه العياشى بسنده عن الفضيل بن يسار قال: سألتُ أبا جعفر (عليه السلام) عن هذهِ الروايه: – ما فى القرآن آيه إلّا ولها ظهرٌ وبطن، وما فيه حرفٌ إلّا وله حدٌّ، ولكل حدٍّ مُطَّلع(۱) ما يعنى بقوله: لها ظهرٌ وبطنٌ؟

قال: ظهْره وبطنه تأويلُه، منه ما مضى، ومنه ما لمْ يكنْ بَعْدُ يجرى كما تجرى الشمس والقمر، كلما جاء منه شىء وقع قال الله تعالى وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ نحن نعلمه(۲).

ثانياً: ما رواه العياشى أيضاً بسنده عن عبدالرحيم القصير قال: كنتُ يوماً من الأيام عند أبى جعفر (عليه السلام) فقال: يا عبدالرحيم قلت: لبّيک، قال: قول الله إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ إذْ قال رسولُ الله (صلى الله عليه و آله)

«أنا المنذر وعلى الهادى» فمن الهادى اليوم؟ قال: فسكت طويلاً، ثم رفعتُ رأسى، فقلت

۱- (۱) قيل فى معناه: أى لكل حدٍّ مَصْعَدٌ يُصْعَدُ إليه من معرفه علمه، والمُطّلَع: مكان الاطلاع من موضع عالٍ.

۲- (۲) تفسير العياشى، ج ۱ ص ۸۶، ۵/۳۶.

جعلتُ فداك هی فیکم توارَثونها رَجُلٌ فرجل حتّی انتهت إلیک، فأنت جُعْلتُ فداك الهادی، قال: صدقت یا عبدالرحیم، إنَّ القرآن حیٌّ لا یموت، ولا آیه حیّه لا تموت، والآیه حیّه لا تموت، فلو کانت الآیه إذا نزلت فی الأقوام ماتوا فمات القرآن ولکن هی جاریه فی الباقین کما جرت فی الماضین(۱).

ثالثاً:... عن أبی بصیر قال: قلت لأبی عبدالله (علیه السلام): - إنَّما أنت منذر ولکل قوم هاد، فقال رسول الله (صلی الله علیه و آله) المنذر، وعلی (علیه السلام) الهادی یا أبا محمد هل مِن هادٍ الیوم؟ قلتُ بلی جعلتُ فداك ما زال منکم هادٍ من بعدها حتَّی دُفِعت إلیک، فقال: رحمک الله یا أبا محمد لو کانت إذا نزلت آیه علی رجل ثم مات ذلک الرجل ماتت الآیه مات الکتاب والسنه، ولکنَّه حیٌّ یجری فیمن بقی کما جری فیمن مضی(۲) إلی غیر ذلک من الروایات.

۱- (۱) تفسیر العیاشی، ج ۲، ص ۳۷۹.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۲، ص ۲۷۹ کتاب العلم ح ۴۳.

وحده السياق وما يترتب عليها من آثار سلبيه

اتّباع وحده السياق فى التفسير خاصه وغيره له دواعى سلبيه تؤثر على صحه المعنى وتُفسده فى أكثر الأحيان وهذا الداعى الخطير أكَّدت الروايات على عدم اتباعه والابتعاد عنه كما تقدم.

وسوف نذكر بعض الأمثله على ذلك:

المثال الأوَّل: ما جاء فى سوره عبس عَبَسَ وَ تَوَلّى أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى١ فمن سلبيات التمسُّك بوحده السياق هو أنَّ كثيراً من المفسرين حتّى من مفسرى الخاصه، حَسِبوا أنَّ وحده السياق فى الضمائر والأوصاف واحده والحال أنها متعدده وليست جمله واحده، فإنَّ عَبَس أى بَسَرَ من هو فاعلها ومَن هو فاعل تولّى؟

والخطاب موجّه إلى النبى (صلى الله عليه و آله) وَ ما عَلَيْكَ أَلاّ يَزَّكّى وأنَّ هذهِ التصرفات التى تصرفها هذا الرجل من بنى أميه الذى كان جالساً إلى جنب النبى (صلى الله عليه و آله) ليست تصرفات موافقه للخُلُق الإسلامى بلْ مخالفه له.

ثم تعرضت الآيات التاليه إلى بيان كيفيه تحمل مسؤوليه التبليغ وَ ما عَلَيْكَ أَلاّ يَزَّكّى بأنْ لا تنظر إلى الأغنياء وإنَّما انظر إلى مَن كان صادقاً وجاداً - ولو كان فقيراً - فى الدخول إلى الإسلام وإرشاد وهدايه السماء له.

إذنْ هذهِ الآيات المباركه الخطاب فيها موجّه للنبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) لبيان

کیفیّه التبلیغ ورعایه السماء للبشر.

بینما وحده السیاق والأثر السلبی المترتب علیها تقول: بأنَّ الضمیر واحِدٌ فی الآیات الثلاث وغیرها فی سوره عبس، مما أدّی إلی التباس الأمر علی الکثیر من المفسرین حتّی من مفسری الخاصه، وهذا یؤثر سلباً علی معنی الآیه.

ثم قوله تعالی: فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّی۱ فالضمیر هنا یرجع إلی رجل آخر غیر النبی (صلی الله علیه و آله) مما أدّی ذلک إلی وقوع المُفَسِّر فی اللَبْس والحیره بأنَّه کیف تاره یَسْند القرآنُ الکریم الضمیر إلی النبی (صلی الله علیه و آله) ثم یُعاوِّد ویُسنِد الضمیر المذکر المفرد إلی رجل من بنی أمیّه وعلیه فبسبب وحده السیاق وقع هذا التشابک فی الإسناد للأفعال التی تاره یسند فیها الضمیر إلی النبی (صلی الله علیه و آله) وأُخری إلی غیره، فیشتبه علینا الحل فما هو الجواب؟

الجواب: لحلِّ مثل هکذا مشکله یُرْجَع إلی قاعده ونظام الالتفات، فإنَّ الأفعال التی هی جمله إنشائیه فإنَّ الإسناد للضمائر فیها یکون للنبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) وأمَّا الأفعال التی فیها إخبار عن فعل ماضی حصل إسناده إلی ضمیر فاعل رجلٌ من بنی أمیه، وببرکه قاعده الالتفات انحلت المشکله، وهذا هو أسلوب القرآن الکریم.

واتفاقاً الآن حتّی فی ثقافه اللغه الحواریه للبشر حتّی فی غیر اللغه العربیه بدأت الآن تستخدم نفس هذا الأسلوب والرشاقه التی استخدمها القرآن الکریم فی تفنن الحوار بأنْ یحاور هذا الطرف ثم یحاور الطرف

الآخر ثم الثالث ثم الرابع وهكذا، ومرجع هذا كُلَّهُ إلى التفنن فى الحوار.

هذهِ هى طبيعه الحوار القرآنى أمَّا أنَّه يسترسل ويجعل سياقات القرآن كلّها فى سياق واحد فى الآيه الواحده أو فى الآيات فهذا هو الإخفاق بعينه الذى نبَّه وحَذَّر منه أئمه أهل البيت (عليهم السلام)، وإخفاق المفسرين بسبب أنَّهم يحسبون السياقات المختلفه هى بمثابه السياق الواحد، ووحده السياق هى أكبر آفهٍ وعاهٍ وتُشكِل مانعاً من الوصول إلى حقائق القرآن الكريم.

المثال الثانى: ما وَرَدَ فى سوره النبأ عَمَّ يَتَساءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ اَلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلاّ سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاّ سَيَعْلَمُونَ...١ فإنَّ كثيراً من المفسرين استشهد بهذهِ الآيات المباركه على أنَّ المراد منها هو وصف يوم القيامه بقرينه وحده السياق مع الآيات الأُخرى من سوره النبأ كقوله تعالى: إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً، يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً... إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً، لِلطّاغِينَ مَآباً، لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً...٢.

والحال ليسَ كذلك، فما وَرَدَ فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) وببركه قاعده الالتفات ونكته أنَّ المراد من النبأ العظيم هو يوم القيامه وإراده الإمام الذى نصَّبه الله تعالى إماماً لِيُداری به عباده، ألا وهو أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)، مضافاً إلى وجود التحام وثيق بين مقام الإمامه ومقام الحساب والمعاد؛ لأنَّ أحد تجلى شؤون الإمام فى المعاد كما أجاب عن ذلك الإمام الباقر (عليه السلام) عندما سُئِل عن أدنى درجه لمعرفه الإمام أمير المؤمنين على ابن أبى طالب (عليه السلام) هو أنَّ الفرق أنَّ الإمام (عليه السلام) صاحب أمور

ثلاثه: -

١ - أنَّه مفروض الطاعه.

٢ - صاحب الكرات.

٣ - وأنَّه يُزوِّد أهل الجنان(١) ومن خلال هذا الفرق إنَّ أكبر دور للإمام (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) هو أنَّ يزوِّد أهل الجنان يعنى الولايه التى يحبيها الله تعالى لأمير المؤمنين (عليه السلام) بعد الرسول (صلى الله عليه و آله).

وعلى أى حال هذهِ بعض الشواهد فى الآيه المباركه والسوره ولم يستظهرها حتّى السيد الطباطبائى (قدس سرّه) فى تفسيره الميزان فإنَّه لم يُعمل النظر حقه حينئذٍ، وهناك شواهد وسياقات أُخرى يأتى ذكر بعضها فى محله.

ولذا مع الأسف أنَّ المفسرين حتّى من الخاصه تَقُلُّ جهودهم وعنايتهم ببيانات أهل البيت العلميّه فى ذيل الآيات، كل ذلك بسبب عدم التفاتهم لقاعده الالتفات وعدم تنبههم إلى أنَّ وحده السياق ليست صحيحه، وأنَّ التمسُّك بوحده السياق يُخطِّئ الروايات معنى ومفهوماً، وهذا ما أكَّده الإمام الباقر (عليه السلام) عندما سأله جابر عن شىء فى تفسير القرآن فأجابه ثم سأله ثانيه فأجابه بجواب آخر فقال جابر للإمام: - جعلتُ فداك كُنتَ أجبتَ فى هذهِ المسأله بجواب آخر غير هذا قبل اليوم؟

فقال (عليه السلام) لى: يا جابر إنَّ للقرآن بطناً، وللبطن بطن وظهر، وللظهر ظهرٌ يا جابر، وليسَ شىءٌ أبعدُ من عقول الرجال من تفسير القرآن، إنَّ

١- (١) المصدر وصاحب الكرات أى دوره فى عالم الدين ودوره فى عالم الآخره ودوره فى عالم الرجعه.

الآیه لیکون أوَّلها فی شیء وآخرها فی شیء وهو کلام متصل یتصرف علی وجوه(۱).

فمثلاً ـ ما وَرَدَ فی قضیه النبی داود وسلیمان فی سوره الأنبیاء وَ داوُدَ وَ سُلَیْمانَ إِذْ یَحْکُمانِ فِی الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِیهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ کُنّا لِحُکْمِهِمْ شاهِدِینَ ۲.

هذهِ الآیه المبارکه من الآیات التی فیها أساس معرفی عظیم ألا وهو أنَّ القرآن الکریم بَیَّنَ أنَّ موارد ترک الأولی عند الأنبیاء لیسَ یعنی إنَّ ما ارتکبوه لیسَ بحق - أی باطل - کلا ـ وحاشا أنبیاء الله تعالی من ذلک وإنَّما الآیه فی مقام توضیح أنَّ موارد العتاب الإلهی للأنبیاء وأنَّه لِمَ ارتکبتَ هذا ولو ارتکبت هذا لکان أفضل وأولی ولا ـ یفهم من هذا أنَّ ما ارتکبه أی نبی من الأنبیاء باطل ومعصیه کلا لیسَ هذا هو المراد وإنَّما ما أتی به أنبیاء الله حق ولکنَّ الله تعالی یعاتبه علی ما هو أحق مما أتی به، فمثلاً ـ ما ذکرته الآیه المبارکه وَ کُلًّا آتَیْنا حُکْماً وَ عِلْماً لیسَ معناه أنَّ حکم النبی داوود (علیه السلام) کان باطلاً، ولکن عتاب لما کان هو أحق، وهذا أساس معرفی عظیم.

۱- (۱) المحاسن، ص ۳۰۰ /ح ۵؛ بحار الأنوار، ج ۴۸/۹۲:۹۵؛ تفسیر العیاشی، ج ۱، ص ۸۷، ۸/۳۹.

النسبیه فی القرآن وعند الحداثویین

والنسبیه التی یطرحها القرآن الکریم لیست نسبیّه تشکیکیه کما هو شأن النسبیّه التی یطرحها الحداثویون، فإنَّ النسبیه التی تطرحها مدرسه الألسنیات والحداثویون نسبیه تشکیکیه لکنَّ نسبیه تشکیکیه بین حقیقه وبین حقیه مخلوطه وبالتالی الأمر مخلوط وباطل عندهم.

بخلاف النسبیه التی یطرحها القرآن الکریم فإنَّها نسبیه درجات منها حق ومنها باطل، بلْ حتماً فی الحق درجات، ولیسَ معنی الحق فی درجات أنَّ هناک حقاً باطلٌ، کلا وإنَّما هناک حق وأحق وحقاً وما فوقه حقٌ وهذهِ نسبیه بدیعه تجنب الإنسان الإفراط والحدیّه وتعطی الإنسان سعه صدر المعرفه، فالآیه الکریم وَ داوُدَ وَ سُلَیْمانَ إِذْ یَحْکُمانِ فِی الْحَرْثِ۱ فالآیه لیست فی صدد بیان أنَّ کلاً من داود (علیه السلام) وسلیمان (علیه السلام) لم یَبُتا فی الحکم، ولا فی صدد أنَّ حَکَم أحدهما أو کلاهما ثم خطأه الله، فإنَّ داود لم یحکم کی یُخطّأ فَنَزَل نَسخٌ علیه بحکم سلیمان.

فمثل هکذا التفاته موجوده فی روایات أهل البیت (علیهم السلام).

ثم قالت الآیه وَ کُنّا لِحُکْمِهِمْ شاهِدِینَ۲ ولم تقل [وکنا لحکمهما شاهدین] فإنَّ الحکم الذی حُکم به لیسَ الحاکم نبی الله داوود أو سلیمان (علیه السلام) وإنَّما الذی حَکم هنا هم علماء الیهود الذین کانوا مع النبی

داوود وسليمان وتسرع علماء اليهود فى الحكم فحكموا فقطعوا لا أنَّ النبى داوود (عليه السلام) أو سليمان حكم فقطع.

ولم أرَ مثل هذهِ الالتفاته حتّى فى كتب المتقدمين من مفسرى الخاصه أمثال تفسير مجمع البيان للطبرسى ولا تفسير التبيان للشيخ الطوسى، بلْ حتّى فى كتب التفسير عند المتأخرين أمثال السيد محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه) فى الميزان.

إذنْ الآيه المباركه لو قُرأت فى سياق واحد فإنك سوف تغفل ولا تلفتت إلى المراد الأصلى منها.

ولو رجعنا إلى بيانات وروايات أهل البيت (عليهم السلام) فإنا نجدها تقول: - إنَّ هذا هو ديدن القرآن كُلَّهُ إلّا ما استُثنى فإنَّ الخطاب القرآنى دائماً فى حركه مستمره وعجيبه مع وجود نقطه مركزيه ثابته فيه.

والخلاصه: إنَّ المُفَسِّر إذا استطاع أنْ يلتفت إلى الخطاب القرآنى وإلى هذهِ النكات فإنَّه سيصل باسترشاد وتعليم من البيانات العلميه لأئمه أهل البيت (عليهم السلام) وإلّا فإنَّ الإنسان دائماً يصبح فى حاله إخفاق من دون الرعايه التعليميه من المعصوم (عليه السلام) المستمدَّه من الفيض الإلهى.

المثال الثالث: ما جاء فى سوره الشعراء: وَ إِذْ نادى رَبُّكَ مُوسى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لا يَتَّقُونَ قالَ رَبِّ إِنِّى أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَ يَضِيقُ صَدْرِى وَ لا يَنْطَلِقُ لِسانِى فَأَرْسِلْ إِلى هارُونَ وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ١.

لاحِظ لطافه الحوار الوحيانى بين الله تعالى ونبيه موسى (عليه السلام) وكيفيه

تبدل الخطاب القرآنی بشکل خفی غیر مُلْتَفَتٍ إلیه بالمره، وهنا تکمن الصعوبه أی صعوبه تلوِّن وتنوع وتغیر الخطاب القرآنی بشکل لمْ یکنْ محسوساً، فالمفروض وبحسب وحده السیاق یکون الخطاب موجهاً إلی موسی (علیه السلام)، إلّا أنَّه بالواقع موجهاً إلی کلیهما موسی وهارون (علیهما السلام)، لما صارحت به الآیه المبارکه قالَ کَلّا فَاذْهَبا بِآیاتِنا إِنّا مَعَکُمْ مُسْتَمِعُونَ۱. فإنَّ الفعل (اذهبا) أسند إلی ضمیر التثنیه، هذا معناه أنَّ المخاطب موسی وهارون، وهذا الإسناد فی (معکم) إلی ضمیر الجمع، فانتقل الخطاب من ضمیر التثنیه إلی ضمیر الجمع فدخل مع موسی وهارون المؤمنون التابعون للنبی موسی وهارون من بنی إسرائیل، إذنْ إلی هنا توجد ثلاثه خطابات:

۱ - [کلا) بقوله تعالی: کَلّا فَاذْهَبا بِآیاتِنا إِنّا مَعَکُمْ مُسْتَمِعُونَ.

۲ - [فاذهبا] بقوله تعالی: فَاذْهَبا بِآیاتِنا....

۳ - إِنّا مَعَکُمْ فی قوله تعالی: إِنّا مَعَکُمْ مُسْتَمِعُونَ.

ثم أبدل الخطاب بعد أنْ وجّه إلی المجموع إلی التثنیه - إلی موسی وهارون - فَأْتِیا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِینَ۲.

ومن هنا عرفنا أنَّ أطراف الخطاب متبدله دائماً ولیست ثابه، فلو بنی المُفَسِّر علی أنها ثابته لأخطأ فی التفسیر، فنلاحظ کیف تتبدل أطراف الخطاب، فتاره طرف المتکلم هو الله تعالی والمخاطب موسی وهارون وأتباعهما، وأُخری بالعکس المتکلم هو موسی وهارون (علیه السلام) والمخاطب هم

القوم، وثالثه المتكلم هو فرعون والمخاطب موسى وهارون، وهكذا يتنوع الخطاب القرآنى ويتغير بتعبه المعنى المترتب على ذلك بلحاظ تغير الإسناد.

ثم قالت الآيه أَ لَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً وَ لَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ١.

فالمتكلم هنا صار فرعون وليسَ الله تعالى والمخاطّب موسى (عليه السلام) ثم تحوَّل الخطاب إلى أنَّ المتكلم موسى والمخاطب فرعون قالَ فَعَلْتُها إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضّالِّينَ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْماً وَ جَعَلَنِى مِنَ الْمُرْسَلِينَ٢.

ثم فجأه تبدل الخطاب بين موسى وهارون، فهنا لو تابعنا وحده السياق فإنَّها قدْ تخادِع المُفَسِّر؛ لأنَّها قالت قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ٣ وفاعل (قال) هنا فرعون أى قال فرعون للملأ حوله يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَما ذا تَأْمُرُونَ٤ ، وهنا انتقل الخطاب القرآنى إلى جهه رابعه – غير الله وغير موسى وهارون، وغير المؤمنين برساله موسى وهارون – وهم السحره فَجُمِعَ السَّحَرَهُ لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ٥.

ولعله ينقدح فى ذهنك تساؤلٌ وهو: – إنَّ السحره كيف آمنوا برب العالمين ربِّ موسى وهارون، وكيف تَعرَّفَ السحره على مضمون دعوى موسى وعليه فلابدَّ من وجود مشهد مطوى طواه القرآن.

الجواب: إنَّ السرد القصصی القرآن قطعاً لابدَّ أنْ یکون فیه حذف وطوی لمطالب کثیره حتَّی لو کانت تلک المطالب المطویه مهمه، ویأتی القرآن ویستعرض المنعطفات الواضحه والمهمه فی حیاه الأنبیاء وأممهم، ومن الواضح أنَّه توجد دلاله التزامیه تدل علی أنَّ هناک أمور مطویه کثیره حذفها القرآن واستعرض الأهم منها فالأهم؛ لأنَّه کما ذکرنا قبل قلیل إنَّ طبیعه السرد القصصی فی القرآن لا یستوعب کُلّ الزوایا لأنَّ هذا یحتاج إلی سعه الآلاف من المجلدات.

لذا رکَّز موسی (علیه السلام) علی بیان مفاصل مهمه فَهِم منها السحره تلک الدعوه التی جاء بها موسی من قبیل قوله تعالی: فَوَهَبَ لِی رَبِّی حُکْماً وَ جَعَلَنِی مِنَ الْمُرْسَلِینَ۱ وقوله قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ الْعالَمِینَ قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُمَا إِنْ کُنْتُمْ مُوقِنِینَ قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَ لا تَسْتَمِعُونَ قالَ رَبُّکُمْ وَ رَبُّ آبائِکُمُ الْأَوَّلِینَ۲.

وهناک أمثله کثیره فی هذا المجال أعرضنا عن ذکرها خوف الإطاله.

الخلاصه: إنَّ الکلام کان فی قاعده الالتفات فی النظام الاستعمالی اللفظی فإنَّه رغم سهولته فی النظره الأولیه إلّا أنَّها بالغه الخطوره إلی حدٍّ مترامی جداً والسبب فی ذلک واضح: -

وهو أننا نرید أنْ نستلهم من أی جمله لفظیه نتعاطاها فی القرآن الکریم مفادها الأولی من کونها مبتدأ أو خبر، أوجمله فعلیه أو أسمیه، وما هی أطراف الإسناد وهل هی مفرده أم مرکبه، مضافه أو لا، وهل فیها قیدٌ

أو شرط من المتكلم أو المخاطب وهل الضمير مُصَرَّحٌ به أو مُضمر وما هو مرجعه، فإنّا نريد أنْ نستلهم كُلَّ هذا من عناصرها الأوليه الأساسيه.

وبالتالى إذا كان المتكلم فى الجمله الواحده مفرد أو مثنى أو جمع، وكذا المخاطب فإنَّه بالتالى يؤثر فى مفاد الكلام تماماً.

وعليه فتعتبر قاعده الالتفات من أساسيات تحصيل المعنى الأوّلى لظاهر ألفاظ وجمل وآيات القرآن الكريم.

وبسبب هذهِ الأمور التى ذكرناها وغيرها أكَّد أهل البيت (عليهم السلام) بتعابير مختلفه، وبيّنوا (عليهم السلام) سبب إخفاق المفسرين وإنْ كانوا من العلماء والمحققين، وإخفاق قدره عقل البشر فى الوصول إلى كنه مغزى آيات الذكر الحكيم، وأنه ليسَ شىء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن كما وَرَدَ ذلك فى قول الإمام الصادق (عليه السلام) وسبب عدم معرفه المفسرين وإخفاقهم فى معرفه تغير وتبدل الخطاب القرآنى جمله جمله وكلمه كلمه سواء المتكلم يتغير أو المخاطب أو... الخ وهذا بالتالى سوف يغير المعنى الأوّلى لذا يصعب مراعاته لدى المفسرين وبالتالى الالتفات إلى مثل هذهِ الأمور الدقيقه يحتاج إلى نباهه وقّاده وإلى يقظه وتمسك بمنهج وتعليم ورعايه أئمه أهل البيت (عليهم السلام)، وإنْ كان بعض المفسرين ينظرون إلى قاعده الالتفات أنَّها تأويل وباطن إلّا أنَّه لو دققنا النظر لوجدنا روايات أهل البيت (عليهم السلام) تعالج ظاهر سطح الألفاظ للآيات القرآنيه ومع ذلك هذهِ المعالجه لسطح ظاهر الألفاظ خفيت على الآخرين، ومن ثمَّ تلقاه الآخرون أنَّه تأويلٌ وباطنٌ.

من أحد أبعاد البلاغی فی القرآن هی القدره الفنیه فی القرآن علی ممارسه هذهِ الفنون بدرجه یعجز البشر عن إدراکها فضلاً عن ممارستها قُلْ فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِثْلِهِ۱ و قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً۲.

ولذا یحسب العلماء والمفسرون من الطرفین الکثیر من بیانات أهل البیت (علیهم السلام) الوارده فی تفسیر الآیات أنَّها تأویلات خفیه باطنیه، والحال أنَّها لیست کذلک، وإنَّما هی منهم (علیهم السلام) معالجه لنفس ظاهر القرآن.

ولذا لابدَّ من الإقرار والاعتراف - کما مَرَّ - بأنَّ قاعده الالتفات ذو شعب متشعبه ودائره واسعه مترامیه الأطراف والفروع وفیها سُبُل غریبه بالنسبه لقدره البشر، وقدره ممارستها إنَّما تکون لرب العالمین ربَّ الکلام فإنَّه الوحید تعالی الذی یمارس تلک القاعده بممارسه سلیمه تعجز قدره البشرعن السیطره والترکیز والإحاطه بها.

ولذا فی جمله من الموارد یستعصی ظاهر القرآن علی المفسرین التدقیق فیه فی أمثله متعدده وأبواب مختلفه، فإنَّه یتعصی علیهم معرفه مَن المتکلم ومَن المخاطب وکیفیه الالتفات.

فمثلاً- قوله تعالی وَ وَجَدَکَ ضَالاًّ فَهَدی۳ ذکر المفسرون من الفریقین وجوه عدیده، فذکر القرطبی أکثر من خمسه عشر وجهاً وقال

كلّها حسان والأعجب منها هو القول الذی نسبه القرطبی لبعض المتکلمین من أنَّ المراد من وَ وَجَدَکَ ضَالاًّ فَهَدی هو أنَّ العرب إذا وجدت شجرةً منفردةً فی فلاه من الأرض لا شجر معها سمّوها ضاله فیُهتدی بها إلی الطریق فقال الله تعالی لنبیه محمد (صلی الله علیه و آله) وَ وَجَدَکَ ضَالاًّ أی لا أحد علی دینک وأنت وحیدٌ ولیسَ معک أحد فهدیتُ بک الخلق إلیَّ(۱).

وذکر السید المرتضی فی تفسیره وجوهاً خمسه خامسها أضعفها وهو غیر معروف أی قراءه الیتم بالضم، وأوّلها: - أنَّه وجدک ضالاً عن النبوه فهداک إلیها أو عن شریعه الإسلام التی نزلت علیه وأمر بتبلیغها إلی الخلق...(۲).

وکذا ذکر الشیخ الطبرسی فی تفسیره مجمع البیان والشیخ الطوسی فی التبیان والسید العلامه محمد حسین الطباطبائی فی المیزان وآخرون وجوهاً عدیده فی تفسیر الآیه المبارکه إلّا أنَّ الذی نرید ذکره کشاهد لما نحن فیه هو أنَّ الآیه المبارکه ذکرت قسماً آخر من أقسام الالتفات وهو: -

ما هو اسم الفاعل أو الصفه المشبهه ل - (ضلل)؟ لعله ینسبق الذهن لأوَّل وهله إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله)، والحال لو دققنا النظر فی لفظه (ضالاً) فإنَّها کلمه مشتقه والمشتق فی اللغه العربیه کما هو معلوم بمنزله الجمله الفعلیه فاسم الفاعل (ضالاً) یعنی (ضلل) ونلاحظ وجود عدَّه أطراف فی الکلمه.

۱ - المسند، ۲ - المسند إلیه. ۳ - ومن هو الضال. ۴ - ومن هو الذی ضلَّ عنه. ۵ - ومن هو الذی ضلَّ إلیه.

ویوجد فی مبحث الصفه فی علم النحو والبلاغه أنَّ الصفه تاره بلحاظ نفس الموصوف أی صفه حال نفس الموصوف، وأُخری بلحاظ

۱- (۱) تفسیر القرطبی، ج ۲۰ ص ۸۹ الجامع لأحکام القرآن.
۲- (۲) تفسیر الشریف المرتضی، ج ۳ /ص ۴۶۶.

حال المتعلق، ودائماً تنسبق الأذهان إلى الصفه بلحاظ نفس الشيء الموصوف، إلّا أنَّه فى الآيه المباركه أنَّ الصفه بلحاظ حال المتعلق وهذا القسم من الصفه فيه الالتفات، وفى نفس الوقت هى جمله واحده فيها مفرده واحده مصرح بها - وهى (ضالاً) فيحصل بها التفات، وكلّ هذا يحتاج إلى تأمل وتدبر.

الخلاصه: إنَّ هذا هو أحد الوجوه فى تفسير الآيه وَ وَجَدَكَ ضَالاًّ عند قومك وهم ضلوا عنك، وهو صفه بلحاظ حال المتعلق، وإنْ كان كثيرٌ من الصفات التى نُسبت إلى الأنبياء فى القرآن الكريم وحَسِبَها الجاهلون أنها وقيعه بهم من قبل القرآن - والعياذ بالله - أو أغواءٌ من القرآن فى الأنبياء والواقع ليسَ كذلك بلْ هى صفات بلحاظ حال المتعلق لا نفس الموصوف.

وهكذا عندما يبين القرآن الكريم لنا كيف نشأت البشريه وتكاثرت عِبر مقاطع خاصه مؤثره فى حياتهم وإلى يومنا الحاضر والمستقبل وأنها كيف تؤثر على البشر، ويريد أنْ يعلِّمنا القرآن الكريم: بأنَّكم أيُّها البشر لستم لوحدكم وبمفردكم تعيشون على وجه كوكب الأرض، وإنَّما هناك كائنات أُخرى تشارككم منها رحمانيه وأُخرى شيطانيه، كل ذلك يعرضه القرآن الكريم لنا عن طريق البث السمائى لهدايه البشر وهذا أشبه ما يكون - لأجل تقريب الفكره - بعرض لفلم سينمائى فكلما كان المخرج له ذكياً وفطناً وملتفتاً فإنَّه لا يُركِّز على كل جوانب الحدث والقصه المهمه فضلاً عن غير المهمه وكل صغيره وكبيره وإنَّما يُركِّز ويوجه عدسه كامرته على اللقطات الحساسه المؤثره فى روح تلك القصه أو الفلم الذى يتعرض له، وينظم كل ذلك ضمن نسق دقيق يوصل إلى الغايه من القصه الروائيه مثلاً أكثر فأكثر.

ومحل الشاهد لقاعده الالتفات: - نلاحظ القرآن الكريم وهو يقص القصه ويركزعلى الجوانب المهمه والخطيره وإذا فجأه عرض للقطه أُخرى ثم يتعرض فجأه للقطه ثانيه وثالثه و... الخ كلّها متسلسله منتظمه مرتبه وفق قواعد وموازين ومع ذلك لا يعنى هذا أنَّ المشهد واحدٌ وإنْ كنت تلاحظ بحسب الظاهر هى آيه واحده إلّا أنَّ القرآن الكريم يعرض فى تلك الآيه الواحده مشاهد متعدده فلا يلتفت إلى تلك المقاطع والمشاهد المتعدده فى الآيه الواحده، بلْ فى الجمله الواحده فضلاً عن السوره والسور إلّا المُفَسِّر الفطن يلتفت إلى تلك الانتقالات المهمه والمشاهد المتعدده فى الآيه الواحده، وبخلاف ذلك فإنَّ المُفَسِّر غير الفطن إذا لم يكن ملتفتاً إلى ذلك فيظن أو يحسب نفسه أنَّه لا زال فى عرض المشهد الأوَّل، وأنَّ كل هذهِ التقلبات هى فى مشهد واحد كلا ليسَ الأمر كذلك.

ومثاله ماتقدم فى الآيه المباركه وَ وَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدى ، ولا يلتفت إلى مثل ذلك من المفسرين إلّا الفطن والملتفت لدقائق الأمور، ومن كانت له رعايه تعليميه خاصه من المعصوم وعلقه مع المعصوم وإلّا من لمْ تكن له عنايه ورعايه تعليميه من المعصوم (عليه السلام) واعتمد على قدراته العقليه فقط فإنَّه تخبط ووقع فى تفسيرات بعيده عن جو الإجابه. هذا بالنسبه إلى سرد القرآن القصصى.

وأمَّا لو قصَّ لنا التأريخ قصةً معينةً فإنَّه يحاول التريكز على كُلّ صغيره وكبيره لأجل إيصال الفكره للمطالع الكريم وتُجمَّع أكبر عدد من المعلومات حول تلك القصه.

روایه عن الإمام الباقر علیه السلام

هنـاک روایه رواها العیاشـی فی تفسیر فی باب تفسیر الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحکم والمتشابه بسـنده عن الإمام الباقر (علیه السـلام) وهی وإنْ لمْ تُخَصَّص بقاعده الالتفات إلّا أنَّه اسـتظهرنا منها ذلک، والروایه وإنَّ تقدمت إلّا أنَّه نذکرها الآن لبیان بعض ما ستفدنا منها.

وإلیـک الروایه: - عن جـابر سـألت أبـا جعفر (علیه السـلام) عن شـیء من تفسـیر القرآن فأجـابنی ثم سألته ثانیه فأجابنی بجواب آخر، فقلت: جُعِلت فدک کنتَ أجبتَ فی هذهِ المسأله بجواب غیر هذا قبل الیوم؟

فقال (علیه السلام): - لی یا جابر إنَّ للقرآن بطناً، وللبطن وظهر وللظهر ظهر یا جابر ولیسَ شیء أبعد من عقول الرجال من تفسیر القرآن، إنَّ الآیه لیکون أوَّلها فی شیء وآخرُها فی شیء، وهو کلام متصل یتصرف علی وجوه(۱).

ومحل الشاهد لقاعده الالتفات هو ذیل الروایه قوله

«إنَّ الآیه لیکون أوّلها...» ویسـتفاد من هذهِ الروایه أنَّ تفسـیر کلام الله تعالی هو من أصـعب الصـعاب ومنشأ الصـعوبه یبینه الإمام (علیه السـلام) ذلـک بسـبب الغفله وعـدم الإحاطه العلمیه الـدقیقه والعمیقه بقاعـده الالتفات وتطبیقاتها بحسب ما اسـتظهرناه من کلام الإمام (علیه السـلام) وعـدم الإحاطه بها هو السـبب فی بُعـد تفسـیر القرآن عن عقول البشـر؛ لأنَّ الآیه کما قال الإمام (علیه السلام)

«إنَّ الآیه لیکون أولها فی شیء وآخرها فی شیء وهو کلام متصل یتصرف علی وجوه». یعنی

۱- (۱) تفسیر العیاشی، ج ۱، أبواب مقدمات التفسیر، ص ۸۷، ۸/۳۹.

توحده وحده سیاق وهذا ما یتوهمه الکثیر من المفسرین بأنَّه سرسرح استرسالی یَسرَح غفله البشر بعفویه صریحه بأنَّه شیء متصل إلّا أنَّه لیسَ بشیء واحد وإنَّما هو شیئان، ووحده السیاق ووحده الاتصال لا تعنی وحده المعنی وغیر کاشفه عنها ولا ملازمه بینهما.

وقوله (علیه السلام)

«ویتصرف علی وجوه» وهذا دلیل علی أنَّ الآیه الواحده بلْ الجمله الواحده والمفرده الواحده فضلاً عن السوره والسور لها عدَّه معانی وتتکثر إلی ما شاء الله وتترامی انطلاقاً من تعدد الخطاب القرآنی فإنَّ مثل هذا یوحی غفلةً بوحده الاتصال ولوحده السیاق وأنه خطاب واحد والواقع خلافه وبعباره أُخری أنَّه یمکننا أنْ نستظهر من کلامه (علیه السلام): إنَّ قاعده الالتفات هی مفتاح وباب کبیر لباب التأویل ولمعرفه تعدد وتنوع بطون القرآن وتمیّزها عن ظهورها.

وأیضاً نستظهر ویتبین من کلامه (علیه السلام) أنَّ الخطاب القرآنی یتنوع ویتعدد فقدْ یکون المتکلم متعدد فی آیه واحده، وقدْ یکون المخاطب متعدد، وقدْ یکون أحدهما متعدد دون الآخر أو کلیهما لثالث ورابع وخامس و... الخ.

ومعرفه مثل هذهِ الأمور بالتالی یفتح لنا باباً فی معرفه الدلالات المتعدده وکیفیه الالتفات إلی معرفه الدلالات الخفیّه التی تقدم ذکرها فی القاعده الأُولی - قاعده التعریض - والدلالات الکنائیه التی أکَّدت علیها الروایات الوارده عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام)، وباب مثل هذهِ الدلالات کما مَرَّ هی باب للتأویل، والباب إلی التأویل هو التنبیه إلی قاعده الالتفات التی نحن بصددها التی ذکرت فی علم البلاغه فی علم البدیع، والتنبیه لمثل هذهِ

القاعـده – أی قاعـده الالتفات – وتعـدد الخطاب سوف یفتـح لنا الباب علی مصـراعیه لتعـدد مضامین الخطاب القرآنی فی الآیه الواحده وبالتالی نقف علی دلالات متعدده.

وهکـذا حتجاج الیهود أو الصابئه مع النبی (صـلی الله علیه و آله) عنـدما احتجوا بأنَّ النبی إبراهیم خلیل الله فأقام النبی (صـلی الله علیه و آله) الاحتجاج بأنَّ الخِلَّه لها معنیان:

الأوَّل: أنَّ تأتی بمعنی المحبه والصداقه الوطیده.

الثانی: أنَّ تأتی بمعنی کشف الأسرار باعتبار الخلیل ینفذ فی أسراره إلی خلیله باعتبار الخِلَّه من التخلل والنفوذ والخلال.

وبَیَّن النبی (صلی الله علیه و آله) فی جوابه النتیجه علی کلا المعنیین.

والشاهد: أنَّ النبی (صـلی الله علیه و آله) من خلال کلمه واحده وهی کلمه [الخلیل] تعدد الخطاب القرآنی بأنَّ یمکن أنْ یکون هناک إسـنادین أو أکثر لکلمه واحده وفی کُلّ إسناد له معنی یختلف عن معنی الإسناد الثانی والثالث والرابع و... الخ کما تقدم تقریب ذلک فی الکلمات المشـتقه ووصف الاشـتقاق وتعدد المعنی والإسـنادات فی کلمه واحده کما فی ضارب وقائم وکاتب و... الخ.

ص:۴۷۹

قاعده الالتفات ومعرفه تكثر بطون القرآن وظهوره

ما تقدم فی کلام الإمام الباقر (علیه السلام) فی الروایه السابقه [... وهو کلامٌ متصلٌ یَتصَرف علی وجوه] یمکن استفاده أنَّه (علیه السلام) یُبین خلال کلامه قاعده الالتفات والتنوع فی الخطاب القرآنی ینفتح من هذا باب معرفه تکثر بطون القرآن والمراد بالبَطن - بتحریک الباء والطاء بالفتح - هو شیءٌ کان مخفیاً ثم ظَهَر وتجلی وأنَّ تلک الدلالات الخفیّه علی عقول البشر تبرز وتتجلی من خلال تطبیق، قاعده الالتفات والتفطن والالتفات إلیها وإلّا تبقی کما بقیت تلک الدلالات الخفیّه علی خفائها وبطونها لمن لمْ یلتفت ویستعمل ویطبق قاعده الالتفات التی أکَّد علیها المعصوم (علیه السلام) وإنْ لمْ یکنْ التأکید بلفظ الالتفات.

ومَرَّ سابقاً الکلام حول تأکید الأحادیث النبویه وروایات أهل البیت (علیهم السلام) علی نکته مهمه جداً وهی أنَّ الغوص فی عالم المعانی والدلالات الخفیه ذات الترامی المتعدد الأطراف فی الخطابات القرآنیّه، ولهذا الغوص مفتاح ورأس خیط وحبل ممدود من سماء الخفاء والغیب إلی أرض الظاهر وعالم المشاهده طرف منه عند الناس وطرفٌ منه عند الله.

إلّا أنَّ الکلام فی کیفیه ضمان المفتاح ورأس الخیط کی تنطلق منها إلی سماء الغیب والخفاء علماً أنَّ أهل البیت (علیهم السلام) یؤکدون علی عدم انقطاع الطرق واتصالها بین عالم الدلالات الخفیه المعمقه وبین منصه سطح الظاهر وأنَّه یمکن الاتصال لکنَّ لا یتیسر ذلک لکل البشر وإنَّما للملتفت والمتفطن منهم والذی له علاقه خاصه ومشمول لرعایه المعصوم (علیه السلام) وإلّا فلا.

وإنْ كان كثير من المفسرين يظنون أنَّ الدلالات الخفيه وبطون القرآن هى جواهر خزائنها مقفوله ولا طريق إليها إلّا بقدره معجز وأنَّ هذا صحيح وأنَّه يحتاج إلى قدره المعصوم، غايه الأمر أنَّ المعصوم كالنبى الأكرم محمد (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) عندهم القدره على معرفه واكتشاف الطريق من الظاهر إلى الباطن والانتقال من المعنى الظاهر والجلى إلى تلك المعانى الخفيه لا- أنهم (عليهم السلام) يصنعون الطريق وإنَّما الطريق إلى الله تعالى موجود لا يَعْلَمه إلّا مَن كانت عنده القدره على اكتشاف ومعرفه ذلك.

ومن الواضح أنَّ هكذا قُدُرات لا تتوفر ولا يمتلكها إلّا المعصوم الذى يعلم التأويل أى يعرف الطريق؛ لأنَّ أحد معانى التأويل هو الأوَّل والمآل أى الطريق والسبيل فإنَّ الطريق موجود لا- أنَّ المعصوم يوجده، وعليه أحد معانى وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ- اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ١ أى لا يعلم تأويله ولا يعنى أنَّهم (عليهم السلام) يختلقون الطريق وإنَّما الطريق موجود.

والذى نريد أنْ ننتهى إليه من خلال هذا كُلَّهُ هو تخطئه تلك النظره القديمه القائله: - «بأنَّ المعانى التأويليه الباطنيه فى القرآن لا صله لها بالظاهر ولا صله لها بقواعد علوم اللغه والأدب».

وتقدم أنْ الناقد الأدبى اللوذعى والماهر الفطن يتمكن من فك لغز وإبهام العبارات المجمله والغامضه من خلال الرجوع إلى تفعيل قواعد اللغه والتى تكون أشبه بمباريات النقد الأدبى، فإنَّ ذلك الناقد الذكى يكتشف نكاتاً فى الكلام لا يستطيع غيرُه أنْ يكتشفها لا أنَّه يختلقها وإنَّما

هی موجوده ولکن تحتاج إلی فطنه وقدره علی اکتشافها وهذهِ القدره موجوده عند البشر إلّا أنها لیست علی درجه واحده من القدره فتختلف قدره المعصوم عن غیره.

إذنْ یختلف اکتشاف الدلاله الخفیه فی القرآن الکریم بین أنْ تقول: - الدلاله الخفیه عباره عن دلالات استحسانیه ذوقیّه، وبین أنْ نقول أنها موضوعیه منهجیه وقواعدیه ضمن نظام معین، إنَّما الاختلاف فی القدره علی الاکتشاف لذلک النظام فإنَّ قدرات البشر مختلفه، ویجب أنْ تکون تحت رعایه وإرشاد وکنف تعلیم المعصوم وهو النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) وآله الأطهار علیهم أفضل الصلاه والسلام علیهم أجمعین الذین نصَّبهم الله تعالی وأوَّلهم سید الأنبیاء بدلیل الآیه هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ۱.

المُفَسِّر لأجل أنْ یکتشف هذهِ النکات المهمه فإنَّه یحتاج إلی تعلیم نبوی، ویعلمهم الکتاب والحکمه، والمعلم الأوَّل للکتاب - کما تقدم - بتنصیب من الله تعالی هو سید الأنبیاء. ومن هذا یُعلَم الفرق بین مدرسه الألسنیات أی الحداثویون المبتنیه علی قراءات متشتته ومتراکمه إلّا أنَّه لیس خاضع تحت منهجه المیزان والنظام العلمی، فلذا یکون عُرْضَهَ للوقوع فی الأخطاء بخلاف منهج مدرسه التأویل للقرآن الکریم فی مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) فإنَّ منهاج التأویل فیها منضبط ضمن نظام ومنهج اکتشاف تحت رعایه وتعلیم المعصوم وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ۲.

أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها١.

هاتان الآيتان وغيرهما تشيران إلى أنَّ الطريق مفتوح للذهاب إلى صفوف مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) وما على المتعلم إلّا أنْ يذهب إلى تلك المدرسه ويضع نفسه فى الصف المناسب له من مرحله ابتدائيه أو متوسطه أو ثانويه أو جامعيه... الخ لكى يُتلقى ويُلقَّن التعليم والعلم لأجل أنْ يواكب المسيره العلميه المعاصِرَه، هذا مقصودنا من شمول رعايه المعصوم للمُفَسِّر حتَّى يكون عند المُفَسِّر القابليه والسيطره والإحاطه بتلك النكات العلميه فى الآيات والروايات التى تحتاج إلى مزيد من الالتفات والانتباه ولا يفهم من التعبيرات السابقه أنَّ هناك صنف أوجماعه خاصه من البشر ومن المسلمين يُولِهم المعصوم رعايه خاصه، كلا وإنَّما على الشخص أنْ يذهب وينتمى إلى المدرسه الحقّه مدرسه النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته ويغرف من نمير علومهم - صلوات الله عليهم أجمعين - ولذا وُصِف النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) بأنَّه أوتى جوامع الكلم ويصف كتاب الله بأنَّه حَبْلٌ ممدود من السماء إلى الأرض طرف منه عند الناس وهو الظاهر وطرف منه عند الله، وأحد معانى ذاك الطرف الذى عند الله تعالى هو تَعَدُّد الخطاب القرآنى فإنَّه مفتاح الإنطلاق إلى الباطن وباطن الباطن وهكذا، وكذا الإنطلاق إلى الظاهر وظهر الظاهر وظهر الظهر و... الخ وهذا يعنى عمليه التعدد فى الدلالات ولكنْ لكل دلاله طريقٌ مختص بها أشبه ما يكون بالألياف البصريه والنوريه فى الزجاج والأسلاك.

إنْ قلت: أنَّه بحسب بيانات أهل البيت (عليهم السلام) تدلُّ على أنَّ دلالات

الباطن والظهور يمكن أنْ تنضبط ويُبرْهن بها وذلك بأنْ تأتى لها بشواهد من الظاهر وحينئذٍ يشكل التمسُّك بأنَّ الدلالات الخفيه المبطنه المترامیه فی الإبطان والخفاء أنْ يكون لها شاهداً من الظاهر فإنَّه يلزم محذور عود الباطن والخفی ظاهراً.

قلت: التحوُّل والبروز من الخفاء إلى الجلاء والظهور أمرٌ نسبی يتوقف على قدره الشخص وهی مختلفه، وهذا شبيه بالمعادلات العلميّه فی علم من العلوم كالمعادلات الرياضيه أو الكيماويه أو الفيزياويه أو... الخ فإنَّ المسأله المجهوله قبل الوقوف على طريق الحل فيها تكون غامضه ولغزٌ مُعقَّد، ولكنْ عندما يستطيع عالمٌ من العلماء أو نابغه اكتشاف حلٍّ لذلك المجهول فإنَّه سوف يبينه ويُجلّيه ويبرزه للآخرين بصوره واضحه فيصبح الطريق جلياً، وربما يكون اكتشافه للحل بطريق قصير ومختصر ويسير ولا يكتشفه إلّا البصير فحينئذٍ لا مانع من ذلك.

الخلاصه: إنَّ الإمام الباقر (عليه السلام) بيَّن فی الروايه نظاماً مهماً فی الانطلاق إلى الدلالات الخفيه فی الخطاب من سطح ومنصه الظاهر لا- أنَّ الطريق مقطوع بين الظاهر والباطن وعدم معرفه هذا الاتصال هو سِرُّ انحراف بعض الفرق الإسلاميه سواء الصوفيه منها أو غيرها، بلْ حتَّى أنَّ بعض العرفاء تمسَّكوا بالشجره والقشر والظاهر دون الباطن وتركوا الثمره، ويأتون بشواهد فقط من سطح الظاهر وفی هذا تصريح إلى أنَّ العلقه بين الظاهر والباطن مقطوعه حسب رأيهم - وهذا باطلٌ -

نعم، إذا أردت أنْ تأتى بشاهد من سطح الظاهر لابدَّ أنْ يكون ضمن قواعد منضبطه وبأسلوب علمی وفنی صناعی لا تفسير بالرأی ومخترع،

وهذهِ كلَّها وللأسف تأويلات تُسوَّق على البسطاء والسُّذج تحت عنوان تأويل الشريعه أو تأويل الدين عند غير المعصوم، ونقطع بأنَّ غير المعصوم لا يأتى بشاهدٍ من ظاهر الشريعه وظاهر القرآن وإنَّما خلطٌ عشوائى وتلاعب بالدين، صحيح إنَّه بحسب منهاج مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) باب التفسير التأويلى مفتوح إلّا أنَّه منضبط بشواهد تنطلق من قواعد الظاهر وفى هذا ردٌّ على جماعتين: -

الجماعه الأُولى: التى تتلاعب بالتأويل.

الجماعه الثانيه: التى تخشى من التأويل حذف التلاعب وانمحاء ثوابت الدين.

إذنْ ما دامت الشواهد تنطلق من الظاهر فحينئذٍ لا خوف فى البين على مَن قال بالانقطاع بين الظاهر والباطن.

المعالجات البيانيه فی روايات أهل البيت عليهم السلام

لسطح ظاهر ألفاظ القرآن الكريم

أولاً: من ثمار قاعدتی التعريض والالتفات اللتين بحثنا بعض جوانبهما فی النظام الأوَّل أی النظام اللفظی الاستعمالی: - هو أنَّ المعالجات البيانيه لروايات أئمه أهل البيت (عليهم السلام) تعالج مفاد الآيات من منطقه سطح ظاهر الألفاظ التی خفيت علی أكثر المفسرين إلّا النزر منهم فظنوا فی بعض الآيات أنَّها تأويليه باطنه والواقع ليسَ كذلك، وإنَّما هی آيات تعالج سطح ظاهر ألفاظ القرآن الكريم.

ثانياً: والثمره الأُخری من هذهِ المعالجات البيانيه مضافاً لما تقدَّم: هی أنَّ بيانات أهل البيت (عليهم السلام) سوف تكون كلها بيانات مبرهن مُدَلل عليها بالدلائل ولا تحتاج إلی التعبد حتَّی فی مقام الحجيه التعبديه لأهل البيت (عليهم السلام) وإنْ كان التعليم اللدنی من أهل البيت (عليهم السلام) هو شأن من شؤون الإمامه وأحد مقامات سيد الرسل (صلی الله عليه و آله) ولأنَّ شأن سيد الأنبياء له مقامات عدَّه والأئمه المعصومين (عليهم السلام) من أهل بيت النبی (صلی الله عليه و آله) بعده وبعض تلك المقامات أشارت له الآيه المباركه هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ١ فذكرت عده مقامات: -

مقام التزكيه ومقام التعليم تعليهم الكتاب وتعليمهم الحكمه و... الخ وهذهِ المقامات غير مقام الأمر والنهی.

الفرق بين مقام المعلم الإلهى ومقام الآمريه والأولويه

مقام التعليم من أعظم مقامات سيد الأنبياء، وهكذا الأئمه وأنهم معلمون إلهيون للبشر، ويجب أنْ نتعامل مع تراث السماء وهو القرآن الكريم وتراث النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (صلى الله عليه و آله) فى علم التفسير كمعلم لا أنَّها حجيه تعبديه ظنيّه تنجيز وتعذير وتقدير إذنْ يجب أنْ نتعاطى مع مباحث التفسير للقرآن الكريم المرتبطه بالحجيه كمعلم إلهى.

والمراد بالمعلم الإلهى: - هو ما يُحدِث العلم ويعلّمه فإذا أُحدِث العلم ويعلّمه فإذا أُحدِث العلم أى أوصل للآخرين وبلَّغوهم بحجيه تكوينيه ذاتيه ناجزه الأنصياع والانقياد تلقائياً - لا بالتعبد الظنى - ومن المعلوم أنَّه إذا أحْدِث العلم للآخرلا يحصل انقياد للطرف الآخر.

وعليه فما ورد فى كثير من الروايات التفسيريه للنبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته للقرآن الكريم هى فى الحقيقه بيانات تعليميه أى تُحْدِث وتبرهن بالدليل الذاتى الموجود الذى ينطلق حتّى من سطح ظاهر ألفاظ القرآن، ولذا التعامل مع روايات أهل البيت (عليهم السلام) فى معالجه ظاهر القرآن سوف يكون تعاطياً أعمق مع هذا التراث وأوسع أُفقاً مما لو تعاطينا مع هذهِ الروايات وهذا التراث المأثور فى تفسير القرآن الكريم بشكل حجيه تعبديه ظنيه.

وتقدم أنَّ الحجيه التعبديه على قسمين: -

١ - حجيه تعبديه محضه وبلا دليل.

۲ – حجیه تبعدیه مع الدلیل.

بلْ وحتّی القسم الثانی من الحجیه التعبدیه لا ینفعنا فی المقام بمقدار ما ینفعنا استنطاق المعادله البیانیه البرهانیه التی تعالج سطح ظاهر ألفاظ القرآن، وإنْ کانت هذهِ المعادله البیانیه قد خفیت علی الآخرین.

وعلیه ببرکه استنطاق المعادله البیانیه الوارده فی کلام المعصوم (علیه السلام) سوف نستکشف أمراً مهماً ذو أساس متین وله شُعبٌ وعمود تبتنی علیه دعامات تنفعنا فی آفاق وسیعه لا بخصوص منطقه مقطعیه مکانیه أو زمانیه محدوده، وهذا بالتالی یؤکِّد لنا سعه المعرفه التفسیریه للعلوم والبیانات الموجوده فی القرآن الکریم.

ولذا بیانات أهل البیت (علیهم السلام) فی المعارف والتفسیر مُنطلِقه من دلالات مودعه فی سطح ظاهر القرآن، وللأسف لم یتفطن أکثر المفسرین إلیها لولا تعلیم الراسخین فی العلم بدلیل الآیه المبارکه وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلَّا اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ۱ لأنَّهم راسخون فی الآمریه والولایه وإنَّما راسخون فی العلم.

ولذا تقدم فی المباحث السابقه أنَّ أحد مقامات النبی (صلی الله علیه و آله) وأهل بیته (علیهم السلام) أنَّه معلم إلهی ولیسَ معلم بشری، وأنَّ المعلم الإلهی من قبل الله تعالی هو الرسول الأکرم (صلی الله علیه و آله) ثم سید الأوصیاء ثم أوصیاؤه کما فی الآیه المبارکه بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ۲ ولم یقل تعالی أوتوا الآمریه أو الولایه وإنْ کان مقام الآمریه والولایه موجوداً ومحفوظاً لهم إلّا أنَّ الأهم هو مقام العلم والتعلیم وأنَّه معلم إلهی وأنهم معلمون إلهیون

يعلمون الآخرين الآيات كَفى بِاللّهِ شَـهِيداً بَيْنِى وَ بَيْنَكَمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ۱. إذنْ اتضح الفرق بين مقام المعلم الإلهى وبين مقام الآمريه والولايه بأنَّ مقام الآمريه والولايه ثابته لهم (عليهم السلام) تكويناً.

ص:۴۹۱

الفصل السادس: القاعده الثالثه: إياک أعنی وأسمعی یا جاره

اشاره

ص:۴۹۳

القاعده الثالثه: إياک أعنی واسمعی یا جاره

اشاره

*مضمون القاعده.

*المقارنه بین الالتفات وقاعده إیاک أعنی واسمعی یا جاره.

*الفوائد المترتبه علی قاعده إیاک أعنی.

*أهمیه علوم اللغه والبلاغه والنحو فی قراءه النص الوحیانی.

*الضوابط والنماذج التطبیقیه لقاعده إیاک أعنی وأسمعی یا جاره.

*محکمات القرآن تفسر متشابهات السنه.

*تأکید القرآن علی عاقبه الأمور.

القاعده الثالثه من قواعد الاستعمال اللفظی هی قاعده: إنَّ القرآن نزل بأسلوب: [إیاک أعنی وسمعی یا جاره] کما جاء ذلک فی روایه عبدالله بن بکیر عن أبی عبدالله (علیه السلام)، قال: «نزل القرآن ب - (إیاک أعنی وأسمعی یا جاره)»(۱).

وفی سؤال المأمون للإمام الرضا (علیه السلام) فی مجلس یسأل الإمام (علیه السلام) عن عصمه الأنبیاء، فقال المأمون:... لله دَرّک یا أبا الحسن فأخبرنی عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ «عَفَا اللّهُ عَنْکَ) التوبه/ ۴۳ لِمَ أذنت لهم

؟ قال الرضا (علیه السلام) هذا مما

۱- (۱) تفسیر العیاشی، ج ۱ باب فیما أنزل القرآن، ص ۸۴، ح ۴؛ والکافی ج ۲، ص ۴۶۱؛ وبحار الأنوار، ج ۹۲، ص ۳۸۲ ح ۱۷.

نزل بإياك أعنى واسمعى يا جاره، خاطب الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه وأراد به أمته، وكذلك قوله تعالى لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ الزمر/ ۶۵، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً الإسراء/ ۷۴، قال صدقت يا بن رسول الله»(۱).

۱- (۱) عيون أخبار الرضا، ج ۱، ص ۱۵۴-۱۵۵، باب/ ۱۵، ذكر مجلس آخر للرضا (عليه السلام).

مضمون القاعده

اشاره

هو أنَّ يُوجَّه المتكلم ظاهر خطابه إلى المخاطب ومرادَه الجدى إلى مخاطب آخر. وهو من الأساليب التربويه الرائعه والنافعه التى استعملها العرب وعلى ضوئها استعملها القرآن الكريم فى خطاباته، فلكى لا يوجه البارى خطاباته بصوره مباشره إلى المسلمين أو المؤمنين؛ لأنَّ ذلك فيه نوع من ردَّه الفعل أو التشبيه أو... الخ ولأجل هذا وغيره ورأفةً من البارى تعالى لا يوجِّه الخطاب مباشره للمخاطب المقصود.

وما ورد فى قوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً١ ، وقوله تعالى: وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ٢. من أنَّه مَن هو الموجَّه إليه الخطاب بالظاهر؟.

بتقريب: أنَّ صوره الخطاب القرآنى ظاهراً هى موجّه للنبى (صلى الله عليه و آله) إلّا أنَّ المراد الجدى بحسب بيانات أهل البيت (عليهم السلام) أنَّ الخطاب موجّه إلى أمه النبى (صلى الله عليه و آله) وفى هذا أسلوب تربوى نافع مقتبس من سنن الله فى كيفيه تربيه الله لخلقه، والله ستّار العيوب، يُحِب السَتْر ولا يكشف السِتار، لا يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ٣.

بتقريب: إنَّ الكشف والجهر عن السوء فيه ترويج وتجرأه للسوء

وتترتب عليه مخاطر جسيمه، وهذهِ ليست طريقه نافعه فی التربيه علی خلاف استعمال أسلوب التعريض الذی بُعِث به النبی (صلی الله عليه و آله).

تنبيه:

قاعده إيّاک أعنی واسمعی يا جاره – منحدره من قاعده التعريض والأسلوب الكنائی.

ص:۴۹۸

المقارنه بين قاعده الالتفات وقاعده إيّاک أعنى واسمعى يا جاره

الفرق الأوَّل: فى قاعده الالتفات يكون الخطاب فى النظام الاستعمالى والتفهيمى والجدى واحد، ولكنْ المتكلم أو المخاطب يتبدل فى قطعه قطعه من الآيه المباركه، فإنَّه قدْ يكون المتكلم فى صدر الآيه شخص وفى وسطها آخروفى ذيلها ثالث، أو يتغير المخاطِب والمخاطَب من كلا الطرفين أو أحدهما أو... الخ، ولكنْ الخطاب على الصعيد الاستعمالى التفهيمى الجدى واحد.

أمَّا فى قاعده إياک أعنى واسمعى يا جاره يوجد مخاطب صورى ومخاطب جدى فإنَّ الخطاب القرآنى يتلون ويتنوع وبأطوار مختلفه على صعيد المعنى الاستعمالى وعلى صعيدالمعنى التفهيمى، فتوجّه الخطاب من البدايه إلى شخص، بينما على صعيد المراد الجدى يتوجّه الخطاب شخص ثانٍ فحينئذٍ فى هذهِ القاعده صوره الخطاب وصوره المخاطِب لا تعكش صوره المخاطَب الحقيقى ولاـ الخطاب الحقيقى، وإنَّما الخطاب الصورى والمخاطب الصورى فى طرف، والمخاطب والخطاب الحقيقى فى طرف آخر.

وهذا بالتالى فيه نوع ما من الصعوبه.

الفرق الثانى: الالتفات إلى تغير أطراف الخطاب فى قاعده إياكِ أعنى واسمعى يا جاره، أصعب من قاعده الالتفات - وإنْ كان الالتفات كما

تقدم – فيه صعوبه باعتبار أنَّه قدْ تكون الجمله الواحده ذات الكلمات يتبدل فيها الخطاب القرآنى هذا فى قاعده الالتفات.

أمَّا فى قاعده إياك أعنى واسمعى يا جاره فإنَّ الخطاب واحد والمتكلم واحد والمخاطب واحد، وفى نفس هذا الخطاب يتضمن لباس مخاطب آخر، وربما أيضاً لباس متكلم آخر.

وهذهِ الانتقالات بالتالى تشكل صعوبه فى التفنن والانتقال.

الفرق الثالث: قاعـده إياكِ أعنى واسـمعى يا جاره، ليست على وتيره ونوع واحد، وإنَّما فيها أنواع أُخرى، فمثلاً قدْ يكون المعنى الاسـتعمالى المخاطب فيه شـخص والمعنى التفهيمى المخاطب فيه شخص آخر، وقدْ يتطابق المعنى الجدى مع المعنى التفهيمى، وقدْ يتغاير فيصير عدد المخاطبين ثلاثه:

١ – مخاط على مستوى المعنى الاستعمالى يعنى استعمال حقيقى.

٢ – مخاطب على الصعيد التفهيمى.

٣ – مخاطب على الصعد الجدى.

الفوائد المترتبه على قاعده إياک أعنى واسمعى يا جاره

ثالثاً: الحِكَم والفوائد المترتبه على قاعده [إيَّاک أعنى واسمعى يا جاره].

هناک فوائدٌ جمه لهذهِ القاعده المهمه، وهذا الأسلوب التربوى القرآنى نذکر بعضها: -

الفائـده الأُولى: عـدم إثاره الطرف الآخر؛ لانه عنـد الجهر والکشف عن أفعاله وأقواله وتوجيه الخطاب إليه مباشـره مما قدْ يؤدى إلى ردّه فعل سلبيّه.

الفائـده الثانيه: التستر الأمنى وعـدم إرباک الوضع الأمنى المسـتقِر والمسـتتب، فإنَّ کثيراً من الأمور التى يريـد الله أنْ يکشف بها أعمال المنافقين والمبيتين شرّاً للدين ويُخَططون لما بعد فتره رسول الله (صلى الله عليه و آله) فإنَّ القرآن يخاطب هؤلاء بهواجس ويحذر مِن أفعالهم، ولکنْ لا بتوجه خطاب مباشِـر إليهم؛ لأنَّ ذلک سوف يسـتثيرهم وربما يُربکون الوضع الأمنى بأشد فساد مما هم عليه من برنامج، ولربما يستيقظون على کثير من الحقائق القرآنيه.

إذنْ قاعـده إيّـاکِ أعنى واسـمعى يـا جاره هى أسـلوب من أساليب التعريض والکنايه، بلْ والـدلاله الخفيه؛ ولـذا من الغريب أنْ يُطـالب فى دلالاـت القرآن بـأنَّه لماذا لا تکون کلّها صـريحه وجهاراً، إلّا أنَّ ذلک خلاف الحکمه؛ لأنَّ المُفَسِّر إذا کان يبنى فى تفسـيره لآيات القرآن على الظاهر الجلى فإنَّه حينئـذٍ قـدْ أخفق فى الحصول على الدلالات وآفاق المدلول للآيه والمفاد القرآنى للتفسير.

وهـذا مـا أشـار إليه أمير المؤمنين (عليه السـلام) كمـا تقـدَّم سابقاً فى مبحث الـدلالات الخفيّه، مِن أنَّ عمـده دلالات القرآن فى المنطقه الخفيّه لاـ المنطقه الجليّه وسـطح الظـاهر، نعم جزء يسـير من دلالات القرآن فى المنطقه الجليّه وبالجهر والتى ينطلق منها إلى المسـاحه الأكبر واللامتناهيه فى الخفاء؛ لأنَّها جواهر مكنونه والمكنون لابـدَّ أنْ يكون خفياً محفوظاً عن تناول السارقين؛ لأنَّ السرّاق على أصناف: -

١ - صنفٌ يسرق مصير الأمَّه.

٢ - صنف يسرق عقل الأمَّه.

٣ - صنف يسرق عفاف الأمَّه.

٤ - صنف يسرق طهاره الأُمَّه ويُبدلها برذائل وإنجازات لمصلحته الشخصيه ومصلحه حزبه ومكتسبه السياسى واتباعه.

الفائـده الثالثه: تحفظ الأسـرار الجوهريه التى أودعها الله تعالى فى القرآن الكريم من أيدى السُّراق وتلاعبهم بناءً على ما وَرَدَ فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) من أنَّ الجزء الأوفر من دلالات الكريم هى مكنونه ومحفوظه فى الباطن وفى الدلالات الخفيّه حفاظاً عليها مِن أنْ يصادرها ويستثمرها ذو النفوس الضعيفه والسُّراق والمنحرفين فكرياً والذين ليسَ لديهم خلوص الانقياد لرب العالمين، وبعباره أُخرى ابتعاداً عن هؤلاء الذين عندهم تمرُّد على مشروع السماء.

وعليه كلما كان لـدى الإنسان إخلاص لله ونقاء فإنَّه يُفتح له بقدر إخلاصه من أبواب تلك الخزائن، وبالتالى هذهِ سياسهٌ عظيمه من رب

العالمين وبرامج خطيره ومهوله، وفيها علوم ومخططات كبيره لايمكن أنْ تُعْطى للسُّراق وقُطّاع الطريق ولا يطلع أمثال هكذا نماذج متسافله ودانيه على أسرار مكنونات وحيه، وبالتالى فهذا نوع من السياسه التعليميه الأمنيّه فى البرامج والمخططات الإلهيه من قِبل ربِّ العالمين يقى أسرار وحيه عن غرباء مسيره الطهاره والإيمان، وهذا مما أكَّد عليه أهلُ البيت (عليهم السلام) فى المنهج التفسيرى من أنَّ هناك قسماً من حقائق القرآن ليست جليّه، وعليه فليس بإمكانك أيُّها المُفَسِّر أنْ تحصر حقائق القرآن الكريم فى الدلاله الظاهره والجليّه - كما تقدم -.

ومن ضمن تلك الأسرار الجوهريه المكنونه التى أودعها الله تعالى فى القرآن الكريم أنَّه فى لوح محفوظ ومكنون أى مودع فى منطقه الدلاله التعريضيه أو الدلاله الخفيّه، وهو نوع من إقامه الحجه وفيها الحجج العظام لخطورتها وأهميتها أودعت فى الجانب الخفى؛ لأنَّه دائماً الحفظ والكنن يكنْ للأشياء الخطيره فى الجانب الخفى لا الأشياء اليسيره؛ فإنَّ الأشياء اليسيره والواضحه من ظاهر الإسلام تُجْعَل فى منطقه الظاهر والجهار والعلن، أمَّا عمق الإسلام وحقيقه الدين تُجْعل فى المنطقه الخفيه، فمثلاً ظاهر الشهادتين جُعِلَت فى منطقه عَلَن وجهار، أمَّا عمق الشهاده للتوحيد وللنبوه والشهاده الثالثه بالإقرار لأمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) بالولايه الحقّه من بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فتلك تُجْعل فى منطقه خفيّه ومكنونه، عكس ما يجعله المفسرون الآن فى مناهجهم التفسيريه من جعل سطح الظاهر والدلاله الجليّه هى المدار الأعظم والميزان الأكبر.

وكما أشرنا أكثر من مرَّه إلى أنَّه ينبغى الالتفات إلى أنَّ أهل البيت (عليهم السلام)

بحسب بياناتهم التفسيريه لاـ يهمشون الظاهر بالمرَّه؛ وإنَّما يجعلون سطح الظاهر رأس خيط ينطلق منه المُفَسِّر إلى ما وراءه من الباطن الخفى، ولكنْ لا تجعل هذا هو المنتهى، وإنَّما الغايه أهم من البدايه؛ لأنَّ البدايه هى أنْ يُبتدأ بها وتمهيد موطئ للوصول إلى الغايه، وتعتبر البدايه هى العمده فى الوصول إلى الغايه وهى الأعظم، فالبدايه نَقِرُّ ونعترف بأهميتها؛ لأنَّها مفتاح الانطلاق والوصول إلى الغايه، ومَن ينطلق من غير هذا المفتاح فقدْ تخبط وضَلَّ الطريق الصحيح.

هذا مضافاً إلى أنَّ الخطاب قدْ يوجَّه إلى مخاطب فى أصل الوضع اللغوى مثل كاف الخطاب فى نفس تصور الوضع لشخص النظام الاستعمالى، ويمكن لشخص آخر وهو التفهيمى بلْ ولثالثٍ وهو الجدى، بلْ ولرابعٍ وهكذا فإنَّ مثل هذهِ كُلَّها وجوه مستعمله فى ألوان توجيه الخطاب فى اللغه.

لذا فى البيانات الوارده عن أئمه الهُدى (عليهم السلام) [إنَّ الكلام يُتصْرَف إلى سبعين وجه] وليسَ المراد من السبعين الحصر، وإنَّما كنايه عن الكثره ربَّما تصل الكثره إلى ما لاـ تُحْصَى من الوجوه، وفى كُلّ ذلك يقول الإمام (عليه السلام) «فيه للإمام فُسْحَه ومجال» ويستضح هذا أكثر فى القاعده الرابعه اللاحقه إنْ شاء الله تعالى.

أهميه علوم اللغه والبلاغه والنحو فى قراءه النص الوحيانى

تنبيه:

فى قراءه النص الوحيانى - الكتاب أو لحديث نبوى أو عن أحد الأئمه المعصومين (عليهم السلام) - لابدَّ للباحث الكريم لكى يفهم النكات العلميّه والفنيّه وغيرها فى علم اللغه والنحو والبلاغه والصرف و... الخ لابدَّ أنْ يُلِمَّ بما يلى:

أولاً: علوم اللغه فإنَّها من العلوم الأساسيه فى فهم علوم الوحى ولابدَّ من معرفه أنَّ فى اللغه نظام وقواعد يُحَكَّم فيها أصل الوضع اللغوى الذى يُعَبر عنه بالدلاله التصوريه.

ثانياً: قرائن وقواعد الاستعمال فإنَّها تُحَكَّم الدلاله الاستعماليّه.

ثالثاً: القرائن التفهيميه فإنَّها تختلف عن القرائن الاستعماليّه ولها نظام مُعيَّن فمثلاً فى علم البلاغه - قسم علم المعانى - يُبحث فيه عن كيفيه الاستعمال، وفى علم البيان يُبحث عن التفهيم والجد و... الخ.

وغالباً الحَيّز الذى يشغله علم البيان يختلف عن ما يشغله علم المعانى لا فى كل بحوث علم المعانى، وهكذا علم البديع.

إذنْ علم البلاغه بإقسامه الثلاثه - معانى وبيان وبديع - لا يمكن التفريط به وإلّا - أى لو فُرِّط به لا سامح الله - تكون هناك أزمه فى قراءه

النص الدينى بعلم البيان أو المعانى أو البديع وإلّا لا يستطيع علم البلاغه بقسمه الثالث - البديع - لوحده أنْ يرقب بالذات العلاقه بين المدلول التصورى والاستعمالى، وعليه إذا لم يُؤكِّد على دراسه وبحث علم البيان والمعانى من علوم البلاغه فإنَّه يحصل تقصير فى فهم قراءه النص الدينى.

وهكذا تأتى أهميه علوم اللغه ومفرداتها الذى يبحث التصور فى الدلاله التصوريه وتأثير كل علم من علوم اللغه.

وهكذا علم الصرف وما يبحث فيه بلحاظ المفرده الواحده وقوالبها وتشكيلاتها وكيف دورها فى الدلاله التصوريه ثم الدلاله الاستعماليّه.

أيضاً علم النحو على صعيد الاستعمال والتصور فقط، وكذا علم فقه اللغه وعلم الاشتقاق و... الخ.

إذنْ كل علم له موضع معين يختلف عن سائر العلوم الأُخرى.

وعليه فإنَّ مثل علوم اللغه التى تفرعت وتوسَّعت عما كانت عليه أيام سيبويه وأحمد بن الخليل الفراهيدى والكسائى والفرّاء و... الخ فإنَّه اكتُشِفَت قواعد كثيره بعدهم ولم يطلعوا عليها وإنْ كانت أسسها تُستَل وتتشعب عن إشارات موجوده فى بيانات القرآن وأهل البيت (عليهم السلام).

واعترف علماء اللغه بأنَّهم لم يكتشفوا كل قواعد علم اللغه أو علم البلاغه بأقسامها الثلاثه، وعلم الصرف والنحو والاشتقاق و... الخ وأنَّ هناك قواعد استُجدت مِن قرون، وعلى كُلٍّ فلا يتوهم المتوهم: -

إنَّ استعمال هذهِ العلوم فى علم التفسير وغيره من العلوم التى تَسْتَعمِل المعادلات العلميّه والقواعد الصحيحه والنظام المُوَحَّد أنَّها مُجَرَّد

من باب الزخرفه والبهرجه، كلا، وإنَّما لأجل أنْ نصل إلى نتائج صحيحه وطيبه وليسَ فيها ثغرات فلابدَّ من تَفَعَّلها.

إذنْ تطبيق قواعـد علوم اللغه وما يتفرع عنها وما يتعلّق بها وسيع النطاق والقواعـد، ولأجل تفعيله تصبح لـدينا إلى ما شاء الله من القواعـد وما يتفرع عنها، وهكـذا اسـتعمال وتطبيق مسـتفيض فى كلام المعصوم (عليه السـلام)، وهـذا يصـبح بُرهاناً له ويعى عنه الآخرون غير المعصوم، ويكون هـذا بالتالى مصـداقاً لقاعده «إنَّ الكلام والواحد ليتصـرف إلى سـبعين وجهاً» ويكن للإمام (عليه السلام) المَخْلَص من كل وجه، وعليه فإنَّ ما ينتهى إليه الكلام من معادلات تتركب فإنَّها توقفك على أبواب وأنفاق متعدده فى الكلام الواحـد، ولكن هذا المطلب هو لمجرد التصوير وأنَّه أمرٌ نظرى بالنسـبه إلى غير المعصوم تقريباً، أمَّا كتطبيق عملى ووعايه علميّه فإنَّه يصعب على غير المعصوم ذلك.

وعليه قـدْ يلاحـظ المـدلول التصورى للمخـاطب، قـدْ يكون شـخص المـدلول الاسـتعمالى أو شـخص مخاطب آخر، والمـدلول التفهيمى قـدْ يكون لمخاطب ثالث، والمـدلول الجدى قدْ يكون لمخاطب رابع، وأيضاً يوجد وراء المدلول الجدى الأوّلى جدى ثانٍ وثالثٍ و... الخ وننتهى إلى أنَّ الجدى على طبقات، والقاعده التى نحن بصددها [إياكِ أعنى واسمعى يا جاره] هى من طبقه المراد الجدى، ولكن هناك ما هو جدى أخطر.

الفائـده الرابعه: إنَّ قاعـده [إيـاكِ أعنى واسـمعى يـا جاره] توجب اليقظه والالتفات والقيام من السُّبات بشـكل أكثر فأكثرللطرف المعنى به الخطاب وبأسلوب هادئ سليم صائب يوصله إلى حقيقه الأمر التى كان

هو فی غفله وعمایه عنها وما کان لیستیقظ ویُبصر الحقیقه لولا هذا الأسلوب البلاغی الرفیع المستوی؛ لأنَّ التصریح قدْ یوجب غفله لدی الطرف المخاطب استفزازاً نفسی یعمیه أکثر عن الحقیقه، بینما أسلوب قاعده إیاکِ أعنی واسمعی یا جاره هو أحد آلیات التوریه والذی یُعطی إلی الطرف الآخر صحوه انتباه والتفات وقیام من السُّبات أکثر فأکثر، کما فی الآیه المبارکه من سوره الأنبیاء فی قصه النبی إبراهیم (علیه السلام) عندما کسَّرَ أصنامهم فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلاّ کَبِیراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَیْهِ یَرْجِعُونَ قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمِینَ قالُوا سَمِعْنا فَتًی یَذْکُرُهُمْ یُقالُ لَهُ إِبْراهِیمُ قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلی أَعْیُنِ النّاسِ لَعَلَّهُمْ یَشْهَدُونَ قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا یا إِبْراهِیمُ قالَ بَلْ فَعَلَهُ کَبِیرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ کانُوا یَنْطِقُونَ۱.

هذا هو کلامهم فرجعوا إلی وجدانهم وضمیرهم والتفتوا إلی حقیقه الأمر مِن أنَّ الذی فَعَل بهم هذا وکسَّرَ أصناهم لیسَ ظالماً، بلْ نحن الظالمون بعبادتنا لمثل هذهِ الأصنام التی لا تستحق ما یُسند إلیها من الإلوهیّه وبالتالی هذا ظلمٌ لشأن الألوهیه بأنَّ تستند الألوهیه إلی أصنام لیست لها حقوق وشأنیه عظمه کی نقول: مَن اجترأ علیها ظالم، بلْ بالعکس اسنادنا هذا الشأن والمقام الإلهی للأصنام ظلمٌ.

وبالأخیر هم بأنفسهم التفتوا إلی هذهِ الحقیقه.

ص:۵۰۸

الضوابط والنماذج التطبيقيه لقاعده: إياک أعنی واسمعی یا جاره

نذکر خمسه نماذج تطبیقیه لهذه القاعده المبارکه من القرآن الکریم:

النموذج الأوَّل: الآیه المبارکه: وَ مَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِیها وَ غَضِبَ اللّهُ عَلَیْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِیماً۱.

بتقریب: - إنَّ الآیه المبارکه حَرَّمت قتل المؤمن متعمداً، وجزاء القاتل علی هذا الفعل المحرَّم والشنیع ذکرت الآیه أموراً خمسهً: -

۱ - جزاؤه جهنم.

۲ - الخلود فی نار جهنم.

۳ - غضب الله علیه.

۴ - ولعنه الله.

۵ - وأُعدَّ لهم عذاباً عظیماً.

وهناک تساؤلان: -

الأوَّل: لماذا القاتل للنفس المؤمنه مَخَلَّدٌ فی نار جهنم.

الثانی: ما معنی قتل النفس المؤمنه.

أمَّا جواب السؤال الثانی فقدْ أجابت عنه الروایه عن الإمام الصادق (علیه السلام) فی بیان تأویل الآیه المبارکه، [تأویلها الأعظم مَن یُضلها] وذلک ببیان:

بیَّنت الروایات أنَّ القتل علی قسمین: - تاره قتل للبدن، وأُخری قتل

للنفس والتأويل الأعظم لقتل أو إحياء النفس ليسَ المراد منه تعلق النفس بالبدن، بلْ تعلَّق النفس بالعقائد الحقَّه؛ لأنَّ هناک حياه بدنيّه أرضيه هابطه، وهناک حياه أبديّه أخرويه أعلى بمراتب كثيره عن حياه الأرض والدنيا، فإنَّ مثل هذا مُراد جدى وراء مراد جدى لا أنَّه مرادٌ استعمالى وتفهيمى، وإنَّما المراد أنَّ ذلک المعنى لتفسير القتل هو الإضلال مُرادٌ أكثر جديه؛ لأنَّه أعظم صوره من باقى المعانى المراده الأُخرى، ولكنْ بدرجه أقل، وهذا ما سيأتى تحقيقه فى القاعده الرابعه [استعمال اللفظ وإراده أكثر من معنى].

وعليه لو قارنا بين تطبيق اللغويين لهذه القاعده المهمه نجد أنَّهم طبّقوها على مستوى الصعيد التصورى، أو الاستعمالى أو التفهيمى أو استعمال جدى فى موارد محدوده بما يتناسب وسعه أفقهم.

ولكنْ هذا بخلاف ما نجده من تطبيق لهذه القاعده - إيّاک أعنى واسمعى يا جاره - فى بيانات أهل البيت (عليهم السلام)، فإنَّنا سوف نجد لها تطبيقات بشكل أوسع وآفاق متعدده أكثر فأكثر، وتحاول بيانات أهل البيت (عليهم السلام) أنْ تركِّز الأضواء على المراد الجدى الأكثر خطوره وهولاً وعظمه الذى يَعْتنى به المتكلم.

ومن الواضح أنَّ تصور مفهوم معين أراده المتكلم جداً خاصه القصود الربانيه فإنَّها ذو طبقات، وإيّاكَ أنْ تَظُنَّ أنَّها ليست مُرادَه بالإراده الجديه، والإراده الجديه تتصف بوصف الشِّدَّه والضعف، وهذا بابٌ موجودٌ فى علم اللغه والأدب و... إلّا أنَّ أهل الفن - العلماء - يغفلون ذلک، فإنَّ هناک تعريفات دقيقه للمراد الجدى وأنه ذو طبقات فى القرآن الكريم وبيانات أهل البيت (عليهم السلام)، وأنَّ الإراده الجدّيه ذات شدَّه وضعف،

وعليه فلا يظن علماء اللغه أو الأدب أنَّهم يتوسعون ويحيطون فى علومهم مقابل بيانات أهل البيت (عليهم السلام) من أنَّ الإراده التصوريه والتفهيميه والاستعماليه والجديه ذو طبقات من الاستعمال كما سوف يتضح كُلّ ذلك فى القاعده الرابعه - استعمال اللفظ فى أكثر من معنى - إنْ شاء الله تعالى.

النموذج الثانى: قوله تعالى: وَ إِذْ قالَ اللّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِى نَفْسِى وَ لا أَعْلَمُ ما فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاّمُ الْغُيُوبِ، ما قُلْتُ لَهُمْ إِلاّ ما أَمَرْتَنِى بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ رَبِّى وَ رَبَّكُمْ وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمّا تَوَفَّيْتَنِى كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ، إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ١.

ويستشهد بهذهِ الآيات المباركات على قاعده [إياكِ أعنى واسمعى يا جاره] وذلك ببيان:

إنَّ الآيه الأولى فيها خطاب من الله تعالى يشتمل على مساءله ومحاسبه ومداينه نبى الله عيسى (عليه السلام) وإنَّما وجهها إلى عيسى (عليه السلام) بحسب الظاهر والصوره وإلّا فبالواقع هذهِ المسائله والمداينه موجهه إلى أمَّه عيسى (عليه السلام) أى النصارى الذين حَرَّفوا دين الله وشريعه عيسى (عليه السلام) بعده ومن الواضح أنَّ عيسى (عليه السلام) لم يحرِّف الشريفه السماويه التى جاء بها حتّى يقصد بالخطاب القرآنى والمعاتبه والمحاسبه، وإنَّما بواسطته وجّه الله الخطاب إلى قومه لما فى ذلك تأثير أشد على قوم عيسى (عليه السلام)، وفى نفس الوقت ذلك التعامل الربانى فيه نوع من الرأفه بعباده والتدبير والستر واللين، فإنَّ الله تعالى حتّى فى يوم القيامه لا

يخاطب النصارى الذين حَرَّفوا دين الله وشريعه نبى من أنبياء أولو العزم مباشره، وإنَّما يوجه البارى عز أسمه الخطاب إلى عيسى (عليه السلام) وَ إِذْ قالَ اللّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى... واستعماله تعالى لكلمه [ءأنت] فى التعبير لا يُقصد منها حقيقه الكلام لما فيه من حاله الاستصغار باعتبار أنَّه ليسَ من شأن، النبى عيسى (عليه السلام) أنْ يدّعى مثل هذهِ العظمه أى عظمه الألوهيّه، وإنَّما يُقصد صوره الكلام؛ لأنَّ الذات الألوهيه مقام جبروت يُصْغُر المخلوق ويُحقَّر عنه الذى يدعيه، وكأنَّما البارى يتكلم مع عيسى ويقول له: -

أأنت مِن شأنك أنْ تقول: - أتخذونى وأمى إلهين اثنين من دون الله، وصوره هذا الكلام ليست بالسهله مع أنَّ الله تعالى يعلم بأنَّ النبى عيسى (عليه السلام) ليسَ له أى واعز وداعى - والعياذ بالله - لذلك الأمر؛ لأنَّه يؤنبه الآخرون على ذلك، ومع ذلك يسوق البارى الخطاب بهذا النحو وكأن الجمله فيها إسنادٌ [أأقلت للناس -] مع أنَّ الله تعالى يعلم بأنَّ هكذا إسناد إلى نبى الله عيسى (عليه السلام) فى هذهِ الجمله غيرُ صحيح، وذى فِعل أُسنِدَ إلى عيسى (عليه السلام)؟.

إنَّه من أكبر وأعظم الذنوب والكبائر ألا وهو ادّعاء الألوهيه له ولأُمّه (عليهما السلام) فكيف نبى من أنبياء أولى العزم ك - (عيسى (عليه السلام) يرتكب هكذا كبيره - والعياذ بالله، وعليه فتكون هذهِ المسأله محل ريبه وهل النبى عيسى (عليه السلام) مَحَلُّ ريبه - ليوجِّه إليه هكذا سؤال، وأنَّه غير متيقن الطاعه؟.

حاشا أنبياء الله فأنَّهم أعزُّ وأجَلُّ، إذنْ كيف يخاطب الله عيسى (عليه السلام) بهكذا خطاب، وأنَّه بحسب موازين علم البلاغه والبيان فيها تقريع وعتاب وأى عتاب هذا وفيه استصغار واستحقار لمدعى مثل هكذا دعوى

خطیره، ولا أقل ما فی هذا الخطاب صوره لا حقیقه هو الاسترابه التی هی نوع من الهبوط للخط والاعتبار.

وعلیه فلو کانت هناک شکوی أو محاکمه تُرْفع ضد شخص له مقام رفیع وله مکانه فی المجتمع والقلوب فهذا معناه أنَّ هکذا تصرف معه یوجب الزعزعه لشأنه واقتحامه، فهل یا تُرَی یتصور هذا من ربِّ العالمین - والعیاذ بالله - تجاه نبی من أنبیاء أولی العزم، وأنَّ الله تعالی یوم الحشر والنشر وفی المحکمه الإلهیه وأمام الخلائق یفتح ملف النبی عیسی (علیه السلام) الذی هو مخلوقٌ عزیز طاهر مُصطفَی، فالله تعالی أعزُّ وأجلُّ وأکرمُ من أنْ یتهم عیسی (علیه السلام) بأکبر الکبائر وهو ادّعاء الأُلوهیه له ولأمّه والشرک بالله تعالی.

إنَّ مثل هذا الأُسلوب القرآنی یُعْرَف بقاعده [إیّاکِ أعنی واسمعی یا جاره] الذی یعنی أنَّ التقریع والعقاب أصلاً لیسَ یُسند إلی النبی عیسی (علیه السلام) بملاحظه ذیل الحوار الذی دار بین الباری عزَّ اسمه وبین عیسی وَ کُنْتُ عَلَیْهِمْ شَهِیداً ما دُمْتُ فِیهِمْ فَلَمّا تَوَفَّیْتَنِی کُنْتَ أَنْتَ الرَّقِیبَ عَلَیْهِمْ وَ أَنْتَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ۱.

إذنْ محور الکلام حول - الجارَه - وهی أمّه عیسی لا نفس عیسی (علیه السلام) أی مراقباً وراعیاً ومسؤولاً ما دمت فیهم فَلَمّا تَوَفَّیْتَنِی کُنْتَ أَنْتَ الرَّقِیبَ عَلَیْهِمْ.

والخلاصه: أنَّ بوصله الحوار والمحکمه الحقیقیه وصلت إلی أُمَّه عیسی (علیه السلام) لا نفس النبی عیسی (علیه السلام)، ثُمَّ تحوَّل الذی کان مُتهماً صوره إلی شفیع ورکن رکین فی المحکمه الإلهیه وذو نفوذ وشفاعه وصلاحیّه وذو مقام، إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُکَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ بلْ تحوَّل

النبی عیسی (علیه السلام) إلی وثیق صُلْحٍ بین هدایات ربِّ العالمین وأمته (عیسی) وهذا یدلل إلی أنَّ أصل المسائله هی تتجه جداً نحو أُمَّه عیسی (علیه السلام)، وهذا ما یجزم به کافه المفسرین والمسلمین بأنَّ الخطاب الذی دار بین الباری عزَّ اسمه وبین عیسی (علیه السلام) فی القرآن هو خطاب موجَّه إلی أُمته وهم الذین یُحاکَمون ویُدانون.

ولعلَّ یتوجه استفسار حاصله: - ما هو الغرض من صوره هکذا خطاب وبهکذا نمط؟.

الجواب: لأجل أنْ لا یلتبس الأمر علی أمم البشر وأنَّ النبی عیسی (علیه السلام) متواطئ فی الشرک الذی ارتکبه النصاری - والعیاذ بالله - وأنَّهم قالوا إنَّما المسیحُ ابن الله أو أنَّ الإله ثلاثه، إنَّما هو إله واحدٌ.

إذنْ الباری تعالی اتّبع فی حواره مع عیسی (علیه السلام) بیان وخطاب قاعده [إیاکِ أعنی واسمعی یا جاره] لأجل تبرئه ساحه عیسی (علیه السلام) وبیان أنَّ له مقام شفیع وشفاعه ومقام الحمایّه لدین الله من الدَّس والوضع والتحریف وهو النصیر فی الحقیقه.

وبالتالی لا یکون مثل هکذا حوار تقریعاً للنبی عیسی (علیه السلام) وإنَّما یکون إعلاءاً وإعظاماً لمقامه (علیه السلام) وإعطاءه مقام الشفاعه لما ذُکر فی ذیل الآیه إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُکَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ.

وعلیه فإنَّ مثل هکذا ملحمه فی القرآن تعتبر منهجاً لتفسیر أمومه المحکمات والولایه وشاهداً محوریاً ومرکزیاً للمحکم الأمومی لتفسیر سائر الخطابات القرآنیه مع الأنبیاء فتلاحظ المحاسبه والتقریع صوره وأی سؤال وأی تقریع لِیَغْفِرَ لَکَ اللّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ ما تَأَخَّرَ وَ یُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَیْکَ

وَ يَهْدِيَکَ صِراطاً مُسْتَقِيماً١.

وهل النبى يُذنب حتَّى يُغفر له؟ وإنَّما المراد من الخطاب أمته وليسَ شخصه (صلى الله عليه و آله)... الخ وهناك محاسبه بصوره أُخرى ولون وخطاب آخر أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ وتقدم.

وهناك محاسبه بحسب الصوره فقط وبلون ثالث: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ٢. سيّما الموارد التى يكون الفعل فيها مشتركاً بين النبى (صلى الله عليه و آله) وفئات من الأُمَّه، فإنَّ الخطاب وإنْ وُجِّه صورةً إلى نبى من الأنبياء، إلّا أنَّ المراد هو تلك الفئه التى مع ذلك النبى أو الرسول (صلى الله عليه و آله)، فليس المراد نفس النبى (صلى الله عليه و آله) فمثلاً فى سوره عبس وتولى فإنَّ الضمير المستتر (الفاعل) فى عَبَسَ وَ تَوَلّى لا يرجع إلى النبى (صلى الله عليه و آله) كما توهمه بعض بالعوده عليه (صلى الله عليه و آله) وإنَّما يعود الضمير على غير رسول الله (صلى الله عليه و آله) وهو ذلك الرجل وقصته فى أسباب النزول معروفه.

إذنْ خطاب سوره عبس وتولى لو لمْ يُدْرج فى القاعده الأُولى - أى التعريض - ولا القاعده الثانيه - الالتفات - فإنَّه يدرج هنا أى فى القاعده الثالثه [إيّاكِ أعنى واسمعى يا جاره] وإنْ كانت سوره عبس وتولى أقلَّ تقريعاً من أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ فذاك بحثٌ آخر.

الخلاصه: هذهِ الآيات المباركات وغيرها التى يمكن تطبيق قاعده إيّاكِ أعنى واسمعى يا جاره فإنَّها آيات محكمات تدور عليها رُحَى المتشابهات الأُخرى؛ لأنَّ هذا لا يُسنِد فيه مُفسِّرٌ هذا الذنب إلى النبى (صلى الله عليه و آله) فإنَّه مُبرَّء من ذلك الذنب، وإنَّما فسّروه بذنب الأمَّه ببركه شفاعه النبى (صلى الله عليه و آله).

لعلَّه يتبادر إلى الذهن أو ينصرف لأوَّل وهله عند سماع المحكمات إلى أنَّها مختصّه بتفسير القرآن وآياته المتشابهه، إلّا أنَّه من خلال البحث يمكن أنْ تكون المحكمات مُفَسِّرَه لمتشابهات السُّنه كذلك أى سنه النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) سواء كانت السُّنه للنبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) قوليةً أو فعليه له (صلى الله عليه و آله) أو للأئمه المعصومين (عليهم السلام) من حيث الفعل أى سيرتهم العمليّه من حيث الإمضاء.

إذنْ متشابهات السُّنّه أيضاً تُعْرَض على محكمات القرآن.

فمثلاً ـ لو لاحظنا مورداً من الموارد كما فى كتاب الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) لأحد أهل بيته من العتره الطاهره، وفى ذلك الخطاب اشتراك بين الأمَّه وبينه ونفرض ذلك الفرد هو من أحد الأئمه المعصومين (عليهم السلام).

فحينئذٍ نسأل هل أنَّ خطاب وعتاب النبى (صلى الله عليه و آله) مختص بأحد عترته الطاهرين من أصحاب آيه التطهير، أو هو فى الحقيقه فى باب القاعده التى نحن بصددها - إيّاكَ أعنى واسمعى يا جاره - وهكذا الخطاب الذى خوطبت به فاطمه الزهراء (عليها السلام) بمثل هكذا خطاب هل هو مختص بها (عليها السلام) أم لعموم الأمَّه.

علماً أنَّ النبى (صلى الله عليه و آله) لا يريد أنْ يقول لفاطمه أنتِ غير مشموله وخارجه عن أهل آيه التطهير وهى الركن الركين من أهل الكساء، ولا يريد كذلك أنْ يَرُدَّ (صلى الله عليه و آله) قولَ الله تعالى فى اصطفائها ولا... الخ وإنَّما هكذا

خطاب هو من باب إياك أعنى واسمعى يا جاره، والخطاب صوره مُوجَّه إليها وإلّا حقيقه ولُبّاً لغيرها وإنَّما أريد أنْ يوصَل الخطاب عن طريقها.

وهكذا خطاب فاطمه الزهراء (عليها السلام) لعلى بن أبى طالب (عليه السلام):

«يا بن أبى طالب اشتملت شمله الجنين وقعدت حجره الظنين، نقضت قادمه الاجدل فخانك ريش الأعزل»(۱).

وهذا الخطاب صدر من الزهراء (عليها السلام) عند رجوعها إلى دارها من ذلك المؤتمر الإسلامى العظيم الذى عقدته الزهراء (عليها السلام) فى المسجد فى جمع من المهاجرين والأنصار، وكان غرض الزهراء (عليها السلام) من هذا الخطاب هو لأجل أنْ تبرئ ساحه أمير المؤمنين على بن أبى طالب من عدم التواطئ فى الاعتداء على حرمه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، وأنه غير راضٍ وغير مُدَاهن فى ذلك - والعياذ بالله - وتعامله (عليه السلام) مع الموقف بحكمه؛ لأنَّ ملابسات الموقف كثيره.

هذا مضافاً إلى أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لو أبدى أى موقف لالتبس الأمر على الأمَّه فى تبرئه ساحه على (عليه السلام)؛ ولأنه كان فى البيت جمهره من المسلمين أمثال: سلمان المحمدى والمقداد والزبير وفضه وأسماء و.. الخ، وهنا أرادت الزهراء (عليها السلام) أنْ تبين أنَّ علياً (عليه السلام) لمْ يُبدِ موقفاً لا لهوان الموقف عنده

۱- (۱) فاطمه من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزوينى، ص ۲۴۵ اشتمل الثوب: إذا أداره على الجسد، والشمله بكسر الشين، هيئه الاشتمال، والشمله بفتح الشين ما يشتمل به والمقصود هنا: مشيمه الجنين وهى محل الولد من الرحم، الحُجره، بضم الحاء: البيت: وبضم الحاء وسكون الجيم ثم الراء: هو المكان الذى يُحتجز فيه، والظنين: المتهم، نقضت: ضد أبرمت، والقادمه: واحده القوادم، وهى مقاديم ريش الطائر، والأجدل: - الصقر، خانك: من الخيانه.

كلاً، وإنَّما الموقف عظيم عند على (عليه السلام) لأنَّ فيه:

هتك لحرمه رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى فاطمه (عليها السلام) وأنَّ الاعتداء على فاطمه (عليها السلام) هو اعتداءٌ على رسول الله (صلى الله عليه و آله)، ولفاطمه موقف عظيم تتزلزل له السماوات، وإنَّما أراد أمير المؤمنين (عليه السلام) بموقفه هذا أنْ يُنبه على أمر عظيم، ألا وهو قضيه محاسبه الأمَّه وتعليم الأمه مَدى فضاعه الخطب الذى حدث وألمَّ بفاطمه (عليها السلام) من قبل ما يدعون أنهم صحابه وأنهم يريدون حفظ بيضه الإسلام ظاهراً.

وهذا الموقف ليسَ فقط جرى بين فاطمه وعلى (عليهما السلام) وإنَّما حدث نظيره فيما جرى بين أمير المؤمنين والحسن (عليهما السلام)، وعلىٌّ يُعاتب الإمام الحسن (عليه السلام).

وهكذا كيف تشهدون بعصمه الحسين (عليه السلام) وأمير المؤمنين (عليه السلام) يحاسب الحسين (عليه السلام) وكيف تشهدون بعصمه الإمام على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، والإمام الحسين (عليه السلام) يُعاتب الإمام زينب العابدين (عليه السلام) وهكذا.

والخلاصه: إنَّ هذا كُلَّهُ من باب [إيّاك أعنى واسمعى يا جاره].

وعليه فمنظومه الدين لا يُقامُ لها وَهَجٌ وُهدَى إلّا بمحوريه ومركزيه المحكمات وإلّا فسوف تلتبس علينا الأمور سواء فى القرآن أو فى السُّنَّه.

ولذا مَن اتّبع المتشابهات فإنَّه يقول بمنهجيه أمومه المحكمات فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وأىُّ فتنه هذهِ؟ سواء كانت فتنه عقائديه أو سياسيّه أو فكريه أو... الخ.

وأمَّا إذا جعلنا من المحكمات أمومه يعنى مركزيه ومحوريه فإننا سوف نَصِل إلى الغايه المنشوده ونهتدى ونُهدى الآخرين إلى طريق الصواب.

فيا أيُّها المسلمون اتبعوا المحكمات وذروا المتشابهات وحوموا حول المحكمات واجعلوها محوراً ومركزاً وقطباً لأعمالكم، وإيّاكم والانزلاق فى المتشابهات، ولذا حَذَّرَ أهلُ البيت (عليهم السلام) من خطوره اتباع المتشابهات وأهميه اتباع منهج أمومه الولايه للمحكمات فضلاً عن المتشابهات، ولا تجعل من المتشابهات محوراً تَضِلُّ وتُضِّل به الآخرين، بلْ اجعل المحكمات محوراً وقطباً فإنَّك تهتدى وتُهْدى الآخرين.

النموذج الثالث: قوله تعالى: فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلاّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمِينَ قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلى أَعْيُنِ النّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ١.

بتقريب: إنَّ إبراهيم (عليه السلام) أخفى ما هو مقصودٌ أصلى وغطّاه بغطاء صورى، وذلك باستعمال جمله خبريه مطابقيه على خلاف المعروف عند أهل البيان واللغه والنحو فالمعروف عند أهل الفن هو تعليق الخبر على قيد يمكن تحققه وتصوره فى المستقبل - بأنْ استعمل النبى إبراهيم (عليه السلام) الجمله الخبريه - قال بلْ فعله كبيرهم، معلقه على شرط قدْ حدث وتحقق فى الزمن الماضى، وهذا ما يُعرَف بالتوريه التى هى تغطيه المقصود بغطاء صورى - كما تقدم.

وأسند إبراهيم (عليه السلام) فعل كسر الأصنام فى الجمله المطابقيه الخبريه إلى كبير الأصنام، وهذا الإسناد بحسب صوره المطلب غير مطابق للواقع، وهذا الإسناد للجمله الخبريه معلق على شرط مستحيل، وهو تعليق

الجمله الخبريه على شرط قدْ مضى فى الزمان السابق.

ولـذا فَهِم قوم إبراهيم (عليه السـلام) بأنَّ المعنى بهذا الخطاب - أى خطاب إيّاك أعنى واسـمعى يا جاره - هم أنفسـهم فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِـهِمْ فَقـالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظّالِمُونَ١ فـإنَّ هـذا الكلام قـدْ صـدر من وجـدانهم وضـميرهم فهو يتكلم (فرجعوا إلى أنفسـهم فقالوا...) فخاطبهم ضـميرهم وأكَّد لهم على أنَّهم ظلموا أنفسـهم وليسَ أحدٌ ظلمهم، وأنَّ هذهِ الأصنام لا تستحق العباده، وإسناد الأُلـوهيه والتـأليه إليهـا ظلم بحق مَن يَعبـد حقيقه لاـ غير وهو الله تعالى، وأنَّ مثل هـذهِ الأصـنام والأوثان ليست لها حقوق وشانيه وعظمه حتّى تستحق أنْ تقول: مَن اجترى على هذهِ الأصنام وكسّرها فهو ظالمٌ كلّا أنها لا تستحق ذلك.

والمهم من كل هـذا أنَّهم تيقظوا وانتبهوا من غفلتهم ببركه خطاب إبراهيم بهذهِ الطريقه البلاغيه، وهشَّم أصـنامهم ليثبت لهم أنها لاـ تملك لنفسـها ولا لغيرها ضـرّاً ولا نفعاً، فلما جاؤها ورؤها مكبوبه مهينه تساؤلوا: قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هـذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ، قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ، فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظّالِمُونَ٢.

وإلى هـذا الموقف كان يجب على الضّـلال أنْ يهتدوا، وأنْ يصـحوا من غفلتهم على ضوء الحقيقه الرائعه، لكن النفوس الملتويه تتقلب فيها مقدمات الحق، فإذا بها تتمخض عن نتيجه أُخرى.

لقد عادوا يقولون لإبراهيم (عليه السلام) إنَّ آلهتنا - كما علمت - لا تنطق

فكيف جرؤت على قداستها؟.

ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ، قالَ: - أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لا يَضُرُّكُمْ، أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ... أَ فَلا تَعْقِلُونَ؟ قالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ.

وجماهير الدهماء من هذا القبيل المتعب، فهم إمَّا أناس لا عقول لهم يعجزون عن إدراك الحق لقصور أذهانهم على نحو ما قال الشاعر:

أقول له عمراً فيسمع خالداً ويقرؤها زيداً ويكتبها بكراً

وإما أناسٌ لهم عقول مدركه ذكيّه، ولكن ليسَ لهم ضمائر حيّه، فهواهم هو الذى يوجه علاقاتهم بالخصوم والأصدقاء، ويُفسِّد أحكامهم على الأشخاص والأشياء..

إذنْ قاعده [إياكِ أعنى واسمعى يا جاره] ذو فوائد متعدده، وهذهِ الآيات المباركه أحد بركاتها وتطبيقاتها، ولذا قالوا: -

[الكنايه أبلغ من التصريح - كما تقدم ذلك فى القاعده الأولى أعنى التعريض - لأنَّها توقِظ المعنى بالخطاب بشكل هادئ وسليم وصائب يوصله إلى حقيقه الأمر التى كان هو فى غفله وعمايه عنها، وما كان ليستيقظ ويُبصر الحقيقه لولا هذا الأسلوب أعنى قاعده [إياكِ أعنى واسمعى يا جاره] ولذا كان هذا الأسلوب أبلغ من التصريح؛ لأنَّ التصريح قدْ يوجب لدى الطرف المخاطب استفزاز نفسى يعميه ويُبْعِدَه عن الحقيقه أكثر، بينما أسلوب قاعده يا جاره، هو أحد آليات التوريه الذى يُعطى إلى الطرف الآخر صحه وانتباه والتفات وقيام من سُبات أكثر فأكثر.

ولذا كان ببركه استعمال إبراهيم (عليه السلام) مع قومه هذا الأسلوب البلاغى المؤثر أى أسلوب التوريه الذى كان يعنى فيه نوع التفات كأنما صوَّر لهم إبراهيم (عليه السلام) صورةً حقيقيه عمّا كانوا يعيشون فيه وما فى ضمائرهم وبالتالى أدّى إلى هذهِ الحقيقه العظيمه وببركتها حصلت لهم وَمْضَه هدايه بأنْ التفتوا إلى خطأ أنفسهم بأنفسهم ببركه هذا الأسلوب الخطابى البلاغى الواضح.

ومثل هذا الأسلوب لا يقتصر عليه فى مثل هذا المورد فحسب، بلْ فى جمله من الموارد بلْ فى كُلّ ناموس عظيم؛ لأنَّ تعاطى ومزاوله الحقيقه واستعمال التصريح بشكل مُعْلَن وظاهر قدْ يقطع الطريق عن الوصول إلى الحقيقه، وأسلوب قاعده [إياكِ أعنى واسمعى يا جاره] التى استعملها القرآن الكريم يشبه التقيه وفلسفتها ليسَت فرار وانحصار وإنَّما تَحرٍّ لمعالجه الموقف بشكل أبلغ وليسَ انهزام عن الميدان.

وكذلك استعمل النبيون هذهِ القاعده فى صوره خطاباتهم مع أقوامهم وليسَ مرادهم ومقصودهم صوره الخطاب، فمثلاً لو لاحظنا المراد الاستعمالى الذى قصده النبى إبراهيم (عليه السلام) فى الآيه المباركه فى توجيه صوره الخطاب إلى قومه عَبَدِه الأصنام وكأنَّما موجَّه إلى الأصنام، وإبراهيم (عليه السلام) يقول لأصحابه وعبيدهم هذهِ الأصنام أسألوهم إنْ كانوا ينطقون، فأراد إبراهيم (عليه السلام) أنْ يُسنِد المراد الاستعمالى والتفهيمى إلى الأصنام كى يُحدِث (عليه السلام) زوبعةً وبلبله فى التفكر، وأمَّا المراد الجدى لإبراهيم (عليه السلام) فلا يرتبط بجمله المبتدأ والخبر ولا الموضوع والمحمول، وإنَّما المراد الجدى هو جمله أُخرى مُقَدَّره فى كلام آخر وغير مُصرَّح بها لا على مستوى المدلول

الاستعمالی ولا التفهیمی.

وعلیه فالمراد الجدی للنبی إبراهیم (علیه السلام) هو فی الحقیقه قولهم فَرَجَعُوا إِلی أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّکُمْ أَنْتُمُ الظّالِمُونَ۱.

والمراد الجدی هو ما توصلنا إلیه قاعده إیاک أعنی واسمعی یا جاره - من أنَّها أیقظتهم ونبهتهم إلی خطأ ما کانوا یعتقدون به فی عبادتهم للأصنام وإعطائهم منصب الألوهیه والتألیه والعبودیه الذی لا یستحقه إلّا الله.

والخلاصه: إنَّ هذهِ الآیه المبارکه لیسَ موضوعها مسأله کسر الأصنام ومن اجتری علی کسرها و... وإنَّما موضوعها مَن هو الإله، ومَن الذی تجب عبادتُه ویستحق العباده وأهلاً لها، هذا هو المراد الجدی لإبراهیم (علیه السلام) فی الآیات المبارکه مع قومه، وهذا المعنی غیر المراد التصوری والاستعمالی والتفهیمی، وهذا هو بالتالی موضوع قاعده [إیاک أعنی واسمعی یا جاره].

ثم قالت الآیه المبارکه ثُمَّ نُکِسُوا عَلی رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ یَنْطِقُونَ.

المراد الجدی لإبراهیم (علیه السلام)؛ أراد أنْ یُبیِّن لهم من خلال أستدراجهم بهذا الأسلوب البیانی البلاغی الرائع هو أنَّ من صفات الإله الذی یستحق العباده والعبودیه هو الذی له القدره علی النطق أو خلق النطق وإیداع قوَّه النطق بأصل فطره الإنسان، ولذا رُسُل الله یوصفون بأنهم الناطقون عن الله تعالی، بینما الذی لیسَ له ناطق أو لایمتلک القدره علی خلق وإیداع

النُطق فليس هو بإله.

ولـذا كـانت أحـد البيانـات التى بينهـا الرسول الأكرم (صـلى الله عليه و آله) وكـذلك أمير المؤمنين (صـلى الله عليه و آله) على ألوهيه الإله هو بعثه لرسله أى رسل الله – فلو كان هناك إله لأتتك رسله.

وعليه يريـد أنْ يقول إبراهيم (عليه السـلام) لقومه لابـدَّ أنْ تكون هذهِ الأصـنام التى تعبدونها يا قوم – أنْ يكون لها آله النطق أو قوّه النطق هذا أولاً.

وثانياً: وأنىء يكون عنهم رسول أو رُسُل ناطقين؟

وعليه، كان جواب قومه إلّا أنَّهم ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ وبتوجيه إبراهيم (عليه السـلام) سؤاله إليهم بـأنَّ النطق أحـد الصـفات التى يجب توفرهـا فى الإله الـذى يُعبـد أو يكون عنه رسل ناطقين، فهم أعادوا بالهبوط وإبراهيم (عليه السـلام) أعاد الصـعود لهم أى أنَّ إبراهيم (عليه السـلام) ارتقى بمطلبه إلى الأفق الفوقى أى أعرضَ عن بحث مَن كسَّرَ الأصـنام، وأخذ بأيدى قومه ووضـعها على موضع البحث الأصـلى والمراد الجدى له، وبوصله الحوار والفكر، وقال لهم أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لا يَضُرُّكُمْ، أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ١.

وهنـا نلاحـظ النبى إبراهيم (عليه السـلام) وهو من أنبيـاء أولى العزم تنزَّل وتهبـط إلى العقليه الهـابطه لقومه ولأجـل أنْ ينتشـلهم ويرقى بهم إلى مركز الفكر والبحث والتدبر الأصلى وهو مَن يستحق الألوهيه والعباده.

نعم، صحيح هم أرادوا أنْ يُداينوا إبراهيم (عليه السلام) فى كسر الأصنام ومَن

كسَّرها إلّا أنَّ إبراهيم أثارَ لهم بحث العبوديه لمن؟ والمدانيه لمن؟ ولماذا عبدتم هذهِ الأصنام؟ وكيف تعبدونها؟

هم يعاودون إلى ملف هابط، وإبراهيم (عليه السلام) يأخذ بهم إلى ملف آخر.

القضيه الأصليه شيء وتمركُّز العقول فى شيء آخر وقضيه أُخرى، والانحباس فى مستوى ذلك الجو بعيدٌ عن حقيقه مراد القرآن الكريم.

النموذج الرابع: قوله تعالى: فَلَمّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّى فَلَمّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمّا رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبِّى فَلَمّا أَفَلَ قالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضّالِّينَ فَلَمّا رَأَى الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّى هذا أَكْبَرُ فَلَمّا أَفَلَتْ قالَ يا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ١.

نقل لنا القرآن الكريم ذلك الحوار الذى دار بين النبى إبراهيم (عليه السلام) وعَبَدِه الكواكب والأوثان وصدور هذا الكلام والتساؤل من النبى إبراهيم (عليه السلام) أثار القيل والقال من قبل المفسرين وأنَّه كيف يصدر هكذا كلام من نبى من أنبياء أولى العزم، وهو ليسَ من عادى أفراد البشر، وإنَّما فردٌ يُحتذى به وإنْ كان الكلام صدر منه بحسب الظاهر والصوره.

وكأنما يُذعِن (عليه السلام) أو يُسنِد الألوهيّه والربوبيه إلى غير الله تعالى فكيف يمكننا أنْ نتصوره، وبِمَ تُفَسَّرُ هذهِ الأمور؟

الجواب: هذا البحث من المباحث المتشعبه والطويله ولا نريد الخوض بكل تفاصيله وإنَّما نقتصر على الاستشهاد بالجهه التى ترتبط ببحثنا

وهى - قاعده إياكِ أعنى واسمعى يا جاره - وأنَّ الخطاب صوره لا يطابق المراد الجدى، وإلّا فهنا من الواضح أنَّ المراد الجدى للنبى إبراهيم (عليه السلام) ليسَ الإقرار بربوبيّه الكواكب كالقمر والشمس والنجوم و... الخ. والانتقال من عباده إلى أُخرى ليسَ شيئاً جدياً.

فمثلاً- عندما رأى النبى إبراهيم (عليه السلام) كوكباً فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِين. وبالأخير، قال (عليه السلام) بَرِىءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ، إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ١ وكأنَّما إبراهيم (عليه السلام) من خلال هذهِ الكلمات التى أطلقها ضمن سلسله يُراد منها مَن هو فاطر السماوات والأرض؟ وهو حَرّىٌ أنْ يُعْبَدَ، وأنَّ معبودنا الأصلى من الأوَّل هو معبودٌ فطرى تنزل وتتجه إليه الفطره لا الشمس ولا القمر ولا سائر الكواكب الأُخرى هى الرَّب فإنَّه محاطٌ وأصغر من السماوات والأرض.

وعليه فإنَّ كلام النبى إبراهيم فى النهايه هو نفسه بيان بأنْ معبوده الأولى الأصلى الذى فطر السموات والأرض، وَصِفَهُ أنَّه تعالى فاطر السموات والأرض هى صفه الإله الذى يعبده إبراهيم (عليه السلام) وهو الأكبر من كل شىء، وأسلوب إبراهيم (عليه السلام) فى البدايه كان خطابه صورى - أى هذا ربى صوره لا حقيقه - وأمَّا الإله الذى فى مكنون فطرتى فغير هذا الخطاب الصورى، وعليه فهذا الخطاب هو صوره إسناد أخبار على نحو المسائله إلّا أنَّ المراد الجدى لإبراهيم هو إسناد إيقاظ لا إسناد مسائله علماً أنَّ إبراهيم (عليه السلام) لم يُفصِح إبراهيم (عليه السلام) لم يُفصِح من البدايه عن إسناد المسائله وإسناد الإيقاظ

مع أنَّه مُرادٌ ومقدر له.

ولكن لأجل أنْ يستدرج الطرف الآخرعلى مراحل ليأخذ إبراهيم (عليه السلام) بيد الطرف الآخر ويوصله إلى الحقيقه.

وهذا فى الحقيقه فيه درسٌ تربوى عظيم أردنا أنْ نسميه حينئذٍ نوع من إياك أعنى واسمعى يا جاره.

ويُعتبر هـذا أحـد الطرق والأنحاء المختلفه لتفسير هـذا الخطاب الصادر من إبراهيم (عليه السـلام)، والأمر المحقق: - بوضوح أنَّ النبى إبراهيم (عليه السـلام) من أوَّل الأـمر ليسَ مراده من عبـاره (هـذا ربى) إخبار ولو لفتره من الفترات بنحو المراد الجـدى ولو صورةً بـأنَّ إبراهيم النـبى (صـلى الله عليه و آله) عَبَـدَ غير الله - والعيـاذ بـالله - فـإنَّه نـبى من أنبيـاء أولى العزم وحاشـاه أنْ يكون كذلك.

وإنَّما كان مراد إبراهيم (عليه السـلام) من هـذا الإسـناد فى الجمله الخبريه (هذا ربى) هو من باب إياك أعنى واسـمعى يا جاره، أى أنَّ هناك ربٌّ مكنون لى تتجه وتتنزل إليه فطرتى وإنى وراءه، ولـذلك هذا التنقل والتبدل فى خطاب إبراهيم (عليه السـلام) يعنى - أنَّ هنـاك أوصـافٌ فى الأصـل أنـا وراءهـا وأنتم تظنـون لأـوَّل وهله أنهـا تنطبـق على هـذا الفرد فـأكون معكم من بـاب المجارات ثُمَّ ينكشف أنَّه ليسَ منطبقه تلك الأوصاف الأصـليه الموجوده عند إبراهيم (عليه السـلام) عليه، ثُمَّ ينتقل ويُطبقه على مصـداق آخر وهـذا التبـدل لشـعارهم معناه أنَّ هناك ميزان ومقياس وتعريف للربّ الـذى يجب أنْ يُعْبَد هو ذاك الذى يَفْحَص ويتحرى عنه الإنسان فى الأصل.

ومن خلال هذا كُلَّهُ يمكننا أنْ نقول: - أنَّه يمكن أنْ نعمم قاعده [إياكِ أعنى واسـمعى يا جاره] من الخطابات القرآنيّه إلى قول المعصوم

وفعله وتقريره؛ ولـذا يُعتـبر مـن الخطـأ الاسـتدلال بالسـيره النبـويه مـن دون أنْ يُعْلَم مغـازى السـيره النبـويه، وعليـه إذا بُنى على الاسـتدلال بظاهر السيره النبويه قولاً أو سيرةً وفعلاً وتقريراً فهو غير صحيح؛ لأنَّه إذا كانت أقوال الأنبياء يمكن أنْ تُخَرَّجَ من باب إيّـاكِ أعنى واسـمعى يـا جاره، فكيف بسـيرتهم وأفعالهم، سـيّما الفعل كما هو المقرر فى علوم متعـدده فأنَّ الفعل حمّال لوجوه متعـدده ومجمله فإنَّ أقوال وأفعال وتقريرات النبى (صـلى الله عليه و آله) والأئمه المعصومين (عليهم السـلام) إذا أردنا أنْ نعرف مغزاها الجدى الحقيقى تحتاج إلى تدبر وتأنى والتفات كبير فكيف بسيرتهم أو بأفعالهم فإنَّها تحمل الكثير من وجوه التفسير فقد يـأتى المعصوم بفعل ولكن مراده الجـدى وغايه حكمته ليسَ هو صوره الفعل وإنَّما مغزاه شـىء آخر، إلّا أنَّ القرآن يحـذرنا من اتّبـاع المتشـابه وكـذا النبى الأكرم (صـلى الله عليه و آله) والأئمه المعصومين يحـذروننا من ذلك ويؤكِّدون علينا اتباع المُحكم، ولـذا المنهـج المختـار أمـومه الولاـيه على المحكمـات فضـلاً عـن المتشابهـات تعنى أنَّه يجـب أنْ تحَّكـم المحكمـات القرآنيه، والمحكمـات فى ألسـنه المعصومين نُحَّكمهـا على متشـابه صور الأفعـال والأـقوال والتقـارير، وهـذهِ ليست فقط فى سـيره الأنبياء والمعصومين (عليهم السلام).

تأكيد القرآن الكريم على عاقبه الأمور

قال تعالى: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ١.

لربَّما يتبادر من ظاهر الآيه ولأوَّل وهله إنَّ الله تعالى يريد بهؤلاء المؤمنين الذين استضعفوا فى الأرض بأنَّه تعالى قدَّر لهم أنْ يُستضعفوا إلّا انه ليسَ الأمر كذلك فإنَّ المراد من هذهِ الصوره للقضاء والقدر التى صورها لنا القرآن ليست هى المراد الجدى وإنَّما المراد الجدى شيء آخر.

هل المقصود من تقرير هذا الاستضعاف هو زرع حاله الانهزام والضعف فى قلوب المؤمنين وأنْ يُديروا الظهر وينهزموا عند المواجهه أم شيء آخر؟

كلا ليسَ ذلك مُراداً، فإنَّ المراد الجدى شيء آخر غير هذا كُلِّهُ ألا وهو وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ.

إذنْ يجب علينا أنْ لا ننساق ولا ننتبه إلى صور الأشياء ونضعف أمامها ونسلم بها كلا، فإنَّ القرآن يؤكِّد دائماً على العاقبه؛ لأنَّ الحقيقه والنطق بالعاقبه وليسَ فى الظاهر والصوره.

ولذا عندما خاطب الشقى عبيدالله بن زياد العقيله زينب (عليه السلام) كيف رأيت صنع الله بأخيك؟ فلو أراد الإنسان غير المتأمَّل أمام صوره القدر

والقضاء الذى رُسِمَ للإمام الحسين (عليه السلام) وأنْ يُقتل بهذهِ الكيفيه، وكذا أخيه أبو الفضل العباس (عليه السلام) وما جرى على العقيله زينب (عليه السلام) والوقوف فى مجلس عبيدالله بن زياد والطاغيه يزيد... الخ فإنَّ غير المتأمل يقول: - هذا غضب الله على أوليائه والحال أنَّه ليسَ بغضب، بلْ لأفعال الله وسننه إراده جديه فوق عالم القضاء والقدر وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ.

وكان جواب العقيله زينب (عليها السلام) بنت على عن بصيره تعتمد على عدم اتباع المتشابه والزيغ، بلْ اعتمدت على اتباع أمومه الولايه للمحكمات فضلاً عن المتشابهات بقولها (عليها السلام):

«أظننت يا يزيد، حين أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء وأصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى، أنَّ بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامه، وأنَّ ذلك لعظم خطرك عنده... الخ».

فانظر إلى عاقبه الأمور، ولا تلحظ صوره القضاء والقدر، ولاحظ لباب الأمر والمراد الجدى فإنَّ رضاه وسخطه لا يكمن فى صوره القضاء والقدر، وإنَّما يكمن رضا الله وسخطه فى عاقبه الأمور.

فمثلاً دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) فى دعاء عرفه:

«وأسألك اللَّهُمَّ حاجتى التى إنْ أعطيتنيها لم يَضُرَّنى ما منعتنى وإنْ منعتنيها لم ينفعنى ما أعطيتنى أسألك فكاك رقبتى من النار لا إله إلّا أنت وحدك لا شريك لك، لك المُلك ولك الحمد وأنت على كل شىء قدير، يا رَبِّ يا رَبِّ».

وفى دعاء له (عليه السلام) فى مورد آخر:

«... فمن زحزح عن النار وأدخل الجنه فقد فاز» والضابطه هى الفوز والنصره فى النهايه والعاقبه؛ ولذا قالوا الأمور بعواقبها وبخواتيمها.

إذنْ ليسَ المقصود فقط سنن الله تعالى، بلْ وسيره النبى (صلى الله عليه و آله) والأئمه المعصومين (عليهم السلام)، وهكذا يُبتلى المؤمن بابتلاءات – والعياذ بالله – إذا ظنَّ السوء بربه إذا لم تكن له بصيره والتى تعنى البصيره هى أنْ تُبصر عاقبه الأمور وهى المراد الجدى وليسَ هذا المراد الجدى هو المراد صورياً وإنَّما حقيقه؛ لذا أكَّد القرآن الكريم على مثل هذهِ الحقيقه وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً١.

بتقريب: أنَّ الإمهال وإنزال العذاب ليسَ هو المراد الجدى، وإنَّما عاقبه الأمور هى المراد الجدى، هذا فى سُنَّه الله تعالى، وهكذا فى سُنَّه وسيره الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) والأئمه المعصومين (عليهم السلام) من قول وفعل وتقرير ونلاحظ الملابسات كيف هى هى التى تدلُّ على المراد الجدى، وأمَّا الأمر الصورى فإنَّه لا يَدُلُّ على المراد الحقيقى كذلك فى قول الله تعالى وفعله وقضائه وقدره.

إذنْ إذا أراد الإنسان الوصول إلى الحقيقه فعليه أنْ لا يحبس التفتيش عن الحقيقه فى صوره وظاهر الخطاب، بلْ لابدَّ من التفتيش عن المراد الجدى.

ومن خلال هذا كُلَّهُ نعرف موقف إبراهيم (عليه السلام) من خلال قوله وأنْ لا نحكم على مراده (عليه السلام) بقوله (هذا ربى) يُشير إلى الزُهره أو كوكب معين.

وعلى أى حال فهذهِ سُنَّه عظيمه أقرَّها الله فى فعل إبراهيم وهو نبى من أنبياء الله العظام، والقرآن الكريم وكذا السُّنَّه الشريفه حَذَّراً من اتِّباع المتشابه، فلا تقول: مثلاً لماذا كان أميرُ المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) موقفه مع معاويه كان كذا ومع المرأه كان كذا ومع فلان كان كذا... الخ، وليكن هذا ما اتخذه أمير المؤمنين من الموقف، إلّا أنَّ حقيقه الأمر وعاقبته لا تُعْرَف

فقط من خلال لفظه صوريه أو نقول لو كان موقف النبى الفلانى من فلان كذا لكان كذا فهذهِ نظره إلى اللفظه والمستوى التصورى، وهذا من الأخطاء الفادحه، وإنَّما لابدَّ من النظر إلى عاقبه هذا الأمر فإنَّه يمثل إراده الحقيقه، ولا يدلُّ هذا على الازدواجيه فى العمل كلا فإنَّ طبيعه الأمور هى هكذا؛ لذا قالت الآيه وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللّهُ وَ اللّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ١.

إذنْ التبديل موجود ومستمر من الله تعالى إلّا أنَّ المراد الجدى والحقيقه شىء آخر وعليه فالقرآن يَذُم أهل البصيره القاصِرَه فَأَمَّا الْإِنْسانُ إِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ، وَ أَمّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهانَنِ٢.

وهاتان الآيتان المباركتان من سوره الفجر تدلان بوضوح على أنَّ الأمور بعواقبها وخواتيمها لا أنَّه لا عاقبه للأمر، وإنْ كان بعض المفسرين يذهب إلى تفسير قوله تعالى: وَ أَمّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهانَنِ بأنَّ الله تعالى إذا ما ابتلى الإنسان وقدَّر عليه رزقه فقد أهانه وفيه هوانه، وأنَّه لا عاقبه للأمر، وهذا إشاره إلى قصر البصيره.

لذا وَرَدَ فى عدَّه روايات تدلُّ على أنَّ الفقراء الصالحين يعلمون فى يوم القيامه مدى حنان الله عليهم، وحب الله لهؤلاء الفقراء الصالحين يوم القيامه لا أنَّه تعالى قدر عليهم رزقهم فى الدنيا، لأجل إذلالهم كلا، وإنَّما حتّى يكونوا مشمولين لحنان ورعايه الله تعالى يوم الدين، إذنْ ليسَ المنظور ظاهر معنى الآيه، وإنَّما المنظور العاقبه وما يختتم للمخلوق.

وعليه إذا قرأنا الآيات المتعدده فى خطاب إبراهيم (عليه السلام) فتكون العاقبه من مجموع الصدر والذيل كمجموعه منظومه فهذا هو معنى الأمومه بمعنى أنَّه يجب أنْ ننظر إلى الأمور كمنظومه مجموعيه لا أنَّه ننظر إليها مبعثره ومشتته، بلْ لابدَّ من أنْ تكون هناك نقطه مركزيه ومحوريه فى المعرفه الدينيه وفى معرفه تفسير القرآن الكريم، وتلك النقطه المركزيه هى محوريه ومركزيه الولايه للمحكمات فضلاً عن المتشابهات، وعلى تلك المحكمات تنتظم المعرفه وصحه حقائق التفسير حتّى فى قضاء الله وقدره.

النموذج الخامس: قوله تعالى: قالَ يَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَ لا بِرَأْسِى إِنِّى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرائِيلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى١.

فى هذهِ الآيه المباركه بَيَّنَ موسى (عليه السلام) عِظَمَ ما اقترفوه بنو إسرائيل بعد النبى موسى (عليه السلام) من طاعتهم للسامرى ومتاركتهم لوصى النبى موسى وهو هارون عندما قال موسى (عليه السلام) لأخيه هارون: اُخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَ أَصْلِحْ وَ لا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ٢.

وهنا موسى (عليه السلام) لم يرقب القول ولا الفعل وهو الآخذ باللحيّه والرأس والجر فإنَّ المراد الجدى من هذا الفعل فيه نوع من التأنيب من نبى الله موسى (عليه السلام) إلى النبى هارون عندما عَبَدَ بنو إسرائيل العجل.

وعليه فإنَّ هذا الفعل من موسى (عليه السلام) لهارون (عليه السلام) ليسَ مغزاه ما هو صورةٌ ظاهِراً فموسى (عليه السلام) يعلم أنَّ النبى هارون كان مُبَرَّءاً عمّا ابتُليت به الأمَّه بعد موسى (عليه السلام) وإنَّما أراد موسى أنْ يُبين مدى فداحه الأمر الذى

ارتكبوه بنو إسرائيل بعبادتهم للعجل، ومُرادُ موسى (عليه السلام) من هذا الكلام نظير ما مَرَّ فى قوله تعالى فى توجيه الله تعالى ظاهر الخطاب إلى عيسى بن مريم، وكان المراد شيئاً آخر أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ١.

وهكذا مراد موسى (عليه السلام) نظير ما تقدم أيضاً من الخطاب الذى وجهته فاطمه الزهراء (عليها السلام) لأمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) ظاهره التأنيب فى الدفاع عنها فى مقام الهجوم على بيتها من قبل أصحاب السقيفه، هذا ما أرادت الزهراء (عليها السلام) أنْ تبينه من خلال توجيه خطاب لأمير المؤمنين (عليه السلام) ظاهره التأنيب وهذا لا يَخِلُّ بعداله وشجاعه وشخصيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام).

وعليه فما جرى من هارون للنبى موسى (عليه السلام) لا ينفى طهاره وعصمه موسى ولا هارون، وإنَّما هو لأجل تبرئه ساحه النبى هارون، ولكى يُبين فداحه الخطب أمام الملأ، ولكى يُبين براءه النبى هارون عن الانحراف الذى اتركبه بنو إسرائيل، وأنَّ المراد الجدى لموسى (عليه السلام) ليسَ على ظاهر خطابه.

إنَّ قلتُ: إنَّ صدور هكذا فعل من نبى يُنافى العصمه ويدلّ على عدمها؟

قلت: مَن قال أنَّ المراد الجدى من هذا الفعل هو صوره الفعل كى تقول أنَّه يدلُّ على عدم العصمه ويُنافيها، كلا، مما تقدم يُعْلَم أنَّ المراد

الجدی مِن ظاهر هذا الفعل شیء آخر ولیسَ هو کما علی صوره لأمر.

نظیر ما مَرَّ فی قوله تعالی فی توجیه الله تعالی ظاهر الخطاب إلی عیسی بن مریم وکان المرادُ شیئاً آخر أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِی وَ أُمِّی إِلهَیْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ۱.

وهکذا مُرادُ موسی (علیه السلام) نظیر ما تقدم أیضاً من الخطاب الذی وجهته فاطمه الزهراء (علیها السلام) لأمیر المؤمنین علی بن أبی طالب (علیه السلام) ظاهره التأنیب فی الدفاع عنها فی مقام الهجوم علی بیتها من قبل أصحاب السقیفه، هذا ما أرادت الزهراء (علیها السلام) أنَّ تبینه من خلال توجیه خطاب لأمیر المؤمنین (علیه السلام) ظاهر التأنیب وهذا لا یَخِلُّ بعداله ولا شجاعه وشخصیه أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب (علیه السلام).

وعلیه فما جری من هارون للنبی موسی (علیه السلام) لا ینفی طهاره وعصمه موسی ولا هارون وإنَّما هو لأجل تبرئه ساحه النبی هارون، ولکی یُبین فداحه الخطب أمام الملأ ولکی یبین براءه النبی هارون عن الانحراف الذی ارتکبه بنو إسرائیل، وأنَّ المراد الجدی لموسی (علیه السلام) لیسَ علی ظاهر خطابه.

إنْ قلت: إنَّ صدور هکذا فعل من بنی یُنافی العصمه ویَدُلُّ علی عدمها؟

قلتُ: مَن قال أنَّ المراد من هذا الفعل هو صوره الفعل کی تقول أنَّه یدلُّ علی عدم الصحه ویُنافیها، کلا، مما تقدم یُعلم المرد الجدی من ظاهر هذا الفعل شیءٌ آخر ولیسَ هو کما علیه صوره الأمر.

الفصل السابع: القاعده الرابعه: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی

اشاره

ص:۵۳۹

قاعده استعمال اللفظ فی أکثرمن معنی

*مقدمه:

*القسم الأوَّل: استعمال اللفظ فی المعنی الواحد.

*أصل بحث قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی فی علم الأصول.

*اقوال ومبانی علماء الأصول فی القاعده المبحوثه.

*اللفظ بحسب الوضع اللغوی یمکن أنْ یکون لفظا واحداً یرتبط بعده معانی أو لا.

*أقسام الدلاله.

*بحث حول القرائن.

*الأدله علی إثبات قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی.

*الشرائط المعتبره فی القاعده المبحوثه.

*شرائط حجیه التفرعات والنتائج المترتبه علی القاعده المبحوثه.

*العلاقه بین منهج أمومه المحکمات والولایه وبین التوحید.

*ادّعاء المنهج السلفی اتباع الروایات الصحیحه.

*علم النقد الأدبی من أهم علوم اللغه.

*ولایه أهل البیت علیهم السلام هی مدار القرآن وباقی الکتب السماویه.

*الضوابط التطبیقیه لقاعده استعمال اللفظ فی أکثر من منعی.

*بحث آخر حول القرائن.

*القسم الثانی: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی.

*الموارد التطبیقیه لقاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی.

*علاقه قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی بالأسماء الإلهیه اللفظیه:

*الطعون الموجّهه إلى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى.

*المراتب المعلومه والبحث العلمى.

*النتيجه النهائيه.

ص:٥٤١

استعمال اللفظ فی أکثر من معنی

مقدمه:

لا ـ زال الکلام فی النظام الأوَّل من الأنظمه الثلاثه التی اخترناها فی منهجه تفسیر أمومه الولایه للمحکمات وأمومتها وولایه أهل البیت (علیهم السلام) وهی نظام الاستعمار اللفظی، ونظام المعانی، ونظام الحقائق - وتقدم الکلام فی القواعد الثلاث من النظام الأوَّل - نظام استعمال الألفاظ - وهی: -

١ - القاعده الأولی: نظام التعریض.

٢ - القاعده الثانیه: نظام الالتفات.

٣ - القاعده الثالثه: إیاکِ أعنی واسمعی یا جاره.

۴ - القاعه الرابعه: استعمال اللفظ فی أکثر من منعی، وهی محل البحث الآن فعلاً.

وقبل الدخول والخوض فی تفاصیل هذهِ القاعده المهمه والخطیره ذات الذیل العریض الطویل والتی تطرد فی أصل البیان الوحیانی فی أسماء الله وتوحیده، فکیف ما دونه من الاستعمالات الوحیانیه؟

ینبغی الالتفات إلی عِدَّه أمور:

الأمر الأوَّل: نتعرض فی شرح وبیان هذهِ القاعده إلی أنَّ الکلام فیها علی قسمین:

القسم الأوَّل: استعمال اللفظ فی المعنی الواحد. وهو القدر المتیقن

فی مقام الخطاب.

القسم الثانی: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی، بملاحظه القرائن وتلاوینها وهو محل البحث الفعلی والمهم.

الأمر الثانی: الإشاره إلی جمله أمور ترتبط بالبحث عن هذهِ القاعده المهمه من قبیل: -

أولاً: البحث عن هـذهِ القاعده لا یختص بالبحث عن المفردات واللفظه الواحده، وإنَّما یتعدی إلی الهیئات الترکیبیه للجمل التامه والنـاقصه، وهکـذا الترکیب التـام لا یقتصـر فیه علی الترکیب التام بلْ قـدْ تتشـکل ترکیبات تامه تترکب وتترابط فیما بین بعضـها البعض: من جمله الشـرط وجوابها، والإداه الرابطه وعلیه فلابدَّ من الالتفات والتنبه علی أنَّ استعمال اللفظ فی أکثر من معنی لیسَ مـا یوهمه ظاهر عباره هـذهِ القاعـده من انحصار المعنی باللفظ، بلْ یعنی کل دال لفظی سواء کان حرکه إعراب أو هیئه بناءً مادّه لفظیه بـلْ ومن نفس المـادّه اللفظیه تتکوَّن هیئه جمله کـامله أو نـاقصه أو هیئـات أُخری، أو بعباره أُخری الکلام فی دلاله اللفظ علی المعنی علی قسمین:

القسم الأوَّل: استعمال اللفظ فی معنی واحد، وهو ما نحن فیه الآن فعلاً.

القسم الثانی: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی، وسیأتی إنْ شاء الله تعالی.

القسم الأوَّل: استعمال اللفظ فی معنی واحد:

اشاره

إنَّ قاعده اسـتعمال اللفظ فی معنی واحد لا تقتصـر ولا تُحبْس فی معانی قوالب الألفاظ فقط بخصوص علم معین مثلاً کالنحو أو الصرف أو...

الخ بلْ تشمل كافه أنواع قواعدعلوم اللغه كعلم البلاغه بما فيه من علم البيان وعلم المعانى وعلم البديع وعلم الاشتقاق وعلم نحت اللغه وعلم أصل اللغه و... الخ إلى أنْ تكثرت العلوم وتوسَّعت ونمت إلى الآن فقط علوم اللغه رَبَتْ أقسامها على العشر علوم وكل هذهِ العلوم لها قواعد تنطلق من دوال لفظيه، ثم إنَّ كل دال لفظى دلّ لفظى قدْ يكون محسوس وغير مرئى مثل الهيئه وعلى اختلاف الهيئات سواء انفراديه أو تركيبيه، تامه أو ناقصه أو... الخ.

فإنَّ كل هذهِ الدوال اللفظيه يمكن أنْ تستعمل فى أكثر من معنى على ما سيأتى تفصيله وتوضيحه بالأمثله، فمثلاً الضم قدْ يستخدم علامه على الفاعل أو علامه للخبر أو المبتدأ أو الصفه التابعه أو قدْ يستخدم الضم للبناء على الضم وقد... الخ كل ذلك فى آن واحد، وكل واحد من هذهِ الهيئات المختلفه لها معناها الخاص المختلف عن الهيئه الأُخرى.

وعليه إذا بنينا على علم التفسير للقرآن الكريم على هذا الأساس المتين والمتشعب والمتوسع بهذا الوسع، وسُنبين صحه هذا الالتزام والبرهنه على ذلك ببيانات مختلفه، ومثل هذا الالتزام يفترق بهذا الوسع اللامحدود عمن لا يلتزم به، فمثلاً مسار معظم المفسرين كما سيأتى مبنى على أساس أنَّ الآيه الواحده ليسَ لها إلّا ظهور واحد فيجب حينئذٍ أنْ يُقيم المُفَسِّر عمليه الترجيح بين صياغات الظهور المختلفه المتعدده من ناحيه الإعراب بنحو الجمليه الأسميه يختلف عن الإعراب بنحو الجمله الفعليه والإعراب بنحو المفرد من كون هذا فاعل، أو مبتدأ، أو صفه، أو خبر أو... الخ فكل واحد من هذهِ الهيئات المختلفه له معناه المختلف عن الآخر كما تقدم قبل

قليـل باختلاف الهيئات الإعرابيه عن هيئات البناء المختلفه، فإنَّ مثل البناء على الضم له هيئه ومعنى تغاير البناء على الكسـر، وهى تغاير هيئه البناء على السكون بالهيئه والمعنى.

والبنـاء على حركه معنيه بـدوره يغـاير الإـعراب، الـذى معنـاه - أى الإـعراب - بيان معنى زائـد على أصل وضع الألفاظ المفرده اللغويه الذى هو معنى التركيب الزائد.

وهـذا المعنى الإـعرابى له دوره المهم فى معرفه المعنى العـام ومِن ثَمَّ معرفه معنى التفاصـيل، إلّـا أنَّه وللأسف هناك نظره سـلبيّه أُحاديه البُعْد والأفق وهى: أنَّ المفسـرين الذين يعتنون ويبينون إعراب الآيات القرآنيه دائماً ينظرون إلى أنَّ هذهِ الآيه فيها إعراب واحـدٌ صـحيح وباقى الوجوه الإعرابيه الحمّاله لمعنى آخر هى خطأ، وهـذا مما يؤسف له لضـيق النظره السـطحيّه وعدم الغور فى الأعماق.

بخلاـف مثلاً قاعـده [اسـتعمال اللفظ فى أكثر من معنى] فإنَّها تقول إذا كانت كل الأعاريب للجمله الواحـده سواء كان التركيب تاماً ام ناقصاً، صحيحه على ضبط قواعد وموازين فلا مانع من أنْ تكون كُلَّها صحيحه ومُراده سَوِّيه وسديده.

نعم، يبقى أنْ الإـعراب للمفرده أو الجمله له أولويه معينه ويُقـدَّم على غيره لأـرجحيته، أو أنَّ هـذا الوجه الإعرابى ذو وجود مؤثر على المعنى، فـذاك بحث آخر إلّـا أنَّه بالتـالى هـذهِ الوجوه الإعرابيه فى الآيه القرآنيه، أو الجمله التركيبيّه صـحيحهٌ ويُحْتَـجّ بها، وهذا مسار آخر يُعَزِّز استعمال قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى، عليه فمثل هذهِ القاعده يمكن استعمالها

فی علوم شتی متباینه ما دام المجال لهذه الاستعمالات مفتوح، وبالتالی یکون لهذه القاعده المهمه والخطیره تنوِّع بالتطبیق فیمکن استعمال الداله اللفظیه الواحده فی المعانی والدوال اللفظیه المتعدده بتعدد علوم اللغه، بلْ بتعدد قواعد علوم اللغه، فضلاً عن مصادیق قواعد کل قاعده فی علم اللغه فحینئذٍ ینفتح لنا أفق وسیع جداً، ویکون لکل مقطوعه لفظیه من الآیات الکریمه هذهِ الجمله أو هذهِ المقطوعه اللفظیه علی صعید الدلاله التصوریه عِدَّه مفاهیم، وعلی صعید الدلاله الاستعمالیه عِدَّه معانی وترکیبات ومفادات، وعلی صعید الدلاله التفهیمیه عِدَّه معانی وعِدَّه دلالات، وعلی صعید الدلالات الجدیّه فتکون عِدَّه طبقات علی مستوی الصعید الجدی نکتشفها بحدود القدره البشریه.

وعلیه فینبغی للمُفَسِّر أنْ یلتفت حتّی لا یقع فی الخطأ والتخبط والسیر العشوائی، إلی أنَّ الإعراب للآیه الواحده لیسَ هو فقط وجه واحد هو الصحیح، وأمَّا الوجوه الأُخری فهی خطأ، أو فیهامقدار من الصحه إلّا أنَّه قریب، فهذا لا نوافقه.

وبالتالی من الأمور المهمه جداً للمفسر معرفه هذهِ التلاوین ومعرفه نسبتها وعلاقتها مع العلوم الأُخری فهی شبیهه بنسبه الملح فی الماء والطعام.

ثانیاً: إنَّ المراد بقاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی لیسَ هو خصوص الاستعمال فی مرحله الاستعمال والمدلول الاستعمالی، بلْ المراد فی الحقیقه مراتب متعدده من المدالیل والدلالات بدءاً من الصعید التصوری إلی الصعید الاستعمالی والی صعید المعنی التفهیمی والمعنی الجدی، والمعنی الجدی وطبقاته، وبعباره أوضح.

مضمون قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی هو أنَّ أیه داله لفظیه یمکن استعمالها فی أکثر من معنی - واستعمالها فی المعنی الواحد هو القدر المتیقن، فإنَّ الداله اللفظیه تدل علی معنی تصوری، ثم المعنی التصوری یدلُّ علی معنی استعمالی، أی أستعمال معنی فی معنی غایه الأمر المعنی التصوری یُقصد به استعماله فی المعنی الاستعمالی، ثم المعنی الاستعمالی یُقصد به ویُسلک به کسبیل ونافذه إلی المعنی التفهیمی، ثم المعنی التفهیمی یُقصد به ما وراءه أعنی به المعنی الجدی.

وهناک بعض الأمثله التطبیقیه لهذه القاعده ستأتی مُفَصَّله نشیر بإجمال لبعضها: -

من قبیل: ما هو المستعمل فی الشعر الشعبی الدارج المعروف بالأبوذیه، فإنَّ لفظه واحده تنتهی بها الأبیات الثلاثه الأولی بمعانی مختلفه، ونفس الصوت یکون بنبرات مختلفه فی الألفاظ الثلاثه المُوحَّده الماده والمختلفه الهیأه فی بعضها أیضاً یؤدی إلی الاختلاف فی المعنی(۱).

ومن قبیل: الاختلاف الذی یطرأ علی بنیه الکلمه أیضاً یکون استعمال الصوت فی أکثر من معنی وفی أکثر من لفظ. إلی غیر ذلک من الأمثله التی ستأتی فی محلها إنْ شاء الله تعالی.

وهکذا یمکن تطبیق هذهِ القاعده فی مجال عالم الأمن إلی ما شاء الله

۱- (۱) نظیر قول الشاعر فی حق أمیر المؤمنین (علیه السلام):بعد جرح الوصی هیهات ینشال وچن الصَوَّبه یا ریت ینشال (ینشل) وَیَ نعشه العدل للگبر ینشال ویتامَه نظل عگب حامی الحمیّه

وأنَّ كل لفظه تدل على معنى معين خاصه فى القطعات العسكريه والأمنيه والاستخباراتيه و... الخ.

ثالثاً: البحث عن القرينه الواحده والقرائن المتعدده والتناسب بين القرائن لا يختص بالبحث عن لفظه واحِده أو لفظتين أو ثلاثه أو... الخ بلْ كُلُّ علم من العلوم اللغويه والأدبيه فهناك قواعد وآليات لكل علم من العلوم المختلفه كعلم الصرف وعلم النحو وعلم البلاغه وعلم الاشتقاق، والمراد من استعمال تلك الآليات ليست فى معنى واحد، فمثلاً فى علم النحو: -

إعراب الضم يستعمل فى آليات متعدده يستعمل: - فى الفاعل والمبتدأ والخبر، واسم كان، وخبر إنَّ والصفه التابعه و... الخ فهذهِ هيئات مختلفه، وهكذا قاعده تقديم ما من حقه التأخير فإنَّها أحد آليات علم النحو والذى يُفيد معنى الاختصاص مثل [إيّاك نعبد وإيّاك نستعين](١) وله معنى أو معانى أُخرى، ويمكن استعمال نفس هذهِ القاعده - تقديم ما من حقه التأخير - فى علم المعانى ولها معنى آخر، وهكذا يمكن استعمال هذهِ القاعده فى علوم أُخرى ولها معانى شتى.

والخلاصه: فى علوم مختلفه توجد قاعده لها عِدَّه استعمالات فكيف تؤدى الغرض المطلوب، فمثلاً فى علم النحو قدْ تكون قاعده واحده لها عِدَّه أعاريب وتتفرع عنها عِدَّه قواعد فكيف تستخدم وتعطى الغرض المطلوب، إذنْ هذهِ آليات فى علوم اللغه استعملت فى أكثر من معنى،

١- (١) سوره الفاتحه: الآيه ٥.

واستعملت فى الهيئات التامَّه والناقصه و... الخ.

وحينئذٍ سوف نقف على أفق لا محدود، وأنَّ مثل هذا كُلَّهُ يدخل تحت قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى.

ص:٥٥٠

أصل بحث قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى فى علم الأصول

أهميه علم الأصول:

أصل هذهِ القاعده المهمه بُحِثَ فى علم الأصول وانبرى علماء الأصول فى تحقيقها فى قسم مباحث الألفاظ ولا يَخْفَى الصله الوطيده بين بحوث علم أصول الفقه وقواعد تفسير القرآن الكريم؛ وذلك باعتبار أنَّ أصول الفقه كما هو الصحيح ليسَ أصول وقواعد لفقه الفروع فقط، بلْ الصحيح أنَّ علم الأصول هو علم بقواعد مطلق المعرفه ومنها المعارف والعلوم الدينيه أى فقه الدين بأسره من علم آداب الدين وأخلاق الدين وعلم عقائد الدين، وعلم التفسير وعلم السيره وعلم الرجال وعلم الحديث وعلم السُنَّن وعلم فقه اللغه والعرفان، وعلم الكلام و... الخ.

فإنَّ الفهم المتصل والمرتبط بالدين يمنهجه ويمنطقه منهجياً هو قواعد أصول الفقه؛ ولذا من الخطأ الفظيع أنْ نقع فى غفله أنَّ قواعد أصول الفقه فقط هى ذات شأن وصله بالفروع، فإنَّ مثل هكذا تصور خطأ وظلم لعلم الأصول وحَبْس الانتفاع من قواعده وآلياته فقط فى فقه الفروع.

ولذلك نلاحظ أى علم يرتبط بالدين سواء ارتباطاً قوياً وقريباً أو بعيداً وضعيفاً فنلاحظ أنَّ القواعد العامه التى تُذكر فى مقدمته أو لنهايته تضبط وتمنهج لقواعد أصول الفقه، والسبب فى ذلك هو: -

إنَّ أصول الفقه عباره عن أصول وضوابط لفهم وقراءه نص الوحى الإلهى باعتبار أنَّ العلوم الدينيه لا تعتمد على نتاج المصنع والفكر البشرى ولا تنحبس فى أفق النتاج البشرى، بلْ تُحلِّق فى سماء النص الوحيانى الإلهى، ولذلك فى تعبيراتهم يعبرون عن علم أصول الفقه بأنَّه علم نقلى فى حين هو عقلى أيضاً وذلك باعتبار أنَّ المعرفه الدينيه تعتمد على النقل والنص وهما بدورهما يوصلان بالتبع إلى النص الوحيانى، ويعتبر النقل أيضاً قناه وطريق للوصول إلى النص الدينى والنص الوحيانى، وميزان آليات التعاطى مع النص الدينى يحكمه علم أصول الفقه.

الخلاصه: إنَّ علم أصول الفقه ضرورى لمن أراد أنْ يخوض فى علوم شتى كعلم الكلام وعلم الخلاف أى العلم بالمذاهب الإسلاميه، وعلم الأديان وعلم السيره وتاريخ الإسلام، وعلم الرجال وعلم الدرايه وعلم الحديث، فإنَّ علم الأصول يوزِن ويَضْبِط حجيه الحديث من عدمها.

وعلم الأخلاق وعلم العرفان العملى فمن سائر على قواعد وآليات علم الأصول لا يتيه به المسير حتّى يقع فى الانحراف – لا سامح الله – وعلم التفسير لمن أراد أنْ يقرأ النص الربانى بصوره منضبطه و... الخ وعليه بالتالى فإنَّ علم الأصول علم مفيد جداً للمعرفه الدينيه وإيانا أنْ نظن أنَّ أصول الفقه مقصور على استنباط القواعد الفقهيه والعناصر المشتركه بخصوص الفقه فلرب فقيه ليست عنده الرغبه أنْ ينال درجه الاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعيه ليسَ معناه يُحْرَم ويُمنع من ممارسه قواعد الأصول فى علم آخر كعلم الكلام أو التفسير أو العقائد أو علم النفس والأخلاق والآداب، فإنَّ هذا نرفضه أشد الرفض وعلينا أنْ نهتم

بأصول الفقه؛ لأنَّها تمنهج وتوزن القواعِد، وهذا أمر مهم باعتبار أنَّ المعرفه الدينيه تعتمد على الحجيه وعلى دلاله الدليل، ودلاله الدليل والحجيه لا تتمنهج ولا تنضبط إلّا بقواعد أصول الفقه.

هـذا مضافـاً إلى أنَّ أصول الفقه ليسَ فقـط يَعطى الحجيه للـدليل كمـا هو المعروف، بلْ حتّى على مبادئ أُسـس منظومه التقنين والقانون الـدينى الذى هو علم أصول القانون فإنَّ لعلم أصول الفقه الدور الأساسـى والفاعل فى كيفيه تصـنيف وتشـعب القواعد عن بعضها البعض فى الواقع الثبوتى.

علم الأصول بمثابه المقنن للقواعد الفوقيه والأسـس التى تنطلق من قواعد انشـعابيه فضلاً عن البحث فى حجيه الدليل، وهذا نظير مـا نحن فيه من منهـج أمومه المحكمات وأمومه ولايه أهل البيت (عليهم السـلام) لتفسـير القرآن فهو بمثابه النقطه المركزيه التى تتمحور وتنتظم حولهـا محكمـات الكتاب الكريم وما وراء القرآن من سائر سور وآيات القرآن ترتبط بها برباط منتظم لا شـتات ولا تبعثر فيه.

أقوال ومبانى علماء الأصول فى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى

استعمال اللفظ فى أكثر من معنى على سبيل الانفراد والاستقلال بأنْ يُراد من اللفظ كل واحد من المعانى، كما لو استُعْمِل فى أحدها مستقلاً فقد اختلف علماء الأصول فى جوازه على أقوال: -

القول الأوَّل: المنع من استعمال اللفظ فى أكثر من معنى، بمعنى ملاحظته فانياً فيه، ولعلَّ البعض جعل هذهِ هى عله سريان الحُسْن والقبح من المعنى إلى اللفظ فانياً فيه، وليسَ الاستعمال هو مجرد جعل اللفظ علامه على المعنى ووجهاً وعنواناً له.

إذنْ لا يجوز أنْ نجعل اللفظ عنواناً لمعنيين بلْ لمعنى واحد؛ وذلك لأنَّ جعله عنواناً لمعنى يستتبع ملاحظته فانياً فيه، فلا يمكن ملاحظته فانياً فى معنى آخر بإراده أُخرى فى استعمال واحد، نعم، يجوز ذلك فى الاستعمالين، فالمستعمل لا يمكن أنْ يلاحظ اللفظ فانياً فى معنيين على نحو الاستعمال فى استعمال واحد إلّا مع فرض كون اللاحِظ - كما عَبَّرَ صاحب الكفايه (قدس سرّه) - أحول العينين يرى الواحد اثنين(١) وهذا القول ذهب إليه جمله من الأصوليين.

ثم أنَّه هل يختلف الحكم بين اللفظ المفرد والمثنى والجمع؟ فإذا ثبت

١- (١) المفيد فى شرح أصول الفقه، للشيخ المفيد/إسماعيل إبراهيم الشهركانى، ج ١، ص ٩٢، بتصرف.

المنع عن استعمال اللفظ المفرد فی أکثر من معنی، کذلک یثبت المنع فی المثنی والجمع؛ لأنَّ علامه التثنیه والجمع لا تدلّ إلّا علی مجرد تکرار ما أرید من المفرد، وعلیه فلا یمکن إراده معنیین أو أکثر فی التثنیه والجمع.

وکذا الکلام فی الحکم بین المجاز والحقیقه فإذا ثبت المنع من استعمال اللفظ حقیقه فی أکثر من معنی للعله السابقه ثبت أیضاً لنفس العله المنع عن الاستعمال المجازی مع إراده معنیین علی نحو الاستقلال.

وممن ذهب إلی المنع فی استعمال اللفظ فی أکثر من معنی صاحب المعالم(۱) وذکر فی وجه المنع أنَّ اللفظ وضع للمعنی بقید الوحده، واستعماله فی أکثر من معنی یکون استعمالاً مجازیاً بسبب إلغاء قید وقید الوحده، وقد نوقش فی ذلک ومَن أراد فلیرجع إلی المطولات، وهکذا صاحب القوانین، وما ذکر فی وجه المنع: - إنَّ الوضع حصل فی حال وحده المعنی ولما کانت اللغات توقیفیه لزم الحفاظ عند الاستعمال علی جمیع ما اعتُبر فی الوضع حتّی الظرف والحال التی حصل فیها الوضع، فحینئذٍ یثبت منع وعدم جواز استعمال اللفظ فی أکثر من معنی(۲).

أیضاً أورد علی صاحب القوانین ومَن أراد ذلک فلیراجع المطولات، وإنَّما أعرضنا عن ذکر المناقشات طلباً للاختصار مضافاً إلی أننا لسنا فی مقام مناقشه تلک الأقوال إنَّما موکوله إلی محلها، وممن ذهب إلی هذا القول صاحب الکفایه محمد کاظم الخراسانی والشیخ النائینی فی مقالات الأصول والاصفهانی فی نهایه الدرایه والمحقق أغا ضیاء الدین العراقی و...

۱- (۱) معالم الدین، الشیخ حسن بن الشهید الثانی.

۲- (۲) القوانین

القول الثانی: ذهب جمله من الأصولیین إلی جواز استعمال اللفظ فی أکثر من معنی وقد ذهب إلیه جمله من المتأخرین أمثال السید الخوئی (قدس سرّه) فی محاضرات أصول الفقه ج ۲۰۸/۱ والشیخ الفیاض فی المباحث الأصولیه، ج ۱، ص ۳۲۴ و... الخ.

منهم مَن بنی علی أنَّه لا مانع من جعل لحاظ اللفظ فی الذهن آلیاً أداهً ووسیله لتفهیم معنیین مستقلین إذا کان له علاقه بهما، وهو بهذا اللحاظ فیه یصلح أنْ یکون سبباً لانتقال الذهن إلی کل من المعنیین مستقلاً فی آن واحد.

ومنهم مَنْ بَنی علی أنَّ حقیقه الاستعمال هی جعل اللفظ علامه علی المعنی، فإذا کان شأن اللفظ شأن العلامه فالنظر إلیه استقلالی کالنظر إلی العلامه.

ثم علی القول بجواز استعمال اللفظ فی أکثر من معنی هل یکون هذا الاستعمال علی نحو الحقیقه أو المجاز، فمنهم مَن ذهب إلی الحقیقه وبنی علی أنَّ الألفاظ موضوعه بإزاء المعانی من دون أخذ قید الوحده الذی ذکره صاحبالمعالم (قدس سرّه) فحینئذٍ یکون فی الاستعمال حقیقیاً لا مجازاً(۱).

ومنهم من ذهب إلی المجازیه لمخالفه الوضع بقید الوحده.

القول الثالث: ذهب بعض الأصولیین أنَّه إذا لم یجز استعمال اللفظ فی أکثر من معنی فی المفرد فإنَّه یجوز الاستعمال فی حاله التثنیه والجمع بأنْ یراد من کلمه عینین - مثلاً - فرد من العین الباصره وفرد من العین النابعه، فلفظ

۱- (۱) المباحث الأصولیه، للشیخ الفیاض، ج ۱، ص ۳۱۱.

عين وهو مشترك قدْ استُعمِل فى حاله التثنيه فى معنيين فى الباصره والنابعه، وهذا شأنه فى الإمكان والصحه شأن ما لو أَريد معنى واحد من كلمه عينين، بأنْ يُراد بها فردان من العين الباصره مثلاً فإذا صحَّ هذا صحَّ ذاك بلا فرق، والدليل عليه/ أنَّ التثنيه والجمع فى قوه تكرار الواحد بالعطف فإذا قيل: عينان فكأنما قيل: عين وعين، وإذْ يجوز فى قولك (عين وعين) أنْ تستعمل أحدهما فى الباصره والثانيه فى النابعه فكذلك ينبغى أنْ يجوز فيما هو بقوتها أعنى (عينين) وكذا الحال فى الجمع(١).

إذنْ اختلف الأصوليون فيما بينهم حول استعمال اللفظ فى أكثر من معنى بانه هل يجوز استعمال المشترك اللفظى وضعاً فى عِدَّه معانى أوْ لا؟ أو هو ليسَ بمشترك لفظى، بأنْ وضع اللفظ لمعنى واحد لكنَّه يستعملها فى المعنى الحقيقى والمجازى وبين معانى متكثره من المجازى هل يمكن ذلك أو لا؟

على أقوال فى المسأله: -

منهم مَن قال بالنفى، ومنهم مَن قال بالإثبات، وثالث بالتفصيل، وأنه ممكن فقط على مستوى الإمكان دون الوقوع، أو يقع ولكنْ بقله، بينما رابع قال يقع وبكثره، وخامس قال بالإمكان الذاتى دون الوقوعى ثم الوقوعى ثم لا وقوع فى الجمله لكنَّ وقوع غالبى و... الخ.

١- (١) أصول الفقه، للشيخ المظفر، ج ١، ص ٩٨.

اللفظ بحسب الوضع اللغوى يمكن أنْ يكون لفظاً واحداً يرتبط بعدّه معانى أو لا؟

اشاره

ذكر علماء اللغه والبيان أنَّ الألفاظ فى دلالتها على المعانى لا يخلو حالها فى الدلاله إمَّا حقيقه بلحاظ جهه الوضع، وإمّا مجازاً، وهى على مراتب مختلفه:

منها: مرتبه الألفاظ المتواطئه.

منها: مرتبه الألفاظ المتباينه.

منها: مرتبه الألفاظ المترادفه.

ومنها: مرتبه الألفاظ المشتركه والألفاظ المستغرِقه و... الخ(۱).

وأمَّا بالنسبه إلى استعمال اللفظ الواحد وله ارتباط ودلاله على معانى عِدَّه فقسم من علماء اللغه والأدب العربى قالوا باستحاله المشترك اللفظى، وكذا المشترك اللغوى الذى هو معنى واحد.

فالمشترك اللفظى واللغوى: - هو إطلاق كلمه وحده على عِدَّه معانٍ حقيقيه متعدده غير مجازيه، أو هو اللفظ الذى وُضِعَ عِدَّه مَرَّات لعِدَّه معانى، مثل العين التى هى إداه النظر، عين الماء، والليث ومن معانيها الأسد، واللسِن البليغ ضرْبٌ من العنكبوت، والشده و... الخ.

إذنْ المشترك اللفظى: - هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين

۱- (۱) الطراز، للعلوى اليمنى، ص ۲۷۴.

فأكثر على السواء عند أهل اللغه ومن أمثلته لفظ (الحوب) الذى يُطْلق على أكثر من ثلاثين معنى منها: -

الأثم، الأخت، البنت، الحاجه، المسكنه، الهلاك، الحُزُن، الضرب، الضخم من الجِمال، رقّه فؤاد الأم، زجر الجمل، و... الخ.

وهكذا لفظ (الخال) الذى يُطلق على أخى الأم، وعلى الشامه فى الوجه، والسحاب، والبعير الضخم، والأكمَه الصغيره... الخ.

موقف الباحثين من المشترك اللفظى:

اختلف الباحثون فى مسأله ورود المشترك اللفظى فى اللغه العربيه، إذْ أنكره فريق منهم مؤوِّلاً أمثلته تأويلاً يُخرجها من بابه، كأنَّ يجعل إطلاق اللفظ فى أحد معانيه حقيقه وفى المعانى الأُخرى مجازاً، وفى طليعه هذا الفريق ابن دُرُستويه فى كتابه (شرح الفصيح).

ومقابل هذا الفريق فريق ذهب إلى كثره وروده فأورد له شواهد كثيره لا سبيل إلى الشك فيها، منهم الأصمعى، أبو عبيده و... الخ.

والحق أنَّ الاشتراك اللفظى ظاهره لغويه موجوده فى معظم لغات العالم ومن التعسف إنكار وجودها فى اللغه العربيه، وتأويل جميع أمثلتها تأويلاً يخرجها من هذا الباب.

أسبابه: أعاد الباحثون سبب الاشتراك اللفظى فى اللغه العربيه إلى عوامل عِدَّه منها:

١ - اختلاف اللهجات العربيه القديمه فمعظم ألفاظ المشترك جاء نتيجه اختلاف القبائل فى استعمالها، وعندما وضعت المعاجم ضمَّ أصحابها

المعانى المختلفه للفظ الواحد دون أنْ يعنوا نسبه كُلّ معنى إلى القبيله التى كانت تستعمله.

٢ – التطور الصوتى الـذى يطرأ على بعض أصوات اللفظ الأصـليه من حذف أو زياده أو إبدال فيصـبح هذا اللفظ متحداً مع لفظ آخر يختلـف عنـه فى المـدلول، فقـدْ طرأ مثلاـص على لفظه (النغمه) واحـده (النغم) تطـوِّر صـوتى بإبـدال الغين همزه التقـارب المخرج فقيل (النَّأْمُهُ) بمعنى النغمه، وكذلك بالنسبه إلى (جذوه) و (جثوه) و) الغَشْمُ) و (الغَشْبُ): – التعدى والظلم.

٣ – انتقـال بعض الألفـاظ من معناهـا الأصـلى إلى معانى مجازيه أُخرى لعلاقه ما، ثم الإكثار من اسـتعمالها، حتَّى يصـبح إطلاق اللفظ مجازاً فى قوه استخدامه حقيقه مثل (العين) تطلق على الباصره والجاريه وعلى أفضل الأشياء.

٤ – العوارض التصـريفيه التى تطرأ على لفظين متقاربين فى صـيغه واحـده، فينشأ عنها تعـدد فى معنى هـذهِ الصـيغه مثل (وَجِـدَ) فيقال: – وُجَدَ الشيء وجوداً أو وجداناً إذا عثر عليه، ووجد عليه موجدةً إذا غضب، ووجد به وجداً إذا تفانى فى حبه(١).

المشترک المعنوى:

اللفظان اللذان لهما معنيان ويشتركان فى معنى ثالث.

أو هو اللفظ الذى وضع مَرَّه واحده ولكنَّه يدلُّ على جهه مشتركه

١– (١) المعجم المفصل فى اللغه والأدب، ج ١، ص ١١٨.

بين أمور متعدده.

ومن هنا نستطيع أنْ نقول أنَّ دلاله الألفاظ على معانيها على عِدَّه أصعِدَه: -

الصعيد الأوَّل: انسباق المعنى الوضعى من اللفظه.

الصعيد الثانى: اللفظ مستعمل فى معانى عديده يقصد منه ذلك فهل ممكن ذلك أو لا؟ فحتى لو قلنا بعدم وجود مشترك لفظى إلّا أنَّ هناك نسق علاقه وضعيه حقيقيه مع معنى واحد، ولكنْ له علائق كثيره مع المعنى المجازى.

الصعيد الثالث: قصد المعنى التفهيمى من استعمال اللفظ فى أكثر من معنى وهذا غير المدلول الاستعمالى، فإنَّ المعنى التفهيمى من اللفظ أو الجمله يختلف عن المعنى الاستعمالى، وعليه فهل يمكن للمتكلم أنْ يستعمل المعنى الاستعمالى فى أكثر من معنى تفهيمى أو لا؟

نعم، يمكن وهذا يدلُّ على أنَّ اللفظ الواحده أو الجمله الواحده يمكن أنْ تتشعب أكثر فأكثر؛ لأنَّه فى البدايه يوجد معنى تصورى أولى، ثم إنَّ كُلّ معنى تصورى يرتبط مع معنى استعمالى متصل، ثم كُلّ معنى استعمالى يتصل بمعانى ترتبط بأغصان ثم إنَّ كُلّ غصن يرتبط بأغصان أكثر فرعيّه وهكذا.

فمثلاً نقول: - زيدٌ كثير الرماد فلفظه الرماد استعملت بالرماد وبالكثير، ولكنْ المعنى الذى يُريد أنْ يُفهْمه المتكلم للسامعين هو أنَّ زيداً كريمٌ.

وعليه: لو تمت هـذهِ القاعده تكون مصداقاً لما قال الإمام الصادق (عليه السـلام) قبل أكثر من ثلاثه عشـر قَرْناً ولم تقله المعلقات السـبع ولا سوق عكاظ الأدبى ما مضمونه: - [إنَّ الكلام يتصرف إلى سبعين وجهاً] والمراد بالسبعين كنايه عن الكثره والكاثره لا الحصر.

إذنْ الكلام ليتصـرف إلى سـبعين وجهـاً ليسَ فقـط فى هـذهِ القاعـده وإنَّما حتَّى فى القواعـد الأُخرى التى تقـدمت كقاعـده: - التعريض، والالتفـات، وإيّـاكِ أعنى واسـمعى يـا جاره - كُلُّها تبيان وبرهان لهـذه الحقيقه التى بيَّنها الأئمه (عليهم السـلام) وإلى يومنا هـذا فإنَّ العلماء والفقهاء وكبار المفسـرين و... الخ لا يقدرون على اكتشاف هذهِ الشـبكه العنكبوتيه المنظوميه التى أسّسـها وأرسـى دعائمها الأئمه (عليهم السـلام) وليسَ باسـتطاعتهم الالتفات إلى تلك التشـعبات الدقيقه التى تحتوى عليها تلك الشبكه العظيمه، صـحيحٌ إنَّ قُـدُرات الفقهـاء والمفسـرين محـدوده إلّـا أنَّ واقـع البيـان اللفظى أوسـع أفقـاً من قُـدرات البشـر المحـدوده والمحسوسه بقـدره وجود وهبوط قـدره البشـر، بخلاـف القـدره التى أودعهـا الله تعـالى فى البيان فى اَلرَّحْمنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسانَ، عَلَّمَهُ الْبَيانَ١ والتى لا يسـتطيع أنْ يغور فيها غير المعصوم من البشر إلّا على حساب قواعد منضبطه ومنهجيّه مُحكَّمه ولها أمومه مركزيه ورعـايه مِن قبل أئمه أهل البيت (عليهم السـلام)، فسابقاً كانت المـذاهب الإسـلاميه توجِّه الطعن إلى مـدرسه أهل البيت (عليهم السـلام) بأنَّها مـدرسه تأويليه باطنيه تلاعبيه فى النص الدينى، هكذا كانوا يزعمون إلى قبل خمسـين سـنه، والكتب التى صدرت من رجال الأزهر الشريف فضلاً عن طعن الوهابيّه

والسلفيه فى هذا المجال.

أمَّا الآن وقدْ أصبحت البشريّه فى عصر حضاره ثوره المعلومات فوصلت إلى هذهِ الحقيقه التى نادى بها أئمه أهل البيت (عليهم السلام) قبل أكثر من (١٣) ثلاثه عشر قَرْناً وأكَّدوا عليها من أنَّ اللسان البشرى يتفجر منه قراءات تعدديه والقراءات عصاره متبدهه فى ذهن البشر إلّا أنَّه لمْ يفهمها فى وقتها ولا زال بعضهم لمْ يَفْهم ولم يحاول أنْ يفهم، إلّا أئمه أهل البيت (عليهم السلام) ومَن شُمِلَ لرعايتهم التعليميه، ومن تلك الأمور التى أسسوها هى هذهِ القاعده الضخمه [إنَّ الكلام ليتصرف إلى سبعين وجهاً] وباستطاعه المتكلم أنْ يخرج من كُلّ هذهِ الوجوه والمخارج ليست أحاديه الطريق.

ولذا الإمام الصادق (عليه السلام) فى هذهِ القاعده بَيَّن حقيقه خفيّه على البشر طوال أربعه عشر قَرْناً والآن اكتشفوها ألا وهى التعدديه فى قراءه النص والألسنيات والتى كان يستهزأ بها مِن قِبَل المذاهب الإسلاميّه الأُخرى خاصه أصحاب الفكر السلفى الوهابى ويُعَبِّرون عنها أنَّها تلاعب فى الألفاظ، كيف يكون ذلك.

علماً أنَّ واقع الكلام وطبيعته متفجره الأبعاد مترامیه الأطراف والأركان.

فإنَّ الكلام له مخارج فى أبواب مختلفه، أمَّا أنَّ قدره البشر لا يستطيعون أنْ يُتقنوا إلّا دائره محدوده ضيّقه فذاك بحث آخر، ولا تَحْبِس طبيعه الكلام ومخارجه بهذا الفهم الضيّق والقدره الضيقه، فإنَّ هذا تجنى على طبيعه الكلام وما ينطوى عليه من حقيقه لا يُدركها إلّا خالق البيان

وهو الله تعالى المحيط بكنه الأشياء وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ١ وهم النبى وقربى النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) ومَن شَمِلته رعايتهم يُدْرِك مخارج الكلام بحسب استعداده وصفاء سريرته وتقواه و... الخ.

فإنَّ ذلك كُلَّهُ له الأثر البالغ فى فهم معانى الكلمات، فانظر إلى ما قاله القرآن الكريم وما استعمله من أسلوب رائع وجميل وعالى البيان... بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ٢ فلو رجعنا إلى تفسير الآيه نجد عِدَّه مخارج أمام النبى إبراهيم (عليه السلام) إذْ لمْ يواجههم مباشرةً ويقول لهم هذهِ أصنامٌ عبادتها باطله ولا تنفع وإنَّما استدرجهم بالكلام شيئاً فشيئاً إلى أنْ فعل فِعلاً وَوَجَّه إليهم سؤالاً استشعروا بخطأهم بأنفسهم إذنْ هكذا تلاوين الكلام وأنَّ الكلام ينصرف إلى سبعين وجهاً.

وهكذا الكلام فى قصه النبى يوسف (عليه السلام) أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ٣ أى يا أصحاب الإبل إنَّكم لسارقون، وهذا توكيد لكونهم سارقين فأكَّد يوسف (عليه السلام) بأداه التشبيه والتى تفيد التوكيد [أنَّ] وباللام وعلله الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله «ما سرقوا وما كذب يوسف» وإنَّما عنى سرقه يوسف من أبيه، ولذا قالت الآيه بعد ذلك قالُوا وَ أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ ما ذا تَفْقِدُونَ، قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِكِ وَ لِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ...۴ ولم يقولوا: - سُرِقَ صُوَاع الملك وإنَّما قالوا

«نفقِدُ صُوَاع الملك» أُنظر إلى هذهِ التلاوين والقدره على القوَّه البيانيه والبلاغيه العاليه وامتلاك القدره على صروف البيان للطرف الآخر.

فقصه يوسف (عليه السلام) وفعل أخوته به وسرقته من أبيه حصلت قبل عشرات السنين، فهذهِ التداعيات فى الكلام وتمسكهم بالإطلاق الزمانى والاعتراف بالزمن الحالى وتمسك يوسف (عليه السلام) واعتمد على قرينه تنبهوا لها وعرفوها وهى قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِكِ وَ لِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِكِ وَ لِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ قالُوا تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَ ما كُنّا سارِقِينَ قالُوا فَما جَزاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ١ ثم أخذ يوسف (عليه السلام) يستدرجهم فى الكلام شيئاً فشيئاً قالُوا جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ كَذلِكَ نَجْزِي الظّالِمِينَ٢.

فقال يوسف (عليه السلام) جزاؤه حسب ما جاء فى شريعه النبى يعقوب (عليه السلام) ولم يقل يوسف (عليه السلام) أنا أحكم بهذه القضيه ولا بأى قضيه أُخرى وقعت، وهذا الأسلوب جعل الطرف الآخر المقابل يستفيد أنَّه هو يحكم على نفسه، ومثل هذا ليسَ كيد شيطان وإنَّما تدبير إلهى فعادت المسأله إلى صروف الكلام قالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَ لَمْ يُبْدِها لَهُمْ...٣.

إلفات نظر:

تُجرى الآن بحوث دوليه وعالميه قائمه على قَدَمٍ وساق فى المعاهد التخصصيه حول نصوص القرآن، فالقرآن الكريم فيه أساليب مختلفه: -

منها: أساليب التحقيق الجنائى.

منها: أساليب الاختراق السياسى.

منها: أساليب الاختراق الأمنى. و... الخ.

والسبب فى عكوفهم على مثل هذهِ الدراسات هى امتلاك القرآن الكريم تصاريف البيان وكيفيه توسعها وتسايرها للتطور العصرى فى جميع جوانب الحياه المهمه الخطيره سواء العلميّه منها أو الصناعيّه أو الثقافيه أو السياسيه أو الأمنيّه أو الاقتصاديه أو... الخ.

ص:٥٦٧

أقسام الدلاله

ذكرنا سابقاً أنَّ دلاله الألافظ على معانيها على أصعده ثلاثه:

١ – على مستوى الوضع.

٢ – على مستوى استعمال اللفظ فى معانٍ عديده.

قصد المعنى التفهيمى من استعمال اللفظ فى أكثر من معنى.

ومن الواضع أنَّ اللفظه الواحده لها عِدَّه دلالات كالدلاله الوضعيه والدلاله التصوريه والدلاله التصديقيه والدلاله الجديه والدلاله التفهيميه والدلاله الاستعماليه و... الخ وكل هذهِ الأقسام وغيرها لها التأثير فى فهم المعنى المراد للمتكلم، ولابدَّ من معرفه ضابطه كل دلاله حتّى لا يصبح تشويش وخلط بين معانى الألفاظ ومراد المتكلم، وهى: –

الدلاله التصوريه: وهى انخطار معنى اللفظ فى الذهن بمجرد إطلاق اللفظ، وعُبر عنها بالدلاله التصوريه باعتبار أنَّ اللفظ فى موردها لا يوجب أكثر من تصور معناه فى الذهن عند أطلاقه.

الدلاله التصديقيه: ويُعبَر عنها بالدلاله الجديه وبالدلاله التصديقيه الثانيه، والمقصود من الدلاله التقصديقيه هى ظهور حال المتكلم بأنَّ ما أراد تفهيمه بكلامه مريدٌ له جداً وواقعاً.

وبعباره أُخرى: إنَّ الدلاله التصديقيه الثانيه تعنى الظهور فى التطابق بين الإراده التفهيميه الاستعماليه وبين الإراده الجديّه وأنَّ المتكلم قاصد

الحكايه عن الواقع.

ثم إنَّ الدلاله التصديقيه منوطه بأربعه أمور:

الأوَّل: علم السامع بالوضع وهى الجهه المشتركه بين الدلالات الثلاث.

الثانى: إحراز أنَّ المتكلم عاقل وملتفت وهذهِ هى الجهه المشتركه بين الداله التصديقيه الثانيه والدلاله التفهيميه.

الثالث: أنْ يكون الكلام من سنخ المركبات التامَّه.

الرابع: أنْ لا ينصب المتكلم قرينه مفصله على عدم الإراده الجديه للحكايه عن الواقع، ومع توفر هذهِ الأمور الأربعه ينعقد للكلام ظهور فى الإراده الجديه للحكايه عن الواقع.

الدلاله التصديقيه الأولى: وهى المعبر عنها بالدلاله التفهيميه وعُبِّرَ عنها بالتصديقيه؛ لأنَّها توجب إذعان السامع بإراده المتكلم المعنى من لفظه، وعُبِّرَ عنها بالأولى تمييزاً لها عن الدلاله التصديقيه الثانيه.

الدلاله التفهيميه: والمقصود منها دلاله اللفظ على إراده المتكلم تفهيم معناه من إطلاقه فالدلاله التفهيميه إذنْ تضيف معنى زائداً إلى الدلاله التصوريه وهو الدلاله على إراده المتكلم للمعنى من اللفظ فى حين أنَّ الدلاله التصوريه لا تدل على إراده المتكلم لتفهيم المعنى، ولذا فالدلاله التصوريه تحصل حتّى مع العلم بعدم إراده المتكلم كما لو كان نائماً أو كان من غير العقلاء.

الدلاله الجديّه: وهى الدلاله التصديقيه الثانيه، وهى لا تنعقد إلّا فى الجمل التركيبيه التامّه، وأمَّا الناقصه فلا تكون الدلاله معها دلاله جديه،

بـلْ تتمحض دلالتهـا بالـدلاله التصوريه والاسـتعماليه، فحتى لو كان المتكلم جاداً فى إخطار المعنى وتفهيمه للسامع فإنَّه لا يُقال عن ذلك دلاله جديه.

الـدلاله الاسـتعماليه: وهى الـدلاله التفهيميـه والـتى تعنى ظهـور حـال المتكلـم فى إراده تفهيـم المعنى مـن لفظـه، وعُـبِّرَ عنها بالاستعماليه باعتبار أنها تدلُّ على أنَّ المتكلم استعمل اللفظ لغرض إخطار معناه وتفهيمه(۱).

وبعـد هـذهِ المقـدمه التى ذكرنا فيها أقسام الدلاله تبين الفرق بين دلاله المعنى التفهيمى ودلاله المعنى الجدى، فالمتكلم لو أراد فى مراده الجـدى أنْ يَصِف زيـد بالبخـل يقول: زيـدٌ كثير المراد يعنى يسـتعمل الرمـاد فى الرماد وأراد من كلمه الرماد أنْ يُفهِم كرم زيد ولكن مراده من تفهيم كرم زيد الطعن فيه (زيد) لا المديح، ومراده الجدى هو التعريض والوقيعه بزيد.

فهنـا اختلف المعنى الاسـتعمالى عن المعنى التفهيمى وهمـا اختلفـا عن المعنى الجـدى فينبغى ملاـحظه هـذهِ التلاوين من سـطح اليسطح ومِن أُفقٍ إلى أُفق.

سؤال: هل يمكن أنْ يُراد بالمعنى التفهيمى الواحـد معانٍ جـديّه متعدده، وهنا أصـبحت قاعده اسـتعمال اللفظ فى أكثر من معنى فى مرحله أُخرى غير مرحله العلاقه بين المعنى التفهيمى والمعنى الجدى فإنَّ هذا شيءٌ آخر.

الجواب: المعنى الجـدى على طبقات، فالمثال المتقـدم فى وصف زيـد بالبخل وأنَّ المتكلم أراد الطعن بزيـد لأجل بخله، إلّا أنَّه ليسَ المراد من

۱- (۱) المُعجم الشامل، ج ۱، ص ۳۷۱، ۳۷۲.

طعن المتكلم فی زيـد ببخله هو طعن ببخل زيـد المراد يمكن أنْ يكون المتكلم أراد تكـذيب زيـد فی دعواه وهـذا مراد جـدی آخر، فليس المراد هو الطعن بالبخل وإنَّما شـیء آخر، أو يمكن أنْ يكون المراد من وصف زيـد بالبخل لأجله وقايته من الضـرر الـذی يريد أنْ يوقعه به شـخص آخر أراد أنْ ينتهك زيد مثلاً، فحينئذٍ نلاحظ أنَّ المراد الجدی قدْ تغيَّر فيقول لك الطرف لماذا ترمی زيداً بالبخل وعليك أنْ ترضيه وهكذا.

إذنْ نلاحظ الانتقالات من معنی جدی إلی آخر واختلف التصوری عن الاستعمالی عن التفهيمی.

وعليه فاسـتعمال اللفظ فی أكثر من معنی له أكثر من معنی واحـد، يعنی لها معنی لمدلول التصوری الذی يتكثر فی الاسـتعمالی، أو الاسـتعمالی يتكثر فی التفهيمی فحينئذٍ تكون عندنا عِدَّه مداليل استعماليه، ثم إنَّ لكل مدلول استعمالی إذا كان متكثر أو كان أُحـادی المـدلول الاسـتعمالی المعنی فإنَّ الاسـتعمالی يكون له عِـدَّه مـداليل أو معانی تفهيميه ثم المعانی أو المـداليل التفهيميه يكون له عِدَّه معانی أو مداليل جديه سواء كان مدلول تفهيمی واحد أو متكثر.

ثم المعنی الجدی له معانٍ متكثره، فالمعنی الجدی الأوَّل له عِدَّه مداليل جديَّه، وهكذا المعنی الجدی الثانی أيضاً له عِدَّه مداليل جديه متكثره فی الطبقه الثانيه بلْ وفی الطبقات الأُخری التاليه، وهكذا.

وحينئذٍ ينبغی الالتفات إلی أنَّ هذا كُلَّهُ علی مسـتوی التصور فيجب علينا أنْ نَلُّمَ بكامل تصوره، وبعد ذلك ندخل إنْ شاء الله فی تفاصيله وأدلته وآثاره.

وعليه ينغبى الإلمام بآليات الصعيد الأوَّل وهى: -

أولاً: وضع الألفاظ للدلاله التصوريه الذى هو مشترك لفظى.

ثانياً: ما هى آليات الدلاله على الكثره فى المعنى التصورى؟ فلابدَّ من تعيينها.

الجواب: أنَّه فى اللفظ الواحد مع وجود إوضاع منصوص عليها من قبل اللغويين فهذهِ هى آليات المعنى للمدلول التصورى.

ص:٥٧٣

بحث حول القرائن

اشاره

إنَّ نفس القرائن لو دققنا النظر فيها لها معنى تصورى أيضاً، فإنَّ نفس القرينه لو خُلِّيت تظهر ولها ظهور معين ولها معنى تصورى بغض النظر عن ذى القرينه أو انضمامها إلى ذى القرينه أو انضمامها إلى قرائن أُخرى.

إذنْ نفس القرينه لها مدلول وضعى فى نفسها بغض النظر عن انضمامها لذى القرينه أو انضمامها إلى قرائن أُخرى.

وبعباره أوضح: إنَّ القرينه إذا انضمت إلى ذى القرينه أعطت معنى من المعانى سواء كان معنى مجازياً أو غيره، وهذا معنى صحيح نسلمه، إلّا أنَّ الذى نُريد أنْ نُبينه ومحل الشاهد من [استعمال اللفظ فى أكثر من معنى] هو أنَّه لو أخذنا القرينه منفرده بغض النظر عن انضمامها إلى اللفظ الآخر وهو ذى القرينه مثلاً أو انضمامها إلى القرائن الأُخرى فربما تكون المحصله لها شاكله أُخرى مع العلم أنَّ نفس القرينه هى هى نفسها لها وضع لغوى وضعى ومدلول تصورى، والقرينه بما هى سواء كانت استعماليه أو تفهيميّه أو جديه أو... الخ لها مدلولها الوضعى والتصورى.

تنبيه:

فى بحث القرينه سواء كانت القرينه واحده أو مجموعه قرائن فإنَّ التناسب فيما بينها لا ينحصر بخصوص لفظه واحده أو لفظتين أو ثلاث، بلْ يشمل كل علمٍ من علوم اللغه والعلوم الأدبيّه العربيه كعلم النحو

والصرف والبيان والاشتقاق و... الخ فإنَّ كل علم من هذهِ العلوم وغيرها له آليات خاصه به مَن طبّقها حصل على النتائج المطلوبه وعثر على الدقائق والنكات العلميه لذلك الفن.

إذنْ هـذهِ وغيرها كُلَّها أمثله لتلون وتكثر الكلام، فالمراد من استعمال تلك الآليه ليست فى معنى واحد، فمثلاً: إعراب الضم فى علم النحو، أو تقـديم ما من حقه التأخير سواء فى النحو أو البلاغه والبيان أو التغير الحاصل فى بنيه الكلمه فى علم الصـرف أو... الـخ فإنَّ هـذهِ آليات فى علوم اللغه يمكن استعمالها فى أكثر من معنى فيمكن استعمالها فى الهيئات التامه والناقصه والمركبات و... الـخ وحينئـذٍ سوف نلتفت إلى أننـا وقفنـا وانفتحنـا على أُفِق لا محـدود وفيها آليات وقواعـد ودوال لا تُحْصَى فمثلاً فى علم النحو قدْ تكون فى الجمله الواحده عِدَّه أعاريب وعِدَّه قواعد واشتقاقات وهيئات مختلفه فكيف تُسْتَخدَم؟

هـذا وغيره كُلَّهُ دليـل على جواز استعمال اللفظه الواحـده فى أكثر من معنى فـإنَّه يجوز أنْ نسـتعمل كل لفظه أو هيئه أو داله أو حركه فى أكثر من معنى.

وعليه لو أردنا استقصاء المناسبات بين هذهِ الدوال مع تعدد محتملات المعانى فيها فحينئذٍ سوف نقف على كنز كبير من الدوال اللفظيه.

ولرب سائل يسأل: كيف نجعل معنى تصورى لقرائن المدلول الجدى والتفهيمى؟

الجواب: إنَّما صار المعنى التصورى حتّى للمـدلول الجدى والتفهيمى وذلك لو أخذناالمثال الذى تقدم وهو: - زيدٌ كثير الرماد، فإنَّ المدلول

الاستعمالی لکثره الرماد المراد منه بیان وإثبات صفه أو حاله الکرم لزید - والتعبیر بالصفه کنایه عن ثبوت هذهِ الصفه، والحاله کنایه عن عدم ثوبتها - وربما یکون المراد الجدی من تفهیم کرم زید هو بخل زید أی الطعن والوقیعه به، فإنَّک تصف زیداً بصفه الکرم من باب وصف الأشیاء بأضدادها، نعم أنت قلت زید کثیر الرماد ولازمه إثبات الکرم لزید إلّا أنَّ المتکلم یرید أنْ یثبت صفه البخل لزید. وهنا قدْ تغایر المدلول الجدی عن التفهیمی عن الاستعمالی.

وعلیه کیف یکون لقرینه المراد الجدی یعنی - بخل زید - معنی تصوری،؟

من الواضح أنَّ نفس القرینه لها مدلول تصوری وبسبب هذا المدلول التصوری إذا انضمنت إلی مدلول استعمالی بلفظه أُخری أو مدلول تفهیمی بلفظه اخری نستنتج من المجموع معنی جدی معین أو معنی تفهیمی معین، یعنی إنَّ القرینه التی هی تکون قرینه قرینیتها بمدلولها التصوری الذی ینضم إلی مدول تصوری بلفظه أُخری سوف یعطینا معنی استعمالی معین، أو انضمام المعنی التصوری لهذه القرینه أی هذهِ اللفظه الثانیه تنضم إلی المعنی التفهیمی بلفظه فیعطینا معنی استعمالی، معنی تفهیمی آخر یعطینا معنی جدی آخر وهکذا.

لأجل أنْ یتمُّ نصاب کیان القرینه لابدَّ فی القرینه من الضمیمه اللفظیه وهی اللفظ الثانی لابدَّ وأنْ یُحَرِرَ ویُنقِح مدلوله التصوری الوضعی وإلّا لا یتمُّ نصاب کیان القرینه.

وهل انتهت المراحل والطبقات بهذا البیان؟ کلا لیست مرحله

المدلول التصورى والاستعمالى والتفهيمى والجدى ليسَ فقط فى ذى القرينه بلْ هى أيضاً بنفس المنوال تبحث حتّى فى القرينه يعنى ربما قرينه من القرائن لا يكون مدلولها التصورى قرينه ومدلولها الاستعمالى قرينه فى اللفظه الثانيه، وأيضاً هذهِ القرينه التى فى اللفظه الثانيه ربما يكون مدلولها الاستعمالى قرينه وربما يكون مدلولها التفهيمى قرينه، وربما يكون مدلولها الجدى قرينه.

هذا إذا كان الحال يقف عند قرينه واحده ولفظه ثانيه فما بالك إذا تعددت القرائن والألفاظ أى أنَّ هذهِ اللفظه الأولى يرتبط معها الفاظ متعدده فتعال واحسب حينئذٍ نسب المعادلات والمداليل التصوريه والاستعماليه والتفهيميه والجديه و... الخ وكل قرينه بأى درجه من معناها تدخل وتشارك فى إيصال المعنى وتوضيحه.

وعليه فعالم القرائن نسيج متشعب إلى ما شاء الله تعالى، وما ذكره علماء النحو والصرف والبلاغه كنموذج وليسَ حصراً استقصائياً وإلّا إذا أراد الباحث والمُفَسِّر الملتفت أنْ يتشعب ويبحث ويُدقق يرى أنْ واقع حال الكلام ذو شبكه آفاقيه وسيعه المدى، يبقى الاستنتاج الصحيح راجع إلى أعمال مهاره المُفَسِّر والباحث فى هذا الجانب.

هذا كُلَّهُ ولا زال الكلام فى القسم الأوَّل من أقسام دلاله اللفظ على المعنى وهو: - استعمال اللفظ فى المعنى الواحد - لأنَّه هناك شبكه مترامیه الأطراف ومتعاقبه ومتمدده إلى آفاق وسيعه بسحب التقيد الحركى لقواعد البلاغه والنحو والصرف واللغه، حتّى لو أردنا أنْ نتحرك تحركاً جمودياً نرى أنْ لها تطبيقات مترامیه متلاحقه ومتناسجه ومتناسبه إلى آفاق وسيعه

جداً ولها نوافذ عديده، وهذا المقدار فى توسع وأنَّ الكلام ليتصرف على وجوه للمتكلم من كل منها المتكلم الماهر والملتفت يستطيع الخروج وكل هذهِ التخاريج ينفذ على بعضها البعض.

لو أردنا أنْ نرتب برنامجاً لموسوعه فى الأدب العربى بعد استخراج قواعد عديده: -

منها: النحو والصرف والبلاغه واللغه والعروض والاشتقاق وفقه اللغه وهناك قواعد عديده إلى ما شاء الله يعجز الحاسوب الآلى عن عدَّها وإحصائها هذا كُلَّهُ فى استعمال اللفظ فى معنى واحد وهذهِ الاحتمالات غير المتوقّفه عند حدٍّ معين فما بالك فى استعمال اللفظ فى أكثر من معنى. فإنَّ القاعده سوف تتسع وتتعدد وتتكثر، وهذا كُلَّهُ قبل الدخول فى بيان وذكر أدله القاعده وتلمس شواهدها.

الخلاصه: إنَّ الكلام ليسَ فقط فى استعمال لفظه واحده أو آحاد الألفاظ، فتاره عندنا استعمال لفظه القرينه وهو غير ذيلها فإذا وجدت عِدَّه قرائن منضم بعهضا إلى الآخر استعمال وليسَ كلامنا فى هذا فقط بلْ الكلام فى استعمال هيئه الجمل والهيئات التامه للجمل بلْ الهيئات الناقصه للجمل مثل جمله المضاف والمضاف إليه، وإنْ كانت هيئه هيئه ناقصه مع ذلك يدخل فى محل الكلام وغيره من الهيئات الناقصه، وكذا الكلام يقع ويشمل الجمله الخبريه وإنْ كانت تستعمل هذهِ الجمله فى الإخبار والإنشاء معاً فى استعمال واحد.

والكلام فى استعمال اللفظ فى أكثر من معنى لا يقتصر على اللفظ أيضاً وإنَّما يندرج فيه استعمال الهيئه التى هى ليست شيئاً ملفوظاً بذاتها

بالتبع.

الخلاـصه: كما مَرَّ أنَّه لا يقتصـر فى قاعـده اسـتعمال اللفظ فى أكثر من معنى على فقط الجمله التامه والجمله الناقصه ولا يختص بلفظه أو لفظتين أو ألفـاظ مُعينه كلاـ بلْ المراد حتّى الهيئات والتركيب ولا يقتصـر فى التركيب على التركيب الناقص فحسب بلْ التركيب التام والناقص بلْ يتعـدى إلى عِدَّه تركيبات تامه تتراكب وتترابط فيما بين بعضـها والبعض الآخر كترابط جواب الشـرط مع جمله الشرط والأداه التى تربط بينهما. وكذا هيئه المشتق المراد بها صفه مشبهه أو المراد بها صفه المبالغه أو المراد بها مصدر مشترك فى الهيئه مثـل (مَفْعَـل) فإنَّهـا صالحه لأنْ تكون هيئه مصـدر، ممكن هيئه صـفه مشـبهه، صـيغه مبالغه، تصـريف المكان وتصـريف الزمـان علمـاً أنَّهـا لفظه واحـده وهيئه اشـتقاقيه واحـده صـالحه للاسـتعمال فى أكثر من معنى فلو جمعنـا الاحتمالاـت المتصوره فى المقـام لاـ يسـتطيع أحـد أنْ يقول أنَّها تقف عنـد عـدد مُعيّن؛ ولـذا عنـدما قال المعصوم لا يعرف القرآن ومخارج كلماته الحمّاله لوجوه إلّا مَن خُوطب به فهذا يشـير إلى أنَّ هناك برنامج إلهى فيه دفأ صورى مبهج وفيه أسـرار إلهيه لا يسـتطيع عادى الناس أنْ يكتشفها وإنْ استطاع أنْ يكتشف الشىء البسيط منها.

فتعـال وانظر الفرق بين حركه الإعراب وبين المعنى الوضـعى للفظه وبين التركيب الناقص وتركيب التام وبين القرائن كم احتمال فيها؟ فإنَّ نسـبه الاحتمال فى الرياضـيات تستخرج من جمله واحده مئات الآلاف من الاحتمالات إنْ لم نكن مبالغين، فإنَّ الكلام ليتصرف على وجوه إلى سبعين وجه كنايه عن الكثره الكاثره وعليه فألفاظ أدله أى مسأله علميه سواء

فى علم التفسير أو أى علم آخر الفائده من هذهِ الأدله ليسَ إثبات للمسأله فقط وتطبيق لها فى فائده معينه فقط وإنَّما تفيد تصور عن المسأله بشكل أوسع أفقاً فنتخيل أنَّ التصور أثمن من التصديق وإنْ كان التصديق نعم الثمره ولكن أى تصديق أفضل من التصور فالتصديق الذى يوصلنا إلى التصوِّر البيِّن هو أحكم إحكاماً وثباتاً من التصديق المبهم.

إذنْ الأدلَّه التى ينظر إليها فى دور تبيانى ستكون أكثر كفاءه من تلك الأدله التى ينظر إليها إلى أنَّها لها دور إسفافى إذعانى مجملٌ مبهمٌ.

ص:٥٨١

الأدله على إثبات قاعده

استعمال اللفظ فى أكثر من معنى

الـدليل الأـوَّل: أحـد الأـدله على صـعيد الإمكـان العقلى هو: قُـدره المتكلم والسـامع إذا افترضـنا فى أصل فرض محل البحث: - باعتبار أنَّ الكلام له دوال عديـده وهذهِ الدوال يمكن أنْ يكون لها رباط مع دلالات عديده كثيره فحينئذٍ تقول: - لا مانع من أنْ تسـتعمل هـذهِ الدلالات للدلاله على معانى عديده واسـتثمار طاقات الدوال سواء دوال لفظيه أو داله إعراب أو داله اشـتقاق أو... الخ.

اعتُرض عليه: حاول البعض إثاره مانع عن طريق تصوير رأى ثبوتى، وحاصله: -

إنَّ اللفـظ مرآهٌ والمرآه لا يمكن أنْ تسـتوعب عِـدَّه صور، حتّى أنَّ بعض الـذين قالوا بالامتناع - أى امتناع دلاله اللفظه الواحـده على أكثر من معنى - يجب أنْ يكون المـدعى لـذلك سـليم العقـل وإلّـا لاـ يمكن أنْ يُبصـر باللفـظ عِـدَّه معـانى فكيف يمكن ذلك؟.

الجـواب: إنَّ مراحـل دلاـله اللفـظ على أكـثر مـن معنى ابتـداءاً من الـدلاله التصـوريه كمـا الـدلاله التفهيميه إلى التصـديقيه إلى الجـديه... الـخ أشـبه ما تكون بشاشه عرض تلفزيونى التى تُقَطعُ الشاشه الواحده إلى صورتين أو أربعه أو سـته أو ثمان أو... الخ عن مناطق مستقله مختلفه عن بعض البعض تماماً، وهذهِ الصور مُقطعه ومندمجه ومُدمجه وممزوجه لا مانع من

ذلك، هذا مضافاً إلى أنَّه مَن قال: - إلى أنَّه لابدَّ أنْ تكون شاشه تلفزيونيه مرآةً تستوعب المعنى بكله فإنَّ ذلك ليسَ بالضروره فإنَّ ذلك ممكن وليسَ فيه أى استحاله، وهناك أمثله أُخرى.

وهكذا بالنسبه للانتقال من تصور إلى تصور ثانٍ وثالثٍ ورابعٍ وخامس و... الخ ونفس هذا التصور ليسَ اعتباطاً وإنَّما فيه مسؤوليه لأنك فى انتقالك من تصور إلى آخر لابدَّ أنْ تكونه ملتفتاً إلى الاختلاف فى الاستعمال وخطابك لجهات عديده، وهذا يتطلب منك أنْ تُحشِّد عِدَّه معانى استعماليه هى تفترق فى نفسها عن بعضها البعض الآخر، ولا مانع فى أنْ تلتقى فى زمان واحد، أو انتقالات الذهن فى المعانى التفهيميه المتكثره بعضها مع البعض الآخر فى زمن قصير جداً يكون التعامل مع أجزاء الثانيه أو الثالثه أو الرابعه و... الخ وهكذا بعض الصور الفوتوغرفيه هى صورٌ مُدمجه فى صوره واحده بلا فاصل أو لون أو... الخ وتزاحم صور مستقله عن بعضها البعض بحيث تستطيع أنْ ترتبها على ذى الصوره، فتستطيع أنْ تُفرِز الصوره الأصليه ومِن ثَمَّ تُفَرِّع عنها صور متعدده إلى ما لا نهايه مع اختلاف الألوان.

إذنْ اختلاف الترتيب متصور فى عالم الماده.

وعليه فتصور ألوان عديده فى مسأله تصور معانى مستقله عديده متغيره عن بعضها البعض ليسَ على وتيره واحده.

ملخص الدليل الأوَّل: إنَّ الإمكانيه موجوده فى أنْ تكون هناك دوال متفرعه عن داله واحده، وهذهِ الدوال لها ارتباط مع تلك كل ذلك ممكن بالإمكان العقلى، وما أثير من إشكالات لعلَّ بعضها لفظى كُلَّها مدفوعه

بالحس التصورى.

إذنْ المسأله بحسب عالم الإمكان ممكنه ولا مشكله فيها.

الدليل الثانى: عالم الوقوع دليل على استعمال اللفظ فى أكثر من معنى، بدءاً بالمحاورات البيانيه بين الطرفين وتلاوين الكلام، إلى باب ما يُضرب به المثل، وباب الألغاز والأحجيه فلو أراد المتكلم أنْ يختبر السامعين والمخاطبين فيأتى متعمداً بألفاظ متشابهه ويوهم معانيها لدى السامعين بصوره مشتبهه ويريد المتكلم من السامعين التسابق والتبادر إلى إدراك النتيجه كى يصل السامع إلى الحقيقه ويكون المخاطب على صعيد المعنى الاستعمالى والتصورى والتفهيمى حاصلاً - المخاطب - على أكبر عدد معين من المعانى، فمثلاً على صعيد المراد الجدى المتوخّد مراد ومطلوب فى باب الألغاز، بخلافه على صعيد المراد التصورى والاستعمالى والتفهيمى فهى متكثره ويحاول المتكلم أنْ يوجد ويوقع فى ذهن السامع عدّه مفاهيم تفهيميه وعدّه معانى تفهيميه وعدّه معانى استعماليه وعدّه معانى تصوريه كى يرتبك على السامع الواقع فى المعنى الجدى، ومن الخطأ والاشتباه إبراز المتكلم تفهيم السامع بلحاظ ومن صلب إراده يوجب ويُفهم السامع عدّه مفاهيم.

المراد الجدى واحد وأمَّا المعنى الاستعمالى فهو كثير فهذا واقع بعد إمكانه.

وتعالوا بنا إلى ما هو أكثر وقوعاً. وذلك فى مثل باب التوريه وباب الكنايات ومع الأسف أنَّ الذى يستخدم هذين البابين البلاغيين البيانيين لم يُراع العطايا السريّه سواء على كل طبقات البشر من شرائح مختلفه وكل

شريحه أو كـل فرد له أسـلوبه الخـاص فى إخفـاء الـدلاله فتكون إخفاء الـدلاله بأشـكال وأساليب مختلفه وهو ما يُعبر عنه بالعلم الأمنى فى فن التحاور والحوار الكلامى وهو - العلم الأمنى - علم قائم برأسه يُـدرس فى الأكاديميات فى مثل علم الإعلام وعلم السياسيه وعلوم متعـدده استراتيجيه فـإنَّ العلم الأـمنى يُبحث فيه كيفيه التوصـل إلى حزام أمنى من خلالـ نفس الحوار الكلامى بحيث لو اطلع أحـدٌ على هـذهِ الرساله أو الكتاب التى كتبها صاحبُ الفكره الأمنيه المعينه والـذى يريد بها أمر معين لا يطلع عليه غيره أو يَطلَّع عليه شـخص أو مخاطب به فئه دون فئه... ولو اطلَّع الغير لا يلتفت إلى المراد الأصلى لصاحب الكتاب وكأنَّ فيه من الكنايات والألغاز والأحجيات ما شاء الله فحينئـذٍ إذا كان أى ذلك الغير طرفاً فى قضـيه وجاءه كتاب بهكذا مواصـفات فإنَّه حتّى لو يُمهره أو يوقعه أى يُمضـيه فـإنَّه سوف ينطلى عليه ذلـك الحزام الأـمنى الـذى اسـتعمله صـاحب الكتاب وغلَّف كتابته بنكت علميه وفنيه وصـناعيه ربمـا لاـ يلتفت إليهـا حتّى لو كـان المخاطب منتبهاً ويقظاً إلّا مَن عصـمه الله مثلاً كما فى الآيه المباركه فى كلاـم إبراهيم قالُوا مَنْ فَعَلَ هـذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمِينَ١ ثم قـالت الآـيه قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هـذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ * قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ٢.

بتقريب: تقـدم أنَّهم قالوا مَن الـذى صـنع هذا الصـنيع بأربابنا فإنَّه ظالم لنفسه لأنَّه سـيُقتل وظالم لنا ولأصـنامنا - ومَن اسـتفهاميه، وقيل (موصوله) والترجيح للاستفهام، وعندما سئل إبراهيم (عليه السلام) هل أنت كسرت أصنامنا

يا إبراهيم (عليه السلام) فعلَّق إبراهيم (عليه السلام) فعله بالأصنام على نطق عظيمها فى نظرهم، والذى كان قد أبقى عليه وبذلك أعجزهم وبكّتهم لأنَّ الجمادات لا تنطق ولا تجيب، وأراد إبراهيم (عليه السلام) أنْ يوصلهم إلى هذا الجواب ويشعرهم بخطأهم مع احتراز أمنى فى كلامهم وأنء لا يكتشفوا أنَّه (عليه السلام) هو الذى كسر الاصنام وأراد أنْ يُفهمهم أنَّه مَن كان هذا شأنه بحيث لا يسمع خطاباً ولا يعقل ولا يجيب جواباً بلْ لا يقدر على شىء، فكيف يجوز أنْ يكون ربّاً ويحتل هذهِ المرتبه من الألوهيه؟ وكيف يجوز للإنسان الذى هو أشرف المخلوقات أنْ يخضع له ويتذلل، وأمَّا فى حاله ادعائهم أنَّ الأصنام تنطق وتُجيب فسوف يفضحهم واقعاً ويكذبهم حالها حين يسألونها فلا ترد، ولذا لم يجدوا بُداً من الاعتراف بالحقيقه إضافه إلى ضلالهم وقلّه عقلهم(۱).

ولذا دور أغلب الكنايات فى المعنى التصورى والمعنى الاستعمالى دور فاعل ومهم جداً ومن هنا ينشأ سؤال: -

ما هو الفرق بين الكنايه والمجاز فى علم البيان من علم البلاغه؟

الجواب: إنَّ الفرق الفاصل بينهما - بعد وضوح أنَّ باب الكنايه أوسع من باب المجاز - أنَّه فى باب الكنايه يمكن أنْ يتأتى المعنى الحقيقى والمعنى غير الحقيقى فى استعمال لفظ واحد. وإنْ كان البلاغيون احتملوا ذلك إلّا أنَّ المسأله ليست احتماليه فقط بلْ هى واقعه بأنْ يستعمل اللفظ فى المعنى الحقيقى ويستعمل كذلك فى معنى آخر بخلاف المجاز: - استعمال الشىء فى غير ما وضع له.

۱- (۱) تفسير إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، الشيخ محمد رضا السبزوارى النجفى.

ثم أنَّ الكنايه على أقسام: - كنايه على صعيد استعمالى، وعلى صعيد تفهيمى، و... فضلاً عن ترامى الكنايات معناه تعدد أصل باب الكنايه، لأنَّ الكنايه معناها: [تغطيه شىء بشىء وكنّاه معناه أخفاه]: - التعدديه لابدَّ أنْ تكون مطلوبه ولكن المتكلم قدْ يقع فى جمهره تراكم عدّه احتمالات ومعانى، فكلما كشف المتكلم استاراً وجدوراً واللباس المتعدد يقى كتاب آخر ذو جدر حصينه هذا فى باب الكنايه.

ص:۵۸۸

الشرائط المعتبره فی قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی

اشاره

لأجل الاستفاده من هذهِ القاعده هناک جمله من الشروط المعتبره فیها: -

الشرط الأوَّل: جریان قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی فی أغلب العلوم إذا بُلوِّرت هذهِ القاعده سواء فی علم النحو أو الصرف أو الاشتقاق أو البلاغه أو الأصول أو التفسیر أو الفقه أو الحدیث أو الرجال أو الکلام أو المعارف والفنون بصوره عامّه.

إذنْ شرط هذهِ القاعده الأساس والمهم هو أنْ تکون هذهِ القاعده علی الموازین والقواعد الصحیحه فی کل علم بحسب أبوابه التی یمکن الدخول إلیها والخوض بها مهما أمکن.

والمهم أنْ تطبق هذهِ القاعده علی وفق قواعد وضوابط معترف بها فی العلوم اللغویه ولا کلام لنا فی تطبیق وجریان القواعد الاتفاقیه بین العلوم کعلوم اللغه وعلوم الأدب وإنَّما الکلام کل الکلام فی تطبیق هذهِ القاعده فی القواعد الخلافیه التی تصبح وفاقیه ببرکه هذا التطبیق الواسع لهذه القاعده.

فمثلاً بحسب قواعد علم العَرُوض أو علم الصوت أو علم الاشتقاق إنَّ هذا الصوت مثلاً یمکن حَمْلُه أو انطباقه علی عِدَّه ألفاظ وکُلُّ قواعد تلک الألفاظ منضبطه فهنا یؤخذ بتلک القواعد فی تطبیق القاعده

التی هی محل کلامنا، أو هـذهِ اللفظه المعینه وضـعت لعـده معانی یؤخـذ بها ولیست هناک قرینه صارفه عن أحـد هذهِ المعانی، فـإنَّ کـل من تلـک المعـانی متـأتیه ویؤخـذ بهـا سواء فی قواعـد علم النحو وکیفیه الإعراب وترکیب الجمله، أو فی قواعـد علم الصـرف أو علم البلاغه أو بـاقی العلوم الأُخری، رُغم أنَّ قواعـدها مختلفه ومتعـدده ومع ذلـک یؤخـذ بهـا ولها موارد وضوابط تطبیقیه مـا ذاک إلّا لأجل أنَّ البحث فی هـذهِ القاعـده - أعنی اسـتعمال اللفظ فی أکثر من معنی - مبتنٍ علی أساسِ عـدم امتناع إراده المتعـدد فی عرض واحـد بـدءاً من المعنی والمـدلول التصوری إلی الاسـتعمالی إلی التفهیمی فی لسان واحد، والبناء علی هـذهِ القاعـده یُحدِث فجوهً لیسَ فقط بین المسار الموجود علیه المفسـرین وبین منهج أمومه المحکمات فحسب، بلْ یوجد فجوه بین البناء والمسار الـذی علیه منهـج کافه العلوم الإسـلامیه، لأنَّ تلک المناهـج قائمه علی لغه أُحادیه المعنی ووحدانیه المراد فی لسان واحد ما عکس ما هو المختار من المنهج التفسیری لأمومه الولایه للمحکمات فضلاً عن المتشابهات.

ولا یخفی أهمیه علم التفسیر واعتباره هو المصـدر لعلوم إسـلامیه عدیـده فی المعرفه الـدینیه فالبحث فی هـذا المنهج التفسـیری للقرآن وهو منهـج أمومه الولایه للمحکمـات فضـلاً عن المتشابهات قائمٌ فی علم الکلام والفقه وآیات الأحکام، وعلم الأخلاق فی الآداب والسُنن الإلهیه وفی علوم إسـلامیه متعدده تسـتقی من القرآن منبعاً تفسـیریاً، ویأتی ما تقدم ذکره من أنَّ هذا التفسـیر الـذی یُسـتقی من الآیات والسور علی رأی باقی المناهج التفسـیریه لابدَّ أنْ یکون المعنی أُحادیاً خلاف منهج أمومه الولایه علی المحکمات فضلاً عن المتشابهات من أنْ یُستقی علوم عدیده کالنحو

والصرف والبلاغه والاشتقاق واللغه والعَروض و... الخ من تفسير الآيات المباركه إلّا أنَّه ضمن الضوابط التى تقدمت، وكماتقدم، من أنَّ المراد من الوحده فى منهج أمومه المحكمات ليست وحده المعنى أو الموضوع وإنَّما وحده نظام وتفاعل وانسجام بين المعانى.

نتائج القاعده على ضوء الشرط الأوَّل:

النتيجه الأولى: تنبيه هام

من خلال دراسه وبحث قاعده - استعمال اللفظ فى أكثر من معنى - اتضح أنَّ بعض العلوم مثلاً- كعلم النحو فإنَّ علماء النحو وللأسف تبيَّن أنَّهم لم يخوضوا فى هذا الباب بالشكل الذى يُعطى للقاعده حقّها، عكس ما نشاهده من دلائل فى منهج تفسير أمومه الولايه للمحكمات فضلاً عن المتشابهات فإنَّها مُشيَّده وقائمه على قدم وساق فى تفصيل واستعمال هذهِ القاعده بأوسع وأعمق معانيها، فمثلاً يستعمل منهج أمومه الولايه على المحكمات مشتقةً ما فى لفظه معينه يستخدمها كمصدر ميمى أو مصدر صناعى أو اسم مكان أو اسم زمان أو اسم آله أو صفه مشبهه أو... الخ ويحاول منهج أمومه الولايه للمحكمات فضلاً عن المتشابهات تفعيل أكبر عدد من الاحتمالات التى تسع تحملها هذهِ اللفظه وهذهِ الصيغه.

وهكذا ينجر الكلام إلى علم الفقه وتفعيل هذهِ القاعده فى مباحث الألفاظ خاصه وكذا مبحث الأوامر والنواهى و... الخ فمثلاً لفظه واحده مثل [تطوف] جمله فعليه تدل على الإخبار، ونفس الجمله يمكن تضمينها معنى الأمر فتصبح داله على الأمر والإلزام ما عدا الشيخ أحمد النراقى (قدس سرّه)

صاحب مستند الشيعه الذى لا يذهب إلى استفاده اللزوم من الجمله الخبريه خلافاً لأكثر الفقهاء فحينئذٍ قدْ تكون جمله معينه سبكها جمله فعليه تعطى الخبريه معنى، وسبكها جمله أسميه تعطى معنى آخر.

النتيجه الثانيه:

وهكذا فى مباحث علم النحو فى مبحث تقديم ما من حقّه التأخير يفيد الاختصاص مثلاً فله معنى ونفس اللفظه إذا أخرتها فأدت معنى آخر كما فى [نعبدك] فالكاف مفعول به، وإذا قدمتها انفصلت وصارت [إياك نعبد] فصار معناه شىء آخر وهو الحصر أى حصر وقصر العبوديه لله تعالى.

وهكذا علم البيان يمكن أنْ تكون من جمله واحده صوره كنائيه أو صوره مجازيه أو مجاز تمثيلى أو مجاز استعارى... الخ.

وهكذا يمكن أنْ تكون هذهِ الجمله يستفاد منها استعاره تفهيميه أو تخييليه أو تمثيليه أو... الخ فيمكن أنْ يستفاد منها استعارات متعدده ذات وجوه مع ضم قرائن مختلفه تتلائم والمعنى المراد فى مختلف هذهِ التلاوين، وهكذا الآيات القرآنيه فأنَّها حمّاله لوجوه، وهذا التوسِّع فى هذهِ القاعده أى استعمال اللفظه الواحده فى أكثر من معنى بعد البناء على تشييدها وبناءها فحينئذٍ تكون لكل مقطوعه لفظيه من الآيات الكريمه أو هذهِ المقطوعه اللفظيه على صعيد الدلاله التصوريه عدّه مفاهيم وعلى صعيد الدلاله الاستعماليه عدّه معانى وتركيبات ومفادات، وعلى صعيد الدلاله التفهيميه عدّه معانى وعدّه دلالات، وكذا على صعيد الدلاله الجديه أيضاً عدّه معانى وطبقات نكتشفها بحدود القدره البشريه، ويمكن اعتبار هذا كنتيجه ثانيه

مستفاده من هذهِ القاعده.

والخلاصه من كل هذا فإنَّ النتائج المترتبه على هذهِ القاعده على ضوء الشرط الأوَّل:

النتيجه الأولى: إنَّ قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى منفتحه على أفق وسيع جداً فيه درجات وتفرعات إلى ما شاء الله.

النتيجه الثانيه: إنَّ كل هذهِ التفرعات والطبقات والنتائج للدلاله تكون حجه ولكن حجه بالشرائط الثلاثه الآتيه.

إذنْ هذهِ نتيجه الشرط الأوَّل لهذه القاعده المباركه ولأجل الاستفاده منها ولا ندعى أنَّه لا يرد عليها أىُّ سهم من سهام الاعتراضات، وإنَّما مهما أمكن أنْ نقلل ذلك بالبيان المتقدم وتطبيق هذهِ القاعده على ضوء منهج تفسير أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات فإنَّه يُقلِّل من المخاطر التى تهدد الحقيقه وهذا المنهج يستطيع أنْ ينفتح على الحقيقه بأوسع ما يمكن خلافاً للمناهج التفسيريه الأُخرى التى هى نافذه ضيقه تفتح الأواب بقدر الوسع البشرى.

شرائط حجيه التفرعات والنتائج

المترتبه على قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى

بعدما تقدم الشرط الأوَّل والنتائج المترتبه عليه، أيضاً هناك شرائط ثلاثه لأجل حجيه كل تلك الطبقات والتفرعات والنتائج المترتبه على هذهِ القاعده وهى:

الشرط الأوَّل: تقدم أنَّ هذا البناء للظهور مبنى على ميزان صحيح فى قواعد العلوم العربيه - يعنى موازين وأدله ولو مأثوره عن العرب على خلاف القياس كما يقولون - فى أى علم من العلوم، وكذا تقدم أنَّ باب استعمال اللفظ فى أكثر من معنى فى منهج تفسير أمومه الولايه على المحكمات مفتوحٌ على مصراعيه ولكن بشروط: بأنْ يكون حسب القواعد والموازين العلميّه الصحيحه وليسَ منهجبنا فى تفسير أمومه الولايه لمحكمات الكتاب فضلاً عن متشابهاته كباقى التفاسير الأُخرى بأنْ يأخذ تفسير الآيه من بُعد أحادى النقل كالبعد الأدبى أو اللغوى أو النحوى، وينقل فيه المُفَسِّر بلا قيدٍ أو ضابطه إلّا الضابطه التى أشرنا إليها وهى أنَّ هذا من قواعد الأدب اللغوى أو النحوى أو البلاغى أو الصرفى أو الاشتقاقى أو... الخ.

الشرط الثانى: أنْ لا يُفند هذا الاحتمال الذى يُحتمله فى الآيه المباركه دال لفظى آخر، بأنْ يقطع الطريق أمام نفوذ هذا الاحتمال، وإنْ كان هو على الموازين إلّا أنَّه لا ينسجم مع مجموعه الدوال فى الجمله الواحده أو فى

الآیه الواحده بأنْ ینسجم فی أبعاض الآیه أو أبعاض السوره، فإذا حدَثَ هکذا تنافی أو تهافت عند احتمال هکذا محتمل فی استعمال اللفظه الواحده فآنذاک نرفع الید عن هکذا احتمال، مع بقاء الهیمنه والحاکمیه للولایه علی محکمات القرآن فضلاً عن متشابهاته باعتبار المحکمات کما تقدم لها طبقات وبالتالی فإنَّ استعمال اللفظ فی أکثر من معنی صحیحٌ وأنَّه باب مفتوح إلّا أنَّه یجب أنْ یصح هذا الاستعمال - کما مَرَّ - وفق موازین علوم اللغه مع لابدَّیه الانسجام مع الآیه.

وخلاصه الشرط الثانی تبتنی علی الترکیز علی أنْ لا یکون هناک تضارب فی المعنی المستفاد من تطبیق الآیه القرآنیه عند تطبیق قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی، وإذا وُجِدَ تضارب نتیجه التطبیق لهذه القاعده فهذا دلیل واضح علی عدم إراده کل المعانی، وإنَّما بعضها الذی ینسجم ویتوافق مع دلاله اللفظه الواحده؛ لأنَّ القرآن الکریم لیسَ بین آیاته تضارب لأنَّه وحی منزل من الواحد الأحد.

نعم، هناک وحده لآیات وسور القرآن الکریم فی منهج أمومه الولایه علی المحکمات إلّا أنَّ معنی الوحده لیست الواحدیه والأحدیه، بلْ المراد من الوحده فی منهج أمومه الولایه للمحکمات فضلاً عن المتشابهات هی الانسجام والتناسق المنظومی فی نظام هیکله الأمومه المرکزیه.

أمَّا أنَّ بعض المناهج التفسیریه الأُخری عندها معنی آخر للوحده التی یریدها الله تعالی فی القرآن الکریم فذاک بحث آخر، بأنْ یُراد من الوحده وحده المعنی ووحده الموضوع فی التفسیر الموضوعی بخلاف معنی الوحده فی منهج أمومه المحکمات فإنَّه لیسَ المراد من الوحده وحده

معنى فحسب أو وحده نسق أو وحده هدف أو وحده مسار أو وحده أعلى وأوسع وأخطر أُفُقاً فهى أعقد من وحده المعنى ووحده الموضوع فى التفسير الموضوعى، وهذا نظير ما يُعبر عنه فى علم الفلك عن وجود وحده فى المنظومه الشمسيه فليس المقصود بها وحده معنى أو وحده موضوع أو وحده وجود أو... الخ وإنَّما المراد من الوحده هى تناسق وانسجام وتفاعل أى تأثر وارتباط بين المنظومات الشمسيه ووحده مجرّات.

وعليه فالفرق شاسع بين المنهجين منهج أمومه المحكمات المدار عنده على وحده المحور ووحده المركز وليسَ فقط عباره عن منظومه وسلسله مترابطه فإنَّ هذا لوحده لا يكفل وحده المنظومه والنظام، وبالتالى فإنَّ وحده المركز أيضاً لابدَّ منها؛ لأنَّها هى التى توجِد تماسك فى الأطراف وعليه فإنَّ وحده المنظومه هى بوحده المركز والمحور.

إذنْ وحده النظام أيضاً تحتاج إلى نظام يُوِّحدها ويُنظمها، وإنْ كانت وحده النظام تختلف عن وحده المعنى ووحده الموضوع، والنظام الذى يوجد وحده النظام هو المركز ومِن ثم الولايه أى ولايه الله وولايه الرسول (صلى الله عليه و آله) فإنَّ ولايه الرسول (صلى الله عليه و آله) الناظم لها هو ولايه الله تعالى، والناظم لولايه الأئمه الأثنى عشر (عليهم السلام) هو ولايه الله تعالى وولايه الرسول (صلى الله عليه و آله)، والناظم للمحكمات ومحورها الموحِّد لها هى ولايه الله والرسول والعتره الطاهره، ثم إنَّ المحكمات كما تقدم على شكل طبقات وكل طبقه أعلى ناظمه للطبقه التى تحتها وهكذا.

الشرط الثالث: أنْ لا يُخالِف هذا الاحتمال فى قاعده استعمال اللفظ

فی أکثر من معنی محور مرکزیه أمومه الولایه للمحکات فی القرآن، فضلاً عن المتشابهات، وعلیه فلابدَّ من الوفاق مع المحکمات وولایه التوحید - التی سیأتی التعرض إلیها قریباً إنْ شاء الله تعالی، التی ترسم وحده نسق مظومه الدین وهی ولایه الله وولایه الرسول وأهل بیته (علیهم السلام) أو قل بعباره أُخری.

مع ملاحظه تلوِّن الخطاب القرآنی هذا أیضاً لابدَّ من الالتفات إلیه وعدم الغفله عنه وإلّا فوحده السیاق التی حَذَّرنا منها سابقاً ولا نُحکِّمها؛ لأنَّها قدْ تکون هی عائق عن فَهْم التفسیر القرآنی وغالب السیاقات فی القرآن مختلفه حتماً فی الآیه الواحده، بلْ فی الجمله الواحده، ومقصودنا من وحده النتیجه، یعنی هناک مفرده محکمه فی الآیه أو فی الجمله أو فی السوره یجب أنْ تُراعی.

ومعنی مراعات محکمات القرآن یعنی لا یمکن أنْ نسبک ونستفید ظهور معین ولو کان علی وفق قواعد اللغه العربیه، إلّا أنَّه یُنافی ویُصادِم محکم آخر، أو یُنافی مخصص، وهذا معناه إننا لا یمکننا أنْ نستفید العام کمراد جدّی مع وجود دلیل مخصص لأنَّ العام لا یقوی فی الحُجیه أمام الخاص، وکذا الدلیل اللفظی المفسِّر الحاکم مُقدَّم المُفَسَّر المحکوم، والمقید مقدَّم علی المطلق، والناسخ مقدم علی المنسوخ و... الخ.

إذنْ لابدَّ من مراعات محکمات القرآن الکریم الذی یعنی مُراعاه محوریه المحکمات، فإنَّ منهج أمومه الولایه علی المحکمات یُضفی بتلاوینه علی قواعد وأصول التفسیر اللفظیه، وهذا ما نستکشفه من خلال عرض الآیات والروایات، کما تقدم روایه الإمام الصادق (علیه السلام)

«إنَّ الله جعل ولایتنا

أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكتب عليها يستديرُ محكمُ القرآن، وبها نوَّهت الكتب ويستبين الإيمان»(۱).

الشرط الرابع: إنَّ الضوابط فی علوم اللغه والعلوم الأُخری التی يُستعان بها كلما كانت مُبدَّهه ومبرهنه ومبينه كان الاستنتاج الاستظهاری المتعدد والمتكثر أكثر بياناً وأكثر بداهه وصواباً، ولا يخفی أنَّ فی العلوم سواء اللغويه المختلفه من الأوضاع من علم النحو والصرف وعلم البلاغه والبيان والمعانی والبديع والاشتقاق وعلم فقه اللغه ونحت اللغه، والعروض و... الخ فقسم من قواعد هذهِ العلوم متسالم عليه بحيث استنزف جُهداً علمياً كبيراً بحيث أوصل هذهِ المسائل والقواعد إلی درجه الضرورات العلميه بمعنی أنَّها بُيِّنت وبُدِهت بشكل برهانی، وليسَ من الضروری أنْ يكون برهانياً أو بديهياً، فإنَّه قدْ يكون نظری بأنْ استُدِلَّ عليه ولكن الاستدلال عليه لا زال فی منطقه النظری، وبالدقه إذا ركّزنا بشكل أكبر وأدق نلاحظ أنَّ البديهيات تبدا من نقطه مركزيه فی أی علم من العلوم، وأنَّ هذهِ البديهيات هی أيضاً علی طبقات ودرجات متفاوته فيما بينها وليست علی مرتبه واحده.

فلو أخذنا قاعده من بين قواعد علم النحو فنلاحظها أبيَن من غيرها بلحاظ طبقتها، وربما توجد قاعده أبين منها فی مصاف الرعيل الأوَّل من القواعد الضروريه المبدهه والمبينه فی علم النحو، وربما تأتی طبقه ثانيه وثالثه و... الخ من القواعد بحيث نفس علماء النحو إذا تضارب تطبيق القواعد عندهم فإنَّهم يرجحون القواعد المبدهه علی غيرها لانها أكثر

۱- (۱) تفسير العياشی، ج ۱، ص ۷۸، ح ۸.

وتديه وبنيويه.

إذنْ نفس هـذهِ البـديهيات لها درجات إلى أنْ تصل إلى آخر محيط البـديهيات، ثم تبـدأ منطقه النظريات، والنظريات أيضاً على طبقات، فهناك طبقه من النظريه ملاصـقه بالبديهيات أى تعيش فى ضواحى مدينه البديهيات وهى بحكم البديهيات ولكن كلما ابتعـدت أكثر شـيئاً فشـيئاً عن منطقه البـديهيات فسوف تتوغـل فى صـحراء وبرِّ النظريـات أكثر فأكثر وتـدخل مفاوز قـدْ يتيه فيها الإنسان كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرانَ لَهُ أَصْحابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى١.

لأنَّ الخوض فى عالم النظريه خوضٌ فى ظلمات وبحر لُجى لأنَّها توجـد وتولِد عند مَن يخوض بها بلا سـلاح علمى فإنَّ الخوض فيها يولـد له شـبهات فكريه لا سامـح الله قـدْ يُسـبب عنده اضـطراب وتيه، وقد يَضِل الطريق بالأخير ويصـبح سـجين وحبيس فى الصحارى والمفاوز.

وعليه فـالولوج فى العلوم النظريه يزيـد الإنسان ظلمه، هـذا فى سائر البشـر اعتماداً على معلوماتهم من دون أنْ ينيروا عقولَهم بنور هدى المعصوم وهم النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) والأئمه المعصومين (عليهم السلام).

ومن الواضح أنَّ الوصول إلى النتيجه والهدف عن طريق مساحه البديهيات اسـتثمارٌ للباين وللقواعد أكثر فأكثر من سلوك طريق النظريات ومفاوزها وصـحاريها المخفيه المظلمه، وإنْ كُنَّا لا ننكر مسأله الوصول إلى النتيجه عن طريق البحث فيها بعد أنْ يُطوى بك بحوث فكريه ومتاهات

وسلسله من الإشكالات والمحاذير من الدور والتسلسل وما شاكلهما إلّا أنك تبقى مُهددٌ - من الوصول إلى النتيجه والغايه والهدف فإنَّه قدْ تصِل وقد لا تصل، هذا بلحاظ سلوك طريق النظريات، فإنَّ الفيلسوف أو العارف أو المُفَسِّر أو... الخ ليسَ عنده القدره على أنْ يوصلك إلى الطريق النيّر المختصر الواضح البديهى وإنَّما غايه ما يوسعه وبذله لأقصى طاقه جُهده هو أنْ يوصلك إلى طيق ضيِّق ويسلك بك الطريق الطويل لا المختصر المستقيم، وهذا فيه تكلُّف وعناء، وقد تحصل للباحث أثناء هكذا بحث فى النظريات تقلبات ومشاكل وتغييرات قدْ تؤدى به إلى ما لا تُحمَد عُقباه.

وإذا أردتَ أنْ لا تقَع بكل هذا فعليك أنْ تسلك وتتبع طريق المعصوم (عليه السلام) فإنَّه يأخذ بيدك إلى الطريق المختصر الواضح البديهى فإنَّهم (عليهم السلام) كالنجوم الزاهره لأهل الأرض يقتدون بهم

«إنَّ مثل أهل بيتى كسفينه نوح مَن ركب بها نجى ومَن تخلف عنها هلك»(۱) فإنَّ الاقتداء بهم والاهتداء بنور علمهم يأخذ بأيدنا إلى مرفأ وبرّ النجاه من الأمور النظريه والمتاهات التى ما أنْ زلَّ قليلاً فكر الإنسان فإنَّه سوف يقع فى وادٍ سحيق وفى صحراء لا علامه فيها ليهتدى بها لأجل الوصول إلى طريق يخلصه من تلك المتاهات نظير المعادلات الرياضيه فإنَّ فيها مجهول فيختلف الباحثون فى علم الرياضيات فى الوصول إلى معرفه تلك المجهولات فباحِثٌ يعطى الحل والوصول إلى النتيجه بعشر أو تسع أو ثمان خطوات مثلاً، وإذا أخطأ فى مرحله من تلك المراحل أو الخطوات هوى من أعلى قمه لاجبل إلى

۱- (۱) الفوائد الطوسيه، الحر العاملى، ص ۲۶۵.

أسفل وادى سحيق وتختلط عليه النتيجه تماماً، بخلاف عالِم آخر فى علم الرياضيات يعطيك حلّ تلك المعادله الرياضيه بخطوه أو خطوتين بديهيتين سهلتين.

لكن بعد مرور أجيال من البشر يُعطى هذا الباحث النابغه فى اختصاصه الحلّ بكل سهولةٍ واختصار وبداهه.

والخلاصه: إنَّ المعلومات لها مراتب مبدهه ولها مراتب نظريه وعليه فالخوض فى الأمر النظرى فيه مخاطر، فإذا توغل فى النظريه يبتعد عن الحقيقه ويقع فى متاهات بخلاف ما إذا استند فى الحل إلى البديهيات أو ما يقرب منها، فإنَّ نتيجته يكون فيها إحكام واتقان وباين وتبيان ونور، هذا هو الفرق بين الأمر النظرى والبديهى.

كذلك الأمر بلحاظ الشرط الرابع فى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى فإنَّه إذا اعتمدنا على قواعد مبدهه فى علوم اللغه صار الاستظهار مُبَدَه ومبين وأنَّ تعدد وتكثر، وكذلك المعنى الجدى، لأنَّه تقدم أنَّ المعنى الجدى على مراتب تعتمد على العلوم الأُخرى، فمثلاً ـ فى العلوم سواء التجريبيه أو القانونيه أو الفلكيه أو الطبيعيه أو الروحيّه أو علوم ما وراء الأثير... الخ إذا اعتمد فى تلك العلوم على قواعد مبدهه صار البيان فيها بديهى استظهارى، وكذا الاستنباط بديهى.

وهكذا يصير البيان بديهى واسترسالى إذا اعتُمدَ فى هذهِ العلوم وغيرها على معانى نظريه قريبه من البديهيات أيضاً يكون هناك استرسال وسلاسه ونوريه، بخلاف ما إذا اعتُمد على معانى وقواعد نظريه متوغله فى النظريه والإبهام، ودائماً هكذا قواعد متوغله فى النظريه مختلفٌ فيها

وعاده يكون فيها لغطٌ بين النقض والإبراهم والاستنتاج وحينئذٍ تكون النتيجه نظريه والنظرى يصبح ظنى، ومن الواضح أنَّ المعلومه النظريه وإنْ كانت تستند إلى دلائل فى الصوره البرهانيه، لكن هى فى الحقيقه تبقى نظريه.

وحتّى فى التحقيقات الأخيره سواء فى علم الفلسفه أو الأصول وصلت إلى نتيجه وهى: -

إنَّ البراهين النظريه صورتها براهين ويقين نظرى، ولكن واقعه يبقى كلما توغلت فى النظريه فإنَّ واقعه ظنٌ بصوره اليقين.

إذنْ استظهار التفسيرات المتعدده للآيه الواحده إنْ اعتمد فيها المُفَسِّر على قواعد مُبدَّهه فى العلوم سواء اللغويه أو غيرها صار ذلك التفسير برهانى يقينى بيِّن بالمعنى الأخص أو بالمعنى الأعم، أمَّا إذا توغل الباحث فى الاعتماد على القواعد النظريه أصبح مريد ذلك التفسير.

ص:٦٠٣

العلاقه بين منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت عليهم السلام وبين التوحيد

من المطالب اللطيفه والمهمه التى تتفرع عن معنى الوحده المراده فى منهج أمومه المحكمات - تقدم - أنَّ المراد منها هى: - وحدَةٌ منظوميه وانسجام وتفاعل وربط منظومى بين معانى دوال الألفاظ، وليسَ المراد من معنى الوحده هو وحده المعنى فحسب أو وحده الموضوع فحسب، بلْ المراد وحده منظومه التى هى أعلى وأوسع وأخطر أفقاً.

فالتوحيد لله تعالى مثلاً لا يسعه اسمٌ من الأسماء الإلهيه، وليسَ اسم واحد ووحده اسم ومعنى، وإنَّما أجاب القرآن الكريم عن ذلك، وأنَّ المراد بالوحده هو قُلِ ادْعُوا اللّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى١. هى وحده أسماء متعدده ووحده نظام إلهى ربوبى فكيف بالمعانى؟ وأى معنى يحتوى ويسع ربُّ العالمين الخالق للمعانى، فالله تعالى يخلق المعانى وهو حاوٍ للمعانى لا أنَّ المعانى تحويه، انظر أيُّها الباحث الكريم إلى هذا التجلى الترحيمى فى منهج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات فى القرآن الكريم قيِّمُ نهج الترحيم ووحدته وحده نظام.

وهذا يعتبر أحد البراهين على هيمنه هذا المنهج التفسيرى المختار من بين باقى المناهج التفسيريه الأُخرى، كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) وكذا باقى الأئمه (عليهم السلام) ما معناه [إنَّ سبب خطأ فَهْم البشر للقرآن هو أنَّهم يقايسون

كلام الله بكلامهم]. وردَ عن الصادق (عليه السلام) وهذا دليل واضح على أنَّ كلام البارى سبحانه لا يشبه كلام الخلق كما لا تشبه أفعاله أفعالهم، ولهذه العله وأشباهها لا يبلغ أحدٌ كنه معنى حقيقه تفسير كتاب الله تعالى إلّا بنبيّه وأوصياؤه(۱).

فإنَّ وحده المعنى ووحده الفعل عند الله تعالى ليست كمعنى وحده الفعل عند البشر، فالبشر مخلوق ضيق محدود عنده وحده موضوعيه، لذلك لمْ تكن فى البيان وحده موضوعيّه بمعنى الانسجام والتفاعل والارتباط لذا يتشكك ويتهدد عنده المسار ويتبعثر ويصيِّر الأمر فوضى عكس ما عند البارى تعالى إذْ لا يتصور فى حقه هذا القصور - والعياذ بالله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - بلْ عنده تعالى وحده نظام، والاستعمال لابدَّ له من نظام، ولا يفهم من ذلك أنَّ المراد بالميزان هو وحده المعنى ووحده الموضوع، فإنَّ الأمر ليسَ كذلك كما بيَّنا.

وهكذا فى تعبيرات المعصوم

«جعل الله ولايتنا نظاماً للمله» و

«نظاماً للدين».. الخ أى نظاماً لوحده الدين الإسلامى الحنيف.

وهل مُراد المعصوم (عليه السلام) من معنى الوحده التى أكَّد عليها هى وحده معنى أم وحده موضوع أو وحده وجود وموجود؟

الجواب: ليسَ مراده ما ذُكر وإنَّما إلى ما شاء الله من المعانى والأبواب، فهناك باب التوحيد وما يتفرع عنها، وباب النبوّه وما يتفرع عنها وباب الإمامه والولايه، وباب الفروع من باب الصوم والصلاه والحج والزكاه و

۱- (۱) الوسائل، الحر العاملى، ج ۲۷، ص ۱۸۳؛ كتاب القضاء، أبواب صفات القاضى، ب ۱۳، ح ۲۲.

... الخ وباب الجهاد وباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر و... الخ.

وعليه فوحده الدين وحده نظام ولذلك تفسير القواعد اللفظيه فى القرآن الكريم على ضوء منهج أمومه الولايه على محكمات القرآن إذا أعطيناها لوناً على وفق منهج الأمومه، كيف تعطى معانى عميقه وهذهِ القاعده يشيدها نفس صاحب التفسير الموضوعى أو صاحب تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير أسباب النزول أو المنهج التنزيلى إلّا أنَّ هؤلاء يفسرونها ويستعملونها بشكل متوسط وهابط.

بخلاف منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات الذى يعنى المحور المركزى الذى تدور حوله رحى أبواب الدين وفصوله، فإنَّ هذا المنهج يعطى لهذه القواعد اللفظيه معانى وألوان أُخرى أوسع أفقاً وشاسعه المدى.

وعليه فلابدَّ من وجود نظام استعمال لفظى رغم تشعب فقراته وموضوعاته ومعانيه إلّا أنَّه ليسَ هناك خلطاً وهو جائيه، وإنَّما هناك وحده بالمعنى الذى ذكرناه آنفاً ووحده نظام وعدم وجود تعارض وتدافع يضرب القرآن بعضه ببعض.

إذنْ هناك فرقٌ كبير بين وحده النظام ووحده المعنى ووحده الموضوع والخلاف بين منهج أمومه الولايه على المحكمات وباقى المناهج الأُخرى فى معنى الوحده فى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى، فإنَّ مقصود منهج أمومه الولايه من الوحده فى الاستعمال هو وحده النظام والمنظومه لا بوحده المعنى ووحده الموضوع، ووحده النظام تتكفلها قواعد صحيحه فى العلوم ويتكفلها عدم التضارب والتناقض بين القواعد،

بخلاف المناهج التفسيريه الأخرى فإنَّها تقصد من الوحده أحاديه المعنى وأحاديه الموضوع وهذا معنى ضيِّق تترتب عليه آثار سلبيه نتيجتها تضارب القواعد مع بعضها البعض.

وعلى أى حال فإنَّ حجر أساس افتراق منهجنا - أمومه الولايه - على باقى المناهج الأُخرى بأنَّ منهجنا يَرَى أنَّ الشتات والتدافع ليسَ فى تكثر المعانى وتعددها فى جمله واحده وآيه واحده مفرده واحده و... الخ، وإنَّما يرى الشتات وفرقه الأُمَّه والبشريه بلْ فرقه الخلائق هى بسبب عدم التمسُّك بالولايه فإنَّها تتشتت إذا لم تتمسك بالولايه والمحكمات، فإنَّ الرجوع إلى المتشابهات والتمسك بها يوقع بالهلكه، فالعلامّه الطباطبائى (قدس سرّه) مثلاً فى منهجه التفسيرى أى تفسير القرآن بالقرآن يذكر سبب المتشابهات بسبب النزعه المادّيه إذْ لو يتجرد الإنسان عن الأمور الماديّه لذهبت عنه المتشابهات.

إلّا أنَّ سبب التشابه بالآيات على المسلك المختار حسب منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فى القرآن فضلاً عن المتشابهات، ليسَ فقط هو التشابه فى استحصال المعنى وإنَّما التشابه فى الآيات سببه كما بينه القرآن الكريم من عدم رجوع المتشابهات إلى محوريه المحكمات، وإنْ كان بعض المفسرين لن يستلهم معناها والمتشابهات.

وذكر أنَّ سبب التشابه فى الآيات هو بسبب تغير الظروف التأريخيه التى تمرُّ على اللغه باعتبار أنَّ اللغه لها عمر وتاريخ ولها أجيال، وبالواقع ليسَ هذا هو سبب التشابه.

فالقرآن الكريم يستلهم التشابه حتّى عند أبناء الصدر الأوَّل وهم

أبناء اللغه وعندهم سبب للتشابه يأتى بحثه فى محله.

ونتعرض للتشابه فى المقام وسببه بمقدار ماله صله ببحث استعمال اللفظ فى أكثر من معنى.

إذنْ القرآن الكريم عندما يصف الآيات المحكمه بأنَّها أمُّ لا- يعنى أنَّ نعت المحكمات بالأحكام وأنها أمُّ فقط كلا، وإنَّما لها دور وشأن وهو كونها أمُّ يعنى محور ومركزيه فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ١. ومن البديهى اتباع المتشابه من دون محوريه المركز زيغٌ ولو كان المتبع آيه متشابهه من كتاب الله مع ذلك القرآن يصِف هذهِ الآيه بأنَّها ليست هُدَى بلْ زيغٌ وضلال ويُحذِّر القرآن الكريم المسلمين والمؤمنين من اتّباع الآيات المتشابهه بالانفكاك عن اتّباع المحكم فإنَّ مثل هذا زيغٌ ومنكم إذا كان اتّباع ما يرتسم لدى الإنسان أنَّه حُجّه من الحجج من دون مركزيه الحجه الأكبر وهى ولايه العتره الطاهره فإنَّه دون اتّباع ذلك زيغ، نعم، الآيه حُجَّه ولكن الآيه المحكمه أكبر حجيه.

ص:٦٠٩

ادّعاء المنهج السلفی اتّباعه الروایات الصحیحه

اشاره

یـدّعی المنهـج السـلفی أنَّه یسیر وراء الروایـات الصـحیحه، إلّا أنَّه لا یَعْرِض ذلک السیر علی مرکزیه ومیزان المحکمات ونظرهُ للدین نظرهً منظومیّه واحده، ولأجل ذلک یکون سَیْرُه باطلاً، وإنْ کان یُفرَض أنَّ الذی رسمه له اتباع الآیه شکل ونحو من أنحاء الحُجیه، وعلیه فاتباع المنهـج السـلفی لها من دون أنْ یکون علی وفق مرکزیه الحجه الأکبر وإنَّما علی وفق الحجه الأصـغر یکون ذلک الاتِّباع موجباً للبطلان.

ومن هـذا یُعْلَم أنَّ منظومه الحجـج علی وفق منهج أمومه المحکمات - عباره عن مترابطه فی عمود محوری وفی ظل هذا العموم المحوری نجد هویّه بقیّه الطبقات من الحجیه، وإلّا تضیع هویتها من دون هذا المحور ومن دون هذهِ الحقیقه المرکزیه.

والخلاصه: إنَّ التشابه فی تفسـیر القرآن سببه عدم جعل المحکمات والولایه محوراً، وعلیه فتکثر المعانی لا یوجب تشتت وتدافع ووقوع فی الأخطاء علی وفق منهج أمومه ولایه أهل البیت علی المحکمات فی القرآن فضلاً عن المتشابهات، وإنَّما الذی یوجب الوقوع فی الأخطـاء فی تفسـیر الآیـات واسـتحصال معانیهـا هو عـدم جعـل المحکمات میزاناً ومحوراً لمراقبه کل آیه آیه وجمله وجمله وعدم ربط کل آیه بأصول العقائد.

رأی الشیخ الکبیر جعفر کاشف الغطاء (قدس سرّه):

اشاره

لَنِعم ما ذکره الشیخ الکبیر جعفر کاشف الغطاء (قدس سرّه) فی بدایه کتابه

ص:۶۱۱

منهاج الرشاد فی الرد علی الوهابیّه، بأنْ قال: -

إنَّه باستطاعه الفقیه إذا لم یُعْمِل القواعدِ والموازین الصحیحه من مرکزیه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات فی القرآن فضلاً عن المتشابهات، أنْ یُشکل - لا- سامح الله - فقهاً منسوخاً عن جاده الشرع؛ لأنَّ بعض الوهابیه جمع فتوی بعض المذاهب الإسلامیه وعندما تنظر وتأمل بها تأسف علی تفکیرهم وأنهم کیف جعلوا وصوّروا الفقه بصوره هابطه ونظر إلی الدین من زاویه ضیّقه وحبسوا أفق الدین الواسع ضمن نظرتهم الحبوسیّه الضیّقه، وهکذا القانونی إذا أراد التلاعب بالقانون الإسلامی، إلّا أنَّ نظره هؤلاء قصیره الأمد؛ لأنهم یتخیلون أنَّهم إذا فعلوا هکذا فإنَّ بناءهم هذا سوف یؤثر ویُزعزع استقرار قانون الدین الوحیانی القوی، ولا یعلمون أنَّ الحافظ لذلک هو الله تعالی: إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ۱. حافظون له من ید أو عقل یرید إیقاع النقیصه والتحریف فیه، وکذا الحافظ بعد الله تعالی هو النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) فإنَّه (صلی الله علیه و آله) الوحده الناظمه للأخلاق فضلاً عن الفقه وغیره، ورُبما البعض یبتز هذهِ المکارم والأخلاق الفاضله لمآرب خفیّه، وهکذا عتره النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) الأئمه الطاهرون (علیهم السلام) هم الحفظه للقرآن.

ومن الواضح أنَّ الحافظ لمکارم الأخلاق هو نظامٌ أعلی منها وهو العقائد الصحیحه الحقّه والتوحید الصحیح؛ لأنَّه ربما إنسان أو نظام سیاسی مُعیَّن أو منظمه دولیّه تُظهر أخلاق معسوله لکنَّ وللأسف وراءها تدبیرات کیدیه سفّاکه لدماء البشر، فیثبت فشل ذلک النظام أو المجتمع أو الدوله؛ لأنَّ

هذهِ الفضائل التى حملتها لمْ تمارسها كشعارات أو كبنود تطبيقيه لأجل الإيمان بعقيده معيّنه والتخلص من براثن النفس والذات والأنانيه إلى ساحه صفاء التوحيد.

ومن هنا يظره دور وأهميه التركيز على رفع شعار حقيقه المعتقد لا حريّه وجهالات المعتقد؛ لأنَّ رفع شعار دجل حريه المعتقد يؤدى به إلى الوقوع فى جهالات وظلامات، وباستطاعته آنذاك أنْ يؤمن بجهالات ويعبد الشيطان وبالتالى يُسوِّغ له شُرْب دم البشر وممارسه أنواع الرذائل بلا محذور، وعليه فإنَّ مثل هكذا أمور ليست حريّه وإنَّما تصبح لا حريه، وبالتالى تدع إلى الفرعونيه وربكم الأعلى والأنانيه والانفلات وأنَّ للإنسان أنْ يفعل ما يفعل ويدعى ما يدعى ويرسم لنفسه ما يشاء من منهاج، وهذا بالتالى يُنهى المجتمعات البشريه التى انتهجت بنهجه، كُلّ ذلك تحت غطاء حريّه المعتقد والاعتقاد والانعزال عن قانون الشريعه وما تركه للبشر فى تنظيم حياتهم.

وإنَّما الذى ينفع ويُنقِذ ويُقدِّم خدمه للإنسان وينتشله من الإيمان بالجهالات وعباده الشيطان هو إنقاذ الإنسانيه بالعقائد الحقَّه التى تعنى الحقيقه لا الزيف وهى وحده منظوميّه ناظمه، فمثلاً ناظم الفقه بمكارم الأخلاق، وناظم وحده مكارم الأخلاق بالعقائد الحقَّه التى هى حقيقه العقائد.

ولذا نلاحظ كثير من الشعوب وإلى يومنا هذا تعيش تحت وطأه وظلمانيّه وجهاله رفع شعارات خاليه عن المحتوى الحق من حرمه المعتقد أو التقدميّه أو... الخ كُلّ ذلك بسبب ابتعادهم عن نور وهُدَى معرفه العقائد الحقّه إلى يومنا هذا فبعضهم تعبد الكواكب والآخر الأنهار وثالث الأشجار ورابع الحيوانات وخامس و... الخ وعليه فالظلمانيه والسوداويه التى يعيشها

هؤلاء بسبب الابتعاد عن المعتقد الحق الصحيح.

النتيجه: أنَّ كُلّ تشابه يمكن دفعه بالمحكمات التى تمنع من التشتت، والتناقض والتدافع، والواقى من كُلّ ذلك الانحراف هو التمسُّك بالمحكمات وتقدم الضابط فى المحكمات هو وحده النظام والهدف والمحور إمامتنا نظاماً للمّله وولايتنا أماناً من الفرقه والتشتت، وليسَ ضابط المحكمات هو وحده الموضوع أو وحده المعنى.

وبهذا يتميز منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) بأنْ له طابعاً عقائدياً عظيماً فى تفسير القرآن، وله الدور الأكبر فى تطبيق حقيقه الدين وبوحده الفكر والمعتقد، بخلاف البعض الذى يرفع شعار الوحده والتقريب السياسى أو الأخلاقى والتعايش المدنى وهذا لا مانع منه إلّا أنَّه يقف على أرضيه هشه بخلاف ما إذا آمن بمنهج وحده الفكر والمعتقد فإنَّها بُنيه رصينه فحينئذٍ لا تضارب سياسى ولا تضارب وقتى تعايُشى.

وما دام وحده المعتقد هى التى تجمع فحينئذٍ بقيّه الفروقات سوف تُمسح وتذاب بخلاف ما إذا كان البناء على عقائد مختلفه فحينئذٍ يصير البناء على أرضيه رخوه وتصدعها بأى وقت ممكن، عكس ما إذا كان البناء على وحده حقه وأصليه فى المعتقد، وأنَّ إمامتنا وولايتنا أمان من الفرقه ونظاماً للملّه ومن كُلّ هذا يتضح: -

أنَّ منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على محكمات القرآن فضلًا عن متشابهاته ليسَ فقط منهج تفسيرى للقرآن، وإنَّما بيانٌ لمسار منهج الفكر الدينى بشكل رائع على مستوى الفكر السياسى للأمه وفى إقامه العلاقات الدوليه حتّى بين أبناء البشر فى المجتمعات البشريه، لا أنَّ منهج أمومه المحكمات منهج تفسيرى فنى فقط نمارسه فى علم تخصصى يسمى القرآن،

وإنَّما الأمر أعظم وأكبر وأنه كلما استطعت أنْ تجد وحده عاليه ونظام مركزى أكثر أصاله كلما آمنت ورسّخت العقائد والمعتقد الحق أكثر وتجلّت أكثر.

مضافاً إلى أنَّ منهـج أمومه الولايه على المحكمات هو منهج للأمان من التناقض والتعارض فى الفقه والعقائد والتفسير، و... وأنه يعطى فكراً جديداً للأمه، وعليه فيكون ساحل الأمم والولايه على المحكمات ساحلاً للأمان بمحور آخر وهو مودتنا أمانٌ من الفرقه؛ لأنَّ هذهِ الموده تذوب فيها الذاتيات الفرعونيه النفسيه وبالتالى يحصل أمانٌ.

ونتيجه استتباع أمومه الولايه على المحكمات يُذهب طغيان البشر وعدوانيته الغاشمه.. إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى١ وتذوب فيمن ذاب فى الله تعالى.

تنبيه:

أيُّها المُفَسِّر فى غير منهج أمومه الولايه على المحكمات لا تخف مِن تكثر المعنى للآيه الواحده وتقول أنَّه تلاعب فى القرآن، كلا ثم كلا إنَّما يحصل التلاعب فى القرآن إذا تركت نظام الوحده والمركزيه والمحوريه للولايه والمحكمات فإنَّه آنذاك يحصل تلاعب وذهبت الفروع وتشتت، وعليه يكون منهجنا المختار منهج عظيم ليسَ على صعيد فكرى ولا على صعيد استنطاق واستظهار نظم آيات الكتاب فى التفسير فحسب؛ إنَّما هو بامومه الولايه على المحكمات فى القرآن فضلاً عن المتشابهات وليسَ بوحده المعنى والوحده والموضوع.

الثمره المترتبه على استعمال الوحده بمعنى وحده النظام والمنظومه

إنَّ التزام المنهج التفسيرى لأمومه الولايه على المحكمات فى القرآن فضلاً عن المتشابهات، فى تفسير معنى الوحده بأنْ يفترض أنَّ القرآن مبنى عظيم له أبواب ونوافذ متعدده وهى بدورها تدلُّ على أبواب ونوافذ متعدده، وهكذا بنحو شبكى منظومى مترابط ومتداخل ينفتح بعضها على البعض الآخر، فإنَّ منهج أمومه الولايه على المحكمات يلتزم ويُؤَّمِن عدم الافتراق والتبعثر ببركه قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى، وتفسيره لمعنى الوحده بوحده النظام والمنظومه وافتراقه عن باقى المناهج التفسريه الأُخر التى فَسَّرت معنى الوحده بمعنى وحده المعنى ووحده الموضوع، وهذا موجب للافتراق والتباين والتباعد بين المسارين بشكل كبير جداً، وله ثمرات تطبيقيه محسوسه لمثل هذا الفارق المهم، وأحد أهم تلك الثمار هى: -

إنَّ الداله اللفظيه الواحده فى الآيه الواحده يمكن أنْ تنطبق على معانى متعدده ووجوه محتمله متعدده حسب قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى بعد إمكانها ووقوعها، فحينئذٍ يقع هذا التساؤل:

لماذا تُرجَّح أحد المعانى ويُفنَّد الباقى، وقدْ حصل هذا من علماء كبار ومتضلعين فى علوم شتى كالبلاغه والنحو والصرف واللغه و... الخ، أمثال العلامه الزمخشرى لأجل أنَّ هذا الوجه المُرجَّح يوافق القواعد، وأمَّا

المعانی والاحتمالات الأخری فَتُفنَّد لأجل مخالفتها القواعد.

وهذا لا اعتراض علیه من قبل منهج أمومه الولایه علی محکمات القرآن فضلاً عن متشابهاته.

وأُخری یکون التفنید لباقی المعانی الأُخری لا لأجل أنَّها مخالفه لقواعد وموازین الفن، بلْ هی علی ضوابط وموازین الفن ومع ذلک تفند فما هو السبب؟ وهذهِ هی نقطه افتراق منهج أمومه الولایه علی المحکمات عن باقی المناهج التفسیریه الأُخری.

الجواب: کأنَّما هناک فرضیه استباقیه مأخوذه بشکل مطوی وهی ماده النزاع بین المنهج المختار أمومه الولایه وبین المناهج الأُخری وهذهِ الفرضیه هی: -

فی المناهج التفسیریه الأُخری غیر منهج أمومه المحکمات هناک أمرٌ کأنّما مُسَلَّمٌ ومُبده ومفروغ عنه وهو:

لا- یمکن أنْ یکون کُلّ من المعنی التصوری والاستعمالی التفهیمی والجدی النهائی معنی متعدداً فی عرض واحد، وهکذا لا یمکن أنْ تکون الألفاظ والأصوات ذات معانی متعدده، أو لا یمکن أنْ یُراد بالصوت ألفاظ متعدده.

ولربَّما ادّعت باقی المناهج التفسیریه الأُخری غیر منهج أمومه الولایه علی المحکمات أنَّ السبب فی ترجیحهم معنی واحد دون باقی المعانی الأُخری هو لأجل التعارض بین معانی اللفظه الواحده.

إلّا أنَّه فی مقام جوابهم: - إنَّ دعواکم أنَّ السبب فی ذلک هو أنَّ اللفظ

لا يمكن أنْ يُستعمل فى أكثر منمعنى فهذا غير صحيح؛ لأنَّه ممكن وواقع ووقوعاً كثيراً، نعم البشر ليسَ بقدرته أنْ يحيط بتلك المعانى المتعدده فى اللفظه الواحده بسبب عجزه ومحدوديته؛ لأنَّه بشرٌ فذاك بحث آخر، ولا يسرى هذا المعنى والعجز إلى البارى تنزه عن ذلك وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهل يُعقل أنَّ الموجِد والخالق للكلام لا يعلم بدروب الكلام ومساراته وتصاريفه ويُلقى الكلام على عواهنه، أو يُلقيه بطبيعته المنفتحه المرسله لأفق وسيع من الأصعده والمجالات على مادته الخامه المتبعه لهذه الآفاق، فهل يُعقل ذلك؟ ومع ذلك لا يَنصِب قرينه على إراده أحدها أو تعيين أحدها وهو فى مقام البيان، ما لكم كيف تحكمون.

وعليه: - فالبارى تعالى إذا كان مقصوده من المفردات اللفظيه للآيه القرآنيه المباركه أو السوره معنى معين دون غيره فلماذا لمْ يُنصِّب قرينه على إرادته وهو فى مقام البين وأنَّ المراد مثلاً المعنى الفلانى أو خصوص هذا الوجه الإعرابى دون ذاك أو مُراده أكثر من معنى من هذهِ الداله اللفظيه الواحده وكانت تلك الداله اللفظيه لها القابليّه والسِّعه على استيعاب معانى متعدده والدلاله عليها وحينئذٍ لا مانع منه إذْ ليسَ بين هذهِ المحتملات والمعانى تضاربٌ؛ لأنَّها على وفق القواعد والموازين، والقرآن لا يضربُ بعضه بعضاً.

وبعد هذا البحث الموسَّع فى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى تبيَّن: - أنَّه إذا لمْ يكنْ هناك تنافٍ وتناقض بين المعانى المتعدده المراده من اللفظه الواحده فى هذهِ القاعده فحينئذٍ لا نرفع اليد عنها، ولا داعى لترجيح بعض المعانى على الآخر ونحصر المراد فى أحدها دون المعانى الباقيه

المحتمله فی هذهِ الداله اللفظیه ما دام لا تضارب ولا تناقض بین هذهِ المعانی.

فهذه هی جهه افتراق منهج التفسیر القرآنی أمومه الولایه علی المحکمات عن باقی المناهج التفسیریه الأُخری.

ص:۶۲۰

طرزٌ آخر من الاستدلال على قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی:

من الواضح إنَّ قدره أغلب متکلمی البشر هی محدوده فی الالتفات إلی تصاریف وتلاوین وتغیرات الکلام؛ لأنَّ الکلام کما وَرَدَ عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) لیتصرف إلی سبعین وجهاً - کما مَرَّ - والسبعین هنا مأخوذه کنایه عن الکثره والمثالیّه والطریقیه لا الحصر والموضوعیّه، لا أنَّ الداله اللفظیه الواحده لها معنی واحد، وإنَّما یمکن بلْ وقع فی استعمالات القرآن الکریم والعرب إطلاق اللفظه الواحده وإراده معانی متعدده.

ومن المعلوم قدیماً أنَّ الکلام آلهٌ إعلامیّه وحواریّه تفاهمیّه جبّاره أنعمها الله تعالی علی البشر وتباهی بها الرحمن اَلرَّحْمنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسانَ، عَلَّمَهُ الْبَیانَ۱.

واستفاده أفراد البشر من البیان کُلٌّ بحسب قدرته، ولذلک کلما یصیر الإنسانُ بلیغاً فی النطق وذرب اللسان تصبح عنده قدره علی استثمار الکلام أکثر فأکثر، إلّا أنَّه وللأسف غالب سائر أفراد البشر عندهم قدرات محدوده لاستثمار هذهِ الآله الإعلامیّه التفاهمیّه التحاوریه.

وهذا نظیر الأجهزه الالکترونیه الفنیه الحدیثه المُعقَّده والمزوده بأحدث القطع الألکترونیه الحدیثه ومهیئه لإجراء عملیات حسابیه وهندسیه و... کبیره جداً، إلّا أنَّ بعض مقتنی هکذا أجهزه یستعملها

بمقدار قضاء حاجته المحدوده منها، ولا يعنى هذا بالتالى أنَّ الجهاز فقط يستعمل فى هذهِ الأمور المعينه المحدوده التى احتاجها بعض الأفراد، بلْ الجهاز مُعدٌّ لأكبر من ذلك وكُلٌّ يستفيد منه قدر معلوماته التى تتناسب والجهاز.

كذلك الكلام والبيان فيه من القُدرات والآليات لاستثمار وإيصال المعانى والدلاله إلى ما شاء الله من المعانى والاستعمالات، وكُلَّما كان الإنسانُ بليغاً كُلَّما كانت فرصه استثمار الكلام أكثر فأكثر، فكيف بخالق الكلام ويعى أنَّ هذهِ المقطوعه والمادّه الكلاميّه كم تتحمل من إجراء قواعد ومسائل وتصاريف وتغيير فإنَّه يمكن أنْ يجرى عليها كل ذلك، ومع ذلك وضع هذهِ الماده الخام التى من الممكن أنْ تتشكل بإشكال عديده وكثيره ولم يجعلها مُحْدَثه هذهِ الماده الكلاميه فى شاكله خاصه دون أُخرى، بلْ جعلها منفتحه على أشكال عديده ومتكثره.

ولرب سائل يسأل: أَوَليس هذا إغراءٌ بالجهل منه تعالى؟

الجواب: نعم يكون إغراءً بالجهل لو خُلِّينا نحن وقدره البشر المحدوده والمولى قدْ تركهم ولم يُبين لهم ذلك - وحاشاه تعالى من ذلك - إلّا أنَّه تعالى جعل ضوابطاً مُتعدده منها: -

الضابط الأوَّل: إنَّ المولى جلَّ وعلا - جعل تلك الضوابط والقواعد بلسانٍ عربى مبين، أى حكماً عربياً يحكم هذا الحوار وهذا الخطاب الإلهى.

الضابط الثانى: تقول: بلسان عربى مبين لعلكم تعقلون وتفهمون فهو اللسان العربى الذى فيه القواعد فى العلوم اللغويه المنتشره والمتعدده، وأنَّ هذهِ المقطوعه الكلاميّه الوحيانيه من القرآن الكريم فيها القابليه لأنْ

تنطبق علیها وتتصادق وتتناسب مع قواعد عدیده فی علوم عدیده لغویه عَلِمَ الله بلها قطعاً وأرادها.

لقائل أنْ یقول: إذا کانت هـذهِ المتکثره والمتعـدده من اللفظه الواحـده مُراده للباری، فلماذا لم یُنصِب قرینه علی خلافها، هل إنَّه ممتنع اسـتعمال اللفـظ فی أکثر من معنی؟ علمـاً أنَّه تقـدم بـأنَّه ممکن وواقع بکثره، وعلیه إذا کان البشـر ذو قـدره محـدوده وقد استعمال إراده المعنی المتعدد من لفظه واحده فکیف یرتکب البشر هذهِ المخالفه لموجد البیان تعالی؟

الجواب: ورد فی بعض روایـات أهـل البیت (علیهم السـلام) بیان سـبب عجز البشـر عن تفسـیر کلام الله تعالی مبنی علی خطأ قدْ تبنّاه البشـر وأساس هذا الخطأ هو: - أنْ یَقیس ویُقارن البشرُ کلامه مع کلام الله تعالی، صحیح هناک نقطه اشتراک بین کلام الله تعالی وبین کلام البشر، ألا وهی اللغه العربی، واللغه البشریه، إلّا أنَّه هناک جانب افتراق وهو: -

إنَّ هـذهِ اللغه العربیه إنْ کـان المسـتخدم لها هو البشـر فقـدره اسـتثماره محـدوده وإنْ کان الخالق للبشـر فقـدرته للاسـتثمار غیر محدوده، قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی۱.

إذنْ هذا هو السبب تقریباً فی عدم قدره البشر علی تفسیر کلام الله، ولذا وَرَدَ فی بعض الروایات عن جابر قال: - أبو عبدالله (علیه السـلام)... ولیس شیءٌ أبعد من عقول الرجال منه، إنَّ الآیه لینزل أوّلها فی شیء وأوسطها فی شیء، وآخرها فی شیء وهو کلام مُتصرِّف علی وجوه(۱) والشاهد: - أنَّ المراد بالأبعدیه والبُعْدیه فی قوله (علیه السلام) هو فی کیفیه ومقدار استخدام اللغه

۱- (۲) تفسیر العیاشی، ج ۱، ص ۸۶، باب تفسیر الناسخ والمنسوخ ح ۲.

العربیه عند الله تعالی لیسَ کبقیه البشر فإنَّه فی البشر محدود وعند الله تعالی غیر محدود.

هذا مضافاً إلی ما وَرَدَ عن النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله)

«... وبعضکم ألحن بحجته من بعض...»(۱).

بتقریب: إنَّ هُنا متخاصمین بینهما نزاع، أحدهما قوی البیان ولقوه بیانه - وإنْ کان هو مُنْکِراً إلّا أنَّه بسبب ذرابه لسانه یظهر وکأنَّه هو المدّعی والطرف الآخر الذی هو المدعی حقیقه وواقعاً ولکنْ بسبب عدم امتلاکه للبیان القوی والظاهر ولضعفه ومماشاته لصاحب البیان القوی یظهر وکأنّه هو المنکِر أی لا یتهِم الآخر صاحب التهمه ویحتاج إلی دلیل، لذا أکَّد النبی (صلی الله علیه و آله) - بعضکم ألحن فی حجته من بعض.

ولذلک نلاحظ بعض البشر نتیجه امتلاکه القدره العالیه فی البیان یکون بمقدوره تجمیل القبیح الجمیل - والعیاذ بالله - بأنْ یُسلِّط کلامه وبیانه علی جهه ویغفلک عن الزوایا الأُخری، وعلیه فمثل هذا له القدره علی البیان ویستخدم أکبرْ حصه ممکنه من دروب الکلام بخلاف الطرف الآخر الذی لیسَ بمقدوره استثمار ذلک.

ومن خلال هذا یُعلَم أنَّ قُدُرات البشر وقابلیّاتهم لاستثمار البیان فیما بینهم مختلفه.

۱- (۱) التهذیب ج ۶ ص ۲۲۹؛ الوسائل ج ۲۷ ص ۲۳۲ ب ۲ من أبواب کیفیه الحکم ح ۱.

علم النقد الأدبى من أهم علوم اللغه

إنَّ أحد أهم علوم اللغه هو علم النقد الأدبى الذى يمارس ويُجرى فى الجاهليه أيام سوق عكاظ الذى كان يُعْقَد فى مِنى أيام موسم الحج فيجتمع أيام الموسم الشعراء والأدباء وأصحاب المقطوعات النثريه إلى أصحاب المعلقات السبعه وأشعارهم، ويتبارون فى ذلك باستعراض قصائدهم ومقطوعاتهم النثريه و... الخ.

ويفترق الناقد الأدبى عن الشاعر والأديب الموهوب: -

بأنَّ الناقد الأدبى يمتلك القدره العاليه على التحليل والتأمل فى المقطوعات النثريه والشعريه ويُعيِّن مواطن الضعف وينقدها.

أمَّا الأديب: - فليس عنده القدره الكافيه على التحليل والتأمل، وإنَّما عنده علم ارتكازى إجمالى فى اللاشعور واللاوعى ويمتلك قدره قويّه للاستثمار شبيه: - سيبويه فإنَّه من أبناء غير اللغه العربيه - أى مِن أبناء الأعاجم - فهو ليسَ بأديب وإنَّما يمتلك القدره العاليه على التحليل العالى يفوق بها الكثير، فمثلاً نلاحظ كثير من النحاه وأكثر علماء الصرف عندهم قدره تحليل وهم ليسوا بأدباء وقليل منهم أدباء، وإنْ كان من العصوبه بمكان أنْ يجمع الشخص بين الموهبتين، فمثلاً الزمخشرى ليسَ له ذلك الباع فى العروض الأدبيه وغيرها إلّا أنَّه يمتلك قوّه تحليل عاليه بأنَّ يحلل الكلام ويعمل منهجاً تحليلياً فى الكلام بحيث لمْ يلتفت إليه المتكلم تفصيلاً، فلو عُرض هذا التحليل من قبل الناقد الأدبى إلى المتكلم لتفاجئ

بـذلك ويقول المتكلم أنا لمْ أقصـد ذلك وإنْ كان ليسَ من نيّاته قصـد ذلك تفصـيلاً إلّا أنَّه اسـتثمر اللاشـعور واسـتثمر الطاقه اللغويه الأدبيه فى هذهِ المعانى.

وهـذا نظير مـا يُعْرَف اليوم بعلم النفس اللسـانى أى من اللسـان يكتشف خبايـا مطويات وأسـرار نفس المتكلم من دون أنْ يشـعر المتكلم به والمتكلم لا يريد أنْ يبوح بإسراره ومعلوماته، ولكنْ هذا المحلل النفسانى عبر تحليل مؤديات الكلام يستطيع الوصول إلى ذلك وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ١ فكان المنافقون يأتون إلى رسول الله (صـلى الله عليه و آله) ويقولون له كلاماً يكشف عن كُلّ مخططاتهم المطويّه والسـريّه، والنبى (صـلى الله عليه و آله) من خلال كلامهم يعلمهم أنفسـهم من حيث لا يشـعرون وإنْ لمْ يكونوا قاصدين لذلك، ويمكن الكلام أنْ يُجذر مداليل ومداليل إلى ما شاء الله.

وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين (عليه السلام)

«المرء مخبوء تحت طى لسانه لا طيلسانه»(١).

والمتكلم من خلال كلامه وبيانه فتح خطاً إلى أعماق الإنسان، وهذهِ اكتُشـفت مؤخراً عِلماً أنْ سـيد الأوصـياء على بن أبى طالب (عليه السـلام) قالها قبل أربعه عشـر قرناً، وكشف (عليه السـلام) أسـرار علوم النفس بمقولته هذهِ، وكشف أسـرار البحث الأمنى، وكشف عن علوم الأمن الإستراتيجيه، وعلم الإعلام المخابراتى والاسـتخباراتى و... الخ كلها اعتمدت على: - المرء مخبوء تحت طى لسانه لا طيلسانه.

١- (٢) الأمالى للشيخ الصدوق ص ٥٣١؛ وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) للصدوق ج ٢، ص ٧٨.

وهكذاما ذكره الفقهاء من أنَّ إقرار العقلاء على أنفسهم حجه وجائز وإنْ كانت عمليه المداليل قدْ تجاوزت الإرادات التفصيليه، فهذا المُقِر قدْ اعترف على نفسه إلّا أنَّه توجد لوازم لهذا القرار كإقامه الحدِّ مع أنَّه يريد أنْ يخفيها أو لا يلتزم بها، وعليه فاللسان مفتاح خزائن، والبحوث العلميه الحديثه تعتبر العلوم الألستيّه اعتباراً، مهماً.

كل هذا يستعرضه منهج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهه، وهذا منهجٌ عريقٌ أسس له أهل البيت (عليهم السلام) وكان يُطعن عليه، بأنَّ هذا تخليط وتخليق وتأويل وبطون وخبط و... الخ ونراه اليوم وبعد أنْ تعمَّقت البحوث العلميه وتطورت واكتُشفت تلك الحقيقه التى أشار لها النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) قبل أربعه عشر قَرْناً من خلال علوم الألسنيات وهو ما يعبرون عنه بالمصطلح العلمى بالانتربولوجى.

ولایه أهل البیت (علیهم السلام) هی مدار القرآن وباقی الکتب السماویه

الشرط الثانی:

(۱)

إنَّ أهل البیت (علیهم السلام) هم مدار القرآن وباقی الکتب السماویه النازله أجمع، وبولایتهم (علیهم السلام) تُدار محکمات الکتاب العزیز وبها نزلت جمیع الکتب.

وهذا یعنی أنَّه لیسَ باستطاعه البشر أنْ یحصل علی منهاج قویمٌ وسدید صائب فی تفسیر القرآن الکریم ما لمْ تُجعل ولایه الله وولایه الرسول (صلی الله علیه و آله) وولایه أهل البیت (علیهم السلام) المحور المرکزی فی منظومه معارف وأحکام وبیانات القرآن الکریم، وبعد هذا المحور المرکزی تأتی محکمات القرآن ولها طبقات، ثم بعد ذلک تأتی وحده نسق الآیه والسوره، وتقدم مراراً أنْ منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات فی منهج التفسیر المختار دأب وحافظ علی أنْ لا یقصی ولا یُفنِّد المناهج التفسیریه الأُخری، وإنَّما یضع لکل منهج من المناهج التفسیریه الأُخری موقعاً محدوداً بحسب شأن وقُدره ذلک المنهج.

ومنهج أمومه الولایه علی المحکمات هو المنظم والمهیمن والحاکم علی باقی المناهج التفسیریه سواء المنهج التفسیری الموضوعی أو التجزیئی أو أسابب النزول أو التفسیر بحسب علوم اللغه أو بحسب البعد العقلی أو

۱- (۱) تقدم الشرط الأوَّل من الشرائط المعتبره فی استعمال اللفظ فی أکثر من معنی، ص ۲۸.

... الخ فإنَّ منهج أمومه الولايه لا يُشطب أى منهج تفسيرى من هذهِ المناهج التفسيريه فهو المصحح والمرشد لها.

ومن هـذا يُعْرَف: - إنَّ الغرض من تأكيد القرآن على اتّباع المحكمات والنهى عن اتّباع المتشابهات لأنَّ اتّباع المتشابه يؤدى إلى الشـتات والتشـتت والانـحراف والتمسـك ببعض والإيمان به دون البعض الآخر أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ١ فإنَّ الإيمان بالبعض والمغفل عن الإيمان بالبقيه هـذا ضـلال وليسَ هـدايه، ولـذلك لابـدَّ من منظومه، ولذا نلاحظ التفاسـير الخاطئه والمنحرفه أو المـذاهب الاعتقـاديه الخـاطئه التى نشـأت فى فرق المسـلمين سـببها كان هو عـدم مراعاه منهـج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السـلام) ولو روعيت لما وقع هذا الاشـتباه والتشابه وتعدد الفِرَق، وهذا يعتبر شـرط أساسـى من شـرائط اسـتعمال اللفظ فى أكثر من معنى، ولكن بشـرط وهو عدم التصادم مع احتمالات أُخرى فى آيات وسور أُخرى وبالتالى لابدَّ من ملاـحظه ومُراعـاه وتفعيل الشـروط المتقـدمه فى حجيه قاعـده اسـتعمال اللفظ فى أكثر من معنى، فإنَّ منهـج أمومه الولايه لأجل اسـتثمار هـذهِ القاعـده المهمه يُفَعِّلهـا بخلاـف المناهـج الأُخرى فإنَّها تُفعل وتُراعى بعض الشـروط التى ذكرناها سابقاً فى حجيه قاعـده اسـتعمال اللفـظ فى أكثر من معنى فمثلاً القائل بالتفسـير الموضوعى غايه ما يلاحظه ويرعاه تكرر هـذا العنوان كموضوعه واحده فى سائر الآيات والسور، والأمر أعظم عند صاحب التفسير التجزيئى فإنَّه يلاحظ فقط المقطع الذى هو فيه، وهكذا صاحب تفسير أسباب النزول يلاحظ سبب النزول فقط

کی یعطی ویعکس سبب النزول. وهکذا صاحب التفسیر الأدبی یلاحظ الأمور الأدبیه التی تخصّه، وهکذا کل مفسر یلاحظ ویراعی ما یخصّ موضوع تفسیره وحدوده إلّا تفسیر منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات فضلاً عن المتشابهات.

وللأسف حتّی مناهج التفسیر العقلی والعرفانی والإشاری واللطائفی و... الخ لاتقیم وزناً ولا أهمیه ولا خطوره للآیات المحکمات فإنَّها لم تُراع التناسب العلمی للمحکمات وأنَّ المحکمات هی ذات طبقات.

وتمثل المحکمات بمثابه قواعد دستوریه هی التی تهیمن علی القواعد التی دونها، ولا یشترط فی المحکمات أنْ تکون ذا موضوع مشترک أو نفس العنوان الموضوعی فیما بینها فی نفس اللحظه، ومع ذلک یجب علی المُفَسِّر أنْ یُراعی کیفیه اتصال وارتباط المحکمات بهذا الموضوع الذی هو بحسب العنوان اللفظی أجنبی عن المحکمات.

الخلاصه: إنَّ الأمر المهم الذی نرید أنْ نلفت أنظار الباحثین إلیه هو أنَّه لا نطالب بوحده الموضوع فی المحکمات التی یتذرع بها الباحثون دائماً ویقولون بعدم وجودها بین المحکمات، بلْ نُطالب بشیء أعمق من وحده الموضوع وهو الوحده والهیمنه المرکزیه التی هی أعظم من وحده الموضوع.

فإذا لاحظنا الشرائط المتقدمه وبالأخص الشرط الثالث وهو عدم مخالفه قاعده استعمال اللفظ لأکثر من معنی لمنهج أمومه ولایه أهل البیت علی المحکمات.

وهذا الشرط یصب اهتمامه علی إعطاء الدور الرئیسی والهیمنه والحاکمیه والأمومه للمحکمات علی غیرها فی قواعد التفسیر بخلاف باقی

المناهج التفسيريه الأخرى فإنَّ أصحابها كصاحب التفسير النحوى أو الصرفى أو البلاغى أو صاحب منهج تفسير القرآن فى القرآن أو صاحب التفسير الموضوعى، فليس عندهم بالضروره مراعاه جانب الهيمنه المركزيه كما فى أمومه المحكمات.

ما هو الأثر المترتب على تماميه الشرط الثالث:

إنَّ الأثر المهم الذى ينتج ويترتب على تماميه الشرط الثالث - عدم منافاه قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى لمنهج أمومه الولايه على المحكمات - هو حجيه كُلّ هذهِ الدلالات تصوراً أو استعمالاً أو تفهيماً أو جداً وهذهِ نقطه افتراق منهج أمومه الولايه على المحكمات عن باقى المناهج التفسيريه الأُخرى جميعاً عدا بعض المناهج التفسيريه كالتفسير التأويلى أو الإشارى أو اللطائفى، وهذا ما سنتعرض له فى النظام الثانى أى بحث النظام المعنوى لتفسير القرآن الكريم ضمن منهج أمومه الولايه على المحكمات التى لا تقول بحجيه كُلّ الدلالات إلّا الدلاله الجديه مثلاً أو التفهيميه كما سيأتى تفصيل كُلّ ذلك فى محله إنْ شاء الله تعالى.

ص:۶۳۲

الضوابط التطبيقيه لقاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى

لأجل أنْ تكون الأمثله التى نسوقها لتوضيح هذهِ القاعده المهمه وهى استعمال اللفظ فى أكثر من معنى محسوسه لنا بشكل أكثر، لابدَّ من ملاحظه وتتبع سير الانتقال فى الداله اللفظيه من خطوه إلى أُخرى لاحقه حتَّى يصل الخطاب إلى السامع بالشكل الذى يريده المتكلم وهى: -

المرحله الأُولى: ذكرنا سابقاً أنَّ كُلّ مرحله من مراحل الدلاله لها آلياتها، فالداله اللفظيه على صعيد التصور لها آلياتها الخاصه بها غير آليات الدلاله الاستعماليه غير آليات الدلاله الجديه... الخ.

فمثلاً ـ ألفاظ معينه لها أصوات ربما تستعمل فى ألفاظ متعدده تتشابه وتتشاكل وتتجانس صوتياً - كما فى اللفظه الأخيره فى الشعر الشعبى الدارج الأبوذيه - أو مثل قيل يا أسما أين صبرى.

آليات الأصوات سواء أصوات الألفاظ الأصليه أو غير الأصليه أى الحركات الإعرابيه المعبر عنها بانها نصف لفظ مثل الضمه التى هى نصف صوت الواو والفتحه نصف صوت الألف وهكذا يرسمون المد مثلاً بأنَّه كم يعادل من الألف، والكسره نصف صوت ياء مُصغَّره كما فى علم التجويد وعلم الصرف.

المرحله الثانيه: تصور العلاقه بين اللفظ والمعنى يعنى الأوضاع اللغويه آلياً، والانتقال فى هذهِ المرحله من الصوت إلى اللفظ، ومن اللفظ

إلى المعنى بعد أنْ تجاوزنا فى المرحله الأولى عالم اللفظ والصوت إلى عالم ما بين اللفظ والمعنى أى المعنى التصورى والأوضاع اللغويه وآليات الألفاظ.

المرحله الثالثه: العلاقه بين المعنى التصورى والمعنى الاستعمالى، وآليات هذهِ المرحله عباره عن مجموع الألفاظ والقرائن الاستعماليّه.

المرحله الرابعه: مرحله القرائن التفهيميه، سواء أكانت لفظيةً أو حاليةً أو لُبيّةً أو... الخ وقدْ خاض علماء البلاغه والأصول تفاصيل أصناف القرائن الاستعماليه التى ترتبط باستعمال اللفظ كقرينه المجاز وغيرها مما يرتبط بالقرائن الاستعماليه، وهكذا قرائن الكنايه فإنَّها قرائنٌ مرتبطه بطبقه القرائن التفهيميه والتى تعنى تحديد بالمعنى التفهيمى، وكذا الدلالات الالتزاميّه هى قرائن ترتبط بطبيعه القرائن التفهيميه وليست بالقرائن الاستعماليه.

المرحله الخامسه: مرحله طبقه القرائن الجديّه والتى ترتبط بمحصله الحكم، ففى كُلّ مفادٍ لفظى هناك حكم سواء قضيه إنشائيه أو إخباريه فإنَّه هناك حكم أى محمول وهناك موضوع وما شابه ذلك ما يرتبط بشؤون وميول الحكم يُقال له قرائن ترتبط بمقدمات الحكمه أى مرتبطه بقرائن الجد.

وهناك مرحله سادسه وسابعه وثامنه و... إلى أنْ يعلم الله حدودها هى فى الحقيقه تعدد مراحل المعنى الحدى وللمعنى الجدى آليات.

والخلاصه: إنَّ لكلِّ طبقه أومرحله من آليات الدلاله قواعد أو قرائن منضبطه بالعلوم المختلفه لكى لا يتشوش نسق الدلاله ونسق المدلول لدينا، ولابدَّ من ضبط أنَّ كُلّ علم يختص باى مرحله وبأى طبقه من قرائن

الـدلاله حتَّى فى علـوم اللغه، فـإنَّه علـوم اللغه - كمـا تقـدم - متعـدده من علوم الأـدب العربى، أو علوم الأـدب اللغوى، وأصـل المعـاجم اللغويه الـذى هو علم المفردات فـإنَّه يختص بمرحله الـدلاله الوضـعيه التصوريه، وعلم العروض يختص بمـا قبـل ذلك الذى هو علم الأصوات وكيفيه انسجام علم الأصوات مع موادّ الألفاظ.

ص:٦٣٥

بحث آخر حول القرآن

إنَّ فرض وبحث عمليه القرائن أمرٌ بـالغُ الأـهميه، وقـدْ ذكر علماء البلاغه إنَّ الـدلاله التصوريه وعالم الارتباط بالألفاظ التصوريه مما يُبحث فى علم البديع بالذات، وهكذا يأخذ علم البديع شيئاً من مرحله الاستعمال.

وأمَّا الدلاله الاستعماليه وشىء من الدلاله التفهيميه فيُبحث فى علم المعانى.

وأمَّا الدلاله الجديه وشىء من التفهيميه فتُبحث ويُعتنى بشأنها فى علم البيان.

والخلاصه: إنَّ علوم البلاغه الأساسيّه هى:

١ - علم البيان: يرتبط بالتفهيمى والجدى.

علم المعانى: - يرتبط بالمعنى الاستعمالى وشىء من حافه التفهيم.

٣ - علم البديع: - ما يرتبط بالألفاظ والمحسنات اللفظيه، أى مرحله الدلاله الاستعماليه والأوضاع اللفظيه بالمعنى التصورى.

وأمَّا مـا يرتبـط بقرائن الحكمه والعلوم الأُـخرى التى تبحث عن مسائـل وأمور مُتعـدده فى علم النفس وعلم الاقتصـاد وعلم الفقه وعلم المصـرف والمـال، وعلم الفلـك وعلم العقائـد... الـخ والقرائن التى تـأتى من العلوم الأُـخرى فالغـالبيّه العظمى منهـا ترتبط بمرحله المراد الجدى على طبقات.

ص:۶۳۶

ومن الخطأ أنْ يُقال:

إنَّ تفسير الشريعه وتفسير النص الدينى يكفى فيه علوم اللغه فقط يكفى فيه فقط علوم اللغه، علماً أنَّ علوم اللغه فقط توصلك إلى المعنى التفهيمى دون المعنى الجدى، وطبقات المراد الجدى يجب أنْ تتكفلها علوم أُخرى.

ولذا ينبغى للفقيه المُفَسِّر إذا أراد أنْ يتناول موضوع اقتصادى ومعالجه أمر اقتصادى كتحريم الربا فى القرآن الكريم والسنه أو تحريم استقضاء الأجره من الفواحش أو القمار أو أكل المال بالباطل أو... الخ فعلى المُفَسِّر أو الفقيه أو الباحث أنْ لا يقتصر ولا يكتفى فقط بالعلوم اللغويه، بلْ يستعين بمفردات تلك العلوم والاطّلاع على المناهج المقرَّره فى تلك العلوم والتعامل بمصطلحات بما يتلائم وعلوم الدين.

ونودُّ الفات النظر إلى أنَّ الأزمات السرطانيه فى الاقتصاد البشرى جيلًا بعد جيل تدور وتلف وترجع إلى الغدد السرطانيه التى وضع القرآن يده عليها وحرّمتها ونهى عنها أمثال: -

١ - الربا.

٢ - القمار.

٣ - أكل المال بالباطل.

٤ - غسيل الأموال وتمويهات بالباطل ليسَ لها أى حقيقه.

٥ - حرمه أكل الميته... الخ.

إذنْ القرآن الكريم وضع يده على غدد سرطانيه فى باب الاقتصاد أو

باب الأطعمه والأشربه أو النظام الغذائى البشرى، مهما حاول البشر أنْ يُقنِّعها بمختلف الأقنعه ويبدل ألفاظها جيلًا بعد جيل ترجع إلى الماهيه والحقيقه، فالربا مهما قُنِّع أو بُدِل لفظه أو صورته أو... فهو يجر إلى مفسده وكذا الفواحش بطريقه أُخرى الخداع المعاملى بطريقه أُخرى وبأسماء جديده فإنَّ المسمى واحد يعتمد على قرائن ترتبط بعالم المال والنقد أو عالم الصرف والمصرف ولا نريد من الفقيه أنْ يتخصص بعالم المال والمصرف وإنَّما لا أقل يستعين بقواعده؟ لِمَ ذلك؟

لأنَّ تلك القواعد ترتبط بالمعنى الجدى، كذلك الفقيه إذا أراد أنْ يُحرر وينظر بشكل عميق ومتين فى بحوث علم الاقتصاد فلا تكفيه المعالجه بعلوم اللغه وإنَّما علوم اللغه توصلك إلى المعنى التفهيمى وأقصى ما توصلك إليه هو المعنى الجدى الإجمالى أمَّا طبقات المعنى الجدى التفصيليه لا يمكن معالجتها بالفقه أو علوم اللغه فقط وإنَّما لابدَّ من الرجوع إلى القواعد والقرائن المرتبطه بتلك العلوم الأُخرى مثل علم الاقتصاد وعلم الفلك وعلم الفيزياء والكيمياء و... الخ.

الخلاصه: أنَّ العلوم الأُخرى قواعدها وبراهينها ودوافعها ترتبط بالمعنى الجدى وليسَ للمفسر أو الفقيه أو المتكلم أو أى أحد أنْ يقرأ النص الدينى بمعزل ومنأى عن القواعد المسلمه والبديهيه فى العلوم الأُخرى لا القواعد النظريه لأنَّ القواعد النظريه لمْ تصبح لحد الآن حقائق وإذا لمْ تصبح حقائق فلا يمكن الاعتماد عليها أو هناك آراء فرضيه وليست نظريه، ومن المعلوم أنَّ الفرضيه أسبق من النظريه فى العلوم ثم بعد النظريه حقيقه.

القواعد البديهيه والمسلمه فى العلوم هى فقط التى يعتمد عليها وأمَّا الفرضيه أو النظريه فلا يمكن الاعتماد عليها.

وعليه فالقواعد المبدهه فى العلوم الأُخرى هى قرائن الجد وحينئذٍ تكون هذهِ توسعه لأقسام القرائن.

ص:٦٣٩

القسم الثانی: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی

اشاره

تقدم الکلام فی استعمال اللفظ معنی واحد، والآن نحاول الخوض فی القسم الثانی وهو استعمال اللفظ بأکثر من معنی بعرضه العریض، وإنْ کان الأنسُ بهذه القاعده الخطیره والمهمه والوسیعه أمرٌ غریبٌ عند علماء البشر أجمع، نعم ممارستها بشکل محمود موجودٌ فی کُلّ أفق البشر، کما مَرَّ التنبیه علیه من بعض أدلَّه القسم الأوَّل فی الحواریات الإنسانیه أو الحواریات فی اللغه العربیه فإنَّه موجود فیها استعمال اللفظ فی أکثر من معنی.

والکلام فی هذا القسم الثانی بلحاظ علم التفسیر للقرآن الکریم، نرید أنْ نلفت نظر الأخوه الباحثین ونتنبَّه إلی أنَّ هذهِ القاعده بأفقها الوسیع جداً لمْ تدشن وتطبق بهذه الموسوعیه الکبیره فی أی منهج تفسیری ولا فی أی علم من العلوم إلّا فی منهج تفسیر أمومه ولایه المحکمات وأهل البیت (علیهم السلام) والذی لمْ یفتأ الآخرون یُسجلون طعناً علی هذا المنهج منذ القرن الأوَّل للإسلام إلی فتره متأخِّره جداً إلّا أنَّه هناک الآن فی العصر الحدیث صحوه علمیه اعترفت بأنَّ هذا المنهج هو منهج جدیر وحقیقی وکفوء لاسیما بعد انفتاح مبحث ومنهج تعدد القراءات للنص الدینی وفلسفه الألسنیات عند الشرق والغرب وتعددیه وهرمونطیقیا وبرمجه مهوله لانه یُبَرْمج فیها لعوالِم من البرمجه التی تباهی بها القرآن الکریم وجعلها من عظائم إحسانه علی عباده وهی لغه البیان اَلرَّحْمنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسانَ،

عَلَّمَهُ الْبَيانَ ١.

الألسنيات الحديثه وفلسفتها فبها جوانب إيجابيّه جديره وفيها جدارات أنجزت وكانت فى السابق علوم اللغه فى لغات البشر وعلوم الأدب العربى فى غفله عنها ويعدونها طعن على مدرسه، ومنهاج أهل البيت (عليهم السلام)، والآن أصبحت وإنْ لم يُصرِّحوا - الطرف الآخر - ولم يعترفوا بذلك إلّا أنَّها حقيقه والحقيقه لا تحتاج إلى اعتراف فتلك الطعون التى كانوا يطعنون بها على منهج مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) أصبحت الآن تعتبر معاجز علميّه لأهل البيت (عليهم السلام) لذلك يعبرون عنها البرمجه اللغويه ومن الواضح أنَّ اللغه فيها برامج مهوله.

وعليه فالبرمجه اللغويه ليسَ أمرها باليسير، والذى نريد الوصول إليه من خلال هذا كُلَّهُ هو: -

إنَّ قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى لها طبقات ولها زوايا وجهات متعدده، وعليه فكيف تُطبَّق فكره هذهِ القاعده بمنهاجها الوسيع فى منهاج أهل البيت (عليهم السلام)، والبيان المذكور فى القرآن الكريم مثل قوله تعالى: قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّى٢ الذى هو كنايه عن اللامحدوديه واللاتناهى، بلْ فوق ذلك، وكذا البرهان المذكور فى القرآن الكريم وفى أحاديث النبى (صلى الله عليه و آله) وعترته (عليهم السلام) أنَّه ما دامت قواعد اللغه والبيان كُلَّها متأتيّه ومنطبقه وقابله للانطباق على مواردها فتكون كُلَّها مُرّاده فى مختلف العلوم من النحو والصرف والعَروض وعلم القراءات والصوت، وأنَّ قواعد هذا الصوت يمكن أنْ تُضبط على قراءتين

أو ثلاثه أو أربعه أو... الخ.

وأحد تفسيرت تبيان تعدد القراءات بهذا المعنى فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) هو: -

أنَّ وجوه القرآن لا بمعنى اختلاف لهجات العرب وإنْ كان هـذا هو المعروف من علم القراءات، إلّا أنَّ منهـج أهل البيت (عليهم السـلام) لا يُشـيد به بـذات الحـد، وإنَّما يُشـيد منهاج أهل البيت (عليهم السـلام) إلى منهـج تعدد القراءات العصـرى يعنى وجوه القرآن بأنَّ اللفظه الواحده لها صوتاً ولها استعمالاً ولها تفهيماً ولها جدّاً و... الخ.

نعم وَرَدَ فى روايات أئمه أهل البيت (عليهم السلام) إنَّ تعدد القراءات بهذا المعنى هى تعدد وجوه للقرآن.

والنقطه الجوهريه التى يتميز بهـا منهـج أمومه ولاـيه أهل البيت (عليهم السـلام) على المحكمات فضـلاً عن المتشابهات عن باقى المناهـج التفسـيريه الأُخرى هو أنَّ منهـج أمومه الولايه يبنى على عـدم وحدانيه المعنى من اللفظه الوحده، وهذهِ هى بدايه افتراق مسار الطريق مع باقى المناهج التفسيريه الأُخرى سواءً منهج المتكلمين أو الفقهاء التى تبنى على وحدانيه المعنى بالجمله.

إذنْ السُـبل عند أهل البيت (عليهم السـلام) متعدده وإنْ كان الصـراط واحداً ومسـتقيماً لكنَّ السُـبل إلى الله وإلى ذلك الصـراط متعددةٌ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً١.

إلّا أنَّه ومن المؤسِف جداً بعضهم ينظر إلى كلام الله تعالى نظرةً

حبوسيّةً ضيقةً ويعتبر هذا من الأخطاء الفاحشه؛ لأنَّ الكلام صادرٌ من ربِّ العالمين وأُفُقُه يختلف عن أفق البشر، وعليه تكون جميع هذهِ الجهات المختلفه المتعدده كُلُّها مُراده، ولو لمْ يُرد الله تعالى جميع هذهِ المعانى المختلفه لحَجب باباً عن باب، وعليه فما دام الكلام الإلهى فى القرآن منفتح على جهات عديده كلها تكون مراده ولا مانع منه فى بيانات أهل البيت (عليهم السلام) كمنهاج شرايع تبتدأ بهذا الطريق، فإنَّ للكلام طُرقاً متعدده فما دام لمْ تخرج عن قاعد وموازين المنهاج المقرر فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) فإنَّه لا- مانع منه وحاله حال القواعد النحويّه إذْ يمكن أنْ تعرب بوجوه متعدده لا- تخرج عن الضوابط والقواعد النحويه وكلها صحيحه بالشروط الثلاثه التى تقدَّمت.

والنتيجه: إنَّ انضباط القواعد ليست عشوائيه وإنَّما منضبطه ورصينه وموزونه بموازين إلّا أنَّه لماذا تُترك هذهِ الموازين، ولذا يختلف منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فضلاً عن المتشابهات فى القرآن الكريم عن باقى المناهج التفسيريه الأُخرى كمنهج الحداثويات والألسنيات ومنهج القراءات المتعدده فى أنَّه فى منهج امومه الولايه إذا تعدد الموازين لا يوجب هذا التعدد تضارب بينها، بخلاف المناهج الأُخرى لاتى يحصل عندها تضارب بين الموازين بسبب اشتراطها المُسبق أنَّ المعنى واحد وأُحادى الأفق وضيّق، بخلاف منهج أمومه الولايه التى تستند إلى قوله تعالى: قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّى١.

وحينئذٍ لا- مانع من تعدد القواعد الصرفيه والنحويه والبلاغيه و... الخ إذا لم تتعارض موادّها مع محكمات القرآن ولا بأس بها لأنَّها قواعد وحقائق علميّه.

المواد التطبيقيه لقاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی

اشاره

إنَّ قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ذات معنی وسیع جدّاً، ویُمکننا أنْ نطبقها علی منهاج أُمومه الولایه علی المحکمات فی القرآن فضلاً عن المتشابهات، ونذکر لها عِدَّه أمثله وموارد تطبیقیه.

المورد الأوَّل: حدیث النبی (صلی الله علیه و آله)

«أوتیت جوامع الکَلم»(۱).

بتقریب: - إنَّ الکلمه التی یُبدیها رسول الله (صلی الله علیه و آله) تشتمل علی منظومات بیانیه إلی ما شاء الله، إلّا أنها تحتاج إلی مُفَسِّر إلهی منتخب من قبل الله تعالی حتّی یُفسِّر هذهِ الکلمه التی أطلقها رسول الله (صلی الله علیه و آله)؛ لأنَّ الرسول (صلی الله علیه و آله) لم یُأتَ جامع أو مجموعه من الکلم وإنَّما أوتی جوامع الکلم، والجوامع جنس الکلم، ولذا نلاحظ أیَّ حدیث نبوی یصدر عنه (صلی الله علیه و آله) له ما شاء الله من التفاسیر، وتنبثق منه قواعد عدیده بمثابه أسس تنطلق منها تلک القواعد والضوابط.

المورد الثانی: قوله (صلی الله علیه و آله)

«إنَّما الأعمالُ بالنیات»(۲) هذا الحدیث الشریف رغم وجازه کلماته إلّا أنَّه بعض المحققین استقصی معانی هذا الحدیث الشریف الذی قدْ بُیِّن فی کلمات أهل البیت (علیهم السلام)، ثم علماء المسلمین إلی ما یقرب من أربعین

۱- (۱) الخصال للصدوق، وکذا الآمالی للصدوق.

۲- (۲) دعائم الإسلام للقاضی النعمان المغربی، ج ۱، ص ۳، وتهذیب الأحکام للشیخ الطوسی، ج ۴، ح ۱۸۶ ص ۵۱۹.

معنی متباین، وکل هذهِ المعانی قواعد أساسیّه فی العلوم المهمه.

ویتشـمل هذا الحدیث الشـریف علی بیان معانی علوم عدیده وأسس وقواعد علوم فتقت من هذهِ القاعده النبویه الشریفه تتضمن مفاتیح لأبواب علوم أساسیه مختلفه یحتاج إلیها الباحث، وهذا معناه أنَّ عالم المعانی أعظم عالم مجرد وأعظم من عالم الأبدان.

هذا بلحاظ حدیث النبی (صـلی الله علیه و آله) فکیف بکلام الله تعالی الذی هو خالق وجاعل ومُعْطی جوامع الکلم للنبی (صـلی الله علیه و آله) التی هی أسـماء إلهیه أعظم من جوامع الکلم لذا کان وصف القرآن لنفسه عظیماً قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی (۱) ؛ ولذلک ورد عن الإمام الصادق (علیه السـلام) فی روایه أبی بصـیر قلت للصادق (علیه السلام) قوله

قُل لَّوْ کَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا، قال (علیه السلام): أخبرک أنَّ کلام الله لیسَ له آخر ولا غایه ولا ینقطع أبداً](۲).

المورد الثـالث: هنـاک جمـل کـثیره من کلمـات النـبی (صـلی الله علیه و آله) الموجزه النـافعه نـذکر بعضـها من دون تعلیق طلباً للاختصار.

۱ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«من تفاقر افتقر»(۳).

۲ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«أفضلکم إیماناً أحسنکم أخلاقاً»(۴).

۳ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«حُسن البشر یُذهِب بالسخیمه»(۵).

۱- (۱) سوره الکهف: الآیه ۱۰۹.

۲- (۲) تفسیر البرهان، ج ۳، ص ۶۸۹.

۳- (۳) تحف العقول، ص ۴۱.

۴- (۴) المصدر السابق، ص ۴۵.

۵- (۵) المصدر السابق، ص ۴۵.

۴ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«صِلوا أرحامکم ولو بالسلام»(۱).

۵ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«ما آمن بالقرآن مَن استحَلَّ حرامه»(۲).

۶ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«خیرٌ من الخیر مُعطیه، وشرٌّ من الشر فاعله»(۳).

۷ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«خیر من العمل أدومه وإنْ قلَّ»(۴).

۸ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«حُبُّ الدنیا أصل کل معصیّه»(۵).

۹ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«لا یرد القدر إلّا الدعاء»(۶).

۱۰ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«خیر الزاد التقوی»(۷).

۱۱ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«رأس الحکمه مخافه الله»(۸).

۱۲ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«السفر قطعه من العذاب»(۹).

۱۳ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«ادفعوا البلاء بالدعاء»(۱۰).

المورد الرابع: ما ورد فی کلمات أمیر المؤمنین (علیه السلام) المختصره والنافعه.

ص:۶۴۷

۱- (۱) المصدر السابق، ص ۵۷.

۲- (۲) المصدر السابق، ص ۵۵.

۳- (۳) المصدر السابق، ص ۵۷.

۴- (۴) مجموعه ورّام ج ۲، ص ۱۲۲.

۵- (۵) المصدر السابق.

۶- (۶) عیون أخبار الرضا ج ۲، ص ۷۴.

۷- (۷) کنز الفوائد ج ۱، ص ۲۱۶.

۸- (۸) المصدر السابق.

۹- (۹) عیون أخبار الرضا، ج ۲، ص ۷۴.

۱۰- (۱۰) الفقیه، ج ۴، ص ۳۸۰.

١ – قوله (عليه السلام):

«لا غنى مثل العقل، ولا فقر أشد من الجهل»(١).

٢ – قوله (عليه السلام):

«قيمه كلُ امرىء ما يُحسِن»(٢).

٣ – قوله (عليه السلام):

«إذا تمَّ العقل نقص الكلام»(٣).

٤ – قوله (عليه السلام):

«آله الرئاسه سعه الصدر»(٤).

٥ – قوله (عليه السلام):

«الإعجاب يمنع الازدياد»(٥).

٦ – قوله (عليه السلام):

«الطمع رقٌّ مُؤبد»(٦).

٧ – قوله (عليه السلام):

«كم أكله منعت أكلات»(٧).

٨ – قوله (عليه السلام):

«القناعه مالٌ لا ينفذ»(٨).

٩ – قوله (عليه السلام):

«الناس أعداء ما جهلوا»(٩).

١٠ – قوله (عليه السلام):

«الشكر زياده»(١٠).

۱۱ – قوله (علیه السلام):

«الصمتُ وقارٌ»(۱۱).

ص:۶۴۸

۱- (۱) تحف العقول، ص ۲۰۱.

۲- (۲) تحف العقول، ص ۲۰۱.

۳- (۳) نهج البلاغ، ۵۲۶.

۴- (۴) تحف العقول، ص ۲۲۴.

۵- (۵) نهج البلاغه، ص ۴۹۴.

۶- (۶) المصدر السابق.

۷- (۷) المصدر السابق، ص ۵۴۸.

۸- (۸) المصدر السابق، ص ۵۰۷.

۹- (۹) المصدر السابق، ص ۵۲۵.

۱۰- (۱۰) غرر الحکم، ص ۳۷۸.

۱۱- (۱۱) المصدر السابق، ص ۲۱۶.

۱۲ – قوله (علیه السلام):

«العاقل مَن وعظته التجارب»(۱).

۱۳ – قوله (علیه السلام):

«الفقر یُخرس الفطن عن حجته»(۲).

۱۴ – قوله (علیه السلام):

«کل داء یداوی إلّا سوء الخُلُق»(۳).

۱۵ – قوله (علیه السلام):

«کل شیء یُمَلُّ ما خلا طرائف الحِکَم»(۴).

۱۶ – قوله (علیه السلام):

«کثره المعارِف محنه، وخلطه الناس فتنه»(۵).

۱۷ – قوله (علیه السلام):

«ما تکبَّر إلّا وضیع»(۶).

۱۸ – قوله (علیه السلام):

«ما تواضع إلّا رفیع»(۷).

المورد الخامس: ینقل الکشی ما ورد عن الإمام الباقر (علیه السلام): إنَّ الإمام الباقر (علیه السلام) کتب رساله فیها نون أو جیم ونُقلت هذهِ الرساله إلی جابر بن یزید الجعفی وغیره، وبعد ما عرضت علیه وعلی باقی أصحاب الإمام فکل واحد منهم فهم منها معنی من هذا الحرف أو الکلمه، فمثلاً ـ جابر بن یزید الجعفی فهم من هذهِ الکلمه أنَّه یمثل بالجنون حتّی تبتعد عنک عین الأعداء کی لا تغتالک ید بنی العباس، وآخر فهم منهم معنی آخر وهکذا و... الخ].

المورد السادس: ما فی الشعر الشعبی الدارج المعروف ب – (الأبوذیه)

۱– (۱) المصدر السابق، ص ۴۴۴.

۲- (۲) المصدر السابق، ص ۳۶۵.

۳- (۳) السابق، ص ۲۶۴.

۴- (۴) المصدر السابق، ص ۵۸.

۵- (۵) السابق، ص ۳۱۹.

۶- (۶) غرر الحكم، ص ۳۱۰.

۷- (۷) غرر الحكم، ص ۲۴۹.

فإنَّ لفظه واحده تنتهى بها الأبيات الثلاثه الأولى بمعانى مختلفه، ونفس الصوت يكون بنبرات مختلفه فى الألفاظ الثلاثه الموحده الماده والمختلفه الهيأه فى بعضها أيضاً هذا يؤدى إلى اختلاف المعنى(١).

المورد السابع: وهكذا فى علم التصريف، فمثلاً: الفعل: - وقى - يوقى يقى - قِ، فهنا استعمل الصوت فى أكثر من لفظ فضلاً عن اختلاف المعنى.

إلى غير ذلك من الموارد التطبيقيه الأُخرى للقاعده تدلُّ على إمكانها فضلاً عن وقوعها إذنْ استعمال اللفظه الواحده فى عِدَّه معانى وهيئات ممكنه وواقعه وهى تأتى بحسب تخصيص أهل اللغه، وعليه فيكون باب هذهِ القاعده وسيع جداً فى مختلف المجالات والعلوم والفنون سواء اللغويه أو النحويه أو الصرفيه أو على مستوى علوم الفقه والأصول والعقائد والتفسير أو العلوم الأمنيه والاستخباراتيه أو... الخ وهكذا أشرنا سابقاً إلى أنَّ: - كثره سعه أفق الاستعمال الصوتى، يفتح بابها على علم الاشتقاق المعهود من صيغه اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر وصيغه الفعل واسمه والاسم... الخ، وأقسام الاشتقاق الثلاثه الكبير والمتوسط والصغير(٢) ومن الواضح أنَّ علم الاشتقاق من العلوم المهمه جداً وليسَ

١- (١) كما فى قول شاعرهم:بعد جرح الوصى هيهات ينشالوچن الصوَّبه يا ريت ينشال (ينشل) وَىَ نعش العدل للگبر ينشالويتامه نظل عگب حامى الحميّه

٢- (٢) الاشتقاق: هو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنىً وتركيباً، ومغايرتهما فى الصيغه، نحو اشتقاق كلمه (كاتب) من (كَتَبَ)، و (مطبعه) من (طبع) و... الخ وأمَّا أصل الاشتقاق: - فقد اختلف البصريون والكوفيون حول أصل الاشتقاق، فقال البصريون: إنَّ الأصل هو المصدر، وذهب الكوفيون إلى أنَّ الفعل هو الأصل ولكل حُجيه - مَن أراد فليراجع المطولات - وينقسم الاشتقاق إلى: -أولاً- الاشتقاق الأصغر: هو تقليب تصاريف الكلمه، حتّى يرجع منها إلى صيغه هى أصل الصيغ كلها دلاله اطراداً أو حروفاً غالباً ك - (ضَرَبَ) فإنَّه دال على مطلق الضرب فقط، أمَّا ضارب، ومضروب، ويضرب، وإضرب، فكلها أكثر دلاله وأكثر حروفاً، و (ضَرَبَ) الماضى مساوٍ حروفاً وأكثر دلاله وكلها مشتركه فى الماده (ض - ر - ب) وفى هيئه تركيبها. ثانياً: الاشتقاق الأكبر: هو أنْ تجد بين كلمتين فأكثر تماثلاً فى الحروف واختلافاً فى ترتيبها يتقدم بعضها على البعض الآخر من دون زياده أو نقص فيها مع الاتحاد فى المعنى نحو: مَدَّ ومَطَّ، وأنفق وأنقذ، وقصَّ وقَصَمَ، أو أنْ تعمد إلى كلمه فتشتق منها كلمه فأكثر بتقديم بعض الحروف على بعض من دون زياده أو نقص مع الاتحاد فى المعنى كالضبِّ (الشيلان) والبض، كالجَبِّ والجبب وهو على أى حال تكلف كبير [المعجم الشامل، ص ۴۳، ج ٢.

فی لغه العرب فحسب، بلْ حتَّی عند البشریه فی لغات أخری لسانیه.

إذنْ استعمال اللفظ فی أکثر من معنی له عدَّه زوایا حتَّی زاویه استعمال الأصوات فی أکثر من لفظٍ.

المورد الثامن: هناک روایه نقلها الشیخ الطوسی فی الاحتجاج: فی احتجاج النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) مع الیهود والنصاری وهیک قوله (صلی الله علیه و آله) مع الیهود: «إنْ کان إبراهیم خلیله فأنا حبیبه محمد...»(۱).

بتقریب: أنَّ النبی (صلی الله علیه و آله) قَبِلَ للخصم أنْ یستدلوا بقولهم [لأنَّ الله اتخذه خلیلا](۲).

وإنَّ إبراهیم خلیل الله وأنَّ نعت (خلیل) استعمل فی أکثر من معنی.

۱- (۱) الاحتجاج، ص ۵۸.

۲- (۲) المصدر السابق.

وهكذا احتجاجه (صلى الله عليه و آله) مع النصارى واليهود من جانب آخر، بأنَّه: لماذا تقولون عزيرٌ بن الله، وعيسى بن الله.

بتقريب: أنَّ البنوّه تحمل معانى باطله فى الاعتقاد بالتوحيد، وأنَّ معنى يلد ويولد أى أنَّ الله تعالى يتبعض ويتجزأ ويتآكل وهذا شأن الفقير وليسَ من شأن الغنى التركب والتبعض والتآكل فكيف تقولون أنَّ الله غنى و... الخ.

أجابهم النبى (صلى الله عليه و آله): عن ذلك كما هو مفصل فى الاحتجاج مَن أراد فليراجع احتاج النبى (صلى الله عليه و آله) مع اليهود والنصارى.

ثم قالوا للنبى (صلى الله عليه و آله): تقرُّ بأنَّ إبراهيم خليل الله كما جاء فى القرآن وأنَّ إبراهيم (عليه السلام) هو خليل الله، وأنَّ مفرده (خليل) وحيانيه بمعنى التكريم، لا أنَّ الله تعالى له كفواً أحد وند يم، فقالوا للنبى الأكرمه فكما أنَّ إبراهيم خليل الله إذنْ عزير بن الله وما المانع فى ذلك؟

أجابهم النبى (صلى الله عليه و آله): إنَّ موسى (عليه السلام) عند اليهود أعظم من عزير، فلماذا أصبح عزير بن الله، ولم يصبح موسى بن الله، فاجعلوه عم الله، أو جَدُّ الله فأجابهم النبى (صلى الله عليه و آله) كما فى الاحتجاج بمزيد من النقوض، وأنَّ المراد من كلمه الخليل والخُلّه - مضمومه الخاء ومكسورها تأتى بمعنيين فى اللغه: - وهنا محل الشاهد من قول الرسول (صلى الله عليه و آله) فى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى فإنَّ الخليل تأتى إمَّا: -

١ - بمعنى الفقر والفاقه.

٢ - أو بمعنى الصديق والوفى باعتبار أنَّ الصديق الوفى هو الذى يطلّع على أسرار خليله، والله تعالى أعْلَمَ إبراهيم (عليه السلام) بأسرار التوحيد

والمعارف والدين فهو خليل بهذا المعنى.

إذنْ إبراهيم صدِّيق وصديق بأنَّ يعلم من أسرار الله شيئاً فسُمى بالخليل، والخليل بمعنى الخُلّه بضم الخاء.

وعليه ف - (خُلّه) بضم الخاء و (خِلّه) بكسرها هما هيئتان ولفظتان وليسا لفظةً واحده، إلّا أنَّ الواقع الصوتى للفظه (خليل) يمكن أنْ يؤخذ من هذهِ الماده أو تلك، وعليه يكون استعمال الصوت فى لفظتين، وليسَ فقط استعمال اللفظ الواحد فى معنيين، ومع ذلك جارى النبى (صلى الله عليه و آله) اليهود والنصارى بأنَّ هذا الصوت للفظتين وللمعنيين كلاهما صحيح سواء كان بمعنى الفقر أو الخُلّه وكلا المعنيين مراد للنبى (صلى الله عليه و آله) وهو معنى مستقيم، وهذا إقرار من النبى (صلى الله عليه و آله) للطرف الآخر بأنَّ من حقهم أنْ يحتجوا إمَّا بهذا المعنى أو ذاك أو بكليهما كُلّ ذلك صحيحٌ ويتحاجون به عند ربهم.

ومن هذا يتفرع مطلبٌ عقائدى يُرسِّخ عبوديه إبراهيم (عليه السلام) لله تعالى والنبى (صلى الله عليه و آله) عندما قبل بهذين المعنيين للخِله - أى تعدد المعنى للفظه الواحده، وكانت منضبطه تحت قواعد وموازين البيان فإنَّه يصح إراده كُلّ المعانى ما لمْ يَذُدك عنه ساطع البرهان، وإنْ لمْ تكن قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى وارده فى بيان الوحى، ولم يعترض النبى (صلى الله عليه و آله) عليها ولم يقل أنَّه يلزم من استعمالها كما فى معنيى (الخُله) المضاده لتوحيد الله، إنَّما هو بهذه القاعده لا يُجانب ولا يبتعد معنى الخليل عن عبوديه إبراهيم (عليه السلام) لله تعالى.

إذنْ هذا احتجاج بالقاعده واستعمالها من قبل النبى (صلى الله عليه و آله) بحق وجادلهم بالتى هى أحسن وليست هى جدال بالأمور التمويهيه والباطله لا سامح الله.

مضافاً إلى أنَّ وصف النبى إبراهيم (عليه السلام) بالخليل والصدِّيق من ان

الخِلـه وهی الفقر والانقطـاع والاحتیـاج إلی الله تعـالی فـإنَّ هـذا الوصـف فیـه تکریس ودعم لعبـودیه إبراهیم (علیه السـلام) فی توحیده لله تعالی.

وهکـذا وصف الصـدِّیق والصـدیق بضم خاء الخُله، من أنَّ معنی الصدیق هو مَن وقف علی خصوصـیات صدیقه لدرجه لا یَطَّلع علیها غیرهن وهذا أیضاً لا یُنافی العبودیه لله وتوحیده.

إذنْ إذا سامـح ذلک الاسـتعمال عنـد النبی الأکرم (صـلی الله علیه و آله) فهذا معناه أنَّه هناک تسـمیه شـرعیّه ووحیانیه یُرادُ منها معنیین، علمـاً أنَّ التسـمیات الإلـهیه المشـتقه من الأسـماء الإلـهیه، وأنَّ نفس الأسـماء الإلهیّه أعظم من القرآن لأنَّها مصـدر نزول القرآن.

وعلیه إذا کان الحال فی التسمیات للأنبیاء المشتقه من أسماء الله الحال فیها بحسب البُعد التکوینی أنَّه (صلی الله علیه و آله) یُبین هـذا الاسـتعمال البیانی المتعـدد والمنفتـح علی طرق متعـدده حاکیه عن أنَّ التکوین علی أنماط متعدده، وهذا ممّا یدعم ویُدَلِّل علی استعمال قاعده اللفظ فی أکثر من معنی.

المورد التـاسع: لفـظ الجلالـه [الله] تعـالی اسم بـاری الوجود وأصـله [إلاـه] فـدخلته أل فحـذفت الهمزه تخفیفاً، والأُلاهه والألهیّه والأُلُوهه والألوهیّه والألهانیه بمعنی واحد(۱).

ولیسَ (الله) من الأسـماء التی یجوز منها اشـتقاق فعل، کما یجوز فی الرحمن الرحیم(۲) ثم أنَّه هنـاک بحث هل أنَّ لفظ الجلاله مشتق من الوله أو التأله أو... الخ وعلیه فهناک عدَّه معانی لماده لفظه (الله) کلَّها تناسب

۱- (۱) أقرب الموارد ماده [أله] ص ۶۶ ج ۱.

۲- (۲) کتاب العین للفراهیدی، ص ۳۴.

وتناغم الكمال الاحدى وهذا معناه أنَّه يراد من لفظ الله معانى متعدده والجامع لهذه المعانى هو لفظ (الله) تعالى وهو مراد على صعيد الواقع.

المورد العاشر: أسماء الله الحُسنى، لو سبرنا بيانات النبى (صلى الله عليه و آله) وبيانات أهل البيت (عليهم السلام) فى معانى أسماء الله الحسنى سنجد أنَّ تلك البيانات مُقامه معتمده على استعمال اللفظ فى أكثر من معنى، وأنه كاشف عن أنَّ تلك الأسماء جامع لمعانى كماليّه متعدده وليسَ معنى واحد، وهذا جانب مهم جداً فإنَّ الأسماء الإلهيه متعقدات ومع ذلك نلاحظ أنَّها مبنيّه على هذهِ القاعده المهمه أى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى.

أهميه القاعده:

تتميز هذهِ القاعده المهمه والخطيره من بين القواعد الغويه والبلاغيه واللفظيه و... الخ بأنَّها مستعمله فى أصل البيان الوحيانى فى أسماء الله وتوحيده وتستعمل فى ذلك باطّراد، فكيف فيما دونه من الاستعمالات الوحيانيه؟

علاقه القاعده: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی بالأسماء الإلهیه اللفظیه

لا یخفی علی أهل البصیره والاختصاص أنَّ أصل هذهِ القاعده المبارکه – استعمال اللفظ فی أکثر من معنی – لها أصل فی البیان الوحیانی فی أسماء الله وتوحیده وهی مطرده هناک فکیف ما دون الاستعمالات الوحیانیه؟ کما مَرَّ.

وکما لا یخفی أنَّ هذهِ الأسماء اللفظیه والبیان اللفظی هی لیست أسماء إلهیه؛ لأنَّ لفظه صوت الله، أو صوت الرحمن، أو هذهِ الأمواج الصوتیه للرحمن أو للرحیم أو... الخ فإنَّ هذه أسماء الله الحسنی، والموج الصوتی دالٌّ وکاشف عن معنی، والمعنی کاشف عن حقائق تکوینیه، وتلک الحقائق التکوینیه هی الأسماء وهی السِّمَه والعلامه، وعندما یُقال: الاسم الأعظم: – لیسَ صوتاً، وإنْ کان هناک صوتاً دالاً علیه.

إذنْ لیسَ الصوت لوحده هو الذی تنشق به الأرض ویُعرَج به إلی السماء وتنفتح به مغالق أبواب الأرض وتفتح به أبواب السماء، وإنَّما الصوت: – دال ونداء لتلک الحقیقه التکوینیه المهوله والعظیمه.

علماً أنَّه فی بحث الأسماء توجد لنفس الأسماء مراتب وطبقات فهناک اسم عظیم واسم أعظم واسم أعظم أعظم أعظم، واسم اعظم عظیم و... الخ وهذهِ المراتب من الأسماء تعنی الحقائق التکوینیه، أیضاً نفس الحقائق هی علی طبقات تتلو بعضها البعض.

ص:۶۵۷

وعليه فهذه الأصوات ليست هى أسماء إلهيه، وإنَّما الأسماء الإلهيه التى ليسَ لها اسم قبل اللغه العربيه أى قبل خلق البشر والدنيا والسموات والأرض فإنَّه ما كانت لها أسماء صوتيه أصلاً قبل خلق الدنيا، وعليه فهل يُعقل أنَّه ليسَ لله الأسماء قبل عالم الخلقه؟ يعنى لمْ يكنْ هو الله؟ كلا- فإنَّ الأسماء الإلهيه قبل خلق الخلائق هى حقائق تكوينيه وآيات كبرى إلهيه مملوكه له تعالى غايه الأمر عندما تقول: -

هنا أسماء لفظيه فإنَّها تستعمل كاشفه عن تلك الأسماء التكوينيه والحقائق الكبرى، وهنا يكمن محل الشاهد من استعمال اللفظ فى أكثر من معنى بأنْ هذا اللفظ وضع للإشاره إلى أكثر من معنى، ويشير إلى أكثر من حقيقه وكثره المعانى تشير إلى كمالات مجتمعه فى حقيقه واحده.

وعليه لو كانت اللغه اللفظيه غير وافيه بالإيصال إلى المعانى والمعانى موصله إلى الحقائق لما استعملها الوحى، ومن المعلوم أنَّ الوحى الإلهى لا يستعمل إلّا الألفاظ التى توصل إلى الطريق لا التى تغويه الطريق، وببيان بيِّن ونورٍ يوصل إلى المعنى المراد.

إذنْ هذهِ اللغه بما لها من طبيعه متنوعه متشكله فهى موصله، وإلّا لو كان تنوعها وتشكلها وتعددها وتكثرها فى الدلاله وفى الأداء إلى المعانى غير سليم لما استعملها الشارع وهو القائل وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ حُكْماً عَرَبِيًّا١ و وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ آياتٍ بَيِّناتٍ وَ أَنَّ اللّهَ يَهْدِى مَنْ يُرِيدُ٢ فهو بالتالى مُبيِّن للطريق وليسَ بمجمل ومبهم، وإذا كان مبين للطريق - لا متشابه ومجمل - هو

طبیعه لهذا اللسان العربی المُبیِّن لقواعد اللغه المُبینه وقواعد اللغه الإنسانیه وأنَّها منفتحه علی تعدد الاستعمال وتعدد المعانی، وسمّاه الباری حکماً عربیاً؛ لأنَّ فیه إحکام واتقان لا انفلات فیه.

إذنْ اللغه العربیه هی اللغه التی یتعامل بها الوحی بین الخالق والمخلوق اَلرَّحْمنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسانَ، عَلَّمَهُ الْبَیانَ فالبیان لغه التخاطب بین الباری والبشر وإذا لم تکن هذهِ اللغه وهذا البیان فیه اتقان وإحکام فلِمَ سُمیت اللغه العربیه عربیه؟ سُمیت لأنَّ فیها إظهار وإعراب وبیان وإفصاح عمّا تقتضیه الفطره وهی ولایه الله ورسوله وأهل بیت الرسول صلوات الله علیهم أجمعین.

والخلاصه: العربی فی الفطره هو المؤمن أی بفطرته یُعرب عما هو إیمان بالله ورسوله وأهل بیت الرسول (صلی الله علیه و آله) فیکون مُعرباً عن مقتضیات الفطره، أی فطره الله التی فطر الله الناسَ علیها جمیعاً لا تبدیل لخلق الله، بخلاف الأعجمی فی الفطره هو الضال ببلاغته.

ومن الواضح اللغه العربیه بطبیعتها لغهٌ منفتحه علی معانی متعدده وهذهِ المعانی المتعدده توصل إلی حقائق متعدده ولذلک استخدمها الباری تعالی لأجل أنَّ فیها بیانٌ وإحکام للقرآن.

ومن خلال هذا کُلَّهُ اتضح أنَّ هذهِ الأسماء الإلهیه هی بنفسها عقائد ومعتقدات وحیانیه، وهی أصول الوحی الإلهی وأصول القرآن، کذلک الحال فی محکمات القرآن وهی أصول القرآن وهی أسماء الله تعالی وتعتبر طبقه من الطبقات العالیّه لمحکمات القرآن.

إذنْ إذا کانت محکمات القرآن مبنیه علی استعمال اللفظ فی أکثر من

معنى فكيف بما دونها من استعمالات القرآن وهى بنفسها معتقدات.

والذى نريد أنْ ننتهى إليه هو: -

إنَّه إذا حاوَرَك محاورٌ أو باحث أو منقب عن اسم إلهى من أسماء الله أو اسم نبوى من الأسماء بأنَّه يدلُّ على عِدَّه معانى، وكل هذهِ المعانى محتمله ومُراده، فحينئذٍ عليك أنْ لا تعترض عليه وتقول المراد هو معنى أحادى فقط، بلْ المراد معنى متكثر على الضوابط ولا يتدافع هذا المعنى مع القواعد الأُخرى.

نعم، يبقى من حقك أنْ تقول لأجل دفع ورفع الالتباس والاشتباه لابدَّ من إبراز قرينه أنَّ المراد فى هذا المقام هذا المعنى، وفى ذاك المقام المعنى الآخر وفى الثالث ثالث وهكذا، ومثل هذا بحث صغروى، وأنَّ المهم هو البحث الكبروى، وهو: - أنَّه لا مانع من استعمال اللفظ فى أكثر من معنى وأنَّه ممكن وواقع بكثره فى كلام العرب والقرآن الذى نزل بلغه العرب، وكل تلك المعانى على القواعد والموازين الصحيحه ولا يلزم من إراده أكثر من معنى تهافت أو تدافع بين معانى الألفاظ.

الطعون الموجهه إلى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى

هناك بعض من طعن بقاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى من جهات:

الطعن الأوَّل أو الجهه الأُولى: بعض الباحثين يخلط فى الطعن على هذهِ القاعده المهمه والخطيره ويطعن على استعمال هذهِ القاعده: - بأنَّه يلزم من ذلك إبهام المعانى وتكون المعانى ظُلاميه والأمر مجملاً عند استعمال اللفظ فى أكثر من معنى.

ويردّه:

أولاً: إنَّ هذا الإشكال إنَّما يرد لو اعتمد المُفَسِّر فى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى على القرائن والضوابط والقواعد النظريه.

أمَّا إذا اعتمد على القواعد المبدهه والمدلل عليها فى العلوم اللغويه أو العلوم الأُخرى فسوف تكون تفاسيره المتعدده طبق قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى وتكون كل تلك النتائج التفسيريه مبدهه ومُبينه.

ثانياً: تقدم فى الشرط الرابع من شرائط الاستفاده من قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى أنَّ استعمال القواعد المبدهه يكون أكثر استثماراً للبيان ولهذه القاعده فيما لواستعملت القواعد النظريه، وهذا ليسَ بمقدور الجميع وإنَّما يحتاج إلى قدره عاليه كقدره المعصوم من النبى (صلى الله عليه و آله) والأئمه (عليهم السلام)؛ لأنَّه من يعلم بهذه القواعد المبدهه يستطيع أنْ يزيل المتشابه

ویجعلوه فی إحکام أی فیه بداهه وإتقان بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ۱ فکله عند المعصوم (علیه السلام) بیِّن لأنَّه یمتلک وعنده القدره فی نطاق البدیهیات یفتح لک أسرار القرآن الکریم، وهی: - من الواضح قدره أُخری: - الأنبیاء والأئمه (علیهم السلام) والوحی والأوصیاء یوصلک إلی المطلوب بأقصر طریق وبطریق آمن وأمان ونیِّر وبیّن وسهل یسیر.

ثالثاً: بعض الباحثین لعله عنده علم بالأسرار ولکن لا یستطیع فتحها فی البدیهیات فهو مضطر إلی أنْ یفتحها بعله ومعلول وصادر أول وبسیط الحقیقه ویستعمل هذهِ الاصطلاحات العقلیه التی کلها هی عباره عن رکام من المشاغبات العلمیه.

وعلیه ما تقدم فی الشرط الرابع فی قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی توجد توصیه أکیده من المعصوم (علیه السلام) للمفسر بخصوص هذهِ القاعده الخطیره والمهمه لأجل أنْ لا یتیه الباحث الکریم ویدخل فی المتاهات المظلمه للأمور النظریه ویقع فی شباک وشراک التفسیر بالرأی والتلاعب فی تفسیر القرآن فإنَّه حسب وصیه المعصوم (علیه السلام) إنَّه یجب علی المُفَسِّر أنْ یعتمد علی القواعد المُبدهه أو القریبه من البدیهیه فی العلوم فحینئذٍ یأمن المُفَسِّر من الزلل والخطأ، ومن الواضح أنَّ المفسرین یختلفون فی قدراتهم فیما بینهم فضلاً عن افتراق قدراتهم مع النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) والعتره الطاهره.

المراتب المعلومه والبحث العلمی

اشاره

إنَّ الفرق بین التخیل العلمی والفرضیه، والنظریه العلمیّه، والحقیقه العلمیّه، یکمل فی تعریف کُلّ واحده منها: -

الفرضیه العلمیه (التخیل العلمی): -

إنَّ التخیل العلمی عباره عن مجرد مقوله ذات احتمال ضئیل جداً لا یُعتنی به فی الوهله الأُولی قدْ یُحکم علیه بأنَّه خُرافه، ومنشأه منفتح علی کُلّ قالٍ وقیل سواء کان حکایه قصصیه، أو أسطوره زمانیه، أو تصور تخیلی شعری أو غیر ذلک.

فإنَّ کُلّ تصور مهما تضاءلت نسبه مطابقته للواقع قدْ یصل البشر یوماً ما فی البحث العلمی إلی کونه حقیقه تنبع منها حقائق أُخری مذهله، فمن ثم أخذ البحث العلمی العصری الحدیث علی عاتقه الاعتناء بکل شارده ووراده مهما شُخِّصت واستُهزأ بها، فإنَّ متابعه البحث العلمی للتصورات الخیالیه رُبما قادت إلی فتح أصعب العُقد فی المباحث العلمیّه، فمثلاً- إطلاق المرکبه الفضائیه إلی الفضاء قدْ کتب طریقتها الهندسیه کاتبٌ قصصی مسرحی فتصورها أنَّها من قبیل دوائر حلزونیه تتسع شیئاً فشیء إلی أنْ تتجه إلی الجهه المُراده، وهذهِ المخیَّله لدی هذا الکاتب القصصی تلقّفها الباحثون فیما بعد کفرضیه ثم بالمتابعه العلمیّه تطورت النظریه العلمیّه، ثم اکتشف البحث العلمی أنَّها حقیقه.

وعلی ضوءها تُطلق المرکبات الفضائیه حالیاً، فمن ثَمَّ أخذ العقل

البشرى الحديث يُثمِّن كُلّ مقوله ومقاله لربما يستخرج منها يوماً كنوزاً من الحقيقه وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم اَلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ١ أى يستمعون جنس القول وكلّ القول، فإنَّ (ال -) فى القول جنسيةٌ.

إلّا أنَّه من الضرورى حين التقييم والاعتناء بكل احتمال ومقال ومتابعه وتحرى مدى صحته لابدَّ بالضروره من التمييز بين الحقائق العلميه والنظريه التى لمْ تبلغ الحقيقه.

وكذلك التمييز بين النظريه العلميه والفرضيه، وبين الفرضيه والخيال العلمى، فكم من نظريه علميه تتلقاها الأذهان أنَّها بمثابه حقيقه علميّه، بلْ ينطوى ذلك حتَّى على أهل الاختصاص والمعنيين بذلك التخصص فضلاً عن غيرهم من أهل النخب.

كما قدْ يقع الالتباس كثيراً بين النظريه العلميه والفرضيه.

فإنَّ النظريه العلميّه هى المقاله والمعلومه التى توفرت لها بعض الشواهد ولم تبلغ بها درجه البرهان.

بخلاف الفرضيه: - فإنَّها مجرد ذات معطيات ضئيله لمْ تبلغ بها درجه المؤشرات والدلائل، كما أنَّه يقع اللبس والالتباس بين الخيال والمخيله العلميّه والفرضيه أو النظريه العلميه والحقيقه.

وهذهِ هى العمايه فى البحث العلمى أو التفكير البشرى، ولكنْ هذا المحذور الإفراطى لا يقودنا إلى التفريط ببقيه الأقسام الثلاثه الأخيره أعنى

الفرضيه والنظريه والحقيقه، كما أنَّه لا إفراط ولا تفريط.

فمثلاً فى علم الفيزياء بحثوا: أنَّ الذرَّه تشتمل على على نيترون والكترون وبروتون، وهناك ضجّه إعلاميّ (صلى الله عليه و آله) وصخب علمى فى علم الفيزياء استنزف الكثير من الجهود إلّا أنَّه لا يخرج ذلك عن أنَّه مجرد فرضيه واحتمال، وإلى اليوم ما استطاع الباحثون إثبات هذا البحث نظرياً، وأنَّه مجرد افتراض، وليسَ له حقيقه علميه، وإنْ كانت محاولات بُذِلت من لَدُن الباحثين على جعل هذهِ الفرضيّه نظريّه، وفى نفس الوقت البعض منهم لا زال يعتبرها مجرد فرضيه واحتمال لا واقع ولا حقيقه علميّه لها، بلْ هناك نظريات معاكسه تماماً، لما كان عليه الباحثون من أنَّ الذرَّه تشتمل على النيترون والبروتون والالكترون، وإنه ليسَ فيها هذهِ وإنَّما تحتوى على شيء آخر.

انظُر أيُّها الباحث الكريم: إنَّ علم الفيزياء من العلوم التجريبيه ومع ذلك يحصل خلط عند نفس الباحثين وأهل الاختصاص فى علم الفيزياء بين الفرضيه والنظريه والحقيقه.

وإلى اليوم لا زال هناك خلط عند بعض الأخوه المثقفين أو الحداثويين بين الفرضيات ويجعلون الفرضيه ويتخذون منها منصّه إشكال على الشريعه ويحاول توجيه الطعن إليها، علماً أنَّ المقنن للشريعه هو الوحى والسماء، ومع ذلك يحاول أمثال هؤلاء الذين لمْ تتضح لديهم الصوره أنْ يشكلوا على الشريعه بأمور فرضيه، واحتماليه فضلاً عن عدم كونها حقيقه أو نظريه، وإنَّما مجرد احتمال وفرض.

تنبيه: علينا أنْ نلتفت إلى وجود اللغط والخداع العلمى الذى ينطلى

على كثير من الباحثين وأهل الاختصاص فضلاًعن غيرهم، فرُبما يُسَوَّق خدُاع علمى أو أكذوبه إلى المجتمع ويحاولون تأطيرها بإطار نظريه أو حقيقه، كما فى مسأله الصعود إلى القمر الذى حصل حوله لغطٌ كثير بين المراكز العلميّه فى الدول الكبرى، وهو لمْ يتجاوز الغلاف الجوى، وهكذا فى مسأله الذرّه وانقسامها و... الخ.

والمهم الذى نريد الوصول إليه هو: - لا يمكن الاعتماد على فرضيه فى تفسير كتاب الله إذا كانت النتائج العلميه هى لا زالت على مستوى الفرضيه أى صرف احتمال، فإنَّ الاعتماد عليها فى تفسير القرآن الكريم يصبح اعتماداً على أمور غير متينه ووثيقه.

نعم، لا- بأس بأداء الفكره كاحتمال، أمَّا اعتمادها كظهور متين بنيوى ويُرتب عليها أمور متلاحقه وبشكل متسلسل وحقائق وهى لا زالت فرضيه وحينئذٍ يكون مثل هكذا اعتماد غير رصين وقويم.

إذنْ استعمال قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من من معنى يعتمد على القرائن والضوابط والقواعد المبدهه والموضَّحه والمتعدده فى علوم اللغه أو علوم أُخرى على صعيد المراد الجدى أو التفهيمى لاسيما فى مقام تفسير الكتاب العزيز وهو مقام خطيرعلى جميع أنواع التفاسير سواء التفسير الموضوعى، أو تفسير القرآن بالقرآن أو التفهيمى أو التجزيئى أو... الخ وخاصه تفسير منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) الذى يتوخى الدقه والتحليل العميق استناداً واعتماداً على ما وَرَدَ عن أئمه الهُدى (عليهم السلام).

أمَّا الاعتماد على القرائن التى هى الآن متزلزله ومتردد الأمر فيها

فمن الصعوبه الاعتماد عليها؛ لأنَّها تؤدى إلى نتائج سلبيه غير طيبه وغير مُرضيه، بلْ حتَّى لو كانت لتلك القرائن المتزلزله درجه النظريه لا الفرضيه.

النظريه العلميه: وهو الاستدلال على الفرضيه ببعض الأدلَّه التى هى الآن ليسَ محكمه ومتقنه ومن الممكن أنْ يقع فيها نقضٌ وإبرامٌ.

وعليه فالاعتماد على مثل هكذا أمرٌ ليسَ محكمٌ ومُتقن وهكذا نتيجه بشكل جزمى وحاسم أيضاً غير صحيح، وإنَّما يمكن الاعتماد عليها فى مستوى إبداء الاحتمال فإنَّ الفرع لا يزيد على الأصل.

فإذا كانت المقدمه التى يُستند إليها هى نظريه فكيف تنتج منها نتيجه تفسيريه متولده منها جزميّه؟ فإنَّه بالتالى حقيقه الأمر النظرى وإنْ كان صوره مُبرهن عليه أو يقين أو... الخ كما حُقِق فى البحوث الأخيره سواء من العلوم المختلفه والفلسفات القديمه أو المناهج العلميه المختلفه، فإنَّ الأمور النظريه مهما استند فيها إلى براهين فتبقى نظريهُ، وإذا كانت نظريه هذا معناه إنَّ احتمال الخطا والصواب فيها متأتٍ.

وأمَّا الحقيقه العلميه وهو تبده الأمور النظريه بشكل حقيقى لا تبده مُزوَّر أو بداهه بشكل مُزوّق فأنَّ مثل هذا خداع فكرى؛ لأنَّه قدْ يكرر ويكرس الكلام أوا لفكرعلى أمر هو ليسَ ببديهى ولا يعتمد على أدلَّه بديهيه فهذا لا يكون حقيقه، نعم الذى يعتمد على أدلَّه بديهيه قريبه فلربما فى بادئ الأمر هذا النظر برهن عليه بأدله نظريه ولكنْ شيئاً فشيئاً اكتشفت له أدلَّه بديهيه فحينئذٍ يصبح مُبدّه وله حقيقه.

المبدّه ليسَ فقط بمعنى الوضوح المبده وإنَّما المقصود منه (المبده) أى

ما يستند إلى مقدمات بديهيه ومن الواضح أنَّه فى كُلّ علم من العلوم سواء العلوم التجريبيه البشريه أو العلوم الدينيه أو العلوم اللغويه أو... الخ فهناك مساحه من المسائل والقواعد أصبحت واضحه بيِّنه مبدهه ومتسالم عليها بلْ ضروريه فحينئذٍ لا بأس بالاعتمال عليها؛ لأنَّها أصبحت متينه بحدود ما هى ضروريه وبديهيه.

وعليه فإنَّ الشرط الرابع لقاعده استعمال فى أكثر من معنى يغلق الباب عن التلاعب فى التفسير.

الطعن الثانى: يلزم من استعمال اللفظ فى أكثر من معنى محذور انفتاح التفسير للآيه الواحد والسوره الواحده على عدَّه تفسيرات متضاربه ومتناقضه ومتواضعه وتخيّليّه.

الجواب: هذا الإشكال نابع من عدم التفطن إلى شرائط إجراء هذهِ القاعده فإنَّه إذا اتقنا شرائط هذهِ القاعده بشكل متين ورصين فإنَّ مثل هذا الإشكال وغيره من المحاذير التى يتخوف منها الكثير مندفعه.

فإذا ادعى أنَّه يلزم من تطبيق قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى يلزم محذور الهلوسه والتلاعب و... فإنَّ مثل هذا مندفعٌ؛ لأنَّه الدلالات فى الاستعمالات المختلفه تستند إلى ضوابط وقرائن وقواعد صحيحه ولو من علوم مختلفه، مضافاً إلى ما ذكرناه فى شرائط تطبيق القاعده المذكوره أنْ لا يكون هناك تناقض داخلى فى الآيه أو السوره ولا تضارب بين الآيه أو السوره والمحكمات.

وأمَّا أنَّ تطبيق القاعده: يلزم منه محذور إيجاد فقه جديد أو عقائد جديده و... الخ.

ص:۶۶۸

فإنَّ مثل هكـذا محاذير تنـدفع باعتبار أنَّه لابـدَّ من عرضـها على المحكمات وعلى الولايه وعلى الأصول الثابته فى العقيده، وعليه بعد هذا كُلَّهُ كيف يلزم منه فقه جديد أو شريعه جديده أو عقائد جديده وهذا ليسَ بصحيح.

الطعن الثالث: إذا طبقتم قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى ربما فى المستقبل يأتى العلم ويُثبت لنا خطأ هذهِ التفسيرات.

الجواب: يتمُّ هذا الطعن فيما إذا اعتُمد على أمور فرضيه أو نظريه فإنَّ مثل هذهِ الامور قابله للخطأ والصواب ويأتى زمان فيكشف العلم عن خطأها إلّا أنَّ دفع هذا الإشكال بالاعتماد على الأمور المبدّهه ولا يمكن ربط مصير القرآن بظنون البشر.

الطعن الرابع:

باستعمال هذهِ القاعده/ استعمال اللفظ فى أكثر من معنى يلزم منها محذور تجميل الدين وتبديعه بالشكل الذى يتناسب ومواكبه العصر فنشاهد أتباع الديانه هم يُجمِّلون ويُحسنون وجه الدين جيلاً بعد جيل وإلّا فدينهم ليسَ فيه قدره مواكبه عصريه، وهذا معناه أنَّ علماء الدين هم الذين يشكلون طينه القرآن والدين حسب أشكال مرغوبه فى كُلّ حقبه ويسوّقونه ويُروّجونه وإلّا فهو بنفسه ليسَ بهذا الجمال البديع.

الجواب: هذا الطعن أو الإشكال مبنى على الغفله والتسامح عن أمر حساس وخطر للغايه مهم جداً فى حقائق الدين وفى حقائق القرآن وهو أنَّ الأمور الضروريه فى الدين أو القرآن وهى المحكمات ونسبتها من القرآن بشكل محكم وقطعى ولا كلام لنا فى ذلك، وإنَّما الكلام فى الأمور النظريه

التى نسبتها إلى القرآن نسبه نظريه استظهاريه... الخ.

استظهاريه واستظهارنا لها من القرآن بشكل نظرى لا بشكل يقينى وعليه فكيف نُحمِّل القرآن مسؤوليه هكذا أمور نظريه، هذا إذا كان فيها عامل تغير وتبدل فهمنا للقرآن تغير لا أنَّ القرآن فى نفسه تبدل وعليه إذا حمَّلنا القرآن مسؤوليه هكذا أمور نظريه التى لا تنتج النتيجه البديهيه القطعيه ولا يُزاد الفرع على الأصل، فإنَّه ياتى المستشكل ويقول أنتم تجملون القرآن وتحسنونه بواسطه استعمال قواعد فنيه وتطبيقها عليه وإلّا لو خلينا نحن ونفس القرآن فإنَّه ليسَ فيه القابليه على أنْ يواكب العلوم العصريه الحديثه العلميه والفنيه و... الخ.

لأجل أنْ نقطع دابر هكذا إشكال وطعن نقول: -

إنَّ التفسير الرصين لسور وآيات القرآن الكريم والذى لا تأتى عليه هكذا طعون وإشكالات مهما أمكن هو أنْ يكون المُفَسِّر فى تفسيره يعتمد على البديهيات والحقائق المبدهه، وأمَّا تفسير المُفَسِّر المفرد إذا اعتمد على النظريات ووصل إلى نتيجه نظريه وكشف العلم فيما بعد خطأها فينبغى الالتفات إلى أنَّ هذا الخطأ ليسَ فى القرآن وإنَّما خطأ المُفَسِّر للقرآن أو للدين بأنْ اعتمد على مقدمات غير بديهيه كالاعتماد على الامور الفرضيه أو النظريه واعتبرها المُفَسِّر حقيقه ورتب عليها آثاراً وأراد أنْ يستخرج من القرآن أو من الدين رؤىً ومواقف وأطروحات عبر هذهِ الآليه الخاطئه.

وعليه فالخطأ صار ليسَ فى حقائق الدين ومتنه وحقائق القرآن ومتنه، وإنَّما حصل الخطأ فى نفس الآليّه فإذا كانت الآله والآليّه مشوشه وعاطله ومعطوبه فالعطب فى الآله فى المرآه التى تعكس لك الصور الفرضيه

والاحتماليه والنظريه تعكسها أنَّها صور حقائق القرآن وحقائق الدين.

يجب أنْ نميز ما هو من القرآن والدين بنحو الضروره والحقائق المبدهه وبين ما ينسب إلى القرآن والدين ولكنْ ليسَ بنسبه قطعيه ضروريه أى بنسبه نظريه.

وعليه يكون ما ينسب إلى القرآن والدين بنحو النظريه أو الفرضيه قابل للخطأ والصواب فحينئذٍ النسبه إلى القرآن قدْ تكون صائبه وقدْ تكون خاطئه وعليه إذا كان هناك خطأ فلا يُنسب الخطأ إلى القرآن والدين وإنَّما كُلَّهُ صواب وحقائق ومطابقه للواقع كيف وهو من رب الأرباب رب العالمين وكيف يحتمل الخطأ والخطأ يحتمل نسبه الجهل لرب العالمين والله منزه عن الخطأ وتعالى الله من ذلك علواً كبيراً ولا يمكن ذلك عقلاً ولا برهاناً ولا وجداناً.

الخطأ فى النسبه، وهذا نظير الخطأ الذى يجىء من قبل الرواه لا من المعصوم (عليه السلام) وعليه لا يُنحمِّل الوحى سلبيات قنوات النقل والعلم النقلى فالآفه فى النقل لا فى الوحى، وعليه الخطأ فى النقل لا علاقه له بالوحى.

إذنْ إذا كان النقل ضرورياً وقطعياً ومُبدَّهاً فإنّه نستكشف منه الوحى، وأمَّا إذا كان النقل ظنياً أو نظرياً ظنياً قدْ يُخْطىء وقدْ يُصيب فى نسبته إلى الوحى، وهذا أمر آخر، فإنَّ الخطأ فى النسبه والنقل لا الوحى.

النتيجه النهائيه:

إنَّ قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى إذا طُبِّقت مع مراعاه الشرائط الأربعه المتقدمه لاسيما الشرط الرابع وهو تبديه القرائن والضوابط

التى يعتمـد عليها المُفَسِّر فى تفسـير القرآن، فإنَّها سـتكون متينه ورصـينه ثابته وغير متزلزله ولا يطرأ عليها التغير والتبدل مع تطور ونضوج العلوم ومواكبه العصر كُلّ هذا لا يؤثرعليها، بلْ تتوسع وتتعمق.

بخلاف ما اعتمد المُفَسِّر فى تفسير القرآن أو الدين على أمر نظريه أو فرضيه، فإنَّ الفرع لا يزيد على الأصل إذا اعتمد الفرع على أمور فرضيه، وأنَّ النتيجه ستكون أكثر إبهاماً فى النظريه وستكون النتيجه أضعف فى فرض الاحتمال من النتيجه النظريه.

ص:۶۷۲

الفصل الثامن

اشاره

ويشتمل على بيان ضوابط منهجيه فى أمور: -

*الأمر الأوَّل: ارتباط القواعد المبحوثه فى الأنظمه الثلاثه بمنهج أمومه ولايه أهل البيت عليهم السلام على المحكمات فضلاً عن المتشابهات.

*الأمر الثانى: امتياز وحده النظام فى منهج أمومه الولايه على المحكمات.

*الأمر الثالث: الدليل على إمكان تكرار استعمال القاعده الواحده فى الأنظمه الثلاثه.

*الأمر الرابع: الدليل على العموم. وفيه ذكر لأدله ثلاثه.

*الأمر الخامس: التسلسل الهرمى لقواعد الأنظمه الثلاث، والحاكم هو النظام الثالث - نظام الحقائق.

*الأمر السادس: علم النبره الصوتيه - النظام الصوتى الإعجازى فى الكلام.

*الامر السابع: إنّه هو إلا ذكرٌ وقرآن مبين.

*الأمر الثامن: خروج الوزن الصوتى للقرآن عن أوزان الشعر.

الأمر التاسع: خطاب القرآن عامٌّ.

الأمر الأول: ارتباط القواعد المبحوثه فی الأنظمه الثلاثه بمنهج أمومه ولایه أهل البیت علیهم السلام علی المحکمات

هناک سؤالٌ ما فتأنا نطرحه علی أنفسنا فی کُلّ قاعده من القواعد التی بحثناها فی النظام الأوَّل: النظام الاستعمالی اللفظی، ما هی علاقه قواعـد هذا النظام الأوَّل بالقواعد التی سـتأتی فی النظامین اللاحقین - إنْ شاء الله تعالی - أی نظام المعانی، ونظام الحقائق فی منهج أمومه الولایه علی المحکمات فضلاً عن المتشابهات؟

الجواب: لعـلَّ من أبرز خصـائص منهـج أمومه الولاـیه والمحکمـات الـتی تمیزه عن بـاقی المناهـج التفسـیریه الأُـخری هو: - أنَّ القاعده التفسـیریه الواحده أو الأصل التفسیری الواحد له القدره علی بیان وجه ارتباط القاعده الواحده بأکثر من نظام، فقدْ تکون القاعده لها معنی وقالب علی مستوی النظام الاستعمالی اللفظی، ومعنی آخر فی نظام عالَم المعانی، وثالث فی نظام الحقائق.

وعلیه فیکون للقاعـده الواحـده طبقه صاعـده أُخری غیر تلـک النـازله هی طبقه النظام الاسـتعمالی اللفظی للقرآن، وتلک الطبقه الصاعِده هی طبقه ترکیب منظومه المعانی، ونفس هذهِ القاعده لها بُعد ثالث فی نظام حقائق القرآن.

ثُمَّ إنَّ کُلّ قاعده اعتمدنا علیها فی قواعد التفسیر للقرآن الکریم -

التى هى أصل منهجه وقولبه تلك القواعد - كانت تختلف من منهج تفسيرى إلى آخر باختلاف المناهج التفسريه.

فمثلاً لو سُئِل صاحب التفسير الموضوعى: - هل يوجد ارتباط بين قواعد منهج التفسير الموضوعى أو لا؟

أجاب: نعم يوجد ارتباط بمقدار وحده الموضوع لا أكثر، فإنْ كانت هناك وحده فى الموضوع بين قاعدتين أو أكثر فيوجد ارتباط بهذا المقدار لا أكثر؛ لأنَّ طبيعه المنهج التفسيرى الذى يختار مُفَسِّر القرآن للتفسير الموضوعى هى هكذا.

وهكذا صاحب تفسير القرآن بالقرآن لو طُرِح عليه السؤال السابق.

أيضاً لأجاب: بأنَّ هذهِ القاعِدَه لو بُيِّنَتْ بمورد قرآنى آخر بنفس عناوينها أو ما يرتبط بها فإنَّه يوجد ارتباط وإلّا فلا، وهكذا فى أصحاب المناهج التفسيريه الأُخرى.

الجواب: إنَّ قوالب وأُطُر قواعد التفسير تُؤَطَّر وتُسْبَك تلقائياً وتُضْفى بظلالها على قواعد المنهج التفسيرى الذى يختاره المُفَسِّر.

وعليه فمنهج أمومه الولايه يلحظ فيه وحده النظام بين موضوعات مختلفه، أى وحده منظومه فيها أعمده ومحاور بحيث ترسم لنا شكلاً بهذا النمط من منهج الأمومه للولايه على المحكمات، ومثل هكذا تفسير يكون له تلقائياً طبقات فالطبقه العُليا هى الحقائق، والطبقات المتوسطه هى المعانى، والطبقات السفليّه هى التنزيل والألفاظ.

مضافاً إلى أنَّ منهج أمومه الولايه على المحكمات لتفسير القرآن الذى

يتميز بوجود وحده نظام فقط أى وحده وترادف وجودى تكوينى، سواء وجد الترادف اللفظى أو العقلى أو لا.

ويكفينا فى منهج أمومه الولايه على المحكمات وحده الترادف الوجودى التكوينى الذى يعنى وحده ونسبه وجوديه ونظام وجودى موحَّد، وإنْ كانت هذهِ الحلقات لها قواعد متباينه فى سطح الظاهر إلّا أنَّ بينها أبواباً ونوافذاً وجسوراً رابطه فيما بينها، فإنَّ اكتشفناها فبها ونعمت، وإلّا فلا زلنا فى أوَّل الطريق، ولذلك دائماً يتكرر علينا تلقائياً.

إنَّ كُلّ قاعده تنقح للقاعده الأُخرى وتوطىء لها وتفسرها، فمثلاً قاعده: «إنَّ القرآن فيه [تبيان لكل شىء]» ترتبط بقاعده إعجاز القرآن، وارتباط هاتين القاعدتين بقاعده أُخرى وهى قاعِدَه: - أنَّ القرآن له سطح وظاهر.

وبالدقه يمكننا أنْ نقول: - إنَّ كُلّ قاعده مستعمله فى تفسير منهج امومه الولايه على المحكمات هى مرتبطه بجميع القواعد بحسب منهج الأمومه والمحكمات فإنَّ محكات القرآن هى المحور والقطب الذى تؤُم الولايه، فتكون الولايه أمٌّ لمحكمات القرآن، كما أنَّ محكمات القرآن أمٌّ لمتشابهات القرآن.

أيضاً الذى يميِّز هذا المنهج المختار وهو منهج أمومه الولايه على المحكمات هو أنَّه لا يُفنِد المناهج التفسيريه الأُخرى بلْ يُقرِّها ويُبين ضرورتها، إلّا أنَّه فى نفس الوقت يُبين محدوديتها وأنَّها ليست هى المهيمنه، وإنَّما المنهج التفسيرى المُهيمن والناظم هو منهج أمومه الولايه على المحكمات - كما مَرَّ - ولعلَّ السرَّ فى عدم تقبل واستعياب باقى المناهج

التفسيريه الأخر لمنهج أمومه المحكمات وأنه يسبب لها الفوضى والتشويش لأنَّ تلك المناهج التفسيريه الأخرى غير منهج الأمومه لمْ تلتفت إلى وحده النظام، ومغايره منهج الأمومه والولايه لبناء منهج وحده الموضوع.

ووحده النظام ومركزيّته فى منهج الأمومه أصعب من وحده الموضوع، ومن وحده المعنى فى باقى المناهج التفسيريه الأُخرى.

ص:٦٧٨

الأمر الثانی: امتیاز وحده النظام فی منهج أمومه الولایه علی المحکمات

أحد أهم العلامات المیزه لوحده النظام فی الوجود هو التأثیر والتأثر، فکلّ طرفٍ یؤثر ویتأثر وتتفاعل الاطراف مع بعضها، وهذا یدلِّل علی صعوبه منهج أمومه الولایه والمحکمات وانه لیسَ بالسهل الغور فیه بمعنی الإحاطه - فضلاً عن العمق والتعمُّق الذی هو الدخول فی التفاصیل وتفاصیل التفاصیل دون الإتکاء علی الأرکان والمحاور والمفاصل الأساسیه وهو (التعمُّق) منهی عنه - فإنَّه من الصعوبه بمکان انفتاح قاعده واحده علی الأنظمه الثلاثه وتتبعها القواعد الأُخری، فالصعوبه تکمن فی اکتشاف هذهِ الوحده بین القواعد فی الانظمه الثلاثه وحینئذٍ یُلْقی بکاهل ثقلها وجهدها علی عاتق المُفَسِّر فإنَّ انتهج المُفَسِّر نظام امومه الولایه والمحکمات فسوف لا یواجه تلک الصعوبه الکبیره إنْ اتبع الضوابط والموازین الصحیحه المتبعه لکل قاعده ونظام - بعون الله تعالی -.

وعلیه منهج أمومه الولایه والمحکمات هو المنهج الوحید الذی یؤمِّن أنَّ للقرآن وحده هویه دون باقی المناهج التفسیریه فإنَّ القرآن الکریم له هویه واحده وهو أنَّه قرآن وإنْ کان له سور وآیات، وهذا یدلُّ علی أنَّ هناک ارتباطاً بین القواعد وأصول التفسیر بین بعضها مع البعض الآخر، وأنَّ لکل أصل وقاعده تفسیریه وجود علی صعید اللفظ وعلی صعید المعنی وعلی صعید الحقائق.

ص:۶۷۹

إنْ قلت: حتَّى أسباب النزول لها مستوى على صعيد الأنظمه الثلاثه:

قلت: نعم فإنَّ قاعده أسباب النزول - كما سيتم بحثها فى موضعها - لها منهج تفسيرى خاص بها على صعيد نظام الاستعمال اللفظى فى القرآن وأنه ما هو سبب نزول هذهِ الآيه وما هو موضوعها الذى نزلت فيه فى الصلاه أو الخمس أو الزكاه أو الصوم أو المعاملات... الخ وعليه يكون سبب النزول قرينه مؤثره فى استظهار الآيه.

وهكذا يمكن تفسير قاعده أسباب النزول على مستوى نظام المعنى وأنَّ هناك روايات بيَّنت أنَّ القرآن يجرى مجرى الشمس والقمر، والليل والنهار، كما وَرَدَ ذلك فى روايه الفُضيل بن يسار، قال: - سألتُ أبا جعفر (عليه السلام) عن هذهِ الروايه: ما فى القرآن آيه إلّا ولها ظَهْرٌ وبطن وما فيه حرف إلّا وله حَدٌّ، ولكلِّ حَدٍّ مُطلَّع، ما يعنى بقوله: لها ظهرٌ وبَطنٌ؟

قال ظَهرُه، وبطنه تأويلُه منه ما مضى، ومنه ما لمْ يكنْ بَعْدُ يجرى كما تجرى الشمس والقمر، كلما جاء منه شىءٌ وقع قال الله تعالى وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ نحن نَعْلَمُه(١) وغيرها.

وعليه فالقالب العام الكلى لمعانى القرآن له تطبيقات نزوليه على كل أُمَّهٍ من الأُمم، وأشارت إلى ذلك بيانات أهل البيت (عليهم السلام)، وأنَّ كل واحد من البشر بهذا المعنى مُسمَّى فى القرآن، فإنَّ القرآن فيه قانون كل زمان، وفيه بيان أحوال وأوضاع الطغاه والمتمردين وغيرهم من فرعون ونمرود كل زمان.

۱- (۱) بصائر الدرجات، ج ۲، ص ۲۲۳؛ بحار الأنوار، ج ۹۲، ص ۹۴، ح ۴۷؛ تفسير العياشى، ج ۱، ص ۸۶، ح ۵.

فإنَّ المسح لظواهر البشر وهويّاتهم فی القرآن الکریم ینطبق فی کل زمان علی کل فرد فرد، وهذا أحد معانی أنَّ القرآن یجری مجری الشمس والقمر واللیل والنهار. ونفس هذا المعنی یمکن تطبیقه علی قاعده أسباب النزول علی مستوی نظام الحقائق وأنَّ القرآن لا ـ زال ینزل کل عام، وتحصیل مثل هکذا مطلب لیسَ بالسهل علی باقی المناهج التفسیریه الأُخری غیر منهج أمومه الولایه علی المحکمات فضلاً عن المتشابهات.

فمثلاً ـ قوله تعالی تَنَزَّلُ الْمَلائِکَهُ وَ الرُّوحُ۱ أی لا ـ زال القرآن فیه تنزل کقوله تعالی: فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ۲ ومعنی یُفرق أی فیها استمرار، أو قوله تعالی یُنَزِّلُ الْمَلائِکَهَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلی مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ۳ أو قوله تعالی: اَلَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولئِکَ یُؤْمِنُونَ بِهِ۴ ولیسَ المراد من التلاوه، التلاوه الصوتیه وإنَّما المراد أنَّ بقدره المعصوم (علیه السلام) أنْ یُنزل کل آیهٍ فی موردها فی کل زمان بتنزیل وحیانی إلهی، فتکون الآیه الآن تنزل، والقرآن فی کل سنه ینزل، وسیأتی مفصلاً فی بحث أسباب النزول إلی أنَّ الآیه الواحده قدْ تنزل عِدَّه مرات فی زمن رسول الله مُحمَّد (صلی الله علیه و آله)، ویبقی التساؤل فی معنی النزول هو أنَّه کیف تنزل نفس الآیه عِدَّه مرات علماً أنَّ ألفاظ الآیه الواحده تنزلت علی رسول الله (صلی الله علیه و آله)، فکیف تنزل نفس الآیه بواسطه جبرائیل من الله علی رسول الله (صلی الله علیه و آله) فی مورد آخر بنفس الآیه، فهذا هو معنی النزول.

ومعنى النزول هو أنْ يأتى بأمر إلهى بهذهِ الآيه بأنْ تُطَبَّق فى هذا المورد هذا فى التنزل الأوَّل، وعليه فما معنى التنزل الثانى؟.

الجواب: نفس معنى التنزّل الأوَّل، والتزم به جمله من الأعلام كالمجلسى (قدس سرّه) من علمائنا وغيره، وبعض علماء العامه، فمثلاً أحد أسباب تسميه سوره الحمد بسوره المثانى - وليسَ المراد من المثانى مثنى مثنى أى مرتين - هو أنَّ المراد من المثانى أى ما ليسَ بواحد أى أنها تنزّلت عِدَّه مرّات بنفس ألفاظها ومعانيها.

وعليه فما هو وجه الحكمه من ذلك؟

تقدَّم أنَّ القرآن فيه تشريعات وفيه سلطه قضائيه، وأنَّ الحاكم الأوَّل هو الله تعالى والذى يُطبِّق هذا التشريع الإلهى بعد الله تعالى هو رسول الله (صلى الله عليه و آله) فيكون التطبيق تاره إلهى وأُخرى بشرى.

ومن خلال الآيات القرآنيه المتقدمه فإنَّها دَلَّت على الاستمرار بالنزول الذى هو أحد معانى النظام الثالث وهو معانى الحقائق لقاعده أسباب النزول.

وعليه فإنَّ أسباب النزول معناها وجود حاكميه أولى وهى لله تعالى فى دوله الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمه (عليهم السلام) فإنَّ حاكميه الله تعالى هى فى كل زمان ومكان إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ١ وحكم رسول الله (صلى الله عليه و آله) كحم الله تعالى ولكنه (صلى الله عليه و آله) يحكم بعنوان خليفه الله تعالى فى أرضه، وهذا هو معنى التنزيل.

إذنْ الله تعالى يُطبِّق الآيات أى يُنزلها، والحاكم الثانى بعد الله تعالى هو رسول الله (صلى الله عليه و آله)، ثمَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم باقى الأئمه (عليهم السلام) - وحينئذٍ يكون التنزيل له جانب فى نظام المعانى وكذلك فى نظام الحقائق وسيأتى الكلام حوله مفصلاً فى محله إنْ شاء الله تعالى.

الخلاصه: إنَّ انفتاح القاعده الواحده على الأنظمه الثلاث والقواعد الأُخرى تتبعه صعب وليسَ بالسهل؛ لأنَّه يصبح موضوعاً شائكاً متداخلاً يحتاج إلى بذل مزيد الوقت والجهد فى بيان خيوط الارتباط وكيفيتها.

ص:۶۸۳

الأمر الثالث: الدليل على إمكان تكرار استعمال القاعده الواحده فى الانظمه الثلاثه

تقـدَّم أنَّ مِن أهم مميزات وخصائص وتـداعيات تأثير منهـج أمومه الولايه والمحكمات على باقى المناهج التفسـيريه الأُخرى هو أنَّ منهـج الأـمومه والولاـيه فيه ثلاثه أنظمه؛ النظام الاسـتعمالى اللفظى، والنظام المعنوى، والنظام الحقائقى، وبيان ارتباط القواعد فيما بينها، أمَّا أنَّ المُفَسِّر استطاع أنْ يكتشف أو لا فذاك بحث آخر ترجع إلى رصيد معلومات وتراكم خبراته العلميه.

وعليه فما دام توجـد هناك وحـده مشتركه بين الأنظمه فى كل قاعده قاعده فإنَّ الكل سوف يَؤُم وإلى مركز واحد وإنْ لم تكن تلـك الوحـده وحـده موضوع ولاـ وحـده معنى، ولاـ يلزم من تطبيق القاعـده الواحـده فى الأـنظمه الثلاـثه أى تهافت وتنافى فى المعنى.

الأمر الرابع: الدليل على العموم

الدليل الأوَّل: أمَّا بالنسبه إلى النظام الأوَّل: - وهو الاستعمال اللفظى فهو عربى مبينٌ فغير مختص بتطبيق قاعده.

الدليل الثانى: نظام المعانى فإنَّه ليسَ له اختصاص بالعربى وإنَّما يشمل

غیر العربی، بلْ له نظام إنسانی مشترک بلْ لیسَ منحصراً بلون إنسانی ولغه إنسانیه خاصه، ونظام عالم المعانی لیسَ مقتصراً علی عالم الإنسان وإنَّما یشمل عوالم أُخری کعالم الجن وعالم الملائکه وعوالم الحیوان کما فی الهدهد والنمله... الخ، فإنَّها تدرک بعض المعانی من مخلوقات عالم الأرواح.

وهکذا النظام الثالث حقائق القرآن فهو کعالم المعانی عام لکل المخلوقات.

الدلیل الثالث: عموم الخطاب القرآنی لغیر الثقلین، وإنْ کان هناک بعض المفسرین لعله اشتبه علیه الأمر وتوهم أنَّ الخطابُ القرآنی مختص ببعض الخلائق، والحال أنَّ الخطابات القرآنیه تعمُّ جمیع الخلائق.

نعم، الخطاب باللغه العربیه یختصّ بالإنس والجن والملائکه، أمَّا الخطاب بالمعانی أو الحقائق فهذهِ درجه من درجات الخطاب القرآنی فهی لیست مختصه بالثقلین، وأنَّ الدین یعم کافه أنحاء المخلوقات.

هذا مضافاً إلی أنَّ الدین لیسَ خاصاً بنشأه دار الدنیا أو خاصٌّ بنشأه البرزخ أو نشأه الآخره، وإنَّما الدین یعم کل النشآت ویمثِّل العلاقه الخالده بین الخالق والمخلوق سوءا کانت العلاقه تکوینیه أم لا.

لا کما توهّمه العلمانیون مِن أنَّ الدین الذی بَرزَ به النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) مُختَصٌّ بقرون معینه فی الأرض.

وعلیه فالدین غیر الشریعه فإنَّ الدین کأرکان وعقائد عامٌّ لکل النشآت ولا یختص بنشاه دون أُخری، کما وأنَّه لیسَ مختصاً بالثقلین وإنَّما یشمل کل عوالم الخِلْقه وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ۱ و إِنَّ

اَلدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلامُ۱ و وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ۲ و إِنْ کُلَّ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ آتِی الرَّحْمنِ عَبْداً۳.

والله تعالی مالِک یوم الدین وعلیه مداینه کل الخلائق کما أشار إلی ذلک أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی بعض خطبه

«إنَّ حکم الله لأهل الأرض والسماء لواحدٌ».

وعلیه فحکم الله تعالی واحدٌ فی الدنیا والبرزخ والآخره هی بلحاظ الدین واحد، وحیث إنَّ الغالب فی القرآن الکریم هو الدین والقلیل فیه بالقیاس إلی الشریعه فإنَّ الشریعه خاصه بالثقلین لِکُلٍّ جَعَلْنا مِنْکُمْ شِرْعَهً وَ مِنْهاجاً۴.

والخلاصه إنَّ القرآن فیه ثلاثه أنواع من الخطابات:

۱ - خطاب لفظی استعمالی.

۲ - خطاب معانی.

۳ - خطاب حقائق.

الأمر الخامس: التسلسل الهرمی لقواعد الأنظمه الثلاث – والحاکم هو النظام الثالث – نظام الحقائق

بعد بحث قدْ طال به المقام فی القواعد التفسیریه – وصلنا بحمد الله تعالی إلی هذهِ النتیجه المهمه والخطیره وبشکل برهانی وهی:

إنَّ قواعد نظام حقائق القرآن الکریم – وهی النظام الثالث حسب تسلسله بعد أخویه – هو أعلی مرتبه فی الإحکام، ومن الواضح أنَّ المحکم فی رتبه قواعد معانی القرآن، وقواعد معانی القرآن الکریم أشد إحکاماً من المحکم رتبه فی قواعد ألفاظ القرآن أی قواعد الاستعمال اللفظی للقرآن لوجوهٍ عِدَّه:

الوجه الأوَّل: قاعده تحکیم المحکم علی المتشابه.

الوجه الثانی: قاعده تحکیم الأشد إحکاماً علی المحکم.

الوجه الثالث: قاعده تقدیم ذو القرینه الأقوی علی الأضعف، وغیرها.

وقد تمیّزت مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) عن بقیه المدارس الأُخری باختصاصها بقواعد نظام وجود الحقائق فی القرآن الکریم وهذهِ القواعد فتح أهل البیت (علیهم السلام) بابها وأنها محاور وأصول القواعد، ولکن بقیّه المدارس الاخری مُغیَّبٌ عنها مجموعه قواعد النظام الثالث – حقائق القرآن –

وتقتصر تلك المناهج التفسيريه الأخرى [غير مدرسه أهل البيت ومنهجنا التفسيرى المختار أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات] على مجموعه قواعد التفسير فى النظام الأوَّل وهو الاستعمالى اللفظى، أو نضم إلى النظام الأوَّل فى أحسن الأحوال وأقصاها النظام الثانى مجموعه قواعد التفسير المعانى وأمَّا بلحاظ مجموعه قواعد بالنسبه للنظام الثالث - أى نظام الحقائق فى القرآن - فقد غيّبته المناهج التفسيريه الأُخرى لدى مفسرى العامه وغيرهم وحرموا أنفسهم من النهل من ذلك المعين الوحيانى الإلهى الذى لا يأتيه الباطل وهو نظام حقائق القرآن الذى هو من مختصات مدرسه أهل البيت (عليهم السلام)، ومنهجنا التفسيرى أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات، وهذهِ الميزه تؤشر إلى ملحمه تفسيريه مهمه جداً واختلاف منهجى عميق فى منهج التفسير الذى يوصى به أهل البيت (عليهم السلام) مع المدارس والمناهج التفسيريه الأُخرى.

ومنهجنا المختار كما بيّنا سابقاً - أمومه الولايه فى تفسير المحكمات - هو الذى بيَّنه الإمام الصادق (عليه السلام)

«إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن»(١) والمراد من الولايه ليست فقط بيان قواعد معنويه ولغويه فقط، وإنَّما الولايه يراد بها بالأصل هى الحقيقه والكيان التكوينى.

وهذا الحديث المبارك نداء صارخ بأنَّ المركزيه فى تفسير المحكمات فضلاً عن المتشابهات لا يتمُّ إلّا بالولايه أى بحقائق تكوينيه ويرسم لنا العلاقه والنسبه بين المجموعات الثلاث من قواعد تفسير القرآن كالتالى:

المجموعه الأولى: قواعد النظام الاستعمالى اللفظى وهى بمثابه

١- (١) تفسير العياشى ج ١، ص ٧٨ ح ٨.

المراتب النازله من النزول الثانی للقرآن.

المجموعه الثانیه: قواعد نظام المعانی - وهی بمثابه الدَرَجه الصاعده من النزول الثانی.

المجموعه الثالثه: قواعد حقائق القرآن وهی بمثابه النزول الأوَّل، وهو ذو درجات، وعلیه فرسم هکذا خریطه فی تفسیر القرآن مهمه جداً.

تنبیه مهم: المدار فی التفسیر علی نظام المجموعه الثالثه ثم المجموعه الثانیه ثم الأولی لا العکس. وهذهِ قواعد بنیویه فی صناعه منهج التفسیر - لا ترف فکری، والسبب فی اختیار المجموعه الثالثه هی المهیمنه هو: -

أولیس المفسرون یُحکِّمون المحکم علی المتشابه؟ الجواب: بالإیجاب.

أولیس المفسرون یُذعنون بأنَّ الأشد إحکاماً یُحکَّم علی المحکم؟ الجواب: نعم.

وهذهِ قواعد فی الاستظهار والتفسیر هی قطب ومرکز القرآن الذی تدور حوله بقیّه المحکمات فضلاً عن المتشابهات.

وعلیه فإنَّ قواعد المجموعه الثالثه والنظام الثالث - نظام الحقائق - أشدُّ قریبّةً وهیمنیّه علی قواعد النظام الثانی - نظام المعانی، ونظام المعانی بدوره أشد هیمنه علی قواعد النظام الأوَّل الاستعمال اللفظی.

وهذهِ نتیجه صناعیه معادلیه مهمه جداً فی المنهجه التفسیریه.

قدْ یقول قائل: إنَّ النظام الأوَّل - الاستعمال اللفظی - هو المُحکَّم أولاً وآخراً وهو الجسر الموصل لنظام الحقائق - النظام الثالث - وهذا طریق الوصول إلی الحقائق لغیر المعصوم (علیه السلام)، وعلیه فکیف عکستم وقلتم

الحقائق هی المدار والمُحَكّم؟

وهذا الاعتراض نظیر ما بُحِث فی علم البلاغه وعلم الأصول من أنَّه هل الدلاله التفهیمیه هی المحكّمه علی الدلاله الاستعمالیه أو العكس أو التفهیمیه هی المحكمه علی الدلاله الجدیه أو العكس و... الخ.

والصحیح كما بَیَّنا فی محَلِّه: - إنَّ الطریق إلی الدلاله الجدیّه یكون عبر الدلاله التفهیمیه والاستعمالیه، أی: - استعمالیه ثم تفهیمیه ثم جدیه لا العكس هذا فی مرحله الإثبات وهو طریق إنی، وفی كل واحد منها طبقات، كذلك هنا یقال: -

إنَّ قواعد الاستعمال اللفظی بمثابه الدلاله الاستعمالیه، وقواعد نظام المعانی للقرآن بمثابه الدلاله التفهیمیه أو الجدیّه النازله، وقواعد نظام حقائق القرآن بمزله الدلاله الجدیّه النهائیه.

خلاصه الاعتراض: قدْ یُقرَّر أنَّ العكس هو الصحیح أی أنَّ قواعد النظام الاستعمالی هی التی تُحكَّم علی المعانی، والمعانی تُحكَّم علی قواعد نظام الحقائق.

أُجیب عن هذا الاعتراض: فی علمی البلاغه وأصول الفقه بأجوبه عِدَّه مفادها هناك فرقٌ بین جهتی المتكلم فی مقام الثبوت ومقام الإثبات، فإنَّه فی مقام الإثبات، فإنَّ المتكلم یبتدأ بالدلاله الاستعمالیه، ثم الدلاله التفهیمیه، ثم الجدّیّه أی الألفاظ ثم المعانی ثم الحقائق.

وأمَّا فی مقام الثبوت: فإنَّ المتكلم لأجل أنْ یوصل ما فی ذهنه وما لدیه من واقعیه إلی الطرف الآخر فتتشكل عنده معانی عن تلك الواقعیه،

فإنَّ المعانى فى مثل هذهِ الحاله تدفع نحو الألفاظ، وعليه يكون الابتداء فى مقام الثبوت بالحقائق ثم الواقعيات ثم معانى صور منعكسه للمعانى ثم الألفاظ.

وفيه: إنَّ هذا الجواب صحيح وسديد إلّا أنَّه ليسَ هو كل الحقيقه، فإنَّه فى الجهه الإثباتيه قطعاً لا طريق لنا إلى المعانى إلّا بالألفاظ أى ببركه قواعد النظام الاستعمالى اللفظى نصل إلى نظام المعانى، كما أنَّه لا وصول لقواعد حقائق القرآن إلّا بالمعانى، فإنَّ مثل هذا فى عالم الإثبات فقط، وليسَ الأمر كذلك فى عالم الثبوت وإنَّما بالعكس.

وعليه فالثمره فى اختلاف قوس الثبوت عن قوس الإثبات فى حدود سيطره وهيمنه الدليل الإثباتى فقط لا الثبوتى، ويظهر الفرق فيما لو كانت لدينا ثوابت فى المراد الجدى.

وذكرنا سابقاً أنَّ هناك قرائن لفظيه ثم استعماليه ثم تفهيميه ثم جدّيه، والقرائن الاستعماليه إنَّما يُعَوَّل عليها فيما إذا لم يكن فى البين قرائن خاصّه – أى قرينه تفهيميه – لأنَّ القرينه التفهيميه مقدمه على الاستعماليه فى تحديد المراد التفهيمى؛ لأنَّ المعنى التفهيمى مستخلَص من الدلاله الاستعماليه فيها إذا لم يكن فى البين قرينه تفهيميه وانحصر الطريق بالاستعمال، فالقرينه التفهيميه مقدمه على الاستعماليه كالأصل العملى لإحراز التفهيميه، حيث لا دليل خاص ولا أصل.

أمَّا إذا كانت هناك قرينه تفهيميه خاصه فإنَّها مُقدَّمه.

كذلك الكلام فى القرائن الجدّيه إنَّما يُعَوَّل فى استكشاف المراد الجدى على الدلاله والقرائن التفهيميه إذا لم يكن هناك قرينه على الجد، وإلّا لو

كانت هناك قرينه خاصه على الجد فهى مُقدَّمه.

ومن هـذا يتضـح أنَّ الـدلاله التفهيميه مقـدمةٌ وهى بمثابه الـدلاله العامه على العموم وكـذا التفهيم يوصل إلى الجد، والأصل فى التفهيم أنَّه كاشف عن الجد.

وكـذلك الكلام إذا وجـدت قرينه على الـدلاله الجـديّه فإنَّها مقـدمه على التفهيميه، وقدْ ميَّزوا علم البلاغه وعلم الأصول: - بين طبقات القرائن: -

فإنَّ هناك طبقه من القرائن اسـتعماليه، وطبقه تفهيميه، وطبقه جديّه؛ لأنَّ القرينه الاسـتعماليه قدْ تكون قرينه على اسـتعمال اللفظ فى غير ما وضع له، وعليه فتكون قرينه المجاز - أى الـدلاله الاسـتعماليه - مقدمه على الوضع اللغوى أى الدلاله التصوريه مع أنَّ الوضع اللغوى فى الأصل يُعتمـد عليه فى اسـتكشاف الدلاله الاسـتعماليه لتقدم الدلاله الوضـعيه التصوريه لكن فيما انتفت القرينه الاستعماليه.

إذنْ - إلى هنا صار عندنا أربع دلالات: -

١ - دلاله تصوريه وضعيه.

٢ - دلاله استعماليه.

٣ - دلاله تفهيميه.

٤ - دلاله جديّه.

فيكون إثبات الدلاله القويّه ينحصر عن طريق الدلاله الضعيفه حيث لا شاهد على القوى.

أمَّا إذا عُلِمَ قرينه القوى كقرينه الجد أو قرينه التفهيم أو الاستعمال عُلِمَ القوى ثبوتاً بقرينه خاصه فإنَّه حينئذٍ لا يعوَّل على قواعد الاستعمال حتّى فى الإثبات.

وعوده إلى صلب الموضوع الذى كنَّا فيه: - المفروض أنَّه حتّى فى نظام الحقائق الذى هو المهيمن على أخويه من النظام اللفظى والمعانى، هناك جمله من المسلمات معلومه إلّا أننا نستعلمها من آيتين أو ثلاث، أو من لفظٍ أو أكثر كما فى مثل حقيقه ليله القدر عُلِمت وأنها حقيقه متجليّه فى القرآن.

وعليه أصل ليله القدر بهذا التظافر ليسَ استعلامها بالدلاله الاستعماليّه ولا الدلاله المعنويه، وإنَّما ليله القدر باتت حقيقةً عند المسلمين بأنَّه لو رُفِعت ليلهُ القدر لَرُفِع القرآن فهذا مثالٌ من أمثله النظام الثالث - قواعد نظام الحقائق - والمفروض أنَّ القواعد فى نظام الحقائق مُبَدَّههٌ ومُحَكَّمه وكلامنا فى الحقائق التى هى مُحْكمٌ.

خلاصه الجواب المتقدم: - إنَّ نظام الحقائق هو المقدم على أخويه - اللفظى والمعنوى - ثبوتاً وإثباتاً فى القرائن التى هى فى رتبته.

ص:۶۹۵

الأمر السادس: علم النبره الصوتى «النظام الصوتى الإعجازى فى الكلام»

وهذا النظام يختلف عن النظام اللغوى، وأنَّ نفس الأصوات لها نظام خاص وهو أيضاً على أقسام: -

منه ما يرتبط بعلم الهندسه الصوتيه.

منه ما يرتبط بعلم الهندسه الموسيقيه.

منه ما يرتبط بعلم الهندسه والنغمات.

ومن الواضح أنَّ علم النظام الصوتى هو علمٌ مستقلٌّ برأسه؛ ولذا كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) عندما يقرأ القرآن ينجذب إليه كل مخلوق حواليه يصل الصوت إليه، أو يضطر المشركون إلى سماعه وكانوا يتواعدون بالعَلَن على عدم الإصغاء لتلاوه النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) فى مكّه أيّام الإسلام الأولى، إلّا أنَّهم سرعان ما ينكثون عهدهم على بعضهم البعض بمجرد أنَّ يسمعوا تلاوه النبى (صلى الله عليه و آله) للقرآن فيذهبون كلُّهم ويتسمعون إلى قراءه القرآن بالنظم الصوتى الخاص الذى يُلقيه النبى (صلى الله عليه و آله) بغض النظر عن عظمه القرآن.

والقرآن له أبعاد عديده أحدها: أنَّه للقرآن نبره صوتيه خاصّه ولحن خاص بآيات الذكر الحكيم، ولها أوزان خاصّه اكتشفها المتخصصون بهذا المجال وأنَّ فيها أسراراً خاصّه وفوائد جمّةً.

ویـذکر المتخصـصون فی علم الصوت والأوتار أنَّ للنبره الصوتیه واللحن الخاص بآیات الذکر الحکیم معالجه ومداواه لکثیر من الأمراض الروحیّه للمصابین بها، بلْ حتّی الأمراض البدنیه یتمُّ معالجتها بذلک بجداره.

فی حین أنَّ الشارع الأقدس حَرَّم أموراً منها: - الاستماع للموسیقی لِما فی التحریم من أسرار عجیبه.

وعلیه فمن یستطیع أنْ یـدعی أنَّه یحیـط بالظـاهر للقرآن الکریم الـذی هو بین الـدفتین، فضـلاً عن بطون القرآن، ولاـ یتخیل أنَّ التعبیر بالـدفتین کنایه عن الحصـر، وإنَّما هذهِ البینیه مخزن لم یفتح إلی الآن، وکلما یُغترف منه لا زال فیه درٌ وجواهر لا تنتهی، هذا هو التنزیل.

وهکذا روی أنَّ الإمام الحسن (علیه السـلام) کان عندما یقرأ القرآن ینقطع الطریق نتیجه جلوس کل مَن یَمُرُّ بباب الإمام الحسـن (علیه السلام) للاستماع إلی ذلک الصوت وتلک القراءه الحزینه لما لها تأثیرها علی الروح والنفس.

وهکـذا الإمـام زین العابـدین علی بن الحسـین (علیهما السـلام) وعمتُه العقیله زینب بنت علی (علیها السـلام) عنـدما قرات تلک الآیـات القرآنیه الشـریفه فی خطابهـا التـأریخی وبیانهـا ذو النبره الصوتیه الخـاصّه فی مسـجد الکوفه والشام إذْ هَـدَأت الأصوات لتصغی للاستماع إلیها کأنّما تَفْرُغ عن لسان أبیها أمیر المؤمنین (علیه السلام) ذو النظم الصوتی الخاص.

الأمر السابع: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِی لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِکرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِین

الأمر السابع: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِی لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِنْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِين(۱)

التعريف الأوَّل للقرآن إنَّه ذكر وقرآنٌ مبينٌ، لم يبحث وللأسف إلى الآن الفرق بين الذكر وبين نظام الذكر فى الألفاظ لا من قبل علماء البلاغه ولا الأدباء ولا المنطق ولا الفلسفه ولا التجويد، فإنَّ علماء التجويد مثلاً لم يبحثوا عن قواعد علم التجويد فى ألفاظ القرآن الكريم من التركيز على مهاره التلاوه والترتيل الذى يُفيد الذكر وإنَّما يصبون اهتمامهم على تنميق وتنويق ألفاظ القرآن الكريم وإنْ كان هذا هو نعم التحريض إلّا أنَّه ليسَ هو الغايه العليا المتوخاه فى المقام، وإنَّما الغايه العُليا المنشوده هو أنْ يكون تجويد القرآن أو ترتيله يُحْدِث ذكراً فى قلب المستمع فمثلاً كانت تلاوه النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) تمغنط عُتات قريش الذين كانوا يتواعدون ويتحالفون على أنْ لا يصغوا إلى قراءه النبى (صلى الله عليه و آله) إلّا أنَّهم - كما مَرَّ - سرعان ما ينكثون وعودهم وعهودهم فيأتون خُفيه وفُرادى ويصغون إلى قراءته؛ لأنَّ فيها جاذبيه خاصه ولم يحدثنا تاريخ الإسلام أنَّ أبا سفيان أو أبا جهل أو الوليد بن المغيره أو عتبه أو شيبه أو غيرهم من عتات قريش أنَّهم أتوا وأصغوا لمسلم من المسلمين يقرأ القرآن فى مكه ما عدا سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) كانوا يأتون ويصغون إليه فى مكه.

وهكذا الخوارج كانوا يأتون ويصغون إلى قراءه على بن أبى طالب (عليه السلام) للقرآن فى الصلاه رغم عداوتهم اللدوده إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام).

۱- (۱) سوره يس: الآيه ۶۹.

وهكـذا هناك قصـص كثيره مـذكوره فى محلها تدلّ على كيفيه جذب قراءه المعصوم لأعتى أعداء المعصوم (عليه السـلام) فى تلك القراءه فى التجويد الذكرى للنبره الصوتيه بهندسه خاصه للصوت تجذب وتوجد ذكر لا أنها توجد رنين عابر، وهذا الذكر حتّى على صعيد الهندسه الصوتيه الذى هو التجويد له قواعد خاصه أيضاً إلّا أنَّه لم ينتبه إليها البشر.

والنتيجه التى ننشـدها: - أنَّه بنـاءً على مـا وَرَدَ فى كلمـات أمير المؤمنين على بن أبى طـالب (عليه السـلام) وبـاقى الأـئمه (عليهم السـلام) من التأكيـد على مبحث التعريض وله قواعـد وموازين من علوم شتى وما أُبـدى من بحوث بالنسـبه لمبحث التعريض من قبـل علمـاء البلاغه والنحو والصـرف والأدب والمنطق والأصول والتفسـير و... الـخ فهو قليلٌ جـداً، وعلينا أنْ نولى اهتماماً خاصّـاً بمبحث عالم التعريض وترامى الدلالات ويجب أنْ نشـيّد أركانه، ومن الخطأ أنْ يدعى مُفَسِّر أو أى باحث فى أى علم من العلوم الـدينيه فى الفقه وغيره بـأنْ يحبس نفسه على قـدر مـا قُرِّرَ من قواعـد فى ذلـك العلم أو مـا توصِل إليه؛ لأنَّ اسـتكشاف دلالات القرآن لابدَّ أنْ يكون منضـبط طبق موازين وقواعد، وهو متواصل ومتلاحق إلى يومنا هذا فإنَّ العلماء يكتشفون شيئاً فشيئاً بشكل متعاقب ومتسـلسل ومنتظم ولا يعنى هـذا أنَّ ذلك هو كل عالم الدلاله الخفيّه كلا وإنَّما هو جزء من تلك الحقيقه ولا زال طريق البحث والتأمـل والاكتشـاف مفتوح أمامنا ونواصل المسـيره فى هـذا الجانب وفق قواعـد الانضـباط وتفعيل القواعـد إلّا أنَّه ينبغى الالتفات إلى أنَّه يجب أنْ نفرِّق بين أمرين: - بين أنْ نكون حبيسـين دائره محدوده من تلك القواعد وبين أنْ نفتح الباب لتحرى قواعد أكثر وأوسع.

الأمر الثامن: خروج الوزن الصوتى للقرآن عن أوزان الشعر

نشير إجمالاً لما يرتبط بهذا المقام - وسيأتى تحقيقه فى محله إنْ شاء الله تعالى - وهو أنَّ القرآن ليسَ بشعر المستفاد من قوله تعالى: وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ ١ فإنَّ القرآن ليسَ بشعر ولا خيال ولا خطابه ولا مغالطه ولا استعاره ولا باقى الأقسام اللغويه، وإنَّما القرآن ذكرٌ وسيأتى تحقيق معنى الذكر وإلى الآن هناك قواعد فى أسلوب القرآن لم تكتشف من قبل علماء النحو والبلاغه والصرف والأدب و... الخ علماً أنَّ تلك القواعد موجوده بالفعل ولكنَّها غير مكتشفه وهذا هو سر الإعجاز فى القرآن، وسيأتى كل ذلك مفصلاً إنْ شاء الله تعالى فى مبحث الإعجاز اللغوى فى القرآن، ومعنى الإعجاز هو أنَّ القرآن فيه قواعد قاهره مُعْجزه ومَعَجّزه للبشر عن أنْ يتفطنوا إليها، يعجزوا عن نيل هداه وقواعده الوقوف والإحاطه عن الوصول لمثل هذهِ القواعد، وعلى هذا التفسير للإعجاز يأتى تساؤل أو إشكال أو ليسَ المعجزه التكوينيه خارجه عن قوانين تكوين خلقه الله وإنَّما هى على وفق قاعده العله والمعلوم والأسباب والمسببات إلّا أنَّ البشر يعجز عن التفطن لسبيل وقناه المعجزه، فمثلاً كيف يَحْمِل الجَبل بناقه وتخرج الناقه من الجبل التى هى معجزه قوم صالح، وهكذا معجزه موسى (عليه السلام) انقلاب العصا حيَّه تسعى

فكيف تنقلب العصا التى هى حطب إلى حيوان فهى لا زالت مُعْجزه عجز البشر عنها وإنْ كانت هى قوانين تكوينيه موجوده ولكن لم يقف ولم يلتفت البشر إلى هذهِ الحقيقه وهذهِ المعاجز الحقيقيه وعلى هذا صار معنى الإعجاز اللغوى فى القرآن هو عباره عن قواعد فيها أداءٌ لغوى جبّار ولكن لا يلتفت ولا يفطن إليها البشر بشكل وآخر إذْ لو اكتشفوها واستخدموها لأتوا بمثله آيه أو سوره، ومن الواضح أنَّ القرآن فيه إعجازات كثيره وغفيره على مستوى عالم النظام الاستعمالى اللفظى واللغوى والبلاغى ونظام المعانى ونظام عالم الحقائق.

إذنْ المعجزه اللغويه فى القرآن إلى الآن غير مكتشفه معانيها وأسرارها وغير منكشف القواعد التى تتحكم فى النظام الصوتى وأى قواعد تتحكم فى نظام الدلاله الاستعماليه وأى قواعد تتحكم فى نظام الدلاله التفهيميه، وقواعد الدلاله الجديه و... الخ.

وكذا غير مكتشف لحد الآن أى لم تضبط ضمن ضابطه معينه القواعد التى استعملها القرآن الكريم فى بيانه وأى قواعد بديعيه جماليّه مرصعه فى ألفاظ القرآن، وأى أوزان تفعيلات القرآن الكريم؟ فلاحظ سوره القرآن الكريم وآياته لها نغمات صوتيه خاصه وجوٍّ بيانى خاص.

ولا يفهم من كلامنا حول المعجز اللغوى فى القرآن أنَّه بلا قواعد وبلا موازين كلا، وإنَّما هى لغه موجوده لكن يعجز البشر عن اكتشافها وهناك مراكز دراسات ضخمه تحاول اكتشاف الأنظمه التى تتحكم فى بيان القرآن إلّا أنها ما وفقت لذلك؛ لانها شفره من شفرات معينه فى النظام الصوتى لألفاظ القرآن وبياناته وكيفيه أداء تلك الألفاظ، وهذهِ ملحمه

بیانیه یختص بها القرآن لم یعطها الله تعالی إلّا لمن هم عِدْل القرآن أی النبی (صلی الله علیه و آله) وعترته أهل بیته (علیهم السلام) فهم یعلمون ذلک وقد علّمهم الله بتلک المعجزات اللغویه وغیرها فی القرآن وکیفیه انقلاب العصا من الشجره إلی حیّه تسعی أو کیف خرجت الناقه من الجبل.

أمّا بالنسبه إلی غیر المعصومین وأنبیاء الله تعالی ورسله فکما یمیزون المعجزه التکوینیه عن غیرها بالجمله وإجمالاً ـ کذلک یمکن تمیز آثار الآیات التی فیها إعجاز قرآنی وأنّها حتماً موجوده ولها معادلات وقواعد کذلک ما نحن فیه نلمس إجمالاً أنَّ القرآن الکریم فیه دلالات وبیانات یفهمها الکل حتّی الطبقات النازله تتأثر بها وتحس أنها تتأثر بها بلْ حتّی المدارس والمعاهد الغربیّه – التی تفطن وتَلُمَّ بجمله قواعد اللغه العربیه – من العربیه شیء – أثبتوا کیفیه تأثیر صوت القرآن علی الجنین فی بطن أمه وبسبب نوع من التأثیرات فی عالم الروح وعالم خَلْق الإنسان کل ذلک ضمن قواعد موجوده غیر مکتشفه وعلیه فلا یمکن لمُفَسِّر أنْ یدعی أنی محیط بکل دلالات القرآن إذْ لو استطاع لأتی بمثلها، وإنَّما القرآن کله بیان فقط للذین أوتوا العلم ولأصحاب آیه التطهیر والذین یمسون القرآن الذی وصفهم لا یَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ۱ و بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ۲ و وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ۳ الذین هم مُحمَّد وآل مُحمَّد (صلی الله علیه و آله) وما عداهم من بقیّه الناس فإنَّهم یلمسون درجات نازله من القرآن الکریم فیعلمون ویتفطنون إلی تنزیل الکتاب بالطرف المنخفض منه لا ـ نفس الکتاب.

الأمر التاسع: خطاب القرآن عامٌّ

بعض العرفاء والمتكلمين والفلاسفه والمدارس الإسلاميه الأُخرى التبس عليها الأمر وتوهم أنَّ أفق دعوه القرآن محدوده بحد ونشأه الأرض ودار الدنيا فقط ولا يشمل عالم السماء ولا الجن ولا الملائكه ولا البرزخ ولا الآخره ولا... الخ فيكون القرآن على حساب بعض المفسرين كتاباً لنظام عالم الدنيا فقط، وإنْ توسَّع قليلاً بعضُهم بشمول خطاب القرآن للجن والملائكه بحدود عالم الدنيا فقط.

إلّا أنَّ هذا توهمٌ: وعارٍ عن الصحه فإنَّ القرآن الكريم بسحب تعليم بيانات أهل البيت (عليهم السلام) أنَّه كتاب، خالد بخلود عوالم الوجود، ولا أحد يستطيع أنْ يستغنى عن أسرار القرآن حتّى الملك فى السماء فإنَّه يرتقى علماً بالقرآن وأسراره ومن هنا تظهر عظمه صاحب القرآن ألا وهو الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) الذى بُعث لكافه المخلوقات، وعليه فيوجد بونٌ واسع بين طرح أهل البيت (عليهم السلام) لهذا المطلب وبين طرح العرفاء والمتكلمين والفلاسفه وبعض المدارس الإسلاميه الأُخرى، بلْ حتّى النصارى أتباع عيسى (عليه السلام) وليسَ المقصود نفس عيسى (عليه السلام) ولا الحواريين أتباع عيسى وإنَّما المقصود من اتّبع عيسى (عليه السلام) وقال بأنَّ أفق دعوه الإنجيل بحدود الأرض وعالم الدنيا فقط، وهكذا اتباع النبى موسى (عليه السلام) فى التوراه وباقى الكتب السماويه الأُخرى بينما فى بيانات أهل البيت (عليهم السلام): أنَّ جميع الكتب السماويه الإلهيه من

التوراه والإنجيل والزبور والصحف والقرآن و... الخ هی مخاطب بها کل الخلائق، ولذا وَرَدَ فی بیاناتهم لا سیما روایه الإمام الصادق (علیه السلام):

«إن الله جعل ولایتنا أهل البیت قطب القرآن...»(۱) من أنَّ أُفق التوراه أعظم مما فهمه أو یفهم الیهود وکذا الإنجیل أعظم مما فهم أو یفهم النصاری، وهکذا الزبور وباقی الکتب والصحف السماویه.

۱- (۱) تفسیر العیاشی، ج ۱، ص ۷۸، ح ۸، والکافی ج ۲، ص ۴۳۹.

المجلد ۲

اشاره

سرشناسه:جصانی، محسن

عنوان و نام پدیدآور:تفسیر امومه الولایه والمحکمات للقرآن الکریم [کتاب] : الولایه قطب القرآن علیها تستدیر محکماته/ تالیف محسن الجصانی؛ [محقق و مقدمه نویس] بحوث سماحه محمد السند.

مشخصات نشر:تهران: موسسه الصادق الطباعه والنشر، ۱۳۹۲.

فروست:الموسوعه التفسیریه؛ ۱

شابک:۹۷۸-۹۶۴-۵۶۰۴-۹۷-۲

یادداشت:عربی.

موضوع:تفسیر -- فن

موضوع:قرآن -- علوم قرآنی

شناسه افزوده:عابدینی، حسین، ۱۳۴۹ - ، مقدمه نویس

رده بندی کنگره:BP۹۱/۵/ج۶ت۷ ۱۳۹۲

رده بندی دیویی:۲۹۷/۱۵۱

شماره کتابشناسی ملی:۳۳۵۷۱۲۷

ص :۱

اشاره

تفسير امومه الولايه والمحكمات للقرآن الكريم ، الولايه قطب القرآن عليها تستدير محكماته

تاليف محسن الجصانى

محقق و مقدمه نويس بحوث سماحه محمد السند

ص :۳

هویه الکتاب

عنوان الکتاب: تفسیر أمومه الولایه والمحکمات للقرآن الکریم

الجزء الثانی

لسماحه المرجع الدینی الشیخ الأستاذ محمد السند دام ظله

المؤلف الشیخ محسن الجصانی

الطبعه الأولی لسنه ۲۰۱۶

عدد الصفحات ۵۵۲ صفحه

الإخراج الفنی السید عبدالله الهاشمی

حقوق الطبع محفوظه

ص:۴

القاعده الخامسهقاعده الجرى فى التعبير لا التطبيق

اشاره

الفهرس الإجمالى لقاعده:

الجرى فى التعبير لا التطبيق:

* المقدمه.

* معنى القاعده.

* مدرك القاعده.

* تعريف الشيء بغايته أكمل التعاريف.

* القاعده الثانيه: هل اللغه ألفاظ وأصوات فَقَطْ أم نفس المعنى.

* النظريه الأولى فِى قاعده الجرى للسيد مُحمَّد حسين الطباطبائى. وخواصها ومميزاتها.

* النظريه الثانيه فِى قاعده الجرى عَلَى ضوء ومختار منهج أمومه الولايه عَلَى المحكمات فِى القرآن.

* أوسعيه تعدد المعانى عَلَى النظريه الثانيه.

* هل التأويل حاكم عَلَى التنزيل (التفسير) أو العكس.

* الفوارق العمليه بين النظريتين فِى قاعده الجرى.

ص:۵

* منهج أمومه الولايه يرسم منهاج نظريه المعرفه الدينيه.

* ثمرتان مهمتان.

* علم التأويل يزيل تشابه القرآن.

* أمومه التأويل.

* ثمره قاعده الجرى والتطبيق.

* تلاوه المعانى أهم مِنْ تلاوه الألفاظ فِى القرآن.

* أمثله تطبيقيه لقاعده الجرى.

* الإمامه والعمل الأمنى.

* لماذا يُؤكِّد القرآن عَلَى ذكر جانب الشرّ.

* معنى العبور فِى قاعده الجرى.

ص:۶

المنهج التفسيرى لأمومه الولايه على المحكمات

فضلًا عن المتشابهات فِى القرآن

القاعده الخامسه

قاعده الجرى فى التعبير لا التطبيق

ص:٧

المقدمه

التعبير بقاعـده الجرى بمعنى التطبيق عَلَى مـا هُوَ المشـهور المعاصـر عنـدهم، والتعبير بقاعـده الجرى بمعنى التعبير أىّ الجرى فِى المعانى والحقائق عَلَى وفق المنهج التفسيرى لأمومه الولايه عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِى القرآن.

ونذكر فيها ما يلى:

أولاً: إنَّ قاعـده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير لها أصلٌ فِى بيانات القرآن الكريم كَمَا فِى قوله تَعَالَى: (وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا) (۱) وقوله تَعَالَى: (يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ) (۲) و(إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) (۳) وغيرها كَمَا سوف يتّضح فِى محله إنْ شاء الله تَعَالَى.

وكذلك لقاعده الجرى أصل فِى روايات أهل البيت عليهم السّلام، كَمَا فِى

۱- (۱) سوره آل عمران: الآيه ۷.

۲- (۲) سوره الأعراف: الآيه ۵۳.

۳- (۳) سوره الرعد: الآيه ۱۷.

روایه مُحمَّد بن الحسین عَنْ مُحمَّد بن إسماعیل عَنْ منصور بن یونس عَنْ ابن أذینه عَنْ فُضیل بن یسار، قَالَ: سألتُ أبا جعفر علیه السّلام عَنْ هَذِهِ الروایه: - ما مِنْ القرآن آیه إلَّا ولها ظهر وبطن، قَالَ ظَهرُه (تنزیله) وبطنه تأویله وَمِنْهُ ما قَدْ مضی، وَمِنْهُ ما لَمْ یکن یجری کَمَا تجری الشمس والقمر، کُلّ ما جاء تأویل شیء یکون عَلَی الأموات، کَمَا یکون عَلَی الأحیاء(وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلَّا اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ) نحن نعلمه(۱).

وَقَدْ قُرِّر فِی مفاد هَذِهِ القاعده المُستنبطه نظریّتان:

النظریه الأولی: فِی قاعده الجری فی التعبیرلا التطبیق، وَهُوَ المشهور عِنْدَ مُتأخّری المفسرین(۲).

وحاصلها: إنَّ الآیات القرآنیه استعملت فِی معنی واحد کُلّی وما ذُکِرَ مِنْ تأویلات فِی الروایات هِیَ بمثابه المصادیق لذلک المعنی الکُلّی(۳) ، ولا ینحصر المعنی الکُلّی فِی مصداق بعینه وإراده الموارد المختلفه لَیْسَ مِنْ باب إرادتها فِی مقام الاستعمال والمعنی لا- عَلَی الصعید الاستعمالی ولا- التفهیمی ولا الجدّی، وإنَّما المعنی المُراد هُوَ صرف المعنی الکُلّی، وأمَّا الموارد فَهِیَ تطبیقات صرفه مِنْ دون أنْ یکون لا علاقه بالدلاله والمدلول بالآیات.

۱- (۱) وسائل الشیعه: ج ۲۷ ب ۱۳ ص ۱۹۶ ح ۴۹.

۲- (۲) کالسید محمد حسین الطباطبائی والسید الخوئی والسید عبدالأعلی السبزواری قدست أسرارهم.

۳- (۳) أی أنَّ المصداق خارج عن شؤون وقالب الدلاله.

وَعَلَيْهِ فالقاعده لا صله لها بعالم الدلاله وظهور الآيات إلَّا لتجريد المعنى العام عَنْ خصوصيات المصاديق، وأنَّ المعنى الكَلِّى هُوَ محطّ النظر أولاً وآخراً.

النظريه الثانيه: [قاعده الجرى فِى الحقائق أولاً ثمَّ فِى المعانى تبعاً] [والجرى هُوَ جرى فِى المداليل](۱).

إنَّ قاعده الجرى فى التعبيرلا ـ التطبيق عَلَى مختارنا فِى المنهج التفسيرى لأمومه الولايه عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات، يكون معناها هُوَ جرى الآيات فِى المعانى والحقائق العينيه فضلاً عَنْ المصاديق، وفى هَذِهِ النظريه يَتِمُّ تقريرها بما يلى: -

إنَّ الموارد الخطيره قَدْ استُعْمِل فيها معنى الآيه فِى الأصل وتجرى الآيه استعمالاً فِى بقيّه الموارد، وأنَّ الآيات قَدْ استعملت فِى الأصل وفى الحقائق الكبرى واستعمالها فِى المعنى ظل وتبع لاستعمالها فِى الحقائق، فالمعنى ظل الحقيقه لا أنَّ المعنى العام هُوَ الأصل وإراده الحقائق بالتبع كمصداق، فالآيه يجرى استعمالها فِى الحقائق جرياً سيّالاً ودوّاراً، وبتبعه يجرى استعماله فِى المعانى الخاصه والعامه أيضاً، وَهَـذَا ما نصطلح عَلَيْهِ بحسب منهجنا التفسيرى المختار أمومه الولايه عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِى القرآن بقاعده الجرى والتعبير أىّ العبور مِنْ حقيقه إلى

۱- (۱) سواء كان المدلول على صعيد التطبيق أو التعبير على مختارنا فى المنهج التفسيرى - أمومه ولايه المحكمات فضلاً عن المتشابهات فى القرآن.

أخرى، وَمِنْ حقيقه إلى معنى، وَمِنْ معنى إلى معنى فضلاً عَنْ العبور مِنْ المصداق إلى المصداق، والمراد مِنْ عنوان التعبير نظير ما يُقال فِى تعبير الرؤيا وتعبير الأحاديث وترجمان الوحى، فَلَيْسَ المراد التعبير اللفظى بَلْ تعبير وعبور الحقائق العلويّه إلى الرقائق والحقائق السفليه ما دونها، وَعَلَيْهِ فَإِنَّهُ التعبير يوازى معنى التأويل والترجمان.

والمهم فِى النظريه الثانيه فِى قاعده الجرى أنها تجعل الحقائق الخارجيه هِىَ الأصل فِى المراد الاستعمالى والتفهيمى والجدى والمعانى الذهنيه والمفهوميّه تبعٌ للحقائق وظلّ لها. والآيه كَمَا تجرى فِى المعانى كَذَلِكَ تجرى فِى المصاديق ولكن كَمَعْنَى وكمراد لا شىءٌ أجنبى عَنْ المُرَاد.

وَهَذَا عكس النظريه الأولى حَيْثُ تجعل المعانى هِىَ الأصل الكُلِّى والوجودات العينيه الخارجيه مجرد تطبيقات ليست مُراده بالأصاله بَلْ بالتبع تطبيقاً، وأنَّ هَذَا المعنى هُوَ السارى والجارى فِى الجامع بين المصاديق.

بينما فِى النظريه الثانيه تجعل مقصد المقاصد فِى المراد والمدول مِنْ الكلام هُوَ الحقيقه الخارجيه والواقعه خارجاً، والمعنى إنما هُوَ انعكاس للحقيقه الخارجيه وَعَلَى ضوء ذَلِكَ فالجرى إنما هُوَ مِنْ حقيقه عينيه عليا إلى مراتب متنزّله أخرى للحقيقه العينيه كرقائق للحقيقه الأصليه وَمِنْ ثمَّ تنعكس المعانى والمفاهيم عَنْ مراتب الحقائق، فالجرى فِى هَذِهِ القاعده أولاً وبالذات فِى مراتب الحقيقه وبالتبع فِى المعانى عكس النظريه الأولى فَإِنَّ الجرى

والسريان للمعنى الكَلِّى فِى المصاديق مِنْ دون لحاظ حقائق المصاديق.

ثانياً: إنَّ قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير - كَمَا ذُكِر فِى المورد الأوَّل - نوّهت بها الآيات والروايات الوارده عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السّلام كَمَا سوف يتّضح كُلّ ذَلِكَ مُفصلاً فِى محله المُنَاسِب - أنَّ الآيات الكريمه إذَا نزلت فِى مورد لا تحُبس تلك الآيه عَلَى ذَلِكَ المورد، بَلْ إنَّ كُلّ آيه آيه مِنْ كتاب الله العزيز حيَّةٌ بحياه القرآن الكريم وتجرى لإعطاء النور والهدايه للبشر بكُلِّ موردٍ مِنْ الموارد الَّتِى تنتاب البشر ولكل مِنْ الحقب الزمنيه.

ثالثاً: إن هذه القاعده تقع فى نظام الاستعمال اللفظى للقرآن الكريم، ويختلف المعنى باختلاف المناهج التفسيريه فَتُفسَّر بتفاسير مُتعدده وتعطى معانى مُتعدّده، ولكنّها قاعده متفق عليها ومُستلّه من القرآن الكريم - كَمَا مَرَّ - وَمِنْ بيانات وحى بيت النبوه عليهم السّلام.

وتدلُّ عَلَى أنْ حجيّه آيات القرآن وحياته مرتبطه بهذه القاعده المُهِمَّه والخطيره وَعَلَى ضوء الاختلاف فِى المناهج التفسيريه يَتِمُّ تبيين وتفسير ماهيّه هَذِهِ القاعده ويتبع هَذَا الاختلاف تداعيات عديده فِى استثمار وتوظيف هَذِهِ القاعده.

رابعاً: مِنْ الجدير التنبيه عَلَى أنَّ الوارد فِى الآيات والروايات هُوَ كلمه الجرى فَقَدْ، وكلمه التطبيق مِنْ إضافات الأعلام مَعَ أنَّ المصداق

والتطبيق هُوَ أحد موارد الجرى لا كُلّ موارد وأقسام الجرى، ولكن الأعلام حصروه بالتطبيق، هَذَا بحسب ما هُوَ المشهور عندهم.

والصحيح الذى تتبناه النظريه الثانيه فِى قاعده الجرى حسب منهج أمومه الولايه عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِى القرآن هُوَ عدم حصر الجرى - كَمَا فعل المشهور بحصره - وإنَّما التطبيق هُوَ أحد ميادين الجرى، بَلْ وَحَتّى ترسيم الدلاله فِى الآيات القرآنيه لَهُ علاقه وطيده الصله بقاعده الجرى.

ولذا يمكننا أنْ نجرى ترميماً لاسم القاعده وفق منهجنا التفسيرى المختار أمومه الولايه عَلَى المحكمات ونقول: «الجرى فِى كُلّ مِنْ المعانى وكذلك الحقائق وكذلك المصاديق» وَهَذَا الاسم - كَمَا ذكرنا - لَيْسَ بعيداً عَنْ ترجمان القرآن وَهُمْ أئمه أهل البيت عليهم السّلام الَّذِيْنَ هُمْ منبع ومعدن آخر مِنْ القرآن الكريم الَّذِيْنَ ذكروا لنا فِى بياناتهم مناهج تفسيريه عديده فِى القرآن الكريم نذكر بعضها: -

منها: علم تعبير القرآن الذى هُوَ مِنْ علوم القرآن وَهُوَ حقائق لا- تعبير أحلام، فالله تَعَالَى يأمر بالعبور مِنْ معنى جدّى إلى معنى جدّى آخر وآخر وَإلى ما وراء الجدّ جدٌّ، وهكذا لا خلود إلى الأرض وَعَلَيْهِ فيمكن التعدى والعبور مِنْ قوله تَعَالَى: (فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى

اَلْأَلْبابِ) (۱) وقوله تَعالَی: (لَقَدْ کانَ فِی یُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آیاتٌ لِلسّائِلِینَ(۷) (۲) وغیرهما إلی مَنْ لَمْ یکن موجوداً فِی عصر النصّ، وَلَمْ یکن منشأ للنزول، إلَّا أنَّهُ مُتوفّر عَلَی نفس تداعیات وخصوصیات الأمر الذی نزلت فیه الآیه فیمکن حینئذٍ التعددی والعبور، فمثلاً ـ البیانات النبویه فِی القرآن، کَما فِی بیان مریم بنت عمران علیها السّلام لَیْسَ المراد الجدی للآیه المبارکه فَقَطْ وَفَقَطْ شخص وَذاتَ مریم بنت عمران علیها السّلام؛ لِأنَّ القرآن دائماً، وأبداً یُؤکِّد عَلَی العبور مِنْ مورد الآیه إلی کُلّ موردٍ تتوفر فیه نفس الخصائص، وأنَّ کُلّ ما ذُکِر مِنْ الآیات مِنْ مصادیق هُوَ مِنْ باب المثال، ویمکن العبور إلی غیره، ولکن وللأسف لو لاحظنا جمیعاً کتب المتکلمین وبقیّه المذاهب الإسّلامیَّه و... الخ، نجدهم لَمْ یعبروا مِنْ المثال الذی ذکره القرآن الکریم کَمَا فِی مثل قصّه مریم علیها السّلام ویوسف علیه السّلام وموسی علیه السّلام وعیسی علیه السّلام و... الخ فِی بعده العقائدی إلی قاعده عقائدیه فِی الإسلام إلَّا فِی مدرسه أهل البیت علیهم السّلام، وَعَلَیْهِ فَإنَّ قاعده الجری بمعنی التطبیق أو التعبیر لها فضاء ومساحه أخری مِنْ نظام عالم الاستعمال وَعَلَیْهِ فبحسب النظریه الثانیه یمکن العبور والتعدی إلی المصداق الأعظم الذی تتعدی إلیه الآیه المبارکه بالمُراد الجدی الثَّانِی والثالث و... الخ ولا تنافی ویمکن العبور

۱- (۱) سوره یوسف: الآیه ۱۱۱.

۲- (۲) سوره یوسف: الآیه ۷.

مثلاً- مِنْ قوله تَعَالَى(لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسّائِلِينَ(٧) إلى الجمال المحمدى والعلوى والفاطمى والحسنى والحسينى و... والمهدوى - صلوات الله علهيم أجمعين - كَمَا سوف تتّضح كيفيه ذَلِكَ العبور فِي محله المُنَاسِب. وَمِنْ خلال هَذَا يُعلَم أنَّ ما ذهب إليه المشهور مِنْ اختصاص الجرى بمعنى التطبيق فِي موارد لَيْسَ فِي محله لِأنَّ الجرى أعمّ مِنْ التطبيق.

ومنها: علم تأويل القرآن: وَهُوَ عَلَى أنواع مختلفه فِي المشارب والمدارس، فَمِنْهُ تأويل المعنى إلى معنى، بَلْ وَإلى معانى مترامیه، وَمِنْهُ ما هُوَ تأويلٌ وأوْلُ معانى إلى حوادث ووقائع خارجيّه، وَمِنْهُ ما هُوَ تأويل وقائع وحوادث لوقائع وحوادث وراءها أخرى وهكذا ثالثه ورابعه... الخ متداعيه، وَقَدْ يتّسع هَذَا التداعى والتمادى مِنْ عالم إلى آخر وَإلى نشأه أخرى، وَمِنْهُ ما يكون أوَّل مِنْ الحقائق إلى المعانى وإنْ كَانَ الأخير قَدْ يُسمّى بالتنزيل أو الترجمان أو علم التعبير أيضاً وَمِنْ جمله ما مضى مِنْ أقسام التأويل ما قَدْ يُسمّى بعلم تأويل الأحاديث.

ومنها: علم تنزيل القرآن: - وَهُوَ يختلف عَنْ تفسيره وتعبيره وتأويله وترجمانه، وعلم التنزيل بالدرجه الأولى يبحث عَنْ موارد وأسباب النزول والواقع الَّتِي نزلت فِي شأنها الآيات والسور، وما اكتنف تلك الوقائع والأحداث مِنْ ملابسات كَمَا يبحث عَنْ الحيثيه الَّتِي

نزلت بلحاظها الآيه أو بَعْض الآيه، كَمَا يبحث علم التنزيل عَنْ تكرّر نزول الآيه وتعداد تلك المواطن وجهه الارتباط بينها، وَقَدْ يلحق بعلم التنزيل علم تلاوه القرآن أىّ علم تلاوه الآيه فِى حاق مواطنها المستجدّه كُلّ عام، بَلْ كُلّ يَوُم وَكُلّ حين مما يشير إليه لفظ الزياره فِى وصف الإمام عليه السّلام«وتلوت الكتاب حق تلاوته» أىّ حق المواطن الحقيقيه أىّ المستحقه بتطبيق الآيه عَلَيْهَا.

خامساً: هُنَاك حقيقه لا بأس بالإشاره إليها وَهِىَ أنَّ أهل البيت عليهم السّلام ليسوا فَقَطْ تراجمه القرآن، بَلْ تراجمه الكتب السماويّه كُلُّها، بَلْ تراجمه كُلّ وحى أُوحى للأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - وَذَلِكَ لِأنَّ القرآن مُهيمنٌ عَلَى كُلّ الكتب السماويه مِنْ قبله، فَعِلْمُ خاتم الأنبياء صلّى الله عليه و آله يفوق علم جميع الأنبياء وَلَمْ يَرِثْ هَذَا العلم الوحيانى لسيد الأنبياء صلّى الله عليه و آله بكامله إلَّا أهل البيت عليهم السّلام بنصّ القرآن الكريم فِى سور وآيات عديده، ونصّ حديث الثقلين.

وَهَذَا معناه أنَّ الأنبياء إذَا أرادوا أنْ يقتنصوا لُبَّ ما أوحىَ إليهم المفروض يتلقوا ذَلِكَ مِنْ أئمه أهل البيت عليهم السّلام وَهَذَا هُوَ معنى حديث مسعده بن صدقه عَنْ الإمام الصادق عليه السّلام«إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب عَلَيْهَا يستدير محكم القرآن وبها

نَوَّهت (يوهب) الكَتب ويستبين الإيمان» (۱) .

سادساً: دلَّت الآيات والروايات عَلَى أنَّ القرآن الكريم فيه تأويل، وفيه تنزيل ولا تنحصر آياته المباركه فِي أحدهما دون الآخر، وَكُلّ مِنْ التأويلات والتنزلات متعدّده كَمَا فِي قوله تَعَالَى(يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) (۲). بتقريب: أنَّ للقرآن تأويلات تمتدّ إلى يَوُم القيامه وَكَمَا سيتضح مِنْ خلال البحث أنَّ بَعْض موارد الآيه(يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) أشير به إلى عالم يَوُم القيامه أو عالم الجنه أو عالم النار أو... الخ، وَهَذَا يدلل عَلَى أنَّ للقرآن تطبيقات لا تقتصر عَلَى حقيقه زمان عالم الدُّنْيَا ولا تنحصر به، بَلْ تمتدّ وتشمل عالم البرزخ والجنَّه والنَّار، وكيف لا ـ والقرآن يعالج المَعْرِفه حول أكبر حقيقه - أيّ أكبر مِنْ الدُّنْيَا - والآخره والعوالم الأخرى - ألا وَهِيَ حقيقه التوحيد والرَّب الواحد الأحد الذى يحيط بكُلِّ العوالم إحاطه وجوديه حقيقيه لا إحاطه جسمانيّه، وَعَلَيْهِ فشموليه القُرآن هِيَ كَذَلِكَ مِنْ هَذَا القبيل عظيمٌ. وَهَذَا لا محاله له صله وطيده بقاعده الجرى كَمَا سيأتى وَمِنْ دعامات هَذِهِ القاعده.

سابعاً: إنَّ البحث فِي قاعده الجرى فى التعبيرلا ـ التطبيق تلك القاعده القرآنيه هِيَ وجهٌ آخر لبحث التأويل والتنزيل أو الظهور والتأويل الَّتِي هِيَ إحدى القواعد المتفرِّعه والمُتشعبه عنه قاعده الجرى

۱- (۱) تفسير العيّاشى: ج ۱، ص ۷۸ ح ۸.

۲- (۲) سوره الأعراف: الآيه ۵۳.

والتطبيق، وكـذلك قاعده الجرى والتطبيق متفرِّعه عَنْ القواعد المتقدِّمه مثل قاعده التعريض والالتفات وإيّاك أعنى واسـمعى يا جاره و... الخ؛ لِإنَّهُ تَقَدَّمَ فِى بحث القاعده الأولى قاعده التعريض أنَّ التعريض لَيْسَ مجرد قاعده وإنما هُوَ فِى الواقع نظام يتشعب مِنْهُ قواعد أحد أهم تلك القواعد هُوَ قاعده الظهور والتأويل وقاعده الجرى والتطبيق و... الخ.

إذَنْ القرآن كَمَا لَهُ تأويل كَذَلِكَ لَهُ تنزيل(تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ(٨٠) (١).

وَعَلَيْهِ فقاعـده الجرى والتطبيق (والتعبير) مرتبطه بأصـل حجيّه القرآن الكريم وَأَنَّهُ حُجَّه مُفَعَّلَه لا ـ مُعَطَّله، وَمِنْ خلال هَـذَا تبيَّن أنَّ البحث فِى قاعـده الجرى لَيْسَ باختيـار المفسـر والبـاحث الكريم كلا، وإنما لزاماً عَلَى المُفَسِّر أنْ يختارها؛ لِأنَّ الالتزام والتمسُّك بقاعده الجرى والتطبيق هِىَ أحد أسباب ونوافذ إحياء القُرآن وتركها تعطيل له، كَمَا نَبَّهت عَلَيْهِ روايات أهل البيت عليهم السّلام، وَهَذِهِ القاعده فِى الحقيقه هِىَ مِنْ المعاجز العلميّه الَّتِى أسس تعليمها وتبيانها أهل البيت عليهم السّلام فِى دين الإسلام، وإنْ كَانَ تفعيل القُرآن وأثماره للنور والهدايه لدرب البشـر لا ينحصر بباب ونافذه واحده وإنما هُنَاك أبواب ونوافذ عديده لذلك، وأحد تلك الأبواب المُهِمَّه جـداً فِى آيات وسور القرآن هِىَ هَـذِهِ القاعـده الشـريفه والخطيره الَّتِى نحن بصـددها، وَهِىَ قاعـده الجرى والتطبيق.

١- (١) سوره الواقعه: الآيه ٨٠.

لا يُقَال: إنَّ ما قصّه لنا القرآن فِی سوره یوسف علیه السّلام وغیرها مِنْ القصص القرآنیه فِی الأمم السابقه، وهکذا ما ذکره أئمه أهل البیت علیهم السّلام فِی التفسیر المأثور لآیات القرآن إنَّهُ قَدْ مضی وتصرَّم ولا صله لنا به.

فَإنَّهُ یُقَال: إنَّ کُلّ ما ذکره القُرآن فِی سوره یوسف علیه السّلام وغیرها وکذا بیانات اهل البیت علیهم السّلام یمکن استثمارها الآن وفی المستقبل وأنَّها غَیْر مُختصّه بِمَنْ کَانَ حاضراً وقت نزول الآیه وإنَّما یمکن العبور والتعدّی إلی کُلّ مورد واحد لنفس خصائص ساعه نزولها ولا ینحصر التطبیق بذلک. فمثلاً(لَقَدْ کانَ فِی یُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آیاتٌ لِلسّائِلِینَ(۷) هِیَ غَیْر مختصّه بیوسف علیه السّلام وأخوته، وإنَّما یمکن استثمارها الآن وتطبیقها بما یتلائم ومقامها، وَهَذَا دلیل ساطع البرهان لقاعده الجری والتطبیق.

وهکذا قوله تَعَالَی: (لَقَدْ کانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ لِأُولِی الْأَلْبابِ) (ما کانَ حَدِیثاً یُفْتَری) (۱). فالآیه عَبَّرت (العبره) أیّ عبور حقیقی وَلَیْسَ مجاز عقلی - لغیرها مِنْ الموارد الأخری ولا تجمد عَلَی موردها ولا تتجاوزه إلی غیره، فَإنَّ هَذَا لَیْسَ نسج خیال أو دراما وإنَّما هِیَ حقائق وقعت بَلْ تجاوزه وتحرَّک عَلَی وفق رؤیه وبصیص نور هَذِهِ الآیات أو القصص خذها واعبر إلی موارد متجدده. وَهَذِهِ الآیات فِی سوره یوسف وغیرها هِیَ أحد أدلّه القَاعِدَه.

۱- (۱) سوره یوسف: الآیه ۱۱۱.

قاعده الجرى بمعنى تطبيق أو تعيين

اشاره

لها مساس بصميم مغزى آيات القرآن الكريم

ومرتبطه بعظمه القرآن

لا يخفى عَلَى المُفسِّر والباحث المتتبع أهميه وخطوره قاعده الجرى والتطبيق وما لها مِنْ أثر مسيس وصميمى بحياه ومغزى آيات وسور القُرآن الكريم، فالأمويون وتبعهم العباسيّون، أرادوا الجمود عَلَى قصص القُرآن وَلَمْ يتعدّوا إلى غيرها ويستثمروها وأرادوها محطّه استقرار وركود وجمود، بينما الواقع النظرى والعملى لقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير يقول لأمثال هؤلاء إنَّ آيات القُرآن جوّها جوّ محطّه عبور واستراحه لا محطه استقرار، ويمكننا أنَّ نستفيد منها فِى غير موردها، وَعَلَيْهِ فَإنَّ قاعده الجرى والتطبيق مرتبطه بعظمه القُرآن الكريم أكثر مِنْ ارتباطها بعلم التفسير وبقيّه علوم القُرآن سواء علوم التأويل أو علم التعبير أو علم لطائف القُرآن أو علم إشارات القُرآن أو حقائق القُرآن أو علوم ترجمان القُرآن و... الخ، وإنْ كَانَ جُلُّ هَـٰذِهِ العلوم لَمْ يُحطّ بتمامها وغورها إلَّا سيد الأنبياء صلّى الله عليه و آله وَمِنْ بعده عترته الطاهرين.

وَلَمْ يخض بها بقيّه علماء الأمَّه مِنْ المسلمين لأنَّها علوم تتكأد كاهل الإنسان الباحث والمفسر وتحتاج إلى قدره ربانيّه ومدد إلهى، ويكون بالتالى الجرى والتطبيق عباره عَنْ جرى مدلول الآيات فِى آفاق وسيعه تطبيقيه بَلْ تنظيريه لا تقف عِنْدَ حَدٍّ.

وَبَعْدَ هَذِهِ المقدمه يقع الكلام فِى ضمن أُمُور:

الأمر الأوَّل: معنى القاعده:

مِنْ خلال ما ذكرناه فِى المقدمه تبيّن معنى القاعده وملخّصه وَلابُدَّ مِنْ معرفه ضابط التنظير وضابط الجرى والتطبيق، وإنْ كُنّا ذكرنا فِى المقدمه أنَّ الجرى أعم مِنْ التطبيق - وَهُوَ أنْ يُقَال: -

التنظير هُوَ ذَلِكَ المعنى الذى لَمْ يؤخذ به النظر إلى نسبه شخصانيه المصاديق أو أفراده فِى مقام الاستعمال، وَعَلَيْهِ فالتنظير مجرد إراده استعمال كليّه أو تفهيميه كليّه أو جديّه كليّه مِنْ دون نظر إلى المصاديق وشخصها فِى مقام الاستعمال، وَهُوَ بمثابه عالم الجعل والتشريع فِى علم الأصول إنْ صحَّ التنظير.

وبعباره أُخرى: يكون التنظير عَلَى صعيد الدلاله والمدلول والمعانى فِى مرحله المعنى التصورى أو المعنى التفهيمى أو الاستعمالى أو الجدّى، فالمعنى الجدّى هُوَ أيضاً معنى تنظيرى وروايه كليّه للآيه والمسترشد بنور القُرآن فِى مقام التطبيق يطبقها تطبيقات عديده.

وَمِنْ خلال هَذَا يُعرف أنَّ مقام الرؤيه النظريه لآيات القُرآن

الكريم وتنظير المعنى دائماً كُلياً، هَذَا كله بحسب النظريه الأولى المشهوره وسيأتى تقرير ضابط التنظير حسب النظريه الثانيه.

التطبيق: وَهُوَ بمثابه عالم الامتثال فِى تنجيز الأحكام - كَمَا فِى المصطلح الأصولى وبمثابه التنفيذ والإجراء فِى عالم القانون وسببه ما يُقَال فِى علم القانون إنَّ المُقنن حين التقنين لَيْسَ غرضه استعمال مصداق خاص لتطبيق هَـذِهِ المعادله الكليّه الَّتِى قنَّنها وتطبيقها عَلَى مصاديقها فذاك أمرٌ بيد الأخصائيين، وأهل الخبره فِى ذَلِكَ المجال يطبقونها - المصاديق - وفق ضوابط معينه، هَـذَا بحسب النظريه الأولى وَكَمَا سيأتى فَإنَّ التنظير والتطبيق لهما معنيان آخران، مغايران لهذا المعنى المعهود، وإنما سوف يتّضح معناهما بَعْدَ الخوض فِى تفسير النظريه الثانيه.

الأمر الثَّانِى: مدرک القاعده:

هُنَاک جمله مِنْ الآيات والروايات نذكرها كمدرک لهذه القاعده.

أمَّا الآيات وَهِىَ عَلَى طوائف(۱) كَمَا يلى:

الطائفه الأولى: ما دلَّت عَلَى أنَّ للقرآن تأويل وحقائق لذلک التأويل:

۱ - قوله تعالى: (وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ) (۲).

۱- (۱) وإنْ كان قد تقدم جمله من الآيات الداله على مفاد القاعده وتبيان ذلک وستأتى تتمه من الآيات على ذلک فى تضاعيف الأبحاث.

۲ – قوله تعالی: (یَوْمَ یَأْتِی تَأْوِیلُهُ) (۱) وغیرها.

بتقریب: إن التأویل ومراتبه المترامیه تعاقباً تعتبر – کما سیاتی فی مباحث قواعد عدیده – من مراتب مدلولات الکلام طبق موازین وضوابط، فیکون الکلام دالّاً علیها بضمیمه تلک الموازین، وبذلک تکون الآیه جاریه فی معانی عدیده، هذا فضلاً عن التأویل الذی هو بلحاظ الوقائع والحقائق العینیه المتجدّده وقوعاً فإنه جری فی الوقائع.

الطائفه الثانیه: ما دلَّت علی أن القرآن عِبَرٌ وأمثال وأن آیاته آیات للسائلین أی أجوبه شافیه، کما فی الآیات التالیه: –

۱ – قوله تعالی: (لَقَدْ کانَ فِی یُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آیاتٌ لِلسّائِلِینَ(۷) (۲).

۲ – قوله تعالی: (ما کانَ حَدِیثاً یُفْتَری وَ لکِنْ تَصْدِیقَ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ وَ تَفْصِیلَ کُلِّ شَیْ ءٍ وَ هُدیً وَ رَحْمَهً لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ(۱۱۱) (۳).

۳ – قوله تعالی: (لَقَدْ کانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ لِأُولِی الْأَلْبابِ) (۴).

بتقریب: فَإنَّ قاعده الجری بمعنی التطبیق أو التعبیر وإنْ کَانَ تختلف عَنْ قاعده الأمثال – الَّتِی سیأتی بحثها – إلَّا أنَّ مادّه وعنوان العِبْرَه واحدٌ أیّ بالعبور مِنْ معنی کصوره ممثله إلی معنی أو إلی حقیقه وراءها

۱– (۱) سوره الأعراف: الآیه ۵۳.

۲– (۲) سوره یوسف: الآیه ۷.

۳– (۳) سوره یوسف: الآیه ۱۱۱.

۴– (۴) سوره یوسف: الآیه ۱۱۱.

فالعبور بخلاف الوقوف، والعِبْرَه بخلاف الوقفه وكذلك الأمثال للانتقال إلى الممثل لَهُ ولا يخفى أنَّ الأمثال أيضاً تترامى.

الطائفه الثالثه: الدَّالَّه عَلَى تلاوه القُرآن حقّ تلاوته، كقوله تَعَالَى: (الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ(١٢١) (١).

بتقريب: أىّ حَقُّ المَواطِنِ الحقيقيه المستحقّه بتطبيق الآيه عَلَيْهَا، والمراد مِنْ التلاوه هُنَا ليست التلاوه اللفظيه وتجويد الصوت بَلْ المراد هُوَ قراءه معنى وحقيقه الآيه فِى المورد والمصداق والتطبيق الحقيقى بأن تتنزل فيه الآيه فكأنه قرآن نازل فِى ذَلِكَ المورد ابتداءاً كمورد النزول الأوَّل.

وَهَذَا نحو جرى لتكرّر نزول الآيه لِكُلِّ ما يُستجد مِنْ حوادث ووقائع، وَهَذَا ما أكّدته روايه المعلى بن خنيس، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله عليه السّلام فِى رساله: «فَأمَّا ما سألت عَنْ القُرآن، فَذَلِكَ أيضاً مِنْ خطراتك المتفاوته المختلفه؛ لِأنَّ القُرآن لَيْسَ عَلَى ما ذكرت... وإنّما القُرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، ولقوم يتلونه حقّ تلاوته وَهُمْ الَّذِيْنَ يؤمنون به ويعرفونه... الخ»(٢).

وأمَّا الروايات: نذكر جملةً منها مَعَ الإشاره إلى دلالتها عَلَى قاعده

١- (١) سوره البقره: الآيه ١٢١.

٢- (٢) وسائل الشيعه: ج ٢٧، ص ١٩٠، ب ١٣ من أبواب صفات القاضى: ح ٣٨.

الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير إجمالاً وأمَّا تفصيلاً فسيتّضح مِنْ خلال تضاعيف الكتاب.

الروايه الأولى:... مُحمَّد بن الحسين عَنْ مُحمَّد بن إسماعيل عَنْ منصور بن يونس عَنْ ابن أُذينه عَنْ فُضيل بن يسار، قَالَ: سألت أبا جعفر عليه السّلام عَنْ هَذِهِ الروايه: - ما مِنْ القُرآن آيه، إلَّا ولها ظهر وبطن، قَالَ: «ظهره (تنزيله) وبطنه (تأويله)، وَمِنْهُ ما قَدْ مضى وَمِنْهُ ما لَمْ يكن، يجرى كَمَا تجرى الشمس والقمر كُلّ ما (١)جاء تأويل شيء (٢)يكون عَلَى الأموات، كَمَا يكون عَلَى الأحياء، قَالَ الله تَعَالَى: (وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ) نحن نعلمه»(٣).

بتقريب: إنَّ الإمام الباقر عليه السّلام بيَّن فِى هَذِهِ الروايه عِدَّه أُمُور:

الأمر الأوَّل: إنَّ آيات القُرآن تجرى بأنْ تتجدّد وتتناسب مَعَ ما يناسب المخلوقين فِى كُلّ زمان إلى يَوُم الدين كجريان الشمس والقمر، فَكَمَا أنَّ الشمس والقمر يجريان ويتناسبان مَعَ كُلّ زمان ومكان بتبدّل أبراجهما مِنْ المشارق والمغارب ومنازل القمر وَهِىَ مَعَ ذَلِكَ تتناسب مَعَ المخلوقين فِى كُلّ زمان ومكان.

الأمر الثَّانِى: إنَّ آيات القُرآن كُلّما جاء فيها تأويل يكون عَلَى

١- (١) فى المصدر (كما).

٢- (٢) فى المصدر زياده: منه.

٣- (٣) الوسائل: ج ٢٧ ب ١٣ من أبواب صفات القاضى ص ١٩٦ ح ٤٩.

الأموات فَهُوَ يكون كَذَلِكَ عَلَى الأحياء، وَعَلَيْهِ فتأويل آيات القُرآن شاملٌ للأموات مثلما هُوَ شامل للأحياء.

الأمر الثَّالِث: إنَّ آيات القُرآن فيها مِنْ التجدّد والتناسب والتناغم مَعَ كُلّ متطلبات المخلوقين فِي كُلّ زمان ومكان تجرى الشمس والقمر والليل والنهار، فإنَّها تتناسب مَعَ كُلّ ذَلِكَ كَمَا يتناسب تجدّد الشمس والقمر كآيتين تكوينيتين نيّرتين بضيائهما ونورهما وتجدّد حاجه البشر إليهما فِي كُلّ يَوْم، بَلْ فِي كُلّ حين ولا يبلوان كَذَلِكَ آيات القُرآن، وَكُلّ ذَلِكَ يجرى بعلم الإمام عليه السّلام؛ لِإنَّهُ قَالَ فِي تفسير قوله تَعَالَى(وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (١) نَحْنُ نعلمه.

الروايه الثانيه: عَنْ أحمد بن مُحمَّد البرقى عَنْ المرزبان بن عمران عَنْ إسحاق بن عمّار، قَالَ: - سمعتُ أبا عبدالله عليه السّلام يقول: «إنَّ للقُرآن تأويلًا، فَمِنْهُ ما قَدْ جاء، وَمِنْهُ ما لَمْ يجىء فإذا وقع التأويل فِي زمان إمام مِنْ الأئمه عرفه إمام ذَلِكَ الزمان»(٢).

بتقريب: - أنَّ صفه التجدّد والجريان وعدم الوقوف والتوقّف لمدّه ثانيه واحده للقُرآن ولا تبلى آياته وأنَّ القُرآن دائماً فِي صفه تجدّد، وهكذا قوله تَعَالَى: (إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) فَإنَّ الهدايه والإنذار مستمره لِكُلِّ المخلوقين وَغَيْر متوقّفه ولا تتوقف إلى قيام الساعه.

١- (١) سوره آل عمران: الآيه ٧.

٢- (٢) وسائل الشيعه: ج ٢٧، ص ١٩۶، ب ١٣ من أبواب صفات القاضى: ح ۴٧.

الروایه الثالثه: عَنْ عبدالرحیم القصیر، قَالَ: - کُنْت یوماً مِنْ الأیام عِنْدَ أبی جعفر علیه السّلام فَقَالَ: «یا عبدالرحیم قلتُ لبیک قَالَ: - قول الله(إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ) إذْ قال رسول الله صلّی الله علیه و آله أنا المنذر وعلی الهادی وَمَنْ الهادی الیوم؟ قَالَ فمکثتُ طویلاً- ثمَّ رفعتُ رأسی فقلت: جعلتُ فداک هِیَ فیکم توارثوها رجل فرجل حَتّی انتهت إلیک، فَأَنْتَ جعلت فداک الهادی، قَالَ: صدقت یا عبدالرحیم: إنَّ القُرآن حیٌّ لا یموت والآیه حیَّهً لا تموت فلو کانت الآیه إذَا نزلت فِی الأقوام ماتوا فمات القُرآن ولکن هِیَ جاریه فِی الباقین کَمَا جرت فِی الماضین، وَقَالَ عبدالرحیم، قَالَ أبو عبدالله علیه السّلام إنَّ القُرآن حیٌّ لَمْ یَمُت، وَأَنَّهُ یجری کَمَا یجری اللیل والنهار، وَکَمَا تجری الشمس والقمر ویجری عَلَی آخرنا کَمَا یجری عَلَی أوّلنا»(۱).

بتقریب: إنَّ الروایه صریحه فِی جری آیات القُرآن لکنَّ الکلام هل المراد جری المعنی الکُلِّی فِی المصادیق کَمَا هُوَ مقتضی النظریه الأولی، أو أنَّ المراد جری الاستعمال فِی حقائق متتالیّه وجری التفهیم والدلاله فِی معانی متعاقبه کَمَا هُوَ مقتضی النظریه الثانیه بنحو تکون الإراده الجدیّه فِی الأصل منطبقه عَلَی الموارد کمعانی لا کمصادیق.

الروایه الرابعه: علی بن إبراهیم عَنْ مُحمَّد بن أبی عمیر عَنْ ابن أُذینه عَنْ بُرید العجلی عَنْ أبی جعفر علیه السّلام فِی قول الله عز وَجَلَّ(إِنَّما أَنْتَ

۱- (۱) تفسیر العیّاشی: ج ۲، ص ۳۷۹، ح ۶؛ بحار الأنوار: ج ۳۵، ص ۴۰۳، ح ۲۰.

مُنْذِرٌ وَ لِكَلِّ قَوْمٍ هادٍ(۷) فَقَالَ رسول الله صلّى الله عليه و آله: «المنذر وَلِكَلِّ زمان مِنّا هاد يهديهم إلى ما جاء به النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله ثمَّ الهداه مِنْ بعده عليٌّ ثمَّ الأوصياء واحداً بَعْدَ واحد»(۱).

الروايه الخامسه: الحسين بن مُحمَّد الأشعرى عَنْ المعلى بن مُحمَّد عَنْ مُحمَّد بن جمهور عَنْ مُحمَّد بن إسماعيل عَنْ معدان عَنْ أبى بصير قَالَ: - قلت لأبى عبدالله عليه السّلام(إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ(۷) فَقَالَ رسول الله صلّى الله عليه و آله: «المنذر وعلى الهادى، يا أبا مُحمَّد هل مِنْ هاد اليوم؟ فقلت بلى جعلت فداكَ ما زال منكم هادٍ مِنْ بَعْدَ هاد حَتّى دُفِعَتْ إليك فَقَالَ رحمك الله يا أبا مُحمَّد لو كانت إذَا نزلت آيه عَلَى رجل ثمَّ مات ذَلِكَ الرجل ماتت الآيه مات الكتاب، ولكنّه حيٌّ يجرى فيمن بقى كَمَا يجرى فيمن مضى»(۲).

الروايه السادسه: ما وَرَدَ فِى تفسير العيّاشى بإسناده عَنْ أبى جعفر عليه السّلام«... ولو أنَّ الآيه إذَا نزلت فِى قوم ثمَّ مات أولئك القوم ماتت الآيه لما بقى مِنْ القُرآن شىء ولكن القُرآن يجرى أوّله عَلَى آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكل قوم آيه يتلونها هُمْ منها مِنْ خير أو شر»(۳).

الروايه السابعه: بإسناد العياشى عَنْ الفضيل بن يسار، قَالَ:

۱- (۱) أصول الكافى: ج ۱، ص ۱۹۱، ح ۱؛ تفسير نور الثقلين للعروسى: ج ۳، ص ۴۱۷، ح ۲۱.
۲- (۲) أصول الكافى: ج ۱، ص ۱۹۲؛ تفسير نور الثقلين للعروسى: ج ۳، ص ۴۱۷، ح ۲۲.
۳- (۳) تفسير العيّاشى: ج ۱، ص ۸۵، ح ۷.

سألتُ أبا جعفر عليه السّلام عَنْ هَذِهِ الروايه ما فِی القُرآن آیه إلَّا ولها ظهر وبطن وما فیه حرف إلَّا وَلَهُ حدّ ولکل حدّ مطلع ما یعنی بقوله: لها ظهر وبطن؟ قَالَ ظهره تنزیله وبطنه تأویله مِنْهُ ما مضی وَمِنْهُ ما لَمْ یکن بعدُ یجری کَمَا یجری الشمس والقمر کُلّما جاء مِنْهُ شیء وقع، قَالَ الله: (وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ) نَحْنُ نعلمه»(۱).

الروایه الثامنه: أحمد بن مُحمَّد بن خالد البرقی فِی (المحاسن) عَنْ الحسن بن علی بن فَضَّال، عَنْ ثعلبه بن میمون، عمن حدثه عَنْ المعلی بن خنیس قَالَ: - قَالَ أبو عبدالله علیه السّلام: - فِی رساله: - «فَأمَّا ما سالت عَنْ القُرآن، فَذَلِکَ أیضاً مِنْ خطراتک المتفاوته المختلفه؛ لِأنَّ القُرآن لَیْسَ عَلَی ما ذکرت وَکُلّ ما سمعت فمعناه (عَلَی) غَیْر ما ذهبت إلیه، وإنّما القُرآن أمثال لقوم یعلمون دون غیرهم، ولقوم یتلونه حقّ تلاوته، وَهُمْ الَّذِیْنَ یؤمنون به ویعرفونه... الخ»(۲).

هَذِهِ الروایات المستفیضه وغیرها الَّتِی اشتملت عَلَی تفسیر الآیات المبارکه تُؤکِّد عَلَی أنَّ أحد دعائم حیاه القُرآن الکریم هِیَ قاعده الجری بمعنی التطبیق أو التعبیر، وَهِیَ القاعده الأساسیه البنیویه فِی بیانات أهل البیت علیهم السّلام والمجدّده لحیاه القُرآن الکریم لتجدّد تغطیه القُرآن الکریم لکل لحقب ومراحل حیاه البشر وأطرافها، إلَّا أنْ یُجعل

۱- (۱) تفسیر الصافی: ج ۱، ص ۱۹، المقدمه الرابعه.

۲- (۲) وسائل الشیعه: ج ۲۷، ص ۱۹۰ ب ۱۳، من أبواب صفات القاضی: ح ۳۸.

مِنْ القُرآن كتاباً مُعطّلاً- -- والعياذ بالله - لو لَمْ يتّصف الكتاب العظيم بهذه المواصفات، وإنَّ أعظم شيء فِي القُرآن هُوَ أنَّهُ كتاب حيٌّ مِنْ الحيّ القيّوم العظيم بهذه المواصفات، وإنَّ أعظم شيء فِي القُرآن هُوَ أنَّهُ كتاب حيٌّ مِنْ الحيّ القيّوم إلى الحياه، وَهَذَا معناه أمَّا القُرآن يُبدى حياةً لدى الكائنات والمخلوقات مِنْ الحى الذى لا يموت.

الروايه التاسعه: مُحمَّد بن على بن بابويه قَالَ حدّثنا الحاكم أبو على الحسين بن أحمد البيهقى، قَالَ: حدّثنى مُحمَّد بن يحيى الصولى، قَالَ حدّثنى القاسم بن إسماعيل أبو ذكوان قَالَ: سمعت إبراهيم بن العباس يُحدِّث عَنْ الرضا عليه السّلام عَنْ أبيه موسى بن جعفر عليه السّلام«أنَّ رجلاً سأل أبا عبدالله عليه السّلام ما بال القُرآن لا يزداد عِنْدَ النشر والدرس إلَّا غضاضه(١)؟ فَقَالَ لِأنَّ الله تَعَالَى لَمْ يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فَهُوَ فِي كُلّ زمان جديد وَعِنْدَ كُلّ قوم غضّ إلى يَوُم القيامه»(٢).

تنبيه: سيأتى إنْ شاء الله تَعَالَى فِي نظام قواعد وأصول التفسير فِي النظام المعنوى - نظام عالم المعنى - فِي القُرآن الكريم أنَّ أعظم مدار فِي حُجّيه القُرآن أنَّهُ كتابٌ حيٌّ وحيوى لا- يعطل أبداً وَأنَّهُ مُفَعَّل وبه يعطى الله ويأخذ، وبه يُثيب وبه يعقاب، وأنَّ القُرآن كَانَ ولا زال إلى يَوُم الدين

١- (١) وشيء غضّ: أى طرى.. مجمع البحرين مادّه غضض.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ج ٢، ص ٩٣ ح ٣٢؛ والبرهان فى تفسير القرآن - هاشم البحرانى: ج ١، ص ٧١، م/ ١٣ ح ٣.

هُوَ الميزان بين الخالق والمخلوقين وتتفرع عِدَّه بحوث مُهمّه عَنْ بحث أنَّ القُرآن حجه حيّه لا يعطل وَأَنَّهُ مِنْ ضروريات الدين وضروريات منهاج أئمه أهل البيت عليهم السّلام وأحد أهم تلك البحوث هُوَ بحث: -

نفى التحريف عَنْ القُرآن: - وَهَذَا مِنْ المباحث الَّتِى كثر فيها اللغط العلمى ودعاوى التحريف، وَعَلَيْهِ فالميزان الطارد لبحث التحريف وغيره هُوَ أنَّ القُرآن حجه حيَّه لا يُعطّل وَأَنَّهُ دائماً مفعلٌ، وأنَّه حبل ممدود مِنْ السماء طرفٌ بيد الناس، وَأىّ ناس يعنون بذلك؟ هُمْ أهل كُلّ جيل مِنْ البشر، وطرف مِنْ عِنْدَ الله، وَعَلَيْهِ فَمِنْ يُنكر أنَّ القُرآن حجه حيّه فَقَدْ خرج مِنْ ربقه الدين الإسلامى الحنيف، هَذَا مِنْ جانب.

وَمِنْ جانب آخر فرض الأئمه الأطهار عليهم السّلام عَلَى ربط النظام الاستعمالى اللفظى فِى القُرآن بمبحث عالم المعنى أىّ النظام المعنوى، وَهُوَ بحثٌ مرتبط بالحجّيه وأنَّ حجيّه القُرآن حيّه وَغَيْر معطله، وليست حجّيه القُرآن مختصّه بزمان دون غيره، وبمكان دون آخر.

تفسير لقاعده الجرى والتطبيق أو التغيير

اشاره

لدى أعلام المفسرين من الفريقين

توطئه:

لو تتبعنا آراء جمله من أعلام المفسرين من الفريقين لقاعده الجرى والتطبيق لوجدناها عندهم تمثِّل معنىً كلّى وله عده تطبيقات ليست مراده بالأصل وهذه التطبيقات ليست معانى استعماليه وإنَّما صرف مصاديق المراد الاستعمالى للآيات.

إذَنْ المراد الاستعمالى للآيات هُوَ فَقَطْ المعنى الكُلِّى ولا يُراد مِنْ المعنى الكُلى شخصانيّه المصاديق، وتطبيق الآيه أو الروايه عَلَى أئمه أهل البيت عليهم السّلام هُوَ تطبيق مصداقى لا أنَّ أهل البيت عليهم السّلام مرادون مثلاً فِى الآيه بشخصهم، وهكذا قوله تَعَالَى: (إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ(٧) (١) فَهَذِهِ الآيه قضيه كليه وعامه وإراده الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام مِنْ باب التطبيق لا أنَّ الشخص الشريف لسيد الأوصياء على بن أبى طالب عليه السّلام مراد مِنْ الآيه، وإنما هُوَ معنى كلى ويجرى تطبيقه عَلَى مواضع

١- (١) سوره الرعد: الآيه ٧.

عدیده.

وهکذا نجد أغلب الآیات القرآنیه تُستعمل فِی المعانی الکلیّه، إلَّا بَعْض الآیات فَإنَّهُ یراد منها الشخص الموجّه إلیه الخطاب مثل:

۱ - قوله تَعالَی: (فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ...) (۱).

۲ - قوله تَعالَی: (وَ یُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلی حُبِّهِ مِسْکِیناً وَ یَتِیماً وَ أَسِیراً(۸)...) (۲).

۳ - قوله تَعالَی: (وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَیْنا بَعْضَ الْأَقاوِیلِ(۴۴) (۳).

۴ - قوله تَعالَی: (یا أَیُّهَا النَّبِیُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّهُ لَکَ) (۴).

۵ - قوله تَعالَی: (عَفَا اللّهُ عَنْکَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتّی یَتَبَیَّنَ لَکَ الَّذِینَ...) (۵).

۶ - قوله تَعالَی: (یا مُوسی) (۶).

۷ - قوله تَعالَی: (یا عِیسَی) (۷).

۸ - قوله تَعالَی: (یا یَحْیی خُذِ الْکِتابَ) (۸).

۱- (۱) سوره آل عمران: الآیه ۶۱.

۲- (۲) سوره الإنسان: الآیه ۸.

۳- (۳) سوره الحاقه: الآیه ۴۴.

۴- (۴) سوره التحریم: الآیه ۱.

۵- (۵) سوره التوبه: الآیه ۴۳.

۶- (۶) سوره القصص: الآیه ۳۱.

۷- (۷) سوره المائده: الآیه ۱۱۶.

۸- (۸) سوره مریم: الآیه ۱۲.

۹ – قوله تَعَالَی: (وَ لَوْ أَشْرَکُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما کانُوا یَعْمَلُونَ) (۱) وغیرها.

فَإِنَّ الآیات الَّتِی صَرَّحت بإراده شخص المخاطب مِنْ نبی أو وصیّ نبی أو أولاد الأنبیاء أو مؤمن أو کافر أو... الخ صَحَّ حینئذٍ التعبیر الأصولی فِی المقام مِنْ أنَّ شخص المخاطب مأخوذ عَلَی نحو الموضوعیّه وَأنَّهُ جزء مِنْ الموضوع وَعَلَیْهِ إذَا لَمْ یتحقق ذَلِکَ الفرد لَمْ یَتِمُّ معنی الآیه.

هَذَا بلحاظ بَعْض الآیات.

وأمَّا بلحاظ أغلب الآیات فإنَّها ناظره إلی کلیّه وعمومیّه المعنی، وأمَّا المخاطب فَقَدْ ذُکِرَ مِنْ باب المثال وَعَلَی نحو الکشف والطریقیه لا الموضوعیّه وَعَلَیْهِ فیمکن التعدّی إلی غیره.

وهکذا الأصل فِی بیانات أهل البیت علیهم السّلام وأنها استعملت فِی معنی کُلِّی، هَذَا بحسب النظریه الأولی.

وأمَّا بحسب النظریه الثانیه فیمکن أنْ تقول: – إنَّ الآیات والروایات الوارده عَنْ أئمه أهل البیت علیهم السّلام، وَالَّتِی فیها خطاب خاص بالنبی صلّی الله علیه و آله أو بالوصی أو بفرد خاص، حسب قاعده الجری والتطبیق أو التعبیر حسب منهج أمومه الولایه شامله لذلک ولا تقتصر عَلَی موردها،

۱– (۱) سوره الأنعام: الآیه ۸۸.

بَلْ تتعداه إلى غيره، فِي حين أنَّ الخصوصيه مُراده كَمَا أنَّ العموميه مُراده وَذَلِكَ لما سيأتى مِنْ عموم قاعده الجرى عَلَى وفق النظريه الثانيه فِي المداليل والمعانى والمصاديق مَعَ أنّها كُلَّها مُراده. إلَّا أنَّ جملةً مِنْ مفسرينا أمثال السيد مُحمَّد حسين الطباطبائى صاحب تفسير الميزان الذى بنى صرح تفسيره - الميزان فِي تفسير القُرآن - عَلَى شخصائيه المصاديق، وملا صدرا والفيض الكاشانى و... الخ فضلاً عَنْ مفسرى العامّه ذهبوا إلى أنَّ الآيات الَّتِى فيها الخطاب موجّه إلى شخص فِي بعضها فَإنَّ مثل السيد العلامه رحمه الله يحصر الخطاب بِهَذَا الفرد ولا يتعدّى إلى غيره، بخلاف ما تذهب إليه النظريه الثانيه المختاره حسب منهج أمومه الولايه عَلَى المحكمات فِي قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير.

والخلاصه أنَّ المنهج التفسيرى الذى اعتمده السيد العلّامه الطباطبائى وبنى عَلَيْهِ صرح تفسيره الميزان فِي تفسير القُرآن هُوَ أنَّ قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير منحصره بشخصانيه الأفراد والمصاديق الموجّه إليها الخطاب، وهكذا مَنْ كَانَ قبل السيد العلامه الطباطبائى مِنْ المفسرين كالفيض الكاشانى رحمه الله صاحب الوافى وغيرهم، وإنْ كَانَ هُنَاك اختلاف بين مناهجهم التفسيريه خاصّه بين الفيض الكاشانى مِنْ جهه، وبين السيد العلامه الطباطبائى وملا صدرا مِنْ جهه أُخْرى، ورغم ذَلِكَ الاختلاف فيما بين مناهجهم التفسيريه إلَّا أنَّ قاعده الجرى والتطبيق عندهم فيها نوع مِنْ التقنيه والضبط، إلَّا أنَّهُ وللأسف مَنْعَهم عَنْ شمول

قاعده الجرى لنمط مِنْ آيات القُرآن الكريم غَيْر مقبول فالآيات الكريمه المتقدمه(فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ...) . (وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً...) (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّهُ لَكَ) و(لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ(۴۴) و(لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) و(وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى(۱۷) و... الخ.

مِنْ أنَّ المنظور فِى هَذِهِ الآيات المباركات وغيرها هُوَ شخص المخاطب، وَهَذَا يمكن تسجيله كتأمل أوَّل عَلَى أصحاب المسلك الَّذِيْنَ يقصرون النظر عَلَى شخص المخاطب فِى الآيه ولا يتعدّى عَنْ غيره، وسيأتى تفصيله بَعْدَ قليل.

وَبَعْدَ هَذِهِ التوطئه نذكر قاعدتين ذات صله بقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير.

القاعده الأولى: الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ.

القاعده الثانيه: هل اللغه ألفاظٌ وأصوات فَقَطْ، أم هِىَ نفس المعنى.

القاعده الأولى: الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ

اشاره

معنى القاعـده: يُعبَّر عَنْ هَـذِهِ القاعـده فِى كتب الأدب القـديمه باسم: خُـذ الغايات واترك المبادئ وَهُوَ ما يُعبَّر عنه: بأنَّ الألفاظ وضـعت لأرواح المعانى السابحه الكليّه لا لأجسام وأبـدان المعانى وقشورها، إذْ الغايات هِىَ الأرواح، واترك المبادئ أىّ اترك الأجسام والأبدان وقشورها وسطوحها وثقلها المادّى.

توضـيح ذَلِـكَ: إنَّ الله تَعَـالَى لَمْ يخلق الأشـياء إلَّا لأجل غايه وهـدف وراءه وَإلَّا يكون لغواً وعبثاً والبارى تَعَالَى منزّه عَنْ اللغويه والعبثيه وَكُلّ صفه نقص يُجلُّ عنها.

فمثلاً ـ خلق الإنسـان وَهُوَ أعظم مخلوق وراءه غـايه وهـدف فمثلاً ـ جوارح الإنسـان كاليـد الغايه منها أمورٌ عِـدَّه تؤدى باليـد منها البطش أو البسط أو القبض أو... الـخ فَهَذِهِ وغيرها كمال الغايه لليد، وآله هَذِهِ الغايه الذى يتوصّل باليد إليها هُوَ الجسم، واليد لَمْ توضع للجارحه وإنما هَذِهِ الجارحه هِىَ المبدأ والمنطلق والآله الَّتِى ينتهى بها البسط أو البطش أو القبض أو... الخ وَعَلَيْهِ وضـعت لنفس قدره التصرف ونفس حقيقه القبض والبسط وَهَذَا المعنى يكشف اشتباه بَعْض اللغويين عِنْدَمَا قالوا

بأنّ اليد وضعت للجارحه كَمَا فِی أقرب الموارد: - بأن [اليَدّ] الكفّ مِنْ أطراف الأصابع إلی الكتف... وَقَالَ أبو إسحاق اليد مِنْ أطراف الأصابع إلی الكف والصواب إلی الكتف، وَهَذَا قول الزجّاج... الخ(۱).

فِی حين قَالَ ابن الهيثم: والعرب تقول: - ما لی يَدٌ: أیّ ما لی به مِنْ قوّه... أیّ (وَهُم)(۲) أُولوا القوهّ والعقول، وَقَالَ ثعلب عَنْ ابن الإعرابی: - اليدُ: النعمه، واليد - القوّه، واليدُ: القدره، واليد: المِلْك، واليد: السُّلطان، واليد: الطاعه... الخ(۳) وَمِنْ الواضح أنَّ قول أبو الهيثم وقول ثعلب عَنْ ابن الإعرابی محمولٌ عَلَی المجاز أیّ تحمل اليد عَلَی المجازيه فيما إذَا استعملت فِی القوّه والأبصار والقدره والملك والسلطان والطاعه و... الخ.

وهكذا لفظ [العين] فإنها لَمْ توضع لهذه الجارحه الكريمه والكُرَه الجسمانيه، وإنما وضعت للإبصار وما يُبْصَر به أو ما يُدْرَك به المُبْصِرات.

وهكذا [الأذن] فإنَّها ليست موضوعه لهذه الشحمه الجارحه وإنَّما موضوعه للمعنی وَهُوَ مبدأ الاستيفاء الغايه منها وَهُوَ إدراك المسموعات، وَإلَّا لو كانت هَذِهِ الأذن لا يُسمعُ بها فَهِیَ ليست أُذُناً وإنَّما شكل وصوره أذن، وهكذا اليد لو كانت شلّاء، والعين لا يُبصر بها فإنَّها

۱- (۱) أقرب الموارد: ج ۵، مادّه يدی: ص ۸۷۹.

۲- (۲) سوره ص: الآيه ۴۵.

۳- (۳) معجم تهذيب اللغه للأزهری: ج ۴، ص ۳۹۷۵.

صوره عين ويد، ولذا اشتبه الحال عَلَى المجسّمه عِنْدَمَا اشتبه اللغويّون فِى أنَّ استعمال اليد مثلاً فِى القوّه والسلطان والمِلك إنَّهُ لَيْسَ بمجاز، ولذا وقع المجسِّمه بمحذور التجسيم الباطل، فِى أنَّ لله تَعَالَى حقيقه يدٌّ جارحه يبطش بها - والعياذ بالله - وعينٌ جارحه يُبْصِرُ بها، وشحمه إذَنْ يسمع بها و... الخ، واستدلَّ المجسِّمه عَلَى ذَلِكَ الآيه: (أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ(٧١) (١)بتقريب: إنَّ لله تَعَالَى مخلوقات وتلك المخلوقات الكريمه والعظيمه يتصرّف بها الله وَهِىَ مظهر قدره تصرف الله فيها ويحيط بها تَعَالَى إحاطه تامّه وأجرى تَعَالَى عَلَى يدى تلك المخلوقات قدره تصرفه بها. لا أنَّ المراد - والعياذ بالله - كَمَا ذهبت إليه المجسّمه أنَّ لله عينٌ جارحه وجسم كروى يُبصِر بها الأشياء.

وهكذا قوله تَعَالَى(وَ لِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِى) (٢) فَإنَّهُ لَيْسَ المقصود ما ذهبت إليه المجسّمه مِنْ أنَّ لله عيناً جارحه يُبْصر بها الأشياء - والعياذ بالله - كلا وإنَّما المقصود الصحيح هُوَ أنَّ لله تَعَالَى علم يُدْرِك به المبصرات سواء كَانَ علم فِى مقام الفعل أىّ فعل الله أىّ مخلوقاته الَّتِى تكون شاهده والله مِنْ ورائها محيط بعلم ما تعلم.

۱- (۱) سوره يس: الآيه ۷۱.

۲- (۲) سوره طه: الآيه ۲۹.

وهكذا قوله تَعَالَى(ما فَرَّطْتُ فِی جَنْبِ اللّهِ) (۱).

بتقریب: هل أنَّ الله تَعَالَى لَهُ جسم مادّی وهیکل عظمی وقفص صدری و... حَتّی تکون لَهُ تَعَالَى جنبه طرف مِنْ هَذَا الجسم أو... الخ؟.

الجواب: کلاـ وإنَّما المُراد مِنْ جنب الله أیّ قُرْب الله تَعَالَى لاـ القرب المکانی ولاـ القرب الزمانی والله خالق لهما - للزمان والمکان - ولکنّه تَعَالَى فوق الزمان وفوق المکان.

والمُراد: إنَّ هُنَاک مِنْ المخلوقات العظیمه والشریفه عبادٌ مکرمون أودعهم الله أسراره منهم عَلَى قرب مِنْ مشیئه الله وإرادته والعلم برضا الله وسخطه و... یُقَال عنهم جنب الله لا أنَّهم جزء مِنْ الله - والعیاذ بالله - کَمَا توهمه المجسِّمه فَلَیْسَ لله جسم حَتّی یکونوا جزءاً مِنْه تَعَالَى الله عَنْ ذَلِکَ علواً کبیراً.

۱- (۱) سوره الزمر: الآیه ۵۶.

تعريف الشيء بغايته من أكمل تعاريف الشيء

وَمِنْ المؤيدات عَلَى أنَّ الألفاظ موضوعه لروح المعانى: هُوَ ما ذكره ولاحظه المناطقه مِنْ: - [إنَّ تعريف الشيء بغايته هُوَ مِنْ أكمل تعاريف الشيء].

بتقريب: إنَّ الشيء تاره يُعرَّف بصورته، وَأُخْرَى بمادته وكلاهما ليسا الصوره الغائيه والنهائيه مِنْهُ.

بخلاف روح الشيء فَهُوَ شيء آخر، فَإنَّ حقيقه كُلّ شيء بكماله الأخير يعنى غايته؛ ولذا امتاز الإنسان عَنْ الحيوان بكماله الأخير وَهُوَ العقل والروح الإنسانيه وَإلَّا إذَا عرَّفنا الإنسان بإنَّه جسم مركّب الأعضاء، فَإنَّ هَـذَا تعريف لا يميّز الإنسان عَنْ غيره كالحيوان مثلاً، فَإنَّ الحيوان أيضاً جسمٌ مركب مِنْ أعضاء ناميه وحسّاسه وَلَهُ مقدار مِنْ الإدراك.

وإنّما المائز هُوَ تعريف الشيء - كالإنسان - بغايته الكماليه الأخيره الَّتِى يصل إليها ولا يصل إليها غيره كالحيوان وباقى المخلوقات الأُخْرَى.

وهكذا تعريف نبى مِنْ أنبياء الله تَعَالَى كالخاتم مُحمَّد صلّى الله عليه و آله، فإذا عرّفناه بإنه بشر فَقَطْ فَهَـذَا تعريف ناقص للنبى(قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى

إِلَیَّ) (۱) فَهُوَ صلّی الله علیه و آله مبدأ الغایه ودوام فیض الوحی إلیه لَمْ ینقطع وَلَمْ یُعبَّر القُرآن ب - [أوحی إلیَّ] أو [سیوحی إلیه] أو.. إنَّما عبَّر بصیغه المضارع [یوحی] الصالح للاشتراک بین زمانی الحال والاستقبال وَلَمْ ینقطع وما انقطع عنه صلّی الله علیه و آله الوحی إلی الآن وَهُوَ صلّی الله علیه و آله فِی البرزخ وَإلی عالم الآخره.

وَعَلَیْهِ فَإنَّ خصوصیه ومیزه یوحی إلیه هِیَ أعظم کمال یمکن أنْ یناله المخلوق؛ ولذی عَرَّف الباری تَعَالَی الْنَّبِیّ صلّی الله علیه و آله بأنه یوحی إلیه، وَهَذَا الوحی دائمٌ ومستمرٌ وَهُوَ تعریف بالغایه النهائیه.

والخلاصه: إذَنْ حقائق الأشیاء بغایاتها لا بمبادئها المصداقیه والتعریف بالمبادئی فَقَطْ تعریف ابتدائی لا نهائی وغایتی، والتعریف الأسدّ والناضج هُوَ التعریف بالنهایه والعاقبه والغایه.

تنبیه: مسأله حقائق الأشیاء بغایاتها لیست مختصّه بعلم مِنْ العلوم وَإنَّما ساریه فِی جمیع العلوم سواء الفقه والأصول والحدیث والتفسیر والمنطق والکیمیاء والفیزیاء والاجتماع والسیاسه والاقتصاد و... الخ ففی الکل لا تستطیع أنْ تحکم عَلَی الحدث إلَّا بعاقبته ومآله ونهایه نتائجه.

وَعَلَیْهِ فحقیقه المعانی بالنهایات والغایات، والألفاظ وضعت لها أیّ لغایات المعانی.

۱- (۱) سوره فصّلت: الآیه ۶.

تأكيد القُرآن وأهل البيت عليهم السلام

على قاعده الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ

أَكَّدَ القُرآن وأهل البيت عليهم السّلام وبإصرار عَلَى هَذِهِ النظريه.

أمَّا القُرآن فَقَدْ أَكَّدَ عَلَى ذَلِكَ فِي موارد عِدَّه:

منها: قوله تَعَالَى: (فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (۱).

وقوله تَعَالَى: (أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِها أَمْ لَهُمْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها) (۲).

بتقريب: لَيْسَ المراد مِنْ عمى العيون أىّ عمى العيون الجارحه والمادّيه، وهكذا السماع لَيْسَ المراد مِنْهُ السماع بالجارحه أو البطش باليد - كَمَا تَقَدَّمَ - وهكذا حقيقه الحياه ليست حياه هَذَا البدن المادى للبشر وَإِنَّما حقيقه الحياه بحياه الروح، بدليل قوله تَعَالَى: (... وَ مَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النّاسَ جَمِيعاً) (۳) لَيْسَ المُراد مِنْ إحياء النفس هُوَ

۱- (۱) سوره الحج: الآيه ۴۶.

۲- (۲) سوره الأعراف: الآيه ۱۹۵.

۳- (۳) سوره المائده: الآيه ۳۲.

إحياء بـدن النفس اللطيف أو بشـره بـدن النفس أو هندامها أو إناقتها أو... الخ وَإِنَّما المراد مِنْ إحياء النفس هُوَ بإحيائها المعنوى والروحى وبغايتها لا بمبادئها أىّ بغايتها مِنْ كَمَالها العقلى والقلبى لا البدنى والجسمانى الغليظ.

ص:۴۶

العلاقه بين القاعدتين

خذ الغايات واترک المبادئ والجرى والتطبيق أو التعبير

هُنَاک علاقه وطيده بين نظريه خذ الغايات واترک المبادئ وبين قاعده الجرى والتطبيق والتعبير، وَهُمَا اثنان وَلَيْسَ واحداً كَمَا تخيّله البعض مِنْ أنَّهما واحده، أو بعضهم ذهب إلى جعلها وجهان لعمله وحقيقه واحده، وَهَذَا التعبير قَدْ يُسلِّم به البعض.

إلَّا أنَّهُ بالحقيقه شيئان وَذَلِکَ ببيان - وَهَذَا البيان استدلَّ به السيد العلامه الطباطبائى لنظريته الَّتِى سوف تأتى -

إنَّ الألفاظ وضعت لأرواح المعانى السابحه الكليّه - كَمَا مَرَّ - وَلَمْ توضع لقشورها وسطوحها وثقلها المادّى، وتقدم ذكر بَعْض المؤيدات مِنْ الكتاب والسنه عَلَى أنَّ الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ، وَعَلَيْهِ: -

فَإنَّ هَذَا التفسير لقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير وَأنَّهُ مِنْ الأصل استعمل اللفظ فِى المعنى العام الكلّى وَلَمْ يستعمل فِى حبوسات المصاديق، وما هَـذِهِ المصاديق والأمثله إلَّا تطبيقات، وأنَّ تلک المصاديق هِىَ مِنْ أبرز مصاديق ذَلِکَ المعنى الكُلِّى العام الذى وضعت لَهُ الألفاظ، وأمَّا التمايز بين هاتين القاعدتين فسيأتى بناءاً عَلَى النظريه الثانيه فِى تفسير قاعده الجرى.

ص:۴۷

القاعده الثانيه: هل اللغه ألفاظ وأصوات فَقط

اشاره

أم نفس المعنى

إذَا كـانت اللغه بمعنى الشـيء الـدالّ عَلَى شـيء آخر فـالمعنى أحرى أنْ يكون بياناً ولساناً ولغةً وَلَيْسَ المقصود مِنْ اللسان هَـذِهِ العضـله اللحميّه، وَإنَّما تبين مِنْ خلال ما تَقَـدَّمَ أنَّهُ توجـد عندنا لغات متعدده، وأنَّ أحد معانى اللغه ما تَقَدَّمَ - وَهُوَ دلاله الشـيء الدال عَلَى شيء آخر - وَهَذَا الشيء يَدُلّ عَلَى المعنى أسرع وأبين مِنْ دلاله الصوت اللفظى بَلْ وَحَتّى اللفظ بمعنى الملفوظ.

إذَنْ المعنى هُـوَ قـوّه مِنْ قِـوى الفكر فِى الإنسـان وَهُـوَ الـذى يُعنى مِنْ الصوت والكلمه الَّتِى يلفظهـا اللسـان الـذى هُوَ فَقَـطْ لفظ لأنفاسه، وَهَذَا نحو مِنْ أنحاء اللفظ، بينما العقل يلفظ أفكاره وَقَدْ يلفظ قوّه الخيال للشاعر صور ومعانى تنبع منها - المخيله.

بَـلْ حَتّى تعبير علمـاء القـانون مـا يُعبَر عنه (لغه القـانون) وَلَيْسَ المُراد مِنْ القـانون أصوات خـاصّه وَإنَّمـا المراد مِنْهُ معـانى معيّنه. وهكذا لغه الطب والهندسه والفيزياء والكيمياء و... الخ وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ المعانى وَهَذَا الحاسوب بأىّ لغه تبرمج فلها نظامها الخاص.

ص:۴۹

وَهَذَا معناه أنَّ هُنَاكَ نظاماً يسمى بنظام الدلاله المعينه ونظام بيانات يضعها الباحث بالحاسوب ويُعبّر عنه لغه وبالحقيقه هُوَ لَيْسَ ب - (لغه) صوتيه.

والمحصل مِنْ كُلّ هَذَا أنَّ اللُّغَه أو اللَّفْظ أو القول أو اللِّسان أصبح معنى، وَحَتّى نفس لغه وقول ولسان هِيَ أيضاً الأُخْرَى لَمْ توضع للأصوات، وَإنَّما وضعت للمعانى.

عالم المعانى لغه مِنْ اللغات:

إنَّ عالم المعانى لغه مِنْ اللغات فالمعنى وطبقات المعانى نمط مِنْ اللُّغَه واللغات؛ ولذا سيأتى فِى قواعد التفسير فِى نظام المعانى فِى تفسير القُرآن الكريم تفصيل ذَلِكَ، وَعَلَيْهِ فَإنَّ هَذِهِ الأقسام المختلفه - مِنْ العوالم ليست اللُّغَه اللِّسانيه البشريه المشتركه بينها هِيَ اللُّغَه البشريه كلا، إذْ لو كَانَتْ اللُّغَه اللسانيه البشريّه فَقَطْ هِيَ اللُّغَه فأين لغه التخاطب بين البشر والحور العين، إلَّا بتقدير لطافه الأصوات فقط إحساس الحواس الدنيويه ليشمل الحواس الجسمانيه الأخرويه.

وكذا لغه التخاطب بين البشر والملائكه(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَهُ ظالِمِى أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ) (١). و(إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ

١- (١) سوره النساء: الآيه ٩٧.

اِسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَهُ أَلاّ تَخافُوا) (۱). إذَنْ مدرسه السَّمَاء تُؤكّد عَلَى وجود لغه مشتركه بين الخلائق أجمع مِنْ خلال نظريه الألفاظ وضعت إلى روح المعانى، وخُذ الغايات واترك المبادئ، وأنَّ هُنَاك عناصر ولغه تفاهم وتخاطب بين العالم الربوبى وعالم المخلوقات - وَإلَّا نكون معطّله - والعياذ بالله تَعَالَى فِى التوحيد والإيمان وتترتب عَلَى القول بأنّا معطّلون لوازم باطله وبالتالى لا يقدر البشر عَلَى الإدراك والوصول إلى معنى التوحيد ومعنى العالم الربوبى ولو بأدنى درجات الإدراك، وَعَلَى هَذَا يكون التوحيد مُعطَّل - والعياذ بالله تَعَالَى -

وببركه نظريه الألفاظ موضوعه لروح المعانى نستطيع التوصّل والإدراك ونملك حظاً مِنْ الوصول والإدراك ولو لأدنى عوالم التوحيد، والحاجه إلى لغه التخاطب لَيْسَ فَقَطْ بين بنى البشر وبين كائنات فضائيه - كَمَا يعبِّرون عنها - كعالم الجن والشياطين والملائكه، بَلْ نريد التوصُّل إلى إدراك أعلى وَهُوَ أننا بحاجه إلى لغه التفاهم بين بنى البشر وبين العالم الربوبى، بين عالم الخالق وعالم المخلوقين.

إنَّ قُلْت: إنَّ الألفاظ موضوعه لصور جسمانيه أرضيه فَهِىَ لا تصلح لأنْ تكون لغه تفاهم وتخاطب بين البشر وبين عوالم أُخْرَى سواء العالم الربوبى أو المثالى أو عالم المجرّات أو... الخ.

۱- (۱) سوره فصّلت: الآيه ۳۰.

قُلْتُ: تَقَدَّمَ إنَّ الألفاظ تستعمل فِی المعانی الکلیه وَهَذِهِ المعانی تکون جسر تخاطب وتفاهم بین عوالم ونشآت عظیمه وکبیره، وَهَذَا مما یدعم نظر السید العلامه فِی الجری والتطبیق، فإنَّها استعملت بِهَذَا الأفق الواسع والرحب بأنْ یتسع المعنی إلی الأفق، فإنَّها استعملت بِهَذَا الأفق الواسع والرحب بأنْ یتسع المعنی إلی الأفق المبین ولا یُحَدُّ بحدِّ الألفاظ کَمَا وَرَدَ(۱)«یا مِنْ هُوَ بالمنظر الأعلی وبالأفق المبین» بتقریب أنَّ الأُفق المبین یعنی الذی یستبین فیه کُلّ شیء.

وَعَلَی هَذَا یکون معنی قاعده الجری والتطبیق: إنَّ استعمال الألفاظ یرقی إلی معنی الأفق المبین ویطبّق عَلَی مصادیق فِی عالم الأرض والبرزخ والآخره وعالم الملائکه وعالم النور وعالم الروح و... الخ.

فِی حین أنَّ هُنَاک جهه اختلاف بین قاعده الجری وبین قاعده وضع الألفاظ لأرواح المعانی والغایات، حَیْثُ أنَّ قاعده الجری أوسع مِنْ هَذِهِ القاعده ولا یَتِمُّ تقریر الفرق إلَّا عَلَی النظریه الثانیه فِی قاعده الجری وَهِیَ مختار منهج أمومه الولایه عَلَی المحکمات.

تنبیه: یجب الالتفات إلی أنْ لا یخلط الباحث والمفسِّر الحاذق بین خصوصیات المصادیق والنشآت مِنْ جهه وبین شفافیّه المعنی الذی هُوَ بالأفق الأعلی والمبین مِنْ جهه أُخْرَی، وأنْ لا ینقطع حینئذٍ لغه التفاهم

۱- (۱) المزار للمشهدی: ص ۳۱۲؛ وجامع أحادیث السید للسید حسین البروجردی: ج ۷، ص ۱۶۰.

والتخاطب بين العوالم العلويه والـدنيويه ونصـبح معطلّه ويكون كُلّ عالم معزول عَنْ العوالم الأخْرَى وَهَذَا أو غيره لوازم باطله فِى حين أنَّ عَلَى النظيره الثانيه فِى الجرى كُلّ منهما مُراد مِنْ دون لزوم تدافع ولا تناقض كَمَا توهمه أصحاب النظريه الأولى.

ص:٥٣

مطلب هام ذی صله بالمقام

تَعَرَّض عُلماء الأصول لا سيما صاحب الكفايه الشَّيْخ مُحمَّد كاظم الخراسانى قدّس سرّه فِى مباحث الألفاظ فِى بحث المشتق، بَلْ وَحَتّى علماء البلاغه كَذَلِكَ تعرّضوا لمطلب حاصله:

هُنَاكَ بَعْض الأوصاف المشتركه بين البارى تَعَالَى وغيره، فمثلاً نصف البارى تَعَالَى بأنّه عالم سميع بصير قدير و... الخ وكذلك نصف المخلوق بأنَّه عالم وسميعٌ وبصير وقدير و... الخ فهل نقصد مِنْ هَذِهِ الألفاظ معانى هِىَ عين المعانى الَّتِى نصف بها مخلوق مِنْ المخلوقات أو لا؟

والشاهد عَلَى ذَلِكَ ما سأل به هشام بن الحكم الإمام الصادق عليه السّلام فَقَالَ لَهُ: كيف تصف الله، قَالَ عليه السّلام: «أصفه بكذا بكذا، قَالَ عَلَى حدّ ما نصف به المخلوقين قَالَ: نعم، قَالَ هشام إذَنْ تلك صفته صفه مخلوقين فأين صفه الخالق. فتبلبل هشام(١)... إلى أنْ بَيَّن لَهُ الإمام عليه السّلام، وَقَالَ: عِنْدَمَا تقول الله عالم أىّ علمه تَعَالَى لا جهل معه بخلاف علم المخلوقين فَإنَّ المخلوق العالِم لَيْسَ علمه مطلق وَإنَّما فيه جهلٌ، وهكذا عِنْدَمَا نقول: الله قادر أىّ قدره لا عجز فيها، بخلاف وصف المخلوق بالقادر فَإنَّ

١- (١) وبلبله الصدر: وسوسته، مجمع البحرين ماده بلبل.

قدرته ممزوجه ومصحوبه بالعجز، وهكذا وصف الخالق بالحى والحياه فَإنَّهُ تَعَالَى حىٌّ وحياته لا- موت فيها بخلاف حياه المخلوق، فأين هَذَا الحى وأين ذاك الحى وشتان بينهما».

وبالتالى هَذِهِ الأوصاف ألفاظٌ فِى ضمن الألفاظ، ولكن السؤال يقع فِى أنَّ هَذِهِ الألفاظ هل تستعمل فِى معنى مباين أو لا؟ أىّ هَذِهِ الأوصاف معانيها واحده بين البارى وا لمخلوقات أم شىء مباين؟.

الجواب: إنْ كانت تستعمل فِى معنى مباين، فهل يكون ذكر هَذِهِ الأذكار نفهم ونعى منها شىء أم أنَّها لقلقه لسان؟

فإذا كُنّا نعى ونعنى منها شىءً وَهُوَ أنْ نذكر الله بها ونمجّده ونُثْنى عَلَيْهِ ونقدّسه فبهذا اللحاظ والمعنى يكون وصفنا لبقيه الكائنات والمخلوقات بإنَّها عالم أو سميع أو بصير أو قدير... الخ أجنبى مما نَحْنُ فيه وَإلَّا لا يكون أجنبياً فمعرفه الصفات الإلهيه عَلَى وزان أصل المعرفه الإلهيه لا تعطيل ولا تشبيه فليست الألفاظ متباينه ولا المعانى بحدود المعانى الجاريه فِى الخلق؛ لِأنَّ هَذَا مِنْ التشبيه حينئذٍ والتباين المطلق مِنْ التعطيل، بَلْ هُوَ أمرٌ بين أمرين، فأصل الكمال والمعنى الكمالى مُتقرِّر لكنَّ بلا أنْ تقرر الجهات السلبيه مِنْ الحدود الإمكانيه، وكذا تنفى كُلّ حيثيه لها ربط بالحدوث الإمكانى.

وبالتالى البيان لغةً يجب أنْ يكون مشتركاً بين الكائنات الأرضيه

والسماويه والدنيويه والملكوتيه، وبين عالم المثال وعالم العقل والعالم الربوبى و... الخ.

وملخص هَـذَا: هـل يحتاج إلى لغه مشتركه بين الخالق ومخلوقاته أو بلا لغه تفاهم؟ فإذا كُنّا لا نحتاج إلى لغه تفاهم فصـرنا نُغرِّد فِى سرب بعيد عَنْ فَهُمْ العالم الربوبى، وَلَيْسَ عندنا معرفه بالذات الإلهيه لا اقل فِى أدنى درجات المعرفه بالعالم الربوبى.

ص:٥٧

الأقوال أو النظريات فی تفسیر قاعده الجری والتطبیق أو التعبیر

اشاره

هُنَاک أقوال وآراء ونظریات مُتعدِّده فِی بیان وتفسیر قاعده الجری والتطبیق، إلَّا أنَّهُ نقتصر عَلَی ذکر أهم قولین أو نظریتین، والبحث حول قاعده الجری والتطبیق تارهً عَلَی وفق منهج تفسیر القُرآن بالقرُآن، أو التفسیر الموضوعی الذی انتهجه السیّد العلّامه الطباطبائی رحمه الله وبنی عَلَیْهِ صرح منهجه التفسیر فِی کتاب تفسیر المیزان، أو التفسیر الإشاری أو التحلیلی أو اللطائفی وغیرها، ولهذا سنقتصر عَلَی ذکر منهج السیّد العلّامه المبنی عَلَی منهج التفسیر الموضوعی ونجمله فِی النظریه الأولی، وَأُخْرَی نبحث القاعده عَلَی ضوء ما اخترناه فِی منهجنا التفسیری أمومه الولایه عَلَی المحکمات، وَهَذَا ما نُفصِّله فِی النظریه الثانیه، وَهُمَا:

النظریه الأُولی: للسیّد العلّامه مُحمَّد حسین الطباطبائی رحمه الله فِی کتاب المیزان فِی تفسیر القُرآن. وَمِنْ قبله ملا محسن المعروف بالفیض الکاشانی رحمه الله صاحب الوافی رحمه الله وملا صدرا رحمه الله وجمله مِنْ أعلام مفسری أهل السنه وغیرهم ممّن تبنّی هَذِهِ النظریه.

النظریه الثانیه: ما سنرسمهُ عَلَی ضوء منهجنا التفسیری المختار وَهُوَ أمومه الولایه عَلَی المحکمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِی القُرآن.

ص:۵۹

النظريه الأولى

اعتمدت نظريه السيد العلّامه رحمه الله وَمَنْ تبعه وَمَنْ قبله فِی قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير عَلَى جمله مِنْ المبانى عِنْدَ علماء البلاغه وأصول الفقه فِی قسم مباحث الألفاظ وحاصلها:

أولاً: إنَّ المعنى الذى يُستعمل فيه اللَّفْظ هُوَ مدلول أوَّل، أىّ المدلول الاستعمالى كَمَا فِی زيد كثير الرماد فَإِنَّهُ قَدْ استعمل المعنى فِی كثره الرماد فَقَطْ، ثمَّ قَدْ يُراد معنى ثانٍ يُسمّى بالمعنى أو المدلول التفهيمى بأنْ يُفْهِم المقابل أنَّ زيداً كثير الرماد، ثمَّ قَدْ يُراد مِنْ كلا المعنيين الاستعمالى والتفهيمى يُراد معنى جدّى، ولكل واحد مِنْ هَذِهِ المدلولات الثلاثه طبقات وإرادات ومُرادات.

ثانياً: كَذَلِكَ اعتمدت نظريه السيد العلّامه الطباطبائى رحمه الله عَلَى أنَّ اللَّفْظ القُرآنى استُعْمِلَ فِی معنى عام ولا علاقه لَهُ بمورد الاستعمال وَهُوَ التطبيق، وما يُذكر مِنْ تأويلات فِی الآيات والروايات عباره عَنْ مصاديق وتأويل لا تفسير، ولا صله لَهُ بعالم الدلاله.

وبعباره أوضح:

إن موارد النزول والتأويل كلها موارد مِنْ شؤون مقام التطبيق لا

مقام الاستعمال، والآثار المترتبه عَلَى هَذَا هُوَ: أنَّ الألفاظ بالأصل لَمْ توضع إلى المصاديق وَإنَّما وضعت للمعانى الكليّه المشتركه بين المصاديق.

وَهَـذَا معنـاه أنَّ المعانى لَمْ توضع إلى خصوص المصاديق المادّيه ولا المصاديق البرزخيه فِى عالم المثال، ولا خصوص مصاديق عـالم الآـخره ولاـ عـالم العقل ولا... الـخ بَلْ تشـمل الكمالات الموجوده فِى الحضـره الإلهيه بحسب نظريه [خـذ الغايات واترك المبادئ].

وَعَلَى هَذَا فَإنَّ الألفاظ ليست فَقَطْ موضوعه للمعانى، بَلْ موضوعه إلى روح المعانى وَإلى ما هُوَ أبطن وأعمق مِنْ المعانى.

ثالثاً: إنَّ نظريه السيد العلّامه رحمه الله تختصّ بنظام الاستعمال اللفظى، ولا تَعُمُّ عالم المعانى وعالم الحقائق.

رابعاً: إنَّ التطبيق عالمٌ ومرحله منقطعه وفى منأى عَنْ عالم الـدلالات والمـدلولات ولا صـله لها بها، فَإنَّهُ بَعْـدَ انتهاء مرحله الدلاله والمـدلول إلى نتيجه معنى معيّن، فيـأتى بَعْـدَ ذَلِـكَ دور مرحله التطبيق بأنْ يطبّق ذَلِكَ المعنى المعين عَلَى المصاديق، فَإنَّ الصِّله بين التطبيق وبين مرحله الدلالات والمدلولات بِهَذَا المقدار: -

إنَّ المعنى النهـائى المتحصِّل مِنْ عـالم الـدلالات عِنْـدَمَا يطبق عَلَى المصـداق الخـارجى فـذاك المعنى يطبق، وَعَلَيْهِ فالمعنى هُوَ الرابط والصِّله، وَإلَّا فخصوصيّات التطبيق ليست لها أيّه صله ورابط ولا أىّ تضمُّن

بمرحله الدلالات والمدلولات، وَعَلَى وفق هَذَا المنهج التفسيرى لهذه القاعده، فَإنَّ أصحابه يلتزمون بضمان حياه القُرآن وحيويّته وفاعليته وعصريته وخلوده وأبديته مِنْ أنَّ المعنى للآيه كلّى وأدوار العصور تطبيقات مصداقيه.

خامساً: إنَّ الآيات الَّتِى فيها الخطاب موجّهٌ إلى شخص أو أشخاص عَلَى مبنى السيد العلّامه الطباطبائى رحمه الله لا تجرى فيها قاعده الجرى والتطبيق، فَإنَّ كُلّ مِنْ المعنى الاستعمالى والتفهيمى والجدّى للآيه لَيْسَ كليّاً، إلَّا أنَّهم فسَّروا وفصَلوا مرحله التطبيق مقابل التنظير، والحال إذَا كَانَ التنظير يتضمَّن خصوصيه فلا يغاير التطبيق كى يجرى المعنى بكليّه وسيعه، فَمِنْ ثَمَّ لا تجرى عندهم قاعده الجرى والتطبيق فِى مثل هَذَا النمط مِنْ الآيات.

وفصلوا بينهما - مرحله التطبيق ومرحله التنظير - وأنَّ مقام التنظير عَلَى صعيد المعنى التصورى أو التفهيمى أو الجدّى سواءٌ.

فَهُوَ ليست إراده استعماليه وَإنَّما هُوَ مقام استثمار.

إذَنْ لا صله للمصاديق بالتنظير بالخطاب القُرآنى إرادةً واستعمالاً، حَسْبَ النظريه الأولى، وَلَيْسَ المقصود أنَّهُ لا خطاب موجّه للمصاديق، وَإنَّما الخطاب دائماً فِى التنظير ويلحظ فيه جانب المدلول الدلالى ورؤيه التنظير.

وَهَذَا كُلَّه عَلَى خلاف ما سيأتى فِى النظريه الثانيه مِنْ قاعده الجرى

والتعبير وأنَّ مقام التطبيق هُوَ بمنزله مرحله الامتثال وتنجيز الأحكام كعمده الغايه، ونظير المُقنن للقانون وإنْ لَمْ يكن غرضه مصداق خاص، لكنَّ غرضه قائم بوقوع وتحقق المعادله الكُلّيه، نعم فِي التقنين هُوَ التطبيق عَلَى المصاديق بخصوصياتها وشخصنتها فإنَّها المصاديق بخصوصيّاتها لَمْ تؤخذ فِي التقنين كغايه وَإنَّما الخصوصيات فيها – المصاديق – فِي عالم التقنين عَلَى نحو الطريقيه.

نعم هَذَا فِي عالم التقنين.

وأمَّا بحسب النظريه الثانيه – مختار منهج أمومه الولايه عَلَى المحكمات – فِي قاعده الجرى فَإنَّ الخصوصيات كُلَّها مُرادَه بنحو الجرى لا سيّما خصوصيات أهم وأعظم وأخطر المصاديق.

وَهَذِهِ جهه اختلاف بين علم القانون والنظريه الثانيه وإنْ اشتركا فِي أنَّ التطبيق هُوَ الغايه العُمده.

نعم، التطبيق عَلَى المصاديق ولكن لا بشخصنتها وخصوصيّتها، فَإنَّ المصاديق لَمْ تؤخذ عَلَى نحو الموضوعيه وَإنَّما عَلَى نحو الطريقيه، ويمكن التعدّى إلى غيرها أفراداً وزماناً ومكاناً، فذاك متروك للمتخصّصين ولها ضوابط أُخْرَى.

وَهَذَا المقدار مِنْ الفرق تنجم عنه تداعيات كثيره سوف تتّضح وتتبيّن بَعْدَ ذَلِكَ.

وأمَّا المصـاديق حسب النظريه الأولى فِى قاعـده الجرى والتطبيق أو التعبير، لَمْ تؤخـذ فِى بصـيص عالم التنظير، وَإنَّما عالم التنظير هُوَ تمام محضّ إراده استعماليه أو تفهيميه أو جدّيّه، وأمَّا المصاديق والأفراد فليست منظوره.

تميُز حقيقه المدلول الاستعمالى عَنْ الجدّى:

تنبيه هام: لَعَلَّهُ يحصل خلطاً واشتباهاً عِنْدَ البعض فِى التطبيق بين المدلول الاستعمالى والمدلول الجِدّى وحاصله:

كيف يُراد المعنى بإراده استعماليه وَهُوَ لَيْسَ مُراداً بإراده جدّيه، وَهَذَا خلطٌ واضحٌ، إذْ مِنْ الواضح أنَّ الإنسان عنده عِدَّه إرادات، فمثلاً لا يخلو الإنسان مِنْ إحـدى حالتين: إمَّا مُتكلِّم أو غَيْر مُتكلِّم، فَهُوَ عَلَى الفرضـين لَهُ إرادات مُتعاقبه فمثلاً: - يذهب زيد إلى السوق وعنده إرادات عِدَّه:

١ - إراده شراء اللحم مِنْ القصّاب مثلاً. إراده أولى.

٢ - العوده إلى البيت. إراده ثانيه.

٣ - وضع اللحم فِى مكان بارد لأجل الحفاظ عَلَيْهِ مِنْ التفسّخ - إراده ثالثه.

٤ - ليطبخه فِى اليوم التالى للضيوف - إراده رابعه.

إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ الإرادات المختلفه وَعَلَى طبقات، وَهَذِهِ الإرادات

المُتعاقبه هِيَ إعداديه وتمهيديه ومُتوسّطه لأجل أنْ تصل إلى الإراده النهائيه، وَهِيَ تقديم خدمه الضيافه للضيوف، وَهَذِهِ الإراده النهائيه هِيَ إرادةٌ جدّيةٌ، وينبغى الالتفات إلى أنَّهُ مِنْ الواضح: - أنَّهُ لَيْسَ كُلّ إراده ولو كانت إعداديه ومتوسّطه للإراده النهائيه هِيَ إراده إحكام وجدٍّ كالإراده النهائيه؛ لِأنَّ طبيعه الإنسان فيها إرادات مُتعاقبه يتلو بعضها البعض ويقوّى بعضها البعض، مثلما الإرادات الإعداديّه عَلَى طبقات كَذَلِكَ الجدّيّه عَلَى طبقات.

٥ - لماذا تريد تقديم الخدمه للضيوف؟ إراده خامسه مثلاً، جزاءاً لضيافتهم سابقاً.

٦ - ولماذا تريد جزاء الإحسان بالإحسان؟ إراده سادسه كى لا أُذَمُّ.

٧ - ولماذا تريد أنْ لا تُذَمُّ؟ إراده سابعه، كى أكون حسن السمعه وطيّب الأخلاق.

٨ - ولماذا تريد أنْ تكون حسن السمعه وطيّب الأخلاق؟ إراده ثامنه. كى أُثاب فِى الآخره.

وهكذا إرادات مختلفه ومتفاوته فِى الشِّدّه والضعف، ولا يعنى هَذَا أنَّ الإراده الضعيفه ليست بإراده، وأنَّ هُنَاك إرادةٌ أقوى منها، وضعف الإراده لا يزلزل سبق الإراده عَلَى الإراده.

وهكـذا الكلام فِى الإرادات الاسـتعماليه المُتعدِّده، فمثلاً عِنْدَمَا يُطعن بشـخص زيد وَيُقَال إنَّهُ بخيل وَهُوَ كاذب فِى طعنه، فَعِنْدَما يُقَـال لَهُ زيـدٌ كثيرُ الرمـاد، وكثره الرماد كنايه عَنْ كرمه، ولا تنحضـر بكثره الطبـخ المسـتلزمه لكثره الضـيوف، وَإنَّما كثره الرماد كنـايه عَنْ الكرم حَتّى فِى مثـل الشـخص عِنْـدَمَا يهب أغنـامه أو أمواله إلى شـخص آخر أيضـاً يُقَـال عنه إنَّهُ كثير الرمـاد، وَهَـذَا المتكلم أراد أنْ يُفهم الشـخص الآخر أنَّ زيداً لَيْسَ ببخيل فَهُنَا اختلف المراد الاسـتعمالى عَنْ المراد التفهيمى عَنْ المراد الجدى إرادات تتلو بعضها البعض، وَعَلَيْهِ فَقَدْ تكون فِى البين إرادات استعماليّه متعدده تختلف عَنْ بعضها البعض.

ومثال ثالث عَلَى اختلاف وتعـدّد الـدلالات، الاسـتعماليه والتفهيميه والجدّيه - ما حكماه لنا القُرآن فِى قصه يوسف عليه السّـلام عِنْـدَمَا أَمَرَ يوسف عليه السّـلام مَنْ يخـاطب أخوته(أَيَّتُهَـا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ) (۱) فالدلاله الاسـتعماليه فِى الآيه أنَّهُ عليه السّـلام استعمل كلمه (سارقون) - وسارق: - اسم فاعل واسم الفاعل يجرى عَلَى حركات وسكنات وزمان المضارع - فكأنَّما الآن سرقوا وانصرف الاستعمال إليه، والإراده التفهيميه هِىَ إراده يوسف عليه السّلام ولو بواسطه جواب مَنْ يأمره يوسفه عليه السّلام بذلك، عِنْدَمَا قالوا: أخوه يوسف عليه السّـلام ماذا تفقد قَالَ يوسف عليه السّـلام نفقد صواع الملك - وَهُنَا أخوه يوسف عِنْدَمَا عبّروا ب - (تفقدون) عَنْ السرقه - بينما الجواب الذى

۱- (۱) سوره يوسف: الآيه ۷۰.

صدر مِنْ يوسف عليه السّلام - ولو بتوسّط مَنْ يأمره - أَفْهم يوسف عليه السّلام إخوتَه أنَّ الفعل (فُقِدَ) هُوَ سرقه لاصواع هَذَا عَلَى مستوى الإراده التفهيميه لا الجديّه.

وأمَّا المراد الجدّى ليوسف عليه السّلام مِنْ كلمه (فُقِدَ) لَيْسَ السرقه وَإنَّما هُوَ عدم وجود الصواع فِى مكانه ووجوده فِى مكان آخر الله أعلم به.

وَمِنْ هَذَا تحصّل أنَّ المراد الاستعمالى شىء، والتفهيمى شىء آخر، والجدّى شىء ثالث وَكُلّ واحد مِنْ هَذِهِ الدلالات الثلاث لها طبقات.

والخلاصه: وَعَلَيْهِ فتعدُّد وتعاقب الإرادات باب وسيع؛ لِإنَّهُ فِى الكلام توجد مُرادات مُتعدّده مُتعاقبه يتلوّ بعضها البعض، ولا يُتوَّهم أنَّ الإرادات الإعداديه والتمهيديه مِنْ الاستعماليه بطبقاتها والتفهيميه كَذَلِكَ إذَا لَمْ تطابق وتوافق الدلاله الجديّه النهائيه أنّها ليست إرادات، وَإنَّما هُوَ إراداتٌ تمهيديه موجوده.

تنبيه: هُنَاك أمران ينبغى التنبيه عليهما فِى قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير وأخذهما بنظر الاعتبار وَهُمَا:

الأمرُ الأوَّل: إنَّ أوَّل مَنْ كشف عَنْ قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير هُوَ القُرآن الكريم والروايات الوارده عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السّلام، والذى نُريد التنبيه عَلَيْهِ هُوَ أنَّ جميع الآيات وإنْ كَانَ الخطاب فيها موجّهاً لشخص المُخاطب ومُصَرَّحٌ باسم المُخاطب كَمَا فِى قوله تَعَالَى:

(لَقَدْ كانَ فِی یُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ) أو(وَ ما تِلْکَ بِیَمِینِکَ یا مُوسی ۱۷) أو(یا یَحْیی خُذِ الْکِتابَ بِقُوَّهٍ) (یا عِیسی) أو... الخ، وهکذا الروایات الخاصّ صلّی الله علیه و آله المُصَرَّح بها اسم المخاطب وشخصه مثلاً: - یا هشام أو یا زراره یا أبا بصیر أو... الخ، فَإِنَّهُ یمکن أنْ یعبّر بالخطاب مِنْ شخص المخاطب المصرَّح به فِی الآیه القرآنیه أو الروایه إلی موارد أُخْرَی، وکذلک الموارد الأُخْرَی الَّتِی یُمیّز عُبِرَ إلیها هِیَ الأُخْرَی لیست مُراداً نهائیاً وَإِنَّما یوجد مُراد بعدها وما وراءها؛ لِإِنَّهُ تَقَدَّمَ إذَا نزلت بَعْض آیات القُرآن فِی شخص أو واقعه معیّنه واقتصر عَلَیْهَا ثمَّ انقضی أو مات مَنْ نزل فیه أو... فتموت الآیه بموته أو تنقضی الآیه بانقضائه إذَنْ لمات القُرآن، کَمَا فِی الروایه المُتقدِّمه... الحسین بن مُحمَّد الأشعری عَنْ المعلّی بن مُحمَّد عَنْ مُحمَّد بن جمهور عَنْ... عَنْ أبی بصیر قَالَ: - قلتُ لأبی عبدالله علیه السّلام... لو کانت إذَا نزلت آیه عَلَی رجل ثمَّ مات ذَلِکَ الرجل ماتت الآیه مات الکتاب، ولکنّه حیٌّ یجری فیمن بقی کَمَا یجری فیمن مضی(۱).

الفرق بین المعنی التنزیلی والمعنی التأویلی والاستعمالی:

الأمر الثَّانِی: هُنَاک فرق بین أنْ تکون ألفاظ الآیه مِنْ أوَّل الأمر مستعمله فِی تشخّصات مصداقیه خاصّه ثمَّ نرید التعدّی مِنْ ذَلِکَ المعنی

۱- (۱) أصول الکافی: ج ۱، ص ۱۹۲ ح ۳؛ تفسیر الثقلین للعروسی: ج ۳، ص ۴۱۷ ح ۲۲.

المشخّص الاستعمالی إلی معانی أَخْرَی.

وبین أنْ یُقَال: - أنَّ المعنی الاستعمالی مِنْ أوَّل الأمر استعمل فِی معنی عام، وتکون موارد النزول تطبیقات لذلک المعنی فیکون التأویل فِی المعنی والنمط الأوَّل - مِنْ عالم الدلاله ولو الالتزامیه وَمِنْ شؤون المعنی ولو تبعاً. بینما التأویل فِی النمط الثَّانِی - العام - وفقاً للنظریه الأولی فِی قاعده الجری لا صله لَهُ بعالم الدلاله بَلْ مِنْ الشؤون المتمحّضه بالتطبیق، وَهَذَا ما یُفسِّره البعض بتأویلات القُرآن، ویلتزم به حَتّی مثل السید العلّامه الطباطبائی رحمه الله بأنَّ تأویلات القُرآن عباره عَنْ انطباقات ومصادیق انطباقیه تتعاقب للمعنی العام للآیه، هَذَا هُوَ معنی التأویل الذی یکون عباره عَنْ تطبیقات مُتعاقبه مصداقیه للآیه.

وَعَلَی هَذَا فیکون المعنی المُراد بالتأویل: شیء خارج نطاق مراحل الدلاله عَلَی ما یُصَرَّح به السید العلّامه الطباطبائی رحمه الله وأنَّ تفسیر مثل قوله تَعَالَی(یَوْمَ یَأْتِی تَأْوِیلُهُ) (۱) بأن تأویل القُرآن هُوَ وقوع خارجی وشیء حادث لا صله لَهُ بعالم الدلاله والمدلول وما شابه ذَلِکَ.

إنَّما المدلول العام للآیات والسور ینطبق عَلَیْهِ لا أنَّهُ مِنْ أصل اللَّفْظ والدلاله استعملت فِی تلک الماهیّات أو مفاهیم تلک المصادیق وغیرها، وَعَلَی هَذَا فَإنَّ التأویل لا صله لَهُ بمعانی القُرآن، ولا أقل لا

۱- (۱) سوره الأعراف: الآیه ۵۳.

صله لَهُ بعالم الاستعمال اللفظی فِی القُرآن، ویکون التأویل مقابل التنزیل، وتکون صله التأویل فَقَطْ بعالَم الحقائق للقُرآن، وَعَلَی هَذَا یکون النزول مورداً تطبیقیاً للمعنی الاستعمالی الذی استعمل فِی معنی عام مِنْ أوَّل الأمر، ویکون المعنی التنزیلی لَیْسَ معنی استعمالیاً للآیات، وَإنَّما یکون - المعنی التنزیلی - معنی المصداق تنزیلاً، والمعنی التأویلی یکون معنی المصداق وتطبیق آخر خفیٍّ آتٍ مستقبلاً.

وَهُنَاک فرق بین التعبیر ب - [هَذَا اللَّفْظ هکذا تنزیله] وفق النظریه الأولی الَّتِی یتبناها السید العلّامه الطباطبائی رحمه الله وبین التعبیر [هَذَا اللَّفْظ تنزیله هکذا].

أمَّا معنی التعبیر الأوَّل: هکذا تنزیله: - أیّ المعنی الذی نزلت فیه الآیه المبارکه، فمثلاً قوله تَعَالَی(وَ سَیَعْلَمُ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَیَّ مُنْقَلَبٍ یَنْقَلِبُونَ) (۱) بتقریب: - أنَّ المعنی الذی نزلت فیه الآیه المبارکه هُوَ بیان مظلومیّه آل مُحمَّد وأنَّ الظالم لآل مُحمَّد سیعلم کیف تنقلب عاقبته، وَلَیْسَ المراد المعنی الذی استعملت فیه الآیه المبارکه بَلْ المُرَاد هکذا تنزیله.

وبعباره أُخْرَی: أنَّ المصداق التنزیلی الذی طُبِّقت عَلَیْهِ الآیه المُبارکه فِی بدء نزولها هُوَ هَذَا المعنی، وَلَیْسَ المُراد لفظ الآیه أیّ لفظ التنزیل، فَإنَّ هَذَا المعنی لَیْسَ داخلاً فِی شأن اللَّفْظ وشأن المعنی.

۱- (۱) سوره الشعراء: الآیه ۲۲۷.

وَهَـذِهِ ثمرةٌ لطيفةٌ وجيّـدَه عَلَى مبنى السـيد العلّامه الطباطبـائى رحمه الله حسب النظريه الأـولى القائمه عَلَى عزل مقام التنظير عَنْ التطبيق، مَعَ غضّ النظر عَنْ الانتقادات الموجّهه إلى هَذِهِ النظريه.

إذَنْ اللَّفْظ فِى الآيات والسور استُعْمِلَ فِى معنى كُلَّى أُريـدَ مِنْهُ استعمالاً تفهيمياً جـدّاً، وَهَـذِهِ أحد الثمرات المُهمّه لتفسـير قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير، الَّتِى ذكرها الأعلام السابقون مِنْ المتقـدّمين، أمثال الشَّيْـخ المفيـد وغيره، وَمِنْ المُتأخّرين أمثال الشَّيْخ جعفر كاشف الغطاء رحمه الله وغيره، وحاصل ما ذكروه:

إنَّ المعنى المصـداقىّ الـذى نزلت فيه الآيه أوَّل التنزيل والتطبيق، وأنَّ الآيه لها معنى كُلِّى وألفاظ كُليّه طُبقت فِى هَذَا المصداق، فَهَـذَا هُـوَ مُرادهـم مِـنْ التعبير [هكـذا تنزيلـه]، وَلَـهُ ثمرات كـثيره تظهر فِى الروايـات الموجـوده فِى المصـادر الحـديثيه القـديمه والمُتأخّره الَّتِى يظنّ بها غيرالمتضلع فِى العلم أنَّ هَذِهِ روايات تحريفٍ، وَهِىَ ليست كَذَلِكَ وَكَمَا يظنّ.

والخلاصه مِنْ كُلّ هَذَا: - يكون معنى [هكذا تأويله] عَلَى حسب النظريه الاولى هُوَ: إنَّ المعنى المصداقى الذى ستؤول إليه الآيه الشـريفه، والآيه لها معنى عام تجرى عَلَيْهِ انطباقاً كالقالب الـذى تخرج مِنْهُ قوالب متعـدّده - وَلَيْسَ هَذَا تصـرّف فِى نطاق الدلاله والمدلول - وَعَلَيْهِ فالتشـنيع الذى يحصل مِنْ غَيْر المتضـلّعين فِى العلم مِنْ الموافقين والمخالفين بأنّه كيف تكون الروايه الواحِده فيها أكثر مِنْ معنى، ويظهر لهم أنَّ هَذِهِ

الروايه فيها تحريف، ولكنَّ الصحيح هُوَ أنَّ هَـٰذِهِ الروايات ليست فِى صدد بيان ألفاظ المصحف الشريف، وَإنَّما هِىَ فِى صدد تبيان المصاديق المُهِمَّه الَّتِى هِىَ مورد نزول الآيات أو مورد الانطباق المستقبلى للآيات.

وأمَّا معنى التعبير ب اللفظ تنزيله هكذا:

فيُراد منها: أنَّ ألفاظ التنزيل هِىَ مُشتملةٌ عَلَى اللَّفْظ الكذائى أو العنوان الكذائى، فَهِىَ مُرتبطه بقالب اللَّفْظ النازل.

وَعَلَى هَـٰذَا فما قَدْ يُقَال مِنْ التحريف اللفظى فيكون فِى النمط الثَّانِى - تنزيله هكذا - لا النمط الأوَّل - هكذا تنزيله. وبذلك يظهر أنَّ ما تُوِّهِمَ مِنْ كون كثير مِنْ الروايات هِىَ مِنْ روايات التحريف تَوَّهُماً فاسداً، إذْ لَيْسَ هِىَ فِى صدد ألفاظ التنزيل، وَإنَّما هِىَ فِى صدد مورد التنزيل، وَهَذَا ما نبّه عَلَيْهِ الشَّيْخ المفيد(١) والشَّيْخ جعفر كاشف الغطاء رحمه الله، وَمِنْ ثمَّ يتّضحُ أنَّ ما جعمه الميرزا النورى مِنْ روايات فِى كتابه فصل الخطاب، جلَّهُ مِنْ النمط الأوَّل - هكذا تنزيله - عدا روايه واحده مقطوعه النسب والمصدر وَهِىَ روايه كتاب بُستان.

بيان موقف:

النتيجه الثمينه الَّتِى توَّصلنا إليها هُوَ: - أنَّ النظريه الأولى الَّتِى تبنّاها السيد العلّامه الطباطبائى رحمه الله فِى منهجه التفسيرى الموضوعى

١- (١) الشيخ المفيد فى أوائل المقالات.

للقرآن الكريم، لا نرفضها تماماً ولا نقبلها تماماً، وَإِنَّما نُفَصِّلُ فيها، ولا نقول أنها نتيجةٌ سيّاله، وَإِنَّما هِيَ تنفع فِي موارد كثيره: - منها رفع الالتباس عَنْ كثير مِنْ الروايات الَّتِي توِّهَمَ أنَّ مفادَها تحريف القُرآن مَعَ أنَّها فِي صدد بيان مورد التنزيل لا اللَّفْظ النازل.

ص:٧۴

خواص ومميزات النظريه الأولى

التى تبناها السيد العلامه الطباطبائى

أحـد أهم خواص هَذِهِ النظريه: - إنَّ المصاديق الَّتِى تُذْكر كتطبيقات لمعانى كليّه للكلام تتّصف بوصـفين أو أنَّ المُراد التطبيقى لَهُ تفسيران: -

التفسير الأوَّل: أنَّها أىّ المصاديق مُرادَه جدّاً.

التفسير الثَّانِى: ليست مُرادَه جدّداً.

فما معنى ذَلِكَ؟

أمَّا التفسـير الأـوَّل: أنهـا مُراده جـداً - أىّ أنَّ المصـاديق مُرادَه بمعنى أنَّ الجهه العـامّه المُتكرِّره أو المشـتركه بين المصـاديق هِىَ مُراده، فمثلاً قوله تَعَالَى(وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (١).

بتقريب: إنَّ ظُلم لأـىِّ مظلـوم هُوَ بيـان لجهه عـامّه ومُراده أىّ جنبه (أىّ منقلب ينقلبون) باتّجـاه أىّ ظـالم فيمـا صـنعه واتّجـاه أىّ مظلوم كطبيعه عامّه وكمغزى عام، فَإنَّ هَذَا مُرادٌ فِى كُلّ المصاديق، بخلاف الخصوصيات فَهِىَ غَيْر مُرَاده.

وأمَّا التفسير الثَّانِى: المصاديق ليست مُراده جدّاً، أىّ أنَّ المتكلم لَمْ

١- (١) سوره الشعراء: الآيه ٢٢٧.

يلحظ الخصوصيات فِي ألفاظ كلامه، ولا فِي المعنى الاستعمالى ولا التفهيمى ولا الذهنى ولا الجدّى، كَمَا يُدَّعى فِي هَذِهِ النظريه - الأولى - أنَّ قوله تَعَالَى(فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (١) أنَّ أهل البيت عليهم السّلام ليسوا معنيين فِي هَذِهِ الآيه بنحو الإراده الجدّيه والاستعماليّه، وَإِنَّما هُمْ مصاديق لما هُوَ مُرادٌ، فكون الرسول هُوَ الذكر فِي قوله تَعَالَى(قَدْ أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً يَتْلُوا) (٢) لا يعنى كون هَذِهِ مِنْ خصوصيات الاستعمال، ولا مِنْ خصوصيات المعنى التفهيمى، ولا المُراد الجدّى، بَلْ هِيَ محض مصداق تطبيقى وإنْ كَانَ هُوَ مِنْ أعظم المصاديق.

الخلاصه: مِنْ هَذَا أنَّ الجهه العامّه فِي المصاديق مُراده، وأمَّا الخصوصيات للمصاديق أىّ الجهه الخاصّه فَهِيَ غَيْر مُراده.

التفسير الثَّانِى: الإراده والتطبيق.

هُنَاك تفسير آخر للمصاديق المُراده وَغَيْر المُراده، وَذَلِكَ:

المصاديق المُراده: - غايه الكلام المعتبره هِيَ التطبيق، أو التنظير فَقَطْ، وليست الغايه غايه استعماليّه أو تفهيميه، أو جديّه أو دلاليه أو... الخ وَإِنَّما الغايه المقصوده: - هُوَ أنَّ غرض المُتكلِّم وما شابهه هُوَ الذى يدفع المخاطب للتطبيق، فَإِنَّ التطبيق غايه وغرض للمُتكلِّم حَتّى التطبيق عَلَى الخصوصيات، وإنْ لَمْ تكن غايه مِنْ الغايات قَدْ دخلت فِي

١- (١) سوره النحل: الآيه ۴٣.

٢- (٢) سوره الطلاق: الآيه ١٠-١١.

نطاق الكلام لكنّها بالتالى غايه ما وراء الكلام سواء افترضنا أنَّ هَذِهِ الغايه وقعت بجمله خبريه أو إنشائيه.

وسواء افترضناها فِى آيات الأحكام - فقه الفروع - أو آيات المعارف الَّتِى هِىَ أخبار عَنْ حقائق أو فِى الأمثال أو المواعظ أو فِى أىّ باب مِنْ الأبواب الغائيه لأبواب استعمالات الفاظ القُرآن، فمثلاً: - باب الإنشاء فِى مثل الآيه المباركه(قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَهُ) (۱) فَإنَّ التعبير بفعل الأمر (قُوا) دالٌّ عَلَى الإنشاء لَهُ غايهٌ، وغرض البارى تَعَالَى فِى المقام هُوَ توجيه الخطاب للناس والتحذير مِنْهُ.

أو جمله خبريه كَمَا فِى الآيه المباركه(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِى الْقُرْبى) (۲).

بتقريب: عَلَى ضوء - النظريه الأُولى - للسيد العلّامه الطباطبائى رحمه الله فَإنَّ أقرب مصداق لقربى الْنَّبِىّ صلّى الله عليه و آله وأوصى بهم جميع البشر ليراعوا حرمه قربى الْنَّبِىّ صلّى الله عليه و آله، وإنْ كَانَ هُنَاك آيات كثيره حول الترحم والقربى فِى القُرآن، ولكن الترحم الذى يتأكَّد الإيصاء بها هِىَ رحم الوالدين(وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً) (۳) فَهُنَاك مصاديق كثيره للوالد: - والدٌ وَلَدَ بدنك ووالد ربّاك ورعاك ووالد هداك ووالدٌ ولد نور جوهر روحك الذى يعلمك ويوجد لديك

۱- (۱) سوره التحريم: الآيه ۶.

۲- (۲) سوره النحل: الآيه ۹۰.

۳- (۳) سوره البقره: الآيه ۸۳.

العلم الـذی یحییـک ولکن بأی حیاه؟ وإنْ کَانَ العلم حیاه والجهل ممات، هل بحیاه الروح یحییک أم بشـیء آخر، وحیاه الروح أعظم ووالـد الروح أولی بالوالـدیّه مِنْ والد حیاه البدن، فَإنَّ حیاه البدن شـیء وحیاه الروح شـیء آخر(مِنْ أَجْلِ ذلِکَ کَتَبْنا عَلی بَنِی إِسْـرائِیلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَـلَ نَفْسـاً بِغَیْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِی الْأَرْضِ فَکَأَنَّما قَتَلَ النّاسَ جَمِیعاً) (۱) بتقریب: - إنَّ التأویـل الأعظم لإحیاء الروح هُوَ هداها، ولماذا الهدایه أعظم؟ لِإنَّهُ ببرکه العلوم تحیی الأرواح والعقول والنفوس. کَمَا فِی روایه الشَّیْخ الطوسـی بإسـناده عَنْ علی بن الحکم، عَنْ أبان بن عثمان عَنْ فُضیل بن یسار، قَالَ: قلتُ لأبی جعفر علیه السّـلام قول الله عز وَجَلَّ فِی کتابه: (وَ مَنْ أَحْیاها فَکَأَنَّما أَحْیَا النّاسَ جَمِیعاً) قَالَ: مِنْ حَرْق أو غَرْق: قلت: فَمَنْ أخرجها مِنْ ضَلال إلی هُدَی؟ قَالَ ذَلِکَ تأویلها الأعظم(۲).

وَعَلَیْهِ فَهَذِهِ الآیات وغیرها تکون لها تطبیقات ولیست داخلاً فِی المعنی.

۱- (۱) سوره المائده: الآیه ۳۲.

۲- (۲) الکافی: ج ۲، ص ۱۶۸ ح ۲.

النظريه الثانيه فِی قاعده الجری والتطبیق أو التعبیر

اشاره

ذکرنا النظریه الأولی فِی قاعده الجری والتطبیق أو التعبیر وَقَدْ تقدّمت وَهَذِهِ هِیَ النظریه الثانیه فِی القاعده المبحوثه وَالَّتِی فهمناها ونتبناها عَلَی ضوء منهجنا التفسیری المختار أمومه الولایه عَلَی المحکمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِی القُرآن، مِنْ بیانات أهل البیت علیهم السّلام.

وقبل الخوض بتفاصیل النظریّه الثّانیه نذکر مُقدِّمه تحت هَذَا العنوان:

قاعده الجری والتطبیق (أو التعبیر)

لا تختص بنظام الاستعمال اللفظی:

ننطلق فِی بحث قاعده الجری مِنْ نفس تحدث القُرآن عَنْ نفسه(قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً) (۱) وقوله تَعَالَی(وَ لَوْ أَنَّ ما فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَهٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ کَلِماتُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ(۲۷) (۲).

تبیّن مِنْ خلال الأبحاث السابقه أنَّ قاعده الجری کیف لها سعه وبیان سعی لا تقتصر عَلَی علم التفسیر بَلْ تتجاوزه إلی جمله علوم القُرآن، وکذلک

۱- (۱) سوره الکهف: الآیه ۱۰۹.

۲- (۲) سوره لقمان: الآیه ۲۷.

لَيْسَ مختصّه بنظام الاستعمال اللفظى فِى القُرآن ولا يمكن حصرها به، بَلْ تشمل نظام المعانى فِى القُرآن أيضاً، سواء بدرجه الإشارات لمعانى القُرآن، أو بدرجه لطائف معانى القُرآن أو تعبير القُرآن بَلْ يمكن أنْ نقول أنَّ قاعده الجرى والتطبيق تشمل نظام حقائق القُرآن، وَهَـٰذَا بخلاف القول المعروف الآن فِى قاعده الجرى وأنّها مختصّه فَقَطْ بقواعد نظام الاستعمال اللفظى فِى القُرآن.

إلفات نظر: تَقَدَّمَ فِى بحث القاعده الأولى فِى نظام الاستعمال اللفظى فِى القُرآن وَهِىَ قاعده التعريض، وأنَّها ليست مختصّه بنظام الاستعمال اللفظى وَإنَّما تعم نظام المعانى ونظام الحقائق وأنَّ قاعده التعريض تتشعب منها قواعد أُخْرَى لقاعده الالتفات، وقاعده استعمال اللَّفْظ فِى أكثر مِنْ معنى، وقاعده إيّاك أعنى واسمعى يا جاره وقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير... الخ.

والذى نُريد إلفات النظر إليه هُوَ أنَّهُ هُنَاك جمله مِنْ قواعد نظام الاستعمال اللفظى فِى القُرآن الكريم لها سريان فِى نظام الاستعمال المعنوى فِى القُرآن، ونظام حقائق القُرآن.

وَعَلَيْهِ يمكن تَسْرِيه قواعد الاستعمال اللفظى إلى قواعد نظام المعانى بشىء مِنْ التشفيف واللطافه وقلع القشور طبق موازين وضوابط بحسب ما نشاهده فِى الآيات والروايات، بما يتعَدّى ويشمل علم التأويل واللطائف والإشارات والتعبير وترجمان القُرآن، بَلْ وتسرى إلى

علم حقائق القُرآن ولكن بدرجه مِنْ الشفافيه واللطافه أكثر فأكثر بحسب ضوابط وموازين تنضبط بها هَذِهِ العلوم الكبيره مَعَ التعدّى إليها بحسب ما وقفنا عَلَيْهِ فِى الآيات والروايات.

وَهَذِهِ أيضاً مزيّه أُخْرَى يتّصف بها منهجنا التفسيرى فِى أمومه الولايه عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِى القُرآن الكريم، كمنظومه ذَاتَ طبقات ونُظُم عَنْ باقى المناهج التفسيريه، وإنْ كَانَ لها دورٌ فِى تفسير علوم القُرآن.

والمهم الذى ننتهى إليه، أَنَّهُ عُلِمَ مما تَقَدَّمَ ذكره مِنْ قواعد فِى النظام الأوَّل - نظام الاستعمال اللفظى - لا يختصّ به ويتعداه إلى غيره، وكذلك هِىَ غَيْر مختصّه بعلم التفسير، بَلْ يتعدّاه إلى غيره مِنْ سائر العلوم الدينيه، ولكن كُلّ ذَلِكَ التعدّى يحتاج إلى تشفيف وتلطيف فحينئذٍ لا مانع مِنْ أنْ تكون هَذِهِ القواعد قواعداً وموازيناً لعلوم أُخْرَى.

ولذا نجد كثيراً مِنْ العُلَمَاء والباحثين فِى علم التفسير مثلاً يخشون الولوج فِى علم التأويل لأنَّهم لا يحيطون خُبْراً بقواعِده وموازينه.

وكذلك تَقَدَّمَ أنَّ علوم القُرآن مِنْ التفسير و التأويل والإشاره واللطائف والتعبير والترجمان وغيرها هِىَ ليست فِى عَرَضٍ واحدٍ، بَلْ هِىَ علوم بعضها فوق بَعْض ببركه قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير، ولكن حسب النظريه الثانيه فِى الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى

ضوء أمومه الولايه عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن بشرط عدم التصادم بينها، لا عَلَى ضوء النظريه الأولى القائله باختصاص هَذِهِ العلوم والقواعد بعلم التفسير فَقَطْ.

وَعَلَى أيّ حال فَإنَّ سريان قواعد العلوم مِنْ علم لآخر يحتاج إلى شيء مِنْ التلطيف والشفافيه وَهُوَ أمرٌ فِي غايه الأهميّه، وأنَّ قواعد الأنظمه الثلاثه عَلَى وفق منهج أمومه الولايه عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن الكريم هِيَ دائماً فِي حركه وجريان لا الجمود عَلَى نظام مُعيّن.

وَهَذَا ما يُشير إليه الإمام الرضا عليه السّلام«إنَّما يُعْلَم بما ها هُنَا بما ها هُنَاك».

بتقريب: - إنَّ الإمام عليه السّلام يريد الإشاره إلى أنَّ ما بين الظاهر والباطن دائماً حاله توافق وتطابق، وأنَّ حاله التطابق هَذِهِ بين كُلّ طبقات الظاهر مَعَ كُلّ طبقات الباطن، ولكن هَذَا التطابق إنَّما يُفطن إليه باللطائف تطابقاً حقيقياً بُرهانياً، وَهَذَا هُوَ الذى استعرضته سوره الكهف والحوار الذى دار بين العبد الصالح الخضر عليه السّلام وبين الْنَّبِيّ موسى عليه السّلام فَإنَّ ما قام به الخضر عليه السّلام عَلَى وفق العلم الباطن، وربما يترائى فِي الوهله الأولى أنَّهُ مُخالف لظاهر الشريعه، ولكن بَعْدَ تبيان الخضر عليه السّلام لحقيقه الأفعال الَّتِي ارتكبها أنَّها طبق موازين الظاهر بالدِّقه تماماً، إلَّا أنَّ التطبيق لتلك الموازين خفيٌّ جدّاً، وَقَدْ كشفه الخضر عليه السّلام للنبى موسى عليه السّلام بنحو لا

يتصادم مَعَ موازين الظاهر، وبَيَّنَ لَهُ أنَّ المدار والمعيار عَلَى تلك الموازين لا غَيْر، غايه الامر سعه تطبيقها أوسع مِنْ آليات وموازين الظاهر.

إلَّا أنَّ معرفه حاله التطابق بين الظاهر والباطن ليست بقدره الجميع، إلَّا مَنْ استطاع أنْ يضبط موازين انضباط الظاهر بالباطن، فَإنَّ الأمر خطير وحسّاس وصعبٌ؛ لِإنَّهُ قابل للانفلات والتخوّف والتلاعب وغيره، يمكن أنْ يقع فِي البين، وَهَذَا ما حصل فعلاً بين النَّبِيّ موسى عليه السّلام والسيد الصالح الخضر عليه السّلام لو نلاحظ الحوار الذى دار بينهما فِي سوره الكهف(وَ إِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً(۶۰) فَلَمّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً(۶۱) فَلَمّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً(۶۲) قالَ أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَهِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَ ما أَنْسانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً(۶۳) قالَ ذلِكَ ما كُنّا نَبْغِ فَارْتَدّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً(۶۴) فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَهً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً(۶۵) قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً(۶۶) قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً(۶۷) (۱).

وهكذا الروايات الوارده عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السّلام كَمَا فِي روايه ابن بابويه قَالَ: - أخبرنا أحمد بن الحسن القطّان، قَالَ: - حدثنا الحسن بن على السُكرى، قَالَ: - حدّثنى مُحمَّد بن زكريا الجوهرى البَصْرى قَالَ

۱- (۱) سوره الكهف: الآيه ۶۰-۸۲.

حدّثنا جعفر بن عماره عَنْ أبيه عَنْ جعفر بن مُحمَّد أنَّهُ قَالَ: - إنَّ الخِضر كَانَ نبياً مُرْسَلاً بعثه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلى قومه فدعاهم إلى توحيده، والإقرار بأنبيائه ورُسله وكتبه، وكانت آيته إنَّهُ كَانَ لا يجلس عَلَى خشبهٍ يابسه ولا أرض بيضاء إلَّا أزهرت خضراء وَإنَّما سُمى خضراً لذلك... ثمَّ قَالَ جعفر بن مُحمَّد عليه السّلام: - إنَّ أمرَ الله تَعَالَى ذكره لا يُحْمَل عَلَى المقاييس، وَمَنْ حَمَل أمرُ الله عَلَى المقاييس هَلَكَ وأهلك، إنَّ أوَّل معصيه ظهرت الإبانه مِنْ إبليس اللعين حَيْثُ أمر الله تَعَالَى ذكر ملائكته بالسجود لآدم فسجدوا وأبى إبليس اللعين أنْ يَسْجُدَ، فَقَالَ عز وَجَلَّ(قالَ ما مَنَعَكَ أَلاّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ(١٢) (١)... الخ(٢).

بتقريب: إنَّ موسى عليه السّلام أوتى علم الظاهر والشريعه، بينما الخضر عليه السّلام أوتى علم الباطن وَمِنْ المعلوم أنَّ موسى عليه السّلام نبى مِنْ أنبياء أولوا العزم بنصّ القُرآن الكريم وصريحه، إلَّا أنَّهُ فِي بدايه الأمر عِنْدَ مرافقته للخضر حصل لَهُ مِنْ إبداء الإنكار و... وَقَالَ الخضر لموسى عليه السّلام هَذِهِ إراده إلهيه وَهَذَا تأويل ما لَمْ تستطع عَلَيْهِ صَبْرَاً، وَهُوَ فِي الحقيقه نفس التطابق بين الباطن والظاهر والتفسير والتأويل، وبالتالى سَلَّم موسى عليه السّلام للأمر واقتنع به لما رأى تطابقاً ما بين موازين الظاهر والباطن.

١- (١) سوره الأعراف: الآيه ١٢.

٢- (٢) الفقيه للصدوق، البرهان فى تفسير القرآن للسيد هاشم البحرانى: ج ٥، ص ٤٦-٤٩.

بينما الإمام الصادق عليه السّلام بَيَّن للمفضل بن عمر فِي جواب ما كتبه المفضل للإمام عليه السّلام يسأله عَنْ أحوال كثير مِنْ الفرق الباطنيه وَلَعَلَّهُ مقصود المفضل بَعْض مَنْ انتسب إلى الخطابيه كأبن أبى زينب المقلاص، وَكَانَ المفضل يُعْجب نحوهم وشأنهم وأنَّ المفضل أبلغ عنهم أموراً تروى عنهم كرهها المفضل لهم، مَعَ أنَّ المفضل لَمْ يَرَ بهم إلَّا هدياً حسناً وورعاً وتخشعاً، وبدأ الإمام عليه السّلام بجواب المفضل عَنْ أسئلته ويُفسِّر لَهُ ما التبس عليهم مِنْ أمر هَذِهِ الجماعه ومقالاتهم، مَعَ أنَّ مقالاتهم فِي بدو النظر ينطبع منها فِي الأذهان غَيْر حدود الحقيقه، أىّ ينطبع منها الغلو والإفراط مِنْ التأليه ونحوه واستحلال المحرّمات والتهتك للدين مَعَ أنَّ حقائقها هِيَ عَلَى غَيْر هَذَا الوجه.

فَقَالَ عليه السّلام: - كتبت تذكر أنَّ قوماً أنا أعرفهم كَانَ أعجبك نحوهم وشأنهم وَأنَّكَ أبلغت عنهم أموراً تروى عنهم كرهتها لهم..., ذكرت أنَّك قَدْ عرفت أنَّ أصل الدين معرفه الرجال فوفقك الله، وذكرت أنهم يزعمون أنَّ الصَّلاه والزكاه وصوم شهر رمضان، والحج والعمره والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام هُمْ رجال (هُوَ رجل) وإنَّ الطهر والاغتسال مِنْ الجنابه هُوَ رجل، وَكُلُّ فريضهٍ افترض الله عَلَى عباده هُوَ رجلٌ، وأنَّهم ذكروا ذَلِكَ بزعمهم أنَّ مَنْ عرف ذَلِكَ الرجل فَقَدْ اكتفى بعلمه به مِنْ غَيْر عملٍ... ويشهدون بعضهم لبعض بالزُّور، ويزعمون أنَّ لهذا ظهراً وبطناً يعرفونه فالظاهر ما يتناهون

عنه يأخذون به مدافعه عنهم والباطن هُوَ الذى يطلبون وبه أمروا بزعمهم... الخ (۱) .

بتقريب: إنَّ سبب انحراف أمثال هَذِهِ الفرق الباطنيه كالخطابيه وغيرهم هُوَ أنَّهم ظنّوا أنَّ هُنَاك تخالف بين الظاهر والباطن - أىّ باطن الدين وظاهره - وَهَذَا ناجم عَنْ سوء فهمهم وخطأ تفسيرهم واشتباه تأويلهم لغوامض المعارف وأسرارهم وأنَّ جمله مِنْ رواه أسرار المعارف وغوامض المعانى عندما وقفوا عَلَى بواطن المعانى وخفايا التأويل، لَمْ يُدركوا وَلَمْ يتفطنوا لكيفيه الجمع بينها وبين حدود المعانى الظاهره، وَإلى هَذَا المنشأ كَانَ الإمام الصادق عليه السّلام يشير إليه فِى جمله مِنْ الروايات كَمَا فِى بصائر الدرجات فِى صحيح هشام عَنْ الهيثم التميمى، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله عليه السّلام: يا هيثم التميمى أنَّ قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فَلَمْ ينفعهم شىء، وجاء قومٌ مِنْ بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً، ولا إيمان بظاهر إلَّا بباطن ولا بباطن إلَّا بظاهر](۲).

بتقريب: إنَّ الصحيح هُوَ التمسُّك بهما معاً - بالظاهر والباطن - فَإنَّ الذى يتمسَّك بأحدهما دون الآخر يظن أنَّ بينهما تضارب وتخالف وَهَذَا أوَّل الغفله والجهل.

۱- (۱) بحوث علم الرجال للشيخ محمد السند، ج ۳، ص ۲۱۳-۲۱۵؛ عن بحار الأنوار: ج ۲۸۶/۲۴ عن بصائر الدرجات.

۲- (۲) بحوث فى علم الرجال، للشيخ محمد السند: ج ۳، ص ۲۲۱-۲۲۲؛ بصائر الدرجات: ص ۵۵۶ ح ۵.

كَذَلِكَ ما نَحْنُ فيه - وَكَمَا مَرَّ مِنْ أنَّ علم التفسير والتنزيل لا ينضبط إلَّا بعلم التأويل وكذا العكس - فَإنَّ علم التأويل أيضاً لا ينضبط إلَّا بعلم التفسير والتنزيل، وكذلك علم التفسير لا ينضبط إلَّا بعلم تعبير القُرآن، وعلم تعبير القُرآن، والعكس.

وَعَلَيْهِ فيوجد تشابك وترابط وحبل ممدود بين مختلف المناهج التفسيريه للقُرآن الكريم، بَلْ هُنَاك مواطن جدل لَمْ تنقشع فتنه سحائب تلك المتشابهات وزيفها عِنْدَ المُفَسِّرِين إلَّا بعلم التأويل؛ ولذا عَبَّرَ القُرآن الكريم عَنْ اندفاع زيغ وظلمه تلك المتشابهات وانقلاعها بالمحكمات وابتغاء تأويله.

التعبير والترجمان جرىٌ ولغه تفاهم

بين العالم الربوبى وعالم المخلوقات:

إلفات نظر: بيّنا فِى قاعده الجرى والتطبيق (والتعبير) كَمَا مَرَّ لزوم العبور وعدم الإنحباس فِى الدائره الضيّقه بأن الألفاظ موضوعه لمعانى، بَلْ قلنا أنَّ الألفاظ الموضوعه لروح المعانى، بَلْ اعتمدنا مبدأ خذ الغايات واترك المبادئ وَلابُدَّ مِنْ وجود لغه تفاهم، وَلَيْسَ المقصود مِنْ اللُّغَه الأصوات وَإنَّما أعم بين العالم الربوبى والمربوبى تلك أنواعه مِنْ البشر والجن والملائكه وجميع الكائنات المخلوقه، وَإلَّا كُنّا مُعطّله فِى أعظم معتقد وَهُوَ التوحيد - والعياذ بالله - وَهَذِهِ المعانى العاليه والأفق المبين

تحتاج إلى ذهنيه وقّاده تتوسع لها وليست حبيسه عالم الألفاظ، وَبَعْدَ توفيق الله تَعَالَى تعبر قناطر متعدّده ولها شفافيه حَتّى يستطيع إلى حدٍّ ما تحديد ولو مِنْ بَعْدَ هَذَا بحسب الجانب النظرى، وأمَّا الجانب العملى فيحتاج إلى توفيق خاص وعنايه خاصه مِنْ البارى عَزَّ اسمه.

ص:٨٨

أوسعيّه تعدد المعانى بمقتضى النظريه الثانيه

اشاره

هل تستوعب نظريه السيد العلامه الطباطبائى بيانات أهل البيت عليهم السّلام فِى خصوص قاعده الجرى والتطبيق أو لا؟

نـذكر جمله مِنْ المؤاخـذات والإشـكالات عَلَى نظريه السـيد العلّامه الطباطبائى، وَمِنْ قبله الفيلسوف الشـيعى ملا صـدرا - صـدر المتألهين قدّس سرّه والملا محسن الكاشانى صاحب الوافى رحمه الله وغيرهم فِى تفسيرهم لقاعده الجرى والتطبيق(۱).

الإشـكال الأوَّل: أوسـعيه تعدد المعانى بمقتضى النظريه الثانيه دون النظريه الأولى، يمكن أنْ يُقَال بالنفى وأنَّ نظريه السيد العلّامه فِى قاعده الجرى وا لتطبيق لا تسـتوعب بيانات أهل البيت عليهم السّلام، فَهِىَ لا تستوعب خاصيّه: ولكل قوم ايه يتلونها وهم منها من خير اوشر(۲) بتقريب: إنَّ

۱- (۱) بـذكرنا لهـذه المؤاخذات والإشـكالات على نظريه السـيد العلّامه رحمه الله فى قاعده الجرى والتطبيق لا يعنى أننا لا نُقَيِّم ونثمن إيجابيات هؤلاء الأعلام (قدس الله أسرارهم) من المفسرين ولكن نقول هذا المقدار من تفاسيرهم لقاعده الجرى والتطبيق لا يعكس الحقيقه بهذه القاعده الشريفه والعظيمه.

۲- (۲) اعتقادات الاماميه للصدوق: ۸۶

بيانات أهل البيت عليهم السّلام تفيد: - أنَّ كُلّ آيه مِنْ آيات القُرآن الكريم مهما كَانَ موضوعها فَهِيَ ذا صله بكَلِّ إنسان وبِكُلِّ فرد فر فِي كُلّ حاله مِنْ حالاته وفى كُلّ يَوُم أو آن مِنْ أيامه وآناته الزمانيّه، وَهَذَا معناه أنَّ القُرآن بمعنى القِران - بكسر القاف - والجامعيه للقُرآن هِيَ أمر عظيم ومهول وَلَيْسَ فَقَطْ لأهل الدُّنْيَا فِي دار الدُّنْيَا بَلْ ولأهل البرزخ فِي عالم البرزخ ولأهل الآخره فِي الآخره، وَعَلَيْهِ حيويّه وحياه القُرآن لا تختصّ بعصر دون عصر أو لفرد دون فرد.

وَهَذَا كله مبنى عَلَى توسعه التطبيق لقاعده الجرى، وَهَذَا لا يجرى عَلَى تفسير السيد العلّامه رحمه الله ومنهجه لقاعده الجرى والتطبيق وأنَّها لا تسع لهذه المصاديق الكليه وأنَّ معنى الجرى والتطبيق لَيْسَ معنىً كُليّاً وأنَّ كُلّ آيه لَيْسَ لها معنى كُلّى ينطبق عَلَى الكُل وَإنَّما لها مصاديق مُعيّنه وخاصّه صُرِّح بها ولا يُتعدّى إلى غيرها فيما إذَا كَانَ الخطاب خاصه، وَعَلَيْهِ تكون بَعْض الآيات القرآنيه لا تجرى فيها قاعده الجرى والتطبيق، وأنَّ السيد العلّامه رحمه الله أراد أنْ يقول أنَّ المعنى الاستعمالى والتفهيمى والجدّى معنى كُلّى أو لا أقل فِي المعنى الجدّى يكون معنىً كُليّاً، أمَّا إذَا لَمْ يمكن المعنى الكُلّى فِي المعنى الجدّى فلا تكون الآيه مورداً لقاعده الجرى سبب عدم كليّه وعموميه المعنى الجدّى.

إنْ قُلت: ما ذكرتموه مِنْ الإيراد عَلَى السيد العلّامه رحمه الله قبل قليل وإنَّ القاعده عامّه وآيات القُرآن عامّه بحسب بيانات أهل البيت عليهم السّلام وتشمل كُلّ فرد مِنْ أفراد الإنسان، فهل مثل الآيات الخاصّه بالنساء كآيه الحيض أو الحمل أو

قذف المحصنه أو شهاده المرأه نصف شهاده الرجل أو... الخ مثل(وَ اللّائِی یَئِسْنَ مِنَ الْمَحِیضِ مِنْ نِسائِکُمْ) (۱) و(إِنَّ الَّذِینَ یَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ الْغافِلاتِ الْمُؤْمِناتِ لُعِنُوا فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ(۲۳) (۲) و... الخ.

فهل هِیَ مختصّهٌ بهُنَّ أم تشمل حَتّی مثل الرجال إذَا قرأوا تلک الآیات، وهکذا آیه قذف المحصنه هل تشمل المعصوم أو لا؟

قلتُ: نعم آیات الحیض تشمل حَتّی الرجال إذَا قرؤها ولها صله بهم وبأزواجهم أو أبنائهم أو حفدتهم أو أقاربهم، وشمول الآیه لکلٍ حسب ما تقتضیه أصل خلقته وبالنسبه فضلاً عما إذَا أوِّلَ الحیض بمعانٍ أُخْرَی، بَلْ وَحَتّی آیه قذف المحصنات فإنها ببرکه قاعده الجری بمعنی التطبیق أو التعبیر بَعْدَ البناء عَلَی توسعتها بحسب النظریه الثانیه عَلَی ضوء منهاج أمومه الولایه عَلَی المحکمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِی القُرآن، کَمَا فِی قوله تَعَالَی: (قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَکْفَرَهُ(۱۷))(۳).

بتقریب: إنَّهُ وَرَدَ عنهم علیهم السّلام أنَّها نزلت فِی علی علیه السّلام وأنَّها فِی مقام التعظیم مِنْ شأنه، بینما قَدْ تفسر بمعنی آخر، ویقرِّر معناها أنَّها فِی مقام الذمّ بتأویل آخر فِی أعداء الله ورسوله صلّی الله علیه و آله وأعداء علی علیه السّلام، إذَنْ هِیَ تشمل حَتّی المعصوم علیه السّلام ببیان مُفَصَّل یأتی فِی محله المُنَاسِب لَهُ.

وکذا قوله تَعَالَی: (إِنّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ عَلَی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ

۱- (۱) سوره الطلاق: الآیه ۴.

۲- (۲) سوره النور: الآیه ۲۳.

۳- (۳) سوره عبس: الآیه ۱۷.

فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ) (۱). بتقريب: إنَّهُ قُرِّرَ للآيه المباركه معنيان متباينان - معنى ذمّ ومعنى مدح - ولا تناقض ولا تدافع بينهما عَلَى ضوء النظريه الثانيه فِي قاعده الجرى، بخلافه عَلَى النظريه الأولى فِي قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير فَإنَّهُ يستعصى الجمع بين الذَّم والمدح.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير تُؤَمِن وتنتج حيويّه كُلَّ آيه آيه فِي الكتاب، ولا توجد آيه مِنْ آيات الكتاب - والعياذ بالله - معنى زمانها وولّى غابراً، فالقُرآن دائماً فِي حاله تجديد وتجدد، وإنْ كَانَ بعضُ مَنْ لا وعى لَهُ بحقيقه مرام ومعانى الآيه ومفرداتها لا يتفاعل مَعَ بَعْض آيات الذكر الحكيم ولسان حاله: - أنَّ هَذِهِ الآيه لا تعنينى، دعنى اسمع آيات أُخْرَى لَعَلِّى أتفاعل معها، بخلاف أهل البصيره واليقين الَّذِيْنَ هُمْ عَلَى اتصال بآيات القُرآن وتفاعلهم معها.

وَهُنَاكَ روايه عَنْ الإمام عليه السّلام: [ما مِنْ آيه يتلوها تالٍ إلَّا وَهُوَ منها إمَّا مِنْ أخيارها أو أشرارها](۲).

تنبيهان

التنبيه الأوَّل: قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير ظاهراً لها معانٍ ثاقبه أعظم ممّا رسم لها هؤلاء الأعلام مِنْ المفسرين - جزاهم الله

۱- (۱) سوره الأحزاب: الآيه ۷۲.

۲- (۲)

خيراً عَنْ القُرآن والتفسير - ولكن نقول:

إنَّ كُلّ آيه آيه، بَلْ كُلّ مفرده مفرده، بَلْ كُلّ حرفٍ حرفٍ أُفُقُهُ أبعد، فَعِنْدَمَا تقرأ آيهَ مِنْ كتاب الله تجدها تطرق مسامع ذاتك وتعالج إصلاح شيء مِنْ ذاتك.

وَهَـذَا هُوَ مفاد الروايات المتقدمه لاتّساع الآيات لِكُلِّ إنسان وَأنَّهُ يكون إمَّا مِنْ فريق أخيارها أو أشرارها، وَهَـذَا مفادُ تربوى أخلاقى عظيم لِكُلِّ آيه آيه مِنْ القُرآن العظيم تتفاعل مَعَ كُلّ شخص، فكم هِىَ عظيمه هَذِهِ الدرجه مِنْ الإحياء للقُرآن الذى يَتِمُّ عَلَى ضوء النظريه الثانيه دون الأولى.

التنبيه الثَّانِى: غرضنا مِنْ ذكر بَعْض الملحوظات عَلَى أىّ منهج تفسيرى يتّخذه أىّ مفسر مِنْ مُفسِّرى العامّه أو الخاصّه، هُوَ لأجل تَلّمُس الحقيقه أكثر فأكثر، ولا ننحبس فِى دائره ضيّقه إذَا استوسعت لهذه الحقيقه، وَلَيْسَ الغرض مِنْ ذكر بَعْض الملحوظات أو المؤاخذات لأجل تسجيل نقاط ضعف عَلَى الآخرين كلا ثمَّ كلا، وإنْ كَانَ مضمون ما روى هُوَ [حياه العلم بالنقد] وتكامل البحث العلمى بالنقد، كُلّ ذَلِكَ لأجل أنْ نتواصل مَعَ المسيره العلميه ونواكب تطوّرها بالتقدم العلمى البنّاء.

انقطاع الصله بين التفسير والتأويل

بمقتضى النظريه الأولى دون الثَّانيه:

الإشكال الثَّانِى: وَهَـذَا الإشكال يُبيِّن نوع العلاقه بين قاعده الجرى بمعى التطبيق وبين قاعده التأويل ولقد التفت السيد العلّامه الطباطبائى رحمه الله

وباقی أعلام المُفسرین مِنْ قَبْلَهِ - ونعم ما التفتوا إلیه - مِنْ وجود علاقه وطیده بینهما، وأنَّ التأویل - عباره عَنْ حیویّه تطبیق مصادیق إلَّا أنَّ هَذَا الالتفات للعلاقه بین قاعده الجری والتطبیق والتأویل مِنْ قبل السید العلّامه رحمه الله بِهَذَا المقدار لا تستوعب کُلّ حقیقه العلّامه بین قاعده الجری وقاعده التأویل، فَهِیَ لیست مستوفیه الحقیقه الصله بین التأویل والقاعده فلقد ذکر السید الطباطبائی فِی المیزان ما نصّه: [... أمَّا إجمالاً فلأنَّک عرفت: - أنَّ المراد بتأویل الآیه لَیْسَ مفهوماً مِنْ المفاهیم تدلُّ عَلَیْهِ الآیه سواء کَانَ مُخالفاً لظاهرها أو موافقاً، بَلْ هُوَ مِنْ الأُمُور الخارجیّه... الخ](۱).

والسبب فِی عدم استیفاء ما ذکره السید العلّامه رحمه الله وغیره لحقیقه الصله بین قاعده الجری والتأویل - ولا نقول فِی کُلّ کلامهم وَإنَّما فِی جُلّ کلامهم - هُوَ أنَّهم حصروا التأویل بالمصداق الخارجی والتحقق العینی، بینما عالم التأویل کَمَا هُوَ الصحیح عَلَی أقسام وأنواع وَلَیْسَ منحصراً فِی هَذَا القسم الذی ذکروه وَإنَّما التأویل عَلَی أقسام وأنواع التأویل لها صله مطرده بقاعده الجری بمعنی التطبیق، وَمِنْ تلک الأنواع للتأویل هُوَ عالم الاستعمال اللفظی للدلاله وَلَیْسَ فَقَطْ عالم التطبیق، بخلاف ما ذهب إلیه أتباع النظریه الأولی مِنْ قولبه قاعده الجری بمعنی التطبیق بمعنی کُلّی یطبق عَلَی مصادیقه وَعَلَی هَذَا فالتأویل فیه شؤونٌ وألوان فِی نفس عالم الدلاله وعالم التنظیر، وَهَذِهِ صله أُخْرَی بین التأویل وعالم الدلاله

۱- (۱) المیزان فی تفسیر القرآن العلّامه الطباطبائی: ج ۳، ص ۵۴.

والتنظير، وَهَـٰذِهِ غَيْر العلاقه بين التأويـل ومقـام التطبيق، وَغَيْر العلاقه بين الجرى والتطبيق وعالم نفس الـدلاله، والأخيران - عالم التطبيق وعالم نفس الـدلاله - متبانيان - وَمِنْ خلال هَذَا وغيره كيف يمكن حصر قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير فِى مقام التطبيق والمصاديق؟

والخلاصه: إنَّ صِـلَه عالم التأويل بعالم الـدلاله فِى الجمله يُعَـدُّ بالبـديهه ولا يَتِمُّ رسم تلك العلاقه وَأنَّهُ مِنْ شؤون الدلاله الأعلى نفى قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير، لا عَلَى تفسير قاعده الجرى بالتطبيق فَقَطْ.

الإشـكال الثَّالِث: مُبتنٍ عَلَى بيـان مقـدمه وَهِىَ: [أجنـبيه التطبيق وانقطـاعه عَنْ إراده المُتكلِّم تمامـاً بمقتضـى النَّظَريَّه الأـولى دون الثَّانيه] بناءاً عَلَى ما تَقَدَّمَ نستطيع أنْ نُعَبِّرَ عَنْ طبقات استعمال اللَّفْظ فِى المعنى أنَّها عباره عَنْ أربع طبقات:

١ - طبقه المعانى التصوريه.

٢ - طبقه الإراده الاستعماليه.

٣ - طبقه الإراده التفهيميه.

٤ - طبقه الإراده الجدّيه.

والثلاث الأخيره هِىَ تصـديقيه، وَكُلّ طبقه منها هِىَ عَلَى طبقات، وَمِنْ الواضـح أنَّ عالم التطبيق هُوَ عالم تكوين ووجود خارجى لا صله لَهُ

بالألفاظ ولا صله لَهُ بالمعانى الـذهنيه، وأنَّ عالم التنظير المفهومى الفكرى الـذهنى لا صـله لَهُ وشأن التطبيق، ورُبّما يُعَبّر عَنْ علم التشريع أو التنظير بعلم الشريعه.

ربما يعبر عَنْ علم التشريع والتنظير بعلم الشريعه:

أمَّا العلم الذى يتكفل التطبيق فيعبر عنه بقلم التأويل وعلم الباطن(۱) وَبَعْدَ هَذِهِ المقدمه فَإنَّ حاصل الإشكال هُوَ: إنَّ كُلّيه المعانى الوسيعه فِى الآيـات والسـور القُرآنيّه لاـ صـله لهـا بشـؤون تشخصـيات منطقه التطـبيق ولاـ نُحَمِّلَ التنظير المفهـوم الفكرى ألـوان وعوارض ومشـخّصات المصـداق التطبيقى وَهَـذَا يسـتلزم الفصـل بين مقـام التنظير ومقـام التطبيق، وبالتالى فَإنَّ أصـحاب النظريه الأولى فِى تفسير قاعده الجرى بمعنى التطبيق، يقولون: إنَّ ما وَرَدَ فِى بيان الآيات عَنْ أهل البيت عليهم السّلام إنَّما لَهُ صله بعالم التطبيق ولا صله لَهُ فِى الغالب بعالم التفسير، وَعَلَى هَذَا يلزم أصحاب هَذِهِ النظريه أنَّ يشففوا المعانى الكليه الوارده فِى القُرآن مَعَ إعطائهـا صـفه العموميّه عَنْ ألوان المصـاديق، ولاـ نجعـل المعنى التنظيرى العـام للآيه يتأثر أو يتلون بالمصـداق والتطبيق، وَبِهَـذَا نفصل مقام التنظير عَنْ مقام التطبيق وان هَذَا الفصل بينهما يُعطى الحيويه واللوبيّه فِى الانطباق على الأجيال

۱- (۱) وهـذا الى حَـدّ ما يشـبه الفرق بين علم النبى موسـى عليه السّـلام وعلم العبـد الصالح الخضـر عليه السّـلام فإن علم النبى موسى عليه السّلام علم شريعه يعنى علم هذه الطبقات أى التفسير الظاهر بخلاف علم الخضر فإنه علم التطبيق والتأويل.

والعصور المختلفه.

إذَنْ حاصل هَذَا الإشكال هُوَ الفصل بين مقام التنظير والتطبيق، وَمِنْ الواضح أنَّ التطبيق إراده غائيه أبعدُ غوراً فِى الغائيه والنهائيه مِنْ التنظير، وَإنَّما أُعِّد التنظير تمهيداً للتطبيق، ويعتبر التطبيق ميداناً للتنظير، وَعَلَيْهِ إذَا كَانَ التطبيق إراده غائيه أبعدُ غوراً فِى الغائيه والنهائيه مِنْ التنظر فكيف يُعزل التنظير عَنْ التطبيق بَعْدَ ملاحظه المراد الجدى وراء الجدّى، وَهُوَ - مقام التطبيق - أوغل فِى الجدّيه والغائيه مِنْ المُرَاد التنظيرى.

وَهَذَا بخلاف ما تتبناه النظريه الثَّانيه فِى قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهج أمومه الولايه الآتيه، فَإنَّ المعنى الكُلِّى والتنظير الكُلِّى يُراد مِنْهُ التطبيق وإعداد لما وراء التطبيق وإذا كَانَ مقام التطبيق يحصل بمصاديق بارزه وَأُخْرَى غَيْر بارزه أىّ مصاديق شديده الأهميّه وَأُخْرَى قليله الأهميّه وثالثه متوسّطه الأهميه، فنلاحظ الإراده التطبيقيه فِى المصاديق الاعتياديه أشدُّ جدّيّةً مِنْ التنظير، وَعَلَيْهِ فكيف بالإراده التطبيقيه فِى المصاديق الَّتِى هِىَ أهم، وستكون تلك المصاديق أشدّ مِنْ الإراده الجدّيه المتعلقه بالتنظير وأوغل وأهم، وكأنَّما هَذَا يُخيل لك عدم إراده وعدم أهميه المصاديق المتوسِّطه الأهميّه والأقل أهميّه وأنَّ إرادتها تبعاً لإراده المصداق الأعظم والاهم والأكبر، وَهُنَا درجه الأهميّه تتبع درجه الإراده، وَعَلَيْهِ فَإنَّ الإراده: فِى مقام التطبيق هِىَ أكثر جدّيه مِنْ الإراده فِى مقام التنظير، وهكذا الإراده التفهيميه أهم مِنْ الإراده

الاستعماليه والإراده الجِدّيه التنظيريه أهم مِنْ الإراديه التفهيميه وهكذا، وعموماً فَإنَّ الإراده الجدّيه التطبيقيه أهم مِنْ التنظيريه؛ لِأنَّ التنظيريه مُعَدَّه ومُهَيّأه للتطبيق.

إذَنْ إذَا كانت إراده أهم المصاديق هِيَ أهم إرادات التطبيق، فَهَذَا معناه أنَّ الكلام مِنْ أوَّل الأمر سيق للإراده ذَاتَ المصداق الأهم والأبلغ، وَمِنْ هَذَا يتّضح أنَّ سوق الكلام دائماً للإراده النهائيه، وإنْ كانت الإراده التنظيريه جدّيّه إلَّا أنَّ جدّيتها متوسِّطه الإراده وَإنَّما المهم هُوَ إراده المصداق الأعظم والكلام سيق لَهُ بكُلِّ رمّته مِنْ أوَّل الأمر وما عداه تابع لَهُ - أيّ لإراده المصداق الأعظم -.

عزل التطبيق عَنْ التنظير يُعْدِم التصنيف الموضوعى

للآيات حسب النظريه الأولى:

الإشكال الرَّابع: إنَّ لازم عزل عالم التنظير عَنْ عالم التطبيق حسب النظريه الأُولى يستلزم لازماً باطلاً ألا وَهُوَ: -

كيف يمكن أنْ نُميِّز ونفرز موضوع الآيات بعضها عَنْ البعض، وأنَّ الآيه الواحده هل هِيَ مِنْ آيات الأحكام الفقهيه أو العقائديه، أو مِنْ آيات المنظومه الأخلاقيه أو الاجتماعيه، أو مِنْ آيات العالم النفسانى وغيره، ولا يتسنى معرفه وتميّز ذَلِكَ إلَّا أنْ نقول بمقاله النظريه الثَّانيه فِى قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهج أمومه الولايه

عَلَى المحكمات، وَالَّتِى مِنْ مبادئها المستقاه مِنْ بيانات أهل البيت عليهم السّلام عدم حبس الآيه فِى أُفُقٍ ضيّقٍ وَإِنَّما الآيه بمثابه الكنز أو المَعْدِن مهما أخذت مِنْهُ لا ينضب، وَكُلّ مَنْ يستطيع أنْ يأخذ فَلَهُ أنْ يأخذ بما أُوتى مِنْ سعه ورحابه أفق عظيم وفكر وعقل واسع ونيّر.

عدم جرى أصناف الآيات حسب النظريه الأولى

فى موضوع أصناف أُخْرَى مِنْ الآيات:

الإشكال الخامس: ولا يختص تسجيل هَذَا الإشكال عَلَى أصحاب النظريه الأولى، بَلْ يعم بَعْض المناهج والمسالك الفقهيه القائلين بعزل آيات الأحكام عَنْ آيات العقائد.

وحاصل الإشكال: - إنَّ الآيات وإنْ انطبع عَلَيْهَا تصنيف بلحاظ موضوعها إلَّا أنَّ ذَلِكَ لا يمانع عبور مفادها وجريه فِى موضوع أصناف أُخْرَى مِنْ الآيات، فالآيات العقائديه تجرى بضوابط وموازين لقاعده الجرى فِى المسائل الفقهيه والعكس كَذَلِكَ، وكذا فِى آيات العلوم الأُخْرَى مِنْ دون لزوم الخلط والتخليط، وَإِنَّما عَلَى وفق معايير وأُسس مداريّه ترتبط معنىً فيما بينها لتوَلِّد معانى مِنْ بعضها البعض بصناعه التحليل والتركيب.

قَدْ يُثار تساؤل؛ حاصله: إنَّ هَذَا الإشكال مُتناقض مَعَ سابقه حَيْثُ ذكر فِى الإشكال الرَّابع: - إنَّ الاعتراض عَلَى النظريه الأولى كَانَ

يلزم محذور عدم تصنيف الآيات حسب مقتضاها، بخلاف النظريه الثَّانيه الَّتِى توجب تصنيف الآيات.

بينما فِى هَـٰذَا الإشكال - أىّ الخامس - يُدّعى أنَّهُ مُقْتَضَى النظريه الثَّانيه يلزم جريان الآيه الواحِدَه فِى عِدَّه أصناف، وبالتالى لا تصنف الآيه عَلَى موضوع واحد، بينما عَلَى النظريه الأُولى تنحصر الآيه فِى موضوع صنف واحِدٍ وَعَلَيْهِ فالإشكال الخامس مُتدافع مَعَ سابقه - الرَّابع -.

الجواب: إنَّهُ لا يوجد تدافع بين الإشكالين فَإنَّ الإشكال السابق المُقرّر بمفاد النظريه الأُولى مِنْ عدم تصنيف الآيه موضوعياً فِى ما لو كَانَ لون الموضوع آتٍ مِنْ التطبيق لا مِنْ اللَّفْظ، بخلافه عَلَى النظريه الثَّانيه فَإنَّ الآيه تتصنَّف موضوعياً لارتباط التطبيق بالدلاله.

وأمَّا بحسب الإشكال الخامس: - فَإنَّهُ فِى المورد الذى يكون فيه تصنيف الآيه آتٍ موضوعياً مِنْ حاق اللَّفْظ والدلاله، فَإنَّ الآيه لا محاله مُصَنَّفَه موضوعياً لفظاً ولا تجرى لصنف آخر لموضوع مغاير عَلَى النظريه الأولى، وتجرى عَلَى النظريه الثَّانيه؛ لِأنَّ تصنيف الآيه فِى صنف لا يمانع إمكانيه تأويلها بموازين إلى صنف آخر بقاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى النظريه الثَّانيه.

وحاصل الفرق بين الإشكالين الرَّابع والخامس هُوَ بحسب

المورد، بينما حاصل المحمول ومفاده فِي الإشكالين واحدٌ ومشترك وَهُوَ: - أنَّ قاعده الجرى عَلَى النظريه الثَّانيه فِي حَيْثُ تحدّد الآيه وتصنفها فِي موضوع تطبيقى، إلَّا أنَّ ذَلِكَ لا يعنى عدم سريان قاعده الجرى مَرَّه أُخْرَى لجرى الآيه فِي صنف آخر وموضوع مباين لما تقرَّر فِي النظريه الثَّانيه مِنْ ترامى إجراء قاعده الجرى مُتعاقباً بخلافه عَلَى النظريه الأولى، وَهَذَا أحد الفوارق العظيمه بين النظريتين.

وأمَّا دعوى انعزال أصناف الآيات عَنْ بعضها البعض فممنوعةٌ ويؤيِّد ذَلِكَ ما روى عَنْ عبدالله بن سنان(۱) بسؤاله الإمام الصادق عليه السّلام، قَالَ: أتيت أبا عبدالله عليه السّلام، فقلت لَهُ جُعِلتُ فداك، ما معنى قول الله عَزَّ وَجَلَّ(ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ) (۲) ؟ قَالَ: «أخذ الشارب وقص الأظافر وما أشبه ذَلِكَ» قَالَ: قلتُ: جُعِلْتُ فداك، فَإنَّ ذريحاً المحاربى(۳) حدّثنى عنك بحديث، أنَّك قلتَ(لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ) هُوَ لقاء الإمام عليه السّلام تلك المناسبه»؟ قَالَ صدق ذُريح وصدقت، إنَّ القُرآن لَهُ ظاهر وباطن وَمَنْ يحتمل ما يحتمل يا ذُريح؟(۴).

۱- (۱) وهو أخو محمد بن سنان ابنا طريف وهو فقيه جزلٌ وورعٌ وسديد ومتين وثقه تتلمذ على يدى الإمام الصادق عليه السّلام.

۲- (۲) سوره الحج: الآيه ۲۹.

۳- (۳) ذريح بن محمد بن يزيد أبو الوليد المحاربى من أصحاب الإمام الصادق عليه السّلام ثقهٌ.

۴- (۴) مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ۲، ص ۲۹۰، ح ۱۴۳۷؛ البرهان فى تفسير القرآن، للبحرانى: ج ۵، ص ۲۸۶، ح ۱۳.

بتقريب: - إنَّهُ يمكن أنْ تكون الآيه الواحِدَه آيه معرفيه وفقهيهً وقانونيهً وأخلاقيهً وغيرها.

بَلْ هَذَا الإشكال يتسجّل أيضاً عَلَى علماء الأخلاق اللذين حصروا آيات الأخلاق فِي آياتٍ معدوده، وَمَنْ قَالَ لك: - إنَّ النظام الأخلاقى فِي القُرآن يقتصر وينحصر عَلَى مئين أو ألوف مِنْ الآيات؟!

وَعَلَيْهِ فعظمه منهج أهل البيت عليهم السّلام تبين أنَّ القُرآن برمّته هُوَ عقائد وأنَّ كُلّ آيهٍ آيه فبها نظام أخلاقى، آيه فيها نظام أخلاقى اجتماعى أو علوم شتّى، أمَّا أنَّهُ لَيْسَ لدينا القدره عَلَى استظهار واستخراج ذَلِكَ فَهَذَا بحثٌ آخر.

وهكذا ما استفاده الشَّيْخ الطوسى مِنْ قوله(هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ ما فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ فَسَوّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَىْ ءٍ عَلِيمٌ(٢٩) (١).

بتقريب: - إنَّ الشَّيْخ الطوسى استفاد حكماً فقهياً إنَّ الغايات التكوينيه متطابقه مَعَ الغايات التشريعيه فَهَذِهِ الآيه حَيْثُ تحدِّد الغايه التكوينيه فتدل بالالتزام عَلَى أنَّها غايه تشريعيه إذْ لا يتدافع الغرض التشريعى مَعَ الغرض التكوينى، واستدلَّ الشَّيْخ بالآيه المباركه، أمَّا استفاده الناس مِنْ الثروات العامّه شرع سواء.

١- (١) سوره البقره: الآيه ٢٩.

علماً أنَّ الظهور الأوّلی للآیه هُوَ فِی أمر معرفی عقائدی أو تکوینی أو ما شابه ذَلِکَ کَما فِی روایه مُحمَّد بن زیاد وعلی بن مُحمَّد بن سیّار عَنْ أبویهما عَنْ الحسن بن علی عَنْ... عَنْ الحسین بن علی، قَالَ: - قَالَ أمیر المؤمنین علیه السّلام فِی قوله الله عَزَّ وَجَلَّ: (هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ثُمَّ اسْتَوی) قَالَ: «هُوَ الذی خلق لکم ما فِی الأرض جمیعاً لتعتبروا به ولتتوصلوا به إلی رضوان وتتقوا به مِنْ عذاب نیرانه(ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ) أخذ فِی خلقها واتّقانها. (فَسَوّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْ ءٍ عَلِیمٌ(۲۹) ولعلمه بکُلِّ شیء علم المصالح فخلق لکم ما فِی الأرض لمصالحکم یا بنی آدم(۱). وهکذا قوله تَعَالَی(لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ(۷۹) (۲) ، بتقریب: إنَّ الفقهاء تمسّکوا بها فِی استفاده الحکم الفقهی منها مَعَ أنَّ الآیه هِیَ عقائدیه بحسب ظهورها الأوّلی، فَإنَّ الشَّیْخ الطوسی ذکر فِی التهذیب بإسناده عَنْ علی بن الحسن بن فضّال عَنْ جفعر ابن مُحمَّد بن حکیم، وجعفر بن مُحمَّد بن أبی الصباح جمیعاً عَنْ إبراهیم بن عبدالحمید، عَنْ أبی الحسن علیه السّلام قَالَ: المصحف لا تَمسَّه عَلَی غَیْر طُهر ولا جُنباً، ولا تَمَسَّ خیطه ولا تعلقه إنَّ الله یقول: (لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ(۷۹) (۳). وذکر الشَّیْخ الطبرسی فِی الاحتجاج فِی تفسیر قوله تَعَالَی: (لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ(۷۹) ، قول أمیر المؤمنین

۱- (۱) عیون أخبار الرضا علیه السّلام: ج ۲، ص ۱۵، ح ۲۹؛ تفسیر البرهان للبحرانی: ج ۱، ص ۱۶۲.

۲- (۲) سوره الواقعه: الآیه ۷۹.

۳- (۳) التهذیب: ج ۱، ص ۱۲۷.

على بن أبى طالب عليه السّلام لعمر بن الخطّاب... فَإنَّ القُرآن الذى عندى لا يمسّه إلَّا المطهرون، والأوصياء مِنْ ولدى، فَقَالَ عمر: فهل وقتٌ لإظهاره معلوم؟ قَالَ على: نعم إذَا قام القائم مِنْ ولدى يُظهره ويحمل الناس عَلَيْهِ فتجرى السنّه به(۱).

وَهَذَا معناه أنَّ الظهور قابل لأنْ ينفتح عَلَى مؤديات ومفادات كثيره، وَهَذَا أحد بركات قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير طبق القواعد.

والخلاصه: هُنَاكَ فرقاً واسعاً بين المنهج المُتّبع فِى نظام الظهور والاستظهار وبين منهج أمومه الولايه والمحكمات أىّ منهج أهل البيت عليهم السّلام فَإنَّ الأخير أوسع رحابه.

تماهى حدود الآيات بمقتضى النظريه الأولى

وانضباطها عَلَى النظريه الثَّانيه:

الإشكال السَّادِس: أحد أهم المؤاخذات الَّتِى تُسجّل عَلَى أصحاب النظريه الأولى الَّتِى تبتنى عَلَى عزل التنظير عَنْ التطبيق لزوم تمييع حدود مفاد الآيات الكريمه إذَا كَانَ النظر فِى المعانى إلى جانب التنظير فَقَدْ دون التطبيق، فلو نظرنا إلى معنى الاصطفاء واستحبابه ومعنى الاصطفاء هُوَ انتقاء الله تَعَالَى لشخص أو قبيله أو زمان أو مكان أو لغه أو قوميّه أو...

۱- (۱) الاحتجاج: ج ۱، ۳۶۰، محاجّه ۵۷؛ ونور الثقلين: ج ۷، ص ۹۴، ح ۹۵.

الخ، كَمَا فِی اصطفاء البارى تَعَالَى للعرب مِنْ بين البشر بنصّ الآيه(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ) (۱) واصطفى البارى تَعَالَى مِنْ العرب قريشاً واصطفى مِنْ قريش بنى هاشم واصطفى مِنْ بنى هاشم بنى عبدالمطلب واصطفى مِنْ بنى عبدالمطلب مُحمَّد صلّى الله عليه و آله. ويُؤيِّد ذَلِكَ ما رواه العيّاشى بسنده عَنْ مُحمَّد بن حمران عَنْ أبى عبدالله عليه السّلام، قَالَ: «إنَّ الله لما خلق الخلق فجعله فرقتين، فجعل خيرته فِی إحدى الفرقتين، ثمَّ جعلها أثلاثاً، فجعل خيرَتَهُ فِی إحدى الأثلاث، ثمَّ لَمْ يزل يختار حَتّى اختار عبد مناف، ثمَّ اختار مِنْ عبد مناف هاشماً، ثمَّ اختار مِنْ هاشم عبدالمطلب، ثمَّ اختار مِنْ عبدالمطلب عبدالله، واختار مِنْ عبدالله محمداً رسول الله صلّى الله عليه و آله فَكَانَ أطيب الناس ولادةً وأطهرها، فبعثه الله بالحق بشيراً ونذيراً وأنزل عَلَيْهِ الكتاب، فَلَيْسَ مِنْ شیء إلَّا فِی الكتاب تبيانه»(۲).

ومعنى هَـذَا أنَّ الاصطفاء عَلَى درجات، فَعَلَى ضوء النظريه الأولى: - إنَّ هَـذَا الاصطفاء كُلَّه لَيْسَ حجّه، وَعَلَيْهِ فَإنَّ الاصطفاء سوف يتميّع ويذوب عَنْ ماهيته ويصير تماهى فِی معنى الاصطفاء أىّ انتقاء عام وَعَلَيْهِ يكون اصطفاء الله لآدم ونوح وآل إبراهيم عليه السّلام وآل عمران على العالمين لأجل خلقه البشريه ويكون لمثل نوح عليه السّلام دورٌ فِی البشريه وآل إبراهيم عليه السّلام وآل عمران شكراً عَلَى أدوارهم وَلِمَنْ يماثلهم مِنْ البشر، فَهَذِهِ كُلَّها مفادات عامه ولا تختصّ ببحث بيوت الأنبياء وَغَيْر

۱- (۱) سوره آل عمران: لاآيه ۱۱۰.

۲- (۲) تفسير العيّاشى: ج ۱، ص ۷۹، ح ۱۱، عنه البحار: ج ۳۰/۲۷/۹۲.

بیوت الأنبیاء، وهکذا(إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً) (۱) أیّ استخلاف کُلّ البشر صالح لِأَنْ یکون خلیفه بما فیهم الصالح والطالح، وهکذا عَلَّمَ آدم الأسماء کُلَّهَا لَیْسَ المُرَاد علم لاهوتی وعلم لَدُنی ونبوّه ورساله وَإِنَّما المُرَاد مِنْ عَلَّمَ آدم الأسماء کُلَّهَا یعنی البشریه کُلَّهَا مفطوره عَلَی العلم بجمیع الأُمُور، وهکذا معنی قوله صلّی الله علیه و آله: «مَنْ کُنتُ مولاه فعلیّ مولاه» أیّ تکمن المودَّه والمحبه لعلیّ باعتباره کمسلم مِنْ المسلمین. وبالتالی هَذِهِ الأُمَّه الإِسْلامیَّه الَّتِی اختارها الله فیها الصالح کالنبی صلّی الله علیه و آله وأمیر المؤمنین علی بن أبی طالب وفاطمه والحسن والحسین والتسعه المعصومین علیهم السّلام مِنْ ذریه الحسین علیه السّلام ومقداد وسلمان وأبو ذرّ والمؤمنین والصالحین وغیرهم، وفیها الطالح أمثال یزید بن معاویه والحجّاج بن یوسف الثقفی وشمر بن ذی الجوش، وعبدالرحمن ابن ملجم وغیرهم، فهل یعنی أنَّ أمثال هؤلاء داخلون فِی تلک الأُمَّه الَّتِی هِیَ خیر أُمَّهٍ أُخرجت للناس أو لا؟

فَإِنَّ مثل هَذَا وغیره مِنْ اللوازم السلبیه الَّتِی تلزم إِذَا بنینا عَلَی عزل التنظیر عَنْ التطبیق، ولا یبقی حدٌّ مِنْ حدود الآیات وبالتالی یشکِّل خطراً کبیراً تتمیع فیه حدود معانی الآیات، هَذَا بحسب النظریه الأولی.

بخلاف النظریه الثَّانیه فِی قاعده الجری بمعنی التطبیق أو التعبیر

۱- (۱) سوره البقره: الآیه ۳۰.

عَلَى ضوء منهج أمومه الولاـيه عَلَى المحكمات، فَإنَّ لها توسّع ورحابه أفق ولكن بضوابط وموازين علميّه لا بهدد وتميّع، وَإنَّما مَعَ حفظ الطبقات والمراتب ففى الاصطفاء لا مانع مِنْ تكرّره إلى أنْ يصل إلى اصطفاء معصومى بمعنى أنَّ الطهاره ذَاتَ مراتب إلى أنْ تتصاعد وتصل الطهاره إلى عصمه الاستخلاف الذى يُعْزيه الله تَعَالَى إلى فرد واحد مِنْ البشر مقابل الملكوت والممكن الذى تكون كُلّ الملائكه تحت طاعته وقيد أمرته، فَإنَّ أمَّ المراتب وأُسسها محفوظه، ولكن هَذَا لا يتنافى مَعَ وجود مراتب أنزل فأنزل إلى ما لا نهايه كَمَا تتصاعد فِى مراتب أعلى فأعلى ولا تصل إلى حدٍّ.

فإذا كَانَ الأمر هكذا فلماذا تأخذون وتميلون إلى جانب الدنو والخلود إلى الأرض؟

ولتكُن نظرتكم نظره«يتدبرون فِى خلق السماوات والأرض» أىّ نظره سموٍّ.

وَهَـذَا البحث مرتبط وَلَهُ صله بنظريه أدبيّه تتبنى أنَّ التطبيق لَهُ دور فِى بيان التنظير، كَمَا هُوَ المعروف مِنْ أنَّ التنظير مبيّنٌ للتطبيق وكذلك الحال فِى الفعل يَكُون فِى جمله مِنْ موارد القرينه الحاليّه المبيِّنه للكلام وإنْ كَانَ الكلام فِى أكثر الموارد مبيِّنٌ للفعل، وَعَلَى ذَلِكَ يكون التطبيق والمصداق مِنْ شؤون الدلاله والكلام, إذَنْ عزل مقام التطبيق

والموارد تماماً عَنْ عالم دلاله الكلام بالمرَّه مُخِّلٌ بضبط الدلاله والبيان.

قَدْ يتساءل: إنَّهُ مُقْتَضَى النظريه الثَّانيه هُوَ سعه الجرى وتكرّره كَمَا مَرَّ، ولازم ذَلِكَ ذوبان المعانى وتماهى حدودَها وَذَلِكَ عكس النظريه الأولى فإنَّها تُعَيِّن المعنى مُتّحداً ومعيَّناًوالسعه والسريان فِى المصاديق وكثرتها لا توجب إنمحاء تعيّن المعنى التنظيرى.

والجواب: إنَّ النظريه الأولى حصرت التوسّع بتلطيف المعنى وتقشيره عَنْ الخصوصيات فكلّما أرادوا سِعه وشموليه ابتعدوا عَنْ الخصوصيات، وأزالوها وترقّوا إلى سعه المعانى الكُلِّيه الفوقيه، وَهَذِهِ السعه وإنْ كانت فِى الوهله الأولى مُعْزيه لعموميّه المعنى وكليته إلَّا أنَّ لازمها بالدقّه ذهاب خصوصيه طبقات مِنْ الأنواع، وَمِنْ ثمَّ يتماهى المعنى عَنْ حدود النوعيّه وحدود الجنسيه المتوسّطه إلى أنْ ينتهى إلى الجنس العام المبهم الفوقى.

بينما فِى النظريه الثَّانيه: - فَإنَّ خصوصيات التطبيق والتعيّنات ملحوظه فتحفظ الحدود، وإنْ كَانَ ذَلِكَ لا يمانع عَنْ جرى الآيه فِى المعانى كَمَا تجرى فِى المصاديق، والعُمْدَه أنَّ فِى النظريه الثَّانيه فَإنَّ كُلّ تعدّد للمعانى مُراد، فالكثره فِى المعنى مُراده ولكثره فِى المصاديق مُرَاده كَذَلِكَ، فتحفظ الحدود والخصوصيات، فِى حين تَعْبر الآيه مِنْ حدٍّ إلى آخر، وَهَذَا بخلاف النظريه الأولى فَإنَّ المعنى متّحد غيرمتعدّد لكنَّه لا تحفظ فيه خصوصيات الكثره بَعْدَ فرض تقرير سعه المعنى لمرتبهٍ فوقيه.

عموم التخاطب والمشافهه فی قاعده

الجری بمعنی التطبیق أو التعبیر

تعمّق إشکال حجّیه الظهور بالمخاطبین والمشافهین:

الإشکال: السَّابع: یلزم علی النظریه الأُولی إبعاد عالم التطبیق عن عالم الدلاله ویترتّب عَلَی هَذَا لوازم لا یمکن الالتزام بها، فمثلاً صاحب القوانین.

ادّعی دعوهً حاصلها:

إن حُجّیه الظهور مخصوصهٌ بالمخاطب، وآخر ذهب الی اختصاصها بالمشافهه، وأما غیر المخاطب فیتأمَّل فی حجیّه ظهوره واستظهاره، ای معنی حجّیه الظهور هل یختص بالاستظهار بالمشافهین، بأنْ یستظهر ویستنطق المُشافِه للقرآن الکریم أو الأعم من المشافهین والغائبین أو الأعم منهما ومن المعدومین، وإنْ کان تعیین المخاطب أمرٌ مهم وأن حجّیه الظهور مخصوصه بالمخاطب.

وَعَلَیْهِ فَإِنَّهُ حسب النظریه الأولی یلزم أنْ تکون الآیه القُرآنیّه مخاطبٌ بها شخصٌ أو أشخاص، أو جماعهٌ أو جیل معیّن یکون هَذَا مورداً للتطبیق والحصر.

إلَّا أَنَّهُ وحسب النظریه الثَّانیه فِی قاعده الجری عَلَی ضوء منهج أمومه الولایه أنَّ القاعِدَه لا تُحْصَر ولا تُعْصَر، بَلْ توسّع المفاد القُرآنی فِی الآیه أو السوره إلی غَیْر زمان ومکان المخاطب، وإنْ اشتملت الآیه عَلَی

كلمات مخاطب بها أشخاص بأعيانهم ولا يخفى اشتمال الآيات القُرآنيه وألفاظها عَلَى ألفاظ الخطاب وأسماء المخاطبين العدد الكبير فِي القُرآن، كَمَا فِي الخطاب الموجّه للأنبياء وللأُمم والأصناف ولأصناف المخلوقات، وَهَذَا كمٌّ كبيرٌ مِنْ آلاف الجمل فِي الآيات والسور قَدْ عُيِّن المخاطب فِي اللَّفْظ مما يوجب منع قاعِدة الجرى فِي غَيْر المخاطب، ويلزم جمله مِنْ الإشكالات السابقه عَلَى النظريه الأولى المبنيه عَلَى تعيّن الخطاب فِي حاقّ اللَّفْظ.

ص:١١٠

هل التأويل حاكم على التنزيل (التفسير) أو العكس

على ضوء المنهج التفسيرى للسيد العلامه الطباطبائى

لو ألقينا نظره فاحصه عَلَى منهج السيد العلّامه مُحمَّد حسين الطباطبائى رحمه الله صاحب تفسير الميزان فِى تفسير القُرآن الذى انتهج التفسير الموضوع فِى تفسيره، لوجدنا حاكميه التفسير عَلَى التأويل، حَيْثُ دأب العلّامه فِى كُلّ تفسيره عَلَى عزل المفاد الروائى للروايات الوارده فِى ذيل الآيات عَنْ تقرير مفاد الآيات المسمّى بالتفسير، فَلَمْ يجعل لمفاد الروايات أىّ دور ولا صله بتقرير المفاد الأولى للآيات.

وَحَتّى أنَّ السَّيِّد العلَّامه فِى أواخر حياته الشريفه سُئِل عَنْ ذَلِكَ - وَهُوَ ذو رياده وباع طويل فِى التفسير - وَلَمْ يُرَجِّح ما ذكره فِى تفسيره الميزان عَلَى تفسير على بن إبراهيم القُمِّى وتفسير العيّاشى، والبُرهان للحويزاوى ونور الثقلين لِلْسَّيِّد هاشم البحرانى و... الخ وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ التفاسير الروائيه الَّتِى تعتنى بترجيح جانب التأويل عَلَى التنزيل والتفسير، علماً لو أردنا إجراء مقايسه بين التأويل والتفسير لوجدنا التفسير قطره فِى بحر التأويل، وَالسَّيِّد العَلّامَه فِى الميزان وإنْ لَمْ يرجح التفسير عَلَى التأويل وَمَعَ ذَلِكَ جعل البحوث التأويليه عَلَى نحو البحوث

ص:١١١

الهامشيه والمقتضيه والمختزله، ولا يفهم مِنْ هَذَا إننا نريد أنْ نُنْكِر دور التفسير والتنزيل، كلّا فَإنَّ التفسير علم لَهُ مؤونته وأعباؤه ويحتاج إلى بذل جهود جبّارَه فِى إنجاز ذَلِكَ.

إلَّا أنَّ التنزيل هُوَ نزول مقدّس وعظيم ولكن بدرجه مخفّفه ونازله مِنْ حقيقه القُرآن وَهُوَ حبلٌ ممدود طرف مِنْهُ عِنْدَ الناس وطرفٌ مِنْهُ عِنْدَ الله، ولكن وما يعلم تأويله إلَّا الله والراسخون فِى العلم.

والمهم مِنْ كُلّ هَذَا إنّنا عَلَى منهج أمومه الولايه عَلَى المحكمات وبحسب النظريه الثَّانيه فِى قاعده الجرى بمعنى التطبيق (أو التعبير) لا نرتضى ما انتهى إليه السَّيِّد العلّامه رحمه الله وجماعه فِى أهميّه علم التأويل وانتهوا إلى أنَّ علم التأويل هُوَ علم تطبيقى بخلاف علم التفسير فَإنَّهُ علم تنظيرى، وأنَّ علم التأويل هُوَ المدار الذى تدور عَلَيْهِ طبيعه رحى التطبيق، وأنَّ التطبيق تابع إلى التنظير لا العكس، وَعَلَى ضوء هَذِهِ النتيجه بناءً عَلَى النظريه الأُولى يكون الفارق بين علمَىّ التأويل والتفسير للقُرآن بسيطاً.

بخلاف النظريه الثَّانيه عَلَى ضوء منهج أمومه الولايه عَلَى المحكمات مِنْ أنَّ علم التفسير إنْ كَانَ يُعَبَّر عنه بعلم التنظير فَهُوَ الذى يدور مداره التأويل، وَعَلَيْهِ فيكون التأويل هُوَ المحور، وَإنَّهُ يوجد فرقٌ كبيرٌ وواسعٌ بين علمى التفسير والتأويل لآيات القُرآن وسوره.

وَعَلَيْهِ فالنتيجه الَّتِى انتهى إليها السَّيِّد العلّامه رحمه الله وجماعه مِنْ

جعل التأويل تبعيٌّ للتفسير معناه إضفاء أهميّه لعلم التفسير فوق أهميّه علم التأويل، وَهَذَا بخلاف مختارنا وَهُوَ النظريه الثَّانيه فِي قاعده الجرى عَلَى ضوء منهج أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات، مِنْ أنَّ علم التأويل هُوَ الفائق عَلَى علم التفسير، وسيّتضح أنَّ كَمَال وأوج علم التفسير لا ينتظم ولا يستقيم إلَّا بتحرير علم التأويل ومتوقّف عَلَيْهِ، وَهَذَا لا يتنافى مَعَ الابتداء بعلم التفسير، واستدراكات علم التفسير مراجعاته لا يَتِمُّ كَمَالاً إلَّا بالرجوع إلى ضوابط مِنْ علم التأويل.

وَهَذَا نظير ما وَرَدَ عَنْ الصادق عليه السّلام ما مضمونه أنَّ الدين لَهُ ظاهر وَلَهُ باطن(١) وَأنَّهُ لا ظاهر إلَّا بباطن ولا باطن إلَّا بظاهر.

١- (١) بحوث فى مبانى علم الرِّجال للشيخ محمد السند حفظه الله: ج ٣.

علم التأويل المتأخر رتبه

اشاره

يضبط علم التفسير المتقدم رتبه

لا ـ منافاه فِى أنْ يتلقّى الإنسان الباحث والمتعلِّم فِى أىّ علم مِنْ العلوم فَهُمْ معانيه وتقريرها مِنْ علم متأخّر رتبه، كَمَا هُوَ الحال فِى تلقّى المُفَسِّر فِى علم التفسير تفهمه مِنْ علم التأويل الذى هُوَ متأخِّر رتبةً عنه، ولا مانع مِنْ ضبط المتأخّر للمتقدم ولا محذور فيه كَمَا هُوَ الحال فِى الدراسات الأكاديميه فَإنَّ المرحله الاعلى وَهِىَ المتأخِّره تضبط المرحله الأدون وَهِىَ السابقه عَلَى أنْ يتخرّج مِنْ الجامعه حاملاً لشهاده عُليا أرقى مما سبق، ولكن الضبط والميزان هُوَ بالعلم الأرقى وإنْ كَانَ فيما بعدُ ومتأخِّر رتبةً، وَهَذَا لا محذور فيه.

وَعَلَيْهِ فالمراحل السابقه لا يمكن إهمالها وأنَّها هِىَ المداريه ولكن ضبطها لابُدَّ وأنْ يكون بعلم ومرتبه أعلى.

كَذَلِكَ الحال بالنسبه لعلمى التفسير (التنزيل) والتأويل فَإنَّهُ لا يمكن أنْ ينضبط التفسير وإنْ كَانَ مُتقدِّماً إلَّا بعلم التأويل وإنْ كَانَ مُتأخِّراً وكذا العكس، وَبَعْدَ أنَّ اتّضحت العلاقه الوطيده بين علمىّ التفسير والتأويل نقول: -

فإنْ كُنّا نعطى عـذراً وتبريراً للمفسـرين فِى تركيزهم وعكوفهم عَلَى علوم التفسير فهذا المبرر يصـلح للابتداء ولا مانع مِنْهُ، لا أَنَّهُ مبرر للبقاء والاسـتمرار فِى التركيز عَلَى علم التفسير وترك وإهمال التأويل فَإنَّ مثل هَذَا غَيْر مقبول، والمفروض عَلَى كُلّ مفسـر ابتـداء تفسـيره بعلم التفسـير عَلَيْهِ أنْ يراجع ويضـبط ويصـحّح بحوثه ونتـائجه التفسـيريه بـالولوج والتوغّل فِى علم التأويل، وَهَـذِهِ مفارقه واضحه بينهما - التفسير والتأويل - وسيأتى المزيد فِى محلّه إنَّ شاء الله تَعَالَى.

تعدد علم التأويل ومفارقته عَنْ التفسير:

تنبيه هام: لا شكَّ ولا ريبَ إنَّ القُرآن الكريم يحتوى عَلَى علوم متعـدّده وخطيره ومحوريه إلَّا أَنَّهُ وللأسف توجد فِى بَعْض علوم القُرآن مهجوره مِنْ قبـل البـاحثين والمفسـرين مثـل التفسـير الإشـارى أىّ تفسـير الإشـارات القُرآنيه وغيره، فَإنَّ المروى عَنْ أمير المؤمنين عليه السّـلام فِى بيـان المراحـل المعرفيه للقُرآن أَنَّهُ عليه السّـلام قَـالَ: «كتـاب الله عَلَى أربعه أشـياء: عَلَى العبـارَه، وَعَلَى الإشاره، واللطائِفِ، والحقائِقِ؛ فالعبارَهُ لِلعَوامّ، والإشاره للخواصّ، واللّطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء(١).

وإنْ كـانت هُنَـاك بَعْض المناهـج التفسـيريه لبعض الأعلام كالسَّيِّد الطباطبائى فِى تفسـيره الميزان فيها نوع مِنْ الاسـتقراب لمثل بحث التفسير

١- (١) عوالى اللئالى: ج ۴، ص ١٠٥ ح ١٥٥؛ والبحار للمجلسى: ج ٩٢، ص ١٠٣ ح ٨١.

الإشارى أىّ تعبير إشارى وعبور بتوسّط الإشاره إلَّا أنَّها نتف قليله متناثره ولكنَّها ثمينه وخطيره، وسيأتى فِى بحث نظام المعانى التعرُّض إلى بحث نظام الإشارات ونظام اللّطائف ونظام الحقائق.

وَلابُدَّ مِنْ الالتفات إلى أنَّ علم الإشاره فِى القُرآن غَيْر علم التأويل، وإنْ كَانَ علم التأويل يطلق عَلَى معنى أعم ومعنى أخصّ، فَإنَّهُ علم تأويل يُطلق عَلَى ما وراء علم التفسير فَكُلِّ ذَلِكَ يطلق عَلَى علم التأويل.

وهكذا علم لطائف القُرآن وعلم حَقائق القُرآن وغيرهما غَيْر علم التأويل، وَهَذِهِ العلوم وغيرها وللأسف لَمْ يَتِمُّ التركيز عَلَيْهَا مِنْ قبل مُفسِّرىّ المسلمين وإنْ كانوا لا يستطيعون أنْ يدّعو هَذِهِ المقامات غايه ما عنده علم التفسير، أمَّا علم التأويل أو علم تعبير القُرآن وإشاراته وحقائقه وترجمان القُرآن ولطائفه وغيرها مِنْ علوم القُرآن فإنَّها مِنْ نصيب العتره الطاهره أئمه أهل البيت عليهم السّلام فَقَطْ.

ص:١١٧

منهج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات

هو الناظم لعلم التفسير والتأويل

(هيكله منهجيه)

لو لاحظنا تفاسير المأثور عَنْ النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السّلام نجد فيها كأنَّما أوكل التعليم الابتدائى لهذه العلوم القُرآنيه والمناهج التفسيريه المختلفه سواء التفسير الإشارى أو اللطائفى أو الحقائقى أو... الخ إلى علماء الأُمَّه لكنَّ بضوابط بيّنها أئمه اهل البيت عليهم السّلام وتعليمهم إلى الإشارات القُرآنيه واللطائف وترجمان وتأويل القُرآن؛ لِأَنَّ تلك العلوم بعيده المنال والسيطره عَنْ قدره علماء الأُمَّه، ولذا نرى ندره كتب علوم القُرآن الَّتِى تتطرق إلى هَذِهِ العلوم وا لتفسيرات فِى المكتبه القرآنيه عِنْدَ المسلمين.

وَهَذِهِ العلوم فِى الحقيقه هِيَ مهيمنه ولها أمومه وقطبيه ومركزيه لسائر علوم القُرآن، وَهَذِهِ الأمومه للكتاب بينها نفس القُرآن الكريم أمومه لا للمراتب النازله وَإِنَّما أمومه للمراتب العُليا مِنْهُ(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ(٧٧) فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ(٧٨) (١) و(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ(٢١) فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ

١- (١) سوره الواقعه: الآيه ٧٧-٧٨.

(۲۲)(۱) أیّ محفوظ ومکنون ومذخور عَنْ أنْ تناله عامّه البشر، وَهَذِهِ العلوم هِیَ بتدرّجها هَذَا هِیَ علوم فوق علم التفسیر.

وَعَلَیْهِ فَإنَّ العلوم القُرآنیه أبـداً لا تقتصـر ولا تنحصـر فِی علم التفسـیر بَلْ علوم القُرآن حجّه وبعضـها فوق بَعْض، ومهیمن بعضـها عَلَی بَعْض، وَکُلّ علم یُعتبر محکَمٌ یزیل المتشابه لما دونه، فالرتبه الأعلی تضبط المرتبه الَّتِی دونها، فالأمومه تضبط شتات لما هُوَ فوق لاـ لمـا هُوَ دون، ومـا فوق مثـل علم الإشـارات وعلم اللطـائف وعلم الحقـائق ثمَّ أم الکتاب(وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ الْکِتابِ لَـدَیْنا لَعَلِیٌّ حَکِیمٌ(۴) (۲).

ولو رجعنـا إلی آیات القُرآن وبیانات أئمه أهل البیت علیهم السّـلام الخاصّه فِی المقام فَإنَّهُ سوف ترتسم لنا خریطه منهـج تفسـیر أمومه الولاـیه عَلَی المُحکمـات فِی القُرآن فضـلاً عَنْ المتشابهات سواء فِی تفسـیر القُرآن أو فِی علم بتأویل القُرآن، وخریطه فِی انتظام منظومات القُرآن ضـمن هَذِهِ الشاکله فِی علوم قُرآنیه شتّی. وَلَیْسَ التفسیر الموضوعی لَهُ القدره أنْ یرسم لنا تلک الخریطه بَلْ ولا یصل إلی هَـذَا الدور وإنْ کَانَ للتفسـیر الموضوعی دورٌ، وکذلک لَیْسَ بقدره وإمکان تفسـیر القُرآن بالقُرآن، ولا بقدره التفسیر النحوی أو الصرفی أو الأدبی أو أسباب النزول أو...

وإنْ کَانَ لِکُلِّ واحد منهما دورٌ مستقل، ولکن لا یصل إلی دور

۱- (۱) سوره البروج: الآیه ۲۲.

۲- (۲) سوره الزخرف: الآیه ۴.

الهيمنه كَمَا هُوَ لمنهاج أمومه الولايه عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِى القُرآن.

وَعَلَيْهِ إذَا أردنا أنْ نرسم مُخططاً لقواعد علوم القُرآن فَإنَّهُ يجب أنْ نرسمه عَلَى شكل نظام مخروطى أو دائرى مركز المهيمن هُوَ أمومه الولايه عَلَى المحكمات فِى القُرآن الذى يَصِرُّ عَلَيْهَا القُرآن الكريم وأهل البيت عليهم السّلام.

إذَنْ إذَا كَانَ لعلم التفسير أهميه فِى القرين فلعلم تعبير القُرآن وترجمانه ولطائفه وإشاراته وحقائقه خطوره أكبر فأكبر، فإذا لَمْ نستطع الوصول إلى جمله مِنْ هَذِهِ العلوم الأُخْرَى فِى القُرآن فإنّنا سوف نتمسّك بما هُوَ دون المتشابه، ولذا نلاحظ الاختلاف والاضطراب قديماً وحديثاً بين المفسرين وسببه هُوَ التشابه، وَهَذَا الاشتباه والتشابه لا يرفعه إلَّا العلم الذى فوقه إلى أنْ يصل بالفوقيّه إلى أمومه الولايه عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِى القُرآن الَّتِى هِىَ أُسّ الأساس فِى ذَلِكَ، وفى الحديث النبوى المتواتر إشاره إلى ترسيم هَذِهِ الطبقات وهيمنه بعضها عَلَى بَعْض حَيْثُ قَدْ صَوَّر هَذِهِ الولايه ودورها فِى بناء الصرح العظيم للقُرآن والعتره وأنَّهما حبلٌ واحدٌ، وَلَمْ يعبِّر النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله بالحبلين وَإنَّما عَبَّر بالحبل الواحد والحقيقه والصراط الواحد فِى الوجه النازل ثقلين لكنَّهما حقيقه واحده وحبل ممدود طرف مِنْهُ عِنْدَ الناس وطرف مِنْهُ عِنْدَ الله، ولا يمكن الوصول إلى ما عِنْدَ الله إلَّا عَنْ طريق العتبره الطاهره والتمسّك

بها.

ولـذا عِنْـدَمَا جاءت الروايات المبيّنه لفضل قراءه الآيات وتفسـيرها وفهمها (اقرأ وارقَ) أىّ اقرأ علماً بَعْـدَ علم ولا تقف عِنْـدَ علم واحد وبتوسِّط هَذِهِ العلوم سوف يصبح لديك منظومه قُرآنيه.

هَذَا أيضاً ببركه قاعده الجرى والتطبيق وأنَّ لها سِعه وبيان سِعِّى ولا تقتصر عَلَى علم التفسير بَلْ تتجاوز إلى جمله علوم القُرآن.

ص:١٢٢

المحور الأساسى فِى قاعده الجرى

تَقَدَّمَ أنْ مدرك قاعده الجرى هُوَ الآيات والروايات، والمعنى الذى نُريد أنْ نستظهره ونستنبطه مِنْ هَذِهِ الآيات والروايات لقاعده الجرى هُوَ أنْ لا نضيِّق المعنى فِى التطبيق فَقَطْ، وَإنَّما قاعده الجرى لا تنحصر بالتطبيق وَإنَّما تتعدّاه إلى غيره - كَمَا مَرَّ - وقبل الدخول فِى ذكر المحور الأساسى لقاعده الجرى لابُدَّ مِنْ ذكر أمرين هامّين لهما صله بالمقام: -

الأمر الأوَّل: ينبغى للمُحَصِّل فِى أىّ علم مِنْ العلوم أنْ لا يبنى عَلَى أنَّ كُلّ ما أنجز فِى أىّ علم مِنْ العلوم سواء فِى علم الأصول أو الفقه أو البلاغه أو النحو أو المنطق أو الفلسفه أو التفسير أو... الخ ولا يُسلِّم بما أُنْجِزَ ويأخذه أخذ المُسَلَّمات ويكتفى بما حقّقه الآخرون فِى أىّ علم مِنْ العلوم، هَذَا مرفوض، وَإنَّما الصحيح والواجب عَلَيْهِ لبناء ذاتيته العلميه بأنْ يتحرّى ويتحقّق ويتفحّص بنفسه فِى تحقيق المسأله المذكوره والمبحوثه، وأنْ لا يتّكل فِى ترتيب الآثار واستحصال النتائج مِنْ تحقيق ونتاج الآخرين، فَإنَّهُ يصل إلى بَعْض النتائج، ولكن فِى الأغلب لعلَّها ليست نتائج سديده، وربما تكون عكسيّه. والذى نُريد التأكيد عَلَيْهِ فِى هَذَا الأمر

الهام هُوَ التأكيد عَلَى بذل قصارى الوسع ونبذ التواكل ونبذ إهمال التحرّى والفحص.

الأمر الثَّانِى: كُلّما تتركز وتتكاثر وتتظاهر جهود البشر حول عالم البيان والدلاله كُلّما يزداد انكشاف أبعاد جديده فيه يوماً بَعْدَ يَوْم بما يشمل علوم اللُّغَه والأدب والفلسفات الحديثه مِنْ الفلسفات الألسنيّه أو بحوث الفلسفه الإسّلاميَّه بلحاظ الدلاله أو بحوث أصول الفقه وغيرها. فَهَذَا الرُقى والتقدُّم الفلسفى فِى مختلف العلوم هُوَ مبتنٍ عَلَى ما بحثته بَعْض المعاهد العلميّه مِنْ اكتشاف العلاقه والصله الوطيده والعظيمه بين الإدراك البشرى والعقل والتعقّل والمخ البشرى مَعَ أصل علم الدلاله والبيان، وَهَذَا ما كشف عنه القُرآن الكريم والوحى الإلهى، إلَّا أنَّ المسلمين غافلون عَنْ مدرسه أهل البيت عليهم السّلام مدرسه الوحى الَّتِى أكَّدت ولا زالت تؤكِّد عَلَى خطوره وعظمه هَذِهِ العلاقه، فَإنَّ مدرسه أهل البيت عليهم السّلام بَيَّنت كيف يصنع اللسان والبيان إنساناً ومعتقداً ورؤيهً مِنْ قبيل: - (الرَّحْمنُ(١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ(٢) خَلَقَ الْإِنْسانَ(٣) عَلَّمَهُ الْبَيانَ(٤) فِى بدايه ومستهل عالم الخلقه بِهَذَا الترتيب الطولى الخالق ثمَّ القُرآن ثمَّ تعليم القُرآن ثمَّ خِلقه الإنسان ثمَّ البيان الذى هُوَ أوَّل كمال للإنسان وعِلْمُ البيان فيه مِنْ كنوز المعارف ما لا يُحْصَى.

* وأمَّا المحور الأساس فِى قاعده الجرى هُوَ: حسب نظريه السَّيِّد العلّامه وملا صدرا والفيض الكاشانى وَبَعْض علماء ومفسرى العامّه و... الخ هُوَ أبعاد عالم التطبيق وإخراجه عَنْ عالم الدلاله تماماً وَعَنْ

مرحله الاستعمال مفروغ عنه، إلَّا أنْ نتساءل عَنْ أصحاب النظريه الثَّانيه وفق منهج أمومه الولايه هل يمكن إخراج عالم التطبيق عَنْ عالم الدلاله أو لا يمكن؟ فربَّما هُنَاك بَعْض المسلّمات العلميّه لا اصل لها أو لها أصل إلَّا أنَّهُ غَيْر صحيح ومناقش.

الجواب: هُنَا إجابتان: - إجابه إجماليّ صلّى الله عليه و آله وَأُخْرَى تفصيليّه.

أمَّا الإجابه الإجماليّه: وَهِيَ بالنفى ولا يمكن إخراج وإبعاد عالم التطبيق عَنْ عالم الدلاله والبيان لوجود الصله الوطيده بينهما، وتقدم سابقاً إنَّ عالم الدلاله وَاللَّفْظ والمعنى الاستعمالى فِى المرتبه الأولى ثمَّ المعنى التفهيمى فِى المرتبه الثَّانيه، ثمَّ الجدّى فِى المرتبه الثالثه ثمَّ التطبيقى وإنها ليست خارجه عَنْ عالم الدلاله والبيان، بَلْ هِيَ مِنْ أدوات ومواد الدلاله وَمِنْ الموازين الَّتِى تقولب وتُقَرَّرَ وَتُؤطَّر عَلَى ضوءها الدلاله مَعَ حفظ المراتب فِى القرائن والدلاله والمدلول.

وأمَّا الجواب التفصيلى: - فَقَدْ ذكر الميرزا القُمّى صاحب القوانين المُحْكمه فِى الأصول(١) مطلباً حاصله:

هل خطاب القُرآن مخصوص بالمشافهين أو المخاطبين أو الأعم منهما، وَالمُرَاد بالمشافهين (أىّ الَّذِيْنَ كانوا حاضرى مجلس المكالمه والخطاب كحاضرىّ مجلس رسول الله صلّى الله عليه و آله عِنْدَمَا وجه إليهم الرسول

١- (١) هو الميرزا أبو القاسم ابن المولى محمد حسن، أو يُقال له ابن الحسن الكيلانى الشفتى الرشتى الأصل الجابلانى المولد والنشىء، والقمى الجوار والمدفن، ولد فى (جابلاق) أحد نواحى مدينه بروجرد الإيرانيه سنه (١١٥٢) ه - وتوفى (١٢٣١) ه - وهو محقّق نحرير فقيه شهير أصولى كبير.

الخطاب مثلاً- دون باقی الموجودین، وَهَذَا معنی أضیق) أو یعم الغائبین (وَالمُرَاد بالغائبین أیّ لَمْ یکونوا حاضرین فِی مجلس المشافهه والمخاطبه) أو یعم المعدومین وَهُمْ غَیْر المخلوقین أصلاً فِی تلک الفتره وَإنَّما سیتأتون فِی المستقبل والأجیال اللاحقه لزمان الخطاب والمخاطبین.

إذَنْ عندنا دوائر ثلاث: - دائره المشافهین ودائره الغائبین ودائره المعدومین، والمیرزا القمی هُنَا ادّعی: - أنَّ حُجِّیَه الظهور مخصوصه بالمخاطب، وأمَّا غَیْر المُخاطب فیتأمَّل فِی حُجِّیَه ظهوره واستظهاره، ویترکَّز مطلبه (صاحب القوانین) حول: - إنَّ معنی حُجِّیَه الظهور هل یختص الاستظهار بالمشافهین بأنْ یستظهر ویستنطق المشافِه للقُرآن الکریم أو الأعم مِنْ المشافَهین والغائبین أو الأعم مِنْ المُشَافَهین والغائبین والمعدومین؟ وإنْ کَانَ تعیین المخاطب أمر مهم وتقدّم أنَّ حُجِّیَه الظهور مخصوصه بالمخاطب، ولکن لنفترض أنَّ المخاطب بالقرآن هُمْ المشافهون أو الغائبون أو جیلٌ مُعیّن(۱).

وخلاصه مبناه: إنَّ المُتکلِّم إنَّما یعتنی فِی ترکیب کلامه بقرائن ودوال تبلغ المخاطب ولا یُعنیه عدم وصول تلک القُرآن وما یحتف بترکیب الکلام إلی غَیْر المقصود بالخطاب أو غَیْر المقصود بالإفهام.

ویرد عَلَیْهِ:

۱- (۱) وسنعقد مبحثاً تحت عنوان [مَن المخاطب فی القرآن] فهل المخاطب بکل القرآن هو کل البشر؟ أو المخاطب بعض طبقات القرآن لبعض البشر؟ ورد فی کلمات الإمام الباقر علیه السّلام [ویحک یا قتاده إنّما یَعْرِف القرآن مَن خُوطِب به] الکافی للکلینی: ج ۸، ص ۳۲۱، ح ۴۸۵؛ والمجلسی فی البحار: ج ۴۹، ص ۳۵۰، ح ۲.

أوَّلاً: منع اختصاص حُجِّيَه ظهور القُرآن وأنَّها مخصوصه بالمخاطبين؟ لا سيما وكلامنا فِي مبحث قاعده الجرى بمعنى التطبيق (أو التعبير)؛ لِإنَّهُ تَقَدَّمَ: - أنَّ مُؤدّى قاعده الجرى والتطبيق أنَّهُ لو خوطب بالآيه مخاطب فلا تظنّنَّ الآيه مخصوصه بِهَذَا المُخاطب الذى خاطبته، كَمَا فِي روايه الفضيل بن يسار عَنْ الإمام الباقر عليه السّلام«... يجرى كَمَا تجرى الشمس والقمر...»(۱) ثمَّ أنَّ معرفه مَنْ المخاطب بالقرآن أمرٌ فِي غايه الأهميّه ويؤثِّر عى مصادر معرفه الدين وَهُوَ مِنْ المباحث الأصوليّه الفقهيّه القانونيه والكلاميّه والشائكه والخطيره والحسّاسه.

ثانياً: لو سلَّمنا وتنزَّلنا وتعيّن المخاطب بالقُرآن، ولكن نسأل هل أنَّ قاعده الجرى توسّع لنا حُجِّيَه ظهور القُرآن بأنْ توسع لنا قدره المعرفه عَلَى مرام الآيات فِي مَنْ قصد إفهامه وخطابه، وصله الآيات إفهاماً وخطاباً فِي طبقات مِنْ المعانى لا العليا منها المختصه بأهل البيت عليهم السّلام، وَإنَّما المخاطب بها كُلّ البشر. حَتّى الَّذِيْنَ لَمْ يخاطبوا وقت نزول الآيه وتبليغها مِنْ قبل النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله للناس، وَعَلَيْهِ فالمخاطب فِي أىّ مرحله يقع؟ هل يقع فِي مرحله التطبيق فِي الخطاب القرُآنى أو فِي غَيْرها؟

فمثلاً عَلَى ضوء النظريه الأولى فِي قاعده الجرى لِلْسَّيِّد العلّامه الطباطبائى وجماعه: أنَّ الآيه القُرآنيه مخاطب بها شخص أو أشخاص أو جماعه أو أُمَّه أو جيل مُعيّن يكون هَذَا مورداً حصرياً به ولا تجرى قاعده

۱- (۱) الوسائل: ج ۲۷، ب ۱۳، ص ۱۹۶، ح ۴۹.

الجرى والتطبيق.

إلَّا أنَّهُ حسب النظريه الثَّانيه فِى القاعده المبحوث عَلَى ضوء منهج أمومه الولايه عَلَى المحكمات أنَّ القاعده لا تُحْصَر ولا تُقْصَر، بَلْ تجرى القاعده وتوسّع المفاد القرآنى فِى الآيه والسوره إلى غَيْر المخاطب وَإلى غَيْر زمانه ومكانه.

إذَنْ حصيله الجواب التفصيلى هُوَ: - أنَّ تحديد المخاطب فِى القُرآن مَنْ هُوَ؟ هل هُوَ شخص المشافَه أو يعم الغائبون أو المعدومين؟ مهمهٌ حسّاسه فِى نفس عالم الدلاله والمدلول وَحُجِّيَه ظهور واستحصال معنى الآيات، وكذلك تحديد المخاطب فِى مرحله التطبيق لَهُ دور ودخل فِى نفس عالم التكوين، وَعَلَيْهِ فَهُنَاك علاقه وطيده بين عالم الدلاله فِى توسيع دائره بناء الظهور وبين عالم التطبيق.

فالحاصل أنَّ قاعده الجرى بتفسير التعبير دافعهٌ لإماته القُرآن وحصره فِى مورد الماضى بَلْ تجده حيّاً فِى كُلّ زمان وإنْ اختصَّ الخطاب فِى متن اللَّفْظ بمخاطب فضلاً عَنْ الخطابات العامّه الأُخْرَى وَهَذَا بخلاف النظريه الأولى فِى قاعده الجرى فَإنَّهُ يلزم منها عدم جرى القُرآن فِى عِدَّه مِنْ الآيات فِى جمله مِنْ السور.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ هَذَا الإشكال لا يرد فَقَطْ عَلَى صاحب القوانين وَإنَّما حَتّى عَلَى مبنى ونظريه السَّيِّد العلّامه الطباطبائى رحمه الله - كَمَا مَرَّ -.

الفوارق العمليه بين النظريتين

فِي قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير ومميزات كل واحد منهما

بعدما تَقَدَّمَ ذكر النظريه الأُولى فِي قاعده الجرى والتطبيق وَالَّتِى تبنّاها السَّيِّد العلّامه مُحمَّد حسين الطباطبائى قدّس سرّه وجماعه مِنْ الخاصّه وكذا عِدَّه مِنْ العامّه، وتقدّمت النظريه الثَّانيه فِي هَذِهِ القاعده وَالَّتِى هِىَ مختارنا عَلَى ضوء منهجنا التفسيرى للقرآن الكريم أمومه الولايه عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن الكريم، وتقدم كَذَلِكَ المحور الأساسى فِي كُلّ منهما، وسنذكر الآن جمله مِنْ الفوارق بين النظريتين: -

الفارق الأوَّل: تتميّز النظريه الثَّانيه فِي قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير أنَّها عامّه فِي كُلّ الآيات القُرآنيه ولا يختصّ تطبيقها ببعض الآيات دون الأُخْرَى، بخلاف النظريه الأولى الَّتِى تبناها السَّيِّد العلّامه الطباطبائى قدّس سرّه - كَمَا مَرَّ - فإنَّها ليست عامّه لِكُلِّ الآيات.

الفارق الثَّانِى: امتازت النظريه الثَّانيه بأنَّ قاعده الجرى والتطبيق غَيْر مخصّصه بنظام الاستعمال اللفظى بَلْ تتعدّى إلى نظام عالم المعانى واعالم الحقائق، سواء فِي القُرآن أو الروايات وغيرهما، بخلافه فِي النظريه الأولى فإنَّها تختصّ بنظام الاستعمال اللفظى، وَقَدْ سبق بيان أنَّ القاعده تجرى فِي الحقائق بالأصاله، وفى المعانى بالتبع حسب النظريه الثَّانيه.

الفارق الثَّالِث: إنَّ قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير عَلَى النظريه الثَّانيه تشمل علم التأويل وعلم التعبير فِى القُرآن وعلم الإشارات وعلم اللطائف وعلم الترجمان وعلم حقائق القُرآن فضلاً عَنْ علم التفسير، بخلاف النظريه الأولى فَإنَّ قاعده الجرى والتطبيق عَلَى ضوئها تختصّ بعلم التفسير فَقَطْ.

الفارق الرَّابِع: إنَّ كُلِّيه المعانى الوسيعه فِى الآيات والسور لا صله لها بشؤون تشخّصات منطقه التطبيق، ولا نُحَمِّلَ التنظير المفهومى الفكرى ألوان وعوارض ومشخّصات المصداق التطبيقى - هَذَا حسب النظريه الأولى - وَعَلَيْهِ فما وَرَدَ فِى بيان الآيات عَنْ أهل البيت عليهم السّلام إنَّما هُوَ لَهُ صله بعالم التطبيق ولا صله لَهُ فِى الغالب بعالم التفسير وجرى القُرآن، وَعَلَيْهِ فأصحاب النظريه الأولى يفسرون قاعده الجرى بَعْدَ تشفيف وتلطيف المعانى الكُلّيه وعموميتها عَنْ ألوان المصاديق فَهِىَ لا تجعل المعنى التنظيرى العام للآيه يتأثّر أو يتلوّن بالمصداق أو بالتطبيق.

وأمَّا بحسب النظريه الثَّانيه فَإنَّ مدلول الكلام يجرى إلى مواطن عديده سواء كانت الموارد مِنْ موارد تنظير المعنى إلى معانى جدّيّه متعدّده، أو موارد هِىَ مقام تطبيق، فَإنَّ كُلّ هَذَا يحتويه عالم مدلولات الكلام، وَمِنْ ثَمَّ يكون التطبيق جزءاً مِنْ مداليل الكلام، وَمِنْ الواضح أنَّ المصداق التطبيقى أيضاً لَهُ مصاديق بدرجات متفاوته فِى الأهميّه والعنايه، والذى يُنَظِّر كلاماً كُلّياً دائماً يلاحظ أهم وأعظم وأخطر

التطبیقات المصداقیه، فمثلاً فِی قوله تَعَالَی(مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَیْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِی الْأَرْضِ فَکَأَنَّما قَتَلَ النّاسَ جَمِیعاً وَ مَنْ أَحْیاها فَکَأَنَّما أَحْیَا النّاسَ جَمِیعاً) (۱).

بتقریب: - إنَّ إحیاء النفس وکذا قتلها مِنْ الأُمُور البالغه الأهمیّه لدی الشارع وَأَکَّدَ عَلَی ضروره إحیاء النفس والمحیی لنفس کأَنَّما أحیا الناس جمیعاً، وغَلَّظَ وشدَّد عَلَی قاتل النفس فکأَنَّما قتل الناس جمیعاً، وإحیاؤها إخراجها مِنْ ضلال إلی هُدَی کَمَا فِی روایه الفضیل بن یسار، قَالَ: قلت لأبی جعفر علیه السّلام قول الله عز وَجَلَّ(وَ مَنْ أَحْیاها فَکَأَنَّما أَحْیَا النّاسَ جَمِیعاً) فِی کتابه قَالَ: «مِنْ حرقٍ أو غرقٍ»، قلتُ: فَمَنْ أخرجها مِنْ ضلال إلی هُدَی؟ قَالَ: ذَلِکَ تأویلها الأعظم(۲).

ولکن النفوس متفاوته، فَهُنَاک مثلاً نفوس الأنبیاء ونفوس الأولیاء ونفوس العظماء ونفوس المُتّقین والصالحین فَإنَّ هَذِهِ النفوس الخیّره والصالحه لها أهمیه أکثر فِی إصلاح نفوس الآخرین الَّذِیْنَ هُمْ فِی درجه أقلّ، بخلاف نفوس الأشرار والعیاذ بالله.

وإنْ کَانَ عموم حقن الدماء والمحافظه عَلَی النفوس حکماً عامّاً للکُل - النفوس الخیّره والشریره - إلَّا أنَّ القتل لَهُ مراتب تشدید أشبه ما

۱- (۱) سوره المائده: الآیه ۳۲.

۲- (۲) الکافی للکلینی: ج ۲، ص ۱۶۱، ح ۲؛ البرهان فی تفسیر القرآن للسید هاشم البحرانی: ج ۲، ص ۴۳۸، ح ۴.

يكون بحرمه القتل فِی الشهر الحرام آکد مِنْ غیرها فِی باقی الشهور، وهکذا التأکید عَلَی حرمه المکان فَإنَّ قتل النفس فِی البلد الحرام وفی الشهر الحرام آکد، وهکذا تختلف المرتبه باختلاف الخصوصیه والمزیّه، وَمِنْ الواضح أنَّ حرمه القتل عِنْدَ الشارع المقدّس انطلقت مِنْ أصول التشریع وما قَدْ یسمّی بمقاصد الشریعه، وَهَذِهِ المقاصد إمَّا مصالح أو مفاسد أو ما شابه ذَلِکَ. فَإنَّ الشارع یُراعی هَذِهِ الأُمُور فالأهمیّه عِنْدَ الشارع تختلف، وَإذْ کانت الأهمیّه تختلف عِنْدَ الشارع إذَنْ تشریع الشارع المقدّس لحرمه القتل انطلقت مِنْ بَعْض المصادیق الهامّه.

إلَّا أنَّ الشیء المهم الذی نرید تسلیط الأضواء عَلَیْهِ هُوَ: - صحیح إنَّ الشارع المقدّس لَهُ مقصد فِی الشریعه وتقنین قانون عام، وَهُنَاک عموم أفراد ومصادیق للطبیعه، وصحیح طبیعه المصادیق متفاوته مثلاً نفوس الأنبیاء ذَاتَ مرتبه تختلف عَنْ مرتبه نفوس الأوصیاء، والأوصیاء لهم مرتبه تختلف عَنْ الأولیاء و... الخ وصحیح أنَّ بَعْض مصادیق الطبیعه لو وضعناها فِی کفّ وَکُلّ مصادیق الطبیعه فِی کفّه أُخْرَی فَإنَّ الکفّه الأولی ترجح عَلَی الثَّانیه، وصحیح أنَّ رسول الله صلّی الله علیه و آله قَالَ: إنَّ ضربه علی علیه السّلام یَوْم الخندق تَعْدِل عباده الثقلین، وَهَذَا لَیْسَ اعتباطاً، وصحیح أنَّ إبراهیم علیه السّلام کَانَ أُمَّهً بنصّ القُرآن کُلّ هَذَا صحیح، ولکن الشیء المهم الذی نُرید التأکید عَلَیْهِ هُوَ انه: لا یمکن أنْ نقول لا یُکترث بالمصادیق

وأنَّ هَـذَا مجرد فِى عـالم التنظير وأنَّ عـالم التنظير فِى مَعْزل عَنْ عـالم التطبيق، وَهَـذَا يتماشـى مَعَ مبـادى النَّظَريَّه الأولى وترفضـه النظريه الثَّانيه فِى قاعـده الجرى والتطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهـج أمومه الولاـيه عَلَى المُحكمـات، والصـحيح مـا تتبنـاه النظريه الثَّانيه، وأنَّ المصـداق جزء مِنْ مـدلول الكلاـم التنظيرى، وأنَّ المصـداق الأـعظم والأخطر فِى التطبيق هُوَ منشأ تكلُّم المتكلِّم وأنَّ المصـاديق المُهِمَّه هِىَ منشـأ تقنين المقنن، وأنَّه لاـ يمكن للمقنن والمُنظِّر أنْ يقنن ويُنَظِّر بمعزل عَنْ المصاديق، هَـذَا بالنسـبه إلى القوانين والأحكام العمليه فِى فقه الفروع، ونفس الكلام فيما إذَا كَانَ المُنظِّر فِى علم الكلام وَبَقيَّه العلوم والمعارف الأُخْرَى.

الشاهـد عَلَى ذَلِـكَ ما يقوله الإمام الصادق عليه السّـلام فِى بَعْض الروايات ما مضـمونه: «أتحسب أنَّ ما يقوله الله تَعَالَى مِنْ لفظه سماء وأرض ونجم وقمر وفلك وجبال -».

بتقريب: - إنَّهُ تَعَالَى لا يُريـد مِنْ لفظ سـماء وأرض ونجم وقمر وفلك وجبال و... هَـذِهِ السَّمَاء وَهَـذِهِ الأرض وَهَـذَا النجم وَهَـذَا القمر و... المشـخّصه المعروفه؛ لِـإنَّهُ مِنْ الواضـح إنَّ المـذكورات لهـا مصـاديق أُخْرَى كثيره بناءاً عَلَى مبنى أنَّ الألفاظ موضوعه لروح المعانى وللغايات ولها مصاديق عديده، ومثل هَذَا يرتضيه حَتّى مثل السَّيِّد العلّامه صاحب النظريه الأولى.

وهكـذا قوله تَعَالَى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ(۲۴) (۱) ، بتقريب: - أوَتحسب أنَّ الله تَعَالَى يريـد أنْ يكترث بطعام الأبدان فَقَطْ وَفَقَطْ دون الاكتراث بطعام الأرواح والعقول والأفكار والـذى هُوَ قطعاً أهم مِنْ طعام البـدن، وَعَلَيْهِ فهل يحقّ لنا أنْ نقول أنَّ هَـذِهِ مُجرَّد تطبيقات بمعزل عَنْ المُرَاد، وليست معنيّةً بها عِنْدَ تكلم المتكلم؟!

والجواب: بـالنفى وَأَنَّهُ وَرَدَ فِى بَعْض الروايات فِى تفسـير قوله تَعَالَى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ(۲۴) (۲) كَمَا فِى تفسير العيّاشى عَنْ زيـد الشـحّام عَنْ أبى جعفر عليه السّـلام فِى قـوله تَعَـالَى(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسـانُ إِلى طَعـامِهِ(۲۴) قَـالَ إلى علمه الـذى يأخـذه عمّن يأخذه(۳). ولنعم مـا عَـبَّر به الفيض الكاشـانى بمـا نصّه: «وينبغى لَهُ أنْ يأخـذ علمه مِنْ أهـل بيت النبـوه الَّذِيْنَ هُمْ مهابـط الوحى وينابيع الحكمه الآخـذون علومهم مِنْ الله سُـبْحَانَهُ حَتّى يصـلح لِأنْ يصـير غذاء لروحه دون غيرهم ممّن لا رابطه بينه وبين الله مِنْ حَيْثُ الوحى والإلهام فَإنَّ علومهم إمَّا حفظ أقاويل رجال لَيْسَ فِى أقوالهم حُجَّه، وأمَّا آله جدال لا مدخل لها فِى المحجّه»(۴).

وَعَلَيْهِ فالبارى تَعَالَى أكرم مِنْ أنْ يحاسب الإنسان عَلَى رزقه فِى هَـذِهِ الدار الدُّنْيَا مِنْ طعام وشـراب، وَإنَّما عَنى البارى تَعَالَى علم الإنسان

۱- (۱) سوره عبس: الآيه ۲۴.

۲- (۲) سوره عبس: الآيه ۲۴.

۳- (۳) العيّاشى: ج ۳، ص ۱۶۶.

۴- (۴) تفسير الصافى للفيض الكاشانى: ج ۵، ص ۲۰۵.

وعقيدته ومعرفته بالله وعمن أخذها، وصحيح أنَّ البارى تَعَالَى ذكر بَعْض المصاديق النازله إلَّا أنَّهُ غَيْر مكترث بها أصلاً، وَعَلَيْهِ لا يحقّ لنا أنْ نقول: - أنَّ معنى الآيه المباركه هُوَ مجرد معنى تنظيرى تجريدى بمعزل عَنْ التطبيق.

هَـذَا مضافـاً إلى أنّنـا لو أخْوَينـا وفَرّغنا الآيه المباركه وبقيّه الآيات مِنْ شامخات المصاديق التطبيقيه وأنَّها ليست مراده للآيه، وأنَّ المُرَاد هُوَ ما يكون بحوزه الـدلاله اللفظيه فَقَطْ فَهَذَا معناه أنّنا أفقدنا المعنى شـموخه وروحه وعظمته وقيمته العلميه، وجعلنا معنى الآيه نازل وقشرى هَذَا كُلُّه عَلَى حسب مبنى النظريه الأولى.

بخلاف ما إذَا بنينا عَلَى النظريه الثَّانيه فِى قاعده الجرى عَلَى ضوء منهج أمومه الولايه عَلَى المحكمات فنقول: -

إنَّ المصاديق فِى التطبيق مأخذوذه بنظر الاعتبار بأهميّه وجديّه تفوق الإراده وَالمُرَاد الاسـتعمالى وَالمُرَاد التفهيمى وَالمُرَاد الجدّى الأوَّل والثانى والثالث و... وَعَلَيْهِ فأصل سوق الكلام مِنْ البـدء ناظرٌ إلى المصداق الأعظم والأهم فكيف نعزل التنظير عَنْ التطبيق؛ ولـذا هُنَاك جمله مِنْ أهل التحقيق فِى لطائف القُرآن والمعانى وما شابه ذَلِكَ سواء الصوفيّه أو العُرفاء وإنْ لَمْ تكن عندهم هَذِهِ القراءه مِنْ منهـاج أهـل البيت عليهم السّـلام، فإنَّهم يقولون بأن المخاطب الأصـلى والأوَّل فِى القُرآن هُوَ المصـداق الأعظم سـيد الأنبياء صلّى الله عليه و آله وَعَلَى الآخرين الاحتفاء والاقتداء به صلّى الله عليه و آله،

وَهَـذَا نظير أفراد الواجب الكفائى، صحيح إنَّ الواجب الكفائى مسؤوليه عامّه عَلَى الجميع، ولكن ذوى القُدرات العلميه أو بسط اليد والنخب المتميّزه وذو الوجاهه والامتدادات الاجتماعيّه مسؤوليتهم فِى الواجب الكفائى أعظم مِنْ غيرهم. مَعَ أنَّهُ كلكم راع وكلكم مسؤول عَنْ رعيته، إلَّا أنَّ شدّه تحميل المسؤوليه للنخب القمميّه أشدّ خطاباً وإلزاماً عَنْ عموم الطبقات النازله وحينئذٍ يصح تطبيق الآيه، (وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ) (۱) وبدليل الآيه(وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّهٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (۲) ، بتقريب: - إنَّ الخطاب الأصلى فِى الآيه المباركه موجّه إلى تلك النخبه المعيّنه مِنْ تلك الأُمَّه والتبع لجميع الأُمَّه، وهكذا قوله تَعَالَى: (وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (۳).

بتقريب: - أيضاً الخطاب لأولياء الأُمُور وَهُمْ المعصومون ويتبعه درجات مخفّفه لبقيّه الطبقات الأكمل فالأكمل ولعموم المؤمنين.

والخلاصه مِنْ كُلّ هَـذَا: - إنَّ كُلّ ما تَقَدَّمَ مِنْ شواهد تطبيقيه وما سيأتى هِىَ شواهدٌ عَلَى عدم إمكان استبعاد مقام التطبيق عَنْ التنظير والحال أنَّ المخاطب الذى وجّه إليه الخطاب فِى الآيات والروايات هُوَ

۱- (۱) سوره الرحمن: الآيه ۹.

۲- (۲) سوره آل عمران: الآيه ۱۰.

۳- (۳) سوره التوبه: الآيه ۷۱.

الركن الركين، وَهَـذَا ما أشـرنا إليه فِي محله مِنْ أنَّ علماء الأصول بحثوا مَنْ هُوَ المقصود بالخطاب هل المشافهين أو الحاضـرين أو يشـمل المعـدومين - أىّ غَيْر الموجودين فِي زمـان الخطـاب وَالَّذِيْنَ سيُخلقون فِي المسـتقبل - وبالتـالى المعنى بالخطـاب لا يمكن أنْ نغفله؛ ولـذا صـار الـتركيز أكـثر عَلَى المخـاطب الحاضـر مجلس الخطـاب مِنْ الغـائب، والمشـافهه أكثر تركيزاً مِنْ غَيْر المشـافهِ والمعـدوم أقـل درجه مِنْ غَيْر المشـافه - الغـائب - وهكـذا، هَـذَا بحسب الحضور والغيـاب والمشافهه، لكنَّ ربما يمكن تصوّر وجود درجات أُخْرَى أعظم مِنْ المشافهين.

وَعَلَيْهِ فنفس توجيه الخطاب ليسَ عَلَى درجه واحـده، وَهَـذَا أمرٌ مُسَـلَّمٌ حَتّى عِنْدَ علماء البلاغه والأصول، شاهد صِدْق وبيِّن عَلَى عدم إقصاء مقام التطبيق عَنْ مداليل الخطاب والكلام.

الفارق الخامس: تولّدَ فرقاً خامساً من السابق: - أنَّ المصاديق الهامّه والأهم للكلام أَعْظَمُ قرينيةً وتأثيراً عَلَى دلاله الكلام وبالتالى فعناصـر الدلاله لا تقتصر عَلَى الألفاظ والمعانى، نظير ما يُقَال أنَّ القرائن الحاليه والسياقيه لها دخاله فِي محصل الدلاله والمدلول. وكيف لاـ والمصـداق الأـبرز والأعظم هُوَ المُراد الأصـلى والمَعْنى عَلَى النظريه الثَّانيه، فكيف لا يكون المُرَاد الأصـلى محوراً فِي تقرير الدلاله وَهَذِهِ مِنْ الفوارق والفوائد العظيمه بين النظريتين.

عالم التطبيق لا صله له بالألفاظ والمعانى الذهنيه

اشاره

مِنْ خلال ما تَقَدَّمَ يُعْلَم أنَّ عالم التطبيق هُوَ عالم تكوين ووجود خارجى لا صله لَهُ بالألفاظ ولا بالمعانى الذهنيه، إلَّا أنَّهُ يمكن أنْ يُجاب عنه: - بأن عالم التطبيق وإنْ كَانَ عالم تكوينى لكنْ يمكن انطباع صوره ذهنيه لعالم التكوين والخارج قبل وقوعه وَبَعْدَ وقوعه لَهُ صوره ذهنيه فيكون لَهُ مدلول ذهنى وبالتالى فَهَذَا المصداق التطبيقى معنى ذهنى أيضاً يقع وراء المعنى الجدّى مِنْ سلسله المعانى الَّتِى يَدُلّ عَلَيْهَا فَإنَّهُ قابل للتصوير.

وربما يُعبِّرون عَنْ العلم الذى يتكفّل للتطبيق هُوَ علم التأويل وعلم الباطن وَعَنْ علم التشريع أو التنظير - أىّ مرحله الدلاله والمعانى - بعلم الشريعه.

وهكذا أصحاب النظريه الأولى - السَّيِّد العلّامه وَمَنْ تبعه - بَلْ وَحَتّى علماء الأدب وَاللُّغَه جعلوا المعنى الجدّى مِنْ شؤون اللَّفْظ والسبب فِى ذَلِكَ؛ لِأنَّ المعنى الجدّى تربطه مَعَ اللَّفْظ إرادهٌ، وَذَلِكَ ببيان: -

إنَّهُ يمكننا التعبير عَنْ طبقات المعانى أنَّها أربع طبقات ثلاث منها تصديقيه وواحده وَهِىَ الأولى تصوريه، وأمَّا الدلاله الاستعماليه فَقَدْ انطلقنا إليها مِنْ اللَّفْظ وَمِنْ الدلاله الاستعماليه انطلقنا إلى المعنى

والـدلاله التفهيميه، أىّ انطلقنا مِنْ معنى إلى معنى آخر، فَإنَّ نفس المعنى الاستعمالى صار بـدوره آيه دالَّه عَلَى المعنى التفهيمى ونفس المعنى التفهيمى صـار آليه دالَّه لهـا دلالـه بـدورها توصـلنا إلى المعنى الجـدّى فصـار الفاصل بين المعنى الجـدّى وَاللَّفْظ جـداران أو ثلاثه جُـدُر بالمعنى الاستعمالى وجـدار بالمعنى التفهيمى والثالث بالمعنى التصورى، مَعَ هَـذَا الفاصل بالجدارين أو الثلاثه بين اللَّفْظ والمعنى الجدّى جعلت النظريه الأولى، بَلْ حَتّى عِنْدَ علماء الأدب وَاللُّغَه المعنى الجدّى مِنْ شؤون اللَّفْظ لوجود رابطه بينهما – المعنى الجـدى و اللَّفْظ – وَهِىَ الإراده النهائيه، وَهَذَا معناه إنَّ المعنى الجدّى مِنْ أوَّل الأمر قَدْ سيق لَهُ الكلام؛ لذا كـانت هُنَـاك علاقه وطيـده بين اللَّفْظ والمعنى الجـدّى مِنْ بـدايه كلام المتكلِّم، وَهَـذِهِ حقيقه لطيفه فـارقه بين النظريه الأولى وَالثَّانيه وتكون النتيجه لصالـح النظريه الثَّانيه وَهِىَ مختارنـا عَلَى ضوء منهجنـا التفسـيرى أمومه الولايه عَلَى المحكمات فضـلاً عَنْ المتشابهات فِى القُرآن.

وَذَلِكَ ببيان: –

إنَّ التطبيق هُوَ إراده جـدّيه آكد جدّيه فِى اسـتعمال اللَّفْظ مِنْ المعنى الجدّى؛ لِأنَّ المعنى الجدّى تنظير والغايه مِنْ التنظير حسـب النظريه الثَّانيه هِىَ التطبيق، ويكون التطبيق مراداً بالإراده الجـدّيه ويُعطى الحُسْنَ والحكمه وتُنْفَى عمليّه اللغويه لكونهـا لغوٌ وعبث عَنْ المُرَاد الجدى، وَإلَّا لو كَانَ هُنَاك تنظير بلا تطبيق كَانَ لغواً، مثلما المُرَاد التفهيمى بلا مراد

جدّى يكون لغواً وهَزَلاً، وهكذا الاستعمالى بلا جدّى يكون لغواً فكذلك التنيظر بلا تطبيق.

وَعَلَيْهِ فكيف يكون المقام التطبيقى حسب النظريه الأولى لَيْسَ مِنْ شؤون اللَّفْظ ولا صله لَهُ به - اللَّفْظ - بخلاف النظريه الثَّانيه. فَإِنَّ النظريه الأولى فِى قاعده الجرى والتطبيق - أو التعبير - الَّتِى تعزل مقام التطبيق عَنْ مقام التنظير وَمِنْ ثمَّ تذهب هَذِهِ النظريه إلى أنَّ المحافظه عَلَى حيويه وحياه القُرآن الكريم وديمومته وديمومه وخلود تشريعات الدين الإسلامى الحنيف تتمَّ بمعزل مقام التنظير عَنْ مقام التطبيق إذَا أمكن هَذَا العزل وتكون بيانات القُرآن الكريم عَلَى هَذِهِ النظريّه مواكبه لِكُلِّ جيل سواء فِى القوانين العمليه فِى أحكام الفروع أو فِى المعارف أو فِى كُلّ ضوابط آداب النفس وسلوكياتها.

النظريه الثَّانيه تُسائِل النظريه الأولى:

هُنَاك تساؤل يُثيره أصحاب النظريه الثَّانيه عَلَى أصحاب النظريه الأولى ما حاصله: -

كيف مقام التطبيق لا علاقه لَهُ باللفظ، فَإِنَّ المعنى الجدّى إذَا كَانَ لَهُ صله التنظير باللفظ لِأَنَّ اللَّفْظ دالٌّ عَلَيْهِ بالواسطه، وكذلك التطبيقى أيضاً دالٌّ عَلَيْهِ بالواسطه إنْ كَانَ الربط بين المعنى التنظيرى الجدّى وَاللَّفْظ.

إذَنْ الغايه النهائيه مِنْ الإتيان باللفظ لَيْسَ الإراده الاستعماليه، وَإنَّما هِيَ جسر، وهكذا التفهيميه والجدّيّه هُمَا جسر للتطبيق، فالرابطه إنْ كانت هِيَ نهائيه غائيه الإراده فَهِيَ أحرى بالصدق فِي التطبيق مِنْهُ مِنْ المعنى التنظيرى الجدّى.

وَعَلَيْهِ فالغايه مِنْ التنظير هُوَ الوصول إلى التطبيق وَلَيْسَ الغايه مِنْ التنظير جعل المعنى التنظيرى بلا ثمره وبلا غايه، وَإنَّما الغايه مِنْ التنظيرى هُوَ صفه الجدّيه فصفه الجدّيه عَلَى التطبيق حسب النظريه الثَّانيه أوثق جدّيه مِنْ التنظير وأبعد غوراً فِي الجدّيّه.

والخلاصه مِنْ كُلّ هَذَا هُوَ أنَّ المعنى التطبيقى معنى جدّى آكد وأوغل فِي الجدّيّه مِنْ المعنى الجدّى التنظيرى، فَإنَّ المعنى الجدّى التنظيرى معنى جدّى أولى ابتدائى فِي الجدّيّه وَهَذَا المقدار مُتّفق عَلَيْهِ أصحاب كلا النظريتين مِنْ أنَّ المعنى الجدّى حَتّى التنظيرى يكون الفاصل بينه وبين اللَّفْظ بطبقتين أو ثلاث وإذا كَانَ الأمر كَذَلِكَ فَإنَّ الغايه النهائيه هِيَ العله الغائيه الحقيقيه وأنَّ المُرَاد الجدّى لَهُ مراحل فَهُنَاك مرحله جدّيه ابتدائى، وجدّى متوسِّط وجدّى عالى وأعلى و... الخ وبالتالى ستصل إلى مراحل مُتعدِّده، وَهَذَا بُرهان عقلى وأدبى ولغوى. وَعَلَيْهِ فلا يمكن إقصاء مقام التطبيق عَنْ مراحل الدلاله وَاللَّفْظ بَلْ بالعكس هُوَ أحرى بأنْ يندرج مقام التطبيق فِي مداليل الكلام ثُمَّ إنَّهُ إذَا دخل عالم التطبيق إلى عالم المدلول فَإنَّهُ كيف نجرى الموازنه فِي

التطبيق خاصّه إذَا كانت المصاديق فيه الطبيعه كثيره ودائماً المنظور فِی مصاديق تلك الطبيعه أهمها ملاكاً وأبرزها وأشدّها وضوحاً؛ لِأنَّ المصاديق فيها شدّهٌ وضعفٌ، ودائماً المصداق الأشدّ والأعظم هُوَ الغايه النهائيه وَلَيْسَ المنظور كُلّ التطبيق فاهتمام المتكلِّم الأوفر يصبه عَلَى ملاحظه المصداق الأكبر لا بلحاظ المصداق الأوسط أو الأدنى، وَهَذَا يُفهمنا – مِنْ باب الكلام يجرى الكلام – أنَّ المخاطب الأصلى فِی القُرآن هُوَ النَّبِیّ صلّى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السّلام.

ص:۱۴۳

المخاطب الأصلی فی القرآن هو النبی وأهل بیته

اشاره

علیهم السلام

إنَّما یُعرف القُرآن مَنْ خوطِب به، وإنْ کَانَ القُرآن هُوَ خطاب لِکُلِّ البشر والجن والملک لکنَّ الاهتمام بالمصداق الأبرز والأعظم والخطیر. وهکذا فِی کُلّ الخطابات وَعَلَی مختلف الأصعده والمستویات یوجه الخطاب إلی النخبه المسؤوله وَمَنْ یهمّه الأمر الأهم فالأهم والأقرب فالأقرب؛ وَمَنْ هُوَ أهل التحمُّل للمسؤولیه، ولذا نلاحظ فِی الروایات الَّتِی فیها إلقاء الواجبات والوظائف العامّه عَلَی النخب العلمیّه وَالعُلَمَاء ما مضمونه: «لا یحاسب الله الجاهل بشیء حَتّی یُحاسب العالِم».

بتقریب: - إنَّ العالِمَ سواء کَانَ فِی العلوم الدینیه أو غیرها مِنْ العلوم النخبویه، وانطلاقاً مِنْ قول الرسول الأکرم صلّی الله علیه و آله: - «کلکم راع وکلکم مسؤول عَنْ رعتیه» فَإنَّ الخطاب وإنْ کَانَ عامّاً لکنَّ درجه المسؤولیه تختلف درجه الخطاب فیها شدَّه وضعفاً مَعَ ما یتناسب مَعَ حجم المسؤولیه فإنْ کَانَ حجم المسؤولیه خطیر وعظیم کانت درجه خطابه کَذَلِکَ.

وَعَلَیْهِ فالخطاب القرآنی فِی قاعده الجری والتطبیق - أو التعبیر -

يتمركز عَلَى المصداق الأكبر فِى جانب الخير، والمصداق الأسوء فِى جانب الشر. هَذَا كُلَّهُ بلحاظ النَظَريَّه الثَّانيه فِى الجرى والتطبيق - أو التعبير - حسب منهجنا التفسيرى المُختار أمومه الولايه عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِى القُرآن الكريم.

والخلاصه: - إنَّ المصداق الخطير والكبير يحافظ عَلَى لُبّ ولُباب المعنى، وأبرز مصاديق المعنى أو الطبيعه العامّه للمعنى هُوَ أبرز مصاديقها وبه يتجلّى مركز لطبيعه المعنى بخلاف المصاديق المتوسِّطه أو النازله الطبيعه فِى تلك المصاديق بلون خافت وبهويّه تكاد تكون مُضمحلّه ونورها ضئيل بخلاف تواجد الطبيعه فِى المصاديق الأهم والأكبر فَإنَّ وجود الطبيعه فِى تلك المصاديق يحفظ هويتها وطابعها.

إذَنْ فِى مقام التطبيق ليست كُلّ المصاديق ذَاتَ أهميّه واهتمام وَعَلَى نسق واحد لدى المُتكَلِّم وَهُوَ البارى، فمثلاً عِنْدَمَا يُخاطب البارى تَعَالَى الأبناء: (وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً) (1). فإحسان مَنْ هُوَ المطلوب؟ فَإنَّ الوالدين القريبين غَيْر الوالدين البعيدين اللذين هُمَا الجد الخامس والسادس مثلاً فصبّ الشَّارع اهتمامه وإحسانه للوالدين القريبين فيما هُوَ ضروره بحيث يدفع درجه العقوق، هَذَا أهم عِنْدَ الشَّارع مِنْ أىّ إحسان آخر يسير، وَهَذَا معناه أنَّ المُرَاد الجدّى عِنْدَ الشَّارع عَلَى درجات مُختلفه، فما هُوَ أقرب يعتبر أعظم المصاديق وأخطرها مثلاً وَهُمَا فِى الآيه الأبوين

۱- (۱) سوره البقره: الآيه ۸۳.

المُباشرين القريبين اللذين هُمَا فِي تماس مَعَ الولد وإذا لَمْ يُحْسِن لهما فَقَدْ عَقَّهما بخلاف الجَدّين الأبعد فالأبعد، فَإنَّ درجه التماس معهما قليله جداً وفرض وقوع العقوق مِنْهُ للبعيدين قليله بَلْ نادره، ولذا اهتمَّ الشَّارع بالمصداق الأعظم والأكبر للوالدين وأراد بالوالدين أيّ المُباشِرَينِ القريبين، وهكذا قوله تَعَالَى: (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى) (١). فَأيّ قُربى للنبى صلّى الله عليه و آله أعظم عِنْدَ الله؟ فَإنَّ النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله لَهُ أقرباء كثيرون وَعَلَى درجات ولكن المُرَاد اعظم درجات القُربى أيّ قربى ذريته المعصومين عليهم السّلام الَّذِيْنَ نصَّ رسول الله صلّى الله عليه و آله عليهم - صلوات الله عليهم أجمعين -

ولاده الروح أعظم مِنْ ولاده البدن:

وَقاعدِه الجرى والتطبيق أو التعبير:

فإذا كَانَت هُنَاك ولاده للبدن مُهمّه فولاده الروح أعظم وأخطر عِنْدَ الشَّارع مِنْ ولاده البدن، فولاده الرُّوح هِيَ حياتها بالعلم، فَإنَّ الرُّوح العالمه حيّه وَالرُّوح الجاهله ميّته، وَذَلِكَ لِأنَّ العلم يجعل الرُّوح تعيش وتلج فِي ذَلِكَ العالم ولولا العلم لما وَلَجَتْهُ ووصلت إلى تلك الطَّبقات العاليّه فَإنَّ الرُّوح فيها طبقات مُجَمَّدَه وضامِرَه غَيْر مفتقه وَغَيْر مُفَعَّله فبركه العلم أصبحت الرُّوح تعيش تلك الحاله النورانيّه،؛ ولذا

١- (١) سوره النحل: الآيه ٩٠.

يفترق الطَّبيب البـدنى عَنْ الطَّبيب الرُّوحى، فَإنَّ الطَّبيب البـدنى يكفـل سـلامه بـدن الإنسـان مُـدَّه حيـاته الَّتِى قَـدَّر الله تَعَـالَى أنْ يعيشـها، أمَّا الطَّبيب الرُّوحى فيكفل سـلامه الرُّوح وحياتها إلى الأبـد إنْ طبَّقْنا وسِـرْنا عَلَى ما قنّنه، وَعَلَيْهِ فَهَـذَا البحث لَيْسَ نظرى عيانى وَإنَّما لَهُ حقيقه عَلَى أرض الواقع، فمثلاً قول الرسول صـلّى الله عليه و آله: «يا على أنا وَأَنْتَ أبوا هَذِهِ الأُمَّه» يعنى أنَّ رسول الله صـلّى الله عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السّـلام الأبوان الروحيان لهـذه الأُمَّه ومعلِّماها وَهُمَا أعظم مصاديق الوالـدين، والذى يحيى الإنسان هُوَ الـذى يولده روحيّاً وَهُوَ أعظم مِنْ حياه ولاده الإنسان بدنيّاً؛ ولذا وَرَدَ عَنْ المعصوم فِى تفسـير قوله تَعَالَى(وَ مَنْ أَحْياهـا فَكَأَنَّما أَحْيَا النّاسَ جَمِيعاً) (١) أنَّ المُرَاد مِنْ الإحياء هُوَ الإحياء بتعليمها وبالهـدايه أعظم مِنْ إحيائها بالإحاطه ببـدن تلك النفس.

وَعَلَيْهِ فَهُنَاك بون واسع بين طبيب البدن وبين طبيب القلب والعقيده وَالرُّوح.

لـذا نلاحـظ أنَّ الشَّارع المُقَـدَّس يُركِّز عَلَى المصـداق الأـعظم بالإحيـاء للنفس أىّ هـدايتها وإحياءها بالعلم والمعرفه، و(مَنْ قَتَلَ نَفْساً) (٢) تأويلها الأعظم مَنْ أضلّها بالجهل وعدم التعلُّم.

وإنْ كانت النفوس متفاوته فَهُنَاك نفوس الأنبياء ونفوس الأولياء

١- (١) سوره المائده: الآيه ٣٢.

٢- (٢) سوره المائده: الآيه ٣٢.

ونفوس العُظماء ونفوس المُتّقين والصالحين والأشرار و... الخ، وإنْ كَانَ عموم حقن الدماء والنفوس حُكماً عامّاً لِكَلِّ مراتب النفوس، وَعَلَيْهِ فطبيعه النفوس لها مصاديق كثيره، وَعَلَيْهِ فكيف يمكن عزل مقام التنظير الجدّى عَنْ مقام التطبيق؟ إنَّهُ لا يمكن ذَلِكَ.

إذَنْ حسب النَظَريَّه الثَّانيه أنَّ المصداق الأعظم يُجْلى لنا المعنى أكثر، وَعَلَيْهِ لا يمكن فصل عالم التطبيق عَنْ أصل التقرّر الدقيق للمعنى الجدّى - حسب النَظَريَّه الثَّانيه -

إذَا أردنا تقريراً منضبطاً لمعانى آيات القُرآن الكريم فيجب أنْ نجعل المصاديق الأهم تطبيقاً وأنَّ عالم التطبيق هُوَ عالم الأمثله، وَعَلَيْهِ فَمِنْ الخطأ أنْ نتّبع ما قاله البلاغيون وعلماء الأدب وَمِنْ بعدهم علماء التفسير أنَّ عالم التطبيق خارج عَنْ عالم الدلاله، والمدلول ولكن العكس هُوَ الصحيح مِنْ أنَّ المثال مِنْ شواهد التبيان ولا نقصى عالم المثال والتطبيق عَنْ عالم الدلاله.

ص:١۴٩

المصاديق الأتم للطبيعه تتجلى فيها آثار الطبيعه

اشاره

لِكُلِّ طبيعه مِنْ الطبائع نوعين مِنْ المصاديق، فَهُنَاك مصاديق وتطبيقات للطبيعه العامّه لمعنى فِي جمله مِنْ المصاديق الضعيفه، فنلاحظ جمله مِنْ أحكام تلك الطبيعه تتلاشى آثارها لضعف الأنسباق الخاصّ منها شبيه ما يُقَال: «الوجود دائماً يلازم الحياه والعلم والنو ر... الخ» فإذا لاحظنا هَذَا الوجود للطبيعه العامّه عِنْدَمَا يتواجد فِي مصاديق ضئيله كالجماد أو الهباء المنثور وما شابه ذَلِكَ فلا تلمس مِنْ خلاله النور او الحياه بنحو بارز أو متوسِّط بَيِّن أو... الخ فِي حين الحياه بحسب البُرهان العقلى ولو درجه منها – الحياه – فإنَّها تلازم الوجود إينما حَلَّ، والحال أنَّ هَذَا الأثر للحياه موجود حَتّى فِي مثل الجماد لكنَّه غَيْر محسوس به.

إذَنْ المصاديق الضعيفه مِنْ الطبيعه قَدْ لا يُستجلى فيها آثار الطبيعه أو تتلاشى ولو عَلَى مستوى الإدراك الحسّى.

وَهَذَا بخلاف النوع الآخر لمصاديق الطبيعه العامه وَهِيَ المصاديق الأتمّ للطبيعه الَّتِي تتجلّى فيها آثار الطبيعه وأحكامها بشكل بارز جلى لا يشذّ ولا يفوت الباحث والناظر أثر مِنْ الآثار، وَمِنْ هَذَا يُعْرَف أنَّ المُرَاد بالضبط لَيْسَ ضبط المُرَاد الجدّى ولا التفهيمى ولا الاستعمالى وَإنَّما المُرَاد هُوَ انضباط نظام المعنى بالتطبيق، وَهَذَا رَدٌّ عَلَى علماء اللُّغَه والعلوم

الأدبيه إلى أنَّ عالم التطبيق خارج عَنْ عالم شؤون الدلاله وَهُوَ غَيْر صحيح لِأَنَّ كثير مِنْ الارتكازات - حَتّى عِنْدَ علماء اللُّغَه والبلاغه - يستفيدونها مِنْ عالم التطبيق واستحصال دقيق مِنْ صوره المعنى للمراد الجدّى فَهَذِهِ امتيازات لعالم التطبيق، بخلاف ما إذَا أقصينا عالم التطبيق عَنْ شؤون الدلاله بالمرّه فحينئذٍ سوف نعجز عَنْ استجلاء صوره بيّنه ومنضبطه بلوازمها وآثارها، وَعَلَيْهِ يتّضح أنَّ عالم التطبيق عالم عظيم.

وكذلك يتميّز عالم التطبيق بأن لَهُ صوره ذهنيه وصوره مفهوميّه وَلَيْسَ عالم التطبيق افتراضياً كلا- وَإِنَّما يقع عالم التطبيق فِى سلسله المعانى الذهنيه غايه الأمر هُوَ وراء المعنى الجدّى وَهُوَ أبين وأجدر مِنْ المعنى الجدّى وَعَلَيْهِ فمعنى عالم التطبيق يصبح هُوَ جدّ الجد لِأَنَّ الغايه مِنْ الجدّى جديّه أُخْرَى وَهُوَ التطبيق.

تعدد مراتب المعنى الجدى:

الفارق السَّادِس: تتميز النَظَريَّه الثَّانيه فِى قاعده الجرى والتطبيق - أو التعبير - بأن ما وراء المعنى الجدّى لا يُحْصر فِى التطبيق، وأنَّ ما وراء المعنى الجدّى مراتب أُخْرَى مِنْ المعانى الجدّيه المهيمنه وَكُلَّهَا مراده، فلا ينحصر المعنى الجدّى فِى معنى وحيانى فالجدّى يصير مِنْ معنى إلى معنى ولا- يختصّ الجرى مِنْ المعنى إلى المصداق التطبيقى فَقَطْ، وَهَذَا أحد الفوارق المُهِمَّه بين النظريتين فِى قَاعدِه، الجرى والتطبيق أو التعبير فَإِنَّ النَظَريَّه الثَّانيه قائمه عَلَى العبور والعبره والمرور والجرى مِنْ معنى

مقصود إلى معانى أُخْرَى مقصوده أيضاً، كَمَا أنَّ العبور لا يقتصر عَلَى ذَلِكَ بَلْ العبور من المعنى إلى المصداق وكذلك مِنْ المصداق إلى المصداق، بَلْ وَمِنْ المصداق إلى المعنى وَهَذِهِ أقسام عديده تتّسع لها قاعده الجرى عَلَى النَظَريَّه الثَّانيه كَمَا يتّضح مِنْ باقى الفوارق.

كَمَا أشار إليها البيان الروائى عَنْ الإمام الصادق عليه السّلام مِنْ قبله أمير المؤمنين عليه السّلام أنَّهُ قَالَ: - كتاب الله عَلَى أربعه أشياء: العباره والإشاره واللطائف والحقائق، فالعباره للعوام والإشاره للخواص، واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء(١).

بتقريب: - إنَّ هَذِهِ الطَّبقات الأربع عَلَى مراتب ودرجات والمرتبه الأعلى أكثر لطافه وشفافيّه مِنْ الأقل، وهكذا الإشارات أكثر لطافه مِنْ المعنى الجدّى، والمعنى الجدّى أكثر لطافه مِنْ التفهيمى، والتفهيمى أكثر لطافه مِنْ المعنى الاستعمالى، والاستعمالى أكثر لطافه مِنْ المعنى التصورى.

فمثلاً الشَّارع يُشَرِّع لنا حقوق الزوجين فِى عِدَّه آيات مثل(وَ عاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (٢). و(وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها) (٣). و(وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ) (۴) و(الرِّجالُ قَوّامُونَ

۱- (۱) تفسير البرهان، المقدمه: ص ۳۰.

۲- (۲) سوره النساء: الآيه ۱۹.

۳- (۳) سوره الروم: الآيه ۲۱.

۴- (۴) سوره البقره: الآيه ۲۲۸.

عَلَى النِّساءِ) (۱). وغيرها فالمقصود مِنْ تشريع نظام حقوق الزوجين بِهَذَا النمط ينطلق مِنْ مقاصد وأُسس تشريعيه غرضها الحفاظ عَلَى النسل البشرى ابتداءاً مِنْ قضاء الوطر بين الزوجين وفتره السكون والاستقرار والانسجام بين الزوجين ثمَّ بناء حياه أُسريّه يَتِمُّ فيها إنجاب أولاد صالحين لبناء مجتمع سليم وصحيح، وَمِنْ العدل الإلهى أنَّ هَذَا التشريع بين الزوجين ينطلق مِنْ أسس تشريعيه فوقه، وَهَذَا الأساس التشريعى الفوقى أيضاً ينطلق مِنْ فوقيه أكثر فأكثر.

الفرق السَّابع: إنَّ النَظَريَّه الأولى تفسر الجرى بمعنى التطبيق والانطباق بالمعنى التنظيرى الكُلِّى للآيه بخلاف النَظَريَّه الثَّانيه فإنَّها تفسر الجرى ومعناه: أنَّ المُرَاد مِنْ استعمال ألفاظ الآيه لا عَلَى صعيد مرحله الاستعمال أىّ عَلَى صعيد المُرَاد والإراده فَقَطْ وَإنَّما معنى الجرى هُوَ فِى ضمن كُلّ المراحل مِنْ المعانى وأنَّ مرادات القُرآن تجرى وتسير ولا تقف عِنْدَ حدٍّ معيّن.

تعدد كُلّ مراحل المعانى:

الفرق الثَّامِن: إنَّ النَظَريَّه الأولى تقتصر عَلَى مقام التطبيق أو ترجع إلى التطبيق مِنْ المُرَاد الجدى والمصداق الأهم فِى مقام التطبيق هُوَ

۱- (۱) سوره النساء: الآيه ۳۴.

المُرَاد الجدّی.

أمَّا النَظَریَّه الثَّانیه: مُضافاً إلی الرجوع إلی المُرَاد الجدّی والمصداق الأهم فِی مقام التطبیق إلَّا أنَّها لا تقتصر عَلَی مقام التطبیق والتأویل فِی التنظیر بَلْ تتعدّی فِی التأویل وفی التنظیر ولا تقف عَلَی تنظیر درجه واحده، فَإنَّهُ تَقَدَّمَ أنَّهُ بَعْدَ مدالیل الکلام الاستعمالیه والتفهیمیه فِی باب الکنایات تصل النوبه إلی المُرَاد الجدّی، إلَّا أنَّ المُرَاد الجدّی التنظیری لَیْسَ عَلَی درجه واحده، بَلْ هُوَ عَلَی درجات مختلفه، فَهُنَاک مراد جدّی تنظیری أوَّل، وثانی وثالث و... الخ وهکذا لا یقف وَهُوَ الذی أشرنا إلیه سابقاً والمستفاد مِنْ الروایه الشریفه السابقه وأنَّ هُنَاک علم إشارات القُرآن وعلم لطائف القرین وعلم حقائق القُرآن وعلم تعبیر القُرآن وترجمان القُرآن وعلوم عدیده أُخْرَی(۱).

إذَنْ علم مرادات القُرآن لا یقف عِنْدَ التنظیر الجدّی الأوَّل أو التطبیق، وَإنَّما علوم مرادات القُرآن تتراقی تنظیراً وتطبیقاً وتتشعب وتتعاقب وتتسع ویکون لها سیر وجری تنظیری وتطبیقی وَکُلّ منهما مراد جدی وَکُلّ منها جری أیّ جری فِی التطبیق وجری فِی التنظیر وَعَلَیْهِ فتکون قاعده المعنی الجدّی الأوَّل قاعده لانطلاق مرکبه علوم القُرآن

۱- (۱) ربَّما یصطلح البعض أن یفسرها بالتفسیر الإشاری للقُرآن بأن مقصوده علم الإشارات، وإنْ کان علم التفسیر یُطلق علی اصطلاحین: - علم تفسیر بالمعنی الأخص الذی یُقابل علوم القرآن الأخری، وعلم التفسیر بالمعنی الأعم والذی یُراد به علوم القرآن ککل فیقال التفسیر الإرشادی بالقُرآن أو تفسیر إشارات القُرآن، وتفسیر لطائف القُرآن.

الكريم عَلَى صعيد التنظير والتطبيق؛ ولذا القُرآن يتحدّث عَنْ نفسه لدعم النَظَريَّه الثَّانيه(قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّی) (۱).

وقوله تَعَالَی: (وَ لَوْ أَنَّ ما فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَهٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ) (۲).

وَعَلَیْهِ فقاعده الجری والتطبیق أو التعبیر عَلَی وفق النَظَریَّه الثَّانیه فِی الحقیقه مستفاده مِنْ بیانات القُرآن الکریم عَلَی صعید التنظیر وَعَلَی صعید التطبیق فتجری عَلَی کلیهما وَهِیَ لیست مقتصره کَمَا تَقَدَّمَ عَلَی مقام التطبیق المصداقی کَمَا تذهب إلیه النَظَریَّه الأولی.

بَلْ لها مساران مسار تنظیری ومسار تطبیقی وَکُلّ منهما جَرْیٌ وکلُ مرحله ومرتبه هِیَ مُرادٌ جدّی وما بعده مراد جدّی ثانی وثالث ورابع و... الخ.

وَعَلَیْهِ حسب النَّظَریَّه الثَّانیه فِی قاعده الجری والتطبیق أو التعبیر حسب منهج أمومه الولایه عَلَی المُحکمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِی القُرآن، فَإنَّ الجری یأخذ أبعاد أوسع مِنْ ذَلِکَ الجری عَلَی تفسیر النَّظَریَّه الأولی لقاعده الجری والتطبیق فَإنَّ مدلول الآیه القُرآنیه أو السوره عَلَی النَّظَریَّه الثَّانیه لا یقف عِنْدَ حَدٍّ حَتّی مرحله التطبیق ومرحله المصداق هِیَ أیضاً مِنْ مراحل المدلول.

۱- (۱) سوره الکهف: الآیه ۱۰۹.

۲- (۲) سوره لقمان: الآیه ۲۷.

تعالى معانى القُرآن عَلَى النّظَريَّه الثَّانيه:

الفرق التَّاسِع: حسب النّظَريَّه الثَّانيه إنَّهُ مِنْ الإسفاف والخواء والإجحاف بحقائق القُرآن وأنواره وهداياته أنْ نهبط بالقُرآن الكريم إلى مستوى سقف المُتشابهات أو التفاصيل الجزئيه الشامل لها القُرآن ونقصر سقفه - أىّ سقف القُرآن - عَلَى هَذِهِ الجزئيات والتفاصيل؛ فَإنَّ هَذَا هبوط وإهباط لقِمَّه القُرآن وشموخ قمته، وَهَذَا ما تعانيه النّظَريَّه الأولى مِنْ الهبوط بالقُرآن الكريم فَقَطْ إلى مستوى سقف المُتشابهات أو التفاصيل الجزئيه.

بخلاف النّظَريَّه الثَّانيه الَّتِى تتبنى - وَالمُرَاد مِنْ التبنى أىّ ما فهمته مِنْ الآيات والروايات الوارده فِى القاعده - مداليل الآيات القُرآنيه والسور الَّتِى لا تنتظم ولا يَتِمُّ رسم نظام مداليلها إلَّا عَلَى وفق خارطه معيّنه وَهِىَ أنَّ المدلول الأوَّل فِى الآيات والسور القُرآنيه هُوَ الولايه وَهِىَ قمّه مدلول القُرآن ثمَّ المحكمات ثمَّ المتشابهات أىّ التفاصيل الجزئيه.

إذَنْ النّظَريَّه الثَّانيه تتبنى أنَّ مداليل القُرآن الكريم فِى الآيات والسور عَلَى طبقات ثلاث، وَهَذِهِ الطَّبقات الثلاث فِى الوقت نفسه مختلفه بدرجه الأهميّه، وَهِىَ عَلَى معانٍ وطبقات ثلاث، وَهَذَا تقسيم إجمالى وَإلَّا فَهِىَ لها أكثر مِنْ ثلاث طبقات ومستمره ولا تقف عِنْدَ حَدٍّ فالتقسيم الإجمالى لآيات القُرآن ثلاث درجات: -

١ - ا لولايه. ٢ - المُحكمات. ٣ - المُتشابهات.

والمعنى المركزى لِكُلِّ آيه وسوره فِى القُرآن هُوَ شؤون الولايه،

والمعنى المركزى فِى الدائره الثَّانيه هُوَ المُحكمات، والمعنى المركزى فِى الدائره الثالثه هُوَ تفاصيل الجزئيات الَّتِى تسمّى بالمُتشابهات، وبيَّنا سابقاً أنَّ مقاصد السور الشريفه فِى الدرجه الأولى هِىَ شؤون وبحوث الولايه وَهِىَ ذَاتَ درجات وَعَلَى طبقات: -

طبقه ولايه الله ثمَّ طبقه ولايه الرسول صلّى الله عليه و آله ثمَّ طبقه ولايه الأئمه عليهم السّلام، والمقصد الثَّانِى المُحكمات وَهِىَ عَلَى طبقات فمنها: - ما هُوَ أشدّ إحْكاماً ومنها ما هُوَ اوسط إحْكاماً، وثالثاً ما هُوَ أقل إحْكاماً، وفى المقصد الثَّالِث: المتشابهات وَهِىَ تفاصيل الجزئيات.

تنبيه عَلَى أمر مهم: أهميّه الأهم لا تعنى التفريط بما هُوَ أدنى فِى الأهميّه وَالأُمُور النازله، وبنفس الوقت ضبط الأُمُور النازله لا يعنى إغفال وتفريط ما هُوَ أهم.

تنوّع دلاله الآيه الواحد فِى علوم شتى

عَلَى النَّظَريَّه الثَّانيه:

الفارق العاشر: تمتاز النَّظَريَّه الثَّانيه بإنَّ جميع الآيات وبرمّتها يمكن أنْ يُستفاد منها فِى علوم شتّى وإنْ كَانَ ابتداءها وظاهرُها الأوّلى تُصَنَّف إلى آيات فِى أحكام الفروع - فقه - أو إلى آيات فِى المعارف والعقائد أو فِى علوم الفلك أو الطبيعه أو علم النفس أو آيات علم المرأه أو علم الرجل أو... الخ.

بخلاف النّظريّه الأولى فإنّها تعكف عَلَى عزل مقام التنظير عَنْ التطبيق وأنَّ هَذِهِ الآيه لها مورد لا تتعدّاه فِي بَعْض الأحيان، وَقَدْ تتعدّاه فِي بعضها الآخر. فمثلاً قوله تَعَالَى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً) (١) فَقَدْ استفاد منها الشَّيْخ الطوسى حُكماً فقهياً، وَأَكَّدَ ذَلِكَ السَّيِّد الشهيد مُحمَّد باقر الصدر قدّس سرّه فِي كتابه المعروف اقتصادنا: - بأن نقل السَّيِّد الشهيد قدّس سرّه كلام الشَّيْخ الطوسى مِنْ كتاب الخلاف واستفاده العداله فِي تكافؤ الفرص مِنْ هَذِهِ الآيه عَلَى قدر المساواه فِي الموارد الطبيعيه العامّه مَعَ أنَّ هَذَا بحث معرفى عقائدى، وَمَعَ ذَلِكَ استفيد مِنْهُ حُكماً فقهياً، وهكذا فِي بحث الوصيّه وآيات الوصيّه(إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ) (٢) فالظهور الأوّلى للآيه استفاد الفقهاء مِنْهُ حكماً فقهياً، ولكن المتكلّمون بحثوا فِي الوصيه إلى مستوى عقائدى، وَإِنَّهُ كيف بُنى الإسلام عَلَى يد سيد وخاتم الأنبياء صلّى الله عليه و آله وانه يَرْحل صلّى الله عليه و آله إلى الرفيق الأعلى ولا يوصى فيما هُوَ أكبر تراث وحيانى وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ أنْ يكون هُنَاك وصيٌّ.

وَمِنْ خلال هَذَا كُلَّهُ أنَّهُ لا مانع مِنْ استفاده الفقيه حُكماً مِنْ آيه فِي العقائد أو الأخلاق أو علم النفس أو الأمن أو.. الخ وبالتالى أنَّهُ بحسب النظره العميقه يجرى مفاد كُلّ آيه إلى علوم شتّى طبق ضوابط وموازين وثوابت وَلَيْسَ الأمر بالخلط والخبط.

١- (١) سوره البقره: الآيه ٢٩.

٢- (٢) سوره البقره: الآيه ١٨٠.

وَعَلَيْهِ فَمِنْ الخطأ إقعاد واستظهار هيكل بناء نظام الظهور والاستعمال فِى آيات القُرآن بهيكل متقوقع وضيِّق الأفق.

ص:١٦٠

قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير

على ضوء تفسير أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات، ترسم لنا مخططا هرميا أس أساسه الولايه

أقسام الولايه:

إنَّ قاعـده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى ضوء تفسـير أمومه الولاـيه عَلَى المحكمات ترسم لنا مُخططاً هرمياً أشـبه ما يمكن أنْ نمثل لَهُ بهرم أو بنيان أسٌّ أساسه الولايه، والأُسّ الثَّانِي: المُحكمات، والأُسُّ الثَّالِث: المُتشابهات:

أمَّا الأُـسّ الأـوَّل: - أعنى الولاـيه، فَهُوَ ينقسم إلى ثلاثه أقسام، بنصّ القُرآن الكريم(إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ(۵۵) (۱).

وَهِيَ: أ - ولايه الله عَزَّ وَجَلَّ. ب - ولايه الرسول صلّى الله عليه و آله. ج - ولايه أئمه أهل البيت عليهم السّلام.

وقمّه الولايات الثلاث أوَّلها هِيَ ولايه الله عَزَّ وَجَلَّ، ثمَّ ولايه

۱- (۱) سوره المائده: الآيه ۵۵.

الرسول صلّى الله عليه و آله ثمَّ الولايه الثالثه الَّتِى وصفها القُرآن الكريم(وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاهَ) فَهِىَ بإجماع المُفسِّرين مِنْ العامّه والخاصّه أنَّها نزلت فِى حقّ أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام.

والولايه الأولى: ولايه الله عَزَّ وَجَلَّ وَالَّتِى بالدِّقه أنَّهُ إذَا أردنا أنْ نصل إلى لُبّ لُباب معانى الآيات والسور هِىَ أنَّها تقودنا إلى شؤون التوحيد وَإلى الأسماء الإلهيه؛ ولذا نلاحظ فِى ذيل كثير مِنْ الآيات سيّما الآيات الملحميّه أو الطويله منها وَقَدْ ذُكِرَ فِى آخرها اسمٌ أو أكثر مِنْ الأسماء الإلهيّه، مثل قوله تَعَالَى: (إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (١) وقوله تَعَالَى: (أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٢) وقوله تَعَالَى: (أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (٣) وغيرها.

وَمِنْ الواضح أنَّ القُرآن الكريم عالج موضوعات مُختلفه: -

مِنْهَا: ما يخصَّ أحكام الآيات فِى فقه الفروع، وَمِنْهَا: - أحكام اجتماعيّه، وَمِنْهَا: - تربويّه، وَمِنْهَا: ما يخصّ الميراث، وَمِنْهَا: - ما يتعلّق بالحياه الزوجيّه وتكوين الأسره وغيرها.

والنسبه بين طبقات الولايه كالنسبه بين الولايه والمحكمات، فمثلما الولايه مركزُ مدار لمُحكمات الكتاب العزيز وسائر الكتب السماويّه الأُخْرَى؛ إذْ

١- (١) سوره الحجرات: الآيه ١.

٢- (٢) سوره المائده: الآيه ٩٧..

٣- (٣) سوره الحج: الآيه ٦١.

تـدور عَلَيْهَا كَمَا فِي روايه مسـعده بن صَـدَقه، قَالَ أبو عبـدالله عليه السّـلام: - «إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت عليهم السّـلام قطب القُرآن، وقطب جميع الكتب عَلَيْهَا يستدير محكم القُرآن، وبها نوّهت الكتب ويستبين الإيمان»(۱).

كَذَلِكَ ولايه الرسول صلّى الله عليه و آله تدور عَلَى ولايه الله عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَى ولايه الله ورسوله ولايه أهل البيت عليهم السّلام.

وَمِنْ هَذَا يُعْلَم أنَّ الولايه عَلَى دوائر ومراتب.

سُؤال: ذكرنـا قبـل قليـل أنَّ ولاـيه الله تَعَـالَى هِيَ تقودنا إلى شؤون التوحيـد، وَإلى الأسـماء الإلهيه، ومُحَصَّل السؤال: - أنَّهُ كيف تقودنا هَذِهِ الموضوعات المختلفه الَّتِي عالجها القُرآن الكريم إلى التوحيد؟ وَمَنْ يستطيع الوصول إلى هَذَا الأمر، - وإنْ كَانَ هَذَا بحث آخر وسـيأتي التعرُّض إليه وأنَّ ولايه الرسول بَعْدَ ولايه الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنَّ الرسول الأكرم أوَّل وأشـرف وأكمل المخلوقات عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ.

الجَواب: سـيتضح ذَلِـكَ كُلَّهُ مِنْ خلاـل معرفه شخصـيّه الرسول الأـكرم صـلّى الله عليه و آله، وبيـان ارتبـاط كُـلّ آيه بالتوحيـد، والمفروض أنَّ كُلّ آيه وَكُلّ سوره فِي القرآن تَـدلُّ عَلَى توحيـد الله عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذِهِ تمثِّل نهايات معاني القُرآن، وإنْ كانت هَذِهِ النهايه لا نهايه وراءها؛ لِإنَّهُ لَيْسَ وراء الله منتهى.

۱- (۱) تفسير العيّاشي: ج ۱، ص ۷۸.

ولذا يستطيع الوصول إلى هَذَا مَنْ أعطاهم الله قدره بَعْدَ ولايه الله وولايه الرسول صلّى الله عليه و آله، الذى هُوَ أكرم المخلوقات عَلَى الله تَعَالَى، وَهَـذَا يتطلّب معرفه شخصيه الرسول صلّى الله عليه و آله لا بما هُوَ بدن مادّى ومعرفه شخصيّه الرسول صلّى الله عليه و آله مِنْ مولده وما هِيَ أوصافه البدنيه والخُلُقيه، وَإنَّما المُرَاد هُوَ شخصيه الرسوله بكُلِّ طبقات ذاته ولا يتسنّى لنا معرفه ذَلِكَ إلَّا مِنْ خلال القُرآن الكريم؛ ولذا يُعَبَّر كثيراً فِى أبحاث المعارف أنَّ الكتاب الذى ينزل عَلَى أىّ نبى مِنْ الأنبياء يكون ذَلِكَ الكتاب بمثابه شرح لأحوال نفس ذَلِكَ النَّبِىّ ومقاماته.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ النَّظَريَّه الثَّانيه فِى قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهج أمومه الولايه عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِى القُرآن، لا تتبنى إلغاء التفاصيل وبقيّه المناهج ولا عدم جدوائيتها، وكذلك لا تتبنى النَّظَريَّه الثَّانيه إلغاء الظاهر وإلغاء الجزئيات، بَلْ تُؤكِّد عَلَى أهميّه بقيّه المناهج الأُخْرَى، وَتُؤكِّد أنَّ للآيات معانى تفصيليه جزئيه إلَّا أنَّهُ لا تحصر معنى الآيات فِى التفاصيل الجزئيه المتشابكه، فَإنَّ جمله مِنْ الآيات وإنْ كانت وارده مورد بيان أحكام عمليه فِى القوانين العمليّه للإسلام إلَّا أنَّها لا تنحصر فِى ذَلِكَ.

الأساس الثَّانِى: المُحكمات بناءاً عَلَى ما تَقَدَّمَ أيضاً هِيَ الأُخْرَى عَلَى طبقات، فَهُنَاك طبقات:

مِنْهَا: شديده الإحكام، وَمِنْهَا: متوسِّطه، وَمِنْهَا: - نازله الإحْكام

إلى ما شاء الله.

فلدينا طبقه أم الكتاب، وطبقه الكتاب المبين، وطبقه الكتاب المكنون، وطبقه لا يمسّه إلَّا المطهرون... الخ وَكُلّ طبقه عُليا هِيَ أساس ومركز لطبقه أدون مِنْهَا تكون أبعد عَنْ المركز، وَهَذِهِ المراتبيه أمرٌ ضرورى ومصيرى فِى منهج أمومه الولايه عَلَى المُحكمات.

الأساس الثَّالِث: المُتشابهات: وَهِيَ عَلَى طبقات فَإِنَّهُ كُلّما تنزّلت وتشعّبت معانى الآيات ازداد التشابه والتشاكل والتماثل مما يزيدُ فِى تطرُّق الوهم وصعوبه التمييز لكثره الأمثال المختلفه وتنوّع وتضارب الأشباه والنظائر فَيَتَعَقَّد الفصل بينهما، بينما كُلّما تصاعد المعنى قلَّ التشابه وازداد بساطةً ووضوحاً، وَمِنْ ثمَّ نجد استعمال المتشابه فِى القُرآن يُطلق عَلَى المُحكَم بالقياس إلى ما هُوَ أشدّ إحكاماً مِنْهُ وأنَّ التمسّك بما هُوَ دونىّ مِنْ الأحكام وترك ما هُوَ أعلى إحكاماً مِنْهُ هُوَ مِنْ التشبّث بالمتشابه فِى مقابل ترك المحكم، وَعَلَى ذَلِكَ فيكون عنوان وصفه التشابه نسبياً وَذَاتَ درجات.

وكذلك عنوان المحكم وبالدقّه فَهُمَا - المتشابه والمحكم - عنوانان متضايفان كالفوق والتحت، فَإِنَّ ما هُوَ فوق يصدق عَلَيْهِ إنَّهُ فوق بالإضافه إلى ما هُوَ تحته، وأمَّا بالإضافه إلى ما هُوَ فوق الثَّانِى فالفوق الأوَّل تحت وكذلك التحتانى بالقياس إلى التحت الثَّانِى فانه فوقٌ وَقَدْ مَرَّ إطلاق القُرآن الظنّ عَلَى الحسّ وأنَّ الحسّ يتطرقه التشابه فِى قصه ادّعاء

قتل عیسی(وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لکِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِینَ اخْتَلَفُوا فِیهِ لَفِی شَکٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وَ ما قَتَلُوهُ یَقِیناً(۱۵۷) (۱).

ص:۱۶۶

۱- (۱) سوره الأنبیاء: الآیه ۱۵۷.

والأسماء الإلهيه

بَعْدَمَا تبيَّن حسب النَّظَريَّه الثَّانيه فِى قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهج أمومه الولايه عَلَى المُحكمات فِى القُرآن، وعدم إقصاء وتهميش المناهج التفسيريه الأُخْرَى، وأنَّ الآيات لها معانٍ تفصيليّه، وأنَّ هُنَاك شبكات منظوميّه فِى التفاصيل، وَمِنْ الخطأ حصر المعانى فيها، وَإنَّما هِىَ متشعّبه، وأنَّ هُنَاك أحكاماً عمليه فِى القوانين.

فمثلاً آيه الدَين(إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ) (١).

بتقريب: - وَذَلِكَ لما هُوَ مقرَّر مِنْ تسلسل الأشياء تعاققباً وترامياً وراء بعضها البعض بنحو الأسباب والمسببات الفاعليّه والغائيه، علاوةً عَلَى العلّه القِوامیه للشىء مِنْ صورته ومادّته، وفى منظومه حلقات هَذَا التسلسل والترامى قُرِّرَ أنَّ كُلّ فِعل ينبعث عَنْ صفه، وَكُلّ صفه تنبعث عَنْ جوهرٍ، أو أنَّ كُلّ فعلٍ ينبعث عَنْ صفه أخلاقيه، وَكُلّ صفه أخلاقيّه تنبعث عَنْ عقيده قلبيّه، فالعقيده تكوِّنُ صفه خُلُقيّه، والصفه الخلقيه تكوِّنُ فعلاً عملياً، هَذَا بحسب قوس النزول فِى عالم الخلقه والإيجاد.

١- (١) سوره البقره: الآيه ٢٨٢.

وأمَّا بحسب قوس الصعود، فَإنَّ الفعل بتكرّره وتراكمه يُكوّنُ صفه خُلُقيّه والصفه الخُلُقيّه باشتدادها تكَوِّنُ عقيدةً، كَمَا فِی قوله تَعَالَی(ثُمَّ كانَ عاقِبَهَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللّهِ) (۱).

كَمَا يشير إلی هَذَا الترابط الدورى قوله تَعَالَی: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ) (۲).

نعم، لا يُحيط بطبقات وحلقات منظومه الأشياء وَهُوَ ما قَدْ يُعَبَّرُ عنه بعالَم المُصْطَفين كَمَا اعترف ابن سينا فِی إلهيات الشفاء.

وَمِنْ ثَمَّ كانت هَذِهِ القدره مخصوصه بالمعصوم عليه السّلام، وَلَيْسَ مِنْ نصيب العُلَمَاء والمُفسرين إلَّا الشیء اليسير وما لا يُدْرك جُلُّهُ لا يُترك كُلُّهُ.

ولو كَانَ قليلاً، كَمَا وَرَدَ عَنْ الإمام الباقر عليه السّلام«ولو شئت لاستخرجت التوحيد كُلَّهُ مِنْ لفظه الصمد».

وهكذا ما بيّنه الإمام زين العابدين علی بن الحسين، فِی الصحيفه السجّاديّه وما ذكره عليه السّلام فِی تفسير الحروف المقطّعه فِی أوائل السور مثل(حم(۱) وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ(۲) (۳). وقوله تَعَالَی: (طه

۱- (۱) سوره الروم: الآيه ۱۰.

۲- (۲) سوره فاطر: الآيه ۱۰.

۳- (۳) سوره الدخان: الآيه ۱-۲.

(۱) ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى(۲) (۱). بتقريب: - إنَّ الإمام عليه السّلام باستطاعته أنْ ينتزع مِنْ آيه الدَين فِى التجاره مطلباً أساسياً فِى التوحيد، وأنَّ هَذَا التشريع الجزائى التفصيلى مبتنٍ عَلَى أساس توحيدى فِى عالم الصِّفات والأسماء الإلهيه.

وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ مِنْ الإيمان بالجزئيات وبالظاهر، كَمَا وَلابُدَّ مِنْ الإيمان بالباطن وبالأصول وبالاعتقادات، وَهَذَا نوع مِنْ العلم الجامع حسب النَّظَريَّه الثانيّه.

وإنَّ ما بيَّنه الإمام زين العابدين عليه السّلام: مِنْ أنَّ كُلّ حَرْف مُقطَّع، وَكُلّ اسم مُقطَّع ابتدأت به كُلّ سوره ثمَّ أردف الاسم المقطّع بَعْدَ ذَلِكَ ذكر القُرآن والكتاب، فَإنَّ ذَلِكَ الاسم المُقَطَّع هُوَ اسمٌ مِنْ أسماء جبال مقامات سيد الأنبياء صلّى الله عليه و آله، فَإنَّ لسيِّد الأنبياء صلّى الله عليه و آله مقامات وراء القُرآن، وَلَهُ لباسٌ ملكوتى؛ لِأنَّ نفس القُرآن الكريم يذكر أوَّلَ شيء ذُكِرَ هُوَ: - حم، ثمَّ الكتاب المبين، ثمَّ يس - أىّ بحرٌ مِنْ بحور الغيب اسمه يس مِنْ حقيقه الذات النبويّه، وهكذا بحر حم، وبحر ألر، وبحر حمعسق ثمَّ الكتاب أىّ الطَّبقات العُليا فِى القُرآن ثمَّ أم الكتاب، ثمَّ الكتاب المبين ثمَّ مقام الكتاب المكنون و... الخ وأنَّ نفس هَذِهِ المقامات القُرآنيه هِىَ مقامات غيبيّه.

۱- (۱) سوره طه: الآيه ۱-۲.

وَعَلَيْهِ فالمصدر الوحيد المتكفِّل لبيان بطاقه وشهاده الأحوال الشخصيه لشخص سيّد الأنبياء صلّى الله عليه و آله هُو القُرآن الكريم بيان هَـذَا التَقَدُّم الرَّتبى لمقامات سيّد الأنبياء صلّى الله عليه و آله، وَعَلَيْهِ فَإنَّ الآيات والسوره هِيَ القائد الوحيد لمعرفه شخصيّه الرسول صلّى الله عليه و آله بشكل كامل وتفصيلى، وَبَعْدَ هَذَا لا عبره بكلام الفلاسفه ولا المتكلِّمين ولا العُرفاء ولا... فِى شخصيه الرسول صلّى الله عليه و آله ومقاماته.

إذَنْ النَّبِيّ مُحمَّد صلّى الله عليه و آله هُوَ الباب الأعظم إلى الله تَعَالَى وَهُوَ صلّى الله عليه و آله أعظم مِنْ الصَّلاه الصَّوم والحجّ والزكاه و... الخ وشخصيّته صلّى الله عليه و آله تريد أنْ ترسم لنا قالب الإنسان الذى يرضى عنه الله عَزَّ وَجَلَّ ويريد الله عَزَّ وَجَلَّ مِنّا أنْ نتولاه بدليل الآيات القُرآنيه الوارده فِى هَذَا المجال وَالَّتِى تُبيِّن كُلّ آيه آيه أنَّ ولايه الرسول بَعْدَ ولايه الله عَزَّ وَجَلَّ وولايه الأئمه والعتره الطاهره بَعْدَ ولايه الرسول صلّى الله عليه و آله.

ومحل الشاهد مِنْ هَـذَا كُلَّهُ إنَّهُ كيف يا أصحاب النَّظَريَّه الأولى تعزلون مقام التطبيق عَنْ مقام التنظير، أنَّهُ لا يمكن ذَلِكَ، فَهَـذَا القُرآن يُسلِّط الأضواء فِى مقام التطبيق عَلَى أعظم وأخطر مصداق وشخصيّه مخلوقه لله تَعَالَى وَهُوَ شخص الرسول صلّى الله عليه و آله وَإلَّا – أىّ إذَا عَزَلْنَا جانب التطبيق عَنْ التنظير فمعناه تخويه روح وجوهر الآيه والسوره عَنْ حقيقتها، وأيّه سوره أو آيه لا تعود إلى ولايه الرسول صلّى الله عليه و آله الَّتِى هِيَ طريقٌ إلى ولايه الله عَزَّ وَجَلَّ هَـذَا معناه أنّنا أخويناها مِنْ حقيقتها، وَصَدَّعنا الركن الركين فِى بنيتها وَلَمْ نَعْقِل معناها، ثمَّ بَعْدَ ولايه الرسول صلّى الله عليه و آله تأتى

ولايه عتره النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله، وَعَلَيْهِ إذَا قطعنا معانى الآيات ومعانى السّور عَنْ الدلاله - فكأنّما قطعنا معانى الآيات والسور عَنْ حقائقها أىّ عَنْ الحروف المقطّعه فى أوائلها هِىَ مفاتيح لمجموع كُلّ السور، وذكرنا سابقاً أنَّهُ يُذكر فِى البحوث العقليه والفلسفيّه أنَّ حقيقه ماهيّه الأشياء ومعانيها بغاياتها أىّ تعريف الشىء بعلته الغائيه أَبيَّنُ وأَحَقُ مِنْ تعريف الشىء بصورته ومادته الصوريه، والمعنى المادّى والصورى للشىء لَيْسَ حقيقه مكافئه. كما ذكرنا فِى محله ليست حقائقيه، وَعَلَيْهِ فكيف تعزلون يا أصحاب النّظَريَّه الأولى حقيقه الشىء عَنْ الشىء نفسه، وما هَذَا إلَّا إخراج الشىء عَنْ حقيقته، أىّ قلب الشىء عَنْ حقيقته.

منهج أمومه الولايه يرسم منهاج نظريه المعرفه الدينيه

اشاره

ضروره رسم المنهجه وفق نظام مبرمج

إنَّ مِنْ أهم مميزات المنهج التفسيرى لأمومه الولايه عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِى القُرآن هُوَ أنَّهُ يمثِّل منظومه هيكله بنيان القُرآن الكريم وقائم عَلَى هندسه هَذَا المنهج، وَأنَّهُ لَيْسَ كباقى المناهج التفسيريه كمنهج تفسير القُرآن بالقّرآن، أو تفسير القُرآن بأسباب النزول، أو تفسير القُرآن بالإعراب والأبعاد الأدبيَّه واللغويّه أو تفسير القُرآن بآيات الأحكام أو التفسير الموضوعى، أو... الخ، وَهَذِهِ الهيكله الَّتِى يبيّنها منهج أمومه الولايه ليست فَقَطْ للقُرآن الكريم بالدقّه، وَإنَّما هِىَ بالحقيقه للدِّين كُلَّهُ لِأنَّ القُرآن هُوَ الدِّين والدِّين هُوَ القُرآن، والثقلين - الكتاب والسنّه - هُمَا الدِّين، والدين هُوَ الثقلين.

وبالتالى هَذِهِ هندسه للدِّين كُلَّهُ وليست فَقَطْ للمعرفه القُرآنيّه والمعرفه التفسيريه، بَلْ وللمعرفه الدينيه الَّتِى صار حولها لغط كثير حول رسم نظريه المعرفه الدِّينيه.

وَمِنْ الواضح أنَّ القُرآن الكريم والسُّنه - أىّ الثقلين - هُمَا مِنْ أكبر

منابع نظريه المعرفه الـدِّينيه. وَعَلَيْهِ فَإنَّ نظريه المعرفه الـدِّينيه قائمه عَلَى محوريه طبقات الولايه ثمَّ محوريه طبقات المُحكمات ثمَّ محوريّه طبقات المُتشابهات، وَهَذِهِ المنهجه ليست قضيّه رسم هندسى يُسَهِّل حفظ المطالب وتجميعها كلا، وَإنَّما هِىَ - المنهجه - ميزان لقواعـد المعرفه الـدِّينيه. وفى نفس المنهجه ارتباط قواعـدى فِى معرفه الـدِّين ومعرفه قواعـد تفسـير القُرآن الكريم، وَهُوَ بمثـابه إشـكال القياس كالاقترانى المؤلف مِنْ صـغرى وكبرى ونتيجه، فَالمُرَاد الفكرى الَّتِى يجب أنْ تؤلّفها وتنظّمها بشـكل كى تنتج النتيجه المطلوبه، فالشـكل للأفكار فِى الذهن أو للمعانى فِى الذهن يقودك إلى اسـتنتساج وإدراك النتيجه، وَعَلَيْهِ فهندسـه الأفكار عباره عَنْ منهاج للتفكير وللمعرفه، لا أنَّ القضيه شكليه فَقَطْ ومُجرَّد رسم هيكله أو مُخطّط، بَلْ الأمر أبعد مِنْ ذَلِكَ وَإنَّما صميمى فِى مفاصل منهاج التفكير.

جداره تفسير القُرآن بالقرآن لِلْسَّيِّد العلامه الطباطبائى قدّس سرّه:

وَهَـذَا البحث لا يقل أهمّيةً عَنْ علم التفسـير، بَلْ حَتّى فِى بحث فقه الفروع فَإنَّ الفقيه المتضـلِّع لابُـدَّ لَهُ مِنْ مُراعاه هَـذِهِ المنظومه الهندسـيه، فـإذا أردت أنْ تقرأ السـيره النبويه بشـكل مُبعثر ومُجزّء وَغَيْر مُنظَّم ومُهَنـدس بالشِّكـل الـذى ذكرناه فسوف تُفْتَتَن فِى دينك، وتَفْتِن غيرك، وهكـذا إذَا أردتَ أنْ تُـدرِّس مختلف علوم القُرآن فَلابُـدَّ مِنْ مراعاه هَـذِهِ الهنـدسه المنظوميّه وَإلَّا فسوف تنشأ لك فِرقاً جديده مثل فِرَق الخوارج

والقدريّه وا لجارورديه و... الخ فَإنَّ هَذِهِ الفِرَق والآثار السلبيّه نشأت أو تنشأ نتيجه القراءه المُجَزَّأه للدِّين وَغَيْر المنظمه بنظام يحفظ وحده الدِّين، وَلَمْ يُراعَ فيها طبقات المعرفه، وَهَذَا يَدُلّ عَلَى ضروره اتّباع المنهجه المُبرمجه عَلَى وفق ضوابط وقواعد، وَهَذَا لَيْسَ مُختصّاً بعلم التفسير وَإنَّما يشمل كافه العلوم وفى مختلف الاختصاصات، فمثلاً فِى علم أصول الفقه يبحث علماء الأصول الحجج وأقسامها وطبقاتها وعلائق بعضها مَعَ الآخر، وهكذا يبحثون علاقه الأبواب الأصوليه بعضها مَعَ البعض الآخر فِى بحث منظومى مراتبى، فمثلاً ما التزم به السَّيِّد العلّامّه الطباطبائى فِى منهجه التفسيرى تفسير القُرآن بالقُرآن رغم أنَّهُ منهج صحيح وسديد وأثبت جدارته فِى موقعه فَقَطْ لا أنَّهُ منهج مُهيمن عَلَى باقى المناهج التفسيريه الأُخْرَى، وَلَمْ تثبت جدارته فِى غَيْر موقعه - وَعَلَيْهِ فكون منهج تفسير القُرآن بالقُرآن صحيح وسديد وكفؤ شىء، وكونه هُوَ المهيمن عَلَى المناهج التفسيريه الأُخْرَى شىء آخر، مَعَ غضّ النظر عَنْ المغالطه الموجوده فِى عنوان منهج تفسير القُرآن بالقُرآن وأنَّ العنوان غَيْر دقيق، وَأنَّهُ لا يُطابق المنهج الذى يُريده السَّيِّد العلّامه مُحمَّد حسين الطباطبائى أو ملا صدرا أو الفيض الكاشانى أو غيرهم مِنْ أعلام الشيعه أو السُّنه، وسُنبيِّن المغالطه بين العنوان - تفسير القُرآن بالقُرآن - وبين ما يريده ويتبناه السَّيِّد العلّامه قدّس سرّه فِى محلّه المُنَاسِب -

وَعَلَيْهِ فجدارته فِى معرفه لا تجعله مهيمناً فِى غَيْر موقعه عَلَى سائر

المناهج التفسيريه الأخْرَى.

ولـذا جمله مِنْ تلامـذه السَّيِّد العلّامه الطباطبـائى قـدّس سـرّه حَكّموا وجعلوا منهـج تفسـير القُرآن بالقُرآن هُوَ المُهيمن عَلَى باقى المناهج التفسـيريه الأُخْرَى فِى الفقه وغيره، ولذا خرجت لديهم نتائج وقناعات شاذّه وخطيره وغريبه وبعيده عَنْ مُسَـلّمات مدرسه أهل البيت عليهم السّلام الفقهيه.

والخلاصه: إنَّ ضبط المنهجه وفق موازين وضوابط علميه لا يختصّ بعلم الفقه أو التفسير أو الأصول أو... الخ.

وَعَلَيْهِ فَـإنَّ منهـج أمومه الولايه عَلَى المُحكمات فضـلاً عَنْ المُتشابهات فِى القُرآن يمتاز عَنْ غيره بالهيمنه وكونه منهـج قواعـدى لِـأنَّ القُرآن هُـوَ منبع الـدِّين، وأنَّ المنهـج الـذى يُؤسِّس فِى تفسـير القُرآن الكريم يُضـفى بظلالـه ويؤثِّر أثره عَلَى الفقه والعقـائد والسـيره والاخلاق، ولذا فاختيار المنهج التفسيرى للقُرآن الذى يُحافِظ عَلَى القُرآن وَأنَّهُ كتله منظوميه واحده ضرورى جداً، ولذا القُرآن الكريم يوصـى بالوحـده الواحِـدَه - لا- بأبعاض الـدِّين وإنَّ الـدِّين كُلَّهُ كتله واحـده، ولـذا يقول القُرآن(أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) (١). أو قوله تَعَالَى(الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ(٩١) (٢).

وَعَلَيْهِ فالمنهج التفسير الذى تترتّب عَلَيْهِ نتائج غريبه وخطيره

١- (١) سوره البقره: الآيه ٨٥.

٢- (٢) سوره الحجر: الآيه ٩١.

وبعيده عَنْ مُسَلَّمات مدرسه أهل البيت عليهم السّلام ويفكك وحده القُرآن، فمثل هكذا منهج لا يتّصف بالمنهج القواعدى والمهيمن، بخلاف منهجنا المُختار أمومه الولايه عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِى القُرآن الذى يتّصف بالهيمنه ويتكفل وحده وعدم تفكيك كتله الدِّين، وَهَذَا ما يمتاز به منهج أمومه الولايه عَلَى باقى المناهج التفسيريه الأُخْرَى.

القاعده: قاعده فِى موقعها الصحيح

تنبيه هام: مِنْ منطلق إنَّ القاعده قاعدةٌ إذَا ثبت موقعها الصحيح - لِإِنَّهُ مِنْ الخطأ والخطر إذَا جُعِلَت القاعده فِى غَيْر موقعها الصحيح، فَإِنَّهُ سوف يختلّ البُنيان وينهدّ أساس الأركان - فالمهندس الناجح فِى هندسته إذَا أراد أنْ يبنى بُنياناً مُعَيَّناً فلديه مجموعه قواعد مختلفه فِى الركنيه والتأثير، وإنْ كانت كُلَّهَا فِى الأساس قواعد صحيحه إلَّا أنَّها متفاوته الأهميّه، فَهُنَاك قواعد مركزيه ومحوريه هامّه، وَهُنَاك قواعد جانبيه، وَهُنَاك قواعد مفصليّه وَهُنَاك قواعد مختلفه لأُسس مختلفه، فإذا بُدِّلت مواقع القواعد لا عَلَى وفق نظام مبرمج ودراسه علميّه وتطبيقات عمليه بأنْ جعلت القاعده المركزيه لا فِى المركز، وجعلت القاعده الجانبيه فِى المركز فَإِنَّ البناء والمبنى سوف تنهدّ أركانه(إِنّا كُلَّ شَىْ ءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ) (١).

بتقريب: - إنَّ لِكُلِّ شىء قدر، ولكن قدر كُلّ شىء غَيْر قدر

١- (١) سوره القمر: الآيه ۴۹.

الآـخر، وَإِنَّمـا يَتِمُّ ذَلِـكَ بميزان النظـام العام المجموعى الراسم للمنظومه الارتباطيه ذَاتَ الأبعاد العَرَضـيه والطوليَّه لترتيب مراتب الأشياء ومقاماتها.

ص:١٧٨

التفاتتان وثمرتان نفيستان فِي قاعده الجرى

اشاره

منظوميه قاعده الجرى على النظريه الثانيه دون الأولى

الالتفـاته الأُولى: ذكرنـا سابقـاً أنَّ هُنَـاك أواصـر وقواسم مشتركه بين القواعـد الَّتِى تعرَّضـنا لبحثها كقاعـده التعريض والالتفات وإيّاك أعنى واسـمعى يا جاره، وقاعـده اسـتعمال اللَّفْظ فِى أكثر مِنْ معنى، وَهَذِهِ القاعده الَّتِى وصـلنا إليها فِى البحث فعلاً وَهِىَ قاعـده الجرى والتطبيق أو التعبير وغيرها، إلَّا أنَّ هَـذِهِ الروابط المشتركه خفيّه يصـعب اكتشافها عَلَى وفق باقى المناهج التفسـيريه، بخلاف منهجنا المختار أىّ منهـج أمومه الولايه عَلَى المحكمات فضـلاً عَلَى المتشابهات فِى القُرآن، وَبَعْـدَ التوفيق الإلهى يتفطّن المُفَسِّر المُلتَفِت إلى مثل هكذا نكات فَمِنْهَا ما نَحْنُ فيه: - إلى أنَّهُ لو دقّقنا فِى هَذِهِ التوسعه لقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير، بلا أنْ نُسـميها بـالتطبيق وَإنَّما قاعـده الجرى وإنَّ الجرى أعم مِنْ الجرى عَلَى الإشارات واللطائف وتعبير وترجمان القُرآن، وأعم مِنْ دوريه تطبيق القُرآن عَلَى مصاديق دوريّه مسـتمره، فإذا دقّقنا فِى هَـذَا التوسّع مِنْ نظريه الجرى فَإنَّهُ تقريباً يُفتـح لنا أُفق مُتطابق مَعَ توسعه معنى قاعده استعمال اللَّفْظ فِى أكثر مِنْ معنى.

ص:۱۷۹

تَقَدَّمَ فِی قاعده استعمال اللَّفْظ فِی أکثر مِنْ معنی إنْ توسعنا بها بشکل عَرْضی عَلَی مستوی الصعید التصوری والاستعمالی والتفهیمی والجدّی، بخلاف توسعنا فِی قاعده الجری فَإِنَّهُ توسّع طولی، بَلْ الأعظم مِنْ هَذَا إنَّ قاعده الجری تُقْحِم مقام التطبیق والمصداق فِی الاستعمال وتجعله مِنْ الأُمُور المُستعمله وإنْ لَمْ یکن مُراداً عَلَی صعید الاستعمال، وکذلک لَیْسَ مُراداً عَلَی صعید المُرَاد التفهیمی التنظیری، ولا عَلَی مستوی صعید تنظیر المدالیل الجدیّه العامه المنتشره، وَهَذَا کُلَّهُ لا یتّسم بطابع الأهمیّه وَإِنَّما المهم هُوَ عَلَی صعید التطبیق والمصداق، فَهَذَا هُوَ الأهم فِی نظر الشَّارع، هُوَ أحد الثمرات المُهِمَّه فِی قاعده الجری.

الحقیقه أحری بالاتباع:

الالتفاته الثَّانیه: إنَّ عُلَمَاء اللُّغَه والبلاغه والأدب ذکروا فِی قوامیسهم ما حاصله: -

«إنَّ المصادیق خارجه عَنْ المدالیل، بخلاف ما تتبناه وتفهمه قاعده الجری والتطبیق أو التعبیر حسب النظریّه الثَّانیه عَلَی مُختارنا فِی المنهج التفسیری لأمومه الولایه عَلَی المُحکمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِی القُرآن»، والصحیح هُوَ ما تبنته النَّظَریَّه الثَّانیه مِنْ أنَّ: - «التطبیقات المصداقیه لهی أحد مدالیل الکلام» أیّ أنَّ مدلول الکلام یجری إلی مواطن وموارد عدیده سواء موارد مِنْ تنظیر المعنی إلی معانی جدّیّه

متعدّده أو موارد تطبيقيّه فَهَذِهِ وغيرها كُلَّهَا يحتوشها عالم مدلولات الكلام وَعَلَيْهِ فيكون التطبيق جزء مِنْ مداليل الكلام.

وذكرنا سابقاً أنَّ تبديل هَذِهِ المبانى الَّتِى عشعشت قروناً مِنْ الزمان فِى نتاج عُلَمَاء وعلوم دهر مِنْ السنين لَيْسَ بالسهل تبديله بعشيّه وضحاها وتغيره أو معالجه أمر فيه، فالإنصاف الأمر لَيْسَ بالسهل ولكن الحقيقه أحرى بالإتباع فمثلاً قاعده استعمال اللَّفْظ فِى أكثر مِنْ معنى المُتقدِّمه نلاحظ أكثر عُلَمَاء البلاغه وَاللُّغَه والأصول والفقه والتفسير قالوا باستحالته وامتناعه لقرون إلى أنْ وافتنا التحقيقات الأخيره فِى علوم متعدِّده أنَّ الأمر ممكن وواقع بكثره كَمَا تَقَدَّمَ فِى محله(1) وَعَلَيْهِ فلا يظنَّ

١- (١) ينبغى أنْ نلتفت كباحثين عن الحقائق أن هناك حقائق نكون غافلين عنها فلعل البعض يتسائل ويقول: - كيف علماء ومحققون وباحثون و... الخ لم يلتفتوا الى أن مثل قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى ممكنه وواقعه بكثير علماً أنهم كانوا يبنون على استحالتها وعدم وقوعها،، والذى نُريد التنبيه عليه هو: - أنه لا نظن أن حقائق ومناهج نظم اللغه والبيان والنحو والصرف و... الخ اكتُشفت من قبل علماء اللغه والأدب والنحو سواء أكانت علوم اللغه واللسان هذه عربيه أو غير عربيه، فالعرب لم تكتشف علم النحو رغم وجود روّاد أدب منهم - العرب - لهم الدور الأكبر فى تلك المؤتمرات والمباريات التى كانوا يعقدونها فى منتدياتهم الأدبيه أيام الحج فى مِنى وسوق عكاظ والمعلقات السبع و... الخ ومع ذلك لم يكونوا قد اكتشفوا علم النحو وهو امرٌ غريب مع أن العرب من زمن نبى الله إسماعيل عليه السّلام وقبيله جَرْهم وقبائل اليمن التى تناكحت مع النبى إسماعيل وولدت قريشاً و... الخ الى أن جاء زمن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام واكتشف لهم علم النحو ووضع قواعده.وهكذا مثلاً فن الخط والتنقيط مضت قرون ولم يُكتشفا ولم تَعْرِفهما البشريه الى زمان أمير المؤمنين عليه السّلام كما يذكر ذلك حسن الصدر فى تأسيس الشيعه لعلوم الإسلام، وإنْ كان ذلك يجعل لصالح المكتشِف إلا أنّ أصل الالتفات إلى علوم اللغه والنحو والبيان والخط والتنقيط وغيرها هو من أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام.

أحدٌ أنَّ علمَ اللُّغَه مثلاً كُلّ ما قُرِّرَ فيه هُوَ كُلّ شيء وإنْ كَانَ عَلَى ضوء حقيقه بيانات أهل البيت عليهم السّلام يجب إعاده كتاب قواعد علم البيان والبلاغه – وغيرها وإنْ كَانَ علم الألسنيات لا يتقيّد بالثوابت والضوابط والمناهج والقواعد المُلتزم بها عَلَى ضوء منهاج أهل البيت عليهم السّلام.

إعاده كتابه قواعد علم البلاغه

عَلَى ضوء علم الألسنيات وتعدد القراءه:

لا زال الكثير مِنْ قواعد علم البلاغه لَمْ تكتشف أو اكتُشِف بعضها ولكن يجب إعاده كتابه قواعد علم البلاغه عَلَى ضوء القواعد الجديده الَّتِي اكتشفت وَالَّتِي ستكتشف مِنْ قبل الأجيال الآتيه فِي المستقبل، وَهَذَا دليل عَلَى عدم التسليم بكُلِّ ما قاله وكتبه عُلَمَاء أهل ذَلِكَ الفن مِنْ قواعد وضوابط، وأنَّ كُلّ ما توصلوا إليه قابل للمناقشه والنقد والتطوير شريطه أنْ يكون عَلَى طبق موازين وأدلّه.

فمثلاً: إعاده كتابه ما قُرِّرَ مِنْ قواعد فِي إراده المعنى الجدّى فِي علم البلاغه عَلَى ضوء القواعد والموازين القديمه مَعَ ما قُرِّر فِي بيانات أهل البيت عليهم السّلام وما بُرْهِن عَلَيْهِ فِي علم الألسنيات وتعدّد القراءات بأنَّ المُرَاد الجدّى لا يقف عِنْدَ حَدٍّ وباختلاف اللغات وإنْ كانت بلاغه اللغات الأُخْرَى عيالٌ عَلَى بلاغه اللُّغَه العربيه إنْ لَمْ نكن مبالغين فِي ذَلِكَ وإنْ كانت هَذِهِ العلوم قواعد تتخادم فيما بين بعضها البعض.

وَعَلَيْهِ فمنهاج أهل البيت عليهم السّلام النَّظَريَّه النسبيه ليست بمعنى التشكيك، وَإِنَّما النسبيه بمعنى أنَّ الحقيقه الواسعه قَدْ يقتنص الباحث والمُفسِّر المُلتفت والفَطِن مِنْهَا مراتب وتخفى عَلَيْهِ أُخْرَى.

هَـذَا مُضافاً إلى أنَّهُ قَدْ تكون أدلته الَّتِى اعتمد عَلَيْهَا ظنيّه فحينئذٍ يَكُون ما اقتنصه سرابٌ بقيعه يحسبه الظمآن ماءاً بخلاف ما إذَا كانت أدلتك يقينيه وحقائق ولكنّها بَعْض الحقيقه لا تمامها فإنَّها سوف تقتنص حقائق لها وجود ونسبيه لها مراتب وَهَـذِهِ النسبيه عِنْدَ أهل البيت عليهم السّلام تختلف عَنْ النسبيّه التشكيكيّه السفسطيّه عِنْدَ مدرسه الألسنيات الحديثه.

والخلاصه: إنَّ قاعده الجرى تفتح لنا نظام تعدّد قراءه النصّ المُستفاد مِنْ بيانات أهل البيت عليهم السّلام حسب منهج أمومه الولايه عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِى القُرآن، وتستكشف لنا عَنْ نظام بَلْ نظم فِى علوم اللُّغَه تتجاوز ما قَدْ أُنجز مِنْ قواعد سابقه شريطه أنْ يكون التقدُّم إلى الأمام وفق ضوابط تؤسِّس قواعِد تُبْنى، وأنَّ المُرَاد الجدّى لَيْسَ وحدانى وأنَّ المُرَاد التطبيقى مِنْ مداليل الكلام كُلَّهَا فِى علم اللُّغَه، وَهَذَا كُلَّهُ استفدناه مِنْ بيانات أهل البيت عليهم السّلام، والذى يبتعد عَنْ بيانات أهل البيت مِنْ المفسرين أو الفقهاء أو الباحثين يقع فِى الحرج أمام تفسير بَعْض الآيات كقوله تَعَالَى: (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ) (1).

١- (١) سوره الحج: الآيه ٢٩.

بتقريب: - إنَّ المُرَاد بهـا عِنْـدَ المفسِّرين معنى ومُراد عُلَمَـاء الكلاـم أو الفُقهـاء مِنْهَـا معنى آخر. فمثلاًـ فِى العقائـد يُراد مِنْ الآـيه المبـاركه(ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ) لقـاء الإمـام أمَّا فِى الفقه فَمالمُرَاد مِنْهَـا: - قصّ الأظافر أو حلق أو قصّ شـعر الرأس فيكون المُرَاد مِنْ الآـيه عِنْـدَ الفقهاء هُوَ التطهير البـدنى المُتمثِّل بحلق الرأس أو تقصـير شـعره أو قص أظافره أو... الـخ: أمَّا عُلَمَاء الكلام أو العقائد فيريـدون مِنْهَـا معنى آخر كـالتطهير الرُّوحى مثلاًـ المتمثِّل بالإيمـان بـأصول الإسـلام والمـذاهب مثلاً، فَمَنْ كانت نظريته ومساره العلمى يتوافق مَعَ مـدرسه الوحى - أىّ مـدرسه أهـل البيت عليهم السّـلام - فَإنَّهُ سوف لا يتفاجئ مَعَ هكـذا فروض، بخلاف مَنْ يبتعد مساره عَنْ مدرسه أهل البيت عليهم السّـلام فَإنَّهُ سوف يقع فِى مثل هكذا اندهاشات نتيجه فرضـهم قواعد مُسـبقه لا تصمد أمام البحث العلمى.

وهكذا ما اشـتهر بما يُسَـمَّى بعلم الألسـنيات أىّ علم قراءه النّص وتعدّد القراءه للنصّ الواحد الذى يُعْبَّر عنه بتعابير عديده مِنْهَا: - الهرمونطيقيـا وتشـعبت مِنْهُ علوم متعـدده، وعلم الألسـنيات: - علم قَدْ اكتشـفه الغرب قبـل قرن مِنْ الزمـان أو أكثر علماً أنَّ هَـذَا البحث موجود فِى بحوث علمائنـا الأـبرار قبـل قرون مِنْ الزمـان فِى علم الأـصول وعلم التفسـير و... وفى بيانات أهل البيت عليهم السّلام.

وحاصـل علم الألسـنيات: أى علم تعـدّد قراءه النص الواحـد هُـوَ أنَّ النص لَيْسَ المُرَاد الجـدّى فيه واحـد وَإنَّمـا يمكن أنْ تكون الحقيقه فيه

مستتره وراء الكلام ووراء المعانى هِىَ حقائق وليست حقيقه واحده، ونقولها وللأسف إلى الآن يوجد مِنْ المثقفين الإسلاميين فِى المذاهب الإسّلاميَّه الأُخْرَى مِنْ إخواننا أهل السُّنه مَنْ هُوَ مقتنع بما قاله الغرب غَيْر المؤمن برساله الإسلام وَالقُرآن وبالنبى صلّى الله عليه و آله وبأئمه أهل البيت عليهم السّلام علماً أنَّهُ يرد عَلَى ما طرحه الغرب ما يلى: -

أولاً: إنَّ الذى طرحه وَقَالَه الغرب بلا موازين وإنْ كَانَ فيه إيجابيات مُبَرهَنه لمدى جداره أهل البيت عليهم السّلام مِنْ النص الواحد يُقرا بقراءات مختلفه.

ثانياً: إنَّ تعدّد قراءه النَّص اللّدُنى موجود فِى بيانات أهل البيت عليهم السّلام قبل أكثر مِنْ (١۴) أربعه عشر قَرْناً. وَعَلَى ضوء علم الألسنيات وتعدّد فقراءه النَّص وحسب؛ لِأنَّ رحابه مداليل الكلام واسعه، وَبِهَذَا كشفنا ظلمه وبُهمه أنظمه اللُّغَه وعلومها وَلَمْ نقف مَعَ تلك الظلمه وَإنَّما لابُدَّ مِنْ إنارتها وإضائتها بنور العلم لِأنَّ العِلْمَ والبحث نورٌ يكشف لنا ظلمه هَذَا الطريق الموجود إذَا وقفنا حَيْثُ وصل الآخرون وَلَمْ ننجز شىء مكرر واكتشفنا بقاع جديده فِى العلم والحقائق لَمْ يكتشفها السابقون.

وبعباره أُخْرَى: إنَّ ما تطوّر إليه الذهن البشرى مِنْ تعدّد القراءه للنصوص والمتون أو فلسفه الألسنيات إجمالاً لهو خير شاهد عَلَى ما سبقت إليه مدرسه أهل البيت عليهم السّلام مِنْ تعدّد قراءه المتن والنصّ الواحد

الوحيـانى ومـا يُعْرَف بتعـدّد البطون حَتّى أشـتُهر لـدى المخـالفين الطعن عَلَى مـدرسه أهـل البيت بأنَّها باطنيه وما شابه ذَلِكَ مِنْ الأوصاف الـذى بات هَـذَا الطعن خيرُ برهان عَلَى الرقى العقلى السابق لهـذه المـدرسه وبـدرجه وحيانيه تميّزها دون بقيّه مدارس المسـلمين، وَمِنْ هَـذَا القبيـل مـا تظافرت جهود الإماميه بسـبب هَـذِهِ المـدرسه مِنْ تراكم وتكـدّس جهود طوال قرون فِى مباحث الألفـاظ وما يتّصل بها مِنْ مباحث الحجـج وَالَّتِى تصبّ فِى نظام طبقات الـدلاله وتعـدّد المـدلول بموازين وضوابط متقنه وإنْ لَمْ يمنع ذَلِـكَ مِنْ الاختلاـف فِى التفاصـيل والتطبيقات لكنه يُحكَّم فِى التحكيم بينها قواعـد وَمِنْ وراءها قواعـد أم أُخْرَى وثوابت، وإنَّ كثيراً مما توصـلت إليه بحوث الألسنيات لهو ابتدائيات فِى مباحث الألفاظ مِنْ علم الأصول المشيّد إنجازاته فِى مدرسه أهل البيت عليهم السّلام.

مُضافـاً إلى أنَّ بحوث الألسـنيات والهرمونطيقيـا وأنْ تضـمّنت نتائـج متينه وبرهانيه عَلَى سـداد منهـج مـدرسه أهل البيت فِى قرار النَّص الدِّينى إلَّا أنَّ الكثير مِنْ مسائل ونظريات الألسـنيات توظّف إلى الانفلات عَنْ الموازين والقواعد فِى قراءه النَّص والسـقوط فِى قريحه السـلائق الـذاتيه والشخصـيّه بعيـداً عَنْ الموضوعيّه والحيـاد العلمى، وَهَـذَا ما يُميّز الفكر الأصولى مِنْ علم أصول الفقه لدى الإماميه عَنْ مدارس الألسـنيات، لا سيّما وأنَّ الألسـنيات وظّفت كثيراً لدواعى السفسـطه التشـكيكيه الراميه إلى اللامسؤوليه واستباحه كُلّ محظور.

علم التأويل يزيل تشابه القُرآن

تَقَدَّمَ فِي البحوث السابقه أنَّ فتنهَ المُتشابه فِي آيات القُرآن وعلم التفسير لا تنقشع ولا تزول إلَّا بعلم التأويل بنص سوره آل عمران(وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (۱) وببيان أهل البيت عليهم السّلام وفق منهج أمومه ومحوريّه ولايه أهل البيت عليهم السّلام والمُحكمات فَإنَّ هَذِهِ المنهجيه هِيَ المهيمنه عَلَى ذَلِكَ، بَلْ وَحَتّى علم إشارات القُرآن فيه مساحات متشابهه هِيَ الأُخْرَى فيها فتقٌ ورتقٌ لا ينقشع إلَّا بأمومه الولايه عَلَى المُحكمات فِي القُرآن الكريم، وهكذا بالنسبه إلى علم لطائف القُرآن قَدْ يكون فيه متشابهات لا تزول إلَّا بأمومه الولايه وبمحكمات حقائق القرآن وَهِيَ عَلَى طبقات، وَهَذَا هُوَ معنى الأمومه، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ قاعد علم التأويل والتعبير والإشاره واللطائف و... الخ فِي القُرآن هِيَ قواعد مُتطابقه مَعَ قواعد علم التفسير إلَّا أنَّ المواد فِي التأويل أوسع أُفقاً ورحابهً وشفافيّه مِنْ علم التفسير، وَإلَّا فالموازين والقواعد فيهما هِيَ هِيَ فَإنَّهُ لا ينضبط باطن بلا ظاهر ولا العكس.

فَإنَّ هُنَاك شواهد عَلَى ذَلِكَ كَمَا فِي قول النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله المُسَلَّم بين

۱- (۱) سوره آل عمران: الآيه ۷.

الفريقين«إنَّ للقرآن بطن ولبطنه بطن إلى سبعين بطن...»(۱).

بتقريب: - إنَّ ذكر السبعين لَيْسَ للحصر وَإنَّما كنايه عَنْ الكثره، ثمَّ إذَا كَانَ علم التفسير هُوَ الكاشف عَنْ ظاهر قناع فتنه المتشابهات، فَلَيْسَ معناه إنَّ علم التفسير وظاهر القُرآن هُوَ كُلّ القُرآن، كلا وَإنَّما علم التفسير هُوَ أوَّل علوم القُرآن وأوَّل علم فِي كشف قناع الظاهر، وَعَلَيْهِ فلماذا لا نبالى ولا نكترث ببقيه علوم القُرآن؟

وماذا تعنى طبقات القُرآن؟

وخير شاهد ما قاله النَّبِيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله ورسم لنا خارطه نبويّه مهيمنه وشامله لجميع العلوم وَلَمْ تُركِّز عَلَى جانب دون آخر وَهُوَ قوله صلّى الله عليه و آله: «إنَّما العلم ثلاثه: آيه مُحكمه، أو فريضه عادله، أو سُنّهٌ قائمه، وما خلاهن فَهُوَ فضل».

بتقريب: - إنَّهُ صلّى الله عليه و آله أراد مِنْ الفريضه العادله هِيَ إشاره إلى فقه الفروع وقوانيها وَهِيَ وظائف الأبدان وَهُوَ الظاهر والسُنّه القائمه إشاره إلى تهذيب النفس والأخلاق ورياضتها وَهِيَ باطن وسط، والآيه المحكمه تعنى العقيده والعقائد الَّتِى يُعتقد فيها فِى القلوب والعقول، وهكذا كنايه عَنْ الباطن الخفى.

وَهُنَاكَ تساؤل: إنَّهُ لماذا الرسول الأكرم صلّى الله عليه و آله شبَّكَ بين المراحل

۱- (۱) الكافى: ج ۱:۳۲؛ سنن أبى داوود: ج ۲:۳.

الثلاث؟

الجواب: - ذكر بَعْض المُحقّقين إلى أنَّ قول النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله هَـذَا إشاره إلى وجود ترابط بين الأصعده الثلاث، ولا يمكن أنْ يكون هُنَاك ظاهر وظائف الأبدان بلا باطن وسط وَهُوَ وظائف النفوس الذى هُوَ فقه الفنوس، ولا يمكن أنْ يكون هُنَاك باطن وسط بلا ظاهر وظائف الأبدان كَمَا انحرف وللأسف بَعْض الصوفيه، بَلْ وَحَتّى بَعْض العُرفاء وَبَعْض الخطابيّ صلّى الله عليه و آله وتركوا الصَّلاه وأنكر عليهم الإمام الصادق عليه السّلام وبيَّن لهم عليه السّلام(وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ(٩٩) (١) وَالمُرَاد مِنْ اليقين هُوَ الموت، وأنَّ وظائف الظاهر تلازم الباطن، ولا باطن وسط ولا ظاهر إلَّا بباطن أعمق وَهُوَ العقول وهكذا.

١- (١) سوره الحجر: الآيه ٩٩.

للمناهج التفسيريه الأخرى

لَعَلَّ بَعْض المدارس الإسْلاميَّه وَمِنْهَا الصوفيّه الَّتِي ظنّت أنَّ مثل علم التأويل أو علم التعبير أو علم الإشارات فِي القُرآن أنها علوم مزاجيّه وَمِنْ باب فوضى الاحتمالات و... الخ وإنْ كُنّا نعترف بأن الكثير صحيح أنهم مارسوا لهذا النمط، ولكن هَذَا شيء لَمْ يضبط فِي الواقع تلك العلوم بما هُوَ موجود عِنْدَ أهل البيت عليهم السّلام وأبدت تلك المدارس تقييماتها وممارساتها الهلوسيّه بابتعادهم عَنْ مدرسه الوحي وأئمه أهل البيت عليهم السّلام، ولذا وقعوا بما وقعوا فيه وكتبوا الأفول والفشل عَلَى مدارسهم ومناهجهم الَّتِي أصبحت عاجزه وَغَيْر قادره عَلَى الوقوف أمام مدرسه أهل البيت عليهم السّلام؛ ولذا وقعوا بما وقعوا فيه وكتبوا الأفول والفشل عَلَى مدارسهم ومناهجهم الَّتِي أصبحت عاجزه وَغَيْر قادره عَلَى الوقوف أمام مدرسه أهل البيت عليهم السّلام عَلَى كُلّ المستويات لِأَنَّ مدرسه أهل البيت عليهم السّلام تناغم نُخب العقول مِنْ البشر عَلَى مَرَّ العصور فَكُلّ مَنْ ادّعى أَنَّهُ يمثل الإسلام أو مدرسه إسْلاميّه أو فكر معين يُحْسَب عَلَى الإسلام عَلَى كافه الأصعده وَهُوَ مُبتعد عَنْ خط ومنهج مدرسه

الوحی فَهُوَ لَمْ یُصِب الحَقَّ وکتب عَلَی نفسه الفشل؛ لِأَنَّ هکذا ادّعاء ضخم وخوض هکذا علوم ومناهج تفسیریه بالحقیقه تعجز عقول البشر عَنْ الخوض فیها ما لَمْ تُسَدِدْ وتطلبْ العون مِنْ الله تَعَالَی واتّباع مدرسه أهل البیت علیهم السّلام لِأَنَّ تلک المدارس غَیْر مدرسه أهل البیت علیهم السّلام قدراتها محدوده ولأَنَّها عقول بشر تمنهج وتحلل وفق إطار منحصر ضیّق وینفذ ما عندها ولا یوجد مَنْ یمدّها بخلاف مدرسه أهل البیت علیهم السّلام فإنَّها مُتّصله بالوحی وَهُوَ المُمدد لها مِنْ الله تَعَالَی، ولذا ذکرنا أَنَّ جمیع علوم القُرآن وخاصّه علوم التأویل والحقائق و... الخ لیست باستطاعه البشر لوحده وبمعزل عَنْ مدرسه الوحی أَنْ یصل إلی نتائج طیّبه وعملیّه ویرتّب عَلَیْهَا الأثر کلا أَنَّهُ لا یمکن ذَلِکَ.

فمثلاً التفسیر المأثور عَنْ أهل البیت علیهم السّلام یشتمل عَلَی علوم جمَّه وَلَیْسَ فَقَطْ یشتمل عَلَی علم التفسیر، بَلْ یتعدّاه إلی غیره مِنْ العلوم أمثال التأویل واللطائف والإشاری و... الخ أَمَّا أَنَّهُ کیف یشتمل علم التأویل علی علم تفسیر.

وَذَلِکَ لو لاحظنا جمله مِنْ الروایات عِنْدَ أهل البیت علیهم السّلام فیها جمله معالجات، مِنْهَا: - تُعالج الترکیب النحوی فِی الآیه، کَمَا فِی تفسیر آیه الوضوء وما هُوَ الصحیح وَالمُنَاسِب لها مِنْ القواعد النحویه مثلاً(وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِکُمْ وَ أَرْجُلَکُمْ) (۱) بأَنَّ الواو عاطفه وکلمه(أرجلکم) هل هِیَ معطوفه

۱- (۱) سوره المائده: الآیه ۶.

عَلَى لفظ الجار والمجرور وَلَهُ معنى، أم معطوفه عَلَى محل الجار والمجرور أىّ بالمعنى، ولها معنى آخر وهكذا.

وَمِنْهَا: تعالج التركيب الصوتى كَمَا فِى قوله تَعَالَى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ...) (۱) وفى روايه تفسيرها خير أُمَّه. وَمِنْهَا تُعالج: - لغات الآيه، كَمَا فِى الآيه(وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً) (۲)بتقريب: - الإمام عليه السّلام يقول واجعل لنا مِنْ المتقين إماماً، وكذا قوله: (لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) (۳). وَقَالَ الإمام كيف يحفظ مِنْ إمام... هل أنتم عرب و... الخ.

وهكذا روايات أهل البيت عليهم السّلام الذى هُوَ التفسير المأثور تُعالج وتبيّين علم تفسير أسباب النزول، وتفسير علم التأويل واللطائف والإشارات وعلم تعبير القُرآن الذى يستعرضه القُرآن وكأنَّه مسرح مشاهَد حسّى يُراد به الوصول إلى الحقيقه الأكبر(لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ لِأُولِى الْأَلْبابِ) (۴) أو فِى بَعْض الموارد تعبيرات القُرآن أشبه ما تكون بالصوره المرسومه لكى تحتاج إلى تعبير(يا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً) (۵) و(ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى) (۶)

۱- (۱) سوره الفرقان: الآيه ۷۴، مراجعه تفسير البرهان.

۲- (۲) سورقه الفرقان: الآيه ۷۴.

۳- (۳) سوره الرعد: الآيه ۱۱.

۴- (۴) سوره يوسف: الآيه ۱۱۱.

۵- (۵) سوره يوسف: الآيه ۴.

۶- (۶) سوره يوس: الآيه ۱۱۱.

وَعَلَيْهِ فالقُرآن وإنْ كَانَ أكثر المُفسرين لَمْ يخوضوا به باعتبارهم غَيْر معصومين وعلم التعبير يحتاج إلى قدره ومدد لَدنى مِنْ الله تَعَالَى وبمعونه أهل البيت عليهم السّلام؛ لِأَنَّ القُرآن نفسه يُنادى كَمَا أنَّ لى علم تأويل(وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ) (۱).

كَذَلِكَ يُنادى القُرآن إنَّهُ لى علم تعبير ولكن يحتاج إلى مُعَبِّر إلهى، كَمَا فِى سوره يوسف عليه السّلام: (لَقَدْ كانَ فِى يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسّائِلِينَ(۷) (۲) فَإِنَّ فِى قصصهم عبره فَإِنَّ قصه يوسف وأخوته آيات للسائلين فالسؤال هُوَ أنَّ أىَّ سائل فِى الآيه الكريمه هُوَ آيه للسائلين أم ماذا؟

لو نظرنا إلى كلمه[للسائلين] لوجدناها جمع سائل، والألف واللام للتعريف أولاً، وتفيد الجنس، ثانياً، فحينئذٍ يحصل استغراق والمعنى هُوَ أنَّ أىّ سؤال تريد جوابه تستطيع أنْ تجده فِى سوره يوسف عليه السّلام ولكن مَنْ يستطيع وَلَهُ القدره أنْ يستخرج كُلّ أجوبه البشريه عَلَى مَرَّ الدهور مِنْ سوره يوسف عليه السّلام.

وَهُنَاك روايه مضمونها: أنَّ أبا حمزه الثمالى كَانَ يتردّد عَلَى الإمام زين العابدين عليه السّلام لأيام طويله والإمام عليه السّلام يُبيِّن لَهُ لطائف وإشارات فِى سوره يوسف، وإنْ كَانَ مِنْ الواضح إنَّهُ لا يستطيع أحدٌ أنْ يستخرج كُلّ هَذِهِ الكنوز إلَّا الإمام عليه السّلام والراسخون فِى العلم ولا أقل نَحْنُ نتعلَّم

۱- (۱) سوره آل عمران: الآيه ۷.

۲- (۲) سوره يوسف: الآيه ۷.

مِنْهُم، ونطلب العون مِنْ الله تَعَالَى أنْ يوفقنا للنهل مِنْ نميرهم عليهم السّلام ومواصله الدرب تحت هدايتهم عليهم السّلام كُلّ بمقداره ووسعِه وليست مختصّه بالسائلين فِي زمان يوسف عليه السّلام أو زمان النَّبِيّ الأكرم الخاتم صلّى الله عليه و آله كلا بَلْ هِيَ آيات، للسائلين إلى يَوْم القيامه، هَذَا هُوَ مُدّعى القُرآن وَهُوَ كتاب حَقٍّ، الذى فيه تبيان لِكُلِّ شىء، وعلم الله تَعَالَى بكُلِّ مخلوقاته وَمِنْهَا البشر فَإنَّهُ تَعَالَى أحصاهم إحصائيه إلهيه دقيقه لِكُلِّ حالات البشر وظواهره البشريّه، فَالقُرآن لِكُلِّ البشريه ولأجل هدايتها يبين هَذَا(لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ) (۱) و(إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (۲).

والخلاصه: - إنَّ التفسير بالمأثور فِي روايات أهل البيت عليهم السّلام لا يختصّ بعلم التفسير فَقَطْ، بَلْ يشتمل عَلَى علم التأويل بَلْ وعلم التعبير وعلم ترجمان القُرآن وعلم لطائف القُرآن وعلم إشارات القُرآن و... الخ وَعَلَيْهِ فالتفسير بالمأثور فِي روايات أهل البيت عليهم السّلام الذى هُوَ ثِقْل وعِدْل ثانى للقُرآن قَدْ اشتمل عَلَى علوم طبقاتيّه للقُرآن وليست علوم عَرْض واحد.

وَمِنْ الواضح أنَّ العلوم فِي المناهج التفسيريه للقُرآن الكريم دائماً ترسم لنا علوم القُرآن إمَّا بشكل عَرْضى أو طولى مُتقارب، فالعلوم الَّتِي

۱- (۱) سوره يوسف: الآيه ۱۱۱.

۲- (۲) سوره النحل: الآيه ۶۷.

هِيَ بَعْرضٍ واحد تقريباً أو مُتقاربه وإنْ كَانَ بعضها يخدم بعضها مثل علم أسباب النزول وعلم إعراب القُرآن وعلم الجهات الصرفيه فِي القُرآن، وعلم لغات غريب القُرآن، وعلم تاريخ تدوين القُرآن، وعلم آيات الأحكام فِي القُرآن و... الخ.

وَهُنَاك علوم طوليّه - أيّ العلوم الَّتِي لها طبقات ودرجات هِيَ موجوده فِي كلمات جمله مِنْ أعلام المفسرين مِنْ العامّه والخاصّه أمثال ملا صدرا والفيض الكاشانى وَالسَّيِّد العلّامه الطباطبائى قدّس سرّه مِنْ الخاصّه. وَمُحمَّد رشيد رضا صاحب تفسير المنار مِنْ العامّه وغيرهم - مثل علم التأويل وعلم التعبير أيّ تعبير القُرآن بالقُرآن وعلم ترجمان القُرآن، وعلم لطائف القُرآن وإشارات القُرآن و... الخ فَإنَّ هَذِهِ التفاسير بعضها لَهُ الهيمنه عَلَى البعض الآخر، ولكنَّ المفسرين وللأسف لا يخوضون فِي ذَلِكَ وإنَّما بعضهم يشير إلى ذَلِكَ إشاره مقتضبه، وسبب ذَلِكَ هُوَ أنَّ تلك المناهج - عدا منهج أمومه الولايه عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن - تُناسب علم التفسير، وَهِيَ بالواقع بابٌ أو فصلٌ مِنْ فصول علم التفسير ولا تشمل كُلّ علم التفسير، وَهَذَا بخلاف منهجنا المختار فِي التفسير منهج أمومه الولايه عَلَى المُحكمات الذى يريد أنْ يُبيِّن أنَّ هُنَاك طريقان لرفع المتشابه وَهُمَا: -

الطريق الأوَّل: المُحكمات.

الطريق الثَّانِي: علم التأويل وما يعلم تأويله إلَّا الله والراسخون فِي العلم.

أمومه التأويل

اشاره

تبيِّن مِنْ خلال ما تَقَدَّمَ أنَّ هُنَاك أمومه ثانيه غَيْر أمومه الولايه والمُحكمات الَّتِى عَبَّر عنها القُرآن الكريم أمومه الراسخون فِى العلم وَهِىَ أمومه علم التأويل فِى القُرآن، (وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ) (۱) بَلْ هُنَاك أمومه الَّذِيْنَ أُوتوا العلم وأمومه اللطائف والإشارات وترجمان القُرآن وسَنُبيِّن كُلّ ذَلِكَ مُفصلاً مِنْ محله المُنَاسِب إنْ شاء الله تَعَالَى.

فَإنَّ كُلّ هَذِهِ العلوم وطبقاتها الطوليّه وهيمنه بعضها عَلَى البعض الآخر يبيّنها القُرآن الكريم فِى منهج أمومه الولايه عَلَى المُحكمات الذى به إداره المناهج الأُخْرَى الَّتِى اعتمدها أعلامُ المُفسرين مِنْ الخاصّه والعامّه أمثال الشَّيْخ الطبرسى فِى مجمع البيان، والطوسى فِى تبيانه والفيض الكاشانى والزركشى و... الخ فَإنَّ تلك المناهج لا ننكر جدوائيتها وفائدتها إلَّا أنَّ الناظم لانتظامها ونظمها هُوَ منهج أمومه الولايه والمُحكمات الذى هُوَ قطب رحى التفسير.

وَعَلَيْهِ فبيان طبقات علوم التفسير للقُرآن هِىَ مِنْ قسم علم ظاهر التفسير والتنزيل وعلم التأويل والتعبير والترجمان واللطائف والإشاره وحقائق

۱- (۱) سوره آل عمران: الآيه ۷.

القُرآن كُلَّهَا موجوده فِى التفسير المأثور لأهل البيت عليهم السّلام الَّذِيْنَ بيّنوا فيه العلوم الطبقاتيه فضلاً عَنْ العلوم العَرْضيّه، ولذا نلاحظ أنَّ الكثير مِنْ المفسرين والباحثين لا يخوض بَلْ ولا يتعرّض للتفسير المأثور بسبب أنَّهُ إذَا تعرّض أو خاض ذَلِكَ المضمار سوف يتعرّض ويواجه انفجار معلوماتى غَيْر طبيعى، ولا يعرف كيف ينظم بين تلك المعلومات؛ لِأنَّ روايات أهل البيت عليهم السّلام تُبيِّن قواعد وعلوم متعدده للقُرآن ولا تقتصر عَلَى بيان علم التفسير فَقَطْ بالتنزيل، وَمِنْ هَذَا تتّضح المسافه الكبيره بين تفسير المأثور والتفاسير الأُخْرَى حَتّى فِى تسميه الكتاب أو المنهج كَمَا فِى تسميه تفسير البرهان والأولى بَلْ الأصح أنَّ يُسَمَّى كتاب البرهان فِى علوم القُرآن، أو تفسير نور الثقلين أو تفسير على بن إبراهيم القمى أو تفسير فرات الكوفى أو... الخ فَهَذِهِ التفاسير لا يُبيَّن فيها فَقَطْ تفسير القُرآن، بَلْ يبيَّن فيها علوم القُرآن، فَإنَّ الإمام عليه السّلام يُبيِّن فِى روايه حقائق القُرآن تكوينيه للقُرآن فحينئذٍ يرتبك أمر الباحث والمفسِّر إنْ علم الحقائق أىّ صله وما هُوَ نوع الصله بعلم التفسير: - هُنَاك علوم متعدّده للقرآن بينها الروايه الواحده وَعَلَيْهِ فَهَذَا نوع مِنْ البرمجه العلميّه لمعنى التفسير بالمأثور والذى هُوَ بالتالى تمسك بالثقلين فِى تفسير القُرآن فِى علوم القُرآن.

الأمر الثَّالِث: ثمره قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير.

الثمره المترتبه عَلَى هَذِهِ القاعده عَلَى نمطين: -

النمط الأوَّل: ثمره عامّه.

النمط الثَّانِى: ثمره خاصّه.

النمط الأوَّل: ثمره عامّه:

إنَّ لقاعده الجرى والتطبيق ثمره عامه وهامّه تؤرب وتؤول إلى تفعيل حجّيه القُرآن، وأنَّ مرجعيه القُرآن مفعّله دائماً وَأنَّهُ - القُرآن - مصدر ومنبع دائماً يُعْرَف مِنْهُ وَلَيْسَ مُعطلاً أبداً - والعياذ بالله - بَلْ بحسب بيانات أهل البيت عليهم السّلام المُتقدِّمه أنَّ كُلّ آيات القُرآن مُفَعَّلَه وحجّيتها حَيَّه وَلَيْسَ فِى القُرآن آيه مُجَمَّدَه - والعياذ بالله - وَإنَّما كُلّ آيه مُفعَّله وحيَّه.

ومما ينبغى لالتفات إليه هُوَ أنَّ حيويّه آيات القُرآن الكريم ليست فوضى ودعوى وَإنَّما لها مواقع مِنْ الأحداث البشريه وبيئات البشر، فَإنَّ مواضع وموارد إنفاذ أو تطبيق الآيات يختلف باختلاف موارد الآيات وموضوعها ومناسبتها وسبب نزولها و... الخ فَلَيْسَ هُنَاك تشابك فوضوى فِى التطبيق، كلا- وَإنَّما هُنَاك نظم، ولا- يُقَال: - إنَّ مورد العمل بكُلِّ آيه آيه إذَا فُرض أنَّهُ طُبِّقَ وَكَانَ لَهُ موردٌ إنَّهُ قَدْ مضى وتحقق، وَإنَّما تطبيقها تطبيقٌ منوالى متعدّد أىّ حصل لِكُلِّ آيه آيه مِنْ القُرآن الكريم انطباق وتطبيق وجرى عَلَى مواقع أُخْرَى فِى المستقبل، ولذا يتوهّم ويَخْطئ مَنْ يظن أنَّ تفسير أهل البيت عليهم السّلام للآيات القُرآنيه بالمأثور الصادر عَنْ أهل البيت هُوَ خاص فيمن مضى مِنْ أئمه أهل البيت عليهم السّلام أو مِنْ أعدائهم ولا تصلح لِأنَّ يتمسّك بها لما سيأتى.

وَهَـذَا الاعتراض لَعَلَّهُ وللأسف يتوهّمه حَتّى بَعْض مفسرى الخاصّه فضـلاً عَنْ مفسرى العامّه بـدعوى أنَّ الأخذ بالتفسـير المأثور للقُرآن عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السّـلام هُوَ لازم للجمود أو لازم للتَقَيُّد والأخذ بتلك الروايات فِى التفسـير وَهَذَا يستلزم تعطيل جمله مِنْ الآيات والحال أنَّ القُرآن حجّيته حجّيّه مفعَّله وحيّه لا تموت.

مـدفوعه: كيف وأنَّ الأئمه عليهم السّـلام هُمْ المؤسـسون لهـذه القاعده - قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير - والمشـيِّدون لمفهوم كُـلّ آيه آيه وأنَّ لهـا أسـاس عظيم فِى مفهـوم حجّيّه وحيـاه القُرآن، وَهُمْ عليهم السّـلام المُفَعِّلـون للقُرآن الكريم، وَعَلَيْهِ فكيف يكـون مجمـوع هَـذَا الـتراث المروى عنهـم عليهـم السّـلام فِى تفسـير القُرآن يـؤدِّى إلى هَـذِهِ النـتيجه البسـيطه والفهم السـطحى والمتساهل مِنْ المُرَاد الحقيقى لآيات القُرآن.

ولذا وللأسف ذهب جمله مِنْ مُفسـرى الخاصّه فضلاً عَنْ مفسرى جمهور عامّه المذاهب الإسّلاميَّه الأُخْرَى إلى تفسير آخر مغاير لمـا هُوَ عَلَيْهِ حقيقه قاعـده الجرى والتطـبيق أو التعبير تحت ذريعه وسـبب أنَّهُ لابُـدَّ أنْ نجعـل مِنْ معنى قاعـده الجرى والتطبيق أو التعبير، أنَّ لآيات القُرآن الكريم معانٍ كُليّه - وَهَذَا لا اعتراض لنا عَلَيْهِ - وَإنَّما ما وَرَدَ فِى التفسير المأثور عَنْ الأئمه عليهم السّلام لَيْسَ إلَّا تمثيـل لنموذج تطبيقات لا دخاله لَهُ فِى معنى الآيه ولا يسـتند إلى هَـذَا التفسـير المأثور لِإنَّهُ نموذج تطبيقى لا ارتباط ولا صله لَهُ بالمعنى الكُلّى للآيه، وَهَذَا معناه أنَّ ما وَرَدَ فِى التفسـير المأثور لآيات القُرآن الكريم عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السّلام لا يمكن الالتزام

به لِإِنَّهُ لَيْسَ وارداً فِي تفسير صميم معنى الآيه وَإِنَّما هُوَ هامش تطبيقى، وَعَلَيْهِ فيقع التفسير بالمأثور فِي هامش التفسير، ويُؤيِّد ذَلِكَ ما يفعله بَعْض المفسرين حَتّى مِنْ الخاصّه بجعل التفسير بالمأثور أىّ الروايات الوارده فِي تفسير آيه فِي ذيل التفسير مِنْ باب أنَّهُ كنموذج تطبيقى.

وبعباره أنَّ هَذَا المنهج يُتنبه فيه إلى أنَّ التراث المأثور فِي ذيل الآيات لَيْسَ مِنْ قبيل تفسير موارد النزول كتطبيقات مصداقيّه بَلْ يلتفت إلى أنَّهُ عِدْلٌ للقُرآن فِي كُلّ طبقاته وجريه وحيويته لِكُلِّ زمان ومكان وأنَّ هَذَا التراث نظاماً ومنظومه منهج للتفسير والتأويل، مضافاً إلى بحور مِنْ موارد معلومات مفردات ألفاظ الآيات.

النمط الثَّانِي: الثمره الخاصّه

لقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير:

أحد أهم الثمرات الخاصّه العديده لقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير، وَعَلَى كلا النظريّتين فِي القاعده نظريه السَّيِّد العلّامه وَالنَظَريَّه الثَّانيه المختاره حسب منهج أمومه الولايه عَلَى المحكمات وَهِيَ مختارنا.

الثمره الأولى: تحديد علم التأويل فِي القرآن عَنْ تفسيره:

حسب مختار السَّيِّد العلّامه قدّس سرّه وَمَنْ تبعه وَهُوَ النَّظَريَّه الأولى فِي قاعده الجرى المُتقدِّمه إنَّ هَذِهِ القاعده تعكس بظلالها عَلَى تحديد علم التأويل - تأويل القُرآن - عَنْ علم التفسير - تفسير القُرآن - عَلَى أنَّ هَذَا القول يَتِمُّ

بناءاً عَلَى نظام التفسير وافتراقه عَنْ نظام التأويل.

فَإِنَّ هُنَاك تفسير للقُرْآن الكريم وَهُنَاك تأويل، والتأويل علم مِنْ علوم القُرآن الَّتِى لَيْسَ مِنْ السهل امتطاؤه، وَلَيْسَ مِنْ السهل أنْ يلج فيه كُلّ والج وعزيز المنال عَلَى الكثير فَإِنَّ علم التأويل - تأويل القُرآن - مِنْ العلوم الصعبه والخطيره وَهُوَ يغاير علم تفسير القُرآن، فَإِنَّ كثيراً مِنْ المفسرين وللأسف حَتّى السَّيِّد العلّأمه قدّس سرّه لَمْ يخض بكُلِّ لباب هَذَا البحر الخطير أىّ باب علم تأويل القُرآن.

لا يكترثون بعلم تأويل القُرآن، والمفسرون فِى هَذَا الباب قليلون بَلْ نادر ما يقول منهم بذلك، والحال إنَّ أحد ميادين تفعيل التمسّك بالقُرآن هُوَ الوقوف عَلَى تأويل القُرآن إلَّا أنَّهُ وللأسف لا يخوض به الكثير مِنْ جمهور مفسرى الأُمَّه الإسّلاميَّه وغيرهم ولا يعبأون به وكأنَّهم غَيْر مسؤولين عَنْ التدين والتمسك به، والحال أنَّهُ كَمَا أنَّ علم تفسير القُرآن خطير كَذَلِكَ علم تأويل القُرآن خطيرٌ، وَنَحْنُ مسؤولون عَنْ العمل به بمقدار ما يتّضح لنا مِنْهُ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّهُ ببركه قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهجنا التفسيرى المختار أمومه الولايه عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات أنَّ الصحيح هُوَ: - إنَّ علم التأويل هُوَ المُهيمن عَلَى التفسير ولا يعنى هَذَا إنكار كون علم التفسير هُوَ العلم الأوَّل وبالمرحله الأولى الذى يقتدر الإنسان عَلَيْهَا وَمِنْ ثَمَّ بتوسِّط علم التفسير يصل الإنسان إلى علم التأويل، وبعباره: المصطلح العلمى إنَّهُ

مِنْ جهه الإثبـات أنَّ علم التفسـير متقـدِّم إثباتاً وتعلّماً عَلَى علم التأويل وإنْ كَانَ علم التأويل هُوَ المهيمن مِنْ الجهه الثبوتيه وَعَلَيْهِ فالبنـاء عَلَى كون علم التأويل مهيمن ومسيطر عَلَى علم التفسير فَإنَّ مثل هَـذَا لا يتنافى مَعَ ضـروره علم التفسـير وإنْ كَانَ ابتـداءاً تعليم الإنسانيه لعلم القُرآن الكريم هُوَ عَنْ طريق علم التفسير ولكن مَعَ ذَلِكَ يبقى علم التأويل هُوَ المهيمن ولا تنافى فِى ذَلِكَ.

مُضافاً إلى أنَّ المُفَسِّر حينما يُحيط خُبْراً بعلم التفسـير فَإنَّهُ سوف يلاحظ مـدى وكثره تأثير التأويل عَلَى علم التفسـير وَعَلَى منهجنا المختار فِى تفسـير القُرآن وَهُوَ امومه الولايه عَلَى المُحكمات فضـلاً عَنْ المتشابهات فِى القُرآن، فسوف يتبيَّن أنَّ علم التأويل هُوَ المُحْكَم بالقياس إلى علم التفسـير، وأنَّ علم التفسـير هُوَ المُتشابه بالنسبه إلى علم التأويل ولا نريد أنْ نقول: - إنَّ علم التفسير مِنْ المتشـابه إذَنْ هُوَ لَيْسَ بحجّه كلاـ وَإنَّمـا علم التفسـير بلحـاظ مـا دونه حُجَّه، ولكن بلحـاظ مـا فوقه والمهيمن عَلَيْهِ وَهُوَ التـأويل محجوج بحجّه فوقه وَهُوَ التاويل الذى هُوَ اشدّ إحكاماً.

علم التأويل قطب تدور عليه قطب رحى علم تفسير القران

قطب رحى علم تفسير القُرآن:

وإنْ كُنّـا نسـتطيع أنْ نقـول إنَّ علم تأويـل القُرآن علم اختصّ به أئمه أهـل الـبيت عليهم السّـلام مِنْ الأُـمَّه الإسّـلاميَّه، وأنَّ أكـثر فيوضاتهم عليهم السّلام العلميّه هِىَ فِى علم تأويل القُرآن وخاضوه عليهم السّلام بكُلِّ سِعه ورحابه أفق

واسع واسترسال عميد عكس الآخرين الَّذِيْنَ حاولوا الخوض فيه ولو بشكل بسيط إلَّا أنَّهُ بتلكئ وقصور وعجز، مَعَ أنَّ علم التأويل أمرٌ بالغ الأهميّه، ويشكل الآن أحد مشاكل المسار الفكرى للأُمَّه الإسّلاميَّه تّجاه هَذَا المصدر العظيم وَهُوَ القُرآن الكريم، وللأسف عُلَمَاء المسلمين حبسوا فكر وعقل وثقافه الأُمَّه الإسّلاميَّه عَلَى علم تنزيل القُرآن فِى تفسير القُرآن فَقَطْ، وَهَذَا طامّه ومعناها تعطيل وتجميد لطبقات مِنْ القُرآن الكريم، وما ذاك إلَّا بسبب الابتعاد عَنْ مسار أئمه أهل البيت عليهم السّلام وَهَذَا الابتعاد هُوَ سبب هَذِهِ الأزمه، وكأنَّما فهموا مِنْ أنَّ الَّذى يقتحم الفكر الإسلامى يجب أنْ يحبس نفسه فَقَطْ فِى التفسير ويتجنّب علم التأويل، وَهَذَا يؤدِّى باللاشعور سوءا قَصَد المُفَسِّر ذَلِكَ أوَّلاً إلى تعطيل الكتاب فِى علم التأويل، وَهُوَ مِنْ أحد أكبر المحاذير بأنْ نجعل الكتاب مُعطّلاً وَهُوَ مِنْ مذهب المُعَطِّلَه، إلَّا أنَّهُ بنفس الوقت هُنَاك جمله مِنْ أعلام المفسرين أمثال سيد هاشم البحرانى أو ملا شريف الفتونى أو الحويزى فِى نور الثقلين أو القمى أو... الخ.

لَمْ يأبهوا بِهَذَا الضجيج لومه لائم وخاضوا فِى علم التأويل بحسب ما يمتلكون مِنْ قدرات - جزاهم الله خيراً - والمهم أنَّهم خاضوا فِى ميدان تأويل القُرآن الكريم، لِأنَّ تعطيل علم التأويل فِى القُرآن وعدم الخوض به نوع مِنْ تجميد القُرآن وبالتالى يُلْزِم محذورٌ يُشكِّل خطراً كبيراً وَهُوَ عدم تفعيل حجّيه القُرآن وتعطيلها.

ثمَّ إنَّ اهتمام المفسرين للقُرآن فَقَطْ فِى جانب علم التفسير وأنَّ علم التفسير هُوَ أحد معانى القُرآن، إلَّا أنَّهُ نقول لهم: - وَمَنْ قَالَ إحياء القُرآن هُوَ فَقَطْ بتشييد جانب علم التفسير؟ فَإنَّ هَذَا أوَّل الكلام.

إذَنْ علم التأويل لَهُ موازينه وقواعده وضوابطه الخاصّه قَبِلَها مِنْ قَبِل ورفضها مَنْ رفض.

وَكَمَا أنَّ القُرآن الكريم يُنادى بتنزيل الكتاب وتفسيره كَذَلِكَ يُنادى بتأويل القُرآن.

التفسير والتأويل جناحان فى القرآن الكريم:

أولاً: مِنْ خلال الأبحاث السابقه تبيَّن أنَّ التفسير والتأويل هُمَا جناحان فِى القُرآن وَلَيْسَ مِنْ الصحيح أنْ تُفَعِّلَ أحدهما دون الآخر بأنْ تأخذ بجناح وتترك الآخر، وما يعلم تأويله إلَّا الله والراسخون فِى العلم؛ لِأنَّ الأخذ بأحد الجناحين دون الآخر يلزم مِنْهُ عِدَّه محاذير وفى غايه الخطوره وأحدها وأخطرها هُوَ محذور تعطيل حُجّيّه الكتاب فِى جانب تأويل القُرآن، وَهَذَا باطل.

وثانياً: مُضافاً إلى ذَلِكَ يلزم مِنْ ترك تفعيل حُجّيه القُرآن فِى جانب التأويل لمحذور آخر فضلاً عَنْ حبس تجويد القُرآن التركيز فَقَطْ وَفَقَطْ عَلَى مسابقات حفظ أصوات القُرآن، وأمَّا مسابقات حفظ معانى القُرآن ومسابقات حفظ علم تأويل القُرآن فيدّعون دعوى باطله وَهِىَ:

- إنَّ هَذَا غَيْر منهجى.

ولكن يمكن أنْ يُقَال لهؤلاء: - إنَّ القُرآن الكريم لَيْسَ هُوَ فَقَطْ أصوات حَتّى إنَّكم جعلتم لها منهاجاً ومسابقات وإنْ كُنّا لا ننكر هَـذِهِ المرتبه المُهِمَّه والعظيمه فِى القُرآن وَهِىَ حفظ أصوات ألفاظ مفردات الآيات والسور للقُرآن، إلَّا أنَّهُ بنفس الوقت لا يمكن حبس القُرآن الكريم بها فَقَطْ وَفَقَطْ.

إذَنْ القُرآن الكريم لَيْسَ تلاوه أصوات وألفاظ وَإنَّما هُنَاك فِى القُرآن تلاوه معانى.

وثالثاً: تدرك عياناً لحقائق القُرآن فَإنَّ هَذِهِ مرتبه وراء المعانى، ووراء طبقات التأويل، وسيأتى البحث فِى نظام حقائق القُرآن فِى محاوِر عديده، وَلَهُ ضوابط وموازين أعقد وأصعب مِنْ صعوبه وإبهام ضوابط التأويل رغم ما للتأويل مِنْ غموض وصعوبه عَلَى كثير مِنْ أهل التفسير، وَهَـذَا يساهم فِى إحيائه المأثور مِنْ الحديث فِى ذيل الآيات، وَهَـذِهِ مِنْ الفوائد البالغه الخطوره للتراث المأثور فِى ذيل الآيات.

تلاوه المعانى أهم من تلاوه الألفاظ فى القرآن الكريم

مِنْ الواضح لأهل البصيره أنَّ القُرآن الكريم لَيْسَ تلاوه أصوات وألفاظ، وَإنَّما هُنَاك فِى القُرآن تلاوه معانى وحقائق، وَعَلَيْهِ فبقدر ما لتنزيل الكتاب مِنْ قدسيّه فلتأويل القُرآن كَذَلِكَ قداسه، وقداسه التأويل بحسب بيان القُرآن أعظم مِنْ قداسه التنزيل وقداسه الأقدس لا توجب لنا التفريط بقداسه المقدّس، وبنفس الوقت الحفاظ عَلَى المقدّس لا يدعونا أنْ نستخف أو نستهين بما هُوَ أقدس، وَعَلَيْهِ فتجب الموازنه فِى البين بينهما لا أنَّهُ نترك الأقدس، وَهُوَ التأويل ونهتم بالتنزيل فَقَطْ، علماً أنَّ القُرآن الكريم يُؤكِّد عَلَى أنَّ التأويل أعظم قدسيّه مِنْ التنزيل وأنَّ الهُدَى والبصائر الموجوده فِى التأويل أعظم مِنْ التفسير، وأنَّ التأويل حاكم عَلَى التنزيل والتفسير، وَذَلِكَ لخطوره التأويل، وَهُوَ القطب الأعظم فِى القُرآن الكريم، والذى يتلجلج المفسرون مِنْ الخوض فيه إلَّا أنَّهُ لَهُ روّاده المختصّون به وَمَنْ سار عَلَى نهج مدرستهم وبتوفيق مِنْ الله تَعَالَى وروّاده هُمْ أهل بيت النبوه عليهم السّلام فضلاً عَنْ أهميه الارتباط بحقائق القُرآن الذى هُوَ غايه الغايات مِنْ التفسير والتأويل، والناس عنه غافلون، وَمِنْ أحد المفارقات المُهِمَّه والخطيره بين النّظَريَّه الأولى وَالثَّانيه فِى قاعده الجرى، هُوَ هَذَا الأمر فَإنَّ النّظَريَّه الأولى تجعل مِنْ المعنى الاستعمالى او التفهيمى

أو الجدّی القریب غایه غایات القُرآن والنهایه المقصوده مِنْهُ فیکون ذَلِکَ حجاباً عَنْ بقیّه بحور معانی القُرآن فضلاً عَنْ الوصول إلی حقائقه، وَهَذَا بخلاف النّظَریَّه الثّانیه: - وَهِیَ المبتنیه عَلَی منهج أمومه الولایه عَلَی المُحکمات فِی تفسیر القُرآن، فإنَّها عَلَی الدوام تُؤکِّد عَلَی العبور بتوسط التعبیر والتأویل بُغیه الوصول إلی ما وراء بلا حدّ یقف عِنْدَ مقام أو منزل مِنْ المنازل وکفی بِهَذَا الفرق فارقاً وأهمیّه لَیْسَ فوقها خطوره، بَلْ هَذَا الفرق فِی الحقیقه لَیْسَ فرقاً بین النظریتین فِی قاعده الجری فحسب، بَلْ هُوَ بالدقّه ولیدٌ للفرق بین منهج أمومه المحکمات لتفسیر القُرآن، وبین عموم المناهج التفسیریه الأُخْرَی.

وَهَذَا ممّا یُنبِّه المُفَسِّر عَلَی خطوره اختیار المنهج وتحدیده قبل الخوض فِی علم التفسیر.

الثمره الثّانیه: مِنْ الثمرات المُهِمَّه لقاعده الجری والتطبیق أو التعبیر حسب النّظَریَّه الثّانیه هُوَ أنَّ الآیه الواحده یمکن أنْ یُستدلّ بها لبیان المراتب العالیه وکذلک یمکن أنْ یُستدلّ بها عَلَی بیان المراتب النازله مِنْ دون تجافی مِنْ المعانی العالیه إلی المعانی النازله کَمَا فِی قوله تَعَالَی: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ(۷۷) فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ(۷۸) لا یَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ(۷۹) (۱) وَالَّتِی هِیَ بصدد بیان المکنون الغیبی للقُرآن، والتدبُّر بآیاته وَهُمْ أهل آیه التطهیر الَّذِیْنَ هُمْ فَقَطْ ینالون المکنون الغیبی للقُرْآن وأنَّ القُرآن محفوظ وفی منأی عَنْ ید البشر أو فکره أو عقله فَإنَّ للقُرین

۱- (۱) سوره الواقعه: الآیه ۷۷-۷۹.

طبقات عاليه هِيَ أسرار القُرآن، كَذَلِكَ يمكن الاستدلال بنفس الآيه المباركه عَلَى بيان الطَّبقات النازله وَهُوَ المسّ فِي مرتبه نازله، والمعنى الهابط الذى ينصرف إلى المسّ المادّى بخلاف النّظَريَّه الأولى فإنَّها تتبنى تحديد المُرَاد فِي خصوص المعنى بقالب وإطار وإنْ كَانَ كُليّاً وعامّاً إلَّا أنَّهُ لا يعنى ولا يتكفل بخصوصيات وتفاصيل المصاديق فلا يستنبط مِنْ الآيه كُلّ ذَلِكَ، حسب النّظَريَّه الأولى بخلافه عَلَى النّظَريَّه الثّانيه.

الثمره الثّالثه: حسب النّظَريَّه الأُولى - لِلسَّيِّد العلّامه الطباطبائى وَمِنْ تبعه - فِي قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير، لا نستطيع تمييز الآيات القُرآنيه وما هِيَ اختصاصاتها فإذا عزلنا الجانب التنظيرى عَنْ التطبيقى كيفى نستكشف أنَّ هَذِهِ الآيه المباركه مثلاً(لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ(٧٩) هِيَ آيه مِنْ آيات الأحكام الفقهيه أو العقائديه أو الأخلاقيّه أو مِنْ آيات العالم النفسانى فِي القُرآن.

وأمَّا بحسب النّظَريَّه الثّانيه فيحصل التمييز والتلوين وأنَّ هَذِهِ الآيه المباركه مِنْ آيات الأحكام الفقهيّه أو مِنْ آيات العقائد أو مِنْ آيات المنظومه الأخلاقيّه فِي القُرآن أو... الخ. وَهَذَا كثيراً ما يُؤكِّد عَلَيْهِ أهل البيت عليهم السّلام مِنْ عدم حبس الآيه فِي الأُفق الضيّق، فَإنَّ عظمه وسعه رحابه قائلها وَهُوَ الله تَعَالَى لا تُدرِكها أيُّهَا المُفَسِّر وتحبس الآيه المُباركه فِي أفق ضيّق وتقول هَذَا المُرَاد مِنْهَا فَقَطْ وَفَقَطْ لَيْسَ الأمر كَذَلِكَ لِأنَّ الآيه كالكنز وكالمعدِن كُلّ يستطيع أنْ يغرف مِنْهَا بحسب ما أوتى مِنْ سِعه رحابه فكر وعقل.

ولا يعنى ذَلِكَ قوقعه معنى الآيه بَلْ يعنى ما مَرَّ فِى الثمره السابقه مِنْ استفاده التفاصيل مِنْ الآيات: - إذَنْ هَذِهِ الثمره مترتبه عَلَى ما سبق.

ص:٢١٠

أمثله تطبيقيه لقاعده الجرى

اشاره

بمعنى التطبيق أو التعبير

نـذكر أمثله تطبيقيه متنوِّعه لقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير عَلَى ضوء النَّظَريَّه الثَّانيه فِى قاعده الجرى حسب منهاج أمومه الولايه عَلَى المُحكمات مِنْهَا فِى ضمن آيات وَأُخْرَى فِى ضمن روايات.

أمَّا الآيات:

النموذج الأوَّل: قوله تَعَالَى: (وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) (۱).

عَنْ عمر بن يزيـد قَـالَ: – قلت لأبى عبـدالله عليه السّـلام: الَّذِيْنَ يصـلون ما أمر الله به أنْ يوصل»؟ قَالَ: «نزلت فِى رَحِم آل مُحمَّد صلّى الله عليه و آله وَقَدْ تكون فِى قرابتك. ثمَّ قَالَ: فلا تكونَنَّ ممّن يقول للشىء: إنَّهُ فِى شىء واحد»(۲).

بتقريب: – إنَّ الإمام عليه السّـلام بَعْدَمَا بَيَّنَ لعمر بن يزيد مورد نزول الآيه وأنَّها نزلت فِى قربى النَّبِىّ صـلّى الله عليه و آله أىّ آل مُحمَّد صـلّى الله عليه و آله، أراد الإمام عليه السّلام أنْ يُبيِّن: – أنَّهُ لا تكونن ممن يقول للشىء يعنى الآيه أنَّهُ فِى شىء واحد كلا وَإنَّما قَدْ

۱- (۱) سوره الرعد: الآيه ۲۱.

۲- (۲) أصول الكافى للكلينى: ج ۲، ب ۶۸، صله الرَّحِم: ص ۱۶۳ ح ۲۸.

يكـون نزوله فِى شـىء، ولكن يمكن أنْ تعممه والاسـتفاده مِنْهُ فِى مـوارد أُخْرَى إذَا كـانت التعـديه مُبتنيه عَلَى ضوابـط وثـوابت فحينئذٍ لا مانع مِنْ ذَلِكَ، وإنْ كَانَ مقدرا استفاده المُفَسِّر مِنْ هَذِهِ التعديه ليست بالحجم الذى يستفيده أهل البيت عليهم السّلام، ولكن لاـ بمعنى إقصـاء التنظير عَنْ التطبيق ونفككك بينهما، وَهَـذَا التفكيك قطعاً مرفوض حسب النّظَريَّه الثّانيه عَلَى ضوء المنهج التفسـيرى أمومه الولايه عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِى القُرآن وَعَلَيْهِ فالآيات لا تنحبس فِى موارد نزولها مَعَ اختلاف طبقات ودرجات المعانى والمعانى ليست فِى درجه واحده شِدَّه وضعفاً وقوَّهً ودنواً وعلوّاً و... الخ.

إذَنْ الإمام عليه السّـلام أراد أنْ يبيِّن أنَّ الآيه إذَا نزلت فِى شـىء لَيْسَ معناه إنَّها نزلت فِى هَـذَا الشـىء الواحد فَقَطْ وانتهى الأمر، لَيْسَ الأـمر كَـذَلِكَ وَإنَّمـا يُراد بالآيه بيان أشـياء أُخر، مُضافاً إلى أنَّ نفس أهل البيت عليهم السّـلام المُطهرين هُمْ عَلَى درجات، ففى الدرجه الأولى الخمسه أصـحاب الكساء، ثمَّ التسـعه المعصومين فِى الدرجه الثّانيه، وحسب بيانات أهل البيت عليهم السّـلام هُنَاك مرتبه ثالثه لدائره أهل البيت عليهم السّلام وتطهرهم، وَهُمْ نظير أبناء الأئمه عليهم السّلام الَّذِيْنَ بدى الله تَعَالَى فِى إمامتهم كإبراهيم بن النَّبِىّ الأكرم صلّى الله عليه و آله الذى قَالَ فيه النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله لو كَانَ ابنى حيّاً لكان نبيّاً وَهَذَا لا يُنافى إنَّهُ لاـ نبى بعـدى وَإنَّمـا النَّبِىّ صـلّى الله عليه و آله فِى مقـام بيـان قابليّه ابنه إبراهيم عليه السّـلام لـذلك، أو بيان الإمام الصادق عليه السّلام حقِّ ابنه إسماعيل المدفون فِى المدينه

المنوره قول الإمام الصادق عليه السّلام: مراجعه الكشّى...

قول الهادى: عِنْدَ وفاه ابنه أحدث لله شكر...

أو السَّيِّد مُحمَّد بن الإمام الهادى عليه السّلام المعروف بسبع الدجيل والمدفون فِى منطقه الدجيلى وغيرهم.

الخلاصه: مِنْ كُلّ هَذَا فَإِنَّ نزول الآيه القرآنيه قَدْ يكون هَذَا النزول عندنا جرى فيه مِنْ المرتبه النازله إلى العاليه، وَقَدْ يكون بالعكس، أىّ فِى قاعده الجرى يوجد قوس صعود وقوس نزول بقرينه ما قاله الإمام عليه السّلام: «فلا تكوننَّ ممن يقول للشىء أنَّهُ فِى شىء و احد» وَالقُرآن استعمل كُلّ مِنْ قوس الصعود والنزول.

أمَّا قوس الصعود كَمَا فِى قوله تَعَالَى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ(٧٧) فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ(٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ(٧٩) (١) بمعنى التدُّبر فِى العالى وَهُمْ أهل آيه التطيهر هُمْ الَّذِيْنَ فَقَطْ ينالون المكنون الغيبى للقُرآن، إنَّهُ لقرآن كريم أو كتاب مكنون ومحفوظ فِى منأى عَنْ يد البشر أو فكر أو عقل البشر، فَإِنَّ فِى القُرآن طبقات عاليه هِىَ أسرار القُرآن.

(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ(٢١) فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ(٢٢) (٢).

وأمَّا قوس النزول: فَإِنَّهُ يمكن الاستدلال بنفس الآيات السابقه للمرتبه النازله كَمَا فِى قوله تَعَالَى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ(٧٧) فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ

١- (١) سوره الواقعه: الآيه ٧٧-٧٩.

٢- (٢) سوره البروج: الآيه ٢٢.

(۷۸) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ(۷۹) .

بتقريب: - إنَّهُ يحرم مسّ المصحف الشريف وَهَذَا المسّ مرتبه نازله نظير الذى يتطهّر بالوضوء فَهُوَ أيضاً مرتبه نازله لِإِنَّهُ يوجد الطهاره لِنفسه بخلاف المُطَهَّر الذى يتطهّر بالروح أو الذى طهّره ربُّ العالمين، فَهَذَا ذو مرتبه عاليه وَالَّذِيْنَ هُمْ أهل آيه التطهير(إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (۱).

وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ الآيه وإنْ كانت قَدْ نزلت فِى أهل آيه التطهير - أصحاب الكساء عليهم السّلام وفى بيان الموقع الغيبى للقُرْآن لكنَّ ذَلِكَ لا يُنافى الاستفاده مِنْ الآيه الكريمه فِى معانى نازله، وَهَذَا أحد ثمرات قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير مِنْ أنَّهُ لا مانع مِنْ أنْ يستدلّ فِى الآيه الواحِده عَلَى بيان المعانى العاليه وفى نفس الوقت لا مانع مِنْ أنْ يَسْتَدلّ بها عَلَى بيان المعانى النازله مِنْ دون تجافى بين المعنيين - العالى والنازل - وَهَذَا يَدُلّ عَلَى سعه شموليه القاعده عَلَى حسب النّظَريَّه الثَّانيه، ن ومدى إحياء وحيويه القُرآن الكريم عَلَى وفق النّظَريَّه الثَّانيه.

النموذج الثَّانِى: قوله تَعَالَى(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِى الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(۹۰) (۲).

۱- (۱) سوره الأحزاب: الآيه ۳۳.

۲- (۲) سوره النحل: الآيه ۹۰.

بتقريب: - إنَّ الآيه المباركه بيَّنت ثلاثه أُمُور يأمر بها الله تَعَالَى وَهِيَ: -

١ - العدل. ٢ - الإحسان. ٣ - إتياء ذى القربى.

ونهت عَنْ ثلاثه: ١ - المنكر. ٢ - البغى. ٣ - الفحشاء.

وَكُلّ مِنْ هَذِهِ الأُمُور السته فِى جانب الأمر والنهى هِيَ عَلَى درجات، فمثلاً، المنكر عَلَى درجات ورأس المنكر أين؟ وكذا رأس الفحشاء والبغى.

وأنَّ أوَّل وأعظم مصداق يأمر به البارى تَعَالَى بعدالعدل والإحسان هُوَ إيتاء ذا القربى بمعنى صلتهم ومواصلتهم الَّتِى هِيَ فِى حَدِّها فِى كفّه، وَالدِّين كُلَّهُ فِى كفّه أُخْرَى هَذَا بحسب بيان القُرآن الكريم: (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى) (١).

بتقريب: - إنَّ مَوَدَّه قربى النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله جعلا القُرآن الكريم بمثابه الدِّين كُلَّهُ بما فيه التوحيد والعقائد؛ ولذا أعظم شىء شدَّدَ عَلَيْهِ القُرآن الكريم بحسب بياناته فِى كُلّ جوانب الحياه الدنيويه والبرزخيّه والأخرويّه عَلَى جميع طبقاتها مِنْ ناحيه أنْ يسود العدل فِى الدُّنْيَا يحصل ذَلِكَ بصله قربى النَّبِىّ وأهل بيته عليهم السّلام.

وَمِنْ ناحيه الجانب الاجتماعى والسياسى والعلمى و... الخ

١- (١) سوره الشورى: الآيه ٢٣.

فعليكم بولايه النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله وقرباه - صلوات الله عليهم أجمعين - وَعَلَيْهِ فبحسب النَّظَريَّه الأولى فِى قاعده الجرى الَّتِى يتبناها السَّيِّد العلّامه الطباطبائى وَمَنْ قبله وبعده تقول: - اعزل الجانب التنظيرى عَنْ التطبيقى المصداقى، وَهَذَا معناه النظر فَقَطْ وَفَقَطْ إلى مفهوم العَدْل مِنْ دون النظر إلى التطبيقات، وهكذا النظر فَقَطْ إلى مفهوم القربى بقطع النظر عَنْ المصاديق وهكذا، وَهَذَا مما لا ترتضيه النَّظَريَّه الثَّانيه الَّتِى تبناها منهج أمومه الولايه والمحكمات وأنَّ كُلّ مرادات الآيه هِىَ مُرادَه لنا، فَهِىَ آيه فِى النظام العقائدى، وآيه فِى النظام القانونى وفى النظام الأخلاقى والأُسرى والفردى و... الخ.

فَهَذِهِ الآيه المباركه كإطار تستوعب كُلّ هَذِهِ الأصعده والأنظمه لا سيّما الأنظمه والأسعده العاليه مِنْهَا، وَعَلَيْهِ فيتّضح جليّاً بين أنْ نعزل التنظير عَنْ التطبيق ونجعل التنظير قشرى جاف وبمعزل عَنْ مقام التطبيق وتكون الآيه سواء فقهيّه أو عقائديه أو أخلاقيه أو... الخ أو تكون مُجرَّد توصيات فقهيّه أو عقائديه أو أخلاقيه.

فلو بقينا نَحْنُ وَالنَظَريَّه الأولى وعزله التنظير عَنْ التطبيق كيف نُميّز الآيات فيما بينها وأنَّ هَذِهِ الآيه مِنْ آيات الأحكام فِى الفقه، أو أنَّها مِنْ آيات العقائد أو مِنْ آيات المنظومه الأخلاقيه، أو مِنْ آيات العالَم النفسانى فِى القُرآن أو... الخ فَإِنَّهُ لا نستطيع التفرقه والتمييز بين الآيات إلَّا عَلَى وفق النَّظَريَّه الثَّانيه فِى قاعده الجرى والتطبيق عَلَى ضوء منهج الولايه عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِى تفسير القُرآن.

تنوّع الاستفاده مِنْ الآیه الواحده

لعلوم شتی عَلَی النّظَریَّه الثّانیه:

تنبیه: علماً أنَّ هَـذِهِ المؤاخـذه - وَهِیَ عدم التمییز بین آیات القُرآن - لا تسـجل فَقَطْ عَلَی منهج السَّیِّد العلّامه فَقَطْ، بَلْ حَتّی عَلَی المنهج الفقهی الذی عزل آیات الأحکام عَنْ آیات العقائد، کَمَا بیّنا فِی محلّه مُفَصَّلاً.

والخلاصه: إنَّ قاعـده الجری حسب النّظَریَّه الثّانیه وفق منهجنا التفسیری للقُرْآن أمومه الولایه تختزن فِی دلالتها ومفادها مؤدّیات ومفـادات عِـدَّه فَلَیْسَ هُنَـاک تصـنیف آیـات أحکـام الفروع وآیـات معارف فِی العقائـد، وآیات فِی الأخلاق وفی الفیزیاء وفی الکیمیاء والفلک والریاضـیات والطبیعه و... الـخ فإنها بحسب ظاهرها الأولی تصـنّف الآیات إلی علوم عدیـده، إلَّا أنَّهُ وفق قاعده الجری عَلَی طبق منهج أمومه الولایه تکون کُلّ آیه آیه فیها مکنوز لا ینفذ لِکُلِّ علم.

وَعَلَیْـهِ لاـ مـانع مِـنْ اسـتفاده الفقیـه حکمـاً فقهیـاً مِنْ آیه مُعَیَّنه، وفی نفس الـوقت یمکن الاسـتفاده مِنْ الآـیه فِی علم آخر کعلم المعارف والعقائد أو الأخلاق أو... الخ.

فمثلاً آیه الوصیّه(إِذا حَضَرَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ...) (۱) یُستفاد مِنْهَا

۱- (۱) سوره البقره: الآیه ۱۸۰.

حکماً فرعیاً فقهیاً، والمتکلّمون بحثوا فِی مبحث الوصیّه شیئاً فشیئاً حَتّی استفادوا مِنْهَا مطالباً عقائدیّه مثل: - کیف أنَّ نبی الإسلام صلّی الله علیه و آله یرحل إلی الرفیق الأعلی ولا یوصی فیما هُوَ أکبر تراث وحیانی وَهُوَ غَیْر ممکن وَلابُدَّ مِنْ وصی ووسیط عنه فِی الأمر، وهکذا قوله تَعَالَی: (خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً) (۱) فَقَدْ استدل الشَّیْخ الطوسی قدّس سرّه فِی کتابیه المبسوط والخلاف عَلَی لزوم تساوی الفرص وتکافؤها فِی الاستفاده مِنْ الموارد الطبیعیه العامّه، وَهَذَا حکم فقهی مَعَ أنَّ الظهور الأولی للآیه هُوَ فِی مبحث عقائدی وَمَعَ ذَلِکَ استفید مِنْه حکماً فقهیاً.

إذَنْ تمتاز النّظَریَّه الثّانیه عَنْ الأولی بأنَّ جمیع الآیات القرآنیه وبرمّتها یمکن أنْ یستفاد مِنْهَا علوم شتی مِنْ کُلّ آیه آیه وإنْ کَانَ الظاهر والابتداء الأولی لها تصنّف فِی علم معیّن إلَّا أنها وبحسب النظره العمیقه والدقیّه یجری مفاد کُلّ آیه آیه إلی علوم شتّی طِبْق ضوابط وموازین وَلَیْسَ الأمر مبنیاً عَلَی الخلط والخبط.

ولذا مِنْ الخطأ فِی نظام الظهور والاستعمال فِی آیات القُرآن الکریم إقعاده واستظهار هیکل بنائه بشکل متقوقع وضیّق فِی موارد معیّنه، فلو رجعنا إلی بیانات أهل البیت علیهم السّلام نجد إلی ما شاء الهل مِنْ الآیات العدیده هِیَ فِی مجال، ولکن أهل البیت علیهم السّلام یبینون مفادها أنَّها فِی مجال آخر أیضاً.

۱- (۱) سوره البقره: الآیه ۲۹.

وفی روایه عَنْ الإمام الباقر علیه السّلام: «لو وجدتُ لعلمی الذی آتانی الله عَزَّ وَجَلَّ حَمَلَهً لنشرت التوحید والإسلام والإیمان وَالدِّین والشرائع مِنْ الصمد وکیف لی بذلک وَلَمْ یجد جدّی أمیر المؤمنین علیه السّلام حمله لعلمه حَتّی کَانَ یتنفس الصعداء ویقول عَلَی المنبر (سلونی قبل أنْ تفقدونی)...»(۱).

وَمِنْ الواضح أنَّ قدره أئمه أهل البیت علیهم السّلام تمیّزت عَنْ قدرات غیرهم لأنَّها وحیانیه وَلَیْسَ فَقَطْ یستفید الإمام علیه السّلام هَذَا کُلَّهُ مِنْ آیه واحده بَلْ لَهُ القدره عَلَی الاستفاده مِنْ لفظه واحده یمکن أنْ یستخرج مِنْهَا مکنوز ومخزون کبیر، وکذا المفسر المتتبع لمنهجم علیهم السّلام فَإنَّهُ بإمکانه استفاده ذَلِکَ فِی مجالات عدیده وبضوابط وثوابت مَعَ ملاحظه کلا منطقتی التنظیر والتطبیق حسب النَّظَریَّه الثَّانیه.

وأمَّا الروایات:

النموذج الثَّالِث: ما رواه الطبرسی فِی الاحتجاج عَنْ الباقر علیه السّلام قالک قَالَ النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله فِی خطبه یَوْم الغدیر(۲) ما نصّه فِی الاحتجاج للشیخ

۱- (۱) التوحید للصدوق، ص ۹۴.

۲- (۲) لا یخفی علی المتتبع أن خطبه الغدیر لها نسخ متعدّده ولعلَّ صاحب کتاب الغدیر العلّامه الأمینی رحمه الله رکَّزَ علی بیان بعض فقراتها، ومن خلال التتبع لاحظ شیخنا الأستاذ محمد السند - دام عزّه - أن کثیراً من الرواه لهذه الخطبه الشریفه والنفیسه لیوم الغیدر غفلوا عن العدید من فقراتها، والخطبه التی خطبها النبی صلّی الله علیه و آله عندما ارتقی تلک الهوادج بعد جمعها وجعلها کمنصَّه ویراه صلّی الله علیه و آله الجمیع وکان قد أخذ صلّی الله علیه و آله بید علی علیه السّلام وعن یمینه الإمام الحسن علیه السّلام وعن شماله الإمام الحسین علیه السّلام وهذا المنظر الرباعی لا الثنائی، وهذا له مفزعاً، وهنا توجد عده ملحوظات: -الأولی: إنَّ الخطبه طویله وربما استغرقت ساعه أو أکثر - والله العالم - بحسب فقراتها.

الطبرسی ج ۱، ص ۷۴-۸۰ وما بعدها: -

«... معاشر الناس هَذَا علیٌّ أنصرکم لی وأحقکم بی وأقربکم إلیَّ وأعزّکم علیَّ والله عَزَّ وَجَلَّ وأنا(۱) عنه راضیان وما نزلت آیه رضیً إلَّا فیه، وما خاطب الله الَّذِیْنَ آمنوا إلَّا بدَأ به، ولا نزلت آیه مدحٍ فِی القُرآن إلَّا فیه، ولا شهد بالجنه فِی هل أتی عَلَی الإنسان إلَّا لَهُ ولا أنزلها فِی سواه ولا مدح بها غیره... معاشر الناس إنَّ فضائِلَ علیّ بن أبی طالب علیه السّلام عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ أنزلها فِی القُرآن أکثر مِنْ أنْ أحصیها فِی مقام واحد، فَمِنْ أنبأکم بها وعرفها فصدّقوه...»(۲).

ص:۲۲۰

۱- (۱) وأنا: - أی رسول الله صلّی الله علیه و آله.

۲- (۲) الاحتجاج للطبرسی: ج ۱، ص ۷۴-۸۰ فی احتجاج النبی صلّی الله علیه و آله یوم الغدیر علی الخلق کلهم وفی غیره من الأیام بولایه علی بن أبی طالب علیه السّلام، ومن بعده ولده من الأئمه المعصومین علیهم السّلام.

وَهَذِهِ الخطبه بيَّنت فضائِلَ علىٍّ عليه السّلام عِنْدَ الله تَعَالَى، وَهَذَا يعنى أنَّ لعلى عليه السّلام مقامٌ فِى غيب الغيب، وما عِنْدَ الله غَيْر ما فِى السموات والأرض، وَحَتّى غَيْر ما فِى العرش، وَأنَّهُ مقام يقرب مِنْ السدنه الإلهيّه أىّ السرادقات والعصمه الإلهيّه عِنْدَ الله تَعَالَى.

وأراد النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله أنْ يُبيِّن فضل علىٍّ عليه السّلام وأنَّ منزلهَ ومقامَ علىٍّ عليه السّلام فِى الأساس عِنْدَ الله تَعَالَى ثمَّ أنزلها عَلَى الرسول الأكرم صلّى الله عليه و آله فِى القُرآن، وَهِىَ أكثر مِنْ أنْ تُحْصَى فِى مكان واحد، فالرسول صلّى الله عليه و آله ذكر فِى حق على عليه السّلام«ولا نزلت آيه مدح فِى القُرآن إلَّا فيه، ولا شهد بالجنه فِى هل أتلى عَلَى الإنسان الآيه... وما مِنْ آيه نزلت فِى الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا على أميرها» ويتحمل علىٌّ عليه السّلام المسؤوليه، وَهَذَا يعنى أنَّ لعلىٍّ عليه السّلام مقامٌ غيبى رفيع فقط ما تعرفه الملائكه والأرواح والسماوات والجنان يقول النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله: «لا يعرفك يا على إلَّا الله وأنا».

مُضافاً إلى أنَّ النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله فِى خطبه الغدير لَمْ يُؤكِّد فَقَدْ عَلَى ولايه وإمامه على بن أبى طالب عليه السّلام، بَلْ وَأَكَّدَ عَلَى إمامه الحسن والحسين بخصوصهما وأيضاً ذكر حديث الثقلين والتأكيد عَلَى جميع عترته وَهُمْ أئمه أهل البيت عليهم السّلام كقوله صلّى الله عليه و آله فِى خطبه الغدير: -

«... ما جئت به عَنْ الله عَزَّ وَجَلَّ فِى على أمير المؤمنين والأئمه مِنْ بعده ولده... معاشر الناس إنَّكم أكثر مِنْ أنْ تصافقونى بكفٍ واحد، وَقَدْ أمرنى الله عَزَّ وَجَلَّ أنْ آخذ مِنْ ألسنتكم الإقرار بما عقدت لعلىّ مِنْ إمْرَهِ المؤمنين وَمَنْ جاء مِنْ بعده مِنْ الأئمه منّى وَمِنْهُ عَلَى ما أعلمتكم

.... نُطيع الله ونطيعك وعليّاً أمير المؤمنين وولده الأئمه الَّذِيْنَ ذكرتهم مِنْ ذريتك مِنْ صلبه بَعْدَ الحسن والحسين اللذين قَدْ عَرَّفتكم مكانهما منّى ومحلهما عندى ومنزلتهما مِنْ ربى عَزَّ وَجَلَّ... وقولوا أطعنا الله بذلك وإياك وعلياً والحسن والحسين والأئمه الذى ذكرت... الخ» ١ .

وَعَلَيْهِ الغرض مِنْ الاستشهاد بهذه الروايه عَنْ الإمام الباقر عليه السّلام لَيْسَ المُرَاد مِنْهَا جانب تطبيقى محض كَمَا تبنّت ذَلِكَ النّظَرِيَّه الأولى فِى الجرى والتطبيق الَّتِى يعتمدها السَّيِّد العلّامه قدّس سرّه وغيره مِنْ أعلام المُفسرين، بَلْ الجانب التطبيقى هُوَ الأصل وبيان مقام ومنصب الولايه جانب مُعتمد أساسى وفيه محطّ ونظر للخطاب الإلهى، فَنَحْنُ نعرف أنَّ الرأى السديد فِى خطاب القُرآن الكريم وَالنَّبِىّ الأكرم صلّى الله عليه و آله وأهل بيته وَكُلّ خطابات الشريعه والوحى مِنْ قبلها لَيْسَ المخاطب فيها المشافهين الَّذِيْنَ كَانَ يخاطبهم ويشافههم النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله فِى المسجد، بَلْ وَلَيْسَ المخاطب فِى عصر النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله وإنْ غابوا وَلَمْ يحضروا مسجد النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله، وَإنَّما المخاطب فِى بيانات الوحى مِنْ القُرآن والسُّنه عموم أجيال البشر، وإذا كَانَ الأمر كَذَلِكَ فَإنَّ الخطاب والمخاطب هُوَ مِنْ مدلول الكلام، وَعَلَيْهِ إذَا كَانَ الخطاب والمخاطب مِنْ مدلول الكلام فكيف يكون جانب التطبيق معزولاً عَنْ جانب التنظير؟

نعم، لا نقول أنَّ التنظير منحبسٌ فِى تطبيق لموردٍ واحدٍ، ولكن

بنفس الوقت لَيْسَ التنظير منعزلاً عَنْ التطبيق وَإِنَّما يجرى فِى المعنى ويجرى فِى التطبيق عموم المعنى.

وَعَلَيْهِ فيكون قوله صلّى الله عليه و آله: «وما خاطب الله الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا بدأ به» هُوَ نفس نظام منهج أمومه الولايه عَلَى المُحكمات فِى القُرآن، وأنَّ معنى الأمومه عِنْدَمَا يُقَال ابتدأ بما هُوَ المصداق الأعظم لا أنَّهُ انحصر به ولا منافاه بين البُدأه به وبين أنْ يشمل غيره وعدم الانحصار به.

صحيح أنَّ المصداق الأعظم فِى الجانب التطبيقى هُوَ المحور وَهُوَ المركز ولكن لَمْ ينْحصر به، وَعَلَيْهِ فالمقام يكون ذا جنبتين: - جنبه توسعه ورحابه أفق. وجنبه أُخْرَى: محوريه لذلك المصداق الأعظم أىّ محوريه الولايه، مثلاً قوله تَعَالَى(هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ) (١). فالمُحكمات هِىَ الأم والمحور هِىَ بعضٌ والبعض الآخر متشابهات ولا تنافى فِى التبعيض، ولكن لَيْسَ بعضٌ فِى مصاف وعرض بعضٍ، فَهَذِهِ الآيه مثلاً ليست منحصره فِى أهل البيت عليهم السّلام ولا مانع مِنْ اندراج أهل البيت عليهم السّلام مَعَ غيرهم فِى تصوير معنى الآيه وفى عرض واحد مَعَ بقيّه المصاديق، هَذَا كُلَّهُ بحسب النّظَريَّه الثّانيه، فحينئذٍ هَذِهِ هِىَ المؤاخذه والإخفاق فِى الوصول إلى حقيقه حاق معنى الآيه عَلَى حسب النّظَريَّه الأولى.

١- (١) سوره آل عمران: الآيه ٧.

والخلاصه مِنْ كُلّ هَذَا: إنَّ القاعده الجاريه فِی القُرآن الكريم كَمَا قَالَ الإمام الباقر عليه السّلام: «... وما نزلت آيه رضیً إلَّا فيه، وما خاطب الله الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا بدأ به ولا نزلت آيه مدح فِی القُرآن إلَّا به...» لَيْسَ معنى هَذَا الحصر بمصداق واحد ولا تغييب التطبيق عَنْ التنظير ولا بمعنى تساويهما - التطبيق والتنظير - وَإنَّما يريد أنَّ يُبيِّن صلّى الله عليه و آله أنَّ أُمّ المداليل القُرآنيه وأُمّ التطبيقات وأُسسها هُوَ المصداق الأعظم والأتمّ الذى هُوَ نفس منهج أمومه الولايه والمحكمات والمدار عَلَى المحور والمصداق الأعظم ثمَّ يأتى مجال المصاديق الذى هُوَ أقلّ شأناً حَتّى تتخفف لوناً، وَعَلَيْهِ فأراد النَّبِیّ صلّى الله عليه و آله أنْ يُبيِّن أنَّ آيات الرضا وآيات المدح وآيات الإيمان وآيات تحمل المسؤوليّه و... الخ فَإنَّ لها قمّه الهرميّه وَالَّتِی تبدأ بعلى عليه السّلام فتتنزّل إلى مصاديق وطبقات أُخْرَى بشكل أخفّ وبشكل أقلّ لوناً فأقلّ هرميّه إلى أنْ تصل إلى سائر المؤمنين.

والشاهد مِنْ خطبه الغدير هُوَ: «... وما نزلت آيه رضیً إلَّا فيه، ما خاطب الله الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا بدأ به ولا نزلت آيه مدح فِی القُرآن إلَّا فيه ولا شهد بالجنّه فِی هل أتى عَلَى الإنسان إلَّا لَهُ ولا أنزلها فِی سواه ولا مدح بها غيره و... الخ».

بتقريب: - حسب النَّظَريَّه الثَّانيه فِی قاعده الجرى وا لتطبيق أو التعبير أنَّ مقام التنظير لا يُعْزل عَنْ التطبيق، وَإلَّا إذَا عزلنا التنظير عَنْ التطبيق أو العكس لأصبح إخْواءٌ لهما وَإلَّا فما معنى ما نزلت آيه رضى

إلَّا فيه أىّ فِى على عليه السّلام، أو ما خاطب الله الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا بدأ به... الخ أىّ بعلى بن أبى طالب عليه السّلام، فنلاحظ الجانب التنظيرى، وَهُوَ آيه الرضا لا يمكن عزله عَنْ المصداق الأعظم والأخطر ولو عزلها لقال: - وما نزلت آيه رضا ثمَّ يسكت فتبقى العباره فيها نقص عَلَى مستوى الألفاظ والمعانى، وهكذا الفقرات الأُخْرَى.

وَمِنْ خلال هَذَا كُلَّهُ نستفيد أنَّ الحديث الشريف فيه تبيان وتركيز وإشاره إلى أنَّ مقام التطبيق معنىٌّ ومراد وَلَيْسَ معزولاً عَنْ جانب التنظير، بَلْ الجانب التطبيقى هُوَ المقصود الأعظم والأهم، ولكن لَيْسَ بالحصر فيه فَقَطْ وَإنَّما مَعَ ذَلِكَ لَهُ سِعَه فِى غيره.

وَعَلَيْهِ فالصحيح حسب النَّظَريَّه الثَّانيه عَلَى ضوء منهج أمومه الولايه عَلَى المحكمات أنَّ تنظير آيات القُرآن وتفسيرها لَيْسَ عَلَى عزل مقام التنظير عَنْ مقام التطبيق، بَلْ امتزاج التطبيق بالتنظير لكنَّ مَعَ سعه فِى الآفاق لا تكوننَّ ممن يقول للشىء إنَّهُ فِى شىء واحد ولا سعه ولكن كُلّ ذَلِكَ عَلَى درجات؛ ولذا ينبغى ملاحظه طبقات الجرى فإنَّها كُلَّهَا مداليل قُرآنيه فَإنَّ التطبيق مَعْنىٌّ ومراد، وكذا مقصود التنظير معنىٌّ ومُراد لكنَّ الإراده وَالمُرَاد الجدّى والمقاصد عَلَى درجات؛ ولذا مِنْ الضرورى ملاحظه المرتبه العُليا فَقَدْ تكون المرتبه العليا أبديه وأزليّه كمرتبه عقائديه والمرتبه الدُّنْيَا فرعيه فقهيه، وفى مرتبه ثالثه أخلاقيّه ورابعه و... الخ وأمَّا كون معنى الآيه ينحصر فِى المراتب العُليا فَهَذِهِ دعوى ليست

موجوده فِی الروایات الوارده عَنْ أئمه أهل البیت علیهم السّلام وتقدَّم فِی الروایه عَنْ الإمام الصادق علیه السّلام: «... ولا تکوننَّ ممّن یقول للشیء أنَّهُ فِی شیء واحد».

والأئمه علیهم السّلام یدعون إلی عدم انحصار الشخص الواحد، بَلْ نفس الإمام الصادق علیه السّلام یقول: «وَقَدْ یکون فِی قرابتک لکنَّ ولاؤک لقرابتک لَیْسَ کولائک ووصلتک بقرابه النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله».

مُضَافَاً إلی أنَّ کُلاً مِنْ الفریقین یروون هَذِهِ الروایه: «لا یکمل إیمان عبدٍ حَتّی یؤمِن بالله ورسوله وقرابه رسول أحب إلیه مِنْ نفسه وَمِنْ قرابه نفسه».

وَعَلَیْهِ فَلَیْسَ المنظور درجات تلک الوصله العقائدیه، وَإنَّما المنظور الأقل مِنْهَا أو الدرجه الفقهیه أو الأخلاقیّه وغیرها.

وهکذا: (وَ الَّذِینَ یَصِلُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ) (۱).

وَعَلَیْهِ فَإنَّ مثل هَذِهِ الشواهد مِنْ الآیات والروایات وغیرها ما هُوَ الموقف مِنْهَا وکیف تُخَرَّج عَلَی مبنی السَّیِّد العلّامه الطباطبائی، فإنَّها آیه واحده یُستفاد مِنْهَا عِدَّه جَنَبات: - جنبه أخلاقیّه وَهِیَ ثواب صله الرَحِم، وجنبه فقهیه، وجنبه عقائدیه وغیرها،

وَالمُهِم الذی نُرید أنْ نذکره هُوَ أنَّ النّظَریَّه الثّانیه هِیَ الکفیله فِی

۱- (۱) سوره الرعد: الآیه ۲۱.

جمع هَذِهِ الوجوه والجنبات المختلفه للآيه الواحده: لا النَّظَريَّه الاولى الَّتِى تبناها السَّيِّد العلّامه قدّس سرّه.

شاهد آخر: قول النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله لابنته السَّيِّده والده الحجج فاطمه الزهراء عليها السّلام: «إنَّكِ سيِّدةُ نساء العالمين»(۱).

بتقريب: - إنَّ الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله بَيَّنَ المصداق الأعظم والأخطر مِنْ بين النساء هُوَ فاطمه الزهراء عليها السّلام وأنَّها وصفت بِهَذَا الوصف العظيم وَهُوَ سيده نساء العالمين(۲).

۱- (۱)

۲- (۲) وقول الزهراء عليها السّلام لأبيها أليست مريم بنت عمران عليها السّلام سيده نساء العالمين؟ فأجابها النبى صلّى الله عليه و آله: إنَّها سيده نساء عالمها، وتلك مريم الصغرى وأنتِ يا فاطمهُ مريم الكبرى وأنَّ مَريم الصغرى طاهره بطهاره صغرى، وأنتِ يا فاطمه طاهره بطهاره كبرى، وأنَّ الذى نزل فِى مريم كَانَ المقصود الأوَّل مِنْهُ هُوَ فاطمه قبل أنْ يكون لمريم: (إِنَّ اللّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ(۴۲) بتقريب: أنَّ هَذَا مُرَادٌ نعتى للبارى تَعَالَى.ومعنى مريم بالعبريه: - هِبَهُ الله وَهُوَ نعتٌ، وأبرز مصاديق هَذَا النعت هُوَ فاطمه الزهراء عليها السّلام.ففى الروايات أنَّ جبرائيل عِنْدَمَا أتى مريم بنت عمران تَمَثَّلَ لها بشراً سوياً، بينما توجد روايه مِنْ طرقنا - الخاصّه - أنَّ كُلاً مِنْ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل أتوا فاطمه عليها السّلام وجلسوا جلسه العبد حَتّى فرغت فاطمه عليها السّلام ساعات طويله مِنْ تهجدها فِى الليل فأتوها بمصحف فاطمه عليها السّلام، علماً أنَّ إسرافيل لا ينزل إلَّا فِى المهام الخَطِرَه والصعبه، وَبَعْدَ ذَلِكَ انظر الفرق بين مريم عليها السّلام وبين فاطمه عليها السّلام؟ أين تعبير القُرآن فِى حق مريم: (فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا(۱۷)قالَتْ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا(۱۸). سوره مريم: الآيه ۱۷-۱۸.بتقريب: - إنَّها حاله وجل وذعر وخوف لمريم عليها السّلام، وأين جلسه ثلاثه مِنْ رؤوساء الملائكه جلسه العبد عِنْدَ فاطمه الزهراء عليها السّلام حَتّى تفرغ مِنْ تهجدها، كُلّ ذَلِكَ حسب ما جاء فِى الزياره الجامعه لأئمه المؤمنين والمسلمين عليهم السّلام بسند معتبر: «... حَتّى لا يبقى ملك مُقَرَّب ولا نبى مُرْسَل ولا صِدِّيق ولا شهيد ولا عالم... إلَّا عَرَّفهم جلاله أمرِكم وعِظَمَ خطركم وكِبَرَ شأنكم...» عدا

والخلاصه: إنَّ الروايه الشريفه ترسم لنا هندسةً تامّةً لمعنى قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير، وكيف أَخِذَ مقام التطبيق فِى مقام التنظير، وكيف أنَّ التنظير والتطبيق عَلَى طبقات ودرجات مُرَاده، ولكن

بنحو طبقات ودرجات أمومه.

فمثلًا المدلول التنظیری للمتشابهات یتدخل فِی المحکمات، کَمَا فِی الآیه(هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ) (۱).

وبالتالی إذَا أردتَ أنْ ترفع لَبْسَ المتشابهات فارجع إلی أمر المتشابهات إلی الأم أیّ إلی المُحکمات، وَعَلَیْهِ فأصبح دور المحکمات فِی المتشابهات دورٌ مُدَاخلی فِی المدلول التنظیری، فإذا کانت المحکمات کَذَلِکَ فالولایه أعظَمُ فِی دخالتها فِی رسم وتنظیر مدلول الآیات القرآنیه.

فَالقُرآن الکریم یرسم بهذه الآیه المبارکه نظاماً علمیاً لنفسه فِی محوریه أمومه الولایه، ولذا عِنْدَمَا قَالَ النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله: «... وما خاطب الله الَّذِیْنَ آمنوا إلَّا بدأ به» أیّ بعلی علیه السّلام، ولماذا بدأ بعلی علیه السّلام وَلَمْ یبدأ بغیره، وَعَلَیْهِ فالبُدأه بعلی علیه السّلام یکون المعنی تامّاً وبمستوی کامل.

النموذج الرَّابع:... حُمْران بن أَعْیَن عَنْ أبی جعفر الباقر علیه السّلام قَالَ: «ظهر القُرآن الَّذِیْنَ نزل فیهم، وبطنه الَّذِیْنَ عملوا بمثل أعمالهم»(۲).

بتقریب: - إنَّ ظهر القُرآن الذی نزل فیهم مُعْلَنٌ فِی هؤلاء، وأنَّ

۱- (۱) سوره آل عمران: الآیه ۷.

۲- (۲) تفسیر العیّاشی: ج ۱، ص ۸۶ باب تفسیر الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحکم والمتشابه.

ظهره وبطنه تـأويله مِنْهُ مـا مضـى، وَمِنْهُ ما لَمْ يكن بَعْـدُ يجرى كَمَا ترجى الشـمس والقمر، فَإِنَّ الَّذِيْنَ عملوا بمثل أعمالهم يجرى فيهم ما أنزل فِى أؤلئك وَعَلَيْهِ فلا تستطيع أنْ نقول الذى نزل فيهم غَيْر معنيين بالتطبيق؛ بحجه أنَّ التطبيق غَيْر التنظير كلا فَإِنَّ كُلا مِنْ التطبيق والتنظير مرادٌ، فَكَمَا أنَّ الَّذِيْنَ نزل فيهم القُرآن غَيْر منعزلين عَنْ التنظير كَذَلِكَ فيمن يجرى فيهم.

والشـىء الجديد الذى يؤكِّده الإمام عليه السّـلام ويوضّـحه لنا هُوَ أنَّ حَتّى مداليل القُرآن الكريم حيّه متجدِّده متوسِّعه عَلَى جرى واتّساع آفاقها وَهِىَ كَمَا هُوَ واضح مِنْ الأصل معلومه عِنْدَ البارى ولكنَّها بالنسـبه إلينا تتكشف وتظهر شيئاً فشيئاً فَهِىَ سابقاً كانت بالنسـبه إلينا كامنه وباطنه فتظهر شـيئاً فشـيئاً والكل معنى بـذلك لِإِنَّهُ تَقَدَّمَ إنَّ بحث التطبيق مرتبه مِنْ مراتب المُرَاد الجدّى؛ ولذا المصاديق الَّتِى خاطبهم القُرآن الكريم أمثال أبى جهل أو الوليـد بن المغيره أو فرعون الـذى قَالَ(ذَرْنِى وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً(١١) (١) صـحيحٌ أنَّ البارى تَعَالَى مِنْ أوَّل الأمر لَمْ يرد فرعون مصر فَقَطْ، وَإنَّما قصده وقَصَدَ كُلّ فرعون وفى كُلّ زمان ومكان، وَهَذَا معنى سارى وجارى فِى هَـذَا القالب إلى يَوْم القيامه، وهكـذا هامان وَكُلّ مُتجبِّر ومُتكبِّر لا يؤمن بيوم الحساب(فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما) (٢) أىّ

١- (١) سوره المدثر: الآيه ٧۴.

٢- (٢) سوره القصص: الآيه ۶.

هامان وفرعون كُلّ عصر ومكان، وكذا نمرود... فَإِنَّهُ أَريد مِنْ ذكر هَذِهِ المصاديق المعنى العام وَلَيْسَ المُرَاد أنْ تنظر إلى التطبيق بعيداً وبمعزل عَنْ التنظير، فمثلاً- لو أبعدتَ شخصيه النمروديه عَنْ تنظير معنى الآيات الوارده فِي معنى نمرود فَإِنَّ تلك الآيات أصلاً تصبح خاويه عَنْ معناها، وَعَلَيْهِ: - لا- يمكن إقصاء وعزل التنظير عَنْ التطبيق، ولكن هَذَا التطبيق لَيْسَ حادثاً للآيه كَمَا يتوهّمه أصحاب النّظَريَّه الأولى الَّذِيْنَ عزلوا التنظير عَنْ التطبيق خوفاً مِنْ محذور الحبس والعكس هُوَ الصحيح إذْ لا انحباس فِي امتزاج وتداخل التنظير مَعَ التطبيق وَإِنَّما فيه نوع مِنْ بناء الظهور وعظمه مفاد الآيه لما أُريد مِنْ مغزاها العظيم وَالمُهِم المحافظه عَلَى ذَلِكَ المغزى المهم للآيه مَعَ توسعها وجريانها.

وهكذا البيانات النبويه الَّتِي خوطبت بها مريم بنت عمران وَهِيَ المخاطب الأصلى والجدّى، ولكن هُنَاك مخاطب وراء الجدّى هُوَ مريم الكبرى أىّ فاطمه الزهراء عليها السّلام لذلك وَرَدَ أنَّ مريم مَثَلٌ ضَرَبهُ الله بفاطمه عليها السّلام ومعنى المَثَل هُوَ أنْ لا تقف عِنْدَ المُمَثل به أو الممثَّل لَهُ واعبره وتجاوزه وَالقُرآن يأمرك بذلك العبور وأنْ لا تجمد عَلَى الممثل به. وما ذكر فِي البيان النبوى مجاز عقلى وَعَلَيْهِ فكيف ينظر مثل السَّيِّد العلّامه الطباطبائى قدّس سرّه إلى المقام وفق ما تبنّاه مِنْ النّظَريَّه الأولى القائمه عَلَى عزل التنظير عَنْ التطبيق والنظام الاستعمالى فِي القُرآن هُوَ الذى عَمَّقَ اللُّغَه العربيه فِي القُرآن.

وَعَلَيْهِ فاكتشاف النظام اللغوى أو الاستعمالى أو... الخ وتوسعته وتعميقه لا ينحصر بما اكتشفه وأسّسه البلاغيون والنحويون والصرفيون وَعُلَمَاء الأدب أو المفسرون وَلَيْسَ الخليل بن أحمد الفراهيدى وسيبويه والكسائى والفرّاء و... الخ قَدْ اكتشفوا قواعداً لَمْ يكتشفها قبلهم عُلَمَاء الفن، وَعَلَيْهِ فما بال هؤلاء لهم الحَقّ فِى الاكتشاف ولا نكتشف نَحْنُ مِنْ بيانات القُرآن وأهل البيت عليهم السّلام قواعداً للنظام اللغوى بلغه القُرآن ولسان عربى فصيح.

إذَنْ قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير مأخذوه مِنْ تعبير القُرآن الذى هُوَ علوم القُرآن وَهُوَ تعبير حقائق لا تعبيرُ أحلام، وَإنَّما إعبُر وتجاوز مِنْ(لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ) (۱) أو(لَقَدْ كانَ فِى يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسّائِلِينَ(۷) (۲) إلى الجمال المحمدى والعلوى والفاطمى والحسنى والحسينى و... والمهدوى صلوات الله عليهم أجمعين وعجّل الله فرجهم ففيه علامه للعبور.

وَهَذَا يَدُلّ عَلَى أنَّ قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير بِهَذَا البيان فيها فضاء وعالم آخر مِنْ نظام الاستعمال وإنْ كَانَ القُرآن يقول: ذكرتها لكم هَذِهِ الأمثله واستعملتها وأردتها جدّاً ولكن لا تقفون عِنْدَ هَذَا المُرَاد الجدّى فَقَطْ وَإنَّما اعبروا إلى جدّى وراءه وهكذا.

۱- (۱) سوره يوسف: الآيه ۱۱۱.

۲- (۲) سوره يوسف: الآيه ۷.

والنتيجه: إنَّهُ صَحَّ أنْ يُقَال: إنَّ القُرآن يُشافه كُلّ إنسان بكَلِّ آيه آيه وَمِنْ هَذَا يُعلم أنَّ كاف الخطاب فِی الآيه لَيْسَ مختصاً بمن خاطبه وَالَّذِيْنَ نزلت فيهم وَهَذَا نظير استعمال اللَّفْظ فِی معنی بَعْدَد أنفاس البشر للروايه: «ما مِنْ آيه يقرأها القارئ للقُرْآن إلَّا وَهِیَ تخاطبه إنْ هُوَ مِنْ أهل خيرها أو مِنْ أهل شرَّها».

فَإنَّ هَذِهِ القدره فِی استعمال القُرآن الكريم للمعانی وسعه الخطاب لا تؤمنها النَّظَريَّه الأولی فِی قاعده الجری والتطبيق عِنْدَ السَّيِّد العلّامه الطباطبائی قدّس سرّه، وَإنَّما تُؤمنها النَّظَريَّه الثَّانيه فِی قاعده الجری والتطبيق.

وَعَلَيْهِ فدائره مدلول الخطاب القُرآنی تشمل التنظير والتطبيق معاً(۱).

النموذج الخامس: فِی كلام النَّبِیّ صلّی الله عليه و آله: «... وإنْ كانت الآيات فِی ذكر الأولين فما كَانَ مِنْهَا خيراً فَهُوَ جارٍ فِی أهل الخير مِنْ هَذِهِ الأُمَّه، وما كَانَ مِنْهَا فِی شرٍّ فَهُوَ فِی أهل الشر».

بتقريب: - إنَّ هَذِهِ القاعده الَّتِی بيَّنها الرسول صلّی الله عليه و آله الصَّريحه فِی معنی الجری وأنَّ ما ذُكِر مِنْ الآيات والعلامات والأمثال و... الخ فِی الأولين فالخير فيها جارٍ فِی أهل هَذِهِ الأُمَّه وَلَمْ ينحصر تطبيقه بأهل خير هَذِهِ الأُمَّه فِی وقت صدور هَذَا البيان النبوی الشريف وَإنَّما ساری

۱- (۱) فمثلاـ بلعم بن باعوره الذی كان قد أتی شیء من المقامات الغيبيّه العاليه لكن سرعان ما نكث وغدر حينما تمثّلت له الدنيا بجمال امرأه فتبعها وباع كل ما أعطی من منزله عظيمه بلذّه دنيويه حقيره ومؤقته، وعليه فمدلول الخطاب القرآنی شامل للأنس والجن والملائكه.

المفعول إلى قيام الساعه، وهكذا جانب الشر - والعياذ بالله -

وَعَلَيْهِ فما ذكرته الآيات والبيانات النبويّه مِنْ أهل الخير لَيْسَ المُرَاد الجدى للقُرْآن وللبيانات النبويه يقف وينتهى عَلَى أهل الخير مِنْ الأُمم السابقه، وَإِنَّما هُوَ أحد مرادات القُرآن الكريم الجدّيه وَإِنَّما هُنَا مراد جدى آخر يجب أنْ نعبر مِنْهُ إلى آخر.

تنبيه: ينبغى الالتفات إلى نقطه مُهمّه جدّاً وَهِىَ أَنَّهُ عِنْدَمَا نقول هُنَاك مُراد جدّى آخر يجب العبور إليه، فمثلاً فِى الآيات الَّتِى يُصَرَّحَ بها باسم الشخص كالنبى يوسف عليه السّلام مثلاً(لَقَدْ كانَ فِى يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ) (١) لَيْسَ معناه أنَّ المعانى الاستعماليّه والتفهيميه لا تُراعى كلا...

فَإِنَّ كلمه (يوسف) المقصود مِنْهَا يوسف النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله كمُراد جدّى وَلَيْسَ هُنَاك أىّ تغييب لموازين الاستظهار فِى الآيات الكريمه إلَّا أنَّ الكلام كُلّ الكلام الذى هُوَ محطّ النّظَريَّه الثّانيه فِى قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير حسب منهج أمومه الولايه عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِى القُرآن، هل المُرَاد الجدّى يقف عِنْدَ ذكر هَذَا المثال أو المصداق أو يتعدّاه ويتشفف المُرَاد الجدى ويكون المُرَاد الجدى مِنْ النَّبِىّ يوسف عليه السّلام لَيْسَ خصوص النَّبِىّ يوسف عليه السّلام وَإِنَّما يتعدّى لِمَنْ بعده وَإلى كُلّ مَنْ هُوَ حُجَّه الله ومصطفى؟

١- (١) سوره يوسف: الآيه ٧.

وَعَلَى النّظَرِيَّه الثّانيه يتعدّى إلى كُلّ حُجَّه الله مصطفى وَهَذِهِ الآيات والعلامات آيات للسائلين وأيضاً هَذِهِ الآيات تصلح للإجابه عَنْ أُمُور أُخْرَى، كَمَا لو كَانَ عندك سؤال عَنْ غيبهِ حُجَّه الله فِي الأرض، وأنَّ مثل هَذَا التساؤل موجود فِي قصه يوسف عليه السّلام وَهُوَ أنَّهُ يمكن أنْ يكون حُجَّه الله فِي الأرض ويغيب عَنْ أنظار الناس لا أنَّ ذَلِكَ يعنى أنَّهُ تغيب معرفته عنّا فَإنَّهُ مُتواجد فيما بيننا وناشط وفاعل ويقوم بإنقاذ البشريه مِنْ أخطر الكوارث مِنْ دون أنْ تشعر البشريه بإنقاذ حُجَّه الله فِي أرضه.

إذَنْ يمكن أنْ تستنطق آيات سوره قصه يوسف عليه السّلام وَعَلَى نبينا أفضل الصَّلاه وَالسَّلامُ ويستظهر مِنْهَا الإجابه عَنْ التساؤلات حول غيبه الإمام المهدى عجّل الله تعالى فرجه الشريف وأنَّ القُرآن أراد مِنْ ذكر يوسف عليه السّلام الصدّيق هُوَ ذكر ليوسف عليه السّلام آل مُحمَّد صلّى الله عليه و آله ولا يعنى هَذَا أنَّ يوسف آل يعقوب لَيْسَ مراداً كلا إنَّهُ مُرادٌ جدّى أوَّل وَهُنَاك مُراد جدّى ثانى وثالث و... الخ.

وَهَذَا شاهد عَلَى قاعده الجرى بحسب النّظَرِيَّه الثّانيه وَإلَّا لو كَانَ مُراد الآيه الأعظم هُوَ النَّبِيّ يوسف عليه السّلام فَقَط حسب النّظَرِيَّه الأولى الَّتِى يتبناها السَّيِّد العلّامه وغيره القائمه عَلَى عزل مقام التنظير عَنْ التطبيق فَإنَّهُ ما الفائده فِي قصصهم لو لَمْ يكن فِي قصصهم عبره لما نَحْنُ فيه ولما هُوَ راهن لدنيا؟!

وما الفائده فِي الاعتقاد بنبوه الأنبياء قبل الخاتم صلّى الله عليه و آله مِنْ آدم لو لَمْ ترتب عَلَيْهَا غايه ورائيه نهايه وَإلَّا نتعامل معها كحدث تاريخى ونتفاعل معه

إلَّا أنَّ هَـذَا لَيْسَ مُراداً حسب النِّظَريَّه الثَّانيه القائله بمزج التطبيق مَعَ التنظير وأنَّ أصل اعتقادنا بنبوه الأنبياء هُوَ فريضه عقائديه لابُدَّ مِنْهَا لا أننا نتعامل معها كحدث تاريخى وَإنَّما نُريد أنْ نرتب الغايه الورائيه النهائيه وَهُوَ جرى مداليل القُرآن حسب بيانات أهل البيت عليهم السّلام وَهُوَ أنَّ كُلّ التساؤلات حول النَّبِىّ الأعظم صلّى الله عليه و آله وعلى عليه السّلام وفاطمه والحسن والحسين عليهم السّلام والتسعه المعصومين وقائمهم المهدى عجّل الله تعالى فرجه الشريف وغيبه الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فَكُلّ هَذِهِ التساؤلات وغيرها تجدون أجوبتها فِى القصص الَّتِى استعرضها الله تَعَالَى عَنْ الأنبياء والمرسلين والأولياء الصالحين فِى القُرآن الكريم(١).

وَعَلَيْهِ فَإنَّ نظام قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير حسب النِّظَريَّه الثَّانيه لا يُفَرِّغ ويُخوى الألفاظ عَنْ مراداتها الاستعماليه والتفهيميه والجدّيه، وَإنَّما هُوَ مرادٌ لها جداً، غايه الأمر لَيْسَ هُوَ المُرَاد الجدّى النهائى، وَإنَّما هُنَاك مراد جدّى ثانٍ وثالث ورابع و... الخ.

١- (١) وَكُلّ هَـذِهِ التساؤلات وأجوبتها بيّنها سماحه الشَّيْخ الأُسْتاذ الشَّيْخ مُحمَّد السند - حفظه الله - فِى كتابه الظواهر القرآنيه والإمام المهدى عجّل الله تعالى فرجه الشريف أىّ ظواهر قرآنيه فِى الأنبياء والمُرسلين أُريد مِنْهَا كفايه جدّيه هُوَ الإمام المهدى المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف باعتبار أنَّ التساؤلات والعطش المعرفى لدى البشر والمؤمنين بإمامهم الحُجّه عجّل الله تعالى فرجه الشريف فِى الأرض فِى العصر الراهن.

الإمامه والعمل الأمنى

يُستفاد مِنْ كثير مِنْ النصوص القُرآنيه الَّتِى تخصّ الجانب الأمنى وسريّته وتُبيِّن حدوده وتُفَهِّمُ معنى الإمامه أىّ القياده فِى الأرض وإداره شؤون البشر فِى كافه مجالات الحياه وتعاملاتهم المعيشيّه والاجتماعيه والسياسيّه والأمنيه والاقتصاديه و... الخ. كُلّ ذَلِكَ بحسب النّظَريَّه الثّانيه فِى قَاعدَه الجرى.

فمثلاً فِى بيان القُرآن لقصه لقاء موسى عليه السّلام الذى هُوَ نبى مِنْ أنبياء أُولوا العزم مَعَ العبد الصالح الخضر عليه السّلام وما جرى بينهما وقاما به مِنْ أدوار سريّه فِى الأرض بإيعازات مِنْ الله تَعَالَى وأدّيا أدوراً إصلاحيّه فِى الأرض مِنْ دون أنْ يَشعُرَ بهم البشر، وَعَلَيْهِ إذَا كانت المُهِمَّه الأمنيّه والإصلاحيّه الَّتِى قام بها موسى عليه السّلام والخضر عليه السّلام فَلَّما يستعرضها لنا القُرآن الكريم يُريد أنَّ يُنبِّه الأُمَّه إلى أنَّ دور الإمامه والقياده لا ينحصر بالظاهر والمكشوف المُعلن عنه والمُصرَّح به، وَإنَّما هُنَاك أدوار أمنيّه إصلاحيّه سريّه للغايه حَتّى فِى تعبير القُرآن وإنْ كَانَ أعلن عنها واظهرها إلى الملأ وَمَعَ ذَلِكَ لا زالت تقسم بجانب السريّه والأمن وعدم التصريح حَتّى بالاسم؛ ولذا القُرآن يقول فِى جانب إخفاء الاسم(فَوَجَدا عَبْداً

مِنْ عِبادِنا) (۱) ولقاء النَّبِىّ موسى عليه السّلام بالخضر عليه السّلام فِى غايه الصعوبه والسريّه والطرق الأمنيه الإلهيه المعقّده جدّاً وَبَعْدَ انتهاء المُهِمَّه الأمنيّه الإصلاحيّه للمجتمع البشرى افترق موسى عليه السّلام عَنْ الخضر عليه السّلام، إلَّا أنَّهُ مَنْ يَعى هَذِهِ السريّه التامّه بينهما؟!

وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ هِىَ حدود العمل الأمنى الإلهى الذى بيّنه القُرآن الكريم وَأنَّهُ لا هواده فيها، وَبِهَذَا الاستعراض القُرآنى لحدود العمل الأمنى يريد أنْ يقول: - أنَّ المسؤوليّه الإلهيه الخفيّه والسريّه عظيمه وأنكم فِى العصر الراهن والحاضر هكذا تدارون بنظام وبرنامج أمنى فِى غايه الخفاء والسريّه فِى الأرض ولا تتوهموا أنَّ الإمامه هِىَ فَقَطْ منحصره بالجانب الإعلامى الظاهر مِنْهَا وَهُوَ الرئاسه والزعامه والزوبعه الإعلاميه.

وَعَلَيْهِ فَهَذَا بُرهان لِمَنْ أراد أنْ يتفهم معنى الإمامه والقياده وكيف تدار شؤون الأرض بسريّه وبلا إعلام حَتّى لا يدخل الدجل لِأنَّ أوَّل علامه للكذب هُوَ الإعلان والدعايه، وَالقُرآن الكريم يُبيِّن لنا الآلاف مِنْ المُرادات الجديّه الَّتِى ذكرها فِى مختلف القصص القُرآنيه والمواقف و... الخ فَإنَّ هَذِهِ المُرادات الجديّه سوف تطرح جانباً حسب النَّظَريَّه الأُولى فِى قَاعدِه الجرى بخلاف النَّظَريَّه الثَّانيه، فَإنَّ هَذِهِ المُرادات الجدّيّه ورائهامداليل وراء بعضها البعض وكلا مُراده ليست فَقَطْ

۱- (۱) سوره الكهف: الآيه ۶۵.

بالـدلاله الجـديّه الأولى بَلْ مُراده بالمُراد الجـدّى الأوَّل والثانى والثالث و... الخ وإنْ أُريدَ النَّبِىّ موسـى عليه السّـلام كنبى والعبد الصالح الخضر كخضر إلَّا أنَّهُ يُتعدى إلى موسى والخضر هَذَا الزمان أيضاً.

إذَنْ انظر إلى دقّه وعمق تعبير النَّبِىّ الأكرم صـلّى الله عليه و آله«وإنْ كانت الآيات فِى ذكر الأولين فما كَانَ فيها مِنْ خير فَهُوَ جارٍ فِى أهل خير هَـذِهِ الأُمَّه، وما كَانَ مِنْهَا فِى شـر فَهُوَ جارٍفى أهل شـر هَذِهِ الأُمَّه» وَهَذِهِ الطَّبقات مِنْ المداليل إنَّما تتوافق مَعَ النَّظَريَّه الثَّانيه فِى قاعـده الجرى وَأنَّهُ كيف لاـ تكون غـايه الغـايه أكثر جـدّيّه مِنْ الغـايه، وَعَلَيْهِ فالجرى هُوَ جرى فِى المـداليل سواء كَانَ المدلول عَلَى صعيد التطبيق أو المعنى المدلول فإنَّها كُلَّهَا مداليل مُرادَه.

النموذج السَّادِس: روى العيّاشـى عَنْ عمر بن حنظله عَنْ أبى عبدالله عليه السّـلام قَالَ: «عَنْ قول الله عَزَّ وَجَلَّ(قُلْ كَفى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْـدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ) (۱) الرعـد، فلما رآنى أتبع هَذَا عمرو بن حنظله(۲) وأشباهه مِنْ الكتاب(۳) قَالَ لَهُ الإمام الصادق عليه السّلام: «حَسْبُكَ يا عمرو كُلّ شىء مِنْ الكتاب مِنْ فاتحته إلى خاتمته مِثلَ هَذَا فَهُوَ فِى الأئمه وَقَدْ عُنوا به».

بتقريب: - إنَّ الإمام عليه السّـلام بَيَّنَ ضابطه عامّه وَهِىَ أنَّ الأئمه عليهم السّـلام موجودون فِى كُلّ آيه آيه مِنْ فاتحه الكتاب إلى آخر آيه وَهِىَ الخاتمه.

۱- (۱) سوره الرعد: الآيه ۴۳.

۲- (۲) وعمر بن حنظله فقيه كبير من أصحاب الصادق عليه السّلام.

۳- (۳) يعنى ما يرتبط بولايه أهل البيت عليهم السّلام ومقاماتهم.

فمثلاً فِی سوره الفاتحه قوله تَعَالَی: - (اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ(۶) صِراطَ الَّذِینَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ) فالأئمه علیهم السّلام موجودون ولا یقتصر تطبیقها عَلَی الأنبیاء والمُرسلین وإنْ کَانَ المصداق الجدّی الأوَّل لها هُمْ الأنبیاء والمُرسلین، ولکن هُنَاک مُراد جدّی ثانی وثالث ورابع و... حسب النَّظَریَّه الثَّانیه فِی قاعده الجری والتطبیق، وأنَّ هَذِهِ معانی مُراده والإمام الصادق علیه السّلام یرید أنْ یبیِّن أنَّ الأئمه علیهم السّلام عُنوا بها وأنَّ هَذَا التطبیق مدلولٌ معنیٌّ مُرادٌ لا أنَّهُ مُجرَّد تطبیق منعزل عَنْ التنظیر المعنوی.

وَعَلَیْهِ فَهَذَا التعبیر مِنْ الإمام الصادق علیه السّلام یُخالف دعوی النَّظَریَّه الأولی فِی قاعده الجری والتطبیق الَّتِی تبنّاها السَّیِّد العلّامه السَّیِّد مُحمَّد حسین الطباطبائی قدّس سرّه وَمِنْ تبعه.

کَمَا أنَّ فِی الروایه تصریحٌ عَلَی أنَّ المصادیق مِنْ المعنی المدلول للکلام فِی القُرآن مِنْ أوله إلی آخره، وأنَّ المصداق محل عنایه إراده الدلاله فِی الکلام الإلهی، وَهَذَا ما لَمْ یُبْنَ أُسسه ونظامُه بشکل کامل متکامل بَعْدُ فِی علوم اللُّغَه العربیه.

مَنْ لَمْ یعرف تأویل عبادته فَهِیَ خُداج:

النموذج السَّابع: روایه: «بینما أمیر المؤمنین علیه السّلام مارّاً بفناء بیت الله الحرام إذْ نظر إلی رجل یصلّی فاستحسن أمیر المؤمنین علیه السّلام صلاته فَقَالَ: یا هَذَا الرجل أتعرف تأویل صلاتک، قَالَ الرجل یا بن عم خیر خلق الله وهل للصلاه تأویل غَیْر التعبُّد، فَقَالَ علیه السّلام: - اعلم یا هَذَا الرجل: إنَّ الله

تَبارَکَ ما بعث نبیّه صلّی الله علیه و آله بأمر مِنْ الأمُور إلَّا وَلَهُ متشابه وتأویل وتنزیل، کُلّ ذَلِکَ مِنْ التعبُّد فَمَنْ لَمْ یعرف تأویل صلاته فصلاته خُداج مخدوشه منقوصه» (۱) .

بتقریب: - إنَّ الله تَعَالَی ما بعث نبی مِنْ أنبیائه بأمر مِنْ الأُمُور سواء آیات القُرآن أو ألفاظ القُرآن وَکُلّ ما لَهُ نسبه إلی الشرع مِنْ الشریعه ولها تأویل ولها تنزیل ولها مدارج مِنْ المعانی ومدالیل، وإذا لَمْ یَعْرف المُفَسِّرُ مثلاً هَذِهِ المدالیل فَهُوَ لا زال تفسیره ناقصاً یحتاج إلی أنْ یتکامل وَإلَّا لا یُسمَّی مُفَسِّراً إلَّا إذَا کانت صلاته وصومُه وحَجَّه تامّاً لا ناقصاً وَعَلَیْهِ فَمَنْ لَمْ یَعْرف تأویل صلاته وصومه وحجّه و... الخ فَإنَّ صلاته خُدَاج، وکذا صومه خداج وحجّه خُداج أیّ ناقصه.

فمثلاً فِی باب الصَّلاه المُکَلَّف إذَا لَمْ یأتَ بالأمر الإنشائی المعنوی فِی الصَّلاه، فَهَذَا معناه أنَّهُ لَمْ یأتِ بروح الصَّلاه، وإذا لَمْ یعرف المصلی معنی رفع یدیه فِی تکبیره الإحرام أو مدّ العنق أثناء الرکوع، وما معنی السجده الأولی وما معنی السجده الثَّانیه و... الخ وَعَلَیْهِ إذَا أتیت بالصلاه معناه إنَّک ترید مِنْهَا هَذِهِ المعانی المعیّنه وَإلَّا فصلاتُک خداج أیّ ناقصه لأنَّک لَمْ تعرف معنی التکبیر ورفع الیدین والرکوع والسجود و... الخ وتکون صلتک بالله تَعَالَی غَیْر تامّه ومنقطعه وَلَمْ یَتِمُّ الوصال.

۱- (۱) الوسائل، أبواب الصَّلاه:....

والشَّاهِد فِی هَذِهِ الروایه: - إنَّ إسناد مادّه وعنوان المعرفه إلی تأویل عنوان الصَّلاه مما یُؤکِّد عَلَی أنَّ تأویل الشیء بکَلِّ طبقات التأویل ودرجاته ولو المصداقیه دخیله فِی معرفه الشیء وبالتالی فِی معرفه عنوان ومعنی الشیء نفسه، وَهَذَا مؤشِّرٌ عَلَی أنَّ مقام التحقّق معنی فِی معنی الشیء.

النموذج الثَّامِن: عَنْ الإمام الصادق علیه السّلام: «إنَّ الله خلقنا فأکرم خَلْقنا وفَضَّلنا وجعلنا أمنائه وحفظته وخُزّانه عَلَی ما فِی السموات وما فِی الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءاً فَسَمّانا فِی کتابه وکنّی عَنْ أسمائِنا بأحسن الأسماء واحبها إلیه، وسمَّی أعدائنا وأضدادنا فِی کتابه، وکَنَّی عَنْ أسماءهم وضرب لهم الأمثال فِی کتابه فِی أبغض الأسماء إلیه، وَإلی عباده المتقین».

مُحمَّد بن الحسن (صاحب الوسائل) عَنْ علی بن إبراهیم عَنْ أبیه، عَنْ حمّاد بن عیسی، عَنْ إبراهیم بن عمر الیمانی، عَنْ سلیم بن قیس الهلالی عَنْ أمیر المؤمنین علیه السّلام قَالَ: «إنَّ الله طهرنا وعصمنا، وجعلنا شهداء عَلَی خلقه وحجّته فِی أرضه، وجعلنا القُرآن (وَالقُرآن) معنا لا نفارقه ولا یفارقنا»(۱).

بتقریب: إنَّ القُرآن الکریم حاشد ومحتفی بذکر أهل البیت علیهم السّلام غایه الأمر هَذَا الذکر لَیْسَ بالأسماء التصریحیه وَإنَّما بالکنایه، والکنایه

۱- (۱) الوسائل: ج ۲۷، أبواب صفات القاضی: ب ۱۷، ص ۱۷۸.

نوع مِنْ الاستعمال المباشر التصريحى وَإنَّما بمداليل متعدّده هَذَا فِى حق أهل البيت عليهم السّلام.

وكـذلك الحال فِى أعـداء أهل البيت عليهم السّـلام والإمام الصادق عليه السّـلام يُبيِّن فِى حـديثه أنَّ هَـذِهِ المحوريه لأهل البيت عليهم السّلام لها منشا وسبب ألا وَهُوَ أنَّهم عليهم السّلام قمم الفضائل لِإنَّهُ تَقَدَّمَ فِى احتجاج النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله يَوُم الغدير عَلَى الخلق كلهم: «... معاشـر النـاس هَـذَا علىٌّ أنصـركم لى وأحقكـم بى وأقربكـم إلىَّ وأعزَّكـم علىَّ والله عَزَّ وَجَـلَّ وأنـا عنه راضيان... وما نزلت آيه رضا إلَّا فيه وما خاطب الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا بدأ به، ولا نزل آيه مدح فِى القُرآن إلَّا فيه و... الخ»(۱).

بتقريب: - إنَّ السبب فِى مدح النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله لعلى عليه السّلام بكُلِّ هَذِهِ المدائح والأوسمه المُشرِّفه هُوَ أنَّ الله تَعَالَى أودع أكمل الكمالات فِى على عليه السّلام بَعْدَ النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله والإمام الصادق عليه السّلام أراد أنْ يُعلِّل أنَّهُ نَحْنُ أهل البيت عليهم السّـلام لِمَ كُنِّى عنّا بأسـماء شتّى فِى القُرآن فَإنَّ أسـماء الفضائـل يُريـد البارى عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذكرها مصاديق وتلك المصاديق التامّه والعُظمى موجوده فِى أهل البيت عليهم السّـلام: «إنَّ الله خلقنا فأكرم خلقنا وفضّـلنا وجعلنا أُمنائه وحفظته وخزّانه عَلَى ما فِى السـموات وما فِى الأرض...» وَعَلَيْهِ إذَا كَانَ أهل البيت عليهم السّـلام خُزّانه عَلَى ما فِى السـموات والأرض فَهَـذَا معناه أنَّهم المصداق الأعظم والأتمّ بَعْدَ الرسول صلّى الله عليه و آله وأنَّهم مجمع كُلّ علوم ومعالمِ وكمال

۱- (۱) الاحتجـاج: ج ۱، ص ۷۴-۸۰ فى احتجـاج النـبى صـلّى الله عليه و آله يوم الغـدير على الخلق كلهم وفى غيره من الأيـام بولايه على بن أبى طالب عليه السّلام ومن بعده ولده من الأئمه المعصومين عليهم السّلام.

وكمالات ما فِی السموات والأرض، وَعَلَیْهِ فكیف لا یكونون معنیون بذلك وَمِنْ ثمَّ كَنَّی الباری عنهم بأحسن الأسماء فِی مجمل الأسماء الحُسْنی الخلقیّه، لا الأسماء الإلهیّه فإنَّها لله تَعَالَی مختصّه به«... وكَنّی عَنْ أسمائنا بأحسن الأسماء واحبها إلیه». وفی مورد آخر«وأسماؤكم فِی الأسماء» بتقریب: - إنَّ الإسم الحَسَن ما یكون سِمه وعلامه وعنوان للكمال، فَإنَّ أسماؤكم هِیَ مِنْ أسمی سمو النعوت والكمالات فلهم الأسماء الخلقیّه لا الأسماء الإلهیّه، باعتبار أنَّ الأسماء الحُسْنی الخلقیه لهم خیر الأسماء، وأنَّ أسماءهم فِی الأسماء لها سموٌّ وسناء، (إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ یَهْدِی لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ) (۱) یهدی لأمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام لِإنَّهُ علیها السّلام أحسن ومنتهی مجمع الكمالات والأسماء الخلقیّه بَعْدَ رسول الله صلّی الله علیه و آله.

وما أرسله العیّاشی بسنده عَنْ علی بن حمزه عَنْ أبی جعفر علیه السّلام: «(وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هذَا الْقُرْآنِ لِیَذَّكَّرُوا) یعنی ولقد ذكرنا علیاً فِی القُرآن وَهُوَ الذكر فما زادهم إلَّا نفوراً»(۲).

إذَنْ النموذج التطبیقی الأعظم والأهم والقالب الحَسَن الذی یرید القُرآن أنْ یهدی إلیه هُمْ أهل البیت علیهم السّلام لأنَّهم علیهم السّلام مسار وباب الكمال إلی النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله وَإلی الله تَعَالَی، وَهَذَا بیان لنوع مِنْ عملیه الجری

۱- (۱) سوره الإسراء: الآیه ۹.

۲- (۲) العیّاشی: ج ۳، ص ۵۳، ح ۷۸.

الـذى تكـون الولاـيه فيـه لله وللرسـول صـلّى الله عليه و آله ثمَّ لأهـل الـبيت عليهم السّـلام محـوراً أساسـياً ثمَّ يـأتى دور منظـومه المحكمات ثمَّ دور منظومه تفاصيل المُتشابهات ثمَّ موارد النزول ثمَّ أحكام فرعيه أُخْرَى ثمَّ قواعد تفصيليه مُخْتَلِفَه.

والخلاصه مِنْ كُلّ هَذَا هُوَ أنَّ قول الإمام الصادق عليه السّـلام بمثابه تعليل لإكرام الله تَعَالَى لهم بأصل الخلقه والتفضـيل وجعلهم عليهم السّلام حفظه وخزّان عَلَى ما فِى السموات والأرض.

ومحـل الشَّاهِـد: فَـإنَّ هـدف القُرآن مِنْ هَـذَا كُلَّهُ هُوَ مزج الجانب التنظيرى مَعَ التطبيقى لا عزل أحـدهما عَنْ الآخر، ولا يَتِمُّ هَـذَا المزج بينهما إلَّا عَلَى ضوء النَّظَريَّه الثَّانيه فِى قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير.

هَـذَا كُلَّهُ بحسب منطوق قول الإمـام الصـادق عليه السّـلام: «إنَّ الله خلقنـا فـأكرم خلقنـا» وإنَّ أهـل البيت عليهم السّـلام هُمْ غـايه وأقصـى درجه الكمـال بعـدالنبى الأـكرم صـلّى الله عليه و آله. وأمَّا بحسب المفهـوم فيكـون المفهـوم أنَّ أعـداءهم وأضـدادهم يكونون فِى أقصـى درجات الرذيله والشـرّ وأنَّ فوق كُلّ ذى شـرٍّ شراً ويكون أعداؤنا - أعداء أهل البيت عليهم السّلام - بحسب المفهوم هُمْ المعنيون بالشر بِهَذَا اللحاظ.

وأخطر وأشدّ ما يتخوفه البارى تَعَالَى عَلَى خلقه مِنْ الشرّ الأهرّكى إذَا قِيلَ أنَّ المُرَاد مِنْ كُلّ مثل شرٍّ ضربه القُرآن أنَّ المُرَاد به

أعداؤهم باعتبارهم شرُّ الأشرار، أليس القُرآن وصف قاتل ناقه صالح أَنَّهُ قَالَ أشقاها وَهُنَاك أشقى(إِذِ انْبَعَثَ أَشْقاها(۱۲) (۱) وَهُنَاك أئمه كفر وضلال - والعياذ بالله تَعَالَى - كَذَلِكَ مَنْ يُعادى أهل البيت عليهم السّلام ممن يلد فِي العداوهِ للنبى صلّى الله عليه و آله ولأهل البيت عليهم السّلام يكون أكثر عتوّاً مِنْ الجبابره والفراعنه مِنْ أمثال النمرود وفرعون ذو الأوتاد وعاد وثمود، فهؤلاء ذكرهم القُرآن مِنْ باب الأمثله لِمَنْ هُوَ أعظم منهم. وسيأتى - إنْ شاء الله تَعَالَى - فِي بحث قاعده المَثَل مسأله العبور إلى المصداق الأعظم والأشدّ لا العبور إلى المصداق الأقلّ والأدون، وستتضح نكت ذَلِكَ فِي محلّه.

ولا يخفى إنَّ الروايه تُشير إلى أنَّ جُلّ بَلْ كُلّ استعمال قرآنى هُوَ استعمال كنائى وفى الاستعمال الكنائى يكون المُكنّى عنه خفيٌّ ولكنّه مُرادٌ بإراده جديده بَلْ قِيلَ أَنَّهُ مراد بإراده استعماليه حسب الاختلاف بين أقوال البلاغيين، وَعَلَى ضوء ذَلِكَ يتبيّن أنَّهم عليهم السّلام معنيون بمدلول الآيات الوارده فِي الاخبار استعمالاً أو تفهيمياً أو جدّاً، كَمَا أنَّ أعدائهم معنيّون فِي الآيات الوارده فِي الأشرار استعمالاً أو تفهيماً أو جدّاً وبالتالى فَإنَّ المعنى التنظيرى والاستعمالى لِجُلّ الآيات معنى مُوَّطِئ توطئهً للمعنى الجدّى المُرَاد والأهم والنهائى.

إلفات نظر: إنَّ الروايه الَّتِي ذكرناها فِي المورد الثَّامِن عَنْ الإمام الصادق عليه السّلام: «إنَّ الله خلقنا فأكرم خَلْقنا وفضلّنا وجعلنا أمنائه وحفظته

۱- (۱) سوره الشمس: الآيه ۱۲.

وخزّانه عَلَى ما فِي السموات والأرض و...».

هَذِهِ الروايه بالحقيقه ليست روايه واحده وَإنَّما هُنَاك روايات مُستفيضه فِي هَذَا المعنى والمضمون وأنء نَجْد الخير مجمع كماله وقمته أهل البيت عليهم السّلام ونَجْد الشر قمته فِي أعداء أهل البيت عليهم السّلام، وأنَّ روّاد سبيل الشر هُمْ أعداء أهل البيت عليهم السّلام الَّذِيْنَ صَرَّفوا وحرموا البشريه الاستفاده مِنْ أكبر كمال وسعاده دائماً يكونون أعتى وأكثر شرّاً عَلَى البشريّه وممن مانع البشريه عَنْ السعاده المتوسّطه ونذكر بَعْض تلك الروايات:

الروايه الأولى: عَنْ أبى الجارود، قَالَ سمعتُ أبا جعفر عليه السّلام يقول: «نزل القُرآن عَلَى أربعه أرباع: ربعٌ فينا، وربعٌ فِي عدوِّنا، وربع فِي فرائض وأحكام، وربعُ سُننٍ وأمثال، ولنا كرائم القُرآن»(۱).

الروايه الثَّانيه: عَنْ الأصبغ بن نُباته قَالَ: سمعتُ أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: «نزل القُرآن أثلاثاً ثلثاً فينا وفى عدوّنا، وثُلث سُنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام»(۲).

۱- (۱) تفسير العيّاشى: ج ۱، ص ۸۴، باب ما أُنزل فى القرآن والكافى: ج ۲، ص ۴۵۹.

۲- (۲) المصدر السابق: ح ۳.

اهتمام القرآن بجانب الشرور الواقعه جرياً كقاعده

اشاره

[لماذا يُؤكِّد القُرآن عَلَى ذكر جانب الشَّر]

هَـذَا خيرُ دليـل وشاهـد عَلَى ربـط مقـام التنظير بـالتطبيق وعـدم الاقتصـار عَلَى ذكر المصاديق بلحاظ حقبه زمنيّه مُعيَّنه والاقتصار عَلَيْهَـا، بَـلْ يتعـداها إلى كُلّ ما ينطبق عَلَيْهِ الجانب التنظيرى فمثلاً يـذكر القُرآن جانب الخَيِر والكمالات فِى الأُمم السابقه فبـذكر المُرَاد الجـدّى مِنْهَـا يـذكر بَعْض المصـاديق ويتعـدّى مِنْهَـا إلى كُـلّ ما ينطبق عَلَيْهِ ضابط الخير كَمَا فِى أهل البيت عليهم السّـلام الَّذِيْنَ هُمْ مجمع الكمالات والفضائل، وَإلَّا لو اقتُصِرَعلى الجانب التنظيرى فَقَطْ لماتت الآيه بانتهاء مخاطبيها، وكذا إذَا اقتُصِرَ عَلَى ذكر بَعْض مصاديقها فِى ذَلِكَ الوقت والجمود عليهم وعدم التعدّى إلى غيرهم.

وهكذا جانب الشرَّ فَإنَّ أهل الشرّ معنيّون فِى القُرآن قطعاً بَلْ أكثر جدّيه فِى إرادتهم مِنْ بقيّه مراتب الشرّ والأشـرار، وَعَلَيْهِ فَمِنْ الصادق والصحيح الآن عِنْدَمَا نقول: -

بـأنَّ القُرآن لاـ يكـترث بـذكر مصـاديق بَعْض الظلمه والفراعنه والمُتجبّره كـالنمرود الـذى يقابـل فى العـداوه النَّبِىّ إبراهيم عليه السّلام، بقدر ما

يُحَذِّر مِنْ النمرود الذى يقابل سيد الأنبياء صلّى الله عليه و آله، أو بقدر ما يوقى البشريه مِنْ فرعون الذى يقابل سيد الأنبياء صلّى الله عليه و آله وعترته أو قارون أو هامان أو غيرهم مِنْ الأشرار، وَعَلَيْهِ فخاطب القُرآن النَّبِىّ إبراهيم وموسى وأنَّهما فِى مصافِ سيد الأنبياء وما خاطب القُرآن به شريعه الأنبياء السابقين فِى خضم شريعه سيد الأنبياء.

وهكذا قاتل ناقه صالح شقىّ ولكن فِى نفس سوره الشمس ذكر بَعْض المفسرين بناءاً عَلَى بَعْض التفسيرات الروائيه أنَّ المُرَاد مِنْ قاتل ناقه صالح هُوَ عبدالرحمن ابن ملجم وإرادته أشدّ اهتماماً مِنْ إرده نفس قاتل ناقه صالح، فَإنَّ عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله عَلَيْهِ أشقى الأولين والآخرين، وهل يُظَن بالبارى تَعَالَى إنَّهُ غَيْر مُلتفت أو غَيْر مُلِّم بمجريات الأُمُور والمصاديق أىّ طبيعه واى معنى وَأىّ عنوان، – والعياذ بالله – بَلْ قطعاً البارى ملتفت إلى ذَلِكَ وعالم بكُلِّ شىء وأنَّ الخطاب القُرآنى لأجل إرشاد وهدايه البشر فِى أُفق التطبيق.

وَعَلَيْهِ عِنْدَمَا يُقَال: – أنَّ القُرآن عنى أهل البيت عليهم السّلام وأنَّهم مجمع الفضائل وَهُمْ قمه المعنيين بذلك هُوَ لَيْسَ نوع مِنْ الانفعال العاطفى، وأنَّ أعداء أهل البيت عليهم السّلام هُمْ قمّه المعنيين بالرذائل، فَهَذَا لَيْسَ مجاز ولا تصوير شعرى وشاعرى خيال، بَلْ البارى تَعَالَى دائماً يحذِّر مِنْ الأخطر والأعظم، وهكذا شأن كُلّ حكيم فَإنَّ نفس اهتمامه واعتنائه بالخطر دليل عَلَى خطوره النتائج المترتبه عَلَى عدم الاهتمام، وعدم التحذير مِنْ هكذا

خطر قبل وقوعه وعدم غفلته.

وَعَلَيْهِ فتحسس القُرآن لما هُوَ راهن غايه لما سيأتى، وبعباره أُخْرَى إنَّ اهتمام القُرآن بموارد نزول الآيات مما هُوَ معنىٌّ ومقصودٌ للقُرْآن بلحاظ التنزيل مَعَ كونه فِى الأهميّه مساوٍ لما سيأتى أو دونه فكيف لا يُفرّض اهتمام القُرآن معنى ومقصوداً عَلَى صعيد المدلول بما سيأتى مَنْ هو أعظم أو مساوى فِى الأهميّه مما هُوَ مورد تأويلى للقُرْآن كاهتمام بموارد التنزيل.

مَنْ هُوَ أعظم شأناً وغايه لِمَنْ هُوَ راهن حاضر عِنْدَ نزول القُرآن الكريم، فالذى هُوَ راهنٌ وحاضرٌ فِى نزول القُرآن هُوَ نمرود إبراهيم عليه السّلام أو نمرود الجاهليه فِى الإسلام أو نمرود نفاق الإسلام أو نفاق الإيمان، وَمِنْ الواضح أنَّ المُرَاد به أولئك يعنى مُرادٌ لهم جداً، وكذلك مراد جدّاً لما وراءه بلا منافاه فِى ذَلِكَ المُرَاد الجدّى لكنَّ المُرَاد الجدى الثَّانِى أو الثَّالِث أو... الخ يكون مراداً جدّاً أكثر تشدّداً.

تنبيه هام

فِى نهايه الكلام عَنْ قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير نودُّ الإشاره إلى مطلب مهم وحاصله أنَّهُ عِنْدَمَا نعبِّر فِى قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير أنَّ المُرَاد هُوَ أنَّ نعبِّر بالقاعده والضابطه فَإنَّ مثل هَذَا لَيْسَ ضابط خيالى شاعرى، وإنْ كَانَ وللأسف بَعْض الباحثين المثقفين أو غيرهم عِنْدَمَا

يقفون عَلَى مثل هكـذا روايات وهكـذا مضامين يقول هَذِهِ مِنْ مشـرب الغُلاه! والواقع خلافه فَإِنَّهُ مشـرب عقلى صافٍ نهله ونمير عـذبٌ فَـإِنَّ أىّ مُقنن إذَا لَمْ يلتفت إليه سواء عَلَى صـعيدالقانون أو غيره عِنْـدَمَا يضع ويُقنن قانون جنائى فَإِنَّ أهم شـىء لـديه هُوَ ذكر المصاديق الخطيره لا المصاديق المتوسِّطه أو الأقل خاصّه إذَا كَانَ يعلم بها ذَلِكَ المُقنِّن وأنَّ المصاديق المتوسّـطه أو الدانيه سوف تكون بالتبع وبالعرض مشـموله لهذا التقنين، هَذَا عَلَى صـعيد التقنين البشـرى، فكيف بتقنين(وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ) (١).

إذَنْ أهميّه وخطوره المصـداق الأـعظم يُعبأ بها ولا يعنى ذَلِكَ تجاهل المصاديق المتوسِّطه أو الـدانيه كلا ولا منافاه، فمثلاً عباره رسول الله صلّى الله عليه و آله الذى هُوَ المصداق الأعظم أين عبادته صلّى الله عليه و آله مِنْ عباده رجل صالح؟

وإنْ كَانَ الله غنيّاً عَنْ عباده العباد، إلَّا أنَّ الاكتراث الإلهى يعتنى، ويعنى بمعنى التقسـيم والتقدير بعباده سيد الأنبياء صلّى الله عليه و آله، ولـذلك إذَا كـانت غايه الخِلْقه هِىَ الخضوع لله وإظهار عظمه الله عَلَى يـدى أهل بيته ولا تُقاس بإظهار عظمته تَعَالَى عَلَى يـدى جبرائيـل وميكائيـل فَـإِنَّهُ يوجـد فرق بين العبادتين؛ ولـذا وَرَدَ فِى زيارات أهل البيت عليهم السّـلام نعوت: «لا يُضادكم ذو ابتهال وخشوع» أىّ مهما ابتهل وتضـرَّع وتضعضع الدَّاعى مِنْ ملكٍ مُقرَّب أو نبى مُرْسل فَإِنَّهُ لا يمكن أنْ يُضادّكم وكيف لَهُ أنْ يضادكم وما قَدْ ألمُّوا به مِنْ معرفه الله فوق معارف سائر الخلائق بنصّ

١- (١) سوره الذاريات: الآيه ٥٦.

القُرآن الكريم الـذى هُـوَ مُهيمن عَلَى بقيّه الكتب السـماويّه مِنْ صـحف إبراهيم عليه السّـلام وتوراه موسـى عليه السّـلام وإنجيل عيسى عليه السّلام و... الخ.

وَبيَّنَ القُرآن الكريم وراثه عتره النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله للكتاب مِنْ النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله وبنصّ القُرآن الكريم(لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ(٧٩) ١ مِنْ أهل آيه التطهير وَهُمْ عتره النَّبِىّ الأكرم صلّى الله عليه و آله إذَنْ و(وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ(٥٦) ٢ أىّ ليعرفون إنَّهُ لولا الإمام الحجه عجّل الله تعالى فرجه الشـريف حُجَّه الله فِى أرضه، لساخت الأرض بأهلها٣: الإمام الذى هُوَ حجّه الله فِى الأرض هُوَ القمّه العاليه لا الهدف المتوسِّط، وإنْ كَانَ الله تَعَالَى غنيّاً عَنْ عباده الخلق أجمعين بما فِى ذَلِكَ عباده سيـد الأنبيـاء صـلّى الله عليه و آله وَإنَّمـا سـيد الأنبيـاء صـلّى الله عليه و آله فقير ومُحتـاج إلى ربّ الأرباب تَعَالَى إلَّا أنَّ الاكتراث الإلـهى بالآـيه الربـانيه والجمـال والكمال الربانى، هُوَ المصـداق الأعظم وَهُوَ سـيد الأنبياء فَإنَّهُ المصـداق الأتمَّ وَهُوَ المعنى بالآيه وبقيّه المصاديق مُرادَه بالتبع والظل.

وَعَلَيْهِ فَـإنَّ الإـراده فِى المـداليل فيهـا شـدّه وضـعف وَلَمْ يـذكرها عُلَمَـاء البلاغه والأصول والفقه، فَإنَّ الـدلاله تابعه إلى الإ راده، والإراده فيها شدّه وضـعف، وكذا المدلول فيه شدّهً وضـعفاً وكأنَّما الدلاله عمليّه تركيز وإضاءه ونور وشـعاع شديد عَلَى الإراده، وَالمُرَاد الأتمّ، والمدلول الجدّى

أشدّ مما تركز الدلاله عَلَى المُرَاد ذو الإراده المتوسِّطه أو الدانيه فَإنَّ إضاءتَه خافتَهٌ.

وَهَـذَا مما اعترفوا به ارتكازاً ألم يقولوا بإنَّ الدلاله فيها نصٌّ وفيها صـريحٌ وفيها تصـريح وفيها ظهور أقوى وظهور متوسِّط وظهور ضعيف، وَهَـذَا معناه الـدلاله عَلَى درجات وكـذلك الحال فِى المـداليل الحقيقيّه بحسب الإراده، وَعَلَيْهِ فَهُنَاك إراده جدّيّه أشـدّ وَهُنَاك إراده جدّيّه متوسِّطه وَهُنَاك أقلّ وهكذا.

خاتمه

إنَّ المصاديق وإنْ اشتهرت بين البلاغيين أنَّها خارجه عَنْ مُحيط الدلاله والمدلول وأنَّ الكلام إنَّما يُستعمل فِى الصور الذهنيه مِنْ المفاهيم والمعانى إلَّا أنَّ الدلائل الَّتِى مَرَّت دالَّه عَلَى أنَّ صقع المصاديق داخله فِى دائره المدلول ولا سيّما فِى الكلام الإلهى ولو بتوسّط مرآتيه المعانى والمفاهيم للمصاديق الخارجيه ومقام التطبيق، وبالتالى فالصور والمعانى والمفاهيم فِى الـذهن هِىَ بدورها أيضاً دوال انضـماميّه للكلام لاسـتعمالها حاكيةً ودالةً عَلَى المصاديق فالمـدلول الملحوظ غايه هُوَ المصـداق فِى مقام الاسـتعمال والدلاله لا سـيّما المصداق الأعظم، فَكَمَا أنَّ التلفظ بأصوات اللَّفْظ وحروف الكلام أو نقش كتابته هُوَ لغايه الدلاله عَلَى ما وراءه وليس مقصوداً لذاته، فكذلك المعانى والمفاهيم فِى الذهن لَيْسَ مقصوده ومعنيّه فِى الدلاله لذاتها،

بَلْ لغايه وقصد المصاديق واهمها المصاديق ذَاتَ الشأن الكبير فِى الطبيعه الكليّه.

وبعباره أُخْرَى: فَكَمَا أنَّ الحال فِى المعانى والمفاهيم الـذهنيه قَدْ تقصـد لمعانى أُخْرَى ورائها والمعانى لأخرى قَدْ تقصـد أيضـاً لمعـانى ثـالثه والثـالثه لرابعه مِنْ طبقـات المعـانى والمفـاهيم المتعـاقبه والمـترامیه، وَهَـذَا بـابٌ مِنْ أبواب الجرى والتعبير والعبور، وكذلك حركه الجرى مِنْ المعانى إلى المصاديق ولا سيّما الهام والخطير مِنْهَا.

ص:٢٥٥

القاعده السادسه:قاعِدَهُ الذِکْر فِی القُرآن الکریم

اشاره

ص:۲۵۷

قاعِدَهُ الذِكْرِ فِی القُرآن الکریم

اشاره

الفهرس الإجمالی:

* المقدمه.

* معنی القاعده.

* مدرک القَاعِدَه.

* الذَکر صفه لمراتب وجودیه متکثّره.

* حقیقه الإعجاز فِی القُرآن وصله ذَلِکَ بأنَّ حقیقته ذکرٌ.

* السِّر فِی عدم اکتشاف إعجاز القُرآن.

* طبیعه حقیقه القُرآن أنَّهُ یُفعِّل کُلّ علمٍ.

* ما معنی الذِکر.

* التذکر مِنْ شرائط قراءه القُرآن المستحبه.

* الذکر بمثابه الأصل الذی انحدر مِنْهُ القُرآن الکریم.

* ضروره تأسیس الجانب العملی والعلمی للمفسِّر فِی قاعِدَه الذِکر.

* الحقیقه لا تقتنص بالتنظیر الفکری فَقَطْ.

* تأثیر العداله والتقوی عَلَی الجانب العلمی.

* الطهاره الروحیه ودخالتها فِی جانب التفسیر.

* أهم مميزات قاعِدَه الذِكر.

* الفرق بين الندبه بالذكر والندبه بالنياحه.

* أهم الشرائط المُعتبره فِى المفسِّر للقُرْآن الكريم، طهاره المُفسِّر سبب لوصوله إلى حقيقه الذكر فِى القُرآن الكريم.

* لَيْسَ كُلّ تهذيب أخلاقى ذِكر.

* المعانى الأُخْرَى لقاعده الذِكر.

* تنبيه: - كُلّ سوره فِى القُرآن لها وزن مُعيَّن وتفعليه خاصّه.

* كيفيه استكشاف قواعد الذِكر.

* الذِكر هُوَ أحد معانى أشهد أنَّك تلوت الكتاب حقَّ تلاوته.

* المفسِّر الناجح مَنْ يستطيع التمييز بين الآيه الأم وغيرها..

* أهميّه وخطوره علم التفسير فِى تنظيم متطلبات أفراد المجتمع فِى يومياتهم.

* علم التفسير هُوَ للمفسِّر الناجح الذى يُلبى حاجه البشر أينما ما كانت.

* أهم ثلاث مُميزات لقاعِدَه الذِكر.

الذِكْرُ فِى القُرآن الكريم

المقدمه:

لا يخفى عَلَى المُتتبع الكريم أنَّ أسلوب القُرآن هُوَ أُسلوب ذِكْرٍ، وجارى عَلَى الأمثال، وقبل الخوض فِى تفاصيل هَـذِهِ القَاعِدَه الخطيره وَالمُهِمَّه نُذَكِّر بجمله أُمُور:

الأمر الأوَّل: إنَّ بَعْض المُحققين مِنْ الباحثين وإنْ كَانَ قَدْ عنونها بعنوان آخر وَهُوَ: - قَاعـدَه الذِكر والأمثال أو المَثل فِى القُرآن، وأنَّ هَـذَا العنوان يوحى أنَّهُ يحتوى عَلَى قَاعـدَه واحـده إلَّا أنَّ الواقع هُمَا قاعـدتان مُنفصـلتان، وَلِكُلِّ قَاعـدَه معناها ومدركها عَلَى حِدَه، كَمَا سوف نبحثها عَلَى ضوء منهجنا التفسيرى أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات، ونظراً لتشابك وتقارُب الصله الوطيده بينهما عَلَى رأى بَعْض المناهـج دُمج الكلام عنهما تحت عنوان واحد، وإنْ كَانَتْ قَاعدَه الذِكر مِنْ أعظم محكمات قَواعِد التفسير عَلَى الإطلاق وبلا منازع، وأنَّ قَاعـدَه الأمثال، إنَّما هِىَ إعـداد لها، والغايه هِىَ القَاعِدَه الأولى - قَاعدَه الذِكر - وَالثَّانيه - قَاعدَه الأمثال مُمَهِّدَه لها.

الأمر الثَّانِى: إنَّ قَاعـدَه الـذِكر وكـذا الأمثال الَّتِى سيأتى بحثها لاحقاً ليستا مُكتشفه الأبعاد، وَإنَّما خوضـنا فيهما مِنْ باب التنويه والتنبيه رجاءَ أنْ تنكشف جمله مِنْ جهات القَاعِدَه المذكوره.

والـتركيز عَلَى جعـل قَاعـدَه الـذِكر مِـنْ قَواعِـد التفسـير العظيمـه والخطيره، مِمَّا قَـدْ ينفرد بـه خـواص منهـج أمـومه الولاـيه عَلَى المُحْكَمـات دون بـاقى المناهـج التفسـيريه الأُخْرَى، ولنلاحظ أنَّ هَـذِهِ القَاعِـدَه هِىَ حصـيله منظومه قَواعِـد ولكن بنُظم وتركيب قُرآنى خفىٍّ، وَأنَّها ليست قَاعـدَه مُنعزله عَنْ بقيّه قَواعِـد التفسير، وليست هِىَ كَـذَلِكَ مُسـتنتجه مِنْ قَاعـدَه فارده، أو قاعدتين، أو بضع قَواعِد فِى التفسير، بَلْ هِىَ نظام مجموع قَواعِد التفسير، بَلْ ومنظومه طبقات أنظمته.

الأمر الثَّالِث: إنَّ هَـذِهِ القَاعِـدَه تمتاز بمميزات نـذكرها فِى محلّها يجمعها: - أنَّ الـذِكر هُوَ نظام العلوم يوظّفها إلى الكمال، وَأنَّها بمثابه العلامه البوصـليّه لسلامه المنهاج التفسيرى، وَهَذِهِ القَاعِدَه قَاعدَه منهجيّه راسمه لمختلف علوم تفسير القُرآن وقواعده، كَمَا سوف يتّضح كُلّ ذَلِكَ فِى محلّه - إنْ شاء الله تَعَالَى -

يقع الكلام فِى أُمُور: -

الأمر الأوَّل: معنى القَاعِدَه.

الـذِكر لغهً: - قَالَ الخليـل: - الـذِّكْر: - هُوَ الحفظ للشـىء تـذكرُه، وَهُوَ مِنِّى عَلَى ذكر، والـذِكْر: - الشـرف والصوت، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: (وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ) (1).

١- (١) سوره الزخرف: الآيه ۴۴.

والذِكر: الكتاب الذى فيه تفصيل للدِّين، وَكُلّ كتاب للأنبياء ذِكرٌ.

وَقَالَ ابن دريدُ: - الذكر ضد النسيان.

الذِكر بالمصطلح التفسيرى: ذكر الفخر الرَّازى أنَّ المُرَاد بالذكر هُوَ القُرآن كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: (وَ هذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ) (١)(وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ) (٢) و(ص وَ الْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ(١) (٣) و(وَ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ) (۴) و(يا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) (۵).

وَقَالَ الفخر الرازى، ثمَّ فِى تسميّه القُرآن بالذكر وجوه: -

أحدهما: - إنَّهُ كتاب فيه ذِكر ما يحتاج إليه الناس مِنْ أمر دينهم ودنياهم.

وثانياً: إنَّهُ يذكر أنواع آلاء الله تَعَالَى ونعمائه ففيه التذكير والمواعظ.

وثالثاً: فيه الذكر والشرف لك ولقومك عَلَى ما قَالَ: (وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ) (۶) ، واعلم أنَّ الله تَعَالَى اسمه تسمَّى كُلّ كُتبه ذِكراً فَقَالَ: (فَسْئَلُوا

۱- (۱) سوره الأنبياء: الآيه ۵۰.

۲- (۲) سوره الزخرف: الآيه ۴۴.

۳- (۳) سوره ص: الآيه ۱.

۴- (۴) سوره الأنبياء: الآيه ۲.

۵- (۵) سوره الحجر: الآيه ۶.

۶- (۶) سوره الزُخرف: الآيه ۴۴.

أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (۱) (۲).

وَقَالَ السَّيِّد العلّامه الطباطبائی: - المُرَاد مِنْ الـذكر هُوَ القُرآن الكريم، أو ما يشـتمل عَلَيْهِ مِنْ المعارف المتنوِّعه الَّتِی يُـذكر بها الله سُبْحَانَهُ مِنْ حقائق وقصص وعِبَر وأخلاق وشرائع وَغَيْر ذَلِكَ (۳).

وَعَلَيْهِ فلو عمّمنا صفه الذكر لألفاظ القُرآن الكريم الذی يُقابل الشعر كَمَا فِی الآيه(وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِی لَهُ إِنْ هُوَ إِلّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ(۶۹) (۴).

بتقريب: - أنَّ الذكر يُقَال لَهُ شعر حَتّی فِی وقع التفعيله وترتيب القافيه الصوتيه والسجع الصوتی.

ولـذا عِنْدَمَا نقرأ القُرآن الكريم نجد أنَّ هُنَاك آياتٌ كثيره يصِفُ القُرآن بها نفسه بأنَّه ذكر، كَمَا سـيأتی بحثها فِی الأمر الثَّانِی - مدرك القَاعِدَه - وسيأتی تقرير مَعْنَی الذكر عَلَی مختار منهج أمومه الولايه فِی نهايه القَاعِدَه.

الأمر الثَّانِی: مدرك القَاعِدَه:

أوَّلاً: قوله تَعَالَی: (وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِی لَهُ إِنْ هُوَ إِلّا ذِكْرٌ

۱- (۱) سوره النحل: الآيه ۴۳.

۲- (۲) تفسير الفخر الرازی: ج ۳۲، ص ۱۱۳.

۳- (۳) تفسير الميزان للعلّامه الطباطبائی: ج ۱۴، ص ۲۰۹.

۴- (۴) سوره يس: الآيه ۶۹.

وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ(۶۹) (۱). بتقريب: - إنَّ القُرآن الكَرِيم بَيَّنَ أنَّ حقيقه القُرآن سواء عَلَى صعيد الكلام الصوتى وما فوق ذَلِكَ مِنْ مراتب القُرآن لَيْسَ تركيبٌ صوتى لتحريك خيال الإنسان وعواطفه كَمَا هُوَ الحال فِى الشعر، بَلْ هُوَ يُعَبِّدُ الطريقَ لِيُحَصِّلَ حاله التذكّر لدى الإنسان وغيره مِنْ قراءته والعمل به، فَمِنْ ثمَّ حار الأدباء فِى تشخيص حقيقه ماهيه التركيب الأدبى للقُرْآن، وَأنَّهُ هل يدخل فِى الشعر، أو فِى السجع وفى الغزل أو فِى الحماس، أو فِى الأسلوب الرمزى، أو فِى النثر القصصى إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ أبواب الأدب فِى اللُّغَه.

وَلَمْ يفطنوا إلى يومنا هَذَا لقواعده فِى التركيب البلاغى، وَأنَّهُ مِنْ أىّ شاكله.

وفى الحقيقه: - أنَّ سبب هَذَا التحيّر هُوَ أنَّ ماهيّه التركيب اللغوى والبلاغى لألفاظ القُرآن هِىَ ماهيّه التركيب الذكرى، أىّ الذى يوجب التذكر، لا الذى يوجب إثاره الخيال مِنْ حَيْثُ هُوَ خيال، ولا إثاره العاطفه مِنْ حَيْثُ هِىَ عاطفه، ولا إثاره الوهم والواهمه فِى هيمان معانى، ولا إثاره شعور الإحساسات والحسّ والتحسّس مِنْ حَيْثُ هُوَ، ولا إثاره جُرْبُزَه الفكر مِنْ حَيْثُ هُوَ تحليقٌ فكرى، ولا غَيْر ذَلِكَ مِنْ إثاره أفعال قوى النفس مِنْ حَيْثُ هِىَ هِىَ، بَلْ هُوَ توظيف كُلّ ذَلِكَ فِى مسيره

۱- (۱) سوره يس: الآيه ۶۹.

ومسار حصول التذكّر والذكر للإنسان لما مَرَّ به مِنْ عوالم أخذت عَلَيْهِ المواثيق فِي تركيب فطرته وذاته.

ثـمَّ إنَّ توصـيف مـا نُزِّلَ عَلَى النَّبِيّ صـلّى الله عليه و آله مِنْ الكتـاب بـأنَّه ذكرٌ، ثمَّ توصـيفه بـالقرآنيّه، دالٌّ عَلَى نقـد وعلـو مرتبه الذكريّه للقُرْآن عَلَى مرتبه قرآنيه الكتاب.

٢ - قوله تَعَالَى: (إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ(٨٧) (١).

بتقريب: - إنَّ هَـذِهِ الآـيه المبـاركه تشـير إلى أنَّ الـذكر الـذى هُوَ مِنْ أعظم غايات القُرآن لَيْسَ غايةً خاصّةً بالإنسان، بَلْ القُرآن غايته الذكر لجميع المخلوقات.

٣ - قوله تَعَالَى: (وَ هذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) (٢).

بتقريب: - إنَّ فِي الآـيه المبـاركه إشـاره إلى أنَّ حقيقه الـذكر علويةٌ لاـ يَصِـلُ إليها إلَّا بالعروج، وَمِنْ ثمَّ كَانَ الـذكر عَلَى مراتب وأقسام فوقَ أنْ تُحْصَى.

٤ - قوله تَعَالَى: (ذلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآياتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ(٥٨) (٣).

بتقريب: - وفى الآيه مقابلةٌ بين الآيات والذكر وفيه إشاره إلى علو

١- (١) سوره ص: الآيه ٣٨.

٢- (٢) سوره الأنبياء: الآيه ٥٠.

٣- (٣) سوره آل عمران: الآيه ٣.

حقیقه الـذِّکر وأنَّ الآیات المبارکه تنزلات لَهُ، وَهُوَ مطابق لما تَقَدَّمَ فِی سوره یس مِنْ کون الذکر أعلی مقاماً لحقیقه الکتاب مِنْ مرتبه قرآنیّه الکتاب.

۵ - قوله تَعَالَی: (أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جاءَکُمْ ذِکْرٌ مِنْ رَبِّکُمْ عَلی رَجُلٍ مِنْکُمْ لِیُنْذِرَکُمْ وَ لِتَتَّقُوا) (۱).

۶ - قوله تَعَالَی: (وَ قالُوا یا أَیُّهَا الَّذِی نُزِّلَ عَلَیْهِ الذِّکْرُ إِنَّکَ لَمَجْنُونٌ) (۲).

والآیتان الخامسه والسادسه بنفس مضمون تقریب الآیه الرابعه.

۷ - قوله تَعَالَی: (وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الذِّکْرَ لِتُبَیِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَیْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ(۴۴) (۳).

بتقریب: - إنَّ هَذِهِ الآیه المبارکه فیها إشاره إلی أنَّ الذکر مَعَ کونه ذکراً إلَّا أنَّهُ یحتاج إلی بیان وتبیان وترجمان.

۸ - قوله تَعَالَی: (فَالتّالِیاتِ ذِکْراً(۳) (۴).

۹ - قوله تَعَالَی: (کَلّا إِنَّهُ تَذْکِرَهٌ(۵۴) فَمَنْ شاءَ ذَکَرَهُ(۵۵) وَ ما یَذْکُرُونَ إِلّا أَنْ یَشاءَ اللّهُ) (۵).

۱- (۱) سوره الأعراف: الآیه ۷.

۲- (۲) سوره الحجر: الآیه ۵.

۳- (۳) سوره النحل: الآیه ۱۶.

۴- (۴) سوره الصّافات: الآیه ۳۷.

۵- (۵) سوره المدّثر: الآیه ۵۴-۵۶.

بتقريب: - إنَّ الآيه المُبَارَكه دالَّه عَلَى أنَّ التـذكر بالقرآن لا يحصل إلجاءاً قهريّاً، بَلْ لابُدَّ مِنْ إراده ومشـيئه مِنْ الإنسان أيضاً فَهُوَ أمر بين أمرين لا جبر ولا تفويض.

١٠ - قـوله تَعَـالَى: (قَـدْ أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً(١٠) رَسُولاً ـ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ) (١). بتقريب: - حسب مـا وَرَدَ فِي الروايـات فالـذكر هُوَ رسول الله صلّى الله عليه و آله، والأئمه أهله(٢).

١١ - قوله تَعَالَى: (ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى(٢) إِلاّ تَذْكِرَهً لِمَنْ يَخْشى(٣) (٣).

بتقريب: - فِي الآيه دلالهٌ عَلَى أنَّ التذكر لا يحصل مِنْ قراءه المصـحف والتدبّر بالمعانى إلَّا بالتقوى وحصول الخشيّه القلبيّه، ممّا يُشير إلى ما مَرَّ مِنْ أنَّ التذكّر والذِكر لَهُ مراتب فوق بعضها البعض مُتصاعده إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ الآيات الكريمه.

ثانياً: الروايات:

الروايـه الأُولى: الحسـن بـن مُحمَّد الطوسـى فِي (المجـالس) عَنْ أبيه، عَنْ المفيـد، عَنْ المظفر البلخى، عَنْ مُحمَّد بن همـام، عَنْ عبدالله بن جعفر الحميرى، عَنْ أحمد بن مُحمَّد بن عيسى، عَنْ الحسن بن محبوب، عَنْ أبى حمزه الثُمالى، عَنْ أبى

١- (١) سوره الطلاق: الآيه ١٠-١١.

٢- (٢) مستدرك سفينه البحار: ج ٣، ص ٤٢٥ للشيخ حسين بن على النمازى.

٣- (٣) سوره طه: الآيه ٢-٣.

جعفر مُحمَّد بن على الباقر عليه السّلام، قَالَ: «لا يزال المؤمن فِى صلاه ما كَانَ فِى ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، قائماً كَانَ أو جالساً أو مضطجعاً، إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ) (۱)

. (۲)

الرُّوايه الثَّانيه:... عَنْ أبى عبدالله عليه السّلام، قَالَ: «... ما مِنْ شىء إلَّا وَلَهُ حَدٌّ ينتهى إليه إلَّا الذكر فَلَيْسَ لَهُ حَدٌّ ينتهى إليه، فرض الله عَزَّ وَجَلَّ الفرائض، فَمَنْ أدّاهُنَّ فَهُوَ حَدَّهُنَ وشهر رمضان فَمَنْ صامه فَهُوَ حَدَّه، والحج فَمَنْ حجَّ فَهُوَ حدّه، إلَّا الذكر، فَإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لم يرضَ مِنْهُ بالقليل وَلَمْ يجعل لَهُ حدٌّ ينتهى إليه، ثمَّ تلا(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللّهَ ذِكْراً كَثِيراً(۴۱) وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَهً وَ أَصِيلاً(۴۲) (۳). فَقَالَ: لَمْ يجعل الله لَهُ حدّاً ينتهى إليه، قَالَ: وَكَانَ أبى كثير الذكر، لقد كنتُ أمشى معه وَإنَّهُ ليذكر الله، وآكل معه الطعام وَأنَّهُ ليذكر الله، ولقد كَانَ يحدث القوم وما يشغله ذَلِكَ عَنْ ذكر الله، وكنتُ أرى لسانه لازقاً بحنكه، يقول: لا إله إلَّا الله، وَكَانَ يجمعنا فيأمرنا بالذكر حَتّى تطلع الشمس - إلى أنْ قَالَ: - وَقَالَ رسول الله صلّى الله عليه و آله: ألا أخبركم بخير أعمالكم لكم وأرفعها فِى درجاتكم، وأزكاها عِنْدَ مليككم، وخيرٌ لكم مِنْ الدينار والدرهم، وخيرٌ لكم أنْ تلقوا عدوّكم فتقتلوهم ويقتلوكم؟ فقالوا: بلى، فَقَالَ ذكر الله كثيراً، ثمَّ قَالَ: جاء رجلٌ إلى النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله فَقَالَ: مَنْ خيرُ أهل المسجد؟ فَقَالَ:

۱- (۱) سوره آل عمران: الآيه ۱۹۱.

۲- (۲) وسائل الشيعه للحر العاملى: ج ۷، كتاب الصلاه، أبواب الذكر: ب ۱، ح ۵، ص ۱۵۰.

۳- (۳) سوره الأحزاب: الآيه ۴۱-۴۲.

أكثرهم لله عَزَّ وَجَلَّ ذكراً (۱) .

وَمِنْ كلام لأمير المؤمنين عليه السّلام فِی نهج البلاغه: - عِنْدَ تلاوته(رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ) (۲). قَالَ: إنَّ الله سُبْحَانَهُ جعل الذكر جلاءاً للقلوب تسمع بِهِ بَعْدَ الوقره وتَبْصِرُ به بَعْدَ العشوه، وتنقاد به بَعْدَ العانده(۳).

الرُّوايه الثَّالِثه: عَنْ الإمام الحسن المجتبی، قَالَ: - قَالَ رسول الله صلّی الله عليه و آله بادروا إلی رياض الجنّه، فقالوا: وما رياض الجنّه، قَالَ: حَلَق الذِكْر (۴)إيضاح ذلك - كما فی مستدرك سفينه البحار: ج ۳ ص ۴۳۰ - المُرَاد مِنْ حلق الذكر: - المجالس الَّتِی يُذكر الله فيها عَلَی قانون الشَّرع، ويُذكر فيها علوم أهل البيت عليهم السّلام وفضائلهم، ومجالس الوعظ الَّتِی يُذكر فيها وعده ووعيده، لا المجالس المبتدعه المخترعه الَّتِی يُفضی الله فيها، فَإنَّها مجالس الغفله لا حلق الذكر.

وذكر المولی النراقی فِی مشكلات العلوم إنَّهُ ذُكِرَ فِی بَعْض

۱- (۱) الوسائل: ج ۷، كتاب الصلاه، أبواب الذكر: ب ۵ ح ۲، ص ۱۵۴، ط مؤسسه آل البيت عليهم السّلام.

۲- (۲) سوره النور: الآيه ۳۷.

۳- (۳) سفينه البحار، للشيخ عباس القمی: ج ۳، ص ۲۰۹، عن كتاب الإيمان: ۳۰۴/۳۷، ج: ۳۲۵/۶۹، والوقَرهَ: بالفتح هی الثقل فی الأذن أو ذهاب السمع كله، وهنا من بركات الذكر أنْ يُذهب الثقل فی السمع، والعَشْوَه: مثلثه العين هی الأمر الملبتس وأن يركب الشخص أمراً بجهاله لا يفرق وجهه، وهنا من بركات الذكر أنه سوف تزول ظلمه الأمر.

۴- (۴) معانی الأخبار للصدوق: ۲۰۰.

الأخبار: - لَيْسَ الذكر مِنْ مراسم اللسان ولا- مناسم القلب: مِنْ أنَّ الذكر التّام الحقيقى لَيْسَ مِنْ وظائف اللسان فَقَطْ، ولا مِنْ وظائف القلب فَقَطْ، بَلْ لابُدَّ أوّلاً أنْ يدخل فِى الذُكر - بضم الذال - أىّ القلب والخاطر، ثمَّ فِى الذاكر بعين اللسان، والمحصَّل أنَّ الذِّكر اللسانى فَقَطْ، أو القلب فَقَطْ، لَيْسَ ذكراً كاملاً، بَلْ لابُدَّ أنْ يكون بالقلب واللسان معاً.

الرُّوايه الرَّابعه:... عَنْ عبدالحميد بن أبى الديلم عَنْ أبى عبدالله عليه السّلام ونقل حديثاً طويلاً وفيه يقول عليه السّلام: وَقَالَ الله جَلَّ ذكره(فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ(۴۳) (۱)قَالَ الكتاب الذكر وأهله آل مُحمَّد عليهم السّلام أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بسؤالهم، ولم يؤمروا بسؤال الجهال، وسَمَّى الله عَزَّ وَجَلَّ القُرآن ذكراً، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(۴۴) (۲).

الرُّوايه الخامسه: فِى باب مجلس ذكر الرضا عليه السّلام مَعَ المأمون فِى الفرق بين العتره وَالأُمَّه حديث طويل وفيه قالت العُلَمَاء: - فأخبرنا هل فَسَّرَ الله تَعَالَى الاصطفاء فِى الكتاب؟ فَقَالَ الرضا عليه السّلام: فَسَّر الاصطفاء فِى الظاهر سوى الباطن فِى اثنى عشر موطناً وموضعاً، فأوَّل ذَلِكَ قوله عَزَّ وَجَلَّ إلى أنَّ قَالَ: وأمَّا التَّاسعه فَنَحْنُ أهل الذكر الَّذِيْنَ قَالَ الله تَعَالَى(

۱- (۱) سوره الأنبياء: الآيه ۷.

۲- (۲) أصول الكافى: ج ۱، ۲۹۳، كتاب الحجه الإشاره والنَّص على أمير المؤمنين عليه السّلام: ج ۳.

فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ(۴۳) (۱) .

فَنَحْنُ أهل الذكر فاسألونا إنْ كنتم لا تعلمون، فقالت العُلَمَاء: إنما عنى بذلك اليهود والنصارى، فَقَالَ أبو الحسن: سبحان الله، هل يجوز ذَلِكَ إذاً يدعونا إلى دينهم ويقولون إنَّهُ أفضل مِنْ دين الإسلام؟ فَقَالَ المأمون فهل عندك فِي ذَلِكَ شرح بخلاف ما قالوا ياأبا الحسن؟ فَقَالَ: نعم الذكر رسول الله صلّى الله عليه و آله وَنَحْنُ أهله وَذَلِكَ بيِّن فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ حَيْثُ يقول فِي سوره الطلاق(فَاتَّقُوا اللّهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً(۱۰) رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللّهِ مُبَيِّناتٍ) (۲). فالذكر رسول الله صلّى الله عليه و آله وَنَحْنُ أهله، فَهَذِهِ التاسعه(۳).

الرُّوايه السَّادسه: ما أرسله العيّاشي بسنده عَنْ أبي حمزه عَنْ أبي جعفر عليه السّلام: «(وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا) يعنى ولقد ذكرنا علياً فِي القُرآن وَهُوَ الذِّكر فما زادهم إلَّا نفوراً»(۴).

فَعَلَيْهِ فالذكر صفه وحقيقه تعمّ حَتّى أوصاف ألفاظ القُرآن الكريم، بَلْ وتعمّ كيفيه ترتيب القُرآن الكريم يعنى فِي مقابل خطابه فِي مقابل اللهو والغناء والموسيقى والشرور، بَلْ الذكر يعمّ حَتّى الحالات

۱- (۱) سوره الأنبياء: الآيه ۷.

۲- (۲) سوره الطلاق: الآيه ۱۰-۱۱.

۳- (۳) عيون الأخبار: ص ۱۷۹ ب ۲۳ ح ۱ عنه تفسير نور الثقلين للحويزى: ج ۴، ص ۶۸.

۴- (۴) تفسير العيّاشى: ج ۳، ص ۵۳، ح ۷۸.

النفسيّه، بَلْ قَدْ مَرَّ إنَّ الذكر أم حقائق القُرآن العلويه.

الذكر صفه لمراتب وجوديه متكثره:

مِنْ خلال ما تَقَدَّمَ يُعْلم أنَّ الذكر صفه لمراتب وجوديه متكثّره تبدأ مِنْ الصوت إلى أعماق الرُّوح، فمثلاً- أحد أبعاد المادّه المعنويّه الخياليّه الموجوده فِي الشعر لَيْسَ فَقَطْ الوزن الصوتى لتفعيله ألفاظ الشعر، بَلْ هُنَاك أبعاد أُخْرَى للشعر؛ أحدها: - ارتسام المعانى الخياليه فيه.

وَعَلَيْهِ فَعِنْدَمَا يقول القُرآن [ذكر] يعنى ليست معانيه خياليّه، وَإنَّما الذكر معناه: - إنَّ مجموعه أصوات وألفاظ حُبكت فِي القُرآن الكريم تصبّ فِي تذكر الإنسان ولا تؤدى به إلى الخِفّه والمجون واللهو والاستهتار.

فَالقُرآن عِنْدَمَا يكون سبباً لإثاره الذكر فَإنَّ إثارته للذكر ليست كإثاره الموسيقى والغناء الَّتِى هِىَ سبب لإثاره الغريزه الشهويّه، كَمَا فِي وصف رسول الله صلّى الله عليه و آله للغناء وَأنَّهُ رُقيه الزنا، قَالَ رسول الله صلّى الله عليه و آله: «الغِناء رُقيَه الزِّنا»١، وَعَنْ الإمام الصادق عليه السّلام«الغناء يورث النفاق»٢.

بخلاف ترتيل القُرآن وتجويده وتفسيره و... فإنَّها أسباب داعيه إلى الذكر فَإنَّ النَّبِىّ الأكرم صلّى الله عليه و آله عِنْدَمَا كَانَ يقرأ القُرآن حين نزوله، فَإنَّ قلوب رؤوس أئمه الكفر وفراعنه الأُمَّه أمثال أبى جهل وأبى سفيان

وشیبه وربیعه والولید بن المغیره وعتبه و... الخ تصغی إلی القُرآن الکریم ولا یمتلکون أنفسهم وقلوبهم فَهِیَ تهوی وتصغی إلیه، فَإِنَّ صوت ونغمه وترنیمه النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله وترتیله للقُرْآن کَانَ بنغمه ذکریّه ولیست بنغمه مجونیّه لهویه ولا شعریه ولا خطابیه ولا فوضویّه خلطیّه وَمِنْ هُنَا تبیَّن دقّه مَعْنَی الذکر وَأَنَّهُ مِنْ الصِّفات الکیفیه أیضاً وهکذا الحال بالنسبه إلی باقی أئمه أهل البیت علیهم السّلام إذَا قرؤا القُرآن یحدث لدی السامع موعظه وخشوع یجذب القلب.

ولذا وَرَدَتْ روایات تقول: نزل القُرآن بحزن فاقرؤه بحزن، أیّ النغمه الَّتِی یُقرأ فیها هِیَ أقرب إلی الحزن وأقرب إلی ترتیل القُرآن مِنْ النغمه الَّتِی فیها ابتهاج وسرور فَإِنَّ نغمه الحزن تثیر الذکر.

ولذا وَرَدَ عَنْ عبدالرحمن بن سائب قَالَ: - قَدْ مَرَّ علینا سعد بن أبی وقّاص فأتیته مُسَلِّماً عَلَیْهِ فَقَالَ مرحباً بابن أخی بلغنی أَنَّک حسن الصوت بالقرآن قلتُ: نعم والحمد لله، قَالَ: - فَإِنِّی سمعتُ رسول الله صلّی الله علیه و آله یقول: - «إنَّ القُرآن نزل بالحزن فإذا قرأتموه بکوا، فإنْ لَمْ تبکوا فتباکوا، وتغنّوا به فَمَنْ لَمْ یَتَغَنَّ بالقُرآن فَلَیْسَ مِنَّا»(۱).

بتقریب: - إنَّ القراءه بصوتٍ حزین لیست فَقَطْ بخصوص قراءه القُرآن بَلْ حَتّی باقی الکتب السماویّه کَمَا فِی قول الصادق علیه السّلام: - إنَّ الله

۱- (۱) بحار الأنوار: ج ۸۹ ب ۲۱ من أبواب کتاب القرآن: ص ۱۹۱ ح ۲.

تَبارَکَ وَتَعالَی أوحی إلی موسی إذَا وقفتَ بین یدیَّ فقف وقف الذلیل الفقیر، وإذا قرأت التوراه فاسمعنیها بصوت حزین، وَکَانَ موسی علیه السّلام إذَا قرأ کَانَتْ قراءته حُزْناً وکأنَّما یُخاطب إنساناً(۱).

إذَنْ الذکر صفه للقُرْآن عَلَی معانی ومدارج کثیره؛ ولذا هُنَاک فرق بین الألفاظ والکلمات المستعمله فِی الغناء وألحانها وأطوارها وبین مفردات ألفاظ القُرآن، فَإنَّ معانی ألفاظ ومفردات الغناء مجونیّه حَتّی لو لَمْ تُقرأ بأطوارها وألحانها الخاصّه بها وَإنَّما مُجرَّد ألفاظ وکلمات یرددها القارئ وإنْ لَمْ تکن بتنغیم حاذق - والعیاذ بالله - توجب المجون والخفّه والطرب، وبالتالی فَهِیَ مُحَرَّمه فِی بحوث الفقهاء کَمَا فِی الشَّریعه الإسْلامیَّه المقدَّسه، بخلاف معانی مفردات الآیات القرآنیّه فَإنَّها توجب حصون الخوف وحصون الرکاده التؤوده والوقار والسکینه فِی نفس القارئ لها.

وَعَلَیْهِ فَإنَّ کُلّ شیء فِی القُرآن وبکل مراتبه وأبعاده وزوایاه یُحْدِثُ ذکراً.

والخلاصه: إنَّ قَاعدَه الذکر فِی القُرآن الکریم لها أبعاد عدیده کَمَا سوف یتّضح خلال البحث فمثلاً أحد أبعادها حَتّی فِی طریقه قراءه القُرآن الکریم فإنَّها لیست کطریقه قراءه الشعر أو النثر؛ ولذا وَرَدَتْ

۱- (۱) المصدر السابق: ح ۳.

توصیه خاصّه - کَمَا تَقَدَّمَ - فِی قراءه القُرآن الکریم(وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلًا(۴) (۱). بتقریب: - أنَّ الترتیل وإنْ کَانَ لَهُ معانی عدیده، بخلاف النثر فَإنَّهُ لا یُرَتّل به، وَإنَّما یرتجز به وَلَهُ هزائز، وَعَلَیْهِ نفس طریقه قراءه القُرآن سواء کَانَتْ تجوید أو ترتیل هِیَ بالحقیقه ذَاتَ صله بکون القُرآن الکریم ذکر وأنَّ طابع وَقَاعدَه الذکر تأخذ شکلًا وإطاراً وقالباً فِی کُلّ صعید بنحو خاص به، کَمَا وَرَدَ فِی روایات أهل البیت علیهم السّلام فِی مَعْنَی الترتیل مثلًا، وَالمُرَاد فِی هَذَا الصعید هُوَ الترتیب اللفظی لوجود قرینه فِی المقام قَالَ علیه السّلام: «بَیّنه تبیاناً لا تهذه هذَّ الشعر ولا تنثره نثر الرمل»(۲).

بتقریب: - إنَّ الشعر فیه نغمات وأصوات صاعده ونازله ممّا تُحدث هزهزه، ومثل هَذَا ترکه فِی قراءه القُرآن، واقرأ القُرآن عَلَی وتیره واحِدَه مبیّنه، فَإنَّ طور الأداء الصوتی للقُرْآن یختلف مِنْ زوایا عدیده مَعَ الشعر وَمَعَ النثر وَمَعَ... الخ ولکن اقرأ القُرآن بترتیل فَإنَّ هَذَا الطور الأدائی الصوتی یؤثِّر فِی القلوب القاسیّه، وبالتالی یُسبب لها الذکر، حَتّی معارف القُرآن لیست کالمعارف الفلسفیه فَإنَّها أفکار تجریدیه ونثر وانتشار للأفکار وتشتتها بخلاف المعارف القرآنیه، فَإنَّها نوع مِنْ نسق الأفکار بنحو یُؤدِّی بالإنسان إلی الذکر، فَحَتَّی فِی باب العقائد والمعارف

۱- (۱) سوره المزّمل: الآیه ۴.

۲- (۲) الکافی: ج ۲، ص ۵۷۸، ترتیل القرآن بالصوت الحسن، بیّنه تبیاناً: - دَلَّ علی أن الترتیب هو إخراج الحروف من مخارجها، والهزّ هو سرعه القطع، والرمل عند نثره یقع متباعد الحبّات أراد التنبیه علی أنْ الترتیل هو إخراج الحروف من مخارجها بحیث تظهره متمیزه عن بعضها البعض.

فَقَدْ يكون الإنسان متشاغلاً بها ولكن هَذَا التشاغل لَيْسَ كشاكله المنظومه القُرآنيه أىّ بما يُحْدِث لَهُ ذكراً، وهكذا العابد قَدْ يتشاغل فِى عبادته، ولكن أيضاً فِى بَعْض حالات الإنسان وَهُوَ متلبس بالعباده إلَّا أنَّها ليست ذكراً، ولذلك آخر ما استقرّت عَلَيْهِ سُنه النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله كَمَا فِى روايات أهل البيت عليهم السّلام فِى استحباب صوم يومىّ الاثنين والخميس، وَكَانَ صلّى الله عليه و آله يصومها أو يصوم أيام البيض أو كُلّ أربعاء و... إلَّا أنَّهُ صلّى الله عليه و آله عِنْدَمَا يصومها كعباده يُحْدِث لَهُ ذكراً بخلاف ما إذَا صام الإنسان أيام شهر رجب أو شعبان فَإنَّهُ يستحب صيامها إلَّا أنَّهُ يُقطِّع صيامه وَلابُدَّ أنْ يستثمر ويتحسّس حاله الذكر حينما يتقطّع خلال الصَّوم، أمَّا إذَا لَمْ يحدث لَهُ حاله الذكر فحينئذٍ يصبح الأمر عاده اعتادها خاصّه إذَا تعوّد أنْ يصوم يوماً ويفطر آخر، وَهَذَا بالتالى يكون أكثر شائكه عَلَى الإراده.

وهكذا مثل صلاه الليل فَإنَّ النَّبِىّ الأكرم صلّى الله عليه و آله لَمْ يصلها فِى مجلس وَوِرْد واحد وَإنَّما يُقَطّعها إلى ركعتين ركعتين حَتّى يستثمرها ويجنى مِنْهَا ثمره الذكر والتوجّه والانقطاع إليه تَعَالَى، وَإلَّا إذَا لَمْ تحدث لَهُ حاله الذكر يصبح الأمر أنْ ينام الإنسان ثمَّ يقوم ثمَّ ينام، وهكذا لا يستفاد مِنْهُ شىءً.

وَمِنْ باب الكلام يجرّ الكلام نذكر: - أنَّ مسأله تقطيع وتفريق صلاه الليل هُوَ أمر شاقّ عَلَى الإنسان، وفى روايه عَنْ الإمام الرضا عليه السّلام: «إنَّما عَلَى المؤمن أنْ يأتى بالصلاه ولو فِى وردٍ واحِدٍ ثمَّ يذهب حَيْثُ يشاء»

وإنْ كَانَ هَـٰذَا أدنى درجات الفضيله، إلَّا أنَّهُ إذَا أراد أنْ يستوحى مِنْ الصَّلاه الذكر فَعَلَيْهِ بالتفريق بين ركعاتها حَتّى تحدث لَهُ حاله الذكر.

وَهُنَاك روايه مضمونها: - أنَّ زراره بن أعين قَالَ للإمام الصادق عليه السّلام صليتُ نوافل الظهر وفريضتها ونوافل العصر وفريضتها دفعه واحده وبلا فاصل، وَكُنْت صائماً ولما خرجتُ ومررتُ مِنْ بَعْض مساجد المدينه وجدتُ أنَّهم لَمْ يصلوا الظهر بَعْدُ، فَقَالَ لَهُ الإمام الصادق عليه السّلام: «إيّاك أنْ تعود لمثل هَذَا».

بتقريب: - إنَّهُ ما الثمره فِي أداء هكذا مستحبات ونوافل وواجبات بلا إحداث حاله الذكر وإنْ كَانَ الذى يأتى بها أفضل ممن لا يأتى بها أصلاً، إلَّا أنَّ الذى يأتى بها إذَا أراد أنْ يستوحى مِنْ الصَّلاه حاله الذكر والتوجّه فَعَلَيْهِ بالفصل بين ركعاتها - كُلّ اثنين عَلَى حِدَه مَعَ الفاصل - مَعَ مراعاه عدم خروج وقت الفضيله.

وَعَلَيْهِ فحتى الطقس العبادى لَهُ نمط بوصف القُرآن يمكن أنْ يؤدِّى إلى حاله الذكر القلبى وَالرُّوحى والأخلاقى، ولذا فَإنَّ كُلّ صعيد مِنْ الأصعده لَهُ نمط خاصّ مِنْ الممارسه.

ص:٢٧٨

الإعجاز البلاغی فِی القُرآن

اشاره

إعجاز القُرآن البلاغی

إنَّ قَواعِد الذکر لَمْ تبحث بالمستوی المطلوب إلی الآن - وللأسف - لا مِنْ قِبَل عُلَمَاء البلاغه، ولا عُلَمَاء النحو، ولا الصرف، ولا المنطق ولا التجوید ولا الترتیل ولا غیرها فَلَمْ یستطیعوا بحث قَاعدِه الذکر فِی مجالات عدیده مِنْ علوم عدیده لآلیات عدیده تُحدِثُ الذِکْرِ.

وإنْ کَانَ عدم توصلهم إلی ذَلِکَ هُوَ أحد أسباب إعجاز القُرآن، بخلاف الشِّعْر مثلاً، سواء مِنْ جهه الترکیب الصوتی أو جهه المعنی، أو سائر تراکیبه، أو مثل قَواعِد علم المنطق، أو فن الخطابه وَقَواعِد الجدل والمغالطه وغیرها.

فَإنَّ آلیات عملها وتعدّد جهاتها فِی علوم وفنون عدیده تَمَّ اکتشافها، بخلاف قَواعِد الذِکر فَإنَّها لَمْ تکتشف، فَهَذَا هُوَ أحد المعانی الَّتِی تُفَسِر بها إعجاز القُرآن اللغوی والبلاغی.

وَعَلَیْهِ فما هِیَ القواعدالبلاغیّ صلّی الله علیه و آله الَّتِی یمکن أنْ تؤثِّر وتُجْمَع وتُنَظِّم وتؤدِّی إلی التأثیر فِی إحداث الذکر؟

ص:۲۷۹

ولكن إلى الآن لَمْ يبحثها عُلَمَاء البلاغه، لذلك لا زالّ سر مَعْرِفه إعجاز القُرآن بابٌ مسدود أمام عقل البشر وفكره ونظره.

فَإنَّ الأسلوب القُرآنى الرائع إذَا أخذته مِنْ أى اتّجاه مِنْ اتّجاهات علوم اللُّغَه والأدب بلاغهً أو نحواً، أو صرفاً، أو اشتقاقاً وغيرها.

فَإنَّ هَذِهِ الاتّجاهات وَالقَوَاعِد موجوده فِى نظام ألفاظ القُرآن الكريم وتؤدّى إلى الذكر، إنْ استُعْمِلتْ وفق موازين قَاعدَه الذكر، إلَّا أنَّهُ إلى الآن لَمْ يخض عُلَمَاء هَذِهِ الفنون فِى بحث وبيان هكذا قَواعِد.

فمثلاً قوله تَعَالَى: (بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ) (۱) ، وقوله تَعَالَى: (أَفْتَرى عَلَى اللّهِ كَذِباً) (۲).

فَفِى هَذِهِ الآيات المُباركه وغيرها احتمالاتٌ أبداها الكفّار فِى التعرُّف عَلَى حقيقه القُرآن.

حقيقه الإعجاز فِى القُرآن وصله ذَلِكَ بأنَّ حقيقته ذكر:

الاحتمال الأوَّل: قوله تَعَالَى: (بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ) (۳) قالوا أضغاث أحلام حَيْثُ أنَّهم رأوا أنَّ القُرآن مُشتمل عَلَى تنبئات فعزَوها إلى أنَّها حصيله مِنْ رُأى منامّيه غَيْر معلومه الصِدق، فَإنَّ القُرآن الكريم فيه

۱- (۱) سوره يوسف: الآيه ۴۴.

۲- (۲) سوره سبأ: الآيه ۸.

۳- (۳) سوره يوسف: الآيه ۴۴.

أضغاث أحلام؛ لِأَنَّ القُرآن وإنْ كَانَ فيه تصوير وإنذار شبيه بالمشهد المنامى والحلم الذى يُحْلِمُهُ النائم الذى يُنبئُهُ عَنْ شىء ويحكى عنه، ولكن القُرآن لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإنَّ القُرآن الكريم يُنبئك ويؤدِّى بك إلى الذكر.

الاحتمال الثَّانِى: قوله تَعَالَى: (أَفْتَرى عَلَى اللّهِ كَذِباً) (۱) وقوله تَعَالَى: (وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلاّ إِفْكٌ افْتَراهُ وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) (۲).

فَإنَّ الافتراء: شبيهٌ بالأسلوب القصصى الأسطورى الخرافى، بخلاف القُرآن فَإنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ؛ وَإنَّما للقُرْآن أسلوبه وأدبه الخاص، وَالقُرآن وإنْ كَانَ به أسلوباً قصصياً ولكن قصصه تؤدّى إلى الذكر وَإلى حقائق تختلف عَنْ قصص وكتابات الروائيين والقصصيين فِى قصه المسرح، أو الأفلام فَإنَّها روايه أسطوريّه تداعب الخيال والوهم بخلاف ذكر القُرآن وحبكه لقصّه قُرآنيّه حباكهً تُؤدِّى إلى الذكر.

وَعَلَيْهِ فَقَواعِد أسلوب القُرآن الكريم تختلف عَنْ قَواعِد كتابه القصّه الروائيّه الأسطوريّه، وللأسف فَإنَّ كثير مِنْ المُفسرين يظنّون أنَّ القُرآن الكريم عِنْدَمَا يُعَبِّر فِى قَاعدَه الأمثال وضَرْبها(وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(۲۱) (۳).

۱- (۱) سوره سبأ: الآيه ۸.

۲- (۲) سوره الفرقان: الآيه ۴.

۳- (۳) سوره الحشر: الآيه ۲۱.

بتقريب: - فإنَّهم - المفسرون - يزجّون بالآيات والسور وتفسيرها إلى نظام القصّه الرُّوايه - والعياذ بالله - ومثل هكذا زجٌّ خطأ وخطر كبير مترتِّب عَلَيْهِ وَهُوَ: - إنَّهُ سوف تُبْنى هَذِهِ الحقائق عَلَى أنَّ معانى القُرآن ليست حقائق، وكأنَّهم بين نارين: -

نارُ الحقائق ونار الخرافات والأسطورات، وَهَذَا مِنْ المباحث الحسّاسه وَالمُهِمَّه جدّاً، وبالتالى نصل إلى هَذَا الأمر الحسّاس والخطير وَهُوَ وجود الفرق بين أسلوب القُرآن فِى أصعده عديده لفظيه صوتيّه ترتيبيّه ذو معانى وعلوم وفنون ومهارات تختلف عَنْ أساليب القصصيين أو البلاغيين أو المؤرّخين وغيرهم.

وبالتالى فَإنَّ فنّ الذكر غَيْر فن الأسطوره وفن القصّه.

الاحتمال الثَّالِث: قوله تَعَالَى(بَلْ هُوَ شاعِرٌ) (1)بتقريب: - أىّ نسيج قوّه الخيال كَمَا هُوَ الحال فِى الشعر فَإنَّ أعذبهُ أكذبه، حَيْثُ يقوم الشاعر بتلفيق وترتيب صور بتصرّف مِنْ قوَّه الخيال والمخيَّله، يتوخّى فيها قوّه الإثاره والاستقطاب الرُّوحى لكن بدعايه التصوير ورسم المعانى والصور بنحو يُثير الحفيظه ويُحَرِّك ويُهيِّج الأحاسيس، وَهَذَا بعيد كُلّ البُعد عَنْ حقيقه القُرآن، فَإنَّهُ لا يعتمد إلَّا عَلَى رباط الحقيقه وترابط الحقائق وانتظام الواقعيّه بالواقعيات.

١- (١) سوره الأنبياء: الآيه ٥.

نعم كشفه للمجهولات مِنْ الحقائق فِی العوالِم المختلفه مهولٌ مُـذْهِلٌ مُثیرٌ مُقرِعٌ لا بدعایه أوهام الخیال الَّتِی قَدْ تُنْشِئ عوالِم مِنْ سراب، وأین هَذَا مِنْ صور للحقائق لا تحزم المطابقه للحقائق قیدُ شعرَه.

وکـذا قوله تَعَـالَی: (وَ مـا عَلَّمْنـاهُ الشِّعْرَ وَ مـا یَنْبَغِی لَهُ إِنْ هُوَ إِلاّـ ذِکْرٌ وَ قُرْآنٌ مُـبِینٌ(۶۹) لِیُنْـذِرَ مَنْ کـانَ حَیًّا وَ یَحِـقَّ الْقَوْلُ عَلَی الْکافِرِینَ(۷۰) (۱).

بتقریب: - أنَّ المُلفت فِی الآیه المُبَارَکه بَعْدَ نفی کون حقیقه القُرآن مِنْ الشعر بیَّنت الآیه المُبَارَکه: - أنَّ حقیقه القُرآن: -

أوَّلاً: إنَّهُ ذکْرٌ.

ثانیاً: إنَّهُ قرآن مبینٌ، فحقیقه الذکر أصل فِی واقعیه القُرآن.

ثالثـاً: أمَّا بالنسـبه إلی تراکیب القُرآن المقروءه، والبیِّنه الـدلاله فَهِیَ فرعٌ ثـانٍ وبالتبع لحقیقته الأولی، ووصـفه لیُنْـذِر مَنْ کَانَ حیّاً مناسـباً لحقیقته الأـولی وَهُوَ کونه ذکر، کَمَا أنَّ فِی ذَلِکَ إشاره إلی أنَّ الترکیب الـذکری لألفاظ القُرآن لارتباط ذَلِکَ الترکیب بالحقیقه العینیه لَهُ، وَالَّتِی هِیَ حقیقه الذکر.

وهکذا قوله تَعَالَی: (وَ أَلْقِ ما فِی یَمِینِکَ تَلْقَفْ ما صَـنَعُوا إِنَّما صَـنَعُوا کَیْدُ ساحِرٍ وَ لا یُفْلِحُ السّاحِرُ حَیْثُ أَتی(۶۹) فَأُلْقِیَ السَّحَرَهُ سُجَّداً قالُوا آمَنّا بِرَبِّ هارُونَ

۱- (۱) سوره یس: الآیه ۶۹.

وَ مُوسی(۷۰) (۱). بتقریب: - إنَّ الساحر قوّته محدوده، وأفکاره وصفاته منحرفه، ولمّا کَانَ السحر عملاً مُنحرفاً، وفیه نوع مِنْ الخدعه والمکر، فَإنَّهُ یحتاج إلی وضع روحی ینسجم معه، فَإنَّ الساحر خدّاع ماکر یمکن معرفته بسرعه مِنْ خلال مطالعه نفسیته.

والنتیجه: إنَّ کُلّ ما یحصل عَلَیْهِ الساحر مِنْ سحره هُوَ خیال باطل لا حقیقه لَهُ ولا سعاده یظفر بها فِی أمر خیالی موهوم لا واقع حقیقی لَهُ.

الاحتمال الرَّابع: قوله تَعَالَی: (وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ هَذا إِلاّ إِفْکٌ افْتَراهُ وَ أَعانَهُ عَلَیْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً(۴) (۲).

بتقریب: - إنَّ القُرآن عباره عَنْ تلفیق مشترک مِنْ النَّبیّ صلّی الله علیه و آله ومعونه آخرین ومُنْتَجٌ مِنْ المجموع، وَهَذَا الاحتمال یُلْحِظُهُ خروج هَذَا المنظوم القُرآنی بترکیبه وعِظَم معانیه وحقائقه عَنْ قدره البشر، وَقَدْ تصدّی القُرآن لِرَدّ هَذَا الاحتمال فِی عِدَّه موارد کقوله تَعَالَی:. (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً(۸۸) (۳) وکقوله تَعَالَی: (أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ

۱- (۱) سوره طه: الآیه ۶۹-۷۰.

۲- (۲) سوره الفرقان: الآیه ۴.

۳- (۳) سوره الإسراء: الآیه ۸۸.

فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ(۱۳) (۱).

الاحتمال الخامس: قوله تَعَالَى: (وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا(۵) (۲).

بتقريب: - احتمل الكفّار أنَّ منبع حقيقه القُرآن هُوَ الكتب الموروثه مِنْ القرون القـديمه، سواء كَانَتْ سـماويّه كالتوراه والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وآدم وغيرها، أو كَانَتْ بشريه.

فأجابهم القُرآن الكريم: بأنَّ هَذِهِ المعلومات الموجوده فِي القُرآن هِيَ أسرار فِي شؤون السماوات والأرض ليست بمقدره البشر.

الاحتمال السَّادِس: قوله تَعَالَى: (وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ(۱۰۳) (۳).

بتقريب: - ما قاله على بن إبراهيم القمّى فِي تفسـيره: - وَهُوَ لسان: أىّ فكيهه مَوْلَى بنى الحَضْرَمى كَانَ أعجمى اللسان، وَكَانَ قَدْ اتّبع نبى الله وآمن به، وَكَانَ مِنْ أهل الكتاب، فقالت قريش هَذَا - والله - يُعَلِّمُ

۱- (۱) سوره هود: الآيه ۱۳.

۲- (۲) سوره الفرقان: الآيه ۵.

۳- (۳) سوره النحل: الآيه ۱۰۳.

محمداً صلّى الله عليه و آله عَلَّمه بلسانه يقول الله(وَ هذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (۱).

الاحتمال السَّابع: قوله تَعَالَى: (وَ ما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ(۲۱۰) وَ ما يَنْبَغِي لَهُمْ وَ ما يَسْتَطِيعُونَ(۲۱۱) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ(۲۱۲) (۲).

بتقريب: - إنَّ هَذَا الاحتمال يغاير احتمال الكهانه الآتى ذكره، فِي أنَّ مُؤَدّى هَذَا الاحتمال فِي أنَّ القائِل به يُسَلِّم أنَّه مِنْ عِنْدَ الله، ولكن يزعم احتمال دخول الشياطين فِي عمليه التنزيل، وَهَذَا ما يرفع الأمان والاطمئنان عَنْ كونه كلام الله، وَأَنَّهُ لَمْ يتغيّر وَلَمْ يتبدل بخلاف الكهانه، فإنَّها - كَمَا سيأتى - قول تنشأه الشياطين.

وملخَّص هَذَا الاحتمال أنَّ الكفّار احتملوا أنَّ القُرآن - والعياذ بالله - مِنْ إيحاء ووحى الشياطين، إلَّا أنَّ القُرآن الكريم رَدَّه بردّين:

أحدهما: إنّهم - الشياطين - لا يتمكنون مِنْ تنزيل القُرآن، وَذَلِكَ لِأَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عازلٌ للشياطين عَنْ توكيلهم فِي أىّ مأموريه إلهيّه، وما ينبغى لله تَعَالَى أنْ يوكّلهم فِي ذَلِكَ إذْ هُوَ خلاف الحكمه والرُشد، إذْ لا يتناسب الكلام والوحى الإلهى الذى هُوَ مِنْ سنخ النور مَعَ استيمان مخلوقٍ لا حيطه ولا إحاطه لَهُ بِهَذَا السنخ مِنْ النور الإلهى.

والآخر: إنَّ الشياطين - كَذَلِكَ - لا قُدره لهم، بَلْ ولا تمكن لهم مِنْ

۱- (۱) تفسير القمى: ج ۱، ص ۳۹۲.

۲- (۲) سوره الشعراء: الآيه ۲۱۲.

تلقی الوحی الإلهی وإیصاله إلی النَّبیّ صلّی الله علیه و آله، وَذَلِکَ لعزلهم وحجبهم عَنْ القدره والتمکّن مِنْ سمع الوحی والکلام الإلهی، وَهَذَا نظیر قوله تَعَالَی فِی نفس سوره الشعراء: (هَلْ أُنَبِّئُکُمْ عَلی مَنْ تَنَزَّلُ الشَّیاطِینُ(۲۲۱) تَنَزَّلُ عَلی کُلِّ أَفّاکٍ أَثِیمٍ(۲۲۲) یُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَکْثَرُهُمْ کاذِبُونَ(۲۲۳) (۱).

بتقریب: - إنَّ الشیاطین وإنْ حاولوا السمع إلَّا أنَّهم لا یتمکنون مِنْهُ، کَمَا أنَّهم لا یتمکنون مِنْ النزول عَلَی النَّبیّ صلّی الله علیه و آله؛ لِأنَّ المَهْدَ البشری الذی یتمکّنون مِنْ النزول عَلَیْهِ هُوَ کُلّ أفّاک منغمِسٌ بالإثم والآثام، وَقَدْ علمت قریشٌ أربعین عاماً أنَّ النَّبیّ صلّی الله علیه و آله هُوَ الصادق الأمین، فکیف تتمکّن الشیاطین مِنْ التمکّن عَلَیْهِ.

وَهَذِهِ سنَّ تکوینیه یفصح عنها القُرآن الکریم، وَهِیَ نظیر قوله تَعَالَی أیضاً(وَ جَعَلُوا بَیْنَهُ وَ بَیْنَ الْجِنَّهِ نَسَباً وَ لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّهُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) (۲).

بتقریب: - إنَّهم - الجنَّه - فِی العجز مقیمون ومسیطر علیهم، فأنّی لهم تلک القدره والسیطره.

الاحتمال الثَّامِن: قوله تَعَالَی: (أَ کانَ لِلنّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَیْنا إِلی رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النّاسَ وَ بَشِّرِ الَّذِینَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قالَ الْکافِرُونَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ مُبِینٌ(۲) (۳).

۱- (۱) سوره الشعراء: الآیه ۲۲۱-۲۲۳.

۲- (۲) سوره الصّافات: الآیه ۱۵۸.

۳- (۳) سوره یونس: الآیه ۲.

وقوله تَعَالَى: (وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذّابٌ(۴) (۱).

وقوله تَعَالَى: (وَ أَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَ لا يُفْلِحُ السّاحِرُ حَيْثُ أَتى(۶۹) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا آمَنّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسى(۷۰) قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمُنَّ أَيُّنا أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقى(۷۱) (۲). بتقريب: - إنَّ هَذَا الاحتمال هُوَ الآخر يُغاير الكهانه، كَمَا يُغاير تنزّل الشياطين به، ووجه المغايره: - بين الكهانه وتنزّل الشياطين، فَقَدْ مَرَّ بيانه آنفاً - وأمَّا السحر: فَلَيْسَ هُوَ مِنْ إنشاء الشياطين كالكهانه، ولا مِنْ وساطه الشياطين فِي تنزيل الوحى الإلهى، بَلْ عباره عَنْ أنَّ هَذَا القُرآن تراكيبه جذَّابه ومؤثِّره كتركيب كتابه العزائم والطلّسمات - والعياذ بالله - وَمِنْ قبيل النفث بالعُقَدِ المعقوده للسحر، ويشير إلى هَذَا القول قوله تَعَالَى: (ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ... سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً(۱۷) إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ(۱۸) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(۱۹) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(۲۰) ثُمَّ نَظَرَ(۲۱) ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ(۲۲) ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ(۲۳) فَقالَ إِنْ هذا إِلاّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ(۲۴) إِنْ هذا إِلاّ قَوْلُ الْبَشَرِ(۲۵) (۳).

بتقريب: - حَيْثُ رأى زعماء قريش أنَّهم لا يملكون أنفسهم مِنْ

۱- (۱) سوره ص: الآيه ۲.

۲- (۲) سوره طه: الآيه ۶۹-۷۲.

۳- (۳) سوره المدّثر: الآيه ۱۱-۲۵.

جاذبيّه استماع القُرآن كلّما تعاهدوا بينهم أنْ لا يستمعون إلى القُرآن ينكث كُلّ منهم عهده فيذهب للاستماع إليه حَتّى انفضح أمرهم فيما بينهم مَرَّات وكرّات، وجرى مثل ذَلِكَ للوليد بن المغيره، وَكَانَ الوليد شيخاً كبيراً مجرباً مِنْ دهاه العرب، وَكَانَ مِنْ المستهزئين برسول الله صلّى الله عليه و آله، وَكَانَ رسول الله يقعُد فِي الحجر(۱) ويقرأ القُرآن، فاجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيره، فقالوا: يا أبا عبد شمس ما هَذَا الذى يقول مُحمَّد؟ أشِعْرٌ هُوَ أم كِهانه أمْ خُطَب؟ فَقَالَ دعونى أسمع كلامه، فَدَنا مِنْ رسول الله صلّى الله عليه و آله فَقَالَ: - يا مُحمَّد أنشدنى مِنْ شعرك، قَالَ: ما هُوَ شعر، ولكن - ولكنَّه - كلام الله الذى ارتضاه لملائكته وأنبيائه ورُسُله، فَقَالَ: إتلُ علىَّ مِنْهُ شيئاً، فقرأ عَلَيْهِ رسول الله صلّى الله عليه و آله«حم السجده، فَلَمَّا بلغ قوله(فَإِنْ أَعْرَضُوا) (۲). يا مُحمَّد يعنى قريشاً(فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَهً مِثْلَ صاعِقَهِ عادٍ وَ ثَمُودَ) (۳).

قَالَ: فاقشعر الوليد، وقامت كُلّ شعرَهٍ عَلَى رأسهِ ولحيته، وَمَرَّ إلى بيته وَلَمْ يرجع إلى قريش مِنْ ذَلِكَ، فمشوا إلى أبى جهل، فقالوا يا ابا الحكم: - إنَّ أبا عبد شمس صبا(۴) إلى دين مُحمَّد، أمَّا تراه لَمْ يرجع إلينا؟ فغدا أبو جهل إلى الوليد فَقَالَ لَهُ: يا عم نكست رؤوسنا وفضحتنا،

۱- (۱) حجر إسماعيل عليه السّلام فى البيت الحرام.

۲- (۲) سوره فُصِلت: الآيه ۱۳.

۳- (۳) سوره فُصّلت: الآيه ۱۳.

۴- (۴) صبا فلان أى خرج من دين الى دين آخر.

وأشمتَّ بنا عدوّنا وَصَبَوْتَ إلى دين مُحمَّد؟ فَقَالَ ما صبوتُ إلى دينه ولكن سمعت كلاماً صعباً تقشعر مِنْهُ الجلود، فَقَالَ أبو جهل: أَخُطَبٌ هُوَ؟ قَالَ لا، إنَّ الخُطبَ كلام متّصل وَهَذَا كلام منثور ولا يشبه بعضه بعضاً، قَالَ فشعر هُوَ؟ قَالَ: لا أمَّا إنِّي سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها ورملها ورجزها وما هُوَ بشعر، قَالَ: دعني أفكّر فيه، فلما كَانَ مِنْ الغد قالوا لَهُ: يا أبا عبد شمس ما تقول فيما قلناه؟ قَالَ: قولوا هُوَ سحرٌ فَإنَّهُ أخذ بقلوب الناس، فأنزل الله عَلَى رسوله صلّى الله عليه و آله فِي ذَلِكَ(ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً(١١) وَإنَّما سُمّي لِإنَّهُ قَالَ لقريش: إنِّي أتوحّد بكسوه البيت سنه، وعليكم بجماعتكم سنه...(١).

وَقِيلَ فِي سبب النزول: - أنَّ الوليد انطلق حَتّى أتى مجلس قومه مخزوم، فَقَالَ والله لقد سمعت مِنْ محمدٍ آنفاً كلاماً ما هُوَ مِنْ كلام الأنس، ولا مِنْ كلام الجن، وإنَّ لَهُ لحلاوَه، وأنَّ عَلَيْهِ لطلاوه(٢) وإنَّ أعلاهُ المثمر وإنَّ أسفله لمعذق(٣) وَأنَّهُ ليعلوا وما يُعْلى، ثمَّ انصرف إلى منزله(٤).

فخافت قريش أنْ ينتشر قول الوليد فيؤمن الناس بمحمد صلّى الله عليه و آله

١- (١) تفسير القمى: ٢٩٢/٢ مع اختلاف يسير.

٢- (٢) الطلاوه: الحُسْن والبهجه والقبول.

٣- (٣) والغدق: كُلّ غصن له شعب، والمذق المعنى أزهر.

٤- (٤) تفسير القمى: ٣٩٣/٢ مع اختلاف يسير مع المطبوع، وتصرّف بسيط، عنه تفسير البرهان للسيد هاشم البحرانى: ج ٨، ص ١٥٧، تفسير نور الثقلين للحويزى: ج ٨، ص ٤٨، ٤٩.

فألحّوا عَلَى الوليد أنْ ينال مِنْ مقام الرسول صلّى الله عليه و آله، فأجابهم، وماذا أَقُوُل عنه؟ هل أَقُوُل مجنون؟ وَمَنْ يُصَدِّق؟ أم أقول: كاهنٍ ،وما تكهّن قط، أم أَقُوُل شاعر وما نطق بالشعر، أم كاذب وما جُرِّبَ عَلَيْهِ أحدٌ شيئاً مِنْ الكذب... ثمَّ فكَّر - الوليد بن المغيره - فلاح لَهُ أنْ يصف رسول الله صلّى الله عليه و آله بالساحر وَأَنَّهُ أخذ القُرآن عَنْ الكهنه والسَحَره، ما هُوَ إلَّا ساحر ما رأيتموه يُفرِّقَ بين الرجل وأهله وولده ومواليه، وما يقوله سحرٌ يؤثِّر عَنْ أهل باب فتفرقوا معجبين مِنْهُ (۱).

فأجاب القُرآن عَنْ ذَلِكَ: بأنَّ هَذِهِ سُنّه الأقوام المختلفه فِي جحودهم وإنكارهم لأنبيائهم حَيْثُ يرون مَدَى تأثير الأنبياء وانجذاب المؤمنين لهم، بَلْ انجذابهم - الكافرون - أنفسهم للأنبياء رغم جحودهم لهم، وإنْ لَمْ يكن انجذاب تسليم وانقياد، فيعزون هَذَا التاثير إلى السحر كَمَا فِي قول فرعون للآيات المعجزه الَّتِي شاهدها مِنْ النَّبِيّ موسى عليه السّلام وبوتيره واحِدَه، فَإنَّ الكفّار الجاحدين لعالَم الآخِرَه عِنْدَمَا يُشاهدون لمعان نور الغيب الظاهر فِي معجزات الأنبياء كَمَا هُوَ الحال فِي معجزه القُرآن لا يتمالكون أنفسهم ولا يُنكرون التأثير والإنجذاب ولكنَّهم يجحدون كون هَذَا التأثير مِنْ عالم غيب الملكوت، فَهَذَا الاحتمال والقول يتضمَّن وينطوى عَلَى الإقرار بقدره وقوّه المعجزِه كالقرآن وإنْ جُحِدَ التسليم بها وبحقيقتها.

۱- (۱) مجمع البيان للطبرسى: ج ۵۸۴/۱۰.

الاحتمال التّاسع: قوله تَعَالَى: (كَذلِكَ ما أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّ قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ(۵۲) أَ تَواصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ(۵۳) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَما أَنْتَ بِمَلُومٍ(۵۴) وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ(۵۵) (۱).

وقوله تَعَالَى: (وَ يَقُولُونَ أَ إِنّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ(۳۶) بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ(۳۷) (۲).

بتقريب: - إنَّ هَذَا الاحتمال فِی الغالِب يُطلِقهُ المعانِدون، وَهُوَ الجنون مردّدين بينه وبين الشِّعْر، أو السِّحْر، أو شیء آخر مؤثِّر؛ فإنَّهم بَعْدَ أنْ يعترفوا بالتأثير إلَّا أنَّهم يريدوا أنْ يوصموا حقيقه القُرآن بالعشوائيه والفوضی واضطراب المعلومات وإرباك المضامين لِأنَّ هَذَا هُوَ طابع وضابط الجنون - والعياذ بالله - إلَّا أنَّ فسق نظام المعلومات فِی القُرآن وعظمته يدحض قول هؤلاء المعاندين، فَإنَّ نسق النظام المعلوماتی فِی كُلّ حقل يتحدّث عنه القُرآن، وَعَنْ كُلّ عالم يُفيض فِی شؤونه علوم القُرآن فلعجزهم وتعاجزهم عَنْ الإحاطه بِهَذَا الهول مِنْ المعلومات والحقائق يرتبكون ويضطربون وتعْشُ عقولهم عَنْ التمكّن مِنْ وعی أدنی مستوی مِنْ هَذِهِ المعلومات، فيصفون الحال الَّتِی تصيبهم ويلصقونها بالقُرآن.

الاحتمال العاشر: قوله تَعَالَى: (فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَهِ رَبِّكَ

۱- (۱) سوره الطور: الآيه ۵۵.

۲- (۲) سوره الصّافات: الآيه ۳۶-۳۷.

بِكـاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ(۲۹) أَمْ يَقُولُونَ شـاعِرٌ نَـتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ(۳۰) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّی مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِـينَ(۳۱) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ(۳۲) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ(۳۳) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ(۳۴) (۱).

وقوله تَعَالَى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ(۴۰) وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلاً ما تُؤْمِنُونَ(۴۱) وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ(۴۲) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ(۴۳) وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ(۴۴) لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ(۴۵) ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ(۴۶) فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ(۴۷) وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ(۴۸) (۲).

بتقريب: - إنَّ هَـذَا الاحتمال - كَمَا مَرَّت الإشاره إليه إجمالاً - فَهُوَ عباره عَنْ وصف حقيقه القُرآن بحالهِ الكهانه والكهان، حَيْثُ يرتـاض الكـاهن بالاتصال بأحـد مَرَدَهِ الشـياطين فيغوص فِی خِلْسَه الغيبوبه عِبر حركات ورياضات لكی ينقطع عَنْ الحسّ الظاهر إلى الحسّ الباطن فيتمّ اتّصاله بمارِد الشـياطين، ثمَّ يقوم ذَلِكَ الشـيطان بالإيحاء بالأقوال إلى ذَلِكَ الكاهن، فيصـحوا ويُخبر عمّا أخبره ذَلِكَ المارد مِنْ الشياطين.

ويجيب القُرآن الكريم عَنْ هَـذَا القول بقوله تَعَالَى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ

۱- (۱) سوره الطور: الآيه ۲۹-۳۴.

۲- (۲) سوره الحاقّه: آيه ۴۰-۴۸.

كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً(۸۸) (۱).

بتقريب: - إنَّ الأنس مَعَ كونهم أقوى فِي القوى العقليه مِنْ الجن لو اجتمعوا جميعاً لما استطاعوا أنْ يأتوا بسوره واحده، وَهَذَا ما أشارت إليه الآيه المُبَارَكه(وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ(۲۳) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَهُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ(۲۴) (۲).

وكذلك قوله تَعالَى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ(۳۸) بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الظّالِمِينَ) (۳).

بتقريب: - إنَّهُ إذَا كَانَ جميع الإنس متظاهرين بشركائهم مِنْ جميع الجنّ وغيرهم لا يستطيعون أنْ يأتوا بسورهٍ مِنْ مثله فكيف بما وَرَدَ مِنْ مَرَدَهِ الشياطين تكون لَهُ القدره.

۱- (۱) سوره الإسراء: الآيه ۸۸.

۲- (۲) سوره البقره: الآيه ۲۳-۲۴.

۳- (۳) سوره يونس: الآيه ۳۸-۳۹.

السر فِی عدم اکتشاف إعجاز القُرآن

اشاره

إنَّ إعجاز القُرآن الکریم البلاغی مثلاً معناه البحث عَنْ سببه وتفسیره؟ فَقَدْ حارت العقول فِی اکتشاف القَوَاعِد البلاغیه والنظام البلاغی فِی القُرآن، وکذا حارت فِی اکتشاف النظام اللغوی والصرفی والنحوی و... الخ فِی القُرآن.

نعم قَواعِد علم البلاغه والنحو والصرف وَاللُّغَه والاشتقاق و... الخ معروفه فِی علومها کُلّ بحسبه وَهِیَ قَواعِد مارسها القُرآن الکریم، وَهَذَا لا ینکره أحدٌ والکلام لَیْسَ فیما عُرِف مِنْ القَوَاعِد المختلفه لعلوم مُخْتَلِفَه واستخدمها القُرآن الکریم وَإنَّما الکلام فِی القَوَاعِد الأدبیّه مِنْ بلاغه ونحو وصرف ولغه واشتقاق و... الخ المُفَعَّلَه فِی القُرآن الکریم وَلَمْ تکتشف إلی الآن وَهِیَ مجهوله وبالتالی هِیَ غَیْر مقدروه، وَمَعْنَی العجز یعنی عدم القدره، وعدم القدره أحد الأسباب السیاسیّه فِی کون القُرآن معجز.

وَمَعْنَی عدم القدره یعنی الجهل وعدم العلم ببلاغه القُرآن الکریم فَإنَّهُ مُعْجِزٌ، وکذا أسلوب النظام الأدبی فَهُوَ معجز أیضاً. وسبب العجز هُوَ عدم امتلاک کُلّ أجیال البشر إلی یَوْم القیامه، القدره عَلَی العلم بقواعدالعلوم تفصیلاً، وإنْ عُلِم مِنْهَا شیئاً بسیطاً بما یتماشی مَعَ

استفادته مِنْ القُرآن الكريم.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ الأساس فِى عـدم القـدره هُوَ عـدم العلم بتمام ومجموع القَوَاعِد لعلوم مُخْتَلِفَه فِى القُرآن مِنْ اللغويه والأدبيّه والصـرفيه والنحويه والاشتقاقيه و... الخ الَّتِى استثمرها وأعملها القُرآن فِى نظامه الأدبى والبلاغى واللغوى و... الخ.

وَعَلَى هَـذَا يترتّب أمراً آخر ألا وَهُوَ أنَّ هَـذَا الجهل وعـدم العلم بقواعـد العلوم كالبلاغه وغيرها فَهَـذَا معناه أنَّ القُرآن الكريم لَمْ يُحَـدِّد معالمه اللغويه والأدبيّه، وَإلى الآن لَمْ يتحـدَّد وَلَمْ يعرف ما هُوَ أُسـلوب القُرآن هل هُوَ أسـلوب شـعر؟ كلا لَيْسَ بشـعر هُوَ أُسلوب قصصى؟ كلا، هل هُوَ أسلوب نثرى مسجّع القوافى؟ كُلّ، لَيْسَ ذاك و... الخ.

إذَنْ لَمْ تكتشف إلى الآن تمام منظومه قَواعِـد البلاغه والنحو والصـرف وَاللُّغَه والاشـتقاق و... إذْ لو اكتُشِـفَت لاسـتطاع البشـر أنْ يـأتوا بمثل القرآن، وَعَلَيْهِ فَالقُرآن منظومه خاصّه مترابطه مِنْ الصوت إلى الهيأه إلى المعنى إلى الجو القرآنى كُلَّهُ برسم هندسـى إلهى خـاص، وبـاعتراف عُلَمَـاء النحو والصـرف والبلاـغه وَاللُّغَه و... الـخ وأنَّهم يُـذعِنون أنَّ هُنَاك بحوثاً نحويّه وصـرفيه و.. فِى القُرآن لَمْ يسـتطع علماء هَذِهِ الفنون أنْ يضـبطوها وَهِىَ حتماً عَلَى القَوَاعِد، ولكن تلك القَوَاعِد الَّتِى بُنى عَلَيْهَا إعراب القُرآن أو اشتقاقه لَمْ تكتشف كُلَّهَا بَعْدُ، بَلْ حَتّى توجد اشتقاقات للمصادر فِى القُرآن وَهِىَ قليله الاستعمال مَعَ أنّنا عِنْدَمَا

نقرأها فِي القُرآن الكريم نقرأها بكَلِّ طراوه وبلاغه وجمال بديعى رهف، ولكن مَعَ ذَلِكَ حَتّى فِي يوميات الأدب العربى تتقاصر عَنْ الاستثمار والاقتباس مِنْ هَذِهِ البدايع البلاغيّه، فَإِنَّ هَذِهِ الاشتقاقات خلّابه وبديعه وعجيبه جداً فِي القُرآن.

تنبيه: إيّانا أنْ نتوهم أنَّ الإعجاز الأدبى محصور فَقَطْ وَفَقَطْ فِي علم البلاغه مِنْ معانى وبيان وبديع كلا، وَإِنَّما الإعجاز الأدبى أحد مباحث قَواعِد علم التفسير، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ تفسير الإعجاز القرآنى لا ينحصر بعلم مِنْ علوم الأدب، فَإِنَّ القُرآن الكريم فيه نحو تراكيب وَقَواعِد نحويّه وبلاغيه وصرفيه واشتقاقيه و... الخ يعجز عُلَمَاء ومُتخصّصوا كُلّ فن عَنْ اكتشافها وإنْ كَانَتْ هَذِهِ العلوم مُتقاربه وموادّها اللغويه جزله وخلّابه وموجوده فِي القُرآن، فَإِنَّ الإنسان العربى وغيره تتقاصر هممهم أو قدراتهم عَنْ الاستفاده مِنْ تلك المواد، بينما القُرآن استعملها واستفاد مِنْ تلك القَوَاعِد أعظم استفاده حَتّى وصلت إلى حدّ الإعجاز.

إذَنْ هُنَاك أبعاد عديده فِي الحقيقه فِي القُرآن فِي جانب علوم الأدب وغيرها أعجزَ القُرآن علماءَ تلك العلوم مِنْ أنْ يحيطوا بنظام منظومه القَوَاعِد المرئيه فِي القُرآن الَّتِى استخدمها وفَعَّلَها وأعجز البشر عَنْ إدراك قوّتها وجمالها وبديع بريقها فِي أبعاد مُخْتَلِفَه، واللطيف أنَّ الجامع لها كُلَّهَا هُوَ عنوان الذكر أىّ أنَّ أسلوب ومعلم معالم القُرآن هُوَ الذكر.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ قراءه القُرآن لا تُحْدِث للإنسان طرباً ولا خِفَّه ولا مجون ولا إثاره الغضب ولا إثاره للشهوه، وَإنَّما فِي قراءه القُرآن توجد إثاره لدفائن العقول ومنسى الفطره، وَإلى الآن لَمْ يتمكَّن عُلَمَاء الأخلاق مِنْ التوصّل إلى موازنه فِي كُلّ الفضائل كفضائل فَقَطْ لأجل أنْ تُحْدِث فِي الإنسان ذكر، وإنْ كَانَ هُنَاك تناسب وتناسق معيّن فِي الفضائل يُحْدِث فِي الإنسان ذكراً ولكنَّهم إلى الآن لَمْ يتوصّلوا إليه.

طبيعه حقيقه القُرآن أنَّهُ يُفَعِّل كُلّ علم:

وَرَدَ فِي بَعْض الروايات مِنْ الفريقين قول رسول الله صلّى الله عليه و آله: «مَنْ انهمك فِي طلب النحو سُلِبَ الخشوع»(١).

بتقريب: - إنَّ مَنْ تعمَّق فِي طلب النحو سلب الخشوع فِي الصَّلاه أو قراءه القُرآن أو الأذكار مَعَ أنَّ ما فِي الصَّلاه وقراءه القُرآن يوجد إعجاز وتعمّق نحوى فِي تدبّر القُرآن وتفسيره لا يسلب الخشوع، بَلْ يوجد الخشوع والذكر، فَإنَّ طبيعه حقيقه القُرآن أنَّهُ يُفَعِّل كُلّ علم فِي مسير الوصول إلى القمه والكمال وَإلى الذكر، فمثلاً النظام النحوى فِي القُرآن لَيْسَ نظاماً يسير ويصبّ إلى الردى أو إلى اللاهدف كلا، وَإنَّما يستخدمه القُرآن وبنحو إعجازى، إلَّا أنَّ هَذَا الإعجاز لا يكون عائقاً ومكبلاً للإنسان ومُقعِداً لَهُ عَنْ المسير، بَلْ بالعكس دافِعاً لَهُ بقوّه إلى

١- (١) بحار الأنوار: ج ١، ص ٢١٨ كتاب العلم.

المسير للأمام، أمَّا أنَّهُ كيف يمكن أنْ يتسخدم القُرآن هَذِهِ العلوم بنمط ذكرى ويخدم بنحو يدفع الإنسان فِي مسيره نحو الكمال والتكامل، فذاك بحث يتّضح مِنْ خلال المباحث الآتيه، وَهُنَا يكمن سرّ إعجاز القُرآن.

ص:٢٩٩

ما معنى الذكر

اشاره

لا يمكن لأحَدٍ أنْ يفهم ويفقه مَعْنَى الذكر إلَّا أنْ يكون نفس الإنسان متذكر، وأعظم متذكر هُوَ النَّبِيّ الأكرم مُحمَّد صلّى الله عليه و آله، بدليل أنَّ القُرآن لَمْ يُنْعِت أحداً بأنه ذِكر أو جَسَّدَ الذكر إلَّا سيِّد الأنبياء صلّى الله عليه و آله دون بقيّه الأنبياء والأوصياء.

كَمَا فِي قوله تَعَالَى: (قَدْ أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً(١٠) رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللّهِ مُبَيِّناتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ) (١).

كَمَا أنَّ القُرآن الكريم لَمْ ينعت أحداً بأنه كتلة وحيّ مُجَسَّده، ووحيٌ بتمام وجوده إلَّا سيد الأنبياء صلّى الله عليه و آله(إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى(۴) (٢) فَإنَّ بَعْض المُفَسِّرين فَسَّرَه فِي خصوص نطق النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله، وفي خصوص ما يبلغه عَنْ الوحى فَقَطْ دون سائر نطقِ النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله، فضلاً عَنْ بقيّه أفعاله وسائر شؤونه وحالاته ومقاماته ومراتِب ذاته، أيّ دون تمام حقيقه النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله وَهَذَا غَيْر صحيح، وَإنَّما الصحيح هُوَ أنَّ الضمير (هُوَ) فِي الآيه يعنى به تمام حقيقه النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله فبدنُه وحيٌ وهَدْيَهُ وحيٌ وجلوسُه وحيٌ وقيامُه وحيٌ، وعلمَه وحيٌ ونورُه وحيٌ و... الخ(لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ

١- (١) سوره الطلاق: الآيه ١٠-١١.

٢- (٢) سوره النجم: الآيه ۴.

حَسَنَةٌ) (۱).

وهكـذا هُنَاك وصـفاً للنبى صـلّى الله عليه و آله فِى القُرآن لتمام وجوده صـلّى الله عليه و آله(وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِى لَهُ إِنْ هُوَ إِلّا ذِكْرٌ) (۲).

بتقريب: - إنَّ النعت الأوَّل للقُرْآن هُوَ الذكر، فَإنَّ هَذَا النعت (الذكر) كَمَا هُوَ نعت للقُرْآن كَذَلِكَ هُوَ نعتٌ للنبى صلّى الله عليه و آله، وَهَـذَا يُوضَّح لنا أنَّ القَاعِـدَه الشـريفه - قَاعـدَه أنَّ القُرآن ذِكْرٌ - يعنى فيما تعنيه، وأنَّ علم التفسـير لَيْسَ علمٌ بقواعِـد وعلوم نظريه فَقَطْ، وأنَّ علم التفسير يحتـاج مِنْ المفسِّر أنْ يكون متـذكراً بقـدر ما عنـده مِنْ ذاكره، وأنْ يكون ذكره لله عَزَّ وَجَلَّ حَتّى يستوعب مِنْ حقائق ومعانى القُرآن أكثر فأكثر.

وأنَّ هُنَاك مِنْ قَواعِد علم التفسير برنامجٌ عمليٌ وَلَيْسَ فَقَطْ برنامجاً نظرياً وفكرياً، وَعَلَيْهِ فَإنَّ المنهج التفسيرى الأمثل والمتكامل هُوَ مـا كَـانَ فيه جناحـان وبرنامجان أحـدهما نظرى فكرى، والآخر منهاج عملى، والبرنامـج العملى متمثِّل بأنْ تكون أيُّهَا المفسِّر مُتذكراً غَيْر مفتنن بالنزوات فحينئذٍ تستطيع أنْ تستوعب مِنْ معانى وحقائق القُرآن أكثر فأكثر.

وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ وصيّه متكرره مِنْ القُرآن فِى سوره وآياته: (وَ لَقَدْ

۱- (۱) سوره الأحزاب: الآيه ۲۱.

۲- (۲) سوره يس: الآيه ۶۹.

يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ(١٧) (١).

وإنَّ كُلّ مَنْ يُريد أنْ يتذكّر ويصير ذكرياً فَلابُدَّ أنْ يحيط ويلِمُّ بكُلِّ ما هُوَ مرتبط بالذكر فَإنَّهُ مرتبط بمعرفه القُرآن وعلوم القُرآن.

التذكر مِنْ شرائط قراءه القُرآن المستحبه:

إذَنْ أهم ما تتميز به قَاعدَه كون القُرآن ذكر هُوَ أنَّها ليست فَقَطْ برامجاً أو قَاعدَه فكريه وتنظيريهً بحتهً، بَلْ لها جنبه ومَسْحَهٌ عمليّه، وَهَذَا يلزم مراعاته فِي كُلّ قَاعدَه مِنْ قَواعِد تفسير القُرآن الكريم، وَهَذِهِ الجنبه العَمليّه فِي قَاعدَه الذكر ترتبط بعمل الإنسان، وعمل نفس الذات النفسانيه فِي الإنسان بغض النظر عَنْ القُرآن والتفسير، فَإنَّ التذكر والمتذكر مِنْ شرائط قراءه القُرآن الكريم المستحبه، وكذا مِنْ الشرائط المستحبه أنْ يكون الإنسان مُتطهراً فِي غَيْر الأوقات الَّتِي تُؤدِّى بها العبادات المشروطه بالطهاره.

مِنْ الضروريات للمفسر تأسيس الجنبه العلميه

والعمليه التطبيقيه:

وَعَلَيْهِ لأجل أنْ يؤسس المُفَسِّرُ فِي كيان نفسه وفى مساره العلمى جنبه تطبيقيه لقاعده الذكر، وقبل أنْ يَرِدَ ويخوض فِي بحر أنوار القُرآن الكريم، عَلَيْهِ أنْ يُراعى تأسيس الجانب العلمى والتطبيقى، واستفاده

١- (١) سوره القمر: الآيه ١٧.

هَـذِهِ التوصـيه وَالقَاعِـدَه قَـدْ تَمَّتْ مِنْ فحوى قوله تَعَـالَى: (لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ(۷۹) (۱) فَهِىَ وإِنْ كَـانَتْ هَـذِهِ الآيه المُبَارَكه خـاصّه بأهـل آيه التطهير، إلَّا أنَّ فَحْوَاها للمراتب النازله عامّه تشـير إلى معادله التناسب الطردى بين طهاره الإنسان وقَـدَرَ نيله مِنْ درجات بواطن القُرآن.

كَذَلِكَ هُنَاك عِدَّه آيات قرآنيّه وروايات وَصَفت ولايه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام بوصف الذكر والتذكّر.

كقوله تَعَالَى: (وَ إِنَّهُ لَتَـذْكِرَهٌ لِلْمُتَّقِينَ(۴۸) (۲) مُحمَّد بن الفضـيل عَنْ أبى الحسن الماضـى عليه السّلام: - أنَّ ولايه على لتذكره للمتقين للعالمين، وإنّا لنعلم أنَّ منكم مكذبين، وأنَّ علياً لَحَسْرَهً عَلَى الكافرين، وأنَّ ولايه على لحق اليقين... الخ(۳).

وكقوله تَعَالَى: (فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَهِ مُعْرِضِينَ(۴۹) (۴) يعنى عَنْ الولايه.

وكذا قوله تَعَالَى: (كَلاّ إِنَّهُ تَذْكِرَهٌ(۱۱) (۵) وقوله: (إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَهٌ) يعنى الولايه.

وقوله تَعَالَى: (هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِىَ وَ ذِكْرُ مَنْ قَبْلِى) (۶) ففى روايه كنز

۱- (۱) سوره الواقعه: الآيه ۷۹.

۲- (۲) سوره الحاقه: الآيه ۴۸.

۳- (۳) الكافى: ج ۱، ص ۳۵۹ ح ۹۱ عنه البُرهان فى تفسير القرآن للسيد هاشم البحرانى: ج ۲۶ جلد ۸ ص ۱۱۰.

۴- (۴) سوره المدّثر: الآيه ۴۹.

۵- (۵) سوره المدثر: الآيه ۵۴.

۶- (۶) سوره الأنبياء: الآيه ۲۴.

الكراجكى عَنْ الكاظم عليه السّلام فِى هَذِهِ الآيه قَالَ: (ذِكْرُ مَنْ مَعِىَ) علىٌّ ذكر(وَ ذِكْرُ مَنْ قَبلِى) الأنبياء والأوصياء(۱).

وكقوله تَعَالَى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللّهِ) قَالَ: الَّذِيْنَ آمنوا: الشيعه، وذكر الله: أمير المؤمنين عليه السّلام والأئمه عليهم السّلام، ثمَّ قَالَ: - ألا بذكر الله تطمئن القلوب(۲). وكقوله تَعَالَى: (لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِى) (۳).

الذكر بمثابه الأصل الذى ينحدر مِنْهُ القُرآن الكريم:

والمتحصل مِنْ هَذِهِ الآيات وغيرها أنَّ توصيف أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام بأنّه ذكرٌ هُوَ بحكم التنزيل لا التأويل، كَمَا وَرَدَ هَذَا العنوان فِى شأن النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله، والوجه فيه: أنَّ أمير المؤمنين عليه السّلام بمنزله نفس النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله بنصّ آيه المباهله(وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ) وَهَذَا مقام عظيم لأميرا لمؤمنين عليه السّلام بَعْدَمَا بَيَّن قوله تَعَالَى(وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِى لَهُ إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ(۶۹) (۴) مِنْ أنَّ مقام الذكر بمثابه الأصل الذى ينحدر مِنْهُ القُرآن.

۱- (۱) الكافى للكلينى: ج ۱، كتاب الحجه: ب ۱۶۵، نكت ونتف من التنزيل فى الولايه: ص ۵۰۴ ح ۹۱، يعنى الولايه لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام.

۲- (۲) ويُستفاد ممّا تقدم أن الذكر فى القرآن على سته وجوه: - القرآن، والنبىّ، وأمير المؤمنين عليه السّلام والأئمه عليهم السّلام والولايه، والإمامه، وطاعتهم، ومعناه المُتعارف، مستدرك سفينه البحار، مادّه ذكر، للشيخ حسن النمازى: ج ۳، ص ۴۲۷.

۳- (۳) سوره الفرقان: الآيه ۲۹.

۴- (۴) سوره يس: الآيه ۶۹.

وهكذا ما وَرَدَ فِی زیارات أمیر المؤمنین علیه السّلام مِنْ أَنَّهُ علیه السّلام ذکرٌ.

وأمَّا الروایات:

فَقَدْ روی ابن المغازلی فِی مناقب الإمام علی علیه السّلام: - عَنْ جابر بن عبدالله الأنصاری، قَالَ: - قَالَ رسول الله صلّی الله علیه و آله وإنْ لأدناهم فِی حج الوداع بمنی، قَالَ صلّی الله علیه و آله: - لا أفینکم ترجعون بعدی کفّاراً یضرب بعضکم رقاب بَعْض، وأیم الله إنْ فعلتموها لتعرفنّی فِی الکتیبه الَّتِی تضربکم ثمَّ التفت إلی خلفی، ثمَّ قَالَ: - أو علیّ، أو علیّ ثلاثاً فرأینا أنَّ جبرائیل غَمَزَهُ وأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَی أثر ذَلِکَ(فَإِمّا نَذْهَبَنَّ بِکَ فَإِنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ(۴۱) بعلی بن أبی طالب علیه السّلام - (أَوْ نُرِیَنَّکَ الَّذِی وَعَدْناهُمْ فَإِنّا عَلَیْهِمْ مُقْتَدِرُونَ(۴۲) ثمَّ نزلت، (قُلْ رَبِّ إِمّا تُرِیَنِّی ما یُوعَدُونَ(۹۳) رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِی فِی الْقَوْمِ الظّالِمِینَ(۹۴) ثمَّ نزلت(فَاسْتَمْسِکْ بِالَّذِی أُوحِیَ إِلَیْکَ إِنَّکَ عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ(۴۳) وإنَّ علیاً لَعِلْمٌ للساعه، (وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ(۴۴) عَنْ علی بن أبی طالب علیه السّلام.

وما أرسله العیّاشی بسنده عَنْ علی بن أبی حمزه عَنْ أبی جعفر علیه السّلام: «(وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هذَا الْقُرْآنِ لِیَذَّکَّرُوا) یعنی ولقد ذکرنا علیاً فِی القُرآن وَهُوَ الذکر فما زادهم إلَّا نفوراً»(۱).

۱- (۱) تفسیر العیّاشی: ج ۳، ص ۵۳، ح ۷۸.

ضروره تأسيس الجانب العملى للمفسير فِى قَاعدَه الذكر:

ولأجل أنْ يؤَسِّس المُفَسِّرُ فِى كيان نفسه وفى مساره العلمى جنبه تطبيقيه لقاعده الذكر، وقبل أنْ يَرُدَّ ويخوض فِى بحر أنوار القُرآن الكريم، لابُدَّ أنْ يُراعى تأسيس الجانب العملى والتطبيقى عنده إلى حَدٍّ ما شبيه ما يُقَال، أو يقتبسه الفلاسفه عَلَى مدرسه الإشراق، أو عَلَى العرفاء فِى مدرستهم العرفانيّه، إنَّ أحد القنوات الموصله للمعرفه لَيْسَ قناه الفكر، وإنْ كَانَ صحيح أنَّهُ وَرَدَ ما مضمونه - تفكر ساعه خير مِنْ عباده سبعين سنه، وأنَّ أحد نوافذ المعرفه هُوَ الفكر إلَّا أنَّهُ هُنَاكَ نافذه عملاقه كبيره أُخْرَى، وَهِىَ قناه القلب لِمَنْ كَانَ لَهُ قلب أو ألقى السمع وَهُوَ شهيد.

وَعَلَيْهِ فالذكر عباره عَنْ نظام مِنْ علوم مُخْتَلِفَه يختلف عَنْ الأنظمه بالعلوم، فمثلاً لعلم النحو أو الشعر، أو الصرف أو غيرها قَواعِد وتفصيلات وأوزان خاصّه كَذَلِكَ القُرآن فَإنَّهُ ذكر لَهُ أوزان فِى بُعده اللفظى مِنْ الذكر، فضلاً عَنْ قَواعِد الذكر فِى تركيب المعنى بدءاً مِنْ الطبقه الأولى مِنْ المعنى وتصاعداً إلى الدرجات الَّتِى لا تنفذ مِنْ طبقات المعنى، فضلاً عَنْ أوزان وَقَواعِد الذكر فِى حقائق القُرآن العينيّه، وارتباط حقيقه الإنسان بتلك الحقيقه فِى قلبه وروحه(١).

١- (١) صدر الحديث ذكره البخارى فى صحيحه فى كتاب العلم وفى كتاب الأضاحى رواه مسلم فى صحيحه، كتاب الإيمان فى كتاب القسامه، رواه أبو داود، والترمذى، وأحمد بن حنبل أما غمز

الحقيقه لا تقتنص بالتنظير الفكرى فَقَطْ:

الواضح أنَّ الحقيقه والصواب لاـ يقتنص بالتنظير فَقَطْ، بَلْ لابُدَّ أنْ يَقْترن ورعٌ وزهد وجانب عملى وطيران عَنْ حضيض الغرائز(۱) وَعَلَيْهِ فالعلم بمفرده أىّ القوّه الفكريّه لوحدها لاـ تؤمِن لك إصابه الحقيقه والصواب، وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ أنْ يقترن العلم والقوى الفكريه بجانب العمل، حَتّى يُؤَمَّن لك بَعْض الحقيقه؛ لِأنَّ العلم يهتف بالعمل فَإنَّهُ صدقه وَإلَّا ارتحل هكذا جاء فِى كلمات المعصومين عليهم السّلام(۲).

فَإنَّ هَذَا المُنَظِّر حَتّى لو كَانَ عبقرياً فِى أىّ علم مِنْ العلوم فَإنَّهُ إذَا نحى جانب العلم والقوى الفكريه التنظيريه فَقَطْ فيمكن أنْ يُسيّس ذَلِكَ العلم والعالِم سواءٌ فِى علم الفيزياء أو الكيمياء أو الأحياء أو الجغرافيه أو التاريخ أو المال أو... الخ وتنتج بَعْدَ ذَلِكَ نتائج فيزيائيه مسيّسه، أو كيمائيه مسيّسه أو تأريخ مسيّس أو سياسيه ماليّه، ولذا نسمع بين الآونه وَالأُخْرَى الأكذوبات العلميّه فِى مختلف العلوم لأنها سُيّسَتْ ونَحتُ جانب التنظير فَقَطْ ولذا وقعت فِى الخلط والخبط والحيص بيص.

۱- (۱) ومنه لُقِّبَ جعفر بن أبى طالب عليه السّلام لأنَّه طار وتَخَلَّصَ من حضيض الغرائز وجذباتها وطار عن حبس الذات؛ ولذا يطير مع الملائكه فى الجنَّه، وهكذا أبو الفضل عليه السّلام العباس ابن على بن أبى طالب عليه السّلام حصل على مقام الطيران فضلاً عن المعصومين عليهم السّلام فإنَّهم حصلوا على هذا المقام السَّامى.

۲- (۲) عوالى اللئالى: ۲۶/۶۶/۴.

وَعَلَيْهِ فالعلوم بشتّى أنحائها لا يمكنها أنْ تَصْفِق وتطير بجناح واحد وَهُوَ جانب القوى الفكريه النّظَريَّه والتنظيريه، وَإنَّما لابُدَّ مِنْ ضميمه جناح آخر وَهُوَ الجانب العملى الذى يشكل أزمه بين حضاره الدِّين الإسلامى وبالذات حضاره منهاج أهل البيت عليهم السّلام والأطروحات البشريه، أو حَتّى فِى المذاهب الإسْلاميَّه الأُخْرَى فِى أطروحات أهل البيت عليهم السّلام فلا يمكن رفع اليد عَنْ أطروحات أهل البيت عليهم السّلام الَّتِى تمثِّل العدل والعداله المتمثِّل بالجنبه العمليّه.

وهكذا الحال فِى علم التفسير، فَإنَّهُ وعلوم القُرآن الأُخْرَى كعلم ونور لا يمكن الظن بالوصول مِنْ خلالها إلى حقائق بمجرد التنظير، وإذا أردت أيُّهَا المفسِّر الكريم أنْ تصبح مُفَسِّراً ناجحاً وقديراً وتخرج بدوره تفسيريه قديره عليك أنْ تتطهر أيُّهَا المفسِّر فِى أخلاقك وعملك وذاتك حَتّى تحصل عَلَى نتائج تفسيريه طيبه بقدر ما يتطهر كَمَا بَيَّنا ذَلِكَ سابقا، ولذا يشترط فِى الفقيه فِى مدرسه أهل البيت عليهم السّلام أنْ يكون عادلاً، وهكذا تشترط العداله فِى القاضى.

تأثير العداله والتقوى عَلَى الجانب العملى:

صحيحٌ أنَّ القضاء مهنةٌ علميّةٌ واحتراف مهنى، ولكن ما ربط تأكيد الآيات والروايات عَلَى العداله والورع مَعَ الجنبه العلميّه، وهكذا الحكم عباره عَنْ السياسى الذى لَهُ القدره والمراس فِى فن إداره المتغيّرات

وتناسقها مَعَ المصالح، وَعَلَيْهِ فما ربط اشتراط العداله والورع بمنصب الحاكم وأدائه؟

وفی معرض الجواب عَنْ ذَلِكَ، بأنَّ القُرآن ذكر هَذَا الربط بقوله تَعَالَى(ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ(٢) (١).

بتقريب: - إنَّنا إذَا أردنا نتاج سديد وسليم فَلابُدَّ مِنْ اشتراط العداله والورع بالفقيه والقاضی والحاكم وغيرهم.

فَإنَّ النتيجه العمليّه مِنْ اشتراط ذَلِكَ هُوَ الهـدايه للمتقين ممزوجه بالجانب العملی(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ(٧٧) فِی كِتابٍ مَكْنُونٍ(٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ(٧٩) (٢).

فَإنَّ القُرآن لَهُ مقامات غيبيّه ودرجات مِنْ الطّهاره خاصّه وإقرأ وارق.

فَإنَّ الإنسان لَهُ نافـذِهٌ للعلم غَيْر الفكر وَلابُـدَّ مِنْ جمعها مَعَ الفكر، ألا وَهِیَ نافـذه الطهاره، والرياضه الروحيّه والنفسانيّه فِی الرُّوح والنفس.

هَذَا وَقَدْ بنی الشهيد الثَّانِی قدّس سرّه عَلَى إنَّ ملكه الاجتهاد ملكهٌ قُدسيّه لا فكريّه بحته، بَلْ طهاره الرُّوح مؤثرهٌ فيها.

١- (١) سوره البقره: الآيه ١.

٢- (٢) سوره الواقعه: الآيه ٧٧-٧٩.

وَقَدْ أشكل عَلَيْهِ مَنْ تأخَّر عنه: - بأنَّ الملكه العلميّه ملكهٌ فكريهٌ لا ربط ولا صله لها بآليات العمليّه فِى النفس سواء كَانَتْ الهيئه النفسانيّه المتولِّده مِنْ العمل نورانيّه، أو ظلمانيّه.

إلَّا أنَّ الصحيح هُوَ ما ذهب إليه الشهيد الثَّانِى قدّس سرّه إجمالاً، فَإنَّ صفاء وشفافيّه الرُّوحى بالغه التأثير فِى جوده وطهاره صفاء مرآه الفكر لإدراك المطالب، بَلْ المحكى عَنْ كثير مِنْ أصحاب النبوغ والاختراع أنَّهم لا يوفقون إلى اكتشاف الاختراعات إلَّا بَعْدَ صفاء وتشفف الرُّوح وشفافيّه خُلُقيه تعتوره.

وحاصل ما أشكله مَنْ تأخَّر عَنْ الشهيد الثَّانِى قدّس سرّه: - إنَّهُ إذَا اعتمد عَلَى الجنبه الفكريه، يمكن الحصول عَلَى نتائج طيّبه، ولا يشترط وجود الجانب العملى فِى الحصول عَلَى النتائج الطيبه وإنْ كَانَ لا تنكر أهميّه الجانب العملى إلَّا أنَّهُ لَيْسَ شرطاً فِى ذَلِكَ! ويُؤيِّد ذَلِكَ ما فِى حقيقه زياره المعصومين عليهم السّلام فَإنَّ البعض يدّعى أنَّ الزياره هِىَ محضُ جنبه عمليّه وعمل فَقَطْ، وأنَّ الزائر الكريم ترك العلم لجانب العمل إلَّا أنَّ هَذِهِ الدعوى مدفوعهٌ: مَنْ قَالَ بأنَّ الزياره كُلَّهَا عملٌ محض وَأنَّهُ تُرِك العلم لجنبه العمل، كلا لَيْسَ كُلَّهُ كَذَلِكَ، فَإنَّ الزياره صحيح فيها جنبه عَمَلٍ، إلَّا أنَّهُ ينبغى عدم الغفله عَنْ بَعْض الجهات والبنود العلميّه المذكوره فِى فقرات الزياره، فَإنَّ الزياره عبارَه عَنْ ترويض علمى ودورهٌ ومنظومَهٌ معرفيه عقائديّه مُتكامله، وَلابُدَّ مِنْ تطهير القلب وتنويره فحينئذٍ تزداد

قابليتک کُلَّما ازدادت طهارتک النفسيّه والروحيّه، ولذا فَإنَّ الإخفاقات الكثيره الَّتِی نلاحظها فِی المعارف أو العقائد ما هِیَ إلَّا نتيجه ضعف القِوی الفكريه للباحث الكريم، وَهَذَا ما يُشير إليه قوله تَعَالَی(أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ(۷۵) (۱).

بتقريب: - إنَّهُ تَعَالَی أعزی وأسند إخفاق إبليس لعنه الله عَلَيْهِ فِی الإيمان و المعرفه إلی استكباره، وَهُوَ هيئه عمليّه مِنْ أفعال القلب والنفس تؤثِّر سلباً عَلَی القِوَی الفكريه والقلبيه الإدراكيه لذات الإنسان.

وَعَلَيْهِ فالجانب العملی لوحده لا يوصلنا إلی نتائج طيّبه وإتّباعه لوحده مُشْكِل ولا النظر وحده، ولذا إبليس عِنْدَمَا حُجِب بسبب استكباره، مؤشراً عَلَی أنَّهُ لَيْسَ الخطأ سببه فِی التصور والفكر فَقَطْ، ولذا فَمِنْ لطافه منهجنا التفسيری أمومه الولايه عَلَی المُحْكَمات فِی القُرآن بتفسير سديد فِی حمل الأطراف والآفاق والمراحل، إلَّا إذَا كَانَ عنده تولَّی لأولياء الله، والتولی والولايه لأولياء الله لَيْسَ فيه جنبه نظريه فَقَطْ، وَإنَّما فيه جنبه وسلوكٍ عملی نفسانی وقلبی كَذَلِكَ.

وَإلَّا يكن هُنَاكَ فِی البين(خَتَمَ اللّهُ عَلی قُلُوبِهِمْ وَ عَلی سَمْعِهِمْ وَ عَلی أَبْصارِهِمْ غِشاوَهٌ) (۲).

نتيجه أعمالهم، بخلاف ما أشارت إليه الآيه الكريمه(إِنَّهُمْ فِتْيَهٌ

۱- (۱) سوره ص: الآيه ۷۵.

۲- (۲) سوره البقره: الآيه ۷.

آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْناهُمْ هُدىً(۱۳) (۱).

بتقريب: - إنَّ زياده الهُدَى هِيَ زياده فِي الإيمان والمعرفه، وَهَذَا حاصل نتيجه شيئين وَهُمَا: - الفكر والعمل، لا أحدهما مِنْ دون الآخر.

وَمِنْ هَذَا البحث ينفتح المجال أمام بحوث مِنْهَا: -

الشعائر الحسينيه وَقَاعِده الذكِر:

لَعَلَّ الكثير يتساءل عَنْ مسأله البكاء عَلَى الحسين عليه السّلام وَغَيْر البكاء فلماذا العاطفه الشديده؟ ولَعَلَّ أيسر ما يُجاب عَنْ هَذَا: -

بإنَّ الجانب النظرى وَالأُمُور الفكريّه لا تكفى لوحدها لفهم ما قام به الحسين عليه السّلام، وَعَلَيْهِ فإذا كَانَ السائل متوحِّل ببراثن المعصيه، فلا يمكنه أنْ يفهم، ولو ببعض ما قام به الإمام الحسين عليه السّلام ما لَمْ يتطهّر ويتنظّف مِنْ تلك المعاصى، وَهَذَا يحتاج إلى جنبه عمليّ صلّى الله عليه و آله وَهُوَ ترك تلك المعاصى عملاً وخارجاً.

فالعاطفه لها دورٌ مهم فِي صقل الفكر وقوّه إدراكه، إذْ مِنْ دونها لا يستعد فكر الإنسان لإدراك جملهٍ مِنْ حقائق المعانى فضلاً عَنْ قصور الفكر لتناول الحقائق العينيّه، فضلاً عَنْ تأثير العاطفه عَلَى تصديق وتسليم القلب والنفس للحقائق، والإذعان بالعلم المطابق للحقائق العينيه؛ فَإنَّ الجانب الفكرى مهما تضخم وتكاثر فَإنَّهُ لا يوجب إرعواء النفس للإخبات للحقائق وعدم التمرّد عَلَيْهَا، كَمَا تشير إليه الآيه المُبَارَكه

۱- (۱) سوره الكهف: الآيه ۱۳.

(وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ) (۱).

فَإنَّ بَعْض الأُمُور الفكريّه لَيْسَ مقدّمتها الفكر فَقَطْ، وَإنَّما مقدمتها الرياضه الروحيه السليمه.

الطهاره الروحيّه ودخالتها فِي جانب التفسير:

والخلاصه مِنْ كُلّ ما تَقَدَّمَ أنَّهُ تَحَصَّل ما يلى:

إنَّ المفسِّر بالإضافه إلى جانب إلمامه بقواعد عديده معينه، أنْ يخوض بينه وبين نفسه حاله التطهير والرياضه الروحيّه حَتّى تنفتح لَهُ الآيات أكثر فأكثر، وَإلَّا فلا تنفتح أمامه وَهَذا جانب عملى يجب أنْ يلتفت إليه المُفسِّر وَهُوَ أحد أبعاد قَواعِد موازين الفكر وتوازنه.

۱- (۱) سوره النمل: الآيه ۱۴.

أهم مميزات قَاعدِه الذكر

اشاره

إنَّ أهم ما تتميّز به قَاعدِه الذكر عَنْ سائر القَوَاعِد الأُخْرَى هُوَ:

الربط بين الذكر والترتيل والتلاوه:

أوَّلاً: إنَّ قَاعـدِه الذكر تتأطَّر وتتقولب وتتشـكّل فِي كُلّ صـعيد بنحو خاص به، كَمَا وَرَدَ فِي روايات أهل البيت عليهم السّـلام فِي مَعْنَى الترتيل للقُرْآن، وأحد المعانى المُراده مِنْ الترتيل فِي هَذَا الصعيد هُوَ الترتيل اللفظى.

كَمَا فِي روايه عبـدالله بن سـليمان، قَالَ: سألت أبا عبـدالله عليه السّـلام عَنْ قول الله عَزَّ وَجَلَّ(وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) (١) ، قَالَ: أمير المؤمنين عليه السّلام بيَّنه تبياناً(٢) ولا تهذَّه هذَّ الشعر(٣) ولا تنثره نثر الرَّمْل(۴) ولكن أفزعوا قلوبكم القاسيه(۵) ولا يكن

١- (١) سوره المزّمل: الآيه ۴.

٢- (٢) دَلَّ على أن الترتيل هو إخراج الحروف من مخارجها، بحيث تظهر متميّزه بعضـها عن بعض عند السامع؛ ولذا يقال ترتيل وترسيل.

٣- (٣) الهَذّ: سرعه القطع، وهذَّ القُرآن هذّاً إذَا أسرع فِي قراءته كَمَا يسرع فِي قراءه الشعر.

۴- (۴) الرَّمل عنـد نثره يقع على الأرض متباعِدَه حبّاتهُ، وكأنّه أرادَ بـذلك التنبيه عَلَى المطلوب مِنْ الترتيل إخراج الحروف مِنْ مخارجهـا بحيـث تظهر متميّزه بعضـها عَنْ بَعْض، ولكن لَيْسَ بحيث تخرج الحروف متقطّعه منفصـلاً بعضـها عَنْ بَعْض كحبّات الرَّمل عِنْدَ نثرها، وَذَلِكَ لطول الفواصل بينها.

۵- (۵) أىّ أضيفوا قلوبكم الغليظه بالتدبّر فِي آياته وما وَرَدَ فيها مِنْ أخبار الأُمم السالفه وكيف كفرت بالله

همَّ أحدكم آخر السوره(۱)

(۲).

نعم لقَاعِدَه الذكر وارتباطها بالتلاوه مراتب أُخْرَى مِنْ تلاوه المعانى فِى مواطنها المنطبقه عَلَيْهَا وتنزيلها فِى الموارد المستحقّه لها فضلًا عَنْ مرتبه قَاعدِه الذكر فِى الحقائق المرتبطه بترتيل رَتْل الحقائق وتلاوه وبعضها تلو بَعْض، وَحَيْثُ إنَّنا فِى مقام بيان قَواعِد النظام اللفظى، فالتعرُّض متمركِزٌ فِى قَاعدِه الذكر فِى بُعْدِها اللفظى.

ثانياً: إنَّها موجودهٌ فِى منهج أمومه الولايه عَلَى المُحكمات دون باقى المناهج التفسيريه الأُخْرَى، ولو نسبياً.

وثالثاً: إنَّها تتميّز بأنَّ لها جنبتان نظريه وعمليه كَمَا تَقَدَّمَ.

رابعاً: يُشْتَرَط فِى هَذِهِ القَاعِدَه لأجل الغور إلى أعماقِ القُرآن لابُدَّ أنْ يكون المتدبر مُتطهّراً بطهاره فِى عقله، وفى عقيدته ومعرفته وحالاته الخُلُقيه، وَأنَّهُ لا يستطيع أحدٌ أنْ يلج إلى أعماق القُرآن إلَّا بقدر ما أُوتى مِنْ درجه الطهاره.

۱- (۱) أىّ أهميّته أنْ يصل إلى آخر السور فيسرع فِى قراءته كسرعته فِى قراءه الشعر فلا يلتفت إلى معانيه ولا يدرك مغازيه.
۲- (۲) الكافى للشيخ الكلينى: ج ۲، ص ۵۷۸ ب ۲۷۸ ترتيل القُرآن بالصوت الحسن.

الفرق بين الندبه بالذكر والندبه بالنياحه:

خامساً: لا تُسْتَعْمل قَاعدِه الذكر عَلَى صعيد النظام الاستعمالى فحسب، بَلْ تستعمل عَلَى صعيد أنظمه قُرآنيّه مُتعدِّده، كنظام معانى القُرآن الكريم، ونظام الحقائق القُرآنيّه وغيرها، فَإنَّ قَاعـدِه الذكر لها ألوان ووجوه ودرجات فمثلاً هُنَاك فرقٌ بين الندبه بالذكر، فَإنَّ النـدبه بالنياحه الـذى هُوَ كيفيه صوتيّه يختلف عن لنـدبه بالـذكرفَإنَّ الندبه بالذكر أَعْظَمُ تأثيراً مِنْ الندبه بالنياحه، وإنْ كَانَتْ النيـاحه بـالحق عَلَى أئمه المسـلمين عليهم السّـلام أمرٌ راجـحٌ، ولكن النـدبه لمصابهم عليهم السّـلام بطور الـذكر أعظم تأثيراً مِنْ الندبه بالنوح، وَعَلَيْهِ فَإنَّ قَاعدِه الذكر حَتّى فِى علم الأداء الصوتى النغمى للقُرْآن يختلف عَنْ النياحه كذكر.

سادساً: تختلف قَاعـدِه الـذكر فِى بعـدها وضوابطها اللفظيه عَنْ الشـعر، ولـذلك إلى الآن القُرآن الكريم يتحدّى الشـعراء وَعُلَمَاء الموسيقى وَعُلَمَاء الغناء وَعُلَمَاء التجويد فِى اكتشاف حقيقه القَوَاعِد اللفظيه للذكر.

إذَنْ قَاعـدِه الـذكر تمثِّل تحـدياً ماثلاً أمـام البشـريه منـذ أربعه عشـر قرنـاً وَالقُرآن يُنـادى ويتحـدّى فن هنـدسه الصوت وَعُلَمَاء الموسيقى و... الخ.

إنْ اسـتطعم أنْ تـأتوا بنغمه صوتيه لا تثير الغرائز الحيوانيه ولا توجب خِفّه العقـل ولا تجعـل الإنسان نزوى فهاتوا ما عنـدكم إنْ استطعتم،

فَإنَّ قَاعـدِه الـذكر تمثِّل تحـدّى إلهى إلى الآـن عُلَمَاء كُلّ الفنون ومعاهـد الموسـيقى فِى العالم عاجزون عَنْ أنْ يأتوا بمثل نغمه الـذكر، بَـلْ أكثر مِنْ ذَلِـكَ فَإنَّ النـدبه القرآنيّه هِىَ نوع مِنْ الـذكر، فَإنَّ القُرآن الكريم ينـدب مظلومين كثيرين كالأنبياء وَالَّذِيْنَ قُتِلوا كهابيل وأصـحاب الأخـدود وغيرهم فَإنَّ نـدبه القُرآن لهم توجب واقعاً تعاطف الإنسان بشـكل شديـد مَعَ هؤلاء المظلومين ولكن هل يندبهم القُرآن بنوح ونياحه؟ كلا مَعَ أنَّ النياحه مشروعه وسائغه فِى الحَقّ وَإنَّما يحرم النوح بالباطل.

والخلاصه: - إنَّ القُرآن الكريم لَمْ يسـتعمل الندبه بالنوح وَإنَّما اسـتخدم الندبه بالذكر، فمثلاً دعاء الندبه لصاحب العصر والزمان الإمام الحجه بن الحسـين عجّل الله تعالى فرجه الشـريف(١) إذَا قرأه الإنسـان بترتيـل وتركيز يتصـدّع قلبه وتتفجَّر دموعه لكنَّ لا بنغمه صوتيّه ونيـاحه، وَإنَّما بنمط آخر وجانب وَمَعْنَى فَقَطْ مِنْ دون أنْ يسـتخدم أطواراً متكلفةً يُفجِّر بها الـدمعه وإنَّما يتفجّر بها جَيَشان القلب بذكر طريقه الذِكْر.

سابعاً: إنَّ قَاعدِه الذكر الَّتِى نَحْنُ بصددها غَيْر مكتشـفه الأبعاد، وَإنَّما خوضـنا فيها مِنْ باب التنويه والتنبيه رجاءَ أنْ تنكشف جمله مِنْ جهات قَاعدِه الذكر.

١- (١) فيه روايتان: أحدهما أنَّهُ صادر مِنْ نفس الإمام الحجه عجّل الله تعالى فرجه الشريف مِنْ جهه الناحيه المقدّسه والآخر: إنَّهُ صادر عَنْ الإمام الصادق عليه السّلام.

ارتباط حقيقه الذكر بالوحى

الذكر ميزانٌ فِى الكشف عَنْ الوحى:

ثامناً: تمتاز قَاعدِه الذكر بأنَّها قَاعدِه عظيمه تمثِّل شموخ نتاج القُرآن وعظمه أثر القُرآن فِى كُلّ صعيد مِنْ أصعده القُرآن، وأنَّ زراره عِنْدَمَا سأل الإمام الباقر عليه السّلام سيدى بِمَ عُرِف رسول الله صلّى الله عليه و آله إنَّ الذى يأتيه ملك مِنْ الله هُوَ جبرائيل لا الشيطان؟ قَالَ عليه السّلام: «عُرِفَ أنَّ الآتى مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ بالسَّكينه والوقار» يعنى الذكر انظر إلى دقَّه سؤال زراره والإمام عليه السّلام أجابه بأنَّ صمام أمان نبوّه الْنَّبِىّ صلّى الله عليه و آله هُوَ الذكر.

تاسعاً: الذكر هُوَ نظام فِى العلوم يوظّفها إلى الكمال والذكر وَلَهُ - الذكر - قَواعِد وأوزان لَمْ تكتشف إلى الآن.

عاشراً: إنَّ فرق قَاعدِه الذكر عَنْ سائر العلوم الأُخْرَى كالنحو والصرف والاشتقاق وَاللُّغَه والبلاغه و... الخ، هُوَ أنَّ قَاعدِه الذكر توظِّف هَذِهِ العلوم بشكل معادلى مُتوازن يصب فِى الذكر، وَهُوَ بالتالى يرجع إلى كيفيه بناء شخصيه المُفَسِّر العلميّه وتوفر العناصر المطلوبه فِى المُفسِّر مِنْ الفطنه والالتفات وطهاره النفس و... الخ، فإذا توفَّرت هَذِهِ العناصر وغيرها فِى المفسِّر وصل إلى نتائج طيّبه تصبّ فِى قَاعدِه الذكر وتوجب ذكراً للمؤمنين وللبشريه لا أنَّهُ يتوسَّع فِى التفسير تجريداً عَنْ الحقائق والعرو فيها ووغولاًفى بحر التنظير الفكرى بعيداً عَنْ الحقائق

العينيه.

الحادى عشر: إنَّ قَاعدِه الذكر قَاعدِه منهجيه خطيره فِى علوم التفسير تُبْعِدُ عَنَّا الحشو والفضول إلى ما هُوَ بنيوى وأساسى فِى علم التفسير وكشف أركان دعائم القُرآن.

الثَّانِى عشر: قَاعدِه الذكر علامه بوصليّه لسلامه المنهاج التفسيرى فما دام التفسير يحدث ذكراً فَهُوَ فِى المسير الصائب والسديد.

الثَّالِث عشر: إنَّها قَاعدِه منهجيه راسمه لمختلف علوم تفسير القُرآن الكريم ومهيمنه عَلَى كُلّ بحوث التفسير وفى أىّ مجال مِنْ مجالات الآيات الكريمه وَعَلَى مختلف الأصعده سواء عَلَى صعيد المفهوم والمعنى أو عَلَى صعيد المنهج الأكمل الذى يرسمه لنا القُرآن الكريم فِى الذكر وفى أىّ مجال مفهومى يؤدِّى إلى الذكر والتذكّر وأوبه وتوبه الإنسان لا أنْ يمارسه كيف ما شاء فَإِنَّهُ سوف يصبح مجموع تراكمى مِنْ المفاهيم والمعلومات بلا توظيف لها بالصوره الصحيحه والمطلوبه بَلْ حَتّى عَلَى الفضائل والرذائل الأخلاقيه، ففى الرعايه الأخلاقيه إذَا أردت أنْ تلزم نفسك وتطبعها عَلَى فضيله معيّنه أو تقلعها عَنْ رذيله معيّنه لَيْسَ معناه أَنَّهُ هَذَا هُوَ كُلّ شىء كلا، وَإِنَّما يكون هَذَا كُلّ شىء عِنْدَمَا تكون عندك منظومه ومجموعه مِنْ بنود الرعايه الأخلاقيه الَّتِى توصلك إلى الذكر وَإِلَّا – والعياذ بالله – قَدْ يكون غرورك أو ابتهاجك وسرورك بفضيله يَغرّك ويحجبك الإقلاع المزبور عَنْ رذائل أُخْرَى فما الفائده فيه؟

أهم الشرائط المعتبره فِی المُفَسِّر للقرآن الکریم

طهاره المفسر سبب لوصوله إلی حقیقه الذکر فی القرآن الکریم

إنَّ أهم ما یعتبر کشرط أساسی فِی المُفسِّر الناجح للقُرْآن الکریم هُوَ ما یلی: -

أوَّلاً: أنْ یکون الإنسان مُتَطَهِّراً مِنْ جوانِب عدیده کالجانب الأخلاقی والعقائدی والمعرفی والسلوکی و... الخ.

فَإنَّ القُرآن الکریم کتابٌ محبوکٌ - إنَّ صحَّ التعبیر - وأُوجِدَ مِنْ قبل الله عَزَّ وَجَلَّ بإیجاد وبناء ونظام لا یستطیع أحدٌ أنْ یقتحم أعماق هَـذِهِ القلعه القرآنیه إلَّا بقدر مِنْ درجه الطهاره الَّتِی أوتیها الإنسان مِنْ طهاره عقله وعقیدته ومعرفته وحالاته الخُلُقیه، فلاحظ قوله تَعَالَی: (وَ یَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَی الَّذِینَ لا یَعْقِلُونَ(۱۰۰) (۱).

بتقریب: - القصور فِی عقل الإنسان بنحو یوجب الظلم والسقوط فِی غمرتها هُوَ مرتبه مِنْ مراتب الرجاسه.

۱- (۱) سوره یونس: الآیه ۱۰۰.

وقوله تَعَالَى: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ) (۱).

بتقريب: - إنَّ الشِّرْك فِي العقيده ورجاسه الرذائل تُحْدِثُ رجاسه ونجاسه فِي القلب، ورجاسةً فِي صفات النفس وخواطر وأحوال جوامح النفس، وممّا يُؤيِّد ذَلِكَ ما وَرَدَ عندنا فِي الروايات الوارده عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السّلام، كَمَا فِي روايه... عبدالله بن موسى بن جعفر، عَنْ أبيه عليهم السّلام فَقَالَ: - «ريحُ الكنيف والطيب سواءٌ؟! قلتُ لا، قَالَ: - إنَّ العبد إذَا همَّ بالحسنه خرج نَفَسُه طيّب الريح، فَقَالَ صاحب اليمين لصاحب الشمال، قُمْ فأثبتها لَهُ، وإذا هَمَّ بالسّيئه خرَج نَفَسهُ منتن الريح، فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف، فَإنَّهُ قَدْ همَّ بالسَّيئه، فإذا هُوَ فَعلها كَانَ لسانُه قَلَمُه وريقُهُ مداده فأثبتها عَلَيْهِ»(۲).

وَمِنْ هَذَا يُعْرَف أنَّ الطهاره والرجاسه عَلَى درجات فَإنَّ آيات وسور القُرآن فيها مِنْ الحقائق والخزائن والكنوز لا تفتح لأىّ شخص إلَّا بقدر ما أُوتى مِنْ المَعْرِفَه أىّ الطهاره، كَمَا بيَّنها القُرآن الكريم(لا يَمَسُّهُ إلَّا الْمُطَهَّرُونَ(۷۹) (۳).

بتقريب: - إنَّ آيه التطهير وإنْ كَانَتْ خاصّةً بأهل البيت عليهم السّلام، إلَّا أنَّ لها مداليلها الالتزاميّه والاقتضائيه عَلَى درجات، كَمَا ذكره القُرآن

۱- (۱) سوره التوبه: الآيه ۲۸.

۲- (۲) وسائل الشيعه: ج ۱، أبواب مقدمات العبادات: ب ۷، ص ۵۸، ح ۳.

۳- (۳) سوره الواقعه: الآيه ۷۹.

الكريم فِی قوله تَعَالَی(ذلِکَ الْکِتابُ لا رَیْبَ فِیهِ هُدیً لِلْمُتَّقِینَ(۲) (۱).

بتقریب: - إنَّ درجات الهدایه والاستهداء والتقوی فِی القُرآن الکریم مُخْتَلِفَه.

وَالقُرآن الکریم دائماً یربط بین العمل الصالح والهدایه(وَ یَسْتَجِیبُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ وَ یَزِیدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) (۲) وقوله تَعَالَی: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللّهَ یَجْعَلْ لَکُمْ فُرْقاناً) (۳) وقوله تَعَالَی: (... وَ اتَّقُوا اللّهَ وَ یُعَلِّمُکُمُ اللّهُ وَ اللّهُ بِکُلِّ شَیْ ءٍ عَلِیمٌ) (۴) وقوله تَعَالَی: (إِنَّهُمْ فِتْیَهٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْناهُمْ هُدیً) (۵).

فَهُنَاک ترابط ما بین استخراج الهدایه ومعانی حقائق القُرآن بالعمل الصالح والهدایه، هَذَا مُضَافاً إلی أنَّهُ تَقَدَّم فِی القَاعِدَه السابقه - الجری والتطبیق أو التعبیر - إنَّهُ یمکن العبور والتعریض بالآیه(لا یَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ(۷۹) لغیر المعصومین علیهم السّلام مِنْ أئمه أهل البیت علیهم السّلام، وأنَّ الآیات القُرآنیّه تجری فِی غَیْر أهل آیه التطهیر مِنْ عادی البشر بشکل مخفف ویمکنه أنْ یمس القُرآن بقدر ما أوتی مِنْ طهاره وتطهیر فِی الأخلاق والعقائد والنفس و... الخ فَإنَّ أحد قَواعِد علم التفسیر هُوَ طهاره الأخلاق، فإذا أردت أنْ تُبْصِر مفاد الآیات جیّداً فیجب علیک أنْ تُطَهِّر أخلاقک وَکُلّما تُطَهر أخلاقک أکثر فأکثر فِی یومیات الإنسان ینفتح لَهُ فَهْمْ وإدراک مِنْ باطن

۱- (۱) سوره البقره: الآیه ۲.

۲- (۲) سوره الشوری: الآیه ۲۶.

۳- (۳) سوره الأنفال: الآیه ۲۹.

۴- (۴) سوره البقره: الآیه ۲۸۲.

۵- (۵) سوره الکهف: الآیه ۱۳.

القُرآن أمْطارٌ مُنْعِشه مِنْ الإدراك والتعقّل، فمثلما نزول الأمطار يحيى الأرض بَعْدَ موتها كَذَلِكَ القلب الذى هُوَ أرض الرُّوح وأنَّ أرض العقل الإنسانى لا تستطيع أنْ تستمطر مِنْ السَّمَاء إلَّا بقدر طهارته، هكذا ذكر الأكابر مِنْ ذوى القدم الراسخ فِى تهذيب النفس وعلم الأخلاق والتقوى، فَإنَّهُم ذكروا ذَلِكَ انطلاقاً مِنْ هَذِهِ البيانات فِى الآيات والروايات وتجربه عملٍ مُصَدِّقه لهذه الحقائق الوحيانيّه فِى يوميات الإنسان فَإنَّهُ تتنزل عَلَيْهِ الخيرات بقدر طهارته.

(وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ(۹۶) (۱).

بتقريب: - إنَّهُ تفتح البركات مِنْ سماء القُرآن عِنْدَمَا تكون هُنَاك تقوى وطهاره روحيه ونفسيه بخلاف ما إذَا عصوا وعتوا فَإنَّ الأرض تجذب وَالسَّمَاء تمنع قطرها وَهَذَا لَيْسَ مِنْ فرط الخيال والشِّعر وَإنَّما حقائق يبينها القُرآن الكريم فَإنَّ علم تفسير القُرآن علم فريد مِنْ نوعه وَلَيْسَ كباقى العلوم كعلم الفيزياء والكيمياء و... الخ.

إذَنْ قَاعدَه الذكر المُبَارَكه بِهَذَا المعنى والتفسير كمنهج أمومه الولايه عَلَى المُحكمات هِىَ تولِّى وسير علمى وعملى وتبيِّن كيف للولايه دورٌ بقدر ما تتطهّر يشتدّ ولاؤك لله ورسوله ولأهل البيت عليهم السّلام فستمطر حينئذٍ عليك أنوار البرهان أكثر فأكثر.

۱- (۱) سوره الأعراف: الآيه ۹۶.

اشاره

ثانياً: أنْ يَكُون المُفَسِّر ذا رياضه روحيه خاصّه فَإنَّ شرط معرفه بَعْض أسرار القُرآن أنْ يمتلك المُفَسِّر رياضه روحيّه متميّزه، فَإنَّ القُرآن الكريم كثيراً ما يُشارط ويُراهن فِي معرفه القُرآن أو فِي معرفه مغازى بيان كلام الله تَعَالَى فِي كتابه عَلَى أنْ يَكُون عِنْدَ المُفَسِّر أو الباحث رياضات روحيّه عَلَى أوسمه ومقامات فِي السلوك النفسى وَالرُّوحى.

فَهُنَاك بحث ذكره الشَّهيد الثَّانِى رحمه الله حول الاجتهاد وَأنَّهُ ملكه روحيّه وقدسيه نوريّه ولا يمكن أنْ يتّصف بها غَيْر العادل وَغَيْر المُتّقى.

إلَّا أنَّ المُتأخِّرين أشكلوا عَلَى الشَّهيد الثَّانِى رحمه الله بما حاصله: - هَذَا حُسن ظَنٍّ مِنْ الشَّهيد الثَّانِى رحمه الله مِنْ أنَّ الاجتهاد أو الفقاهه ملكه قدسيه نوريه، وَإنَّما الاجتهاد: - ملكه تقوِّمُ قوه الفكر فِي الإنسان ولا صله لها بالجانب العملى وَإنَّما لها صله ما بالجانب العملى وليست لها علاقه وصله وطيده به - أىّ بالجانب العلمى كَمَا يدّعيه الشَّهيد الثَّانِى.

وحاصل إشكال المُتأخِّرين: - أنَّ الاجتهاد ملكه علميّه وليست عمليّه كَمَا يستظهره الشَّهيد الثَّانِى وَأنَّهُ ملكه قُدسيّه نُوريّه.

وبعباره أُخْرَى: أنَّ ما ذهب إليه الشَّهيد الثَّانِي رحمه الله فِي تعريف الاجتهاد صحيح مِنْ جهه، وما ذهب إليه المُتأخِّرين صحيح مِنْ جهه أُخْرَى.

فَمِنْ جهه المُتأخِّرين أنَّ الاجتهاد مُجرَّد نتاج قوّه فكريه وأنَّ الاجتهاد بنحو متوازن يصيب إراده الله تَعَالَى ومسير رضا الله تَعَالَى ويوازن الأُمُور بسداد وصواب وبصيره، بخلاف ما ذهب إليه الشَّهيد الثَّانِي رحمه الله أنَّ الاجتهاد ملكه ونور قُدسي ولا يمكن أنْ يأتي إلى الإنسان إلَّا عَنْ طريق الورع وَهُوَ الجانب العملي فِي الإنسان، وأمَّا الجانب الفكرى لوحده فلا يُمَكِّنُ الفقيه أو المستنبط مِنْ تحرّى الصواب والسداد ويؤيِّده ما ذكره الشَّيْخ جعفر كاشف الغطاء رحمه الله فِي أوَّل كتاب منهاج الرشاد فِي الرد عَلَى مُحمَّد بن عبدالوهاب ما حاصله: «... إنَّ الفقه إذَا كَانَ بمعنى العلم الفكرى وَمُجرَّد القوّه الفكريه فَقَطْ وبلا وَرَع فَإنَّ الفقيه يستطيع - والعياذ بالله - أنْ يشكل مِنْ طينه المواد الفقهيه وأدلّتها ما يشتهيه هواه أو هوى غيره، والفقيه الجامع للشرائط أمينٌ لا يخون ولا يتلاعب لِإنَّهُ مؤتمن ويحمل أمانهً علميّهً لابُدَّ مِنْ إيصالها بكُلِّ نزاهه إلى الناس...»(١).

ولذا نقرأ فِي زياره أمير المؤمنين عليه السّلام: «السَّلامُ عليك يا أمين الله الأوفى» لَيْسَ فَقَطْ أمين الله وَإنَّما أوفى الأوفياء فِي أداء أمانه الله عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَيْهِ فيمكن

١- (١) منهاج الرشاد فى ردّ محمد بن عبدالوهاب وإجابته على الملك عبدالعزيز آل سعود ومراسله إيّاه، جعفر كاشف الغطاء.

التلاعب بالقانون إذَا غابت الأمانه، أمَّا إذَا وجدت الأمانه فَهُنَا يَكون القانون ذو سداد وحقيقه وصواب، ولذا لا تقتنص الحقيقه بالتنظير فَقَطْ.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ الحركه الفكريه والسعى العلمى هُوَ الآخر عملٌ وإنْ كَانَ متعلقه المعلومات والإدراك الذهنى.

ثالثاً: مِنْ الشرائط الأساسيه الَّتِى يجب توفّرها عِنْدَ المُفَسِّر هُوَ طهاره النفس، وأنْ يَكُون كُلّ مُفَسِّر عنده برنامج تطهير نفسانى وتطهير معرفى وعقائدى، وتطهير أحوال نيّات النفس، وَمِنْ ثمَّ يُقدِّم عَلَى التدبّر فِى القُرآن - ولذا أفردنا هَذَا الشرط عَنْ الاول لأهميه تأثير الأخير عَلَى المُفَسِّر وإنْ كَانَ بينهما أوجه شبه - ولذلك أصحاب التقوى والعلم يُوصون بالتدبُّر فِى القُرآن الكريم فِى أوقات صفاء أعمال الإنسان وصفاء نيّاته، ولذا ما وَرَدَ عَنْ أهل البيت عليهم السّلام مِنْ التأكيد عَلَى قراءه القُرآن أوَّل الصباح خاصّه بَعْدَ صلاه الصبح وَبَعْدَ الطلوعين فَإنَّ هَذَا الوقت لَهُ مغزى باعتبار الصباح ابتداء أوَّل اليوم وصفاء النفس بَعْدُ لَمْ يتلوَّث، فَإنَّ القُرآن الكريم يمطر حينئذٍ عَلَى أرض النفس بمعلومات نوريّه مُضيئه لظلمات النفس، وما للقُرْآن مِنْ أثر ووقع خاص فِى تربيه وصقل النفس والالتفات إلى أسرار القُرآن الشىء الكثير خاصّه فِى وقت ما بين الطلوعين وإنْ كَانَ القُرآن مأدبه الله فِى أىّ وقت تستطرق للقانع والمعتر، ولكن تلك الأفراد أكثر تأثيراً.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ أحد معانى قَاعدِه أنَّ القُرآن ذكر هُوَ أنْ يَكون نفس المُفَسِّر متذكّر وكأنَّما يقول القُرآن الكريم لنا إنَّ الصاحب المطلق والمعلم الأكبر للقُرْآن هُوَ الطاهر المعصوم ويعتبر هَذَا أحد براهين ضروره وجود معلمين للقُرْآن الكريم، وإنَّ صاحب القُرآن هُوَ المطهّر لِأنَّ القُرآن كتاب هدايه للمتقين لا للفاسقين، فَإنَّ مِنْ بديع وعظمه ومعجزه القُرآن الكريم الذى هُوَ خزينه مملوءه بالجواهر ولكنَّها لا تفتح الرقم السِّرى لِكُلِّ باب مِنْ أبواب هَذِهِ الخزانه إلَّا لباب الطهاره والتزكيه والذكر والتذكّر فَإنَّ الله تَعَالَى يضن ويمسك بها عَلَى غَيْر ذَلِكَ - أىّ لا تفتح لغير الطاهر المُطهّر -.

ولذا يعتبر هَذَا الشرط القرآنى المهم أحد براهين ضروره العصمه ووجود المعصومين فيما إذَا كَانَ القُرآن كتاب هدى للمتقين، وَعَلَيْهِ كُلّما ازداد الإنسان تقوى ازداد هدايهً فكيف إذَنْ يدّعى البعض ويقول حَسْبَنا كتاب الله، أو بعضهم يَدّعى أنَّهُ أتقى المتقين وإذا كُنْت أتقى المتقين فحينئذٍ تكون مُعلِّم القُرآن.

وَإلى هَذَا المعنى يشير إليه قوله تَعَالَى: (وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ) (١).

ونفس سوره البقره تُفَسِّر مَنْ هُمْ الراسخون فِى العلم(هُدىً لِلْمُتَّقِينَ(٢) (٢).

١- (١) سوره آل عمران: الآيه ٧.

٢- (٢) سوره البقره: الآيه ٢.

بتقريب: - هُمْ ذو التقوى وإنَّ الإنسان كُلّما ازداد تقوى صار راسخاً فِي العلم وفى القُرآن إلى أنْ يبلغ ما يبلغ، وَحَيْثُ أنَّ هدايه القُرآن غَيْر محدوده(قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ) (۱). وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ مِنْ مدى غَيْر محدود فِي التقوى، أىّ لابُدَّ مِنْ استمرار إبقائه عَلَى التقوى وَلَيْسَ ذَلِكَ فحسب بَلْ لابُدَّ أيضاً مِنْ الترقى طولاً وارتفاعاً فِي الدرجات، وَإلَّا سوف تكون معانى القُرآن وحقائقه معطّله ومُجمَّده وحاشا لكتاب مِنْ ذَلِكَ لِإنَّهُ أُنزِل مِنْ رب العِزَّه يَكُون مُجمِّداً وَإنَّما لابُدَّ أنْ يَكُون مُفعَّلاً والذى يَصِل إلى ما لا نهايه وما لا محدوديّه فِي القُرآن الكريم لابُدَّ وأنْ تكون تقواه غَيْر متناهيه ولا تقف عِنْدَ حدٍّ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى العصمه الذى يُنادى القُرآن بوجودها وبوجود المعصوم الذى هُوَ صاحب القُرآن وعِدْله وَهُوَ الثقل الثَّانِى وَمِنْ دونه يعطل الكتاب، وَمِنْ الواضح أنَّ القُرآن كتاب مختلف عَنْ بَقيَّه الكتب وَلَيْسَ كتاب علوم أُخْرَى إنَّما القُرآن كتابٌ يشترط تواجد صفات عمليّه خاصّه فِي المُعلِم والمُتَعلِّم، وإذا أردنا أنْ ننقب فِي الحقائق أكثر نستطيع أنْ نلتفت إلى أصحاب العلوم الأُخْرَى حَتّى التجريبيّه مِنْهَا كعلوم الفيزياء والكيمياء والأحياء و... الخ والعلوم الإنسانيه، بَلْ وَأىّ علم مِنْ العلوم الَّتِى يتداولونها ويتعاطاها النوابغ مِنْ البشر فَهُمْ يذكرون فِي مذكّرات تراجم حياتهم أنَّهم لا يصلون إلى اكتشاف علمى إلَّا أنَّ يتطهّروا خُلُقياً وروحياً وطهاره

۱- (۱) سوره الكهف: الآيه ۱۰۹.

خاصّه، وتكون اكتشافاتهم عَلَى قدر ما لهم مِنْ طهاره(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ(٧) ١.

فَإنَّ هَذِهِ الاكتشافات تحتاج إلى شفافيّه نفسانيّه وصفاء روحى لذيذ جدّاً لَمْ نعايشه فِى حياتنا إلَّا فِى تلك اللحظه.

وبالتالى هَذَا يدلّل عَلَى أنَّ البارى تَعَالَى فِى كُلّ علم مِنْ العلوم يُمْطِرُ سماء الفيض فيها مَعَ درجه خاصّه مِنْ الطهاره.

وهذا ما صَرَّح به برفسور مسلم باكستانى تلميذ أحد النوابغ فِى علم الفيزياء وكتابه موجود يجمع به كلمات النوابغ.

لَيْسَ كُلّ تهذيب أخلاقى ذكر:

لو لاحظنا ما يصدر الآن مِنْ العرفاء أو الصوفيّه أو أصحاب السير والسلوك وما يطفح منهم مِنْ شذوذات ونشوزات وعجرفات فَهَذِهِ ليست ذكراً وسببها أنَّهم لَمْ يكتشفوا قَواعِد نظام الذكر؛ فَإنَّ الذكر نظام خُلُقى معين ونظام اعتقادى مُعَيَّن لَمْ يكتشف مِنْ قبل أكثر مشارب بحوث المتكلمين فِى مدارس إسلاميّه عديده، ولذا أمثال الخوارج وغيرهم صاروا أشبه بالقدريّه والمرجئه بسبب عدم التفاتهم لمثل نظام الذكر وباقى الالتفاتات العلميّه الدقيقه؛ ولذا وقعوا فِى هَذَا التخبط والانحراف؛ لِأنَّ النظام العقائدى نظام ذكر خاص لَهُ درجات مُعيّنه وبناء هَذَا النظام

العقائـدی الـذی طرف مِنْهُ عِنْـدَ النـاس وطرف مِنْهُ عِنْـدَ الله، فَـإنَّهُ یتـدخّل فِی أغلب العلوم إنْ لَمْ نقـل کلّها فَإنَّهُ یتـدخّل فِی علم الأخلاق والعقائـد والاقتصاد والتجاره و... الـخ ولأجل أنْ تکون نتائـج ذَلِکَ العلم متینه ومنضـبطه لابُـدَّ مِنْ أعمال قَواعِد الذکر، وَلَعَلَّهُ أحد تفاسیر الآیه المُبَارَکه(رِجالٌ لا تُلْهِیهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اللّهِ) (۱).

بتقریب: - أمَّا الإمـام علیه السّـلام أجـابهم بروایه: - لاـ أنَّهم لاـ یُتاجرون ولا یتبایعون، عَنْ أسـباط بن سالم قَالَ: دخلتُ عَلَی أبی عبدالله علیه السّلام... یقول الله عَزَّ وَجَلَّ: (رِجالٌ لا تُلْهِیهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اللّهِ) إلی آخر الآیه إنَّ القوم لَمْ یکونوا یتجرون کـذبوا، ولکنَّهم لَمْ یکونوا یَـدَعون الصَّلاه فِی میقاتها، وَهُوَ أفضل ممَّن حضـر وَلَمْ یَتْجُر [الکافی: ج ۵، ص ۷۵، ح ۸] عَنْهُ تفسیر البُرهـان لِلْسَّیِّد هاشم البحرانی: ج ۵، ص ۳۹۶، ح ۵؛ الطبرسـی فِی مَعْنَی الآیه، قَالَ روی عَنْ أبی جعفروأبی عبـدالله إنَّهم قومٌ إذَا حَضَـرَت الصَّلاه، ترکوا التِّجاره وانطلقوا إلی الصَّلاه، وَهُمْ أعظم أجراً ممّن یتّجرُ، [مجمع البیان للطبرسـی: ج ۷، ص ۲۵۴] ولکن هُنَاک تجاره لها نظام ذکر خاصّ؛ لِأنَّ هُنَاک نوع مِنْ التجاره یَکُون لهویّاً ورأسمالیّاً وَهُنَاک تجاره فرضیّه مافویه، وبنفس الوقت هُنَاک تجاره ذکر؛ لِأنَّ الـذکر یـدخل فِی کُلّ شـیء فَهُنَاک - أکلٌ ذکر، وشـرب ذکر، نکاح ذکر، وسـیاحه ذکر، أمَّا أنَّهُ کیف یصب هَذِهِ فِی الذکر وکیف یصبّ الذِّکر فِی کُلّ هَذِهِ

۱- (۱) سوره النور: الآیه ۳۷.

القنوات فَهَذَا معلم آخر يأتى توضيحه.

صفتان مختصتان بالنبى الأكرم صلّى الله عليه و آله:

مِنْ بديع نعوت النَّبِيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله وما يرتبط بمقامات النبوه وَلَمْ يصف الله بهما بشر ولا ملك قط، لا مِنْ قَبْلُ ولا مِنْ بعدُ ولا... الخ عدا وَصْفُ أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام بالذكر - كَمَا تَقَدَّمَ - لِإِنَّهُ بمنزله رسول الله صلّى الله عليه و آله (و انفسنا و انفسكم)(۱).

والصفتان هُمَا: -

الصفه الأولى: إِنَّهُ صلّى الله عليه و آله وَحْيٌ لقوله تَعَالَى: (إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى(۴) (۲)بتقريب: - إِنَّ الضمير (هُوَ) لَيْسَ عائداً إلى نطق النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله وتبليغه، بَلْ يعودالى تمام مراتب ذاته الشريفه بمقتضى وحده مرجع الضمير المُقَدَّر فِى الآيه السابقه(ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى(۲) وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى(۳) (۳). فوصفُ تمام مراتب ذاته بذلك دالٌّ عَلَى أَنَّ قالب وجوده - صلوات الله عَلَيْهِ وآله وقوالب مراتبه بناءٌ عينى للوحى فِى الخارج، فَهُوَ صلّى الله عليه و آله بتمام شؤونه يُجَسِّدُ الوحى لا بمعنى عَلَى أَنَّهُ أَوْجَدَ وخَلَقَ عَلَى طبق مواصفات الوحى، بَلْ هُوَ صلّى الله عليه و آله وحيٌ عينى خُوطِبَ به الآخرون وأُنْزِلَ إليهم.

۱- (۱) سوره آل عمران: الآيه ۶۱.

۲- (۲) سوره النجم: الآيه ۴.

۳- (۳) سوره النجم: الآيه ۲-۳.

الصفه الثّانيه: إنَّهُ صلّى الله عليه و آله ذكرٌ فِي أكثر مِنْ آيه كقوله تَعَالَى(إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ) (۱) ، وقوله تَعَالَى(إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ(۲۷) (۲) ، وقوله تَعَالَى(قَدْ أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً(۱۰) رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللّهِ) (۳) ، وغيرها.

وَهَـذَا النعت والصفه الثّانيه تطابق الأولى مِنْ جهه أنَّ الـذكر هُوَ أساس وأصل الأصل الذى انحدر مِنْهُ القُرآن الكريم، كَمَا يشير إليه عطف القُرآن الكريم عَلَى الـذكر فِي سوره يس/ ۶۹(إِنْ هُوَ إِلاّـ ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ) بتقريب: - إنَّهُ صلّى الله عليه و آله ذاته عينيّه للـوحى انحـدرت مِنْهَـا حقيقه القُرآن، وَمِنْ ثمَّ فِي وصـفه الأـوَّل - إنَّهُ وحىٌّ - إنَّهُ لَمْ يحـدد تلـك المرتبه مِنْ الـوحى الَّتِى يوصَف بها صلّى الله عليه و آله، بَلْ أُطْلِق الوصف بلا تحديد ولا تقدير، ولا وقوف عِنْدَ حَدٍّ حَيْثُ وُصِفَ بجمله الفعل المضارع المسـتمر، وبـالرغم أنَّهُ وصـف بالاـسم مِـنْ مـادَّه (وَحْىٌ) إلَّا أنَّهُ أُكِّدَ بجملـه الفعـل المضـارع المسـتمر - يـوحى - للـدلاله عَلَى الاستمرار بقـاءاً وارتفاعـاً فِي الـدرجات، وأمَّا الوصـف بالاـسم - وحىٌ - فله مـدلول آخر وَهُـوَ عينيّه وتجسـيم مَعَ أنَّهُ عين عينيّه الوحى، وبالأخير فَإنَّ بين الوصف الأوَّل والثانى للذكر تناغمٌ وتشاهدٌ كبير.

۱- (۱) سوره ص: الآيه ۸۷.

۲- (۲) سوره التكوير: الآيه ۲۷.

۳- (۳) سوره الطلاق: الآيه ۱۰-۱۱.

نتفهٌ عقائديه:

أيضاً مِنْ مميّزات أوصاف الْنَّبِيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السّلام هُوَ أنَّهُ دائماً ذكرهما مقترن مَعَ ذكر الله تَعَالَى، فَإنَّ البعض – والعياذ بالله – مِنْ السلفيّه والوهابيّه وأضرابهم أصحاب الأفكاروالآراء المُتطرِّفه والناصبيّ العداء لأئمه أهل البيت عليهم السّلام ولشيعتهم، بَلْ وَحَتّى للصوفيّه وغيرهم، تنطلى عَلَيْهِ شبهٌ يُثيرها هؤلاء وَهِيَ: لماذا تغرقون فِي ذكر الْنَّبِيّ صلّى الله عليه و آله.

وجواب هَذِهِ الشبهه يتلخّصُ بما يلى: –

أوَّلاً: إنَّ القُرآن الكريم نصَّ عَلَى هَذَا الاقتران بقوله تَعَالَى: (إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً(۵۶) (۱).

بتقريب: – إنَّ القُرآن الكريم يُريدُ دائماً وأبداً وفى كُلّ وقت هَذِهِ العباده، حَتّى فِي وقت الصَّلاه المفروضه فِي الأوقات الخمسه فإنَّها – الصَّلاه المفروضه – هِيَ ذكر لله، فاذكروا الله ذكراً كثيراً، فلاحظ التطابق بين ذكر الله تَعَالَى وبين ذكر الْنَّبِيّ صلّى الله عليه و آله.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ أحد مقامات النبوّه هِيَ مقام – إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً – مُطْلَقاً ليلاً

۱– (۱) سوره الأحزاب: الآيه ۵۶.

ونهاراً فِی حال الصَّحه والسقم، وحال الاحتضار للموت، وَأَنَّهُ مِنْ الراجح عِنْدَ احتضار الموت وغرغره الرُّوح فِی الحلقوم وَأَنْتَ یُساقُ بک إلی عالم البرزخ أنْ تذکر الله، وَمِنْ ثَمَّ بَیَّن أمیر المؤمنین علیه السّلام أنَّ هَذَا المقام الذی بیّنته الآیه لسید الأنبیاء صلّی الله علیه و آله هُوَ أعظمُ مِنْ مقام آدم علیه السّلام فِی قوله تَعَالَی: (وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا) (۱).

وَالرُّوایه هِیَ: الحسن بن أبی الحسن الدیلمی فِی إرشاد القلوب: - بإسناده عَنْ موسی بن جعفر عَنْ آبائه علیهم السّلام، عَنْ أمیر المؤمنین علیه السّلام أَنَّهُ قَالَ فِی جواب الیهودی، الذی سال عَنْ فضل النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله عَلَی سائر الأنبیاء علیهم السّلام فذکر الیهودی أنَّ الله أسجد ملائکته لآدم علیه السّلام فَقَالَ علیه السّلام: وَقَدْ أعطی مُحمَّد صلّی الله علیه و آله أفضل مِنْ ذَلِکَ، وَهُوَ أنَّ الله صلّی عَلَیْهِ، وأمر ملائکته أنْ یصلوا عَلَیْهِ، وَتَعَبَّد جمیع خلقه بالصلاه عَلَیْهِ، إلی یَوْم القیامه، فَقَالَ جَلَّ ثناؤه(إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِیماً(۵۶) (۲) فلا یُصلی عَلَیْهِ أحدٌ فِی حیاته ولا بَعْدَ وفاته، إلَّا صَلَّی الله عَلَیْهِ بذلک عَشْراً، وأعطاه مِنْ الحَسَنات عَشْراً، بکُلِّ صلاه صَلَّی عَلَیْهِ، ولا یُصَلّی عَلَیْهِ أمحدٌ بَعْدَ وفاته، إلَّا وَهُوَ یعلم بذلک، ویَردُّ عَلَی المصلی السَّلامُ مثل ذلک لِأَنَّ الله جَلَّ وَعَزَّ، جعل دعاء أمته فیما یسألون ربَّهم، جَلَّ ثناؤه، موقوفاً عَلَی الإجابه، حَتّی یصلوا عَلَیْهِ صلّی الله علیه و آله.

۱- (۱) سوره البقره: الآیه ۳۴.

۲- (۲) سوره الأحزاب: الآیه ۵۶.

فَهَذَا أكبر وأعظم ممّا أعطى الله آدم عليه السّلام، ثمَّ ذكر عليه السّلام فِي بيان ما فَضَّل الله به أمته صلّى الله عليه و آله، وَمِنْهَا: - إنَّ الله جعل لِمَنْ صلّى عَلَى نبيه، عشر حسنات ومحا عَنْهُ عشر سيئات، وَرَدَّ الله سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ صلاته عَلَى النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله(۱).

بتقريب: - إنَّ الآيه وَالرُّوايه بيّنتا امتياز مقام النَّبِيّ الأعظم الخاتم صلّى الله عليه و آله مِنْ مقام آدم عليه السّلام مِنْ جهات عِدَّه: -

الجهه الأُولى: أنَّ صلاه الله تَعَالَى وملائكته فِي أعلى ملكوته، بينما سجود الملائكه لآدم فِي الأرض، أيّ فِي سلطان الملكوت مُقرَرٌ لخاتم الأنبياء، بخلاف سلطان الناسوت الأرضى.

الجهه الثَّانيه: أنَّ فِي فضيله النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله المختصَّه قَدْ جعل الله عَزَّ وَجَلَّ شؤون نفسه أوَّل المُصَلِّين عَلَى نبيّه، وأين هَذَا مِنْ فعل الملائكه، وَهُوَ تعظيم لشأن سيد الأنبياء صلّى الله عليه و آله وما فوقه مِنْ تعظيم، وَذَلِكَ لكونه صلّى الله عليه و آله باب أبواب رَبِّ العالمين.

الجهه الثَّالِثه: إنَّهُ جعلت الصَّلاه بصيغه الفعل المضارع المستمر (يصلون)، بينما فِي السجود لآدم جعل السجود بصيغه الفعل الماضى والمُنْصَرِم والمنقضى (فسجدوا) وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ الفوارق، مَعَ أنَّ مقام الخلافه مُقَرَّرٌ للنبى صلّى الله عليه و آله بالأصاله ولآدم عليه السّلام بالتبع.

۱- (۱) مستدرک الوسائل للمحدث النورى قدّس سرّه: ج ۵، ۳۳۲، ۳۳۳، ح ۶۰۲۰/۱۱.

ثانیاً: هُنَاک نصوص قُرآنیّه أکّدت ونصّت عَلَی أنَّ النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله مُجَسِّم الذکر لله تَعَالَی، وَکُلّما ذکرت النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله ذکرت الله تَعَالَی، وهکذا کُلّما صَلِّیْتَ عَلَی النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله فَإنَّهُ صلّی الله علیه و آله فِی تمام وجوده ذکرٌ، وفی تمام وجوده وحیٌ، فإذا ابتعدت عَنْ النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله فَإنَّک ابتعدت عَنْ ذکر الله تَعَالَی، وإذا أردتَ أنْ تقترب مِنْ ذکر الله اقترِب مِنْ ذکر النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله(وَ إِذا قِیلَ لَهُمْ تَعالَوْا یَسْتَغْفِرْ لَکُمْ رَسُولُ اللّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَیْتَهُمْ یَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَکْبِرُونَ) (۱).

وَعَلَیْهِ فَإنَّ باب التوبه والأوبه إلی الله تَعَالَی تمامه ذکرٌ ووحیٌ(وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِیماً(۶۴) (۲).

بتقریب: - أنَّ أوَّل وأهم شیء یقومون به هُوَ الإتیان إلی النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله لِأنَّ المجیء إلی النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله هُوَ مجیء إلی الله بنصّ القُرآن (جاؤوک) فاستغفروا الله بَعْدَ ذَلِکَ، ثمَّ تأتی شفاعه النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحیماً فَإنَّ النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله تمامه ذکرٌ، والإغراق فِی ذکر النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله هُوَ إغراقٌ فِی ذکر الله تَعَالَی وإغراق فِی وحی الله، وَمِنْ ثمَّ قرن الله ذکر النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله بذکره تَعَالَی کَمَا یشیر إلیه قوله تَعَالَی(وَ رَفَعْنا لَکَ

۱- (۱) سوره المنافقون: الآیه ۵.

۲- (۲) سوره النساء: الآیه ۶۴.

ذِكْرَكَ) (۱) الآیه. بتقریب: - إنَّهُ قَرَن ذکره صلّی الله علیه و آله بذکر الله تَعَالَی أینما ذکر الله تَعَالَی.

ثالثاً: الإغراق فِی آل النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله هُوَ أیضاً إغراقٌ فِی النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله وبالتالی هُوَ إغراق فِی الله تَعَالَی، وهؤلاء السلفیه یقولون هُوَ إغراق فِی الصنمیه - والعیاذ بالله - وإغراقٌ فِی ذکر الحسین علیه السّلام وَنَحْنُ نقول لهؤلاء: - إنَّ الإغراق فِی ذکر الحسین هُوَ إغراق فِی ذکر النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله والإغراق فِی ذکر النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله هُوَ إغراق فِی ذکر الله، وَإنَّما الصّنمیّه فِی الابتعاد عَنْ ذکر الحسین علیه السّلام، وأنْ تنوء عَنْ ذکر النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله وذکر علی وفاطمه والحسن والحسین علیهم السّلام، وَعَلَیْهِ فَمِنْ تمام التوحید والعبودیه أنْ تداوم عَلَی ذکر النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله وآله الأطهار. وأنَّ الصَّلاه عَلَی النَّبِیّ وآله هِیَ تهلیل وتسبیح وتحمید.

وَهُنَاک روایه مضمونها: «أنَّهُ أُجْلِس مؤمنٌ مِنْ قِبلَ منکر ونکیر وأرادوا أنْ یسألوه مَنْ ربک وَمَنْ نبیّک وَمَنْ إمامَک؟ قَالَ: - اللَّهُمَّ صلِّ عَلَی مُحمَّد وآل مُحمَّد، قالا - الملکان - کفی»(۲).

بتقریب: - أنَّ سؤال منکر ونکیر کُلَّهُ فِی القبر یکتفی بالصلاه عَلَی مُحمَّد وآل مُحمَّد وسواء فِی سکرات الموت أو فِی البرزخ، أو عَلَی الصراط فَإنَّهُ ذکرٌ دائمٌ، وَعَلَیْهِ إذَا کَانَ الحال کَذَلِکَ حَرَم السلفیون وغیرُهم أَنْفُسَهم مِنْ رحمه الله الواسعه. وأُبْلِسوا مِنْ رحمه الله بنأیهم عَنْ ذکر

۱- (۱) سوره الشرح: الآیه ۴.

۲- (۲)

النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله وعلى وفاطمه والحسن والحسين عليهم السّلام وبالتالى نأوا بأنفسهم عَنْ رحمه الله الواسعه، - أعاذنا الله وإيّاكم - مِنْ هَذَا الخط والخط الأوكس.

ص:۳۳۹

طبیعه العلاقه بین قواعد منهج أمومه الولایه

اشاره

علی المحکمات فی القُرآن

إنَّ أبواب وأسالیب القُرآن الکریم فِی حین أنَّها متمایزه مَعَ قَواعِد الأسلوب الاستعمالی هِیَ کَذَلِکَ متداخله فیما بینها وبینهما وحده نظام، وَعَلَیْهِ فالتفکیک والتمییز بین القَوَاعِد کَمَا هُوَ مطلوب فِی منهج قَواعِد تفسیر القُرآن الکریم کانضباط منهجی ونظامی، ولکن مَعَ ذَلِکَ فَإنَّ الوقوف واکتشاف الارتباط بین القَوَاعِد أیضاً مطلوب.

واکتشاف الارتباط بین تلک القَوَاعِد لَیْسَ عَلَی صعید سطح القَوَاعِد أو تداعیاتها وآثارها بَلْ اکتشاف الارتباط حَتّی عَلَی مستوی وصعید ذَاتَ مفاد تلک القَوَاعِد، وَهَذَا أمرٌ لَیْسَ بالسهل، وَحَتّی هَذَا المنهج الذی نَحْنُ فیه أیّ منهج أمومه الولایه عَلَی المُحْکَمات فَإنَّ التعمّق فیه وتفعیله عَلَی درجات.

وَنَحْنُ الآن فِی الخطوه الأولی ونشیر فَقَطْ إلی بادره الالتفات والاکتشاف إلی هَذَا المنهج، أمَّا تفعیله وَأنَّهُ لَهُ طبقات وأطوار وأنماط فلا زلنا فِی بدایه الطریق، وربما تأتی بَعْض الأجیال القادمه مَنْ لَهُ القابلیّه عَلَی التعمّق فِی هَذَا المنهج بدرجات وأعماق متطوره متکامله وقویّه جدّاً وغایه ما نتعاطاه الآن هُوَ عملیات ابتدائیّه أو کبادئ أمر.

ص:۳۴۱

وَمِنْ الواضح أنَّ المُفَسِّر كُلّما تدرّب أكثر ومارس قَواعِد أكثر عَلَى هَذَا المنهج - أىّ منهج أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات فِى القُرآن - وصل إلى نتائج ومحطات مُهمّه وخطيره جدّاً، ولا يظنن أحدٌ أنْ ما نثيره الآن هُوَ نهايه المطاف أبداً بَلْ هُوَ بدايه المطاف والباب مفتوح والطريق مسلوك يحتاج إلى همم لطيّه.

مُضَافاً إلى أنَّهُ تَقَدَّمَ فِى بحوث سابقه إلى أنَّ طبيعه العلاقه بين قَواعِد هَذَا المنهج - أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات - لا يمتنع أنْ يُدخِل عنوان باب معينه تحت أكثر مِنْ باب، فمثلاً بابٌ هُوَ فِى الأمثال لا يمتنع أنْ يَكُون نفس هَذَا الباب، باب حكمه وباب إحكام فمثلاً آيه واحده فِى باب المعارف يستفيد مِنْهَا الفُقَهاء حكماً فقهياً وَعَلَيْهِ لا تنحصر آيات الأحكام بخمسائه آيه أو أكثر بَلْ أكثر مِنْ ذَلِكَ وأنَّ الفقيه كُلّ الفقيه مَنْ يستطيع أنْ يستثمر آيات عديده فِى أبواب عديده للأحكام الفقهيه، والعكس كَذَلِكَ فَإنَّ الباحث فِى المعرفه والعقيده لا يقتصر فِى بحثه عَلَى جمله مِنْ الآيات الظاهره بدواً فِى العقائد حَتّى فِى آيات الأحكام يستطيع أنْ يستل الباحث الملتفت والفَطِن مِنْهَا مطلباً عقائدياً وهكذا قوله تَعَالَى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ(٧٧) فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ(٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ(٧٩) (١). مِنْ أنَّ الآيه المُبَارَكه وإنْ كَانَتْ المُرَاد بها هُمْ أهل آيه التطهير إلَّا أنَّهُ يمكن العبور والتعريض - كَمَا مَرَّ فِى قَاعدَه الجرى والتطبيق - لغير

١- (١) سوره الواقعه: لآيه ٧٧-٧٩.

المعصومين مِنْ أهل آيه التطهير لكنَّها تجرى بشكل مخفّف مَعَ عادى البشر، ويمكن أنْ يمسّ القُرآن بقدر ما أوتى مِنْ طهاره فِى الأخلاق، فإذا أردتَ أنْ تُبْصِر مفاد الآيات جيّداً فيجب عليك أنْ تُطهّر أخلاقك، وَكُلّما تطهر أخلاقك أكثر فِى يوميات الإنسان تتنزل عَلَيْهِ مِنْ باطن القُرآن أمطار منعشه، مثلما نزول الأمطار يحيى الأرض بَعْدَ موتها فَإنَّ القلب أرض الرُّوح وأنَّ أرض العقل الإنسانى لا تستطيع أنْ تستمطر مِنْ السَّمَاء إلَّا بقدرطهارته.

قَاعدِه الذكر بالمعنى الذى ذكرناه:

إنَّ قَاعدِه الذكر بالمعنى الذى ذكرناه عَلَى ضوء منهج أمومه الولايه غَيْر موجود فِى منهج تفسير القُرآن بالقُرآن الذى تَبنّاه السَّيِّد العلّامه الطباطبائى قدّس سرّه وإنْ كَانَ السَّيِّد العلّامه يعترف بهذه الحقيقه، إلَّا أنَّهُ لَمْ يُدْرِجُها فِى تفسيره، وكذلك غَيْر موجوده فِى باقى المناهج التفسيريه الأُخْرَى للقُرآن.

وَعَلَيْهِ فَقَاعدِه الذكر بحسب منهج أمومه الولايه فيها صفات نظريه وصفات عمليّه، وإنْ كَانَ هُنَاك شخصاً أميّاً بحسب الظاهر - بأنْ لا يقرأ ولا يكتب - بأنْ لَمْ يقرأ التفسير ولكنَّه طاهر القلب والنفس والعمل فَإنَّهُ يُبْصر مِنْ وصايا وأنوار الآيات والسور ما لَمْ يُبْصره مفسر آخر يقرأ ويكتب وعنده اطّلاع عَلَى التفاسير، فلماذا القُرآن الكريم يكرم

ذاك ويبخل عَلَى هَذَا؟

الجواب: يقول القُرآن الكريم هُنَاك شرط لابُدَّ مِنْ توفرها فِي المُفَسِّر لكى يُبصِر وصايا وأنوار الآيات والسور وَهِيَ طهاره النفس بطهاره إلهيه قدسيّه مقدّسه، فَإِنَّهُ بقَدَر طهارته وقدسيّته، ينهل مِنْ تلك الأنوار والوصايا(ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ(٢) (١).

بتقريب: - هدايه مَنْ يُنادى بها القُرآن الكريم؟ هل هدايه للمُفسِّرين بحسب الإحاطه النَّظَريَّه؟ كلا، هل هُوَ هدايه للمُتّقين، وربط التقوى كبرنامج عملى بينها وبين العلم بالكتاب والاهتداء به؟ كلا، وَإِنَّما هُنَاك نوع مِنْ ربط القُرآن أىّ طبيعه كتاب لا ينفصل فيه العمل عَنْ العلم ولا العلم عَنْ العمل فإنَّهما متلازمان مُضَافَاً إلى شرط آخر وَهُوَ الإيمان بالغيب فَإِنَّ الإنسان إذَا لَمْ يكن مؤمناً بالغيب لا يستطيع أنْ يلج بحور علوم القُرآن فَإِنَّ علوم القُرآن محميّهٌ وقلعهٌ مُسَوَّرَه بسياج كبير.

المعانى الأُخْرَى لقاعده الذكر:

مِنْ معانى قَاعدِه الذكر أنَّ للقُرْآن طبقه صوتيه خاصّه ورنين صوتى خاصّ ويشير إلى ذَلِكَ النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله: «إنَّ القُرآن نزل بالحُزن فإذا قرأتموه بكّوا، فإنْ لَمْ تبكوا فتباكوا»(٢).

١- (١) سوره البقره: الآيه ١-٢.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٧٩ ص ٢٤٧، ح ٢٦.

إذَنْ القُرآن لَهُ تجويد ذكرى لا تجويد الأهازيج أو التواشيح وَإنَّما تجويد ولحن صوتى خاصّ يُسَمَّى باللحن الذكرى، وتقدّم إلى أنَّ عُلَمَاء التجويد لَمْ يكتشفوا التركيب النحوى ولا الصرفى ولا اللغوى ولا الاشتقاقى ولا البلاغى ولا... الخ الَّتِى يستعملها القُرآن الكريم، فَإنَّ لهذه التراكيب المذكوره الَّتِى يستعملها القُرآن الكريم صفه ذكر خاصّه، وَعَلَيْهِ فَيَكُون التركيب النحوى فِى القُرآن غَيْر التركيب النحوى فِى شعر الرَجَز، وهكذا باقى التراكيب الأُخْرَى فِى القُرآن الكريم غيرُها فِى باقى العلوم الأُخْرَى.

الفرق بين نداء القُرآن

وعرض أصحاب علم الهندسه الصوتيه:

هُنَاك فرق مهم جدّاً ينبغى ملاحظه هَذَا الفرق عَلَى الباحث المتتبع بين نداء القُرآن الكريم وبين عرض أصحاب علم الهندسه الصوتيّه، فَالقُرآن يُناديهم بأعلى صوته صريحاً يا أصحاب علم الهندسه الصوتيّه والملحنين لماذا لا تصدرون وتبثّون ورود الكمال والأزهار الجميله ذو الرائحه العَطِرَه الطيّبه إلى البشر، وَإنَّما فَقَطْ تبثّون وتضحّون ورود الخِفّه والاستخفاف والمجون واللاعقلائيّه للبشر كالغناء والرقص وَكُلّ ما تُبتذل به كرامه الإنسان ويترتب بالتالى عَلَى بثّ هكذا حالات جنونيه نوع مِنْ الهيجان واللاستقرار عكس ما يبثّه القُرآن الكريم،

لقارئه ومتدبره ومتأمله مِنْ سكينه وطمأنينه وهداوه وثقل، فَالقُرآن الكريم حَتّى إذَا أراد أنْ يبث قضيه فيها جانب إثاره شهويّه وجنسيّه أو غضبيّه أو... الخ فَإنَّ هَذَا مرتبط بجانب المعانى القُرآنيّه والبلاغيّه والادبيه فَإنَّهُ يستعرضها بذكر عِبْرَه وطمأنينه وسكينه لا بشكل مجونى مبتذل - والعياذ بالله - وَالقُرآن الكريم إنَّما يسلِّط الأضواء فِى عرض هكذا قضايا عَلَى الجانب النورى فيها لا عَلَى الجانب الشهوى فَإنَّهُ مبتذل وحقير وأمَّا الجانب النورى والربانى فَهُوَ عظيم الذكر.

وَذَلِكَ كَمَا فِى قصه يوسُف عليه السّلام وفيما يستعرضه القُرآن الكريم مِنْ لذائذ فِى الأطعمه والأشربه والأنكحه الأخرويه كَمَا فِى سوره الرحمن، قَالَ رسول الله صلّى الله عليه و آله فِى تفسير قوله تَعَالَى: (وَ الْأَرْضَ وَضَعَها لِلْأَنامِ(١٠) (١) قَالَ للناس: (فِيها فاكِهَهٌ وَ النَّخْلُ ذاتُ الْأَكْمامِ(١١) (٢) قَالَ يكبُر تَمَرَ النَّخْل مِنْ القِمْع، ثمَّ يَطْلعُ مِنْهُ، (وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَ الرَّيْحانُ(١٢) (٣) قَالَ: الحبّ: الحِنطه والشعير والحبوب، والعصف: التبين والريحان ما يُؤكل مِنْهُ (٤). وَكَمَا يستعرضه القُرآن مِنْ تعبئه للقوَّه الغضبيّه فَإنَّهُ يوجهها إلى الخير وإقامه العدل والدفاع عَنْ المحرومين والمستضعفين لا فِى طريق الفرعنه والتجبّر والاستكبار.

١- (١) سوره الرحمن: الآيه ١٠.

٢- (٢) سوره الرحمن: الآيه ١١.

٣- (٣) سوره الرحمن: الآيه ١٢.

٤- (٤) تفسير البُرهان للسيد هاشم البحرانى: ج ٢٧، مج ٧ ص ٣٨٣، ٣٨٤.

الفرق بين القُرآن الكريم كَقَاعِدِه ذكر وبين الشعر:

القُرآن الكريم بَعْدَمَا تحدّى البلاغيين والنحويين واللغويين والشعراء والأدباء و... الخ والكفّار بَعْدَمَا عَجِزوا عَنْ التعرف عَلَى نظام الذكر وحقيقته لِأَنَّ التعرُّف عَلَى نظام الذكر وحقيقته يحتاج إلى إنسان طاهر مُطهّر مُتطهّر، كَمَا تَقَدَّمَ - فَقَدْ حاول الكفّار والمشركون بَعْدَ عجزهم عَنْ وصف الذكر لأَنَّهم تاره وصفوه بأنه أضغاث أحلام، وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَأُخْرَى وصفوه بأنه افتراء أيّ أسلوب قصصى روائى مختلف فيه، وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ إذْ لَيْسَ القُرآن بشعر لأَنَّهم قالوا(بَلْ هُوَ شاعِرٌ) (١)بتقريب: - أن القرآن ليس بشعر فإن بين القرآن والشعر بونٌ كبيرٌ، فإن الشعر فى هيئه الكلام يعتمد على أوزان وفى المضمون يعتمد على المخيّله فإن أعذبه أكذبه، وعليه فإن الشعر يعتمد على قوّه الخيال بخلاف القرآن فإنه يعتمد على أوزان قاعده الذكر، تحدّى علماء النحو والصرف واللغه والاشتقاق والشعر و... الخ على أنْ يكتشفوا قواعد علم الذكر، ومن آيات تأثير الذكر القرآنى وافتراقه عن الموسيقى والشعر والغناء وأيّ خطاب فكرى آخر أنه لا يُثير القوى الغريزيه بانفلات عن سيطره العقل وهيمنه الحكمه ولا يُميتُها جامِدَه، بل يُثيرها موجهةً هادفةً، كما أنه لا يُعَيِّش الإنسان فى جوٍّ واحد غير متوازن ومتعادل مع أجواء أخرى بل يعبر به الى عوالم أخرى كثيره متنوِّعه متوازنه.

١- (١) سوره الأنبياء: الآيه ٥.

تنبیه: كُلّ سوره فِی القُرآن الكریم لها وزن مُعیّن ولها تفعیله خاصّه، فمثلاً سوره القمر لها قافیه معیّنه، والمدثر كَذَلِكَ لها قافیه ونغمه صوتیّه وذكریّه خاصّه بها، وهكذا باقی السور فَإنَّ لِكُلِّ سوره لها وَقْعٌ فِی أوزان مُخْتَلِفَه، إلَّا أنَّهُ إلی الآن لَمْ تكتشف هَذِهِ الأوزان، وَلَمْ یكتشف النظام الرابط لها هل هُوَ نظام نثر مُسَجّع أو غیره، فالولید بن المغیره كَانَ أدیباً كبیراً فِی قریش، قَالَ لأصحابه فِی الفن: - مِنْ الخطأ أنْ تحكموا عَلَی القُرآن بأنَّه شعر ولا نوحٌ ولا نیاحه ولا روایه قصصیه لِإنَّهُ لا یمكن أنْ تقولوا إنَّ الصادق الأمین مُحمَّد صلّی الله علیه و آله جُنَّ أو صار عنده حاله هذیان فِی الكلام - وحاشاه مِنْ ذَلِكَ - وبالتالی فَإنَّ المغیره قَالَ لهم أحكموا عَلَی القُرآن بأنّه سحر وَمَعْنَی السحر یعنی إنَّهُ مؤثر ولا تهتدی إلی سبیله(وَ لا یُفْلِحُ السّاحِرُ حَیْثُ أَتی) (1)(فَأَلْقاها فَإِذا هِیَ حَیَّهٌ تَسْعی(۲۰) (2) وَمَعْنَی الإفك معناه الكذب والتخیّل والخداع.

وفیه: هل أنَّ كُلّ مؤثِّر لا تهتدون إلی سبیل تأثیره یَكُون سحراً؟ الجواب: - كلا.

لذلك إلی الآن یتمتّع القُرآن بجانبه الإعجازی فِی البلاغه والأدب وَاللُّغَه والصرف و... الخ، والمقصود أنَّهُ یتمتّع القُرآن بكُلِّ جوانب نظام الاستعمال اللفظی فِی القُرآن وَلَمْ تكتشف لحدّ الآن ولا أحد

۱- (۱) سوره طه: الآیه ۶۹.

۲- (۲) سوره طه: الآیه ۲۰.

يستطيع أنْ يـدّعى أنَّهُ أحاط بمنظومه نظام أوزان وتفعيلات الآيات القُرآنيّه، صـحيح ندرك بَعْض تفعيلات السور كسوره القمر والمدّثر و... الخ.

ولكن الكلام فِى ما هُوَ هَـذَا النظام المُنَسِّق بينها الـذى يُعطيك نغمه ذكريه لا نغمه مجونيّه هيجانيّه لِأنَّ الشـعر دائماً فيه حاله خفّه ومجون وهزهزه للمشـاعر إلَّا مـا كَانَ مِنْهُ فِى حقّ وَمَعَ ذَلِكَ فَإنَّ الشـعر فِى الحقّ غَيْر ذكر القُرآن وَهُوَ دون ذُكريّه القُرآن، وَهَـذَا يعتبر بُعدٌ آخر مِنْ أبعاد قَاعدِه الذكر فِى القُرآن الكريم، وَالَّتِى تنفتح عَلَى أصـعده متعدِّده فِى نظام الاسـتعمال اللفظى وكم كتب عُلَمَاء البلاغه والنحو والصَّرف وَاللُّغَه فِى مجالاتهم إلَّا أنهم إلى الآن ما وصلوا إلى قَواعِد الذكر فِى القُرآن فِى هَذِهِ الأبعاد، فمثلاً علم المعانى فِى القُرآن الكريم ثمرته الذكر إلَّا أنَّ نظام قواعده غَيْر معلومه، وهكذا علم البيان فِى القُرآن فيه استعارات ومجازات ولكن فِى أىّ نظام؟ فَهِىَ إلى الآن غَيْر مُكتشـفه وإنْ كَانَتْ هُنَاك تحليلات كثيره مسـطوره فِى التفسير لكنّها بشكل متناثر وَلَيْسَ بشكل نظام مترابط وحدوى بين هَذِهِ الأبحاث، بحيث نكتشف قَواعِد هَذَا العلم، وإذا استطعنا أنْ نكتشف قواعده إذَنْ استطعنا أنْ نأتى بمثل القُرآن وَهُوَ مسـتحيل أنْ يأتى المخلوق بمثل ما أتى به الخالق، فمثلاً القُرآن يستعمل الجناس اللفظى ويستخدم البديع لكنّه لا يورث دغدغه الخيال ومشاغبه الوهم وهزهزه العاطفه و... الخ بخلاف ما يؤثّره

الذكر مِنْ إثاره الذى مِنْ علامته الوقار والسكينه والعقلانيّه ورجحان العقل وتوازن الغرائز ومكرمات الأخلاق وَعَلَيْهِ فَإنَّ طبيعته – الذكر – هِىَ نظام خاص.

كيفيه اكتشاف قَواعِد الذكر:

إنَّ أحد جوانب سِرّ إعجاز القُرآن إلى الآن هُوَ عدم اكتشاف قَواعِد الذكر فِى النظام الاستعمالى واللفظى فَإنَّ فيها بلاغه وفصاحه وبيان و... الخ إلَّا أنَّها تجتمع فِى أنَّهُ ذكر القُرآن يوجب ويُسبب تفجّر المعلومات المدفونه فِى عقل الإنسان الباطن لِإنَّهُ ذكر كَمَا يقول أمير المؤمنين عليه السّلام: «فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبيائه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكّروهم منسى نعمته ويحتجّوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول...»١ وَهَذِهِ الفطره الَّتِى هِىَ شبيهه إلى حدٍّ ما بالذاكره الكمبيوتريّه والقرص النورى فيه ما شاء الله مِنْ المعلومات الهائله والحقائق الكثيره، ولكن السؤال الأهم فِى المقام هُوَ: –

كيف يُفَعَّل هَذَا الخزين مِنْ المعلومات؟

الجواب: لا طريق لفتح هَذِهِ الملفات والاستفاده مِنْهَا إلَّا عَنْ طريق الذكر، فَإنَّ الذكر هو مفتاح كمال الإنسان، والذى يولِّد الذكر هُوَ

آیات القُرآن الکریم(إِنْ هُوَ إِلاّ ذِکْرٌ) (۱) کصفه أولی و(وَ قُرْآنٌ مُبِینٌ) کصفه ثانیه.

بتقریب: - إنَّ الصفه الأولی هِیَ أنَّ القُرآن فیه ذکر وَهِیَ علامه کمال واستقامه وبعباره أُخْرَی: - إنَّ أیّ علم مِنْ العلوم الَّتِی یمکن للبشر الاستفاده مِنْهَا إنْ أُحدِث فیه ذکر فَهُوَ کمال، وَإلَّا فَهُوَ تردّی وهلاک.

والخلاصه: إنَّ صمام أمان القُرآن إنَّهُ ذکر مُبین وصمّام نبوّه سید الأنبیاء صلّی الله علیه و آله بناءاً عَلَی ما تَقَدَّمَ مِنْ الرُّوایه هُوَ الذکر وبواسطته یمیّز النَّبِیّ الأکرم صلّی الله علیه و آله الآتی مِنْ الله تَعَالَی هل هُوَ ملک أم شیطان، فَإنَّ معرفه الملک تتمیّز مِنْ خلال الوقار والسکینه یعنی الذکر، بینما الشیاطین - والعیاذ بالله - تأزُّهم أزّاً أیّ تفزّهم، فمثلاً- مِنْ حبائل وطرق الشیطان الموسیقی الماجنه فَإنَّها دائماً تتّصف بحاله جنونیّه واضطراب وطیش وانفلات وعبثیّه واللاهدفیّه، بخلاف قَاعدَه الذکر، فَإنَّها وقار وسکینه، ولذا تعتبر قَاعدَه الذکر معلم رئیسی فِی کُلّ أصعده وَقَواعِد وأنظمه القُرآن الکریم فِی النظام الاقتصادی فِی القُرآن فَإنَّها تولِّد الذکر(وَ کُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا) (۲) فإذا تمسَّک الإنسان بعدم الإسراف فِی النظام التجاری لَمْ تصبح هُنَاک أزمه مالیّه فِی العالم، وَعَلَیْهِ فذکر نظام مُعیّن یولِّد الذکر،

۱- (۱) سوره یس: الآیه ۶۹.

۲- (۲) سوره الأعراف: الآیه ۳۱.

وآنذاك لا يفتح الباب أمام الانخراط فِي نزوات الغرائز والحروب الطاحنه فَإِنَّ الذكر يوجب للإنسان أرعواء.

ص:٣٥٢

الذكر نظام فِى العلوم يُوظِّفُها إلى الكمال

قَاعدَه الذكر: قَاعدَه استراتيجيه

أو ناظوم لعلوم التفسير وميزان معادلى:

هُنَاك علم يُسمَّى بعلم الاستراتيجيات أو علم إداره العلوم ووظيفه هَـذَا العلم هُوَ تنظيم عمل وخطوات الباحث فِى أىّ علم مِنْ العلوم، فمثلاً: البحث أو المتعلِّم الكريم بدلاً أنْ يخوض فِى أىّ علم مِنْ العلوم كالفيزياء أو الكيمياء أو الأحياء أو الهندسه الفضائيه أو... الخ بنحو لا هادف وعبثى ولا يدرى إلى أين يصل، فإذا تَعَلَّم علم إداره العلوم والاستراتيجيات فَإنَّهُ يُنظم لَهُ خطوات انتقاله وسيره نحو النتيجه العلميّه المنضبطه بقواعد رصينه، فَإنَّ كثيراً مِنْ الجامعات والكُلّيات والمعاهد بمختلف أقسامها وتخصصاتها تطلب التنسيق مَعَ النقابات والمعاهد العلميّه العالميه حول بيان وتعلّم الاحتياجات الحقيقيه لتوظيف العلوم المختلفه مِنْ طب وهندسه وكيمياء وفيزياء وحاجه المجتمع الماسّه لها لا أنَّهُ تُدرّس العلوم كيفما اتّفق وكيف ما شاء، وما فائده طرح دراسه تخصصيَّه حول نظريه محضه وتجريديه لا مسيس لها بالواقع المعاش، علماً أنَّ حاجه المجتمع الماسّه إلى غيرها، فمثلاً صحيح أنَّ المجتمع يحتاج إلى

بناء نظام اقتصادى جيّد يعتمد عَلَى تطوير نظام وآليات الزراعه مثلاً، وهكذا ازدهار التجاره تحتاج إلى تطوير القابليات، وازدهار علم النفس يعنى ينبغى تطوير آليات المجال النفسى فِى المجتمع، وهكذا ازدهار الجانب الأمنى فِى المجتمع يحتاج إلى ازدهار القوّه العسكريه وتطويرها وهكذا.

إلَّا أنَّ هَذَا لا يتحقق إلَّا ببناء مؤسسات وإجراء موازنه ومعادله بينها فإذا حصل إفراط وتفريط وتضخّم فِى جانب معيّن كالطب أو الجانب العسكرى أو الجانب الأمنى أو المالى أو... الخ وَهُنَا يأتى دور القَاعِدَه الاستراتيجيه وإدراه العلوم وإجراء الموازنه فيما بينها وكمال العلوم أنْ تصب فِى الهدف النهائى لا أنَّ كمالها تذهب مستقله منفرده بحيال نفسها بلغ الأمر ما بلغ، وَإنَّما لابُدَّ مِنْ موازنه وإنْ لَمْ تكن هَذِهِ الكمالات متوفّره فِى مجتمع واحد، وَإنَّما مجتمعات البشر تكمّل بعضها البعض، ولكن بالتالى تحتاج إلى موازنه سواء كَانَتْ فِى مشرق الأرض أو مغربها وفى أىّ صقع مِنْ أصقاع المعموره.

الذكر: هُوَ أحد معانى أشهر أنَّكَ تلوت الكتاب حق تلاوته:

أحد أهم الأوصاف الَّتِى تميّزَ بها المعصوم عليه السّلام عَنْ غيره ما وَرَدَ فِى زياراتهم«أشهد أنَّكَ تلوت الكتاب حقّ تلاوته» فما مَعْنَى حقّ تلاوته؟ هُنَاك معانٍ مُتعدِّده أحد أهم مفاهيمها هُوَ أنَّ الذكر أىّ ذكر تلاوه الآيه

فِی موضعها المُنَاسِب وَهُوَ الذکر، أمَّا تلاوتها فِی غَیْر موضعها فَهُوَ صدٌّ عَنْ سبیل الله وصَدٌّ عَنْ الذکر.

ولـذا الخوارج کانوا أیضاً یتلون الکتاب ویتمسـکون به، ولکنَّهم کَمَا قَالَ أمیر المؤمنین علیه السّـلام: «یتظاهرون بحجـج (الدِّین) عَلَی أولیائه»(۱) أیّ ضد سبیل الله وضد أولیاء الله، فَإنَّ مثل هَذَا لَیْسَ ذکر.

وینبغی أنْ نُحَذِّر أنفسـنا مِنْ الوقوع به - والعیاذ بالله - فَإنَّ الإنسان قَدْ یَکُون عنده علم دینی ولکنّه یوظّفه لضعضـعه وهدم الدِّین - والعیاذ بالله - لا لنصـرته، وَهَذَا مِنْ أشکل المتشابهات فبدلاً أنْ تتنامی عِنْدَ الإنسان حاله الذِّکر والأوبه إلی الله فَإنَّهُ یشغل نفسه وعبادَ الله بإفراط وتضـخیم وبُعد غَیْر متوازن مَعَ الصراط المستقیم، وإنْ کَانَ هَذَا وجه أکمل ولا یَتِمُّ إلَّا بهدایه المعصوم إلَّا أنَّهُ ما لا یُدْرک کُلَّهُ لا یُترک کُلَّهُ.

ولذا:

یفترق تفسیر المعصوم عَلَیْهِ السَّلامُ عَنْ غَیْر المعصوم:

إنَّ تفسـیر المعصـوم علیه السّـلام دائمـاً حیوی وغضٌّ نضـر ومؤثِّر، بینمـا تفسـیر غَیْر المعصوم مِنْ المُفَسِّرین مُجرَّد بحوث تنظیریه تجریدیه وآفاق بعیده عَنْ المسیره والواقع المعاش؛ ولذا عِنْدَمَا سُئلَ النَّبِیّ الأکرم صلّی الله علیه و آله مثلاً عَنْ علم

۱- (۱)

أنساب العرب - علماً أَنَّهُ لَيْسَ بقليل الأهميّه - فَقَالَ صلّى الله عليه و آله: - «فذاك علم لا يضرُّ مِنْ جهله، ولا ينفع مِنْ علمه»(۱) عَنْ الإمام الكاظم عليه السّلام: «إنَّما العلم ثلاثه آيه محكمه، أو فريضه عادله أو سنه قائمه، وما خلاهن هُوَ فضل»(۲).

بتقريب: - أنَّ النَّبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله أَكَّدَ عَلَى وجود علوم أساسيّه ومركزيّه وبنيويّه هامّه وخطيره وَأَكَّدَ صلّى الله عليه و آله عَلَى أهميّه التمركز حول المركز أو ما يصبّ فِي المركز، والابتعاد عَنْ كُلّ ما لَهُ هاجس التشتت والتوغّل والتباعد فِي التفاصيل فإنَّها لا تقودك إلى المنظومه المركزيّه - أيّ التعمق - وإنْ كَانَ التعمّق فِي بَعْض الموارد مذموماً.

إلَّا أَنَّهُ كيف نوفِّق بين التعمّق الذى تستخدمه الآن فِي الحياه العصريه بمعنى التدقيق كيف يَكُون مذموماً؟ وبين ما وَرَدَ فِي الروايات مِنْ أنَّ التعمّق دائماً مذمومٌ حَتّى فِي الفكر، فكيف التوفيق بينهما؟

أمَّا التعمّق المذموم فِي الفكر كالتعمّق فِي علم التفسير والعلوم الأُخْرَى بمعنى أنْ تتعمّق وتدخل فِي التفاصيل، بَلْ وتفاصيل التفاصيل، وهكذا وتضيع البُنى الأساسيّه وتَفْلُت زمام الأُمُور وعدم الوصول إلى نتائج علميّه مرضيّه منضبطه وَإنَّما يصل إلى عكسها وَإلى اللاهدفيّه، وَهَذَا إسرافٌ فِي أعمال القوى الفكريّه فِي أُمُور تافهه، فمثلاً

۱- (۱) بحار الأنوار: ج ۱، ص ۲۱۱.

۲- (۲) الكافى: ج ۳۲/۱، عنه بحار الأنوار: ج ۱، ص ۲۱۱ كتاب العلم.

لاـ تتعمق فِي الوضوء وكيفيته، فبدل أنْ تتعمق فِي الوضوء وتركّز عَلَيْهِ رَكّز عَلَى الاخلاق والخشوع مَعَ الله تَعَالَى، فَإِنَّ الله تَعَالَى يُحِب معالى(١) الأُمُور ويكره سفاسفها وأنَّ التعمّق يجر صاحبه إلى ارتكاب سفاسف الأمور إذَا لَمْ يكن هَـذَا التعمّق مبتنٍ عَلَى ضوابط علميّه ذِكْريّه، وبخلافه فَإِنَّهُ يؤدِّى إلى معالى الأُمُور.

وأمَّا التعمّق غَيْر المذموم: - بمعنى المداقّه وتمركز النظر حول المحاور الأصليه وجعل بوصله الفكر تتمركز حولها والغور والفحص حول ذَلِكَ فَهَذَا ممدوح وبصيره نافذه.

المفسر الناجح من يستطيع التمييز بين الآيه الأم وغيرها

بل اكتشاف مجموع الآيات الَّتِى تشكل نظام

ومنظومه الأمومه فِي القُرآن

ونظام المنظومه فِي القُرآن عباره عَنْ مجموعه أعمده وحلقات نظام وطبقات منظومه، وَهَـذَا أفق عظيم فِي التفسير تتباعد عنده سائر المناهج التفسيريه كالتفسير الموضوعى والتنزيلى، وأسباب النزول و... الخ ولاـ يكفى لإصابه الحقيقه والهدايه الَّتِى هِيَ واسعه ومترامیه الأطراف، وَالَّتِى يكشفها لنا القُرآن الكريم ويوقفنا عَلَيْهَا - أنَّ تبرز أيُّهَا الباحث أو

١- (١)

المُفَسِّر آیه قرآنیه وتتمسَّک بها وتتبعها کیف ما اتَّفق، بَلْ لابُدَّ مِنْ التمییز بین الآیات مِنْهَا ما هُوَ أُمٌّ فِی القُرآن، وبین ما لَیْسَ بأُمٍّ(هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ...) (۱).

فلا یغرّنک أنَّ کُلّ الآیات قرآن، وَإنَّما الحقّ الَّذی یُتبع هُوَ الآیه المُحکمه لا المتشابهه ولا یکفیک أنْ تتمسَّک وتؤمن بِبَعْض الکتاب دون بَعْض(الَّذِینَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِینَ(۹۱) (۲). بتقریب: - أنَّ إیمانهم فیه تبعیض(أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْکِتابِ وَ تَکْفُرُونَ بِبَعْضٍ) (۳) فَإنَّ التمسّک ببعض الآیات والحجج لا یکفی وَإنَّما اللازم هُوَ التمسّک بمجموع المنظومه القرآنیّه؛ ولذا القُرآن یشترط فِی الهدایه والعلم والرشد والنجاه لَیْسَ فَقَطْ صرف أصل الانتساب إلی القُرآن فَإنَّ هَذَا لوحده لا یکفی، وَإنَّما یشترط القُرآن فِی الهدایه والعلم والمنهاج والطریقه أُمُور عدیده: -

مِنْهَا: ما یرکّز عَلَیْهِ منهج أمومه الولایه والمُحْکَمات فِی التفسیر بکُلِّ تفاصیله، ولا یکفی المُفَسِّر أنْ یَکُون صاحب منهج تفسیری وحسب، کلا وَإنَّما الأمر أبعد مِنْ ذَلِکَ - وإنْ کَانَ الله یعطیک أجر ما

۱- (۱) سوره آل عمران: الآیه ۷.

۲- (۲) سوره الحجر: الآیه ۹۱.

۳- (۳) سوره البقره: الآیه ۸۵.

عملت - ولكنه هَـذَا لَيْسَ هُوَ كُـلّ شـىء، لِـإِنَّهُ إذَا أردتَ أنْ يَكون لـديك منهاجـاً تفسـيرياً قيّماً فَلابُـدَّ مِنْ مُراعاه ضوابط أُخْرَى يـذكرها لك القُرآن وَهُوَ التمييز بين ما هُوَ أُمٌّ وبين ما لَيْسَ كَـذَلِكَ(وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِـخُونَ فِى الْعِلْمِ) (۱). و(وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَهِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً(۱۶) (۲) لِأنَّ هُنَاك طريقه ومنهاج مستقيم(وَ هُدُوا إِلى صِراطِ الْحَمِيدِ) (۳) وَهُنَاك طريق مُعْوَّج - والعياذ بالله - (فَاهْدُوهُمْ إِلى صِـراطِ الْجَحِيمِ) (۴) ولأجل الثبات عَلَى الطريق المسـتقيم هُوَ أنْ تأتى بالشرائط الَّتِى ركّز عَلَيْهَا منهج أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات فِى التفسير، وَهَذَا لوحده، أيضاً غَيْر كافٍ ما لَمْ يُضمّ إليه الثقل الثَّانِى(لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ(۷۹) (۵) وَعَلَيْهِ فَإنَّ أمومه الولايه مثلما هِىَ أمومه المُحْكَمات هُنّ أم الكتاب، كَـذَلِكَ هِىَ أمومه ومرجعيه للراسـخين فِى العلم والمطهرين هُمْ أهـل بيت النَّبِىّ صـلّى الله عليه و آله خاصّه(إِنَّما يُرِيـدُ اللّهُ لِيُـذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (۶).

۱- (۱) سوره آل عمران: الآیه ۷.

۲- (۲) سوره الجن: الآیه ۱۶.

۳- (۳) سوره الحج: الآیه ۲۴.

۴- (۴) صوره الصافّات: الآیه ۲۳.

۵- (۵) سوره الواقعه: الآیه ۷۹.

۶- (۶) سوره الأحزاب: الآیه ۳۳.

علاقه قَاعدِه الذكر بمنهج أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات:

إنَّ صله قَاعدِه الذكر بمنهجنا التفسيرى المختار أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات يكمن فِى أنَّ علوم القُرآن كثيره وَقَواعِد تفسير القُرآن كَذَلِكَ، ولكن يجب أنْ يَكُون هُنَاك نسق منظومى فِى قَواعِد القُرآن وعلومه يصبّ فِى الهدف ويُراعى خارطه الهدف العالى، فإذا سلك المُفَسِّر هَذَا الطريق نجح وفلح وَإلَّا أىّ إذَا لَمْ يُرَاعِ ذَلِكَ فَهُوَ قَدْ أتعب نفسه وبذل جهداً فِى تفسير آيات القُرآن - وجزاه الله خيراً - إلَّا أنَّهُ لَمْ يتوخَّ؛ الأكمل وما هُوَ روح القُرآن ولُبابه وأم كيانه وقوامه فِى هدى القُرآن وتفسيره الذى أحد قواعده ما نَحْنُ بصدد بحثه، وَهِىَ قَاعدِه الذكر؛ فَإنَّ لقاعده الذكر موقع قدم لها ظلال تضفى به عَلَى كُلّ قَاعدِه وَعَلَى كُلّ علم علم مِنْ علوم التفسير وتوظّفه نحو اكتشاف ما هُوَ أم قوام القُرآن الكريم.

فائده جانبيه: ذكرنا أنَّ قَاعدِه الذكر لها ظلال تضفى بِهِ عَلَى كُلّ قَاعدِه وعلم و... الخ إلَّا أنَّه ينبغى التنبيه والالتفات إلى أنَّ أهميه أىّ قَاعدِه تكمن فِى أنَّها تصبّ فِى الإفاده الجدوائيّه الهامّه، وما هُوَ مركزى وأساسى ومحورى وقطبى، بخلاف ما إذَا كَانَ التدقيق - وإنْ كَانَ التدقيق فِى العلوم جيد إذَا كَانَ عَلَى أساس المسائل الأُمّ والمحوريّه والمركزيه - فِى اللبنات الصغيره وأجزاءها، فَهَذَا بحث فاشل وعاطل، لِأنَّ الاشتغال بالتفاصيل وبتفاصيل التفاصيل القشريه والسطحيه لا جدوائيّه فيه، كَمَا فِى مثل مبحث الاستصحاب فِى علم الأصول، فَإنَّهُ - بحث الاستصحاب -

مهم وجيّد، ولكنَّ الخوض فِى شقوقه وتفاصيله ولَعَلَّ البعض لا واقع لَهُ وَإنَّما مُجرَّد فرضى ومُحتمل، وهكذا الدخول والخوض فِى مثل مبحث شقوق الخلل فِى الصَّلاه وتفاصيلها فَإنَّهُ لا جدوائيّه فِى الخوض فِى مثل هكذا مباحث، وهكذا ما صنعه الفخر الرازى فِى كتبه الفلسفيه مِنْ الخوض بشكل مفرط فِى بَعْض المباحث كمبحث التسلسل وأدلّته وتسلسل التسلسل وهكذا، فَإنَّ الخوض فثى مثل هكذا تفاصيل لن تُحْنك الملكه العلميّه بشكل مُركّز عِنْدَ صاحبها، وَإنَّما عليك أنَّ تركّز عَلَى القَوَاعِد الأساسيه، أمَّا تطبيقاتها وتشقيقاتها فذاك شيء آخر.

فَإنَّ اللُّباب أهم مِنْ القشور، أىّ أنَّ مركزيه كُلّ علمٍ أهم مِنْ الخوض فِى فروعه وتفاصيله.

ولكن نسأل: - هل أنَّ عُلَمَاء أىّ علم مِنْ العلوم يتواصّون فيما بينهم عَلَى أنْ يبلوروا ضابطه تقيهم سفاسف الأُمُور وقشورها الَّتِى تبعدهم عَنْ المركز وَعَنْ الأُسس؟

الجواب: إنَّهُ مِنْ النادر مَنْ يبحث هَذَا الأمر مَعَ أنَّهُ أمر مصيرى، فكثير مِنْ الأبحاث العلميّه حَتّى يومَنا الحاضر بذلوا عَلَيْهَا الأموال الطائله، ولكن بَعْدَ ذَلِكَ رأوا أنَّها ليست هِىَ المتوخّاه، ولذا أغلقوا ملفها ورجعوا مِنْ البدايه ورسم خارطه جديده.

ولذا هُنَا تأتى أهميّه وفائده استراتيجيه العلوم أو إداره العلوم ورسم الخارطه مِنْ أوَّل الأمر وقبل الخوض فِى تفاصيل البحث، وَهَذَا

هُوَ فِی الواقع قَاعدِه الذکر، فَلَیْسَ مِنْ الصحیح أنْ تفتح الباب أمام أیّ باحث وَیُقَال لَهُ سِرّ فِی غور ظل وحی الله وَلَیْسَ معلوماً أنَّهُ یصل إلی نتیجه مُرْضیّه فِی آخر بحثه أو لا؟

والصحیح ببرکه قَاعدِه الذکر هُوَ رسم خارطه مُتکامله للبحث العلمی تبتدأ بمعالی الامور مِنْ قَاعدِه الهرم إلی أعلی نقطه فیه.

ولذا نلاحظ توصیه الوحی وَالدِّین مُرکّزه عَلَی قَاعدِه الذکر ولما لهذه التوصیه مِنْ تأثیر، فمثلاً الروایات الوارده تقول: «الفقیه کُلّ الفقیه مَنْ ذکرک الله کلامُهُ وهدیه وعلمُه».

بتقریب: - أنَّهُ یجب عَلَی الفقیه أنْ یوظّف علم الفقه بما فیه جدوائیه ومنفعه عامّه ومرکزیّه ذکریّه، وهکذا السائس کُلّ السائس - الحاکم السیاسی - مَنْ یُحیی ویُنشّط ویُفَعِّل حاله الذکر والإرعواء الذکری للمجتمع، لا- أنَّ یُنشِّط فِی رعیته جنبه الإفراط الشهویّه فِی تلبیه حاجات الغرائز، لا- مانع مِنْ أنْ یلبیها بشکل متوازن فَإنَّهُ لا- یصادم حاله الذکر، أمَّا الإفراط فِی جنبه معیّنه کالثقافه الاستهلاکیّه فِی الاقتصاد الرأسمالی أو الفلسفه الرأسمالیه أو الفلسفه الرأسمالیه، فَهَذَا یؤدِّی إلی نتیجه سلبیه وسیئه إذَا لَمْ یکن السیر متوازناً، فالباحث الاقتصادی إذا لَمْ یکن عَلَی صله بقاعده الذکر فَهَذَا الانقطاع عَنْ قَاعدِه الذکر یشکِّل أحد أخطر الأُمُور الَّتِی تنتهی به لأجل أنْ یبقی السوق متوازناً وبسیاسه معیّنه وبالتالی یَکُون مِنْ السهل عنده ولا مانع مِنْ أنْ یرمی بملایین الأطنان مِنْ الحنطه وغیرها

فِی البحر لأجل الموازنه الرأسماليه الاقتصاديه فِی السوق وتُنتزع مِنْهُ الرحمه الإنسانيه، كُلّ ذَلِكَ بسبب عدم اختيار الإنسان المنهج العلمی المتوازن ضمن قَواعِد وموازين منضبطه، ولذا وقع فِی هَذِهِ النتيجه السلبيه، وَيَكُون مصداقاً لما وَرَدَ فِی بَعْض فقرات دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السّلام«... وعقلی مغلوب ونفسی معيوب وهوانی غالب وطاعتی قليل».

بخلاف ما إذَا كَانَتْ الصله بقاعده الذكر وطيده«كَانَ عَقْلِی غالباً وهوای مغلوب ونفسی سليمه وطاعتی كثيره ومعصيتی قليل» فآنذاك يمكن أنْ يرسم خارطه ومنهج يوصله إلی التمدّن والعمران فِی البشر، وارتفاع رصيده فِی كُلّ ما تتطلبه نواحی الحياه الدنيويّه والبرزخيه والأخرويه، وَهَذَا الأمر لَمْ ولن تصل إليه سياسيه البشر فِی أیّ حقل مِنْ الحقول، ولو وثّقوا علاقتهم بقاعده الذكر ورسموا منهاجهم عَلَی ضوء هَذِهِ القَاعِدَه المُبَارَكَه لانتهت مخاطر الأزمه الماليّه العالميّه، ولانتهی دمار البيئه البريّه والبحريّه والجويّه، كُلّ ذَلِكَ يحدث إذَا سار الإنسان عَلَی وفق التوازن الاستراتيجی للعلوم كافه، وَعَلَی ضوء الخارطه الَّتِی رسمتها يد القدره الإلهيه الوحيانيّه.

وَمِنْ هُنَا تأتی الحاجه المُلحّه فِی أهميّه علم التفسير ومدخليته فِی تنظيم حياه الإنسان. وَعَلَيْهِ فَيَكُون توظيف العلوم نحو سعاده البشر وصلاح الأرض وعمرانها لا نحو دمارالبشر والإفساد فِی الأرض وإماتته.

ص:۳۶۳

أهميه وخطوره علم التفسير

فِي تنظيم متطلبات أفراد المجتمع فِي يومياتهم:

إنَّ الاختلاف فِي الأحكام الفقهيه - فقه الفروع - مثلاً والعقائديّه والتفسيريّه والاجتماعيّه والاقتصاديّه والأمنيّه والسياسيّه و... الخ جاء نتيجه التعدّد فى المناهج التفسيريّه للقُرْآن الكريم مِنْ قبل المفسّرين والباحثين فِي الفرق الإسلاميَّه المختلفه. فَإنَّ المصدر الأوَّل والأساسى للتشريع فِي الإسلام هُوَ القُرآن الكريم، وَعَلَيْهِ فإذا لَمْ يكن للمفسِّر منهج ناظم لامره وفيه تقيد وانضباط فِي التفسير، فالنتيجه خطره جداً؛ لِأنَّ القُرآن حمّال لوجوه، ولذا نتيجه عدم امتلاك المفسِّر للمنهج الناظم لَهُ حصل الخلط والتيه والضلال فتولّدت نتيجه هَذَا بَعْض الفرق الضالّه والمنحرفه فكرياً كالقدريّه والبتريّه والمرجئه والخوارج و... الخ ولذا يجب أنْ يَكُون شعار المُفَسِّر ورمزه هُوَ وسام الذِكر، فَإنَّ تدخل حاله الذكر فِي بناء الأسره والمجتمع فِي الاقتصاد أو الاجتماع أو السياسه أو الأمن أو التّربيه أو... الخ تدخُّل عظيم وبالغ التأثير وحاله مصيريه وفيصليّه فِي نجاح الأُمُور وسلامتها مِنْ الوقوع فِي منزلق الانحراف، ولذا أَكَّدَ القُرآن هَذَا المعنى عَلَى لسان نبيه مُحمَّد صلّى الله عليه و آله وَهَذَا المعنى عِنْدَ الفريقين - فِي كيفيه دعوى النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله إلى ترك الفتوى قبل التعلم والتفقّه ولا مانع مِنْهَا - الفتوى - بَعْدَ التفقّه فِي الدِّين(فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَهٍ مِنْهُمْ

ص:٣٦۴

طائِفَةٌ) (۱) بتقريب: - أنَّ القُرآن يّبيِّن حاله الذكر بالتفقّه وتَعلَّم الفقه، فَإنَّ معالم الفقه عَلَى درجات والفقه مفتاح البصائر وَهُوَ أمر مهم، ولكن لأجل رسم خارطه متوازنه يجب أنْ تُحْدِث لك حاله ذكر، فَإنَّ الفقيه الناجح الذى يُقتدى به هُوَ ما رسمت لَهُ منظومته الفكريّه حاله ذكر وتتعدّى إلى حَتّى مثل سياسه الفقيه فِى تدوين الفتوى فِى الإفتاء، وهكذا الخطيب فِى خطابته والواعظ فِى موعظته و... هؤلاء سبل تصبُّ فِى صراط مستقيم واحد، وَعَلَيْهِ فَإنَّ العالِم والفقيه مَنْ ذكَّرك الله واليوم الآخر، وَعَلَيْهِ فَإنَّ الصيروره والتأديّه والانتهاء إلى حاله الذكر علامه بوصليّه لسلامه المنهاج، وَهَكذَا حاله الذكر علامه بوصليّه لسلامه المنهاج.

فرق القُرآن الذى يقودك إلى الذكر

عَنْ بَقيَّه العلوم الروحيه الأُخْرَى

الَّتِى لا تقودك إلى حاله الذكر:

تأكيد القُرآن الكريم عَلَى قَاعدَه الذكر أكثر مِنْ أىّ قَاعدَه أُخْرَى فِى مختلف العلوم:

يُؤكِّد القُرآن الكريم عَلَى أنَّ أصحاب العلوم الروحيّه سواء علوم شرٍّ أو خيرٍ يدركون أهميّه قَاعدَه الذكر، وأنَّ ترتيب نسيج الآيات

۱- (۱) سوره التوبه: الآيه ۱۲۲.

والمعانی القرآنیّه یقود إلی نورانیّه روحیه وارتباط روحی بالملکوت الأعلی، بینما بقیّه العلوم الأخْرَی - غَیْر علوم القُرآن - کعلم السحر أو علم الغناء أو علم الموسیقی أو الشعبذه أو خیالات الشعر والغزل أو المجون أو علوم روحیّه أُخْرَی کثیره تقودک إلی حاله روحیّه غَیْر سلیمه عَنْ الشیاطین بخلاف القُرآن فَإنَّهُ یربطک بأبواب روحیّه نوریّه سالمه عَنْ الشیاطین وَعَنْ کُلّ وارِدٍ یَصُدُّ عَنْ سبیل الله وبالتالی یقودک إلی حاله الذکر، وَهَذَا هُوَ فرق القُرآن عَنْ بَقیّه العلوم الروحیّه الأُخْرَی.

وَعَلَیْهِ فَأنَّ قَاعدَه الذکر هِیَ قَاعدَه منهجیه راسمه لمختلف علوم تفسیر القُرآن الکریم وقواعده، ولذا نلاحظ القُرآن الکریم یُؤکِّد عَلَی قَاعدَه الذکر تصریحاً أو تلمیحاً أو تأویلاً، فَإنَّ هدف القُرآن لَیْسَ جامعیه العلوم فحسب وَإنَّما الهدف هُوَ إحداث حاله الذکر المستمره(فَذَکِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَهِ رَبِّکَ بِکاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ(۲۹) (۱) و(إِنْ هُوَ إِلاّ ذِکْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِینٌ) (۲).

بتقریب: - إنَّ أوَّل شیء فِی هویّه القُرآن إنَّهُ قرآن مبین، وَمَعْنَی القُرآن المبین یعنی الجامع لجمیع العلوم، وَعَلَیْهِ فالأعظم فِی الرسالات هُوَ الذکر وَلَیْسَ المقصود مِنْ الذکر هُوَ الذکر اللسانی وَإنَّما الذکر عَلَی کُلّ الأصعده.

۱- (۱) سوره الطور: الآیه ۲۹.

۲- (۲) سوره یس: الآیه ۶۹.

ویلخّص أمیر المؤمنین علیه السّلام أنَّ هدف الأنبیاء والأولیاء والرسالات هُوَ الذکر و التذکر: «... أوَّل الدِّین معرفته وکمال معرفته التصدیق به وکمال التصدیق به توحیده، وکمال توحیده الإخلاص لَهُ، وکمال الإخلاص لَهُ نفی الصِّفات عنه... ثمَّ اصطفی سُبْحَانَهُ مِنْ ولده (۱)أنبیاء أخذ عَلَی الوحی میثاقهم، وَعَلَی تبلیغ الرساله أمانتهم لَمّا بَدَّلَ أکثر خلقه عهد الله إلیهم فجهلوا حقّه... فبعث فیهم رسله وواتر إلیهم أنبیاءَه لیستأدُوهم میثاق فطرته وبذکرهم مَنْسِیَّ نعمته، ویحتجوا علیهم بالتبلیغ ویُثیروا لهم دفائن العقول ویُروهم الآیات المقدّره... الخ»(۲).

وکذا قوله تَعَالَی: (أَمْ یَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَیْبَ الْمَنُونِ(۳۰) (۳)(أَمْ یَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا یُؤْمِنُونَ(۳۳) (۴). أیّ رواه لنا روایهً قصصیهً کاذبه بَلْ لا یؤمنون.

وقوله تَعَالَی: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ(۴۰) وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِیلاً ما تُؤْمِنُونَ(۴۱) وَ لا بِقَوْلِ کاهِنٍ قَلِیلاً ما تَذَکَّرُونَ(۴۲) تَنْزِیلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ(۴۳) (۵) و(هَلْ أُنَبِّئُکُمْ عَلی مَنْ تَنَزَّلُ الشَّیاطِینُ(۲۲۱) تَنَزَّلُ عَلی کُلِّ أَفّاکٍ أَثِیمٍ(۲۲۲) یُلْقُونَ السَّمْعَ...

۱- (۱) ولد آدم.

۲- (۲) الخطبه الأولی من نهج البلاغه.

۳- (۳) سوره الطور: الآیه ۳۰.

۴- (۴) سوره الطور: الآیه ۳۳.

۵- (۵) سوره الحاقه: ۴۰-۴۳.

(۲۲۳) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ وَ ذَكَرُوا اللّهَ كَثِيراً) (۱).

الخلاصه: أنَّ العاصم مِنْ كُلّ هَـذِهِ الأُمُور أىّ مِنْ الشياطين والجن وَكُلّ أفّاك أثيم و... هو الذكر سواء كَانَ ذكراً لسانياً أم قلبياً، وَعَلَيْهِ فتعاطيك وتعاملك مَعَ أىّ علم وَأىّ منهج يوصلك إلى الذكر، فَإنَّ التعاطى مَعَ هكذا منهج يعتبر سليماً وناجحاً وَهُنَا يكمن سر اختلاف القُرآن عَنْ العلوم الأُخْرَى كعلم الأخلاق والعرفان والسير والسلوك و... الخ فَإنَّ القُرآن الكريم يعتبر الذكر نظاماً عامّاً فِى كُلّ أصعده بحوث القُرآن فمثلاً ـ البرنامج الأخلاقى فِى القُرآن الكريم يختلف عَنْ البرنامج الأخلاقى فِى علم الأخلاق، فَإنَّ القُرآن الكريم لا ـ يبحث الأخلاق كعلم بما هُوَ علم فَقَطْ، ولا ـ يُثير البحث فِى العلوم بما هِىَ علوم وَإنَّما يُثيرها بمقدار تصبّ بالهدف وَهُوَ إحداث الذكر، ولذلك نلاحظ قلّما مِنْ عُلَمَاء الأخلاق مَنْ بحث فِى علم الأخلاق وحقائقه الأخلاقيّه بما يحدث للباحث فِى علم الأخلاق ذِكراً بَلْ وَحَتّى العرفان العملى كَذَلِكَ لَمْ يحدث بحثه ذكراً كَمَا يبحثه ويبيِّنه القُرآن الكريم، فَإنَّ كثيراً مِنْ كبار العرفاء فِى مسير عالم المعنى وما شابه ذَلِكَ تُغريهم المكاشفات وتستحوذ عليهم وتستخفهم وتحرمهم مِنْ كمالات أُخْرَى أعظم مِنْ هَـذِهِ الَّتِى بين أيديهم وانغررتم بالأدنى والأبسط واكتفيتم به، ولذا لَمْ تستمروا بالعمل فانحرمتم مِنْ الأعلى والأعظم.

۱- (۱) سوره الشعراء: الآيه ۲۲۱-۲۲۶.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ نفس هَـذِهِ القَوَاعِـد الأخلاقيّه والعرفانيّه لَمْ ترسم فِى علومها قَاعـدَه الـذكر كَمَا رسمها القُرآن الكريم حَتّى وتنتهى بالإنسان إلى حاله الـذكر. ونفس هَـذَا يسرى إلى المجال العقائدى التنظيرى كَمَا فِى جمله كثيره مِنْ كتب الكلام والفلسفه فَإنَّهُ أيضاً لا يوجب حاله ذكر للأُمَّه، وَهَـذَا لا ينفعها شيئاً، بَلْ وَحَتّى فِى بحوث توحيديه مترامیه الأطراف وفى بحوث تفصيليه وإنْ كَانَ التوحيد شىء عظيم وبه الآيه الأُمّ - إلَّا أنَّ الانشغال بالهوامش والتفاصيل، يُسبب للإنسان تضييع ما هُوَ أهم، ولذا اهتمّ وراعى منهج أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات مسأله أنَّ لا يُساوى بين ما هُوَ مركزى ومحورى وبين ما هُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ ولذلك تَقَدَّمَ أنَّهُ توجد روايات وَرَدَتْ عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السّلام تذمّ التعمّق وذمّ التعمّق - كَمَا تَقَدَّمَ - لَيْسَ بسبب التدقيق فِى المطالب الأُمّ والمركزيّه كلا، وَإنَّما بسبب التدقيق بالهوامش وتفاصيلها، وَهَذَا مما يبعدك عَنْ الاهتمام بالبُنى الأصليّه الأساسيّه البنيويّه الخطيره ويجعلك جاهلاً وغافلاً عَنْ المطلب المحورى، فَإنَّ مثل هَـذَا التعمّق مذموم، بخلاف ما إذَا ركَّزْت عَلَى الخشوع فِى التعمّق فِى الوضوء وَالصَّلاه والحج و... الخ، فَهَذَا هُوَ المهم ولذا البارى تَعَالَى يُحِب معالى الأُمُور ولا يُحب سفاسفها، وعَلَيْهِ لأجل أنْ تكون باحثاً ناجحاً فِى أىّ علم مِنْ العلوم سواء فِى الفقه أو الأصول أو المنطق أو العقائد أو التفسير أو... الخ فعليك التركيز عَلَى المطالب المحوريّه الأساسيّه لا الخوض بالأمور التفصيليه والهوامش والقضايا الَّتِى هِىَ مِنْ باب البحث

والترف الفكرى، فَإنَّ مثل هكذا تعمّق مذموم، ويُذم البحث والمنهج الذى يوصف بِهَذَا الوصف.

وَهُنَاك تعبير لطيف وتوصيه جيده للميرزا على القاضى رحمه الله وَالسَّيِّد العلّامه الطباطبائى قدّس سرّه وَأَكَّدَ عَلَيْهَا الشَّهيد السعيد الشَّيْخ مرتضى المطهرى قدّس سرّه ما حاصله: - أنَّ البشريّه فِى كُلّ حاجاتها الأصليّه والأساسيّه الماسّه تحتاج إلى المعصوم عليه السّلام ولكن لا جبر ولا تفويض بَلْ أمر بين أمرين - وأنَّ الساحه العلميّه البشريّه والحوزويّه تحتاج بمعدل كُلّ عشرين أو ثلاثين أو أربعين سنه إلى تفسير يتلائم ومتطلبات الوقت الراهن.

وَعَلَيْهِ فَيَكُون المقصود مِنْ هَذِهِ التوصيه: - هُوَ أنَّ القرآنا لكريم لكى يقود زمام الهدايه البشريّه والتمسّك به لَيْسَ معناه أنَّ للإنسان أنْ يسرح ويتوغل فِى بحث التفسير فِى أىّ اتّجاه كَانَ وَإنَّما لابُدَّ أنْ يَكُون البحث التفسيرى عَلَى قدر حاجه تعطّش البشر، وفى أىّ مجال حدث إخفاق وانتكاسه بشريّه فَهُنَا ياتى دور تطبيق قَاعِدَه الذكر لأجل انتشال البشريّه مِنْ ذَلِكَ الإخفاق والانتكاسه باستخراج مَصْلٍ ودواءٍ مِنْ القُرآن الكريم، وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ ضابطه عامّه يجب مراعاتها فِى المنهج التفسيرى بصوره عامّه، بخلاف المنهج الموضوعى الذى يُراعى وحده الموضوع، أو تفسير القُرآن بالقُرآن أو التفسير الإشارى أو الفلسفى أو... الخ وإنْ كَانَتْ هَذِهِ التفاسير جيّده لا تخلو مِنْ فائده، وأنعِم بها إلَّا أنَّهُ وللأسف لَمْ تُلبِّ حاجه البشر وَلَمْ تروِ عطشه، وَعَلَيْهِ فَهِىَ ليست بالتفسير الأمثل والأحوذى الذى يُلَبّى حاجات البشر ويُحتذى به، نعم الذى يُلبّى الحاجه والعطش للبشر يُحتذى به.

علم التفسير هُوَ للمفسر الناجح

الذى يلبى حاجه البشر أينما كَانَتْ:

شرائح المجتمع البشرى فِى الوقت الحاضر تحتاج إلى أنْ تُغَذّى بالبُعد العبادى فِى القُرآن، فمثلاً أيُّهَا المُفَسِّر الناجح أنَّ المجتمع بحاجه ماسه إلى البُعد الأخلاقى أو العقائدى أو التفسيرى أو... الخ فَغَذّه بها، وَهَذَا يتطلّب مِنْ المُفَسِّر والباحث الكريم أنْ يُراعى أنَّ المجتمع البشرى فِى أىّ مرحله هُوَ وبالتالى لابُدَّ مِنْ إعطائها ما هُوَ المُنَاسِب لها مَعَ تلك المرحله، فمثلاً بَعْض مُجتمعات البشر نفترض أنَّها الآن استنارت بنور هدى القُرآن، وَهَذَا معناه أنَّها فِى المرحله الابتدائيّه فَلابُدَّ مِنْ إعطائها ما يتناسب ويتلائم والمرحله، وهكذا ما يلائم مرحله الثانويّه ومرحله التخرّج وما بَعْدَ التخرّج فإعطاء كُلّ مرحله ما يناسبها.

وَمِنْ هُنَا تختلف نظره القُرآن ومعالجاته عَنْ غيره، فَالقُرآن لَمْ ينظر ببُعد أحادى للواقعه والمشكله وما يحتاج إليه المجتمع، وَإنَّما نظراته نسخه مجموعيّه فِى آيه واحده فيها عقائد وفيها فقه وأخلاق و... الخ وهكذا ما قاله النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السّلام فِى أقواله وخطبه فِى نهج البلاغه، فَإنَّ أمير المؤمنين صلّى الله عليه و آله يحذو حذو القُرآن ويُعطى عليه السّلام نسخه مُتكامله يُنْظَرُ فيها مَعَ مقطع واحد البُعد الفقهى والفلسفى والاقتصادى و... الخ ولذا لَمْ يتوغَّل أمير المؤمنين عليه السّلام فِى نهج البلاغه فِى علم الأخلاق بما هِىَ أخلاق كمبحث مِنْ باب الترف الذكرى، وَإنَّما منهجه أمير المؤمنين عليه السّلام هُوَ أنْ

تأخذ باقه حسّاسه مِنْ الأخلاق وَعَيِّنَه مُهمّه مِنْ العقائد ونماذج مِنْ الاقتصاد و... الخ فَإنَّ مثل هَذَا لَيْسَ تشتتاً؛ لِأنَّ التشتت هُوَ أنْ تقتصر فِی البحث الأخلاقی عَلَی جانب الأخلاق بما هِیَ أخلاق وتتمحّض بها فَإنَّ مثل هَذَا تشتت ولا ینفع البشریّه، وهکذا مِنْ التشتت هُوَ أنْ یتمحّض البحث العقائدی فِی التفسیر أو فِی المحاضره الوعظیّه والإرشادیّه لشریحه معیَّنه فِی الأُمَّه، فَإنَّ مثل هَذَا تشتت وَلَیْسَ بدواءٍ ناجع وکامل؛ لِأنَّ بحثک هَذَا فَقَطْ فِی المبحث الأخلاقی أو الإرشادی الوعظی أو الفقهی أو الاقتصادی أو... الخ، نظیر مَرْضی البشریّه عَلَی اختلاف أمراضهم سواء الروحیّه مِنْهَا أو العضویّه أو... الخ، ولذا نلاحظ کثیراً مِنْ المَرْضی یأخذون العلاج ولا یتشافون وَذَلِکَ إمَّا بسبب أنَّ الطَّبیب الذی شخَّص لَهُ العلاج نظر إلی المرض مِنْ زاویه وبُعْد أُحادی أو أنَّ نفس المریض لَمْ یلتزم بتمام ما فِی الوصفه مِنْ توصیات مِنْ الجوانب الأُخْرَی فِی الغذاء والنوم واللّباس والرَّاحه و... الخ.

کَذَلِکَ القُرآن والتفسیر فَإنَّهُ مأدبه الله فیه کُلّ ما یحتاج إلیه البشر کَمَا قَالَ رسول الله صلّی الله علیه و آله: «القُرآن مأدبه الله، فَتَعَلَّموا مأدَبَتَهُ ما استطعتم»(۱).

وکذا قوله صلّی الله علیه و آله: «إنْ أردتم عیش السعداء وموت الشهداء والنجاه یَوْم الحَشْرَه والظلّ یومَ الحرور، والهُدی یَوْم الضلاله فادرُسُوا القُرآن؛

۱- (۱) بحار الأنوار: ج ۹۲، ۱۹، ۱۸.

فَإِنَّهُ كلام الرحمن وحِرزُ الشَّيطان ورُجحانٌ فِى الميزان» (١) .

بتقريب: - إنَّ البـاحث فِى علوم القُرآن وتفسـيره عَلَيْهِ أنْ يأخـذ طبقـاً مِنْ تلـك المأدبه الإلهيه فيه مِنْ كُلّ باقه نوع وتناول غـذاءاً روحياً متكاملاً.

وَهُنَا ياتى دور قَاعدِه الذِّكر فَإِنَّها بصـيره فِى العلوم والمناهج وبالتالى فَهِىَ بصـيره مجموعيّه منظُوميّه مُهمّه، إلَّا أنَّ البشر يعجز عَنْ اكتشافهـا - أىّ قَاعـدِه الـذكر - فِى كُـلّ مجـال فَـإِنَّهُ مِنْ الصـعب اكتشاف إعجاز القُرآن فِى الأخلاق وإعجازه فِى العقائـد وفى البلاغه. وفى الصرف والنحو وفى كُلّ علوم الأدب، بَلْ وَحَتّى للقُرْآن إعجاز فِى صوت الأداء وأنَّ القُرآن لَهُ إعجاز فِى كُلّ مجال واكتشافه فِى قَاعدِه الذكر أمر صعب ولكن ما لا يدرك جُلَّهُ لا يترك كُلَّهُ.

١- (١) المصدر السابق نفسه.

أهم ثلاث مميزات لقاعده الذكر

والخلاصه: إنَّ قَاعدِه الذكر تميَّزت بما يلى: -

أوَّلاً: إنَّ قَاعـدِه الـذكر هِىَ موازنه منهجيه عظيمه عِنْدَ الباحث وَالمُفَسِّر المُنصِف فِى بحوث علوم القُرآن الكريم وتفسيره وباقى علوم الدِّين، وعلامه جدوائيّه البحث العلمى فِى التفسير هِىَ أنْ يُحْدِثَ التفسير ذكراً عِنْدَ صاحبه.

ثانيـاً: تفسير قَاعـدِه الـذكر بوصـله علاميّه تُبيِّن لنا ثرمومتر الصَّحه، فَهِىَ ترسم لك كيفيه التوغل فِى الفقه وكيفيه كتابه وتـدوين الرسـاله العمليه الفقهيه والعقائـديّه والأخلاقيّه الَّتِى يحتاجها كُلّ جيل، فَإنَّ كُلّ جيل يحتاج إلى تـدوين فقهى مُعيَّن وبلونٍ خاصّ يحتاج إلى تدوين أخلاقى وعقائدى خاصّ.

ثالثاً: وَعَلَيْهِ ما ذكره بَعْض الأكابر مِنْ أنّنا نحتاج فِى ظرف كُلّ عشـرين أو ثلاثين سـنه أو أكثر إلى تفسير للقرآن كَانَ فِى محلّه، وأنّنا نحتاج إلى تدوين فِى كُلّ العلوم بما يتناغم مَعَ ذَلِكَ الجيل لا أنْ يقتصر عَلَى خصوص ما كتبه الفقهاء والمُفسِّرين قبل أكثر مِنْ عشره قرون وما يتلائم مَعَ فتراتهم المتصرِّمه، أو ما كتبه عُلَمَاء الأخلاق والعقائد و... بما يتلائم

وحقبهم الزمانيّه بما يُلبى احتياجات مجتمعات ذَلِكَ الوقت وما أَثير فيها مِنْ شُبهات فكريّه وغيرها.

ولذا نحتاج اليوم رساله عمليه يكتبها الفقيه بأسلوب جديد فنّى معاصر يتلائم ومتطلبات العصر الحالى الذى نعيشه فِى ظل أنفجار معلوماتى فِى كُلّ العلوم وَعَلَى جميع الأصعده وما يحتاجه المجتمع البشرى كُلّ بحسب وقته.

ص:٣٧۶

القَاعِدَه السابعه:الأمثال فی القُرآن الکریم

اشاره

ص:۳۷۷

الفهرس الإجمالى لقاعده الأمثال

فِى القُرآن الكريم

* مقدمه.

* التلازم فِى قَاعدَِه الأمثال يقع فِى جهات:

الجهه الأولى: المعنى اللغوى والاصطلاحى.

الجهه الثَّانيه: مدرك قَاعدَِه الأمثال.

١ - الآيات. ٢ - الروايات.

* قراءه الأمثال بلغه عقليّه وفكريّه.

الجهه الثالثه: القُرآن الكريم اعتمد أُسلوب المثل مِنْ ضمن أساليب عديده اعتمدها كَمَا نبّهت عَلَيْهِ روايات أهل البيت عليهم السّلام.

الجهه الرابعه: ارتباط أُسلوب المثل بالتعريض.

الجهه الخامسه: المثل تمسيه واسم ولقب وتوصيف وعِبَرٌ وآيه...

* تنبيه وفيه أمران:

الجهه السادسه: العلاقه بين قاعدتى المثل، وَقَاعدَِه الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير، وأنَّ هَذِهِ الجهه مُرتبطه بنظام حقائق القُرآن الآتى بحثه.

الجهه السَّابعه: المَثَل منهج معرفى [أساليب القُرآن الثمانيه بُرهانيه وَلَيْسَ لمجرَّد إقناع].

* عُموم البُرهان لِكَلِّ العلوم وقِوى النفس.

* عموم الكشف البرهانى والشهود والبُرهان العيانى لِكُلِّ قِوى النفس.

الجهه الثامنه: الفرق بين ضرب المَثَل وجعل المَثَل، وصَرَّف المثل، ويضرب الأمثال.

الجهه التاسعه: حقيقه استعمال المَثَل فِى القُرآن الكريم والحقائق القرآنيه.

الجهه العاشره: لَيْسَ كمثله شىء.

الجهه الحادى عشره: الأوصاف القرآنيه للجنه حقائق أم تمثيل [مثل الجنه الَّتِى وعد المتقون فيها أنهار مِنْ ماءٍ غَيْر آسِنٍ...] سوره مُحمَّد/ ١٥.

* نظريه المثل ونظريه المعاد.

الجهه الثَّانيه عشر: إنَّ قصص الأنبياء والمُرسلين والمُصطفين مثل لآل مُحمَّد صلّى الله عليه و آله مِنْ القُرآن الكريم.

* بيان القُرآن لحقيقه عظيمه فِى قصص الأنبياء.

* نماذج التفضيل القرآنى لأهل البيت عليهم السّلام عَلَى بقيّه أنبياء أُولوا العزم.

* الأمثال عَلَى طبقات كَذَلِكَ الأسماء.

* حالات الأسماء.

* حقيقه الاسم الإلهى.

* الغرض مِنْ مبحث الأسماء.

* الروايات الَّتِى أكَّدت عَلَى أنَّ قصص القُرآن هِىَ ظهرٌ بطنه آل مُحمَّد صلّى الله عليه و آله.

* صله وطيده بين حقيقه الإمامه والولايه وحقيقه القُرآن وعلاقتها بقاعده الأمثال.

* صله قَاعدَه الأمثال بأقسام الوحى وأنواعه وأسراره.

* صله أنَّ للقُرْآن ظهر وبطن بمحث الأمثال.

الجهه الثالثه عشر: تقابل مثل أهل البيت عليهم السّلام وأعداؤهم فِى القُرآن.

الجهه الرابعه عشر: (فَأَهْلَكْنا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَ مَضى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ(٨) الزُخرُف/ ٨.

الجهه الخامسه عشر: المَثَلُ الأعلى ومَثَل السَوْء(لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ مَثَلُ السَّوْءِ وَ لِلّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) النحل / ۶۰.

الجهه السَّادسه عشره: السير فِى المعرفه لا ينتهى والرجوع والأَوْبه إلى الله لا تقف عِنْدَ حَدٍّ [إنَّ الذى لا يعتبر ولا يعبر بالمثال إلى ما وراء يَضِلُّ].

الجهه السَّابعه عشره: الثمره الكُبرى لقاعِدَه المثل.

ص:۳۸۱

القاعده السابعه: قاعده الأمثال

اشاره

فی القرآن الکریم(۱)

مقدمه:

إنَّ قَاعدَه الأمثال فِی القُرآن الکریم مِنْ القَوَاعِد التفسیریه المُهِمَّه والخطیره، ولها تداعیات کبیره ومُؤثِّره تلقی بظلالها عَلَی النتائج التفسیریه المُستخلصه مِنْ آیات القُرآن، وتندرج هَذِهِ القَاعِدَه فِی قَواعِد نظام المعنی لا فِی قَواعِد النظام المعنوی(۲) والنفسی أو النفسانی، وَهَـذَا ما یُعبّر عَنْهُ بالتفسیر الأنفسی فِی القُرآن، وَهَـذَا معناه أنَّ کُلّ طبقه مِنْ طبقات الإنسان بإمکانه أنْ یقرأها حسب طبقته، فمثلاً أحد طبقات الإنسان

۱- (۱) وستأتی فی الجهه الخامسه التعرُّض الی أن بعضهم یعنون هذه القاعده بعنوان آخر وهو قاعده العِبْرَه والأمثال... فانتظر.

۲- (۲) والفرق بین قواعد نظام المعنی، والنظام المعنوی هو: - أن الأوَّل - المعنی - هو معنی ذهنی یرتبط بنظام المعانی حسب بیانات أهل البیت علیهم السّلام، وإنْ کَانَ لها ارتباط بالألفاظ والاستعمال کأسلوب لفظی، کَمَا ذکره البلاغیون، ولکن هِیَ - قَاعدَه الأمثال - ألصق بعالم وعلم المعانی مِنْهَا مِنْ عالم الألفاظ، ولا یخفی أنَّ علم المعانی هُوَ أحد أقسام علم البلاغه - المعانی والبیان وا لبدیع. أمَّا المعانی: - فَهُوَ بالدقه علم مُرتبط بمعانی الألفاظ بغضّ النظر عَنْ قوالبها أیّ الألفاظ، وإنْ کَانَ یتناول شیئاً مِنْ الألفاظ. والبیان: فَهُوَ علم مزیج ومُرتبط بالألفاظ والمعانی. والبدیع: هُوَ لفظی بحتٌ، وإنْ کَانَ فیه شیء مِنْ المعنی.

العُلّيا: العقل فيمكن قراءه القُرآن بقراءه عقليّه، كَذَلِكَ أحد طبقات الإنسان السرُّ والذوق والقلب والنفس وغيرها؛ ولذا جاء التأكيد فِي الغايات وبيانات القُرآن عَلَى القراءه الأنفسيّه، والمشهد النفسانى، ولذا فَإنَّ النظم الَّتِى يمكن أنْ تُبْحَث قواعدها فِي القُرآن الكريم كثيره وبعدد طبقات وجود الإنسان.

والمَثَل مِنْ اللغات المنتشره انتشاراً وسيعاً فِي القُرآن، ولذا - فَمِنْ الضرورى معرفه قَواعِد هَذِهِ اللُّغَه كلغه معرفيه، لها أثرها البالغ عَلَى النتائج المعرفيه التفسيريه، وَمِنْ ثمَّ فهل لغه الأمثال لغه برهانيه، أو لغه إنشاء وفرض خيال، أو لغه تزويق أدبى، أو لغه إشاره وتلويح لا تَتَضَمَن أخبار وتحقيق فِي ما مُثِّل به، بَلْ فِي ما مُثِّلَ لَهُ؟.

وَقَدْ بيَّنت الآيات والروايات: أنَّ الذى لا يُراعى قَاعِدَه الأمثال فِي جمله سور وآيات القُرآن، لا يقف عَلَى مغازى القُرآن ومغزى آياته وَالمُرَاد الأصلى مِنْ السوره أو الآيه وَإنَّما يَكُون وقوفه عَلَيْهَا وقوفَ منحبس وساكنٍ عَلَى الظاهر مِنْ دون أنَّ يصل إلى الأعماق.

كَمَا وينبغى التنبيه والالتفات إلى أنَّ قَاعِدَه الأمثال ترتبط بالقراءه العقليه والفكريه للأمثال.

والتحليل والتأمُّل والترجمان العقلى - لعلهم يتفكرون، ولعلهم يعقلون، ولعلهم يتدبرون وغيرها، فَإنَّ العَقل يَعْبِرُ بالقارئ وَالمُفَسِّر للقُرْآن الكريم مِنْ مشهد تنزيلى إلى ما وراء وغايه أعظم، وهكذا إلى غايه

تأويليه أعظم.

المهم إنَّ هَذِهِ القَاعِدَه وإنْ كَانَ لها صله ببحث الألفاظ كأسلوب ومنهج فِى القُرآن الكريم إلَّا أنَّها أَلصق بعالم المعانى والمعنى.

ص:٣٨٥

الكلام فى قاعده الأمثال يقع فى جهات

الجهه الأولى: المعنى اللغوى والاصطلاحى:

لِكُلٍّ مِنْ:

* المِثْل * المَثَل * المِثال * المُثلُ * المُثْلَهُ * المَثُلَه، المَثِل * الأمثل * المُثْلى.

أوَّلًا: المِثْلُ لُغَةً: الميم والثاء واللام أصلٌ صحيح يَدُلُّ عَلَى مناظَرَهِ الشيءِ للشيء.

وَهَذَا مِثْلُ هَذَا أىّ نظيرُه، والمِثْلُ المِثال فِى مَعْنَى واحد(١).

قَالَ الفيومى فِى المصباح المنير: - المِثْل بالكسر: - كلمه تسويهٍ وَهِىَ عَلَى ثلاثه أوجه:

أ) بمعنى التشبيه.

ب) وبمعنى نفس الشيء وذاته.

ج -) وَقِيلَ بمعنى الشِبه(٢).

وجَمْعُ مِثْل: - أمثال:

١- (١) معجم مقاييس اللغه لابن فارس مادَّه (م ث ل).

٢- (٢) المصباح المنير للفيّومى.

والفرق بين المِثْل: أنَّ المثلَين ما تكافئا فِي الذات(١).

والفرق بين المِثْلُ النظير: - تَقَدَّمَ أنَّ المثلين ما تكافئا فِي الذات... والنظير ما قابل نظيره فِي جنس أفعاله وَهُوَ متمكن مِنْهَا، كالنحوى نظير النحوى، وإنْ لَمْ يكن لَهُ مثل كلامه فِي النحو، أو كتبه، ولا يُقَال: - النحَوى مِثْل النَحْوى؛ لِأَنَّ التماثل يَكُون حقيقه فِي أخصّ الأوصاف وَهُوَ الذات(٢).

ونقل الأزهرى عَنْ أبى عُبَيد، عَنْ الفرّاء: يُقَال: - مَثَلٌ ومِثْلٌ، وشَبَهٌ وشِبْهٌ بمعنى واحد(٣).

ومِثْل كلمهُ تسويه يُقَال هَذَا مِثْلُهُ ومَثَلُهُ، كَمَا يُقَال شِبْهَهُ وشَبَهُهُ (٤).

المِثْلُ اصطلاحاً: المُرَاد مِنْ المِثْل فِي المصطلح العقلى: - هُمَا الشيئان المندرجان فِي الماهيّه الجنسيّه فَيُقَال لهما مُتجانسان، أو ما اتّحد مَعَ الشيء فِي الماهيّه فِي نوعه وهويّته فَيُقَال لَهُ مُتماثل، أو هُوَ الفرد مِنْ طبيعه مُشابهه لفرد آخر مِنْ نفس الطبيعه، أو مِنْ صنفه، أو مِنْ نوعه، أو مِنْ جنسه، كُلّ ذَلِكَ يُعبَّر عَنْهُ (مِثْل) ويختلفان فِي الصِّفات الفرديه، فمثلاً الجماد مِثْل(٥) الإنسان فِي الجسميّه مَعَ أنَّهُ جنسٌ بعيد، وهكذا الإنسان مِثْل

١- (١) معجم الفروق اللغويه لأبى هلال العسكرى: ص ٤٨٠.

٢- (٢) المصدر السابق: ص ٤٨١.

٣- (٣) معجم تهذيب اللغه للأزهرى مادَّه (مثل) ص ٣٣٤١.

٤- (٤) لسان العرب لابن منظور: ج ٤، ص ٣٦٥٦.

٥- (٥) مِثْل على وَزْن فِعْل بكسر الفاء وسكون العين.

الحيوان - والعكس - فِی الغریزه الجنسیّه الحیوانیه، وکذا الإنسان مِثْل الحیوان فِی حُبّ أکل الطعام، وهکذا فِی سائر الغرائز الأُخْرَی، فتوجد بینهما مثلیّه.

وکذا المَلَک مِثْلُ الإنسان - والعکس - بأصل طبیعه العقل وَالرُّوح، فَإنَّ الإنسان فیه جنبه روح مِنْ النوع الملکوتی العالی، فإذا فَعَّلَها ونشَّطها مثلاً- یَکُون مِثل الرُّوح الأمری، وإنْ کَانَ هَـذَا لَیْسَ بمقدور کُلّ أفراد البشر، وَإنَّما بعضهم خاصّه مَنْ اصطفاهم واجتباهم، وَلَیْسَ الأمر بالسهل.

وهکذا الإنسان مثل النبات فِی النمو، فَمِثْلَما النبات ینمو کَذَلِکَ بدن الإنسان فِی نمو، ولذا مِثْل هَذِهِ الأُمور تذْکَر فِی قانون الطب القدیم؛ لِأنَّ الإنسان یماثل کثیر مِنْ الأجناس.

والخلاصه: فَإنَّ هَذَا کُلَّهُ یُعبِّرون عَنْهُ ب - (المِثْل) بالکسر فالسکون الذی هُوَ عباره عَنْ تشابه فردین تحت طبیعه ذاتیه واحده إمَّا مِنْ جانب النوع، أو الجنس أو الصنف.

وأمَّا قوله تَعَالَی(لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْ ءٌ) (۱) فَهِیَ مِنْ مُحکمات القُرآن، فالله تَعَالَی لَیْسَ بنوع ولا جنس ولا صنف، وَلَیْسَ فِی ذَاتَ الله تَعَالَی ترکب، ولا یشترک معه أحدٌ فِی الطبیعه والذات، فکمالاته لا تُحَدّ، وذاته

۱- (۱) سوره الشوری: الآیه ۱۱.

كَذَلِكَ لا تُحَدّ، وَإِلَّا كَانَ البارى ناقصاً تَعَالَى الله عَنْ ذَلِكَ علواً كبيراً؛ وَلَيْسَ لَهُ مِثل؛ لِأَنَّ المثل لابُدَّ لَهُ مِنْ توافق أمرين يوافقه فِى حدٍّ وفى مِثْلٍ، كذا وَرَدَ المثل فِى موردين فِى القُرآن الكريم:

الأوَّل: قوله تَعَالَى: (فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِنْ مِثْلِهِ) (۱).

الثَّانِى: قوله تَعَالَى: (فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِثْلِهِ) (۲).

بتقريب: إنَّهُ عَلَى تقدير كون (مِنْ) بيانيّه، فَإِنَّ مَعْنَى الآيتين يَكُون مُتقارباً، وأمَّا عَلَى تقدير (مِنْ) نشويه فَيَكُون محصل مَعْنَى الآيه المُبَارَكه: تحدّى السَّمَاء لهم بأنْ يأتوا بما دون مِثْل السوره، وَهُوَ الناشىء مِنْ المِثْل وإنْ لَمْ يكن عين المِثْل.

وقوله تَعَالَى: (فَبَعَثَ اللّهُ غُراباً يَبْحَثُ فِى الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِى سَوْأَهَ أَخِيهِ قالَ يا وَيْلَتى أَ عَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هـذَا الْغُرابِ فَأُوارِىَ سَوْأَهَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ النّادِمِينَ(۳۱) (۳).

بتقريب: إنَّ المطلوب هُوَ التمحيص فِى موارد التماثل بالفعل أو الماهيّه وَهَـذَا النوع يفتح باباً بأنَّ المِثْلَ بالكسر لا ينحصر بالاندراج بالماهيّه الواحده، بَلْ فيما كَانَ هُنَاك تشابه فِى مقام الفعل وصفاته.

۱- (۱) سوره البقره: الآيه ۲۳.

۲- (۲) سوره يونس: الآيه ۳۸.

۳- (۳) سوره المائده: الآيه ۳۱.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ مورد الآـيه هُوَ التشبيه بالمِثْل - بالكسر فالسكون - فِى مورد الفعل لا الذات مما يَدُلّ عَلَى توسّع المِثْل - بالكسر فالسكون - لذلك كَمَا وَرَدَ فِى أدعيه اليوم الثَّانِى والعشرون مِنْ كُلّ شهر[... لا حَدَّ لَهُ، وَلابُدَّ لَهُ ولا شبيه لَهُ، ولا ضِدَّ لَهُ، ولا حدود لَهُ ولا كفؤ لَهُ، ولا كُنهَ لَهُ، ولا مِثْلَ لَهُ، ولا شريك لَهُ فِى ملكه، ولا وزير لَهُ و...](١).

كَذَلِكَ ما وَرَدَ فِى باب أعمال خصوص يَوُم عرفه وليلتها[... لا ضِدَّ لَهُ وَلانِدَّ لَهُ ولا وَلَدَ لَهُ، ولا سَمِى لَهُ ولا كفؤ لَهُ، ولا قريب لَهُ ولا شبيه لَهُ ولا نظير، ولا مُبَدِّل لكلماته، ولا يبلغ شىء مبلغه، ولا يقدر شىء قدرته، ولا يُدْرك شىء أحرزه، ولا يحولُ دونه شىء...](٢).

وما وَرَدَ فِى هذين الخبرين ضروبٌ مِنْ المِثْل العقلى فِى الأجناس، أو الانواع، أو فِى العوارض العارضه عَلَى الماهيّه، أو الوجود الخارجى، والجامع بين هَذِهِ الأنواع هُوَ تقرير الماهيّه للشىء فيتماثل معها فِى أحد درجاتها، كَمَا وَرَدَ فِى خطبه أمير المؤمنين عليه السّلام: «ما وَحَّده مَنْ كيَّفَه، ولا حقيقته أصاب مَنْ مَثَّلَه، ولا إيّاه عَنَى مَنْ شَبَّهَه، ولا صَمَده مَنْ أشار إليه وتوهّمه»(٣).

وَعَنْ الإمام زين العابدين عليه السّلام: «والصَمَدُ الذى أبدع الأشياءَ

١- (١) بحار الأنوار: ج ٩۴ / باب أعمال أيام مطلق الشهر وليالیه: ص ٢۶٩.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٩۵، باب أعمال خصوص يوم عرفه وليلتها: ص ٢٢٩.

٣- (٣) بحار الأنوار: ج ٧۴، باب خطبه المعروفه: ص ٣١٠.

فَخَلَقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً، وتَفَرَّدَ بالوحَدهِ بلا ضِدٍّ ولا شَكْلٍ ولا مِثْلٍ ولا نِدٍّ» (۱) .

ثانياً: المَثَل بفتحتين لُغَةً: ذكر ابن فارس فِی مقاييسه أنَّ المَثَل: المِثْل أيضاً، كَشَبَه وشِبْه، والمثَل المَضروب مأخوذ مِنْ هَذَا؛ لِإنَّهُ يُذْكر مورداً به عَنْ مِثلهِ فِی المعنی(۲).

والمَثَل بالتحريك: الصفه، قَالَ الله تَعَالَی: (مَثَلُ الْجَنَّهِ الَّتِی وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) (۳).

أیّ صفه الجنَّه، وقولك: ضربتُ لفلان مثلاً معناه أنَّكَ وصفت لَهُ شيئاً، وقولك: مَثَل هَذَا كمثَلِ هَذَا أیّ صفتُه كصفَتِهِ، وَقَالَ الله تَعَالَی: (كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً) (۴) وحاملوا التوراه لا يماثلون الحمار ولكنَّ جمعهم وإيّاه صفه فاشتركوا فيها(۵) ومَثَل الشیء أيضاً صفته(مَثَلُ الْجَنَّهِ الَّتِی وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) (۶) والمَثَل: - الحديث نَفْسُه(۷) والمَثَل بمعنی الوصف وضَرَبَ الله مَثَلاً أیّ وصفاً...

۱- (۱) التوحيد للصدوق: ص ۴۸ /ح ۴.

۲- (۲) معجم مقاييس اللغه لابن فارس مادّه - مثل - ج ۶، ص ۲۹۶.

۳- (۳) سوره الشوری: الآيه ۱۱.

۴- (۴) سوره الجمعه: الآيه ۵.

۵- (۵) معجم الفروق اللغويه لأبی هلال العسكری: ص ۴۸۰.

۶- (۶) الجوهری فی صحاحه مادّه - مثل -.

۷- (۷) معجم تهذيب اللغه.

قَالَ ابنُ السكيت: - المَثَلُ: - لفظٌ يُخالِفُ لفظَ المضروب لَهُ، ويوافق معناه مَعْنَى ذَلِكَ اللَّفْظ، شبَّهُوه بالمثال الذى يُعْمَلُ عَلَيْهِ غيرُه، وسُمِّيت الحِكَمُ القائمُ صدقُها فِى العقول أمثالاً لانتصاب صُوَرِها فِى العقول، مشتقةً مِنْ المثول الذى هُوَ الانتصاب.

وَقَالَ إبراهيم النظّام: - يجتمع فِى المَثَلِ أربع لا تجتمع فِى غيره مِنْ الكلام: إيجازُ اللفظِ، وإصابه المعنى، وحُسْنِ التشبيه، وجَوْدَه الكتابه، فَهُوَ نهايه البلاغه والمَثَل بفتحتين والمَثيل وزان كريم كَذَلِكَ، والمَثَل بمعنى الوصف(وَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً) أىّ وصفاً.

وَقَالَ الميدانى فِى مجمع أمثاله(1) أربعه أحرف سُمِعَ فيها فِعْلٌ وفَعَلٌ، وَهِىَ: - مِثْلَ ومَثَلَ، وشبْه وشَبَه، وبَدْلُ وبَدَل، ونِكْلٌ ونَكَلٌ، فمَثَلُ الشىء ومِثْلُه وشَبَهُه وشِبْهَهُ ما يماثله ويُشابهه قدراً وصفهً، ويَدَلُ الشىء وبِدْلُه غيرُه، ورَجُلٌ نكَلٌ ونِكْل للذى ينكل بدا عداؤه.

وفعيلٌ لغهٌ فِى ثلاثهٍ مِنْ هَذِهِ الأربعه، يُقَال: - مَثيلُه وشبيهه وبَديلُه ولا يُقَال نكيلُه، فالمَثَلُ ما يُمَثَّلُ به الشىء أىّ يُشَبَّه، كالنَكَلَ مِنْ يُنَكَّلُ به عدوّه، غَيْر أنَّ المِثْل لا يوضع فِى موضع هَذَا المَثَل، وإنْ كَانَ المَثَل يوضَعُ موضعه، فَصَارَ المَثَل اسماً مُصَرحاً لهذا الذى يُضْرَب ثمَّ يُرَدُّ إلى أصله الذى كَانَ لَهُ مِنْ الصِّفَه؛ فَيُقَال: مَثَلُكَ، ومَثَلُ فلان أىّ صفتكَ وصفته،

١- (١) مجمع الأمثال للميدانى: ج ١، ص ٧٠-٧١.

وَمِنْهُ قوله تَعَالَى: (مَثَلُ الْجَنَّهِ الَّتِی وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) (۱) أیّ صفتها، ولشِدَّهِ امتزاج مَعْنَی الصفه به صَحَّ أنْ یُقَال: - جعلتُ زیداً مَثَلًا، والقومُ أمثالًا، وَمِنْهُ قوله تَعَالَی(ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ) (۲) أیّ جعل القوم أنفسهم مَثَلًا فِی أحد القولین(۳).

وجاءت کلمه المَثَل فِی القُرآن عَلَی عِدَّه وجوه: -

الوجه الأوَّل: المَثَل بمعنی الشبه، کقوله تَعَالَی: (وَ تِلْکَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ) (۴) أیّ نَصِفُها، وقوله تَعَالَی: (ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا) (۵) یعنی: وَصَف الله شبهاً، وقوله تَعَالَی: (ذلِکَ مَثَلُهُمْ فِی التَّوْراهِ وَ مَثَلُهُمْ فِی الْإِنْجِیلِ) (۶).

الوجه الثَّانِی: المَثَل بمعنی سُنَنٌ، کقوله تَعَالَی: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّهَ وَ لَمّا یَأْتِکُمْ مَثَلُ الَّذِینَ) (۷) یعنی سُنَنَ الَّذِیْنَ مِنْ قبلکم مِنْ الملأ، یعنی مؤمنی الأمم الخالیه، وقوله تَعَالَی: (وَ مَضی مَثَلُ الْأَوَّلِینَ) (۸) یعنی سُنن

۱- (۱) سوره الرعد: الآیه ۳۵.

۲- (۲) سوره الأعراف: الآیه ۱۰.

۳- (۳) المصباح المنیر للفیومی: ص ۴۳۸، مادَّه - مثل -.

۴- (۴) سوره الحشر: الآیه ۲۱.

۵- (۵) سوره النحل: الآیه ۷۵.

۶- (۶) سوره الفتح: الآیه ۲۹.

۷- (۷) سوره البقره: الآیه ۳۰.

۸- (۸) سوره الزخرف: الآیه ۸.

الأولين، وقوله تَعَالَى: (وَ لَمّا يَأْتِكَمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكَمْ) (۱) يعنى سنن العذاب مِنْ الأمم الخاليه.

الوجه الثَّالِث: بمعنى عِبْرَه، قوله تَعَالَى: (إِنْ هُوَ إِلاّ عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَ جَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنِى إِسْرائِيلَ(۵۹) (۲) يعنى عِبْرَه.

الوجه الرَّابع: بمعنى العذاب كقوله تعالى: (وَ كُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ) (۳) يعنى: وصَفْنا لكم العذاب إنه نازِلٌ بهم فى الدُّنيا، يعنى الأمم الخاليه.

والمَثَل والمَثِلُ: كالمِثْل والجمع أمثال(۴).

وأما المَثَل: جمع أمثال، وهو بالأصل بمعنى نظير(۵).

وهكذا وَرَدَ (المَثَل) فِى إعمال قدره الله تَعَالَى فِى خلقه كَمَا فِى قوله تَعَالَى(إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ) (۶) ، أىّ المَثَل بالفتح، وَلَمْ يرد التعبير بالكسر فِى الآيه المُبَارَكه أو التعبير مَثَل آدم - أو مَثَل عيسى إلى آدم؛ وَذَلِكَ فيه احتمالات لِأَنَّ الكلام فِى الآيه حول قدره الله تَعَالَى فِى عيسى عليه السّلام فَيَكُون شأن عيسى عليه السّلام مَثَلٌ - بالفتح - لِقُدْره الله تَعَالَى، وَمِنْ ثمَّ قُيِّدَ المَثَل - بالفتح - عِنْدَ الله

۱- (۱) سوره البقره: لاآيه ۲۱۴.

۲- (۲) سوره الزخرف: الآيه ۵۹.

۳- (۳) سوره الفرقان: الآيه ۳۹.

۴- (۴) لسان العرب: مادّه مثل.

۵- (۵) مجمع البحرين للعلّامه الطريحى قدّس سرّه مادّه - مَثَل -.

۶- (۶) سوره آل عمران: الآيه ۵۹.

لأجل التشبيه بين فعل الله وقدرته فِي الموردين - مورد آدم ومورد عيسى.

المَثَلُ اصطلاحاً: هُوَ عباره عَنْ الآيه والتجلّى، بظهور، ويُطلق - المَثَلُ عَلَى المعلول بالإضافه إلى علّته، فَإِنَّهُ لا يُشارك علّته فِي ماهيّه، ولكنّه حاكى عَنْ كمال علّته فَيُطلق عَلَى الرقيقه الحاكيه عَنْ كمال الحقيقه، وَعَلَى الآيه بالنسبه إلى ذى الآيه، والوجود القائم بغيره، أىّ الوجود الحرفى، وتقدم أنَّ المَثَل لَهُ مُرادفات عقليه عديده، وسيأتى المزيد فِي موضعه المُنَاسِب، ويُقَرِّر القُرآن الكريم ثبوت المَثَل(وَ لِلّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١) ، بتقريب: - أنَّ المَثَل عَلَى درجات ولا يُحْمد ويُنحبس عَلَى مورد المثل، بَلْ يتعدّى إلى ما وراءه وَهُوَ الأعظم نظير(وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ أَكْبَرُ) (٢) هَذَا مُضَافَاً إلى أنَّ الآيه المُبَارَكه وَرَدَ بها التعبير بصيغه المفرد لا الجمع حَيْثُ عبَّرت [المثل الأعلى] وَلَمْ تعبِّر [ولله الأمثال] فما هُوَ السِّر فِي هَذَا التعبير؟

هل المقصود مِنْ (المَثَل) أىّ جنس المَثَل أم شىء آخر؟ وسيأتى التعرُّض لهذه النكته تحت عنوان [الغرض مِنْ مبحث الأسماء].

ثمَّ أنَّ القُرآن الكريم يذكر لِكُلِّ شىءٍ مثلاً وَلَمْ يعبِّر لله كَمَا فِي قوله تَعَالَى(وَ يَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ) بينما هُنَا عَبَّر [ولله الأمثال].

١- (١) سوره النحل: الآيه ٦٠.

٢- (٢) سوره التوبه: الآيه ٧٢.

وقوله تَعَالَى: (وَ مَضى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ) (۱) فسَّرها صاحب مجمع البيان العلّامه الطبرسى قدّس سرّه بشِبْه حال الأولين، وكذا قوله تَعَالَى(وَ لَمّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) (۲).

وَهَذَا نظير(وَ لِلّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى) (۳)بتقريب: - فَإنَّ للأسم وللمثل وللآيه وللتجلّى مَعْنَى واحد أو مُتقارب، ولا ربط للمَثَل بالتوافق بين شيئين فِى حَدٍّ، وَإنَّما المَثَل هُوَ تجلّى لصاحبه، أو هُوَ الشىء الذى لا يشترك مَعَ الشىء المَمَثَّل لَهُ فِى النوع أو الجنس.

والمَثَل لَيْسَ فَقَطْ مقابل المِثْل وَإنَّما يجرى المَثَل فِى القِصَّه والقصص، وأنَّ القصص الَّتِى ذُكِرت فِى القُرآن الكريم هِىَ مَثَلٌ، وأنَّ الغايه مِنْ القصَّه - كَمَا مَرَّ - فِى القُرآن هِىَ العبور إلى الغير.

كَذَلِكَ الغايه مِنْ الأمثال فِى القُرآن هِىَ العِبْرَه والعبور إلى الغير، والترجمان فَإنَّ المَثَل ترجمان للمُمثل لَهُ.

إذَنْ هُنَاك ترابط وتلازم بين بحث القصَّه والأمثال والمَثَل والعبور والتذكّر والترجمان.

ثالثاً: المثال لغةً: والمِثْل والمِثالُ فِى معنىً واحداً(۴) وجمع المثال أمْثِلَهٌ،

۱- (۱) سوره الزُّخرف: الآيه ۸.

۲- (۲) سوره البقره: الآيه ۲۱۴.

۳- (۳) سوره الأعراف: الآيه ۱۸۰.

۴- (۴) معجم المقاييس لابن فارس: ج ۵.

والمثال: الفِراشُ والجمع مُثُل وَهُوَ شيء يُماثل ما تحته أو فوقه.

والمِثال: بالكسر اسمٌ مِنْ ماثَلَهُ مُماثَلةً إذَا شابَهَهُ، وَقَدْ استعمل الناس (المِثال) بمعنى الوصف والصوره، فقالوا: مِثالُهُ كذا أيّ وَصْفَهُ وصورتُهُ، والجمع أَمْثِلَةٌ (١).

والفرق بين المِثْل والمِثال: المِثْل: هُوَ المشارك فِي تمام الحقيقه، ولذا نُفى عَنْ الله - سُبْحَانَهُ - المِثل كَمَا قَالَ: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (٢) والمِثال: المشارك فِي بَعْض الأغراض، فَإنَّ الإنسان المنقَش فِي الجدار، مثال للإنسان الطبيعى لمشاركته فِي المقدار، والجهه ونحوه، وَلَيْسَ مثلاً لَهُ (٣).

والمِثال: صفه المقدار، والقصاص، والشيء، والفراش ينام عَلَيْهِ يُقَال«فِي البيت مثالٌ رثٌّ» أيّ فراشٌ خلق، وجمع المثال: أمثِلَةٌ ومُثُلٌ ومُثْل(٤) ، والمثال: المقدار وَهُوَ مِنْ الشِّبْه(٥) القالب الذى يُقَدَّر عَلَى مثله صفه الشيء وصورته(٦).

اصطلاحاً: المِثال:

١- (١) المصباح المنير للفيّومى، مادّه - مثل -.

٢- (٢) سوره الشورى: الآيه ١١.

٣- (٣) معجم الفروق اللغويه لأبى هلال العسكرى: ص ٤٨٠.

٤- (٤) أقرب الموارد للشرتونى، مادّه - مثل -.

٥- (٥) لسان العرب لابن منظور، مادّه - مثل -.

٦- (٦) معجم متن اللغه للشيخ محمد رضا، مادّه - مثل - بتصرف.

رابعاً المُثُل لُغةً: هُوَ جمع المثال: والجمع: أمثِلَه ومُثُل(۱).

وَقَدْ وَرَدَ فِی نهج البلاغه، قَالَ أمیر المؤمنین علیه السّلام: «واعلم أنَّ لِکُلِّ ظاهر باطناً عَلَی مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه...» (نهج البلاغه).

واصطلاحاً:

خامساً: المُثْلَهُ: یُقَال: مَثَّلَ بالرَجِلِ یَمْثَل مَثْلاً ومُثْلَهً - الاخیره عَنْ ابن الإعرابی - ومَثَّلَ کلاهما: نکَّل به، وَهِیَ المَثُلَه والمُثْلهُ، قَالَ الزجَّاج: الضمَّه فیها عِوَضٌ مِنْ الحذف(۲)، والمُثلَه اسم وزان غُرْفه، من الفِعل مَثَلْتُ بالقتیل مَثْلاً من باب قَتَلَ وضَرَب إذا جَدَعْتَهُ وَظَهَرَت آثارُ فِعْلک علیه تنکیلاً والتشدید مُبالغه(۲).

المُثلَهُ: - بالضّم: التنکیل أو آفه من قولهم (فلانٌ مُثْلَهٌ فی الخیر والشر) أی عَجَبٌ وآفه، وَهَذَا کَمَا یُقَال لمن کَانَ عَلَی هَذِهِ الصِّفه فتنه وداهیه، واسم مِنْ مَثَل به إذَا نُکِّلَ به(۳) والعَرَبُ تقول العقوبه: - مَثُلَهً، ومُثْلَه؛ فَمَنْ قَالَ (مَثُلَهً) جمعها عَلَی مَثْلات، وَمَنْ قَالَ: (مُثْلَهً) جمعها عَلَی مُثُلات ومُثَلات ومُثْلات(۴) والمُثْلَهُ والمُثُلَ: التشنیع والتشویه فِی العقوبه:

۱- (۱) لسان العرب لابن منظور مادّه - مثل -.

۲- (۲) المصباح المنیر للفیّومی، بتصرّف.

۳- (۳) أقرب الموارد مادّه - مثل -.

۴- (۴) معجم تهذیب اللغه للأزهری.

التنكيل، تُجْمَع عَلَى مُثُلات ومَثَلات ومَثُلات(۱).

سادساً: المَثُلَه: - العقوبه، يُقَال: حَلَّتْ به المَثُلَه، وما أصابَ القرون الماضيه مِنْ العذاب وَهِيَ عِبَرٌ يُعتبرُ بها والجمعُ مَثُلات(۲).

سابعاً: المَثيل: الشِبْه والنظير والفاضل، جمع مُثُل، والمَثيل تصغير المِثْل(۳) الشبيه والنظير والفاضل فِي قومه(۴).

ثامناً: الأَمثْل: - الأفضل فِي قومه أو الأشبه بالأفاضل، الادنى عَنْ الخير يجمع، أماثِل ومُثُل، وجاء فِي الحديث فِي جمعه: المياثل(۵) ذو الفضل الذى يَسْتَحق أنْ يُقَال لَهُ، هُوَ أَمْثَل قومه(۶) كالأَفْضَل زِنَةً ومعنىً و (زيد أَمْثَلَ مِنْ عمرٍو) أىّ: أفْضَل، و (هَذَا أَمْثَل قومه) أىّ أَفْضَلهم، قِيلَ هُوَ فِي الأصل بمعنى الأشبه، يُقَال هُوَ أَمْثَلُ بالأفاضل كَمَا يُقَال أشبه بالأفاضل، ثمَّ كثُر استعماله فصار بمعنى الأفضل وصُرِّف مِنْهُ فعلٌ، مؤنثه - الأمثل - مُثلى، تجمع أمَاثِل(۷).

تاسعاً: المُثْلَى: قَالَ الأخفش: - المُثْلَى تأنيث: - الأَمثَل، والطريقةُ

۱- (۱) معجم متن اللغه للشيخ محمد رضا.

۲- (۲) أقرب الموارد مادّه - مثل -.

۳- (۳) المصدر السابق.

۴- (۴) معجم متن اللغه للشيخ محمد رضا.

۵- (۵) معجم متن اللغه للشيخ محمد رضا.

۶- (۶) معجم تهذيب اللغه للأزهرى.

۷- (۷) أقرب الموارد للشرتونى اللبنانى بتصرف.

المُثْلَى أىّ الشبهى بالحق(۱) مؤنث الأمثل، والطريقه المُثْلَى الَّتِى هِىَ أشبه بالحق، وَالَّتِى هِىَ أعدل(۲)(بِطَرِيقَتِكَمُ الْمُثْلى) (۳)بتقريب: - إنَّ المُثْلى هُوَ الأشبه بالأفاضل والأقرب إلى الخير.

الجهه الثَّانيه: نذكر فيها أمرين:

اشاره

الأوَّل: الفرق بين المِثْل والمَثَل والمثال - حسب الاصطلاح.

الثَّانِى: مدرك القَاعِدَه، الآيات والروايات:

الأمر الأوَّل: الفرق الاصطلاحى بين: المِثْل والمَثَل والمثال.

المِثْل فِى المصطلح العقلى: - هُوَ الفرد مِنْ طبيعه مُتشابهه لفرد آخر مِنْ نفس الطبيعه أو مِنْ صنفه أو مِنْ نوعه أو مِنْ جنسه ويختلفان فِى الصفاه الفرديه(۴).

المَثَل اصطلاحاً: هُوَ الآيه والتجلّى والظهور، وَقَدْ قرّرها القُرآن الكريم ثبوت المَثَل(وَ لِلّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى) (۵).

الأمر الثَّانِى: مدرك القَاعِدَه مِنْ الآيات والروايات:

أمَّا الآيات كقوله تَعَالَى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْ ءٌ) (۶)بتقريب: - إنَّ

۱- (۱) معجم تهذيب اللغه للأزهرى.

۲- (۲) معجم متن اللغه، محمد رضا:

۳- (۳) سوره طه: الآيه ۶۳.

۴- (۴) تقدَّم تعريف المِثْل اصطلاحاً.

۵- (۵) تقدم مُفصَّلاً فى تعريف المَثَل اصطلاحاً.

۶- (۶) سوره الشورى: الآيه ۱۱.

هَـذِهِ الآـيه مِنْ مُحكمـات القُرآن، وأنَّ الله تَعَـالَى لَيْسَ بنوع ولا جنس ولا صـنف، وَلَيْسَ فِى ذاته تَعَالَى تركب، ولا يشترك معه أحَـدٌ فِى الطبيعه والـذات، فَكَمَالاـته تَعَـالَى تُحَـدّ وذاته لاـ تحـدُّ كَـذَلِكَ، وَإلَّا كَانَ البارى ناقصاً تَعَالَى الله عَنْ ذَلِكَ علواً كبيراً، وَلَيْسَ لَهُ مِثْل؛ لِأنَّ المِثْل لابُدَّ لَهُ مِنْ توافق أمرين: يوافقه فِى حَدٍ وفى مثلٍ.

وَوَرَدَ فِى الأدعيه: «لا حَدَّ لَهُ، ولا نِدَّ لَهُ، ولا شبيه لَهُ، ولا ضِدَّ لَهُ، ولا حدود لَهُ، ولا كفواً لَهُ، ولا كنه لَهُ، ولا مِثْل لَهُ، ولا شريك لَهُ فِى ملكه، ولا وزير لَهُ و...»(۱).

وَوَرَدَ«... لا ضِـدَّ لَهُ، ولا نِـدَّ لَهُ، ولا وَلَـدَ لَهُ، ولا سَـمِىَّ لَهُ، ولا كفو لَهُ، ولا قريب لَهُ، ولا شبيه لَهُ، ولا نظير، ولا مُبَدِّل لكلماته، ولا يَبْلُغ شيء مَبْلَغه، ولا بقدر شيء قدرته، ولا يُدْرك شيء أحرزه، ولا يحولُ دونه شيء...»(۲).

ومـا وَرَدَ فِى هـذين الخـبرين ضـروب مِنْ المِثْـل العقلى فِى الأجنـاس، أو الأـنواع، أو العوارض العـارضه عَلَى المـاهيّه أو الوجود الخـارجى، والجـامع بين هَـذِهِ الأـنواع هُوَ تقرير الماهيّه للشـيء فيتماثل معها فِى أحـد درجاتها، كَمَا وَرَدَ فِى خطبه أمير المؤمنين عليه السّلام: «ما وَحَّدَه مَنْ كَيَّفَهُ، ولا حقيقته أصاب مَنْ مَثَّلَه، ولا إيّاه عَنى مَنْ شَبَّهَهُ، ولا صَمَده مَنْ أشار إليه

۱- (۱) بحار الأنوار: ج ۹۴، باب أعمال أيام مطلق الشهور ولياليه: ص ۲۶۹.

۲- (۲) بحار الأنوار: ج ۹۵، باب أعمال خصوص يوم عرفه وليلتها ص ۲۲۹.

وتوهَّمه» (۱) .

وَعَنْ الإمام زين العابدين عليه السّلام: «والصمَدُ الذى أبدعَ الأشياء فَخَلَقَها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً، وتَفَرَّدَ بالوِحْدَه بلا ضِدٍّ، ولا شَكْلٍ ولا مِثْلٍ ولا نِدٍّ»(۲).

وكقوله تَعَالَى: (وَ لِلّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (۳).

وقوله تَعَالَى: (وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (۴).

وقوله تَعَالَى: (وَ يَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (۵).

وقوله تَعَالَى: (وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ(۴۳) (۶).

بتقريب: - مضمون هَذِهِ الآيات المُبَارَكه تشير إلى:

أوَّلاً: فَمِنْ جانب أنَّ الله تَعَالَى ينفى أنْ يَكُون لَهُ مِثْل - بكسر فسكون - بينما يُثبت لَهُ تَعَالَى المَثَل - بفتحتين.

ثانياً: يُسْنِد تَعَالَى لنفسه ضَرْب الأمثال، وأنَّ الغايه مِنْهَا هُوَ التفكُّر، ثمَّ التعقُّل ثمَّ التذكُّر.

۱- (۱) بحار الأنوار: ج ۷۴، باب خطبه المعروفه: ص ۳۱۰.

۲- (۲) التوحيد للصدوق: ص ۴۸ /ح ۴.

۳- (۳) سوره النحل: الآيه ۶۰.

۴- (۴) سوره الروم: الآيه ۲۷.

۵- (۵) سوره إبراهيم: الآيه ۲۵.

۶- (۶) سوره العنكبوت: الآيه ۴۳.

ثالثاً: ينفى الله تَعَالَى قدره البشر أنْ يضربوا الأمثال لله تَعَالَى، فَقَالَ تَعَالَى: (فَلا تَضْرِبُوا لِلّهِ الْأَمْثالَ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ(۷۴) (۱) ، بَلْ نفى قدره البشر أنْ يضربوا الأمثال لسيِّد الأنبياء، فنفى عنهم إمكانيه القدره عَلَى ذَلِكَ، فكيف تكون لهم إمكانيه ضرب الأمثال لله تَعَالَى، وسيأتى مزيد توضيح حول هَذِهِ الآيه، بَعْدَ قليل فانتظر.

وَقَالَ تَعَالَى: (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً(۴۸) (۲).

رابعاً: وَمِنْ النقطه السابقه يتبيّن أنَّ القدره عَلَى معرفه المَثَل والأمْثال ينطوى عَلَى علم بحقائق الأشياء، وأنَّ لُغَه الأَمْثال والمَثَل ليست لغه خطابيه، بَلْ هِيَ لُغَهٌ بُرهانيه.

خامساً: إنَّ المَثَل - بفتحتين - مرادفٌ عقلاً لمعنى الآيه والاسم، وإنْ لَمْ يكن مُرَادفاً لَهُ لُغَةً، وَمِنْ ثَمَّ يتبيّن أنَّ هُنَاك مُرادفات عقليه كثيره للمَثَل كالحرف والكلمه والدالّ والتجلّى والظهور والاسم والنعت والوصف والإشاره والظهور والآيه وغيرها مِنْ المُرادفات العقليّه، وَمِنْ ثَمَّ يتّضح أكثرفأكثر اشتراك حِكْمَه المثل مَعَ أحكام المُرادفات لها، فَكَمَا أنَّ الأسماء توقيفيّه وتوقيتيّه فكذلك لا يُضرَب لله المَثَل والأمثال، بَلْ هُوَ لَهُ تَعَالَى أنْ يتّخذ المَثَل الأعلى لنفسه كَمَا هُوَ الحال فِي الصِّفات فِي قوله تَعَالَى:

۱- (۱) سوره النحل: الآيه ۷۴.

۲- (۲) ذكرت الآيه فى موضعين فى الإسراء: ۴۸، والفرقان: ۳۹.

(سُبْحانَ اللّهِ عَمّا يَصِفُونَ(۹۱) (۱) ، وقوله تعالى(سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يَصِفُونَ) (۲) وقوله تَعَالَى: (سُبْحانَ اللّهِ عَمّا يَصِفُونَ(۹۱) (۳) وقوله تَعَالَى: (سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّهِ عَمّا يَصِفُونَ(۱۸۰) (۴) وقوله تَعَالَى: (سُبْحانَ رَبِّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ(۸۲) (۵).

سادساً: حيث تبيَّن ممّا تقدّم ترادف المَثَل والأمثال مع الأسماء والآيات، تبيّن من ذلك أن المثل له تأويل، وله تعبير مترامى الى بطون عديده، وَمِنْ ثَمَّ يحتاج التدبُّر فِي المَثَل والأمثال إلى تَعَقُّل وتفكُّر، فإذا تَمَّ الوصول إلى مقامات البطون ومنازل المعانى التأويليّه حصل للإنسان درجات مِنْ الذكر والتذكّر، وَمِنْ ذَلِكَ تبيَّن أنَّ المَثَل والأمثال درجات وطبقات مُترامیه ومتعاقبه طولاً ورتبهً، وبحذاء ذَلِكَ وموازاته تترامى درجات التعقُّب للأمثال ودرجات الذكر والتذكُّر.

ويتعدَّد التأويل والتعبير والعبور(وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ) (۶).

بتقريب: - المُرَاد (مِنْ تأويل الأحاديث) أىّ مِنْ تعبير الرؤيا، تسمّى التعبير تأويلاً، لِإنَّهُ يؤول أمرُه إلى ما رأى فِي المنام، وسُمّى الرؤيا

۱- (۱) سوره المؤمنون: الآيه ۹۱.

۲- (۲) سوره الأنعام: الآيه ۱۰۰.

۳- (۳) سوره الصَّافات: الآيه ۱۵۹.

۴- (۴) سوره الصَّافات: الآيه ۱۸۰.

۵- (۵) سوره الزُّخرُف: الآيه ۸۲.

۶- (۶) سوره يوسف: الآيه ۶.

أحاديث لأنَّها أحاديث تلك الرؤيا إنْ كَانَتْ صادقه، وأحاديث النفس والشيطان إنْ كَانَتْ كاذبه(۱) أو مِنْ تأويل غوامض كتب الله تَعَالَى، وسنن الأنبياء، وكلمات الحُكماء، ويمكن إرجاع تعبير الرؤيا إلى الأصل، فَإنَّ النَّوم أحاديث النفس إمَّا ملكيه أو شيطانيّه، ويمكن أنْ يَكُون المُرَاد بالأحاديث مطلق أحاديث النفس، وخطوراتها أعم مِنْ النَّوم واليقظه، وتأويلها هُوَ الانتقال إلى ما يرتبط بها مِنْ الحوادث؛ فَإنَّ عامّه الحوادث مرتبطه بعضها ببعض(۲) وَقِيلَ المُرَاد مِنْ تأويل الاحاديث: أيّ تعبير الرُّؤيا، لِأنَّ يوسف عليه السّلام قَدْ بلغ الغايه فِي تفسيرها ومعرفه مآلها، ولكن ظاهر اللَّفْظ أعم مِنْ ذَلِكَ، والأنسب بنبوَّه يوسف عليه السّلام أنْ يَكُون تأويل الأحاديث كنايه عَنْ معرفه الحقائق، وأنَّ الله سُبْحَانَهُ سيعلمه ما لَمْ يكن يعلم(۳).

وَمِنْ كُلّ هَذَا يتلخَّص أنَّ التأويل هُوَ إرجاع الشيء، ونتيجه ومآل كُلّ عمل أو حديث تصل إلى الغايه والهدف النهايه تسمّى تأويل، وتحقّق الرؤيا فِي الخارج مصداق للتأويل.

وقوله تَعَالَى: (فَلا تَضْرِبُوا لِلّهِ الْأَمْثالَ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ(۷۴) (۴).

۱- (۱) زبده التفاسير، للفيض الكاشانى: ج ۳، ص ۳۴۱.

۲- (۲) تفسير البيان، لِلْسَّيِّد العلّامه الطباطبائى: ج ۶، ص ۲۳.

۳- (۳) التفسير الكاشف، مُحمَّد جواد مغنيه: ج ۴، ص ۲۸۹.

۴- (۴) سوره النحل: الآيه ۷۴.

بتقريب: - إنَّ لَيْسَ هُنَا نفى الأمثال لله امتناعاً ذاتيّاً، وَإنَّما نفى علم البشر والخَلْق بأمثال الله، بمعنى أنَّ الله تَعَالَى مالِكٌ للأمثال، ويتّضح مِنْ هَذَا المعنى إذَا تَقَرَّر أنَّ المَثَل - بالفتح - مرادفٌ عقليّ للاسم والآيه، وَكَمَا أنَّ الأسماء توقيفيه وتوقيتيّه، فكذلك الحال فِي المَثَل - بالفتح - والأمثال.

وقوله تَعَالَى: (وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِلنّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ كانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْ ءٍ جَدَلاً(۵۴) (۱).

بتقريب: - إنَّ كُلّ مَثَلٍ يمكن أنْ يَخْطُر عَلَى الإنسان هُوَ تعبيرٌ وآيه لشيء ولما وراءه ودالّ عَلَى عموميّه الأمثال، فَهُوَ مقرّر وجوده فِي القُرآن الكريم، وَعَلَيْهِ فَإنَّ قَاعدَه الأمثال ليست هِيَ قَاعدَه أبعاض، وَإنَّما هِيَ دالَّهٌ عَلَى العموم.

وقوله تَعَالَى: (وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) (۲).

وقوله تَعَالَى: (وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(۲۷) (۳).

وقوله تَعَالَى: (كَذلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ(۱۷) (۴).

بتقريب: - إنَّ الألف واللام فِي (الأمثال) للجمع والعموم الاستغراقى.

۱- (۱) سوره الكهف: الآيه ۵۴.

۲- (۲) سوره الروم: الآيه ۵۸.

۳- (۳) سوره الزمر: الآيه ۲۷.

۴- (۴) سوره الرعد: الآيه ۱۷.

وقوله تَعَالَى: (وَ يَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (۱).

وقوله تَعَالَى: (وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ(۴۳) (۲).

قراءه الأمثال بلغه عقليّه فكريّه:

وَمِنْ خلال استعراض الآيات المُباركه الآنفه الذكر يتبيَّن: - أنَّ المثل فِي القُرآن الكريم لا يقتصر فيه عَلَى درجهٍ وسطحٍ نازلٍ الذى هُوَ المثل فِي علم البلاغه - المعانى والبيان و البديع - وَاللُّغه، بَلْ أَكَّدَ القُرآن الكريم عَلَى قراءه المَثَل القرآنى بقراءه علميّه وعقليّه عميقه ودقيقه يُبَيِّن فيها لُبّ اللباب، وحاق وحقيقه المثل، وَهَذَا معناه أنَّ الأديب وَالمُفَسِّر والباحث وغيرهم عليهم أنْ لا يقرأوا المَثَلَ القُرآنى بقراءه سطحيّه نازله وبحسب درجات اللُّغه الأدبيّه، وَإنَّما لابُدَّ أنْ تُقرأ بقراءه علميّه وعقليّه عميقه لا يعقلها إلَّا العالمون، كَمَا توهمه كثير مِنْ المُفَسِّرين وأنَّ قَاعدَه الأمثال فِي القُرآن هِيَ قَاعدَه أدبيه لفظيه لغويه استعماليه، والواقع أنَّها تحتاج إلى أنْ تقرأ بقراءه عقليّه علميّه عميقه وبحاجه إلى عُلَمَاء متخصّصون فِي علوم حَتّى يصلوا إلى نتائج علميّه وبرهانيّه لا يستطيع الأديب أو اللغوى أنْ يصل إلى تلك النتائج العلميه الَّتِي قَدْ توصل إليها مِنْ خلال القراءه العلميه العقليّه الفكريّه كالمتخصّص فِي علم الفيزياء

۱- (۱) سوره إبراهيم: الآيه ۲۵.

۲- (۲) سوره العنكبوت: الآيه ۴۳.

فَإنَّهُ يقرأها بقراءه فيزياويه، والعالم بعلوم الفضاء يصل لها بلغه علوم، وهكذا صاحب كُلّ تخصّص يستطيع أنْ يقرأ الأمثال القُرآنيه بحسب ما توفّرت لديه مِنْ آليات علمه.

وأمَّا الروايات الَّتِي تصلح كمدرك لقاعده الأمثال فِي القُرآن فسنعرض بعضاً مِنْهَا كَمَا يلى:

فَقَدْ روى عَنْ أمير المؤمنين عليه السّلام قوله: «إنَّ أسماء الله الحُسْنى وأمثاله العُليا، وآياته الكُبرى»(١).

عَنْ الصادق عليه السّلام فِي وصف المعراج... فَقَالَ تَعَالَى لى: «يا مُحمَّد هَذَا الحَرَم وَأَنْتَ الحرام وَلِكُلِّ مَثَلٍ مثال...» (٢)الخ.

... روايه تفسير الإمام عليه السّلام فِي أحياء سته بدعاء رسول الله صلّى الله عليه و آله قالوا: - قَدْ رأينا لمُحمَّدٍ مثالاً عَلَى سرير عِنْدَ البيت المعمور وَعِنْدَ العرش، ولعلىٍّ عليه السّلام مثالاً عِنْدَ البيت المعمور وَعِنْدَ الكرسى، وأملاك السماوات والحُجُب، وأملاك العرش يحفّون بهما ويعظّمونهما، ويصلّون عليهمان ويصدرون عَنْ أوامرهما، ويقسمون عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ لحوائجهم إذَا سألوه بهما(٣).

وروى الشَّيْخ الطوسى فِي الأمالى عَنْ الصادق عليه السّلام عَنْ النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله قوله صلّى الله عليه و آله: «يا علىّ إنَّ الله أشهدَك معى فِي سبعه مواطن حَتّى آنست بك،

۱- (۱) مستدرک سفينه البحار للشيخ عَلَى النمازى: ج ۹، ص ۳۱۸.

۲- (۲) المصدر السابق: ۳۱۵.

۳- (۳) إحقاق الحَقّ: ج ۹، ص ۴۶۸؛ ومستدرک سفينه البحار: ج ۹، ص ۳۱۷.

وقوله لَهُ مكرَّراً: ومثالك معى» (۱) .

روايه العُيون بإسناده الصحيح عَنْ ياسر الخادم، عَنْ الرضا عليه السّلام عَنْ آبائه عليهم السّلام، قَالَ: قَالَ روسول الله صلّى الله عليه و آله لعلى: يا على أَنْتَ حجّه الله، وَأَنْتَ باب الله، وَأَنْتَ الطريق إلى الله، وَأَنْتَ النبأ العظيم، وَأَنْتَ الصراط المستقيم، وَأَنْتَ المَثَل الأعلى(۲).

روى الصدوق فِي الأمالى بإسناده عَنْ الأصبغ بن نُباته عَنْ أمير المؤمنين عليه السّلام: - «أنا خليفه رسول الله ووزيره ووارثه... إلى أنَّ قَالَ: أنا الحجه العُظمى والآيه الكُبرى، والمَثَل الأعلى»(۳).

وفى خطبه لأمير المؤمنين عليه السّلام: - أعطانا الله عشر خصال لَمْ يكن لأحدٍ قبلنا، ولا يَكُون لأحدٍ بعدنا إلى أنْ قَالَ: - فَنَحْنُ كلمه التقوى، وسبيل الهُدَى، والمثل الأعلى والحجه العُظمى(۴).

روى الصدوق رحمه الله بإسناده عَنْ الهيثم بن عبدالله الرمّانى عَنْ الرضا عليه السّلام عَنْ آبائه، عَنْ أمير المؤمنين عليه السّلام قوله فِي خطبهٍ لَهُ فِي وصف الله تَعَالَى: «فلا إليه حدٌّ منسوب، ولا لَهُ مَثَلٌ مضروب، ولا شىءٌ عَنْهُ محجوب تَعَالَى عَنْ ضرب الأمثال والصِّفات المخلوقه علوّاً كبيراً»(۵).

۱- (۱) مستدرک سفينه البحار: ج ۹، ص ۳۱۷.

۲- (۲) المصدر السابق: ص ۳۱۸، إحقاق الحَقّ: ج ۴، ص ۲۸۴.

۳- (۳) المصدر السابق: ص ۳۱۸.

۴- (۴) المصدر السابق: ص ۳۱۹.

۵- (۵) عيون أخبار الرضا: ج ۱، ص ۱۱۲.

... أبی العبّاس الفلکی، قَالَ علیٌّ علیه السّلام: «ألا- إنَّ الذِکرَ رسول الله صلّی الله علیه و آله وَنَحْنُ أهله، وَنَحْنُ الراسخون فِی العلم، وَنَحْنُ منار الهُدَی وأعلام التُّقَی، ولنا ضُرِبَتْ الأمثال»(۱).

الجهه الثالثه: القُرآن الکریم اعتمد أسلوب المَثَل

مِنْ ضمن أساليب عديده اعتمدها،
کَمَا نَبَّهت عَلَيْهِ روايات أهل البيت عليهم السّلام

ما مضمونه إنَّ أسلوب القُرآن: - السنن والأمثال، والفرائض والأحکام، والحکمه والجدل، والأخبار والأنباء، والمحکم والمتشابه، وزجرٌ وأمرٌ، وترغیب وترهیب، وجَدَلٌ وقصص ومَثْل وأمثال.

ورواه أصحابنا عَنْ أمیر المؤمنین علیه السّلام أنَّهُ قَالَ: - «إنَّ الله تَبَارَکَ وَتَعَالَی أنزل القُرآن عَلَی سبعه أقسام کُلّ قسمٍ مِنْهَا کافٍ شافٍ وَهِیَ أمرٌ وزجرٌ وترغیب وترهیب، وجدل ومَثَل وقصصٌ»(۲).

وروایه مُحمَّد بن مسلم عَنْ أبی جعفر علیه السّلام فِی قول الله(وَ اللَّیْلِ إِذا یَغْشی(۱) قَالَ: «اللیل فِی هَذَا الموضع هُوَ الثَّانِی غشی أمیر المؤمنین علیه السّلام فِی دولته إلی أنْ قَالَ: - القُرآن ضُرِب فیه الأمثال للناس، وخاطب نبیه صلّی الله علیه و آله

۱- (۱) بحار الأنوار: ج ۳، ص ۸۴، ح ۵۰.

۲- (۲) بحار الأنوار: ج ۹۰، ص ۴.

به وَنَحْنُ نعلمه، فَلَيْسَ يعلمه غيرنا» (۱) .

الجهه الرابعه: ارتباط أسلوب المَثَل بالتعريض:

اشاره

والكلام فيها يقع فِی نقاط:

النقطه الأولی: مِنْ الظاهر استعمال أسلوب المَثَل مِنْ أحد أساليب التعريض؛ لِأَنَّ المَثَل - كَمَا مَرَّ - هُوَ آيهٌ وعلامه لما وراءه، وَقَدْ تترامی طبقات الآيات والعلامات، فالمَثَل ك - (الكِن) الذی يَحْفَظ خَلْفَه المُراد الأصلی فيُعْبَر مِنْهُ إليه سواء بواسطه أو بوسائط، فَيَكُون المَثَلُ بمثابه وبمنزله الكنايه وأقسامها العديده بالمعنی الأعم وبالتالی يتطرَّق التأويل بحسب طبقات المعنی ودرجاته.

نعم، لا ينحصر التعريض بأسلوب المثل، بَلْ يَعُمُّ بقيّه أبواب وأساليب القُرآن الكريم كأبواب القصص والحِكم والجَدَل و... الخ.

النقطه الثَّانيه: إنَّهُ رغم التفات جملهٍ مِنْ المُفسرين إلی أسلوب المَثَل فِی القُرآن، لا سيّما جمله مِنْ مُفسرِیّ الخاصّه، وأسلوب المَثَل - كَمَا تَقَدَّمَ - الغرض النهائی مِنْه هُوَ العبور مِنْ المَثَل إلی ما وارءه، وأنَّ ما وراءه هُوَ المُرَاد كفايه فِی مراتب الجد، إلَّا أنَّهُ يعكفون عَلَی المَثَل وخصوصياته ولا يتعدون مِنْهُ إلی وراءه، ويقصرون الأهميّه عَلَی سطح المَثَلِ نفسه، بينما ذَلِكَ إخلالٌ بقاعده أسلوب المَثَل، بَلْ يجعلون مِنْ المثل مداراً وأساساً

۱- (۱) تفسير القُمّی: ج ۲، ص ۴۲۵، عَنْهُ البحار: ج ۲۷، ص ۲۰۵، ح ۸۰.

ومهيمناً عَلَى ما سواه مِنْ المعانى وأمٌّ لها، بينما أسلوب المَثَل عَلَى العكس تماماً مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا ما هُوَ مشاهَدٌ فِى مناهج التفسير لدى غالب، أو جُلّ المُفَسِّرِين وَمَنْ جَعَل التنزيل بهذه الصِّفات دون التأويل وأنَّ التنزيل مُحْكَمٌ والتأويل مُتشابهٌ، أو جعل المُحكم والمتشابه بحسب الدلاله وبنيتها لا بحسب بُنيه المعنى وبُنيانه وأحكامه.

النقطه الثَّالثه: إنَّ تأكيد القُرآن وروايات أهل البيت عليهم السّلام عَلَى أسلوب المثل فِى القُرآن برهانٌ بَيِّنٌ عَلَى قَاعدَه التعريض الكُبرى فِى أسلوب القُرآن والوحى النازل عَلَى سيّد الأنبياء، بَلْ فِى الاحاديث النبويه وأحاديث المعصومين كَذَلِكَ، وبالتالى فَهُوَ بُرْهان عَلَى كون ظاهر القُرآن ودلالته ومدلولاته ذو طبقات ولا ينحصر بطبقه السطح، نعم تلك الطَّبقات والمراتب مِنْ بطون القُرآن بينها ترابط بموازين علوم اللُّغَه والعلوم الأُخْرَى، وأنَّ للمصحف العظيم طبقات مِنْ المعانى وبحور لا تتناهى عِنْدَ حدٍّ، وَهَذَا أصلٌ عظيم فِى منهج تفسير القُرآن.

المثل تسميه واسم ولقب وتوصيف وعِبَرٌ وآيه:

الجهه الخامسه: هُنَاك ترادف عقلى فضلاً عَنْ الترادف الوجودى بين الاسم والتسميه ولأجل توضيح الفرق بين التراد اللغوى والترادف العقلى والتراد الوجودى هُوَ أنَّ يُقَال:

الترادف اللغوى:

أمَّا الترادف اللغوى: - والـذى عـادةً تكون مفرداته لغويه - فَـإنَّ اكتشـافه لَمْ ينجز بشـكل وافر وكامل فِى اللُّغَه لحـدِّ الآن، لتوقّفه عَلَى الترادف المعنوى، والترادف المعنوى يتوقّف عَلَى تحليل علمى للمعانى الكثيره، وَعَلَى تنقيب ونقض وإبرام وتأمُّل وتدبُّر فِى المواد الواصـله، وَعَلَى ذَلِـكَ فـالترادُف اللغوى متوقّف عَلَى الـترادُف العقلى الآـتى، إذْ الترادف العقلى موطنه المعنى والمعـانى، وَمِنْ ثمَّ قَدْ يسمى بالترادف المعنوى.

كَمَـا أنَّ لفصول الرجعه ومسـلسل أحـداثها أسـماءٌ لَمْ تكتشف فيمـا كُتب عَنْ الرجعه، وَلَمْ ينقّـح البحث عنهـا فِى ذَلِكَ، مَعَ أنَّها مقرّره وموجوده فِى الروايـات، نظير فصول مسـلسل (دابه الأـرض)، مَعَ أنَّها مِنْ أخطر حلقات مسـلسل الرجعه، وَقَـدْ وصف هَـذَا الحـدث فِى روايـات الفريقين المسـتفيضه والمتواتره أنَّها طامّه وهولٌ عظيم، وَأنَّهُ إذَا قيس حـدث ظهور الإمام المهـدى عجّل الله تعالى فرجه الشـريف إلى حـدث ظهور دابه الأرض فَهُوَ كالقطره فِى البحيره، هَـذَا بالقياس إلى المفاجئات الكونيه الحاصـله عِنْدَ ذَلِكَ الحدث.

وَقَـدْ أطلق عَلَيْهَا (الطامّه الكُبرى) أيضاً، أىّ نسبياً بالقياس إلى ما تقـدمها مِنْ أحـداث إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ أحداث وتفاصـيل كثيره لَمْ يقع الخوض والبحث والتنقيب فيها مليّاً، ولا زالت الكثير الكثير مِنْ المباحث كمواد خام غَيْر مُنقَّب عنها.

والعامّه لَمْ يلتفتوا إلى جمله مِنْ فصول الرجعه، مَعَ أنَّهم رووها بطرق مُستفيضه ومُتواتره، إلَّا أنَّها لَمْ تتضمّن لفظه الرجعه.

وَمِنْ أمثله الترادف اللفظى المغفول عَنْهُ فِى الرجعه، ما أُشير إلهى فِى عِدَّه آيات مِنْ علامات الرجعه وإرهاصاتها، وَهُوَ مجىء آيات الرَّب.

وَهَذَا العنوان القُرآنى للرجعه عنوان أصيل فِى كتب الحديث لدى الفريقين، لكنّه مغفول عَنْ كونه مِنْ فصول الرجعه المُهِمَّه، وَهَذَا نمط مِنْ أنماط الترادف اللفظى.

الترادف العقلى:

وأمَّا الترادف العقلى فَهُوَ اشتراك شيئين وذاتين وماهيتين وهويّتين فِى جزء مِنْ معنيهما كالجنس القريب المشترك أو الجنس البعيد أو الجنس المتوسّط أو فصل الفصل أو الفصل الفوقى، واللازم هُوَ وجود وتقرُّر جزء مشترك، فإذا تقرّر وجود ذَلِكَ الجزء المشترك فلا محاله تكون آثار ذَلِكَ الجزء وأحكامه التكوينيه مشتركه بينهما، فَيَكُون ما دَلَّ عَلَى آثار وأحكام الشىء الأوَّل دالاً عَلَى ترتبها عَلَى الثَّانِى أيضاً إذَا كَانَ ترتّب تلك الآثار مِنْ حيثيه ذَلِكَ الجزء المشترك، فلا محاله يَكُون ذَلِكَ الدَّليل دالاً عَلَى تلك الآثار والأحكام فِى الشىء الثَّانِى.

وَمِنْ الواضح أنَّ هَذَا المنهج توسّع فِى استنطاق الأدلّه وتحليل مفادها ومعانيها بطريق أعمق وأغور، فلا يقتصر الاستدلال عَلَى الألفاظ

المشتركه، ولا عَلَى سطح المعانى، أىّ لا يقتصر عَلَى المعنى المتّحد فِى سطح الإدراك الأولى وَإِنَّما يعتمد عَلَى المعنى المُتّحد المطوى بخفاء فِى طيّات معانى مُتعدّده، وَهَذَا يؤدّى إلى اكتشاف الأجزاء المشتركه بين المعانى كنظام موحّد بينها، وَهُوَ اكتشافٌ لبنيان النظام فِى المعانى.

وَهَذَا بحث وتنقيح وتحرٍّ ثبوتى للواقعيات، وَلَيْسَ مُجرَّد استكشاف دلالى وإثباتى.

وأحد ثمرات هَذَا المنهج ما مَرَّ مِنْ اكتشاف المعنى المتواتر النظرى والمُستفيض والموثوق النظريين المُكتشف بقوه الاجتهاد والتحقيق، بَلْ كَمَا تبيَّن هُنَا أنَّ الفائده فِى الترادف العقلى أعظم مِنْ اكتشاف مُجرَّد التواتر، بَلْ ترجع الفائده إلى اكتشاف نظام التوافق والموافقه مَعَ قَواعِد الكتاب والسنه كبنيان منظومى.

الترادف الوجودى:

وأمَّا الترادف الوجودى فَهُوَ يغاير كلاً مِنْ الترادف اللفظى والعقلى؛ لِإنَّهُ لا يعتمد عَلَى وحده تمام المعنى، أو المعنى الظاهر كَمَا فِى الترادف اللفظى، كَمَا أنَّهُ لا يعتمد عَلَى الجزء المشترك مِنْ المعنى الخفى كَمَا فِى الترادف العقلى، بَلْ لا يعتمد عَلَى الوحده فِى المعنى أصلاً، وَإِنَّما يعتمد عَلَى وجود الرابطه الوجوديه بين شيئين وإنْ لَمْ تكن بينهما رابطه وارتباط فِى المعنى أصلاً.

واکتشاف هَذَا الترادف أصعب کثیر مِنْ اکتشاف التراد العقلی رغم صعوبه الترادف العقلی کَمَا مَرَّ، لا سیّما مَعَ اختلاف درجات الترادف العقلی فِی الخفاء، وَذَلِکَ لِأَنَّ الترادف الوجودی یتخطّی عالم المعنی إلی تقصّی العینیه الواقعیه وملاحظه الآثار والتأثیرات فِی الوجود، وملاحظه أنَّ التقارن بسبب الملازمه والتسبب فِی التأثیر أم لا.

وبعباره أُخْرَی: إنَّ منظومه الوجود وأنظمته أوسع ترابطاً بین الأشیاء المختلفه مِنْ ترابط الأشیاء فِی جانب معانیها اللغویه وذاتیاتها، فَإِنَّ الترابط بین الأشیاء فِی جانب المعنی مِنْ ناحیه ذواتها - أجناساً أو أنواعاً أو أصنافاً - أضیق دائرهً مِنْ ترابطها فِی جانب الوجود العینی.

والمِثْل وا لمَثَل، وإنْ لَمْ یکن بینهما ترادفاً لغویاً، وَذَلِکَ لوجود جهه اشتراک فِی المعنی وَهِیَ إشاره کُلّ مِنْ الاسم والمَثَل إلی ما وراءه، وهکذا فِی بیانات القُرآن الکریم والروایات الوارده عَنْ أهل البیت علیهم السّلام فِی خصوص الاسم الأعظم، وأنَّ للاسم اسم، ولاسم الاسم اسمٌ، وهکذا فَهُنَاک اسمٌ أعظم تتشعب مِنْهُ أسماء تشتق مِنْهُ أسماء، ویشتق مِنْ تلک الأسماء فِی الطبقه الأولی أسماء للطبقه الثَّانیه، وَمِنْ الطبقه الثَّانیه أسماء للطبقه الثالثه، وهکذا، کَذَلِکَ الآیات والأمثال تترامی طولاً(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی(۱) (۱). فِی المثل الأعلی، ولذا یُعَبِّرون عَنْ هَذَا التسلسل والترامی والتبویب فِی کُلّ طبقه بأنَّه بابٌ للطبقه الَّتِی فوقها وهکذا.

۱- (۱) سوره الأعلی: الآیه ۱.

فالمَثَل والاسم وإنْ اشتركا فِی جهه إلَّا أنَّهما یختلفان فِی التفاصیل، فیندرج المثل فِی النعت والتوصیف أیضاً، وبالتالی یَکون المثل نوع مِنْ اللقب.

کَمَا أنَّ هُنَاک جهه اشتراک أُخْرَی بینهما - الاسم والمَثَل - وَهِیَ أنَّ فِی کُلّ مِنْ المَثَل والتسمیه بیانٌ لِصِفهٍ وحکایه لتوفّرها فِی المحکی عَنْهُ؛ إذْ جُلُّ الأسماء والتسمیات کَمَا هُوَ معروف مأخوذٌ مِنْ أوصاف حَتّی - أسماء القلم، بَلْ قِیلَ فِی البحث العقلی، أنَّکَ لا تجد اسمٌ للجوهر إلَّا وَهُوَ مأخوذٌ مِنْ وصفٍ وحدث فعلی، فما یُحْتسَب بأنه جوهرٌ فَهُوَ بالأصل وصفٌ حدثی.

ویشیرُ هَذَا الترادُف العقلی إلی ما وَرَدَ فِی الرُّوایه، العیاشی عَنْ مسعده بن صدقه عَنْ أبی جعفر عَنْ أبیه، عَنْ جدّه علیه السّلام قَالَ أمیر المؤمنین علیه السّلام: - «سمّوهم بأحسن أمثال القُرآن - یعنی عتره النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله - هَذَا عَذْبٌ فراتٌ فاشربوا، وَهَذَا ملحٌ أُجاج فاجتنبوا»(۱).

روایه الشَّیْخ الطوسی بإسناده عَنْ الفضل بن شاذان عَنْ داود بن کثیر، قَالَ: قلتُ لأبی عبدالله علیه السّلام أنتم الصَّلاه. فِی کتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وأنتم الزکاه وأنتم الحجّ؟ فَقَالَ: «یا داود نَحْنُ الصَّلاه وَنَحْنُ الزَّکاه وَنَحْنُ الصِّیَام وَنَحْنُ الحجَّ...»(۲).

وَمِنْ هَذَا یظهر أنَّ قَاعدَه المثل لا تقتصر عَلَی القصص، وما

۱- (۱) العیّاشی: ج ۱، ص ۹۰، ح ۷.

۲- (۲) بحار الأنوار: ج ۲۴ ص ۳۰۳، ح ۱۴ ب ۶۶.

ضُرِبَ مثلاً، بَلْ يتعدّى لِكَلِّ آيات القُرآن وجمله، بَعْدَ كون التوصيف والتسميه والنعت كُلَّهَا مِنْ التمثيل بالمعنى الأعم، وَهَذِهِ التوسعه فِي قَاعدِه المثل والأمثله يُبيِّن وجود أصول مشتركه وأصل مشترك فِي قَواعِد التفسير، الَّتِي أشار إليها أهل البيت عليهم السّلام فِي بياناتهم وأشاروا إلى تقريرها فِي القُرآن الكريم، وبالتالى فَإنَّ هُنَاك ترابط وطيدٌ ووثيق فيما بينها تداخلاً وتكميلاً وتناسُقاً.

وسيأتى فِي الجهه السابعه (الفرق بين ضرب المَثَل، وجعل المثل، وصَرَّف المثل، ويضرب الأمثال) الإشاره إلى أنَّ المثل آيه والآيه مثل.

تنبيه وفيه أمران:

الأمر الأوَّل: توسعه قَاعدِه المثل لِكُلِّ القُرآن وَكُلّ آياته وجمله وَلِكُلِّ تأويل وعبور وعِبْرَه وعدم اقتصاره عَلَى ذكر القصص وما ضُرِبَ مثلاً.

ويُؤيِّد هَذَا ما رواه الشَّيْخ أبو جعفر الطوسى بإسناده إلى الفضل بن شاذان عَنْ داود بن كثير، قَالَ: قلت: لأبى عبدالله عليه السّلام: - أنتم الصَّلاه فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنتم الزكاه - وأنتم الصِّيَام - وأنتم الحَجّ؟ فَقَالَ: «يا داود نَحْنُ الصَّلاه فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وَنَحْنُ الزكاه، وَنَحْنُ الصِّيَام، وَنَحْنُ الحَجُّ، وَنَحْنُ الشهر الحرام، وَنَحْنُ البلد الحرام، وَنَحْنُ كعبه الله، وَنَحْنُ قبله الله، وَنَحْنُ وجه الله فِي قوله تَعَالَى: (فَأَيْنَما تُوَلُّوا

فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ) (۱) وَنَحْنُ الآيـات، وَنَحْنُ البيّنـات، وعـدوُّنا فِي كتـاب الله عَزَّ وَجَلَّ: الفحشاء، والمنكر، والبغى، والخمر، والميسـر، والأنصـاب، والأزلام، والأصـنام، والأوثان، والجبت، والطاغوت، والميته، والـدَّم، ولحم الخنزير يا داود إنَّ الله خلقنا فأكرم خلقنا، وفضَّلَنا وجعلنا أُمناءه وحفظته وخُزّانه عَلَى ما فِي السـموات وما فِي الأرض، وجعل لنا أضـداداً وأعـداءاً، فسـمّانا فِي كتابه، وكنّى عَنْ أسـمائنا بأحسن الأسـماء وأحبّها إليه تكنيه عَنْ العـدوِّ وسَـمَّى أضـدادنا وأعـدائنا فِي كتابه وكنّى عَنْ أسـماءهم وضَـرَبَ لهم الأمثال فِي كتابه فِي أبغض الأسماء» (۲) .

الأـمر الثَّانِي: الإشاره إلى أنَّ بعضـهم يعنون هَـذِهِ القَاعِـدَه بعنوان آخر، وَهِيَ قَاعـدِه العِبْره والأمثال باعتبار أنَّ المَثَلَ يُرادُ مِنْهُ عِبْرَه وعبور إلى غيره، وَهَذَا ما سنتعرّض لَهُ خلال طيّات البحث.

فائـده: وَمِنْ بـاب الفائـده والتنبيه، سوف نشـير إلى وجود علاقه وصـله بين قَاعـدِه الأمثال والتعبير والاسم والكلمه والآيه والتجلّى والتأويل، فَإِنَّ الأمثال لها تأويل ومآل ومرجع ما وراء(وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ) (۳)وبتقريب: - أنَّ كُلّ شيء لَهُ تأويل سواء كَانَ مِنْ عالم المعنى، أو عالم العين أو... الخ.

۱- (۱) سوره البقره: الآيه ۱۱۵.

۲- (۲) كنز الفوائد، تأويل الآيات الباهرات، لشرف الدِّين النجفى: ص ۲۱، ۲۲؛ بحار الأنوار: ج ۴، ص ۳۰۳.

۳- (۳) سوره يوسف: الآيه ۶.

وكـذا علاـقه الأمثـال بالترجمـان وَلَيْسَ المقصود مِنْهُ الترجمه اللفظيه فِي اللُّغَه بـأنْ يترجم مِنْ لفظ إلى آخر وَمِنْ لغه إلى أُخْرَى، وإنْ كَانَ مَعْنَى الترجمان والترجمه واحد إلَّا أنَّ مَعْنَى الترجمان أوسع وَهُوَ أحد أوصاف أئمه أهل البيت عليهم السّـلام، كَمَا وَرَدَ فِي حقّهم وأنَّهم عليهم السّـلام ترجمان وحى الله (السَّلامُ عليكم يا ترجمان - تراجمه - وحى الله) وَمَعْنَى أنهم عليهم السّـلام أنَّهُ قَدْ نشاهد ظواهر تكوينيه معيّنه لا نعرف ولا نهتدى إلى ترجمتها وتُرْجمانها، بينما أهل البيت عليهم السّـلام بمجرَّد مشاهدتهم لها يعرفون ترجمانهـا فمثلاًـقوله تَعَـالَى قَـالَ رسول الله صـلّى الله عليه و آله: «... اشـتد غضب الله عَلَى اليهود حين قـالوا عزيرٌ بن الله، واشتدّ غضب الله عَلَى النّصارى حين قالوا: المسيح ابن الله واشتدّ غضب الله عَلَى مَنْ أراق دمى وآذانى فِي عترتى» (1)بتقريب: - أنَّ الاشـتداد غضب الله تَعَالَى آيات يعرفها أهل البيت عليهم السّـلام حين مشاهدتها، بينما غَيْر المعصوم عليهم السّـلام لا يُدْرِك كنهها وحقيقتها، وبالتالى فالترجمان وحىٌ مِنْ الله تَعَالَى.

كَـذَلِكَ يـأتى الترجمـان بمعنى ترجمـه مَعْنَى إلى مَعْنَى آخر، أىّ طبقـات مِنْ المعنى تـترجم طبقـات مَعْنَى آخر، ولربمـا معـانى ترجمه وترجمان لحقائق، أو حقائق ترجمه وترجمان الحقائق أعلى وَعَلَيْهِ فَإنَّ الترجمه والترجمان عبور.

كَذَلِكَ هُنَاك تشابك وتشابه بين بحث الأمثال والذكر والعبور

۱- (۱) تفسير العيّاشى: ج ۲، ص ۸۶، عَنْهُ بحار الأنوار: ج ۲۷، ص ۲۰۶، ح ۱۴.

والتعبير والقصص؛ لِأَنَّ الغرض مِنْ القصص الَّتِی ذکرها القُرآن کقصه مریم وقصه یوسف وموسی وعیسی وغیرهم علیهم السّلام مَعَ أَنَّها قصص حقیقیّه وخارجیّه وواقعه، وَلَیْسَ حدیث یُفتری، ولکن الغایه مِنْ العرض القصصی القُرآنی هُوَ لأجل العبور والتعبیر والمَثَل والتمثیل.

إذَنْ هُنَاک ترابط ذاتی عضوی بنیوی بین نظام القصّه ونظام المَثَل والأمثال والتعبیر فِی القُرآن الکریم: (لَقَدْ کانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ لِأُولِی الْأَلْبابِ ما کانَ حَدِیثاً یُفْتَری وَ لکِنْ تَصْدِیقَ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ وَ تَفْصِیلَ کُلِّ شَیْ ءٍ وَ هُدیً وَ رَحْمَهً لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ(۱۱۱) (۱).

بتقریب: - إنَّ هدف القُرآن مِنْ ذکر القصص لا لأجل أنْ یُلْبَث عِنْدَ القصّه، أو لأجل الإصغاء إلی مَلاحتها وجاذبیتها، بَلْ لأجل التفکّر والتعقّل والتدبُّر والتحلیل العلمی والعبور مِنْ مورد القصّه إلی غیره.

نعم، شأن الشِّعْر والأدب غایته صرف الشعر والأدب ویمکن أنْ یُجْمَدَ ویُقصَر النظر عَلَی ظاهره، بخلاف القُرآن الذی یُنادی بالعبور مِنْ مورد إلی آخر وعدم الجمود والانحباس عَلَی مورد المثل والآیه(وَ یَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ) (۲).

وکذا قوله تَعَالَی: (وَ یَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ(۲۵) (۳).

۱- (۱) سوره یوسف: الآیه ۱۱۱.

۲- (۲) سوره الإسراء: الآیه ۸۹.

۳- (۳) سوره إبراهیم: الآیه ۲۵.

وقوله تَعَالَى: (وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ(۴۳) (۱).

بتقريب: - إنَّ الهدف مِنْ ضرب الله الأمثال هُوَ لأجل غايات كثيره، مِنْهَا: التفكّر والتذكّر والتعقّل والقصص اختلاف التعبير القُرآنى، وأنَّ الذى يقف عَلَى ظاهر القصّه والمَثَل والمثال لَيْسَ مِنْ ذوى الألباب(وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ(۴۳) وَلَيْسَ المُرَاد مِنْ التَعَقُّل هُوَ الوقوف عَلَى ظاهر المَثَل والقصّه والآيه، وَإنَّما العبور إلى ما وراء ولغايه أعظم، وَهَذِهِ حقيقه لابُدَّ مِنْ الوقوف عَلَيْهَا، فما أكثر العِبَر وأقل الاعتبار والمعتبر، فَهُنَاك منافذ كثيره يمكنك أيُّهَا الباحث أنْ تعبرها وتصل إلى الحقيقه، ولكن وللأسف قليل مَنْ يَسْلُك هَذِهِ الطرق ويعبر هَذِهِ الجسور والقنوات لأجل الوصول إلى أسرار تلك الكنوز وحقائقها، وَعَلَيْهِ فَمَعْنَى (ما أكثر العِبَر) أىّ ما أكثر المعابر والقنوات الَّتِى توصلك إلى سماء أرض الحقيقه، ولكن وللأسف (ما أقل المعتبر) أىّ ما أقل المتهيئون والجاهزون لعبور هَذِهِ القنوات والمعابر، وَعَلَيْهِ فَمِنْ الخطأ يقتصر المُفَسِّر أو الباحث الكريم فِى مفردات القُرآن عَلَى مواردها، بَلْ لابُدَّ مِنْ العبور مِنْهَا إلى الحاضر والمستقبل.

كَذَلِكَ يُستفاد مِنْ بركه بيانات أهل البيت عليهم السّلام أنَّهُ لَيْسَ المُرَاد مِنْ

۱- (۱) سوره العنكبوت: الآيه ۴۳.

القصص القُرآنيّه(لَقَدْ كانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ لِأُولِی الْأَلْبابِ) (۱) الاقتصار عَلَی سرد الحدث السابق الذی بيّنه القُرآن الكريم، بَلْ يُتَعَدَی بالقصص إلی سرد الأحداث وَلَيْسَ حدثاً واحداً، الماضيه ولما سيأتی، بَلْ يتعدّی حَتّی لمثل الأحكام.

الأحكام الشرعيه السابقه يمكن أنْ تكون مثلاً:

إنَّ الأحكام الَّتِی بيَّنها وذكرها القُرآن للأُمم السابقه يمكن أنْ يُتعدَّی بها إلی ما وراء، وتصلح أنْ يَكُون ذَلِكَ الحكم الشرعی مثلاً ـ كحرمه قتل النفس بغير ذنب وغيره مِنْ الأحكام فيمكن أنْ يُتعدَّی بها إلی الما وراء، فَيَكُون حال الأحكام الشرعيه حال القصّه الَّتِی يذكرها القُرآن فِی خصوص نبی أو أُمَّه يتعدّی بها ای ما وراء ويؤيِّد هَذَا ما وَرَدَ فِی الروايات.

العيّاشی عَنْ أبی الجارود قَالَ: - سَمِعْت أبا جعفر عليه السّلام يقول: نزل القُرآن عَلَی أربعه أرباع: «ربعٌ فينا، ورُبْع فِی عدوّنا وربعٌ فرائض وأحكام، وربعٌ سُنَن وأمثال، ولنا كرائم القُرآن»(۲).

... عَنْ اأصبغ بن نُباته، قَالَ: - سمعتُ أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: «نزل القُرآن أثلاثاً: ثُلُثٌ فينا وفی عدوّنا، وثُلُثٌ سنن وأمثال، وثلث

۱- (۱) سوره يوسف: الآيه ۱۱۱.

۲- (۲) تفسير العيّاشی: ج ۱، ص ۸۴ عَنْهُ بحار الأنوار: ج ۲، ص ۲۴۴.

فرائضٌ وأحكام» (۱) .

الفرق بين المَثَل البلاغی والمَثَل القُرآنی:

یکمن الفرق بین المَثَل فِی علم البلاغه، والمثل القرآنی فِی أنَّ المثل فِی علم البلاغه هُوَ أنْ المُمَثل لَهُ الذی ما وراء المُرَاد الجدّی لَیْسَ مُراداً أصلاً أیّ تشبیه لَیْسَ لَهُ حقیقه، وَإنَّما المُرَاد فَقَطْ هُوَ ما ذُکِرَ مِنْ مصداق للممثل لَهُ ولا یُتَعَدَّی إلی ما وراءه، بخلاف المثل القُرآنی بحسب بیانات أهل البیت علیهم السّلام أنَّ الأمثال لا یقتصر فیها عَلَی ما ذُکِرَ مِنْ مصداق، وإنْ کَانَ ذَلِکَ المصداق المذکور مُراداً بالإراده الجدّیه، وَمَعَ ذَلِکَ یُتعدّی إلی ما وراءها ویُرادُ أیضاً بإراده جدّیه أعظم مِنْ الأولی؛ لِأنَّ مراتب المُرَاد الجدّی هِیَ عَلَی درجات فیها ما هُوَ عظیم، وما هُوَ أعظم، وما هُوَ أعظم وأعظم وأعظم وهکذا.

المثل فِی علم البلاغه تشبیه لَهُ حقیقه
حسب نظریه السَّیِّد العلامه الطباطبائی قدّس سرّه:

تَقَدَّمَ ذکر الفوارق العلمیّه بین منهج السَّیِّد العلّامه الطباطبائی قدّس سرّه التفسیر الموضوعی للقُرْآن وبین منهجنا أمومه الولایه عَلَی المُحْکَمات فِی عِدَّه مواضع وَقَواعِد تقدَّمت، إلَّا أنَّهُ وَمِنْ الإنصاف أنَّ السَّیِّد العلّامه قدّس سرّه فِی مبحث المثل البلاغی بَلْ وَحَتّی القرآنی هُوَ تشبیهٌ لَهُ حقیقه وَلَمْ یقصر

۱- (۱) المصدر السابق.

السَّيِّد العلّامه نظره عَلَى المعانى الكَلِّيه بقطع النظر عَنْ المصاديق - كَمَا كَانَ يصنع فِى جمله مِنْ القَوَاعِد مِنْهَا ما تَقَدَّمَ فِى قَاعدَه الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير - بَلْ فِى هَذِهِ القَاعِدَه - كَمَا كَانَ يصنع فِى جمله مِنْ القَوَاعِد مِنْهَا ما تَقَدَّمَ فِى قَاعدَه الجرى وبمعنى التطبيق أو التعبير - بَلْ فِى هَذِهِ القَاعِدَه - الأمثال، جعل السَّيِّد العلّامه قدّس سرّه المَثَل حقيقه، وَلَهُ مصداق، ويُعْبَر مِنْ هَذَا المصداق إلى حقيقه وغايه ما وراء أكبر وَلَمْ تنحبس وتنحسر فِى المعنى الكُلِّى، وَهَذَا ما أَكَّدَته الآيه المُبَارَكه(لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى الْأَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَىْ ءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(١١١) (١).

بتقريب: - أنَّ القُرآن جمع بين المطلبين.

الأوَّل: إنَّ ما ذُكر فِى قصص الأنبياء السابقين لَيْسَ خيالاً وحديثاً يُفترى. وَإنَّما لَهُ حقيقه وراءهُ أعظم، فمثلاً ما ذُكِرَ مِنْ قصه فِى سوره يوسف هُوَ مَثَلُ وحقيقه لما هُوَ أعظم مِنْ يوسف آل يعقوب ألا وَهُوَ يوسف آل مُحمَّد صلّى الله عليه و آله، وهكذا ما ذُكِرَ مِنْ قصه مريم بنت عمران عليها السّلام هُوَ مثالاً لما هُوَ أعظم مِنْ مريم وعبوراً إلى فاطمه بنت مُحمَّد صلّى الله عليه و آله، وهكذا ما ذُكِر فِى قصه يعقوب آل إبراهيم عليه السّلام أعبر مِنْهُ إلى يعقوب آل مُحمَّد صلّى الله عليه و آله على بن الحسين عليهم السّلام وما ذُكر لذى القرنين هُوَ عبور لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام وهكذا، وَهَذَا لَيْسَ مِنْ نسج الخيال، وَإنَّما حقيقه اعتقاديه.

١- (١) سوره يوسف: الآيه ١١١.

الثَّانِی: ما ذُکِرَ فِی الآیه المُبَارَکه یصلح رَدَّاً عَلَی ما ظَنَّه بَعْض العرفاء، أو الصوفیه أو الفلاسفه أو بَعْض المُفَسِّرِین مِنْ أنَّ ما ذُکِرَ مِنْ کلمه (مَثَل) فِی القُرآن لَیْسَ لَهُ حقیقه، والواقع هُوَ لَهُ حقیقه حسب بیانات القُرآن وأهل البیت علیهم السّلام، ولکن هُنَاک حقیقه ما وراءه أعظم، لا أنَّ هَذِهِ حقیقه - أیّ الماوراء والغایه - وتلک لیست بحقیقه.

ویَدْعَم هَذَا ما ذکره القُرآن الکریم (وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ أَکْبَرُ) (۱).

بتقریب: - إنَّ الشیء الأکبر هُوَ الحقیقه والغایه وَالمُرَاد بالإراده الجدّیّه، وما دونه والأصغر، لَهُ حقیقه أیضاً ومُراد بالإراده الجدّیّه، والإراده الجدّیّه کَمَا قُرِّرَ عَلَی مراتب، ولا تعارض بین الإرادتین الجدّیّتین لِأنَّ بینهما ترتّب طولی.

۱- (۱) سوره التوبه: الآیه ۷۲.

العلاقه بين قاعده المثل، وقاعده الجرى

اشاره

فِى التعبير لا التطبيق

الجهه السَّادسه: نظام حقائق القُرآن:

إنَّ هَذِهِ الجهه مُرتبطه بنظام حقائق القُرآن الذى سيأتى بحثه وَبَعْدَ أنْ تبيَّن مِنْ الجهه السَّابقه مِنْ أنَّ أسلوب المثل، وضرب المَثل فِى القُرآن الكريم هُوَ احد الأساليب والأبواب المُهِمَّه فِى القُرآن الكريم، يتبيَّن أنَّ قَاعدِه المثل برهانٌ عَلَى المعنى الذى قرَّرناه لقاعده الجرى، خلافاً للمعنى الذى التزم به جمله مِنْ الأعلام كالسيّد العلّامه مُحمَّد حسين الطباطبائى قدّس سرّه فِى الميزان وَالسَّيِّد الخوئى قدّس سرّه فِى كتابه البيان، وَالسَّيِّد عبدالأعلى السبزوارى قدّس سرّه فِى مواهب الرحمن وغيرهم مِنْ أعلام العصر فِى التفسير، والذى بنى عَلَيْهِ جمله مِنْ مفسّرى الجمهور أيضاً فِى القرن الأخير.

بيان ذَلِكَ: إنَّ قَاعدِه الجرى والتطبيق بالمعنى الذى ذكروه جرى المعنى الكُلِّى الواحد فِى تطبيق المصاديق، فجرى حَرَكَه الآيه فِى المصاديق ومقام التطبيق وَلَيْسَ جرياً فِى المعنى، وأنَّ المعنى الكُلِّى ذو شأنٍ.

بينما قَاعدَه الجرى الَّتِى قرَّرناها، والمُستفاده فِى الأصل، لدى كلا المبنيين - مبنى السَّيِّد العلّامه، ومبنى - أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات فِى

تفسير القُرآن - مِنْ بيانات أئمه أهل البيت عليهم السّلام، هِيَ جرىٌ فِى طبقات المعنى المُرَاد ولا تنحصر فِى الجرى فِى المصاديق، بَلْ الجرى فِى المصاديق - كَمَا مَرَّ - أَنَّهُ نمطٌ مِنْ الجرى فِى المعنى وَلَيْسَ المصداق بمنأى عَنْ المعنى المُرَاد كَمَا اصطُلح عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ مُتأخّرىّ عُلَمَاء البلاغه ومشهور عُلَمَاء أصول الفِقْه المُتأخّرين، بَلْ المعنى الكُلِّى رشحه مِنْ رشحات المصداق الأعظم وَلَيْسَ العكسن أىّ المعنى الكُلِّى اتّفاقاً رشحه انعكاس وتجلّى مِنْ نفس الوجود العينى العظيم لا العكس، وَهَذَا الذى يقع فيه اشتباه معرفى وعقائدى كثير، بَلْ وَحَتّى فِى علم التفسير.

وَعَلَى ضوء هَذَا المبنى العلمى يصير الوجود العينى العظيم حينئذٍ هُوَ المُرَاد الأصلى والمعنى الكُلِّى بالتّبع، وَهَذَا معناه أنَّ المُرَاد الجِّدّى عَلَى درجات: مِنْهُ الوجود العينى العظيم، وَمِنْهُ: المعنى الكُلِّى، وبين هَذِهِ المراتب الجّدّيه درجات.

هَذَا كُلَّهُ حسب منهج أُمُومه الولايه عَلَى المُحْكَمات القائم عَلَى نظام المراتب وطبقات هندسته الطوليّه لا العرضيّه، وَهَذَا ما أكَّدته روايات أهل البيت عليهم السّلام.

وَمِنْ هَذَا اتّضح وجه دلاله قَاعدِه المثل عَلَى المعنى الذى ذهبنا إليه فِى قَاعدَه الجرى هُوَ دلاله قَاعدِه المَثَلَ عَلَى تعدّد طبقات المعنى المُرَاد، وعدم حصرها بمعنى واحد كُلِّى، وعدم حصر طبقات المعنى المُرَاد بالمصداق الكُلِّى، بَلْ المعانى المتلازمه الَّتِى ترتبط ببعضها البعض بالملازمه والملازمات

وأنواعها الكثيره ليست نسبتها إلى بعضها البعض نسبه المصداق إلى الكَلِّى كى يَكَون نظير الترادف اللغوى أو العقلى الجلى عَلَى أحسن التقادير، بَلْ يشمل الترادف العقلى الخفى الوسيع.

وَمِنْ خلال هَـذَا تبيَّن التطابق الواضح بين مَعْنَى قَاعـدَه الجرى الَّتِى ذكَرناها وَقَاعـدِه المَثَل، كَمَا تبيَّن التـدافع الواضـح بين التزام الأعلام بقاعده المثل كأسلوب مِنْ الأساليب المُهِمَّه فِى القُرآن الكريم مَعَ قَاعدَه الجرى والتطبيق مَعَ المعنى الذى التزموا به.

ص:۴۳۱

الجهه السابعه: أساليب القُرآن الثمانيه

برهانيه وَلَيْسَ لمجرد إقناع:

إنَّ أساليب القُرآن الثمانيه هِيَ أساليب برهانيّه وَلَيْسَ لمجرد الإقناع، كَمَا ذهب إلى ذَلِكَ جمله مِنْ الأعلام ومنهم السَّيِّد العلّامه الطباطبائى قدّس سرّه.

وبيان ذَلِكَ يقع ضمن نقاط:

عموم البرهان لِكُلِّ العلوم وقِوى النفس:

النقطه الأُولى: أَنَّهُ قَدْ حَرَّرْنا فِى المباحث العقليّه فِى منهج المعارف مِنْ شرح أصول الكافى فِى مبحث العقل والجهل أَنَّ ما اشتُهِرَ لدى الفلاسفه مِنْ حصر البرهان بالعقل غيرُ تامٍّ، بَلْ البُرهان يتأتى بحسب كُلّ القِوى النفسانيّه والروحيّه، سواء كَانَتْ إدراكيّه أو عمليّه فضلاً عَنْ حصر البُرهان العقل النظرى الذى بنى عَلَيْهِ ابن سينا وَمَنْ أتى مِنْ بعده إلى يومنا هَذَا، إلَّا القليل مِنْ المُتأخّرين مِنْ فلاسفه الإماميّه، مَعَ أَنَّ القُدماء منهم بنوا عَلَى عموم البُرهان إلى كُلّ مِنْ العقل النظرى والعقل

العملی، کَمَا بیَّناه فِی کتاب العقل العملی(۱).

وَعَلَی ضوء عموم البُرهـان لِکُـلِّ قِوی النفس یتبیَّن عموم البُرهـان لِکُلِّ عِلْم ولُغَهٍ علمیّه، کَمَا یتبیَّن عموم المُعجزه الإلهیه إلی کُلّ علم وفن ومهـاره، وَهِیَ بُرهـان عیـانی أرقی مِنْ البُرهـان العقلی الفکری الحصولی، کَمَـا تَنوعَّت معـاجز الأنبیـاء فِی کُـلّ جَـدْبٍ وصوبٍ، وَلَمْ تقتصر عَلَی الحکمه العقلیّه.

النقطه الثَّانیه: عَلَی ضوء ما تَقَـدَّمَ فِی النقطه الأُولی یتبیَّن أنَّ بقیّه الصـناعات الخمس مِنْ الجدل والخطابه والشـعر والمغالطه، قابله لأـنْ یتشـکَّل مِنْهَـا بُرهـانٌ، وکـذلک بقیّه أسـالیب أبواب القُرآن الکریم بُرهـانیّه، کبـاب الموعظه، وبـاب القصـص وبـاب السُّنَنِ والأمثال والفرائض والأحکام، والأنباء بالملاحم.

وبعبـاره أُخْرَی: إنَّ إدراک الحقیقه اللامُتَنـاهیه مُتیسِّـرٌ ومُمکِنٌ عَـبْر کُـلّ قوّه مِنْ قوی النفس کَمَـا مَرَّ، وبالتـالی عَبْر کُـلّ علم مِنْ العلوم المرتبـط بنمـط مِنْ قوی الإنسـان، فلاـ یختصّ رؤیه الثـابت السـرمدی الأزلی بقوّه العقل دون بَقیَّه القّوی، وکـذا الحال فِی رؤیه الکمالاـت اللامحـدوده کالقـدره والعلم اللامحـدودان، والأـولیّه والأـخرویّه، والجَمـال والبهاء والنور وغیرها مِنْ الکمالات اللامتناهیه، وَکُلّ ذَلِکَ لَمَعانٍ وعیانٍ للغیب المطلق.

۱- (۱) کتاب العقل العملی، للشیخ مُحمَّد السَّند.

عموم الكشف البُرهانی والشهود
والبُرهان العیانی لِكُلِّ قوی النفس:

النقطه الثّالثه: یتبیَّن مِنْ النقطه السابقه أیضاً دفع ما تبنّاه العُرفاء والصوفیّه مِنْ حصر الكشف والشهود بقوّه القلب وما فوقها مِنْ السِّرِّ الخفیّ والأخفی، وأنَّ الكشف والشهود للبُرهان العیانی فضلاً عمّا دونه فَإنَّهُ لا ینحصر بتلك القِوی، بَلْ یعمّ كُلّ قِوی النَّفس.

ویوضح كُلّ ذَلِكَ ما فِی بیان الإمام الصادق علیه السّلام، وَقَدْ ذكرنا عِنده الجدال فِی الدِّین، وأنَّ رسول الله صلّی الله علیه و آله والأئمه علیهم السّلام قَدْ نهوا عَنْهُ، فَقَالَ الصادق علیه السّلام: «لَمْ ینه عَنْهُ مُطلقاً، ولكن نهی عَنْ الجدال بغیر الَّتِی هِیَ أحسن أما تسمعون الله عَزَّ وَجَلَّ یقول: - (وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلاّ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) (۱)وقوله تعالی: (ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) (۲)(۳).

بتقریب: - إن مفاد بیانه علیه السّلام هو أن القضیّه الصادقه الحَقَّه سواء كانت فی هیئه الجدل أو الموعظه أو شاكله قوالب الحكمه هی بُرهانٌ، وهذا مُقتضی قوله تعالی، فَجُعل علم الصدق والإیمان بالبُرهان، وهل یُؤتی بالبُرهان إلا فی الجِدال بالّتی هی أحسن، ثم فرَّقَ علیها السّلام بین صناعه الجدل التی هی للتعصُّب، وبین

۱- (۱) سوره العنكبوت: الآیه ۴۶.

۲- (۲) سوره النحل: الآیه ۱۲۵.

۳- (۳) تفسیر العسكری: ص ۵۰۱، ح ۳۲۲.

صناعه الجدل التى لا يُنكر فيها حقٌّ، وإنْ استعان به الخصم، فحصل خلط لدى الفلاسفه والمناطقه بين الجدل بالتى هِىَ أحسن والجدل بالباطل فجعلوها مِنْ باب واحِدٍ وشاكلهٍ واحِدَهٍ، مَعَ وضوح الفوارق فِى الضوابط بينهما وَقَدْ بيَّنه بِعِدَّه ضوابط، وفوارق فِى أدناه.

الفوارق بين القسمين:

أوَّلاً: أنْ تُجادِل مُبْطِلاً بخلاف الجدل البُرهانى بأنْ تجادل مُحِقاً.

ثانياً: أنْ تُبطل الباطل بالباطل، بخلاف الجدال البُرهانى وَهُوَ إبطال الباطل بالحق.

ثالثاً: إنَّ الجَدَل بالباطل يعتمد عَلَى الجحود مِنْ حَيْثُ هُوَ جحود، بينما الجدال البُرهانى يعتمد عَلَى صدق وحقّانيّه الحُجّه، وَمِنْ ثمَّ كسرها للباطل.

رابعاً: إنَّ الجدل بالباطل يتضمَّن جحد الحقِ، ولو استعان المُبْطِل لأعانه به باطله، بخلاف الجدل الُبرهانى، فَإنَّهُ يُفَرِّق ما بين هُوَ حق فِى كلام المبطل فلا يجحده، وبين ما هُوَ باطل فِى كلامه فيجحده.

خامساً: إنَّ الجدل بالباطل لا يُفرق بين ما هُوَ حق وباطل لدى الخصم بخلاف الجدل البُرهانى فَإنَّهُ يقوم عَلَى الفرقه بين ما هُوَ حق، وبين ما هُوَ باطل فِى مقاله الخصم.

سادساً: إنَّ الجَدَل بالباطل يتساوى فيه المحق والمبطل، فَإنَّ المبطل

أصل مقالته باطله جَحَدَ بها الحَقّ أصلاً، وأمَّا المحقّ فَهُوَ يجحد الحَقّ الذى يُغالِط به المبطل ليستعين به عَلَى باطله، فتساوى الاثنان فِى جَحْدِ الحَقّ، بخلاف الجدل البُرهانى فَإنَّهُ يتجنب ويتوخّى عَنْ إبطال أىّ حق فِى البين.

فَهَذِهِ جملهٌ مِنْ الفوارق والضوابط الَّتِى بيَّنها الإمام الصادق عليه السّلام فِى هَذَا الحديث الشريف للفرق بين الجدل التعصبى - بغير الَّتِى هِىَ أحسن - وبين الجدل البُرهانى - الجدل بالّتى هِىَ أحسن.

النقطه الرَّابعه: قَدْ تَنَقَّحَ فِى الجهات السابقه مِنْ بحث الأمثال، الترادف العقلى بين المَثَل والآيه، وَقَدْ تقرَّر فِى مباحث المعرفه العقليه أنَّ منهج الآيات منهجٌ بُرْهانى فِى المعرفه، وبذلك يتبيَّن مِنْ ذَلِكَ فضلاً عمّا تَقَدَّمَ مِنْ النقاط السابقه أنَّ أسلوب المَثَل لغهٌ بُرهانيّه لإثبات الحقائق وإقامه الدلائل عَلَيْهَا.

كَذَلِكَ استفاده السَّيِّد العلّامه الطباطبائى قدّس سرّه(١) فِى تفسير قوله تَعَالَى(ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ) (٢). إلى آخر الآيه لا شكَّ أنَّه يستفاد مِنْ الآيه أنَّ هَذِهِ الثلاثه، الحكمه والموعظه والمجادله مِنْ طرق التكلُّم والمفاوضه فَقَدْ أُمِرَ بالدعوه بأحد هَذِهِ الأُمُور فَهِىَ مِنْ أنحاء الدعوه وطرقها وإنْ كَانَ الجِدال لا يُعَدُّ دعوه بمعناها الاخص.

١- (١) الميزان فِى تفسير القُرآن لِلْسَّيِّد الطباطبائى: ج ١٢، ص ٣٧١ - ص ٣٧۴.

٢- (٢) سوره النحل: الآيه ١٢٥.

وَقَدْ فَسَّرت الحكمه - كَمَا فِی المفردات - بأصاله الحَقّ بالعلم والعقل، والموعِظه كَمَا عَنْ الخليل بأنه التذكير بالخير فيما يرق لَهُ القلب، والجدال - كَمَا فِی المفردات - بالمفاوضه عَلَی سبيل المنازعه والمغالبه.

والتأمُّل فِی هَـذِهِ المعانی يُعطی أنَّ المُرَاد بالحكمه - والله أعلم - الحجه الَّتِی تنتج الحَقّ الذی لا مريّه فيه ولا وَهُنَّ ولا إبهام، والموعِظَهُ هُوَ البيان الذی تلين به النفس ويرقّ لَهُ القلب، لما فيه مِنْ صلاح حال السامع مِنْ الغِبَر والعِبَر وجميل الثناء ومحمود الأثر ونحو ذَلِكَ.

فينطبق ما ذكره تَعَالَی مِنْ الحكمه والموعظه والجدال بالترتيب عَلَی ما اصطلحوا عَلَيْهِ فِی فن الميزان بالبُرهان والخطابه والجدل... الخ.

وكذلك ما ذكره السَّيِّد العلّامه فِی تفسير قوله تَعَالَی: (وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ) (۱).

النقطه الخامسه: قَدْ نَبَّه القُرآن الكريم فِی آياتٍ وسورٍ عديدهٍ ومواطنٍ معرفيّهٍ مُتعدِّده أنَّ أسلوب المَثَل منهج معرفی متقوِّم بموازين لمنظومه الحقائق وَأنَّهُ مِنْ أوسع أبواب طُرق المَعْرِفه، كَمَا هُوَ الحال فِی منهج المعرفه للآيه والآيات الذی أشاد به القُرآن الكريم فِی كُلّ السور كَمَا فِی الآيات التاليه:

قوله تَعَالَی: (إِنَّ مَثَلَ عِيسی عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ

۱- (۱) الميزان فِی تفسير القُرآن لِلسَّيِّد العلّامه: ج ۱۸ ص ۲۲۹.

قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(۵۹) اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلا تَکُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ(۶۰) فَمَنْ حاجَّکَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَى الْکاذِبِينَ) (۱).

بتقريب: - أنَّ القُرآن الكريم فِي هَـٰذِهِ الآيه المُبَارَكه استدلَّ بمثل آدم كبُرهان لـدحض دعوى النصارى الألوهيّه فِي عيسى عليه السّلام بذريعه تخَلُّقِه مِنْ غَيْر أبٍ.

۲) قوله تَعَالَى: (وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ کُلِّ مَثَلٍ فَأَبى أَکْثَرُ النّاسِ إِلاّ کُفُوراً(۸۹) وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً(۹۰) أَوْ تَکُونَ لَکَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً(۹۱) أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ کَما زَعَمْتَ عَلَيْنا کِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَ الْمَلائِکَهِ قَبِيلاً(۹۲) أَوْ يَکُونَ لَکَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّکَ حَتّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا کِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ کُنْتُ إِلاّ بَشَراً رَسُولاً) (۲) فصريح الآيه أنَّ المَثَل بُرهانٌ ودلائلٌ للإيمان أعظم مِنْ المعجزات الماديّه، بَلْ أعظم مِنْ تَنزُّل كتاب مادّى يُقرأ مِنْ السَّمَاء، كقوله تَعَالَى: (وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هـذَا الْقُرْآنِ لِلنّاسِ مِنْ کُلِّ مَثَلٍ وَ کانَ الْإِنْسانُ أَکْثَرَ شَيْ ءٍ جَدَلاً(۵۴) وَ ما مَنَعَ النّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى وَ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاّ أَنْ

۱- (۱) سوره آل عمران: الآيه ۵۹-۶۱.

۲- (۲) سوره الإسراء: الآيه ۸۹-۹۳.

تَأْتِيَهُمْ سُنَّهُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ قُبُلًا(۵۵) (۱).

والتقريب فيه كَمَا مَرَّ، وأُطلق عَلَى المثل بأنه هُدىً وهدايه.

ومثل قوله تَعَالَى: (اللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاهٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِی زُجاجَهٍ الزُّجاجَهُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّیٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَهٍ مُبارَكَهٍ زَيْتُونَهٍ لا شَرْقِيَّهٍ وَ لا غَرْبِيَّهٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِیءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِی اللّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ وَ اللّهُ بِكُلِّ شَیْ ءٍ عَلِيمٌ(۳۵) (۲).

بتقريب: - هُنَا ضرب الله المثل المادّی لحقائق غيبيّه مِنْ نشأه النور مما يُنبّه ويدلل عَلَى أنَّ النشاه المادّيه فيها قابليّه المثل والآيه والطريق للعلم بالغيوب.

۴) وقوله تَعَالَى: (وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاّ جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً(۳۳) (۳).

۵) وقوله تَعَالَى: (وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَ مَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَهً لِلْمُتَّقِينَ(۳۴) (۴).

بتقريب: - إنَّ الآيه المُبَارَكه تُبيِّن أنَّ المُنْزَل فِی القُرآن ثلاثه أصناف:

أ) آياتٌ مُبيّنات. ب) ومَثَلٌ أیّ قصص الَّذِيْنَ مِنْ قبلنا. ج -) وموعظه.

۱- (۱) سوره الكهف: الآيه ۵۴-۵۵.

۲- (۲) سوره النور: الآيه ۳۵.

۳- (۳) سوره الفرقان: الآيه ۳۳.

۴- (۴) سوره النور: الآيه ۳۴.

وَهِیَ صریحه فِی عظمه المَثَل وَأَنَّهُ بحذو نزول الآیات، کَمَا أَنَّ الآیه المُبَارَکه تُبیِّن أَنَّ قصص القُرآن کُلَّهَا مَثل وعِبْرَه لما وراءها، وأَنَّ المَثَل عَلَی حذو البیان المبین والآیات والدلائل البُرهانیّه.

۶) قوله تَعَالَی: (ضَرَبَ لَکُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِکُمْ هَلْ لَکُمْ مِنْ ما مَلَکَتْ أَیْمانُکُمْ مِنْ شُرَکاءَ فِی ما رَزَقْناکُمْ فَأَنْتُمْ فِیهِ سَواءٌ تَخافُونَهُمْ کَخِیفَتِکُمْ أَنْفُسَکُمْ کَذلِکَ نُفَصِّلُ الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ(۲۸) (۱).

بتقریب: - أَنَّ الآیه المُبَارَکه صریحه فِی أَنَّ المَثَل طریقٌ للتعقُّل، کَمَا أَنَّ تفصیل للآیات والتفصیل تمییزٌ وتُرْجمان للمُجْمَل، وَهُوَ إشاره إلی أَنَّ النفس بابٌ للمعارف أوجده الله للإنسان کمثل یُضْرَب لتحقق المعرفه.

۷) وکقوله تَعَالَی: (وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَ نَسِیَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ یُحْیِ الْعِظامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ(۷۸) قُلْ یُحْیِیهَا الَّذِی أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ) (۲).

بتقریب: - إِنَّ دحض القُرآن لمثل ذَلِکَ المُشرک هُوَ العاص بن وائل أو عبدالله بن أُبی بن خلف لا مِنْ جهه المثل، بَلْ مِنْ جهه أَنَّ هَذَا المَثَل لَیسَ مثلًا لما یدّعیه ذَلِکَ المُشرِک، ولو لَمْ یکن الاستدلال بالمثل بحث معرفی لَمْ یَتَصَدّ القُرآن للجواب عَنْهُ.

۸) قوله تَعَالَی: (ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِیهِ شُرَکاءُ مُتَشاکِسُونَ وَ رَجُلًا

۱- (۱) سوره الروم: الآیه ۲۸.

۲- (۲) سوره یس: الآیه ۷۸.

سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ(۲۹) (۱).

بتقريب: - إنَّ الآيه فِي صدد إقامه البُرهان عَلَى نفى الشريك وإثبات الوحدانيّه لله تَعَالَى، وَذَلِكَ بوحده نظام عالم المخلوقات فَإنَّ النُّظم يقتضى الوحده والوحده تقتضى وحده الفاعل، فبُيِّن هَذَا البُرهان عِبْرَ هَذَا المَثَل.

۹) قوله تَعَالَى: (وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ(۴۳) (۲).

بتقريب: - إنَّ أسلوب المثل أسلوبٌ للتعقُّل، فالأمثال تحتاج إلى تعقُّل كى يُدْرِك العِبْرَه والغايه مِنْهَا وتعقّلها يتوقّف عَلَى العِلْم، وَهَذَا مما يُنبّه عَلَى أنَّ المثل والأمثال متضمّنه لعلم جمٍ وتستلزم قابليه كبيره فِي قدره التعقُّل، وَأنَّها تستدعى تحليل وتركيب فيما بين المعانى وَأنَّها لغهٌ فِي التعقُّل وآثار العقل للتنبه إلى معانٍ وقواعدٍ فِي الدلائل.

۱۰) قوله تَعَالَى: (وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (۳).

بتقريب: - إنَّ الآيه المُبَارَكه تُبيِّن أنَّ الغايه مِنْ ضَرْب المثل هُوَ التفكُّر وتحريك الفكر لأجل إدراك الحقيقه والحقائق، فتبيّن الآيه الكريمه أنَّ المثل بابٌ واسعٌ مِنْ أبواب الفكر ولغه عظيمه مِنْ لغات

۱- (۱) سوره الزمر: الآيه ۲۹.

۲- (۲) سوره العنكبوت: الآيه ۴۳.

۳- (۳) سوره الحشر: الآيه ۲۱.

الفكر، وأنَّ الحقيقه والبُرهان والحكمه قَدْ يُسْهُلُ ويَسْلُسُ إيصالها بلغه المثل والأمثال أقربُ وأبين مِنْ اللغات العلميّه الأخْرَى لا سيَّما وأنَّ المَثَل تَتنزَّل فيه الحقائق بنحو نازلٍ ملموس يَسْهُل تناوله والإمساك بالطريق فيه لكافه درجات وقابليات العقول.

ص:۴۴۳

الجهه الثّامنه

الفرق بين ضرب المثل، وجعل المثل، وصَرَّف المثل

ويضرب الأمثال

قَدْ جرى فِي القُرآن إسناد عِدَّه أفعال إلى المثل.

الأوَّل: الصَرْف لُغَةً: بمعنى التغيير والإيجاد، وردُّ الشيء عَنْ وجهه(۱).

وَقَدْ وَرَدَتْ كلمه (صَرَف) مسنده إلى الضمائر المختلفه فِي القُرآن كَمَا فِي:

۱) قوله تَعَالَى(وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى أَكْثَرُ النّاسِ إِلاّ كُفُوراً(۸۹) (۲).

۲) وقوله تَعَالَى: (وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِلنّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ كانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْ ءٍ جَدَلاً(۵۴) (۳).

۳) وقوله تَعَالَى: (وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا وَ صَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ) (۴).

۴) وقوله تَعَالَى: (وَ صَرَّفْنَا الْآياتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(۲۷) (۵).

۱- (۱) لسان العرب لابن منظور مادّه - صَرَف.

۲- (۲) سوره الإسراء: الآيه ۸۹.

۳- (۳) سوره الكهف: الآيه ۵۴.

۴- (۴) سوره طه: الآيه ۱۱۳.

۵- (۵) سوره الأحقاف: الآيه ۲۵.

۵) وقوله تَعالَی: (قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَکُمْ وَ أَبْصارَکُمْ وَ خَتَمَ عَلی قُلُوبِکُمْ مَنْ إِلهٌ غَیْرُ اللّهِ یَأْتِیکُمْ بِهِ انْظُرْ کَیْفَ نُصَرِّفُ الْآیاتِ ثُمَّ هُمْ یَصْدِفُونَ(۴۶) (۱).

بتقریب: - إنَّ الآیه المُبَارَکه استخدمت الصرف بمعنی المَثَل والعِبْرَه ولا یخفی الترادف العقلی بینهما - المَثَل والعِبْرَه کما تَقَدَّمَ.

۶) وقوله تَعالَی: (وَ الْبَلَدُ الطَّیِّبُ یَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِی خَبُثَ لا یَخْرُجُ إِلاّ نَکِداً کَذلِکَ نُصَرِّفُ الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَشْکُرُونَ(۵۸) (۲).

بتقریب: - إنَّ الآیه هُنَا بمعنی المَثَل والعِبْرَه ولا یخفی الترادف العقلی بینهما.

۷) وقوله تَعالَی: (وَ کَذلِکَ نُصَرِّفُ الْآیاتِ وَ لِیَقُولُوا دَرَسْتَ وَ لِنُبَیِّنَهُ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ(۱۰۵) (۳).

وَقَدْ روی فرات الکوفی فِی تفسیر قوله تَعالَی(وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هذَا الْقُرْآنِ لِیَذَّکَّرُوا وَ ما یَزِیدُهُمْ إِلاّ نُفُوراً(۴۱) (۴) بسنده عَنْ جابر قَالَ: قَالَ أبو جعفر علیه السّلام: «قَالَ الله تَعالَی(وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هذَا الْقُرْآنِ لِیَذَّکَّرُوا) » قَالَ

۱- (۱) سوره الأنعام: الآیه ۴۶.

۲- (۲) سوره الأعراف: الآیه ۵۸.

۳- (۳) سوره الأنعام: الآیه ۱۰۵.

۴- (۴) سوره الإسراء: الآیه ۴۱.

یعنی، ولقد ذکرنا علیاً فِی کُلّ آیهٍ فأبوا ولایه علی علیه السّلام وما یزدیهم إلَّا نفوراً(۱).

وروی فرات الکوفی بسنده عَنْ أبی حَمْزَه الثمالی: سألتُ أبا جعفر علیه السّلام عَنْ قول الله تَعَالَی(وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هذَا الْقُرْآنِ) (۲) قَالَ ویعنی (یعنی) ولقد ذکرنا علیاً فِی کُلّ القُرآن وَهُوَ الذکر وما یزیدهم إلَّا نفوراً(۳).

وفی الرُّوایه إشاره إلی ما ذکرنا مِنْ أنَّ المثل تسمیهٌ واسم ولقب.

وذکر القُمّی فِی تفسیر قوله تَعَالَی: (وَ لَقَدْ أَهْلَکْنا ما حَوْلَکُمْ مِنَ الْقُری وَ صَرَّفْنَا الْآیاتِ لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ(۲۷) (۴) أنَّ صَرَّفنا الآیات أیّ بیّنا الآیات.

وفی تفسیر الصّافی فِی تفسیر قوله تَعَالَی: (وَ لَقَدْ صَرَّفْنا) أیّ کرّرنا الدلائل وفَصَّلنا العِبَرَ فِی هَذَا القُرآن (لیذَّکروا) لیتّعضوا ویعتبروا وقرئ لیذّکروا مِنْ الذکر بمعنی التذکّر(وَ ما یَزِیدُهُمْ إلاّ نُفُوراً) عَنْ الحَقّ (۵).

وهکذا فِی تفسیر قوله تَعَالَی(وَ لَقَدْ صَرَّفْنا) کرَّرنا بوجوه مُخْتَلِفَه

۱- (۱) تفسیر فرات الکوفی: ج ۱، ص ۲۴۰، ح ۵، مِنْ سوره الإسراء، ط مؤسسه النعمان.

۲- (۲) المصدر السابق: ص ۲۴۱ ح ۶.

۳- (۳) تفسیر الصافی/ ملا محسن المعروف الفیض الکاشانی: ج ۳، ص ۱۳۴ ذیل آیه ۴۱ الإسراء.

۴- (۴) سوره الأحقاف: الآیه ۲۷.

۵- (۵) المصدر السابق تفسیر آیه ۸۹، الإسراء: ص ۱۵۰.

زیـاده فِی التقریر والبیـان(لِلنّاسِ فِی هـذَا الْقُرْآنِ مِـنْ کُـلِّ مَثَلٍ) یعنی مِـنْ کُـلّ مَعْنَی کالمثـل فِی غرابتـه أو وقـوعه موقِعـاً فِی الأنفس(فَأَبی أَکْثَرُ النّاسِ إِلاّ کُفُوراً) (۱) إِلَّا جحوداً فِی الکافی والعیّاشی عَنْ الباقر علیه السّلام: «نزل جبرائیل بهذه الآیه هکذا(إِلاّ کُفُوراً) بولایه علی علیه السّلام إِلَّا کفوراً.

ولا یُبْعَد إراده جَرْی المَثَل فِی المعنی المُمَثَّل لَهُ فتصریف المثل بمعنی جَرْیه.

وکذلک استعملت مادَّه الصَّرْف فِی القُرآن الکریم فِی عِدَّه موارد: -

مِنْهَا: قوله تَعَالَی: (وَ لَقَدْ صَرَّفْناهُ بَیْنَهُمْ لِیَذَّکَّرُوا فَأَبی أَکْثَرُ النّاسِ إِلاّ کُفُوراً(۵۰) (۲).

مِنْهَا: - قوله تَعَالَی: (وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هذَا الْقُرْآنِ لِیَذَّکَّرُوا وَ ما یَزِیدُهُمْ إِلاّ نُفُوراً(۴۱) (۳).

وأَمَّا [ضَرَب] فکثیر ما ترد فِی الآیات کَمَا هُوَ فِی اللُّغَه بمعنی التمثیل والاعتبار والذکر والوصف والصَرْف.

أَمَّا التمثیل فکقوله تَعَالَی: (ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً کَلِمَهً طَیِّبَهً) (۴).

۱- (۱) سوره الإسراء: الآیه ۸۹.

۲- (۲) سوره الفرقان: الآیه ۵۰.

۳- (۳) سوره الکهف: الآیه ۵۴.

۴- (۴) سوره إبراهیم: الآیه ۲۴.

والاعتبار والذكر فكقوله تَعَالَى: (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا) (۱).

وأمَّا الوصف فكقوله تَعَالَى: (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا) (۲).

كذا فِي الوصف كقوله تَعَالَى: (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياهِ الدُّنْيا) (۳).

وكذا فِي الوصف قوله تَعَالَى: (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا) (۴).

وفي بَعْض الموارد استعملت (ضَرَبَ) مِنْ دون إسنادها صريحاً إلى المثل نظير قوله تَعَالَى: (وَ لَمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (۵۷) وَ قالُوا أَ آلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاّ جَدَلاً) (۵).

وأمَّا الصَرْف فكقوله تَعَالَى: (أَ فَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً) (۶).

الفرق بين ضرب المَثْل وصَرْف المثل:

فيشتركان فِي أصل التمثيل، ويفترقان فِي أنَّ (صرف المثل) يَكُون التركيز عَلَى المُمَثل به والمجيء بالمثل للعبور إلى الممثْل به.

وأمَّا فِي (ضرب المثل) فَيَكُون التركيز عَلَى نفس المَثَل وَيَكُون

۱- (۱) سوره يس: الآيه ۱۳.

۲- (۲) سوره الإسراء: الآيه ۴۸.

۳- (۳) سوره الكهف: الآيه ۴۵.

۴- (۴) سوره يس: الآيه ۱۳.

۵- (۵) سوره الزخرف: الآيه ۵۷-۵۸.

۶- (۶) سوره الزخرف: الآيه ۵.

المُمَثّل به غَيْر مغفول عَنْهُ، بَلْ هُنَاك عُقْدَه وإبهام فِى الممثل به يُرْفع هَذَا الإبهام والاعتراض والإشكال بوضوح.

ويُجاب عَنْهُ: إنَّ جهه الاشتراك بينهما فِى المَثَل.

وَهَذَا الفرق بينهما يقتضى أمران:

أوَّلاً: يقتضى أنَّ كيفيه سبك المثل فِى ضَرْب المثل يختلف عَنْ سبك المثل فِى صَرْف المثل، وَلَيْسَ ذَلِكَ يقتصر عَلَى ذَلِكَ، بَلْ الافتراق مِنْ حَيْثُ سبك المعنى أيضاً، فَإنَّ فِى صَرْف المثل محطّ النظر إلى الممثل به مِنْ دون التقييد بحدود المَثَل.

وأمَّا فِى ضرب المَثل فالتركيز - كَمَا مَرَّ - فِى المَثَل وماله مِنْ خصوصيه بيانيّه فلا يُنطلق فيه إلى كُلّ جهات المُمَثّل لَهُ.

ثانياً: وكذا ينبغى فِى موارد (ضرب المثل) فِى القُرآن والوحى التركيز عَلَى المثل كَحَلْحَلَه الإبهام أو الغموض فِى الممثل لَهُ، وبخلاف ذَلِكَ فِى موارد صرف المثل.

وأمَّا: [جعل المثل] فَقَدْ وَرَدَ فِى قوله تَعَالَى: (إِنْ هُوَ إِلاّ عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَ جَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنِى إِسْرائِيلَ(۵۹) (۱).

وقوله تَعَالَى: (فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً وَ مَثَلاً لِلْآخِرِينَ(۵۶) (۲).

۱- (۱) سوره الزُّخرف: الآيه ۵۹.

۲- (۲) سوره الزُّخرف: الآيه ۵۶.

بتقريب: - الظاهر المُرَاد به - جعل المثل - موارد الجعل التكوينى لا- التمثيل فِى البيان اللفظى وَيَكون حينئذٍ عَلَى وزان جعل الآيه التكوينيه، وباب جعل المثل حينئذٍ يَكُون الخِلْقه التكوينيه لَهُ تَعَالَى وما تصرَّم مِنْ سنن القدر والقضاء الإلهى فِى الأُمم السابقه، فيتّسع باتّساع الجعل التكوينى إذْ يساوق الآيه، إلَّا أنَّ بين جعل الآيه وجعل المثل افتراق، وَذَلِكَ: فِى جعل الآيه: فَإنَّ الملحوظ فيها البُرهان والدلاله التصديقيه لذى الآيه.

وأمَّا فِى جعل المثل: - فالمطلوب فيه أصل التنبّه والتصوّر.

الجهه التَّاسعه: حقيقه استعمال المَثَل

فِى القُرآن الكريم والحقائق القرآنيه:

إنَّ مِنْ البحوث الَّتِى تجاذب فيها الاختلاف بين المُفَسِّرين ذوى المشارب المختلفه مِنْ الأدبيّه والكلاميّه والفلسفيّه والعرفانيّه وغيرها مِنْ أنَّ القصص فِى القُرآن والمَثَل والإخبارات، هل هِىَ حقائق وقعت أو حقائق ستقع، أم أنَّها قصص خياليّه يُرْمَز بها إلى حقائق وراءها، لا- أنَّها حقائق وقعت وستقع وانسحب كلامهم إلى ما أنبأ به القُرآن مِنْ الجنه والنار والصراط والبرزخ، وَكُلّ حقائق الآخِرَه.

ولتنقيح الحال نذكر نقاطاً: -

النقطه الأولى: إنَّ وجود التشبيه والمثل التشبيهى أُسلوب مُتكرِّر

وقوعُه فِی القُرآن الکریم کقوله تَعَالَی: (مَثَلُ نُورِهِ کَمِشْکاهٍ فِیها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِی زُجاجَهٍ الزُّجاجَهُ کَأَنَّها کَوْکَبٌ دُرِّیٌّ یُوقَدُ مِنْ شَجَرَهٍ مُبارَکَهٍ زَیْتُونَهٍ لا شَرْقِیَّهٍ وَ لا غَرْبِیَّهٍ یَکادُ زَیْتُها یُضِیءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلی نُورٍ یَهْدِی اللّهُ لِنُورِهِ مَنْ یَشاءُ وَ یَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ وَ اللّهُ بِکُلِّ شَیْ ءٍ عَلِیمٌ(۳۵) (۱).

وقوله تَعَالَی: (ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا کَلِمَهً طَیِّبَهً کَشَجَرَهٍ طَیِّبَهٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِی السَّماءِ(۲۴) تُؤْتِی أُکُلَها کُلَّ حِینٍ بِإِذْنِ رَبِّها وَ یَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ(۲۵) وَ مَثَلُ کَلِمَهٍ خَبِیثَهٍ کَشَجَرَهٍ خَبِیثَهٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ(۲۶) (۲).

وقوله تَعَالَی: (ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا عَبْداً مَمْلُوکاً) (۳).

فوجود مثل هَذَا النَّمط مِنْ التمثیل فِی القُرآن لا یُنکر، والعِبْرَه فیه والمدار عَلَی وجه الشبه، فَلَیْسَ الکلام فِی وقوعه أسلوباً مِنْ أسالیب القُرآن الکریم، وَهُوَ أُسلوبٌ بلاغیٌّ مُعتمدٌ فِی کُلّ اللغات، إنَّما الکلام فِی بقیّه أنواع الأمثال فِی القُرآن وعدم حصرها فِی هَذَا النوع کَمَا تُوهِم.

النقطه الثَّانیه: إنَّ هُنَاک جمله مِنْ الأمثال الحقیقه اتّخذها وضربها القُرآن مثلًا وَهَذَا ما یُبرهن أنَّ باب المَثَل والأمثال بالقرآن لا ینحصر بالنوع السابق مِنْ المثل والتمثیل السابق الذی یندرج فِی التشبیه نظیر

۱- (۱) سوره النور: الآیه ۳۵.

۲- (۲) سوره إبراهیم: الآیه ۲۴-۲۵-۲۶.

۳- (۳) سوره النحل: الآیه ۷۵.

قوله تَعَالَى: (وَ لَمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ(۵۷) (۱).

وقوله تَعَالَى: (ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ) (۲).

وقوله تَعَالَى: (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ) (۳).

وقوله تَعَالَى: (وَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّهِ وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ(۱۱) وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ) (۴).

وقوله تَعَالَى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(۵۹) (۵).

وغيرهـا مِنْ الآيـات المُبَـارَكه الَّتِي هِيَ موارد أمثله ومَثَـل لِأُمُور متحقّقه وواقعه، وقصـص حقيقيّه لكنَّ الله أوردها عِبْرَه وعبوراً لما وراءها، فليست هِيَ قصّه مسبوكه مِنْ نسيج الفرض والافتراض وَأَنَّهُ لا

۱- (۱) سوره الزُّخرف: الآيه ۵۷.

۲- (۲) سوره التحريم: الآيه ۱۰.

۳- (۳) سوره الروم: الآيه ۲۸.

۴- (۴) سوره التحريم: الآيه ۱۱-۱۲.

۵- (۵) سوره آل عمران: الآيه ۵۹.

حقيقه لهـا ما وراءها فكون الشـيء حقيقه لا ينفى كونه مثلاً يُعْبَر مِنْهُ وبه إلى حقيقه أعظم وأهم مِنْهُ، وَهَـذَا الخلط الـذى وقع فيه كثير مِنْ الفلاسـفه والعُرفاء، أو بَعْض المُفَسِّرين مَنْ توهَّم كون باب المثل والأمثال لَيْسَ لَهُ حقيقه إلَّا ما وراءه مِنْ العِبْرَه، وَمِنْ ثمَّ ينبثق بابٌ عظيم فِى الأُمُور والحقائق التكوينيه أنَّها مَثَل وأمثال لحقائق غيبيَّه ملكوتيه أعظم مِنْهَا.

وَمِنْ ثمَّ وَرَدَ تنبيه وبيان فِى رواياتهم عليهم السّـلام بنحو مُسـتفيض أنَّ ما ذكره الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ سـيره الأنبياء والمُرسلين السابقين أو الأوصياء والمصطفين مَثَلٌ ضربه الله عَزَّ وَجَلَّ للنبى صلّى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السّلام وأنهم المعنيّون بتلك القصص وأنَّ مريم عليها السّلام مَثَلٌ ضربه الله لفاطمه عليها السّلام وأنَّ فاطمه عليها السّلام هِىَ مريم الكُبرى عليها السّلام - كَمَا تَقَدَّمَ -.

النقطـه الثَّانيه: أنَّ هُنَـاك نـوعٌ ثـالث مِنْ الأمثـال فِى القُرآن لَيْسَ كالأوَّل - كَمَـا فِى النقطه الأُولى - افتراضـى محض مِنْ بـاب التشبيه، كَمَـا أنَّهُ لَيْسَ مِنْ النوع الثَّانِى فِى الأمثال الحقيقيه لحقيقه ما وراءه أعظم، بَلْ هُوَ مَثَلٌ تقـديرى أىّ لَيْسَ افتراضـى محض ولاـ واقع متحقّق، بَـلْ مَعْنَى كُلِّى ممكن التحقُّق تقـديراً، كقوله تَعَـالَى(لَوْ أَنْزَلْنا هـذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِـعاً مُتَصَـدِّعاً مِنْ خَشْيَهِ اللّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(٢١) (١).

١- (١) سوره الحشر: الآيه ٢١.

وَكَقَوْله تَعَالَى: (يا أَيُّهَا النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ(٧٣) (١).

الجهه العاشره: ليس كمثله شيء

(٢)

قَدْ يُتساءل فِي مَعْنَى الآيه فِي عِدَّه زوايا: -

الأُولى: هل الكاف زائده أو أصليَّه.

الثَّانيه: هل الآيه فى صدد نفى المِثل بالكسر.

الثَّالثه: كيف التوفيق بين مفاد الآيه(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْ ءٌ) وقوله تعالى: (وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(١۴) (٣).

الرَّابعه: كيف يُقرِّر مفاد الآيه المُباركه عَلَى مسلك بَعْض اللغويين الَّذِيْنَ يذهبون إلى وحده مَعْنَى المِثْل والمَثَل: حَيْثُ قَالَ: (وَ لِلّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(۶٠) (۴).

وفى البدء نمحّص الحال فِي تنقيح الحال بهذه الزوايا بمجموعه نقاط: -

النقطه الأُولى: قَدْ ذكر المُفَسِّرون فِي شرح قوله تَعَالَى: (وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(١۴) أىّ ولا يخبرك بالأمر مُخْبِرٌ مِثْلُ خبير عالِمٌ به أخبرك وَهُوَ

١- (١) سوره الحج: الآيه ٧٣.

٢- (٢) سوره الشورى: الآيه ١١.

٣- (٣) سوره فاطر: الآيه ١۴.

۴- (۴) سوره النحل: الآيه ۶٠.

الله سُبْحَانَهُ فَإِنَّهُ الخبير به عَلَى الحقيقه دون سائر المُخبرين.

وَقَالَ بعضهم: (وَ لا ـ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(١٤) مِنْ القُرآن العزيز أىّ ولا ـ يُخبْرك بالأمور أحدٌ عَلَى حقائقها كالعارف بها العالم بكنهها.

وَقَالَ الشَّيْخ الطوسى فِى التبيان فِى تفسير الآيه [أىّ ولا يُنبئك يا مُحمَّد بالشىء عَلَى حقيقته مِثل خبير عالمٌ بما أخبر والله تَعَالَى عالِم بالأشياء عَلَى حقائقها].

وَقَالَ فِى مجمع البيان: أىّ لا يُخبرك بما فيه الصلاح والفساد والمنافع والمضار مِثل الله سُبْحَانَهُ العليم بالأشياء كُلِّهَا.

وفى زُبده التفاسير - فتح الله الكاشانى: - ولا يَخْبُرك بالأمر مُخْبرٌ مِثلُ خبير عالمٌ به أخبرك وَهُوَ الله تَعَالَى فَإِنَّهُ هُوَ الخبير به عَلَى الحقيقه دون سائر المخبرين، وَالمُرَاد تحقيق ما أخبرَ به مِنْ حال آلهتهم ونفىُ ما يدّعون لهم كَأَنَّهُ قَالَ: إنَّ هَـذَا الذى أخبرتكم مِنْ حال الأوثان هُوَ الحَقّ لأنِّى خبيرٌ بما أَخبرتُ به.

وَقَالَ السَّيِّد عبدالله شبر رحمه الله فِى تفسيره: - أىّ بما يُخبرك وَهُوَ الله العليم بالحقائق.

وَقَالَ الطباطبائى فِى الميزان: - أىّ لا يُخبرك عَنْ حقيقه الأمر مُخبرٌ مثل مخبرٍ الخبير.

وَقَالَ الطبرى فِى جامع البيان: مِثْلُ ذى خبرهٍ يأمرها وأمرهم وَذَلِكَ الخبير هُوَ الله الذى لا يخفى عَلَيْهِ شىء كَانَ أو يَكُون... والله هُوَ

الخبير أَنَّهُ سيكون هَذَا منهم يَوْم القيامه.

وَقَالَ السَمْعانى فِى تفسيره: ولا يُنبئك بِهَذَا أحد مِثْلى والخبير هُوَ الله تَعَالَى.

والمُحَصَّل مِنْ كلماتهم: - أنَّ هَـذِهِ الآـيه المُبَارَكه(وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) تنفى المِثل أى أن مِثْل وصف للمقدّر وهو أحدٌ، أى نفى مماثله غير الخبير بالخبير لاـ نفى المثل مُطلقاً، فنفى المثليّه فى الصِّفات الفعليّه، مَثَل - بالفتح - لله تَعَالَى والمَثَلُ الأعلى لَهُ تَعَالَى دون غيره، فلا تكون الصِّفه العليا لغيره تَعَالَى، فَيَكُون المعنى: - لَيْسَ هُنَاك مِثْلَ - بالكسره - لِمَثَلِه - بالفتح.

فيتحصَّل نفى المِثْليّه - بالكسر - عَنْ مَثَلِه بالفتح - تَعَالَى فضلاً عَنْ مَقام حريم ذاته.

وَمَنْ فَسَّرَ المِثْل - بالكسر - فِى قوله تَعَالَى(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْ ءٌ) (۱) فقد جعل المِثْل بالكسر، بمعنى المَثَل فلا يشابه مَثَله - بالفتح - شىءٌ.

روى الكلينى فِى الكافى فِى مرسل على بن مُحمَّد عَنْ أبى الحسن الرضا عليه السّلام فِى حديث عَنْ صفات الله وأسمائه... ثمَّ وَصَفَ نَفْسَه تَبَارَكَ وَتَعَالَى بأسماء دعا الخَلْق إذْ خلقهم وتعبّدهم وابتلاهم إلى أنْ يدعوه بها فَسَمّى نفسه سميعاً بصيراً قادراً قائماً ناطقاً ظاهراً باطناً لطيفاً خبيراً قويّاً عزيزاً حكيماً حليماً عليماً وما أشبه هَذِهِ الأسماء، فلمَّا رأى ذَلِكَ مِنْ أسمائه

۱- (۱) سوره الشورى: الآيه ۱۱.

الغالون المكذّبون وَقَدْ سمعونا نُحَدِّث عَنْ الله أَنَّهُ لا شيء مِثْلَه، ولا شيء مِنْ الخَلْق فِي حالِه، قالوا: أخبرونا، إذَا زعمتم أَنَّهُ لا مِثْل لله ولا شَبه لَهُ كيف شاركتموه فِي أسمائه الحُسْنى فتسَمَّيتم بجميعها؟ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ دليلاً عَلَى أَنَّكم مثله فِي حالاته كُلَّهَا أو فِي بعضها دون بَعْض، إذْ جمعتم الأسماء الطيِّبه؟ قِيلَ لهم: - إنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ألزم العِباد أسماء مِنْ أسمائه عَلَى اختلاف المعانى، وَذَلِكَ ما يُجمع الاسم الواحد معنيين مُختلفين.

والدليل عَلَى ذَلِكَ قول الناس الجائز عندهم الشائع، وَهُوَ الذى خاطب الله به الخلق فكلَّمهم بما يعقلون ليكون عليهم حجَّه فِي تضييع ما ضيّعوا(١).

وَهَذِهِ الرُّوايه تُرَكِّز عَلَى نفى المِثلِيَّه لَهُ تَعَالَى فِي مقام الأسماء والأفعال فلا يختصّ نفى المِثْلِيَّه عَلَى مقام الذات، كَمَا أُشير ذَلِكَ فِي بيانات أهل البيت عليهم السّلام مِنْ أنَّ الأحديَّه والصمديَّه ونفى الكفؤ ونفى الشريك المذكور فِي سوره التوحيد لا يختصّ بمقام الذات، بَلْ هَذِهِ الصِّفات لَهُ تَعَالَى فِي مقام الفعل أيضاً.

وَعَلَى ضوء ذَلِكَ فَكَمَا أنَّ الأسماء الحُسْنَى لَهُ تَعَالَى خاصّه به فكذلك المثل الأعلى لَهُ تَعَالَى مُخْتصّ به.

النقطه الثَّانيه: هُنَاك عِدَّه احتمالات فِي الكاف فِي قوله تَعَالَى(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْ ءٌ) .

١- (١) الكافى للكلينى: ج ١، ص ١٧١ ب ٣٩، مِنْ كتاب التوحيد باب آخر وَهُوَ الباب الأوَّل المذكور فيه معانى الأسماء واشتقاقها، الحديث ٢.

الأوَّل: أنَّها زائده.

الثَّانِی: إنَّها أصليّه وَأنَّها حرفُ جرٍّ.

الثَّالِث: أنَّها اسمٌ بمعنی المِثل.

النقطه الثَّالثه: الفرق بين قوله تَعَالَی: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَیْ ءٌ) (۱) وبين الرُّوايه«لا مِثْل لَهُ» فَإنَّ الأوَّل لَيْسَ كمثله شیء - ينفی التطابق بين المثليه والشیء بينما الثَّانِی - لا مِثْل لَهُ - ينفی وجودَ المِثْل نفسه، فإذا أُضيفت الكاف يَتسع النفی ولا يقتصر عَلَی نفی التطابق بين الشیء والمِثْل، بَلْ يتسع إلی نفی المقارنه فِی الشبه بين الشیء والمِثْل، ونفی مُطلق المقاربه، ومُطلق الشبه شامِلٌ للأوصاف الفعليّه.

النقطه الرَّابعه: قَدْ مَرَّتْ الإشاره، أنَّ سوره التوحيد يمكن أنْ تُقَرَّرَ عَلَی صعيد الصِّفات الذاتيه، وَقَدْ تُقَرَّرَ عَلَی صعيد الصِّفات الفعليّه، فَكَما يُنفَی عَنْهُ تَعَالَی الشّريك والكفؤ فِی الذَّات يُنْفَی عَنْهُ الشَّريك والكفؤ فِی مقام الفعل أيضاً، فلا مِثْلَ لَهُ فِی مقام فِعْلِه، وَمِنْ ثمَّ حُصِرَت الأسماء الحُسنی بحصر إضافتها إليه تَعَالَی كَما فِی قوله تَعَالَی(وَ لِلّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنی) (۲) وقوله تَعَالَی(قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيها إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(۸۴) سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ(۸۵) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ(۸۶) سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ(۸۷) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَیْ ءٍ وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(۸۸)

۱- (۱) سوره الشوری: الآيه ۱۱.

۲- (۲) سوره الأعراف: الآيه ۱۸۰.

سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ فَأَنّى تُسْحَرُونَ(۸۹) (۱).

وقوله تَعَالَى: (قُلْ لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) (۲) وقوله تَعَالَى(قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ) (۳).

وَمِنْ ثَمَّ إِذَا فُسِّرَ المِثْل فِي قوله تَعَالَى بالصفه وأُريد نفى التشابه فِي مقام الفعل وصفاته كَانَ المنفى التّطابق والتّشابه مَعَ المُمَثَّل لَهُ، والتشابه فِي الشريك، أو النِّدّ، أو الكفؤ، أو المجانس فَإِنَّهُ منفى عَنْهُ تَعَالَى سواء فِي مقام الصِّفات الذَّاتيّه أو الصِّفات الفعليَّه.

۱- (۱) سوره المؤمنون: الآيه ۸۴-۸۹.

۲- (۲) سوره الأنعام: الآيه ۱۲.

۳- (۳) سوره آل عمران: الآيه ۱۵۴.

الأوصاف القرآنيه للجنه حقائق أم تمثيل

الجهه الحاديه عشر:

اشاره

(مَثَلُ الْجَنَّهِ الَّتِی وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِیها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَیْرِ آسِنٍ) (۱)

والتساؤل الذی یُطّرح هو: - لماذا اختصَّتْ هَذِهِ الآیه المُبَارَکه بنعت الجنّه بالمثل، بینما فِی الآیات الأُخْرَی لَمْ تنعت الجنَّه بالمثل، بَلْ نعتتها بتحقیق هَـذِهِ الأُمُور لا أنَّها مَثَل، وَمِنْ ثمَّ قِیلَ فِی الآیه الکریمه أنَّها فِی صـدد بیان أنَّ هَـذِهِ الأوصاف للجنّه لیست عَلَی نحو الحقیقه، بَلْ إشاره إلی ما هُوَ أعظم مِنْ ذَلِکَ مـدعوماً بقوله تَعَالَی: (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِیَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْیُنٍ) (۲) فِی قِبال مَنْ فَسَّرَ المَثَل بالصِّفه.

وتنقیح هَذِهِ الجهه یَتِمُّ عِبر نقاط:

النقطه الأُولی: ولا یخفی أنَّ تمحیص البحث فِی هَـذِهِ الجهه قَدْ تَقَـدَّمَ شـطر مِنْهُ فِی الجهه التَّاسـعه - اسـتعمال المثل فِی القُرآن الکریم والحقائق القُرآنیه -.

۱- (۱) سوره مُحمَّد: الآیه ۱۵.

۲- (۲) سوره السجده: الآیه ۱۷.

النقطه الثّانيه: إنَّ الجنـان والحقـائق الغيبيّه ذَاتَ مراتب كَمَـا هُوَ الحال فِى النَّار والنيران لا سيّما وأنَّ العوالم الأخرويّه ليست عالماً واحِـداً فَهُنَـاك عـالَم البرزخ وعـالم الرجعه ثمَّ عالَم القيامه وَهُوَ عالم أطول عمراً وأقوى شِـدَّه ممّا سـبقه بأضـعاف مضاعفه، وَقَدْ قامت الـدلائل والبراهين العديـده عَلَى جسـمانيّه هَذَا العالم فضـلاً عَنْ الرَّجعه، والبرزخ، بَلْ وكذلك الحال فِى عالَم الجنَّه والنَّار، وَهُوَ ما بَعْدَ عالَم القيامه، وإنْ اختلفت الأجسام فِى درجات المواد لطافهً وغِلْظَهً.

النقطه الثَّالِثه: إنَّ هُنَـاك جمله مِنْ الآيـات فِى وصف الجنَّه أو الجِنـان مـا يُعَزِّز كون تلك الأوصاف حقيقيه(وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحـاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنّـاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهـارُ كُلَّمـا رُزِقُوا مِنْهـا مِنْ ثَمَرَهٍ رِزْقاً قالُوا هـذَا الَّذِى رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً وَ لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَهٌ وَ هُمْ فِيها خالِـدُونَ(٢٥) (١)(مَثَلُ الْجَنَّهِ الَّتِى وُعِـدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَ ظِلُّها تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ عُقْبَى الْكافِرِينَ النّارُ(٣٥) (٢).

بتقريب: - أنَّ كُلّ ما ذُكِرَ فِى هَذِهِ الآيه المُبَارَكه، والآيه السَّابقه مِنْ أنهار مِنْ عسل وخمر وأشجار وفواكه وأثمار وغيرها هُوَ مَثَلٌ للجنَّهِ، أو أنَّ الجنَّه فيها هَذَا الذى ذُكِر، وبقطع النظر عَنْ الخلاف واللغط الذى

۱- (۱) سوره البقره: الآيه ۲۵.

۲- (۲) سوره الرعد: الآيه ۳۵.

حَصَل بين مَنْ يذهب إلى أنَّ الجنَّه هِيَ جنَّه جسمانيّه، وَهُوَ ما يذهب إليه جمهور المُتكلّمين وغيرهم، وبين مذهب جمله مِنْ الفلاسفه الّذين أنكروا هَذَا الضروري، وَهُوَ أنَّ الجنَّه جسمانيّه، وَإنَّما ادّعوا كون الجنَّه جنَّه عقليَّه أو روحيّه ومعنويّه وَهِيَ ليست جنَّه جسمانيّه، وأنَّ ما ذُكِرَ فِي الآيتين وغيرهما مِنْ وصف للجنَّه وَأنَّهُ فيها سُررٌ متقابلين مُتكئين عَلَيْهَا، وفيها الحور العين وكواعب أتراباً وكأساً دهاقاً وغيرها، هَذِهِ كُلَّهَا مَثَل للجنَّه وَلَيْسَ هِيَ الحقيقه، حسب دعوى هؤلاء الفلاسفه، وكلتا الآيتين مِنْ قسم المُحكم ولا تتنافى مَعَ سائر المُحْكَمات.

قَاعدِه المثل ونظريه المعاد:

إنَّ القائلين بالمعاد الجسماني لا ينكرون ضروره وجود المعاد الروحاني المعنويّ، فَكَمَا أنَّ هُنَاك جزاء وعقاب جسماني، كَذَلِكَ هُنَاك جزاء وعقاب روحي ومعنوي، علماً أنَّ هَذِهِ المعيّه بين المعاد الجسماني وَالرُّوحي ليست معيّه عرضيّه، أو معيّه ظرفيّه بمعنى هيمنه، وَإنَّما المعاد الجسماني معادٌ روحاني.

هَذَا ما ذهب إليه الصدوق فِي كتابه الاعتقادات وأنَّ الجزاء فِي الآخره لا ينحصر بالمعاد والجزاء الجسماني، وَإنَّما هُنَاك جزاء معنوي طبقاً لما جاء فِي الآيات والروايات، وأنَّ هُنَاك تنعم ببحر الحمد الإلهي، وبحر التسبيح وبحر التهليل وغيرها.

وإنْ كَانَ الشَّيْخ المفيد رحمه الله أشكل عَلَى الشَّيْخ الصَّدوق رحمه الله وأنَّ ما ذهب إليه الصَّدوق هُوَ مِنْ أقاويل النصارى وينبغى طرح هَذِهِ الروايات إلَّا أنَّ مَعَ تحقيقات المُتأخِّرين تبيَّن الحقّ مَعَ الشَّيْخ الصَّدوق؛ لِأنَّ المعاد الجسمانى لا يتناقض ولا يتدافع مَعَ المعاد الروحانى المعنوى، وتدلّ عَلَيْهِ روايات عديده فِى بحث المعاد.

مِنْهَا: ما رواه أبو بصير، قَالَ: قَالَ أبو جعفر عليه السّلام ينكر أهل العراق الرجعه؟ قلت: نعم قَالَ: «أما يقرؤن القُرآن(وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ فَوْجاً) (۱)وَعَنْ الأصبغ بن نباته: أنَّ ابن الكوا سأل علياً عليه السّلام عَنْ الرجعه، فأجابه الإمام بأنَّها حقّ واستدلَّ عَلَيْهَا بآيات مِنْهَا... حَيْثُ يقول الله عَزَّ وَجَلَّ(أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ) وقوله تَعَالَى أيضاً فِى عزير حَيْثُ أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: (أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلى قَرْيَهٍ وَ هِىَ خاوِيَهٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنّى يُحْيِى هذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللّهُ) وأخذه بذلك الذنب (مأه عام ثمَّ بعثه) وردّه إلى الدُّنْيَا ثمَّ قَالَ فلا تشكنّ يا بن الكوا فِى قدره الله عَزَّ وَجَلَّ (۲).

وَعَنْ عبدالرحمن القصير عَنْ أبى جعفر عليه السّلام، قَالَ: قرأ هَذِهِ الآيه (إِنَّ اللّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ) فَقَالَ هل تدرى مَنْ يعنى؟ فقلت يقاتل المؤمنون فيقتلون ويقتلون، فَقَالَ: لا، ولكن مَنْ قتل

۱- (۱) سوره النمل: الآيه ۸۳.

۲- (۲) تفسير البرهان: للفتونى، المقدمه: ۵۶۸ ح ۱.

مِنْ المؤمنين ردَّ حَتّى يموت وَمَنْ مات ردّ حَتّى يقتل تلك القدره فلا تنكرها» (۱) .

الجهه الثّانيه عشر: إنَّ قصص الأنبياء والمرسلين

والمصطفين مثل لآل مُحمَّد صلّى الله عليه و آله فِى القُرآن الكريم:

هُنَاك نُكته أَكَّدَ عَلَيْهَا القُرآن الكريم فِى آياته وسوره وبيَّنها أهل البيت عليهم السّلام كَذَلِكَ وَهِىَ أنَّ كُلّ القصص الإلهيه الَّتِى ذكرها القُرآن الكريم للحجج مِنْ الأنبياء والمُرسلين فِى الأُمم السَّابقه هِىَ مَثَل ضربه الله لآل مُحمَّد عليهم السّلام، إلَّا أنَّ الكثير مِنْ المُفَسِّرين غفلوا عنها، وَأنَّهُ لَيْسَ المقصود مِنْ ذكر تلك القصص المذكورين مِنْ أهل ذَلِكَ الزمان الماضى والذى تصرَّم - كَمَا يفهمه الكثير - إلَّا أنَّ هَذَا مَعْنَى خاطئ فَإنَّ القُرآن الكريم كتاب إلهى لَيْسَ فَقَطْ للزمان الماضى، بَلْ وَهُوَ الصحيح للزمان الحاضر وللمستقبل، فَإنَّ الباب الواحد فِى القُرآن الكريم حسب بيانات أهل البيت عليهم السّلام يفتح مِنْه ألف باب، وَهَذَا معناه أنَّ القُرآن الكريم فيه عبور للأزمنه التاليه مِنْ الحاضر و المستقبل ولا يقتصر فيه عَلَى الزمان الماضى، كَمَا فِى الموارد التاليه:

أوَّلاً: قوله تَعَالَى: (لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ لِأُولِى الْأَلْبابِ) (۲) فَإنَّ

۱- (۱) المصدر السابق: ح ۳.

۲- (۲) سوره يوسف: الآيه ۱۱۱.

الآیه المُبَارَکه فیها تصریح بأنَّ قصص الأنبیاء والمُرسلین والصفوه الَّتِی ذکرها فِی القُرآن یُراد بها مَعْنَی وغایه وراءها ولا یقتصر المُرَاد عَلَی الوقوف عَلَی شؤونهم وشخصهم رغم تأکید القُرآن بلزوم الإیمان بجمیع الرسل وعدم التفرقه بینهم، إلَّا أنَّه رغم ذَلِکَ یُطالبنا القُرآن الکریم بالترکیز والاهتمام بما ورائهم بما هُوَ أهم منهم وَهَذَا نظیر توصیه القُرآن وتعلیمه وتأکیده عَلَی التفضیل بین الرسل فِی قوله تَعَالَی(تِلْکَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضٍ) (۱) وقوله تَعَالَی: (وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِیِّینَ عَلی بَعْضٍ) (۲) ففی حین یُؤکِّد القُرآن الکریم عَلَی عدم التفرقه بین الرسل فِی أصل النهج وَالدِّین وفی نفس الوقت یُؤکِّد عَلَی مُراعاه التفضیل والتفاضل، وإعطاء الأهمیّه والأولویّه للأفضل، وَأنَّهُ غایه أعلی، کَذَلِکَ مفاد هَذِهِ الآیه مِنْ سوره یوسف تُبیِّن أنَّ الغایه مما استعرضه القُرآن الکریم مِنْ قصص الأنبیاء غایهٌ أهم وهَدَفٌ أسمی فذکرها عبورٌ یُعْبَر مِنْهُ إلی الغایه الأصلیّه.

وَعَلَیْهِ فَهَذِهِ قَاعدَه قُرآنیه عظیمه - أیّ العبور مِنْ الماضی إلی الحاضر والمستقبل فِی البعض - تُؤسس لکون الغایه الأصلیّه مِنْ استعراض وسرد القُرآن لشؤون الأنبیاء والمُرسلین والأوصیاء وأئمه الدِّین فِی القُرآن الکریم لها مغزی وهدَف وراء ذَلِکَ، أیّ أنَّ هَذِهِ

۱- (۱) سوره البقره: الآیه ۲۵۳.

۲- (۲) سوره الإسراء: الآیه ۵۵.

الشؤون وَالأمُور هِيَ حالات وشؤون ومقامات النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السّلام الَّذِيْنَ شهد لهم القُرآن الكريم بالطهاره، فلا يقف المُفسِّر والباحث فِي علم الكلام ولا غيرهما مِنْ بُحّاث العلوم الدِّينيه عَلَى النَّوع عَلَى قصص الأنبياء بنحو موضوعى وذاتى أصاله لشخوصهم، بَلْ لابُدَّ أنْ يتجاوز النظر ويُعْتَبر مِنْهُ كطريق لمعرفه شؤون سيد الأنبياء وأهل بيته عليهم السّلام، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يستعرض القُرآن الكريم كُلّ صغيره وكبيره فِي شؤون وحياه الأنبياء والمُصطفين، بَلْ تَعَرَّضَ إلى ما هُوَ قمّه فِي حياتهم وسيرتهم ممّا تُعَبِّدُ الطريق لِفَهْم أحوال النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السّلام وَالَّتِى هِيَ أعظم شأناً مما حَصَل لبقيّه الأنبياء والأوصياء، كَمَا نبّه القُرآن عَلَى تعظيم شأن أهل البيت عليهم السّلام عَلَى سائر الأنبياء، أو عَلَى بقيّه الأنبياء وَمِنْ ثَمَّ أَكَّدَ البارى تَعَالَى عَلَى هَذِهِ القَاعِدَه القُرآنيّه المعرفيّه: - بأنَّ مَنْ يتّخذ قصص الأنبياء عبره لواقع الحال الراهن للأُمَّه الإسلاميّه أىّ لوجود ثله بهذه المواصفات هُمْ أُولُوا الألباب أىّ الَّذِيْنَ يتعقّلون ويُدْرِكون وينالون المعنى وَالمُرَاد الجدِّى مِنْ وراء ذَلِكَ، دون مَنْ يقف ويَجْمُد عَلَى ظاهر صوره القصص، ثمَّ أَكَّدَ القُرآن عَلَى هَذِهِ القَاعِدَه بأنَّ هَذِهِ الشؤون والأحوال فِي الأنبياء والأوصياء وأهل الصفوه ليست مِنْ مصنع الخيال وتوليد المُخَيَّلَه أو اصطناع اللسان والقريحه التخيُّليّه أو الشعريّه، بَلْ هُوَ تصديقٌ لما ذكرته الكُتُب السماويّه السابقه - الَّتِى تعرَّضت إلى تلك الشؤون والأحوال فِي الأنبياء.

بيان القُرآن لحقيقه عظيمه فِي قصص الأنبياء:

ثمَّ يـذكر القُرآن حقيقه عظيمه فِي قصـص الأنبيـاء بـأنَّ فيهـا جواب لِكُـلِّ سؤال وتساؤل لمعرفه كُلّ شـيء مما يَهُمُّ شؤون الـدُّنْيَا ومسيرتهم ومسارهم وَذَلِكَ بقوله(وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْ ءٍ) (۱) أيّ فِي قصصهم تفصيل كُلّ شيء، وأنَّ فِي قصصهم هدايه عَنْ كُلّ ضلالـ ورحمه عَنْ الوقـوع فِي الغضب والسـخط الإلـهى، وَهَـذَا تأصـيل قُرآنى أنَّ كُـلّ مـا تحتـاجه أُمَّه الإسـلام والمسـلمين ممّا اختلفت به وتنازعت فيه مِنْ الخلافه والإمامه فِي الدِّين.

فَإنَّ جوابه وصوابه وسـداده قَـدْ ذكره القُرآن الكريم فِي شؤون قصـص الأنبياء، وَهَـذَا أمرٌ بالغ الخطوره فِي أهميّه قصـص الأنبياء المُسْـتَعْرَضَه فِي القُرآن الكريم، فَإنَّهُ تعهـدٌ مِنْ القُرآن الكريم بوجود جواب أيِّ اختلاف يقع فِي إمامه الـدِّين والخلافه، لا سـيّما وأنَّ الشأن الأوَّل والأهم فِي شؤون الأنبياء والأوصـياء هُوَ الإمامه فِي الدِّين وَالدُّنْيَا وحجّيتهم وهدايتهم للبشر، وَمِنْ ثمَّ استدلَّ أهل البيت عليهم السّـلام بحجج عَلَى إمامتهم وشؤونهم فِي الدِّين ومناصـبهم بما وَرَدَ مِنْ قصـص للأنبياء والأوصياء وأهل الصفوه فِي القُرآن الكريم.

ثانياً: قوله تَعَالَى: (لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسّائِلِينَ) (۲).

۱- (۱) سوره يوسف: الآيه ۱۱۱.

۲- (۲) سوره يوسف: الآيه ۷.

بتقريب: - تُؤكّد هَـذِهِ الآـيه المُبَـارَكَه العموم المُتقـدِّم فِى الآـيه السـابقه وتُصَـرِّح بـأنَّ كُـلّ ما ذكره القُرآن مِنْ قصَّه يوسف عليه السّـلام وقصّه أخوته هُوَ آيه ودلاله للعبور مِنْهَا إلى ما وراء وَهُوَ ذى الآيه، وأنَّ الغرض مِنْ ذكر القُرآن للنبى يوسف عليه السّـلام لَيْسَ هُوَ يوسف بَـلْ هُنَـاك يوسف أعظم وَهُوَ أهـل البيت عليهم السّـلام لاـ سيّما المهـدى عجّـل الله تعـالى فرجه الشـريف، إنَّ التعميم المـذكور فِى السـائلين دالٌّ عَلَى عموم السؤال، أىّ عموم الجواب لِكُلِّ سؤال يُطّرح أو يُـذكر حول حُجـج الله تَعَالَى، وأنَّ العِبَرَ الموجـده فِى قصـص الأنبيـاء ويوسف عليه السّـلام لا تقتصـر عَلَى دلاله واحـده أو دلالتين، بَلْ دلالات كثيره، عَلَى مختلف شؤون الحجـج الإلهيه، وَقَـدْ احتـجَّ أهل البيت عليهم السّـلام فِى مجمل شؤونهم ومواقفهم وسُـننهم بما سَـرَده القُرآن مِنْ قصـص الأنبياء.

ثالثاً: قوله تَعَالَى(وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَ مَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ(٣۴) (١).

بتقريب: - إنَّ هَـذِهِ الآيه المُبَارَكَه دالَّه بعمومها عَلَى أنَّ كُلّ ما ذكره القُرآن مِنْ قصـص للأُمم السَّابقه سواء سائر الناس أو الأنبياء والمُرسلين هُوَ مَثَلٌ وعِبْرَهٌ يُعْبَر ويُتجاوز مِنْهُ إلى ما هُوَ غايه وأهم مِنْهُ.

وَهَذِهِ توسعه وتعميم للقاعده لِكُلِّ ما قصَّهُ القُرآن مِنْ قصص للأنبياء وغيرهم.

١- (١) سوره النور: الآيه ٣۴.

رابعاً: إنَّ القُرآن الكريم قَدْ ذكر لأهل البيت عليهم السّلام صفات تفوق الصِّفات الَّتِى ذكرها لبقيه الأنبياء مِنْ أَولى العزم فضلاً عَنْ غيرهم، كَمَا سنستعرض نماذج مِنْ ذَلِكَ، وَمُقْتَضَى هَذَا التفضيل القُرآنى لهم هُوَ أنَّ ما يذكره مِنْ مناقب وفضائل وشؤون للأنبياء والمُرسلين والأوصياء وأهل الصَّفوه ثابتٌ لأهل البيت عليهم السّلام بمقتضى قَاعدَه الأفضليه الَّتِى أنبأ وأخبر عنها القُرآن.

نماذج التفضيل القرآنى لأهل البيت عليهم السَّلامُ
عَلَى بَقيَّه أنبياء أُولى العزم عليهم السَّلامُ:

نذكر بَعْض نماذج تفضيل القُرآن الكريم لأهل البيت عليهم السّلام عَلَى بقيّه أنبياء أُولى العزم، كَمَا يلى: -

١) وصف القُرآن - أنَّهُ مُهيمنٌ عَلَى الكتب السماويه، وأنَّ علم القُرآن بَعْدَ سيَّد الأنبياء قَدْ ورَّثه الله المطهرون مِنْ أهل بيته(لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ(٧٩) (١).

بتقريب: - إنَّ هَذَا يقتضى هيمنه علم أهل البيت عليهم السّلام عَلَى علوم بقيَّه الأنبياء ولا ريب أنَّ العلم اللَّدنى والعلم الوحيانى مِنْ أكمل الفضائل بَلْ أُمَّها.

١- (١) سوره الواقعه: الآيه ٧٩.

۲) وَمِنْهَا وصف القُرآن لأمير المؤمنين عليه السّلام أنَّهُ عليه السّلام نفس النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله وَهَذَا وصفٌ لَمْ يَنْحَلْهُ القُرآن لبقيَّه الأنبياء مِنْ أُولى العزم.

۳) وَمِنْهَا: إنَّ الله تَعَالَى أشرك أهل البيت عليهم السّلام بتبع النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله فِي جُمله مِنْ المقامات وَلَمْ يُشارك معه بَقيَّه الأنبياء، كَمَا هُوَ الحال فِي آيه التطهير، فَإنَّ الله تَعَالَى قَدْ ضَمَّ إلى النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله عليٌّ وفاطمه والحسن والحسين عليهم السّلام والتسعه المعصومين عليهم السّلام وَلَمْ يضمّ إليه بَقيَّه الأنبياء.

وكذلك فِي آيه الولايه(إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ) (۱).

وآيه الطَّاعه(وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ) (۲) وآيه الفيء(وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْ ءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ) (۳) وغيرها مِنْ المقامات والمناصب الَّتِي أُسندت إلى النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله وقرباه.

۴) وَمِنْهَا آيه الموده فِي قوله تَعَالَى(قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِي الْقُرْبى) (۴).

بتقريب: - إنَّ الله جعل أيضاً غايه عِدْل الدِّين موده القُربى، وَالدِّين يُغاير الشريعه، فَإنَّ الدِّين قَدْ بُعِث به جميع الأنبياء، وموده القُربى تتضمّن مَوَدَّه النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله كَمَا أنَّ موده النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله تتضمّن موّده الله عَزَّ وَجَلَّ،

۱- (۱) سوره المائده: الآيه ۵۵.

۲- (۲) سوره الأنفال: الآيه ۴۶.

۳- (۳) سوره الأنفال: الآيه ۴۱.

۴- (۴) سوره الشورى: الآيه ۲۳.

وَلَمْ يُجْعل مودَّة بَقيَّه الأنبياء كغايه عُظمى، وإنْ كَانَتْ مودَّه الأنبياء وأهل الصفوه فريضه هامَّه فِي القُرآن وَالدِّين، إلَّا أنَّها لَمْ تُجْعل لدرجه الغايه القصوى.

خامساً: قوله تَعَالَى(وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ(۶) (۱).

بتقريب: - إنَّ المقصود الأهم للقُرآن والغايه العُظمى هُوَ: - مَنْ فرعون وهامان الأُمَّه الإسْلاميَّه؟ وَمَنْ جنودهما؟ وَلَيْسَ المقصود فَقَطْ فرعون وهامان اللَّذان مضيا.

وهكذا قوله تَعَالَى: (وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ(۵) (۲).

بتقريب: - إنَّ هَذَا الخطاب القُرآنى لَيْسَ موجهاً فَقَطْ إلى النَّبِيّ موسى عليه السّلام وهارون عليه السّلام وبنى إسرائيل وَإنَّما المُرَاد به هُوَ العبور لهذه الأُمَّه.

وهكذا مخاطبه القُرآن لبنى إسرائيل(لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً) (۳).

بتقريب: - إنَّ الفساد والعلو لَيْسَ مُختصَّاً ببنى إسرائيل فَقَطْ، وَإنَّما

۱- (۱) سوره القصص: الآيه ۶.

۲- (۲) سوره القصص: الآيه ۵.

۳- (۳) سوره الإسراء: الآيه ۴.

هُوَ عبورٌ فِی هَذَا الخطاب إلی الأمَّه الإسّلامیَّه مِنْ أنَّها تفسد فِی الأرض مرتین ولتعلون علوًّا کبیراً بقتل الحسین علیه السّلام.

وهکـذا مـا یرتبـط بقصَّه مریم فِی سور عدیـده، فَإنَّهُ حسب بیانات أهل البیت علیهم السّـلام هُوَ مَثَلٌ ضـربه القُرآن لمریم الکبری وَهِیَ فاطمه الزهراء علیها السّـلام لیتعرَّف الناس عَلَی وظائف اعتقادیّه ومعرفیّه أکثر تّجاه فاطمه الزهراء علیها السّـلام، فمریم علیه السّـلام قَدْ تکون لهـا موضوعیّه فِی القصَّه والمَثَـل، ولکن لاـ یعنی ذَلِکَ الوقوف عنـدها، وذا القرنین مَثَـل ضـربه الله لعلیّ علیه السّلام وهلم جرا.

ولـذا عِنْـدَمَا سُـئِل أمیر المؤمنین علی بن أبی طـالب علیه السّـلام مـا هُوَ مثلکم فِی القُرآن؟ قَالَ مَثَل طالوت وذا القرنین وصاحب سلیمان وغیره، وَعَلَیْهِ فَإنَّ مثل مریم وذا القرنین وطالوت وصاحب سـلیمان وغیره، فَإنَّ الغرض مِنْ اسـتعراض القُرآن لهؤلاء لَیْسَ الغایه ذواتهم وأشخاصهم، وَإنَّما الغایه العبور والرمزیّه لغیرهم.

ولذا ما وَرَدَ مِنْ طرق الطرفین – خاصه طرق العامه – قول النَّبِیّ صـلّی الله علیه و آله لفاطمه علیها السّـلام«أَنْتِ مریم الکبری» وَلَمْ یقل لغیرها مِنْ النساء کزوجاته صـلّی الله علیه و آله وغیرهنَّ: إنَّما هِیَ مریم الصغری وَأَنْتَ فاطمه مریم الکبری، فَلَیْسَ المُرَاد مِنْ مریم الاسم وَإنَّما النعت والصِّفه.

وهکذا قصَّه آدم علیه السّلام مَثَلٌ، وقصَّه إبراهیم علیه السّلام مَثَلٌ، قَدْ تکون لَهُ موضوعیه ولکنَّه أیضاً مَثَل.

وهكذا نوح عليه السّلام وطول عمره مَثَلٌ، وموسى عليه السّلام مثلٌ وعيسى مَثَل، وَهَذَا ما يُسَمَّى بترامى الأمثال، وَهَذَا ما يُدلِّل عَلَى أنَّ منظومه ونظام الأمثال فِي القُرآن الكريم والقصص هِيَ ذَاتَ ترامى وحلقات تتلو وراء بعضها البعض.

وَهَذَا نظير ما فِي عالم الأسماء والآيات - كَمَا مَرَّ - فَكَمَا أنَّ المَثَل يتطابق مَعَ الآيه والتجلّى، وكذلك يتطابق مَعَ الاسم وأنَّ الأسم مِنْ السِّمَه والعلامه عَلَى المسمّى ويشير إليه، وأنَّ الحرف يشير إلى ما وراءه، والكلمه تشير إلى ما وراءها كَذَلِكَ المثل يُضْرَب ليشير إلى مغزى وراءه، كَذَلِكَ فِي الأسماء وَأنَّها عَلَى طبقات.

الأمثال عَلَى طبقات كَذَلِكَ الأسماء:

هُنَاكَ روايات مُستفيضه - والظاهر أنَّها حَتّى مِنْ طرق العامَّه - عَنْ أهل البيت عليهم السّلام«أوَّل ما خلق الله أربعه أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى واسم خفى مستأثِر...».

وتُسمَّى هَذِهِ الأسماء الأربعه بالأركان الأربعه، ثمَّ اشتقَّ الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الأسماء الأربع طبقه أُخْرَى مِنْ الأسماء فِي الطبقه الثَّانيه - كَمَا هُوَ فِي الروايات ثمَّ اشتقَّ مِنْ أسماء الطبقه الثَّانيه أسماء الطبقه الثالثه، ويشتق مِنْ أسماء الطبقه الثالثه أسماء الطبقه الرابعه وهكذا، مِثْلُ اشتقاق اسم الرزَّاق، أو الحيّ أو المُحيى أو المميت أو الودود وغيرها فَهَذِهِ أسماء أشبه ما تكون بالشذره النوريّه فِي البدايه لها أغصان وأفرع أربعه، ثمَّ

تتشعَّب الفروع أكثر فأكثر، وَمَعْنَى اشتقاق الأسماء وتفرّعها هُوَ أنَّ هَذِهِ الأسماء علامه عَلَى طبقه أسماء قبلها، وَالَّتِى قبلها علامه عَلَى طبقه أسماء قبلها وهلم جرا، ولذا فمثل اسم الرزَّاق لَيْسَ أسماً مُبَاشَرَه للذات المقدَّسه وبلا واسطه، بَلْ هُوَ اسم لاسم الاسم وَهُوَ اسم الله.

حالات الأسماء:

تنبيه: مما تَقَدَّمَ يظهر إنَّ الاسم لَهُ أكثر مِنْ حاله: -

الحاله الأُولى: طبقات الأسماء العرضيّه، فتارةً: - يَكُون الاسم علامه ظهور للمسمّى، ثمَّ أنَّ هَذَا المُسَمَّى تاره مُسَمَّى واحدٌ وَلَهُ أسماء عديده، وَأُخْرَى المسمّى لَهُ اسم ولاسمه اسمٌ، ولاسم الاسم اسم وَهَذِهِ كُلَّهَا أسماء فِى عَرَضٍ واحد لمسمى واحد.

الحاله الثَّانيه: إنَّ طبقات الأسماء طوليّه لا عرضيّه.

حقيقه الاسم الإلهى:

والاسم الإلهى فِى حقيقته لَيْسَ هُوَ الصوت الذى يتلفّظ به، بَلْ حقيقه الاسم هُوَ الشىء التكوينى الدالّ عَلَى ما وراءه، فمثلاً نور الشمس اسم لها وكاشف عَنْ وجود الشمس بكشف حقيقى تكوينى، وَلَيْسَ كشفاً اعتبارياً، فالنور اسم للشمس بِهَذَا المعنى.

أمَّا مثل الحراره مِنْ النور فَهِىَ اسم لَهُ أىّ علامه دالَّه، والنور

علامه عَلَى وجود الشمس والاحتراق للحراره و... الخ وحينئذٍ فنور الشمس اسم لاسم الاسم، وهكذا الجفاف معناه: - أنَّ أشعه الشمس شديدةٌ، فالجفاف سببه الحراره، والحراره سببها نور أشعه الشمس، وأشعه الشمس سببها كُلّ مُسبب اسم للسبب، فالاسم علامةٌ وكاشف، وهكذا تترامى المُسببات يعنى تترامى الأسباب وَكُلَّهَا أسماء تكوينيه وليست اعتباريّه فرضيّه وافتراضيّه جعليّه مُخْتَلِفَه بَلْ أسباب ومُسببات تكوينيّه وحقيقيّه، فالحراره ليست كاشفه مُبَاشَرَه عَنْ النار، بَلْ الحراره كاشفه عَنْ النور، والنور كاشف عَنْ الشمس، وهكذا الجفاف لَيْسَ كاشفاً مباشراً عَنْ أشعه الشمس، بَلْ كاشف عَنْ الكاشف والكاشف كاشف عَنْ كاشف، وهكذا، فالجفاف اسم للحراره والحراره اسم لنور أشعه الشمس، ونور أشعه الشمس اسم للشمس وهكذا، فالنَّار تُسَمَّى مُحرقه أو مُجففه إلَّا أنَّها بالدقَّه مُجفّفه بالواسطه وَهِيَ الحراره والشمس، أو الحَرُّ هُوَ النور والمنير هُوَ الشمس.

وَمِنْ هَـذَا صار الشمس لها عِدَّه أسماء وطبقات: - المنيره، والحارّه، والمُحْرِقه، والمجففه، وَهَذِهِ كُلَّهَا أسماء فِي سلسله مراتب طوليّه لا عَرْضَيّه.

الغرض مِنْ مبحث الأسماء:

والخلاصه: لَيْسَ غرضنا بسط الكلام والخوض فِي عالم نظام الأسماء، وَإنَّما يأتى التعرُّض لَهُ حسب موضعه، المُنَاسِب، علماً أنَّ بحث الأسماء

مِنْ المباحث المعرفيّه العقائديّه المشكله والصعبه، وَإنَّما الغرض مِنْ التعرُّض لبحث الأسماء هُوَ لأجل بيان أنَّهُ يجب التدقيق فِى أنَّ للاسم طبقات، وَلَيْسَ عَلَى طبقه واحده، وأنَّ تلك الطَّبقات ليست عرضيّه فَقَطْ وَإنَّما مِنْهَا ما هُوَ مُترتِّب طولياً.

وتبيَّن أنَّ المُترامى والمُتلاحق اسم للاسم، وَلَيْسَ أسماً للمسمّى مباشرهً، وَإنَّما هُوَ بالواسطه، وَهَذَا الاسم لَهُ أسماء، وَهَذِهِ الأسماء اسم للمسمّى فتكون عَلَى طبقات.

كَذَلِكَ الآيات مثل المرآه فِى عالم البصريّات والحدسيات الَّتِى تعكس صوره شخص واقِف أمام مرآه، فَإنَّ المرآه الثَّانيه سوف تعكس صوره الرجل الواقف أمام المرآه الأولى بالواسطه، وهكذا لو فُرِض وجود مرآه ثالثه غَيْر موجّهه لا للمرآه الأولى ولا لشخص، وَإنَّما موجّهه إلى المرآه الثَّانيه بشكل هندسى مُعيَّن، فَإنَّ المرآه الثالثه ستعكس صوره أُخْرَى، أىّ صوره الصوره لعين الحقيقه، هكذا ينعكس هَذَا الترامى وا لتلاحق والتعاقُب، ويمتدّ إلى ما شاء الله مِنْ الصور إلى الوراء، ولكن كيفيه هَذِهِ الصوره سوف تضعف كثيراً، وأشير إلى ذَلِك فى روايه عَنْ الإمام الرضا عليه السّلام: «... خلق الله المرآه وأودع فيها أسراراً».

بتقريب: - إنَّك تستطيع أنْ تفهم كثيراً مِنْ الأسرار الغيبيّه الصعبه والمعقّده مِنْ خلال المرآه: (قالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَنْ تَرانِى وَ لكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِى فَلَمّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ

جَعَلَهُ دَكّا وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (۱) .

بتقريب: - فإذا لَمْ يتحمّل أحدٌ نور المرآه الألف فكيف يتحمَّل النور الشديد الصادر مِنْ المرآه الثَّانيه أو الثَّالثه أو الرَّابعه أو الخامسه أو... الخ نظير الألواح العاكسه للأشعه، كالأشعه الليزريه الحمراء أو الصفراء أو الخضراء أو السرطانيه أو... الخ الَّتِى لا يستطيع الإنسان أنْ يقف أمام مصدر هَذِهِ الأشعه.

وَهَذِهِ وغيرها مُجرَّد أمثله حسيّه حَتّى تقرِّب لنا الفكره مثل المرايا والنور وغيرها، فَإِنَّها تنعكس ثمَّ تنعكس ثمَّ تنعكس، ثمَّ ينعكس مثلاً، لانعكاس الخمسين ويتخفَّف ثمَّ يتخفَّف ثمَّ يتخفَّف إلى أنْ يصل مرحله قدره وقابليه تحمّل طاقه بدنه.

ولذلك الوارد فِى الروايات: «إنَّ الذى تَجَلَّى لموسى عليه السّلام لَيْسَ تجلّى الله تَعَالَى مُبَاشَرَه بَلْ تجلّى آيه، وَمِنْ آيه إلى آيه... الخ(قالَ يا مُوسى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النّاسِ بِرِسالاتِى وَ بِكَلامِى فَخُذْ ما آتَيْتُكَ وَ كُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ(۱۴۴) (۲)».

إذَنْ فَهُوَ بالدقَّه تعدّد آيات وَلَيْسَ المرآه مُبَاشَرَه والتجلّى مُبَاشَرَه وَإِنَّما هُوَ انعكاس صوره الصوره وتجلّى آيه الآيه، كَذَلِكَ الحال بالنسبه إلى

۱- (۱) سوره الأعراف: الآيه ۱۴۳.

۲- (۲) سوره الأعراف: الآيه ۱۴۴.

الأمثال هُوَ عَلَى طبقات.

وَهَذَا جواب لما تَقَدَّمَ الاستسفسار عَنْهُ وَأَنَّهُ لماذا قِيلَ فِي الأسماء(لِلّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى) وفى المثل(وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى) فَإِنَّ المَثَل عَلَى درجات وطبقات.

وأمَّا الروايات الَّتِي أَكَّدَتْ عَلَى أنَّ قصص القُرآن هِيَ ظهرٌ بطنه آل مُحمَّد صلّى الله عليه و آله:

فلِما رواه الكلينى(۱) بسنده عَنْ يعقوب بن جعفر، قَالَ: كُنْت عِنْدَ أبى إبراهيم عليه السّلام(۲) وأتاه رجلٌ مِنْ أهل نجران اليمن مِنْ الرُّهبان، ثمَّ ذكر الراهب النصرانى قصَّته لَهُ عليه السّلام فِي البحث عَنْ رجل فِي الهند إذَا شاء حَجَّ إلى بيتِ المُقَدَّس فِي يَوْم وليله ثمَّ يرجع إلى منزله فِي أرض الهند فقصده والتقى به، فقلت لَهُ: أُخبرت أنَّ عندك أسماً مِنْ أسماء الله تبلغ به كُلّ يَوْم وليله بيت المُقَدَّس وترجع إلى بيتك، فَقَالَ لى وهل تعرف بيت المُقَدَّس؟ قلت لا أعرف إلَّا بيت المُقَدَّس الّذى بالشام؟ قَالَ لَيْسَ بيت المُقَدَّس، ولكنه البيت المُقدَّس، وَهُوَ بيت آل مُحمَّد صلّى الله عليه و آله فقلت لَهُ: أمَّا ما سمعته به إلى يومى هَذَا فَهُوَ بيت المُقَدَّس، فَقَالَ لى تلك محاريب الأنبياء، وَإنَّما يُقَال لها خطيره المحاريب حَتّى جاءت الفتره الَّتِي كَانَتْ بين مُحمَّد صلّى الله عليه و آله وعيسى عليه السّلام وقرب البلاء مِنْ أهل الشرك، وحلَّت النقمات مِنْ دور

۱- (۱) الكافى: ج ۱، ص ۵۵۵ كتاب الحجه: ب ۱۷۷، مولد أبى الحسن موسى بن جعفر عليه السّلام ح ۵.

۲- (۲) أىّ الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام.

الشياطين فحوَّلوا وبدَّلوا ونقلوا تلك الأسماء وَهُوَ قول الله تَبارَكَ وَتَعالَى - البطن لآل مُحمَّد والظَهْرُ مَثَلٌ - (إِنْ هِيَ إِلاّ أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ) (۱).

والشَّاهِد هُوَ البطن لآل مُحمَّد والظهر مَثَلٌ. وتشير هَذِهِ الرِّوايه إلى أنَّ القصص الوارده فِي الأنبياء ظَهْرُه فِي الأنبياء وبطنه تأويله الذى هُوَ لُبُّه ولُبابُه آل مُحمَّد - صلوات الله عليهم أجمعين -.

كَذَلِكَ تشير الرّوايه إلى أنَّ أعظم تقديس لبيتٍ عِنْدَ الله هُمْ آل مُحمَّد صلّى الله عليه و آله، وَهُمْ أحقّ الأصفياء بالتقديس، وأنَّ ما وَرَدَ مِنْ تقديس وتعظيم لبقيّه الأنبياء إنَّما هُوَ بتبعهم، وَهَذَا بعينه وَرَدَ فِي روايات الفريقين فِي ذيل قوله تَعالَى(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) (۲) روى الفريقان عَنْ النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله أنَّ مِنْ أفاضل تلك البيوت الَّتِي تُقَدَّس وتُعَظَّم هُوَ بيت على وفاطمه، وَهَذَا الوجه بعينه تَقَدَّمَ فِي تفضيل القُرآن لأهل البيت عليهم السّلام عَلَى بَقيّه الأنبياء، وأنَّ مُقتضاه أنَّ ما وَرَدَ فيه مِنْ شؤون الأنبياء هُوَ آيه لشؤون أهل البيت عليهم السّلام، وَمِنْهَا ما وَرَدَ فِي ذيل سوره التحريم(وَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ) (۳) عَنْ أبى عبدالله عليه السّلام: أَنَّهُ قَالَ: هَذَا مَثَل ضرب الله لرقيّه بنت رسول الله صلّى الله عليه و آله

۱- (۱) سوره النجم: الآيه ۲۳.

۲- (۲) سوره النور: الآيه ۳۶.

۳- (۳) سوره التحريم: الآيه ۱۱.

الَّتِی تزوَّجها عُثمان بن عفَّان(۱).

وَمِنْهَا... عَنْ أبی عبـدالله علیه السّـلام أَنَّهُ قَالَ: - (وَ مَرْیَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِی أَحْصَـنَتْ فَرْجَها) مَثَلًا ضَـرَب الله لفاطمه علیها السّـلام وَقَالَ: «إنَّ فاطمه أحصنت فَرْجَها فحرَّم الله ذریّتها عَلَی النَّار»(۲).

فَإنَّ روایـات أهل البیت علیهم السّـلام أشارت إلی روایات فِی باب المعارف وأنَّ کُلّ ما ذُکر فِی القُرآن الکریم فِی حق الأنبیاء والرُسُـل والأوصـیاء والحُجـج وما لهم مِنْ مقامات ومناصب وشؤون إلهیّه، مِنْ غایاته المُهِمَّه کونه مثلًا ضـربه الله تَعَالَی لمقامات وشؤون النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله وأهل بیته علیهم السّلام، وَهَذِهِ القَاعِدَه باب ینفتح مِنْهُ أبواب عدیده(۳).

صله وطیده بین حقیقه الإمامه والولایه
وحقیقه القُرآن وعلاقتها بقاعده الأمثال:

سنُبَیِّن إنْ شـاء الله تَعَـالَی فِی مبحث قَواعِـد نظـام حقائق القُرآن أنَّ هُنَاک صِـلَه وطیـده بین حقیقه القُرآن وحقیقه الإمامه، وأحد تفاسـیر حـدیث الثقلین، أو أحـد القراءات الَّتِی نسـتطیع أنْ نبیِّنها فِی حدیث الثقلین هُوَ أنَّ حقیقه القُرآن لها صـله وطیده بحقیقه الإمامه، وأنَّهما لن

۱- (۱) تأویل الآیات عَنْهُ تفسیر البرهان لِلْسَّیِّد هاشم البحرانی، المجلد ۸، ص ۶۲، ح ۴.
۲- (۲) البُرهان فِی تفسیر القُرآن: ج ۴، ص ۳۵۸.
۳- (۳) مَنْ أراد المزید فلیراجع کتاب مقامات فاطمه الزهراء علیها السّلام فِی الکتاب والسنه للشیخ السند حفظه الله.

يفترقا، وَهُوَ الأثنينيه فِى الصوره الظاهره، وَإلَّا ففى أعماق الملكوت والحقيقه هُمَا - القُرآن والإمامه - حقيقه واحِدَه، ولذا فَإنَّ صفاتهما وشؤونهما واحِدَه.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ هَذَا المبحث مِنْ المباحث المُهِمَّه والمُرتبطه بالولايه، وكيف يَكُون مدار التفسير للولايه عَلَى مُحْكمات القُرآن، ولذا وَرَدَ عنهم عليهم السّلام فِى مقام بيان جُلَّ فضائلهم ومقاماتهم إذَا أراد الإنسان التعرُّف عَلَيْهَا هِىَ فِى القُرآن: «ولو أنَّ شيعتنا أو المؤمنين عرفوا فضلنا مِنْ القُرآن لما ارتابوا قط.

وروايه يرويها البرقى فِى محاسنه عَنْ مُحمَّد بن مسلم عَنْ أبى عبدالله عليه السّلام فِى حديث قَالَ: هَذَا الأمر - أىّ نور الإمامه - يجرى كَمَا يجرى الليل والنَّهار، قَالَ فَأَنْتَ جُعلتُ فداك قَالَ هَذَا الأمر يجرى كَمَا يجرى حدّ الزانى والسارق... قلت فَأَنْتَ جعلت فداك، قَالَ القُرآن نزل فِى أقوام وَهِىَ تجرى فِى الناس إلى يَوُم القيامه (١)بتقريب: - أنَّ هَذَا الأمر قضيه عامَّه وليست خاصّه وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الجرى الَّتِى تقدَّمت فِى القَاعِدَه الخامسه باسم الجرى والتطبيق.

وأمَّا بيان الصِّله بين حقيقه الإمامه وحقيقه القُرآن مَعَ مبحث الأمثال هُوَ أنَّهُ مثلما الأمثال هِىَ تأويلٌ وعبور مِنْ موضع إلى آخر، كَذَلِكَ فِى الإمامه وَأنَّها تسرى وتجرى فِى الأئمه الاثنى عشر وأنَّ حقيقتها كمنصب ومقام وحبل ملكوتى مُتَّصل بين فرد بشرى قَدْ اصطفى مِنْ

۱- (۱) المحاسن للبرقى: ص ۲۸۹ ب ۴۷.

قبل الله عَزَّ وَجَلَّ وبين سماء عرش الرحمن.

وفی مصحح الفضیل بن یسار قَالَ سألتُ أبا جعفر علیه السّلام عَنْ هَذِهِ الرُّوایه: «ما مِنْ القُرآن آیه إلَّا ولها ظهر وبطن؛ ظهره تنزیله، وبطنه تأویله مِنْهُ ما قَدْ مَضَی وَمِنْهُ لَمْ یکن یجری کَمَا تجری الشمس والقمر، کَمَا جاء تأویل شیء مِنْهُ یَکُون عَلَی الأموات کَمَا یَکُون عَلَی الأحیاء». قَالَ الله تَعَالَی: (وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ) نَحْنُ نعلمه»(۱).

بتقریب: - إنَّ (ما) نافیه وحصر مطلق واستیعاب، وَهَذِهِ ضابطه منهجیه تفسیریّه لا یمکن تجاوزها لأنَّها تعتبر مُعادله وموازنه عظیمه فِی بناء هندسه الدِّین وَهَذِهِ الضابطه هِیَ: - أنَّ لِکُلِّ آیه ظاهر بَلْ ظهور، وباطن بَلْ بطون، وَأَنَّهُ لَیْسَ فِی الآیه الواحده منصَّه سطح واحِدَه تعبر مِنْهَا إلی بطن خفی، بَلْ هُنَاک ظهور وبطون بهایُعْبد الله ودینُ یُدین به العبد ربَّه، ولا یمکن تجاوزه وترکه بحال مِنْ الأحوال، وَعَلَیْهِ فیمکن العبور مِنْ الظاهر إلی الباطن مَعَ عدم التخلّی عَنْ الظاهر، ولکن هَذَا الظاهر مرتبته سطحٌ، والباطن والخفاء مرتبته أعمق، وَمَنْ زعم أنَّ الدِّین والآیه لها سطح الظاهر فَقَطْ فَقَدْ کفر؛ لِأَنَّ الدِّین أیضاً فیه(وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ) أو لَیْسَ التأویل مِنْ الدِّین، کَذَلِکَ مَنْ زعم أنَّ الدِّین هُوَ الباطن فَقَطْ فَقَدْ کفر.

وکذلک نستفید مِنْ الرُّوایه«ما مِنْ آیه فِی القُرآن إلَّا ولها ظهرٌ

۱- (۱) بصائر الدرجات: ص ۷/۲۱۶، عَنْهُ بحار الأنوار: ج ۲۷ ب ۱۳ مِنْ أبواب صفات القاضی: ح ۴۹، ص ۱۹۶.

وبطنٌ...» أنَّ التأويل عَلَى طبقات وأقسام: - تأويلٌ مَرَّ، وتأويل يأتى(وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ) وَهَذِهِ الروايه وغيرها تُفسِّر الآيه بأنَّ أهل البيت عليهم السّلام هُمْ الَّذِيْنَ يعلمون القُرآن وأنَّ الواو فِى الآيه (... والراسخون) هِىَ عاطفه وليست استئنائيه، بَلْ حَتّى القُرآن يُبيِّن فِى موارد أُخْرَى أنَّ هَذِهِ الواو عاطفه لا استئنافيه.

أحاديه البُعد والقول فِى النظر

سبب انحراف بَعْض الفرق المحسوبه عَلَى الإسلام:

ولذا كَانَ سبب انحراف بَعْض الفرق الضالَّه عَنْ جادَّه الدِّين المُستقيمه هُوَ لسبب أحاديّه البُعْد والقول كَمَا هِىَ نظره الوهابيّه والسلفيّه الَّذِيْنَ نظروا إلى الدِّين مِنْ بُعْد الظاهر فَقَطْ، وكأنَّما الدِّين فَقَطْ هُوَ تنزيل وتفسير ظاهر مِنْ دون التأويل والخفاء والباطن، وَهَذَا كفرٌ - والعياذ بالله مِنْهُ - وَهَذَا ما صَرَّحت به روايه البصائر بإسناده عَنْ أحمد بن مُحمَّد بن عيسى عَنْ آدم بن إسحاق عَنْ هشام عَنْ الهيثم التميمى، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله عليه السّلام: «يا هيثم إنَّ قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً، وجاء قومٌ مِنْ بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً ولا إيمان بظاهر إلَّا بباطن ولا بباطن إلَّا بظاهر»(1).

ولذا أمثال هؤلاء - والعياذ بالله - يتركون معالم وشعائر شريعه

۱- (۱) مقدمه تفسير البرهان عَنْ البصائر: ص ۲۲.

الدِّين مِنْ الصَّلاه وَالصَّوم والحج وغيرها بسبب أحاديه البُعْد والقول.

وَمِنْ خلال هَـذَا يتبيَّن أنَّ قَاعدَه الأمثال قَاعدَه قُرآنيه فِى كُلّ الآيات حسب الروايات المستفيضه الَّتِى تَقَدَّمَ ذكر نماذجاً مِنْهَا، ولا يتعارض هَـذَا مَعَ الروايات الَّتِى ذكرت أنَّ القُرآن الكريم عَلَى أقسام مِنْهُ أمثْال وَمِنْهُ قَصص وحِكَمٌ ومعارف وعقائدُ وغيرها فَإنَّ هَـذِهِ وغيرها أقسام موجوده ولا تُنْفَى، ولكن فِى نفس الوقت أنَّ المُرَاد الأصلى هُوَ أنَّ القُرآن عَلَى أقسام بلحاظ الطَّبقات، وعدم إدراكنا لبعض طبقاته وأقسامه لا يعنى إنّنا ننفيها، فمثلاً يدّعى البعض أنَّ مثل مقام ومرتبه أم الكتاب، أو الكتاب المكنون، أو اللوح المحفوظ أو الكتاب المسطور وغيرها ليست مِنْ القُرآن.

فَإنَّ مسأله(لا يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ(٧٩) ولا يناله بشر لا يعنى أنَّهُ لَيْسَ مِنْ القُرآن، فَإنَّ البشر عاجزٌ عَنْ كثير من الأُمُور فِى القُرآن، ولا تكون عدم معرفه الشىء مُبرِّراً لإنكاره، وَعَلَيْهِ إذَا كَانَتْ نظره المُفَسِّر لآيات وسور القُرآن تحتانيه وتُسَلِّطُ الأضواء فَقَطْ عَلَى التنزيل، وَالَّتِى قَدْ لا ينجو احدٌ مِنْهَا، حَتّى الَّذِيْنَ استفادوا عنوان منهجيتهم مِنْ بيانات أهل البيت عليهم السّلام أيضاً مبتلون بِهَذَا النقد واقعاً يعنى الإحاطه به أو مراعاته مِنْ قبل المعصومين بشكل سديد تام، ولذا يترجّل الكل ويتلكأ فِى تفسير القُرآن، ولذا أكَّدت بيانات أهل البيت عليهم السّلام عَلَى أنَّ مجموع القُرآن هُوَ تنزيل وتأويل وللظهر وللبطن، ولا ينحصر بأحدهما دون الآخر، كَمَا قَدْ

بات أمراً واضحاً فِی أذهان کثیر مِنْ المُفَسِّرین والباحثین مَنْ حَصَرَ القُرآن بالتنزیل، والحال أنَّهُ فِی منطق أهل البیت علیهم السّلام أنَّ التنزیل هُوَ درجه مِنْ القُرآن وبعضه، وَلَیْسَ کُلّ القُرآن، ولا یفهم أنَّهُ عِنْدَمَا یُقَال بَعْض القُرآن أنَّ هُنَاک مصحف آخر وتنزیل آخر، وَإنَّما المقصود مِنْ الأبعاض أیّ وجود أبعاض أُخْرَی للقُرْآن بمعنی درجات غیبیّه، وأنَّ کلاً مِنْ التنزیل والتأویل هُوَ مِنْ الوحی وکلاهما عَلَی حدٍّ واحِدٍ فِی العظمه والقدسیّه وکلاهما قرآن.

والسبب فِی ذکر هَذَا البیان هُوَ لأجل أنَّ البعض حصر حقیقه القُرآن الکریم کُلَّهُ بالتنزیل، والحال أنَّ القُرآن یُنادی أنَّ بعضه تنزیل(إِنّا أَنْزَلْنا) وبعضه الآخر تأویل، (... وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ) علماً أنَّ هَذِهِ الروایات موجوده فِی المصادر التفسیریّه لکلا الطرفین عَنْ النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله، ولکن أنّی وکیف ومَتَی یفهمونها؟! مِنْ دون الاستعانه بالثِقْل الثَّانِی أیّ أهل البیت علیهم السّلام.

وهکذا تعامل الأئمه علیهم السّلام ومنهم الإمام الصادق علیه السّلام مَعَ الصحیفه السجّادیّه زبور آل مُحمَّد صلّی الله علیه و آله أنَّها کتابٌ قدسی، لا کتاب عادی مِنْ تعبیر بشر، وَإنَّما کتاب قدسی ظهرهُ تنزیله، وبطنه تأویله مِنْهُ ما قَدْ مضی، وَمِنْهُ ما لَمْ یکن یجری کَمَا یجری الشمس والقمر، کَمَا جاء تأویل شیء مِنْهُ یَکُون عَلَی الأموات کَمَا یَکُون عَلَی الأحیاء، وما یعلم تأویله إلَّا الله والراسخون فِی العلم، نَحْنُ نعلمه.

هَذَا كُلَّهُ بحسب منهج أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات بخلاف باقى المناهج التفسيريه كمنهج تفسيرى القُرآن بالقرآن، أو التفسير الموضوعى أو التجزئيى أو غيرها، فإنَّهم لا يرسمون خارطه للقُرْآن الكريم فيها طبقات ودرجات ومهم وأهم، علماً أنَّ نفس هَذِهِ الرُّوايه تقول«إلَّا ولها ظهر وبطنٌ» فَالطَّبقات والمراتب القُرآن ليست عَلَى درجه واحده وليست فِى عرض واحد.

هَذَا مُضافاً إلى ضروره التفات المُفَسِّر الكريم والباحث الفطن إلى أنَّ آيات القُرآن وسوره لها مراتب وطبقات، علاوةً عَلَى تعدّد معانيه ومداليله ومصاديقه وغيرها، فالتعدّد والماوراء لِكُلِّ مِنْ طبقه الظاهر والباطن وَهَذَا ما تميَّز به منهج أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات عَنْ باقى المناهج التفسيريه الأُخْرَى.

الأمثال عَلَى طبقات:

تنبيه: إنَّ الأمثال فيها طبقيه لا طبقه ودرجه واحده، وأنَّ القُرآن الكريم ظاهِره كُلَّهُ مثل وأمثال، وَهَذَا منبّه للمُفسِّر الكريم إذَا أراد أنْ يعرف منهجيته فِى فَهْمْ تفسير القُرآن فَلابُدَّ أنْ يلتفت إلى أنَّ القُرآن الكريم لَيْسَ أرضاً مسطّحه فَقَطْ، وَإنَّما منهجيه القُرآن كَمَا بيَّنها النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله هِىَ حبل ممدود طرف مِنْهُ علوى عِنْدَ الله، وطرف نازل عِنْدَ الناس، وَعَلَيْهِ إذَا بنى المُفَسِّر منهجيته التفسيريه عَلَى ضوء ووفق الهندسه النبويّه الوحيائيّه فآنذاك تصبح لديه قَواعِد المنهج التفسيرى.

صله قاعده الأمثال بأقسام الوحى وأنواعه وأسراره

اشاره

مِنْ المباحث المُهِمَّه فِى قَواعِد التفسير هِىَ معرفه قَاعِدَه الوحى وأقسامه وأنواعه وأسراره وَهَذِهِ قَاعِدَه يأتى التعرّض إليها فِى قَواعِد نظام حقائق القُرآن، وليست مِنْ قَواعِد نظام المعنى فِى القُرآن، ولا مِنْ قَواعِد النظام الاستعمالى اللفظى، وَعَلَيْهِ فالمُفسِّر الذى لا يعرف ولا يعى أقسام الوحى يَكُون أُميّاً فِى علم تفسير القُرآن حسب ما أكَّدت عَلَيْهِ روايات وبيانات أهل البيت عليهم السّلام، ومما يُؤسَف لَهُ أنَّ أكثر المُفَسِّرين ليسوا عَلَى يقظه وانتباه مِنْ أقسام الوحى الَّتِى بيَّنها أهل البيت ونبَّهوا عَلَيْهَا فِى تعاليم القُرآن الكريم.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أنَّ القُرآن الكريم لَهُ تفسير وتعبير وتأويل وكلمات وأمثال، وكذا هَذَا العالم التكوينى لله تَعَالَى الذى عَبَّرَ تَعَالَى فيه عَنْ عظمته فِى كُلّ مخلوق فيه كلمه مِنْ الكلمات وحرفٌ مِنْ الحروف، فإذا أردنا أنْ نصغى إلى كلام الله الذى فيه هَذِهِ المخلوقات والكلمات فَإنَّهُ فيها إيحاءٌ ووحىٌ وتأويل وتعبير وتفسير و... والوحى إشاره خفيّه فَإنَّ العبور مِنْ الآيه والمثل والوصول إلى غيره عبر قنوات خفيّه وَهَذِهِ القنوات الخفيّه

هِيَ الوحى وَهِيَ التأويل.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قراءه النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله وأهل بيته لهذا الكتاب التكوينى أىّ المصحف الشريف عباره عَنْ وحى إلهى يهتف بعقولهم وأسماعهم وَعَلَى ألسنتهم، فَإِنَّ نفس عالم التكوين وعالم الخِلقه هُوَ احد قنوات الاتّصال بينهم وبين الله؛ لِأَنَّ آيات القُرآن آيات فِى كتاب مُدَوَّن تكوينى يقرؤونه ويعبرون مِنْهُ ويعلمون مآله وفيه إيحاء لما وراءه.

إذَنْ هَذَا الكتاب التكوينى هُوَ وحىٌ، وَهَذِهِ العوالِم التكوينيه هِيَ وحىٌ، ومَثَلٌ وتأويل وعبورٌ ما وراءه والمآل، وأنَّ هَذَا الكتاب التكوينى هُوَ أحد أقسام الوحى المُهِمَّه الذى يُلتفت إليه فِى قَاعدَه الأمثال، وَهَذَا ما يذكره الإمام الرضا عليه السّلام فِى الرُّوايه«إنَّما يُعلم ما ها هُنَاك بما ها هُنَا».

وَهَذَا فيه إشاره إلى عظمه غيب مِنْ الغيوب أىّ يُعْلم بما ها هُنَا بنفس هَذَا المشهد والشهاده يُعْلَم بما ها هُنَاك، وعالَم الشهاده مَثَل وآيه لعالَم الغيب، وإذا عبرت مِنْ عالم الشهاده إلى عالم الغيب فآنذاك تدرك عالم الغيب ولا يمكن بحال مِنْ الأحوال انفكاك عالم الشهاده عَنْ عالم الغيب، أو انفكاك الظاهر عَنْ الباطن فَإِنَّهُ لا يوجد هُنَاك باطنٌ محضٌ، أو ظاهِرٌ محض - كَمَا تَقَدَّمَ - وَإِنَّما تمام الظاهر بالباطن وتمام الباطن بالظاهر.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ بحث قَاعدَه المَثَل والأمثال فِى ظل مَعْنَى الوحى شىءٌ مهم جدّاً، فَإِنَّ لغه الوحى بين الله وبين كثير مِنْ الأنبياء مِنْ ذوى

المستوى فِي النبوه - تلك الرسل فضلنا بعضهم عَلَى بَعْض بحسب تفاضلهم، فَإِنَّ كثيراً مِنْ الأنبياء يتلقون الوحى عِبْرَ مشاهده ظواهر تكوينيه يقرؤون مِنْ خلالها ما يريده الرحمن منهم.

وَمِنْ هَـذَا يُعْلَم مدى أهميّه ارتباط قَاعدَه الأمثال بعلم التعبير وبعلم التأويل والتفسير والترجمان والتجلّى والتجلّيات والظهور، بَلْ وَحَتّى أسلوب القصص القرآنى برمّته ينضبط بإطار المَثَل والأمثال، وإنْ كَانَ المصداق مُراداً فِي القصَّه القرآنيه حقيقه وواقعاً، ولكنَّه لا يُنافى أنَّهُ ينضبط بإطار وقعَ كمَثَل - كَمَا فِي مَثَل مريم بن عمران مَثَلٌ ضربه الله لفاطمه بنت مُحمَّد صلّى الله عليه و آله ولا مانع مِنْ العبور مِنْ مريم إلى فاطمه عليها السّلام وإنْ كَانَ المُرَاد بالقصَّه مريم عليها السّلام وَمِنْ ثمَّ تكون فاطمه عليها السّلام أعظم مِنْ مريم ولا مانع مِنْ أنَّ ما يضربه الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أمثال وقصص عَنْ الأنبياء يَكُون لما هُوَ أعظم شأناً مِنْ الأنبياء السابقين والأوصياء ومَثَلٌ يُعْبَر مِنْهُ إلى غيره، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ فِي (قصصهم عبره) قَاعدَه مطرده.

صله أنَّ للقُرْآن ظهر وبطن بمبحث الأمثال:

تَقَدَّمَ أنَّ المثل هُوَ نوع مِنْ الدلاله - ولله المثل الأعلى - وأنَّ الغايه مِنْ المثل هُوَ لشىء وراءه، فالمثل مَعَ الآيه والعلامه والاسم والحرف والجرى والعبور والترجمان والكلمه وغيرها لَيْسَ المطلوب مِنْ المثل مَعَ المذكورات الوقوف والمكث عنده، بَلْ المطلوب فيه أنَّ تتّخذ المثل وسيله

للعبور مِنْهُ إلى الجهه الممثل لهـا... فالمثـل ظاهرٌ والممثل لَهُ خفى وأنَّ المَثَل مروى فِى القُرآن والممثل لَهُ غايه المثل وأنَّ المثل هُوَ نفسه غايه لو يُضْرَب لشىء وراءه.

إذَنْ مثلما القُرآن لَهُ ظهور وبطون وعبور وعبره وجرى، كَذَلِكَ الأمثال فيه عبور لما ورائه.

لماذا لَمْ تذكر دلائل إمامه أهل البيت عليهم السَّلامُ

فِى القُرآن كَمَا فِى ذكر موسى وعيسى عليهم السَّلامُ:

نتفه عقائديه:

وللجواب عَنْ هَذَا الاسـتفسار هُوَ أنَّ الغايه مِنْ ذكر عيسـى عليه السّلام - كَمَا تَقَدَّمَ - لَيْسَ المُرَاد شخص عيسى عليه السّلام وإنْ كَانَ لشـخص عيسـى عليه السّـلام موضوعيّه، إلَّا أنَّ الغايه والماوراء مصـداق الآيه هُمْ أهل البيت عليهم السّـلام وَهَذِهِ هِىَ وظيفه المثل وَهِىَ العبور وعدم التوقُّف والاقتصار عَلَى المثال الذى ذُكِرَ فِى الآيه، وَهَذَا البُرهان دليل عظيم عَلَى إمامه أهل البيت عليهم السّـلام(لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ لِأُولِى الْأَلْبابِ) (١). (ما كانَ حَـدِيثاً يُفْتَرى) وهكذا فِى قصَّه يوسف عليه السّـلام وبكاء الأب النَّبِىّ يعقوب عليه السّلام عَلَى ولده سنين مِنْ الزمان، وما صرَّحت به البيانات القُرآنيّه والروائيّه بأنَّ يعقوب

١- (١) سوره يوسف: الآيه ١١١.

الْنَّبِيّ عليه السّلام يعلم بـأنَّ ولـده يوسف عليه السّلام لَمْ يُقتـل حَتّى يحبيه الله شأنـاً عظيماً(إِذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ(۴) قالَ يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ(۵) (۱).

بتقريب: - إنَّ يعقوب عليه السّلام يعلم بـأنَّ يوسف سـيلقى شأنـاً عظيمـاً حسب رؤيـاه هَـذِهِ؛ لِـأنَّ رؤيا الأنبياء وحىٌ، وَعَلَيْهِ فبكاء يعقوب مِنْ مـاذا؟ مِنْ فراق يوسف عليه السّلام جعل يبكى عَلَيْهِ ليل نهار، فلا تقف فِى موضوع البكاء وتقصـر بكاء يعقوب عليه السّلام عَلَى ولـده يوسف عليه السّلام بَلْ تعـدّاه إلى ما هُوَ أعظم مِنْهُ(لَقَـدْ كانَ فِى قَصَصِـهِمْ عِبْرَةٌ) (۲) ألا- وَهُوَ بكاء رسول الله صلّى الله عليه و آله عَلَى الحسين عليه السّلام، وَهَـذَا عبورٌ لمـا هُوَ أعظم مما فِى مصاب يعقوب عليه السّلام بولـده يوسف عليه السّلام.

لِمَ يُصَرِّح القُرآن الكريم بأنَّ قصص الأنبياء عبره:

صَرَّحَ القُرآن الكريم بـأنَّ قصـص الأنبيـاء والمُرسـلين هِىَ عِبْرَةُ(لَقَـدْ كـانَ فِى قَصَصِـهِمْ عِبْرَةٌ) فَأىّ شـىء أعظم مِنْ الأنبياء بحيث تجعل الأنبياء معبر وجسر عبور لشىء أعظم، وَمِنْ هَذَا يُفهم أنَّ هُنَاك أشخاصاً وحججاً أعظم مِنْ الأنبياء السابقين ألا وَهُوَ مُحمَّد خاتم الأنبياء صلّى الله عليه و آله وعترته الطاهرين عليهم السّلام.

۱- (۱) سوره يوسف: الآيه ۴-۵.

۲- (۲) سوره يوسف: الآيه ۱۱۱.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الغايه والعبور هِيَ لأهم مما ذُكِرَ فِي القصَّه وإِنْ كَانَتْ لَهُ موقعيّه موضوعيّه ولكن الأسلوب القصصي فِي القُرآن وَقَاعِدَه الأمثال تَعْبر بك إلى ما هُوَ الغايه والأهم.

وَهَذِهِ ملحمه منهجيّه عظيمه فِي القُرآن، وأنَّ المُرَاد مِنْ أسلوب القصص فِي القُرآن هُوَ أسلوب الأمثال.

فَإِنَّ هَذِهِ الآيه(لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ) مِنْ المُحْكَمات وأنَّ كُلّ ما ذُكِرَ فيها مِنْ السابقين هُوَ مَثَل لما هُوَ أعظم مِنْهُ وَهُوَ الغايه(آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) (1).

فالإيمان لابُدَّ أنْ يتقوَّم بالأنبياء السابقين وَأنَّهُ مثل لشيء أعظم وراءه.

وَمِنْ خلال هَذَا كُلَّهُ يتَّضح الجواب للسائل عَنْ سبب عدم تصريح القُرآن باسم فاطمه عليها السّلام وباسم علي عليه السّلام، وباسم الأئمه المعصومين عليهم السّلام، وتصريحه وإفصاحه عَنْ مثل مريم عليها السّلام وباقي أسماء الأنبياء عليهم السّلام، وأنَّ عَدَم الإفصاح هُوَ إعظام لهم؛ لِأنَّ العبور مِنْ المصداق الذي ذُكِرَ فِي الآيه لما ورائه هُوَ أعظم وأعلى درجه وشأناً، وبالتالي ففي قصص الأنبياء السابقين عِبْرَه ومغزى وغايه لما هُوَ أعظم مِنْهَا.

تنبيه: وفيه أمران:

۱- (۱) سوره البقره: الآيه ۲۸۵.

الأوَّل: أكّدت بيانات مدرسه أهل البيت عليهم السّلام عَلَى: - ما مِنْ تساؤُل حول سيد الأنبياء صلّى الله عليه و آله أو حول شأن مِنْ شؤونه، أو حول عترته, إلَّا وتجد لَهُ جواباً بالمثل فِي القُرآن، وَهَذِهِ ملحمه قُرآنيّه عظيمه فِي مبحث قَاعدِه الأمثال القُرآنيّه.

وهكذا التساؤل الذى يُطرح حول غيبه الإمام الحجه المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف فَإنَّ كُلّ أجوبتها موجوده كأمثال فِي القُرآن الكريم مِنْ غيبه الخضر عليه السّلام ورَفْع عيسى عليه السّلام ويحيى عليه السّلام وغيبه موسى عليه السّلام عَنْ قومه وغيرها، وبهذه الأمثال القُرآنيّه نجيب عَنْ كُلّ الاعتراضات والشُّبهات الَّتِى تُطرح حول غيبه الإمام الثَّانِى عشر الحُجَّه بن الحسن عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

وَمِنْ هَذَا يُعْرَف الردّ عَلَى نظريّه السَّيِّد العلّامه مُحمَّد حسين الطباطبائى رحمه الله صاحب تفسير الميزان فِي القُرآن وأنَّ المصاديق كُلَّهَا عَلَى حَدٍّ واحدٍ وسواء ومُتساويه فِي المدلول والإراده والما وراء عَلَى مبنى السَّيِّد العلّامه، وَلَيْسَ الأمر كَذَلِكَ عَلَى مُختار منهج أمومه الولايه فَإنَّ الما وراء يَكُون أعظم وأهم وَهُوَ اللب اللباب وكأنَّه هُوَ المُرَاد الجدّى الأوَّل والأصلى، وأنَّ هَذَا التنزيل إنَّما يُرَاد بإراده ابتدائيّه أوليّه وأنَّ الغايه هِيَ المُرَاد الجدّى وَهِيَ الأهم.

إذَنْ طبيعه القُرآن هِيَ طبيعه مراتب وتسلسل وطوليّه لا أنَّ طبيعته عرضيه وأنَّ المناهج التفسيريه الأُخْرَى كتفسير القُرآن بالقرآن، أو التفسير الموضوعى أو التفسير التجزيئى وغيرها لَمْ يُرَاعَ فيها سلسله المراتب، بينما القُرآن

الكريم وروايات وبيانات أهل البيت عليهم السّلام تُنادى بأنَّ قِوام تفسير القُرآن هُوَ بالمراتب يعنى الامومه كَمَا فِى الرُّوايه عَنْ الإمام الصادق: «إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القُرآن، وبها نوَّهت الكتب ويستبين القُرآن»(۱).

بتقريب: - إنَّ هُنَاك أقطاب ومدارات متعدِّده طوليّه لا أنَّها عَرْضيّه وفى مرتبه واحده، وَعَلَيْهِ إذَا لَمْ تُلْمِس أمومه ولايه أهل البيت عليهم السّلام عَلَى المُحْكَمات فِى قواعِد التفسير ضاع المنهج المهيمن الأم.

الثَّانِى: إنَّ قراءه قَاعِدَه الأمثال فِى القُرآن الكريم تحتاج إلى تعقُّل وقراءه عقليّه وقراءه علميّه مِنْ علوم شتّى، كى يصل الإنسان إلى ما وراء هَذِهِ الجهه الَّتِى طالما أَكَّدَ عَلَيْهَا القُرآن الكريم وبِعِدَّه مواضع قُرآنيّه(لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) «لعلهم يعقلون» «لعلهم يتدبّرون» وَهَذَا التعقُّل والتذكّر والتولّد والتدبّر فِى قَاعِدِه الأمثال فِى القُرآن يحتاج إلى تطهير روحى ونفسى وذكر قلبى كى يلتفت الإنسان إلى الأمثال فِى القُرآن.

هَذَا مُضَافَاً إلى أنَّ قراءه الأمثال فِى القُرآن قراءه ذكريّه، أىّ إذَا صار القلب متذكِّراً يفطن ويَدْرُك أنَّ الأمثال آيات، يُعْبَر مِنْهَا إلى ما وراء الممثل لَهُ صاحب المثل الأصلى، وَلَمْ يقف ويُحَجَّم عِنْدَ مَنْ مُثِّل لَهُ عَنْ الغايه وصاحب المَثل الأصلى - وَكَمَا تَقَدَّمَ بحثه -.

إذَنْ قَاعِدِه الأمثال فيها طبقات عُليا فِى القُرآن لا تدرك بسهوله،

۱- (۱) تفسير العيّاشى: ج ۱، ص ۷۸ ح ۸.

بَلْ هِيَ عَلَى درجات وطبقات تحتاج إلى إمكانيّه علميّه عقليّه عميقه ودقيقه حَتّى يستطيع الوقوف عَلَى بَعْض نكاتها الخفيّه.

الجهه الثالثه عشر: تقابل مثل أهل البيت عليهم السَّلامُ

وأعداؤهم فِي القُرآن:

وتوضيح ذَلِكَ يقع ضمن نقاط:

النقطه الأُولى:

البُرهان الأوَّل: برهان العِبْره فِي المثل:

مُقْتَضَى ما تَقَدَّمَ فِي الجهه السَّابقه بَلْ والجهات المُتقدِّمه عَلَيْهَا أنَّ ما ذُكِر فِي القُرآن الكريم مِنْ قصص وأمثال لأهل الحقّ وطريق الخير وعِبْرَه لأئمه الحقّ وراء أولئك المذكوره قصصهم بأسمائهم وإنْ كانوا مِنْ الأنبياء والمُرسلين والأوصياء والصُّلحاء السابقين(لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ مَثَلُ السَّوْءِ وَ لِلّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(۶۰) (۱). وأنَّ المُرَاد الجدّى والأصلى والأعظم هُوَ المعنى التأويلى لا المعنى التنزيلى وَكُلّ ما ذُكِر مِنْ سيد الصالحين والمصطفين والشُّهداء هِيَ عِبْره وعبورٌ لأشخاص وراءهم يُقيمون بحياه راهنه تتعاطى الأُمَّه معهم، فَكُلّ ما ذُكِر مِنْ نجوم وروّاد وأئمه الحَقّ عِبْرَه وعبور إلى مَنْ هُمْ مقصودون وراء ذَلِكَ، ويَنْصَبُ محط القصد وَالمُرَادأصاله بلحاظهم، فَمِنْ ثمَّ مَرَّت

۱- (۱) سوره النحل: الآيه ۶۰.

القَاعِدَه فِی الجهه السابقه، وأنَّ کُلّ ما ذُکِر، مِنْ أصفیاء وأنبیاء ومرسلین هُمْ مَثَلٌ لأئمه أهل البیت علیهم السّلام، وکذلک العکس، فَإنَّ کُلّ ما ذُکِرَ مِنْ أئمه الشرّ والباطل والغیّ والضَّلال فَهُوَ عِبْرَه وعبور إلی مَنْ هُمْ أشدّهم فِی الباطل والغیّ والضَّلال مِنْ أئمه الباطل الَّذِیْنَ تُبْلی الأُمَّهُ بهم، إذْ هُوَ مُقْتَضَی کون القصص فِی الطرفین عِبْره ومثل ضربه الله لما هُوَ ورائه.

وَهَذَا ما أکَّدته الآیه المُبَارَکه(لِلَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ مَثَلُ السَّوْءِ وَ لِلّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلی وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ(۶۰) .

النقطه الثَّانیه: مِنْ خلال النقطه الأُولی یتبیَّن حقیقه ما وَرَدَ فِی الروایات المُستفیضه عِنْدَ الفریقین کالذی رواه ابن المغازلی عَنْ الشافعی عَنْ ابن عباس عَنْ النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله، قَالَ: - قَالَ: «نُزِّل القُرآن أرباعاً ربع فینا وربع فِی عدوّنا وربعُ سنن وأمثال وربع فرائض وأحکام ولنا کرائم القُرآن»(۱).

النقطه الثَّالثه:

البُرهان الثَّانِی: برهان الجری:

روی العیّاشی عَنْ مُحمَّد بن مسلم، قَالَ: قَالَ أبو جعفر علیه السّلام یا مُحمَّد إذَا سمعت الله ذَکَرَ أحداً مِنْ هَذِهِ الأُمَّه بخیر فَهُمْ نَحْنُ، وإذا سمعت الله

۱- (۱) ابن المغازلی فِی مناقبه: ص ۳۲۸ ح ۳۷۵ وغیره، تأویل الآیات الظاهره لِلْسَّیِّد علی الحسینی الاسترآبادی: ص ۲۱.

ذكر قوماً بسوء ممن مَضَى فَهُمْ عَدوُّنا(۱).

وروى العيّاشى: أيضاً عَنْ مُحمَّد بن خالد الحجّاج الكرخى عَنْ بَعْض أصحابه رفعه إلى خيثمه، قَالَ: قَالَ أبو جعفر عليه السّلام يا خيثمه القُرآن نزل أثلاثاً: ثُلثٌ فينا وفى أحبائنا، وثلثٌ فِى أعدائنا وعدوّ مَنْ كَانَ قبلنا، وثُلثٌ سُنه ومَثَل، ولو أنَّ الآيه إذَا نزلت فِى قوم ثمَّ مات أولئك القوم ماتت الآيه، لما بقى مِنْ القُرآن شىء، ولكن القُرآن يجرى أوله عَلَى آخره ما دامت السماوات والأرض، وَلِكُلِّ قوم آيه يتلونها هُمْ مِنْهَا مِنْ خيرٍأو شرٍّ(۲).

وتشير هَذِهِ الرُّوايه إلى دليل آخر عَلَى هَذِهِ الجهه وَالقَاعِدَه غَيْر ما مَرَّ مِنْ الدَّليل المُشار إليه مِنْ قَاعدَه العِبْرَه والأمثال وَهِىَ قَاعدَه الجرى وَإلى ما هُوَ أصلٌ وبُرهانٌ لقاعده الجرى وَهُوَ كون القُرآن حىٌّ وحجّه(۳) حيَّه فعليّه عَلَى العباد فِى كُلّ زمان فِى كُلّ آيه آيه مِنْهُ، بَلْ فِى كُلّ جمله جمله مِنْهُ ولا يستقيم ذَلِكَ إلَّا بقاعده الجرى أىّ يجرى ما ذكره القُرآن فِى أنَّهُ الحقّ وأهله مما مَضَى يجرى فِى أئمه أهل البيت عليهم السّلام وأتباعهم وما ذكره القُرآن فِى أهل البيت عليهم السّلام فِى أهل الباطل والشرّ يجرى فِى أعدائهم(۴).

وروى الكلينى بسند مُعتبر عَنْ الأصبغ بن نُباته قَالَ سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام أنزل القُرآن أثلاثاً ثلثٌ فينا، وفى عدوّنا، وثلث سنن وأمثال

۱- (۱) العيّاشى: ج ۱، ص ۲۴؛ البرهان لِلْسَّيِّد هاشم البحرانى: ج ۱، ص ۵۶.

۲- (۲) المصدر السابق: ص ۵۸ باب ما أُنزل القُرآن: ح ۷.

۳- (۳) يلاحظ فِى قَاعدَه الجرى.

۴- (۴) الكافى: ج ۲، ص ۶۲۷؛ العيّاشى: ج ۱، ص ۸۴ باب ما نزل فِى القُرآن ح ۳.

وثلث فرائض وأحكام.

ونظيره ما رواه فِي موثَّق أبو بصير عَنْ أبى جعفر عليه السّلام قَالَ: - نزل القُرآن أربعه أرباع: ربعٌ فينا، وربع فِي عدوّنا وربعٌ سنن وأمثال، وربعٌ فرائض وأحكام(۱).

۱- (۱) الكافى: ج ۲، ص ۶۲۷؛ العياشى: ج ۱، ص ۸۴ باب ما نزل فِي القُرآن: ح ۳.

توسعه القَاعِدَه عمومیه الجهه والقاعده

اشاره

النقطه الرابعه: الروایات المتقدمه فِی النقطه الثَّالثه وغیرها مِنْ الروایات الوارده فِی هَذَا الباب، بَلْ یظهر مِنْ روایات عدیده أُخْرَی أوسعیّه هَذِهِ القَاعِدَه بکثیر أیّ عمومها، لِکُلِّ مَثَلٍ حَسَنٍ، وإنْ لَمْ یَرِد فِی أشخاص وأُناس مِنْ أهل الخیر أو أهل الشرِّ، کَمَا روی العیّاشی عَنْ مسعده بن صدقه عَنْ أبی جعفر علیه السّلام عَنْ أبیه عَنْ جدّه، قَالَ: قَالَ أمیر المؤمنین علیه السّلام: «سمّوه بأحسن أمثالِ القُرآن یعنی عتره النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله هَذَا عذبٌ فراتٌ فاشربوا، وَهَذَا ملحٌ أُجاج فاجتنبوا»(۱).

وما رواه فرات الکوفی فِی تفسیر قوله تَعَالَی: (وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هذَا الْقُرْآنِ لِیَذَّکَّرُوا وَ ما یَزِیدُهُمْ إِلاّ نُفُوراً(۴۱) (۲). بسنده عَنْ جابر، قَالَ أبو جعفر علیه السّلام قَالَ الله تَعَالَی(وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هذَا الْقُرْآنِ لِیَذَّکَّرُوا) یعنی ذکرنا علیاً فِی کُلّ آیه فأبوا ولایه علی علیه السّلام وما یزیدهم إلَّا نفوراً(۳).

وکذا ما ذُکِرَ فِی الکافی بسنده عَنْ أبی حمزه عَنْ أبی جعفر علیه السّلام قَالَ:

۱- (۱) العیّاشی: ج ۱، ص ۹۰ ح ۷.

۲- (۲) سوره الإسراء: الآیه ۴۱.

۳- (۳) تفسیر فرات الکوفی: ص ۳۲۵ ح ۵ مِنْ سوره الإسراء؛ تفسیر الصافی: ج ۴، ص ۲۰۱.

نزل جبرائيل بهذه الآيه هكذا(فَأَبى أَكْثَرُ النّاسِ (بولايه على) إِلاّ كُفُوراً) (۱).

قَالَ ونزل جبرائيل عليه السّلام بهذه الآيه هكذا(وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ (فِي ولايه عليّ) فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنّا أَعْتَدْنا لِلظّالِمِينَ (آل مُحمَّد) ناراً) (۲).

وما رواه العيّاشى بسنده عَنْ على بن أبى حمزه، عَنْ أبى جعفر عليه السّلام: «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القران ليذَّكروا يعنى ولقد ذكرنا علياً فِي القُرآن وَهُوَ الذكر فما زادهم إلَّا نفوراً»(۳).

النقطه الخامسه:

البُرهان الثَّالِث: المثل والأمثال

اسم وتسميه وتوصيف ووصف:

ما تَقَدَّمَ مِنْ الروايات فيها تبيان وتصريحٌ بأنَّ الأمثال نعوت وأوصاف، وألقاب وأسماء بلحاظ العِبْرَه الَّتِي فيها، وإنْ كَانَتْ فِي جمادات أو كائنات مِنْ سائر ما خلق الله وأنَّ الأمثال تسميهٌ ونعتٌ ووصف لمسميات هِيَ المعنى التأويلى، وما دام المَثَل عِبْرَه وعبور إلى ما وراءه فلا يقتصر ذَلِكَ عَلَى القصص بَلْ يعمّ كُلّ أمثال القُرآن الحَسَنَه

۱- (۱) سوره الإسراء: الآيه ۸۹.

۲- (۲) الكافى: ج ۱ كتاب الحجه: ب ۱۶۵ ح ۶۴ ص ۴۹۳.

۳- (۳) العيّاشى: ج ۳، ص ۵۳، ح ۷۸.

لِمَنْ هُوَ حَسَنٌ، والسيئه لِمَنْ هُوَ سيّ ء.

النقطه السَّادسه:

البُرهان الرَّابِع:

ثمَّ إنَّ ما تَقَدَّمَ فِي الروايات السابقه إشاره إلى قَاعدَه مُهمّه وَهِيَ أنَّ المثل والأمثال اسمٌ وتسميه وتوصيف ووصف.

ونظير ما تَقَدَّمَ ما رواه صاحب كنز الفوائد، تأويل الآيات الباهره عَنْ أبى جعفر الطوسى بإسناده عَنْ الفضل بن شاذان عَنْ داود بن كثير، قَالَ: قلت لأبى عبدالله عليه السّلام: أنتم الصَّلاه فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنتم الزكاه وأنتم الحج؟ فَقَالَ: «يا داود نَحْنُ الصَّلاه فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وَنَحْنُ الزَّكاه وَنَحْنُ الصِّيَام وَنَحْنُ الحجّ وَنَحْنُ الشَّهر الحرام وَنَحْنُ البلد الحرام، وَنَحْنُ كعبه الله، وَنَحْنُ قبله الله، وَنَحْنُ وجه الله، قَالَ الله تَعَالَى(فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ) وَنَحْنُ اللآيات وَنَحْنُ البيّنات، وعدوَّنا فِي كتاب الله الفحشاء والمنكر والبغى والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والجبت والطاغوت والميته والدَّم ولحم الخنزير، يا داود إنَّ الله خلقنا وأكرمَ خَلْقَنا وفَضَّلَنا، وجعلنا أُمنائه وحفظته وخزّانه عَلَى ما فِي السموات والأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءاً فسمّانا فِي كتابه، وكَنّى عَنْ أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبّها إليه تكنيه عَنْ العدو، وسمّى أضدادنا وأعدائنا فِي كتبه وكَنّى عَنْ أسمائهم، وضرب لهم الأمثال

فِی کتابه فِی أبغض الأسماء إلیه وَإلی عباده المتقین» (۱) .

کَمَا بیَّنا فِی قَاعدَه المثل فِی ما مَرَّ مِنْ الجهات أنَّها لا تقتصر عَلَی القصص وما ضُربت مثلاً وتمثیلاً، بَلْ کُلّ القُرآن بکُلِّ آیاته وجُملهِ مَثَلٌ وأمثال لما ورائه مِنْ معانی تأویلیه، فَکُلّ تنزیل مَثَلٌ للتأویل وَکُلّ مَعْنَی تأویلی مَثَلٌ للمعنی التأویلی الذی هُوَ أبطن مِنْهُ فِی البطون وهلم جرّا.

وبذلک تتّسع قَاعدَه المثل فِی القُرآن، وَهَذَا البُرهان عَلَی هَذِهِ القَاعِدَه والجهه فِی الأمثال أیّ مِنْ توسعه المثل لِکُلِّ آیات وسور وجُمَل القُرآن، وَهُوَ بُرْهانٌ أنَّهم صلوات الله علیهم أصل کُلّ خیر وفروعه وعدوَّهم أصل کُلّ شرٍّ وفروعه.

بیان ذَلِکَ:

أوَّلاً: إنَّ هَذِهِ الرُّوایه تشیر إلی قَاعدَه أنَّ الأمثال أسماءٌ وتوصیفٌ ووصفٌ.

ثانیاً: إنَّ فِی الرُّوایه بُرهانٌ عَلَی أنَّ کُلّ خیر وکمال هُوَ آیه وتجلّی لأصول وجودهم فِی مراتبهم العلویّه لکونها المواد الأولی فِی عالم الخِلْقه؛ إذْ بمُقْتَضَی أنَّ کُلّ معلول کمالٌ مُقَرَّرٌ فِی علته بنحو أکمل وأشرف، وإنْ کَانَتْ تلک العلّه واسطه فِی الفیض، نظیر ما یُقرر عقلاً بأنَّ نظام المخلوقات انعکاسٌ کجمال وعظمه النظام الذاتی الربوبی، فَکُلّ کمالٌ فِی

۱- (۱) تأویل الآیات الباهرات، علی الحسنی الأسترابادی: ص ۲۱؛ البحار: ج ۲۴، ص ۳۰۳.

المخلوقات آيهٌ متنزَله ونازلهٌ عَنْ كمالٍ ربوبى فِى النظام الذاتى الإلهى، بَلْ إنَّهُ هُنَاك بنحو أكمل وأرفع وأشرف وأعلى، فوجود ذَلِكَ الجمال والكمال والعظمه فِى واقع الذاتى الأزلى السَّرمدى أعظم مِنْهُ فِى وجوده فِى كمال المخلوق، بَلْ إنَّ أصل ذَلِكَ الكمال هُوَ فِى التقرُّر الواقعى الربوبى، وما يشاهَد فِى المخلوق إنَّما هُوَ فرعه، وهكذا الحال فِى سلسله ترتُّب المخلوقات فَإنَّ الصوادر الأُولى مِنْهَا واجِدَه لِكُلِّ الكلمات المُتحقِّقه والمُتقرِّره فيما دونها.

وَمِنْ ثمَّ يتبيَّن أنَّ وجودهم عليهم السّلام بلحاظ المراتب العلويّه أصل كُلّ خير وَكُلّ برٍّ، وبذلك يتبيَّن أنَّ كُلّ خيرٍ وَكُلّ برٍّ هُوَ اسمٌ ووصفٌ لهم عليهم السّلام لِإنَّهُ آيه التجلّى لما هُوَ لديهم مِنْ كمالات بنحو أعلى وأرفع.

وبذلك اتّضح مَعْنَى قوله عليه السّلام فِى صدر الرُّوايه المُتقدِّمه(۱).

وأمَّا أنَّ أعداءهم - أىّ أعداء الأئمه عليهم السّلام - أصل كُلّ شر وسوء وأنَّ كُلّ الشرور فَرْع وفروع لأعدائهم.

فتقريبه: ما وَرَدَ مِنْ خلق الجهل وخلق الظلمه وجنود الجهل كخلق شجره الزقّوم فِى مقابل خلق شجره طوبى، ونظير خَلْق الطِّينه مِنْ عليين وما فوقه، وطينه سجّين، ونظير أسماء الجمال الأُولى المُهيمنه الأم المتجلّيه فِى طبقات أسماء الجمال اللاحقه فِى منظومه أسماء الجمال فِى

۱- (۱) تأويل الآيات الباهرات، على الحسنى الاسترابادى: ص ۲۱؛ البحار: ج ۲۴، ص ۳۰۳.

مقابل منظومه أسماء الجلال وطبقاتها وتجلياتها فِی أسماء أُخْرَی.

وبعباره أُخْرَی: فَإِنَّ النفوس الشریره تُدبر مِنْ قبل نفوس وأرواح کُلّیه شریره، وَهِیَ ذَاتَ طبقات تتصاعد إلی طبقه روح شجره الزقّوم فِی قِبال طبقات أرواح النُّور الَّتِی تتصاعد إلی روح طبقه شجره طوبی، کَمَا وَرَدَ فِی زیاره مولانا أمیر المؤمنین علیه السّلام: «... السَّلامُ عَلَی شجره طوبی وسدره المُنتهی»(۱).

وما رواه الفضل بن شاذان بإسناده عَنْ أبی عبدالله علیه السّلام أَنَّهُ قَالَ: «نَحْنُ أصل کُلّ برٍّ وَمِنْ فروعنا کُلّ بُرٍّ وَمِنْ البرّ التوحید وَالصَّلاه وَالصِّیَام وکظم الغیظ والعفو عَنْ المُسیء ورحمه الفقیر وتعاهد الجار والإقرار بالفضل لأهله، وعدوّنا أصل کُلّ شرٍّ وَمِنْ فروعهم کُلّ قبیح وفاحشه فَهُمْ الکذب والنمیمه، والبخل، والقطیعه وأکل الرِّبا وأکل مال الیتیم بغیر حق...»(۲).

وَمِنْ ذَلِکَ یتبیَّن أنَّ الأمثال الحَسَنَه والخیِّرَه فروع لهم، فَکُلّ مَثَل حَسَنٍ والأمثال الحُسْنی آیاتُ وتجلّیات لهم علیهم السّلام، کَمَا أنَّهم هُمْ علیهم السّلام الآیات الکبری لله تَعَالَی، وَهَذَا مِنْ قبیل الطَّبقات فِی منظومه الآیات ومنظومه الأسماء ومنظومه الصِّفات ومنظومه الأمثال، فَالطَّبقات اللاحقه کَمَا تُسْنَد بوجه إلیه تَعَالَی مَعَ محو الواسطه فِی الحکایه کَذَلِکَ تُسْنَد إلی

۱- (۱) بحار الأنوار: للعلّامه المجلسی: ج ۱۰۰ ص ۳۰۶.

۲- (۲) البُرهان فِی تفسیر القُرآن: ج ۱، ص ۵۷، ح ۱۱.

الواسطه والوسائط مَعَ ملاحظه وساطه الواسطه، كَمَا فِی قوله تَعَالَی: (وَ یَبْقی وَجْهُ رَبِّکَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِکْرامِ(۲۷) (۱) وقوله تعالی: (تَبارَکَ اسْمُ رَبِّکَ ذِی الْجَلالِ وَ الْإِکْرامِ(۷۸) (۲).

بتقریب: - إنَّ الوَصْف تارهً جُعِلَ للوجه وَأُخْرَی للربِّ، والوجه بمثابه الآیه والاسم والصِّفه واللقب فِی کون یُتوجّه به وإلیه إلی الله تَعَالَی.

ویستحصل مِنْ هَذِهِ الجهه تقریر قَاعدَه عظیمه الشَّأن فِی علم التفسیر کَمَا أشار إلیها أهل البیت علیهم السّلام فِی الروایات المُتقدِّمه فِی صدر الجهه.

الجهه الرابعه عشر:

(فَأَهْلَکْنا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَ مَضی مَثَلُ الْأَوَّلِینَ(۸) (۳):

بتقریب: - إنَّ القُرآن الکریم لماذا أسند المعنی إلی المثل وَلَمْ یسنده إلی الأولین - وَمَعْنَی مثل الأولین - مما یُنبِّه عَلَی أنَّ الأهمیَّه فِی العِبْرَه لا فِی شخص الحادثه والأشخاص.

وهکذا قوله تَعَالَی فِی مورد آخر(بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِ اللّهِ) (۴).

۱- (۱) سوره الرحمن: الآیه ۲۷.

۲- (۲) سوره الرحمن: الآیه ۷۸.

۳- (۳) سوره الزُّخرف: الآیه ۸.

۴- (۴) سوره الجمعه: الآیه ۵.

بتقريب: - إنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُسْنِد البأس إلى القوم الَّذِيْنَ كذَّبوا، بَلْ أسندها إلى المَثَل.

وقوله تَعَالَى: (ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا) (۱).

بتقريب: - إنَّهُ تَعَالَى أسند الإساءه إلى المثل مباشرةً دون القوم.

وقوله تَعَالَى: (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمى وَ الْأَصَمِّ وَ الْبَصِيرِ وَ السَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا أَ فَلا تَذَكَّرُونَ(۲۴) (۲).

بتقريب: - إنَّهُ تَعَالَى أسند نفى الاستواء إلى المثل لا إلى عين الأعمى والبصير والأصمّ والسَّميع.

ويُحتمل أنَّ الأصل فِي الكافرين لَيْسَ كينونه أبـدانهم، بَلْ كينونه أرواحهم وأظلّتهم، وأنَّ أرواح الكافرين أشـرّ مِنْ أبـدانهم كَمَا وَرَدَ عَنْهُ صلّى الله عليه و آله: «نيّه المؤمن خيرٌ مِنْ عمله، ونيّه الكافر شرٌّ مِنْ عمله، ونيّه الكافر شرّ مِنْ عمله وَكُلّ عامل يعمل عَلَى نيّته»(۳).

فأبـدان الكـافرين آيه لأـرواحهم فـالحكم عَلَى الأُـمم بلحاظ هويّه أرواحهم فالمضـى والسَوْءِ والاسـتواء العُمْـدَه فيه شأن الأرواح وأفعالها لا أحوال الأبدان.

۱- (۱) سوره الأعراف: الآيه ۱۷۷.

۲- (۲) سوره هود: الآيه ۲۴.

۳- (۳) الوسائل: ج ۱، كتاب الطهاره أبواب مُقدِّمات العبادات: ب ۶، ص ۵۰ ح ۳.

المثل الأعلى ومَثَل السَوْء

الجهه الخامسه عَشْرَه:

(لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ مَثَلُ السَّوْءِ وَ لِلّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(۶۰) (۱):

هُنَاك عِدَّه آياتٍ ذُكِرَت فيها المثل:

۱) كقوله تَعَالَى: (كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(۱۷۶) (۲).

۲) وقوله تَعَالَى: (ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ أَنْفُسَهُمْ كانُوا يَظْلِمُونَ(۱۷۷) (۳).

۳) وقوله تَعَالَى: (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمى وَ الْأَصَمِّ وَ الْبَصِيرِ وَ السَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا أَ فَلا تَذَكَّرُونَ(۲۴) (۴).

۱- (۱) سوره النحل: الآيه ۶۰.

۲- (۲) سوره الأعراف: الآيه ۳۶.

۳- (۳) سوره الأعراف: الآيه ۱۷۷.

۴- (۴) سوره هود: الآيه ۲۴.

۴) وقوله تَعَالَى: (وَ هُوَ الَّذِی یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَیْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلی فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ(۲۷) (۱).

۵) وقوله تَعَالَى: (بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِ اللّهِ وَ اللّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الظّالِمِینَ(۵) (۲).

بتقریب: - إنَّ مفاد الآیه(وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلی) إنَّ فِی عالم السماوات والأرض أمثال عدیده ذَاتَ درجات متفاوته وأنَّ خصوص المَثَل الأعلی لله تَعَالَى أیّ المُناسب لشأنه تَعَالَى دون المثل العالی فضلاً عَنْ المتوسِّط والدّانی.

ثمَّ إنَّ الملاحظ فِی سوره النحل عدم تقیید المثل الاعلی لله بالسماوات والأرض بینما قُیِّد فِی سوره الروم بالسماوات والأرض، وعُلِّل فِی کلا السورتین ب - (وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ) وَهُوَ کالبُرهان، وفی هَذَا التعلیل بیان لقاعِده عقلیّه وتکوینیّه أنَّ المَثَل حَیْثُ أَنَّهُ بمثابه الآیه، إلَّا أَنَّهُ حاکی للأسماء الإلهیّه العُلیا فَکَمَا أنَّ(وَ لِلّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنی فَادْعُوهُ بِها) (۳) وقوله تَعَالَى(قُلِ ادْعُوا اللّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَیًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنی) (۴).

۱- (۱) سوره الروم: الآیه ۲۷.

۲- (۲) سوره الجمعه: الآیه ۵.

۳- (۳) سوره الأعراف: الآیه ۱۸۰.

۴- (۴) سوره الإسراء: الآیه ۱۱۰.

وقوله تَعَالَى: (اللّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى(٨) (١).

وقوله تَعَالَى: (هُوَ اللّهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى) (٢).

وَهَـذَا يُعطى ضـابطه أنَّ المثـل لاـ يُطلَق عَلَى الأسـماء العُليـا، بَـلْ هُوَ آيهٌ لتجلّى الأسـماء، فَكُـلّ مِنْ المَثَل والاسم وإنْ اشتركا فِى الحكايه إلَّا أنَّ الأسـماء العُليا تجلّى فِى الساحه الربوبيّه بخلاف المَثَل فَإنَّهُ مِنْ الآيات فِى عوالِم الخِلْقه، وَهَذِهِ ضابطه فاصـله مُهمّه جدّاً فِى الفرق بين قَاعدِه المثل وَقَاعدَه الأسماء الحُسْنَى.

وَمِنْ ثمَّ قُرِن المَثَل الأعلى لَهُ تَعَالَى بفعل الخلق لَهُ تَعَالَى وبالكينونه فِى السموات والأرض.

ثمَّ إنَّ فِى جمله الآيات المُتقـدِّمه أُسـند البأس والسوء إلى مَثَل المُكذِّبين كَمَا أنَّ فِى سوره هود ضابطه أنَّ الأمثال لا تتساوى بَعْدَ عدم تساوى أصحاب الأمثال، فأهل السوء مثلهم سيءٌ وبئيس، وأهل الحُسْنى مَثَلَهُم حَسَنٌ.

١- (١) سوره طه: الآيه ٨.

٢- (٢) سوره الحشر: الآيه ٢٤.

السير فِی المعرفه لا ینتهی

اشاره

والرجوع والأوبه إلی الله لا تقف عند حدٍّ

الجهه السادسه عشر: أنَّ الذی لا یعتبر

ولا یعبر بالمثل إلی ما وراء یَضِلُ:

یظهر مِنْ قوله تَعَالَی(ما ذا أَرادَ اللّهُ بِهـذا مَثَلاً) (۱) وَمِنْ قوله تَعَالَی(ما ذا أَرادَ اللّهُ بِهـذا مَثَلاً کَذلِکَ یُضِلُّ اللّهُ مَنْ یَشاءُ وَ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ) (۲).

إنَّ الوقوف عَلَی المثل ضلال مِنْ دون عبور مِنْهُ إلی ما وراء وَیَکُون افتتان بالمَثَل بدلاً أنْ یَکُون اهتداء به إلی ما وراءه.

إذَنْ المثل تاره یَکُون فتنه إذَا وقف عَلَیْهِ وجُمِد وعُمِیَ، وَأُخْرَی یَکُون بصیرهً ونوراً إذَا أُبصرَ به، ویستنتج مِنْ ذَلِکَ قَاعدَه أُخْرَی وَهِیَ: «إنَّ السیر فِی المعرفه لا ینتهی والرجوع فِی المعرفه لا ینتهی والرجوع والأوبه إلی الله لا تقف عِنْدَ حَدٍّ».

وَهَـذِهِ قَاعـدَه مُهمّه فِی مبحث المثل مِنْ أنَّ المثل حَیْثُ أرید مِنْ ضَـرْبه وذکره وجعله هُوَ إیصال مَعْنَی وراءه، فَلِکُلِّ تأویل ومآل إنْ

۱- (۱) سوره المُدّثر: الآیه ۳۱.

۲- (۲) سوره البقره: الآیه ۲۶.

أخطأه الإنسان ضَلَّ عَنْ الغايه المقصوده وَعَنْ المَثَل وبدل أنْ يَكون المثل طريق هدايه فسيكون طريق غوايه، وَقَدْ بُيِّنَ فِي الآيتين أنَّ التقوى والمُتقين يهتدون به، بخلاف الفاسقين والكافرين وَالَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ نظير قوله تَعَالَى: (ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ(٢) اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ(٣) وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَهِ هُمْ يُوقِنُونَ(٤) أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٥) (١).

فبيَّنت الآيه الكريمه شرائط الهدايه بالكتاب، وأنَّ الهدايه والضلاله ليست مرهونه بالقوّه الفكريّه بقدر ارتهانها بالتّقوى والإيمان.

الجهه السابعه عشر: الثمره الكبرى لقاعده المَثَل:

اشاره

إنَّ كُلّ ما ذُكِرَ فِي القُرآن الكريم شيءٌ حَسَنٌ هُوَ حَقٌّ وهُدىً فَهُوَ مَثَل لأهل البيت عليهم السّلام، وَكُلّ ما ذُكِرَ فيه مِنْ شرٍّ وباطل وزيغ وضلال فَهُوَ مَثَلٌ لأعدائهم، فالتمثيل والمثل والأمثله يُترامى مِنْ مرتبه أولى إلى أُخْرَى، كَمَا هُوَ الحال فِي نظام الآيات ونظام الأسماء إلى أنْ يتّصل بالآيات الكُبرى والعُظمى والأسماء العُليا والاسم الأعظم الأعظم الأعظم، ثمَّ تلك الآيات الكبرى والاسم الأعظم بدوره يَكُون أيضاً تجلّى للذات الإلهيّه، وهكذا الحال فِي المَثَل والأَمْثِلِه، وَهَذَا بمثابه البُرهان العقلى إجمالاً لهذه الثمره.

١- (١) سوره البقره: الآيه ٢-٥.

روی صاحب تأویل الآیات الظاهره فِی فضائل العتبره الطاهره(۱) ما رواه الشَّیْخ الطّوسی بإسناده إلی الفضل بن شاذان عَنْ داود بن کثیر، قَالَ: قلت لأبی عبدالله علیه السّلام أنتم الصَّلاه فِی کتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنتم الزَّکاه [وأنتم الصِّیَام] وأنتم الحج فَقَالَ: «یا داود نَحْنُ الصَّلاه فِی کتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وَنَحْنُ الزَّکاه وَنَحْنُ الصِّیَام وَنَحْنُ الحجَّ» وَنَحْنُ الشهر الحرام وَنَحْنُ البلد الحرام وَنَحْنُ کعبه الله وَنَحْنُ قبله الله وَنَحْنُ وجه الله، قَالَ تَعَالَی: (فَأَیْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ) ، وَنَحْنُ الآیات، وَنَحْنُ البیّنات، وعدوِّنا فِی کتاب الله عَزَّ وَجَلَّ الفحشاء، والمنکر والبغی، والخمر، والمَیْسَرُ والأنصاب، والأزلام والأصنام، والأوثان، والجبت، والطاغوت والمیته والدَّمَ ولحم الخنزیر، یا داود إنَّ الله خلقنا فأکرم خَلْقِنا وفَضَّلنا وجَعَلنا أمنائه وحفظته وخزّانه عَلَی ما فِی السماوات وما فِی الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءاً فَسَمَّانا فِی کتابه، وکَنّی عَنْ أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبَّها إلیه تکتیه عَنْ العدوِّ، وتُسمَّی أضدادنا وأعداءنا

۱- (۱) وَهُوَ السَّیِّد شرف الدِّین علی الحُسینی الاسترابادی الغروی مِنْ عُلَمَاء النصف الثَّانِی مِنْ القرن العاشر الهجری: ص ۲۱؛ وکذا رواه البیاضی العاملی فِی الصراط المستقیم: ت ۸۷۷ هج ص ۷۵، رواه عَنْ ابن جبر فِی نخبه بإسناده إلی الصادق علیه السّلام، ورواه زین الدِّین علی بن یوسف بن جبر مِنْ أعلام القرن السَّابع، ورواه ابن جبر أیضاً فِی نهج الإیمان، قَالَ زین الدِّین علی بن یوسف بن جبر روی جدّی فِی نخبه حدیثاً مرفوعاً عَنْ أبی عبدالله علیه السّلام... الخ نهج الإیمان ص ۶۵۹، وابن جبر یروی عَنْ ابن شهراشوب بواسطه واحده وَهُوَ الشَّیْخ ابن الفرج، واسم الجدّ أبو عبدالله الحسین بن جبر یروی کتاب المناقب لآل أبی طالب لابن شهراشوب واختار مِنْهُ المهم مِنْ أحادیثه وسمّاه بنخب المناقب لآل أبی طالب.

فِی کتابه وکنّی عَنْ أسمائهم، وضرب لهم الأمثال فِی کتابه فِی أبغض الأسماء إلیه إلی عباده المُتّقین(۱).

ویُؤیِّد هَذَا ما رواه أیضاً عَنْ الفضل بن شاذان بإسناده عَنْ أبی عبدالله علیه السّلام إنَّهُ قَالَ: «نَحْنُ أصل کُلّ خیر، وَمِنْ فروعنا کُلّ برٍّ، وَمِنْ البرِّ التوحید، وَالصَّلاه وَالصِّیَام وکظم الغیظ، والعفو عَنْ المُسیء، ورحمه الفقیر، وتعاهد الجار والإقرار بالفضل لأهله، وعدوِّنا أصل کُلّ شَرٍّ، وَمِنْ فروعهم کُلّ قبیح وفاحشه، فمنهم الکذب، والنمیمه، والبخل، والقطیعه، وأکل الرِّبا، وأکل مال الیتیم بغیر حقِّه، وتعدِّی الحدود الَّتِی أمر الله عَزَّ وَجَلَّ، وارکوب الفواحش ما ظهر مِنْهَا وما بطن مِنْ الزِّنا والسِّرقه، وَکُلّ ما وافق ذَلِکَ مِنْ القبیح، وکذب مَنْ قَالَ إنَّهُ معنا وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بفرع غیرنا»(۲).

وروی فِی بصائر الدرجات(۳) بسنده عَنْ المفضل بن عمر أنَّهُ کتب إلی أبی عبدالله علیه السّلام فجاء الجواب مِنْهُ بقوله علیه السّلام: «وبَلَغکَ أنَّهم یزعمون أنَّ الدِّین إنَّما هُوَ معرفه الرجال... وذکرتَ أنَّکَ قَدْ عرفت أنَّ أصل الدِّین معرفه الرجال، وذکرت أنَّهُ بلغک أنَّهُ یزعمون الصَّلاه والزَّکاه وصوم شهر رمضان والحجّ والعمره والمسجد الحرام والبیت الحرام والمشهد

۱- (۱) تأویل الآیات الظاهره، للسَّیّد شرف الدِّین الغروی.

۲- (۲) تأویل الآیات: ص ۲۲، لِلْسَّیِّد شرف الدِّین الغروی.

۳- (۳) بصائر الدرجات، للصفّار: ج ۲، ب ۲۱، شرح أُمُور النَّبِیّ صلّی الله علیه و آله والأئمه علیهم السّلام فِی أنفسهم: ص ۴۹۹، ح ۱.

الحرام والشهر الحرام هُوَ رَجُل وأنَّ الطُهْرَ والاغتسال مِنْ الجنابه هُوَ رَجُلٌ، وَكُلّ فريضه افترضها الله عَلَى عباده هُوَ رَجُلٌ... وَأَنَّهُ بلغك أنَّهم يزعمون أنَّ الفواحش الَّتِي نهى الله عنها الخمر والميسر والزِّنى والرِّياء والدَّم والميته ولحم الخنزير هُوَ رَجُلٌ... وأُخْبِرُكَ أنَّ الله تَعَالَى أحلَّ حلالاً وحَرَّمَ حَراماً فجعل حلاله حلالاً إلى يَوْم القيامه، وجعل حرامه حراماً إلى يَوْم القيامه، فمعرفه الرُّسُل وولايتهم وطاعتهم هُوَ الحلال، فالمحلل ما حَلّلوه والمُحرَّم ما حَرَّموه وَهُمْ أصلُهُ وَمِنْهُم الفروع الحلال وَذَلِكَ سَعْيَهم، وَمِنْ فروعهم أمرُهم شيعتُهم وأهل ولايتهم للحلال مِنْ إقام الصَّلاه وإيتاء الزَّكاه وصوم شهر رمضان وحجّ البيت والعُمْرَه وتعظيم حُرُمات الله وشعائره ومشاعِره، وتعظيم البيت الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام، والطهور والاغتسال مِنْ الجنابه ومكارم الأخلاق ومحاسنها وجميع البرّ»، ثمَّ ذكر بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ: «فِي كتابه(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٩٠) فَعدوّهم الحرام المحرَّم، وأولياءهم الداخلون فِي أمرهم إلى يَوْم القيامه، فَهُمْ الفواحش ما ظهر مِنْهَا وما بطن، والخمر والميسر والزِّنا، والرِّبا والدم والميته ولحم الخنزير، فَهُمْ الحرام المحرَّم وأصل كُلّ حرام، وَهُمْ الشرّ وأصل كُلّ شر، ومنهم فروع الشرّ كُلَّهُ، وَمِنْ ذَلِكَ الفروع الحرام واستحلالهم إيّاها، وَمِنْ فروعهم تكذيب الأنبياء وجحود الأوصياء وركوب الفواحش: الزنا

والسرقه وشرب الخمر والمسكر وأكل مال اليتيم وأكل الرِّبا والخدعه والخيانه وركوب الحرام كُلَّهَا وانتهاك المعاصى وَإِنَّما يأمر الله بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى (فالأنبياء وأوصياؤهم العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى يعنى مودّه ذى القربى وابتغاء طاعتهم، وينهى عَنْ الفحشاء والمنكر والبغى وَهُمْ أعداء الأنبياء وأوصياء الأنبياء، وَهُمْ المنهى عَنْ مَودَّتهم وطاعتهم، يعظكم بهذه لعلكم تذكرون.

وأخبرك أنَّى لو قلت لك أنَّ الفاحشه والخمر والميسر والزِّنا والميته والدم ولحم الخنزير هُوَ رجل وأنا أعلم أنَّ الله قَدْ حرَّم هَذَا الأصل وحرَّم فرعه ونهى عَنْهُ، وجعل ولايته كَمَنْ عبد مِنْ دون الله وثناً وشركاء (١) وَمَنْ دعا إلى عباده نفسه فَهُوَ كفرعون إذْ قَالَ: (فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى) (٢) فهذا كُلَّهُ على وجه إن شئت قلت هو رجل وهو إلى جهنم ومن شايعه على ذلك فَإِنَّهُم(٣) مثل قول الله(إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَهَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ) (۴)

(۵) لصدقت ثم لو أنى قلت إنه فلان ذلك كله لصدقت إن فلانا هو المعبود المتعدى حدود الله التى نهى عنها أن يتعدى(۶).

۱- (۱) فِى «ط» والبحار: وشركاً، والمثبت عَنْ «م».

۲- (۲) سوره النازعات: الآيه ۲۴.

۳- (۳) فِى «ط» فافهم، والمثبت عَنْ «م» والبحار.

۴- (۴) سوره البقره: الآيه ۱۷۳.

۵- (۵) فِى «ط» هُنَا زياده: «و».

۶- (۶) فِى «ط» والبحار: يتعدّى، والمثبت عَنْ «م».

ثم إنى أخبرك أن الدين وأصل الدين هو رجل وذلك الرجل هو اليقين وهو الإيمان وهو إمام أمته وأهل زمانه فمن عرفه عرف الله ودينه ومن أنكره أنكر الله ودينه(۱) ومن جهله جهل الله ودينه «ولا يعرف الله ودينه» (۲) وحدوده وشرائعه بغير ذلك الإمام كذلك جرى بأن معرفه الرجال دين الله.

والمعرفه على وجهين(۳) معرفه ثابته على بصيره يعرف بها دين الله ويوصل بها إلى معرفه الله فهذه المعرفه الباطنه الثابته بعينها الموجبه حقها المستوجب أهلها عليها الشكر لله التى من عليهم بها من من الله يمن به على من يشاء مع المعرفه الظاهره ومعرفه فى الظاهر فأهل المعرفه فى الظاهر الذين علموا أمرنا بالحق على غير علم لا تلحق(۴) بأهل المعرفه فى الباطن على بصيرتهم ولا يصلوا(۵) بتلك المعرفه المقصره إلى حق معرفه الله كما قال فى كتابه(وَ لا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفاعَةَ)۶ (إِلاّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ) (۶) فمن شهد شهاده الحق لا يعقد عليه

۱- (۱) أضفناه مِنْ «م» والبحار.

۲- (۲) أضفناه مِنْ «م».

۳- (۳) فِى «ط»: وجهه، والمثبت عَنْ «م» والبحار.

۴- (۴) فِى «ط»: الظاهره، والمثبت عَنْ «م» والبحار.

۵- (۵) فِى «ط» و «م»: يلحق، والمثبت عَنْ البحار.

۶- (۷) ليست فِى «م» والبحار.

قلبه ولا يبصر ما يتكلَّم(۱) به لا يثاب عليه مثل ثواب من عقد عليه قلبه على بصيره فيه كذلك من تكلم بجورٍ(۲) لا يعقد عليه قلبه لا يعاقب عليه عقوبه من عقد عليه قلبه وثبت على بصيره.

فقد عرفت(۳) كيف كان حال رجال أهل المعرفه فِي الظاهر، والإقرار بالحقّ على غير علم فى قديم الدهر وحديثه إلى أن انتهى الأمر إلى نبيّ الله وبعده إلى من صاروا(۴) و(۵) إلى من انتهت إليه معرفتهم وإنما عرفوا بمعرفه أعمالهم ودينهم الذى دان الله به المحسن بإحسانه، والمسىء بإساءته، وَقَدْ يُقَال إنَّهُ من دخل فى هذا الأمر بغير يقين ولا بصيره خرج منه كما دخل فيه رزقنا الله وإياك معرفه ثابته على بصيره.

وأُخبرك أنَّى لو قلت إن الصلاه والزكاه وصوم شهر رمضان والحج والعمره والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام والطهور والاغتسال من الجنابه وكل فريضه كان ذلك هو النبى الذى جاء به من(۶) عند ربه لصدقت لِأنَّ (۷) ذلك كله إنما يعرف بالنبى، ولو لا معرفه ذلك النبى والإيمان به والتسليم له ما عُرِف ذلك فذلك مَنٌّ مِنْ الله على

۱- (۱) ما بين القوسين ليست فِي «م».

۲- (۲) سوره الزخرف: الآيه ۸۶.

۳- (۳) فِي البحار: يتكلّم.

۴- (۴) أضفنا ما ما بين القوسين مِنْ «م» والبحار.

۵- (۵) أضفناه مِنْ «م» والبحار.

۶- (۶) فِي «م»: عرف.

۷- (۷) فِي «ط»: صار، والمثبت عَنْ «م» والبحار.

مَنْ يمنّ (۱) عَلَيْهِ، ولو لاـ ذلك لم يُعرف شيئاً من هَـذَا، فهـذا كله ذلك النبى وأصـله، وهو فرعه، وهو دعانى إليه، ودلّنى عَلَيْهِ، وعرّفنيه، وأمرنى به، وأوجب علىَّ له الطاعه فيما أمرنى به، لاـ يسعنى جهله، وكيف يسعنى (جهل من هُوَ) فيما بينى وبين الله؟ وكيف يستقيم(۲) لى لو لا أنَّى أصف أن دينى هو الذى أتانى به ذلك النَّبِىّ أن أصف أن الدين غيره؟ وكيف لا يكون ذلك معرفه الرجل وإنما هو الذى جاء به عن الله؟ وَإِنَّما أنكر الدين(۳) من أنكره بأن قالوا(قالُوا أَ بَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَسُولاً) (۴) ثم قالوا: (أَ بَشَرٌ يَهْدُونَنا) (۵) فكفروا بذلك الرجل وكذَّبوا به وقالوا: (لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ) (۶) فقال الله: (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِى جاءَ بِهِ مُوسى نُوراً وَ هُدىً لِلنّاسِ) (۷) ثم قال فى آيه أُخْرَى: (وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِىَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ(۸) وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً) (۸) (إنَّ الله تَبارَكَ وَتَعَالَى)(۹) إنَّما أحبّ أنْ يُعرف بالرجال وأنء يطاع بطاعتهم فجعلهم سبيله ووجهه الذى يؤتى مِنْه ولا يقل الله مِنْ العباد غَيْر ذَلِكَ

۱- (۱) أضفناه مِنْ «م».

۲- (۲) أضفناه مِنْ «م» والبحار.

۳- (۳) فِى «ط» أنَّ، والمثبت عَنْ «م» والبحار.

۴- (۴) فِى «م»: مَنّ سوره الإسراء: الآيه ۹۴.

۵- (۵) فِى «ط» بدل ما فِى القوسين: جهله وَمِنْ هُوَ، والمثبت عَنْ «م» والبحار. سوره التغابن: الآيه ۶.

۶- (۶) فِى «ط»: تستقيم، والمثبت عَنْ «م» والبحار. سوره الأنعام: الآيه ۸.

۷- (۷) أضفنا مِنْ (م) والبحار.

۸- (۸) سوره الأنعام: الآيه ۸ و ۹.

۹- (۹) فِى (م) بدل ما فِى القوسين: تَبارَكَ الله وَتَعَالَى.

(لا يُسْئَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ(۲۳) (۱) فَقَالَ فيمن(۲) أوجب مِنْ محبّته لـذلك: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَـدْ أَطاعَ اللّهَ وَ مَنْ تَوَلّى فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً(۸۰) (۳).

فَمَنْ قَالَ لك أنَّ هَذِهِ الفريضه كُلَّهَا إنَّما هِيَ رجل وَهُوَ يعرف حدّ ما يتكلّم به فَقَدْ صدق، وَمَنْ قَالَ عَلَى الصّنف الَّتِي ذكرت بغير الطاعه فلا يغنى(۴) التمسُّك فِي الأصـل بترك الفروع، كَمَا لا تغنى شـهاده(۵) أنَّ لا إله إلَّا بترك شـهاده أنَّ مُحمَّداً رسول الله صلّى الله عليه و آله، وَلَمْ يبعث الله نبيّاً قطّ إلَّا بـالبرِّ والعـدل والمكـارم ومحـاسن الأعمـال والنهى عَنْ الفواحش ما ظهر مِنْهَا وما بطن؛ فالبـاطن مِنْهُ ولاـيه أهـل الباطن، والظاهر مِنْهُ فروعهم وَلَمْ يبعث الله نبيّاً قطّ يـدعو إلى معرفه لَيْسَ معها طاعه فِي أمرٍ ونهى، فَإنَّما يقبل الله مِنْ العباد العمل بالفرائض الَّتِي افترضـها الله عَلَى حـدودها مَعَ معرفه مِنْ جاءهم به مِنْ عنده ودعاهم إليه، فأوّل مِنْ ذَلِكَ معرفه مِنْ دعـا إليه ثمَّ طـاعته فيمـا (يقرّبه بمنء الطاعه لَهُ)، وَأَنَّهُ مَنْ عرف أطاع، وَمَنْ أطاع حرّم الحرام ظاهره وباطنه، ولا يَكُون تحريم الباطن واستحلال الظاهر، إنَّما حرَّم الظاهر بالباطن والباطن بالظاهر معاً جميعاً،

۱- (۱) سوره الأنبياء: الآيه ۲۳.

۲- (۲) فِي (م) والبحار: ت فيما

۳- (۳) سوره النساء: الآيه ۸۰.

۴- (۴) فِي (ط) لا يعنى، وفى (م) لا يغنى والمثبت عَنْ البحار.

۵- (۵) فِي (م) لا يُغنى بشهاده بدل (لا تغنى شهاده).

ولا يَكون الأصل والفروع وباطن الحرام حرام وظاهره حلال، لا يحرّم الباطن ويستحل الظاهر.

كَذَلِكَ لا يستقيم أنْ يعرف صلاه الباطن ولا يعرف صلاه الظاهر، ولا الزَّكاه ولا الصَّوم ولا الحجّ ولا العمره ولا المسجد الحرام وجميع حرمات الله وشعائره (وأنء تُترك لمعرفه الباطن) لِأَنَّ بطنه ظهر، ولا يستقيم أنْ تُتْرك واحده مها إذَا كَانَ الباطن حراماً خبثاً، فالظاهر مِنْهُ إنَّما يشبه الباطن بالظاهر.

وروى الصفّار فِى بصائر الدرجات عَنْ على بن إبراهيم بن هاشم عَنْ القاسم بن الربيع الورّاق، أَنَّهُ كتب المفضّل إلى أبى عبدالله عليه السّلام يسأله عَنْ قوم يعرفهم الإمام عليه السّلام وَكَانَ يعجب المفضّل نحوهم وشأنهم، وأنَّ المفضّل أبلغ عنهم أموراً تروى عنهم كرهها المفضّل لهم. مَعَ أم المفضل لَمْ ير بهم إلَّا هدياً حسناً وورعاً وتخشّعاً.

والظاهر أنَّ مُراد المفضّل مِنْ هؤلاء القوم هُوَ ابن أبى زينب المقلاص وخاصّته لا جميع مِنْ انتسب إلى الخطّابيه.

فبدأ عليه السّلام بجواب المفضّل عَنْ أسئلته ويُفسِّر لَهُ ما التبس علهى مِنْ أمر هَذِهِ الجماعه ومقالاتهم، مَعَ أنَّ مقالاتهم فِى بدو النظر ينطبع مِنْهَا فِى الأذهان غَيْر حدودها الحقيقيه، أىّ ينطبع مِنْهَا الغو والإفراط مِنْ التأليه ونحوه واستحلال المُحرّمات والتهتك للدّين مَعَ أنَّ حقائقها هِىَ عَلَى

غَيْر هَذَا الوجه.

الطعون الوارده عَلَيْهِم مما أثار إعجاب المفضل:

فَقَالَ عليه السّلام: «كتبت تذكر أنَّ قوماً أنا أعرفهم كَانَ أعجبك نحوهم وشأنهم وَأَنَّكَ أبلغت عنهم أموراً تروى عنهم كرهتها لهم، وَلَمْ تر بهم إلَّا طريقاً هدياً حسناًوورعاً وتخشّعاً، وبلغك أنهم يزعمون أنَّ الدِّين إنَّما هُوَ معرفه الرجال ثمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إذَا عرفتهم فاعمل ماشئت، وذكرت أنَّكَ قَدْ عرفت أنَّ أصل الدِّين معرفه الرجال فوفّقك الله، وذكرت أنهم يزعمون أنَّ الصَّلاه والزَّكاه وصوم شهر رمضان والحج والعمره والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام هُمْ رجال (هُوَ رجل)(1)، و ان الطُّهر والاغتسال مِنْ الجنابه هُوَ رجل، وَكُلّ فريضه افترض الله عَلَى عباده هُوَ رجل، وأنهم ذكروا ذَلِكَ بزعمهم أنَّ مَنْ عرف ذَلِكَ الرجل فَقَدْ اكتفى بعلمه به مِنْ غَيْر عمل وَقَدْ صلّى وآتى الزَّكاه وصام وحجّ واعتمر واغتسل مِنْ الجنابه وتطهّر وعظّم حرمات الله والشهر الحرام والمسجد الحرام، وأنهم ذكروا أنَّ مَنْ عرف هَذَا بعينه وبحدّه وثبت فِي قلبه جاز لَهُ أنْ يتهاون، فَلَيْسَ لَهُ أنْ يجتهد فِي العمل. وزعموا أنهم إذَا عرفوا ذَلِكَ الرجل فَقَدْ قبلت منهم هَذِهِ الحدود لوقتها وإنْ لَمْ يعملوا بها.

وَأَنَّهُ بلغك أنهم يزعمون الفواحش الَّتِي نهى الله عنها الخمر والميسر والرِّبا والدم والميته ولحم الخنزير هُوَ رجل (هُمْ رجال)، وذكروا

١- (١) فِي مختصر البصائر.

أنَّ ما حرَّم الله مِنْ نكاح الأمهات والبنات والعمّات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت وما حرَّم عَلَى المؤمنين مِنْ النساء ممّا حرَّم الله إنَّما عنى بذلك نكاح نساء النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله وما سوى ذَلِكَ مباح كُلَّهُ، وذكرت أنَّه بلغك أنهم يترادفون عَلَى المرأه الواحده، ويشهدون بعضهم لبعض بالزور، ويزعمون أنَّ لهذا ظهراً وبطناً يعرفونه فالظاهر ما يتناهون عَنْهُ ياخذون به مدافعه عنهم والباطن هُوَ الذى يطلبون وبه أمروا بزعمهم، وكتبت تذكر الذى عظم ذَلِكَ عليك، وكتبت تسألنى عَنْ قولهم فِى ذَلِكَ أهو حلال أو حرام، وكتبت تسالنى عَنْ تفسير ذَلِكَ وأنا أبيَّنه حَتّى لا تكون مِنْ ذَلِكَ فِى عمى ولا فِى شبهه.

تمييز الإمام بين الحَقّ مِنْ كلامهم والباطل وبيان أساس الانحراف:

ثمَّ أضاف عليه السّلام: «وقدكتبت إليك فِى كتابى هَذَا تفسير ما سألت عَنْهُ فاحفظه كُلَّهُ كَمَا قَالَ الله فِى كتابه: (وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ) (1)وأصفه لك بحلاله وأنفى عنك حرامه، كَمَا وصفت ومعرّفك متى تعرفه إنْ شاء الله فلا تنكره إنْ شاء الله ولا قوه إلَّا بالله والقوه لله جميعاً.

أخبرك أنَّهُ مَنْ كَانَ يدين بهذه الصِّفه الَّتِى كتبت تسألنى عنها فَهُوَ عِنْدى مشرك بالله بيِّن الشكر لا شكَّ فيه، وأخبرك أنَّ هَذَا القول كَانَ مِنْ قوم

۱- (۱) سوره الحاقّه: الآيه ۱۲.

سمعوه ما لَمْ يعقلوه عَنْ أهله وَلَمْ يعطوا فَهُمْ ذَلِكَ وَلَمْ يعرفوا حدّ ما سمعوا فوضعوا حدود تلك الأشياء مقايسه برأيهم ومنتهى عقولهم، وَلَمْ يضعوها عَلَى حدود ما أمروا كذباً وافتراءاً عَلَى الله ورسوله وجرأهً عَلَى المعاصى، وكفى بِهَذَا لهم جهلاً. ولو أنهم وضعوها عَلَى حدودها الَّتِى حُدِّت لهم وقبلوها لَمْ يكن به بأس، ولكنَّهم حرَّفوها وتعدّوا [تعدّوا الحقّ] (۱) وكذّبوا وتهاونوا بأمر الله وطاعته، ولكنّى أخبرك أنَّ الله حدّها بحدودها لئلّا يتعدّى حدوده أحد. ولو كَانَ الأمر كَمَا ذكروا لعذر الناس بجهلهم ما لَمْ يعرفوا حدّ ما حدّ لهم، ولكان المقصِّر والمُتعدّى حدود الله معذوراً ولكن جعلها حدوداً محدوده لا يتعدّاها إلَّا مشرك كافر، ثمَّ قَالَ: (تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلا تَعْتَدُوها وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ(۲۲۹) (۲) .

أَقُوُل: فبيَّن عليه السّلام أنَّ القول فِى أصله حقّ وأنَّهم قَدْ سمعوه مِنْ مصدر الحَقّ فقوله عليه السّلام: «أصفه لك بحلاله» أىّ بمعناه الصحيح والذى لا ينافى صفات المخلوق وشؤونه ولا حدود التشريع كَمَا أنَّ قوله: «أنفى عنك حرامه» أىّ تبيانه عليه السّلام للمعنى الخاطئ لهذه الصِّفات والشؤون، كَمَا أنَّ قوله عليه السّلام: «ومعرّفك فلا تنكره» أىّ أنَّ أصول ما يرويه هؤلاء هِىَ حقائق مرويّه عنهم عليهم السّلام مِنْ أسرار المعارف ولكن أنكرها جمهور النَّاس لعدم وعيهم وعمق بصيرتهم بحقائق تأويل هَذِهِ المعانى؛ إلَّا أنَّ

۱- (۱) فِى مختصر البصائر.

۲- (۲) سوره البقره: الآيه ۲۲۹.

الانحراف ناشيئ مِنْ سببين أو عَلَى نمطين:

الأوَّل: الفهم الخاطئ لدى عامَّه المُخالفين مِنْ ممارسات وسلوك جمله ممّن أخذ وعمل بهذه الأقوال.

وهـذان النمطـان هُمَـا اللـذان مرَّت الإشـاره إلى وقوعهما بسـبب إذاعه ونشـر وإعلان رواه أسـرار المعارف لهـذه المرويّات، فَإنَّ معانيها الثقيله أو قَواعِد تشـريعها ممّا تنفر مِنْهَا العقول والإفهام لغموضـها وإبهامها عَلَيْهَا، هَذَا بلحاظ أُمُور المعارف الاعتقاديّه، أو تنفر الطِّبـاع المجبـوله عَلَى الأعراف المعتـاده لغرابه تلـك التشـريعات وغموض تخريـج وجههـا الشَّرعى لـديها فتسـتوحش مِنْهَا وتستنكرها.

ثمَّ بيَّن عليه السّلام نماذج عديده لهذين النمطين، وأنَّ الإذاعه لمثل هَذِهِ المعارف وَالأُمُور وكشف تلك الأسرار العلميه وإفشائها ينجرّ إلى نشوء هَذِهِ الانحرافات، وَمِنْ ثمَّ يستحقّ المذيع والكاشف لها اللعن والبراءه وتكذيبه فيما تسبّب مِنْ إيصال مَعْنَى خاطئ منحرف فِى أذهان العوام وعامّه المخالفين، حَيْثُ ينجم مِنْ ذَلِكَ شيوع وانتشار تيّار ينتهج التحريف و التعدّى عَنْ الحدود الإلهيّه يتخيّل أنَّها حقائق الدِّين الخفيّه.

وَقَدْ عدّد المفضّل جمله مِنْ الأُمُور الملتبسه الَّتِى رآها فِى تيّار بَعْض الجماعات الَّتِى تنتمى إلى بَعْض رواه أسرار المعارف وَهِىَ جمله أُمُور:

* زعمهم أنَّ الدِّين إنَّما هُوَ معرفه الرجال وَأنَّهُ إذَا عرفتهم فاعمل

ما شئت.

* أنهم يزعمون أنَّ الصَّلاه والزَّكاه وصوم شهر رمضان والحجّ والعمره والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام هُمْ رجال، وأنَّ الطهر والاغتسال عَنْ الجنابه هُوَ رجل، وكذا كُلّ فريضه افترض الله عَلَى عباده هُوَ رجل، وأنَّ مَنْ عرفهم فَقَدْ اكتفى بعلمه مِنْ غَيْر عمل أىّ إذَا عرفه بعينه وحدّه وثبت لَهُ فِى قلبه جاز لَهُ أنْ يتهاون.

وزعموا أنَّ الفواحش الَّتِى نهى الله عنها هُمْ رجال.

* وزعموا ما حرَّم الله مِنْ نكاح الأُمّهات والبنات والعمّات وغيرها مِنْ أصناف النساء إنَّما عنى بذلك نكاح نساء النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله وما سوى ذَلِكَ مباح كُلَّهُ.

* أنَّهم يترادفون المرأه والواحده.

* ويشهد بعضهم لبعض بالزور.

* يزعمون أنَّ لهذا ظهراً وبطناً يعرفونه، فالظاهر يتناهون عَنْهُ ليدفعوا عَنْ أنفسهم طعن الآخرين والباطن هُوَ الذى يطالبون ويأمرون به.

ثمَّ أنَّهُ أردف المفضّل أنَّ هؤلاء رغم ما بلغه عنهم مِنْ هَذِهِ الامور فَإنَّهُ لَمْ ير بهم إلَّا طريقاً هدياً حسناً وورعاً وتخشّعاً، وَهَذَا الذى زاد فِى استغرابه وتعجّبه فِى شأنهم. ورغم كُلّ هَذَا الاستعجاب والاستنكار وتعاظمه عَلَيْهِ طلب مِنْ الإمام عليه السّلام تفسير ذَلِكَ لَهُ، وَهُوَ عليه السّلام لَمْ يرفض

وجود تفسير لذلك، رغم أنَّهم خلطوا معانى محرّفه مَعَ ما سمعوه مِنْ حقائق غامضه.

ثمَّ أخذ عليه السّلام فِى توضيح واحد واحد مِنْ هَذِهِ الأُمُور.

نسبه القول بكفايه العقيده

عَنْ العمل إليهم وتفسير الإمام عَلَيْهِ السَّلامُ لها:

أمَّا المحور الأوَّل والثانى: فَقَالَ عليه السّلام: «فأخبرك بحقائقها إنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى اختار الإسلام لنفسه ديناً ورضى مِنْ خلقه...

وَقَدْ بسط الإمام الكلام فِى هذين المحورين مما يقرب مِنْ خمس صفحات.

ونلخِّص ما قاله عليه السّلام فِى تفسير هَذِهِ الأُمُور حَيْثُ إنَّهُ عليه السّلام بسط البيان فِى ذَلِكَ لئلّا يقع الالتباس فِى دقائق هَذِهِ المعانى وغوامض هَذِهِ المعارف وملخّصه:

أنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى اختار الإسلام لنفسه ديناً ورضيه مِنْ خلقه، فَلَمْ يقبل مِنْ أحد إلَّا به، وبه بعث أنبياءه ورسله ونبيّه مُحمَّد صلّى الله عليه و آله فأصل الدِّين [فأفضل الدِّين] معرفه الرسل وولايتهم وطاعتهم، وَهِىَ أصل الحلال الذى أحلَّه الله وفروع الحلال ما أحلّوه والمحرَّم ما حرّموه، فأمروا شيعتهم وأهل ولايتهم بإقامه الصَّلاه وإيتاء الزَّكاه وصوم شهر رمضان وحجّ البيت

والعمره وتعظيم حرمات الله والمشاعر والبيت الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام والطهور ومكارم الأخلاق ومحاسنها وجميع البرّ.

وعدوَّهم أصل الحرام المحرَّم والشرّ وأصل كُلّ شرّ، وَمِنْ عدوَّهم تفرّع فروع الشرّ والحرام كُلَّهُ، حَيْثُ استحلّوا كُلّ حرام مِنْ تكذيب الأنبياء وجحود الأوصياء وركوب الفواحش الزِّنا والسَّرقه وشرب الخمر والمسكر وأكل مال اليتيم والرِّبا والخِدعه وركوب الحرام كُلَّهَا وانتهاك المعاصى، فشيوع كُلّ هَذِهِ المحرّمات كأعراف وسنن سيئه فِى الأُمم والقرون سببها وأصلها رجال بثّوها وجذّروها فِى عادات النّاس، فَهُمْ أصل كُلّ حرام وولايتهم كعباده وثن، فإنَّهم مجمع الرذائل ومنهم انتشرت فِى النِّاس، كالعدوى الَّتِى تصيب الأصحّاء ممّا هُوَ أصل المرض فَهُمْ منبع ومجسّمه كُلّ الرذائل والمحرّمات.

وفى الطرف المقابل الأنبياء والرُّسل والأوصياء هُمْ منبع الفضائل ومجسّمه الفضل، وَمِنْ روائحهم الطّيِّبه انتشر عبق الطيب فِى باقى النَّاس، فَهُمْ أصل الدِّين واليقين والإيمان، وَهُوَ الإمام المنصوب مِنْ الله للهدى، فَمَنْ عرفه عرف الله ودينه وَمَنْ أنكره أنكر الله ودينه وَمِنْ جهله جهل الله ودينه، ولا يعرف الله ودينه وحدوده وشرائعه بغيره. فَمِنْ ثمَّ كَانَتْ معرفه الرجال دين الله. فَكُلّ عباده وعمل صالح يعرف بالنبى ولولا معرفته والإيمان به والتسليم لَهُ ما عُرِف ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَمْ يعرف شيئاً مِنْ هَذَا، وَهُوَ الذى دعا إلى كُلّ ذَلِكَ ودلَّ عَلَيْهِ، وعرّف البشر

وأمرهم به فأوجب الله للنبى عَلَى العباد الطاعه فلا يسعهم جهل مِنْ هُوَ فيما بينهم وبين الله، وَهُوَ الذى أتاهم بالدِّين. فكيف يَكون الدِّين غيره؟ وكيف لا يَكُون الدِّين معرفه ذَلِكَ النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله؟ وَإِنَّما ينكر الدِّين بإنكار ذَلِكَ النَّبِىّ صلّى الله عليه و آله والتكذيب به، فعُرف الله تَبارَكَ وَتَعالَى بأنبيائه ورسوله وأوصيائهم وأطيع بطاعتهم وَهُمْ السبيل إليه والوجه الذى مِنْهُ يُؤتى إليه تَعالَى كَمَا قَالَ تَعالَى: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللّهَ وَ مَنْ تَوَلّى فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً(٨٠) (١).

فالفرائض كُلَّهَا فريضه واحده وَهِىَ طاعه هَذَا الرجل ومعرفته، فلا تغنى شهاده أنْ لا إله إلَّا الله بترك شهاده أنَّ محمداً رسول الله، ولا يقبل الله مِنْ العباد العمل بالفرائض عَلَى حدودها إلَّا مَعَ معرفه مَنْ جاءهم به مِنْ عندهم ودعاهم إليه.

وَلَمْ يبعث الله نبياً قط يدعو إلى معرفه لَيْسَ معها طاعه فِى أمر ونهى، أمر بالبرّ والعدل والمكارم ومحاسن الأخلاق والأعمال، ونهى عَنْ الفحشاء ما ظهر مِنْهَا وما بطن.

وبيان هَذَا المقطع الأخير مِنْ كلامه أنَّهُ إنَّما يقبل الله تَعَالَى بَقيَّه الطاعات مِنْ الصَّلاه وَالصَّوم والزَّكاه والحجّ والبرّ إذَا كَانَ طاعه لله تَعَالَى، ولا تكون طاعه لله إلَّا بامتثال أوامره المتعلّقه بذلك الفعل، بأنْ

١- (١) سوره النساء: الآيه ٨٠.

يَكَون إتيان الفعل خضوعاً وانقياداً لتلك الأوامر المتعلّقه بذلك الفعل وأوامره إنَّما وصلت إلينا عبر رسوله صلّى الله عليه و آله، فلا يمكن إطاعتها إلَّا بإطاعه رسوله. كَمَا أنَّ بنود طاعته تَعَالَى قَدْ فصَّلها فِى كتابه بأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم أىّ ضمن ثلاث فصول فلا تتمّ طاعته تَعَالَى إلَّا بطاعه رسوله وطاعه أُولى الأمر مِنْ أوصيائه مِنْ أهل بيته، مَعَ ما تَقَدَّمَ مِنْ أنَّ أوامر الله الَّتِى هِىَ عباره عَنْ الفرائض فِى قبال سنن الْنَّبِىّ ومنهاج أوصيائه تلك الفرائض لَمْ تصل إلينا إلَّا عبر نبيّه صلّى الله عليه و آله.

فلا تتحقّق طاعه الله إلَّا بطاعه رسوله، لِإنَّهُ المؤدّى عَنْ الله فرائضه وأوامره، فَكُلّ أبواب العبادات والبرّ والإحسان هِىَ فِى المرتبه الأُولى طاعه لله ولرسوله، وفى المرتبه الثَّانيه هِىَ إتيان للصَّلاه وَالصَّوم والحجّ والزَّكاه وَبَقيَّه الفرائض والبرّ.

فَهَذِهِ الأعمال مِنْ حَيْثُ الصُّوره لها هَذِهِ الأسماء، وَمِنْ حَيْثُ الْلُّبّ فَهِىَ طاعه لله ورسوله ولأولى الأمر مِنْ أوصيائه، فَهُنَاك صلاه ظاهره وَهُنَاك لُبّ للصَّلاه وَهِىَ الطاعه، كَمَا ذكر ذَلِكَ الفُقهاء أنَّ روح العباده النيَّه والنيَّه ليست إلَّا قصد إتيان الصَّلاه والزَّكاه وَالصَّوم والحجّ امتثالاً وطاعه لأمر الله وأمر رسوله وأمر أُولى الأمر، لِأنَّ تلك الأعمال عباره عَنْ مجموعه مِنْ الفرائض وسنن الْنَّبِىّ صلّى الله عليه و آله وسنن أوصيائه عليهم السّلام فلا يمكن تحقّق عباديّه تلك العبادات إلَّا بقصد امتثال وطاعه أمر الله وأمر رسوله صلّى الله عليه و آله وأمر أوصيائه عليهم السّلام. كَمَا لا يمكن طاعه الله ورسوله وأُولى

الأمر مِنْ أوصيائه إلَّا بإتيان الصَّلاه الظاهره وَالصَّوم والحجّ والعمره والزَّكاه، والاجتناب عَنْ جميع حُرمات الله، فَمَنْ زعم أنَّهُ إذَا عرف الله ورسوله وأُولى الأمر مِنْ قبله اكتفى بغير طاعه فَقَدْ كذب وأشرك وَلَمْ يعرف وَلَمْ يطع.

وَإنَّما قِيلَ: اعرف واعمل ما شئت مِنْ الخير فَإنَّهُ لا يقبل عمل بغير معرفه، فإذا عرفت فاعمل لنفسك ما شئت مِنْ العمل قَلَّ أو كَثُر فَإنَّهُ مقبول. فَمَنْ صلّى وزكّى وحجّ واعتمر وفعل ذَلِكَ كُلَّهُ بغير معرفه مَنْ افترض الله عَلَيْهِ طاعته، لَمْ يُصَلِّ وَلَمْ يصم وَلَمْ يزكّ وَلَمْ يحجّ وَلَمْ يعتمر وَلَمْ يغتسل من الجنابه وَلَمْ يتطهّر وَلَمْ يُحَرِّم لله حراماً وَلَمْ يحلّل لله حلالاً وإنْ ركع أو سجد وأخرج ماله، وَذَلِكَ لِإنَّهُ لَمْ يأتِ بما هُوَ العماد لذوات تلك العبادات وَهُوَ الطاعه لله ولرسوله ولأُولى الأمر مِنْ أوليائه.

وروى الصفّار بسنده عَنْ حفص المؤذّن، قَالَ: كتب أبو عبدالله عليه السّلام إلى أبى الخطّاب: «بلغنى أنَّكَ تزعم ان الخمر (الخمس) رجل، وأنَّ الزِّنا رَجُل، وأنَّ الصَّلاه رجلٌ، وأنَّ الصَّوم رَجلٌ وَلَيْسَ كَمَا تقول، نَحْنُ أصل الخير، وفروعه طاعه الله، وعدوِّنا أصل الشرّ وفروعه معصيه الله، ثمَّ كتب كيف يُطاع مَنْ لا يُعْرَف؟ وكيف يُعْرَف مَنْ يُطاع»(۱).

يُستفاد مِنْ هَذِهِ الرِّوايه وما قبلها قَاعدَه مهيمنه عَلَى قَاعدَه المثل

۱- (۱) بصائر الدرجات، للصفّأر: ج ۲، ص ۵۱۶، ح ۲، ب ۲۱ فيه شرح أُمُور النَّبِيّ صلّى الله عليه و آله والأئمه فِي أنفسهم.

وبقيّه قَواعِد التفسير ألا وَهِيَ قَاعِدَه«إنَّ الأئمه عليه السّلام حقائق الطاعات وأعداءهم حقائق المعاصى والفواحش» يلاحظ أنَّ أصل بدء انتشار هَذِهِ القَاعِدَه قَدْ كَانَ مِنْ أبى الخطّاب، حَيْثُ أنَّهُ قَدْ قام بروايه ذَلِكَ عَنْ الإمام الصادق عليه السّلام وَلَمْ تكن هَذِهِ الرُّوايه قَدْ برزت إلى أحد مِنْ الرواه.

وأنَّ أبا الخطّاب وإنْ أساء فهمها وأخطأ فِى تأويلها إلَّا أنَّهُ هُوَ الذى تصدَّر روايتها عَنْهُ عليه السّلام وَمِنْ ثمَّ قام بَقيَّه الرواه بالمسائله والاستفسار عَنْ ذَلِكَ، وَقَدْ جمع المجلسى فِى البحار(۱) فى هذا الباب سبعه عشر روايه(۲).

ومفاد هَذِهِ الرُّوايه فِى صدد دفع توهّم أبى الخطّاب مِنْ أنَّ معالم الشرّ والفواحش إذَا كَانَت مثلاً لأئمه الشرِّ فيتوهّم أنَّ الظاهر غَيْر مُراد وَإنَّما المُرَاد هُوَ التأويل فَقَطْ المُمَثل لَهُ، وَهَذَا التوهّم باطل فِى ميزان تفسير الكلام وتفسير آيات الكتاب، فَإنَّ كون الظاهر مثلاً لما وراءه لا يعنى عدم تعلّق الإراده الجدّيه بالظاهر وبالمَثَل، بَلْ إنَّما الإراده الجدّيّه طبقاتٌ يَعْقِب بعضها بعضاً، ويتلو كُلّ مِنْهَا الآخر، وَهَذِهِ ضابطه بالغه الخطوره فِى توضيح قَاعِدَه المثل، فَإنَّ ما ذكرناه مِنْ هَذِهِ القَاعِدَه بجهاتها العديده لا يعنى بحال مِنْ الأحوال أنَّ المَثَلَ لَيْسَ بمراد جدّاً ظاهرُه وتنزيلُه، بَلْ هُوَ مُراد جدّاً وحقيقه، إلَّا أنَّ مراتب الحقيقه والإراده الجدّيّه ذَاتَ

۱- (۱) بحار الأنوار: ج ۲۴، ۲۸۶-۳۰۴.

۲- (۲) بحوث فِى مبانى علم الرِّجال للشيخ السَّند: ج ۳، ص ۲۲۲، الغلو والفرق الباطنيّه.

طبقات، وَهَذَا میزان فِی قَاعدِه المثل بالغ الأهمیّه.

کَمَا هُوَ الحال فِی قَاعدِه الجری، فَإنَّ جَرْی الآیه مِنْ موردِ نزولها وتنزیلها إلی موارد أُخْرَی لا یعنی أنَّ مورد النزول والتنزیل لَیْسَ مُراداً جـدّاً، بَلْ غایته جَرْی الآیه والمعنی إلی موارد أُخر، وربما تکون الموارد الأُخر مراده بنحو أهم وأبلغ خطوره إلَّا أنَّ ذَلِکَ لا یعنی عدم إراده مورد التنزیل الأقل أهمیّه.

ونظیر الرُّوایه السابقه فِی دفع هَـذَا التوهّم ما رواه فِی بصائر الـدرجات أیضاً فِی الصـحیح عَنْ داود بن فرقـد، قَالَ: قَالَ أبو عبـدالله علیه السّلام: «لا تقولوا لِکُلِّ آیه هَذِهِ رَجُلٌ وَهَذِهِ رجل، مِنْ القُرآن حلال، وَمِنْهُ حرام، وَمِنْهُ نبأ ما قبلکم، وحکم ما بینکم وخیر ما بعدکم فهکذا هو»(۱).

ومفاد هذه الصـحیحه عین ما تقدم فإنه وَقع الوَهْمُ بأنه إذا أرید من الآیات أئمه الهُدَی أو أئمه الشرِّ، أو أئمه الکفر والضلال، فإنه یُتوهّم عدم إراده الظاهر من أحکام الحلال والحرام، ومن قصص ما مضی من الأمم ونبأ ما یأتی من الأُمم، وحکمُ فَصْلِ اختلاف الراهن الحاضـر فی الأـمه، ومن ثم أکَّدَ فی روایه المُفَضَّل المتقـدِّمه، علی أن الـدین ظاهر وباطنٌ فلا باطن بلا ظاهر ولا ظاهر بلا باطن، أی کلّاً منهما مُرَادٌ فی موطنه ومحلّه، وهذه قاعده عظیمه کمیزان مُهیمن علی قواعد التفسیر

۱- (۱) بصائر الدرجات: ج ۲، ص ۵۱۶، ح ۱۸۹۴/۳.

وهو مفاد ما رواه فی بصائر الدرجات عن الهیثم التمیمی، قال: - قال أبو عبدالله علیه السّلام: «یا هیثم التمیمی إن قوماً آمنوا بالظاهر وکفروا بالباطن، فلم ینفعهم شیءٌ وجاء قومٌ من بعدهم فآمنوا بالباطن وکفروا بالظاهر فلم ینفعهم ذلک شیئاً ولا إیمان بظاهر إلا بباطن ولا بباطن إلا بظاهر»(۱).

فتحصل من جمیع الروایات السّابقه ما یلی:

أوَّلاً: إنَّ هَذِهِ الروایات بَعْدَمَا تقدّمت مِنْ عِدَّه جهات مِنْ ضَرْب الأمثال الحسنه لأهل البیت علیهم السلام فِی القُرآن والسیئه لأعدائهم، تشیر الروایات إلی قَاعدِه فِی المثل یجعل مِنْ قَاعدِه المَثَل فِی القُرآن مقاربه لقاعِده الجری بأنْ یَکُون کُلّ ما ذُکِر مِنْ معالم الدِّین وما هُوَ حَسَنٌ مَثَلٌ ضربه الله لأهل البیت علیهم السّلام، وَکُلّ ما هُوَ مِنْ المحرمات والفواحش وعناوین السُّوء فَهُوَ مَثَلٌ لأعداء أهل البیت علیهم السّلام، وَهَذَا یُعْطی أوسعیه قَاعدِه المَثَل مِنْ التمثیل، کَمَا مَرَّت الإشاره مِنْ أوسعیّه موضوع قَاعدِه المثل والأمثال مِنْ التمثیل والتشبیه، وأنَّ جمله الحقائق المذکوره فِی القُرآن هِیَ أمثالٌ لحقائق أکبر مِنْهَا وأعظم.

ثانیاً: کما تبیَّن من الروایات وأمثالها من الروایات المُستفیضه تفسیر نمط هذا اللسان فی الروایات حیث أن بعض المُتکلّمین أو

۱- (۱) المصدر السابق: ج ۱۸۹۶/۵ ص ۵۱۸.

الرجاليين يُتوهّم منه أنه من وضع الغُلاه، أو من وضع الخطابيّه الذى توهّموا استباحه تَرْك أركان الشريعه والفروع بمُجرَّد الولايه، بينما المراد ما قَدَّمنا من أن لكل حقيقه تأويل فى عالم الآيات الكبرى المخلوقه وكلمات الله التّامات، وأن الحقيقه الكبرى للحقائق هم أهل البيت عليهم السّلام، وأما معالم الظلمه والظلام فهى كنايه وإشاره لأعدائهم، كما أن كلامُه عليه السّلام فى روايه المفضّل بن عمر وافى بتوضيح ذلك.

ص:٥٣٧

فهرس الموضوعات

هويه الكتاب ۴

القاعده الخامسه ۵

المنهج التفسيرى لأمومه الولايه على المحكمات ۷

المقدمه ۹

قاعده الجرى بمعنى تطبيق أو تعيين ۲۱

الأمر الأوَّل: معنى القاعده: ۲۲

تفسير لقاعده الجرى والتطبيق أو التغيير ۳۳

توطئه: ۳۳

القاعده الأولى: الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ ۳۹

تعريف الشيء بغايته من أكمل تعاريف الشيء ۴۳

تأكيد القُرآن وأهل البيت عليهم السلام ۴۵

العلاقه بين القاعدتين ۴۷

خذ الغايات واترك المبادئ والجرى والتطبيق أو التعبير ۴۷

القاعده الثانيه: هل اللغه ألفاظ وأصوات فَقط ٤٩

عالم المعانى لغه مِنْ اللغات: ٥٠

مطلب هام ذى صله بالمقام ٥٥

الأقوال أو النظريات فى تفسير قاعده الجرى والتطبيق ٥٩

تميّز حقيقه المدلول الاستعمالى عَنْ الجدّى: ٦٥

الفرق بين المعنى التنزيلى والمعنى التأويلى والاستعمالى: ٦٩

وأمَّا معنى التعبير ب - [اللفظ تنزيله هكذا]: ٧٣

بيان موقف: ٧٣

خواص ومميزات النظريه الأولى ٧٥

النظريه الثانيه فِى قاعده الجرى والتطبيق أو التعبير ٧٩

قاعده الجرى والتطبيق (أو التعبير) ٧٩

لا تختص بنظام الاستعمال اللفظى: ٧٩

التعبير والترجمان جرىٌ ولغه تفاهم ٨٧

بين العالم الربوبى وعالم المخلوقات: ٨٧

أوسعيّه تعدد المعانى بمقتضى النظريه الثانيه ٨٩

تنبيهان ٩٢

ربما يعبر عَنْ علم التشريع والتنظير بعلم الشريعه: ۹۶

عزل التطبيق عَنْ التنظير يُعْدِم التصنيف الموضوعى ۹۸

للآيات حسب النظريه الأولى: ۹۸

عدم جرى أصناف الآيات حسب النظريه الأولى ۹۹

فِى موضوع أصناف أُخْرَى مِنْ الآيات: ۹۹

تماهى حدود الآيات بمقتضى النظريه الأولى ۱۰۴

وانضباطها عَلَى النظريه الثَّانيه: ۱۰۴

عموم التخاطب والمشافهه فى قاعده ۱۰۹

الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير ۱۰۹

تعمّق إشكال حجّيه الظهور بالمخاطبين والمشافهين: ۱۰۹

هل التأويل حاكم على التنزيل (التفسير) أو العكس ۱۱۱

علم التأويل المتأخر رتبه ۱۱۵

تعدد علم التأويل ومفارقته عَنْ التفسير: ۱۱۶

منهج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات ۱۱۹

المحور الأساسى فِى قاعده الجرى ۱۲۳

الفوارق العمليه بين النظريتين ۱۲۹

عالم التطبيق لا صله له بالألفاظ والمعانى الذهنيه ۱۳۹

النظريه الثَّانيه تُسائِل النظريه الأولى: ۱۴۱

المخاطب الأصلى فى القرآن هو النبى وأهل بيته ۱۴۵

ولاده الروح أعظم مِنْ ولاده البدن: ۱۴۷

وَقَاعدِه الجرى والتطبيق أو التعبير: ۱۴۷

المصاديق الأتم للطبيعه تتجلى فيها آثار الطبيعه ۱۵۱

تعدد مراتب المعنى الجدى: ۱۵۲

تعدد كُلّ مراحل المعانى: ۱۵۴

تعالى معانى القُرآن عَلَى النّظَريَّه الثَّانيه: ۱۵۷

تنوّع دلاله الآيه الواحد فِى علوم شتى ۱۵۸

عَلَى النّظَريَّه الثَّانيه: ۱۵۸

قاعده الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير ۱۶۱

قاعده الجرى واستفاده التوحيد فِى عالم الصفات ۱۶۷

منهج أمومه الولايه يرسم منهاج نظريه المعرفه الدينيه ۱۷۳

جداره تفسير القُرآن بالقرآن لِلْسَّيِّد العلامه الطباطبائى قدّس سرّه: ۱۷۴

القاعده: قاعده فِى موقعها الصحيح ۱۷۷

التفاتتان وثمرتان نفيستان فِى قاعده الجرى ١٧٩

الحقيقه أحرى بالاتباع: ١٨٠

إعاده كتابه قواعد علم البلاغه ١٨٢

عَلَى ضوء علم الألسنيات وتعدد القراءه: ١٨٢

علم التأويل يزيل تشابه القُرآن ١٨٧

التفسير بالمأثور وشموليته ١٩١

أمومه التأويل ١٩٧

النمط الأوَّل: ثمره عامّه: ١٩٩

النمط الثَّانِى: الثمره الخاصّه ٢٠١

لقاعده الجرى والتطبيق أو التعبير: ٢٠١

الثمره الأولى: تحديد علم التأويل فِى القرآن عَنْ تفسيره: ٢٠١

علم التأويل قطب تدور عليه قطب رحى علم تفسير القران ٢٠٣

قطب رحى علم تفسير القُرآن: ٢٠٣

التفسير والتأويل جناحان فى القرآن الكريم: ٢٠٥

تلاوه المعانى أهم من تلاوه الألفاظ فى القرآن الكريم ٢٠٧

أمثله تطبيقيه لقاعده الجرى ٢١١

تنوّع الاستفاده مِنْ الآيه الواحده ٢١٧

لعلوم شتى عَلَى النِّظَريَّه الثَّانيه: ٢١٧

الإمامه والعمل الأمنى ٢٣٧

اهتمام القرآن بجانب الشرور الواقعه جرياً كقاعده ٢٤٩

تنبيه هام ٢٥١

خاتمه ٢٥٤

قاعِدَهُ الذِكْرِ فِى القُرآن الكريم ٢٥٩

الذِكْرُ فِى القُرآن الكريم ٢٦١

الإعجاز البلاغى فِى القُرآن ٢٧٩

حقيقه الإعجاز فِى القُرآن وصله ذَلِكَ بأنَّ حقيقته ذكر: ٢٨٠

السر فِى عدم اكتشاف إعجاز القُرآن ٢٩٥

طبيعه حقيقه القُرآن أنَّهُ يُفَعِّل كُلّ علم: ٢٩٨

ما معنى الذكر ٣٠١

مِنْ الضروريات للمفسر تأسيس الجنبه العلميه ٣٠٣

والعمليه التطبيقيه: ٣٠٣

الذكر بمثابه الأصل الذى ينحدر مِنْهُ القُرآن الكريم: ٣٠٥

ضروره تأسيس الجانب العملى للمفسير فِى قَاعدَه الذكر: ۳۰۷

الحقيقه لا تقتنص بالتنظير الفكرى فَقَطْ: ۳۰۸

تأثير العداله والتقوى عَلَى الجانب العملى: ۳۰۹

الشعائر الحسينيه وَقَاعدِه الذكِر: ۳۱۳

الطهاره الروحيّه ودخالتها فِى جانب التفسير: ۳۱۴

أهم مميزات قَاعدِه الذكر ۳۱۵

الفرق بين الندبه بالذكر والندبه بالنياحه: ۳۱۷

ارتباط حقيقه الذكر بالوحى ۳۱۹

الذكر ميزانٌ فِى الكشف عَنْ الوحى: ۳۱۹

أهم الشرائط المعتبره فِى المُفَسِّر للقرآن الكريم ۳۲۱

الإشارات القرآنيه للخواص ولطائفِهِ للأولياء ۳۲۵

لَيْسَ كُلّ تهذيب أخلاقى ذكر: ۳۳۰

صفتان مختصتان بالنبى الأكرم صلّى الله عليه و آله: ۳۳۲

نتفهٌ عقائديه: ۳۳۴

طبيعه العلاقه بين قواعد منهج أمومه الولايه ۳۴۱

قَاعدِه الذكر بالمعنى الذى ذكرناه: ۳۴۳

المعانى الأخْرَى لقاعده الذكر: ٣۴۴

الفرق بين نداء القُرآن ٣۴۵

وعرض أصحاب علم الهندسه الصوتيه: ٣۴۵

الفرق بين القُرآن الكريم كَقَاعدِه ذكر وبين الشعر: ٣۴٧

كيفيه اكتشاف قَواعِد الذكر: ٣۵٠

الذكر نظام فِى العلوم يُوظِّفُها إلى الكمال ٣۵٣

قَاعدَه الذكر: قَاعدَه استراتيجيه ٣۵٣

أو ناظوم لعلوم التفسير وميزان معادلى: ٣۵٣

الذكر: هُوَ أحد معانى أشهر أنَّكَ تلوت الكتاب حق تلاوته: ٣۵۴

يفترق تفسير المعصوم عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ غَيْر المعصوم: ٣۵۵

المفسر الناجح من يستطيع التميز بين الآيه الأم وغيرها ٣۵٧

بل اكتشاف مجموع الآيات الَّتِى تشكل نظام ٣۵٧

ومنظومه الأمومه فِى القُرآن ٣۵٧

علاقه قَاعدِه الذكر بمنهج أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات: ٣۶٠

أهميه وخطوره علم التفسير ٣۶۴

فِى تنظيم متطلبات أفراد المجتمع فِى يومياتهم: ٣۶۴

فرق القُرآن الذى يقودك إلى الذكر ۳۶۵

عَنْ بَقيَّه العلوم الروحيه الأُخْرَى ۳۶۵

الَّتِى لا تقودك إلى حاله الذكر: ۳۶۵

أهم ثلاث مميزات لقاعده الذكر ۳۷۵

الفهرس الإجمالى لقاعده الأمثال ۳۷۹

القاعده السابعه: قاعده الأمثال ۳۸۳

الكلام فى قاعده الأمثال يقع فى جهات ۳۸۷

الجهه الثَّانيه: نذكر فيها أمرين: ۴۰۱

الأمر الثَّانِى: مدرك القَاعِدَه مِنْ الآيات والروايات: ۴۰۱

قراءه الأمثال بلغه عقليّه فكريّه: ۴۰۸

الجهه الثالثه: القُرآن الكريم اعتمد أسلوب المَثَل ۴۱۱

مِنْ ضمن أساليب عديده اعتمدها، ۴۱۱

كَمَا نبَّهت عَلَيْهِ روايات أهل البيت عليهم السّلام. ۴۱۱

الجهه الرابعه: ارتباط أسلوب المَثَل بالتعريض: ۴۱۲

المثل تسميه واسم ولقب وتوصيف وعِبَرٌ وآيه: ۴۱۳

الترادف العقلى: ۴۱۵

الترادف الوجودی: ۴۱۶

الأحکام الشرعیه السابقه یمکن أنْ تکون مثلاً: ۴۲۴

الفرق بین المَثَل البلاغی والمَثَل القُرآنی: ۴۲۵

المثل فِی علم البلاغه تشبیه لَهُ حقیقه ۴۲۵

حسب نظریه السَّیِّد العلامه الطباطبائی قدّس سرّه: ۴۲۵

العلاقه بین قاعده المثل، وقاعده الجری ۴۲۹

الجهه السَّادسه: نظام حقائق القُرآن: ۴۲۹

المثل منهج معرفی ۴۳۳

الجهه السابعه: أسالیب القُرآن الثمانیه ۴۳۳

برهانیه وَلَیْسَ لمجرد إقناع: ۴۳۳

عموم البرهان لِکُلِّ العلوم وقِوی النفس: ۴۳۳

عموم الکشف البُرهانی والشهود ۴۳۵

والبُرهان العیانی لِکُلِّ قوی النفس: ۴۳۵

الفوارق بین القسمین: ۴۳۶

الجهه الثَّامنه ۴۴۵

الفرق بین ضرب المثل، وجعل المثل، وصَرَّف المثل ۴۴۵

الجهه التَّاسعه: حقيقه استعمال المَثَل ۴۵۱

فِی القُرآن الکریم والحقائق القرآنیه: ۴۵۱

الجهه العاشره: [لیس کمثله شیء] (). ۴۵۵

الأوصاف القرآنیه للجنه حقائق أم تمثیل ۴۶۱

[قَاعدِه المثل ونظریه المعاد]: ۴۶۳

الجهه الثَّانیه عشر: إنَّ قصص الأنبیاء والمرسلین ۴۶۵

والمصطفین مثل لآل مُحمَّد صلّی الله علیه و آله فِی القُرآن الکریم: ۴۶۵

بیان القُرآن لحقیقه عظیمه فِی قصص الأنبیاء: ۴۶۸

نماذج التفضیل القرآنی لأهل البیت علیهم السَّلامُ ۴۷۰

عَلَی بَقیَّه أنبیاء أُولی العزم علیهم السَّلامُ: ۴۷۰

الأمثال عَلَی طبقات کَذَلِکَ الأسماء: ۴۷۴

حالات الأسماء: ۴۷۵

حقیقه الاسم الإلهی: ۴۷۵

الغرض مِنْ مبحث الأسماء: ۴۷۶

صله وطیده بین حقیقه الإمامه والولایه ۴۸۱

وحقیقه القُرآن وعلاقتها بقاعده الأمثال: ۴۸۱

أحاديه البُعد والقول فِي النظر ۴۸۴

سبب انحراف بَعْض الفرق المحسوبه عَلَى الإسلام: ۴۸۴

الأمثال عَلَى طبقات: ۴۸۷

صله قاعده الأمثال بأقسام الوحى وأنواعه وأسراره ۴۸۹

صله أنَّ للقُرْآن ظهر وبطن بمبحث الأمثال: ۴۹۱

لماذا لَمْ تذكر دلائل إمامه أهل البيت عليهم السَّلامُ ۴۹۲

فِي القُرآن كَمَا فِي ذكر موسى وعيسى عليهم السَّلامُ: ۴۹۲

نتفه عقائديه: ۴۹۲

لِمَ يُصَرِّح القُرآن الكريم بأنَّ قصص الأنبياء عبره: ۴۹۳

الجهه الثالثه عشر: تقابل مثل أهل البيت عليهم السَّلامُ ۴۹۷

وأعداؤهم فِي القُرآن: ۴۹۷

البُرهان الأوَّل: برهان العِبْره فِي المثل: ۴۹۷

البُرهان الثَّانِي: برهان الجرى: ۴۹۸

توسعه القَاعِدَه عموميه الجهه والقاعده ۵۰۱

البُرهان الثَّالِث: المثل والأمثال ۵۰۲

اسم وتسميه وتوصيف ووصف: ۵۰۲

البُرهان الرَّابع: ۵۰۳

الجهه الرابعه عشر: ۵۰۷

المثل الأعلى ومَثَل السَوْء ۵۰۹

السير فِى المعرفه لا ينتهى ۵۱۳

الجهه السادسه عشر: أنَّ الذى لا يعتبر ۵۱۳

ولا يعبر بالمثل إلى ما وراء يَضِلُ: ۵۱۳

الجهه السابعه عشر: الثمره الكبرى لقاعده المَثَل: ۵۱۴

الطعون الوارده عَلَيْهِم مما أثار إعجاب المفضل: ۵۲۴

تمييز الإمام بين الحَقّ مِنْ كلامهم ۵۲۵

والباطل وبيان أساس الانحراف: ۵۲۵

نسبه القول بكفايه العقيده ۵۲۹

عَنْ العمل إليهم وتفسير الإمام عَلَيْهِ السَّلامُ لها: ۵۲۹

فهرس الموضوعات ۵۳۹

المجلد ۳

اشاره

سرشناسه:جصانی، محسن

عنوان و نام پدیدآور:تفسیر امومه الولایه والمحکمات للقرآن الکریم [کتاب] : الولایه قطب القرآن علیها تستدیر محکماته/ تالیف محسن الجصانی؛ [محقق و مقدمه نویس] بحوث سماحه محمد السند.

مشخصات نشر:تهران: موسسه الصادق الطباعه والنشر، ۱۳۹۲.

فروست:الموسوعه التفسیریه؛ ۱

شابک:۹۷۸-۹۶۴-۵۶۰۴-۹۷-۲

یادداشت:عربی.

موضوع:تفسیر -- فن

موضوع:قرآن -- علوم قرآنی

شناسه افزوده:عابدینی، حسین، ۱۳۴۹ - ، مقدمه نویس

رده بندی کنگره:BP۹۱/۵/ج۶ت۷ ۱۳۹۲

رده بندی دیویی:۲۹۷/۱۵۱

شماره کتابشناسی ملی:۳۳۵۷۱۲۷

ص :۱

اشاره

تفسير امومه الولايه والمحكمات للقرآن الكريم ، الولايه قطب القرآن عليها تستدير محكماته

تاليف محسن الجصانى

محقق و مقدمه نويس بحوث سماحه محمد السند

ص :۳

هويه الكتاب

عنوان الكتاب: تفسير أمومه الولايه والمحكمات للقرآن الكريم

الجزء الثالث

لسماحه المرجع الدينى الشيخ محمد السند دام ظله

المؤلف الشيخ محسن الجصانى

الطبعه الأولى لسنه ٢٠١٠

عدد الصفحات ۴۴۰ صفحه

الإخراج الفنى السيد عبدالله الهاشمى

حقوق الطبع محفوظه

القاعده الثامنه: أسباب النزول قاعده تفسيريه أم قاعده معرفيه ولائيه ؟

الفهرس الإجمالى لقاعده:

أسباب النُّزول:

* البُعد التأريخى فِى أسباب النزول وأصل توثيقه.

* أهميه قَاعدِه أسباب النزول

* مميزات قَاعدِه أسباب النزول.

* تنبيهان.

* ارتباط قَاعدِه أسباب النزول بترتيب القُرآن آياتاً وسوراً.

* الوجود البلاغيه لاستعمال كُلّ كلمه بنحو مستقل فِى الآيه الواحده.

* برهان عَلَى عدم التعويل عَلَى وحده سياق الآيه الواحده فضلاً عَنْ وحده السياق فِى الآيات فِى السوره الواحده.

* التأريخ وطمس وتحريف الوقائع وتأثيره فِى معرفه أسباب النزول وتفسير القُرآن.

* أسباب النزول وخطوره التنقيب عَنْ الحقائق المطموسه فِى السِّيره.

* لماذا تُغَيَّب أسباب النزول.

* لا يختص منهج أسباب النزول بآيات القُرآن وسوره فحسب.

ص:٥

* نظريه الشورى وارتباطها بغزوه أحد.

* الأسباب المزعومه لفشل المسلمين فِی معركه أحد.

* يجب اعتماد مصادر أهل البيت عليهم السلام فِی أسباب النزول.

* مُحكمات القُرآن والسنه العقل والوجدان يُعرض عَلَيْهَا متشابهات القُرآن والسنه والعقل والوجدان.

* مؤامره اغتيال حمزه بن عبدالمطلب فِی معركه أُحد.

* أسباب النصر لا تعتمد عَلَى الجانب المادى، بَلْ والمعنوى وَالرُّوحى.

* امتحان القلب وما فِی الصدور هُوَ أعظم الامتحانات الإلهيه.

* قَاعدِه قَاعدِه الشورى قَاعدِه فقهيه وسياسيّه وعقائديه.

* فلسفه تشريع الجهاد الابتدائى.

* لَيْسَ كُلّ ملفات الحدث الأرضى حسيّه.

* فلسفه الجهاد لَيْسَ الإرغام عَلَى العقيده الفرديه أو الباطنه أو قتل الأسرى.

* شعار مدرسه أهل البيت عليهم السلام لا للقتل وسفك الدماء، نعم للحوار والعيش بأمان.

* الحافظ لسنه النَّبِیّ صلى الله عليه وآله وسيرته نصرةً ورعايةً لا يمكن إلَّا للوصى.

* ما هِیَ فوائد وأسرار آثار نتائج أسباب النزول.

* تشريعات وولايه وحاكميه الله عَلَى درجات.

* إنَّ حقيقه وحقائق القُرآن جُلّها مرتبط ببعد الولايه فِی النَّبِیّ صلى الله عليه وآله بخلاف التنزيل فَإنَّ مشتمل عَلَى البعدين.

القاعده الثامنه: أسباب النزول قاعده تفسيريه أم قاعده معرفيه ولائيه؟

للتنزيل حقيقتان:

حقيقه كونه: نبوه وأنباء.

وحقيقه: حاكميه وولايه.

إنَّ تنزيل القُرآن لا يَتِمُّ بالنبوه والأنباء فَقَطْ، بَلْ لابُدَّ مِنْ حاكميه وولايه.

التنزيل للقُرْآن لا يَتِمُّ إلَّا بالولايه لا بانفراد النبوبه.

البحث فِى هَذِهِ القَاعِدَه يقع فِى عِدَّه جهات: -

الجهه الأولى: البُعد التأريخى فِى أسباب

النزول وأصل توثيقه:

إنَّ البُعد التأريخى فِى أسباب النزول وأصل توثيقه وعدم أخذها إرسال المُسلمات مِنْ دون تمحيص وتحقيق روايات أسباب النزول يُشكِّل عاملاً مُهماً

فِی استظهار المفاد مِنْ آیات القُرآن الکریم أوَّلاً، وَمِنْ الدلاله فِی القُرآن ثانیاً.

وقبل الخوض فِی بیان البُعد التأرخی لقاعده أسباب النزول وما لأهمیته منخطره عَلَی تفسیر القُرآن وَعَلَی الاستظهار مِنْ القُرآن حَتّی فِی آیات الأحکام فِی فقه فروع الدِّین، نذکر مُقدِّمه نتکلم فیها عَنْ أهمیه قَاعدِه أسباب النزول.

أهمیه قَاعدِه أسباب النزول:

إنَّ قَاعدِه أسباب النزول مِنْ القَوَاعِد المُهِمَّه والخطیره ذَاتَ مسائل مُتعدّده ومُتشعّبه بتشعبات کثیره تُضفی بظلالها الأکیدعلی تفسیر القُرآن وَعَلَی کون القُرآن هُوَ المصدر الأوَّل فِی المعرفه الدّینیه فِی العلوم الإسْلامیَّه، وأنّها مِنْ أوائل ما دُوِّنَ مِنْ علوم القُرآن، وَهَذَا ما أشار إلیه أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام«سلونی عَنْ کتاب الله فَإنَّهُ لَیْسَ مِنْ آیه إلَّا وَقَدْ عرفت بلیل نزلت أو نهار أم فِی سهل أم جبل»(۱).

وأخرج ابن سعد فِی الطَّبقات وغیره عَنْ أبی الطُفیل، قَالَ: قَالَ علیٌّ: «سلونی عَنْ کتاب الله فَإنَّهُ لَیْسَ مِنْ آیه إلَّا وَقَدْ عرفت بلیل نزلت أم بنهار أم فِی سهل أم فِی جبل».

وأخرج ابن سعد أیضاً عَنْ ابن عباس عَنْهُ علیه السلام، قَالَ: «والله ما نزلت آیه إلَّا وَقَدْ علمت فیمَ نزلت وأین نزلت وَعَلَی مَنْ نزلت، إنَّ ربی وهب لی

۱- (۱) طرائف فی معرفه مذاهب الطوائف، السید ابن طاووس: ص ۱۸۹ باب علم علی علیه السلام.

قلباً عقولاً ولساناً ناطِقاً» (۱).

وَعَنْ ابن خالد الواسطی عَنْ زید بن علی علیه السلام قِیلَ قَالَ أمیر المؤمنین علیه السلام: «ما دخل رأسی نوم ولا غمض عَلَی عهد رسول الله صلی الله علیه وآله حَتّی علمتُ مِنْ رسول الله ما نزل به جبرئیل فِی ذَلِکَ الیوم مِنْ حلال أو حرام أو سُنّه، أو أمر أو نهی وفیما نزلت وفیمن تنزل»(۲).

وفی تفسیر العیّاشی عَنْ الصادق علیه السلام: «إنّا أهلُ بیتٍ لَمْ یزل الله یبعث فینا مَنْ یَعلم کتابه مِنْ أوله إلی آخره»(۳).

وفی روایه: «إنَّ مِنْ علمِ ما أوتینا تفسیر القُرآن وأحکامه لو وجدنا أوعیهً أو مُستراحاً لَفُلْنا والله المُستعان»(۴).

وفی کتاب بشاره المُصطفی بإسناده عَنْ الأصبغ بن نباته، قَالَ: لما بویع أمیر المؤمنین علیه السلام بالخلافه خرج إلی المسجد، فَقَالَ: «سلونی قبل أنْ تفقدونی، فوالله إنِّی لأعلم بالقرآن وتأویله مِنْ کُلّ مُدّعٍ علمه، فوالذی فلق الحبّه وبرأ النسمه لو سألتمونی عَنْ آیه لأخبرتکم بوقت نزولها وفیمَ نزلت» الخبر(۵).

۱- (۱) الصواعق المُحرقه، ابن حجر العسقلانی: ص ۱۲۵-۱۲۶؛ بحار الأنوار، للعلامه المجلسی: ج ۴۰، ص ۱۷۹.

۲- (۲) بصائر الدّرجات: ص ۱۹۴ ب ۸ ح ۱.

۳- (۳) تفسیر البُرهان، هاشم البحرانی، المقدمه: ص ۲۷.

۴- (۴) المصدر السابق: ص ۲۷.

۵- (۵) المصدر السابق: ص ۲۷-۲۸.

وفی البصائر عَنْ الأصبغ، قَالَ: قَالَ علیٌّ علیه السلام: «لو کُسِرت لی الوساده لقضیت بین أهل التوراه بتوارتهم وأهل الإنجیل بإنجیلهم وأهل الزبور بزبورهم وأهل الفُرقان بفرقانهم بقضاء یصعد إلی الله یزهر، والله ما نزلت آیه فِی کتاب الله فِی لیل أو نهار إلَّا وَقَدْ علمتُ فیمن نزلت، ولا أحد ممن مَرَّ عَلَی رأسه المواسی مِنْ قریش إلَّا وَقَدْ نزلت فیه آیه وآیتان مِنْ کتاب الله تسوقه إلی الجنّه أو إلی النار» الخبر(۱) والمواسی جمع موسی وهو ما یحلق به الرأس.

إنَّ مفاد هَذِهِ الروایات وغیرها تُبیّن ما یلی:

۱) أهمیه قَاعدَه أسباب النزول فِی تفسیر القُرآن ودورها الخطیر فِی استحصال ظهور الآیات.

۲) إنَّه یجب استقاء أسباب النزول مِنْ أهل البیت علیهم السلام.

۳) إنَّ غَیْر أهل البیت علیهم السلام لا یحیطون علماً بأسباب النزول لأسباب عدیده وکثیره، إمَّا ترتبط بعظمه الوحی وغموضه وترجمانه، وَإمَّا ترتبط بعدم مواکبه وملازمه الْنَّبیّ صلی الله علیه وآله، وَإمَّا بسبب دواعی التعتیم والطمس وحرف الحقائق، أو لعدم قدره البشر الإحاطه بالموضوعات والموارد الَّتِی هِیَ مورد نزول الآیات، وَهَذَا ما یُشیر إلیه قوله تَعَالَی: (وَ إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَی الرَّسُولِ وَ إِلی أُولِی الْأَمْرِ مِنْهُمْ

۱- (۱) المصدر السابق: ص ۲۸.

لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)١ .

فالآيه المُبَارَكه تُبيِّن أنَّ الإحاطه بالموضوعات مُتعذرٌ، بَلْ مُمتنع عَلَى غَيْر المعصوم وأوصياؤه أُولى الأمر، وأنَّ الالتباس فِى الموضوعات شديدٌ جداً، وَمِنْهُ تكون منافذ تسويل الشيطان ووساوسه.

ومثال ذَلِكَ مورد نزول قوله تَعَالَى: (وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللّهَ وَ تُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النّاسَ وَ اللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فَلَمّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها)٢ .

فَقَدْ أشارت الروايات وأسباب النزول إلى أنَّ زيد بن حارثه رغم محبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وإخلاصه لَهُ، إلَّا أنَّهُ قَدْ اشتبه عَلَيْهِ الأمر فِى قول رسول الله صلى الله عليه وآله حول زوجته زينب بنت جحش، وكذلك أشتبه الحال عَلَى زينب بنت جحش، والظاهر أنه بقى الالتباسُ عليهما الى أنء تُوفيا، بينما يوضح الإمام الرضا عليه السلام ذلك الالتباس، فلاحظ مجموع الرّوايات الوارده عن أهل البيت عليهم السلام فى خصوص هذه الواقعه وذيل هذه الآيه المباركه.

عن على بن محمد بن الجهم، قال حضرت مجلس المأمون، وعنده الرضا عليه السلام على بن موسى عليه السلام، فقال له المأمون: يا بن رسول الله، أليس من قولك«إن الأنبياء معصومون» قال: «بلى» فسأله المأمون عن آيات فى

الأنبياء... الى أنْ قال المأمون: فاخبرنى عن قول الله تعالى(وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِی أَنْعَمَ اللّهُ عَلَیْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِ أَمْسِکْ عَلَیْکَ زَوْجَکَ وَ اتَّقِ اللّهَ وَ تُخْفِی فِی نَفْسِکَ مَا اللّهُ مُبْدِیهِ وَ تَخْشَی النّاسَ وَ اللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ) قال الرضا علیه السلام: «إن رسول الله صلی الله علیه وآله قصد دار زید بن حارثه بن شراحیل الکلبی فی أمر أراده، فرأی امرأته تغتسل، فقال لها: سبحان الله الذی خَلَقَک، وإنما أراد بذلک تنزیه الله تعالی عن قول من زعم أن الملائکه بنات الله تعالی(أَ فَأَصْفاکُمْ رَبُّکُمْ بِالْبَنِینَ وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِکَهِ إِناثاً إِنَّکُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِیماً) ثمَّ أنَّ زید ابن حارثه طلّقها، واعتدّت مِنْهُ فزوّجها الله تَعَالَی مِنْ نبیه مُحمَّد صلی الله علیه وآله وأنزل بذلک قُرآناً، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (فَلَمّا قَضی زَیْدٌ مِنْها وَطَراً...) ثمَّ علم الله عَزَّ وَجَلَّ أنَّ المنافقین سیعیبونه بتزویجها، فأنزل الله تَعَالَی(ما کانَ عَلَی النَّبِیِّ مِنْ حَرَجٍ فِیما فَرَضَ اللّهُ لَهُ)».

فَقَالَ المؤمون: لقد شفیت صدری - یا بن رسول الله - وأوضحت لی ما کَانَ مُلتبساً علیَّ، فجزاک الله تَعَالَی عَنْ أنبیائه وَعَنْ الإسلام خیراً(۱).

وهکذا فِی ردّ الإمام الرضا علیه السلام عَلَی علیّ بن مُحمَّد بن الجهم حینما قَالَ للإمام علیه السلام: یا بن رسول الله أتقول بعصمه الأنبیاء؟ قَالَ علیه السلام: «نعم» قَالَ فما تقول فِی قول الله عَزَّ وَجَلَّ(وَ عَصی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوی) وفی قوله عَزَّ وَجَلَّ(وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً) وفی قوله تَعَالَی(وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ

۱- (۱) عیون أخبار الرضا علیه السلام: ج ۱، ص ۱۸۰، ح ۱، عنه البُرهان فی تفسیر القرآن للسید هاشم البحرانی: مج ۶ ص ۲۸۸-۲۸۹ ح ۲.

وَ هَمَّ بِهـا) فَقَـالَ الرضا علیه السـلام: «ویحک یا علی اتقّ الله ولا تَنْسِب إلی الأنبیاء الفواحش ولا تتأول کتاب الله برأیک، فَإنَّ الله تَعَـالَی یقول: (وَ مـا یَعْلَمُ تَـأْوِیلَهُ إلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِـخُونَ فِی الْعِلْم) » وذکر علیه السـلام الجواب عَنْ الآیات إلی أنْ قَالَ: «وأمَّا مُحمَّد صلی الله علیه وآله وقول الله تَعَـالَی(وَ إذْ تَقُولُ لِلَّذِی أَنْعَمَ اللّهُ عَلَیْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِ أَمْسِـکْ عَلَیْـکَ زَوْجَکَ وَ اتَّقِ اللّهَ وَ تُخْفِی فِی نَفْسِـکَ مَا اللّهُ مُبْـدِیهِ وَ تَخْشَـی النّاسَ وَ اللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ) فَإنَّ الله تَعَالَی عَرَّفَ نبیّه علیه السـلام أسـماء أزواجه فِی دار الـدُّنْیا، وأسـماء أزواجه فِی دار الآخره وأنهُنَّ أُمهات المؤمنین، وإحـداهن مَنْ تسـمّی لَهُ: زینب بنت جحش، وَهِیَ یؤمئـذٍ تحت زیـد بن حارثه، فأخفی رسول الله صـلی الله علیه وآله اسمها فِی نفسه وَلَمْ یُبده کی لا یقول أحد المنافقین إنَّهُ قَالَ فِی امرأه فِی بیت رجل إنَّها إحـدی أزواجه مِنْ أُمهات المؤمنین... وأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ ما تولّی تزویـج أحـدٍ مِنْ خلقه إلَّا تزویج حَوّاء مِنْ آدم علیه السـلام وزینب مِنْ رسول الله صـلی الله علیه وآله بقوله فلما قضی زیدٌ مِنْهَا وطراً زوجناکها الآیه، وفاطمه مِنْ علی علیه السلام» قَالَ فبکی علی بن مُحمَّد بن الجهم، وَقَالَ: یا بن رسول الله، أنا تائب إلی الله تَعَالَی مِنْ أنْ أنطق فِی أنبیائه علیهم السـلام بَعْـدَ یومی هَـذَا إلَّا بما ذکرته(۱).

فضلاً عمّا سَطَّره مفسرو العامَّه وکتب السِیَر من قصص وأساطیر.

۱- (۱) عیون أخبار الرضا علیه السلام: ج ۱، ص ۱۷۰ ح ۱ عنه البرهان فی تفسیر القرآن للبحرانی: مج ۶ ص ۲۸۷-۲۸۸.

اندراج قاعده أسباب النزول فی نظام الاستعمال اللفظی:

وتندرج هَذِهِ القَاعِدَه فِی نظام الاستعمال اللّفظی للآیات والسّور، والذی تَقَدَّمَ بحث سبعه قَواعِد مُهمّه قبلها؛ لأنها بمثابه قرینه لفظیه ومقالیّه، وأنَّ حقیقتها قرینه مقامیّه وقرینه حالیّه، وبالتّالی تُعَدّ هَذِهِ القرینه جزء الکلام، فمثلما هُنَاک تَحَفُّظ وتشدد عَلَی تواتر ألفاظ القُرآن الکریم کَذَلِکَ الحال وبنفس المستوی فِی أسباب النزول؛ لِأنَّ أسباب النزول تعطی طابعاً لظهور الآیات ودلالتها سواء فِی آیات العقائد أو فقه الفروع، وَعَلَیْهِ فمثلما اللّفظ القُرآنی عظیم ومقدّس، کَذَلِکَ أسباب النزول فَإنَّها بمثابه قرینه لفظیه - کَمَا مَرَّ - مؤثره فِی ظهور الآیات، وَعَلَیْهِ لا یمکن التغاضی والتّهاون فِی قَاعِدَه أسباب النزول وأخذها واغترافها مِنْ کُلّ ما هبَّ ودَبَّ مِنْ المصادر، وکیف ما اتّفق! وبالتالی فیجب التثبت الشدید والتحفُّظ الأکید عَلَی کیفیه استقاء أسباب النزول مِنْ منهلها الوحیانی، وَهُوَ منهج مدرسه أهل البیت علیهم السلام؛ لِإنَّهُ أمرٌ خطیرٌ مدلهم، ولذا فَإنَّ الغفله والتسامح والتهاون - لا سامح الله - فِی توثیق أسباب النزول سوف یَکُون منشأ لانحرافات خطیره فِی فَهْمْ القُرآن، وَالقُرآن کَمَا هُوَ معلوم المصدر الأوَّل فِی معارف علوم الدِّین فإذا قُدِّر - أنْ یَکُون فَهْمْ القُرآن یتکئ عَلَی منشا مغلوط أو مُحرّف أو مدسوس - والعیاذ بالله - فَإنَّ النتیجه سوف تکون مقلوبه ومعکوسه.

علماً أنَّ بحث هَذِهِ القَاعِدَه أمرٌ لا یمکن التهاون والتسامح به فَهُوَ

لَيْسَ أمراً فنياً وترفاً فكرياً، بَلْ هُوَ أمر حقيقى علمى مؤثر عَلَى التفسير بقدر ما للقُرْآن الكريم مِنْ صداره ومرجعيه فِى المعرفه الدِّينيه، وَقَدْ أَكَّدَ أمير المؤمنين عليه السلام فِى جمله الروايات الجوامع المأثوره عَنْهُ عليه السلام - وَعَنْ باقى الأئمه عليهم السلام عَلَى أنَّ الإلمام والإحاطه بأسباب النزول مؤثرٌ فِى تفسير القُرآن وفهم حقائقه.

عَنْ الأصبغ بن نباته قَالَ لما بويع أمير المؤمنين عليه السلام خرج إلى المسجد مُتعمماً بعمامه رسول الله صلى الله عليه وآله لابساً بردته... «يا معشر الناس سلونى قبل أنْ تفقدونى، وَهَذَا سفط العلم... واهل القُرآن بقرآنهم حَتّى ينطق كُلّ كتاب مِنْ كتب الله فيقول: صَدَق علىٌّ لقد أفتاكم بما أنزل الله فىَّ، وأنتم تتلون القُرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم ما أنزل الله فيه، لولا آيه فِى كتاب الله لأخبرتكم بما كَانَ وما يَكُون وما هُوَ كائن إلى يَوْم القيامه» وَهِىَ هَذِهِ الآيه(يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ)١ ثمَّ قَالَ: «سلونى قبل أنْ تفقدونى، فوالذى فلق الحبّه وبرئ النسمه، لو سألتمونى عَنْ آيه آيه، فِى ليل نزلت أم فِى نهار نزلت مكيَّها ومدنيها، سفريها وحضريها، وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأنبئتكم»(١).

وسوف نبحث فِى هَذِهِ القَاعِدَه المُهِمَّه السبب الذى مِنْ أجله نزلت

١- (٢) الاحتجاج للطبرسى: ج ١، ص ٣١٢-٣١٣.

الآـيه الكريمه الفلانيه أو السّوره المُبَارَكَه حسب المنهاج الـذى بيَّنته مـدرسه أهل البيت عليهم السـلام فِى أسـباب النزول وكيف يتشـعّب إلى مسائل مُتعدّده، وما هِىَ طبيعه تأثير أسـباب النزول عَلَى أحكام الفروع - الفِقْه - وكيفيه بحث الفقيه فِى أبواب فروع الفِقْه عَنْ سـبب نزول آيـات الأحكـام، وما هِىَ تأثيرها عَلَيْهِ، فكم مِنْ تحرير سـبب نزول آيه مِنْ آيات القُرآن الكريم مثلاً يجعل بَعْض الفُقَهاء يسـتظهر مِنْ الآيه الفُلانيه الحكم الكذائى، بينما فقيه آخر يستظهر مِنْ سبب نزول آخر حُكماً آخراً فضلاً عَنْ العلوم الأُخْرَى كالعقائـد والمعارف والتفسـير... الخ وبما أنَّ سـبب النزول مُتّصل مِنْ بَعْض زواياه بالتاريخ، وتوثيق التأريخ قَدْ كُتِبَ وَتَمَّ تـدوينه فِى ظـل الحكومـات المنـاوئه لأهـل البيت عليهم السـلام، كَمَا هُوَ معلوم وواضـح وتوثيقه فِى ظل الحكومات والسـلطات الجائره الَّتِى مرَّت عهد الصدر الأوَّل للإسـلام وما بعده فتوثيقها يحتاج إلى منهج تدقيقى وتمحيصـى لغربله وفرز ما هُوَ الصـحيح عن غيره، كَمَا سوف يتّضح كُلّ ذَلِكَ فِى الجهه الأُولى مِنْ هَذِهِ القَاعِدَه.

مسلسل سيره النبى صلى الله عليه وآله

وتطابقها مَعَ أسباب النزول:

تنبيه: ينبغى للباحث الكريم فِى قَاعدَه أسباب النزول الالتفات إلى ما يلى:

أوَّلاً: ملاحظه كيفيه نزول الوحى عَلَى النَّبِىّ الأكرم عليه السلام فِى غار حرّاء،

وإنذار بنى هاشم، وأوَّل خطوه فعلها النَّبِيّ صلى الله عليه وآله يَوُم الدار.

ثانياً: ملاحظه كيفيه بدء النَّبِيّ صلى الله عليه وآله بِصْدع بما يُؤْمَر به، وكيفيه الجهر بالرِّساله فِى مَكَّه، وبدء الصَّلاه فِى مَكَّه ثمَّ... وتتابع الأحداث الَّتِى حصلت فِى مَكَّه مِنْ وفاه أبى طالب عليه السلام وخديجه وتسميه ذَلِكَ العام بعام الحزن، ثمَّ الهجره إلى المدينه ثمَّ الحروب والوقائع والغزوات ومنعطفات معراج النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فِى مَكَّه ثمَّ فِى المدينه، وبعباره أُخْرَى لابُدَّ مِنْ تطابق وانطباق بين مسلسل موارد نزول الآيات مَعَ مواطن الأحداث فِى سيره النَّبِيّ صلى الله عليه وآله أو ضروره التطابق ضابطه وآليّه تُقوّم الخلل فِى ضبط كُلّ مِنْ الجانبين، وَهَذَا ميزانٌ عظيمٌ فِى التوفيق والتحرّى لصحّه ما يُزعَمُ ويُدّعى مِنْ أسباب النزول وتمحيص صدقها، وَمِنْ ثمَّ صَحَّ أنْ يُقَال أنَّ أسباب النزول وكذا التنزيل لَيْسَ إلَّا تقصّى وسرد وقَصٌّ لسيره النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وَهَذِهِ نقطه مُهمّه جدّاً فِى حقيقه أسباب النزول.

مميزات قَاعدِه أسباب النزول:

إنَّ بحث قَاعدِه أسباب النزول تُعطى طابعاً خاصّاً ومُتميّزاً فِى الدلاله والتأثير عَلَى نمط تفسير المُفَسِّر بعدَّه مُميزات وتأثيرات:

الميزه الأُولى: إنَّ سَنَّ وبحث قَاعدِه أسباب النزولُ يَلوِّن ويكوِّن ظهوراً مُتميّزاً للآيات والسّور فِى أغلب المناهج التفسيريه للمُفسرين، وَهَذَا إلى حدٍّ ما يشبه القرينه الحاليه أو المقاميه الَّتِى تلوِّن الظهور، وَعَلَيْهِ

فَإنَّ أسباب النزول وإنْ لَمْ تكن قرينه مقاليه ولفظيه، لكنّها مُهمّه وخطيره مقاميًّا وحاليًّا.

وتشخيص هَذِهِ القرينه والتثبث مِنْهَا لدى جمله مِنْ المُفسّرين أمرٌ بالغ الأهميه والخطوره، ورُبَّما بَعْض المُفسّرين أولوها أهميّه مِنْ بَعْض الزوايا تفوق القرينه اللفظيه والمقاليه.

الميزه الثَّانيه: إنَّها تطبيق وحيانيا - فضلاً عَنْ كونه تطبيقاً عملياً - لمفاد الآيه أو السوره أو المعادله القرآنيه أو المعادله الدِّينيه، فَهِيَ مِنْ هَذَا الجانب، ربما يَكُون فيها توضيح لهذا المفاد أكثر مِنْ بَعْض الزوايا مِنْ جهه التنظير اللفظى، وإذا كَانَ النزول تطبيقاً وحيانياً فَمِنْهُ يظهر أنَّ التدقيق فِي روايات وأقوال النزول أمرٌ بالغ الأهميّه لِأَنَّهُ يَكُون مِنْ النسبه إلى الوحى وأفعال الوحى.

ص:١٨

أسباب النزول بمثابه القرينه اللفظيه المقاميه والحال أنها مؤثر فِي الظهور

الميزه الثَّالثه: أحياناً وَمِنْ بَعْض الزوايا تكتسب قَاعدَه أسباب النزول أهميّه أكثر مِنْ القرينه اللّفظيه أو المقاميّه، كَمَا لو طُبّقت الآيه أو السّوره المُعيّنه بحذافيرها عَلَى مورد مُعيّن، وأفادت قَاعدَه أسباب النزول أنَّ الآيه أو السُّوره لابُدَّ وأنْ يُركَّب مفادها وينتظم ويتطابق وينسجم مَعَ مورد التطبيق، وَهَذَا إلى حَدٍّ ما يشبه ما يذهب إليه بَعْض الفُقَهاء والأصوليين مِنْ أنَّ الشَّارع المُقدّس إذَا مارس تطبيق الكبرى الكليه فَإنَّ مصاديقها تكون أبين وأوضح ويُفهم المفاد بشكل أبين، وَعَلَيْهِ فأسباب النزول بمثابه القرينه اللفظيه المقاميّه، وَأنَّها مؤثر فِي ظهور مفاد دلاله الآيات والسّور القرآنيه فِي بَعْض زواياها، وَعَلَيْهِ فَمِنْ الضرورى التثبت مِنْ أسباب النزول كقرينه مُهمّه فِي استظهار دلالات الآيات الكريمه.

يجب بناء مبحث أسباب النزول بشكل مقاسات صحيحه عَلَى وفق رؤى مدرسه أهل البيت عليهم السلام، ولا يظن الباحث غيابه عَنْ محطّ نظر الروايات فيكلف لتشيده بالرجوع إلى مصادر مِنْ كتب السِّيره والآثار أو

المختصّه بتدوين أسباب النزول وجعلها المدار الأصلى فِى ذَلِكَ. لا أَنَّهُ مبحث غَيْر موجود ويجب أنْ نكتشف قواعده وأَسسه وما هُوَ مبنى الرّوايه حوله.

إنَّ مِنْ أهم أسباب دراسه أسباب النزول وتأكيد القُرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام التحقيق والتدقيق فيها وأخذها مِنْ أهلها وفرز أسباب النزول المُلفّقه الوارده مِنْ الطرف الآخر أىّ عَنْ المخالفين عَنْ أسباب النزول الصحيحه الوارده عَنْ مدرسه أهل البيت عليهم السلام بَعْدَ تحقيقها وتدقيقها وبحثها بشكل تفصيلى يُشعرُنا كُلّ ذَلِكَ بمدى أهميه وخطوره دراسه أسباب النزول فِى الفِقْه والتفسير والعقائد والمعارف الدِّينيه و... الخ بسبب أنَّ القُرآن هُوَ المصدر الرئيسى والأول للتشريع وللمعرفه الدّينيه، وَهُنَا تظهر ثمره ما قاله الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وَأَكَّدَ عَلَيْهِ مِنْ قرن العتره الطاهره بالقرآن الكريم، وبخلافه ستظهر إفرازات خاطئه فِى فَهُمْ القُرآن - وفعلاً ظهرت - كَمَا هُوَ عَلَيْهِ الآن بَعْض الحركات والاتّجاهات المحسوبه عَلَى الإسلام والإسلام مِنْهَا بُراء؛ لأنها أظهرته بصوره مشوّهه لا تتناسب وعظمه الإسلام وَالدِّين الخاتم للأديان السماويه.

وبعباره إنَّ ما وَرَدَ مِنْ روايات أهل البيت عليهم السلام بمنزله ميزان لتمحيص ما يُذكر مِنْ أسباب النزول فِى كتب السِيَر والآثار، وَهَذَا احد مواطن معيّه الكتاب والعتره، وَهَذَا ما سوف يتّضح كُلَّهُ مِنْ خلال البحث.

أيضاً سنُبيِّن أنَّ بحث الفتوحات الإسّلاميَّه إنْ كَانَ فيه جانب مُشرق

وفتح فَهُوَ يرجع إلى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وعلى عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، إلَّا أنَّ هُنَاك جنبه مُظلمه سوداويه فِي الفتوحات الإسّلاميَّه سنُبيّنها - مِنْ باب بيان واقع المطلب - حولت تلك الفتوحات إلى سدودات مَعَ إنَّ الإسلام فتحٌ عظيم.

ولا يُفهم مِنْ ذكرنا لبيان هَذِهِ الجنبه أنَّ فيها تحامل عَلَى أحد، أو إجحاف فِي حقّ الغير، وَإنَّما غرضنا بيان حقائق بيّنها القُرآن الكريم وَأنَّها مُراده للبارى تَعَالَى إلَّا أنهم يحاولون إخفائها أو سدل الستار عَلَيْهَا، وطمس معالم وحقائق الدِّين الذى أراد الله تَعَالَى إظهاره عَلَى الدِّين كُلَّهُ وَعَلَى كُلّ أرجاء المعموره مِنْ الكره الأرضيه ولو كره المشركون.

وَعَلَيْهِ فيجب إزاله كُلّ الموانع والسدود والممارسات الخاطئه لفهم معانى آيات القُرآن، وَالَّتِى حاول البعض أنْ يختلقها ويجعلها سدّاً مانعاً أمام انتشار هَذَا الدِّين كُلَّهُ وَهَذَا النور القرآنى والنبوى، وفعلاً كَانَتْ تلك السدود المُصطنعه مانعه مِنْ انتشار الإسلام والحدّ مِنْهُ وعدم نفوذه بالمستوى المطلوب مثل بلاد الصين وأوربا وأمريكا و... الخ. ممّا أثّرتْ هَذِهِ التّصرفات السوداويّه سلباً مِنْ قبل مَنْ حُسبت تصرفاته عَلَى الإسلام عَلَى شعوب هَذِهِ البُلدان فاعتنقت النّصرانيّه - المسيحيّه - وَلَمْ تعتنق الإسلام.

كُلّ ذَلِكَ بسبب تصدّى مَنْ لَيْسَ لَهُ أهليّه القياده للإسلام بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله وحَمْلُه بأيدٍ غَيْر أمينه، بَعْدَ إساءتهم للإسلام والمسلمين وعتّموا عَلَيْهِ مِنْ جميع الجهات الإعلاميه مِنْهَا والسياسيه والعسكريه والفكريه والاجتماعيه والتربويه و... الخ، وبالتالى كَانَتْ نظره البعض مِنْ خلال أفعال وأقوال

هؤلاء المحسوبين عَلَى الإسلام نظره سوداويه بدلاً أنْ تكون بيضاويه نقيّه، وَهَذِهِ بالتالى تُشكَل طامّه كُبرى.

ولذا كَانَ سؤال الَّذِيْنَ جلبوا النظره السّوداويه للإسلام هُوَ: لماذا تتحّسسون مِنْ الأفعال والأقوال والتّصرفات الَّتِى كَانَتْ تصدر مِنْ سلطان بنى أُميّه كيزيد بن معاويه؟

إنَّ سبب تحسّسنا مِنْهُ لَيْسَ فَقَطْ مِنْ جهه قتل سيد الشُّهداء أبى عبدالله الحسين بن على عليهما السلام وحرمان البشريه مِنْ عطاءاته ونوره وهيهات وأنَّى لهم ذَلِكَ، بَلْ أنَّهم أزالوا الوجه المُشرق فِى الإسلام بقتل الحسين عليه السلام وأئمه أهل البيت عليهم السلام فَإنَّ الإسلام وَالدِّين لا يُشرِق نورُه إلَّا بهم، فبإزالتهم لأهل البيت عليهم السلام أزالوا نور الإسلام وإشراقه فشوّهوه بظُلمه واسوداد، وَإنَّما مِنْ جهات أُخْرَى مِنْهَا أنَّ أمثال هؤلاء حاولوا تشكيل سدود بفعل تصرفاتهم غَيْر الإسّلاميَّه وظلمهم وتسلطهم عَلَى رقاب المسلمين واستبدادهم تمنع مِنْ انتشار نور القُرآن والنور المحمدى والنور العلوى والفاطمى والحسنى والحسينى و... الخ، وبذلهم قُصارى جهودهم لأجل الفصل بين الثقلين، وَهُمَا؛ الكتاب والعتره الَّتِى طالما أَكَّدَ رسول الله صلى الله عليه وآله عَلَى قرنهما، وبالتالى ليسوا فَقَطْ خسروا أتباع الثقل الثَّانِى وَهُمْ عتره النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته، بَلْ حَتّى ضيّعوا الثقل الأوَّل وَهُوَ القُرآن الصامت لأنَّهم لايمكنهم أنْ يفهموا معانى الآيات وَالسُّوَر إلَّا بواسطه العِدْل الثَّانِى آل النَّبِىّ صلى الله عليه وآله، كَمَا صَرَّح بَعْض كبارهم - حَسْبُنا كتاب الله - وَهُوَ لا يفهم

ولا يعى مِنْ القُرآن آيه بَلْ بَعْض آيه.

وَالمُهِم الـذى نُريـد أنْ تسـليط الأضواء عَلَيْهِ هُوَ: - أنَّ القُرآن الكريم هُوَ المصدر المعرفى العظيم للدين والبالغ الأهميه، فَلابُدَّ أنْ يَكُون منهـاج وبرنامـج فَهُمْ معـانى وحقائق آياته سوره أساسـى موزون لا يمكن لأى باحث ومُفسِّر الاسـتغناء عَنْهُ، وَمِنْهَا روايات قَاعدِه أسـباب النزول وَالَّتِى يجب فيها الرجوع إلى مُحكمات القُرآن الكريم الذى هُوَ حَكَمٌ عَدْلٌ وَإلى أهل البيت عليهم السلام؛ وَهُمَا الوحيدان اللّذان يُميزان ويَفصُلان بين الرّوايات المُلفقه والمُزيّفه وبين الصحيحه مِنْهَا فِى قَاعدِه أساب النزول.

وَمِنْ الأُـمُور الَّتِى نُبيّنها أيضاً مِنْ خلال بحث قَاعـدِه أسباب النزول هُوَ أهميّه القَاعِـدَه وتأثيرها فِى يوميات اسـتنباط الفِقْه وَالأُمُور العقائـديه، وأنَّ أخـذها أخـذ المُسـلّمات فـادحهٌ عُظمى، فمثلاًـ مَعْنَى الجهـاد فِى نظر مـدرسه أهل البيت عليهم السـلام غَيْر مَعْنَى الـدفاع، وَبَعْدَ مُراجعه الرّوايات الوارده عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السـلام لَمْ أقف عَلَى تعبير تقسـيم الجهاد إلى ابتدائى ودفاعى، وَإنَّمـا هَـذَا التقسـيم مِنْ اجتهادات مـدرسه الطرف الآخر - أىّ المـدرسه الأُخْرَى، وتَسَـرَّب إلى كتب الخاصّه وعلينا تنقيه بحوثنا الفقهيّه وتراثنا الفقهى مِنْ موروث مـدرسه الرأى ونعكف عَلَى صـفاء مـدرسه أهل البيت عليهم السـلام، وَهَذَا مُؤشِّر واضح عَلَى كيفيه تأثير أسباب النزول عَلَى المنهج التفسيرى، وتأثير الأخير عَلَى أُسس الفِقْه والعقائد.

نعم، الوارد فِى الروايات الوارده عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السلام كَمَا فِى روايه

جعفر بن مُحمَّد عَنْ أبی جعفر علیهم السلام أنَّ الله تَبارَکَ وَتَعالَی بعث محمداً صلی الله علیه وآله بخمسه أسیاف فسیف عَلَی عَلَی مُشرکی العرب، قَالَ الله جَلَّ وجهه: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِکِینَ حَیْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ خُذُوهُمْ وَ احْصُرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ کُلَّ مَرْصَدٍ (یعنی فإنْ آمنوا... فَإِخْوانُکُمْ فِی الدِّینِ) لا یُقبل منهم إلَّا القتل أو الدخول فِی الإسلام ولا یُسبی لهم ذریّه ومالهم فیء)(۱).

وَعَنْ حفص عَنْ أبی عبدالله علیه السلام، قَالَ: سأل رجل أبی عَنْ حروب أمیر المؤمنین علیه السلام وَکَانَ السّائل مِنْ محبینا، فَقَالَ لَهُ أبو جعفر علیه السلام: بعث الله محمداً صلی الله علیه وآله بخمسه أسباب: ثلاثه مِنْهَا شاهره فلا تغمد إلی أنْ تضع الحرب أوزارها، ولن تضع الحرب أوزارها حَتّی تطلع الشّمش مِنْ مغربها، فإذا طلعت الشّمس مِنْ مغربها آمن النّاس کلهم فِی ذَلِکَ الیوم(لا یَنْفَعُ نَفْساً إِیمانُها لَمْ تَکُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ کَسَبَتْ فِی إِیمانِها خَیْراً) وسیف مِنْهَا ملفوف، وسیف مِنْهَا مغمود سلّه إلی غیرنا وحکمه إلینا، فَأَمَّا السّیوف الثلاثه الشاهره فسیف عَلَی مشرکی العرب، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ(فَاقْتُلُوا الْمُشْرِکِینَ حَیْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ خُذُوهُمْ وَ احْصُرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ کُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تابُوا) یعنی آمنوا(فَإِخْوانُکُمْ فِی الدِّینِ) فهؤلاء لا یُقبل منهم إلَّا القتل أو الدخول فِی الإسلام وأموالهم وذراریهم سبی عَلَی ما سبی رسول الله صلی الله علیه وآله فَإِنَّهُ سَبَی وعفا وقبل الفداء.

۱- (۱) تفسیر العیّاشی: ج ۲، ص ۷۵ تفسیر سوره البقره آیه ۱۹۴، عنه بحار الأنوار: ج ۹۷ ب ۶ من أبواب الجهاد ح ۶ ص ۵۳.

والسيف الثَّانِى عَلَى أهل الذِّمه، قَالَ الله صلى الله عليه وآله جَلَّ ثناؤه (وَ قُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً) نزلت فِى أهل الذّمّه ثمَّ نسخها قوله (قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ (٢٩) فَمِنْ كَانَ مِنْهُ فِى دار الإسلام فلن يقبل مِنْهُ إلَّا الجزيه أو القتل ومالهم وذراريهم سبىٌ فإذا قبلوا الجزيه حَرُم علينا سبيهم... الخ.

والسيف الثَّالِث عَلَى مُشركى العجم يعنى التُرك والديلم والخزر، قَالَ الله جَلَّ ثناؤه فِى أوَّل السُّوره الَّتِى يُذْكر فيها الَّذِيْنَ كفروا فَقَصَّ قصتهم قَالَ (فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ فَإِمّا مَنًّا بَعْدُ) يعنى بَعْدَ السبى منهم «وأمَّا الفداء» يعنى المفاداه بينهم وبين أهل الإسلام فهؤلاء لا يُقبل منهم إلَّا القتل أو الدخول فِى الإسلام ولا يَحِلُّ لنا نكاحهم ما داموا فِى الحرب.

وأمَّا السيف الملفوف فسيف عَلَى أهل البغى والتأويل... الخ.

وأمَّا السيف المغمود فالسيف الذى يُقام به القصاص.... الخ.

فَهَذِهِ السيوف الخمسه الَّتِى بعث الله بها نبيه صلى الله عليه وآله فَمَنْ جحدها أو جَحَدَ واحداً مِنْهَا أو شيئاً مِنْ سيرتها وأحكامها فَقَدْ كفر بما أنزل الله عَلَى

مُحمَّد صلى الله عليه وآله (۱).

بتقريب: إنَّ هـاتين الروايـتين وَرَدَ فيهـا ذكر أقسـام الجهـاد، وَلَمْ يُجْعَـل الـدفاع قسـماً مِنْهَـا مَـعَ أنَّ هـاتين الروايـتين وغيرهمـا فِي صددالتحديد لماهيّه الجهاد وسبر أقسام.

إنَّ السيوف بمعنى الحرب، وَلَمْ يرد تعبير تقسيم الجهاد إلى ابتدائى ودفاعى، علماً أنَّ الدّفاع فِي مفهوم مدرسه أهل البيت عليهم السلام غَيْر الجهاد.

وسيّتضح لنـا الأمر فِي أنَّ أغلـب غزوات وحروب الْنَّبِيّ صـلى الله عليـه وآلـه أل - (۸۰) غزوه وحرب كَـانَتْ دفـاعيّه إمَّا لأجل اسـتعاده الحقوق والأموال المسـلوبه أو لدرء خطر المُشـركين وعُتاه قريش عَنْ أعراض وأوطان المسلمين... الخ، وإنْ كَانَ بعضها ابتـدائياً كَمَـا فِي غزوه بـدر فِي الاصـطلاح الفقهى تُعَـدُّ جهـاداً ابتـدائياً لِأنَّ نفس رسول الله صـلى الله عليه وآله هيأ وجهّز الجيش والسـلاح وكـافه مُسـتلزمات المعركه إلَّا أنَّهُ لَيْسَ عـدواناً ابتـدائياً وَإنَّما كَانَتْ ذَاتَ غطاء دفاعى، إلَّا أنَّهُ وللأسف الشّديـد عِنْـدَمَا نرجع إلى روايـات أسـباب النزول المُلفقـه فِي المـدارس الإسّـلاميَّه الأُـخْرَى غَيْر مـدرسه أهـل الـبيت عليهم السـلام نجـد تلك الروايـات قَـدْ انقلبت رأسـاً عَلَى عقب فِي تبـديل حقيقه مَعْنَى الجهـاد عمّـا هُـوَ عَلَيْهِ فِي القُرآن الكريم، والنظر إلى الجهـاد بنظره سوداويه ودمويّه، وَنَحْنُ لا

۱- (۱) تفسير على بن إبراهيم القمّى: ص ۶۴۰، الكافى للكلينى: ج ۵، كتاب الجهاد: ب ۳ ح ۲ الحديث المسلسل ۸۲۱۸، ج ص ۱۰؛ عنه بحار الأنوار: ج ۹۷ ص ۱۶ ب ۲ من أقسام الجهاد وشرائطه وآدابه.

نُريد أنْ نُبرر هَذِهِ النظرات المُتحامله عَلَى القُرآن، ولكن نُريد أنْ نقف عَلَى بَعْض أسبابها ولا نحصرها بالصليبيه والصهيونيّه... الخ وَإنَّما هدفنا إلفات النظر والفكر إلى أنْ أحد أسباب ما نَحْنُ فيه فِي مبحث أسباب النزول الملفقه الَّتِي وضعت رواياتها فِي المدارس الأُخْرَى تحت تأثير السّلطه الأمويّه أو العباسيّه، مِنْ أنَّ غايه الجهاد الابتدائى عندهم هُوَ الإرغام عَلَى العقيده بخلاف ما أسست لَهُ مدرسه أهل البيت عليهم السلام مِنْ أنَّ الهدف مِنْ تشريع الجهاد الابتدائى لأجل نشر العداله فِي الأرض واسترداد الحقوق المُغتصبه أو الدّفاع عَنْ المُسضعفين حَتّى غَيْر المسلمين(الَّذِينَ عاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّهٍ وَ هُمْ لا يَتَّقُونَ (۵۶) فَإمّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (۵۷) وَ إمّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَهً فَانْبِذْ إلَيْهِمْ...)۱.

بتقريب: إنَّ هَذِهِ الآيات المُبَارَكه تبيّن أنَّ غايه الحرب فِي بعضها، والعدوان وإنْ كَانَتْ هِيَ حرب ابتدائيه استباقيّه، وَلَيْسَ المقصود مِنْ الجهاد هُوَ العدوانيّه والدمويّه والانتقام وفرض عقيده مُعيّنه، فَإنَّ هَذَا منطق المدارس الأُخْرَى غَيْر مدرسه أهل البيت عليهم السلام وقوله تَعَالَى: (تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَهً فَانْبِذْ إلَيْهِمْ...) حاولت أسباب النزول الملفقه أنْ تجعلها منسوخه بقوله تَعَالَى(وَ قاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّهً) لأنَّهم أرادوا أنْ يصوروا أنَّ فلسفه الجهاد فِي مدرسه الخلفاء هُوَ الإرغام

والإلجاء، علماً أنَّ هَذِهِ الآيه غَيْر قابله للتخصيص والنسخ، كَمَا سوف يأتى توضيح ذَلِكَ كُلَّهُ وتفصيله فِى مبحث قَاعدَه الناسخ والمنسوخ إنَّ أعظم مشكله فِى الباب هِىَ قَاعدَه أسباب النزول الملفقه، وَعَلَيْهِ فكيف تُدعى أسباب النزول أنَّ مثل قوله تَعَالَى: (إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ (٥٨) إنَّها منسوخه، وهل أنَّ الله لا يحب الخائنين حسب ما جاء فِى آيات سوره الأنفال، وفى غزوه بدر وغيرها مِنْ سوره القُرآن والغزوات الأُخْرَى - والعياذ بالله -.

والخلاصه: هل إنَّ الله يحب الخائنين أم ماذا؟ فَعَلَى أصحاب أسباب النزول الملفقه أنْ يجيبوا عَنْ هَذَا التساؤل مِنْ أنَّ القُرآن يُسمّى المباغته والحرب مَعَ مُعاهد وذمّى خيانه، فكيف يمكن أنْ تنسخ هَذِهِ الآيه فَإنَّ بَعْض الأحكام أبديّه مُعلّله بعلّه أبديه غَيْر قابله للنسخ.

إذَنْ إذَا كَانَتْ هُنَاكَ مُعاهده بينك وبين آخرين وغدر الآخرون بالمعاهده فلا تغدر بهم وتبادرهم وتباغتهم بالحرب وَإنَّما أنبذ إليهم عَلَى سواء أىّ مِنْ دون غيله؛ لِأنَّ الإسلام قيَّدَ الفتك، وَهَذَا ما جسّده أهل البيت عليهم السلام وخاصّه سيد الشهداء أبو عبدالله الحسين عليه السلام.

التسديد الإلهى واليد الغيبيّه لثوره الإمام الحسين عليه السلام:

إنَّ أهل البيت عليهم السلام سطّروا أروع وأسمى مَعْنَى للجهاد وَلَمْ يستعملوا الغيله والاغتيال؛ لِإنَّهُ لَيْسَ مِنْ مبدأ الإسلام وأهل البيت عليهم السلام ذَلِكَ،

وَلَيْسَ مَعْنَى النصر عِنْدَ أهل البيت عليهم السلام أنَّ تسحق المبادئ مِنْ أجل النصر، وَإنَّما النصر عندهم هُوَ أنَّ تنهض لتثبيت المبادئ لا لطمسها أو التفريط بها، كَمَا صنع ذَلِكَ رسول الله صلى الله عليه وآله فِي غزواته وحروبه وهكذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام والحسن والحسين سيد شباب أهل الجنه ونهضه عاشوراء الحسينيه لا لأجل التفريط بالمبادئ، وهكذا ما صنعه مسلم بن عقيل عليه السلام رسول الحسين إلى أهل الكوفه وقاد ثوره شعيبه لشهور مِنْ الزمن مَعَ وجود حكومه ظالمه وَهِيَ حكومه معاويه بن أبى سفيان فِي نفس الكوفه والبصره أىّ حكومتان فِي مدينه واحده، وَلَمْ يصدر مِنْ هَذِهِ التيارات الشعبيّه الَّتِي تنضوى تحت رايه مسلم بن عقيل عليه السلام أىّ خروقات تجاوزيّه، ولكن ما هِيَ العنايه الإلهيه الَّتِي جعلت مِنْ ثوره الحسين عليه السلام عدم حصول أىّ خَرْق وتجاوز عَلَى أىّ مُقرّر وحقوق للقاعده الشعبيه للطرف الآخر، وَهَذَا لَمْ يحصل حَتّى لسيّد الأنبياء مُحمَّد صلى الله عليه وآله وَهُوَ صلى الله عليه وآله جَدُّ الحسين وأفضلَ مِنْهُ، ولكن ما هِيَ تلك العنايه الخاصّه بالحسين عليه السلام، فَإنَّ للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عِنْدَمَا أراد أنْ يدخل مَكَّه المكرمه أرسل جيشاً بقياده خالد بن الوليد إلَّا أنَّ خالداً صنع مجزره ومقتلةً عظيمةً فِي بنى جذيمه تبرّأ مِنْهُ الرسول صلى الله عليه وآله، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إنِّى أبرأ إليك مما فعله خالد بن الوليد إلى أنْ أرسل صلى الله عليه وآله على بن أبى طالب عليه السلام وصالح بن جذيمه وودى قتيلهم ورضّاهم إلى أنْ رضوا عَنْ رسول الله عليه السلام، وَهَذَا معناه أنَّهُ حصل خرق مِنْ قبل خالد بن الوليد، وَهُنَا تتجلّى الجنبات الغيبيه فِي نهضه سيد الشهداء

الحسين ابن على عليهما السلام المُتناغمه والمتسقه والمنتظمه مَعَ مبدأ القُرآن فِى عدم الخيانه وذمّها وعدم التجاوز عَلَى المبادئى(وَ إِمّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ (۵۸) فَإِنَّ مِنْ مبادئ القُرآن وَالدِّين الإسلامى الحنيف عدم الخيانه، وتطبيق مثل هكذا أمر لَيْسَ بالسّهل وَإِنَّما هُوَ مِنْ الصعوبه بمكان أنْ يقود القائد الميدانى جيشه فِى الميدان وَلَمْ يستلزم حصول أىّ خرق ولا هدم ولا دم ولا... الخ؛ ولذا خاطبهم الحسين عليه السلام يَوُم عاشوراء: «أتطالبونى بدم سفكته منكم أو مال أجترحته أو... الخ» وَعَلَيْهِ كيف استطاع الإمام الحسين عليه السلام ومسلم بن عقيل عليهما السلام التحكّم بذلك مِنْ دون أىّ خرق شعبى فِى قَاعدَه الطرف الآخر، وما هَذَا لو تأملت به إلَّا تسديد غيبى إلهى.

الخلاصه: فَإِنَّ مِنْ مبادئ الإسلام عدم الخيانه وتطبيق مثل هَذَا لَيْسَ بسهل تنفيذه لِكُلِّ أحد فَإِنَّ المحافظه عَلَى المبادئ والأُسس يُترك تنفيذها لأهلها أمثال سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام والتسعه المعصومين مِنْ ذريه الحسين عليهم السلام لا لِمَنْ هبَّ ودبَّ، وَعَلَيْهِ إذَا أردت أنْ تبنى الإسلام فَلابُدَّ مِنْ إظهار بنائه بصوره نيّره ورائعه وجميله تجذب بها قلوب الآخرين تلقائياً وتُحبّب لهم الإسلام، لا أنْ تبنى الإسلام عَلَى أساس العُنف والقوّه والبطش بالآخرين والإرغام عَلَى فرض العقيده والأحكام العرفيه، والفرق واضح بين المسيرين مسير مدرسه أهل البيت عليهم السلام ومسير مدرسه العامّه والخلفاء.

والحاصل: إنَّ أسباب النزول لها تأثير بالغ فِي استنباط أحكام الفروع وكمثال باب الجهاد وكنظام علاقه الدوله الإسّلاميَّه مَعَ الشعوب والدول الأُخْرَى، وَأَنَّهُ أمر حضارى ومصيرى خطير وكبير.

إنَّ أحد أهم أسباب بحث قَاعدَه روايات أسباب النزول لما لها تأثير خطير فِي القَوَاعِد الفقهيه والتفسيريه والعقائديه وميادين أُخْرَى عديده فِي علوم الدِّين، بَلْ وتؤثِّر حَتّى عَلَى مسيره الدِّين؛ لِأَنَّ الدِّين رهينٌ بأعمده وأحد تلك الأعمده الرئيسيه والإساسيه لَهُ هُوَ القُرآن الكريم، وَكُلّ ذَلِكَ لِأَنَّ التمسّك بالقرآن الكريم وكيفيه فهمه أمرٌ بالغ الخطوره.

إنَّ أخطر وأعظم أنواع التحريف هُوَ تحريف فَهُمْ الآيات عَنْ طريق خلق روايات لأسباب النزول، والتحريف عباره عَنْ إلقاء ستارٍ أمواج ضبابيّه عَلَى ظهور ألفاظ القُرآن الكريم كى لا يُبصر المسلمون حقائق القُرآن، وسبب عِظم خطورته هُوَ لأننا نتعامل ونتعاطى مَعَ أعظم مصدر للمعرفه الإسّلاميَّه والدِّينيّه ألا وَهُوَ القُرآن الكريم، ومثل هكذا تحريف معناه المساعده عَلَى إيجاد خطوات ومواطئات مُجهضه للعقل الإسلامى، ولعقل أجيال فاضله علميّه للبشر، وَهَذَا ممّا يدعو ويُحفّز الأخوه الباحثين إلى مُضاعفه الجهود فِي سبيل كشف الحقائق وإزاله الستار والحجاب عَمّا وحرِّف مِنْ دعاوى أو أقوال فِي أسباب النزول.

المعهود عِنْدَ الكثير مِنْ المُفَسِّرِين أنَّ دور موطن النزول هُوَ عباره عَنْ موطن زمانى ومكانى وحدث مُعيّن لإبلاغ آيه مِنْ الآيات أىّ أنَّ الآيه لها

موطن نزول جغرافی وزمانی وإحداثی، إلَّا أنَّهُ سیتّضح مِنْ خلال بحث مورد أسباب النزول أنَّ الأمر لَیْسَ کَذَلِکَ، وأنَّ مورد النزول للآیه وإنْ کَانَ لَهُ موطن خاص، إلَّا أنَّ لَهُ جهات وحقائق أُخْرَی مُهمّه مؤثره وأنَّ نزول الآیه فِی الموطن الخاص یعنی فیما یعنیه أنَّهُ إعمال لولایه الله عَزَّ وَجَلَّ فِی إداره شؤون العباد وفی الجانب السیاسی والعسکری والتجاری والاقتصادی و... الخ، ولا تنحصر ولا تتقزّم الولایه أیّ ولایه الله تَعَالَی ثمَّ ولایه الرسول صلی الله علیه وآله ثمَّ ولایه أهل بیت الرسول صلی الله علیه وآله بالبُعد السیاسی أو الاجتماعی أو... الخ فَإنَّ أحد دعائم الولایه هُوَ الهدایه ولا سیما الملکوتیّه مِنْهَا وَهُنَاک هدایه إیصالیّه و... الخ وَعَلَیْهِ فَإنَّ مقام الولایه لا ینحصر فِی مقام الحاکمیّه السیاسیّه(إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ (۷)۱ .

وَعَنْ بُرید بن معاویه العجلی، قَالَ: قلتُ لأبی جعفر علیه السلام: (إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ (۷) فَقَالَ: المنذر و رسول الله صلی الله علیه وآله، وعلی علیه السلام الهادی وفی کُلّ وقت وزمان إمام منّا یهدیهم إلی ما جاء به رسول الله صلی الله علیه وآله(۱).

إنَّ لأسباب النُّزول جُمله مِنْ المؤدّیات والمفادات فِی روایات أهل البیت علیهم السلام لَمْ یتعرّض إلیها المُفَسِّرون وتعرّضوا لبعض المؤدّیات والمفادات العامّه کالنبوّه وحصر أسباب النزول بالزمان والمکان المعروف بموطن النزول وتبلیغ النَّبِیّ الأکرم صلی الله علیه وآله للآیه والأحکام الوارده فیها، بینما هُنَاک

۱- (۲) کمال الدِّین وتمام النِّعمه للصدوق: ج ۲، ص ۶۰۵ ب ۵۸ ح ۱۰.

مفادات وأبعاد أُخْرَى وَرَدَتْ فِي بيانات أهل البيت عليهم السلام كالولايه والحاكميه وأنَّ النزول والتنزّل نوع مِنْ أعمال الولايه الإلهيه وتدبير شؤون البشر، وَهَذَا هُوَ المفاد العقيدى المُهم فِي القُرآن الكريم الذى غَفَلَتْ عَنْهُ المدارس والمذاهب الأُخْرَى، علماً أنَّ القُرآن الكريم قُرِنَ نزوله بكُلِّ مِنْ النبوّه والولايه.

إنَّ منهجنا التفسيرى المُختار أمومه الولايه عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن الكريم يُفسِّر لنا أسباب النُّزول بمعنى ولائى فضلاً عَنْ المعنى التّنظيرى، وبعباره أُخْرَى أنَّ كُلّ قَواعِد التفسير فِي نظام الاستعمال اللّفظى ونظام معانى القرآن ونظام الحقائق لابُدَّ أنْ تكون لها صبغه ولائيه كَمَا لها صبغه نبويّه، فَإنَّ القرآن كتاب لا ينحصر بالنبوّات - أىّ لَيْسَ فَقَطْ كتاب نبوّه وتنظير - وَإنَّما يشمل كتاب الولايه أىّ كتاب فيه برنامج حكم وإداره كونيّه، ولا يستطيع المُفَسِّر أنْ يقصتر عَلَى البُعد الأوَّل أىّ التنظيرى أىّ بُعْدُ النبوّه، بَلْ لابُدَّ لَهُ مِنْ الخوض فِي البُعْد الثَّانِى.

تنبيهان

التنبيه الأوَّل: إنَّ الرُّوايات المزعومه والمُلفّقه فِي أسباب النزول عِنْدَ الطرف الآخر هِيَ ليست منسوبه إلى النَّبِىّ الأكرم صلى الله عليه وآله ولا مُسْنَدهً إليه صلى الله عليه وآله ولا إلى أحد أوصيائه المعصومين مِنْ أئمه أهل البيت عليهم السلام، وَإنَّما هِيَ منسوبه إلى جُمله مِنْ الصحابه أو التابعين أو تابعى التابعين؛ ولذا عِنْدَمَا نعبر بالرُّوايه المقصود الرُّوايه التأريخيّه وليست الرُّوايه النبويّه ولو عندهم -

العامَّه – هَذَا هُوَ حال أسباب النزول المُلفّقه والمحرّفه وَمَعَ ذَلِكَ وللأسف حَتّى عِنْدَ بَعْض مُفسّرى الخاصّه يعتمدها رغم أنَّها ليست مُسنده إلى النَّبِىّ صلى الله عليه وآله أو أهل بيته عليهم السلام وَإنَّما مُسنده إلى غَيْر مَنْ يؤثّق بحاله.

التنبيه الثَّانِى: مِنْ الواضح أنَّ القُرآن الكريم يفصح عَنْ حقائق كثيره بشرط أنْ لا تحجبنا أسباب النزول المُلفّقه والمزعومه والمُزيّفه لديهم مِنْ قبل أتباع السّلطه الأمويّه والعباسيّه ومدرسه الطرف الآخر عَنْ حقائق القُرآن ومفاهيمه النيّره وَعَنْ مفاد ظاهر القُرآن البيِّن، فاللّازم عدم التأثُّر وعدم الاحتجاب بها والتخلّص مِنْ تلاوينها المنعكسه عَلَى إطار ظهور الآيات وقوالب معانيها، كَمَا سوف يتّضح كُلّ ذَلِكَ مِنْ خلال الآيات والرّوايات، كَمَا فِى قوله تَعَالَى: (إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هؤُلاءِ دِينُهُمْ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۴۹)۱.

بتقريب: إنَّ الآيه المُبَارَكه تشير إلى حقائق خطيره وتحاول أسباب النّزول المُلفّقه المزعومه فِى غزوه بدر مثلاً أنْ تُشير إلى أنَّ الذى يتّبع الدِّين هُوَ إنسانٌ بسيط ساذج، مَعَ العلم أنَّهُ اعتمد عَلَى أكبر وأضخم قوّه أزليّه وتوكّلَ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۴۹)۲ .

بتقريب: أفهل مَنْ يتوكّل عَلَى الله يُنعت بالسّذاجه وما شاكلها، هَذَا ما نُريد أنْ نثبته فِى أسباب النّزول.

الجهه الثَّانيه: ارتباط قَاعدِه أسباب النزول

بترتيب القُرآن آياتاً وسوراً:

بيان العلاقه الوطيده

بين قَاعدِه ترتيب سور القُرآن وَقَاعدَه النزول:

إنَّ منهاج مدرسه أهل البيت عليهم السلام مِنْ أتَمّ وأسدّ مناهج المدارس الإسلاميّه الأُخْرَى حقاً، وَعَلَى الإطلاق أحاطه بأسباب النّزول، إلَّا أنَّهُ تواجهنا مشكله فِى مبحث أسباب النّزول وَهِىَ: -

إنَّ هُنَاك جمله مِنْ أكابر المُفَسِّرين اعتمدوا واتّكلوا وللأسف فِى أسباب النّزول فِى موارد عديده مِنْ الرُّوايه أو القصّه المرويّه وغيرها عَلَى مصادر العامّه فِى أسباب النّزول وتركوا المنابع الغنيّه لأسباب النّزول الموجوده لدينا فِى مدرسه أهل البيت عليهم السلام، بَلْ وَقَدْ يتعدّى الأمر فِى بَعْض الحالات إلى اعتماد واتّكال كبار المُحقّقين مَعَ جلاله قدرهم فَإنَّهُ حصلت لديهم هَذِهِ الهفوه والزلّه أمثال على بن إبراهيم القُمى صاحب تفسير القمى، فَإنَّهُ فِى جُمله مِنْ الموارد أخذ أسباب نزول الآيات مِنْ أسباب النّزول المزعومه لدى العامّه، وإرسالها إرسال المُسلّمات مِنْ دون أنْ يسندها إلى روايات أهل البيت عليهم السلام فِى الفِقْه العقائدى وَالفِقْه السياسى، وفى بَعْض

الحالات حَتّى فِي فقه الفروع وغيره، وَهَـذِهِ الرّوايات الَّتِي اعتمدها على بن إبراهيم بن هاشم القمّى مِنْ طرق العامّه لَمْ يقف عَلَيْهَا بنفسه رحمه الله، وَهَـذَا يُشـكِّل خَطَراً كبيراً عَلَى سير عمليّه الاسـتنباط بمختلف اتّجاهاتها، وَلَهُ تـداعيات عديده وخطيره جدّاً فِي الفِقْه والعقائد والتفسـير وغيرها؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أسـباب النّزول - كَمَا مَرَّ - تُشكِّل قرينه دالَّه عَلَى الظهور، وَهَذِهِ الدلاله تكوّن وتُملى ظهور الآيه بمادّه سـبب النّزول غَيْر الموثوق بها والملفّقه، وَهَـذَا ما يُؤثِّر سـلباً عَلَى النتيجه، وتكون النتيجه تابعه لهـذا الخلل وَعَلَيْهِ فَـإِنَّ الاعتماد عَلَى مثل هكـذا أسـباب للنزول صـناعياً وعلمياً قرينه دامغه حاليه ومقاليّه لتكوين الظهور، ويرسوا عَلَى شاكله مُعيَّنه، ويُقلب إلى قَالب آخر غَيْر ما هُوَ عَلَيْهِ فِي الواقع الخارجى.

وهكذا الحال فِي تفسـير التبيان للشّيخ الطوسى رحمه الله فَإِنَّهُ اعتمد عَلَى جمله مِنْ أسباب النّزول مِنْ طُرق العامّه فِي تفسير وبيان جمله مِنْ الآيات، والحال أنَّ تلك الأسباب مزعومه ومُحرّفه ومغلوطه.

ونفس الكلاـم يـأتى فِي تفسـير البيـان للطبرسـى فَـإِنَّهُ هُوَ الآخر اعتمـد عَلَى جمله مِنْ أسـباب النّزول المُلفّقه والمزعومه مِنْ طرق العامّه.

علمـاً أنَّ هـذين المصـدرين - أعين التبيان للشـيخ الطوسـى، والبيان للطبرسـى - مِنْ مفاخر كتب التفسـير إلى يومنا الحاضـر، بَلْ وَحَتّى مُعتمد عَلَيْهَا لدى المذاهب الإسّلاميَّه الأُخْرَى، فضلاً عَنْ أغلبيه مراكز البحوث

فِی اللّغه العربیه، بَلْ وَحَتّی فِی مبحث القراءات العشر - کَمَا سیأتی بحثها فِی محلها المُنَاسِب إنْ شاء الله - فَإنَّ جمله مِنْ مفاخر رجال الإمامیه أمثال حمران بن أعیَن، وأبان بن تغلب، وعاصم والکسائی والفرّاء وغیرهم بذلوا جهودهم فِی سبیل حفظ القراءات القُرآنیه إلَّا أنَّهُ وللأسف فِی نفس الوقت تسربت إلینا موارد کثیره مِنْ الفرق الأُخْرَی إلی الوسط الداخلی.

وکفی به شاهداً ما قاله الذهبی وَهُوَ مِنْ عُلَمَاء ومفسری العامّه أنَّهُ لو حَذَفنا الأحادیث الَّتِی یرویها أبان بن تغلب وأضرابه مِنْ الشیعه الإمامیه لاندرس واندثر جزءاً مُهماً مِنْ تراثنا(۱) وسنُبیِّن شیئاً فشیئاً - إنْ شاء الله تَعَالَی - کیف التلاعب والتحریف الذی دَبَّ إلی باب أسباب النّزول المزعومه لدی العامّه، وَهَذَا أمرٌ مهم جداً فِی منابع المعرفه الدِّینیه وتقییمها، فَإنَّهُ مِنْ الخطوره بمکان أنْ یقع جمله مِنْ الأعلام الکبار - رضوان الله تَعَالَی علیهم - فِی هَذِهِ الغفله ویُری منهم متابعه المدارس الأُخْرَی، وَلَیْسَ الغرض مِنْهُ المتابعه، أو النقد فَقَطْ بلا توثیق علمی صحیح، فَإنَّ تثبیت مثل هکذا مطلب بلا مستند علمی أمرٌ غَیْر صحیح.

وبالتالی لا تأمَنَّ ولا تطمنَّ أیُّهَا الباحث الکریم فِی موارد أسباب النّزول المزعومه عِنْدَ الطرف الآخر - العامّه - ما لَمْ یُدقّق ویُحَقّق فیها، فَإنَّهُ إنْ لَمْ یکن فیه تلفیق وتزییف، فلا أقل فیها تعقید وتعتیم، بأنْ ینقل لک

۱- (۱) میزان الاعتدال: ج ۱.

سبب النّزول ويصوِّور بَعْض الحقيقه ويطمس كثير مِنْ الحقائق إلى حدِّ إرضاء السلطان الحاكم وإنْ كَلَّف الأمر قلب وعكس الحقيقه والواقعه.

قَاعدِه فرعيه:

فِى تعدد أسباب النزول لأبعاض الأيه الواحده وآحاد كلماتها

وتأثير ذَلِكَ عَلَى تفسير الآيه فضلاً عَنْ الآيات فِى السوره الواحده:

تنبيه: سنُبيِّن فِى جهات بحث نظام أسباب النّزول عِنْدَ أهل البيت عليهم السلام - إنْ شاء الله تَعَالَى - إنَّهُ تختلف حقيقه سببيّه أسباب النّزول وحقيقه موردیّه مورد النّزول عِنْدَ مدرسه أهل البيت عليهم السلام عَنْ بقيّه المدارس والمذاهب الأُخْرَى، وَهَذَا مما يوجب لكثير مِنْ الباحثين الوقوع فِى الخلط إذَا مَزَج فِى الاعتماد بين ما وَرَدَ عِنْدَ العامّه، وما وَرَدَ فِى روايات أهل البيت عليهم السلام، وَلَيْسَ دائماً هَذَا التلفيق والتحريف عمديّاً فِى أسباب النزول، وَإنَّما فِى بَعْض الأحيان يَكُون سبب القصور هُوَ أنَّ الطرف الآخر غَيْر مُلم بحقيقه أسباب النُّزول نتيجه عدم وعيه بنظام أسباب النُّزول كَمَا تعيه إحاطه أئمه أهل البيت عليهم السلام؛ ولذا نُلاحظ انجرار بَعْض مُفسِّرى الخاصّه وراء أو مَعَ أُفق أسباب النُّزول عِنْدَ الطرف الآخر نتيجه غفلته، أو ابتعاده عَنْ التعرُّف عَلَى نظام أسباب النُّزول عِنْدَ أهل البيت عليهم السلام.

ونتيجه هَذَا الابتعاد وَهَذِهِ الغفله هُوَ أنَّهُ يتولَّد لديه توهمُّ أنَّ تفسير الآيات والسّياق فِى أسباب النُّزول واحدٌ وَهُوَ خطأٌ، وسيأتى فِى نظام

أسباب النُّزول عِنْدَ أهل البيت عليهم السلام أَنَّهُ لا وحده أسباب ولا وحده سياق وَأَنَّهُ يَقلَّ أنْ يَكون فِي الآيه والآيات وحده سياق ووحده سوق، نعم هُنَاك وحده غرضٍ ووحده هَدَفٍ مِنْ الآيه الواحده والسوره الواحده، ووحده الغرض، ووحده الهدف تغاير وحده السياق، وَعَلَى ضوء ذَلِكَ، فَإنَّ كثيراً مِنْ الآيات لها عِدَّه أسباب نزول بلحاظ صدرها ووسطها وذيلها، بَلْ فِي جمله مِنْ الموارد، الكلمه الواحِدَه مِنْ الجمله لها سبب نزول يختلف عَنْ بَقيَّه كلمات الجمله الواحِده، ولَعَلَّ هَذَا مِنْ غرائب الأُمُور عَلَى مَنْ لَمْ يأنس بألوان وأنواع الاستعمال التركيب القُرآنى بحسب ما نبّه عَلَيْهِ أهل البيت عليهم السلام، وبيَّنوا أنَّ مِنْ أكبر العوائق أمام البشر فِي فَهُمْ كلام الله البناء عَلَى وحده السياق أو وحده الموضوع فِي الآيه الواحِده فضلاً عَنْ الآيات مَعَ كونه كلاماً مُتّصلاً(۱).

روى العياشى بسنده عَنْ الباقر عليه السلام فِي قوله: «إنَّ للقُرْآن بطناً وللبطن بطن وَلَهُ ظهرٌ وللظهر ظهر... وَلَيْسَ شىء أبعد مِنْ عقول الرِّجال مِنْ تفسير القُرآن، إنَّ الآيه لتكون أوّلها فِي شىء وآخرها فِي شىء وَهُوَ كلامٌ مُتَصِلٌ يتصرّف عَلَى وجوه»(۲).

روى العيّاشى بسنده عَنْ جابر، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله«يا جابر أنَّ للقُرْآن بطناً وللبطن ظهر» ثمَّ قَالَ: «يا جابر، وَلَيْسَ شىءٌ أبعد مِنْ عقول

۱- (۱) الاحتجاج للطبرسى، احتجاج الزنديق على أمير المؤمنين: ج ۱، ص ۲۹۲-۳۱۶.

۲- (۲) العيّاشى: تفسير: ج ۱، ص ۸۶.

الرجال مِنْهُ إنَّ الآيه لينزل أولها فِی شیء وأوسطها فِی شیء وآخرها فِی شیء، وَهُوَ کلامٌ مُتصِلٌ یتصرف عَلَی وجوه...» (۱).

وهکذا ما ذکره أمیر المؤمنین علیه السلام فِی احتجاجه عَلَی الزندیق... وَمِنْ کتاب الله عَزَّ وَجَلَّ یَکُون تأویله عَلَی غَیْر تنزیله، ولا یشبه تأویله بکلام البشر، ولا فعل البشر، وسأنبّئک بمثال لذلک تکتفی به إنَّ شاء الله تَعَالَی، وَهُوَ حکایه الله عَزَّ وَجَلَّ عَنْ إبراهیم علیه السلام(وَ قالَ إِنِّی ذاهِبٌ إِلی رَبِّی) فذهابه إلی ربه توجهه إلیه فِی عبادته واجتهاده، ألا تری أنَّ تأویله غَیْر تنزیله، وَقَالَ: (وَ أَنْزَلَ لَکُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِیَهَ أَزْواجٍ) وَقَالَ: (وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِیدَ فِیهِ بَأْسٌ شَدِیدٌ) فإنزاله ذَلِکَ: خلقه إیاه.

وکذلک قوله: (قُلْ إِنْ کانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِینَ (۸۱) أیّ الجاحدین والتأویل فِی هَذَا القول باطنه مضاد لظاهره.

وَمَعْنَی قوله: (هَلْ یَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ تَأْتِیَهُمُ الْمَلائِکَهُ أَوْ یَأْتِیَ رَبُّکَ أَوْ یَأْتِیَ بَعْضُ آیاتِ رَبِّکَ)۲ ، فَإِنَّما خاطب نبینا مُحمَّد صلی الله علیه وآله هل ینتظر المنافقون والمُشرکون إلَّا أنْ تأتیهم الملائکه فیعاینونهم، أو یأتی بَعْض آیات ربک یعنی بذلک: أمر ربّک والآیات هِیَ العذاب فِی دار الدُّنْیَا، کَمَا عَذَّب الأمم السالفه والقرون الخالیه، وَقَالَ: (أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنّا نَأْتِی الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها) یعنی بذلک ما یهلک مِنْ القرون فسمّاه إتیاناً، وَقَالَ: (قاتَلَهُمُ اللّهُ أَنّی

۱- (۱) المصدر السابق: ج ۱، ص ۱۰، ح ۱، عنه البحار: ج ۸۹ ص ۹۱.

يُؤْفَكُونَ (۴)۱ أىّ لعنهم الله أنى يؤفكون، فسمّى اللعنه قتالاً، وكذلك قَالَ: (قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ (۱۷)۲ أى لعن الإنسان، وَقَالَ: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللّهَ رَمى) فسَمَّى فعل النَّبىّ صلى الله عليه وآله فعلاً لَهُ، ألا ترى تأويله غَيْر تنزيله، ومثل قوله: (بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ) فسمّى البعث: لقاءاً، وكذلك قوله: (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ) أىّ يوقنون أنَّهم مبعوثون، ومثله قوله: (أَ لا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (۴) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (۵)۳ أىّ لَيْسَ يوقنون أنَّهم مبعوثون، واللقاء عِنْدَ المؤمن: البعث، وَعِنْدَ الكافر: المعاينه والنظر.

وَقَدْ يَكُون بَعْض ظن الكافر يقيناً، وَذَلِكَ قوله: (وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها) ، أىّ تيقّنوا أنَّهم مواقعوها.

أمَّا قوله فِى المنافقين(وَ تَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا)۴ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بيقين، ولكنَّه شكّ، فاللّفظ واحدٌ فِى الظاهر، ومخالف فِى الباطن(۱).

وروى العيّاشى عَنْ أبى جعفر عليه السلام، قَالَ: لَيْسَ شىء أبعد مِنْ عقول الرِّجال مِنْ تفسير القُرآن، أنَّ الآيه ينزل أولها فِى شىء ووسطها فِى شىء

۱- (۵) الاحتجاج للطبرسى: ج ۱، ص ۳۰۲-۳۰۳ فى احتجاج أمير المؤمنين على الزنديق، وكذا المحاسن للبرقى: ص ۳۰۰.

وآخرها فِی شیء، ثمَّ قَالَ: (إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً (۳۳) مِنْ میلاد الجاهلیّه(۱).

روی العیّاشی بسنده عَنْ جابر، قَالَ: سألت أبا جعفر علیه السلام عَنْ شیء فِی تفسیر القُرآن فأجابنی، ثمَّ سألته ثانیه فاجابنی بجواب آخر، فقلت جُعِلْتَ فداک کنتَ قَدْ أجبتَ فِی هَذِهِ المسأله بجوابٍ آخر غَیْر هَذَا قبل الیوم، فَقَالَ لی یا جابر: - إنَّ للقُرْآن بطناً، وللبطن ظهراً، یا جابر لَیْسَ شیء أبعد مِنْ عقول الرجال مِنْ تفسیر القُرآن، إنَّ الآیه لتکون أولها فِی شیء وآخرها فِی شیء وَهُوَ کلام مُتَّصلٌ یتصرف عَلَی وجوه(۲).

۱- (۱) العیّاشی: ج ۱، ص ۹۵، فی منء فَسَّرَ القرآن برأیه: ج ۱.

۲- (۲) العیّاشی: ج ۱، ص ۸۷ ح ۸ باب تفسیر الناسخ والمنسوخ، والظاهر والباطن.

الوجوه البلاغيه لاستعمال كل كلمه بنحو مستقل فِی الآیه الواحده

مِنْ الجهات المُهِمَّه فِی قَاعدِه أسباب النُّزول جهه الوجوه البلاغیّه لاستعمال کُلّ کلمه بنحو مستقل فِی الآیه الواحده، ونذکر: -

أوَّلاً: روی العیّاشی عَنْ أبی عبدالرحمن السلمی: أنَّ علیاً مَرَّ عَلَی قاضٍ، قَالَ: «تعرف الناسخ والمنسوخ، فَقَالَ: لا، قَالَ: هلکتَ وأهلکتْ، تأویل کُلّ حرفٍ مِنْ القُرآن عَلَی وجوه»(۱).

ووجه دلالتها: هُوَ أنَّ المُرَاد مِنْ کُلّ حرفٍ مِنْ القُرآن أیّ کُلّ کلمهٍ مِنْهُ، وإنْ کَانَ الحرف قَدْ یُطلق عَلَی الجُمله أیضاً، وکذلک یُطلق عَلَی مجموع الآیه، ولکنّه یُطلق بکثره أیضاً عَلَی کُلّ کلمه، فإذا کَانَتْ کُلّ کلمه لها وجوه وتعاریف عدیده فَعَلَی ما تقدّمت الإشاره إلیه مِنْ أنَّ کُلّ کلمهٍ فِی الآیه قَدْ یَردُ فیها سبب للنُّزول یختلف عَنْ سبب النُّزول للکلمه الأُخْرَی سواء لوحظت الکلمه بمفردها أم بمثابه الجمله أو لَمْ تلحظ.

۱- (۱) العیّاشی: ج ۱، ص ۲۸۷ ح ۹ باب الناسخ والمنسوخ.

وروى العيّاشى عَنْ الأصبغ بن نباته، قَالَ: - وَقَالَ: لما قَدِمَ أمير المؤمنين عليه السلام فِى الكوفه صلّى بهم أربعين صباحاً يقرأ بهم -- قَالَ: فَقَالَ«المنافقون لا والله ما يحسن ابن أبى طالب أنْ يقرأ القُرآن، ولو أحسن أنْ يقرأ القُرآن لقرأ بنا غَيْر هَـذِهِ السُّوره، قَالَ فبلغه ذات، فقال: ويلٌ لهم إنِّى لأعرف ناسخه مِنْ منسوخه ومحكمه مِنْ مُتشابهه وفصله مِنْ فصاله وحروفه مِنْ معانيه، والله ما مِنْ حرفٍ نزل عَلَى مُحمَّد صلى الله عليه وآله إلَّا أنَّى لأعرف فيمَن أُنزِل وفى أىّ يَوُم، وفى أىّ مَوْضِع»(١).

بتقريب: أنَّهُ عليه السلام فرَّق بين الحروف والمعانى ممّا يُشير إلى أنَّ كُلّ حرف أىّ لِكُلِّ كلمه جمله مِنْ المعانى.

روى العيّاشى عَنْ إبراهيم بن عمر، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله عليه السلام: «إنَّ فِى القُرآن ما مضى وما يَحْدُثُ وما هُوَ كائن، كَانَتْ فيه أسماء الرِّجال فأُلقيت، وَإنَّما الأسم الواحد مِنْهُ فِى وجوه لا نَحْصى، يَعْرِف ذَلِكَ الوصاه»(٢).

بتقريب: فِى هَـذِهِ كَمَا تَقَـدَّمَ، وأنَّ المُرَاد مِنْ الاسم الكلمه الواحـده، وَقَـدْ قُيِّدَ بكونه الواحد إشاره إلى انفراد الكلمه، وأنَّ الكلمه الواحِدَه ذَاتَ وجوه فِى المعانى لا تُحْصى؛ لأنَّها مُتكثِّره فَقَطْ.

فَعَلَى ما تقدّمت الإشاره إليه مِنْ أنَّ كُلّ كلمه فِى الآيه قَدْ يَردُ فيها

١- (١) المصدر السابق: ص ٩١ باب علم الأئمه عليهم السلام بالتأويل ح ١.

٢- (٢) بصائر الدرجات، للصفّار: ص ٦/٢١٥؛ العيّاشى: ج ١، ص ٨٨ باب تأويل كل حَرْفٍ من القرآن على وجوه: ح ١.

سبب للنّزول يختلف عَنْ سبب النُّزول للكلمه الأخْرَى، سواء لوحظت الكلمه بمفردها أم بمثابه الجمله.

ثانياً: كَمَا فِى الوجوه التاليه:

الوجه الأوَّل: كَمَا هُوَ الحال فِى التأويل البلاغى.

الوجه الثَّانِى: أو لوحظت الكلمه ضمن مجموع بَعْض جُمَل الآيه مَعَ عدم ضم الكلمه الأُخْرَى لذلك المجموع فيتعدّد المفاد والتركيب.

الوجه الثَّالِث: أو يُؤخذ مِنْ كُلّ كلمه أخذ تأويل معانيها ويُضَم إلى أحد معانى تأويل الكلمه الأُخْرَى، فتعدّد مناسبات المعانى المُتكثِّره فِى كُلّ كلمه مَعَ ضريب تكثّر المعاين لِكُلِّ كلمه مِنْ الآيه مَعَ تكثّر ضريب التناسب والمُناسبات فتتكثّر وجوه الآيه عدد مِنْ المعانى لا تُحْصَى عدداً.

وَهَذِهِ الوجوه الثَّلاثه تقريبٌ لغوىٌّ بلاغىٌّ لكيفيه كون كُلّ كلمه فِى الآيه لها سبب نزول يختلف عَنْ الكلمه الأُخْرَى فضلاً عَنْ تعدّد أسباب النُّزول للجُمله المُتعدّده فِى الآيه الواحِدَه، فَإنَّهُ أسهلُ وضوحاً.

الوجه الرَّابع: وَهُوَ ما يُسمّى بقاعِدَه الالتفات فِى علم البديع مِنْ علم البلاغه، ولكن بنحو التّوسعه لقاعِدَه الالتفات أوسع ممّا ذكره عُلَمَاء البلاغه فَيَكُون المُتكلِّم يتحدّث عَنْ موضوع ما ثمَّ يُحَوِّل خطابه أو حديثه إلى أو عَنْ موضوع أو شخص آخر، فَيُقَال لَهُ: - إنَّهُ التفت فِى كلامه مِنْ موضوع إلى آخر، أو مِنْ شخص إلى آخر فكأنَّه أدار وجهه أو كلامه مِنْ

جهه إلى أُخْرَى، وَمِنْ شخص إلى آخر، وَقَدْ بحثنا قَاعدَه الالتفات فِى الجزء الأوَّل مِنْ تفسير أمومه الولايه عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فلاحظ ذَلِكَ.

ولاـ يخفى أنَّ أُسلوب الالتفات قَدْ يُرْتكب فِى أبعاض الجمله الواحِدَه فَيُقصد مِنْ كلمه وَصْف شخص، ثمَّ يُقصدُ مِنْ كلمه الوصف الثَّانِى شخص آخر، وَمِنْ كلمه الوصف الثَّانِى شخص ثالث وهلم جرّا.

ولاـ يخفى أنَّ قَاعدَه الالتفات نحو مِنْ أسلوب الإشاره والتلويح الخفى فِى البين، وَهَذَا ممّا ترك أثراً سلبياً عَلَى كثير مِنْ المُفَسِّرين وضيَّعَ عليهم الكثير مِنْ حقائق التفسير الموجوده عِنْدَ أهل البيت عليهم السلام، وغابت عنهم، كُلّ ذَلِكَ بسبب اعتمادهم عَلَى روايات أسباب النُّزول للطرف الآخر وَلَمْ يحققوها ويمحصوها بأنفسهم، كَمَا غابت الحقيقه عَنْ مُفسرى الطرف الآخر.

والخلاصه: مِنْ كُلّ هَذَا سيتّضح جليّاً فِى أسباب النُّزول حسب منهاج مدرسه أهل البيت عليهم السلام أنَّهُ لا وحده أسباب ولا وحده سياق فِى البين، وَهَذَا مما ترك أثراً سلبياً عَلَى كثير مِنْ مُفسّرى الخاصّه وضيَّعَ عليهم الكثير مِنْ حقائق التفسير الموجوده عِنْدَ أهل البيت عليهم السلام.

الترتيب داخل الآيه الواحده

فضلاً عن الآيات داخل السوره فضلاً عن السوره فيما بينها ليس كما أنزل

برهان على عدم التعويل على وحده سياق الآيه الواحده فضلا عن وحده السياق فِى الآيات فِى السوره الواحده

وَهَذَا أحد أسباب تعدّد أسباب نزول لأبعاض الآيه الواحده، وَقَاعِدَه ترتيب الآيات القرآنيه، كَمَا سيأتى بحثها فِى محلّها المُنَاسِب فِى مبحث القراءات - إنْ شاء الله - إلَّا أنَّهُ نشير وبوجازه لهذه القَاعِدَه لحاجتنا إليها فِى مقامنا فَإنَّ الغفله عَنْ بيان قَاعِدَه ترتيب السّور والآيات بَلْ الترتيب فِى الآيه الواحد فِى القُرآن الكريم أوْقَعْت جُلَّ المُفَسِّرين وَمِنْ الفريقين، سواء فِى فقه الفروع - آيات الأحكام - أو فِى فقه العقائد أو التفسير أو غيرها فِى التباسات عديده وشديده، وَعَلَيْهِ فبيان هَذِهِ القَاعِدَه أمر فِى غايه الأهميّه لأنَّها فِى التباسات عديده وشديده، وَعَلَيْهِ فبيان هَذِهِ القَاعِدَه أمر فِى غايه الأهميّه لأنَّها دخيله فِى تركيب ظهور الآيات والسّور، فإنَّها بمثابه حلقات السلسله والمسلسل فبدلاً أنْ تبدأ مِنْ حلقه رقم واحد ابتدأ مِنْ النّهايه إلى البدايه - أىّ بالعكس - أو مِنْ الوسط إلى البدايه، فحينئذٍ

إذَا فُقِدَ الترتيب وَلَمْ تسلكه سوف تكون الصوره أمامك مرتبكه وفوضى فِي الملفات، فَإنَّ سور القُرآن الكريم ال - « ۱۱۴» سوره وآياتها أكثر مِنْ سته آلاف آيه إذَا لَمْ ترتبها لا تستطيع أنْ تخرج ببناء سليم وقويم، وَعَلَيْهِ فالترتيب أمر خطير ومهم ولا يمكن التفريط والتّساهل به، وكأنَّما أصل الاستفاده مِنْ شيء مرهون بتركيبه وترتيبه الصحيح النظم والنظم فِي شيء أمر مهم.

إنَّ أحد أهم الأُمُور الأساسيّه فِي تركيب مشاهد القُرآن الكريم بترتيب آيات السُّور والسُّور فيما بينها هُوَ تاريخ أسباب النُّزول، وَهَذَا ممّا أكَّده أمير المؤمنين عليه السلام فِي حواريات عِدَّه مَعَ أصحابه وأطراف أُخْرَى يتحدون فِي معرفه أسباب النُّزول مَعَ جهلهم بها فيقول لهم أمير المؤمنين عليه السلام ما معناه ومضمونه«إذَا كنتم تجهلون أسباب النُّزول كيف يمكنكم معرفه ترتيب القُرآن وإذا كُنتم تجهلون ترتيب وتركيب القُرآن كيف يمكن أنْ تفهموا النّاسخ مِنْ المنسوخ والعام مِنْ الخاص وغيرها».

وبعباره أُخْرَى: كيف تصلون إلى معرفه أقسام الظهور؟ وَعَلَيْهِ فَإنَّ أحد المفاتيح الأساسيه الأولى فِي أقسام بحوث الدلاله والظهور فِي القُرآن الكريم هِيَ مسأله ترتيب الآيات والسّور، وَهَذَا الترتيب للآيات والسور وليدٌ ومعلول لمعرفه تاريخ أسباب النُّزول.

ص:۴۸

ليس المراد من ترتيب السور ترتيبها حسب ما أنزل

هُنَاكَ أمرٌ مُتّفق عَلَيْهِ بين الفريقين مِنْ المسلمين، وَهَذَا الاتّفاق يعطينا دليل آخر عَلَى أهميّه البحث فِي تاريخ قَاعدَه أسباب النُّزول وتوثيقها وتريب آيات القُرآن ألا وَهُوَ أنْ ترتيب سور القُرآن لَيْسَ حسب ما أنزل، وَهَذَا ممّا لا يمكن أنْ ينكره مكابر؛ لأنّنا نلاحظ السُّور المدنيه متقدِّمه فِي المصحف الشريف والسور المكيّه متأخّره مَعَ أنَّهُ بحسب أسباب النُّزول يُفترض أنْ يَكُون موقع السُّور المكيّه قبل السُّور المدنيه، بَلْ حَتّى المدنيه لَمْ ترتّب فِي المصحف الشريف حسب أسباب النُّزول، فمثلاً سوره المائده هِيَ مِنْ أواخر السُّور نزولاً، بحسب ما رواه العيّاشي عَنْ أبى جعفر عليه السلام، قَالَ: «قَالَ علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام نزلت سوره المائده قبل أنْ يقبض النَّبِيّ صلى الله عليه وآله بشهرين أو ثلاثه»(١).

وسوره الأنفال مِنْ أوائل السُّور نزولاً تقريباً - لا أوَّل السُّور - عِنْدَ أكثر المُفَسِّرين مَعَ أنَّ التّرتيب الذى عَلَيْهِ القُرآن هُوَ أنَّ سوره المائده تسبق الأنفال، وهكذا الحال بين سورتى الأنفال والتوبه - الَّتِي تسمّى البراءه -

---

١- (١) تفسير العيّاشي: سوره المائده.

وسيأتى فِى مبحث مُستقل أسماء السُّور أسماء السور وأنَّ السوره الواحده لها أكثر مِنْ اسم، فَإِنَّهُ سوره التّوبه هِىَ مِنْ أواخر السور المدنيّه نزولاً، بينما سور الأنفال مِنْ أوائل السور المدنيه نزولاً، ولو لاحظنا ترتيب سور المصحف لوجدنا أنَّ سوره التّوبه تعقب الأنفال مُبَاشَرَه مَعَ أنَّ الفاصل الزمنى بين نزوليهما كبير.

وهكذا الحال بالنسبه للآيات الناسخه والمنسوخه فالمفروض وبحسب الترتيب وأسباب النُّزول تتقدم الآيه المنسوخه عَلَى الآيه النّاسخه، مَعَ أنَّهُ نجد فِى كثير مِنْ السور. تَقَدَّمَ ذكر الآيه النَّاسخه والمنسوخه، وَهَذَا يُخالف مورد نزولها، وبالتالى فَإِنَّ مِنْ عدم التّرتيب هَـذَا بتقديم المُتأخّر نزولاً عَلَى المُتقدّم نزولاً تتشكل لدى الباحث فِى التفسير أو الفِقْه أو العقائد أو فِى أىّ مجال صوراً غَيْر واضحه فِى مادّه بحثه، وَعَلَيْهِ فكيف يتسنّى للباحث الكريم أنْ يقرأ سيره النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وكيف تطوّرت وتدرّجت وتكاملت وتسلسلت وأنَّ هُنَاك آيات قُرآنيه ناسخه ومنسوخه وعام وخاص ومُطلق ومُقيَّد ومبين ومجمل و... الخ.

وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ للباحث الكريم مِنْ إحكام وضبط تأريخ أسباب النُّزول، وَإِلَّا لَمْ يضبط المُفَسِّر والباحث مفاد آيات وسور القُرآن الركيم وتفسيرها؛ ولذا إذَا أردت أنْ تجعل الصوره واضحه أمام القارئ الكريم للمصحف الشريف سواء مِنْ عامّه النَّاس أو كَانَ باحثاً فِى بَعْض المعارف فَلابُدَّ مِنْ الإتيان بحلقات الآيات والسور متتابعةً ومتسلسلةً حسب تاريخ

نزولها كى لا يحصل التشويش بالمشهد المعرفى القرآنى، وَإلَّا كيف تكون الصوره واضحه أمام الباحث الكريم وَأَنْتَ تأتى بها مشوّشه وَلَمْ تلتزم بالإتيان بحلقات السلسله متراتبه، فَإنَّ المشروط وَهُوَ وضوح الصوره عَدَم عِنْدَ عدم شرطه وَهُوَ الإتيان بها متسلسله ومتواليه حسب تاريخ نزولها.

وَعَلَى أىّ حال فإنْ ترتيب آيات القُرآن وسوره لَيْسَ حسب تاريخ نزولها لا ينكره أحدٌ ومُتّفق عَلَيْهِ مِنْ قبل المسلمين جميعاً مِنْ كلا الطرفين.

فَإنَّهُ وَمِنْ دون معرفه التّرتيب بين أسباب نزول الآيات والسور لا تتشكل ظهورات كامله وصحيحه لدى المُفَسِّر والباحث حَتّى يستطيع أنْ يقرا مِنْ خلالها الحدث والواقعه والموقف و... الخ

فمثلاً ـ لو أراد البَّاحث الكريم أنْ يخرج بصوره كامله عَنْ موقف القُرآن الكريم عَنْ الشعوب الكافره وسائر المجتمعات الأُخْرَى، وتحديد صوره النِّظام العالمى الموحَّد الذى يريد القُرآن أنْ يقيمه ويُظهره عَلَى الدِّين كُلَّهُ، هل هِيَ أسلمت النظام العالمى بالعدل وأسلمت الأنظمه السياسيه بالعدل كَذَلِكَ، أم الغايه أسلمتْ عقيدهُ الأفراد، فهل يدعو القُرآن إلى سفك دمائهم حَتّى يقولوا لا إله إلَّا الله؟ أو أنَّ هُنَاك شىء آخر بأنْ يدعو إلى محاربه المُعتدى عَنْ طريق تشريع أُمُور للحدّ مِنْ تحركاته العدوانيه وعتوّه تمدده كتشريع الجهاد الابتدائى الذى يعنى الحرب الاستباقيّه لِمَنْ هُوَ عدوانى ويريد أنْ يَعُدَّ العُدَّه ويشنّ الحرب عَلَى البُلدان والمُجتمعات الإسّلاميَّه، لا بمعنى أنَّ الجهاد الابتدائى هُوَ قهر غَيْر المسلم حَتّى يقول لا

إله إلَّا الله مُحمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله فَإنَّ مثل هَذَا قطعاً لَيْسَ مراداً للشّارع المُقدّس لِأنَّ هَذَا فيه إلجاء فِى العقيده.

فنجد أنَّ الآيات الوارده فِى الجهاد مبثوثه ومتوزّعه فِى عِدَّه سور قرآنيه إلَّا أنَّ الباحث الكريم لَمْ تكن لديه صوره واضحه حول آيات الجهاد الابتدائى أيُّهَا أولاً لها نزولها وأيها آخرها نزولاً، وكم يستعلم المُفَسِّر الكريم موقف القُرآن الكريم مِنْ حققه وغايه الجهاد الابتدائى أىّ حقيقه ما يرسمه ويبيّنه القُرآن الكريم مِنْ علاقه بين المسلمين والمُجتمعات الأُخْرَى.

ولذا أحد الأشياء الَّتِى حَذَّر مِنْهَا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وَالَّتِى تُسبب الضلال والإظلال والتيه والالتباس هُوَ التمسّك بالآيات القرآنيه مِنْ دون معرفه تاريخ أسباب النُّزول أو أيُّهَا ناسخ وأيها منسوخ وأيها المتقدم وأيها المتأخر، وكيف تحدد مصير بشر يعيش عَلَى كوكب الأرض مِنْ خلال آيات القُرآن الكريم؛ وَذَلِكَ مِنْ خلال ما رواه النعمانى فِى كتابه تفسير القُرآن.. عَنْ إسماعيل بن جابر، قَالَ سمعت أبا عبدالله جفعر بن مُحمَّد الصادق عليهما السلام: «واعلموا رحمكم الله أنَّهُ مَنْ لَمْ يعرف مِنْ كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ النّاسخ مِنْ المنسوخ والخاص مِنْ العام والمحكم مِنْ المتشابه والرخص مِنْ العزائم، والمكّى والمدنى وأسباب التنزيل، والمبهم مِنْ القُرآن فِى ألفاظه المنقطعه والمؤلفه... والتقديم والتأخير، والمبين والعميق والظاهر والباطنه... وَمَعْنَى حلالِه وحرامه الذى هلك فيه الملحدون... فَلَيْسَ عالم بالقرآن، ولا هُوَ مِنْ أهله، ومتى ادّعى معرفه هَذِهِ الأقسام مُدَّعٍ

بغير دليل فَهوى ذب مرتاب مُفتَرٍ عَلَى الله الكذب ورسوله ومأواه جهنَّم وبئس المصير» (۱).

وهكـذا لاـ يمكنـك أيُّهَـا البـاحث وَالمُفَسِّر الكريم معرفه نظـام القُرآن الكريم تّجاه العلاقه الـدوليّه وكيفيّه تحديـدها ولا يمكن التمسّك به مِنْ دون معرفه نظم وترتيب أسباب نزول الآيات القُرآنيّه.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ ارتباط قَاعدَه أسـباب النُّزول بقاعده ترتيب السور والآيات مصـيريّهٌ فِى تفسير القُرآن فَإنَّ الفقيه يترجل والمُتكَلِّم يتبلبل إذَا لَمْ يحلّ هَذِهِ المشـكله وَهُوَ معرفه ترتيب أسباب النُّزول، فمثلاً قوله تَعَالَى: (وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً (۸)۲ أليس هُوَ مرتبط بقوله تَعَالَى: (وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِـهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ)۳ كَمَا أنَّهُ وَرَدَ أنَّهُ كلا الآيتين نزلتا فِى شأن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

وكـذا قـوله تَعَـالَى: (وَ إِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَهٌ لَكُمْ وَ مَتـاعٌ إِلى حِينٍ (۱۱۱)۴ الـذى احتـجّ به الإمام الحسن بن على عليه السـلام عَلَى معاويه بن أبى سفيان - أىّ متعناهم سنين، (ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ (۲۰۶) . ما أغنى عنهم ما

۱- (۱) عن تفسير النعمانى المعروف بتفسير الشريف الرضى، وهو ليس كذلك؛ النعمانى عنه؛ بحار الأنوار: ج ۹۰، ص ۴ ب ۱۲۸ من أبواب ما ورد فى أصناف آيات للقرآن.

كانوا يمنعون(۱).

فمثلاً ـ هُنَاك شبهات أخلاقيه تثار فِي فلسفه القُرآن الكريم فمثلاً ـ بَعْض آيات القُرآن، تقول: (وَ لا ـ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَهً إِلى عُنُقِكَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ) كيف نجمعها مَعَ الآيه المُبَارَكه(وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ) .

وبالتالى كيف يمكن للباحث الكريم أنْ يحلّ المشاكل فِي الاستظهارات فِي النظام الأخلاقى فِي القُرآن، وَهَـذَا الباحث الكريم فِي علم العرفان كيف يمكنه حلّ الاستظهارات العرفانيه فِي القُرآن الكريم، وكذلك الفيلسوف بالنسبه إلى الاستظهارات الفلسفيّه مِنْ الآيات المرتبطه بما يتوخونه مِنْ أبحاث.

إنَّ السبيل الوحيد للتّخلص مِنْ كُلّ هَذِهِ المشاكل هُوَ معرفه قَاعدِه الترتيب بين آيات وسور القُرآن وَقَاعدِه تأريخ أسباب النُّزول، وبالتالى يتبيِّن العام مِنْ الخاص والناسخ مِنْ المنسوخ، والمطلق مِنْ المقيّد، والمجمل مِنْ المبين... الخ.

تنبيه: سيأتى إنْ شاء الله تَعَالَى - فِي بحث قَاعدِه القراءات القرآنيه بحث قَاعدِه حفظ وصيانه القُرآن عَنْ التحريف، وسنتطرق فِي كلتا القاعدتين إلى بحث ترتيب السور وتركيب آياتها وَهُوَ مِنْ المباحث الهامّه والخطيره والحساسه جداً وَالَّتِى يغفل عنها وللأسف - الكثير مِنْ المُفَسِّرين

۱- (۱) الاحتجاج للطبرسى: ج ۱، ص ۴۱۹.

لخطوره تأثير ترتيب السور وتركيب آياتها وفى هَذَا المجال أجمع مفسرو المسلمين مِنْ العامّه والخاصّه - السنه والشيعه - عَلَى أنَّ ترتيب السور وتركيب آياتها ليست مرتبه حسب تأريخ نزولها المكّيه ثمَّ المدنيّه والأسبق فالأسبق، فمثلاً فِى سوره الأنفال ذكرت غزوه بدر، وَمِنْ المعلوم تأريخياً أنَّ غزوه بدر وقعت فِى أوائل هجره النَّبِىّ صلى الله عليه وآله فِى السنه الثَّانيه للهجره فِى المدينه، بينما لو رجعنا إلى ترتيب سور القُرآن الكريم لوجدنا سوره المائده مثلاً فِى أواخر حياه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله عَلَى ما نقله العيّاشى رحمه الله بإسناده عَنْ الإمام الباقر قَالَ: «قَالَ علىٌّ بن أبى طالب نزلت سوره المائده قبل أنْ يُقبض النَّبِىّ صلى الله عليه وآله بشهرين أو ثلاثه»(١) مقدمهً عَلَى سوره الأنفال، وهكذا.

ولذا مبحث أسباب النُّزول ترتيبه مِنْ المباحث الخطيره، فَإنَّ مَنْ يجهله لا يستطيع أنْ يقرأ بدقه ما فِى القُرآن مِنْ أحداث ووقائع مُتكامله، بَلْ تبقى عنده الصُّوره فيها تشويش وضبابيّه، ولذا تحدّى أمير المؤمنين كُلّ المسلمين والصحابه أنَّهُ لَيْسَ هُنَا مَنْ أعلم منّى بالقرآن فِى موارد مُتعدّده مِنْ خطبه وأقواله مِنْهَا: -

عَنْ سليمان الأعمش عَنْ أبيه قَالَ علىٌّ ما نزلت آيه إلَّا وأنا علمتُ فيمن نزلت وأين نزلت وَعَلَى مَنْ نزلت، إنَّ ربى وهب لى قلباً عقولاً ولساناً طِلْقاً(٢).

١- (١) تفسير العيّاشى: سوره المائده.

٢- (٢) تفسير العيّاشى: ج ١، ص ٢٨، ح ٩؛ البرهان فى تفسير القرآن هاشم البحرانى: ج ١، ص ٤٢، ح ٢٤.

وَعَنْ الأصبغ بن نُباته، قَالَ: لما قدم أميرُ المؤمنين الكوفه... فَقَالَ: «ويل لهم إنِّى لأعرف ناسخه مِنْ منسوخه ومحكمه مِنْ متشابهه، وفَصْلَه مِنْ فصاله، وحروفَه مِنْ معانيه، والله ما مِنْ حرف نزل عَلَى مُحمَّد صلى الله عليه وآله إلَّا وأنا أعرف فيمن نزل، وفى أىّ يَوُم وفى أىّ موضع... ويل لهم والله أنا الذى أنزل الله فىَّ(وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ) فَإنَّها كُنّا عِنْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله فيُخبْرنا بالوحى فأعيه أنا وَمَنْ يعيه، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قَالَ آنفاً؟»(۱).

عَنْ سلم بن قيس الهلالى، قَالَ: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام، يقول: «ما نزلت آيةٌ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله إلَّا أقرأنيها، وأملاها علىّ، فأكتبُها بخطى، وعلّمنى تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله لى أنْ يعلمنى فهمها وحفظها، فما نسيتُ آيه مِنْ كتاب الله، ولا علماً أملاه علىَّ فكتبه مُنْذُ دعا لى بما دعا، وما ترك شيئاً علّمه الله مِنْ حلالٍ ولا حرام، ولا أمر ولا نهيٍ كَانَ أو لا يَكُون، مِنْ طاعهٍ أو معصيهٍ، إلَّا علّمنيه وحفظته، فَلَمْ أنسَ مِنْهُ حرفاً واحداً، ثمَّ وضع يده عَلَى صدرى، ودعا الله أنْ يملأ قلبى عِلْماً وفَهْماً وحكمهً ونوراً، وَلَمْ أنسَ شيئاً وَلَمْ يَفُتْنى شيئاً لَمْ أكتبه فقلت يا رسول الله أوَتخوَّفتَ علىَّ النسيان فيما بَعْدَ؟ فَقَالَ: لستُ أتخوف عليك نسياناً ولا جهلاً، وَقَدْ أخبرنى ربّى أنَّهُ قَدْ استجاب لى فيك، وفى شركائك الَّذِيْنَ يكونون بَعْدَك... الخ»(۲).

۱- (۱) المصدر السابق: ص ۹۰، ح ۱، باب علم الأئمه عليهم السلام بالتأويل عن بصائر الدرجات.

۲- (۲) المصدر السابق: ص ۹۲، ح ۲.

التأريخ وطمس وتحريف الوقائع

وتأثيره فِي معرفه أسباب النزول وتفسير القُرآن

إنَّ المشكله الأساسيّه فِي المدارس الإسّلاميَّه الأُخْرَى غَيْر مدرسه أهل البيت عليهم السلام هِيَ أنَّها مدارس تابعه للسّلطه بَعْدَ وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يومنا هَـذَا ويعتبرون ويتعاملون مَعَ أسباب النُّزول أنَّها ذَاتَ طابع تأريخى، وإذا كَانَتْ تعامل معامله التأريخ فينبغى توخّى أقصى درجات الحذر والانتباه فِي التعالم معها والأخذ عنها؛ لأنَّها بثمابه التعامل مَعَ مصادر التأريخ وموادّه لتيار السّلطه الحاكمه والدوله أثرها عَلَيْهِ دون المضطهدين والمستضعفين؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ السلطه الحاكمه فِي كُلّ زمان تحاول أنْ تكتب التأريخ بما يتلائم ومصلحه النظام الحاكم، وَمِنْ الواضح أنَّ مثل هكذا أمر فيه ما فيه مِنْ طمس للحقائق، وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ مِنْ توخّى الحذر حين التعامل معه كَذَلِكَ إذَا صُبغت أسباب النُّزول بصبغه تأريخيه يُخاف عَلَيْهَا ما يُخاف مِنْ التأريخ وما فيه مِنْ تزييف للحقائق عَلَى يَدِّ وعّاظ السلاطين ومفسريهم.

ولا يفهم مِنْ هَـذَا أننا نُريد أنْ نسلب التأريخيه عَنْ أسباب النُّزول مِنْ جميع الزوايا كلا، فإنّنا لا ننكر الجنبه والزاويه التأريخيه، فَهَذَا مِنْ زاويه

صحيح ويجب أنْ يَكون التعاطى معها بموازين دقيقه، وفى نفس الوقت ينبغى الالتفات إلى أنَّ التعامل مَعَ أسباب النُّزول لَيْسَ كُلَّهُ مبنياً عَلَى أساس تأريخى وَإلَّا فَالقُرآن خالد بخلود البشر، بَلْ خالد بخلود عوالم خلقه الله عَزَّ وَجَلَّ حَتّى فِى عالم البرزخ والآخره... الخ.

وسبب التخوّف والحذر مِنْ التعامل مَعَ التأريخ يعود إلى أنَّ الكثير مِنْ الوقائع والحوادث التأريخيه تُلوعب فيها إلى ما شاء الله وطُمِستْ أو حُرِّفت رغم أنَّها كَانَتْ بمشهد الألوف المُؤلّفه مِنْ البشر، فما ظنَّك بأحداث ووقائع وحقائق يُشكِّل التأريخُ بعضَ زواياها، وحدثت أمامَ قلائل مِنْ البشر وَلَمْ يشهدها الألوف ولا المئات ولا العشرات مِنْ البشر، كيف ترجو لتلك الأحداث أنْ تحفظ وتُصان، كَمَا فِى بَعْض حروب وغزوات ومعارك النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وَالَّتِى هِىَ مثال حىٌّ فِى أسباب النُّزول.

تأثير أسباب النُّزول

عَلَى الآيات المتصله بالعقيده وغيرها:

إنَّ تأثير آيات النُّزول فِى تفسير الآيات المُتّصله بالعقيده وبأسس الفِقْه السياسى والاجتماعى والتربوى و.. الخ لها أثرها البالغ كَمَا فِى واقعه أُحُد الَّتِى نزلت فيها أكثر مِنْ أربعين آيه فِى سوره آل عمران:

(وَ لا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَ تِلْكَ الْأَيّامُ نُداوِلُها بَيْنَ

اَلنّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ (۱۴۰) وَ لِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ (۱۴۱) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّهَ وَ لَمّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصّابِرِينَ (۱۴۲) وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (۱۴۳)...)۱. وما بعدها.

وهكذا غزوه بدر قبلها - أىّ قبل أحد - تعرَّض القُرآن فِى آيات عديده فِى سور مُخْتَلِفه مثل ما جاء فِى سور آل عمران، (وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّهٌ فَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۱۲۳)۲ وقوله تَعَالَى: (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِى مَنامِكَ...)۳ ، وقوله تَعَالَى: (كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ (۵) يُجادِلُونَكَ فِى الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ (۶) وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَ يَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ (۷) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْباطِلَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (۸)۴ .

وهكذا الآيات القرآنيه النازله فِى واقعه الخندق كقوله تَعَالَى: (إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ

اَلْحَناجِرَ...)١ .

وقوله تَعَالَى: (قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً...)٢ .

وقوله تَعَالَى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ)٣ .

وغزوه تبوك إذْ نزل فيها آيات مِنْهَا: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللّهِ)٤ .

وقوله تَعَالَى: (وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَ لا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَهِ سَقَطُوا...)٥ .

وقوله تَعَالَى: (لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ)٦ .

وغيرها مِنْ الآيات الَّتِي نزلت فِي سائر فتوحات وغزوات النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين مِنْ فتح خيبر وَمَكَّه واليمن وغيرها.

كَمَا وأنَّ هُنَاك فتوحات حصلت فِي عهد الخليفه الأوَّل والثانى والثالث والمعروف نسبه تلك الفتوحات إليهم كُلٌّ فِي زمنه، بينما هُنَاك كلام لأمير

المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فِى نهج البلاغه يرويه ابن أبى الحديد المُعتزلى - وَهُوَ مِنْ كبار عُلَمَاء السُّنه فِى شرحه لنهج البلاغه«... ثمَّ نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها وحُسْن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكَّد عِنْدَ الناس نباهه قوم وخمول آخرين فكنّا نَحْنُ ممّن خَمُلِ ذكرهُ وخبت نارُه وانقطع صوته وصيته حَتّى أكل الدهر علينا وشرب ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممّن يعرف ونشأ كثير ممّن لا يَعْرِف... الخ»(۱).

وَقَدْ جاء عِدَّه نصوص تأريخيه فِى ذَلِكَ:

مِنْهَا: ما قاله أبو بكر لعمر عِنْدَمَا فشل الجيش الذى بعثه أبو بكر لقتال كِنده وَلَمْ يفلح المدد أيضاً فاضطرب لذلك أبو بكر، وَقَالَ: «إنِّى عزمت عَلَى أنْ أوجّه إلى هؤلاء على بن أبى طالب؛ فَإنَّهُ عَدْلُ رضا عِنْدَ أكثر النَّاس لفضله وشجاعته وقرابته وعلمه وفهمه ورفقه بما يحاول مِنْ الأمور»(۲).

بتقريب: إنَّ تلك التفوحات كُلَّهَا كَانَتْ إدارتها وتدبيرها بيد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، وسواء كَانَ هَذَا النصّ الذى ذكرنا قبل قليل فِى كلام ابى بكر أو عمر أو عثمان، فَإنَّهُ بالتّالى يكشف النقاب عَنْ دور على ومكانته فِى نفسيه وقلوب المسلمين وسائر القبائل المُتمرّده عَلَى استخلاف أبى بكر، كَمَا فِى إقرار واعتراف مِنْ نفس

۱- (۱) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد المعتزلى، ج ۲۰، ص ۲۹۸-۲۹۹؛ غرر الحكم/ ۴۱۴؛ وأيضاً عنه استشهد به الشيخ محمد السند فى كتابه الصحابه بين العداله والعصمه: ص ۳۵۸-۳۷۵.

۲- (۲) ذكره الشيخ محمد السند فى كتابه الصحابه بين العداله والعصمه: ص ۳۷۷.

أبی بکر بالإحْکام فِی تدبیر علی علیه السلام للأمور.

إنْ کُنّا لا ننسی العملاق الأکبر الذی بنی أصل صرح الدوله الإسّلامیَّه وَهُوَ رسول الله صلی الله علیه وآله مَعَ ید وسیف علی علیه السلام لِأنَّ الْنَّبیّ الأکرم صلی الله علیه وآله هُوَ الذی ربّی وبنی علیاً، وبنی الرسول الأکرم صلی الله علیه وآله بعلی الإسلام، وفی هَذَا الحدیث کفایه وغنی عَنْ باقی الأحادیث والاستشهاد بکلام الصحابه وغیرهم فِی الاستنجاد بعلی ابن أبی طالب علیه السلام، وقت المُلمّات والمواقف المصیریه العَسِیره، وَهُنَاک شواهد مِنْ کتب التأریخ وَالسِّیره عِنْدَ جمهور العامّه تشتمل عَلَی قصاصات کثیره شاهده عَلَی ذَلِکَ، وَقَدْ جمعناها فِی کتابنا الصحابه بین العداله والعصمه، وقام بجمع شواهد أُخْرَی بَعْض الباحثین أیضاً کَمَا أنَّهُ وقفنا عَلَی کثیر مِنْ الشواهد الأُخْرَی زیادهً عَلَی ذَلِکَ سواء فِی الفتوحات الإسّلامیَّه الَّتِی حدثت فِی زمن الخلفاء الثلاث أو فِی عهد بنی أمیّه وبنی العباس مِنْ الأدوار الَّتِی قام بها بَقیَّه أئمه أهل البیت علیهم السلام.

ولذا مِنْ الخطأ أنْ یُقرأ التأریخ قراءه سطحیّه ساذجه بَلْ لابُدَّ مِنْ قراءته بقراءه علمیّه وبفن العلم والحس الأمنی و الجنائی وعلم التحقیقات و... الخ.

وسبب کُلّ هَذَا الفحص والتدقیق والتمحیص؛ لِأنَّ التأریخ اشتمل عَلَی مدلهمات وظلمات وشبکات تآمریّه ضدّ البشریّه جمعاء والإسلام والمسلمین خاصّه، وتکتلات لا تَری إلَّا المصالح الکسبیّه والنفعیّه الخاصّه

بها ولا تنظر هَذِهِ التكتلات إلى التأريخ إلَّا مِنْ طرف وجهه واحده وَهُوَ ما يصبّ بخدمه ومصلحه النظام الطاغوتى الحاكم وإلقاء التعتيم الإعلامى عَلَى كُلّ مَنْ خالفهم، ولذا وجدنا كيف كُتِبَ التأريخ فِى العصر الاموى والمروانى والعباسى و... الخ، وبذلوا الأموال الطائله والهائله فِى سبيل التعتيم الإعلامى والصحفى والكتبى عَلَى كُلّ منقبه قالها النَّبِىّ صلى الله عليه وآله فِى حقّ علىّ وفاطمه والحسن والحسين عليهم السلام والتسعه المعصومين عليهم السلام.

ولذا أعطى وأولى القُرآن الكريم عنايهً خاصّه بحياه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله ووثّقها وأصّلها حَتّى لا تُغَيّر ولا تُطمس، ولذا مِنْ الضرورى جداً التعرُّف عَلَى المهام العظيمه فِى تفسير القُرآن الذى هُوَ المصدر الأوَّل فِى المعرفه الدِّينيّه والتفقّه فِى الدِّين، فَإنَّ معرفه الآيات والسُّور النازله والمرتبطه بغزوات وحروب النَّبِىّ صلى الله عليه وآله ومشاهد أحداث سيرته صلى الله عليه وآله لها بالغ الخطوره فِى فَهُمْ الإسلام وسيره النَّبِىّ الأكرم صلى الله عليه وآله وتفسير آيات القُرآن.

ولذا لا نستطيع قراءه التأريخ بقراءه ساذجه بسيطه أنْ تفطن إلى كشف مثل هكذا أُمُور، بَلْ يفوتَ الكثير الكثير.

فها هُوَ التأريخ يحاول - وحاوَل أنْ يَطْمِس حقائق وقعت وأمام المئات أو الآلاف مِنْ البشر مثل حقيقه واقعه الغدير الَّتِى وقعت أمام مرأى ومسمع أكثر مِنْ (١٠٠) مئه ألف مسلم وَمَعَ ذَلِكَ عمدوا إلى التّحاكم بمبدأ نظريه الشورى والمدرسه السقيفيه وحاولوا خلط الأوراق وَلَمْ يفلحوا فِى ذَلِكَ.

وهكذا مواقف أمير المؤمنين عليه السلام فِي معركه أَحد وكيفيه هزيمه المشركين، وتقدم ذكر الآيات الدَّالَّه عَلَيْهَا وَهِيَ أكثر مِنْ أربعين آيه فِي سوره آل عمران تعرضت وبشكل تفصيلى إلى واقعه أُحُد، ولكن - وللأسف - انظر وقارن بين ما كُتِبَ فِي كتب تواريخهم - العامّه - وكيف صوروا الواقعه بشكل منكوس ومقلوب الحقيقه كَمَا فِي تاريخ الطبرى وابن الأثير، والمغازى للواقدى، وكتب السِيَر وغيرها، وبين ما كشف القناع عَنْهُ أهل البيت عليهم السلام بشواهد وحقائق دامغه ستجد بوناً واسعاً وطمساً للوقائع والحقائق بحسب ما يتماشى ومصلحه النّظام المُتسلّط فِي وقته.

التحريف فِي واقعه أحد:

فمثلاً تسرد كتب العامّه التأريخيه واقعه أُحُد مِنْ أنَّها واقعه فِي بدايتها ظفر المسلمون بالمُشركين، إلَّا أنَّ المسلمين اشتغلوا بالغنائم وأنَّ الرُّماه عَلَى جبل أُحُد عصوا وخالفوا أمر الرَّسول صلى الله عليه وآله وَلَمْ يغادروا الجبل، فنزلوا للغنائم عدا رئيس الرُّماه وقلائل مِنْ المسلمين بقوا عَلَى طاعه الرسول وَلَمْ يُغادروا الجبل، فاستغل هَذَا الموقف خالد بن الوليد وأتى بكتيبه مدجّجه بالسّلاح وأغار عَلَى المسلمين مِنْ خلفهم وَمِنْ وراء الجبل وقتلهم ورشقوا النَّبِيّ صلى الله عليه وآله بالحجاره واثقلوه بالجراحات فشجّوا وجهه وكسروا رباعيته فانعكس الأمر مِنْ ظفر ونصر المسلمين إلى ظفر ونصر المشركين، وَهُنَا حصل ما حصل عِنْدَ بَعْض عليّه الصحابه المُجتمعين عِنْدَ صخره الجبل وراودهم الرجوع إلى دين الأوائل وما كانوا عَلَيْهِ مِنْ الشّرك بالله العظيم وعباده الأصنام والأوثان؛ ولذا وصفهم القُرآن الكريم بقوله تَعَالَى: (وَ ما

مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ)١ .

وهكذا تنقل مصادر العامّه التأريخيه فِي واقعه أُحُد أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قَالَ لأحد المسلمين انظر إلى قريش فإنْ ركبوا الخفاف - يعنى الجمال - فلن يغيروا عَلَى المدينه؛ لِأنَّ الجمال تركب لأجل السفر، وإنْ ركبوا الحوافر - يعنى الخيل أىّ الفرس - فسيُغيرون عَلَى المدينه ينتهبونها ويسبون نساءها وأموالها، وجاء البشير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يُبشِّره بأنَّ قريشاً ركبت الخفاف، فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وآله إذَنْ لن يغيروا عَلَى المدينه وذهبوا و... الخ.

هَذَا هُوَ تصوير تأريخ العامّه لواقعه أُحُد، وغيّبوا وحذفوا المشهد الأخير مِنْ واقعه أحد وعتموا عَلَيْهِ، وَهُوَ المشهد الذى تنقله مصادرنا وفيه موقف مُشرِّف لعلى بن أبى طالب عليه السلام وخزى وعار عَلَى بَعْض الصحابه الذى يعدّونه مِنْ عِلِيّه القوم ألا وَهُوَ الخليفه الثَّالِث الذى فرَّ وولّى هارباً مِنْ ساحه المعركه وذهب بها عريضه، وَلَمْ يرجع إلَّا بَعْدَ ثلاثه أيام وعيّروه بها وأنَّ كُلّ مَنْ فرَّ رجع بَعْدَ المعركه إلَّا أَنْتَ... الخ.

ولذا تعمّدوا لطمس هَذَا المشهد الثَّالِث لِأنَّ فيه منقبه لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام، علماً أنَّ هَذَا المشهد وقع أمام أنظار المئات، بَلْ الآلاف مِنْ البشر، وَمَعَ ذَلِكَ بذلوا كُلّ ما بوسعهم لتغييبه عَنْ أصل واقعه أُحُد.

تصویر المشهد الثالث من معرکه أحد فی روایات أهل البیت علیهم السلام

إنَّ الآیـات القُرآنیّه النَّازله فِی غزوه أُحُـد یمـا یقرُب ال - (۶۰) سـتین آیه فِی سوره آل عمران(۱) عدد لَیْسَ بالسـهل فِی هکذا غزوه، وَهَذَا یُدَلل عَلَی أنَّها تَتَضَمَن الشیء الکثیر مِنْ الدلالات والإشارات المُهِمَّه المطالب ترتبط بالمعارف وَمِنْهَا العقائد، والذی یهمنـا الآن بحثه هُوَ ما یرتبط بمحل بحثنا ألا وَهُوَ مبحث أسـباب النُّزول المرتبط بترتب الآیات وَأنَّهُ کیف وقع التحریف والتزویر فِی أسـباب النُّزول ممّـا أدّی إلی الخروج باسـتنباطات واسـتظهارات - حَـتّی لـدی الخـاصّه - فِی أبحـاثهم التفسـیریّه أو حَتّی فِی أبحاث الفِقْه السیاسی أو الفِقْه الاعتقادی أو... الخ مُلفَّقه یُزَرَّق ویُجرَّع بها السذّج مِنْ الناس إلی أنْ قریشاً ربحت الغزوه وخرجت منتصـره، وأنَّ النَّبِیّ صـلی الله علیه وآله خَسِـرَ المعرکه، وانکسر جیش المسلمین وظهرت شماته الیهود حَتّی قالوا: «لو کَانَ نبیّاً ما ظهروا عَلَیْهِ ولا أصـیب مِنْهُ ما أُصـیب حینما رَشِق العدو بالحجاره وجه رسول الله صـلی الله علیه وآله فأثقلوه جُراحاً فشجّوا وجهه وکسروا رباعیته» وأنَّ الرسول صلی الله علیه وآله کان

۱- (۱) سوره آل عمران: الآیه ۱۲۱-۱۸۰.

يقول لأحد أصحابه بعدما انتصرت قريش، انظر: إنْ ركبت قريش الخف - يعنى الجمال - فسيذهبون إلى مَكّه، وإنْ ركبوا الحوافر فإنَّهم سوف يغزون المدينه فذهب وأتى بالبشاره وأنَّهم ركبوا الخِفَّ، ولولا أنَّ هُنَاك رجالاً مُخلصين نجدوا رسول الله صلى الله عليه وآله، لقُضِيَ الأمر ولكنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كتب عَلَى نفسه نصر المؤمنين واعزاز رسول الله وتمكين دعوته، هكذا صوّر تأريخ العامّه غزوه أُحُد.

وأمَّا ما ذكرته روايات أهل البيت - عَلَى ما هُوَ الصحيح: أنَّ النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وكذا أمير المؤمنين لَمْ يَفِرا مِنْ ساحه المعركه وأنَّهما صَمَدا مَعَ آحاد مِنْ خُلَّص أصحاب الرسول مِنْ دون أصحاب السقيفه، والرسول صلى الله عليه وآله مأمور بالثبات، وَلَمْ يَفِرّ صلى الله عليه وآله كَمَا فَرَّ الفارون، كيف وَالقُرآن يَذِم الَّذِيْنَ فرّوا وأنَّ الفرار مِنْ الزحف مِنْ الكبائر، وَعَلَيْهِ فكيف تدّعى مصادر العامّه أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله فرَّ وَهُوَ مأمور بالثبات بنصّ القُرآن حَتّى لو بقى وحده صلى الله عليه وآله واستشهد هُوَ وَمِنْ معه(فَقاتِلْ فِى سَبِيلِ اللّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاّ نَفْسَكَ وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ اللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَ أَشَدُّ تَنْكِيلاً)١ .

بتقريب: فِى روايه زيد الشَّحام عَنْ جعفر بن مُحمَّد عليهما السلام، قَالَ: «... وما لقى سَرِيّه مُذ نزلت(فَقاتِلْ فِى سَبِيلِ اللّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاّ نَفْسَكَ ٢ » وأنَّ وظيفه رسول الله صلى الله عليه وآله تختلف عَنْ وظيفه باقى المسلمين فَهُوَ

مأمور بالجهاد والقتال حَتّى لو بقى وحده، وتحريض المؤمنين وحثّهم عَلَى القتال(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (۶۵)۱ حَيْثُ بلغ شهداء أُحُد (۴۹) تسعه وأربعون شهيداً بضمنهم عَمّ النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وَهُوَ حمزه بن عبدالمطلب رضوان الله تَعَالَى عَلَيْهِ، وَلَمْ يبقَ فِي ساحه القتال إلَّا النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وحوله أمير المؤمنين عليه السلام الذى كَانَ قَدْ اختفى تحت فرسه وقريش المُدجّجه بالسلاح قَدْ أحاطت برسول الله صلى الله عليه وآله فاقتحمهم أمير المؤمنين عليه السلام وعَمَد إلى رئيس الأولويه وقدّه بالسيف نصفين فانفكت الحلقه الأُولى مِنْ مُسلحيّ قريش المُحيطه برسول الله صلى الله عليه وآله ذعراً وخوفاً، ولاحق أمير المؤمنين عليه السلام أصحاب الأولويه واحداً تلو الآخر حَتّى قتلهم جميعاً وفرّت كُلّ قريش.

ولنا وقفه فيها عِدَّه تساؤلات:

الأوَّل: لو كَانَ ما تدّعيه المصادر التأريخيه للعامّه مِنْ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله فرَّ مِنْ ساحه القتال لما تَعَرَّضَ إليه مِنْ قبل عتاه قريش مِنْ الرمى بالحجاره وشجّوا وجهه وكسروا رباعيّته وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ الأعمال الشنيعه، وَهَذَا دليل عَلَى بقائه هُوَ صلى الله عليه وآله مَعَ أمير المؤمنين عليه السلام وصمدوا إلى أنْ حققا النَّصر بإذن الله تَعَالَى.

الثَّانِى: نسأل محقّقوا المصادر التأريخيه للعامّه أين الفصل الثَّالِث - إنْ صَحَّ التعبير - مِنْ غزوه أَحُد وما هُوَ موقفكم مِنْهُ، وماذا جرى بَعْدَ هزيمه المسلمين، علماً أنَّ هَذَا الفصل قَدْ ذكرته وثبتته مصادر التأريخ الشيعيه؟

الثَّالِث: بتغييبكم للفصل الثَّالِث مِنْ غزوه أُحُد ما الذى تريدون إيصاله إلى أجيال البشريه والمسلمين القادمه؟

الرَّابع: لو تنزّلنا وسلّمنا أنَّ غزوه أُحُد حُسِمَت لصالح قريش، فلماذا.

أ) لَمْ يقوموا بغاره عَلَى أهل المدينه.

ب) لَمْ يسبوا نساءهم وذراريهم؛ لِأَنَّ مِنْ عاده وطمع المنتصر وحرصه عَلَى أخذ الغنائم لا سيّما قريش، فهل اتّصفت - قريش بالنزاهه والمسامحه فِى هَذَا الموضع فَقَطْ، وَلَمْ يكن طبعهم ذاك المُتّصف بالغِلظه والسلب والنّهب والقتل؟

علماً أنَّ غزوه بدر لَمْ يَمْرُرْ عَلَيْهَا سوى سنه واحده، وَالَّتِى انتصر فيها المسلمون عَلَى المشركين واستعادوا الحقوق المسلوبه، وَأىّ شبهه هَذِهِ عِنْدَ قريش، أو عِنْدَ الكفّار، أو عِنْدَ القبائل آنذاك فِى حروبها وغزواتها قبل الإسلام بأنَّ لا يسلبوا ولا يَسْبُوا النساء ولا يغنموا أصلاً؟! أم كَانَ واقعهم العكس وَهُوَ الصحيح، بأنْ كَانَ ديدنهم وَهُوَ الغنيمه بَعْدَ الظفر والسّلب والسّبى حَتّى بَعْدَ دخولهم الإسلام الحنيف، ويكفى شاهداً عَلَى ذَلِكَ ما فعلوه بكربلاء وبمعسكر الحسين عليه السلام مِنْ سلب الخيام وَمَنْ كَانَ فيها مِنْ

النِّسَاء والأطفال وحرقها، حَتّى عمدوا إلى سلب الخاتم الذى كَانَ بخنصر الحسين عليه السلام بَعْدَ استشهاده وَغَيْر ذَلِكَ، فكيف الآن بقريش بَعْدَمَا انتصرت انتصاراً صورياً مزعوماً وَلَمْ تسلب الأموال وَلَمْ تغنمها وَلَمْ تَسْب النساء، وَأَنَّها ترفَّعت شأناً!! كيف يُعقل كُلّ هَذَا وكيف ينطوى عَلَى ذوى الألباب والعقلاء.

ج -) ولو تنزّلنا وسلّمنا انتصار قريش وحسم المعركه لها كَمَا تذكرها مصادرهم - العامّه - التأريخيّه كتاب الطبرى وسائر كتب السير عندهم، وأنَّ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله فرَّ فوق الجبل - والعياذ بالله - وهل هَذَا إلَّا إزراءٌ برسول الله صلى الله عليه وآله؟!

وَمِنْ خلال الإجابه عَنْ هَذِهِ التساؤلات وغيرها يتّضح جليّاً أهميّه معرفه الباحث الكريم بأسباب النُّزول حلقه حلقه، وأنْ لا تفتقد حلقه واحده مِنْهَا؛ لانه بفقدها واحده مِنْهَا يحدث للباحث ما حدث فِى تدوين غزوه أُحُد كَمَا فعلت الأقلام المأجوره أتباع بنى أميّه وبنى العباس وغيرهما بتغييب وقطع هَذَا المقطع مِنْ مسلسل حلقات معركه أُحُد، لَيْسَ ذاك إلَّا لأجل أنَّ فِيه منقبه بيان الدور الرئيسى والأساسى لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين عليه السلام فِى حفظ الدِّين وحياه الرساله دون الصحابه، وأنَّ النَّصر كَانَ معقوداً عَلَى ساعد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، وَهَذَا شىءٌ لَمْ يُرَق ذكره لهم حَتّى لو استلزم مِنْ حذف هَذَا المقطع نسبه الفرار مِنْ الزَّحف، وارتكاب النَّبِىّ صلى الله عليه وآله لكبيره - وحاشاه صلى الله عليه وآله مِنْ ذَلِكَ - علماً أنَّ الواقعه نزل فيها قرآن، وَعَلَيْهِ فعدم تتبع ذاك يوقع الباحث الكريم والمتتبّع بمثل هكذا

نتائج سلبيّه.

وَالنَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله لما كَانَ يَوُم الغد مِنْ بَعْدَ معركه أُحُد خَرَجَ لطلب العدو واستنفرهم لمطارده العدو عَلَى أنْ لا يخرج معه صلى الله عليه وآله مِنْ المسلمين إلَّا مَنْ حَضَر واقعه أُحُد وجُرِحَ.

وفعلاً خَرَج النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وخرج مَنْ معه وَعَلَى رأسهم أمير المؤمنين حَيْثُ بلغو حَمْراء الأُسْد - وَهُوَ مَوْضِع عَلَى ثَمانيه أميال مِنْ المدينه المنوّره - والمَعْرُوفه ببدر الصغرى، وأقام بها النَّبِيّ صلى الله عليه وآله ثلاثه أيام، وَكَانَ أبو سفيان وأصحابه بالرُّوحاء، وَمَرَّ بِهِم معبد الخزاعى وَكَانَ قَدْ مَرَّ بالنَّبى صلى الله عليه وآله وَمَنْ مَعَه فسَألَ عَنْ شَأنَهم فَقَالَ معبد: - إنَّ محمداً صلى الله عليه وآله قَدْ خرج فِى أصحابه يطلبكم فِى جمع لَمْ أرَ مِثْلَه قَط يَتحرّقون عليكم تَحَرُّقاً و... ولما سَمَعَ أبو سُفيان مَقَاله معبد خاف عَلَى نفسه وأصحابه فَرَجعوا إلى مَكَّه وَقَدْ خشوا أنْ يَكُون للنَّبى صلى الله عليه وآله, وأصحابه قتالاً غَيْر الذى كَانَ فِى أُحُد.

فَإنَّ هَذَا المشهد الأخير أىّ الفصل الثَّالِث قَدْ غُيِّبَ مِنْ معركه أُحُد فِى مصادر العامّه التأريخيه - كَمَا مَرَّ - علماً أنَّهُ قَدْ حصل أمام أعيُن المئات، بَلْ الالاف مِنْ النَّاس آنذاك.

وهكذا الحال فِى غدير خم وتنصيب الرسول صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين على ابن أبى طالب عليه السلام خليفةً شرعياً عَلَى المسلمين أيضاً حاولوا أنْ يطمسوه ويُغيّبوه، وَهُمْ بأنفسهم نقلوه، وأنَّ عدد الرواه الَّذِيْنَ رووا حديث الغدير مِنْ طرق أهل السنه (١١٠) مئه وعشره راوٍ مِنْ الصحابه و (٨٠) تابعياً و

(۳۶۰) مِنْ مشاهير عُلَمَاء المسلمين ومؤلفيهم.

وَهَذِهِ الأعداد تشكل تواتراً وَهِيَ تكفى لإثبات أىّ حديث يُراد إثباته، إلَّا فيما إذا كَانَتْ فيه منقبه مقام وولايه فِى الدِّين لعلىّ بن بى طالب عليه السلام فالأمر مُخْتَلَفٌ فيه.

وَهُنَاك روايه يرويها الشَّيْخ المفيد رحمه الله فِى أماليه عَنْ أبى بكر مُحمَّد بن عمر الجعابى عَنْ ابن عُقده أحمد بن مُحمَّد بن سعيد، قَالَ: حدّثنا على بن الحسين بن فضال التيملى وجدتُ فِى كتابى أبى - أىّ الحسن بن فضّال - حدثنا مسلم الأشجعى عَنْ مُحمَّد بن نوفل ابن عائذ الصيرفى، قَالَ: كنتُ عِنْدَ الهيثم بن حبيب الصيرفى فدخل علينا أبو حنيفه النُّعمان بن ثابت فذكرنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ودار بيننا كلامٌ فِى غدير خم، فَقَالَ أبو حنيفه: - قَدْ قلت لأصحابنا لا تُقِرّوا لهم بحديث غدير خم فيخصموكم، قَالَ فتغيَّر وجه الهيثم بن حبيب الصيرفى، وَقَالَ لَهُ - لأبى حنيفه - لِمَ لا يُقرّون به أما هُوَ عندك يا نعمان؟ قَالَ: بلى هُوَ عندى وَقَدْ رويته، قَالَ فَلِمَ لا يقرّون به وَقَدْ حدّثنا به حبيب بن أبى ثابت عَنْ أبى الطفيل عَنْ زيد بن أرقم أنَّ علياً نشد الله فِى الرحبه مَنْ تسمعه، فَقَالَ: أبو حنيفه أفلا ترون أنَّهُ قَدْ جرى فِى ذَلِكَ خوضٌ حَتّى نشد علىٌّ الناس فِى ذَلِكَ؟ فَقَالَ الهيثم، فَنَحْنُ نكذب علياً أو نَرّد قولَه؟ فَقَالَ أبو حنيفه ما نكذب علياً ولا نرد قولاً قَالَ: ولكنَّك تعلم أنَّ الناس قَدْ غلا منهم قومٌ، فَقَالَ الهيثم: يقوله رسول الله صلى الله عليه وآله ويخطب به ونُشْفق نَحْنُ مِنْهُ ونتقيه بغلو

غال أو بقول، قَالَ (۱).

بتقريب: أَنَّهُ بمجرد فرض وجود فئه عَلَى أنهم غلات فهل هَـذَا يعنى أَنَّهُ يجب علينا أنْ نطمس الحقّ لئلا يغل غالٍ أو يقول قائل، فَهَـذَا هُوَ قول وفكر أبى حنيفه فِى إنكـار الحَقّ وطمس الحقـائق، وَعَلَيْهِ إذَا سـرّينا هَـذِهِ القضـيه إلى كُلّ الحقائق الـدِّينيه والإلهيّه فحينئـذٍ سوف تكون النتيجه: أَنَّ كُلّ الحقائق قَـدْ يغلو بها غالٍ أو يقول بها قائل حَتّى التوحيـد حَيْثُ تَذَرَّعَ به أىّ بالتوحيد إبليس لجحد الانقياد لقياده آدم عليه السلام الذى هُوَ مِنْ أوضح الواضحات قَدْ ينحرف به منحرفٌ.

علماً أَنَّ أبا حنيفيه لا يُؤمن بذلك ولا يراه قطعاً، وَإنَّما يؤمن بذلك فِى خصوص ما يرتبط بأمر الإمامه والإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحديث غدير خم وما تلك إلَّا شنشه أعرفها مِنْ أخزم.

وهكـذا هُنَـاك روايه يرويهـا العيّاشـى فِى تفسـيره عَنْ الإمام الصادق عليه السـلام فِى بيان مظلوميه أمير المؤمنين عليه السـلام ما مضـمونه: لو كَـانَ لأحـدكم دار وتخاصـموا بها... وترافعوا إلى الحاكم أفيكفى لإثبات حقّه اثنان، قَالَ: نعم، وأمير المؤمنين عليه السلام جاء ب - (۱۲۰) ألف شاهد وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يتمكّن مِنْ إثبات حقّه.

وَمِنْ كُلّ هَذَا يُستفاد أَنَّ:

۱- (۱) أمالى المفيد: ص ۲۶ ح ۹ من المجلس الثالث بتصرف.

التلاعب فِی تدوین النُّزول:

الحقائق عِنْدَ المدارس الإسّلامیَّه الأُخْرَی والتلاعب بأسباب النُّزول - عدا خط مدرسه أهل البیت علیهم السلام - أمرٌ فِی غایه السهوله والکثره إذْ هُمْ طمسوا أکبر الحقائق التأریخیه المشهود کجموع جَمٍّ غفیر فکیف لما دونها فِی المشهد والمرأی مِنْ قله الرائین.

وَقَدْ نقل ابن أبی الحدیث المعتزلی لکلام أمیر المؤمنین علیه السلام علی بن طالب علیه السلام ص ۲۴: «... ومات کثیر ممّن یعرف وونشا کثیر ممّن لا یعرف... الخ» حَیْثُ یُبیِّن علیه السلام - أنَّ الفتوحات الَّتِی جرت فِی عهد الثلاثه کُلَّهَا کَانَتْ بتدبیر مِنْ أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام إلَّا أنَّ ذَلِکَ الجیل المعاصر للفتوحات طمس هَذِهِ الحقیقه إمَّا بسبب العناد أو بسبب الخوف والرهبه مِنْ سلطان المستولین عَلَی الخلافه أو للتخاذل وذهب ذَلِکَ الجیل العارف للحقیقه ونشأ جیل مِنْ بعدهم لا یعرف حقیقه الأمر فنسب الفتوحات إلی المستولین الثلاثه عَلَی الخلافه.

وهکذا نشأت جمله غفیره مِنْ حقائق التأریخ، ورغم هَذَا الطمس فَقَدْ بقیت قصاصات عدیده مِنْ الشّواهد الدَّالَّه عَلَی أنَّ تدبیر الفتوحات کُلَّهَا کَانَتْ مِنْ نصیب أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام.

وما هَذَا إلَّا الکشف عَنْ أنَّ هؤلاء سادرون وماضون فِی غیّهم، وَهُنَاک مشاهد عدیده فِی تأریخ الإسلام وسیره النَّبِیّ صلی الله علیه وآله والأئمه الأطهار علیهم السلام حضرها الألوف مِنْ النَّاس وَمَعَ ذَلِکَ طُمست لأسباب ودواعی مصلحیّه

خاصّه، فكيف بالأحداث والمشاهد الَّتِى حضرها عدد الأصابع أو العشرات أو المئات ولا تُطْمَس؟ بَلْ هُنَاك مشاهد أَخْرَى كثيره طمست وحُرِمت مِنْهَا الأجيال مِنْ الاطّلاع والوقوف عَلَيْهَا لأجل أنْ تستنتج موقفاً وصوره كامله عَنْ الحدث، وَعَلَيْهِ إذَا كَانَ الحال هكذا فَإنَّ تسالماتهم فِى التأريخ خطيرهٌ جدّاً لأنَّها تسالمات عَنْ غىٍّ وباطلٍ؛ ولذا كَانَ التّشديد مِنْ قبل مدرسه أهل البيت عليهم السلام عَلَى التدقيق فِى توثيق التأريخ وترتيب أسباب النُّزول بالشكل الذى لا يطمس الحقائق ويُضيّعها، وَهَذَا ما يُناغم عقول البشر خاصّه النُّخب العلميه مِنْهُ فِى زماننا بَعْدَ أنْ اتّضحت الحقائق وأُسدل الستار عَنْ كثير مِنْهَا أمام عقول البشر منقطعاً لو دار الأمر بين أنْ يُصغى إلى تدوين السّلطان والحكّام أو يصغى إلى تدوين الأقلام الحُرَّه المُستقلّه، بَعْدَ إدراك العقول السليمه والصحيحه لقبح الظلم وحُسْن العدل؟ فَإنَّ العقول السليمه تختار ما كتبته الأقلام الحُرَّه دون المُتحيّزه لفئه أو جهه لِأَنَّ المتحيز لتلك الجهه أو السّلطه لا يكتب إلَّا لصالح سلطويّه تلك الجهه أو السلطه، فَمِنْ الغريب مَعَ كُلّ ما يُشاهَد مِنْ سعى حكومات الجور بَعْدَ السقيفه مِنْ طمس الحقائق سذاجه عِدَّه مِنْ الباحثين باسترسالهم لظاهر ما دُوِّنَ مِنْ التأريخ مِنْ دون يَقضّهٍ ونباههٍ لتجميع القصاصات والتنقيب عَنْ تناثر الشّواهد لحقائق التأريخ المطموسه مما يتطلّبه البحث والتحقيق، نظير الباحث المُحقِّق فِى مجال الجنايات وعلم التحقيقات الجنائيه، فَإنَّهُ لا يسترسل بظاهر الحال ولا يكتفى بالمُترائى السطحى بَلْ يدأبُ مُنّقِباً ويفحص مُتتبعاً

لِكَلِّ شارده ووراده حَتّى يجتمع لديه قصاصات عَنْ أبعاد الحقيقه المطموسه.

فالباحث فِي أسباب النُّزول أو سيره النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وتاريخ الإسلام وسيره أهل البيت عليهم السلام لا يتوهّم الأمانه مِنْ الكتب الَّتِي كُتبت بأقلام وعّاظ السلاطين والكتّاب المُقرّبين مِنْ حكومات الجور فَإِنَّ هَذَا أمرٌ مُحال بَلْ لابُدَّ عَلَيْهِ مِنْ التفتيش والتنقيب وشمشمه رائحه الحقيقه مِنْ عَلَى بُعْد مسافاتٍ مِنْ وراء طبقات الطمس والإخفاء.

وَعَلَيْهِ إذَا كَانَ الكُتّاب لأسباب النُّزول أو الكُتّاب للتأريخ تحت رعايه هكذا سلطات ظالمه فرعونيّه فَإِنَّهُ لا يمكن التعويل عَلَى هكذا نمط من الكُتّاب للتأريخ ولأسباب النُّزول.

ولا يظنّن الباحث فِي علم التأريخ عِنْدَمَا يودعه المبطلون، هكذا روايات مُزيّفه أو مُحرّفه أنَّها سوف تنطلى ولا تنكشف، هِيَ وإنْ لَمْ تنكشف فِي فتره معيّنه إلَّا أنَّ الأُمَّه مليئه بالشّخصيات العلميه والمحقّقين والمدققين وإنْ كَانَ بعضهم انضوى تحت مظلّه السّلطه الحاكمه، إلَّا أنَّ البعض الآخر بقى عَلَى ما هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حريّه الفكر والقلم ويتمتع بقدرات علميّه واستراتيجيه ضخمه وَلَهُ النقد البناء والعميق المُبتنى عَلَى ضوابط وموازين وقوّه ودقّه تحليل يستطيع مِنْ خلالها أنْ يفطن إلى بَعْض حقائق التأريخ وفرز الغث مِنْهَا عَنْ السمين والمُحرَّف والمُزيّف عَنْ الصحيح؛ لِأَنَّ الخطوره فِي التأريخ تُضْفى وتُلْقى بظلالها عَلَى العقيده والمعتقد الذى يعتقد به الباحث والكاتب وَعَلَى مصادر المعرفه الدِّينيه وغيرها، وَعَلَيْهِ فلا يمكن التعاطى

مَعَ التأريخ بقدرات بسيطه ومتواضعه وساذجه، فَإنَّ التأريخ لَيْسَ فَقَطْ عقيده مُتجسّده مُؤرّخه ومنبع ومدار ومستندات ووثائق دينيّه وحياتيه مُهمّه كلا، وَإنَّما الأمر أوسع واكبر مِنْ ذَلِكَ، ولذا اقتصرنا عَلَى ذكر أمثله ترتبط ببدو تأريخ الإسلام لبيان أهميّه التحقيق فِى مصادر المعرفه الدّينيه وَمِنْ أهمها وأمثلتها المُهِمَّه جدّاً البالغه الأهميه هِىَ أسباب النُّزول وتأثيره فِى تفسير القُرآن.

ص:٧٨

أسباب النزول وخطوره التنقيب عن الحقائق المطموسه فِى السِّيره

أسباب النُّزول لها بُعدان:

تَحصَّل ممّا سبق تَقَدَّمَ أنَّ أسباب النُّزول لها بُعْدان:

البُعد الأوَّل: تاريخى باعتبار أنَّ مورد نزول الآيات حَدَثٌ تأريخى.

البُعد الآخر: مرتبط بخلود القُرآن، ثَمَّه كَانَ أمر التدقيق والتّوثيق فِى التأريخ حساسٌ للغايه؛ لِأَنَّ التّأريخ فِى الغالب كُتب بأقلام سلطويّه - كَمَا مَرَّ - وَهِىَ عاده تسمح لأقلام كُتّابها الكتابه بما يروق لهم ولمصالحهم، لا كتابه الحقائق كَمَا هِىَ والشواهد عَلَى مَرّ العصور كثيرهٌ، واقتصرنا عَلَى ذكر جانب مِنْهَا فيما يخصّ سيره النَّبِىّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأسباب النُّزول للقُرْآن الكريم وتاريخ الإسلام وسيره المعصومين عليهم السلام، فَإِنَّ هَـذَا التأريخ لَيْسَ لونه تأريخ فَقَطْ، وَإِنَّما عقيده مُتأرخه فَإِنَّ هُنَاك تواتر نظرى أىّ لا يمكن الوقوف عَلَى آحاد مفرداته وَالَّتِى تُشكِّل فِى النّهايه بتراكمها تواتر إلَّا بإعمال

النظر والبحث والتنقيب، يحتاج إلى مَلَكَةٍ ونظر فِي استنباطه، ويُفتش عَنْ موارد التّواتر الموزّعه والمغيبه وَالَّتِي طُمِست بأقلام السّلطات الأمويّه وغيرها حول شهاده الإمام الحسين عليه السلام أو سيره المعصومين عليهم السلام وما جرى عليهم كَمَا هُوَ الآن فِي جُمله مِنْ الأماكن المُقدّسه كمكّه المُكرّمه والمدينه المُنوره وكربلاء والنجف والكاظميه وسامراء وخراسان و... الخ فَإِنَّ مواطن المعصومين مقدّسه كَمَا يفصح القُرآن الكريم عنها وَأَنَّها عديده فِي الأرض(يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَ لا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ (٢١)١ .

بتقريب: إنَّ الأراضى المُقدّسه عديده ولها بُعْد جغرافى، إلَّا أنَّ هَذَا البُعْد لَهُ فيها مساس حقيقى بالعقيده المُقدّسه، وَهَذَا أمر يجب أنْ يوضع بالحسبان وبنظر الاعتبار، ولذلك - وللأسف - أنَّهُ قَدْ يحصل تهاون فِي ضبط الأجيال المُتأخّره لمصادر سيره النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وَالَّتِي تمثِّل جانب مهم مِنْ أسباب النُّزول فِي تفسير القُرآن الكريم، فَإِنَّ سيره النَّبِيّ صلى الله عليه وآله نفسها منبع للشريعه وللعلوم والمعارف الدِّينيه، وَعَلَيْهِ فكيف يتهاون فِي هَذَا المنبع مِنْ المصادر وتؤخذ الأُمُور عَلَى عواهنها، فَإِنَّ مثل هكذا أمر فِي غايه الخطوره، ولذا نحتاج إلى باحث لَهُ علم أمنى وجنائى يعتمد عَلَيْهِ فِي استخراج هَذَا التواتر الذى حاولت السّلطات الظالمه التعتيم الكامل عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ تأريخنا كُلَّهُ مُنْهَتَك ومُنتَهَك بالصراعات ولا يُفرَّط به ولو بمقدار قصاصه يسيره

مِنْهُ، فَإِنَّها تفتح الطريق أمامنا للوصول إلى مواد وقصاصات وشواهد أَخْرَى لأجل أنْ تساعد الباحث الكريم فِى هَذَا المضمار إلى ذَلِكَ التواتر النظرى الاستنباطى.

وغرضنا مِنْ التشديد عَلَى هَذِهِ الجنبه؛ لِأَنَّ الكثير مِنْ الباحثين فضلاً عَنْ المُشرفين عَلَى الدراسات الأكاديميه العُليا وللأسف يستقون مباحث سيره النَّبِىّ صلى الله عليه وآله مثلاً أو روايات أسباب النُّزول أو تاريخ الإسلام مِنْ مصادر مُتَشرِّقه ومُغَرِّبه وكأنَّهم يَغفلون عَنْ الأقلام الَّتِى حاكت ونسجت الكثير مِنْ الزيف والتحريف كابن الأثير فِى الكامل أو ابن هشام فِى أوَّل سيرته الَّتِى فيها عباره«لَمْ أذكر كثير مِنْ الأُمُور الموجوده فِى الأبحاث لأَنَّها لا يُرْضى بها كثير مِنْ النَّاس والسّلطه... الخ»(١).

وَهَذَا إلى حدٍّ ما يشبه عمل المؤرخين والصحفيين أو الإعلاميين سواء المقروء مِنْهُ أو المسموع أو المرئى الموالى للسلطه الحاكمه الَّتِى لا تسمح بأنْ يكتبوا وينقلوا للأجيال المعاصره أو الآتيه كُلّ ما فِى الحقيقه إلَّا لما فيه ترويج لمصالحهم الشخصيّه.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الحقيقه دائماً لن تنعكس مِنْ خلال ما يكتبه ويسطّره الباحثون ولا تظنَّ أنَّ سماء التأريخ صافيه وَلَمْ يكن فيها مُنْذُ القِدم صراع وإرهاب ورعب مِنْ حكّام الدوله إلى الرعيّه كدوله بنى أميّه وبنى العبّاس

١- (١) سيره ابن هشام

و... الخ، فَإنَّ أقلام كُتّابهم تصفهم بوصفٍ ينطلى عَلَى كثير مِنْ الباحثين يأتيهم مِنْ الحُكّام والساسه المنصفين والمُهتمين بشؤون رعيتهم وذوو مرؤه وأنَّهم كانوا يعيشون النظام الديمقراطى والحريّه... الخ.

وَعَلَيْهِ لأجل أنْ نستخرج التواتر النظرى فِى كثير مِنْ الأحداث فِى التأريخ الَّتِى عتّمت عَلَيْهَا سُلطات الظُلم والجور فنحتاج إلى باحث مُتتبع ومنتبه ويقظٍ ومُلتفت وفطن حَتّى يبين لنا بَعْض الشىء مِنْ الحقائق الَّتِى عُتِّمَ عَلَيْهَا مِنْ قبل الظالمين، كَذَلِكَ الحال بالنسبه إلى أسباب النُّزول وسيره النَّبِىّ صلى الله عليه وآله والأئمه عليهم السلام، فَهُنَاك الكثير مِنْ الحقائق مغمورةٌ تحتاج إلى تنقيب، وَمِنْ الواضح لدى المُحقّقين والمُتتبعين فِى هَذَا المجال أنَّ التنقيب والتدقيق هُوَ سيد الموقف فِى القضايا العلميّه لا التطفّل عَلَى ما توصّل إليه الغير، أو الاعتماد فِى البحث عَلَى أصاله العدم، أىّ الأصل عدم وجود هكذا مباحث وَإنَّما هِىَ مستحدثه و... الخ فَهَذِهِ أُمُور ليست أصليه ولا يعنى إهمالها بالمرّه، وَإنَّما يستطيع الباحث أنْ ينظر إلى ما توصَّل إليه الغير كعامل مساعد إنْ كَانَ ما توصل إليه الغير صحيح وَعَلَى الضوابط والموازين العلميّه.

والشَّاهِد عَلَى ذَلِكَ هُوَ التلاعب بأسباب النُّزول، فَإنَّ نتيجه عدم التنقيب والتدقيق والتمحيص والتحقيق فِى روايات أسباب النُّزول وللأسف حَتّى مِنْ كبار العُلَمَاء انطلت عليهم كثير مِنْ الحقائق وطمست، فَإنَّ كثيراً مِنْ أسرار القُرآن الكريم طمست وغيبت بطمس أسباب النُّزول الحقيقيه الصادقه، وخيرُ شاهدٍ ما حصل فِى غزوه تبوك فَإنَّهُ لَمْ يحصل فِى

تبوك قتل ولا قتال عَلَى ما جاء فِي مصادرنا كَمَا ذكره الشَّيْخ المفيد فِي إرشاده «... كَانَ الله قَدْ أوصى إلى نبيّه أنْ يسير إلى تبوك وأعلمه أنَّهُ لا يحتاج فيها إلى حرب ولا يُمنى بقتال عدوٍّ...»(١).

بتقريب: إنَّ النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قاد جيشاً عربياً مِنْ المدينه المنوّره إلى منطقه تبوك بَعْدَ وصول أنباء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عَنْ مجيء جيش الرُّوم لغزوا المسلمين والهيمنه عَلَى البلاد الخاضعه لحكم الإسلام بَعْدَمَا قويت الحكومه الإسّلاميَّه وَأنَّها قوّهٌ لا تُقهر، فقام النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بعزم شامخ لتهيئه جيش قوى يغزو به الرُّوم ويكسر شوكتهم(٢) فلو لاحظنا المصادر التأريخيّه لِمَنْ يُنَقِّب: - أنَّهُ حصل فِي تبوك اصطدام عسكرى مَعَ الروم فِي بدايه الأمر وهُزِمَ المسلمون لِأنَّ على بن أبى طالب لَمْ يكن فيهم، وَأنَّهُ نَدَب النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله علياً بطريق المعجز بطى الأرض وجاء مِنْ المدينه وحَقَّقَ النصر لسيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله وللإسلام والمسلمين وعادَ علىٌّ بطريق المعجز فضلاً عَنْ المصادر التأريخيه للعامّه الَّتِي ما أنْ سمعت بمنقبهٍ بعلىٍّ عليه السلام إلَّا طمستها وإنْ لَمْ تكن واقعاً.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ مثل هَذَا الحدث شاهده وعاشه الآلاف مِنْ البشر مِنْ المسلمين وغيرهم، والمسافه بعيده عَلَى ما تنقل المصادر التأريخيه، وأنَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله انتهى إلى تبوك يَوْم الثلاثاء ١٥ /شعبان/ ٩ تسعه للهجره وَكَانَ

١- (١) الإرشاد للمفيد: ج ١، ص ١٥۴.

٢- (٢) موسوعه سيره أهل البيت عليهم السلام، باقر شريف القرشى: ج ٢، ص ٣٥١.

خروجه فِی ۲۵ /رجب/ ۹ هج(۱) فَکَانَ سفر تبوک (۲۰) عشرین لیلهً، وأقام بها صلی الله علیه وآله عشرین لیله، وهرقل یومئذٍ فِی حمص(۲) وفتره مسیره النَّبِیّ الأکرم صلی الله علیه وآله إلی تبوک لیست بالیسیره والقصیره حَتّی تُطمَس وتغیب، علماً أنَّ لها مصادرها وموادها وَمَعَ ذَلِکَ غیّبت وطُمِسَتْ تماماً، وَعَلَیْهِ فَلابُدَّ أنْ نتساءل لماذا تُغَیَّبُ الحوادث الواقعه وَمِنْهَا أسباب النُّزول.

لماذا تُغَیَّبُ أسباب النزول

إنَّ أحد أهم أسباب تغیّب أسباب النُّزول وغیره هُوَ لأجل أنْ لا تتّضح معانی الآیات لِأنَّ أسباب النُّزول تلعب دوراً فعالاً فِی توضیح وتفسیر معانی الآیات، وَأنَّها فیمن نزلت وَعَلَی أیّ شیء اشتملت و... الخ وببرکه وجود أئمه أهل البیت حفظت تلک الحقائق ولولاهم لَغُیِّبتْ تلک الحقائق القرآنیه الَّتِی بینتها أسباب النُّزول ووضّحت أسباب نزول کُلّ کلمه کلمه فِی آیات القُرآن الکریم لا سیّما فِی بَعْض الآیات القُرآنیه الَّتِی لها أکثر مِنْ سبب للنزول لا سبباً واحداً، فمثلاً بَعْض الآیات القُرآنیه لها سبب نزول بلحاظ صدر الآیه والآخر بلحاظ وسطها والثالث بلحاظ ذیلها، کَمَا فِی قوله تَعَالَی: (وَ داوُدَ وَ سُلَیْمانَ إِذْ یَحْکُمانِ فِی الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِیهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ کُنّا لِحُکْمِهِمْ شاهِدِینَ (۷۸) فَفَهَّمْناها سُلَیْمانَ وَ کُلًّا آتَیْنا حُکْماً وَ عِلْماً وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ یُسَبِّحْنَ وَ الطَّیْرَ

۱- (۱) تاریخ الیعقوبی: ج ۲، ص ۶۸، وأعلام الوری: ج ۱، ص ۲۴۴.

۲- (۲) المغازی للواقدی: ج ۲، ص ۱۰۱۵.

وَ كُنّا فاعِلِينَ (٧٩)١ .

بتقريب: إنَّ الآـيه المُبَـارَكه انتقلت مِنْ ضـمير التثنيه إلى ضـمير الجمع [...] إلى [] وَهَـذَا تَقَـدَّمَ فِى مبحث قَاعـدَه الالتفـات(١) ، والوجه فِى ذَلِكَ: - هُوَ أنَّ الحكم الذى حُكِم به، لَيْسَ الحاكم به هُوَ نبى الله داود عليه السـلام و سـليمان عليه السلام حَتّى يُثنى الضـمير وَيَكُون تطابق بين [] و [] كلا وَإنَّما الذى حكم هُنَا هُوَ عُلَمَاء اليهود الَّذِيْنَ كانوا مَعَ داود وسـليمان عليهما السلام وتَسَرَّعَ عُلَمَاء اليهود فِى الحُكم فحكموا فقطعوا بـذلك؛ ولذا صار الضـمير جمعاً بِهَذَا اللّحاظ، وَعَلَيْهِ إذَا أخذ المُفَسِّر أسـباب النُّزول مِنْ غَيْر أهل البيت عليهم السلام فسوف يقع فِى متاهات وغفلات واشتباهات لا تُؤدِّى به إلى نتيجه علميّه مُرْضيه.

ويبقى البحث ناقصاً، ولا تقتصر تداعيات ذَلِكَ عَلَى بحث أسباب النُّزول.

١- (٢) تفسير أمومه الولايه على المُحكمات فضلاً عن المُتشابهات فى القرآن: ج ١ للشيخ السّند.

كيف نقرأ السيره النبويه والولويه والتأريخ بالقراءه الصحيحه

لا يختص منهج أسباب النزول بآيات القُرآن وسوره فحسب

إنَّ أحد أهم منهجيات تحقيق السّيره النبويّه والولويَّه والتأريخ الصحيح والدقيق والمنقح، هُوَ أنْ تجعل العَرْض عَلَى نفس روايه القُرآن ومُحكمات روايات المعصومين أىّ تحكيم الثقلين مِنْ التأريخ، وَقَدْ يتساءل جمله مِنْ الباحثين عَنْ وجه الصّله بين التأريخ والكتاب والعتره الطاهره وَهُمْ الثقلين، فَإنَّ الدِّين كتشريع أىّ صله لَهُ بالأحداث التأريخيه الَّتِى وقعت وَكَانَتْ؟

والجواب: إنَّ البحث لَيْسَ فِى التأريخ بما هُوَ ترقيم وتوريخ وتأرُّخ أحداث، بَلْ البحث فِى التأريخ هُوَ نشاه الدِّين وترعرعه وبنائه وبما ينعكس كمصدر ومنبع ومستند ومدرك لاستنباط واستكشاف بُنيه الدِّين؛ لِأنَّ المقصود هُوَ البحث عَنْ سيره الوحى وَهُوَ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وتَنَزُّل الوحى عَلَيْهِ فِى المواطن والأحداث المختلفه واستكشاف الصور الحقيقيّه لموقف الوحى فِى المواطن والموارد المختلفه وتوجيهها للأحداث لاستخراج صوره واقعيّه حقيقيه لمنظومه الدِّين ولكن بمنهجيه يقظه نبهه لا أنَّ تؤخذ السير مِنْ

الكتب القديمه والمشوشه أو الكتب الَّتِى كتبت بأقلام مأجوره تحت ظل السّلطات الظالمه والغاشمه كالسّلطه الأمويه والمروانيه والعباسيّه و... الخ وتؤخذ عَنْ مثل هكذا مصادر أخذ المُسلّمات، علماً أنَّ هَذِهِ المصادر تعكس رأى السّلطات الحاكمه فَقَطْ ووجهه نظرها وما يصب بمصلحتها، ونترك ما يُسْنده لنا القُرآن الكريم مِنْ سيره الْنَّبِىّ صلى الله عليه وآله أو الأئمه وَهَذَا بالتالى يُشكل الأخذ بها طامه كبرى.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ قَاعده أسباب النُّزول لا تختصّ بالتّالى ببيان واقع أسباب النُّزول لآيات القُرآن وسوره، بَلْ تتعدّى إلى السِّيره النبويه، وسيره أهل البيت وتاريخ مبدأ الإسلام، وَكُلّ الوقائع والحوادث الَّتِى وقعت وحدثت وَلَمْ يُشِر إليها القُرآن الكريم؛ لِأنَّ هُنَاك بَعْض الوقائع لَمْ يتعرّض القُرآن لذكرها وَهِىَ بالتالى تُسَجل كحدث فِى تاريخ الإسلام، وَلَهُ موقعيّته وفهمه بالصوره الحقيقيه مِنْ دون تلاعب به، وَهَذَا لَهُ أثره الكبير فِى تثبيت الحقائقن وسبب الاهتمام بِهَذَا التأريخ لِإنَّهُ لَيْسَ موغل بالتأريخيه المحضه وَإنَّما هُوَ تأريخ عقيده فَلابُدَّ مِنْ عرضه عَلَى مُحكمات الكتاب والسنّه والثقلين؛ لِأنَّ هكذا تأريخ عقيدى يعكس بظلاله عَلَى فَهُمْ الدِّين، وَمِنْ الواضح إنَّ أىّ بحث يجرى فيه معرفه الدِّين فَإنَّ الميزان فيه هُوَ العرض عَلَى مُحكمات الكتاب والسنّه أىّ الثقلين(هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ...)١ .

وَعَلَيْهِ إذَا صار الميزان هُوَ العرض عَلَى المُحكمات والرّاسخون فِى العلم وَهُمَا الثقلين فَإنَّهُ يتسنى للمفُسرين والباحث الكريم أنْ يُنقى التراث مِنْ شوائب ما كتبته أقلام السّلطه والحكّام عَنْ ما هُوَ حقيقه ببركه هَذَا المنهج والميزان أىّ منهج أمومه الولايه والمُحْكَمات ويحذر هَذَا المنهج مِنْ الابتعاد عَنْ تحكيم الكتاب والسنه فى تدوين وتحقيق التأريخى الدّينى وَإلَّا يقع الباحث فِى المعارف الَّتِى تخصّ العقيده فِى تيه وضلال.

ولذا مِنْ دون الرجوع إلى ميزان العرض عَلَى الكتاب والسنه والثقلين وأمومه الولايه لا يمكن وعى حقائق التأريخ؛ لِأنَّ أىّ حدث يقع سواء كَانَ صغيراً أم كبيراً فلأجل الإحاطه بكُلِّ زواياه فَإنَّهُ يحتاج إلى متابعه ومراقبه مِنْ عِدَّه جهات وزوايا ولا يمكن لمؤرخ أو باحث بجهود محدوده أنْ يحيط بذلك ما لَمْ يَتَّبع منهاج العرض عَلَى المُحكمات وأمومه ولايه أهل البيت عليهم السلام.

والخلاصه مِنْ كُلّ هَذَا هُوَ أنَّهُ لأجل أنْ نقرأ سيرةً نبويةً أو ولويه أو تاريخيه مضبوطه ومحققه ومدققه لابُدَّ أنْ نقراها بعدسه التصوير القُرآنى، وإنْ كُنّا لا ننكر أنَّ أحد أسباب الغفله عَنْ العدسه التأريخيه فِى القُرآن الكريم هُوَ إرباك تركيب وترتيب السور والآيات فِى القُرآن، وأحد أسباب الإرباك هَذَا هُوَ عدم جمع آيات وسور القُرآن الكريم حسب روايات أسباب النُّزول الصَّحيحه والوارده عَنْ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام إذْ لو اتُبعت لَكَانَتْ العدسه التأريخيه كَمَا فِى المثل أوضح مِنْ شمس وأبين مِنْ

أمس، وَإلَّا ما كَانَ هَـذَا الالتباس الـذى أوقع الأمَّه الإسّـلاميَّه فِى متاهات وظُلَّل وطمس كثير مِنْ الحقائق تعتيمها، كُلّ ذَلِكَ كَانَ ضريبه عـدم اتّبـاع المنهجه الصـحيحه والحقّه ووقوع أو إيقـاع الكـثير مِنْ أفراد الأُـمَّه الإسّـلاميَّه فِى الزيغ والضـلال، إذْ لو أتُبعت المنهجه الصـحيحه فِى قَواعِـد التفسير وأحدها واهمها - هُوَ أسـباب النُّزول الَّتِى لها تأثير كبير عَلَى دلاله تفسـير القُرآن لكشـفت وفضـحت زيغ الأقلام الَّتِى استؤجرت مِنْ قبـل السّـلطات الظالمه كالأمويه والعباسـيه وغيرهما، إلَّا أنَّهُ وللأسف مَعَ هَـذَا التزييف والتظليل؛ لذا نجد الأكثر وللأسف يأخذون بِهَذَا التأريخ أخذ المُسلّمات مِنْ دون تنقيه وتمحيص لرواياته وطرقه اتّكالاً عَلَى تتبع الغير وتحقيقهم فِى ذَلِكَ، ولذا حدث ما حدث:

إلَّا أنَّهُ ولله الحمـد بـدأت عِنْـدَ عِـدَّه مِنْ المحققين الخـاصه أخيراً بادره جيـده وَهِىَ كيفيه قراءه التأريـخ مِنْ خلال عـدسه القُرآن الكريم، وإنْ كَانَ هَـذَا قَاعـدِه أُخْرَى سـنتعرض إليها مُسـتقلاً فِى البحوث اللاحقه إنْ شاء الله - وأحد الأُمُور المُهِمَّه فيها جداً هِىَ معرفه تاريـخ النُّزول الذى سوف يطعلنا عَلَى مسـلسل الحدث التأريخى والذى قَدْ يسـتعرضه القرآن فِى سوره واحده، أو فِى سور متعدّده وَهُوَ الأكثر وَهَذَا مما يجب الالتفات إليه ببركه المنهج التفسـيرى المُختار وَهُوَ منهج أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات فضـلاً عَنْ المتشابهات فِى القُرآن، أىّ مُحكمات السنه النبويه وسنه المعصومين عليهم السلام.

الجهه الثالثه: فِی بحث قَاعدِه أسباب النُّزول:

ارتباط قاعده أسباب النزول بقاعده ترتیب آیات القُرآن الکریم

فِی السوره الواحده فضلاً عَنْ سائر سوره

إنَّ أهم ما ینبغی ملاحظته ومتابعته للباحث الکریم فِی قَاعدَه أساب النُّزول جُملهٌ مِنْ الأُمُور مِنْهَا:

أوَّلاً: الإلمام بالحوادث الَّتِی وقعت فِی مَکَّه المکرَّمه مرتبه بحسب التعاقب الزّمنی، وَالَّتِی نزلت فیها آیاتٌ ینبغی المحافظه عَلَی ترتیب أسباب نزولها کَمَا هِیَ، ثمَّ ملاحظه سلسله الأحداث الَّتِی وقعت فِی المدینه المنوّره مُترتبه بحسب التعاقب الزمنی مِنْ بدء الهجره ونزول الآیات بشأن تلک الحوادث الَّتِی حدثت فِی المدینه مِنْ غزوات وحروب وفتوحات، وتشکیل النَّبِیّ الأکرم صلی الله علیه وآله للحکومه والمجتمع الإسلامی الجدید وغیرها الکثیر مِنْ الحوادث الَّتِی وقعت فِی حیاه رسول الله صلی الله علیه وآله، وَالَّتِی تشکِّل مُنعطفاً کبیراً وحسّاساً فِی حیاته صلی الله علیه وآله، وَعَلَیْهِ فالإلمام بسیرته صلی الله علیه وآله شیء مهم للغایه؛ لِأنَّ سیرته المُبَارَکه صلی الله علیه وآله دین متجسِّم، وهکذا الإلمام بتأریخ الإسلام فَإنَّهُ عقیده مُتجسّمه ومُؤثِّره فِی معرفه أسباب النُّزول فِی القُرآن وترتیب آیاته وسوره، وبالتالی نستطیع أنْ نقول أنَّ أمواج هَـذَا البثّ الوحیای، لَهُ لاقطات ومحطّات أرضیه راصِدَه لهذا الوحی وَهِیَ عباره عَنْ سیره النَّبِیّ صلی الله علیه وآله وسیره الأئمه علیهم السلام وتاریخ صدر الإسلام وغیرها الَّتِی تشکِّل بمجموعها أسباب النُّزول.

ثانياً: الإلمام بالسُّور والآيات الَّتِي تتعرّض إلى ذكر الاحداث، وَأَنَّهُ فِي أيّ سوره تعرّضت للحدث الفُلانى، وهل توجد سوره أُخْرَى تعرّضت لهذا الحدث أو لا؟ وَهَذَا بالتالى يُعطى فائده علميّه مُهمّه جداً، وَهُوَ أنْ يَكُون لدى الباحث الكريم ميزاناً إجمالياً عامّاً لتحديد الصحّه والخطأ فِي مباحث وأبحاث أسباب النُّزول.

ثالثاً: وَعَلَى ضوء هَذَا الميزان الإجمالى العام - المتقدم - تبيَّن مدى صحّه مرويات الرّاوى بَعْدَ خضوعها لهذا الميزان الخطير والحسّاس، وكأنه تحقيق جنائى، فمثلاً: مرويات أبى هريره الَّتِي أعدادها بالآلاف إذَا عرضت عَلَى هَذَا الميزان الإجمالى العام هل يتناسب هَذَا الكمّ الكبير مَعَ عمره ومُدَّه لقائه القصير بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله سواء فِي مَكَّه أو المدينه مَعَ كونه إنساناً عادياً ويتلقّى الأحاديث بشكل طبيعى، فهل يتناسب هَذَا مَعَ ما يدّعيه ويرويه عَنْ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وعدد لقاءاته مَعَ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وَعَلَيْهِ فَإنَّ مثل هَذِهِ الأحاديث توقِف الباحث الكريم عَلَى تحقيق نفيس وتدقيق وتمحيص للتُّراث، يستطيع المُدقِّق والمُحقِّق مِنْ خلال هَذَا فرز ما هُوَ صحيح عمّا هُوَ مُلفّق ولا واقع لَهُ.

ولذا نرى علمائنا الأبرار أمثال الشَّيْخ المفيد فِي كتابه الإرشاد، والشَّيْخ الطوسى فِي جُمَلِهِ وكتبه الأُخْرَى وغيرهما مِنْ الأعلام يتحدّثون كثيراً عَنْ كتب السِّيره والآثار ومصادرها لأنها - السِّيره - أصل التُّراث فَلابُدَّ أنْ يُمحَّص؛ لذا فَإنَّ أحد آليات قدره المُفَسِّر عَلَى التفسير هُوَ إلمامه بسيره النَّبِيّ صلى الله عليه وآله لما فِي

الإلمام الدقيق بسيره النَّبِيّ صلى الله عليه وآله مِنْ دين وعقيده مُتجسِّمه ومُؤثِّر فِي معرفه أسباب النُّزول فِي القُرآن الكريم، ولا ينحصر الأمر بالمُفسِّر بَلْ ويتعدّى إلى الفقيه أو الباحث فِي علم الأخلاق أو العلوم الأُخْرَى، فإذا أراد الباحث أنْ يستقى معرفته فِي مجاله مِنْ دون أنْ يُلِّم بسيره النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فَإِنَّهُ سيكون بحثه تجريدى وسطحى وبعيد عَنْ كثير ممّن الحقائق والواقعيّات، وَهَذَا يكشف لنا أنَّ الإلمام بسيره النَّبِيّ صلى الله عليه وآله خطوه خطوه مِنْ أفعاله وأقواله وتقريره حجّه وأمثوله يُحتذى بها، وكم بَيَّنَ أئمه أهل البيت عليهم السلام أنَّ الإنحراف فِي مذاهب العامّه فِي الأحكام وأبواب الفِقْه وَقَواعِد الدِّين فضلاً عَنْ المعارف والمعتقدات نشأ مِنْ عدم ضبط السِّيره النبويّه وبسبب عدم الوقوف عَلَى حقائق وقائع السِّيره النبويّه.

وكم مِنْ مُعتقدات اعتقدوا بها مغلوطه مُنعكسه عَلَى فَهمٍ مغلوطٍ لمغزى سيره أفعال النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وللجّهل بحقيقه تأويل كلمات النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فِي وقائع السِّيره المُختلفه، حَتّى أنَّ أئمه أهل البيت عليهم السلام بيَّنوا أنَّ بَعْض خُلَّص الصحابه ممّن لَمْ يكُن يَحمِل نفاقاً ولا عداوه للنبى صلى الله عليه وآله، بَلْ مَحَبَّه ونَصْرَه وولاء وتُوفِى شهيداً وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يكن يعى تأويل موقفٍ ومغزى كلامٍ للنبى صلى الله عليه وآله، وهيّأ ها الله سُبْحَانَهُ بنحو تكون عِبْرَه لِكُلِّ أجيال البشر، وَعَلَيْهِ فالإلمام بها أمرٌ فِي بالغ الأهميه.

التأريخ يحتاج إلى آلات متعدده لتمحيصه

وَمِنْ خلال ما تَقَدَّمَ يُعلْم أنَّ التأريخ لا يمكن تمحيصه بأدوات تأريخيه بحته فَقَطْ، وَإنَّما يحتاج إلى آلات مُتعدِّده لتمحيصه وتنقيته، فيحتاج إلى علم عسكرى فِى البحوث العسكريه، والتقنيّه العسكريّه، وَإلى علم أمنى فِى البحوث الأمنيه، وعلم استراتيجى فِى البحوث الاستراتيجيه، وعلم سياسى فِى البحوث السياسيه، واجتماعى فِى العلوم الاجتماعيّه، ونفسى فِى العلوم النفسانيّه، وَعَلَيْهِ فالتأريخ مُشتمل عَلَى مجالات وعلوم وميادين كثيره.

وَذَلِكَ لارتباط التأريخى بموضوعات مِنْ أبواب وعلوم مُخْتَلِفَه ولا يمكن الإحاطه بحقيقه الوقائع التأريخيه وَكُلّ واقعه واقعه إلَّا بالموضوع أو الموضوعات الَّتِى ترتبط بها تلك الواقعه، فَقَدْ يَكُون حدثاً عسكرياً وَقَدْ يَكُون حدثاً أمنياً، وَقَدْ يَكُون ظاهره اجتماعيّه مُعيّنه، وَقَدْ يَكُون مناوره سياسيّه مُعيّنه، وَقَدْ يَكُون اضطراباً روحياً ونفسياً مُعيّناً، وَقَدْ يَكُون أزمه اقتصاديه.

إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ الحقول والبيئات المُختلفه الَّتِى تحيط بالمجتمع البشرى، وَعَلَى ضوء ذَلِكَ فالواقعه المُعيّنه مِنْ التأريخ لا يَتِمُّ فحصها

وضبطها واتّقانها بمجرد الرُّوايه التأريخيه وسلسله السند والطّرق إلى تلك الواقعه نظراً لارتباط الإحاطه والإلمام بتلك الواقعه بقرائن وقصاصات وشواهد مُرتبطه بالعلم الباحث عَنْ تلك البيئه وَعَنْ ذَلِكَ الحقل المحتف بحياه المجتمع البشرى، وأنّى لغير المطلع عَلَى ذَلِكَ العلم المرتبط بذلك الموضوع مِنْ الإلمام بحقيقه وحقائق تلك الواقعه، وَهَذَا ما يُلاحظ عَلَى كثير مِنْ الاعتراضات والتساؤلات والاستبعادات حول واقعه الطّف يَوُم عاشوراء، فَإنَّها تدور حول حقول وبيئات مُعيّنه لا يلم بها المُعترض أو المُستنكر لوقوعها؛ وَذَلِكَ لعدم إلمامه بالمُلابسات الموضوعيّه المأخوذه بعين الاعتبار فِى العلم الباحث فِى تلك البيئه وَذَلِكَ الحَقّ، وَمِنْ ثمَّ أنَّ التأريخ وإنْ كَانَ علماً لبقيه العلوم إلَّا أنَّ حقائق التأريخ لا يمكن التوصّل إليها بمُجرَّد هَذَا العلم فَقَطْ، بَلْ لابُدَّ مِنْ مُشاركه جُمله مِنْ العلوم الأُخْرَى الباحثه عَنْ حقول وبيئات مرتبطه بوقائع ذَلِكَ التأريخ، وَهَذَا دور العقل التجريبى وعقل التجارب وعقل العلوم فِى قراءه التأريخ نظير ما مَرَّ مِنْ دور العلوم النقليه للوحى فِى قراءه حقائق التأريخ.

وبالتالى فَإنَّ علم التأريخ مُجرَّد ركام قصاصات ومواد خام يحتاج فِى استخراج معادن وجواهر حقائقه إلى علوم أُخْرَى عديده، وَهَذَا ما أغفله عُلَمَاء التأريخ وما أغفله عُلَمَاء بَقيَّه العلوم الأُخْرَى فِى استنادهم إلى التأريخ ومروياتهم ورواياتهم فَإنَّ اللازم تمحيص وتنقيح وتنسيق تلك المواد للخروج بصفوه صافيه شفافه مِنْ الدلائل الكاشفه عَنْ حقائق التأريخ.

نظريه الشورى وارتباطها بغزوه أحد

نبحث فِي هَـذِهِ النّظَرِيَّه كيفيه التّحريف والتلفيق الحاصـل فِي روايـات أسـباب النُّزول والـذى انطلى عَلَى أكـابر العُلَمَاء حَتّى عَلَى جمله مِنْ عُلَمَاء الخاصّه، وكيف أثّرت تلك التلفيقات عَلَى الاستظهارات فِي الآيات القرآنيه.

مـدرك النّظَرِيَّه: قوله تَعَـالَى: (فَبِمـا رَحْمَهٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ... وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)١ .

بتقريب: إنَّ قوله تَعَـالَى: (وَ شـاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) فَإِنَّ(وَ شاوِرْهُمْ) أمر بنحو الإلزام والوجوب مِنْ الله تَعَالَى لنبيه صـلى الله عليه وآله بالمشاوره لِمَنْ لَهُ أهليه المشوره والرأى.

بيان مَعْنَى الشورى: ولأجل أنْ يتّضح المُرَاد مِنْ الشورى والمشاوره فِي الأمر، لابُدَّ مِنْ بيانها عَلَى وفق اتّجاهين: -

الاتجـاه الأوَّل: مِنْ الأسـاس التّشـريعى الثّابت هُوَ المشاركه وَهُوَ المعروف بقاعـده الشّورى لا بالمعنى الـذى انتهـج فِي السّـقيفه ومذاهب أهل السنه، بَلْ

بالمعنى المُتبنّى عِنْدَ مذهب الإماميّه، فَإنَّ موادّها تحكيم الحقيقه والوصول إليها عَلَى الطريق المُدَلّل والمُبرهن عَلَيْهِ، وَهُوَ الذى يُحَكَّم عَلَى الآراء سواء كَانَتْ أكثريّه أو أقليّه فَقَاعدِه الشُّورى فِى مذهب الإماميّه: هِىَ حاكميّه العلم والفحص عَنْ المعلومات عَلَى الآراء والميول والأهواء وحاكميه العقل كَذَلِكَ وَهُوَ عين مفاد الحديث الشّريف«أعقل النَّاس مَنْ جمع عقول النَّاس إلى عقله» وَهُوَ شعار آخر الحضارات الَّتِى توصَّلت إليها البشريّه والنمط التمدّنى الذى انتهى إليه حضاره المعلومات والعلم الجمعى والعقل الجمعى لا الاهواء والميول الجمعيّه والنّزعات الهيجانيّه النفسيّه الجمعيّه، بَلْ المدار عَلَى العلم والعقل المتوزّع فِى المجموع وَهَذَا المفاد لقاعده الشورى فِى مذهب الإماميّه يُطابق قَاعدِه أُخْرَى لديهم وَهِىَ:

الحُسْن والقُبح العقليان الذّاتيان للأشياء:

حَيْثُ إنَّ مُؤدّى هَذِهِ القَاعِدَه الثانيّه هُوَ الحُسْن للواقعيات أو القُبح لا يتأثر بالآراء، والأهواء والميول وَلَيْسَ هُما أمران تُصَادِق عليهما الأكثريّه، ولا يتولّد مِنْ تبانى الأكثريّه عليهما، بَلْ هُمَا ينبعان مِنْ حاقّ الواقع، فمثلاً النّظام المالى العادل حَسَنٌ وإنْ صَوَّبت الأكثريه بما يخالِفه، وكذلك فِى مثل النّظام النقدى والقضائى والحقوقى، فعداله الأشياء لا ترتهن برأى ولا بإدراك الأكثريه ولا الأقليّه، بَلْ بحسب الواقع الخارجى للحقائق، وَمِنْ ثمَّ اعترف الغرب فِى الأزمه الاقتصاديه الَّتِى عصفت بهم طوال عشرات السنين ولا زالت مستمره تلك الأزمه الَّتِى بركنت وزلزلت أعمده الاقتصاد

لـديهم هِيَ تراكم أنظمه خـاطئه عديـده فِي الاقتصاد سواء فِي نظام النقـد المالى واكتشف أَنَّهُ غَيْر عادل، أو النّظام المصـرفى، أو نظام الضريبه الگمرگى أو نظام التّجاره أو غيرها.

وخطأ هَذِهِ الأنظمه أَنَّها غَيْر عادله ومُجحفهٍ، وهادمه للطّاقه الماليه مَعَ أَنَّها قَدْ صُوِّبت بأكثريّه الآراء ومالوا إليها واستهوتهم.

وَيَتِمُّ اكتشاف الواقع والواقعيات مِنْ خلال إجراء تحقيق عبر اتّخاذ هياكل وقنوات وآليات مُتناسبه مَعَ كُلّ عصر ومكاد وبلاد(١).

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ اتّجاه مدرسه أهل البيت عليهم السلام، ونظريه الإماميه فِي نظريه الشورى تقوم عَلَى دعائم مِنْهَا: -

أوَّلاً: لَيْسَ المُرَاد مِنْ الشورى بمعنى حاكميه وسلطه الأكثريه، وَإِنَّما بمعنى العقل الجمعى والانفتاح أمام المعلومات انفتاحاً واسعاً ورجباً، وانطلاقاً مما وَرَدَ فِي الرّوايات: «أعقل النَّاس مَنْ جمع عقول النَّاس إلى عقله، واعلم النَّاس مَنْ عَلِمَ باختلاف النَّاس».

١- (١) أسس النظام السياسى عند الإماميه للشّيخ محمد السند: ج ١، ص ٣٤.وقد بسط شيخنا الأستاذ محمد السند - حفظه الله - فى كتاب الإمامه الإلهيه: ج ١، ص ١١١ الفصـل الثانى فى مبحث نظريه الحكم على ضوء الإمامه الإلهيه فى المبحث الثانى: ص ١١٩-١٨٩ والكلام حـول النظريـات المختلفه فى إداره شـؤون الحكم ودور الشورى، وكـذلك بشـكل أكـثر تبسـيطاً فى النظـام السياسـى.وكذا فى كتاب الحاكميّه بين النصّ والديمقراطيه للشـيخ النسد - حفظه الله - ج ٢، الفصل الأول: ص ٤٠-١١٩ ومنء أراد الإحاطه بالموضوع أكثر ومزيد البسط والتفصيل وبرأى شيخنا السند حفظه الله، مراجعه المصدرين المذكورين.

ثانياً: إنَّ مَعْنَى الشورى هِيَ مراقبه الأمَّه لِكَلِّ نظام الحكم مِنْ رأسه إلى طبقاته المُتوسّطه إلى تفرّعات قاعدته وشُعُبها أىّ حس المسؤوليّه تّجاه الشأن العام، حَيْثُ نجد هَذَا التّشريع مُتأصّلاً فِى النهج الدينى بدءاً بأولى خطواته، فَإنَّ الاعتقاد بالنبوّه والإمامه والمُتابعه والإنقياد لهذين الأصلين المُقدّسين مشروط بإحراز الأُمَّه لمواصفات النَّبِىّ صلى الله عليه وآله والإمام عِبر المعجزه والدليل العلمى واتّصافهما بهذين العنوانين فضلاً عَنْ بَقيَّه مراحل النهج الدينى.

نماذج مِنْ أنحاء مراقبه الأُمَّه:

ومما يُشير إلى هَذِهِ الصلاحيّه للأُمَّه ما قُرِّرَ فِى مباحث المعارف الدِّينيه مِنْ حجيّه العقل ولو بنحو محدود ومُفيد باليقينيّات، فَإنَّ ذَلِكَ يُعطى مُؤدّى نحو مشاركه للأُمَّه بما لهم مِنْ عقل فِى النظام بما لهم مِنْ عقل فِى النظام الدينى عَلَى صعيد التنظير والتطبيق.

وَمِنْ النماذج الأولى لمشاركه ومحاسبتها ومُتابعتها لمسيره الحكم، هِيَ ما صرَّحت به الآيه الكريمه(وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)١ .

بتقريب: - إنَّ الآيه المُبَارَكه فيها إشاره إلى عموم ولايه النَّاس، لا إعطاء الحاكم الولايه؛ فَإنَّ ولايه الحاكم بمقتضى الآيات العديده لله ولرسوله والأُولى الأمر مِنْ ذى القُربى، بَلْ ولا يتّهم فِى المراقبه والمحاسبه

والنظاره عَلَى مسير الحكم، وَهُوَ ما قَدْ يُعبَّر عَنْهُ بالنّصيحه... ولا ـ ريب أنَّ شَكلَ وأدوات وآليات المُراقبه هِيَ خاضعه للعقل التّجريبى والخبروى الَّتِى تتبادلها المُجتمعات البشريّه فِى ما بين بعضها مَعَ البعض الآخر، واستخدام الآليات المُناسبه العصريّه هُوَ الجانب المُتغيّر فِى مقام الأداء لما هُوَ الثّابت الدِّينى(١).

وَعَلَيْهِ فَإنَّ اتّخاذ الآليات مِنْ تجارب العقلاء والأُمم، سواء عَلَى صعيد الحكم، أو صعيد آليات المُراقبه والنّظاره؛ ما دامت الثوابت الدِّينيه قابله للانحفاظ فِى شكل تلك الآليات.

الشورى عِنْدَ أهل البيت عليهم السَّلامُ:

إذَنْ الشورى حسب فكر ومنهج مدرسه أهل البيت عليهم السلام معناها عدم الاستبداد بالرأى النابع مِنْ ضيق المعلومات الفرديّه، وتقوقع النفس فِى معلوماتها فَقَطْ وحدود القدره العقليه للباحث الكريم، بَلْ تَحْثّ عَلَى جمع وضمّ العقول المُختلفه إلى عقلك بضوابط وموازين علميّه، وَهَذَا البحث غَيْر بحث حاكميّه الأكثريه، وَإنَّما هُوَ بحث كيفى ويدعو إلى جمع المعلومات الدقيقه وَالَّتِى فيها جنبه شموليّه، ولذلك نرى بوضوح تأثير جانب الخبره والخبرويه والنخبه والنخبويه عَلَى هَذِهِ المدرسه الشّريفه، فالعالم فيها لَيْسَ الكمّى وَإنَّما المنظور العامل الكيفى، ولا يعنى هَذَا إهمال العامل الكمّى،

١- (١) أسس النظام السياسى: ج ١، ص ٣٧-٣٨ الشيخ محمد السند.

وَإِنَّما يُنظر العامل الكمّى مِنْ جهه توسعه الأفق لا مِنْ جهه أنَّ الكمّ بما هُوَ كمٌّ لَهُ دورٌ، وَإِنَّما مِنْ جانب الانفتاح عَلَى أكبر قدر مِنْ المعلومات وَمِنْ التّجارب، هكذا يَكُون الفضاء رحبٌ وسيعٌ لنظريّه الشورى فِى نظر مدرسه أهل البيت عليهم السلام؛ ولذا حَتّى لو نظرنا إلى شعار الحضارات الحديثه المُعبَّر عنها بثوره المعلومات تارةً، وبوسائل شبكه الاتّصال الجّمعى لتبادل المعلومات تارةً أُخْرَى، وإنْ كَانَتْ شعاراتهم السَّابقه الديمقراطيه والأكثريه إلَّا أنَّهم عدلوا عنها ورفعوا مكانها شعار آخر، وَهُوَ تحكيم ثوره المعلومات والدلائل وإنْ كَانَ هُنَاك جدلاً يجرى الآن حَتّى فِى شعار الديمقراطيه وَأَنَّهُ هل المُحكَّم هُوَ الكمّ - أىّ صفوه الأكثريه، أو آراء الأكثريّه، أو الرأى العلمى الذى يستند إلى معلومات ودلائل، وَعَلَيْهِ بالتّالى هُنَاك فرق بين حقوق الأكثر، وآراء الأكثريّه والرأى العلمى.

فَإِنَّ المُحكم هُوَ الرأى العلمى والنخب العلميّه، ويشهد لَهُ أنَّهُ إلى الآن حَتّى النّظام الانتخابى الرّئاسى العالمى فِى الدُّول الكُبرى لا يقوم عَلَى أكثريّه الأصوات بقدر ما يقوم عَلَى انتخاب النخب العلميّه الَّتِى هِىَ صمّام الأمان فِى انتخاب الأكفأ والأصلح... الخ وبالتالى حَتّى أصحاب المدرسه الأُخْرَى بَلْ والمدارس القديمه أو الجديده الديمقراطيّه لَمْ يكن لهم بُدّ مِنْ تحكيم نظريه ومنهاج واتّجاه أهل البيت عليهم السلام فِى نظريّه الشّورى وَهُوَ تحكيم جانب الخبرويه والنخبويه.

الاتجاه الثَّانِى: اتّجاه مدرسه أهل سنه الخلاف فِى نظريّه الشّورى

القـائله بأنَّ«السـلطان ظل الله فِي الأرض»(۱) ولاـ يصـحّ التمرُّد عَلَيْهِ إلَّا أنْ يُعلِن المبـاح، وأنَّ الأـكثريّه هِيَ الحـاكمه وإذا اختارت الأـكثريّه للحـاكم فَهُوَ يمثِّل ظل الله فِي أرضه، وَهَـذَا بخلاف ما تـذهب إليه مـدرسه أهل البيت عليهم السـلام - كَمَا مَرَّ بيانه فِي الاتّجاه الأوَّل - وأنَّ مِنْ عناصره أنْ تراقب الأُمَّه أعضاء حكومتها انطلاقاً مِنْ حديث النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عَنْ رعيته»(۲).

بتقريب: أنَّ الحـديث الشّـريف يُـؤكِّد عَلَى تحمّـل الجميـع مسؤوليّه الحـدث دون أنْ تُحَمَّل جهه مُعيَّنه مسؤوليه ذَلِـكَ الحـدث، وَعَلَيْهِ إذَا حُمِّلَ بعضٌ مسؤوليّه ذَلِـكَ الحـدث لوحـده، فَهَـذَا تبرير خاطئ حسب منطق النَّبِيّ صـلى الله عليه وآله وَمِنْ قبله القُرآن الكريم.

أمَّا أنَّ درجات تحمّلُ المسؤوليه تختلف مِنْ زمان ومكان إلى آخر فذاك بحث آخر، وأنَّ مسؤوليّه الرقابه مفتوحٌ للجميع.

عوده إلى صلب الموضوع، وربط وصياغه أسباب النُّزول وفق المعتقد فِي الشورى.

وَهُوَ أنَّ الآيـات النـازله فِي غزوه أُحُـد لُفِقت لهـا أسـباب النُّزول ودُوِّنت بنمـط يُثبت الشورى بـالمعنى والاتّجاه الثَّانِي لا بالاتّجاه الأوَّل،

۱- (۱) السنن الكبرى للبيهقى: ۱۶/۸ أمالى الطّوسى.

۲- (۲) عوالى اللئالى ابن أبى جمهور الأحسائى: ج ۱ ص ۱۲۹؛ بحار الأنوار، للمجلسى: ج ۷۲ ص ۳۸.

ولكن وللأسف انطلى هَذَا التزوير عَلَى كبار مِنْ مُحقّقى الخاصّه، وأنَّ أسباب النُّزول الَّتِى زُوِّرت حسب الروايات المزعومه والمكذوبه والمُختلقه الَّتِى صورت أنَّ رأى النَّبِىّ الأكرم صلى الله عليه وآله هُوَ أنَّ يمكث ويلبد فِى المدينه، وَأنَّهُ صلى الله عليه وآله لَمْ تكن عنده همّه للخروج ومقاتله الكفّار مِنْ قريش، وَإنَّما يُحارب قريش داخل المدينه وفى سككها وبيوتها وشوارعها هَذَا مِنْ جهه، وَمِنْ جهه أُخْرَى كَانَ رأى عبدالله بن أُبى بن أبى سلول رأس المُنافقين عَلَى عدم الخروج وأنَّ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله إذَا لَمْ يخرج سوف يَكُون النصر حليفهم، وأنَّ ذَلِكَ هُوَ رأى عِليه الصحابه، ولكن الذى أكره الرسول صلى الله عليه وآله عَلَى الخروج هُوَ رأى الأكثريّه المُتمثّله بالشباب المُتحمّس والمندفع إلى الخروج ومقاتله قريش، وأنَّهم لا يتهيبون الموت إلَّا أنَّهم قليلو الحنكه، وَكَانَ سبب اندفاع الشّباب هُوَ بسبب عدم توفيقهم للشّهاده فِى بدر لعدم مشاركتهم فيها ورأوا مديح القُرآن وتعظيمه لمكانه مَنْ استشهد فأرادوا أنْ يندفعوا إلى الشهاده واستجاب النَّبِىّ صلى الله عليه وآله لرأى الأكثريّه ولبس لامته إلَّا أنَّهم اعتذروا - الشباب - لرسول الله صلى الله عليه وآله وَأنَّهُ لَعَلَّنا أكرهناك يا رسول الله صلى الله عليه وآله عَلَى الخروج، فَقَالَ صلى الله عليه وآله؛ «إنَّهُ لا يَنْبَغِى للنبى ولا للوصى إذَا لبس لامته وقصد لعدوه وقصد لعدوّه أنْ يرجع أو ينثنى حَتّى يُقتل أو يفتح الله له»(1) وكذا ما وَرَدَ فِى مناقب آل أبى طالب: «وَكَانَ إذَا لبس لامته لَمْ ينزعها حَتّى يُقاتل، ولا يرجع إذَا خرج، ولا ينهزم إذَا لقى العدوّ وإنْ كثروا عَلَيْهِ، وَأنَّهُ أفرس

١- (١) كتاب سُليم بن قيس الهلالى: ص ٢١٨.

العالمين وخُصَّ بالحِمَى» (۱) وَهُوَ حكم خاص بالأنبياء.

وأمَّا أهل الحَجا والحنكه فأشاروا عَلَى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله بالمكث فِي المدينه؛ لِإنَّهُ فِي الحروب السّابقه فِي المدينه لَمْ ينهزم لِأنَّ النّساء والولدان تساعد الجيش والمقاتلين برمى الحجاره ومشاعل القصب و... الخ وَنَحْنُ نحتمى بالسكك والبيوت ولا يستطيع العدو آنذاك أنْ يظفر بنا، هكذا مذكور فِي الروايات العامه الزاعمه لذلك إلَّا أنَّهم تحيّروا بَعْدَ ذَلِكَ فِي كيفيه هيكله ما ذكروه مَعَ ما يتناسب ومبدأ الشورى فِي الاتّجاه الثَّانِي.

الأكثريه لها موضوعيه فِي مبدأ نظريه الشورى

فِي مدرسه الخلافه:

والخُلاصه مِنْ كُلّ هَذَا أنَّ رأى مدرسه الخلاف فِي مبدأ نظريّه الشُّورى هِيَ تحكيم رأى الأكثريه وأنَّ الأكثريّه لها موضوعيّه، وأنَّ رأى الأكثر هُوَ المُحكَّم وَهُوَ المنبع فإذا اتّفق راى الأكثريّه عَلَى شيء فَإنَّ ذَلِكَ الشيء هُوَ المُتَّبع وإنْ كَانَ مُخالفاً لراى رسول الله صلى الله عليه وآله، إلَّا أنَّ هَذَا مُجرَّد ادّعاء - ودعوى - يحتاج إلى مثبت.

وفى مقابل هَذِهِ الدّعوى - وَهُوَ الصحيح - هُوَ أنَّ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله كَانَ عَلَى الخروج مِنْ أوَّل الأمر وسنذكر لَهُ عِدَّه شواهد قُرآنيّه وروائيّه، نعم رأى كبار الصّحابه كَانَ مُنعقداً عَلَى خلاف رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وَهُوَ

۱- (۱) مناقب آل أبى طالب بن شهرآشوب: ج ۱، ص ۱۲۴-۱۲۵.

عـدم الخروج مِنْ المـدينه، وَكَـانَ نظر هؤلاء الكبـار مِنْ الصّحابه مُنصبَّاً وتابعاً إلى رأى رأس المُنافقين عبـدالله بن أبى بن أبى السلول لا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله.

سؤال: ما هُوَ السبب الرئيسى فِى هزيمه المسلمين فِى وسط معركه أُحُد؟

الجواب: إنَّ الاتّبـاع لغير رأى رسول الله صـلى الله عليه وآله والتمرّد وعصـيان أمر الرسول صـلى الله عليه وآله وعـدم اتّبـاع خطّته العسـكريه بتجافى الرُّماه عَنْ مواقعهم هُوَ السـبب الرئيسـى فِى هزيمه المسـلمين فِى وسط غزوه أُحُد، مُضَافَاً إلى فرار كُلّ صـحابه رسول الله صـلى الله عليه وآله عَدَا على بن أبى طالب عليه السـلام وعكاشه ونفر واحد مِنْ الصّحابه ثبتوا مَعَ رسول الله صـلى الله عليه وآله وَإلَّا فالصّحابه فرّوا أو بَعْض وَلّى مُدْبراً وذهب بها عريضه و... الخ.

الأسباب المزعومه لفشل المسلمين وسط معركه أُحُد:

إنَّ التوثيـق والتثبت مِنْ أسـباب النُّزول أمرٌ بـالغ الأهميّه والخطـوره فِى تفسـير القُرآن، ولربمـا الفقيه أو المُتكَلِّم فِى علم الفِقْه أو العقائد أو فِى أىّ علم مِنْ علوم المعرفه الدِّينيه يَضِل عَنْ الحقيقه فِى البحث إذَا اعتمد عَلَى أسباب نزول مُحرَّفه؛ ولذا نذكر بَعْض أهم الأسباب الَّتِى ادُّعيت وزُعمت ولا مثبت لها، وسنذكر بَعْدَ ذَلِكَ بَعْض النماذج القُرآنيّه عَلَى العكس مِنْ ذَلِكَ وتدحضها.

وَمِنْ بَعْض أهم تلك الأسباب المزعومه لفشل المسلمين وسط

معركه أَحد وهزيمه وتضعضع جيش المسلمين بأمور تشبثوا فيها مِنْهَا.

السبب الأول: استجابه النَّبِىّ الأكرم صلى الله عليه وآله لرأى الأكثريّه وَهُمْ الشّباب المُتحمّس، أىّ ادّعى أنَّ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله كَانَ رأيه الشّريف عَلَى البقاء والمكث فِى المدينه المنوّره فِى معركه أُحُد، بينما كَانَ رأى أكثريّه الأنصار عَلَى الذّهاب خارج المدينه للدفاع عنها ومقاتله كفّار قريش، ورغم ذَلِكَ تَنَزَّل سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله عِنْدَ رأى الأكثريّه، وَأَنَّهُ دالٌّ عَلَى أنَّ رأى الأكثر مُلْزِمٌ للأخذ به.

وفيه:

أوَّلاً: إنَّ هَذَا الرأى غيرُ حصيفٍ ولا سديد للتشبث به فِى مَعْنَى الشّورى بالمعنى الثَّانِى، فَإِنَّهُ مُجرَّد دعوى ولا مثبت لها، بَلْ لدينا شواهِدَ قُرآنيّه وغيرها - ستأتى بَعْدَ قليل ذكرها - تثبت وتدلّ عَلَى العكس.

ثانياً: إنَّ مثل هكذا قرائن كالأكثريّه وغيرها لا تصلح لتثبيت اتّجاه أو منهاج مدرسه وغيرها؛ ولذا كَانَ مِنْ الضرورى جدّاً بيان الآيات والرّوايات الَّتِى تفنّد نظريه الشّورى بالمعنى الثَّانِى.

السبب الثانِى: عدم تكامُل ونضوج الخطّه العسكريه المرسومه فِى المعركه.

وفيه: أنَّ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله كَانَتْ خطته مُحْكَمه إلَّا أنَّهُ تخاذَل بَعْضُ المسلمين وعدم الاستجابه لأوامر النَّبِىّ صلى الله عليه وآله أدّى إلى الانهزام فِى وسط المعركه.

السبب الثالث: عدم استجابه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله لرأى واقتراح عِلْيه الصّحابه الذى كَانَ يدعو إلى عدم خروج النَّبِىّ صلى الله عليه وآله والمكث فِى المدينه ويُحارب كفّار

قريش فِي سككك وطرق المدينه، وَأَنَّهُ صلى الله عليه وآله إذَا بقى فِي المدينه كَانَ النَصِيرُ حليفه، وَكَانَ هَذَا الرأى أيضاً يذهب إليه رأس المنافقين عبدالله بن أُبى بن أبى سلول، وَقَدْ استجاب لرأى هَذَا ا لمنافق ما يقرب مِنْ ثلث جيش المسلمين فِي المدينه.

وفيه:

أوَّلاً: إنَّ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله عِنْدَمَا خرج مَعَ الجيش لمقاتله الكفّار خارج المدينه لأجل أنْ يُجنّب المدينه وأهلها الَّذِيْنَ فيهم الشَّيْخ الكبير والمرأه الكبيره والطفل الصَّغير والمريض وذى الأعذار وغيرهم، ضرر الحرب داخل المدينه؛ لِأَنَّ الحرب داخل المدينه تُؤدِّى إلى أضرار بليغه بالمُمتلكات وبغير المقاتلين فأراد النَّبِىّ صلى الله عليه وآله أنْ يجنبهم كُلّ ذَلِكَ.

ثانياً: إنَّهُ لو بقى النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وسمح لكفّار قريش بالدّخول إلى المدينه، فَلَعَلَّ الأَضْرار تكون أبلغ وأكثر، وتحصّن الكفّار وتترسهم بالمسلمين، وَقَدْ يجد الكفّار مِنْ قريش أنصاراً لهم فِي المدينه؛ لِأَنَّ المدينه كَانَتْ حديثه عَهْدٍ بالنبى صلى الله عليه وآله وَلَمْ تكن كُلَّهَا تابعه لَهُ صلى الله عليه وآله ففيها اليّهود والنصارى وطوائف وأديان مُخْتَلِفَه، وَلَعَلَّهُ وجدت جيوب معارضه للنبى صلى الله عليه وآله لَمْ يُحْسَم معهم الأمر بَعْدُ، فَلَعَلَّ هؤلاء إذَا دَخَل جيش الكفّار إلى المدينه تواطئوا وتعاونوا معهم، وآنذاك يصعب الظفر بالنصر.

السبب الرابع: تمرُّد وعصيان الصّحابه لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله إلَّا أميرَ المؤمنين عليه السلام ومعه نفرٌ قليل جدّاً مِنْ الصحابه ثبتوا مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله وأمَّا

باقی الصحابه اتّبعوا رأی رأس المُنافقین عبدالله بن أبی بن أبی السلول حَتّی أنَّ بَعْض کبار أصحاب النَّبِیّ صلی الله علیه وآله ذهب بها عریضه وانهزم.

وَعَلَیْهِ فما تشبثوا به لترسیخ مبدأ الشّوری بمعنی تحکیم رأی الأـکثریّه عَلَی حساب ترسیخ هَـذَا المبدأ بالمعنی الثَّانِی، تَحمَّل الرسول صلی الله علیه وآله الضریبه الکبیره لانکسار وانهزام عسکر المسلمین وسط معرکه أُحُـد، وَهَـذَا یُـدلِّل عَلَی أنَّ مبدأ الشّوری بالمعنی الثَّانِی کم هُوَ غَیْر مُتأصِّلٌ وخطیر حَتّی لو أدّی إلی مثل هکذا زعم خطیر.

تطبیق عملی للجهه الأولی مِنْ قَاعدَه أسباب النُّزول:

الشواهد والنماذج القرآنیه الَّتِی تفند أسباب النُّزول المزعومه:

وغرضنا الأساسی مِنْ استعراض هَذِهِ الشّواهد القّرآنیه هُوَ بالحقیقه تطبیق عملی للجهه الأُولی مِنْ قَاعدَه أسباب النُّزول، ورغم ما مَرَّ مِنْ تأکید عَلَی أهمیتها إلَّا أنَّ أهمیّه الإحساس العملی التطبیقی کُلّما کَانَتْ أکثر کُلّما کَانَ یَشْعُرُ الإنسان بمدی خطوره هَذِهِ الخطوه وکثره الابتلاء بهذه الجهه فِی أسباب النُّزول، وَهِیَ الروایات المُزیّفه، ولاـ یَظُنُّ أحدٌ أنَّ الروایات المُزیّفه قلیله بَلْ هِیَ کثیرهٌ وجُلُّها مِنْ مدرسه الطرف الآخر.

نعم، قَدْ یحصل فِی بَعْض الأحیان تطابق بین روایات أسباب النُّزول الوارده عَنْ أهل البیت علیهم السلام مَعَ روایات الطرف الآخر المُزیَّفه تقیَّه، إلَّا أنَّهُ تخفی فِی أغلب الأحیان عَلَی کثیرمن الباحثین ما لَمْ یتقیّد الباحث الکریم

بمنهج تحكيم مفاد مجموع الآيات والسور والروايات ويخرج بنتيجه قَدْ تُطابق الطرف الآخر أو تخالفه ولا نقصد بأسباب النُّزول الملفّقه والمُزيّفه أنَّها كَذَلِكَ مِنْ جميع الجّوانب والزوايا، فإنَّها مِنْ بَعْض الجهات ليست مُزيَّفه، إلَّا إنَّهُ بحسب الممارسه والتتبع الدقيقين لسور وآيات عديده فِي القُرآن حول عرض مسلسل أحداث سيره النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأحداث صدر الإسلام، فَمِنْ النَّادر جدّاً أنْ تقف عَلَى موردٍ مِنْ موارد روايات أسباب النُّزول للطرف الآخر وَلَيْسَ فيها تزييف ولو مِنْ زاويه، ولا أقل فإنَّهم يُحاولون عدم إظهار بَعْض الملفات الَّتِي لا يروق لهم الإفصاح عنها ويُفتضحون بعرض تلك الملفات؛ لان كُلّ روايات أسباب النُّزول كَانَتْ مرتبطه ولا تزال بكُتل بشريّه فِي عهد الرسول صلى الله عليه وآله؛ ولذا مِنْ الصعوبه بمكان نشرها.

ولذا سوف نخرج بنتيجه نَحْنُ عَلَى قناعه تامّهٍ بها - إنْ شاء الله - هُوَ أنَّهُ: لا تأمنَّ ولا تطمئنّ فِي كُلّ مورد تكون فيه روايات أسباب النُّزول مِنْ الطّرف الآخر هِيَ صادقه ومطابقه وسليمه تماماً، فَإنَّ مَنْ يعتقد بصحّتها ويطمئن بها عنده نَوع مِنْ الغفله.

أمثله وشواهد قرآنيه على دحض نماذج من أسباب النزول الملفقه

وسنذكر عَلَى الترتيب الَّتِي بيّنت نماذجاً مِنْ سوره آل عمران بما يتعلّق بمعركه أُحُد، وَمِنْ سوره الأنفال ما يتعلّق بمعركه بدر، وَمِنْ سوره براءه ما يتعلّق باعتراض عمر عَلَى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله.

أوَّلاً: نماذج مِنْ سوره آل عمران ما يتعلق بمعركه أحد:

إنَّ مفاد الآيات القرآنيَّه الَّتِي بيَّنت غزوه أُحُد فيها وعدٌ إلهى بالنصر، إلَّا أنَّ هَذَا النصر الإلهى لَمْ يستمر إلى آخر الغزوه، وَإنَّما إلى وسطها وانقطع ثمَّ عاد هَذَا النصر الإلهى فِي آخر المعركه، وَهَذَا لَيْسَ خلفٌ مِنْ الله لوعده - حاشاه لله - وَإنَّما فرَّط به بَعْض المسلمين وتمرَّدوا وعصوا الله ورسوله صلى الله عليه وآله؛ ولذا هُزموا وسط المعركه بسبب ذَلِكَ العصيان والتمرُّد وعدم إطاعه أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وعدم انصياعهم لوصاياه العسكريه، فالسبب فِي الهزيمه كَمَا تُبيِّنه الآيات لَيْسَ هُوَ الخروج مِنْ المدينه، بَلْ الخروج مِنْ المدينه هُوَ سبب لنصرهم فِي أوَّل المعركه، وَإنَّما تُعزى الآيات سبب الهزيمه إلى تفريط بَعْض

المسلمين وَهُمْ الرُّماه حَيْثُ غادروا مواقعهم مِنْ فوق الجبل وطمعوا فِى الغنائم، وَهَـذَا داحضٌ لما زعموه مِنْ أسباب النُّزول فِى آيتى الشورى كَمَا سيأتى.

وَبَعْـدَ معرفه هَـذَا فكيف يدّعون فِى أسباب النُّزول - بحسب طرق العامّه - أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله انصاع لرأى الأكثريه، وَأَنَّهُ صلى الله عليه وآله خرج مُكرَهاً عَلَى خلاف رأيه صلى الله عليه وآله والذى كَانَ عَلَى عدم الخروج مِنْ المدينه، وما هَذَا إلَّا تناقض وتدافع فِى أسباب النُّزول مَعَ مفاد الآيات.

النموذج الأوَّل:

قوله تَعَالَى: (وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ وَ اللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١)١ .

بتقريب: إنَّ القُرآن يمدح الخروج إلى خارج المدينه ويصف النعمه الَّتِى كَانَ عَلَيْهَا المسلمون وَهِىَ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كَانَ (يبَوِئ) أىّ ينشر الجيش فِى ساحه المعركه خارج المدينه، أو لا أقل فِى ضواحى المدينه لمواجهه المشركين، وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ نعمه لا نكسه، وكيف تدّعى روايات العامّه فِى أسباب النُّزول خلاف ما جاء فِى القُرآن وتناقض وتدافع القُرآن فِى ذَلِكَ.

ويستمر القُرآن فِى تصوير الحدث(إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَ اللّهُ وَلِيُّهُما وَ عَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)٢ .

بتقريب: إنَّ أسباب النُّزول فِی القُرآن الكريم بيَّنت سبب الفشل(إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَ اللّهُ وَلِيُّهُما وَ عَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) يتنازع جماعه عبدالله بن أُبی بن أبی سلول وسط الطريق ورجوعهم إلى المدينه وإصرارهم عَلَى القتال داخل المدينه. وخذلانهم جيش النَّبِیّ صلى الله عليه وآله قبل المعركه؛ ولذا ذَمَّ القُرآن فِعْلَ عبدالله بن أُبی بن أبی سلول بقوله تَعَالَى: (إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ...) ، وبقوله تَعَالَى: (وَ ما جَعَلَهُ اللّهُ إِلاّ بُشْرى لَكُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا النَّصْرُ إِلاّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (۱۲۶)۱ .

هَذِهِ الآيات القرآنيه الكريمه وغيرها فِی النموذج الأوَّل تُفنِّد أسباب النُّزول المزعومه والمُلفَّقه مِنْ قبل العامّه، وَعَلَيْهِ فالهزيمه ليست بالخروج خارج المدينه والجانب الجغرافی كَمَا يُدَّعی فِی أسباب النُّزول المُلفَّقه المزعومه.

وأمَّا مسأله النَّصر فَهُمْ موعودون بها مِنْ قِبَل السَّمَاء، وَعَلَيْهِ فَإنَّ سبب الهزيمه شیء آخر غَيْر ما لُفِّقَ فِی أسباب النُّزول لتحريف معانی الآيات القرآنيه الكريمه، وَهَذَا أمرٌ بالغ الخطوره فِی أسباب النُّزول فينبغی أخذ الحذر ومتابعته بدقّه.

التمييز بين مدرسه أهل البيت عليهم السلام والمدارس الأُخْرَى فِی مبدأ الشورى عَلَى مستوى الفِقْه السياسی والاقتصادی والعقائدی:

إنَّ مِنْ أهم الفوارق بين نظريه الشورى فِی مدرسه أهل البيت عليهم السلام وبين نظريه الشورى فِی مدرسه السّقيفه يتلخّص بما يلی:

أنَّ طابع الشورى فِي مدرسه أهل البيت عليهم السلام هُوَ طابع علميٌّ وفكريٌّ، بينما طابع الشّورى فِي الطرف الآخر، أو مدرسه السقيفه هُوَ طابع الغلبه والقهر والقوّه؛ وَذَلِكَ لِأنَّ عنوان الشّورى والمشاوره حسب النّظَريَّه الأُولى - عِنْدَ مدرسه أهل البيت عليهم السلام - مأخوذه مادّه ومفهوماً مِنْ مداوله الآراء والانفتاح عَلَى التّجارب والعقول كبنك معلومات، وكدعاء تجتمع فيه روافد المعلومات وَقَواعِد البيانات بغيه الوصول إلى الصوره الواسعه عَنْ الحقيقه والواقعيه المتّسعه، وَمِنْ الواضح أنَّ النظر فِي هَذَا القالب لا ينظر إلى الأكثريه كعامل كمّى دخيل فِي القوّه والقهر والغلبه، بَلْ ينظر إلى العامل الكمّى كنظرته إلى العامل الكيفى بُغيه تحصيل أكبر عدد مِنْ المعلومات والخبرات والتّجارب وطرق الاستكشاف الواقعيَّه والحقيقه.

نعم، النّظَريَّه الأولى - عَلَى منهج مدرسه أهل البيت عليهم السلام - يُلاحظ فيها بُعدٌ آخر للأكثريه وَهِيَ حقوق واستحقاقات الأكثريه وَهُوَ مِنْ ضمن الحقيقه والواقعيه، بينما فِي النّظَريَّه الثّانيه - عَلَى منهج السّقيفه - تلاحظ الاكثريه لا مِنْ حَيْثُ البُعد الحقوقى، بَلْ مِنْ بُعد الغلبه والقوّه والقهر، ويترتّب عَلَى هَذَا الفارق جمله مِنْ الفوارق الكثيره مِنْهَا: -

أوَّلاً: إنَّ القوّه والقهر والغلبه هُوَ الأصل فِي مشروعيه الشورى فِي النّظَريَّه الثّانيه - نظريه السّقيفه - بينما فِي النّظَريَّه الأولى - منهج مدرسه أهل البيت عليهم السلام - لا يُنظر إلى الأكثريه مِنْ جهه القوّه والغلبه والقهر، بَلْ ينظر إليهم مِنْ أبعاد أُخْرَى ترتبط بإدراك الواقعيه والحقيقه، أىّ أنَّ الأصل فِي

مشروعيه الشّورى الذى تعتمد عَلَيْهِ نظريه أهل البيت عليهم السلام هُوَ العلم والمعلوم.

ثانياً: إنَّه فِى نظريه الشّورى عِنْدَ أهل البيت عليهم السلام يُنظر إلى الأكثريه إمَّا مِنْ جهه رعايه حقوق الأكثريّه، وَحَيْثُ إنَّ النّظر إلى الأكثريه مِنْ جهه حقوقيه لا مِنْ جهه الكثره والقهر والغلبه، فيُراعى نحو توازن بين حقوق الأكثر وحقوق الأقليات بنحو عادل ومتوازن، وَهُوَ غَيْر مرعى فِى نظريه الشّورى عِنْدَ مدرسه السّقيفه.

وَإمَّا مِنْ جهه كثره التّجارب عِنْدَ الأكثريه وكثره الخزائن العقليه، وَمِنْ ثمَّ يُراعى فِى ذَلِكَ أيضاً الجانب والعامل الكيفى مِنْ الخبرويه والنخبويه والأعلميه أو مِنْ جهات أُخْرَى ستأتى - إنْ شاء الله تَعَالَى -.

ثالثاً: إنَّهُ بمقتضى أساس القوّه والغلبه فَإنَّهُ يشرعَن كُلَّ آليهٍ وأسلوبٍ يُحَقِق القوَّه والغلبه والقهر، وَمِنْ ثمَّ ذهبوا إلى مشروعيّه المتغلّب بالسيف، وَمِنْ ثمَّ أنَّ طابع القدره والغلبه والقهر هُوَ طابعٌ مشروع فِى تلك النَّظريه - أىّ نظريه السّقيفه - بخلاف نظريه أهل البيت عليهم السلام فَإنَّ طابع الاستحقاق مِنْ الخبرويه والكمال هُوَ الأصل فِى المشروعيّه.

وَعَلَيْهِ فَمِنْ الضرورى جداً تسليط الأضواء عَلَى التّمايز بين مدرسه أهل البيت عليهم السلام، وبين المدارس الأُخْرَى عَلَى المستوى النظرى والعملى فِى مبدأ الشّورى، علماً أنَّ بينهما بوناً كبيراً يتّضح هَذَا الفرق الشاسع بين النهجين فِى أحد الفوارق المتقدِّمه وفى مثل فرق أسباب النُّزول فِى الآيات النازله فِى غزوه أُحُد، كَمَا فِى سوره آل عمران إذْ لَفَّقت وزوَّرتْ مدرسهُ

الطرف الآخر - مدرسه السقيفه - أسباب النُّزول بما يتماشى ويتلائم مَعَ تثبيت مبدأ نظريه الشّورى لديهم الذى انطلى هَذَا وللأسف حَتّى عَلَى كبار مُفسّرى الخاصَّه أمثال على بن إبراهيم بن هاشم القمّى صاحب التفسير المعروف، والشَّيْخ الطّوسى فِى التبيان، والشَّيْخ الطبرسى صابح تفسير مجمع البيان وغيرهم، وما ارتضوه مِنْ أقوال العامّه فِى النُّزول وأخذهم منهم أخذ المُسلّمات، فَإِنَّ هَذَا يحتاج إلى تحقيق وفرز الأسباب النُّزول للآيات الواره فِى الحوادث والوقائع كغزوه أُحُد الَّتِى لفقت أسباب النُّزول العامّه مبدأ نظريه الشّورى بما يتلائم ومبدأ الأكثريه ويتماشى مَعَ مقولتهم القائله: - بأنَّ الحاكم ظلَّ الله فِى أرضه و... وتحقيق كُلّ هَذَا موكول إلى الأخوه الباحثين فِى هَذَا المجال فِى فرز ما وَرَدَ عَنْ طريق أهل البيت عليهم السلام وَهُوَ الصحيح دون ما وَرَدَ عَنْ غيرهم.

فمثلاً مَعْنَى مبدأ نظريه الشّورى عِنْدَ أهل البيت عليهم السلام: - إنَّهُ يجب عَلَى كُلّ المسلمين أنْ يتحمّلوا ويساهموا فِى مسؤوليّه الرقابه وَأنَّهُ يجب عَلَى الكل أنْ يكونوا مطلعين ومرتبطين بمصير الأُمَّه وَالدِّين، فَهَذِهِ هِىَ الشورى الَّتِى أوجدها النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وربّى الأُمَّه عَلَيْهَا، وكذلك مِنْ بعده أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام والأئمه المعصومين عليهم السلام، حَتّى وصل الأمر ذَاتَ يَوْم بمعاويه أنْ قَالَ لامرأه«تجرأتِ وانتقدتِ أداء أعمال وسياسه معاويه وعَمّاله اللأخلاقيه والدمويّه وأنَّ الذى جرّأكم عَلَى الولاه وانتقاد أدائهم هُوَ على بن أبى طالب عليه السلام وَهَذِهِ حقيقه وينبغى تسليط الأضواء عَلَيْهَا وَهِىَ: - تربيه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله للأُمه فِى مُحاسبه ومُراقبه الولاه».

النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله رَبَى الأمَّه عَلَى الجرأه

فِي مُحاسبه ومُراقبه الولاه(۱):

هُنَاك حقيقه لابُدَّ مِنْ تسليط الأضواء عَلَيْهَا ألا وَهِيَ تعليم وتدريب الأُمَّه عَلَى انتخاب الأصلح والأكفأ والذى يهتم بشأن الرعيّه وانطلاقاً مِنْ قوله صلى الله عليه وآله: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عَنْ رعيته»(۲). وأنَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله هُوَ الرّاعى والمعلِّم الأوَّل لأمته، وَمِنْ بعده أمير المؤمنين عليه السلام على بن أبى طالب والأئمه عليهم السلام مِنْ أهل البيت النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فَإنَّ منهجهم عليهم السلام قائمٌ عَلَى تجذير مبدأ نظريه الشّورى عَلَى رقابه الأُمَّه، وَهَذَا مما يُزيل ويُقوِّض بناء حكومه بين أميه والعباس وغيرهما مِنْ جذورها شيئاً فشيئاً.

وممّا يُؤكِّد هَذَا المعنى ما قاله الإمام الرضا عليه السلام بسنده عَنْ جده النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «مَنْ اغتصب أمر الخلافه فاقتلوه»(۳).

بتقريب: إنَّ مَنْ يلجى الأُمَّه عَلَى شيء ويكرها عَلَيْهِ، فَإنَّ مثل هَذَا الفرض لَيْسَ مشروعاً باعتبار أنَّ الأُمَّه لابُدَّ لها مِنْ المساهمه فِي أمر الخلافه لا التسلّط عَلَيْهَا بالاستبداد والانفراد دونها بالدكتاتوريه، إلَّا أنَّهُ لابُدَّ مِنْ التمييز بين أمرين مهمّين:

۱- (۱) وإن كان التعبير بالجرأه لعلَّه يتبادر منه المعنى السلبى، إلا أنَّ المراد به هنا تربيه الأمه على محاسبه ومراقبه الحاكم والذى لا يقوم بأداء مسؤوليته بالوجه الصحيح والمطلوب.

۲- (۲) قد فصل شيخنا الأستاذ السند حفظه الله ذلك فى الإمامه الإلهيه ج ۱، الفصل الثانى نظريه الحكم على ضوء الإمامه الإلهيه: ص ۱۱۳ ط الثّانيه.

۳- (۳) المصدر السابق: ص ۱۷۲.

الأمر الأوَّل: مساهمه الأمَّه ودخالتها فِى مراقبه ومحاسبه الحاكم إذَا قَصَّرَ فِى واجباته.

الأمر الثَّانِى: حقوق الأكثر.

وخلاصه ذَلِكَ إنَّ الواجب عَلَى الأُمَّه تمكين الواجد المتوفر عَلَى شرائط وصفات الحاكم الأصلح وَهُوَ المنصوص عَلَيْهِ مِنْ قبل السَّمَاء بتوفر صفات الكمال اللازمه للقائم والحاكم والوالى لا سيما إذَا اتّسعت صلاحيته وارتفقت وتصاعدت رتبه ولايته وَهُوَ مَنْ يَكُون إماماً للمسلمين وإماماً للأُمه فَإنَّ خطوره المسؤوليه والصّلاحيه تقتضى عقلاً وكتاباً وسنه ووجداناً توفر الحاكم والوالى عَلَى صفات وأهليّه وكفاءه وإمانه عاليه جداً، تفوق ما عِنْدَ الجميع، وَإنَّما يَتِمُّ الكشف عَنْ توفر الشخص مِنْ خلال وبواسطه الوحى، وَهَذَا هُوَ فحوى نظريه النّص والإمامه الإلهيه، فاللازم عَلَى الأُمَّه تمكين مَنْ نصَّت عَلَيْهِ السَّمَاء والمساهمه فِى إقامه المشروع الإلهى والممانعه عَنْ تصدى العتاه والمُستأثرين والفاقدين للكفاءه والأهليه لَيْسَ عَلَى صعيد القمّه والرأس فحسب، بَلْ كَذَلِكَ الحال فِى بَقيَّه المواضع والمراتب الَّتِى هِىَ دون ذَلِكَ مِنْ مواقع الصلاحيات والدرجات المتوسطه الكثيره، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى النّصيحه لإمام المسلمين العادل أىّ جهاز الدول، فَالأُمَّه واجبها تمكين الأصلح والممانعه عَنْ تسلّط العتاه والظلمه وإزالتهم فِى حاله تسلّطهم عَلَى مقاليد الأُمُور، وَهَذِهِ أحد المسؤوليات العظيمه الملفات عَلَى عاتق الامه، سواءٌ فِى أصل التوليه للولاه،

أو ممـانعه غَيْر المُـؤهلين وإزاحتهـم عَنْ مـواقعهم، أو مراقبه سـير أعمـالهم، هَـذَا كُلَّهُ بلحـاظ مسـاهمه الأـمَّه ودخالتهـا فِى مراقبه ومحاسبه الحاكم إذَا قَصَّر فِى واجباته.

وأمَّا بلحـاظ حقوق الأـكثريه فاللاـزم مراعـاه التّوازن بين حقوق الأـكثريه سواء بلحـاظ الحَقّ العـام أو بلحـاظ حق الأكثريه وحق الأقليه، أو حق الفرد مَعَ الحَقّ العام، فَإنَّ هُنَاك معادله توازن لا يُحيف فيها الطرف الآخر.

وَهَذَا بخلاف مَعْنَى مبدأ نظريه الشّورى الجديد فِى مدرسه الخلفاء - مدرسه الطرف الآخر - أو الديمقراطيه الغربيه القائله: - بأنَّ الأصل المتجـذِّر عنـدهم هُوَ عـدم الاعتراض عَلَى الحاكم بشـىء ومماشاته؛ لِأنَّ الحاكم ظل الله فِى أرضه، هَـذَا حسب ما تعتقده مدرسه الطرف الآخر.

خطوره كتب السير والتاريخ...

أسباب النُّزول عَلَى الاستنباط فِى العلوم الدِّينيه:

يجب اعتماد مصادر مدرسه أهل البيت عليهم السلام

فِى أسباب النُّزول:

نلاحظ كثيراً مِنْ الدراسات فِى الفِقْه السياسـى أو الاقتصادى، بَلْ حَتّى العقائدى للحكومه الإسّـلاميَّه صدرت استناداً إلى أسباب النُّزول ورواياتها الملفَّقه الموضوعه والمدسوسه، وَقَدْ غفل عَنْ ذَلِكَ جمله مِنْ كبار

المحققين - كَمَا تَقَدَّمَ - منهم امثال صاحب تفسير القمّى على ابن إبراهيم بن هاشم القمّين والشَّيْخ الطّوسى فِى تبيانه، والشَّيْخ الطّبرسى فِى بيانه و... الخ أخذوا واعتمدوا بَعْض أسباب النُّزول عَلَى ما ذكرته مصادر العامّه أخذ المُسلّمات؛ ولذا يحتاج هَذَا التُراث لمزيد مِنْ التحقيق والتصفيه لأسباب النُّزول وغيرها المأخوذ مِنْ مصادر العامّه، وَلَيْسَ بالأمر الهين وَإنَّما يحتاج إلى تظافر جهود المحققين فِى هَذَا المجال؛ ولذا مَنْ أخذ مِنْ مصادر العامّه تَحيَّير فِى كيفيه هيكله مبدأ الشّورى وأنَّ النَّبِىّ الأكرم صلى الله عليه وآله كَانَ مأموراً مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ بأخذ رأى الأكثريه وملزماً به بدليل ما وجدناه فِى أسباب النُّزول للآيات الخاصه بغزوه أُحُد كَمَا فِى سوره آل عمران، وإنْ كَانَ الرسول صلى الله عليه وآله قَدْ خولف رأيه الصائب الذى كَانَ يقول بالمكث بالمدينه وعدم الخروج لمقاتله كفّار قريش خارج المدينه المنوّره، وذكرت مصادر العامّه أنَّ هَذَا الذى كَانَتْ عَلَيْهِ كبار الصحابه.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ أعمده بناء أسباب النُّزول فِى منهج التفسير يجب بناؤه عَلَى وفق الحقائق القرآنيه ومصادر مدرسه أهل البيت عليهم السلام لا عَلَى مصادر غيرهم، فَإنَّ هَذِهِ المصادر موجوده فِى تراث أهل البيت عليهم السلام إلَّا أنَّها تحتاج إلى بذل المزيد مِنْ الجهود وتظافرها فِى سبيل استكشاف هَذِهِ الحقائق لا أنَّها غَيْر موجوده أصلاً؛ ولذا كَانَ الاعتماد عَلَى أسباب النُّزول الوارده مِنْ جهه العامّه وإرسالها إرسال المُسلّمات فِى بَعْض الآيات أحد أسباب تغييب جمله مِنْ الحقائق الثابته عَلَى أرض الواقع ممّا تَقَدَّمَ ذكره فِى غزوه أُحُد وتغييب

بَعْض مقاطعها الحيويه خاصّه المقطع الأخير الـذى كَانَ فيه منقبه لعلى بن أبى طالب عليه السـلام، بَلْ كَانَ ذَلِكَ سبب فِى تغيب كثير مِنْ الحقائق فِى تاريخ صدر الإسلام وسيره النَّبِىّ صلى الله عليه وآله ومشاهد الأحداث، وَمِنْ ثمَّ تغييب الحقائق.

وأحـد الشواهد عَلَى ذَلِكَ ما نقرأه فِى زياره الإمام الهادى عليه السـلام يَوُم الغدير«... يَوُم أُحُد إذْ يصـعدون ولا يلوون عَلَى أُحُد والرسول يدعوهم فِى أخراهم وانت تذود بهم المشركين عَنْ النَّبِىّ ذَاتَ اليمين وَذَاتَ الشمال حَتّى ردّهم الله عنكما خافين ونصر بك الخاذلين...»(1).

بتقريـب: إنَّ الضَّمير المُنفصـل (أَنْـتَ) المُرَاد به أمير المـؤمنين على بن أبى عليه السـلام، والضّـمير (عنكمـا) أىّ رسـول الله وأمير المؤمنين ووصى رسول ربّ العالمين، ونصر (بك) أىّ ونصر الله بك يا على الخاذلين.

و«... شـهدت مَعَ النَّبِىّ جميع حروبه ومغازيه تَحْمِل الرايه أمامه تضرب بالسّيف قدّامه ثمَّ لحزمك المشهور وبصيرتك فِى الأُمُور أمّرَك فِى المـواطن وَلَمْ يكن عليـك أمير وكم مِنْ أمرٍ صَـدَّك عَنْ إمضـاء عَزْمـك فيه التُقى واتّبع غيرك فِى مثله الهوى، فظنَّ الجاهلون أنَّكَ عجزت عما إليه انتهى، ضَلَّ والله الظان لذلك وما اهتدى، ولقد أوضـحت ما أشكل مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ تَوهَّم وامترى بقولك صلى الله عليك قَدْ يرى الحُوَّلُ والقُلَّب وجه الحيله ودونها حاجزٌ مِنْ تقوى الله فيدعها رأى العين وينتهز فرصتها

١- (١) مفاتيح الجنان: ص ۴۴۲.

مَنْ لا حريجه لَهُ فِی الدِّین صَدَقْتَ وخَسِرَ المُبلطون...» (۱).

بتقریب: إنَّنا نجد هَذِهِ الزیاره المُبَارَکه اشتملت عَلَی بیان جمله مِنْ أسرار التأریخ المطموسه والممحیّه وأنَّ أحد الأُمُور الَّتِی أقدم علیها أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام وأوَّل شیء خطط لَهُ عسکریاً فِی معرکه أُحُد هُوَ مواجهه الفارّین مِنْ المعرکه قبل مواجهه قریش: «... والله لأنتم أحقّ بالقتل مِنْ کُفّار قُریش»

وَقَدْ بَیَّین لنا القُرآن الکریم أسباب الهزیمه أوَّلاً، ثمَّ أسباب النَّصر الذی تحقّق بَعْدَ الهزیمه وبذلک یُلاحظ کیفیه التلفیق لأسباب النُّزول هَـذِهِ، ولوقوع التلفیق والتحریف والتزییف وقلب الحقائق وغربله روایات أسباب النُّزول المُلفَّقه مِنْ قبل مدرسه السقیفه وبنو أمیّه وبنو العباس یَکُون التدبّر فِی دلالـه الآیات والروایات الوارده عَنْ أهل البیت علیهم السلام میزاناً بالغ الأهمیّه فِی اکتشاف خیوط التلفیق والتحریف، وَمِنْ ثمَّ الوصول إلی خیوط وقصاصات الحقیقه.

والحاصل: إنَّ غربله وتنقیه کتب السِّیَر والتأریخ بما فِی ذَلِکَ تاریخ أسباب النُّزول بالغ الخطوره والتأثیر عَلَی استظهارات الفقیه فِی الفِقْه السیاسی وَالفِقْه القضائی والاجتماعی فضلاً عَنْ الفِقْه الفردی، وکذلک مؤثر عَلَی استظهارات المُتکَلِّم وما یستنتجه.

۱- (۱) المصدر السابق.

وكذلك فِي ما يكتبه المُفَسِّر مِنْ تفسير للآيات والسُّور، وكذلك فِي استظهارات عَلَى الأخلاق والآداب وغيرهم مِنْ عُلَمَاء العلوم الدِّينيه.

والطّامَّه الخطيره استرسال كثير مِنْ الباحثين سواء فِي الأوساط العلميّه الدِّينيه أو الأكاديميه مَعَ تلك المصادر وأخذها إرسال المُسلّمات مِنْ دون وقفه تمحيص وتدقيق وبحث وتنقيب جنائى، وتمحيص مختبرى للقصاصات والشواهد والبصمات وكيفيه تناسقها وتناسبها، فاليقظه والانتباه والاستطلاع والتنقيب مِنْ الضروره بمكانٍ.

وَعَلَيْهِ لأجل التغلُّب عَلَى هكذا ظاهره - أىّ ظاهره طمس الحقائق وتثبيت ما هُوَ الحَقّ مِنْهَا والواقع فعلاً - لابُدَّ مِنْ اتّباع شرائط خاصه فِي تمحيص وتنقيه أسباب النُّزول، وَهَذَا ما سنتعرَّض لَهُ فِي العنوان التالى.

منهج أمومه ولايه أهل البيت عليهم السَّلامُ عَلَى المُحْكَمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن هُوَ المحور لِكُلِّ قَواعِد التفسير، وَمِنْهَا أسباب النُّزول:

[يُشترط فِي تحقيق وتنقيه أسباب النُّزول]:

إنَّ مِنْ أهم الأُمُور الَّتِي ينبغى مُراعاتها فِي تحقيق وتمحيص منهج أسباب النُّزول ما يلى:

الأمر الأوَّل: العرض عَلَى آيات الكتاب الكريم:

إنَّ مِنْ أهم شرائط التحقيق لروايات أسباب النُّزول هُوَ عرضها عَلَى

نفس آيات القُرآن الكريم، وإنْ كانَ لَعَلَّهُ لأوَّل وهله قَدْ يُتسائل أنَّهُ كيف تعرض روايات أسباب النُّزول عَلَى آيات القُرآن مِنْ دون لزوم محذور الدُّور، والحال أنَّ دلاله الآيات إنَّما تستحصل الاستعانه بقرائن أسباب النُّزول، بَعْدَ اعترافنا أنَّ أسباب النُّزول لها تأثيرها الفاعل فِى تفسير آيات القُرآن الكريم، فكيف الآن نجعل العرض عَلَى آيات القُرآن شرطاً فِى تنقيه أسباب النُّزول مِنْ دون الاصطدام بمحذور الدور؟ وَهَذَا إلى حدٍّ ما يشبه عرض الآيات عَلَى السنه النبويّه الشريفه وروايات سنه المعصومين عليهم السلام أو عرض السنه النبويه وروايات المعصومين عليهم السلام عَلَى القُرآن الكريم مِنْ دون حصول تدافع، بدليل أنَّ نفس القُرآن يقول: (... وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ (٧)١ .

بتقريب: أنَّ القُرآن الكريم يدعوالى عرض تأويل المُتشابه مِنْ آيات القُرآن عَلَى الرّاسخين فِى العلم وَهُمْ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

وَهَذَا أيضاً ما أراد إثباته أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فِى معركه صفّين وأنَّكم لا تستطيعون تفسير مُتشابه القُرآن لوحدكم والاستغناء عَنْ العَرْض عَلَى المعصوم فَإنَّ المُعَلِّم الإلهى الوحيد الذى يستطيع أنْ يحلّ متشابهات القُرآن وإرجاعها إلى المُحْكَمات أو يخصّص العمومات أو يُقيّد

المُطلقـات أو... فِی القُرآن هُـمْ النَّبِیّ صـلی الله علیـه وآلـه وأهـل بیتـه علیهم السـلام، وَعَلَیْهِ فَلابُـدَّ مِنْ عرض الآیـات فِی القُرآن الصّامت عَلَی القُرآن النّاطق المُتمثِّل بالمعصوم علیه السلام.

ص:۱۲۵

محكمات القُرآن والسنه والعقل والوجدان

يعرض عليها متشابهات القُرآن والسنه والعقل والوجدان

ولأجل رفع غائله الدور إنْ كَانَ نذكر أُمُور لرفعه.

أوَّلاً: إنَّ حديث النَّبِيّ صلى الله عليه وآله والرّوايات الوارده عَنْ الأئمه المعصومين عليهم السلام بطرق قصيره هُمَا كَذَلِكَ يُعْرضان عَلَى كتاب الله فَإنَّ كتاب الله نورٌ وبيانٌ وهدىً، فإذا كَانَ هُنَاك تدافع فِي الأحاديث والرّوايات فَعِنْدَ عرضها عَلَى كتاب الله فَإنَّهُ سوف يُدْفع ويرفع ذَلِكَ التّدافع مِنْ خلال عرض مجموع مُتشابهات القُرآن والسّنه عَلَى مجموع محكمات القُرآن والسنه.

ولا يستطيع أحدٌ أنْ يقوم بِهَذَا العرض الذى وصفه القُرآن الكريم إلَّا بالاستعانه بالراسخين فِي العلم وَهُمْ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله: (إنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ)١ و (وَ ما يَعْقِلُها إلاَّ الْعالِمُونَ) (١) هَذَا النسبه إلى عرض متشابه الكتاب والسنه عَلَى مُحْكَم الكتاب والسُّنه.

١- (٢) سوره العنكبوت: الآيه ۴۳.

كَذَلِكَ النسبه إلى مُتشابهات العقل والوجدان فَإنَّ العقل والوجدان كَذَلِكَ فيها مُتشابهات مُتمثِّله بالظّنيات وَالأمُور النَّظَريَّه الَّتِى هِىَ غَيْر البديهيّه، ومثل هَذِهِ عادةً يحصل فيها اختلاف؛ ولذا المرجع الوحيد لحلّ كُلّ مُتشابهات العقل هُوَ الرجوع إلى مُحكمات القُرآن والسنه.

ثانياً: لو تنزّلنا وسلّمنا بوجود محذور الدور والتّدافع بين الأحاديث والرّوايات والآيات القُرآن، فَإنَّهُ عِندنا طريق آخر لرفع التّهافت والتّدافع مِنْ خلال وجود نافذه أُخْرَى مِنْ نوافذ العلم غَيْر الوحى الإلهى والعقل ألا وَهِىَ بديهيات الوجدان، فَإنَّ نافذه المشاهدات والمُكاشفات هِىَ أيضاً فيها بديهيات وفيها مُتشابهات، أما الوجدانيات الضروريه هِىَ المُحكمات الَّتِى تجدها فِى نفسك وممّا يقضى بها قلبك فَإنَّهُ بديهى عِنْدَ الكُل، وَهَذَا ممّا وصفه القُرآن بالفطره(فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)١ .

ثالثاً: اكتشاف وَحْدَه النُّظم ووحده الاتّساع فَإنَّ الحاكم والقانون القاهر فِى التكوين هُوَ وحده النُّظم ووحده الاتّساق فالتناقض والتّهافت والتّدافع لا يمكن افتراضه بخلاف الاتّساق والنّسق والوحده فِى تأليف وتوليف القصاصات والشواهد لترتسم صوره كامله واضحه لا يتخلّلها بقع وفراغات مُبهمه.

الأمر الثَّانِى: عرض أسباب النُّزول عَلَى روايات أهل البيت عليهم السلام المُعتبره والمُستفيضه، بَلْ والطرق الضعيفه لتلك الرّوايات، فَإِنَّ استعراض الروايات لأسباب النُّزول للآيات لا يقتصر عَلَى ذكر الرّوايات الوارده فِى ذيل الآيات أىّ المُتضمِّنه للتعرض لألفاظ الآيات بَلْ إِنَّ فِى كثير مِنْ الرّوايات التعرّض إلى أحداث تاريخ الإسلام وسيره النَّبِىّ صلى الله عليه وآله والمُتقدّمين مِنْ أئمه أهل البيت عليهم السلام مِنْ دون التعرّض إلى ألفاظ الآيات، بَلْ قَدْ لا تتعرّض إلى العناوين والأحداث الكبيره للحدث، لكنَّها تتعرّض إلى فصول أو زوايا هِىَ مِنْ أبعاض وَبَعْض ذَلِكَ الحدث، وَمِنْ تجميعها يتمكّن مِنْ لملمه مجموع فقرات الحدث، ولربّما يَستْغرب الباحث عِنْدَمَا نشير إلى أنَّ الكُتب الأربعه فضلاً عَنْ غيرها رغم أنَّ المعروف عنها كتب الحديث فِى فقه الفروع إلَّا أنَّها تشتمل عَلَى الكثير الكثير مِنْ بحوث السِّيره النبويه وسيره حياه المعصومين، بَلْ الكثير الكثير مِنْ أبواب المعرفه رغم أنَّ اسئله الرّواه فِى تلك الرّوايات متّجهه ابتداءاً إلى أسئله فِى فقه الفروع، هَذَا فضلاً عمّا فِى بَعْض مجلّداتها مِنْ أبواب وفصول فِى السّيره وأحداث المكى والمدنى مِنْ تاريخ الإسلام.

الأمر الثَّالِث: العرض عَلَى بديهيات العقل لا نظرياته فَإِنَّها - النظريات - استبعادات ظنيّه لا قيمه علميّه لها، وَهَذَا التفصيل ضابطه مُهمّه فِى التمييز بين القراءه الَّتِى هِىَ عَلَى طبق الاستذواق الظنّى القاصر لإدراكات العقل، فَإِنَّ الكثير مِنْ الأحكام الَّتِى تُطلق عِنْدَ مَنْ يتمشدق بعنوان البحث العلمى

هِيَ أحكام مبنيّةٌ عَلَى قصور علمى عَنْ الإحاطه بأبواب أو فصول أو مسائل مِنْ علوم مُخْتَلِفَه ذَاتَ صله بقراءه ذَلِكَ الحدث، ولقلَّه بضاعه ذَلِكَ الباحث المتقحّم عَنْ الإطلاع عَلَى تلك المسائل مِنْ تلك العلوم تراه يبنى تصوراته وأحكامه عَلَى مجهولات كثيره لديه، بَلْ يُرى هَذَا الحال حَتّى بالنسبه إلى العلوم الحديثه العصريه فلا يواكب المستجدات مِنْ النظريات والاكتشافات العلميّه فيها ويبقى يشتر معلومات ثقافيه سالفه فِي تحصيله العلمى مِنْ دون أنْ يجدد تلك المعلومات، فضلاً عَنْ عدم الاطّلاع عَلَى العلوم النقليّه، وكم غفلهٍ تقع عِنْدَ جملهٍ مِنْ الباحثين مِنْ التفرقه بين ما هُوَ حقيقه علميّه وبين ما هُوَ نظريّه وبين ما هُوَ فرضيّه علميّه، وبين ما هُوَ خيال علمى.

مؤامره واغتيال حمزه بن عبدالمطلب

فِي معركه أحد:

إنَّ هُنَاك جمله مِنْ التساؤلات الَّتِى تسترعى انتباه ذهن الباحث عِنْدَمَا يقف عَلَى حادثه استشهاد حمزه بن عبدالمطلب عليه السلام وتقوده هَذِهِ التساؤلات إلى نظريه القول بأنْ استشهاد حمزه لَمْ يكن يَتِمُّ بفعل المقاتل وحشى ورميه لَهُ بالحربه فَقَطْ، بَلْ إنَّ هُنَاك تواطئ مِنْ المُنافقين فِي معسكر النَّبِىّ صلى الله عليه وآله تَمَّ التنسيق والتواطئ معهم وبنى أميّه للقيام بعمليه اغتيال حمزه أثناء المعركه.

أوَّلاً: إنَّهُ كيف تَمَّ اختراق وحشى لصوف المسلمين ورمى حمزه

بحربته مِنْ الجانب فِی بدایات المعرکه قبل أنْ ینتصر المسلمون فِی البدایه، فَإنَّ جیش المسلمین فِی البدایه لَمْ یکن منهزماً، لا سیما وَأنَّهُ کَانَ فِی عنفوان قوته، وَقَدْ حقّق النصر أوَّلاً بَعْدَ استشهاد حمزه فکیف یتعقّل اختراقه فِی بدایات المعرکه مِنْ قبل العدو.

ثانیاً: إنَّ القُرآن الکریم فضلاًعن مصارد السیر ومصادر الحدیث یشیر إلی أنَّ ثلث جیش رسول الله صلی الله علیه وآله رجعوا تخاذلاً عَنْ المعرکه قبل وقوعها بَعْدَ خروجهم مِنْ المدینه المنوَّره معه صلی الله علیه وآله واتّبعوا ابن أبی سلول وغیره مِنْ رؤوساء المنافقین.

ثالثاً: إنَّهُ قَدْ وقع قتل أحد المسلمین غیلهً فِی جیش رسول الله صلی الله علیه وآله مِنْ منافق کَمَا ذکرته فصادر العامّه کنقل الواقدی فِی تفصیل قصه قتل المجذر بن ذیاد لسوید بن الصامت، قَالَ: - جاء خُضَیر الکتائب إلی أبی لُبابه ابن عبدالمنذر وخوّات بن جُبیر وسوید الصامت بن الصّامت، فَقَالَ لهم تزورونی فأنحر لکم وأسقیکم وتقیمون أیاماً، فقالوا: نأتیک یَوُم کذا وکذا فلما کَانَ ذَلِکَ الیوم جازوه فنحر لهم جزوراً فأقاموا عنده ثلاثه أیام حَتّی تغیّر اللحم، فقالوا لنرجع إلی أهلنا، وَکَانَ سویداً شیخاً کبیراً، وَکَانَ خُضیر قَدْ سقاهم خَمراً مخرج أبو لُبابه وخوّات یحملان سویداً مِنْ الثمل حَتّی کانوا قریباً مِنْ بنی عصبته تّجاه بنی سالم فجلس سوید یبول، وَهُوَ سکران فبصر به إنسان مِنْ الخزرج فذهب إلی المجذر بن ذیاد، وَقَالَ لَهُ هَذَا سوید ثمل أعزل لا سلاح لَهُ وَکَانَ سوید قَدْ قتل معاذ بن عفراء فخرج

مجذرمُصلتاً سيفه، فلما رآه أبو لُبابه وخوّات وَهُمَا أعزلان لا سلاح معهما فانصرفا سريعين وثبت سويد لا حَرَاكَ به فوقف عَلَيْهِ المجذر، وَقَالَ: قَدْ أمكن الله منك! فَقَالَ ما تُريد منّى؟ قَالَ أقتلك فقتله، فَكَانَ قَتْله هُوَ الذى هَيَّجَ وقعه بُعات، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينه أسلم المجذّر والحارث بن سويد وشهدا بدراً، وجعل الحارث يطلب مجذراً ليقتله فَلَمْ يقدر عَلَيْهِ يومئذٍ.

فلما جاء يَوُم أُحُد وجال المسلمون تلك الجوله أتاه الحارث مِنْ خلفه فضرب عنقه ونظر إليه حُبيب بن يساف فجاء إلى النَّبِىّ صلى الله عليه وآله فأخبره، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله مِنْ حمراء الأسد أتاه جبرائيل فأخبره بأنَّ الحارث بن سويد قتل مجذراً غيله وأمره بقتله، وَكَانَ رسول الله صلى الله عليه وآله يأتى قباء كُلّ يَوُم سبتٍ واثنين،، وركب إليه فِى اليوم الذى أخبره جبرئيل - وَكَانَ يوماً حارّاً لا يُذهب فيه إلى قباء - فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مسجد قباء صلّى فيه وسمعت الأنصار فجاءت تسلّم عَلَيْهِ فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله يتحدّث ويتصفّح النَّاس حَتّى طلع الحارث بن سويد فِى ملحفهٍ مُورَّسه (أىّ مصبوغه بالورس، وَهَذَا هُوَ نبات أصفر كَانَ يُصْبِغُ به) فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله دعا عويم بن ساعده، فَقَالَ لَهُ: قَدِّم الحارث ابن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذّر بن ذياد فَإِنَّهُ قتله يَوُم أحد، فأخذه عويم، فَقَالَ الحارث، دعنى أُكَلِّم رسول الله صلى الله عليه وآله ونهض رسول الله صلى الله عليه وآله يُريد أنْ يركب ودعا بحجاره فجعل الحارث يقول: قَدْ والله قتله يا رسول الله والله

ما كَانَ قتلى أيّاه رجوعاً عَنْ الإسلام ولا ارتياباً فيه، ولكنَّه حميّه الشّيطان وأمرٌ وكلتُ فيه إلى نفسى وَإنِّى عدى وردّ الرسول فيه عَلَيْهِ فيجبر بِهَذَا كسره بذلك، وَلَعَلَّهُ يُدرك كَذَلِكَ فضل ما وُسِمَ به الرسول صلى الله عليه وآله عَمَل ابن عدى.

رابعاً: إنَّ حمزه بن عبدالمطلب لَمْ تكن جثّته مضروبه بحربه وحش، بَلْ كَانَ عَلَى جسمه جراحات وضربات عديده مما يُدلِّل عَلَى أنَّ هُنَاك جماعه اشتركوا فِى قتله وَلَمْ يكن وحشى بحربته فَقَطْ.

خامساً: أنَّ القتل فِى المعسكر الواحد لَيْسَ بالغريب، بَلْ معهود فِى الحروب العسكريه كَمَا حصل فِى معركه الجمل مِنْ قتل مروان بن الحكم لطلحه بن عبيدالله.

سادساً: إنَّ الرُّماه الَّذِيْنَ أوصاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وَهُمْ فوق الجبل كانوا حمايه قبل نزولهم وَلَمْ يكن فِى بدايه المعركه قَدْ نزلوا عَنْ مواقعهم فكيف تَمَّ الاختراق.

سابعاً: إنَّهُ قَدْ عرفت أنَّ فِى معركه أُحُد طُمِسَتْ حقيقه نهايه المعركه مِنْ انتصار المسلمين بأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، وَكَانَ ذَلِكَ بمرأى المئات المئات والفئام ورغم ذَلِكَ طمسوا هَذِهِ الحقيقه فما بالك باغتيال حمزه سيد الشُّهداء لا سيما فِى اشتباك المعركه تختلط الأوراق وتلتبس الحقيقه.

وبالتالى فَإِنَّ كُلّ هَـذِهِ القرائن وغيرها تؤشِّر بمجموعها أنَّ تواطئاً حصل بين المنافقين فِى جيش رسول الله صـلى الله عليه وآله مَعَ بنى أُميّه فِى جيش الكُفّار، وَقَـدْ تَمَّ تـدبيره، وَهَذِهِ مِنْ الملفات الَّتِى طُمست حقيقتها فِى طيّات التعتيم والإخفاء لحقائق الأحداث، وكم مِنْ حقيقه طُمست فِى أحداث صدر الإسلام وغيَّب أصحابُ السقيفه وبنو أُميّه صفحاتها وخيوطها.

الأمر الرَّابع: العرض أو موافقه مُحكمات الوجدان أىّ بديهيات وضروريات الوجدان ولا يُخفى أنَّ هُنَاك عناصر مؤثِّره فِى تحليل الأحـداث والوصول إلى مـا وراءهـا تتوقَّف عَلَى شـعور وجـدانى يقرأ الكثير مِنْ الأُمُور غَيْر المرئيه ممّا هِىَ مؤثِّره فِى فَهُمْ صوره حقيقه الحدث فَإِنَّ الجانب غَيْر المرئى فِى الأحداث غيرُ مُبصَر ولا مسموع لكنَّه داخل فِى عمق الحدث والغفله عَنْهُ قراءه سطحيةٌ قِشـريّةٌ مِنْ دون إلمـام بروح الحـدث، ولـك أنْ تقول أنَّ الاقتصار عَلَى الجانب المرئى مِنْ الحـدث مِنْ قبيل الاقتصار عَلَى بَـدَن الحدث مِنْ دون الإدراك لروح الحدث وحقيقته وكم يعتلج مِنْ أُمورٍ فِى الرُّوح والمشاعِر والقِوى ما لا يطفح عَلَى سطح البدن.

وَعَلَيْهِ فيصـبح مجموع المصـادر الَّتِى يُعرْض عَلَيْهَـا مُتشابهـات الكتاب والسـنه والعقل والوجـدان أربعٌ وَهِىَ: - مُحكمات الكتاب والسنه والعقل والوجدان، هكذا حُرِّرَ فِى مصادر المعرفه الدِّينيه أخيراً.

كَذَلِكَ فِى محل بحثنا فِى قَاعدِه أسـباب النُّزول، فَإِنَّها تُؤثِّر فِى تفسـير القُرآن، فَإِنَّ التثبت مِنْ أسـباب النُّزول الصحيحه المُحكمه وفرزها عَنْ

أسباب النُّزول الكاذبه والمُتشابهه لها تأثيرها الفعّال فِي صحه تفسير القُرآن الكريم؛ فَإِنَّ بَعْض أسباب النُّزول نريد أنْ نُفسِّرها عَلَى ضوء أسباب النُّزول بمقدار مِنْ الظهور تكون دلالته صريحه وواضحه ونصيّه، وبعضها الآخر دلالته خفيّه أو مُتشابهه، فَإِنَّ المُتشابه فيها يُعرَضُ عَلَى المُحكم لكى تمحَص وتدقق وتُنَقَّى مِنْ دون زيغ المُتشابه والموضوع؛ ولذا يعتمد فِي أسباب النُّزول عَلَى المصدر الأوَّل ذو الدلاله الصَّريحه والبيّنه للآيات وَالَّتِي مِنْ خلالها تُمحَّص صحه ووثوق أسباب النُّزول مِنْ خطأها، ومنهج العرض هَـذَا مِنْ التحقيق والتدقيق لَيْسَ مختصاً بأسباب النُّزول، وَإِنَّما يشمل هَـذَا المنهج تمحيص التأريخ مِنْ جديد لا بمجرَّد تلفيق التأريخ كلا وَإِنَّما المُرَاد مِنْ تحقيق التأريخ وفق هَذَا المنهج هُوَ لأجل اكتشاف المغيَّب مِنْ الحقائق الضروريّه الصحيحه.

وَعَلَيْهِ لو اعتمدنا هَذِهِ المنهجيه فِي تحقيق أسباب النُّزول سوف ترى كيف تكشف لنا زيغ وتلفيق ما حاولته الأقلام المأجوره فِي أسباب النُّزول المزعومه مِنْ تغييب مقطع رئيسى ثالث فِي معركه أُحُد مِنْ أنَّ المسلمين كيف خسروا المعركه، إلَّا أنَّهُ بَعْدَ تمحيص أسباب النُّزول نجد أنَّ ما ذكرته آيات سوره آل عمران فِي خصوص معركه أُحُد أنَّ الصحيح هُوَ أنَّ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله كَانَ عَلَى الخروج مِنْ المدينه للحرب لا عَلَى المكث فِي المدينه المنوّره، هَـذَا ما حاولت الأقلام المأجوره إبرازه فِي أسباب النُّزول، وَقَدْ نال رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وَهُوَ الصحيح موافقه الشباب المُتحمّس فِي المدينه

المنوّره ورجالات المدينه الكبار المخلصين لرسول الله صلى الله عليه وآله ورأى جمهور الأنصار كَذَلِكَ المُمَثَل بالسعدين: سعد بن عُباده، وسعد بن معاذ و... الخ، الَّذِيْنَ قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: «اخرُج نخرج معك كيف كُنّا فِي الجاهليه لا نحارب فِي عُقرِ دارنا، ولا فِي بساتيننا، بَلْ نخرج إليهم ولا نجعلهم يصلون إلى ضواحى المدينه، هَذَا فِي الجاهليّه فكيف الآن وَقَدْ أعزّنا الله بك وبالإسلام وَقَالَ إياس بن أوس بن عتيك: يا رسول الله، نَحْنُ بنو عبدالأشهل مِنْ البقر المذبح، نرجو يا رسول الله أنْ نذبح فِي القوم ويذبح فينا، فنصير إلى الجنّه، ويصيرون إلى النار، مَعَ إنِّى يا رسول الله لا أحب أنْ ترجع قريش إلى قومها، فتقول حصرنا مُحمَّد فِي صياصى يثرب وأطامها، فتكون هَذِهِ جرأه لقريش، وَقَدْ وطّنوا سعفنا، فإذا لَمْ نذب عَنْ عرضنا، فَلَمْ ندرع وَقَدْ كُنَّا يا رسول الله فِي جاهليتنا، والعرب يأتوننا، فلا يطمعون بِهَذَا منّا حَتّى نخرج إليهم بأسيافنا فنذبَّهم عنّا، فَنَحْنُ اليوم أحقّ إذْ أمدنا الله بك، وعرفنا مصيرنا، لا نحصر أنفسنا فِي بيوتنا.

فقام سعد بن معلّا وغيره مِنْ الأوس فقالوا يا رسول الله ما طمع فينا أحد مِنْ العرب وَنَحْنُ مُشركون نعبد الأصنام فكيف يطمعون فينا وَأَنْتَ فينا، لا، حَتّى نخرج إليهم فنقاتلهم فَمَنْ قتل منا كَانَ شهيداً وَمَنْ نجى منّا كَانَ قَدْ جاهد فِي سبيل الله، فقبل رسول الله قوله وخرج مَعَ نفر مِنْ اصحابه يبتغون موضع القتال، كَمَا قَالَ الله: «وَإِذْ غدوت مِنْ أهلك تبوء المؤمنين إلى قوله - إذْ همَّت طائفتان منكم أنْ تفشلا» يعنى عبدالله بن

أبی وأصحابه، فضرب رسول الله صلی الله علیه وآله معسکره ممّا یلی مِنْ طریق العراق، وقعد عبدالله بن أبی وقومه مِنْ الخزرج اتّبعوا رأیه، ووافت قریش إلی أحد، وَکَانَ رسول الله صلی الله علیه وآله عد أصحابه وکانوا سبعمائه رجلاً، فوضع عبدالله بن جبیر فِی خمسین مِنْ الرُّماه عَلَی باب الشَّعب وأشفق أنْ یأتی کمینهم فِی ذَلِکَ المکان، فَقَالَ رسول الله صلی الله علیه وآله لعبدالله ابن جبیر وأصحابه أنْ رأیتمونا قَدْ هزمناهم حَتّی أدخلناهم مَکَّه فلا تخرجوا مِنْ هَذَا المکان وإنْ رأیتموهم قَدْ هزمونا حَتّی أدخلونا المدینه فلا تبرحوا والزموا مراکزکم، ووضع أبو سفیان خالد بن الولید فِی مائتی فارس کمیناً، وَقَالَ لهم إذَا رأیتمونا قَدْ اختلطنا بهم فاخرجوا علیهم مِنْ هَذَا الشَّعب حَتّی تکونوا مِنْ ورائهم فلما أقبلت الخیل واصطّفوا وعبأ رسول الله صلی الله علیه وآله أصحابه دفع الرایه إلی أمیر المؤمنین فحملت الأنصار عَلَی مشرکی قریش فانهزموا هزیمه قبیحه ووقع أصحاب رسول الله فِی سوادهم وانحطّ خالد بن الولید فِی مأتی فارس، فلقی عبدالله بن جبیر فاستقبلوهم بالسِّهام فرجعوا ونظر أصحاب عبدالله بن جبیر إلی أصحاب رسول الله ینهبون سواد القوم، قالوا لعبدالله بن جبیر تقیمنا ههنا وَقَدْ غنم أصحابنا ونبقی نَحْنُ بلا غنیمه، فَقَالَ لهم عبدالله اتّقوا الله فَإنَّ رسول الله صلی الله علیه وآله قَدْ تَقَدَّمَ إلینا أنْ لا نبرح، فَلَمْ یقبلوا مِنْهُ وأقبل ینسل رجل فرجل حَتّی أخلوا مِنْ مرکزهم وبقی عبدالله بن جبیر فِی اثنی عشر رجلاً، وَقَدْ کَانَتْ رایه قریش مَعَ طلحه بن أبی طلحه العدوی مِنْ بنی عبدالدار فبرز ونادی یا مُحمَّد! تزعمون أنکم تجهزونا بأسیافکم إلی النَّار

ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنَّه فَمَنْ شاء أنْ يلحق بجنته فليبرز إلىَّ، فبرز إليه أمير المؤمنين يقول:

يا طلح إنْ كُنْت كَمَا تقول لنا خيول ولكم نصول

فاثبت لننظر أيّنا المقتول وأيّنا أولى بما تقول

فَقَدْ أتاك الأسد الصؤل بصارم لَيْسَ به فلول

بنصره القاهر والرسول»(1)

وَعَلَيْهِ فَإنَّ مثل هَـذَا الكلام موجود فِى كلام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلَّا أنَّهُ مُبعثَرٌ فِى المصادر سواء مصادر العامّه أو الخاصّه، فيحتاج إلى جمع وتنقيه وتدقيق حَتّى تخرج الصوره مُتكامله الجوانب، فمثلاً فِى معركه أُحُد إظهار المقطع المُغيَّب وَهُوَ المقطع الأخير مِنْ المعركه الذى حذفته أساب النُّزول المُلفَّقه والمُزيّفه وَهُوَ كيف كَانَتْ نتيجه معركه أُحُد هُوَ انتصار المسلمين بإرسال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلىّ بن أبى طالب وجماعه لمتابعه هؤلاء المُشركين المنهزمين الفارّين مِنْ أرض المعركه وقتل ما قُتِل منهم وفرار ما فَرَّ منهم.

وَمِنْ خلال بيان هَذَا المقطع المُغيّب مِنْ معركه أُحُد يتّضح أنَّ سبب هزيمه المسلمين وسوط المعركه - كَمَا بيّنا سابقاً - هُوَ لَيْسَ الخروج مِنْ المدينه كَمَا حاول البعض إظهاره وبيانه وإعطائه الصخب الإعلامى المزوَّق، لَيْسَ الأمر كَذَلِكَ وَإنَّما سبب الهزيمه أشياء أُخْرَى مثل:

١- (١) تفسير القمّى، على بن إبراهيم القمّى: ١١٢/١.

أوَّلاً عصيان أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله مِنْ قبل الرُّماه فوق الجبل.

ثانياً: وعدم اتّباع الخطّه الحربيه والعسكريه الَّتِى وضعها رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثالثاً: وأمورٍ أُخْرَى عصوا وتمرّدوا فيها عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله.

المنهج الأسلم

الذى يستعان به لتمحيص أسباب النُّزول:

وَمِنْ خلال هَذَا كُلَّهُ تبيَّن:

أوَّلاً: أنَّ المنهج الأسلم الذى يُستعان به للتمحيص وتدقيق أسباب النُّزول - وَالَّتِى هِىَ ذَاتَ خطوره وتأثير عَلَى تفسير القُرآن - هُوَ التقيّد بمُحكمات دلاله الآيات والرّوايات وحينئذٍ لا يلزم مِنْ هَذَا تدافعٌ ولا دورٌ فِى مساحه دلاله الآيات المُحكمه فَإنَّها بيِّنه.

ثانياً: وَبِهَذَا تبيَّن اختلاف تأثير منطقه دلاله الآيات الَّتِى يُستعان بها عَلَى تمحيص أسباب النُّزول وبين قسم آخر مِنْ دلاله الآيات الَّتِى تتأثَّر لدلالته بأسباب النُّزول.

ثالثاً: وتبيَّن أيضاً أنَّهُ لَيْسَ قسماً واحداً فِى البين حَتّى يَكُون هُنَاك تدافعاً أو دوراً.

ولذا لاحظنا ولله الحمد أنَّ الإطار العام لمنهجنا التفسيرى المُختار - منهج أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِى القُرآن الكريم

- يُضفى بظلاله عَلَى كُلّ قَاعدَه مِنْ قَواعِد التفسير ويترك بصمته وتأشيره عَلَيْهَا، وَمِنْ ضمن تلك القَوَاعِد قَاعدَه أسباب النُّزول.

ص:١٤٠

أسباب النصر لا تقتصر على الجانب المادى بل المعنوى والروحى

تَقَدَّمَ أنَّ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله فِى معركه أُحُد كَانَ عَلَى الخروج خارج المدينه والدِّفاع عنها ومقالته كفّار قريش، وأنَّ رأيه صلى الله عليه وآله كَانَ مُطابقاً لرأى الأكثريه مِنْ كبار الصّحابه وفيهم بَعْض عُمَد السَّقيفه ودُعاتها، وهكذا رأى السعدين: سعد بن معاذ، وسعد بن عُباده، بَلْ ثلثى جيش النَّبِىّ صلى الله عليه وآله عَلَى ذَلِكَ ويواصل استمرار القتال مَعَ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله خارج المدينه وواعدهم الله بالنصر باستجابه أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وتنفيذ خطّته العسكريه فِى يَوْم أُحُد(إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ)١ .

وَهَذَا يصلُح شاهداً إضافياً عَلَى عكس ما ادّعوه مِنْ أنَّ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله أراد المكث فِى المدينه، بَلْ الأمر بالعكس خرج النَّبِىّ صلى الله عليه وآله ومعه الأكثريه وقاتل وامتدحهم القُرآن عَلَى ذَلِكَ.

مُضَافَاً إلى ما ذكره القُرآن فِى معركه بدر عَلَى ما سيأتى فِى محله(وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّهٌ فَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣)٢ .

فَإنَّ القوّه العسكريه الَّتِى كَانَ يمتلكها النَّبِىّ صلى الله عليه وآله فِى معركه بدر كَانَتْ أشدّ ضعفاً مِنْ أَحُد حسب الصوره العسكريه الظاهريه.

والشىء المُهِم الذى نُريد التوصّل إليه هُوَ أنَّ النّصر لَيْسَ وليد الأسباب المادّيه فَقَطْ مِنْ ناحيه ملاحظه الكثره أو القِلَّه كَمَا يدّعوه فِى أسباب النُّزول، وَإنَّما أراد القُرآن أنْ يخبرهم أنَّ أسباب النصر والهزيمه أشياء أخر غَيْر الأُمُور الماديه، كالأُمُور المعنويّه والروحيّه، وَحَتّى فِى العلوم الحديثه قُرِّر بأنَّ ما يقرب مِنْ ال - ٨٠٪ فِى النّصر والهزيمه يرجع إلى الحرب النفسيّه المتقدِّمه بالإعلام والدّعايه وصلابه الإراده وضعضعتها، وأمَّا الجانب المادّى والآلى واللوجستى كَمَا يُعبِّر عَنْ ذَلِكَ فِى مصطلح علم الاستراتيجيات لَهُ تأثير بنسبه ٢٠٪ وَعَلَيْهِ ما يذكره القُرآن الكريم مِنْ أسباب الهزيمه والنّصر فِى أُحُد لَيْسَ راجعاً إلى جانب القلَّه والكثره فَقَطْ، بَلْ عَلَى العكس فِى بدر كَانَ المسلمون قِلَّةً ونصرهم الله وَإنَّما أسباب الهزيمه والنّصر ليست مادّيه فَقَطْ كَمَا يدّعونه فِى أسباب النُّزول المُلفَّقه تماماً، بدليل أنَّ آيات القُرآن الَّتِى نزلت فِى معركه بدر(إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَهِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَهِ مُنْزَلِينَ (١٢٤)١ ، و(بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَهِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَهِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥)٢ .

بتقريب: إنَّ المدد الإلهى تلقائياً موجود بشرط أنْ تكون هُنَاك صلابه

وإراده ويقين وهمّه عاليه فإنْ منظومه الكون الإلهى مرتبه عَلَى هَـذَا النّمط بأنْ تكون هُنَاك ملائكه منزلين وملائكه مسومين ففى بدر ثلاثه آلاف مِنْ الملائكه وفى أُحُد خمسه الآلاف و... هَذِهِ وغيرها مِنْ المعادلات الكونيّه لا نعلم أسرارها لكنَّها رهينه اليقين بالطّاعه والإراده والتسليم لأمر الله بأنَّ النَصْرَ مِنْ الله وحدَّه.

وَعَلَيْهِ فالمـدد الإلهى موجود وبشـرط صـلاحيّه الإراده والهمه واليقين - فَإنَّ المـدد الإلهى - يَكُون ملائماً ومتناسـباً مَعَ المنظومه الكونيّه القـائمه عَلَى هَـذَا التّرتيب مِنْ أنَّ الطّاعه والامتثـال للأـوامر الإلهيّه حليفها النّصـر عاجلًا أم آجلًا، لا كَمَا صورته مدرسـه الطرف الآخر - العامّه - مِنْ أسـباب النُّزول أنَّ الهزيمه كَانَتْ معلوله لخروج النَّبِىّ صـلى الله عليه وآله كَانَتْ مِنْ المـدينه المنوّره لمقاتله قريش كيف وَقَدْ تحقق النصر أوَّلاً والاهتمام بالجانب الجغرافى واللوجستى والعِدَّه والعدد و... الخ فَإنَّ مثل هَذِهِ الأسباب ليست صـحيحه، بَلْ مُلفِّقه، وَعَلَيْهِ فأصل النَّصـر كَانَ المسـلمون موعدين به، وأنَّ سبب الانهزام وسط المعركه بسبب عدم الإطاعه والتّخلف عَنْ أوامر النبى صلى الله عليه وآله العسكريه، وَهَذَا غَيْر ما لَفَّقَ لَهُ فِى أسباب النُّزول لتحريف معانى آيات القُرآن.

ليس على النصر والهزيمه العسكريه وإنما على إظهار الحق والحقيقه والإيمان

النموذج الثانِی: قوله تَعَالَی: (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَ تِلْكَ الْأَيّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ (۱۴۰)۱ .

بتقريب: إنَّكم أيُّهَا المُسلمون إنْ كنتم جزعتم لمصابكم بالهزيمه، وسط معركه أُحُد أو أصابكم قرحٌ بمعنى خسرتم شُهداء مِنْ صفوفكم فَإنَّهُ قَدْ أصاب الكافرين قتلى مِنْ قريش، فَإنَّ عدد الشُّهداء مِنْ المسلمين فِی أُحُد بعدد قتلى الكُفّار مِنْ قريش فِی بدر(فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ)۲ ، وَعَلَيْهِ فلماذا هَذَا الجزع أيُّهَا المُسلمون(وَ تِلْكَ الْأَيّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النّاسِ)۳ .

بتقريب: إنَّ طبيعه الأيام هِیَ تدويل - مِنْ الأداله وَهِیَ مصدر

أدال، أدال يُدِيل فَهُوَ مديل والمفعول مُدال، وأدالَ بشيء: جعله مداوله أيّ تاره لهؤلاء وتارةً للآخرين (۱)- تاره للمؤمنين عَلَى الكافرين وَأُخْرَى بالعكس إلَّا أنَّ هَذِهِ ليست علامه عَلَى الغلبه والنّصر، فَإنَّ منطق القُرآن يُنادى بأعلى صوته: - إنَّ الغلبه العسكريه أو المادّيه فِي الدُّنْيَا ليست دليلاً عَلَى الحَقّ، فَإنَّهُ لو لاحظنا عَلَى مَرَّ العصور كَانَت الغلبه العسكريه والمادّيه لأعداء الله عَلَى أولياء الله، فَإنَّ هزيمه المؤمنين مِنْ الكافرين ليست دليلاً عَلَى بُطلان مسار المؤمنين أو أنَّ نفس خروجهم مِنْ المدينه إلى خارجها لَيْسَ أماره عَلَى الانهزام، ولا ننسى أنَّ الحكمه الإلهيه اقتضت أنْ تكون الدُّنْيَا دار ابتلاء وامتحان حسب التعبير القرآنى كقوله تَعَالَى: (وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)۲ و(وَ لِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ (۱۴۰)۳ ليستخرج الله مَنْ آمن ممّن كفر وأنَّ الظالمين وإنْ انتصروا بحسب الحسابات المادّيه ولكنَّهم ليسوا عَلَى قُرب ورضى ومحبه مِنْ الله ممقوتون، وأمَّا المؤمنون فَهُمْ وإنْ ظُلموا فإنَّهم محبوبون عِنْدَ الله تَعَالَى.

ومِمَّا تَقَدَّمَ يُعْلَم أنَّ المدرا لَيْسَ عَلَى النَّصر والهزيمه وَإنَّما فِي النجاح والفلاح، حسب المفهوم القرآنى، وَيَكُون الميزان والمدار عَلَى إظهار الحَقّ والحقيقه والإيمان والكفر، وَمِنْ هَذَا القبيل قوله تَعَالَى فِي صلح الحديبيه

۱- (۱) معجم المعانى الجامع.

(إِنّا فَتَحْنا لَکَ فَتْحاً مُبِیناً (۱)۱ .

بتقریب: إِنَّهُ تَعَالَی وصف الصلح بأنه فتح مُبین مَعَ أَنَّهُ لَمْ یحصل فیه نصرٌ ولا حسم عسکری، بَلْ ظاهره استجابه مِنْ الرسول صلی الله علیه وآله لممانعه قریش حَتّی اعترض الثَّانِی - عمر بن الخطّاب - وألَّب بقیَّه الصحابه عَلَی الصلح، وکانوا یظنونه انکساراً وفشلاً مَعَ أَنَّ الله تَعَالَی یصفه بالفتح، بَلْ والمبین، بَلْ أَکَّدَ ذَلِکَ وکرَّرَ مادّه الفتح - فحتنا لک فتحاً مبیناً، فِی حین أَنَّ القُرآن الکریم لَمْ یصف فتح مکّه بالفتح المبین وَلَمْ یُؤکِّد عَلَی کونه فتحاً بَلْ سمّاه نصراً وفتحاً وَلَمْ یُسَمِّه بالمبین، ولا بالفتح المؤکَّد، وَهَذَا صریحٌ فِی أَنَّ منطق الفتح فِی القُرآن مُغایر مِنْ النصر وأعظم مِنْهُ، وأَنَّ العُمْدَه فِی الإنجاز هُوَ الفتح والنَّصر مُقَدِّمَه وآلیه لَهُ وعبر مقدمه حصریّه، بَلْ للفتح آلیات عدیده، وفی الصحیح إلی ابن محبوب عَنْ عمّار بن أبی الأخوص، قَالَ: قُلتُ لأبی عبدالله علیه السلام... فَقَالَ: «... أما علمت أَنَّ أماره بنی أُمیّه بالسیف والفسق والجور، وأَنَّ إمامتنا - أمارتنا - بالرفق والتآلف والوقار والتقیّه وحسن الخِلْقه والورع والاجتهاد فرغِّبوا النَّاس فِی دینکم وفی ما أنتم فیه»(۱).

بتقریب: حَیْثُ یُشیر الإمام إلی أَنَّ دولتهم وإمارتهم تنتشر بما یُعْرف بالعصر الحدیث بالقوَّه الناعمه مِنْ قبیل الرّفق والمرونه والیونه والسیاسه الأخلاقیه والوقار ومتانه السلوک والوعی الأمنی وحَسْن التعامل

۱- (۲) الوسائل، أبواب الأمر بالمعروف والنّهی عن المنکر: ب ۱۴، ح ۹.

والمصداقيه البالغه فِی التّقوی وتجسیدها فِی الذّات وَأَنَّهُ عبر الترغیب لا الترهیب.

العلاقه الَّتِی یذکرها القُرآن للتمییز بین الحَقّ والباطل:

إنَّ مِنْ أهم العلامات الَّتِی یُرکِّز القُرآن الکریم عَلَی ذکرها للتمییز بین الحَقّ والباطل، هُوَ أنَّ المُتیقّن دائماً مستضعفون، والمُتقون دائماً تکون لهم النهایه الحسنه وعاقبه الأُمُور الحسنی، وأنَّهم لا یکسبون الجوله لا فِی البدایه ولا فِی الوسط، وَإنَّما یکسبون العاقبه وَالأُمُور بخواتیمها(وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّهً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِینَ)۱ .

وَعَلَی المؤمنین أنْ یصبروا ویُرابطوا إنَّ اضطُهدوا(وَ لِیُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ یَمْحَقَ الْکافِرِینَ (۱۴۱)۲ .

وقوله تَعَالَی: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّهَ وَ لَمّا یَعْلَمِ اللّهُ الَّذِینَ جاهَدُوا مِنْکُمْ وَ یَعْلَمَ الصّابِرِینَ (۱۴۲)۳ .

وقوله تَعَالَی: (وَ لَقَدْ کُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَیْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (۱۴۳)۴ .

بتقریب: أولیس تتمنون الشّهاده فلماذا تجزعون؟! (وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ

رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً)١ .

عدم إيمان بَعْض البدريين:

حال المسلمين فِى غزوه أُحُد:

إنَّ العدسه القُرآنيه استعرضت فِى آيات مُتعدِّده مِنْ سورٍ مُتعدِّده مواقف بعض صحابه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله فِى مختلف حروبه وغزواته وفتوحاته و... وقَسَّمتهم إلى أصنافٍ وطبقاتٍ، فمثلاً ما جاء فِى سوره الأنفال مِنْ آيه ۴١-۴۴(وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْ ءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ ... (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَهِ الدُّنْيا وَ هُمْ بِالْعُدْوَهِ الْقُصْوى وَ الرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ لَوْ...) وَالَّتِى سبقت هَذِهِ الآيات نبأ عظيم وإفصاح خطير، هُوَ أنَّ مَنْ كَانَ فِى ركب النَّبِىّ صلى الله عليه وآله فِى غزوه بدر وأثناء القتال كانوا عَلَى ثلاث فئاتٍ.

١ - فئه مؤمنه. ٢ - وفئه مُنافقه. ٣ - وفئه الَّذِيْنَ فِى قلوبهم مرضٌ.

كَما وصفهم القُرآن(إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هؤُلاءِ دِينُهُمْ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۴٩)٢ .

بتقريب: أنَّ عدسه القُرآن تشير بوضوح إلى وجود فئتين ملعونتين مذمومتين متخفيتين فِى الصحابه البدريين، ولا يتوهّم أحدٌ أنَّ المُرَاد مِنْ

المُنافقين بالآيه المُباركه هُمْ فَقَطْ كفّار قُريش المُتجاهرون بالكَفر فِى صفوف البدريين، وَلَيسَ فَقَطْ منافقوا المدينه المنوَّره، بَلْ المُرَاد مِنْ المنافقين أىّ الحاضرون منهم فِى أرض بدر، ومشهد معركه بدر، وَكَانَ منطق الفئتين - أىّ هؤلاء المُنافقون، وَالَّذِيْنَ فِى قلوبهم مَرَضٌ تّجاه الفِرْقه الأُولى المُؤمنه الثابته أنْ قالتا لمّا رأتا حشد مُشركى قريش وبطرهم وخيلاءهم فِى غزوه بدر، أنَّ الفئه الأولى مغروره بسبب دينهم وَهُوَ دين الإسلام، فَلَمْ ينسبوا أنفسهم إلى الدِّين الإسلامى، وَإنَّما جعلوا أنفسهم بذلك عَلَى دين المُشركين!.

وإفصاح هَذِهِ السوره المُبَارَكه عَنْ انقاسم جيش المسلمين الَّذِيْنَ كانوا مَعَ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله إلى ثلاثه أقسام أو فئات يُبطِلُ كُلّ الرّوايات الَّتِى يرويها العامّه حول قدسيّه البدريين وأنَّ الله قَدْ غَفَر لهم وإنْ عملوا ما عملوا، فضلاً عَنْ كون ذَلِكَ مناقض للآيات والسور العديده المُشترطه للوفاء حَتّى حلول الأجل والثبات عَلَى الإيمان والعمل الصالح، كَمَا يُبطل مقوله كُلّ بدرى أو إحدى فَهُوَ مؤمن وممدوح ومرضى حاله عِنْدَ الله تَعَالَى.

وهكذا ما ذكرته الآيات المُباركات مِنْ نفس سوره الأنفال: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢۴) وَ اتَّقُوا فِتْنَهً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّهً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (٢۵)١ .

بتقریب: ذکر ابن کثیر فِی تفسیره عَنْ السدّی: نزلت هَذِهِ الآیات فِی أهل بدر خاصّه فأصابتهم یَوْم الجمل فاقتتلوا(۱).

وفی هَذِهِ الآیات إشاره واضحه إلی أنَّ المسلمین البدریین سیُفتنون بفتنهٍ تصیبُ الجمیع، وأنَّهم سیمتحنون بها وفیهم الظالمون، وأنَّ مَنْ یخون الله ورسوله والأمانات المأخوذه علیهم فَإنَّ الله شدید العقاب، وَهَذِهِ الآیات الکریمه هِیَ کَذَلِکَ صریحه فِی تقسیم وتمییز مَنْ صَحِبَ النَّبِیّ صلی الله علیه وآله فِی بدر وفی أوائل الهجره إلی المدینه، وأنَّهم یفتنون وَیَکُون بعضهم ظالما، ویخون الله ورسوله والأمانات المأخوذه علیهم هَذَا حال بَعْض البدریین.

وأمَّا حال المسلمین فِی أحد: - فَقَدْ رسمت وقَسَّمتْ آیاتُ سور آل عمران فِی مواضِعَ مُتعدِّده حالهم ووضعهم: - مِنْهَا: -

قوله تَعَالَی: (إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لا تَلْوُونَ عَلی أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ یَدْعُوکُمْ فِی أُخْراکُمْ فَأَثابَکُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِکَیْلا تَحْزَنُوا عَلی ما فاتَکُمْ وَ لا ما أَصابَکُمْ وَ اللّهُ خَبِیرٌ بِما تَعْمَلُونَ (۱۵۳) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَیْکُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَهً نُعاساً یَغْشی طائِفَهً مِنْکُمْ وَ طائِفَهٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ)(۲).

بتقریب: إنَّ الآیه المُبَارَکَه بیَّنت طائفه ثالثه فِی معرکه أحد وَهُمْ«قَدْ أهمّتهم أنفسهم ومحورهم ذواتهم» وهکذا الحال فِی باقی معارک وفتوحات وغزوات النَّبِیّ صلی الله علیه وآله.

۱- (۱) تفسیر ابن کثیر: ج ۲، ص ۲۸۶.

۲- (۲) سوره آل عمران: الآیه ۱۵۳-۱۵۴.

ضوابط القُرآن فِی تقسیم أصحاب النَّبِیّ صلی الله علیه وآله واحده:

إنَّ ضوابط القُرآن فِی تقسیم أصحاب النَّبِیّ صلی الله علیه وآله کافه هِیَ واحِدَه، فَإنَّ قسماً منهم مدحهم القُرآن سواء کانوا بدریین أو أُحدیین أو حنیین أو... الخ.

وقسماً آخر یعاتبهم القُرآن ویُحاسبهم ویُندد بهم، وبالتالی فَهَذَا الصّحابی وإنْ کَانَ قَدْ شارک مَعَ رسول الله فِی غزواته وحروبه إلَّا أنَّهُ بالتالی فِی أیّ قسم یدرج هل فِی قسم الممدوحین أم المذمومین، إلَّا أنَّ أسباب النُّزول المُحَرَّفه تحاول أنْ تُغطّی ولا تُظهِر هَذَا التقسیم، وأنَّ کُلّ مَنْ شارک مِنْ الصّحابه مَعَ رسول الله فَلَهُ الأجر والثواب وَأنَّهُ ممتدح، إلَّا أنَّ هَذَا لَیْسَ بصحیح، وَإنَّما الصحیح هُوَ أسباب النُّزول ما بیّناه مِنْ أنَّ صریح القُرآن یقسمهم فِی مواضع مُتعدَّده إلی أقسام عدیده: -

منهم: مَنْ یُرید الدُّنْیَا، ومنهم: - مَنْ یُرید الأخره، ومنهم: مَنْ همّته نَفْسُه ومنهم و... الخ، فَإنَّ جمهور العامّه إلی الآن لا یَعُون هَذَا المعنی.

وَمِنْ خلال هَذَا تبیَّن أنَّ القُرآن الکریم یستعرض هَذَا الحکم ویُبیِّن الواقع الصحیح الذی لا یأتیه الباطل لا ما کتبه المُؤرّخون أو أصحاب السیر تحت ظل حکومات مُعیَّنه. وَعَلَیْهِ فوقوع الفرار فِی صفوف کثیر مِنْ المسلمین بَعْدَمَا شاهدوا النّصر باستزلال الشّیطان لهم کُلّ ذَلِکَ کَانَ بسبب بَعْض الاعمال السّیئه السّابقه، وأنَّ طائفه منهم کانوا یظنّون بالله ظنَّ الجاهلیه ویُخفون کُلّ ذَلِکَ فِی قلوبهم، وَهَذَا دلیل بیِّن عَلَی أنَّ مَنْ صَحِبَ النَّبِیّ صلی الله علیه وآله فِی القتال منهم الطیّب ومنهم الخبیث وأنَّ واقعه أُحُد کَانَتْ

للتمییز بین الطیب والخبیث، وَهَذَا ما صَرَّحت به الآیات الکریمه مِنْهَا:

قوله تَعَالَی: (وَ لَقَدْ صَدَقَکُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتّی إِذا فَشِلْتُمْ وَ تَنازَعْتُمْ فِی الْأَمْرِ وَ عَصَیْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراکُمْ ما تُحِبُّونَ مِنْکُمْ مَنْ یُرِیدُ الدُّنْیا وَ مِنْکُمْ مَنْ یُرِیدُ الْآخِرَهَ ثُمَّ صَرَفَکُمْ عَنْهُمْ...)۱ .

وقوله تَعَالَی: (إِنَّ الَّذِینَ تَوَلَّوْا مِنْکُمْ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعانِ إِنَّما اسْتَزَلَّهُمُ الشَّیْطانُ بِبَعْضِ ما کَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِیمٌ (۱۵۵))(۱).

وقوله تَعَالَی: (ما کانَ اللّهُ لِیَذَرَ الْمُؤْمِنِینَ عَلی ما أَنْتُمْ عَلَیْهِ حَتّی یَمِیزَ الْخَبِیثَ مِنَ الطَّیِّبِ وَ ما کانَ اللّهُ لِیُطْلِعَکُمْ عَلَی الْغَیْبِ وَ لکِنَّ اللّهَ یَجْتَبِی مِنْ رُسُلِهِ مَنْ یَشاءُ...)۳ .

وقوله تَعَالَی: (وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ وَ مَنْ یَنْقَلِبْ عَلی عَقِبَیْهِ...)۴ .

هَذِهِ الآیات المُبَارَکه وغیرها کشفت زیغ مَنْ یدّعی التعمیم والمساوات والعدل لِکُلِّ مَنْ صَحِبَ ولازم النَّبِیّ صلی الله علیه وآله مَعَ أنَّ التمییز واقع فِی مَنْ کَانَ مِنْ المسلمین سواءٌ أکان أُحُدیّاً أو بدریاً أو خیبریاً أو... الخ.

۱- (۲) سوره آل عمران: الآیه ۱۵۵.

نعم وصف الشّخص بكونه بدريّاً أو أُحُديّاً أو خيبريّاً أو... إنَّما يَكون ذا منقبه ويمتدح فيما إذا كَانَ مِنْ فئه المؤمنين، لا ما إذَا كَانَ مِنْ الفئات الأُخْرَى الَّتِى ذمّها القُرآن بفعل ما صدر منهم سابقاً وفى زمان صحبه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله كُلّ ذَلِكَ ما بيّنته أسباب النُّزول فِى سورتى الأنفال وآل عمران كَمَا تَقَدَّمَ (١).

ثمَّ إنَّ الآيه المُبَارَكه(وَ ما مُحَمَّدٌ إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ...) حَذَّرَتْ مِنْ وقوع انقلاب فِى صفوف المسلمين عَلَى الأعقاب برحيل رسول الله صلى الله عليه وآله، وَقَدْ ذكرت بَعْض كتب السير أنَّ جماعهً مِنْ المسلمين لما شاهدوا الهزيمه وظنّوا أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قَدْ قُتِل لاذوا بالفرار وصعدوا الجبل واجتمعوا حول صَخْرَه - عُرِفوا بَعْدَ ذَلِكَ بجماعه الصَخْرَه - وقالوا: - «إنّا عَلَى دين الآباء»(٢) كى يَكُون ذَلِكَ شافعاً لهم عِنْدَ قريش وفى ما سُطِّر فِى السير ما يلوح أنَّهم ممّن يُعَدّون مِنْ أعيان القوم ووجوههم.

والمُتأمِّل فِى السُّور الحاكيه لغزوات النَّبِىّ صلى الله عليه وآله كَمَا فِى سوره الأحزاب عَنْ غزوه الخندق وفى سوره التّوبه عَنْ غزوه تبوك، وحُنين وغيرها، يجدها ناطقهً بلسانِ التّمييز والتقسيم والتصنيف لِمَنْ صحب النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وشارك فِى القتال، منهم الفئه الصّالحه الثابته والمُؤمنه بدين النَّبِىّ صلى الله عليه وآله، ومنهم الفئه

١- (١) الصحابه بين العداله والعصمه/ الشيخ محمد السند: ص ٩٠-١١٤.

٢- (٢) السيره الحلبيه: ج ٢، ص ٥٠٤، السيره النبويه لابن كثير: ج ٣، ص ٤٤.

الطّالحه وأصناف أهل النِّفاق ومُحترفيه الَّذِيْنَ فِى قلوبهم مَرَضٌ (۱).

وببركه إعمال موازين التّحقيق والتّدقيق فِى أسباب النُّزول بيَّنت لنا كيف حاولت الأقلام المأجوره والمسمومه مِنْ طمس الحقائق إلَّا أنَّهم ما استطاعوا ولن يستطيعوا ببركه اتّباع المنهج الذى رسمه لنا النَّبِىّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمه أهل البيت عليهم السلام الَّذِيْنَ هُمْ المعلّمون الإلهيون، وإعمال موازين التحقيق هَذِهِ لا يُقتصر فيه عَلَى أسباب النُّزول لنفس آيات القُرآن، بَلْ يُتعدّى بإعمالها إلى سيره النَّبِىّ صلى الله عليه وآله، بَلْ وتاريخ الإسلام ولا يمكن الأخذ به عَلَى عواهنه، بَلْ حَتّى الحديث النبوى الشّريف الذى يُنسب لرسول الله صلى الله عليه وآله نُحَكِّم فيه مُحكمات القُرآن، فإذا جاءنا الحديث النبوى الشّريف الذى يقول مضمونه كيف يُطابق القُرآن الذى فيه آيات مُحكمات تذمّ جماعه بدر وأُحُد وحُنين والخندق وتبوك و... الخ وأنَّ بعضهم انقلب عَلَى عقبيه وتصوير القُرآن لهم دقيق ويصوّر الخفايا الَّتِى يعجز البشر عَنْ رصدها، وَالقُرآن يرصد ويُراقب حَتّى النّوايا(يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى)۲ مَعَ أنهم مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

والذى نُريد تسليط الأضواء عَلَيْهِ هُوَ أنَّ عدسه القُرآن عظيمه ودقيقه جداً لا يمكن التفريط بها بحال مِنْ الأحوال، حَتّى فِى تمحيص التأريخ وَمِنْهُ أسباب النُّزول.

۱- (۱) الصحابه بين العداله والعصمه للشيخ السند: ص ۹۰-۱۱۴ بتصرف.

دعوى ارتداد وانقلاب أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله:

لَيْسَ ممتنعه:

والمتحصل مما تقدم: أنَّ مسأله انقلاب أو ارتداد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله سواء كانوا بدريين أو أُحُديين أو حُنينيين أو تبوكيين أو... الخ ليست بممتنعه بَعْدَ تصريح القُرآن لها، كَمَا فِي قوله تَعَالَى: (وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللّهُ الشّاكِرِينَ (۱۴۴)۱ .

وَهَذَا ما أكَّدته الزهراء عليها السلام أيضاً فِي خطبتها المعروفه: «وما هِيَ إلَّا بنازلٍ أنبأكم الله بها وما مُحمَّد إلَّا رسول قَدْ خلت مِنْ قبله الرسل...»(۱).

وَكَمَا هُوَ الحال فِي شأن جمله مِنْ الصحابه فِي نفس بدر وأُحُد وتبوك وحُنين الَّتِي نَصَّ القُرآن عَلَى فعالهم.

دخاله الحاله النفسيه والمعنويه

فِي الانتصار والهزيمه:

ذكر الخُبراء والمختصون فِي مراكز الدراسات الأوليّه حول الحرب العسكريّه والسياسيّه فِي هَذَا المجال أنَّ نسبه ۸۰٪ مِنْ النَّصر أو الهزيمه فِي المعركه يعود إلى الجانب النفسى والحالات المعنويه الَّتِي يتحلّى بها المقاتل

۱- (۲) خطبه الزهراء:

والشخص المُنتخب للقياده، فَإنَّ القياده الَّتِى ليست لها استعداداً للتّضحيه هِىَ قياده غَيْر مسؤوله وَغَيْر مأمونه عَلَى قياده أىّ أُمَّه مِنْ الأُمم لا سيما الأُمَّه الإسْلاميَّه، وقياده الدِّين، وَعَلَيْهِ فَإنَّ الذى يفرُّ فِى غزوات وحروب مُتتاليه وعديده كيف يَكُون مأموناً، عَلَى مُقدّرات الدِّين والإسلام كَمَا حصل فِى حروب الرسول صلى الله عليه وآله وغزواته كَمَا فِى غزوه بدر وأُحُد وحُنين والخندق وتبوك وغيرها.

فمثلاً ما حصل فِى بدايه معركه أُحُد مِنْ هزيمه ليست سببه كَمَا لُفِّقَ لَهُ حسب أسباب النُّزول المُلفَّقه والمُزيّفه مِنْ طرق العامّه مِنْ أنَّ سبب الهزيمه هُوَ الخروج مِنْ المدينه، كلا وَإنَّما كَانَ السبب هُوَ الضعف النفسى والمعنوى لنفوس الصّحابه عدا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله إذْ كَانَ عليه السلام ذا إيمانٍ راسخٍ وَلَمْ يُصِبْه جَزَعٌ أو هَلَعٌ أو قلقٌ، ولا يُفهم مِنْ هَذَا إنَّا نُريد أنْ نُترجم شجاعه على بالإيمان الرّاسخ والثبات فِى تحمُّل المسؤوليه لقوّه القدره فِى تدبير معالجه الأزمات مَعَ جرأه الخوض فِى غمرات مخاطر الاحتمالات، فَإنَّ تفسير الشّجاعه بلغه العلم بالمسؤوليه والقُدره عَلَى القيام بها، وبلغه الشّجاعه فِى موضع القياده والإداره وقوّه الرُّوح وقوه الإيمان المُنفتح عَلَى مفاجئات الغيب يرتبط وينصب بالإمامه وكفاءه القياده والخلافه؛ فَإنَّ عموم الفضائل ترتبط بالإيمان وَالرُّوح، وَعَلَيْهِ فلا يُعْزَى النَّصر إلى الأسباب المادّيه مِنْ تهيئه العِدَّه والعَدد وغيرها، فَإنَّ هَذَا لوحده لا يكفى، بَلْ لابُدَّ أنْ يمتلك المقاتل استعداداً نفسياً

وروحياً وإيمانياً عالياً، وَهَذَا ما أشارت إليه الآيه(وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكَمْ كَثْرَتُكَمْ...)١ .

فإذا ملك المقاتل تلك المقوِّمات استطاع تحقيق النَّصر، وَهَذَا الاستعداد النفسى والرُّوحى والإيمانى ما رَبَّى عَلَيْهِ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله أصحابه المسلمين، وَإلَّا لما استطاعوا أنْ يفتحوا البُلدان، أو يواجهوا جيوش كسرى أو جيوش قيصر الرُّوم.

وهكذا برنامج أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام الذى رَبَّى عَلَيْهِ الثُّلّه الصالحه مِنْ أصحابه وحواريه كمالك الأشتر وعمّار بن ياسر وحُذيفه اليمانى والأصبغ بن نُباته وغيرهم هؤلاء الَّذِيْنَ ربّاهم أمير المؤمنين على عليه السلام تلك التّربيه الرُّوحيّه الإيمانيه العاليه وزرع فِى نفوسهم الثّقه وكيفيه مواجهه الأعداء والصّمود بوجههم وعدم الانهزام والفِرار؛ لذا كَانَ هؤلاء يُطْلَبون مِنْ قبل الخلفاء كقيادات عسكريه وَعَلَى رأس التنظيم العسكرى لجيس المسلمين فِى المواجهات العسكريّه، وشعار تلك التربيّه الَّتِى ربّاها عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وزرعها فِى نفوسهم هِىَ التكبير بصوت عالٍ بوجه العدو عِنْدَ مواجهته.

وَهَذَا مما يجعل الأعداء يشعرون كأنَّما الأرض تتزلزل مِنْ تحت أقدامهم كَمَا شهدت لذلك معركه اليرموك بَعْدَمَا أخفق قاده العسكر

أمثال: - خالد بن الوليد وعبيد بن الجرّاح وغيرهما حسب ماذكرته كتب التأريخ إلى أنْ استنجدوا بشمل على بن أبى طالب عليه السلام مالك الأشتر رضى الله عنه فانبرى إليهم بإداره عسكريه وإيمانيه وروحيّه عاليّه فكُتِبَ لهم النَّصر كُلّ ذَلِكَ ببركه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، وهكذا الأمر فِى أكبر وأضخم معركتين مَعَ كسرى خاضها المسلمون وكُلِّلَتْ بالنَّصر وَهُمَا معركه القادسيه ومعركه نهاوند ببركه الخطط والبرامج الَّتِى وضعها أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وَذَلِكَ الرِّباط الرُّوحى الذى أوجده عليه السلام مَعَ الله عَزَّ وَجَلَّ، هكذا ينبغى للمُسلم أنْ يتوكَّل عَلَى الله ويتسلَّح بقوه معرفتِه بالله؛ ولذا فَإنَّ مِنْ أحد صفات الصّحابى الممدوح هُوَ التمتع بعلو معرفته بالله عَزَّ وَجَلَّ.

وَعَلَى الإنسان إذَا واجه الضعف والانهزام فِى أىّ أمر مِنْ الأُمُور عَلَيْهِ أنْ لا يُرْبكه الضّعف والاضطراب ولا يَكُون هلوعاً جزوعاً ولا يتوجّه إلى نفسه فإنَّها مُضطربه ومُرتبكه، بَلْ عَلَيْهِ أنْ يتوجّه إلى قدره الله وقضائه وليطمئن بقدره الله تَعَالَى الذى لا يَغْنَى ولا يفوته شىء لا فِى السَّمَاء ولا فِى الأرض ولا... الخ(إِنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ آتِى الرَّحْمنِ عَبْداً (٩٣)١.

ويُطْمْئِنُ نَفْسَه بذلك(وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها)٢ .

ولذا فَإنَّ عدسه القُرآن تابعت الاضـطراب الذى حصل فِى نفوس المسلمين فِى معركه أُحُد(وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ)١ .

وَعَلَيْهِ فَإنَّ قوّه النّفس وشـجاعتها وسُؤددها لا تترجم فَقَطْ بجانب الكرم الفردى والفروسيّه والعضلات فِى القياده والإمامه وغيرها، وَإنَّما يُشترط انضـمام شـرط وَمَعْنَى آخر وَهُوَ تحمّل المسؤوليّه إلى آخر المطاف ولو قطّع صاحبها إرباً إرباً، ومثل هكذا شـخص قَدْ يتمتع بمثل هَذِهِ الصِّفات فَإنَّهُ يسـتطيع أنْ يتحمَّل أعباء المسؤوليه، ويُؤتمن عَلَى دين الأُمَّه ومقدراتها ويصلح أنْ يَكُون خليفه، وما توفّرت هَذِهِ الأوصاف فِى شـخص بَعْدَ رسول الله صـلى الله عليه وآله إلَّا فِى شـخص وصيّه وخليفته بالحقّ على بن أبى طالب عليه السـلام، فَـإنَّهُ الكرّار غَيْر الفرّار أىّ أنَّهُ رجـل لمواجهه الأزمات قويّ فِى تـدبير حلها ومُعالجتها خبير وطبين فِى تـدبير حلحله عُقْدَتها، بخلاف الآخرين فَإنَّ الفِرار بسـبب العجز والتخاذل والهزيمه تشـهد لهم فِى كُلّ حربٍ مَعَ رسول الله صـلى الله عليه وآله فَإنَّ مثل هؤلاء لا يمكنهم تسـلُّم زِمام قياده المسـلمين لضـعف نفوسـهم وعدم صـلاحيتها وتأهلها وتردّى الحاله المعنويّه لهم فِى ذَلِكَ الأمر.

وَمِنْ خلال هَذَا كُلَّهُ اتّضـح الفرق بيـن مـا يعزونه العـامّه فِى أسـباب النُّزول المُلفَّقه فِى غزوه أُحُـد إلى الأسـباب المـادّيه، وبين الصحيح الذى عَلَيْهِ مدرسه أهل البيت عليهم السلام فِى أسباب النُّزول الَّتِى يذكرها القُرآن الكريم وإنْ

كَانَ لا يُنكر الأسباب المادّيه، ولكن مِنْ جهه أَخْرَى تركّز عدسه القُرآن عَلَى الجانب المعنوى والرُّوحى وَهُوَ الأهم(إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١۶٠)١.

أسباب النُّزول الصحيحه - مدرسه أهل البيت عليهم السلام

وَعَنْ العامه التحاكم إلى القُرآن:

وفى أسباب النُّزول المُلفَّقه لَمْ تُسلَّط الأضواء عَلَى تتمّه الآيه المُباركه(وَ ما كانَ لِنَبِىٍّ أَنْ يَغُلَّ وَ مَنْ يَغْلُلْ)٢ .

بتقريب: أنَّ بَعْض أصحاب النُّبِىّ صلى الله عليه وآله اتّهموا النُّبِىّ صلى الله عليه وآله بالخيانه فِى الغنائم، ووجّهوا الطعون إلى السّاحه المُطهّره والمُقدّسه لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله ويدّعون أنَّ هَذِهِ هِىَ أحد أسباب الهزيمه فِى معركه أُحُد، وَلَمْ يخوضوا فِى التّفاصيل الخطيره وحاولوا تغييبها؛ ولذا دَعَتْ أسباب النُّزول الصحيحه العامّه التحاكم إلى القُرآن؛ فَإِنَّ القُرآن ميزان عظيم فِى البحث التّأريخى؛ ولذا إذَا أراد الباحث أنْ يبحث فِى سيره النُّبِىّ صلى الله عليه وآله فَعَلَيْهِ بالقرآن العظيم وبقطعيات السنه النبويّه وسنه أهل البيت عليهم السلام فَإِنَّها مُحكمه حَتّى تفضح ما حاولته أسباب النُّزول المُلفَّقه والمُحرَّفه - للعامه - أنْ تُغْفِل الذهن البشرى والإسلامى عَنْهُ، إلَّا أنَّهُ وللأسف قليل مِنْ المسلمين مَنْ يقرأ القُرآن قراءه تأريخيه وبلغه سياسيّه - وإنْ كَانَ منهج قراءه القُرآن الكريم يقع عَلَى وتائر

وطُرق مُختلفه سنتعرض لها إنْ شاء الله فِى قَواعِد لاحقه، فَإنَّ هُنَاك مَنْ يقرأ القُرآن بلغه أمنيه، وآخر بلغه إداريّه وثالث بلغه عسكريّه ورابع بلغه اقتصاديّه وخامسه سياسيه وسادس باجتماعيه وسابع بأخلاقيه وثامن بتاريخيه وغيرها، فَإنَّ هَذِهِ العلوم وغيرها موجوده فِى القُرآن الكريم وحينئذٍ نستطيع وَمِنْ المُمكن أنْ ننهل مِنْ عذب ماء القُرآن الكريم.

إعاده قراءه جُمله مِنْ العلوم الإنسانيه والاجتماعيه:

كالتأريخ وغيره مِنْ خلال القُرآن:

تنبيه: إنَّ تغييب مثل هكذا ثقافه إسلاميّه وقرآنيّه كقراءه التأريخ وغيره مِنْ خلال القُرآن أمرٌ خطير فِى الثقافه القرآنيه، وَعَلَيْهِ فلأجل أنْ نفتح أبواب البصائر مِنْ جديد فَمِنْ الضرورى أنْ نُعيد قراءه التأريخ مِنْ خلال القُرآن أىّ نقرأ التأريخ بلغه قرآنيه، فَإنَّ هَذَا حياهٌ وإحياءٌ للقُرْآن الكريم، بخلاف العزوف - لا سامح الله - عَنْ ذَلِكَ فَإنَّهُ فيه إماته للقُرْآن وَالدِّين - والعياذ بالله.

لا سيّما بَعْدَ تقرّر قَاعدَه أنَّ القُرآن فيه تبيان لِكُلِّ شىء(وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَىْ ءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ)١ .

وإنَّ ما مِنْ غائبه فِى السّماء ولا فِى الأرض إلَّا فِى كتاب مُبين، وأنَّ الوحى لَمْ يقتصر عَلَى التّشريع والتهذيب والإيمان بحقائق الغيب، وإنْ

كَانَتْ هَـذِهِ الأمُور هِيَ الأصل وما بقى هُوَ فضل كَمَا فِى الحـديث النبوى: «العلم كُلَّهُ فضل إلَّا ثلاثه: آيه مُحكمه أو فريضه عادله أو سـنه قائمه» إلَّا أنَّهُ رغم ذَلِكَ فَإنَّ وقوله تَعَالَى(وَ ما مِنْ غائِبَهٍ فِى السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إلّا فِى كِتابٍ مُبِينٍ)١ وقوله تَعَالَى: (وَ لا حَبَّهٍ فِى ظُلُمـاتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إلّا فِى كِتابٍ مُبِينٍ (٥٩)٢ وقوله تَعَالَى(وَ لَوْ أَنَّ ما فِى الْأَرْضِ مِنْ شَـجَرَهٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ إنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧)٣ وقوله تَعَالَى(قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَـدَ كَلِماتُ رَبِّى وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً (١٠٩)٤ ، وقوله تَعَالَى: (إنّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَهٍ مُبارَكَهٍ إنّا كُنّا مُنْـذِرِينَ (٣) فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (۴) أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إنّا كُنّا مُرْسِلِينَ (۵)۵ .

بتقريب: إنَّ كُلّ ما فِى لوح القضاء والقـدر يتنزّل بتوسّط طبقات ومقامات ومنازل القُرآن، كَمَا فِى الآيه(إنّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَهِ الْقَدْرِ (١) وَ ما أَدْراكَ ما لَيْلَهُ الْقَدْرِ (٢)۶ .

والقضاء والقدر يعمُّ كُلّ شىءٍ.

نعم هَـذِهِ العُلـوم جُلّهـا هِیَ فِی بـاطن وبطون القُرآن ولاـ یُهْتـدی إلیهـا عَـبر ظـاهره إلَّا عَنْ طریق الرّاسـخین فِی العلم وَهُمْ الأـئمه والمعصومین - صـلوات الله علیهم أجمعین - وَمِنْ ثمَّ تَعَرَّضَ القُرآن الکریم لأُسـس کـثیر مِنْ حقـائق العُلوم الطبیعیه وغیرهـا کَمَا استعرضت ذَلِکَ جمله مِنْ کتب التفسیر.

أحد أسباب هزیمه المسلمین فِی وسط المعرکه

هُوَ الوهن والضعف النفسی لبعض الصحابه:

النموذج الرابع: قوله تَعَالَی: (وَ کَأَیِّنْ مِنْ نَبِیٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّیُّونَ کَثِیرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَکانُوا وَ اللّهُ یُحِبُّ الصّابِرِینَ (۱۴۶))(۱).

بتقریب: بیَّنت الآیه المُبَارَکه إنَّ أحد أسـباب الهزیمه فِی وسط معرکه أُحُد وعدم الثبات مِنْ أوَّل الأمر هُوَ بسبب الضعف والوهن النفسی والاستکانه الَّتِی أصابت نفوس بَعْض الصّحابه، وَهَذَا هُوَ الصحیح فِی أسباب النُّزول وَهُوَ ما عَلَیْهِ مدرسه أهل البیت علیهم السـلام لا کَمَا صوّره فِی أسـباب النُّزول المُلفَّقه والمُحرَّفه، وأنَّ سـبب الهزیمه کَانَ عَلَی أنَّ رأی أکثر الصّحابه هُوَ المکث ورأی رسول الله صلی الله علیه وآله کَانَ عَلَی الخروج خارج المدینه مثل ما مَرَّ بیانه سابقاً.

وکذا قوله تَعَالَی: (وَ لَقَدْ صَدَقَکُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ

۱- (۱) سوره آل عمران: الآیه ۱۴۶.

بِإِذْنِهِ حَتّى إِذا فَشِلْتُمْ وَ تَنازَعْتُمْ فِی الْأَمْرِ وَ عَصَیْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراکُمْ ما تُحِبُّونَ مِنْکُمْ مَنْ یُرِیدُ الدُّنْیا وَ مِنْکُمْ مَنْ یُرِیدُ الْآخِرَهَ ثُمَّ صَرَفَکُمْ عَنْهُمْ لِیَبْتَلِیَکُمْ وَ لَقَدْ عَفا عَنْکُمْ وَ اللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ (۱۵۲) ... الشَّیْطانُ بِبَعْضِ ما کَسَبُوا)(۱).

الشجاعه أحد صفات الإمامه فِی مدرسه أهل البیت علیهم السلام:

إنَّ أحد شرائط الأصل الثَّالِث فِی أصول الإسلام والأول مِنْ أصول الإیمان هُوَ الإمامه فِی مدرسه أهل البیت علیهم السلام أنْ یَکُون الإمام شجاعاً بنصّ القُرآن الکریم کَمَا فِی قوله تَعَالَی: (وَ زادَهُ بَسْطَهً فِی الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ)(۲).

وقوله تَعَالَی: (وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَ آتاهُ اللّهُ الْمُلْکَ وَ الْحِکْمَهَ وَ عَلَّمَهُ مِمّا یَشاءُ)(۳).

هَذَا مُضَافاً للرُّوایات الوارده عَنْ أئمه أهل البیت علیهم السلام عَلَی تأکید شرط الشّجاعه فِی الإمامه، کَمَا فِی زیاره الإمام الحسین علیه السلام: «... أشهد أنَّکَ لَمْ تَهِنْ وَلَمْ تنکُل وَأنَّکَ مضیت عَلَی ما مضی عَلَیْهِ البدریّون».

وأنَّ الإمام لابُدَّ وأنْ یتمتّع بنفس وهمّه عالیه ولیست واهنه او موهنه للآخرین ولا تضعضع تلک الشّجاعه بخطوره تحمل ثقل المسؤولیه ومعرفه

۱- (۱) سوره آل عمران: الآیه ۱۵۲-۱۵۵.

۲- (۲) سوره البقره: الآیه ۲۴۷.

۳- (۳) سوره البقره: الآیه ۲۵۱.

كيفيه إداره الأمُور فِى الأزمات، وكيفيه حلّها«وأشهد أنَّكَ لَمْ تجبن والذى لا يجبن وصف لِمَنْ لا يرتبك فِى معركه مخرج التدبير» وحَلِّ الأزمه، وَمِنْ الواضح أنَّ سبب الجُبن فِى الأزمات هُوَ الإرباك والإرتباك الذى يقع فِى تدبير الإداره ومُعالجه الخلل؛ ولذا يقع مَنْ لا خِبْرَه لَهُ فِى الأُمُور ولا قدره لَهُ عَلَى تحمُّل المسؤوليّه ما فِى التّهور أو الجُبُن إذَا ما عالج الموقف بالإجراءات الصّحيحه والمُنضبطه، وَعَلَيْهِ فالجبان هُوَ مَنْ لا قدره لَهُ عَلَى تحمُّل المسؤوليه، وأمَّا الشّجاعه بالأصل الَّتِى هِىَ اتّقان لتدبير ومعالجه الأُمُور بما يُناسبها بحكمه، فالغُلظه فِى موضع الغلظه واللين فِى موضع اللين، وَهَذَا هُوَ المُرَاد مِنْ الشّجاعه فِى الإمامه الَّتِى تعنى القياده.

ولذا عُدَّت الشّجاعه شرطاً فِى الإمامه وأنَّ الشّجاع هُوَ مَنْ يُتقِن الإداره فِى الأزَمات؛ ولذا قَالَ المُستولى الثَّانِى عَلَى الخلافه عِنْدَمَا أطلق هَذِهِ المقوله المشهوره والمعروفه والمليئه بها مصادر المسلمين، كَمَا ذكر ذَلِكَ ابن سعد فِى طبقاته: «... لا أبقانى الله لمعضله لَيْسَ لها أبو الحسن»(١).

أو بتعبير آخر: «.... لا أبقانى الله فِى أرض ليست بها أبا الحسن»(٢).

وَقَدْ فصَّلنا ذَلِكَ كُلَّهُ فِى كتابنا الصحابه بين العداله والعصمه(٣).

١- (١) طبقات بن سعد، والترغيب فى فضائل الأعمال وثوابها لابن شاهين: ج ١، ص ١٠٢، ح ٣٣٥.

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٣) الصحابه بين العداله والعصمه للشيخ محمد السند: ص ٣٤٥ محطه الفتوحات.

وإطلاق هكذا عبائر مِنْ المستولى الثَّانِى عَلَى الخلافه ليست اعتباطاً بَعْدَمَا وجد الحاجه المُلحّه فِى قيام الإسلام بتدبير على عليه السلام، وعندها يقف المُحلِّلون مليّاً لأنها صادره مِنْ شخص يدّعى أَنَّهُ خليفه للمسلمين، فيتبيِّن أنَّ السبب الرئيسى الذى دعاه إلى إطلاق هكذا عبائر فِى حقِّ أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام هُوَ لِإِنَّهُ ما يمتلكه عليه السلام مِنْ قدره اتّقان إداره الأزمات وحلّ المشكلات الَّتِى تعصف بالإسلام والمسلمين وكيفيه مُعالجتها وتدبير الخروج مِنْهَا بانتصار ونجاح لا بهزيمه وفِرار، وَهَذِهِ هِىَ مُؤهلات القياده والكفاءه والإمامه؛ ولذا يصف القُرآن مثل هكذا أمر بقوله تَعَالَى: (وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللّهِ وَ ما ضَعُفُوا)(١).

والفرق اللّغوى بين المُفردات الثلاثه: -

الوهن: ضَعُفَ، وَيُقَال: وَهَن الرَّجُل أىّ دخل فِى الوهن مِنْ الليل(٢) وَالمُرَاد به الضعف النفسى.

الاستكانه: وَهِىَ مِنْ (استكن) إذَا خضع وذَلَّ، وتُزاد الألف، فَيُقَال: استكان إذَا خضع(٣) وَالمُرَاد بها عدم الحركه والفتور والجمود.

الضَّعف: والضَّعْفُ خلاف القوَّه، وَقِيلَ الضُّعْفُ بالضّم فِى الجسد والقوى المادّيه، والفتح، الضَّعف فِى الرأى والعقل، وَقِيلَ جائزان فِى كُلّ

١- (١) سوره آل عمران: الآيه ١۴٧.

٢- (٢) أقرب الموارد، مادَّه وَهَنَ.

٣- (٣) الفيومى، مادَّه السكين، ولسان العرب، مادَّه سكن.

وجه(۱).

وَمِنْ الواضح أنَّ لِكُلِّ واحِدَهٍ مِنْ المُفردات الثّلاثه مَعْنَى يختلف عَنْ الآخر.

وهكذا قوله تَعَالَى: (وَ ما كانَ قَوْلَهُمْ إِلاّ أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ إِسْرافَنا فِي أَمْرِنا وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ (۱۴۷) فَآتاهُمُ اللّهُ ثَوابَ الدُّنْيا وَ حُسْنَ ثَوابِ الْآخِرَهِ وَ اللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (۱۴۸)۲ .

بتقريب: أنَّ القُرآن الكريم وصف الربيين بأنه يستحثّون هممهم ويشحذون إرادتهم عَبْر الشّعور بالتّقصير لئلا يصيبهم الغرور والعُجب بما قاموا به مِنْ جهود وجهاد، كَمَا أنَّهم يتصلّبون فِي إرادتهم بالدُّعاء والإصرار عَلَى الثبات والسّعى إلى النّصر عَلَى العدو.

النموذج الخامس: قوله تَعَالَى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ (۱۴۹))(۲).

بتقريب: إنَّ الآيه المُبَارَكه فيها تعريض لبعض الصّحابه الَّذِيْنَ قالوا سنطيع أهلنا وعشيرتنا وقومنا مِنْ قريش فِي ملتهم بَعْدَمَا سمعوا ما أُشيع مِنْ نبأ كاذب، وَهُوَ مقتل رسول الله صلى الله عليه وآله، وَهَذَا الموقف يُدينه القُرآن فِي قوله تَعَالَى: (وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ

۱- (۱) لسان العرب لابن منظور، مادّه ضَعُفَ.

۲- (۳) سوره آل عمران: الآيه ۱۴۹.

(۱).

وقوله تَعَالَى: (بَلِ اللّهُ مَوْلاكُمْ وَ هُوَ خَيْرُ النّاصِرِينَ (۱۵۰)۲ .

وقوله تَعَالَى: (سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِما أَشْرَكُوا بِاللّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَ مَأْواهُمُ النّارُ وَ بِئْسَ مَثْوَى الظّالِمِينَ (۱۵۱)۳ .

ولذا عُرفوا أمثال هؤلاء الصّحابه الَّذِيْنَ قالوا مثل هَذَا القول باسم أصحاب الصخره، علماً أنَّ هؤلاء الصّحابه هُمْ مِنْ عليّه القوم وأسماءهم لامعه، وَهَذَا مُؤشِّر قُرآنى عَلَى أنَّ هؤلاء غَيْر مُبتدئين بالمشروع الإلهى وَأنَّهُ يحيطونه ما دام لَهُم طمعٌ دنيوى مِنْ رئاسه وجاه وغنائم، فما أنْ تنقطع الأطماع ينكصون عَلَى الأعقاب وينقلبون عَنْ دينهم.

فأسباب النُّزول المُلفَّقه تُؤكِّد أنَّ سبب الهزيمه لجيش المسلمين هُوَ الخروج مِنْ المدينه لمقاتله كفّار قريش، عَلَى عكس ما يذكره القُرآن الكريم مِنْ سبب للهزيمه وَهُوَ الفرار و الوهن والضعف النفسى.

وَهَذَا مما يُؤسف لَهُ فَإنَّهُ مصادره للمعرفه الإسّلاميَّه وَالدِّينيه عِبر المعرفه القرآنيه وعِبْرَ عدم التوّثّق والتثبّث مِنْ أسباب النُّزول المُلفَّقه الَّتِى يتلقاها كَمَا هِىَ، وللأسف المُفَسِّر أو الباحث ويبنى عَلَى صحّتها وَأنَّها موثوق بها،

۱- (۱) سوره آل عمران: الآیه ۱۴۴.

ويأخذ بها أخذ المُسلّمات، وَأنَّها لَيْسَ فيها أىّ تلاعب، وَهَذَا يُشكّل خطراً كبيراً عَلَى المعنى التفسيرى للآيه والسوره القرآنيه، وَعَلَيْهِ فكيف تُريد منّا أنْ نبتعد عَنْ ذَلِكَ الصّوت المدوّى، ألا وَهُوَ صوت القُرآن الكريم الذى يسرد لنا الحقائق ونتركه ولا نأخذ بمفاد الآيات والأخذ بهكذا أسباب للنُّزول غَيْر معلومه الوثاقه، وأجعلها هِىَ الحاكمه عَلَى المفادات الواضحه لا سيّما مَعَ تنبيه روايات أهل البيت عليهم السلام عَلَى ما فِى القُرآن مِنْ بيانات، وَعَلَيْهِ فَإنَّ مثل هَذَا يُعتبر غلو وإسراف فِى أسباب النُّزول غَيْر المُوثَّقه، ولكن وللأسف وقع فيها الكثير مِنْ مُفسّرىّ الفريقين.

ثمَّ تذكر الآيه: (وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ)(1).

بتقريب: إنَّ المسلمين كانوا عَلَى موعِدٍ بالنّصر مِنْ الله بالخروج مِنْ المدينه وَقَدْ أوفاهم الله ذَلِكَ النّصر وَكَانَ النَّصر حليفهم مِنْ بدايه معركه أحد، فكيف يدعى الخروج سبب للهزيمه إذْ تحسونهم كَمَا يُحَسّ المَرَق ولا تبقون لهم شيئاً إلَّا أنَّ هَذَا مشروط بشرائط تَقَدَّمَ ذكرها وَبَعْدَ كُلّ هَذَا كيف تقلب الحقيقه فِى أسباب النُّزول المُحَرَّفه والمأجوره وصوَّرت تلك الأسباب المُحَرَّفه والمُدلّسه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله انثنى وتنازل عَنْ رايه لرأى الشّورى الذى يرى أنَّ البقاء فِى المدينه هُوَ أكثر ثباتاً ونصراً، وَهَذِهِ كُلَّهَا تلفيقات تحتاج إلى تنقيهٍ وغربله وعرض عَلَى مُحكمات الكتاب والسُّنه الشريفه.

1- (1) سوره آل عمران: الآيه 152.

ثمَّ تقول الآيه: (حَتّى إِذا فَشِلْتُمْ وَ تَنازَعْتُمْ فِى الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ)(۱).

بتقريب: أنَّ لاآيه المُبَارَكه بيَّنت أنَّ سبب نزول الآيه حول بيان موضوع سبب فشل وهزيمه المسلمين فِى معركه أُحُد هُوَ عصيان الرُّماه الذى أوقفهم رسول الله صلى الله عليه وآله عَلَى جبل أُحُد لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، ونزل أكثرهم مِنْ الجبل لأجل الغنائم فهؤلاء أسماء لامعه فِى صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله وأُحُديين وَمَعَ ذَلِكَ استهوتهم الدُّنْيَا كَمَا أشارت إليه الآيات القرآنيه السّابقه مِنْ سوره آل عمران، وَهَذَا امتحان إلهى وَهُوَ لَيْسَ بالامر السّهل، نسأله تَعَالَى العافيه فِى الدُّنْيَا والآخره.

ثمَّ قالت الآيه: (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَهَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ)۲ .

بتقريب: أنَّ حرف الجر (مِنْ) يُفيد التبعيض فِى قوله تَعَالَى: (مِنْكُمْ) أىّ مِنْ بَعْض صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله الأُحُديين، بوصف القُرآن لهم منهم - بعضهم - يريد الدُّنْيَا، ومنهم مَنْ يُريد الآخره (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم و لقد عفا عنكم و الله ذو فضل على المؤمنين (۱۵۲)(۲) أىّ حَقَّق لكم النّصر وَلَمْ يستولِ كفّار قريش عليكم وأعاد الله لكم النَّصر وعفا عَنْ الفرار والهزيمه الَّتِى وقعت مِنْ أسماء لامعه وَمِنْ عليّه الأصحاب(إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِى

۱- (۱) سوره آل عمران: الآيه ۱۵۲.

۲- (۳) المصدر السابق.

أَخْراكُمْ فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا ما أَصابَكُمْ وَ اللّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (۱۵۳)۱.

بتقريب: إذْ تصعدون وتركبون الجبال وأعالى الأوديه فارّين ولا تلوون: أىّ لا تواجهون أحداً(وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ) إلى أين تفرّون؟ (وَ لَقَدْ عَفا عَنْكُمْ)۲ .

إلَّا أنَّ هَذَا المقطع الأخير مِنْ معركه أُحُد مُغيَّب تماماً وَلَمْ تُسَلَّط عَلَيْهِ الأضواء أسباب النُّزول المُحَرَّفه والمُلفَّقه، وَهَذِهِ الآيه ترسم بوضوح أنَّ الصّحابه فرّوا ولاذوا بالفرار، وأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله ثبت فِى الميدان وَلَمْ يصعد الجبل وَلَمْ يهرب وَلَمْ يَفُرّ صلى الله عليه وآله كَمَا ادعى فِى أسباب النُّزول المُلفَّقَه الَّتِى تُريد أنْ تُبرِّر لأصحاب السقيفه هروبهم وفِرارهم وخذلانهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وفعلتهم الشَّوهاء.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ مسأله عرض أسباب النُّزول عَلَى القُرآن والسنه القطعيه لا السُّنّه الظنّيه مسأله لابُدَّ مِنْهَا ولها تأثيرها عَلَى بيان الحقائق والوقائع؛ ولذا محاوله بَعْض أسباب النُّزول المُلفَّقه مِنْ قبل بَعْض الأقلام المأجوره لوعّاظ السّلاطين باءت بالفشل فِى تغييب بَعْض الحقائق ببركه العرض عَلَى مُحكمات الكتاب والسنه، وإنْ كَانَ قَدْ خفى عَلَى الكثير مِنْ المُفَسِّرين حَتّى مِنْ الخاصّه وأخذ البعض منهم بأسباب النُّزول المُلفَّقه أخذ

المُسلّمات، وَبَعْدَ العرض عَلَى مُحكمات الكتاب والسُّنه تبيَّن ما غُيِّب مِنْ وقائع وأحداث مُهمّه وخطيره ولله الحمد.

وَمِنْ هَـذَا يعلم أَنَّهُ لا يمكن للمُفسِّر والباحث فِي المعرفه الدِّينيه بَلْ وغيرها الاستغناء بحال مِنْ الأحوال عَنْ مسأله عرض أسباب النُّزول عَلَى مُحكمات الكتاب والسنه لأجل التوصل إلى حقائق كثيره قَدْ خُفيت عَلَى غَيْر أهل العلم فضلاً عَنْ أهله، وبإظهار تلك الحقيقه سوف تتّضح الصوره وَيَتِمُّ المطلب.

تقسيم القُرآن لفئات صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله:

النموذج السادس: قوله تَعَالَى: (وَ طائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِيَّهِ)١ . قسَّم القُرآن الكريم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الَّذِيْنَ خرجوا معه فِي حروبه وغزواته وفتوحاته إلى عِدَّه فئات، والغرض مِنْ ذكر هَذَا التقسيم فِي هَـذَا الشّاهد وإنْ كَانَ تَقَدَّمَ فحواه وروحه – هُوَ لبيان أنَّ أسباب النُّزول المُلفَّقه والمُحرَّفه حاولت التقسيم – مَعَ المحافظه عَلَى منظار القداسه لأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله عَلَى أساس أنَّ كُلّ صحابى لمجرد الصحبه يغتفر لَهُ فعل ما فعل، إلَّا أنَّهُ وللأسف هَـذَا المعنى أخذه البعض حَتّى مِنْ الخاصّه فضلاً عَنْ العامّه أخذ المُسلّمات، إلَّا أنَّ الواقع الصحيح فِي أسباب النُّزول الصحيحه وفق منهجنا المُختار أمومه

الولايه عَلَى المُحكمات هُوَ أنَّ القُرآن الكريم يقسِّم الصحابه إلى عِدَّه فئات، كَمَا تقدّمت الشواهد القُرآنيه عَلَى ذكر فئتين وَهُمَا:

الفئه الأولى: تُريد عَرَض الحياه الدُّنْيَا.

الفئه الثانيه: تُريد عَرَضَ الحياه الآخِرَه.

والآن فِي هَذَا الشّاهد تسلّط الآيه القرآنيه الأضواء عَلَى الفئه الثالثه: (وَ طائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ) .

بتقريب: أنَّ هَذِهِ الفئه مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله محورهم أنفسهم، وَمِنْ الواضح أنَّ القُرآن الكريم ذَمَّ عِدَّه فئات مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فئه مِنْ البدريين وفئه مِنْ والأُحُديين وفئه مِنْ الحُنينيين و... الخ.

وينبغى أنَّ نأخُذ بنظر الاعتبار أنَّ الذَّمَّ لَمْ يكُن وارداً فِي كتاب عادى بَلْ فِي أعظم الكُتب ألا وَهُوَ القُرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل وَأَنَّهُ كتاب يُتلى إلى يَوُم القيامه، وَهُنَا يُريد القُرآن التأسيس والتأكيد عَلَى مساله بالغه الخطوره والأهميّه وَهِيَ: -

«أنَّ الميزان ولاضابط فِي الصحبه لرسول الله صلى الله عليه وآله لَيْسَ مُجرَّد صِرْف الصحبه لرسول الله صلى الله عليه وآله فَقَطْ، والعيش معه صلى الله عليه وآله؛ فَإنَّ مثل هَذِهِ الصحبه ليست كافيه للنجاه».

ولذا جعل القُرآن بَعْض آياته الَّتِي يتلوها كُلّ مسلم فِي أنَّ هُنَاك طائفه مِنْ أصحب رسول الله صلى الله عليه وآله(قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ

اَلْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِيَّهِ) و(يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْ ءٍ)١ أىّ لَيْسَ بيدنا شىء إلَّا أنَّ القُرآن الكريم يُجيبهم(قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ)٢ .

بتقريب: - إنَّ النَّصر والهزيمه أو كُلّ تدبير فَهُوَ كُلَّهُ بيد الله عَزَّ وَجَلَّ.

وصف القُرآن لنيّات وخواطر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله:

وصف آخر لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله:

تترصَّد العدسه القرآنيه لنيّات وخواطر فئه مِنْ أصحاب رسول الله مِنْ الأُحُدِيين وتصفهم بوصف آخر وَهُوَ: - حاله النِّفاق الَّتِى كَانَ عَلَيْهَا البعض: (يُخْفُونَ فِى أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْ ءٌ)٣ .

ولذا عِنْدَمَا أمرنا أئمه أهل البيت عليهم السلام بالرّجوع إلى القُرآن فِى كُلّ شىء؛ لِأَنَّهُ كتاب هدايه فَإِنَّهُ لا أحد يستطيع أنْ يرصد حاله النيّات والخواطر إلَّا الخالق عَزَّ وَجَلَّ.

فالحكم العدل الوحيد والميزان القويم فِى تحقيق وتمحيص التأريخ وسيره النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وَمَنْ كَانَ معه صلى الله عليه وآله مِنْ الأصحاب هُوَ الرجوع إلى مُحكمات القُرآن ولا أحقّ مِنْ القُرآن والرّاسخين أنَّ يُبين الحقائق.

وقوله تَعَالَى: (... يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْ ءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ وَ لِيَبْتَلِيَ اللّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (۱۵۴)۱.

بتقريب: تَقَدَّمَ ذكر شواهد عديده عَلَى أنَّ سبب هزيمه المسلمين فِي أُحُد أُمُور أُخْرَى غَيْر الهزيمه العسكريه والمادّيه وَإنَّما هِيَ ضعف نفوس الصّحابه وعصيانهم للرسول صلى الله عليه وآله ورغبتهم فِي الدُّنْيا، وفى هَذِهِ الآيه المُبَارَكه توجد مقابله بين القتال الذى هُوَ خارج المدينه الذى هُوَ سبب للهزيمه وبين البقاء داخل المدينه والتحصّن ببيوتها لكان أقوى لنا ولا يحدث القتل وندفع الخساره المادّيه والمعنويّه، هكذا صوّرته أسباب النُّزول المزعومه والمُلفَّقه بينما القُرآن الكريم فَنَّدَ ذَلِكَ وأنَّ سبب الانهزام فِي وسط المعركه - كَمَا تَقَدَّمَ - هُوَ التمرُّد وعصيان أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وضعف النفوس و... الخ.

وهكذا الآيه الأُخْرَى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ إِذا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كانُوا غُزًّى لَوْ كانُوا عِنْدَنا ما ماتُوا وَ ما قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللّهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ)۲ .

هَذَا شاهد آخر يُبيِّن أسباب النُّزول المُلفَّقه وأنَّ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله كَانَ عَلَى البقاء فِي المدينه وأنَّ رأى الأكثريّه كَانَ عَلَى الخروج والرسول صلى الله عليه وآله

تسلَّم آخر الأمر لرأى الأكثر وخرج، وَهَذَا يُفنّده القُرآن إذْ لو كَانَ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله هُوَ البقاء فِى المدينه كيف يُفنّده القُرآن.

امتحان القلب ومافى الصدور هُوَ أعظم الامتحانات الإلهيه:

الامتحانات والابتلاءات الإلهيه

يَوُم القيامه قبل عالم الجنّه والنّار:

هُنَاك جُمله مِنْ الآيات القُرآنيه تُبيِّن أنَّ أحد حِكَم الامتحانات والابتلاءات الإلهيه يَوُم القيامه الذى هُوَ عالم قبل عالم الجنّه وعالم النّار هُوَ حكمه إخراج ما فِى الصدور مِنْ نوايا وخواطر، وَهَذَا الأمر لا أحد يستطيع استخراجه وكشفه والاطّلاع عَلَيْهِ إلَّا الله ربَّ العالمين؛ ولذا فحرىّ بالإنسان أنَّ لايستسهل بقوى الخاطر والنيه ويتحمّل المسؤوليه تّجاه الخواطر والنيّات، وَهَذَا موضوع مهم وخطير، فَإنَّهُ حسب ما وَرَدَ«إنَّما الأعمالُ بالنيّات وَلِكُلِّ امرءٍ ما نوى»(۱) فإنْ أضمر المرء نيّه الخير أظهرها الله لَهُ، وإنْ أضمرها شرّاً أظهرها لَهُ كَذَلِكَ، عَنْ أبى عروه السّلمى، عَنْ أبى عبدالله عليه السلام، قَالَ: «إنَّ الله يحشر النَّاس عَلَى نيّاتهم يَوُم القيامه»(۲)؛ ولذا فِى منطق القُرآن الكريم: إنَّ أعظم امتحانات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للإنسان هُوَ امتحان القلب وامتحان ما فِى الصدور، وتمام الكلام موكول إلى بحث العقائد.

۱- (۱) الوسائل: ج ۱، أبواب مُقدِّمات العبادات: ب ۵، ح ۱۰.

۲- (۲) المصدر السابق: ح ۵.

والخلاصه: مِنْ كُلّ هَذَا أنَّ القُرآن الكريم يُبيِّن لنا فِي هَذِهِ الآيه المُبَارَكه أنَّ فئةً مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الأُحُديين لَمْ يكونوا بالمستوى المطلوب، بَلْ كانوا بالمستوى المُتردّى وأنهم شريحه موهنه ضعيفه، وَمَعَ هَذَا البيان الواضح للآيه تحاول بَعْض الأقلام المأجوره فِي أسباب النُّزول تغطيه الملفات الَّتِي فيها فضائح ومساوئ، وعدم ملاحظه هَذَا مِنْ قبل المُفَسِّر لَهُ تأثيره الفاعل عَلَى المعنى التفسيرى للآيه، فَإنَّ لَهُ أهميّه فِي كشف خريطه الأحداث وواقع الأطراف مِنْ حَيْثُ مساهمتها سلباً أو إيجاباً.

فِرار العِلْيَه المزعومه للقوم:

النموذج السابع: قوله تَعَالَى: (إنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ إنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (۱۵۵) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ إذا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كانُوا غُزًّى لَوْ كانُوا عِنْدَنا ما ماتُوا وَ ما قُتِلُوا... الخ)(۱).

بتقريب: أنَّ الشّيطان لَهُ القّدره عَلَى أنْ يستزلّ العباد إذَا ارتكبوا المعاصى ومهّدوا الطرق فِي نفوسهم وقلوبهم لدخول الشّيطان ويستنزل ويسيطر، وصريح القُرآن يقول: (إنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (۹۹)۲ وقوله تَعَالَى: (إنَّ عِبادِى لَيْسَ لَكَ

۱- (۱) سوره آل عمران: الآيه ۱۵۵-۱۵۶.

عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ وَ كَفى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (۶۵)۱ وفعلًا استزلّ الشّيطان جمعاً مِنْ العليّه المزعومه مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فِي معركه أُحُد بسبب ما ارتكبوه سابقاً مِنْ المعاصى، فَإنَّ ارتكاب الذُّنوب لَهُ آثاره الوضعيّه الَّتِى تنعكس عَلَى مُرتكبها بأنَّ تورثه القساوه والعصيان والتمرُّد عَلَى المولى - والعياذ بالله - ولذا يعزوا القُرآن الكريم أسباب هزيمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فِي معركه أُحُد عصيانهم أوامر الرسول صلى الله عليه وآله والتمرُّد عَلَيْهِ، إلَّا أنَّ حصر الأسباب بالأسباب لَيْسَ صحيحاً.

ولذا بيَّنت بَعْض الأحاديث النبويّه أنَّهُ لو يفتح باب الشّيطان معناه الاعتراض عَلَى قضاء الله وقدره وما شابه ذَلِكَ هُوَ فتح لباب الشّيطان(الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ)۲ أمَّا أنَّهُ تُعْزَى النتائج والمُسببات وحصرها فَقَطْ بالأسباب المادّيه أو الأساب الكونيّه، فَهَذَا معناه خروج وإنكار لوجود قدره مُهيمنه وراء الأسباب ومُحيطه بها، ومنطق ورؤيه القُرآن لا يريد التنكّر للأسباب إلَّا أنَّ حصر الأسباب بالأسباب المادّيه والحسّيّه الكونيّه فَقَطْ لَيْسَ بالصحيح.

وَهَذَا أحد فلسفات عظمه الاعتقاد بالبداء.

عقيده البداء فِي مدرسه أهل البيت عليهم السَّلامُ:

إنَّ كثيراً مِنْ الأُخوه الباحثين والمفسرين وغيرهم مِنْ المذاهب الأُخْرَى لعلّهم لَمْ يفهموا عقيده البداء فِي منظور مدرسه أهل البيت عليهم السلام وَلَمْ

يفطنوا إليه ولو باختصار فَإِنَّهُ: - عباره عَنْ الاعتقاد والإذعان بأنَّ قدره الله وراء الأسباب، وذكرنا فِي كتابينا: خلاصه معرفيه وكتاب رؤى جهاديه فِي مشهد الطّف(۱) كلاماً حول البداء ما حاصله: إنَّ البداء هُوَ المحو والتغيير فِي التقدير والقضاء الإلهى لا عَنْ جهل مِنْهُ تَعَالَى بخواتم الأُمُور ومحكمات التدبير، بَلْ هُوَ مِنْ إطلاق قدرته تَعَالَى المُستعليه عَلَى كافه الأسباب التكوينيه حَتّى الملكوتيه مِنْهَا والغيبيّه والإبداعيه فضلاً عما دونها مِنْ العوالِم التكوينيه؛ إذْ كُلّ الأُمُور المخلوقه مُنقاده لمشيئته فلا يُحتم ظرف تكوينى عَلَى الله بَلْ لله المشيئه والله يحكم عَلَى كُلّ شيء لا- جبر ولا- تفويض أمر بين أمرين، وليست الأُمُور والأحداث كُلَّهَا مفوّضه إلى الأسباب والجعل فَإِنَّ مَنْ تَوَّهم ذَلِكَ فَقَدْ أخطأ.

فَإِنَّ حلَّ الفلاسفه أو المُتكلمين أو... قَدْ حصروا قَاعدَه الاختيار«لا جبر ولا تفويض» بالأفعال الاختياريه دون الأسباب التكوينيه، وَهَذَا خطأ، فَإِنَّ هَذِهِ قَاعدَه شريفه عامّه كونيّه خطيره مُهمّه استفيدت مِنْ بركات كنوز مدرسه أهل البيت عليهم السلام وَهَذِهِ القَاعِدَه الكونيّه العامّه الرابطه بين الخالق والمخلوق وَلَيْسَ فَقَطْ كَمَا توهّمه بعضٌ بأنَّها رابطه بين الخالق وبين أفعال الإنسان الاختياريّه فَقَطْ، بَلْ رابطه بين الخالق وبين كُلّ جوهر وعرض مِنْ المخلوقات، بَلْ ويتعدّى حَتّى إلى مبحث القضاء والقدر، وأنَّ مَعْنَى القضاء والقدر لَيْسَ هُوَ مِنْ فعل الإنسان فَإِنَّهُ لا جبر ولا نفى ولا

۱- (۱) خلاصه معرفيه للشيخ محمد السند: ج ۲، ص ۱۹۷، ورؤى جهاديّه من مشهد الطّف للشيخ السند: ص ۱۱-۱۹ بتصرُّف.

حصر، فَإِنَّ الله تَعَالَى أبى إِلَّا أنْ يُجرى الأمُور بأسبابها، فَإِنَّ هَذَا صحيح والله مِنْ وراءهم محيط.

هَـذَا كُلَّهُ عَلَى خلاف مقاله اليهود الَّتِى يستعرضها القُرآن الكريم حَيْثُ قالوا إنَّ القلم واللوح بما كَانَ وَيَكُون ولا يجرى فيه التبديل وَعَلَيْهِ فلا يستطيع البارى تغيير المقادير عما هِىَ عَلَيْهِ(وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ)١ .

فبقدرته عَلَى تغيير القضاء والقدر يَتِمُّ الاعتقاد بأنَّ الله تَعَالَى عَلَى كُلّ شىء قدير وينفتح بابا الأمل أمام العبد تّجاه ربه ويتوكّل عَلَيْهِ ولا يلتجئ إلَّا لله ويفوِّض أمره إليه تَعَالَى، وَمِنْ ثمَّ قَدْ وَرَدَ عَنْ أهل البيت عليهم السلام كَمَا فِى صحيح زراره عَنْ أحدهما عليهما السلام: «ما عُبد بشىء مثل البداء»(١).

وفى صحيح هشام بن سالم عَنْ أبى عبدالله عليه السلام: «ما عُظِّم الله بمثل البداء»(٢).

فَإِنَّ بين الحتميّه الجبريّه مِنْ جهه والتفويضيّه مِنْ جهه أُخْرَى هُنَاك حقيقه ونظريه ثالثه، وَهِىَ حتميّه البداء وبدائيّه الحتم.

وَهُنَا نكته لطيفه ينبغى الالتفات إليها وَهِىَ: - أنَّ حتميّه البداء لا تُرى حتماً وحسماً فِى شىء، إلَّا للبداء فَيَكُون كُلّ شىء خاضع لحتميّه البداء

١- (٢) الكافى، للكلينى محمد بن يعقوب: ج ١، ص ١۴۶؛ التوحيد للصدوق: ص ٣٣٢.

٢- (٣) الكافى: ج ١، ص ١۴۶.

فلا حتميّه إلَّا لَهُ أو بعباره أخرى: إنَّ الحتميات الصُغرى تنصهر فِي الحتميّه الكبرى وَهِيَ حتميّه البداء؛ ولذا فَإنَّ الله تَبارَكَ يَعلَمُ بسجود الملائكه وامتناع إبليس ولكن لا قصاص قبل الجريمه، فالله تَبارَكَ وَتَعَالَى - لَمْ ولن يطرد إبليس مِنْ رحمته قبل صدور المعصيه، وإنْ كَانَ الله يعلم بصدور العصيان، وَهَذَا أصل عظيم وَقَاعدَه أساسيه وَمِنْ مُحكمات المنظومه الخلقيه التأدبيّه الإلهيّه فِي تكامل البعض مَعَ البعض الآخر، فَإنَّها مؤسسه عَلَى أساس عقيده البدار، بَلْ وَحَتّى هَذِهِ التقيّه مِنْ الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وأصحابه والبرنامج الأمنى المُكثّف لَيسَ تشكيكاً فِي وعد الله المحتوم بالنَّصر - والعياذ بالله - ولا تشكيكاً فِي قدره الله، بَلْ هُوَ عَلَى العكس تماماً زياده فِي الإيمان بمدى سعه القدره والمشيئه الإلهيه وزياده فِي المعرفه بمشيئه الله وسعه قدرته الَّتِي هِيَ البداء.

ولذا المُخلصون عَلَى خطر عظيم ووجل كبير لتهيبهم مِنْ سعه المشيئه والعلم القدره والبداء فبقدر ما لديهم مِنْ رجاء ومعرفه بالجمال لديهم خوف ومعرفه بالجلال، وَهَذَا ما أشار إليه سيد الشُّهداء عليه السلام فِي دعاء عرفه: «إلهى إنَّ اختلاف تدابيرك وسرعه طواء مقادير منعا عبادك العارفين بك عَنْ السكون إلى عطاء واليأس منك فِي بلاء»(١).

ولذا لَمْ يبعث الله نبياً إلَّا وَقَدْ أخذ عَلَيْهِ الإيمان بالبداء، وَقَدْ وَرَدَ فِي طرق كُلّ مِنْ العامّه والخاصّه، أنَّ الدُّعاء يحجُب القضاء المُبرم، وَمِنْ هَذَا

١- (١) دعاء عرفه، الإقبال: ج ٢، ص ٣٢٩-٣٥٠؛ عنه البحار للمجلسى: ج ٢٢٥/٩٥.

اتّضح أنَّ البداء لَيْسَ بمعنى أَنَّهُ يبدر لله تَعَالَى شيء لَمْ يكَن يعلم به، بَلْ هُوَ إظهار وإبداء الله تَعَالَى لخلقه وأوليائه شيئاً لَمْ يكونوا يعلمون به فيبقى الأمر كُلَّهُ بيده تَعَالَى (يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ (٣٩))(١).

والخلاصه: القُرآن يُنادى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا)٢ .

بتقريب: هُنَاك إعجاب مِنْ خطاب القُرآن للمؤمنين وَهُمْ عَلَى درجات عاليه مِنْ الإيمان مَعَ ذَلِكَ يخاطبهم القُرآن ويقول لهم: (لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا) ، وَعَلَيْهِ فالمؤمنون والمُخلصون عَلَى خطر، فيا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمنوا لا تكونوا كَالَّذِيْنَ كفروا بأنْ تكونوا مِثْل الكافرين مادّيين أو محصوره رؤيتهم فِي الأسباب الكونيّه دون ما وراءها، بيما الإيمان هُوَ ما وَرَدَ فِي الدُّعاء الشريف: «يا مُسبب الأسباب دلَّت عَلَى قدرتك الصعاب ويا مَنْ يفتأ به حدّ الشدائد»، وَإنَّما هُنَاك قدره وراء الكون والأكوان تلك القدره هِيَ: (وَ اللّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠)٣ .

وَهَذَا تحذير لِلَّذِيْنَ تلاعبوا بأسباب النُّزول ولفّقوها وحَرَّفوها عَنْ مواضعها مِنْ أنَّ محاسبتكم المادّيه ومعادلاتكم الَّتِي برمجتموها حسب ما تريده السَّلطه الحاكمه مقابل ثمن وأجر فِي أسباب النُّزول لا تحصروها بأسباب كونيّه أو ماديّه أو... الخ وكذلك لا تحصروا الأسباب بالأسباب

١- (١) سوره الرعد: الآيه ٣٩.

والدعاء فَقَطْ ولا بالعمل فَقَطْ وَإنَّما أمرٌ بين أمرين والله تَعَالَى علَّه العلل وسبب الأسباب والله مِنْ وراءهم محيط.

ولـذا مـا ذكره المُلفِّقون فِي أسـباب النُّزول فِي معركه أُحُـد لَمْ يكن بـالصّواب وَالقُرآن الكريم يُؤنبهم عَلَى هَـذَا الجزع، فَـالَّذِيْنَ استُشـهدوا فِي معركه أُحُد لَمْ ولن يخسروا وَإنَّما حصلوا عَلَى غنيمه أخرويه وربحوا إحدى الحُسنيين(وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨)١ .

بتقريب: إنَّ أعظم غنيمه هِيَ لقاء الله، لـذا تأنيب القُرآن عَلَى ما حدث مِنْ هزيمه لبعضٍ الأصـحاب عظيمٌ، وَلَيْسَ هَذَا التأنيب مِنْ القُرآن عَلَى خروج النَّبِيّ صـلى الله عليه وآله مِنْ المـدينه إلى ضواحيهـا - كَمَـا ادّعى فِي تلفيـق أسـباب النُّزول وَلَيْسَ عَلَى فشـل الخطّه العسـكريه الَّتِي رسـمها النَّبِيّ صلى الله عليه وآله حسب ما يزعم فِي أسباب النُّزول المزعومه، وَإنَّما ركَّزَ القُرآن عَلَى تأنيب بَعْض أصـحاب رسول الله صـلى الله عليه وآله الَّذِيْنَ اشتركوا فِي معركه أُحُد لإيمانهم بعقائد خاطئه انطوت عَلَيْهِ سـرائرهم وعدم تهذيب السـلوك لديهم، هَذَا بحسب بيان منطق القُرآن، وَبَعْدَ هَذِهِ الشواهد القُرآنيّه لا يبقى مجالٌ لأحدٍ للتشبث بروايات أسباب النُّزول المُلفَّقه فِي مصـادر العـامَّه أنْ يقول أنَّ أسـباب النُّزول بِهَـذَا أو بـذاك المعنى ذُكرت فِي المصـدر الفُلانى، فلا كلام بَعْدَ كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

متى يسيطر الشيطان عَلَى الإنسان:

لا ـ يُسيطر الشّيطان عَلَى الإنسان ولا ـ يقوى عَلَى نفس الإنسان إلَّا إذَا ارتكب المعصيه - والعياذ بالله - ولذا هُنَاك جمله مِنْ الأمراض النفسيّه والروحيّه الَّتِى يُصاب بها الإنسان وتترك أثرها السّلبى عَلَيْهِ نتيجه ارتكاب مخالفات شرعيه فيسيطر الشيطان عَلَيْهِ نتيجه هَذِهِ المُخالفات، ويُبتلى بأنواع الأمراض النفسيه والرّوحيه، فمثلاً السِّحر ومسّ الشيطان والصرع و... الخ.

وإنْ كُنّا لا نريد الخوض فيها تفصيلاص لأنَّها ليست محل بحثنا وَإنَّما نذكرها استطراداً وبوجازه - والتفصيل موكول إلى محلّه المُنَاسِب - وأنَّ أحد العلاجات الناجحه لمُعالجه هكذا أمراض روحيّه ونفسيّه هُوَ إقلاع المصاب عَنْ تلك المعاصى الَّتِى ارتكبها وإنْ كَانَ الإنسان مُبتلى بمعاصى كثيره، ولا يدرى كيف يشخِّص المعصيه الَّتِى بسببها ابتلى بِهَذَا المرض، فَإنَّ مثل هَذَا يحتاج إلى عنايه الله وتوفيقه فِى تشخيصها لِأنَّ الله تَعَالَى أخفى غضبه فِى معصيته ولا ندرى أىّ معصيه تُغْضِب الله تَعَالَى.

ص:١٨٥

مَعْنَی الشوری فِی أسباب النُّزول الملفقه:

حاول المُلفِّقون لأسباب النُّزول إعطاء الشوری مَعْنَی عقائدی وقواعدی فِی الفِقْه السیاسی عَلَی غَیْر ما یریده القُرآن وَغَیْر ما تُریده مدرسه أهل البیت علیهم السلام(۱).

وتقدم أنَّ هؤلاء المُحَرِّفون لأسباب النُّزول حرَّفوا مَعْنَی الشّوری فِی معرکه أُحُد وَهُوَ أنَّ رأی الأکثریه کَانَ عَلَی الخروج ورأی رسول الله صلی الله علیه وآله کَانَ عَلَی المکث فِی المدینه، ولکنَّ رسول الله صلی الله علیه وآله نزل إلزاماً منهم عَلَی رأی الأکثریه حسب زعمهم وترک رأیه صلی الله علیه وآله وقال صلی الله علیه وآله یعلم أنَّ سبب الهزیمه سیکون بالخروج مِنْ المدینه، وفیه مخاطر وأضرار تلحق بالمسلمین إلَّا أنَّهُ لقدسیّه قَاعدَه الشوری ورأی الأکثریه أُلْزِم النَّبِیّ صلی الله علیه وآله بذلک مهما کَانَتْ الضریبه - حسب زعمهم - أیّ فِی أسباب النُّزول المُحرَّفه فَهُمْ یرون أنَّ الشّوری أکثریه تُلزِم وتُرْغِمُ رسول الله صلی الله علیه وآله برأی الأکثریه وإنْ کَانَ رأی الأکثریه مخالفاً للوحی وللرسول صلی الله علیه وآله.

۱- (۱) ذکر الشَّیخ محمد السَّند فی کتابه الإمامه الإلهیه: ج ۱، ص ۱۱۹ فی المبحث الثانی والثالث کلاماً مُفصلاً حول النّظریات فی إداره شؤون الحکم ودور الشّوری فیها - فراجع.

ولايه الشورى بنظر أسباب النُّزول المُحَرَّفه

فوق الوحى الإلهى وفوق ولايه الرسول صلى الله عليه وآله:

وَهَـذَا معنـاه أنَّهُ يُعطى مـدلولاً التزاميـاً خطيراً للشّورى عنـدهم ألاـ وَهُوَ جعل ولايه الشّورى فوق ولايه الوحى الإلهى وفوق ولايه الرسول صـلى الله عليه وآله وإنَّ الشّورى مُلزمه للرسول فضـلاً عَنْ أنَّ الحاكم غَيْر رسول الله صـلى الله عليه وآله، وَهَذَا ما سطّروه فِى كتب أصول الفِقْه وكُتب مُتكلميهم - العـامّه - وَعَلَيْهِ فـأين هُمْ مِنْ ولاـيه الرسول صـلى الله عليه وآله(قُلْ أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ)١ . فهل يا تُرى أنَّ ولايه الرسول صـلى الله عليه وآله مُختصّه ومُنحصـره بتبليغ الوحى، وَهُنَاك فَقَطْ معصوم وما عداه فِى مثـل شؤون التّـدبير والإـداره و... الـخ، فَلَيْسَ بمعصوم وَلَيْسَ لَهُ ولاـيه - والعيـاذ بـالله مِنْ هَـذَا المقال - هكـذا زعموا، فانظر إلى تسلسل التداعيات الباطله المُترتّبه عَلَى تلفيق أسباب النُّزول إلَّا أنَّ الصحيح والحقيقه غَيْر ما ذُكِر فِى أسباب النُّزول المُلفَّقه وَذَلِكَ ببيان.

الأول: إنَّ الصَّحيح كَانَ عَلَى أنَّ رأى رسول الله صـلى الله عليه وآله عَلَى الخروج خارج المدينه لمقاتله المُشـركين وكفّار قريش وعتاتهـا، وَلَيْسَ رأى رسول الله صـلى الله عليه وآله عَلَى البقاء والمكث بالمـدينه، وَهَـذَا معناه أنَّ رأى الأكثريه كَانَ مُطابقاً لرأى رسول الله صلى الله عليه وآله، وَأنَّهُ صلى الله عليه وآله كَانَ هُوَ السَّابق فِى طرح مسأله الخروج مِنْ المدينه وقتال المُشرين هُنَاك.

وَهَذَا معناه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله هُوَ الذى أعدَّ وهيّأ الأرضيه المُناسبه لتوعيه الأكثريّه، فاستجابت الأكثريه لرأى الرسول صلى الله عليه وآله وتفاعلت معه، وَهَذَا مما يُدلِّل تأثير رأى القائد فِى قاعدته وتفاعلهم معه.

الثانِى: استجابه وتفاعل الأكثريّه مَعَ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله عَلَى الخروج خارج المدينه يُدلِّل عَلَى عدم تأثّر الرسول صلى الله عليه وآله برأى الأكثريه وبقائه صلى الله عليه وآله مُتمسكاً برايه لا مِنْ باب التعصُّب والاستبداد بالرأى كلا، وَإنَّما كَانَ رسول الله صلى الله عليه وآله أعرف النّاس بمواضع المصلحه مِنْ رأى الأكثريّه؛ ولذا كم وكم مِنْ المواقف الَّتِى واجهها رسول الله صلى الله عليه وآله فِى حياته وَكَانَتْ الأكثريه مخالفه، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ ولن يتأثّر ولن يتراجع الرسول صلى الله عليه وآله عَنْ رأيه، فمثلاً فِى بدر، أيضاً كَانَ بَعْض الصّحابه يقول لرسول الله صلى الله عليه وآله أترك منازله قريش فَإنَّ قريشاً معروفهٌ بخُيلائها ومكرها وَأنَّها ما ذلَّتْ مُذْ أنْ عَزَّت و... الخ وأيَّده الأكثر؛ إلَّا ان رسول الله صلى الله عليه وآله لَمْ يصغ لمثل هَذَا الكلام وَلَمْ يتأثَّر به طرفه عين أبداً، وَإلَّا فَإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم بالحقيقه؛ ولذا فَإنَّ القُرآن يُبيِّن لنا مثلاً فِى بَعْض معارك الرسول صلى الله عليه وآله الجنبه الأخلاقيه والتربويّه مِنْ القائد إلى القَاعِدَه(فَبِما رَحْمَهٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ)١ .

بتقريب: إنَّ وجودك يا رسول الله صلى الله عليه وآله بينهم هُوَ موضع نزول الرّحمه الإلهيه وتَحَمُّلك لأخلاقهم الخشنه وعاداتهم الجاهليه بسعه قلبك يا رسول

الله صلى الله عليه وآله إذْ لو كُنْت فضّ القلب وخشن الأخلاق معهم لتفرّقوا مِنْ حولك؛ لِأنَّ«آل الرياسه سعه الصَّدر»(۱) لا ضيقه.

ثمَّ إنَّهُ وَرَدَ فِي الآيه المُبَارَكه(وَ شاوِرْهُمْ) وفيها أكثر مِنْ وجه:

الوجه الأول: فإذا فُسِّرَ مَعْنَى الشّورى بالأكثريه حسب أسباب النُّزول الملفَّقه فَإنَّهُ سوف يصبح تدافع بين تفسير مَعْنَى الشّورى بالأكثريه وبين ذمّ القُرآن لوصف الأكثريّه، فَإنَّ هُنَاك مواطن كثيره وعديده فِي القُرآن ذَمَّ فيها الأكثريه فِي الأُمَّه وَأنَّها قَدْ تكون مصدراً للخطأ والخطيئه فلا يمكن الاعتماد عَلَيْهَا، كَمَا فِي قوله تَعَالَى: (أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ)۲ و(أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ)۳ و(أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ)۴ .

وَبَعْدَ اتّضاح هَذَا فكيف يُحكَم راى الأكثريه حسب أسباب النُّزول لدى العامّه؟ إلَّا اللَّهُمَّ نقول أنَّ الشّورى لها مَعْنَى آخر، وَهُوَ أنَّ المعنى الذى اتّخذته مدرسه أهل البيت عليهم السلام بمعنى تمحيص الرأى والتنقيب عَنْ الحقيقه والواقعيّه الذى هُوَ شعار الحضاره الحديثه، وَلَيْسَ مقصودنا مِنْ الحضاره الحديثه الَّتِي وصل إليها العلم الحديث مِنْ حضاره التكنلوجيا وحضاره العالم النووى أو البايلوجى أو الالكترونى وَإنَّما المقصود هُوَ حضاره الاتّصالات والارتّباطات أىّ حضاره ثوره المعلومات.

۱- (۱) تحف العقول: ۲۲۴.

ما المُرَاد مِنْ ثوره المعلومات:

هُنَاك ضابط قَدْ بيّنته روايات أهل البيت عليهم السلام: «عَنْ الحسين بن يزيد النوفلى، عَنْ على بن سيف رفعه، قَالَ: سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام مَنْ أعلم النَّاس؛ قَالَ: مَنْ جَمَع علم النَّاس إلى علمه»(١) ، «وإنَّ أعقل النَّاس مَنْ جمع عقل النَّاس إلى عقله»(٢).

بتقريب: أنَّ مَنْ عنده تحقيق وتتبع واقعى فِى بناء مراكز الدّراسات ومراكز الاستشاريات ومراكز التحقيق والتنقيب العلمى مَعَ غضّ النَّظر عَنْ كونه أكثريّه أو أقليّه، وسواء كَانَ مِنْ نخبه واحده أو مِنْ نخب النخب، والنخب هِىَ الأُخْرَى عَلَى درجات فِى التنقيب عَنْ الحقيقه والواقع.

الوجه الثانى: وأمَّا إذَا فُسِّرت لفظه«وشاورهم» الوارده فِى الآيه المُبَارَكه هِىَ فِى سياق عنايه ورعايه القائد والقياده للقاعده لا العكس [بأنْ تكون: - القياده مقوده ومنصاعه للقاعده].

وفى هَذَا مطلب تربوى وأخلاقى، كَمَا ينقل الشَّيْخ الطبرسى صاحب تفسير مجمع البيان عَنْ الشَّيْخ المفيد رحمه الله فوائد فِى تفسير الآيه المُبَارَكه(وَ شاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ)٣ بأنه لا علاقه للشّورى أصلاً برأى الأكثريّه، وَإنَّما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بمشاوَرَه أصحابه هُوَ لأجل أنْ يمتحن مَنْ كَانَ حوله مِنْ أفراد

١- (١) المحاسن لأحمد بن مُحمَّد بن خالد البرقى: ج ١، ص ٢٣٠.

٢- (٢) المصدر السابق.

الصّحابه، ويُبْصر أصحابه صلى الله عليه وآله الَّذِيْنَ حوله مَنْ كَانَ فيهم ضعيف الهمّه وَمَنْ كَانَ قويّها، وتفعيل مشاركتهم فِى تحمُّل المسؤوليه العامّه.

ثمَّ قالت الآيه(فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ)١ ، بتقريب: أىّ إذَا عزمت أَنْتَ يا رسول الله صلى الله عليه وآله وَلَيْسَ عزيمه الأكثريّه، وَعَلَيْهِ فَلَيْسَ المُرَاد عزموا عليك يا رسول الله - والعياذ بالله - وَأَنَّكَ مُلْزَم برأى الأكثريه، وَأَنَّهُ صار صلى الله عليه وآله تابعاً للقاعده وَهُمْ الأكثريه فتكون القَاعِدَه هُمْ المتّبوعون، وَعَلَى هَذَا يَكُون المُنَاسِب فِى تعبير الآيه [فإذا عزموا عليك فاتبعهم] بينما جاء التعبير القرآنى بالعكس(فَإِذا عَزَمْتَ) أىّ أَنْتَ يا رسول الله إذَا عزمت والعَزم بيدك، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الشّورى الذى أسسته مدرسه أهل البيت عليهم السلام وأنَّ الذى يُصَمِم ويَعْزِم هُوَ مَنْ أوتى سَدَّه الحاكميّه والولايه بكفاءه، وَلَهُ أنْ يُمحّص ويُدقّق الآراء بكفاءه علميّه وَيَكُون هَذَا فاضلاً وَلَيْسَ بمفضول.

ثمَّ قالت الآيه(فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ) أىّ حَتّى لو خالفوك وعصوك وتمرّدوا عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله فظهيرك وتوكلك عَلَى الله تَعَالَى: (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)٢ .

ثمَّ قالت الآيه: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ)٣ .

بتقريب: إذَا كَانَ هُنَاك أمر مِنْ الله إلى المربى والهادى الأوَّل

وَهُوَ رسول الله صلى الله عليه وآله الرأى يصفه القُرآن الكريم بأنه(هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ) بالعفو فَهَذَا معناه أنَّ هُنَاك خطأ صدر مِنْ الأكثريّه، وَالقَاعِدَه تّجاه رسول الله صلى الله عليه وآله والله عَزَّ وَجَلَّ يأمر الرسول بالعفو، وَهَذَا يدلّل عَلَى أنَّ الأكثريه وَالأُمَّه يمكن أنْ تكون مصدراً للخطأ وَلَيْسَ بالضروره أنَّ الأكثريه وَالأُمَّه لابُدَّ أنْ يَكُون رايها مُلازم للصواب، بَلْ فِى أكثره مُجانب للحقيقه وللصواب بدليل أنَّ القُرآن الكريم وصف حال الأكثريّه بقوله(أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) (٣٧)١ و(أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)٢ و(أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ)٣ .

وَعَلَيْهِ إذَا كَانَ القُرآن يصف الأكثريه بهكذا وصف، وَمِنْ جهه أُخْرَى يحثّ عَلَى نظريّه ومبدأ الشّورى، فلو نتماشى مَعَ أسباب النُّزول المُحَرَّفه والمُلفَّقه لأصبح هُنَاك تدافع بين وصف القُرآن للأكثريه وبين ما يُريده القُرآن مِنْ مَعْنَى الشّورى حَتّى فِى آيه الشورى فَإنَّ القُرآن يُفنِّد راى الأكثريه إذَا كَانَ مَعْنَى الشُّورى هُوَ رأى الأكثريَّه حسب ما تدّعيه أسباب النُّزول المُحَرَّفه بقوله تَعَالَى: (وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ)٤ أىّ استغفر للأكثريه لأنها عَلَى خطأ.

وَعَلَيْهِ فكيف تحكّمون رأى الأكثريّه(فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤)١ .

وبالتالى فَإنَّ هَـذِهِ الآيه المُبَارَكه تـدحض مَعْنَى الشّورى الخاطئ الـذى فسّرته مـدرسه العامّه، وكذلك تدحض روايات أسباب النُّزول المُلفَّقه.

القُرآن يصف رأى الرسول صلى الله عليه وآله بالفتح المبين:

الوجه الثالث: مِنْ شواهد مخالفه رسول الله صـلى الله عليه وآله لرأى الأكثريه هُوَ ما حصل فِى صـلح الحديبيه فَإنَّ عدد الصّـحابه الَّذِيْنَ كانوا حاضـرىّ الصّلح ما يقرب عددهم مِنْ (١٥٠٠) ألف وخمسـمائه صحابى، وفيهم كبار الصحابه فَإنَّ الأكثر كَانَ رأيه عَلَى خلاف رأى رسول الله صـلى الله عليه وآله عـدا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السـلام فِى عقد صـلح الحُديبيّه، وَمَعَ ذَلِـكَ لَمْ يَنْزُل الرسول صـلى الله عليه وآله لراى الأـكثريه الخاطئى، بَلْ القُرآن وصف رأى رسول الله صـلى الله عليه وآله بالفتح المبين(إِنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً (١)٢ .

بتقريب: إنَّ رأى الأـكثريه وإنْ كَـانَ عَلَى خلاـف رأى رسول الله صـلى الله عليه وآله إلَّا أنَّهم عَلَى خطأ ولا يعلمون ولا يبصـرون واقعيات اللعبه السياسيّه والعسكريّه فضلاً عَنْ الاستراتيجيه والحضاريه، وَمِنْ الواضح هُنَا فرق بين الفتح وبين النَّصر.

إنَّ الفتح: هُوَ ظَفَرٌ طويل الأمد، والنصر: ظفر قصير الأمد ومؤقت.

ولـذا وصف القُرآن صـلح النَّبِيّ صـلى الله عليه وآله الـذى عقده فِى الحديبيه كَانَ فتحاً مبيناً لِإنَّهُ ببركه هَذَا الصّلح مِنْ آثاره أنَّ قريشاً اعترفت بدين الإسـلام وركَّزتْ لَبنات الإسـلام الأساسيّه، وأنَّ شجره الإسلام زُرعت فِى أرض الجزيره العربيّه وأنَّ ما كَانَتْ تُدين به قُريش لَيْسَ ديناً بَعْدَ ما اعترفت بدين الإسلام، وَعَلَيْهِ فصار دين الإسلام أمرٌ واقعى حقيقى، وَهَذَا فتحٌ مُبين.

القُرآن يحث عَلَى حصر الأمر فِى القائد والقياده:

المعصومه فِى جانب تمحيص الرأى لاتخاذ القرار:

الوجه الرابع: قوله تَعَالَى: (وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَ لكِنَّ اللّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ)١ .

بتقريب: أنَّ رسول الله صـلى الله عليه وآله لو كَانَ يُطيع راى الأكثريّه المُخالفه لَهُ فِى حياته السياسيّه والعسكريّه والتدبيريّه لوقعتم فِى المشـقّه والحرج والخطأ؛ ولذا لَمْ ينصاع إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله(وَ لكِنَّ اللّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ) باتّباع رسول الله صلى الله عليه وآله الـذى هُوَ الإيمـان، وَعَلَيْهِ لو كَانَ المُحّكم فِى السـاحه هُوَ رأى الأكثريه، فلماذا يصف القُرآن بأنَّ مَنْ يخالف رسـول الله صـلى الله عليه وآله يقـع فِى المشـقّه والحرج والخطـأ؟ ولمـاذا يحثّهم القُرآن عَلَى اتّبـاع رأى رسول الله صـلى الله عليه وآله؟

وَهَذَا يُستفاد مِنْهُ حصـر الأمر فِى القائد والقياده المعصومه فِى جانب تمحيص الرأى لاتخاذ القرار وأهميّه رأى نُخب النُّخب الَّتِى لديها رؤيه كافيه حول الموضوع؛ ولذا لَمْ تُعْطَ الأكثريّه حقّ المشاركه فِى الإراده والعزم

عَلَى الامور، نعم لا بأس بمشاركه الأكثريّه فِى الجانب العملى وجانب مُراقبه المسؤول.

كَمَا فِى آيه الشّورى وقوله تَعَالَى(وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاّ يَخْرُصُونَ (۱۱۶)۱ .

وكقوله تَعَالَى: (وَ ما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ (۳۶)۲ .

وكقوله تَعَالَى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۳۰)۳.

وكقوله تَعَالَى: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ...)۴ .

القُرآن يذم التنازع

ولا ينهى عَنْ التعدد فِى الآراء والأنظار:

الوجه الخامس: قوله تَعَالَى: (وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا...)۵ ، وقوله فِى آيات واقعه بدر(وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَنازَعُوا

فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكَمْ وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ (۴۶)۱.

بتقريب: أنَّ القُرآن دائماً يدعوى إلى تعدُّد الرُؤى والأنظار وينهى عَنْ التنازع والتناحر والتنازع غَيْر تعدّد وجهات النظر.

فَإنَّ التّنازع معناه وجود مُصادمات سواء عَلَى صعيد المُجتمع أو عَلَى صعيد الأُسره أو عَلَى صعيد مجموعه أصدقاء، فَهَذَا الالتحام والمصارعه والمجابهه هِيَ تنازع ذمّهُ القُرآن بخلاف تعدُّد وجهات النظر فَإنَّهُ غَيْر مذموم(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)۲ أيّ يتّبعون مُطلق جنس القول، بَلْ بالعكس تعدّد وجهات النظر هُوَ مبدأ الشّورى الذى هُوَ مبدأ قرآنى إسلامى فَإنَّ مبدأ الشّورى فِي القُرآن يرتكز عَلَى تعدّد وجهات النظر.

مبدأ الشورى فِي القُرآن يرتكز عَلَى تعدد وجهات النظر:

إنَّ مبدأ الشّورى فِي القُرآن عَلَى تفسير مدرسه أهل البيت عليهم السلام عباره عَنْ انفتاح الإنسان أو انفتاح الحاكم عَلَى وجهات نظر مُخْتَلِفَه كى يستقرئ المعلومه الصائبه والسديده.

وَهَذَا المعنى ما أكّدته روايات أهل البيت عليهم السلام: «ما حَارَ مَنْ استخار ولا نَدِم مَنْ استشار»(۱) أو«البركه فِي الاستشاره».

بتقريب: إنَّ انفتاح الإنسان عَلَى آراء ومعلومات الآخرين فيه تكامل

۱- (۳) تحف العقول عَنْ آل الرسول صلى الله عليه وآله، ابن شعبه الحرّانى: ص ۲۰۷.

ولا مانع مِنْهُ وفيه تلاقح للآراء وتكامل للرُّؤى، بخلاف التّنازع والاشتباك فَإِنَّ التعادى والعدوان مذمومٌ بين بَعْض الفئات وبين البعض الآخر.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ نتيجه التّنازع هُوَ الإخفاق والضعف وعدم الوصول إلى الغايات والنتائج المرجوّه.

أحد مناشىء النزاع هُوَ تعدد وجهات النظر:

إنَّ مبدأ تعدّد وجهات النظر لا ينهى عَنْهُ القُرآن، بَلْ نظرتُه إليه بكُلِّ شفافيّه وحياديّه وعدم تعصب، وَهَذَا لَيْسَ فيه شيء لِإِنَّهُ يُعَبِّر عَنْ وجهه نظر صاحبه ما لَمْ تكن مخالفه للثوابت القُرآنيه والشّريعه الإسّلاميَّه ومُرتكزات العُقلاء، وَإِنَّما ينهى القُرآن ويذم النّزاع الذى قَدْ يتولّد مِنْ الإصرار عَلَى وجهات النظر.

ولذا فَإِنَّ مبدأ الشّورى حسب تفسير مدرسه أهل البيت عليهم السلام تعنى الشّفافيه والحياديّه وَمِنْ دون تعصب وَمِنْ دون النظر إلى قضيه الأكثريّه والأقليّه، فَإِنَّ قضيه الأكثريّه والأقليّه هِيَ تحكيم الإراده، وصراع الإرادات دائماً مآلها إلى الفشل والتعطيل والضعف.

بخلاف الحوار بلا تعصّب فَإِنَّهُ يقود إلى الوحده والقوّه؛ لذا هُنَاك فرق جوهرى وسنخى فِى مَعْنَى الشّورى عِنْدَ مدرسه أهل البيت عليهم السلام عَنْهُ فِى المدارس الأُخْرَى كمدرسه أو نهج العامّه - فَإِنَّ مبدأ الشّورى عِنْدَ العامّه لسانه تحكيم القوَّه والسيف والقدره والبطش لِمَنْ يُبايع و... الخ، وَهَذَا ما حَذَّرت مِنْهُ الآيه المُبَارَكه: (وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا

وَ تَذْهَبَ رِيحُكَمْ)۱ .

بينما حقيقه الشّورى فِي مدرسه أهل البيت عليهم السلام هِيَ مشاوره ومحاوره وانفتاح عَلَى الآراء والحقائق بحياديّه وبلا إصرار وتعصُّب، وتجريد العلم عَنْ لسان القوَّه والقدره و... الخ، هَذِهِ هِيَ الشّورى الحقيقيّه الَّتِي باتت اليوم أنشوده تُنشَد نَسْمعها فَقَدْ ولا تعيشها البشريّه إلَّا فِي ظل حكم أهل البيت عليهم السلام؛ ولذا نلاحظ أنَّ حكومه الرسول صلى الله عليه وآله وحكومه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، والأئمه عليهم السلام ليست حكومه إرغام وتهديد، بَلْ كُلَّهَا حكومه تعليم لأجل أنْ يعيش النَّاس الحقيقه وينساقون إليها تلقائياً(هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ)۲ .

وقوله تَعَالَى: (فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ (۲۱) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (۲۲)۳. فَهَذِهِ طبيعه علاقه الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام مَعَ النَّاس باختلاف مذاهبهم سواء المسلمين أو غيرهم هِيَ علاقه ذكر وتذكير ولين، لا علاقه تهديد وإرهاب وبطش ورشوه وإغراء وحمل للدُّرّه الَّتِي كَانَ يحملها بَعْض عِلْيَه صحابه الرسول صلى الله عليه وآله أيام خلافته يضرب بها النَّاس: (فَبِما رَحْمَهٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)۴ .

وقوله تَعَالَى: (وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ)۱ .

فَهَذَا هُوَ مبدأ الشّورى فِي رؤيه مدرسه أهل البيت عليهم السلام وكيف تُرسِّخ آله الرياسه الَّتِي هِيَ سعه الصدر، بمعنى أنَّهُ لابُدَّ للمسؤول والحاكم أنْ يفتح قلبه وذهنه أمام آراء الآخرين بلا لجاج وتعصّب بَلْ بحياديّه بخلاف مبدأ الشّورى عِنْدَ الطرف الآخر الذى مبدأهم تحكم صراع الإرادات وفرض قوّه وإرغام، وبالتالى الإكراه والقوّه لا تدوم، بَلْ وَحَتّى الهدف العسكرى للدوله الإسلاميَّه والحاكم الإسلامى لَيْسَ هُوَ الطغيان والغطرسه وإرعاب وإرهاب الآخرين، كَمَا يصف القُرآن الكريم جبابره قريش الكافره عِنْدَمَا خرجوا مِنْ مَكَّه مُتجبّرين متعنتين متغطرسين يردّدون كلمات طغيان وتكبّر(وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَ رِئاءَ النّاسِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَ اللّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (۴۷)۲ .

فَإنَّ الوسط الإعلامى والدّعايه الإعلاميّه لها دورها المُؤثِّر، وَلَيْسَ غرضهم إقامه العدل وطريق الله.

الوجه السادس: إذَا كَانَ رأى الأكثريه هُوَ المُحَكَّم بحسب ما تذكره أسباب النُّزول المُحرَّفه فكيف يُفسّرون قوله تَعَالَى: (وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (۱) بإلزام النَّبِيّ صلى الله عليه وآله - أىّ القائد - برأى القَاعِدَه علماً أنَّ القُرآن يصف النَّبِيّ

۱- (۳) سوره آل عمران: لاآيه ۱۵۹.

الأـكرم صـلى الله عليه وآله: (مـا ضَـلَّ صـاحِبُكَمْ وَ ما غَوى (٢) ١ بتقريب: أنَّ العصـمه والتـدبير فِى هَـذِهِ الآيه المُبَارَكه وغيرها مُنحصـره بالنبى صـلى الله عليه وآله - أىّ بالقائد - لا بالقاعده وَهِىَ الأكثريّه، وَهَذَا شاهدٌ عَلَى عكس المفهوم المقلوب للشّورى الذى ذُكِر معناه فِى أسباب النُّزول المُلفَّقه.

وهكـذا قوله تَعَـالَى الآـخر فِى الرّجوع إلى النَّبِىّ صـلى الله عليه وآله: (وَ إِذا جـاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)٢ .

بتقريب: إنَّهُ إذَا جـاءهم أمر مرتبـط بـالوضع العـام السّياسـى أو العسـكرى أو الأمنى سواء الأمن الاقتصادى أو الأمن الأخلاقى أو الأـمن السياسـى أو الأـمن الاجتمـاعى أو... الـخ أو مـا يرتبـط بـالخوف سـواء الخـوف الأـمنى أو الخـوف الأخلاـقى أو الخـوف الاقتصـادى أو الخـوف العسـكرى أو الخـوف الفكرى أو... الـخ، فَـإنَّ القُرآن الكريم يُؤكِّد عَلَى أنَّهُ لَيْسَ مِنْ حقّ أحـد أنْ يتفوّه بتفسـيره أو تـأويله أو يُروِّج لَهُ أو يُـذيعه إلَّا عَنْ طريق مَنْ وصـفهم القُرآن بـالمُطهّرين(لاـ يَمَسُّهُ إِلاَّـ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)٣ . والعلماء الراسخون فِى العلم(لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)٤ .

والخلاصه: أنَّ مبدأ الشّورى الذى يدعو إليه القُرآن الكريم لا مبدأ

الأـكثريّه وتحكيـم عمـوم النَّاس، وَكَمَـا ينبغى الالتفـات إلى التفكيـك والتّفرقه بين تحكيم الأـكثريّه وعمـوم النَّاس وَالأـمَّه وبين منظومه حقوق الأـكثريّه، وَهُنَـا لابُـدَّ مِنْ التّمييز بينهما وأنَّ الأكثريّه لها حقّ غَيْر حقّ الأقليّه أو حقّ عامّه النَّاس، وهكـذا غَيْر تحمّل عـامّه النَّاس مسؤوليتهم فِى الرقـابه، فَـإنَّ لِكُـلِّ واحـد مِنْ هَـذِهِ وغيرهـا هُوَ مطلب وحقٌّ مسـتقل برأسه، وَإنَّما بحثنا فِى اسـتصواب الرأى، ومثل هَذَا لا يعتمد عَلَى قِلَّه أو كثره وَإنَّما يعتمد عَلَى كيفيه دراسه آليات الإحاطه بالواقع.

وَعَلَيْهِ فقوله تَعَـالَى: (فَـاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْـتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شـاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ) صـريحٌ فِى دحض روايات أسـباب النُّزول الَّتِى لُفِّقت عَلَى رسول الله صـلى الله عليه وآله وَأَنَّهُ صـلى الله عليه وآله ارتأى رأياً غَيْر رأى الأكثريّه، ثمَّ بَعْـدَ ذَلِكَ نزل النَّبِىّ صـلى الله عليه وآله عِنْدَ رأى الأكثريّه مَعَ أَنَّهُ صلى الله عليه وآله يعلم بأنَّ رأى الأكثريّه فاسدٌ وكاسِدٌ وحاشا رسول الله صلى الله عليه وآله مِنْ ذَلِكَ.

الوجه السابع: قوله تَعَالَى: (فَقاتِلْ فِى سَبِيلِ اللّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاّ نَفْسَكَ)(۱).

بتقريـب: أنَّ النَّبِىّ صـلى الله عليه وآله مـأمورٌ بتنفيـذ برنامـج إلهى يقـوم به ولـو منفرداً فِى حـاله مخـالفه عمـوم الأـكثريّه وَالأُـمَّه الإسّلاميَّه، وَعَلَيْهِ فأين تحكيم رأى الأكثريّه؟

وَقَـدْ واجه النَّبِىّ صـلى الله عليه وآله فِى حروبه وغزواته مواقف عديـده، فمثلاً ـ فِى غزوه الأحزاب أكثر صـحابه الرسول صـلى الله عليه وآله أشاروا عَلَيْهِ صلى الله عليه وآله بشىء، بينما مثل

۱- (۱) سوره النساء: الآيه ۸۴.

الصحابی الجلیل سلمان المحمدی قَالَ برأی آخر غَیْر رأی الأکثر للنبی صلی الله علیه وآله مَعَ أنَّ سلمان رضی الله عنه مِنْ الأقلیّه، وأخذ النَّبِیّ صلی الله علیه وآله برأیه ومشورته، علماً أنَّ النَّبِیّ صلی الله علیه وآله غَیْر محتاج إلی الرأی ولا یعیر أهمیّه ممثل هَذِهِ الأُمُور إلَّا أنَّ النَّبِیّ صلی الله علیه وآله أراد أنْ یُبَیِّن أنَّ الحَری والأحق اتّباعه والأخذ به هُوَ الصّواب الصائب لا الرأی الفاسد ولو کَانَ رأی الأکثریّه.

الوجه الثامن: قوله تَعَالَی: (إِنْ یَنْصُرْکُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَکُمْ وَ إِنْ یَخْذُلْکُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِی یَنْصُرُکُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَی اللّهِ فَلْیَتَوَکَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (۱۶۰)۱.

بتقریب: إنَّ منطق القُرآن الکریم فِی بیان المواجهه العسکریّه والحربیّه والسیاسیّه و... الخ یُؤکِّد عَلَی مبدأ مهم جداً ألا وَهُوَ مبدأ الارتباط الرّوحی بالله تَعَالَی لا جبر ولا تفویض أمرٌ بین أمرین، فمنطق القُرآن هُوَ التوکُّل عَلَی الله لا التواکل عَلَی الله، فَإنَّ مَعْنَی التواکل عَلَی الله هُوَ ترک الأسباب المادّیه وَالقُرآن الکریم یُؤکِّد وبإصرار عَلَی عدم ترک الأسباب المادّیه(وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَیْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَ عَدُوَّکُمْ...)۲ وفی نفس الوقت یُوصی القُرآن الکریم بعدم الاغترار بالأسباب المادّیه والتغافل عَنْ التوکُّل عَلَی الله تَعَالَی فَإنَّ الارتباط الرُّوحی مَعَ الله مما لابُدَّ مِنْهُ وَأنَّهُ مهما کَانَ عندکم مِنْ قوّه وعِدَّه وعدد فَلَیْسَ هُوَ سبب النَّصر، وَإنَّما سبب النّصر الذی یُبیِّنه القُرآن الکریم

شیء آخر(وَ یَوْمَ حُنَیْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْکُمْ کَثْرَتُکُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْکُمْ شَیْئاً)۱ تَقَدَّمَ سابقاً - أَنَّهُ فِی تقریر بَعْض مراکز الدراسات الدولیّه حول الحرب العسکریّه والحرب السیاسیّه، یعترف الباحثون والمُتخصّصون بأَنَّ ما یقرب مِنْ ال - ۸۰٪ مِنْ الحرب العسکریّه والسیاسیّه هِیَ حربٌ نفسیهٌ أیّ حربٌ روحیّه قبل أنْ تکون حرب مادّیّه، فبقدر ما عندک مِنْ یقین وثبات عَلَی المبدأ یَکُون انتصارک بقدره، ولا یستطیع العدو أنْ یُزلزل ذَلِکَ الیقین الرَّاسخ عَلَی المبدأ، فالمُسلم یتوکَّل عَلَی الله ویتسلّح بقوَّه معرفته بالله، وَهَذَا بحدّ نفسه یصلح أنْ یَکُون بُرهاناً عَلَی ضروره الإمامه والعصمه، فَإِنَّ الصحابی الممدوح لابُدَّ وأنْ یتمتع بعلوّ معرفته بالله تَعَالَی وعلوّ إیمانه وصدقه وإخلاصه ونبله وطهارته وشجاعته، فَإِنَّ الجبان یَکُون ضعیفاً ولا یمتلک قُوَّه إیمان تؤهله إلی أنْ یَکُون بمرتبه صحابی لرسول الله صلی الله علیه وآله، فَإِنَّ غَیْر المؤمن یَکُون فرّاراً خائفاً هابط الإیمان فکیف یصبح رائداً وقائداً ومؤتمناً عَلَی قیادات الأُمَّه وَالدِّین؟

فَإِنَّ أدنی زلزله وهِزَّه تهزّه یسقط ما بیده مِنْ الأمر، وَهَذَا هُوَ مَعْنَی تفسیر الشّجاعه بلغه روحیّه إیمانیّه لا بدنیّه مادّیّه، وَهَذَا ما أَکَّدته سوره هود(فَلا تَکُنْ فِی مِرْیَهٍ مِنْ لِقائِهِ وَ جَعَلْناهُ هُدیً لِبَنِی إِسْرائِیلَ (۲۳)۲ .

الوجه التاسع: قوله تَعَالَی: (أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللّهِ کَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ

مِنَ اللّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (۱۶۲)۱ وقوله تَعَالَى: (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (۱۶۴))(۱).

بتقريب: إنَّ وجود رسول الله صلى الله عليه وآله وبعثته هِيَ مِنَّه عُظمى مِنْ الله تَعَالَى عَلَى المؤمنين، وَهَذَا المعنى قريب أو شبيه مما تَقَدَّمَ مِنْ قوله تَعَالَى: (وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ)۳ .

فَإنَّ هَذَا يدحض دعوى مبدأ الشّورى بالمعنى المقلوب فِي أسباب النُّزول المُلفَّقه فِي المدارس الأُخْرَى غَيْر مدرسه أهل البيت عليهم السلام وَعَلَيْهِ فمُراد الشّورى فِي مدرسه أهل البيت كَمَا تَقَدَّمَ لَيْسَ هُوَ رأى الأكثريّه عَلَى حساب نخبه النُّخب سيّما إذَا كَانَتْ النُّخبه البهيّه تلك النُّخبه الَّتِي اصْطفيت مِنْ الله تَعَالَى، مُضَافَاً إلى أنَّ الآيه ذكرت أنَّ مجموع الأُمَّه برُمّتها مُحتاجه إلى تزكيه سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، وَعَلَيْهِ فكيف يَكُون سيد الأنبياء مُلزم وتابع للأكثريّه حسب ما صوّرته أسباب النُّزول المُحرَّفه والمُلفَّقه، بَلْ عَلَى العكس كَانَ الرسول صلى الله عليه وآله هُوَ المتبوع وَالأُمَّه والأكثريّه هِيَ التّابعه لَهُ صلى الله عليه وآله.

ثمَّ ذكرت الآيه المُبَارَكه إنَّ أحد أهم وظائف النَّبِيّ صلى الله عليه وآله كحاكم وداعيه سماوى إلى النَّاس عَلَى مختلف الأصعده والنُّظم سواء نظام أو عالم الدِّين أو

۱- (۲) سوره آل عمران: الآيه ۱۶۴.

المرجعيه أو أيّ موقع مِنْ مواقع تحمُّل المسؤوليه الأولى ألا وَهِيَ التّربيه والتعليم (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ) (١) أيّ تعليم ابتدائى أيّ مبسط(وَ يُزَكِّيهِمْ) ، أيّ يربيهم فَإِنَّ مُهمّه التّربيه والتّعليم حاكمه حَتّى عَلَى(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَةُ)٢ .

فَإِنَّ هَذَا خطابٌ موجّه لربِّ الأُسره سواء كَانَ عَلَى مستوى الأُسره العائليه الصغيره أو عَلَى مستوى الأُسره الكبيره أيّ أسره المجتمع، ثمَّ بَعْدَ التّربيه والتّعليم يأتى دور تعليم الكتاب والحكمه وَهَذَا التّعليم (وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ) (٢) وَهَذَا التّعليم أوغل مِنْ التعليم الأوَّل فَإِنَّ الحكمه فيها تدبير نظام سياسى ونظام أُسرى ومجتمعى و... الخ، وتعليم الكتاب غَيْر تعليم الحكمه.

ويتلخّص مِنْ هَذَا أنَّ هُنَاك مراحل استراتيجيه أربعه يرسمها لنا القُرآن الكريم: -

المرحله الأولى: تعليم عام مُبسط.

المرحله الثانيه: تربيه.

المرحله الثالثه: تعليم كلى أعمق مِنْ السابق.

١- (١) سوره الجمعه: الآيه ٢.

٢- (٣) سوره الجمعه: الآيه ٢.

المرحله الرابعه: الحكمه أىّ مرحله الإداره والتدبير.

وَقَدْ كرر القُرآن الكريم هَذِهِ المراحل فِى عِدَّه مواضع مِنْ القُرآن مِنْهَا سوره البقره وَمِنْهَا فِى سوره الجمعه وغيرها.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مسؤوليه الْنَّبِىّ صلى الله عليه وآله الاستراتيجيه فِى هَذِهِ المراحل الأربعه فِى الحضاره الإلهيه لها دورها الرئيسى لكى ينعم المسلمون بالكمال والسّعاده فِى ظل تربيه المعلم الإلهى رسول الله صلى الله عليه وآله، وَعَلَيْهِ إذَا كَانَتْ أحد مقامات الْنَّبِىّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ مُربى ومُعلم بتعليم خفيف وابتدائى ثمَّ بتعليم أعمق ثمَّ سائس ومُدبِّر، وَهَذِهِ هِىَ اصطلاحات القُرآن فِى وصف مقامات الْنَّبِىّ صلى الله عليه وآله.

وَعَلَيْهِ وَبَعْدَ كُلّ هَذِهِ الأوصاف فِى القُرآن لمقامات الْنَّبِىّ صلى الله عليه وآله كيف يَكُون محكوماً مِنْ قبل الأُمَّه والأكثريه حسب أسباب النُّزول المُلفَّقه، بَلْ بالعكس فَإِنَّ الرسول صلى الله عليه وآله حسب منطق القُرآن هُوَ الحاكم عَلَى الأُمَّه والأكثريه حسب أسباب النُّزول المُلفَّقه، بَلْ بالعكس فَإِنَّ الرسول صلى الله عليه وآله حسب منطق القُرآن هُوَ الحاكم عَلَى الأُمَّه والأكثريه حسب أسباب النُّزول الصحيحه، وفى هَذَا دحضٌ لأسباب النُّزول المُلفَّقه فِى مَعْنَى الشورى المقلوبه.

الوجه العاشر: قوله تَعَالَى: (أَ وَ لَمّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَهٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها قُلْتُمْ أَنّى هذا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَىْ ءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)١.

بتقريب: إنَّ هَذِهِ الآيه صريحه جداً وواضحه فِى دحض أسباب

النُّزول المزعومه، إذْ تبيَّن أسباب النُّزول المزعومه سبب هزيمه المسلمين فِي وسط معركه أُحُد هُوَ انصياع النَّبِيّ صلى الله عليه وآله لرأى الأكثريّه، وخرج صلى الله عليه وآله لقتال المُشركين خارج المدينه، هكذا ادّعى فِي أسباب النُّزول المُلفَّقه.

والآيه المُبَارَكه دحضت ذَلِكَ وبيَّنت - كَمَا ذكرنا سابقاً - أنَّ سبب الهزيمه والتّراجع فِي وسط معركه أُحُد كَانَ بسبب الخوار والضعف النفسى، وضعضعه النفس وحب الدُّنْيَا عِنْدَ بَعْض الصّحابه وظنّهم بالله سوءاً، كَمَا وصف كُلّ ذَلِكَ القُرآن(أَ وَ لَمّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَهٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها قُلْتُمْ أَنّى هذا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ قَدِيرٌ (١۶۵) وَ ما أَصابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١۶۶) وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا وَ قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا... اَلَّذِينَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ وَ قَعَدُوا لَوْ أَطاعُونا ما قُتِلُوا)١ .

بتقريب: أنَّ هؤلاء المُنافقين ثبت قربهم النسبى للإيمان ولكن هُمْ أقرب للكفر يومئذٍ منهم للإيمان، وَهَذِهِ الآيه المُبَارَكه وغيرها صريحه فِي أنَّ سبب القتل والهزيمه لَيْسَ هُوَ الخروج للقتال خارج المدينه فِي معركه أُحُد، ورغم هَذِهِ الصّراحه إلَّا ان الكثير مِنْ المُفسرين وَمِنْ الفريقين غفلوا عَنْ هَذِهِ البيانات القُرآنيه الَّتِى أشارت إليها روايات أهل البيت عليهم السلام كَانَتْ هَذِهِ الغفله الخطيره عَنْ عدم الاخذ بروايات أهل البيت عليهم السلام واتّباعهم سبباً فِي وقوع أكثر المُفَسِّرين فِي هَذِهِ الأخطاء باتّباعهم أسباب النُّزول المُلفَّقه مِنْ الطرف الآخر وبنوا عَلَيْهَا مفاد الآيات فِي مختلف السُّور، فمثلاً ما وَرَدَ فِي

سوره آل عمران الَّتِی کَانَتْ بَعْض آیاتها ترتبط بالعقائد ومقامات سید الأنبیاء، وبعضها کَانَ یرتبط بقاعده الفِقْه السیاسی أیّ قَاعدَه الشّوری و... الخ.

وَلَمْ یرجعوا إلی نفس آیات القُرآن الکریم، والرُّوایات الوارده عَنْ أئمه أهل البیت علیهم السلام، وَهَذَا یُدلِّل عَلَی أنَّهُ مِنْ الآلیات المُهِمَّه لتمحیص أسباب النُّزول هُوَ مُراجعه نفس الآیات بأنها هل تتناغم مَعَ الرُّوایات الوارده فِی أسباب النُّزول أو تتناقض وتتعارض معها فتطرح الرّوایات المعارضه لمفاد الآیات ولا سیما هِیَ مِنْ مصدر الطرف الآخر.

بَلْ عَلَی العکس تقول الآیه: (الَّذِینَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ وَ قَعَدُوا لَوْ أَطاعُونا ما قُتِلُوا)۱ .

بتقریب: أنَّ رأی بَعْض کبار صحابه الرسول صلی الله علیه وآله کَمَا هُوَ مذکور فِی کتبهم التأریخیّه کالطبری وابن الأثیر و... الخ کَانَ عَلَی البقاء فِی المدینه إلَّا أنَّ القُرآن یُدْحض ذَلِکَ(قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِکُمُ الْمَوْتَ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (۱۶۸)۲ .

ولذا تتواصل الآیات فِی مدح ومجازات مَنْ أصابه جرحٌ أو قرحٌ مِنْ الصحابه سواء أکان فِی معرکه بدر أو أُحُد أو حُنین أو تبوک أو... الخ

فمثلاً فئه الصّحابه الَّذِيْنَ امتدحهم القُرآن نتيجه ثباتهم عَلَى المبدأ وشاركوا فِى معركه بدرهم أنفسهم امتدحهم القُرآن فِى موضع آخر نتيجه ثباتهم وعدم تزلزلهم فِى أُحُد وغيرها وواعدهم القُرآن بالثّواب والحُسْنى والجنَّه نتيجه تضحيتهم واستشهادهم بقوله تَعَالَى: (وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (۱۶۹) فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ)۱ .

وَهُنَاك طائفه أُخْرَى لَمْ يستشهدوا وَإنَّما أصابهم الجّرح أو القرح (اَلَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا)(۱).

بتقريب: أنَّ القُرآن الكريم لا يمتدح الكُلّ وَإنَّما يمتدح فَقَطْ الَّذِيْنَ استشهدوا وأمَّا الَّذِيْنَ جُرحوا ثمَّ أصابهم قرحٌ وَلَمْ يُغْرَوا ووصفهم ومدحهم القُرآن بشكل آخر حَتّى يتبيَّن حالهم فَإنَّ حال بعضهم لَمْ يستقم عَلَى الحُسنى أو التّقوى فمثل هؤلاء لَمْ يمدحهم القُرآن إلَّا أنَّهم بَدَّلوا بَدَّل الله معهم فلا يُغيّر الله حَتّى يُغيِّروا.

وَلَيْسَ شرط المدح فِى منطق القُرآن مُجرَّد أنَّ الممدوح مِنْ صرف السّابقين والمُشاركين كلا وَإنَّما القُرآن يمدح مَنْ ينال درجه الشّهاده ويُختم لَهُ بالعاقبه الحسنه.

۱- (۲) سوره آل عمران: الآيه ۱۷۲.

تقنين القُرآن عام لِكَلِّ البشر:

والأمر المهم الذى يزيد تسليط الأضواء عَلَيْهِ هُوَ أنَّ منطق القُرآن ينصب عَلَى تقنين قانون لِكُلِّ البشر بما فيهم الصّحابه وَلِكُلِّ الأزمنه والأمكنه ألا وَهُوَ التركيز عَلَى خواتيم الأُمُور وعاقبتها مِنْ منطلق إنَّما الأُمُور بخواتيمها لا بمباديها(١).

فلربما إنسان تكون بدايته حسنه وموفقه للطاعه إلَّا أنَّهُ سرعان ما يختم لنفسه بالعاقبه السيئه - أعاذنا الله جميعاً - وَيَكُون فِى نهايه أمره مِنْ المبدِّلين أو المُحْدثين؛ ولذا يُركِّز القُرآن وَيُؤكِّد عَلَى ذكر بَعْض المواقف والحالات الَّتِى حصلت لبعضهم(الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) اَلَّذِينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إِنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَ قالُوا حَسْبُنَا اللّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)٢ .

بتقريب: أنَّ هؤلاء الَّذِيْنَ شاركوا مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله فِى معركه بدر وأُحُد رُخِّصَ لهم بمعركه ثالثه وَهِىَ معركه بدر الصُّغرى فِى حمراء الأسد موضع قريب مِنْ المدينه بموضع أبعد مِنْ موضع معركه أُحُد، عِنْدَمَا

١- (١) تَقَدَّمَ بحث هَذِهِ القَاعِدَه فِى تفسير أمومه الولايه: ج ٢، للشيخ مُحمَّد السَّند (الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ)، وكذا تَقَدَّمَ بحثها فِى القَاعِدَه الخامسه الجرى والتطبيق تحت عنوان القَاعِدَه الأولى.

هدّدت قريش بالهجوم والغاره عَلَى المدينه، وَكَانَ ذَلِكَ التوصيف لرسول الله صلى الله عليه وآله بمعركه ثالثه بامر مِنْ السّماء، إذْ هبط الأمين جبرئيل عليه السلام عَلَى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يا مُحمَّد إنَّ الله يأمرك أنْ تَخْرُج فِي أثر القوم ولا يخرج معك إلَّا مَنْ به جُراحه، فأمر النَّبِيّ صلى الله عليه وآله مُناديه أنْ يُنادى بذلك(١).

وفى خبر الطبرسى عَنْ كتاب أبان البجلى الكوفى، قَالَ: فلما كَانَ الغد مِنْ يَوْم أُحُد نادى مُنادى رسول الله صلى الله عليه وآله فِي المسلمين أنْ يخرجوا عَلَى عِلَّتهم وما أصابهم مِنْ القرح والجُرْح.

وفى خبر آخر للطبرسى: ألا لا يخرجنَّ أحدٌ إلَّا مَنْ حضر يومنا بالأمس، فانتدبت عصابه منهم مَعَ ما بهم مِنْ القُراح والجراح الَّذِيْنَ أصابهم يَوْم أُحُد وقُدِّم عَلِيٌّ برايه المُهاجرين حَتّى انتهوا إلى صحراء الأسد وَهِيَ مِنْ المدينه عَلَى ثمانيه أميال، وأقام بها النَّبِيّ صلى الله عليه وآله ثلاثه أيام يَوْم الاثنين والثلاثاء والأربعاء، وَكَانَ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله قَدْ استخلف عَلَى المدينه ابن أم مكتوم(٢).

(فَزادَهُمْ إِيماناً وَ قالُوا حَسْبُنَا اللّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)٣ فبدل أنْ يتضعضعوا وتضعف همّتهم باعتبارهم الآن خرجوا مِنْ حرب ومعركه ثمَّ تفصل ساعات عَنْ المعركه الثالثه، بَلْ ازداد إيمانهم واشتدَّ إصرارهم واستقامتهم.

١- (١) تفسير القمّى: ج ١، ص ١٢٥ وعنه البحار: ج ٢، ص ۶۴.

٢- (٢) إعلام الورى للطبرسى: ج ١، ص ١٨۴.

ويتلخص ممّا تَقَدَّمَ أَنَّهُ إذَا كَانَتْ غزوه واحده مِنْ غزوات النَّبِىّ صلى الله عليه وآله كغزوه أُحُد مثلاً حدث فيها هكذا تعتيم وتزوير وتلفيق وحُذفت الحقائق وأُبْعدت حسبَ أسباب النُّزول المُلفَّقه فكيف يطمئن بَعْدَ هَذَا والأخذ بها وإرسالها إرسال المُسلّمات وَهِىَ واضحه البُطلان والكذب والتدليس وطمس الحقائق وحَذَفت مقطعاً كاملاً مِنْ غزوه أُحُد وانتهت المعركه بزعم أسباب النُّزول المُلفَّقه بانتصار قريش.

إلَّا أَنَّهُ وبالتحقيق يُقال لهؤلاء لماذا عادت قريش بمعركه ثالثه فصلتها ساعات عَنْ معركه أُحُد ألا وَهِىَ معركه بدر الصّغرى، فإذا كَانَ قريش قَدْ انتصرت فِى معركه أُحُد فعلامَ المعاودّه؟

وَهَذَا ما بيّنته أسباب النُّزول الصحيحه والوارده عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السلام أَنَّ قُريشاً ما كَانَتْ منتصِرَةً فِى معركه أُحُد؛ ولذا أرادت قريش الإغاره عَلَى المدينه نتيجه خُسرانهم وهزيمتهم فِى معركه أُحُد وانتصار المسلمين فِى نهايه المعركه؛ ولأجل أنْ تَرُدَّ قريش ماء وجهها الذى سلبه المسلمون مِنْهَا فِى معركه أُحُد، بينما ما ذكرته كتب التأريخ كابن الأثير والطبرى والسيره لابن هشام و... الخ أَنَّ قريش عادت إلى المدينه بَعْدَ معركه أُحُد لأجل أنْ تصفح وتعفوا بَعْدَمَا هُزِم المسلمون وفَرَّ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله إلى الجبل - وحاشاه مِنْ ذَلِكَ - وَكُلّ ما ذكرته مصادر العامّه فِى هَذَا المجال هُوَ عارٍ عَنْ الصّحه تماماً، إنَّما الصحيح هُوَ تحقّق النصر مَرَّةً أُخْرَى عَلَى يد رسول الله صلى الله عليه وآله ويد سيد الأوصياء على بن أبى طالب عليه السلام مَعَ ثُلَّهٍ قليله جداً بعضهم نال الشّهاده وبعضهم جُرِحَ وثالث بقى

ثابتاً مَعَ الْنَبِيّ صلى الله عليه وآله ولذا فَرَّت قريش وتراجعت وابتعدت عَنْ المدينه وغنائمها.

وَمِنْ خلال هَـذَا يتّضح أنَّ مُلابسات الحدث كُلَّهَا تدحض ما رُقِّم وسُـطِّر وكُتِبَ فِي التأريخ مِنْ عبث وتلاعب فِي الحقائق، ولذا لَمْ يُرَّخص القُرآن الكريم لكبار الصّحابه فِي الجّهاد فِي معركه بدر الصّغرى وَهِيَ المعركه الثّالثه بسبب انهزامهم وَلَمْ يُحْضوا بوسام الثبات والتّضحيه الحقيقيه للإسلام والمسلمين، بخلاف هؤلاء الحماسيون الَّذِيْنَ ازداد إيمانهم وشرَّفهم القُرآن الكريم بالشّهاده والإيمان ورباطه الجأش، وَهَذَا التخصيص والتشريف الذى خصّه القُرآن بهؤلاء لَمْ يعطه لكبار الصّحابه الَّذِيْنَ أشاروا عَلَى الْنَبِيّ صلى الله عليه وآله بالبقاء فِي المدينه قُبيل غزوه أُحُد.

ثمَّ إنَّ هؤلاء الَّذِيْنَ رُخِّصَ لهم بالخروج إلى حمراء الأسد وصابر ورابطوا فِي معركه أُحُد(فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَهٍ مِنَ اللّهِ وَ فَضْلٍ) أىّ غنائم(لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ) لِأنَّ قريشاً خشيت منهم كَمَا فِي روايه على بن إبراهيم القمّى فِي تفسيره: «فوافاهم رجلٌ خرج مِنْ المدينه فسألوه الخبر، فَقَالَ: تركتُ محمداً وأصحابه بحمراء الأسد يطلبونكم جدَّ الطل»(١).

وفى خبر الطبرسى: «... وَقَدْ والله تركت محمداً وأصحابه وَهُمْ يُحَرِّقون عليكم، وَهَذَا على بن أبى طالب قَدْ أقبل عَلَى مقدمته فِي النَّاس...»(٢).

فلو كَانَتْ قريش هِيَ المنتصره والغالبه فِي نهايه المطاف فكيف تخشى مِنْ

١- (١) تفسير على بن إبراهيم القمّى: ج ١، ص ١٢٥.

٢- (٢) إعلام الورى للطبرسى: ج ١، ص ١٨۴.

المسلمين والمؤمنين عَلَى قِلَّه عددهم فَإِنَّهُ حسب الرُّوايه الوارده فِى هَذَا المجال بأنَّ النبى صلى الله عليه وآله خرج ب - (٧٠) سبعين مقاتلاً وَلَمْ يأذن النَّبِىّ صلى الله عليه وآله فِى معركه حمراء الأسد أنْ يخرج كُلّ مَنْ شارك فِى أُحُد، وَإِنَّما أذِن لِلَّذِيْنَ جُرِحوا وثبتوا وَلَمْ ينهزموا ويفرّوا، وَمَعَ ذَلِكَ خشيت وخافت قريش مِنْ المواجهه ثانيه مَعَ المسلمين فانهزمت وفَرَّت إذْ لو كَانَ منتصرةً لما انهزمت وولّت.

ثمَّ قالت الآيه(إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فَلا تَخافُوهُمْ وَ خافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥)١ .

بتقريب: أنَّ طبيعه عمل الشَّيطان يُخَوِّفُ أولياؤه مِنْ حَيْثُ يشعروا أو لا يشعروا بَعْدَ أنْ يضلهم ويمنيهم، فإذا صبر العبد وأذاق الشّيطان مراره تحمّل الصبر فَإِنَّهُ سوف ينهزم الشّيطان ويياس(إِنَّ عِبادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلاّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ (٤٢)٢ و(إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩)٣ .

وَهُنَاك روايه كشاهد فِى المقام مُحمَّد بن عمر بن عبدالعزيز الكشّى فِى كتاب (الرجال) قَالَ: وجدتُ فِى بَعْض كتبى عَنْ مُحمَّد بن عيسى، عَنْ عثمان ابن عيسى عَنْ ابن مسكان، عَنْ ابن أبى يعفور، قَالَ: كَانَ إذَا أصابته هَذِهِ الأوجاع فإذا اشتدّت به شرب الحسو مِنْ النبيذ فتسكن عَنْهُ، فدخل عَلَى أبى

عبدالله علیه السلام إلی أنْ قَالَ: فأخبره بوجعه وشربه النبیذ، فَقَالَ لَهُ: یا ابن أبی یعفور! لا تشربه فَإِنَّهُ حرام إِنَّما هَذَا شیطان موکل بک فلو قَدْ یئس منک ذهب، فلما رجع إلی الکوفه هاج به وجع أشدّ ممّا کَانَ فأقبل أهله عَلَیْهِ، فَقَالَ: لا والله لا أذوقنّ مِنْهُ قطره فیئسوا مِنْهُ وأشتدّ به الوجع أیّاماً ثمَّ أذهب الله عَنْهُ فما عادَ إلیه حَتّی مات(۱).

أمَّا أنَّ الشّیطان کیف یستطیع أنْ یصوِّر ویخیل للإنسان حجم الدّاء بأشد وأعظم حالاً مما هُوَ عَلَیْهِ(یُخَیَّلُ إِلَیْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعی (۶۶)۲ .

بتقریب: أنَّ الشّیطان بطبیعه عمله لا یَکُون أنیساً للصّابرین، وَإِنَّما یَکُون أنیساً للعجولین؛ ولذا کَانَتْ العجله مِنْ الشّیطان؛ لِأَنَّ طبیعه الشّیاطین أنَّهم غَیْر صبورین وطبیعتهم الحِدَّه والسّرعه وعدم الصبر.

وَمِنْ باب الکلام یجبر الکلام نذکر ما یَکُون مُؤیِّداً هُوَ أنَّ هُنَاک بَعْض المُصابین بحسد العین أو السِّحر أو المس أو... الخ فَإِنَّ وصفه الصبر لهؤلاء دواءٌ عظیم، فَإِنَّ الشّیطان عَوَّدَ أتّباعه وأولیائه عَلَی عدم الصبر وَعَلَی الجِدِّه والجزع و... الخ، فإذا صَبَر المُصاب بالمسّ أو السِّحر أو العین أو... الخ معناه أنَّ هَذَا المُصاب قَوَّی جانب التوکُّل عَلَی الله، وإذاتوکَّل عَلَی الله معناه قوَّی عنده جانب الطمأنینه بالله وعدم الخوف مِنْ غَیْر الله تَعَالَی فسرعان ما یتشافی بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ(وَ لا یَحْزُنْکَ الَّذِینَ یُسارِعُونَ فِی الْکُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ یَضُرُّوا اللّهَ شَیْئاً

۱- (۱) رجال الکشّی، بحار الأنوار للعلامه المجلسی: ج ۵۹، ص ۵۸؛ وسائل الشیعه للحر العاملی: ج ۲۵ ص ۳۴۷، ب ۲۰ مِنْ أبواب الأشربه المُحرَّمه: ح ۱۱.

يُرِيدُ اللّهُ أَلاّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى الْآخِرَهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (۱۷۶) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكَفْرَ بِالْإِيْمانِ لَنْ يَضُرُّوا اللّهَ شَيْئاً وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۱۷۷)۱ .

بتقريب: إنَّ بَعْض مَنْ كانَ مَعَ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله مِنْ المؤمنين والمُسلمين سرعان ما ارتدّوا عَنْ الإيمان فِى معركه أُحُد وإنْ لَمْ يرتدوا عَنْ الإسلام، وَهُنَا القُرآن يشهد عَلَى أنَّ جماعه مِنْ صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله أصابتهم ردّهٌ عَنْ الإيمان وَلَمْ يستقر الإيمان فِى قلوبهم وَإنَّما كانوا عَلَى ظاهر الإسلام.

وما كانَ مِنْهُ عَلَى اللسان، ثمَّ انقلبوا عَلَى أعقابهم(وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِى اللّهُ الشّاكِرِينَ (۱۴۴)۲ .

وقوله تَعَالَى: (وَ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِى الْكُفْرِ)۳ ، بتقريب: أنَّ بَعْض هؤلاء الَّذِيْنَ كانوا مَعَ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله مُجرَّد أنْ سمعوا دعايه نبأ مقتل رسول الله صلى الله عليه وآله فِى معركه أُحُد سارعوا فِى الكفر(إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيْمانِ لَنْ يَضُرُّوا اللّهَ شَيْئاً)۴ .

الفرق بين الردّه فِى الإيمان والردّه عَنْ ظاهر الإسلام:

وَهَذِهِ الآيه المُبَارَكه تدحض وتُفنِّدَ ما روى مِنْ روايات يُدَّعى فيها:

أنَّ الله تَعَالَى اطّلع عَلَى أهل بـدر، وَقَالَ: - لن أعقابكم أبـداً، فَإنَّ كثيراً وللأسف لَمْ يُفّرِّقوا بين الردَّه والارتـداد عَنْ الإيمان وبين الردَّه والارتـداد عَنْ ظـاهر الإسـلام، فَإنَّ كثيراً مِنْ الآيات القرآنيه تـذكر هَـذَا الوصف كقوله تَعَالَى(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا)١ .

عَنْ يونس بن عبدالرحمن عَنْ عبدالله بن سـنان، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله عليه السـلام: «ستصـيبكم شبهةٌ فتبقون بلا علم يُرَى، ولا إمام هـدى ولا ينجو مِنْهَا إلَّا مَنْ دعا بدعاء الغريق، قلتُ: كيف دعاء الغريق؟ قَالَ: يقول: يا الله يا رحمن يا رحيم يا مُقلِّب القلوب ثبّت قلبى عَلَى دينـك» فقلتُ: يـا الله يـا رحمن يـا رحيم يا مُقلِّب القلوب والأبصار ثبّت قلبى عَلَى دينك، قَالَ: «إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ مُقلِّب القلوب والأبصار، ولكن قُلْ كَمَا أَقُوُل لك: يا مُقلِّب القلوب ثبّت قلبى عَلَى دينك»(١).

كُلّ ذَلِكَ بلحاظ القلب وأمره العجيب لِإنَّهُ عَلَى تَقَلُّب دائم سُمّى بذلك لتقلبه«يا مُقلِّب القلوب ثبت قلوبنا عَلَى دينك».

وقوله تَعَالَى: (وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ (١٧٨)٣ .

بتقريب: إنَّ بَعْض الصّحابه كَانَ مؤمناً والآن كَفَرَ فِى قلبه ويمتحن

١- (٢) كمال الدِّين وتمام النِّعمه، الشَّيْخ الصَّدوق: ص ٣٥١-٣٥٢.

الله هؤلاء الَّذِيْنَ كانوا مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله فمنهم مَنْ يُبْدِّلُ ويحدث تغيير ومنهم مَنْ ثبت وَلَمْ يُحدِّث تغييراً فِى نفسه ودينه ومعتقده وَلَمْ يتزلزل.

تحكيم محكمات الكتاب

والسنه النبويه القطعيه وأهل البيت عليهم السَّلامُ:

والنتيجه بَعْدَ ذكر هَذِهِ النماذج والشّواهد القُرآنيه عَلَى دحض أسباب النُّزول المُلفَّقه والمُحرَّفه وفى تحقيق المنهج التأريخى وغيره هُوَ الخروج بقاعده عظيمه ألا وَهِىَ«تحكيم محكمات القُرآن والسنه النبويّه القطعيه وأهل البيت عليهم السلام».

فَإنَّ هَذِهِ القَاعِدَه تُعَدُّ ميزاناً لتحقيق وتنقيح التأريخ خاصه التأريخ الذى لَهُ صِلَه بسيد الأنبياء مُحمَّد صلى الله عليه وآله وبالقرآن وتاريخ نزوله وبالإسلام، فَإنَّ هَذَا أمر بالغ الأهميّه.

ومثل هَذِهِ الشواهد المُحرَّفه والمُلفَّقه لأسباب النُّزول تُدِلُّ الباحث الكريم عَلَى كيفيه انقلاب التأريخ وكشف عبثت الأقلام المأجوره عَلَى يد السّلطه الأمويه والعباسيّه أو الطرف الآخر عبثاً صَوَّرت به انتهاء المسلمين بالهزيمه والخساره فَقَطْ فِى معركه أحد، والواقع الصحيح الذى عَلَيْهِ المسلمون فِى معركه أُحُد عَلَى العكس تماماً، نعم لا ننكر حصول إخفاق وهزيمه للمسلمين فِى وسط معركه أُحُد إلَّا أنَّ المعركه انتهت بانتصار المسلمين وهزيمه قريش؛ ولذا فَأنَّ معركه أُحُد حصل فيها انهزام لكلا

الطرفين المسلمون أوَّلاً ثمَّ المشركون ثانياً فِي نهايه معركه أُحُد فِي حمراء الأسد أو ما تُسَمّى بدر الصغرى.

هَذَا كُلَّهُ بلحاظ ما ذُكِرَ مِنْ شواهد قرآنيّه لدحض أسباب النُّزول المُلفَّقه فِي غزوه أُحُد.

ثانياً: نماذج مِنْ سوره الأنفال لدحض أسباب النُّزول

المُلفقه بما يتعلق بمعركه بدر(١):

الشواهد القرآنيّه لدحض أسباب النُّزول الملفقه:

وقبل ذكر الشواهد القرآنيه حول غزوه بدر نذكر:

أوَّلاً:

مقدمه: استعراض القُرآن الكريم وفى مواضع عِدَّه جهات وملاحِم ومباحث كثيره نتعرَّض إليها بشكل مقتضب مَعَ الاختصار، وتسليط الأضواء فيها عَلَى موضوع بحثنا وَهُوَ أسباب النُّزول ونُبيِّن كيفيه رسوخ عقيده مدرسه أهل البيت عليهم السلام تّجاه جمله مِنْ القضايا، مِنْ تلك المواضع القرآنيه كسوره الأنفال واستعراض آياتها لمُسلسل معركه بدر - فَإنَّها انفردت مِنْ بين سور القُرآن الكريم لعرض وبيان أحداث معركه بدر، بَلْ

١- (١) تَقَدَّمَ النموذج الأوَّل لدحض أسباب النُّزول المُلفَّقه مِنْ سوره آل عمران بما يتعلّق بمعركه أُحُد.

أنْ شئت سَمَّها بسوره بدر، لما روى مُحمَّد بن مسلم، قَالَ: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «فِي سوره الأنفال جَدْع الأنوف»(۱).

كَما فِي وينبغى التنبيه عَلَى أنَّ الآيات المُبَارَكه الَّتِي هِيَ محل الشّاهد فِي سوره الأنفال حول غزوه بدر والمُرتبطه بمحل البحث فِي أسباب النُّزول تبتدأ مِنْ آيه ۶۷-۷۰ مِنْ سوره الأنفال، إلَّا أنَّهُ مِنْ باب مناسبه تعرّض بدايه سوره الأنفال إلى بيان أسباب غزوه بدر وإجمالاً ادّعى فِي روايات أسباب النُّزول المُلفَّقه، أنَّ الخليفه الثَّانِي عمر بن الخطاب اعترض عَلَى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله اعتراضاً شديداً، واقترح عَلَيْهِ أنَّ يقتل أسرى معركه بدر إلَّا أنَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله لَمْ يستجب لَهُ حسب هَذِهِ الروايات المزعومه، ثمَّ نزلت آيات قرآنيّه تعاتب النَّبِيّ صلى الله عليه وآله عتاباً إلهياً شديداً - والعياذ بالله - حسب زعمهم - أو تصوب موقف عمر بن الخطاب وتخطئ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وَعَلَى مثل هكذا أسباب نزول مُلفَّقه بنى المتكلمون فِي مدرسه الخلاف قَواعِد اعتقاديّه فِي مَعْنَى عصمه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وأنَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله هل لَهُ عصمه أو لا؟ وإذا كَانَتْ لَهُ عصمه، فهل عصمتُه نسبيّه أو مُحَدّده، هَذَا مُضَافاً إلى ذَلِكَ يُضَمُّ إليه ما هُوَ الأخطر فِي منظومه الجهاد او المواجهه العسكريه فِي فقه مدرسه السقيفه، وَهَذَا يغاير وسيتبيَّن أنَّ قَواعِد الجهاد فِي مدرسه أهل البيت عليهم السلام تغاير ما عِنْدَ مدرسه السّقيفه والعامّه مِنْ غايات وهويَّه وأحكام الجهاد.

ولذا فَإنَّ ما ظهر فِي الآونه الأخيره مِنْ حركات وعصابات وَقَواعِد

۱- (۱) تفسير العيّاشى: ج ۲، ص ۵۱، ح ۱.

عسكريه لسانها القتل والتهجير والإقصاء والتهميش ما هُوَ إلَّا إفرازات لنفس فكر مدرسه الخلفاء، بينما التّعايش السّلمى ولغه الحورا والبيان لأتباع أهل البيت عليهم السلام مَعَ كُلّ مِلَّهٍ ونِحْلَهٍ وَهَذَا لَمْ يأتِ مِنْ باب الصّدفه وَإنَّما جاء مِنْ حَتّ أهل البيت عليهم السلام وتأكيدهم عَلَى هَذَا المنهج السِّلمى مِراراً مِنْ خلال بياناتهم وحثّهم عَلَى ذَلِكَ فِى بيان فلسفه الجهاد وفلسفه الدعوه إلى الدِّين.

ولذا كَانَ لدراسه أسباب النُّزول بدقّهٍ وتحقيقٍ وفرز الصحيح مِنْهَا عَنْ المُلفق والمزعوم ذا أثرٍ بالغ الأهميّه والخطوره عَلَى الدِّين؛ لِأنَّ عدم فرزها والأخذ بما هُوَ موجود مِنْ أسباب النُّزول المُلفَّقه يجُرُّ إلى الوقوع فِى الكارثه فِى الدِّين، بخلاف ما إذَا بُيِّنت أسباب النُّزول عَلَى التحقيق والتدقيق والرجوع إلى روايات أهل البيت عليهم السلام، فَإنَّهُ سوف يجعل الدِّين وأهله يعيشون النعيم.

وسبب تأكيد القُرآن الكريم والرُّوايات الوارده عَنْ أهل البيت عليهم السلام عَلَى الاهتمام بأسباب النُّزول بشكل دقيق يُشْعِرُنا بمدى أهميتها وخطورتها فِى جمله علوم كالفقه والكلام والتفسير والتأريخ وغيرها.

مُضَافَاً إلى أنْ القُرآن هُوَ المصدر الأوَّل العظيم فِى مصادر التّشريع والمعرفه الدِّينيه وصمّام أمان لها، وَعَلَيْهِ فإذا اختلفت روايات أسباب النُّزول فَإنَّهُ سوف يصبح اختلاف فِى المسار المعرفى الدّينى.

وَهُنَا تظهر أهميّه تأكيد النَّبِىّ صلى الله عليه وآله عَلَى اقتران العتره بالكتاب لِأنَّ عدم قَرْن العتره بالكتاب تنتج إفرازات خاطئه، كَمَا هِىَ عَلَيْهِ اليوم مِنْ ظهور بَعْض الحركات المشبوهه المحسوبه عَلَى الإسلام وَهِىَ قَدْ شوهته وأظهرته بالمظهر

غَيْر اللائق بالإسلام.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ بَعْض روايات أسباب النُّزول المزعومه تحاول أنْ تثبت مطلباً عقائدياً خطير يمسّ العقيده ومقام النبوّه السّامى كَمَا مَرَّ فِى غزوهِ أُحُد فِى آيات مِنْ سوره آل عمران، كَذَلِكَ فِى آيات سوره الأنفال تحاول أسباب النُّزول المُلفَّقه والمُزيفه والمزعومه أنْ تساوى بين مقام النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وغيره وتخطئه كَمَا يخطأه الآخرون، وأنَّ سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله لَيْسَ فِى كُلّ أفعاله وحى منزل، وَإنَّما يجتهد يخطى ويصيب كبقيّه المجتهدين.

وتذكر أسباب النُّزول المُحرَّفه والمزعومه أنَّهُ توجد روايات مِنْ طرقهم تذكر أنَّ عمر بن الخطّاب قَدْ أشار عَلَى النَّبِىّ صلى الله عليه وآله يقتل أُسارى بدر الكُبرى بَعْدَ انتهاء المعركه وأنَّ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله لَمْ يستجب لمشورته ولن يقتلهم وناداهم – بأنَّ دفع ذويهم فديه لأنقاذهم مِنْ الأسر – ثمَّ تذكر بحسب ما يدّعى بهذه الرّوايات المزعومه أنَّ الآيات المُبَارَكه نزلت تُعاتب رسول الله صلى الله عليه وآله – والعياذ بالله – وتخطىء موقف النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وتعاتبه وتصحح موقف عمر بن الخطاب.

وَالرُّوايه مِنْ طرقهم – العامّه – عَنْ عبدالله، قَالَ: لما كَانَ يَوُم بَدْر وجىء بالأسرى، قَالَ رسول الله صلى الله عليه وآله: – ما تقولون فِى هؤلاء الأسرى؟ فَقَالَ أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك، فاستَبْقِهم لَعَلَّ الله أنْ يتوب عليهم، قَالَ عمر: يا رسول الله؛ كذَّبوك وأخرجوك قدِّمهم واضرب أعناقهم... ومَثلُكَ يا عمر مِثْلَ نوح إذْ قَالَ(وَ قالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيّاراً (٢٦)١ .

ومثل موسى إذْ قَالَ: (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ...)١,٢ ، وغيرها مِنْ مصادرهم الَّتِى ذكرت هَذِهِ الرُّوايه وغيرها المزعومه لديهم.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ الطرف الآخر غَيْر مدرسه أهل البيت عليهم السلام مِنْ خلال هَذَا الموقف يشكلون رؤيه عقائديه وَهِىَ أنَّ سيد الأنبياء لَيْسَ بمعصوم ومسدد مِنْ الوحى فِى تدبيره السّياسى أو الحكومى أو ما شبه ذَلِكَ.

وَعَلَى ضوء هَذِهِ الرّوايات المزعومه يحاولون فتح ملف خطير جدّاً يمسّ العقيده بالنبوه ومقام سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وَأنَّهُ يخطئ كبقيّه المُجتهدين.

والنتيجه: إذَا كَانَ تعاملهم مَعَ سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله هكذا فكيف مَعَ سيد الأوصياء على بن أبى طالب عليه السلام ومدرسه الإمامه، وأنَّكم تزعمون وتتشدّقون بأنَّ هُنَاك بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله فردٌ بشرىّ يُعْصَم فِى كُلّ حاله وترحاله، فَهَذَا سيد الأنبياء بزعمهم يعاتب فِى القُرآن ويُخَطّأ فِى تدبيره السياسى وحكومته السياسيه، فكيف بغير رسول الله صلى الله عليه وآله إذَا كَانَ الردّ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله - والعياذ بالله - لَيْسَ خطأً فِى قِبال الوحى.

وتدّعى أسباب النُّزول المزعومه أنَّهُ توجد أربع مواضع مُدّعاه فِى تخطئه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وأنَّ واحده مِنْهَا أيَّدَت الخليفه الثَّانِى تصويباً لَهُ، وثلاث مِنْهَا خطّأت النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وأيَّدت الخليفه الثَّانِى، وَكُلَّهَا روايات مرويّه ومزعومه حسب طرقهم ومصادرهم، وربما تَسَرَّب هَذَا الملف وللأسف حَتّى إلى بَعْض كتابات

الخاصّه، وَلَعَلَّهُ شَكّلَتْ عِنْدَ بَعْض أصحابها رؤيه معرفيه عقائديه هُوَ أنَّ النُّبيّ صلى الله عليه وآله لَيْسَ فِي كُلّ تدبيره معصوم ووحى مُنَزَّل، وَهُنَاك - والعياذ بالله - بَعْض الاشتباهات - إلَّا أنَّ مدرسه أهل البيت عليهم السلام بيَّنت أنَّ كُلّ الموارد الأربعه فِي رواياتهم المُزيَّفه معكوسه ومنكوسه وأنَّ هَذِهِ الروايات مزعومه ومطعون بها؛ لأنَّها تطعن بالعقيده ومقام النبوّه لسيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله بشهاده التناقض الموجود فيها، وأنَّ هَذِهِ الموارد الأربعه فِي الحقيقه هِيَ مواردٌ أخطأ فيها عمر بن الخطّاب، ولأجل التغطيه عَلَى هَذَا الخطأ قلبت الأقلام الأمويه والعباسيه الأمر وعكسوه وخطّأوا رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّ عمر بن الخطاب هُوَ الصائب فِي رايه والذى ينطق الحَقّ عَلَى لسانه، فيا أيُّهَا الباحث عَنْ الحقيقه المُنصف انظر بدقّه إلى كيفيه قلب الحقائق بوضوح فِي أسباب النُّزول المُلفَّقه، وأنهم كيف تجرَّأوا وتَجنَّوا عَلَى مقام سيد الأنبياء لأجل سياسات مُعيّنه.

بَلْ وَإلى سيد الأوصياء على بن أبى طالب بأنْ يستشهد ببعض كلامه فِي نهج البلاغه فِي ثالث يَوُم مِنْ البيعه لعلى أنَّهُ خطب فِي المدينه وَقَالَ علىٌّ أشيروا علىَّ أو«وَإنِّى لستُ فوق أنْ أخطأ»(1).

وفُسِّرَ كلام أمير المؤمنين أنَّهُ لا يقصد نفسه وَإنَّما يقصد فعل حكومته وجهازه أىّ يقصد أنَّ أفراد الجهاز، يقصد أنَّ أفراد الجهاز الحكومى فِي حكومه على بن أبى طالب ليسوا بمعصومين وأنَّهم بشر ويخطئون كباقى وعادى النَّاس.

١- (١) نهج البلاغه.

ولـذا كَـانَ مِنْ مناصَـرَه الأمَّه ومُناصـحتها لله وللرسول ولأوصـيائه أنَّ الكل يُراقب أعضاء الجهاز الحكومى البشـرى غَيْر المعصوم ويرفع التقارير وحمايه القانون والدستور الإسلامى مسؤوليّه تقع عَلَى عاتق الجميع.

وَعَلَى فرض ورود هكـذا روايـات فيهـا نقـد لبعض الجهـات المُقَصِّرَه، فلمـاذا لاـ نُفسِّرهـا ونُحلِّلهـا بالتحليـل العلمى الموضـوعى المُنـاسب، لاـ أنْ نأخـذ روايات أسـباب النُّزول المُلفَّقه والمُزيّفه أخـذ المُسـلمات ويُشَـكَّل عَلَيْهَا رؤيه عقائـديّه وَقَواعِـد فِى الفقه السياسى.

والخلاـصه: إنَّ الآيات الَّتِى استعرضـها القُرآن الكريم فِى سوره الأنفال فيما يخصّ معركه بـدر الكُبرى تـدحض روايات أسـباب النُّزول المُلفَّقه حَيْثُ تـدّعى أنَّ الآيـات النـازله فِى بـدر الكُبرى تحمـل عتاباً مِنْ الله عَزَّ وَجَـلَّ إلى النَّبِىّ صـلى الله عليه وآله فيما يخصّ الأسرى بَعْدَ المعركه، هكذا قِيلَ.

آيات وروايات بدر الكبرى

معلم عظيم لولايه أهل البيت عليهم السَّلامُ:

إنَّ الآيات الأُولى فِى سوره الأنفال جاءت رَدّاً وجواباً لنزاع عظيم حَصَل بين البدريين حول ملكيه الغنائم وأنَّها مِلكُ مَنْ؟

إنَّهـا ملـك لله(يَسْـئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفـالِ قُـلِ الْأَنْفـالُ لِلّهِ وَ الرَّسُـولِ فَـاتَّقُوا اللّهَ وَ أَصْـلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١)١ .

والغنائم حسب ما بيّنته روايات أهل البيت عليهم السلام تارةً يَتمُّ الحصول عَلَيْهَا بسعى وحرب وغزوٌ وبذل جهد وجهاد وقتال مِنْ المسلمين ووقوف عَلَيْهَا بخيل وركاب، وَأُخْرَى ما يُصطلح عَلَيْهَا بالأنفال.

وأمَّا القسم الأوَّل: الذى يوقف عَلَيْهِ بخيل وركاب وقوَّه، فَإنَّ هَذِهِ الغنائم أربعه أخماسها للمقاتلين توزّع فيما بينهم كَمَا بيَّنته الآيه المُبَارَكه: (وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْ ءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ)١ .

وأمَّا القسم الثَّانِى: مِنْ الأنفال فَقَدْ بَيَّنَ الإمام الصادق عليه السلام حكمه وأنَّ هَذَا القسم فيه إرغام لأنف مَنْ يتطاول ويُجحد وينكر مقام الولايه لأهل البيت عليهم السلام لما أكَّدته سوره الحشر(١). (... ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى) .

والنفل: عباره عَنْ زياده الفىء أىّ الراجح، ومصطلح الأنفال يشمل كُلّ الأموال والثروات العامّه فِى الأرض وأنَّ ولايه ملكيتها الحقيقيه وتدبيرها تعود لله أو رسوله أو ذى القُربى.

ملحوظه: أنَّ الآيه المُبَارَكه(يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ) فيها قراءتان:

القراءه الأولى: إنَّ الفعل (سألَ) إذَا تعدّى ب - (عَنْ) فَإنَّهُ يُفيد استعلام الحكم والخبر بَعْدَمَا حصل نزاع بينهم لِمَنْ ملكيه الأنفال؟ (قُلِ

١- (٢) سوره الأنفال: الآيه ۴١.

اَلْأَنْفالُ لِلّهِ وَ الرَّسُولِ) ولا يُشارك الله ورسوله فيها أحدٌ مِنْ المؤمنين سواءٌ فِى ذَلِكَ الغنيمه أو الفىء.

القراءه الثَّانيه: إنَّهم يُريدون ملكيه سهم مِنْهَا وأنَّ الفعل (سأل) إذَا تعدّى بنفسه فَيَكُون بمعنى الاستعطاف وأنَّهم يطلبوا ملكيه سهم مِنْهَا.

وسيأتى فِى مبحث القراءات - إنْ شاء الله تَعَالَى - أىّ القراءتين أصح.

هَذَا مُضَافَاً إلى أنَّ اللام فِى لفظ الجلاله فِى الآيتين الكريمتين هِىَ للملكيه والتدبير والولايه وليست ملكيه سهم وأسهام وَهُمَا: (... قُلِ الْأَنْفالُ لِلّهِ وَ الرَّسُولِ)١ و(ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى)٢ .

الشواهد عَلَى دفع أسباب النُّزول المزعومه

مِنْ قبل العامه حول آيات حكم الأسير:

تأثير أسباب النُّزول المزيفه عَلَى حقيقه الجهاد

الابتدائى عِنْدَ الفريقين:

الشَّاهِد الأوَّل: مَعْنَى الجهاد الابتدائى غايه وهويهً وموضوعاً لدى مدرسه أهل البيت عليهم السلام.

تُقَسِّمُ مدرسه أهل البيت عليهم السلام الجهاد إلى قسمين رئيسيين وَهُمَا:

الجهاد الابتدائی والجهاد الدِّفاعی(۱).

ومفهوم الجهاد الابتدائی عِنْدَ مدرسه أهل البیت علیهم السلام لَیْسَ بمعنی ابتداء عدوان، بَلْ أنَّ الجهاد الابتدائی لَهُ غطاء دفاعی.

وذلک ببیان: أنَّ غزوه بدر لَمْ تکن بالمصطلح القانونی: ابتداء عدوان مِنْ سید الأنبیاء صلی الله علیه وآله وإنْ قام صلی الله علیه وآله بمبادره عسکریّه للاستیلاء عَلَی قافله قریش التّجاریه، ولکن خلفیات هَذَا القرار والعزم مِنْ رسول الله صلی الله علیه وآله کَانَتْ فِی الحقیقه أسباب دفاعیه، فغزوه بدر وإنْ کَانَ یصدق عَلَیْهَا بالمصطلح الفقهی بالجهاد الابتدائی باعتبار أنَّ ضابط الجهاد الابتدائی مُتحقِّق بقیام رسول الله صلی الله علیه وآله ومبادرته وإعداد الجیش بالعمل العسکری، إلَّا أنَّ ذَلِکَ لَیْسَ معناه ابتداء عدوان؛ لِأنَّ هَذَا القرار مِنْ رسول الله صلی الله علیه وآله کَانَتْ خلفیاته أنَّ قُریشاً صادرت کُلّ أموال المسلمین فِی مَکَّه غصباً، ثمَّ أخذت قریش وحلفائها فِی الإغاره عَلَی المدینه المنوَّره لیلاً ومباغتهً، وَهَذَا الفعل مِنْ قریش وَلَّدَ للنبی صلی الله علیه وآله وللمسلمین مزید مِنْ الاستحقاقات مِنْ القَصَاص وغیره، وردعاً مِنْ النَّبِیّ صلی الله علیه وآله لقریش المتغطرسه أراد المُبادره بالاستیلاء عَلَی أموال قریش فِی القافله التّجاریه بقیاده أبی سُفیان القادمه مِنْ الشَّام إلی مَکَّه.

۱- (۱) التوحید فِی المشهد الحسینی: ص ۳۴۸ للشیخ مُحمَّد السند (دام ظله) وأُسس النظام السیاسی عِنْدَ الإمامیه: ج ۱، للشیخ السَّند دام ظله وتعرَّض سماحته إلی ذکر أنواع الجِّهَاد الدِّفاعی وأقسامه الَّتِی قَدْ تصل إلی ثمانیه أقسام.

وَمِنْ هَـذَا يُعْلم أنَّ الأسـباب الموجبه أو المُحرِّكه لغزوه بـدر كَـانَتْ مِنْ منطق ومنطلق دفـاعى عِنْـدَ رسول الله صـلى الله عليه وآله بالاصـطلاح القانونى، وإنْ كَانَ يصـدق عَلَيْهِ الجهاد الابتـدائى بالمصـطلح الفقهى ولكن بمنطق ومنطلق دفاعى، هَذَا كُلَّهُ بحسـب منهاج مـدرسه أهل البيت عليهم السـلام إلَّا أنَّ هَذِهِ النقطه قَدْ تكون غائبه عَنْ ذهن المدارس الإسْـلاميَّه الأُخْرَى غَيْر مدرسه أهل البيت عليهم السلام وكأنَّما تُترجم الجهاد الابتدائى بمنطق عدوانى وَأنَّهُ لَيْسَ بمنطق دفاعى.

وَمِنْ هُنَا يتّضـح أنَّ هُنَاك فرقاً بين تفسـير مَعْنَى الجهاد الابتـدائى وَأنَّهُ قِبال الجهاد الـدّفاعى فِى مدرسه أهل البيت عليهم السـلام وبين تفسـير المـدارس الأُخْرَى وأنَّ الجهاد الابتدائى لَيْسَ بمنطق دفاعى عندهم، وَهَذَا يَحُثَّنا عَلَى ملاحظه وتوخّى الدِّقّه أكثر فِى أسـباب النُّزول وأخـذها مِنْ منبعهـا الصـحيح وَذَلِـكَ بالالتفات إلى ما وَرَدَ مِنْ الآيات حول أسارى بـدر الَّتِى تبيَّن فلسـفه الجهاد الابتـدائى بحسب مـا نبّهت عَلَيْهِ روايات أهل البيت مِنْ بيان ظاهر ألفاظ تلك الآيات، وَهَـذَا عَلَى خلاف ما بيّنته روايات أسـباب النُّزول المُزيّفه والمُلفَّقه لـدى العامّه لآيات الأسارى فِى معركه بدر - كَمَا مَرَّ فِى سوره الأنفال - وعُطِفَت فِى ذَلِكَ عندهم آيات أُخْرَى فِى الأسارى فِى سوره مُحمَّد صلى الله عليه وآله.

إذْ رأينا كيف تُؤثِّر أسـباب النُّزول - كَمَا تَقَدَّمَ فِى تغيّر منظومه الفِقْه والعقائد والتفسير وحقائق التأريخ وسيره النَّبِىّ صلى الله عليه وآله فضلاً عَنْ سيره أهل

البيت.

ورأينا كيف لفقت أساب النُّزول المُحرّفه وترجمت أسباب غزوه بدر بالجهاد الابتدائى بمنطق عدوانى، بخلاف أسباب النُّزول الصحيحه الوارده عَنْ طرق أهل البيت، فَإنَّها ذكرت أنَّ مُبادره النَّبِىّ صلى الله عليه وآله كَانَتْ مُطابقه لما وَرَدَ فِى أسباب النُّزول، وَأنَّها - مبادره النَّبِىّ صلى الله عليه وآله - ولو بهذه الحرب الاستباقيه فِى غزوه بدر عَلَى قافله قريش التّجاريه هِىَ فِى الحقيقه لها غطاءها الشّرعى والدّفاعى وَذَلِكَ مِنْ أجل استعادت الحقوق الماليه الَّتِى سلبتها قريش مِنْ المسلمين.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ استباق الحرب فِى مثل هكذا مورد لا يعنى العدوان إذَا كَانَتْ هُنَاك خلفيات حقوقيه مُبَرِّرَه لهذه الحرب مِنْ كون الطرف عدوانياً مُبيّناً للاستمرار فِى العدوان.

فَلَيْسَ المدار فِى دفاعيه الحرب أو عدوانيتها عَلَى مَنْ يُبادر بالحرب بَلْ المدرا عَلَى مَنْ يَكُون صاحب حقٍّ مسلوب فِى قبال المُفَرِّط فِى حقوق الآخرين ومما يُبيِّن أنَّ جميع حروب وغزوات النَّبِىّ صلى الله عليه وآله كَانَتْ كُلَّهَا حروب دفاعيّه ما توصل إليه واكتشفه بَعْض الكُتّاب(١) وَمُنْذُ عِدَّه عقود مِنْ الزمان وَعَلَى قناعه تامَّه أنَّ كُلّ حروب النَّبِىّ صلى الله عليه وآله بلحاظ المنطق القانونى البشرى فِى العصر الحديث كُلَّهَا كَانَتْ حروب دفاعيّه ابتداءاً مِنْ غزوه بدر ومعركه

١- (١) بَعْض الكتّاب المصريين.

أحد والاحزاب الَّتِی تَحزَّبَ فیها الیهود وقریش والنّصاری والقبائل الأخْرَی والمُشرکین ضدَّ النَّبیّ والمُسلمین، کُلّ ذَلِکَ کَانَ واضحاً بسبب عدوان أهل مَکَّه بَعْدَ أنْ فتحها رسول الله صلی الله علیه وآله إلَّا أنَّ النَّبیّ صلی الله علیه وآله لَمْ یستخدم الحرب الفعلیّه فِی فتح مَکَّه ما عدا استعراضه صلی الله علیه وآله لقوَّه عسکریه ثقیله کردع لعدوان العدوّ فِی فتحها.

ولهذا فَإنَّ غزوات النَّبیّ صلی الله علیه وآله الثمانین کَانَتْ کُلَّهَا ذَاتَ غطاء دفاعی، فمثلاً فِی أوَّل معرکه فِی الإسلام وَهِیَ معرکه بدر الکبری وصفها القُرآن(وَ إِذْ یَعِدُکُمُ اللّهُ إِحْدَی الطّائِفَتَیْنِ أَنَّها لَکُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَیْرَ ذاتِ الشَّوْکَهِ تَکُونُ لَکُمْ وَ یُرِیدُ اللّهُ أَنْ یُحِقَّ الْحَقَّ بِکَلِماتِهِ وَ یَقْطَعَ دابِرَ الْکافِرِینَ (۷)۱ .

بتقریب: أنَّ الله تَعَالَی وَعَدَ النَّبیّ صلی الله علیه وآله والمُسلمین بالظفر عَلَی الأعداء إمَّا بالاقتصاص مِنْ قافله قریش التّجاریه ویسترجعون أموالهم المسلوبه والمغصوبه فِی مَکَّه أو یهزمون قریشاً عسکریاً، فقریش الَّتِی خرجت مُدجّجه بالسِّلاح وَکَانَ قصدها العدوان عَلَی النَّبیّ صلی الله علیه وآله والمسلمین بدلیل، بَعْدَمَا رجعت إلی مَکَّه قَالَ بَعْض رجالها وَهُوَ عتبه لماذا تقاتلون هَذَا الرجل أیّ سید الأنبیاء صلی الله علیه وآله وصدور مثل هَکذَا کلام مِنْ عدو رسول الله صلی الله علیه وآله بَعْدَ أنْ سَلِمتْ قافله قریش مِنْ المسلمین وعودتها إلی مَکَّه أنَّهُ لا مُبرر لهذا القتال سوی العدوان، وَهَذَا یولِّد حقاً للنبیّ والمسلمین فِی الدِّفاع عَنْ

أموالهم وأنفسهم وحمايه المدينه وأعراضهم.

الشاهِد الثانى: ولذا بعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قريش مِنْ يقول لهم عَنْهُ صلى الله عليه وآله(١)«يا معشر قريش ما أحدٌ مِنْ العرب أبغض إلىَّ ممّن بدأ بكم خلّونى والعرب فإن آك - كان - صادقاً فأنتم أعلى بى عيناً، وأن آك - كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمرى فارجعوا»(٢) وَهَذَا المقطع دالٌّ بوضوح أنَّ الجهاد الابتدائى فلسفته وغايته استرداد الحقوق لا المبادره ابتداءاً لغرض إكراه الطرف الآخر، كَمَا هُوَ مقرّرٌ مِنْ غرض تشريع الجهاد الابتدائى لدى العامَّه، فَقَالَ عُتبه: والله ما أفلح قومٌ قَدْ ردّوا هَذَا! وأقبل يقول: يا معشر قريش: أطيعونى اليوم واعصونى الدَّهر وارجعوا إلى مَكَّه... ولا تنبذوا رأيى، وَإنَّما تطالبون محمداً بالعير الَّتِى أخذها مُحمَّد بنخيله ودم ابن الحضرمى، وَهُوَ حليفى وعلىَّ عَقْلُه - أىّ ديّته - فلما سمع أبو جهل ذَلِكَ غاضه، وَقَالَ: إنَّ عتبه أطولَ النَّاس لساناً وأبلغهم فِى الكلام، ولئن رجعت قريش بقوله ليكوننَّ سيد قريش آخر الدهر، ثمَّ قَالَ - أبو جهل - يا عتبه نظرتَ إلى سيوف بنى عبدالمطلب وجَبُنت وانتفخ سَحرُك - والسَحر: هُوَ الرّيه والجوف مِنْهُ سَحَر الليل أىّ جوفه، وانتفخ سَحرك أىّ ريّتك أو جوفك مِنْ الخوف - وتأمر النَّاس بالرجوع وَقَدْ رأينا ثارنا بأعيننا! فنزل عتبه عَنْ جمله وحَمَل عَلَى أبى جهل وَهُوَ عَلَى فرسه فعرقب فرسه وأخذ

١- (١) يقول الواقدى: ج ١، ص ٦١ أرسل النَّبِىّ صلى الله عليه وآله عمر بن الخطّاب إلى قريش.

٢- (٢) أىّ لَيْسَ هُنَاك فِى العرب مَنْ يَكُون أكثر مبغوضاً عندى ممّن يبدأ القتال معكم، فأنا أبْغَض أنْ أبدا بالقتال معكم إنْ لَمْ تقاتلونى.

يشعر، وَقَالَ لى أمثلى يُجَبَّنُ؟! وستعلم قريشاً اليوم أيُّنا ألئم وأجبن؟ وأيُّنا المُفْسِدُ لقومه لا يمشى إلى الموت عياناً إلَّا أنا وَأَنْتَ ثمَّ أخذه يجرّه بشعره! فاجتمع النَّاس يقولون: يا أبا الوليد! الله الله! لا- تَفُتَّ فِى أعضاد النَّاس تنهى عَنْ شىء وتكون أوَّله... حَتّى خَلَّصوا أبا جهل مِنْ يده.

ولذا عِنْدَمَا نزل عُبيده مِنْ الحارث بن عبدالمطلب والحمزه بن عبدالمطلب وعلى بن أبى طالب، فَقَالَ لهم عتبه انتسبوا لنعرفكم، وَقَالَ عبيده لعتبه: هُمَا حمزه ابن عبدالمطلب وعلى بن أبى طالب، فَقَالَ عتبه كفوان كريمان، لعن الله مَنْ أوقفنا هَذَا الموقف.

وفى خبر آخر: أنَّ عتبه بن ربيعه أسدى نصيحه لقريش بعدم مُناجزتهم الحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وعدم فتح باب الحرب مَعَ المُسلمين قائلاً: إنِّى أرى قوماً مُستميتين لا تصلون إليهم... يا قوم أعصبوها اليوم برأسى وقولوا جَبُن عتبه بن ربيعه، ولقد علمتم أنَّى ليستُ بأجبنكم... وَكَانَ عتبه أرشد قومه وأكثرهم وعياً وَقَدْ نظر إليه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ أحمر، فَقَالَ لأصحابه: «إنْ يكُن فِى أحدٍ مِنْ القوم خيرٌ فَعِنْدَ صاحب الجمل الأحمر إنْ يطيعوه يُرشدوا...».

وَهَذَا الكلام مِنْهُ صلى الله عليه وآله هُوَ الآخر نصٌّ واضحٌ فِى هويّه وغايّه تشريع الجهاد الابتدائى، أنَّهُ لاسترجاع الحَقّ المسلوب لا الابتداء بالحرب لإكراه الطرف الآخر، وَمِنْ ثمَّ وَصَفَ عدم الحرب رشدٌ، أىّ لَيْسَ القتل والقتال فِى نفسه لإكراه وكسر الطرف الآخر وَهُوَ بنفسه غايه للجهاد الابتدائى؛

ولـذا تـذكر بَعْض المصارد أنَّ عتبه، قَالَ: إنَّ مِنْ سـنن إبراهيم عليه السـلام لن يُفلِـحَ مَنْ يبتـدأ الحرب بعـدوان، مَعَ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله هُوَ الذى جَهَّزَ الجيش قبل تجهيز قريش، إلَّا أنَّ رسول الله صـلى الله عليه وآله لَمْ يجهِّز الجيش لأجل العدوان وَإنَّما لاسترداد الحقوق المسلوبه فَقَطْ.

وَمِنْ هَذَا يُعْرَف أنَّ أحد منازل إحقاق الحقّ هُوَ نفس الظفر العسـكرى أو اتّخاذ الخطوات السياسيّه والعسكريّه المُناسبه لاسترجاع الحَقّ وكذلك نفس هَذِهِ التدبيرات العسكريّه والسياسيّه والأمنيّه قَدْ تكون باطله عَلَى الصعيد الفكرى والسياسى لأجل النيّه السيّئه الَّتِى انطوت عَلَيْهَا قلوب عِلْيه القوم مِنْ قريش وإلحاق الخسائر بالمسلمين ونشر الفساد.

الشاهد الثالث: ما تَقَدَّمَ فِى الشَّاهِد الثَّانِى مُطابق لقوله تَعَالَى: (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَ عَدُوَّكُمْ)١ .

حَيْثُ تبيَّن الآيه المُبَارَكه أنَّ فلسفه القوّه العسكريه وغيرها هُوَ ردعٌ للعدوان وَلَيْسَ لابتداء العدوان عَلَى الآخرين.

الشاهد الرابع: قوله تَعَالَى: (فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)٢ وقوله تَعَالَى: (أُولئِكَ الَّذِينَ

طَبَعَ اللّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ اتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ)١ .

فلسفه تشريع الجهاد الابتدائى:

إنَّ فلسفه هَذَا التشريع للجهاد الابتدائى كَمَا تدل عَلَيْهِ مجموع الآيات القرآنيه المُتعرّضه للجهاد الابتدائى - وَالَّتِى تقدّمت الإشاره إلى بعضها - فِى الدِّين الحنيف، كَمَا فِى قوله تَعَالَى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُوا وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياهِ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللّهِ مَغانِمُ كَثِيرَهٌ كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (٩۴)٢ .

فَإِنَّ هَذِهِ الآيه تُحدِّد مَعلماً مُهمّاً مِنْ معالم الجهاد، وإنَّ الغرض فيه لَيْسَ جمع الغنائم والأموال والاسترقاق، بَلْ قياده الجموع البشريّه وهدايتها إلى طريق الله وعبادته.

وكذا قوله تَعَالَى:

(وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَهٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا وَ الْآخِرَهَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ (١١) وَ إِذا تَوَلّى سَعى فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّهُ لا

يُحِبُّ الْفَسادَ (۲۰۵) وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّهُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ (۲۰۶)۱ .

وَهَـذِهِ ملحمهٌ قرآنيه عمّن هُوَ فِى الصـفوف مَعَ النُّبِىّ صـلى الله عليه وآله وَهُوَ عَسْـِل اللسان والكلام، ولكن قلبه مخالف تماماً لما يظهرهُ عَلَى لسانه وَهُوَ شديـد العـداوه لله ولرسوله والآيه تُخبر أَنَّهُ إِذْ تولى الأُمُور فسوف يَكُون سـعيه فِى ولايته فساداً فِى الأرض وإهلاكاً للحرث والنسل البشـرى والحال أنَّ الله تَعَالَى لا يحب الفساد فِى التكوين، وأنَّ خاصـيه هَـذَا المتولى التعصّب لفعله أمام تضـحيه الآخرين لَهُ، كَمَا أنَّ هَـذِهِ الآيه تُحـدِّد أغراض الدِّين - بما فيه الجهاد الابتدائى - بأنه لَيْسَ للإفساد فِى الأرض وإهلاك الموارد الطبيعيه أو الإنجازات المدنيه الَّتِى حقّقها البشر ولا الهدف تبديد النسل البشرى.

وكذا قوله تَعَالَى: (لَوْ لا نُزِّلَتْ سُورَهٌ فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَهٌ مُحْكَمَهٌ وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ...)۲ .

فَهَذِهِ الآيات ترسم ملحمهً مستقبليه لجماعه(فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) وهذا الجماعه قَدْ أشار إليها القُرآن الكريم فِى سوره المدّثرن رابع سوره نزلت عَلَى النُّبِىّ صلى الله عليه وآله فِى أوائل البعثه الشّريفه فِى مَكَّه المكرّمه، وأعلن وجودها فِى صفوف الثلّه الأولى الَّتِى أسلمت، قَالَ تَعَالَى: (عَلَيْها تِسْعَهَ عَشَرَ...)۳.

فَإنَّ الآيات تُبيِّن أنَّ المُخاطب الـذى تَعِدَّه الملائكه الموكلون بالنَّار عَلَى أربعه أقسام: الأول: (الَّذِينَ آمَنُوا) والثانى: (الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ) الثالِث: (الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) والرابع: (الْكافِرُونَ) وتخبر أنَّ الـذى سيحصل لَهُ الإيمـان هُمَـا القسـمان الأولان أمَّا القسـمان الآخران فسيحصل لـديهما الإرتياب، وَمِنْ الواضح أنَّ المرض الذى فِى القلب نحوٍ مِنْ النفاق الخفى جداً، أىّ الذى لا يظهر عَلَى صـاحبه، بَـلْ يُبطنه فِى قلبه وخفـاء أعماله، وَقَدْ ذكرناأن الآيات القُرآنيه تتابع هَـذِهِ الفئه والجماعه فِى كثير مِنْ السُّور، تحت هَذَا العنوان، وبهذا الاسم إلى آخر حياه الرسول صلى الله عليه وآله ونزول القُرآن.

والآيات هُنَا مِنْ سوره مُحمَّد صـلى الله عليه وآله تُبيِّن أنَّ غرض هَذِهِ الفئه هُوَ تولّى الأُمُور والأخذ بزمامها، وأنَّ ذَلِكَ الغرض هُوَ وراء انضـمامها إلى صـفوف المسلمين الأوائل: إذْ إنَّ خَبر ظفر النَّبىّ المبعوث صلى الله عليه وآله كَانَ منتشراً قبل البعثه كَمَا يشير إليه قوله تَعَالَى: (وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللّهِ عَلَى الْكافِرِينَ (٨٩) .

فَقَدْ أشارت الآيه إلى أنَّ أهل الآيه إلى أنَّ أهل الكتاب كانوا يسـتفتحون وينتظرون ويطلبون الفتح والنصـر والظفر بالنبى – الذى سيبعث خاتمـاً – عَلَى الكـافرين مِنْ مُشـركى الجزيره العربيه، فلمـا عرفوا ذَلِـكَ وَأنَّهُ صـلى الله عليه وآله قَـدْ بُعث كفروا برسالته، فـالسُّوره تُبيِّن أنَّ غرض هَـذِهِ الفئه(الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) هُوَ تسـلم مقاليـد الأُـمُور هُوَ تسـليم مقاليـد الأُمُور، وَأنَّها كَانَتْ عَلَى اتّصال فِى الخفاء وارتباط مَعَ فئات معاديه علناً لرسول الله صلى الله عليه وآله(ذلِكَ بِأَنَّهُمْ

قـالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا...) وكـذلك بَقيَّه السُّور المُتعرّضه لهـذه الفئه بِهَـذَا الاسـم تُشـير إلى هَـذِهِ العلاقـات بين هَـذِهِ الفئه وبين بقيّه الفئات الأُخْرَى، ثمَّ أنَّ السُّوره تُبيِّن أنَّ طابع سياسه الدوله الَّتِى يقيمها أفراد هَذِهِ الفئه هُوَ الإفساد فِى الأرض وقطع الصِّله بمن أمر الله تَعَالَى بوصلهم وموَدَّتهم كالذى تُشير إليه آيه ٢٠٥ مِنْ سوره البقره(وَ إِذا تَوَلّى سَعى فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْـلَ وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ (٢٠٥) فَهَذِهِ الآيات تُحدِّد أنَّ أغراض الشّـريعه - فِى أحكامها وقوانينها السياسيّه وأبواب فقه النِّظام والسياسه الشّـامله للجهـاد الابتـدائى - لَيْسَ الإفسـاد فِى الأرض وإهلاك الحـدث وتبديـد النّسل البشـرى، فَإنَّ الله يحب صـلاح الأـرض وأهلاـ وعمارتها، فَهَـذَا هُوَ سبيل الله تَعَالَى الـذى أمرت الآيات القُرآنيه العديـده بالقتال فيه وفى سبيل المُستضـعفين مِنْ الرِّجال والنِّساء والولدان لأجل إزاله استضعافهم وإرجاع حقوقهم المُغتصبه(١).

ثانيـاً: وَبَعْـدَ هَـذِهِ المُقـدِّمه نعود لنـذكر عِـدَّه نمـاذج وقرآنيه عَلَى إبطال نماذج مِنْ روايات أسـباب النُّزول المُحرَّفه فِى خصوص معركه بدر.

النموذج الأول: قوله تَعَالَى: (كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ (٥)٢ .

بتقريب: أنَّ الله تَعَالَى أخرج النَّبِىّ صلى الله عليه وآله والمسلمين فِى غزوه أُحُد مِنْ

١- (١) الصحابه بين العداله والعصمه، الشَّيْخ مُحمَّد السند: ص ١٢٢.

المدينه المنوَّره إلى ضواحى بدر(۱) ونفس هَذَا الإخراج مِنْ المدينه شكّلَ عامل نصر للنبى صلى الله عليه وآله وللمسلمين لا عامل هزيمه، كَمَا تَقَدَّمَ فِى الشّواهد القرآنيه مِنْ سوره آل عمران لدحض بَعْض روايات أسباب النُّزول المُلفَّقه والمُزيّفه والمزعومه مِنْ قبل العامّه فِى غزوه أُحُد وَالَّتِى ادّعى فيها أنَّ سبب الهزيمه للمسلمين هُوَ الخروج مِنْ المدينه، كَذَلِكَ الحال فِى آيات سوره الأنفال الدَّالَّه وبصراحه عَلَى أنَّ نفس خروج النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وَمَنْ معه مِنْ المسلمين فِى غزوه بدر هُوَ عامل نصر لهم وَلَيْسَ سبب الهزيمه هُوَ القتال خارج جدرانها وعمرانها وأنَّ سبب النَّصر كَمَا قَالَ أمير المؤمنين عليه السلام: «فوالله ما غُزى قوم فِى عُقْرِ دارهم إلَّا ذُلّوا»(۲).

وَهَذَا بيانٌ آخر مِنْ أمير المؤمنين عليه السلام لدحض أسباب النُّزول المُلفَّقه.

والآيه المُبَارَكه تذمّ وصف حال فريق مِنْ المؤمنين:

الفريق الأول: بأنَّ بعضهم كَانَ كارهاً للخروج للقتال فِى بدر وَلَيْسَ كلَّهم.

الفريق الثانى: (يُجادِلُونَكَ فِى الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ (۶) .

وَمِنْ هَذَا يتّضح أنَّ القُرآن يُشير إلى أنَّ الخروج إلى معركه بدر هُوَ سبب للنَّصر، وأنَّ جمله مِنْ الصّحابه ومنهم أبو بكر وعمر بن الخطاب

۱- (۱) بدر: - بئر يبعُد عَنْ المدينه حوالى (۱۵۰ كم) وَهُوَ الموضع الذى مَرَّتْ به قافله أبى سفيان.

۲- (۲) نهج البلاغه، خطب الإمام على عليه السلام: ج ۱، ص ۶۸.

كانوا كارهين للخروج مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله فكيف يُفرض حسب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقه والمزعومه وكُتب السِير أنَّ عمر أحرص بغايات الحرب والجهاد مِنْ غيره، علماً أنَّ عمر كَانَ خائفاً مِنْ أصل الحرب والجهاد.

تأثير الحرب النفسيه عَلَى المقاتل:

النموذج الثانى: قوله تَعَالَى(وَ ما جَعَلَهُ اللّهُ إِلاّ بُشْرى وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَ مَا النَّصْرُ إِلاّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ وَ لِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَهِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ (١٢)١ .

بتقريب: إنَّ أحد أسباب النَّصر الإلهى الذى أمدّه الله للمؤمنين والمسلمين هُوَ مسأله تأثير الحرب النفسيّه عَلَى الكفّار. (سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) وَعَلَيْهِ فالرعب سلاحٌ فتّاك، يُشير القُرآن الكريم إلى أهميته، وأنَّ الشّجاعه لها دورٌ كبيرٌ فِى الظفر والنَّصر لِأنَّ لها جانبٌ روحىٌّ ونفسىٌّ؛ ولذا أحد شرائط الإمام أو الخليفه يجب أنْ يَكُون شُجاعاً - كَمَا تَقَدَّمَ تفصيله - لِأنَّ الخليفه أو القيادى إذَا كَانَ جباناً وفرَّاراً فَإنَّهُ يوحى بعدم الظفر والهزيمه للمسلمين، وسيُرْديهم فِى الهاويه وتوحى اليأس؛ لِأنَّ العدو

دائماً يُناجز المسلمين بحربه الرُّعب والإرعاب.

(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَهِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ... ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللّهَ ... ذلِكَ بِأَنَّهُمْ ... بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ)١ .

بتقريب: هَذِهِ الآيات المُبَارَكه تُشير إلى أنَّ فرقهَ مِنْ أصحاب النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فِي بدر فرّوا وانهزموا، وَمَعَ كونهم بدريين إلَّا أنَّهم ارتكبوا الفرار والحاله أنَّ الأوَّل والثانى لَمْ يكونا عَلَى جرأه نفسيّه مِنْ الحرب كَمَا مَرَّ، بَلْ ولا مِنْ نتائج الحرب.

ثمَّ قالت الآيه(فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ... إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ وَ إِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...)٢ .

بتقريب: إنَّ نفس معركه بدر تبيَّن أنَّ أسباب النَّصر ليست كُلَّهَا مادّيه وَإلَّا لَيْسَ هُنَاك موازنه مادّيه بين جيش المسلمين وجيش قريش، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله ب - (٣١٣) ثلثمائه وثلاثه عشر رجلاً، وَكَانَ فِي عسكره فَرَسان،: فرسٌ للزبير بين العوّام وفَرَس للمقداد بن عمر، وَكَانَ لهم سبعون جملاً(١) يتعاقبون عَلَيْهَا لملاحقه قافله قريش الَّتِي يقودها رأس الشّرك والنفاق أبو سفيان، وَكَانَ رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى بن أبى طالب ومرثد

١- (٣) وفى أعلام الورى للطبرسى: ج ١، ص ١٦٨ معهم ثمانون بعيراً.

بن أبی مرثد الغنوی یتعاقبون عَلَی جَمَل مرثد(۱).

بینما حزمت قریش لاستنقاذ قافلتها التّجاریه بأعداد مضاعفه وکبیره جدّاً مِنْ العِدَّه والعدد.

وَهَـذَا مما یُـدلِّل أنَّ الأسـباب الرُّوحیّه والمعنویه والعقائدیه لها دخل عظیم مِنْ صـنع النّصـر سواء کَانَ النَّصـر عسـکریاً أو أمنیاً أو اقتصادیاً أو سیاسیاً أو ثقافیاً؛ ولذا الهزیمه الفکریّه تشکِّل خطراً کبیراً جدّاً.

وبالتالی یتطابق هَذَا الشَّاهِد مَعَ مفاد الشّاهد السابق.

لَیْسَ کُلّ ملفات الحدث الأرضی حسیَّه:

الملفات الغیبیّه فِی غزوات النَّبِیّ صلی الله علیه وآله

وکیفیه إداره الدوله الإلهیه:

هُنَاک الکثیر مِنْ الملفـات الغیبیه فِی حیاه النَّبِیّ صـلی الله علیه وآله کَانَتْ إدارتها بیـد الـدوله الإلهیه الغیبیه، فَإنَّ عـدم علمنا بها وعـدم اطلاعنا عَلَیْهَا وَعَلَی أسـرارها لا یعنی عدم وجودها؛ لِإنَّهُ لَیْسَ مِنْ الضـروری علمنا بها، وکذا لَیْسَ مِنْ الضـروری الوقوف عَلَی الأسـرار الإداریّه فِی إداره استراتیجیات الدوله الإلهیه، ویکفی للمسلم والمؤمن ملاحظه ما جاء فِی القُرآن الکریم بخصوص غزوه بـدر وجود الملفـات الغیبیه وَغَیْر المرئیه أدارتهـا الـدوله الإلـهیه مِنْ دون أنْ یشـعر بهـا المسـلمون وغیرهم، فالآیه تقول: (وَ یُقَلِّلُکُمْ فِی

۱- (۱) تقسیم القمّی: ج ۱، ص ۲۶۲ لعلی بن إبراهیم بن هاشم القمّی.

أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ اللّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً)١ .

وَمِنْ خلال هَذَا يُعْلَم أَنَّهُ لَيْسَ كُلّ ملفات إداره الحدث هِىَ بأسباب مادّيه ظاهره كلا وَإِنَّما بعضها مادّيه، ففى الغزوات والحروب تُسلّط الأضواء والاهتمامات بالجانب المادّى مِنْ تهيئه العِدَّه والعَدَد وما يحتاجه العسكر، هَذَا بالنسبه للجانب المادّى والمرئى والمحسوب، وأمَّا الجهه غَيْر المرئيه والغيبيه، فَهُنَاك يدٌ غيبيه تُدَبِّر بَعْض الملفات مِنْ حَيْثُ لا يشعرون.

ولذا كَانَ البعض يستشكل ويعترض عَلَى ما كتبه بَعْض علمائنا الأعلام مِنْ الفُقَهاء وغيرهم حول واقعه عاشوراء ومصرح سيد الشهداء أبى عبدالله الحسين عليه السلام وأنَّ فِى هَذَا المقتل إسفاف وَأُمُور خياليّه.

إلَّا أنّنا نقول لمثل هؤلاء المعترضين: - مَنْ قَالَ لكم: - إنَّ كُلّ ملفاه الحدث الأرضى حسيّه ظاهره ومادّيه، فمثلاً بَعْض ما قاله النَّبِىّ صلى الله عليه وآله فِى واقعه بدر«... سيروا وابشروا فَإنَّ الله قَدْ وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى الآن أنظر مصارع القوم».

وَهَذَا الكلام مِنْ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله قبل واقعه بدر، وبالفعل قَدْ تحقّق ما تنبأ به النَّبِىّ صلى الله عليه وآله، فَلَمْ تمضِ حفنه مِنْ الأيام وإذا بعيون القرشيين وزعمائهم صرعى وألقيت جيفهم فِى القليب تلاحقهم اللعنه والعذاب الأليم.

أو عَلَى روايه أُخْرَى بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قَالَ: «... كَأنَّى بمصرع فلان ها هُنَا وبمصرع فلان

ها هُنَا وبمصرع أبى جهل، وعتبه بن ربيعه، وشيبه بن ربيعه و... فَإِنَّ الله وعدنى إحدى الطائفتين ولن يُخْلِفَ الله المعياد» (۱).

ولا يقتصر الجانب الغيبى عَلَى أنباء النَّبِىّ صلى الله عليه وآله ولا عَلَى إنزال النّعاس عَلَى أصحاب النَّبِىّ صلى الله عليه وآله فناموا، وَإِنَّما هُنَاك أُمُور أُخْرَى غيبيّه تشكل جزءاً مِنْ الحَدَث الأرضى، فَهَذِهِ الملفات الغيبيه الَّتِى شاركت فِى إداره الحدث لا يَعْلَمُ بها حَتّى المقاتلين مِنْ الطرفين - المسلمين والمشركين - ولا يُفهم مِنْ هَذَا الكلام أنْ نكون غيبيين فَقَطْ وَإِنَّما الحدث يشتمل عَلَى جنبه غيبيّه وأمواج غَيْر محسوسه، وَعَلَى جنبه، جنبه مادّيّه محسوسه، كَمَا ذكرت سوره الأنفال كثير مِنْ اللقطات الغيبيه غَيْر المرئيه فِى واقعه بدر، وكذلك الحال فِى سوره آل عمران فِى واقعه أُحُد، وكذلك الحال فِى سوره الأحزاب وَمُحَمَّد حول واقعه الخندق، وكذلك ما فِى سوره براءه حول واقعه حنين ۲۶/۲۵.

إذَنْ القُرآن الكريم يفتح الكثير مِنْ الملفات الغيبيّه فِى مشاهد غزوات وحروب النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وَيُؤَكِّد عَلَى وجود مشهد غيبى يُزامن ويُقارِن المشهد الحسّى وأنَّ هَذَا مِنْ صميم الإيمان والاعتقاد والارتباط بالله تَعَالَى، وَلَيْسَ هَذَا خُرَافه وكسل وفشل بَلْ هُوَ ترجمان الحقيقه وعقيده لا جبر ولا تفويض إنَّما هُوَ أمر بين أمرين فَلَيْسَ الأمر غيبى محض ولا مادّى مرئى محض، بَلْ أمر بين أمرين.

۱- (۱) تفسير القُمّى: ج ۱، ص ۲۵۷-۲۶۰.

وَهَذِهِ الملفات الغيبيه لَمْ يعطها الله تَعَالَى مجاناً للمسلمين بَلْ أعطاها لِصبر مَنْ صَبَر وثبتَ وصِدْقَ مَنْ صَدَق فِي صفوف المسلمين لا لأجل مَنْ فَرَّ وانهزم.

ولذا فَإنَّ ما كتبه أعلامُنا وفقهاؤنا حول مقتل ومصرع سيد الشُّهداء أبى عبدالله الحسين أو حول غزوات النَّبِيّ صلى الله عليه وآله أنَّ مِنْ أغراض ما كُتِب هُوَ لأجل بيان أُمُور مِنْهَا: التغيير والإصلاح الاجتماعى، لئلا يُظَنّ أنَّ ذَلِكَ يوعز إلى الأسباب المادّيه فَقَطْ، بَلْ إلى أسباب معنويّه أيضاً وَهُوَ الصحيح.

ولذا تضرَّع خُلَّص أصحاب النَّبِيّ صلى الله عليه وآله أو أمير المؤمنين أو سيد الشُّهداء والإمام الحسين بن على عليهما السلام لله تَعَالَى وعملوا بَعْض الأعمال كَالصَّلاه أو الصدقه أو الدعاء أو... الخ، هَذِهِ وغيرها ساعدت عَلَى إنزال المدد الغيبى، وأنَّ هُنَاك أسباباً خفيّه لا يعلمها أحدٌ تُؤثِّر فِي عالم المادّه والسيطره عَلَى برمجتها، فمثلاً: - كثيراً ما يُؤكِّد القُرآن وأهل البيت عليهم السلام عَلَى الاهتمام بالزّراعه وَأنَّها عصب الحياه وتشكّل العمود الفقرى لاقتصاد الشعوب والتأكيد مِنْ قبل أئمه أهل البيت عليهم السلام عَلَى الجانب المادّى وتهيئه الأرض والماء والبذور والأسمده وغيرها وبنفس الوقت، لماذا يأمر القُرآن، وكذا هل البيت عليهم السلام يؤكّدان عَلَى الإتيان بصلاه الاستسقاء، وما هَذَا إلَّا أنَّهم أمروا بأمر بين أمرين، فَمِنْ جهه يأمروننا بالأسباب المادّيه، باعتبار أنَّ الله تَعَالَى أبى إلَّا أنْ يُجرى الأُمُور بأسبابها المادّيه مِنْ جهه والغيبه

والخفيّه مِنْ جهه أخْرَى.

إذَنْ مثلما توجد هُنَاك أسباب مادّيه فِي أىّ حَدَث تُرَكِّز عَلَيْهَا ونتعظ مِنْهَا، ولكن الجانب الرّوحى كَذَلِكَ يجب أنْ نعتبرمنه وأنَّ لَهُ دورٌ كبيرٌ فِي النّصر والظفر؛ ولـذا نلاحظ القُرآن يهتم بكلا الجانبين المادّى والمعنوى والرّوحى ولا يُفرِّط بأحد منهما ويُعطى كُلاً حَقَّهُ(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ اذْكُرُوا اللّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۴۵)۱ .

بتقريب: إنَّهُ مِنْ الجانب المادى فاثبتوا ولا تنهزموا وتسلموا إلى الأعداء، وامسكوا الأرض ولا تتراجعوا وتقدّموا بعددكم وعِدَّتكم نحوهم ورابطوا هَذَا مِنْ الجانب المادى، وأمَّا مِنْ الجانب المعنوى والرّوحى وَ اذْكُرُوا اللّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وبانضـمام العالم المادّى إلى المعنوى والرُّوحى فَإنَّهُ بالنتيجه يتحقّق الظفر والنَّصر ولا يَتِمُّ النَّصر بالاهتمام بأحدهما دون الآخر.

القُرآن يذكر العامل المادى والمعنوى

فِي جانب الشر كَذَلِكَ:

هَذَا مُضَافَاً إلى أنَّ القُرآن الكريم يذكر كلا العاملين - أىّ المادى الحسّـى، والغيبى غَيْر المرئى وَغَيْر الحسّـى - فِي معسـكر الشرِّ كَـذَلِكَ ولاـ يقتصـر ذكره لهمـا فِي معسـكر الخير، بقوله تَعَالَى: (وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَـلُوا وَ تَـذْهَبَ رِيحُكُمْ وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ (۴۶) وَ لا

تَكونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَ رِئاءَ النّاسِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَ اللّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (۴۷) وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَ قالَ لا غالِبَ...)۱ .

بتقريب: إنَّ القُرآن يُنبئنا بوجود مشهد غيبى ملكوتى شيطانى فِى معسكر الشّرِّ (وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَ قالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ ...).

وإنَّ نفس الشّيطان يرى الجانب غَيْر المرئى فِى معسكر الحَقّ وَعَلَى ما جاء فِى جمله مِنْ المصادر أنَّ حامل رايه قريش فِى معركه بدر هُوَ إبليس فِى صوره سُرَاقه بن مالك، فَقَالَ لهم: ادفعوا إلىَّ رايتكم فدفعوها إليه... ونظر إبليس إلى جبرئيل فتراجع ورمى باللواء! فأخذ منبه بن الحجاج بمجامع ثوبه، ثمَّ قَالَ لَهُ: - ويلك يا سراقه تَفُت فِى أعضاء النَّاس! فركله إبليس ركلةً فِى صدره، وَقَالَ: إنِّى أرى ما لا ترون إنِّى أخاف الله(۱).

وَعَلَيْهِ فما مِنْ معسكر سواء كَانَ معسكر فكرى أو سياسى أو اقتصادى أو... الخ إلَّا وفيه جنبه حَقٍّ وجنبه باطل يلتقيان، وكذلك يوجد جانب غَيْر مرئى حق وجانب غَيْر مرئى باطل.

إذَنْ مُضَافاً للأسباب المادّيه يوجد جانب غَيْر مرئى بقسميه الحَقّ

۱- (۲) تفسير العياشى: ج ۲، ص ۵۲-۶۵؛ والطوسى فِى التبيان: ج ۵، ص ۱۳۵؛ وبحار الأنوار: ج ۱۹، ص ۲۷۰ عَنْ جابر.

والباطل، وَهَـٰذِهِ وغيرها كُلَّهَا حقائق قرآنيه تكوينيه باهره يذكرها القُرآن، وَمِنْ هُنَا ينبغى عَلَى المُحلِّل التأريخى والاستراتيجى إذَا أراد أنْ يَكُون تحليله ناجحاً ومُسَدَّداً فِى نتائجه ورسم خططه، فَلابُدَّ مِنْ مُراعاه كلا المشهدين الغيبى، وَهُوَ عباره عَنْ التوكُّل عَلَى الله والإيمان به، ومُراعاه المشهد المادّى الذى هُوَ عباره عَنْ لا جبر ولا تفويض وَإنَّما أمرٌ بين أمرين.

وَمِنْ خلال ما تَقَدَّمَ تبيّن أنَّ أىّ حَدَثٍ يحصل سواء فِى معسكر الحَقّ أو الباطل فَإنَّ القُرآن يُبيِّن أسبابه المادّيه والغيبيّه.

ولا يتوهّم أحد أنَّ القُرآن يذكر فَقَطْ الأسباب المادّيه، فَإنَّ المعرفه التّامه للحدث لا تتم إلَّا بالإلمام بكلا الجهتين المادّيه والغيبيه؛ ولـذا يَعْـترض البعض عَلَى مَـنْ كَتَبَ فِى ذكر الجـوانب الغيـبيّه فِى غزوات النَّبِىّ صـلى الله عليه وآله وأمير المـؤمنين عليه السـلام وواقعه الطّف والطّرف المقابل معسـكر الباطل وَأنَّهُ كيف تؤثر العوامل الغيبيّه أىّ غَيْر المرئيّه عَلَى معسـكر الحَقّ ومعسـكر الباطل أيضاً هُوَ مِنْ باب لا جبر ولا تفويض بَلْ الأمر بين أمرين.

فيتحصـل أنَّ الجانب المادى يمثل جانب الاختيار والأمر الإنسانى والجانب الغيبى يمثل الأمر الإلهى فيحصل التوازن بينهما بالأمر بين أمرين.

بخلاـف نظره الصـحابيين الأوَّل والثانى فَإنَّها كَانَتْ مُقتصـره عَلَى الجانب المادّى، وَمِنْ ثمَّ أخـذا يجبنان عَنْ الخروج إلى الحرب مَعَ قريش فكيف يُفترض أنَّ الثَّانِى سبّاق إلى مسؤوليات الحرب وأعباءها.

ثمَّ قالت الآيه عَلَى لسان هؤلاء: (إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هؤُلاءِ دِينُهُمْ)١ .

بتقريب: أنَّ القُرآن الكريم يُريد أنْ يخبرنا ونكون عَلَى بصيره فِى أرض بدر.

أصناف وطوائف المقاتلين فِى معركه بدر:

إنَّ عدد المقاتلين المسلمين الَّذِيْنَ شهدوا وحضروا واقعه بدر كَانَ عددهم (٣١٣) ثلثمائه وثلاثه عشر، وكانوا عَلَى أصناف أو طوائف أو فئات ثلاثه:

الفئه الأولى: المؤمنون.

الفئه الثانيه: وَهُمْ المنافقون.

الفئه الثالثه: وَهُمْ الَّذِيْنَ فِى قلوبهم مَرَضٌ.

والفئه الثَّانيه والثالثه ليستا بمؤمنين، وَالقُرآن الكريم مَيَّزَ بينهما وجعلهما فئتين لا فئه واحده وَذَلِكَ:

أمَّا المنافق: فَهُوَ الذى يُظهر شيئاً ويُبطن آخر كالنفق.

وأمَّا الَّذِيْنَ فِى قلوبهم مرض: فَقَدْ تكفّلت سوره المُدّثر(١) ببيان

١- (٢) قِيلَ إنَّها رابع سوره نزلت فِى أوائل البعثه.

أوصافهم وأنَّ هُنَاك فئه مِنْ الصّحابه الَّذِيْنَ أسلموا فِى أوائل البعثه، فيهم فئه خطيره جدّاً تسمّى فئه الَّذِيْنَ فِى قلوبهم مَرَضٌ، ويُنبئنا القُرآن الكريم عَنْ وجود أدوار خطيره جدّاً مَرَّ بها الإسلام، وَكَانَتْ هَذِهِ الفئه هِىَ السبب فِى انتكاسته فِى بَعْض المواضع.

ولا يُقَال: أنَّ هَذِهِ ملفات تأريخيه مكتوبه مِنْ قبل طائفه معيّنه.

الجواب: أنَّهُ ننظر إلى جواب القُرآن كيف يصف هؤلاء الَّذِيْنَ فِى قلوبهم مَرَضٌ بقوله تَعَالَى: (وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النّارِ إِلاّ مَلائِكَةً وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلاّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً وَ لا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكافِرُونَ ما ذا أَرادَ اللّهُ بِهذا مَثَلًا كَذلِكَ يُضِلُّ اللّهُ مَنْ يَشاءُ...)١ .

كَذَلِكَ جاء وصف هؤلاء فِى قوله تَعَالَى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ (٢٢) أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمى أَبْصارَهُمْ (٢٣)٢ .

بتقريب: إنَّ هؤلاء الَّذِيْنَ فِى قلوبهم مَرَضٌ إنِ استلموا زمام الأُمُور ستكون النتيجه هُنَاك فسادٌ فِى الأرض.

وهكذا قوله تَعَالَى: (فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً)۱ .

وقوله تَعَالَى: (فَتَرَى الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ)۲ .

وقوله تَعَالَى: (إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ)۳ .

وقوله تَعَالَى: (وَ أَمَّا الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَ ماتُوا وَ هُمْ كافِرُونَ (۱۲۵)۴ .

وقوله تَعَالَى: (وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللّهُ وَ رَسُولُهُ إِلاّ غُرُوراً (۱۲)۵ .

وقوله تَعَالَى: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِی الْمَدِينَهِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ)۶ .

وقوله تَعَالَى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللّهُ أَضْغانَهُمْ (۲۹)۷ .

ولذلك يخاطب القُرآن نساء النَّبِیّ صلى الله عليه وآله: (يا نِساءَ النَّبِیِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ

مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِی فِی قَلْبِهِ مَرَضٌ)١ .

بتقريب: إنَّ عدسه القُرآن والعين الرقابيّه فيه بيَّنت أنَّ هؤلاء الصّحابه الَّذِيْنَ فِی قلوبهم مَرَضٌ هُمْ ممّن لهم ذهاب وإيّاب داخل بيت النَّبِیّ صلی الله علیه وآله ويتحدّثون مَعَ زوجات النَّبِیّ صلی الله علیه وآله، وأمَّا المسلم الذی هُوَ مِنْ أقاصی البلاد فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ ذهاب وإيّاب داخل بيت النَّبِیّ صلی الله علیه وآله وَعَلَيْهِ فلا يَكُون خطاب القُرآن موجّهاً إليه.

وَمِنْ الواضح أنَّ القُرآن الكريم يُفصّح عَنْ حقائق كثيره بشرط أنْ لا تحجبنا أسباب النُّزول المُزيّفه والمُلفَّقه عَنْ مفاد ظاهر القُرآن البيِّن، فَإِنَّ كثيراً مِنْ روايات أسباب النُّزول اخْتُلِقَتْ ودُلِّسَتْ وزُيِّفت وكُتِبَتْ بأقلام مأجوره لحجب حقائق القُرآن بدل أنْ تكون مفصّحه مبيِّنه لحقائقه، وليست المشكله فِی أخذ أحد محققی الخاصّه بروايات أسباب النُّزول أخذ المُسلَّمات وَمِنْ دون تحقيق، وَإِنَّما عُمده المشكله تكمن فِی أنَّ هُنَاك خطّه أو مؤامره حيكت وأُحْبِكَتْ مِنْ قبل الأمويين والعباسيين وأتباع الطرف الآخر لحجب أنوار القُرآن والتشويش عَلَيْهَا لئلا يُبصرها أجيال المسلمين، وَهَذِهِ هِیَ المصيبه العُظمی مِنْ حجب أنوار القُرآن عَنْ عموم المسلمين والمؤمنين.

وَعَلَيْهِ فلو رجعنا إلی ذَلِكَ فِی آيه ۴۹ مِنْ سوره الأنفال: فَإِنَّها تُشير إلی

الحقائق الَّتِی یُنادی بها القُرآن مَعَ أنَّ هَـذِهِ الحقائق خطیره جـدّاً حول الصـدر الأوَّل مِنْ تأریـخ الإسـلام، وحول مشـهد عظیم مِنْهُ یرتسم بنـاء الإسـلام، علمـاً أنَّ العـدسه القُرآنیّه تلاـحق هؤلاء الَّذِیْنَ وُصِـفوا بوصف: (فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) کَمَا حَقَّقَ هَـذَا المطلب بَعْض کبار مُحقّقی الخاصّه، وأنَّ هؤلاء موجودون مُنْـذُ أوائل البعثه النبویّه وأوائل بـذره الإسـلام، وَیَـدُلّ عَلَیْهِ قوله تَعَالَی: (یا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ (۱) قُمْ فَأَنْذِرْ (۲)۱ .

بتقریب: أنَّ هؤلاـء یسـتمر وجودهم إلی مـا بَعْـدَ رسول الله صـلی الله علیه وآله؛ لِـأنَّ القُرآن أعطی لنـا صوره واضـحه وجلیّه عَنْ الأحـداث الَّتِی سـتقع بَعْـدَ وفـاه رسول الله صـلی الله علیه وآله وحَـذَّرنا مِنْ فِئهٍ خطیره(فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) فمـا بالک هل تریـد أنْ نَغُضَّ الطرفَ عَنْ مثل هؤلاء وَلَمْ نذکر روایات أهل البیت علیهم السـلام الَّتِی بیَّنت أنَّ القُرآن یُبیِّن حقائق ویبقی هؤلاء المُلفِّقون یصولون لوحدهم فِی ساحه التّفسیر وأسباب النُّزول مِنْ دون رَدعٍ(أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْکِتابِ وَ تَکْفُرُونَ بِبَعْضٍ)۲ .

والخلاصه: مِنْ کُلّ هَذَا أنَّ هَذِهِ الآیات المُبَارَکه وغیرها لو تتبعناها بدقّه سوف ترسم لنا خارطه قرآنیه عظیمه وعجیبه الترکیب.

هَذَا کُلَّهُ ببرکه اسـتعانه الباحث الکریم بالتنبیهات الَّتِی تُشـیر إلیها روایات أهل البیت علیهم السلام فِی أسباب النُّزول، لا أنْ نأخذ بها مِنْ باب التعبّد

الظنى المُبهم، بَلْ مِنْ باب انكشاف العلم مِنْ بياناتهم وإرشاداتهم عليهم السلام؛ فَإنَّ الباحث فِى تفسير القُرآن حَتّى لو كَانَ لا يؤمن بحجيّه أهل البيت عليهم السلام - والعياذ بالله - إلَّا أنَّ مراجعه بيانات أهل البيت عليهم السلام تلفته إلى وجود حقائق فِى القُرآن أُسْدلت الستار عَلَيْهَا السّلطات الظالمه والمُتسلطه عَلَى رقاب المسلمين وغيرهم لأجل تعميه أجيال المسلمين.

عدم استسهال بحث قَاعدِه أسباب النُّزول:

ولذا فَإنَّ بَعْض روايات أسباب النُّزول المُلفَّقه والمُزيّفه رُويت لتعميه حقائق القُرآن وأثّرت أثرها السلبى وبشكل كبير جعلت بَعْض مُحققى الخاصّه يتأثر بالمنهج الأموى مِنْ حَيْثُ يشعر أو لا يشعر؛ ولذا ينبغى علينا جميعاً أنْ لا نستسهل بحث قَاعدِه أسباب النُّزول وتمحيصها والرجوع إلى مصادرها وطرقها وتدقيقها وتحقيقها.

ولذا نواجه مشكله أُخْرَى أنَّهُ حَتّى فِى تدوينات بَعْض عُلَمَاء الخاصّه سواء الفقهيّه وغيرها تأثّرت بالشاكله الموجوده فِى مدرسه الطرف الآخر، وَهَذَا بالتالى أدّى إلى الوقوع فِى كثير مِنْ الأخطاء فِى البُنى الفقهيّه المُتبناه مِنْ قبل البعض.

هَذَا بحث علمى لابُدَّ مِنْ عرضه عَلَى الثّقلين - مُحكمات الكتاب وأهل البيت عليهم السلام - لكى تمَحَّص الحقيقه أكثر فأكثر.

ثمَّ أنَّهُ لابُدَّ مِنْ التنبيه عَلَى أمر مهم ألا وَهُوَ أنَّ بَعْض الَّذِيْنَ فِى قلوبهم

مَرَض قالوا كيف هؤلاء المسلمون السُّذَّح والبُسطاء أخرجهم دينهم الذى جاء به النَّبِىّ صلى الله عليه وآله لمواجهه قريش الكافره والمُدجّجه بالسِّلاح وَالَّتِى تفوقهم عِدَّه وعدداً، علماً أنَّ هؤلاء المسلمون يعتقدون بأنَّ دينهم يمتلك أكبر قدره أزليّه وَعَلَيْهِ كيف يصف هؤلاء الَّذِيْنَ فِى قلوبهم مرض اعتقاد المسلمين بدينهم أنَّهُ اغترار.

مُضَافاً إلى أنَّ صريح القُرآن يقول: (وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللّهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلِّ شَىْ ءٍ قَدْراً (٣)١ و(إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هؤُلاءِ دِينُهُمْ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩)٢ .

وفعلاً تحقّق النّصر الإلهى الذى وَعَدَ النبىّ المسلمين به فِى معركه بدر، خلافاً لما توهّمه القائل مِنْ الصحابه لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله أنَّها قريش وخُيلائها ما آمنت مُنْذُ أنْ كفرت ولا ذلّت مُنْذُ عَزَّت، وَلَمْ تخرج أَنْتَ عَلَى هيئه الحرب(١).

وبعضهم قَالَ: يا رسول الله أنَّ قريشاً مُضَافَاً لمّا تَقَدَّمَ أنَّها لَمْ تُسلِّم عِزَّها أبداً ولتُقاتلنَّك فاتهب لذلك أهبته وأعدَّ لذلك عِدَّته(٢).

١- (٣) المغازى لابن إسحاق: ج ٢، ص ٢٦٦.

٢- (٤) الواقدى: ج ١، ص ٤٨؛ وصحيح مسلم: ج ٥، ص ١٧٠؛ والبدايه والنهايه لابن الأثير: ج ٣، ص ٢٦٣؛ وَالسِّيره النبويه لابن كثير: ج ٢، ص ٣٩٤.

بخلاف ما قاله المقداد بن الأسود الكندى لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله إنَّا قَدْ آمنّا بك وصدَّقناك، وشهدنا أنَّ ما جئت به مِنْ حقٍّ مِنْ عِنْدَ الله، ولو أمرتنا أنْ نخوض جمر الغضا - والغضا شجر صلب الأخشاب يتقد طويلاً - وشوك الهراس - الهراس شجر شائك - لخضنا معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى:... فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدُونَ ، ولكن نقول: اذهب أَنْتَ وربُّك فقاتلا- إنَّا معكما مقاتلون - فجزّاه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله خيراً، ومرجع الضمير (غرَّ هؤلاء) بحسب تركيب الآيه يعود إلى المنافقين وَالَّذِيْنَ فِى قلوبهم مرض، وفِى هَذَا البحث ملفات أمنيه وتأريخيه وسياسيه خطيره جدّاً لا يقوى أحدٌ عَلَى فتحها إلَّا بما وَرَدَ مِنْ تعليمات مِنْ أهل البيت عليهم السلام، وَهَذِهِ التعليمات لا يُلْزَم الأخذ بها مِنْ باب التعبُّد الظنّى وَإنَّما مِنْ باب الإرشاد وإلفات النظر لِأنَّ مبدأ مدرسه أهل البيت عليهم السلام قائمٌ فِى أساسه عَلَى العلم والبيان.

النموذج الثالث: قوله تَعَالَى: (ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتّى يُثْخِنَ فِى الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا ... لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ ... إِنْ يَعْلَمِ اللّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)١ .

بتقريب: إنَّهُ حسب أسباب النُّزول المُلفَّقه والمزعومه وَرَدَتْ روايات لديهم - العامَّه - زعم أنَّ مفاد هَذِهِ الآيات المُبَارَكه مِنْ سوره الأنفال هُوَ: -

أولاً: عتابٌ للنبى صلى الله عليه وآله مِنْ الله وَأَنَّهُ لماذا لَمْ يقتل الأسرى.

ثانياً: أنَّ موقف النَّبِيّ صلى الله عليه وآله كَانَ خطأً فِى هَـذِهِ الواقعه، وأنَّ موقف الثَّانِى الـذى أشار عَلَى رسول الله صـلى الله عليه وآله بقتل الأسرى هُوَ الصّواب.

وإنْ كَانَ بعضهم احتمل فِى أسباب النُّزول أنَّ الآيات المُبَارَكه فصَّلت بين حالتين:

الحاله الأولى: يُخَيَّر المُسلم المقاتل بين قتل الأسير وأسره فِى ما إذَا كَانَتْ الدوله الإسّلاميَّه ثابته وقويّه.

الحاله الثانيه: يُقتل الأسير إذَا لَمْ تكن الدوله الإسّلاميَّه قويّه، والسِّر فِى ذَلِكَ هُوَ إلقاء الرعب.

ورُتِّب عَلَى هَذِهِ الرُّوايات لأسباب النُّزول المُلفَّقه أُمُور عقائديه خطيره جدّاً.

مِنْهَا: فتح باب أنَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله يجتهد ويخطئ، وَهُوَ باب عجيب وكيف يجمعون بين هَـذَا الإدّعاء وآيات القُرآن المادحه بالعصمه للنبى صلى الله عليه وآله بالتدبير والآمِرَه بإطاعته مثل(قُلْ أَطِيعُوا اللّهَ وَ الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا...)١ .

وقوله تَعَالَى: (وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)٢

وقوله تَعَالَى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (۱) وقوله تَعَالَى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۱)۲ وقوله تَعَالَى: (وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ)۳ .

ولنا أنْ نوجِّه سؤالاً لأصحاب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقه: - هل فِي القُرآن تناقض وارتباك بين آياته أو لا؟ فَإِنَّ أجابوا: بنعم، فأيهما أحقّ بالإتباع: القُرآن الذى يقول: (كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (۱)۴ وقوله تَعَالَى: (وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ (۴۱) لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (۴۲)۵ .

أم هُمْ أحقُّ بالاتّباع وأنَّهم بشرٌ وليسوا بمعصومين مِنْ الوقوع بالخطأ؟

وَبَعْدَ اتّضاح هَذِهِ المقدمه: - نسأل كيف يُجْمَع بين قوله تَعَالَى: (أَطِيعُوا اللّهَ وَ الرَّسُولَ) و(لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) وبين تقديم اعتراض الصّحابى عَلَى رسول الله؟

الجواب: كيف يصحّ هكذا تلفيق ظاهر وواضح للعيان فِي منظومه

۱- (۱) سوره النساء: الآيه ۵۹.

القُرآن، علماً أنَّ نفس أصحاب أسباب النُّزول المُلفَّقه يروون فِي كتب التفسير أنَّهُ فِي سوره الحُجرات: - أنَّ الأوَّل والثانى هلكا بسبب تقدّمهما عَلَى الله ورسوله لولا أنَّ يتوبا، أىّ أنَّ التقدم عَلَى الله ورسوله صلى الله عليه وآله منهىٌّ عَنْهُ، وَعَلَيْهِ فكيف يُصادق القُرآن مَرَّه أُخْرَى تصويب موقف الصّحابى الثَّانِى وتخطئه موقف رسول الله صلى الله عليه وآله - وحاشاه صلى الله عليه وآله مِنْ الخطأ - وهل هَـذَا معناه أنَّ منظومه القُرآن قَدْ حصل فيها ارتباك وإرباك لا سامح الله بمثل هكذا دعاوى فِي أسباب النُّزول المُلفَّقه؛ ولذا ذكرنا مراراً أنَّ أحد المناهج المُهِمَّه لتمحيص روايات أسباب النُّزول هُوَ مجموعه منظومه محكمات القُرآن الكريم لا الاقتصار عَلَى مفاد الآيات النازله.

ثمَّ أنَّهُ لابُدَّ مِنْ الالتفات إلى أنَّ ما وَرَدَ فِي الآيه المُبَارَكه مِنْ الأسرى ملاحظه مَنْ هُمْ الأسرى الَّذِيْنَ أشار الخليفه الثَّانِى عَلَى النَّبِىّ صلى الله عليه وآله بقتلهم؟

حَيْثُ كَانَ ضمن الأسرى العباس بن عبدالمطلب وعقيل بن أبى طالب عليه السلام إذْ أسرهما أبو اليَسْر الأنصارى وجاء بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فَقَالَ لَهُ رسول الله صلى الله عليه وآله هل أعانك عَلَيْهِ أحدٌ؟ قَالَ أبو اليَسر: نعم رجلٌ عَلَيْهِ ثياب بيض، فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وآله ذاك مِنْ الملائكه، ثمَّ قَالَ العبّاس لرسول الله صلى الله عليه وآله: - يا رسول الله قَدْ كُنْت أسلمتُ ولكن القوم استكرهونى، فَقَالَ لَهُ رسول الله صلى الله عليه وآله: إنْ يكن ما تذكر حقّاً فَإنَّ الله يجزيك عَلَيْهِ... الخ.

ثمَّ قَالَ رسول الله لعقيل بن أبى طالب: - يا أبا يزيد قَدْ قتل الله أبا جهل بن هشام، وعتبه ابن ربيعه، وشيبه ابن ربيعه، ونبُيه ومنبه ابنى الحجّاج، ونوفل

بن خويلد، وسُهيل بن عمر، وفلاناً وفلاناً، فَقَالَ عقيل: - فإنْ كُنْت قَدْ أثخنت القوم إذاً لا تُنازع فِي تُهامه وَإلَّا فاركب أكتافهم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله مِنْ قوله(١).

وَمِنْ هَذَا يُعْلَم أنَّ العباس بن عبدالمطلب كَانَ مُسلماً لكنَّه خفى إسلامه وأوتى به مُرْغماً للحرب، وهكذا عقيل بن أبى طالب عليه السلام، علماً إنَّ موقف عقيل كَانَ مُتضامناً مَعَ النَّبِىّ صلى الله عليه وآله، وَعَلَيْهِ فما هِىَ الأغراض الَّتِى تقف وراءها أسباب النُّزول المُلفَّقه مِنْ قتل هؤلاء الأسرى، وَكَانَ بضمنهم مسلمون، أفهل يجوز قتل المسلم المُكْرَه عَلَى المجىء لأرض المعركه مِنْ دون أنْ يُقاتل؟!.

هَذَا مُضَافاً إلى الآيه المُبَارَكه لَيْسَ الخطاب فيها خاص بالنبى صلى الله عليه وآله(ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا)٢ وَعَلَى فَرْض شمول خطاب(تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا)٣ الآيه للنبى صلى الله عليه وآله، فَإنَّهُ تَقَدَّمَ أنَّ صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله البدريين عَلَى طوائف ثلاثه: - طائفه مؤمنه، وَأُخْرَى منافقه وثالثه فِي قلوبهم مرض، وهؤلاء المنافقون وَالَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ يُريدون عَرَض الحياه الدُّنْيَا والله يُريد الآخره والله عزيز حكيم.

١- (١) مجمع البيان للطبرسى: ج ۴، ص ٨١٢؛ سيره ابن هشام: ج ٢، ص ٣٩٨؛ والمغازى للواقدى: ج ٢، ص ١٢٥.

والنكته المُهِمَّه الَّتِی نُرید التنبیه عَلَیْهَا هُوَ أنَّ الخطاب فِی الآیه المُبَارَکه لَیْسَ موجّهاً إلی رسول الله صلی الله علیه وآله وَأنَّهُ صلی الله علیه وآله لَیْسَ مشمولاً بالخطاب، وَهُوَ الصحیح حسب أسباب النُّزول الصحیحه والوارده عَنْ طریق مدرسه أهل البیت علیهم السلام، وَهَذَا بخلاف ما ذکرته أسباب النُّزول المُلفَّقه مِنْ شمول الآیه المُبَارَکه لرسول الله صلی الله علیه وآله.

وهل یا تری أنَّ رسول الله صلی الله علیه وآله یُریدُ عَرَض الحیاه الدُّنْیَا؟! - والعیاذ بالله - إلَّا أنَّهُ وبحسب أسباب النُّزول الصحیحه والوارده عَنْ أهل البیت علیهم السلام أنَّهُ توجد عِدَّه قرائن دامغه حالیه ومقالیّه تُدحض ما تدّعیه أسباب النُّزول المُلفَّقه، عَلَی أنَّ المُخاطب فِی آیه(تُرِیدُونَ عَرَضَ الدُّنْیا) هُمْ المسلمون فَقَطْ مِنْ دون شمولها للرسول صلی الله علیه وآله وَهِیَ:

القرینه الأولی: قوله تَعَالَی(لَوْ لا کِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّکُمْ فِیما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ (۶۸)۱ .

بتقریب: إنَّ الله تَعَالَی لا یُعَذِّب الأُمَّه الَّتِی فیها رسول الله صلی الله علیه وآله بدلیل صریح قوله تَعَالَی(وَ ما کانَ اللّهُ لِیُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِیهِمْ)۲ وَعَلَیْهِ فَالنَّبِیّ صلی الله علیه وآله مصدر رحمه وعدم معاجله العقوبه مِنْ الله سُبْحَانَهُ إلی المسلمین البدریین، ولهذه الأُمَّه هُوَ کرامهٌ لرسول الله صلی الله علیه وآله، وَالمُرَاد مِنْ(لَمَسَّکُمْ) أیّ لعُجِّلت علیکم العقوبه وَلَمْ یعجل العقوبه ببرکه وجود الرسول صلی الله علیه وآله

بينكم.

ولا يعنى هَذَا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله هُوَ المُعاتب ومشمول للآيه.

حكم الأسارى:

الرسول صلى الله عليه وآله مُخيَّرٌ بين الفداء أو المن:

بحث هام مرتبط بالآيه المُبَارَكه(ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتّى يُثْخِنَ فِى الْأَرْضِ...)١ .

بتقريب: أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله يمكن أنْ يَكُون لَهُ أسرى حسب قانون الجيش والعسكر والحروب، ويَتعامل صلى الله عليه وآله مَعَ الأسرى بَعْدَ أنْ تضع الحرب أوزارها - أىّ سلاحها - ويُلقى العدوّ سلاحه ويُظفر به، وَهُنَا - القائد وَهُوَ رسول الله صلى الله عليه وآله الذى لديه أسرى مِنْ الطرف الآخر المشركين - مُخيَّرٌ بين الفداء أو المن«إمَّا فداءاً أو منّاً»(١) هَذَا كُلَّهُ بحسب أسباب النُّزول الصحيحه.

إلَّا أنَّهُ حسب أسباب النُّزول المُلفَّقه والمزعومه فسَّروا الآيه(حَتّى يُثْخِنَ فِى الْأَرْضِ) بمعنى أنَّهُ ما دام الإسلام فتىٌّ وَلَمْ يقوِّ شوكته بَعْدُ وَلَمْ ينتشر فِى الأرض فَلابُدَّ مِنْ قتل الأسير. وَهَذَا ما يُبطله القُرآن فِى سوره محكمه أُخْرَى(فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ

١- (٢) سوره مُحمَّد: الآيه ۴.

فَإِمّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمّا فِداءً حَتّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها)١ .

بتقريب: أنَّ موضوع الآيتين المحكمتين واللّتين هُمَا مِنْ أُمهات الآيات المُحكمه واحد ومتطابق وَهُوَ القتال - بحسب أسباب النُّزول الصحيحه - وَهُوَ لا أسر إلَّا بَعْدَ الإثخان، وَهَذِهِ الآيه الثَّانيه(حَتّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ...) جعلت للأسر حَدَّاً وَهُوَ فيما إذَا أثخنتموهم أىّ أكثرتم فيهم القتل والقتلى وتمكّنتم منهم وظفرتم بهم واستسلموا وألقوا أسلحتهم، مِنْ هُنَا يبدأ قانون الأسر وكيفيه التعامل معه حسب هَذِهِ الآيه إمَّا فداءاً أو مَنّاً، وَلَمْ تتعرض لمسأله قتل الأسير بَعْدَ الإثخان وَهُوَ كنايه عَنْ انتهاء الحرب.

وَعَلَيْهِ فالآيه صريحه بعدم جواز قتل الأسير بَعْدَمَا ذكرت الآيه المُبَارَكه حكم الأسير وَهُوَ إمَّا الفداء أو المن.

إذْ لو دقّقنا فِى الآيه المُبَارَكه(فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ) بأنَّ هَذَا القتل لَهُ غايه، وَهِىَ(حَتّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ) بتقريب: أنَّ مفاد الإثخان فِى القُرآن هُوَ كنايه عَنْ انتهاء الحرب إذَا ظفرتم بهم.

إذَنْ الآيه المُبَارَكه بيَّنت نكتهً لطيفهً وَهِىَ أنَّ ضرب الرِّقاب لَيْسَ مُطلقاً وَإنَّما لَهُ غايه مُحدَّده وَهِىَ فتره انتهاء الحرب، هَذَا بحسب أسباب النُّزول، وَإنَّما لَهُ غايه مُحدّده وَهِىَ فتره انتهاء الحرب، هَذَا بحسب أسباب

النُّزول الصحيحه، بخلاف ما ذكرته أسباب النُّزول المُلفَّقه مِنْ أنَّ فتره قتل الأسرى تمتد وتستمر إلى ما بَعْدَ انتهاء المعركه، بينما الاستمرار غَيْر مذكور فِي سوره الأنفال: (ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ)١ ، بَلْ التقيّد هُوَ بالإثخان فِي الأرض وَمَعْنَى الإثخان قَدْ ذكر فِي سوره مُحمَّد، وَهُوَ وضع الحرب أوزارها، وَمِنْ ثمَّ حاول بعضهم أنْ يرتكب دعوى النسخ بين السور – أىّ سوره مُحمَّد ناسخه لسوره الأنفال.

ويدفعه:

أولاً: أنَّ المذكور فِي سوره مُحمَّد صلى الله عليه وآله أيضاً هُوَ لفظ الإثخان كفايه كَمَا ذُكِر، لفظ(تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها) تفسير لَهُ – للإثخان.

ثانياً: إنَّ الإقرار بالنسخ يدفع ما يبنى عَلَيْهِ العامّه فِي فقههم مِنْ جعل غايه الجهاد الابتدائى هُوَ قتل الكافر إلَّا أنْ يسلم وإنْ لَمْ يكن محارباً ولا مُعتدياً فَإنَّ الأسير الكافر بَعْدَ انتهاء الحرب لا يُقتل عَلَى القول بالنسخ وإنْ لَمْ يُسْلم، بَلْ عَلَى القول بالنسخ يَكُون غايه الحرب فِي الجهاد الابتدائى هُوَ أسْلَمت النظام السياسى لا أسلمت العقيده.

ثالثاً: أنَّ النسخ لا يتلائم مَعَ لحن مفاد آيه الأنفال مِنْ كون ذَلِكَ سنه إلهيه لا تقبل التبديل والتحويل، كَمَا هُوَ مفاد قوله تَعَالَى: (ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ...)٢ .

فتحصل: أنَّ الإقرار بالنّسخ يستلزم الحكم بزيف أسباب النُّزول المزعومه عندهم مِنْ الاشتغال بتأسير الأسرى والحرب قائمةٌ فعلاً لَيْسَ صحيحاً؛ لِأنَّ هكذا فعل فيه تعريض للمسلمين بالهزيمه؛ لأنهم سينشغلون بشأن الأسرى وَإنَّما الآيه تحثّ المسلمين عَلَى مواصله القتال وعدم الانشغال صوب الغنائم حَتّى تنتهى الحرب، وعدم أخذ أسير أثناء قيام المعركه.

مُضَافَاً إلى أنَّ سوره الأنفال لَيْسَ فيها مفاد لا تأسرون الأسير بَعْدَ الإثخان وَإنَّما فيها نهىٌ عَنْ أسر الأسير قبل الإثخان - أىّ قبل انتهاء الحرب - وَعَلَيْهِ فالآيه المُبَارَكه تنهى عَنْ التأسير أثناء الحرب لا أنَّهُ لماذا لَمْ يُقتل الأسير بَعْدَ الحرب.

إذَنْ أيُّهَا الباحث الكريم انظر بعين الإنصاف إلى أسباب النُّزول المُلفَّقه كيف قلبت المعانى اللّغويّه للألفاظ، بَلْ وقلبت تركيب الظّهور للآيه المُباركه وظلّت مقلوبه فِى أذهان جمله مِنْ المُفَسِّرين والأجيال، ولا يُظن أنَّ التّلاعب والتّدليس والاختلاق مختص بِهَذَا المورد مِنْ معانى الألفاظ للآيات القُرآنيّه، بَلْ جرى مِنْ السقيفه وبنى أُميّه وبنى العباس ما جرى إلى حدٍّ أشبع العقل الإسلامى والذهنيّه الإسلاميّه بشكل مقلوب عَنْ آياتٍ كثيره، إلَّا أنَّ الموكب يسير سَرَحٍ وغفلهٍ عَنْ هَذَا، إلَّا أنَّ الباحث الكريم إذَا تروّى قليلاً بألفاظ الآيه فَإنَّهُ سوف يدّق عنده جرس التنبيه، لا سيما بَعْدَ مراجعه المتبّه الرئيسى فِى هَذَا المجال ألا وَهِىَ روايات أهل البيت عليهم السلام، فَإنَّها ذكرت أنَّهُ بَعْدَ انتهاء المعركه لا قتل للأسير، وماذا تصنع أسباب النُّزول

المُلفَّقه بالآيه(فَإِمّا مَنًّا بَعْدُ) أىّ بَعْدَ انتهاء الحرب«أو فداء» للأسير يُستفاد مِنْهُ مالياً.

وَعَلَيْهِ فالعتاب الشديد الموجود فِى الآيتين المُباركتين(١) مُوجَّه وبشكل واضح إلى المسلمين لا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، إلَّا أنَّ أسباب النُّزول المُحرَّفه المزعومه ثبتت وللأسف الشديد عَلَى هَذَا المطلب عدم عصمه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله، وأنَّ النَّبِىّ يخطأ كَمَا يخطأ المجتهدون - وحاشاه مِنْ ذَلِكَ - وأنَّ موقف الثَّانِى كَانَ عَلَى صواب... الخ.

كُلّ كافر عِنْدَ مدرسه العامه مهدور الدم:

هَـذَا مُضَافَاً لمـا تَقَـدَّمَ إلى أنَّ كُلّ كافر عِنْـدَ مـدرسه العامّه مهـدور الـدم ولو لَمْ يكن عـدوانياً ولا حربياً وَكَانَ مهادناً، فَإنَّ هَـذِهِ المسأله ليست بالسّهله فَإنَّ لهـا حسابهـا الخاص بالوضع الرّاهن فِى العصـر الـذى نعيشه، فِى حين أنَّ هُنَاك مَنْ يتبنى أنَّ الكافر المهـدور الـدم هُوَ الحربى أىّ المُعتـدى العـدوانى فَقَـطْ، وأمَّا الكـافر المهادن والمسالم والـذى يُريـد أنْ يعيش بسـلام وأمان مَعَ المسلمين فَهُوَ لَيْسَ مهدور الدم.

وَهَذَا يعكس فلسـفه الجهاد وفلسـفه التّوسّع فِى بقعه بلاد المسـلمين والفارق بين المدرستين مدرسه السّقيفه ومدرسه أهل البيت عليهم السلام.

وَعَلَيْهِ ينبغى الالتفات إلى أنَّ نشوء بَعْض الحركات والأحزاب

١- (١) سوره الأنفال: الآيه ٦٧؛ سوره مُحمَّد: الآيه ۴.

والتيارات المحسوبه عَلَى الإسلام بهذه الأعمال الوحشيّه والممارسات الغريبه الَّتِى لَيْسَ لها شعار سوى القتل والتهجير والإقصاء والتهميش فِى شرق الأرض وغربها، لَيْسَ مِنْ باب الصّدفه، وَإِنَّما أتت هَذِهِ الحركات المشوِّهه لصوره الإسلام مِنْ المستندات الَّتِى اتّبعوها مِنْ أوَّل الأمر، بخلاف مدرسه أهل البيت عليهم السلام، وَهِىَ المدرسه الوحيده الَّتِى ترعى عدم جواز قتل الأسير بَعْدَ انتهاء الحرب.

وَلَمْ ينظر الإسلام إلى الأسير أنَّهُ قبل انتهاء الحرب كَانَ عدوّاً، والآن وَبَعْدَ أنْ وقع بالأسر وأوثق كتافاً سُلبت مِنْهُ العدوانيّه بَعْدَ انتهاء الحرب، وَمَعَ ذَلِكَ يتكرم عَلَيْهِ بالمَنَّ أو الفِداء.

فانظر إلى رحمه ورأفه الإسلام مَعَ هَذَا الذى كَانَ عدوانياً، فكيف بمن لَمْ يكن عدوانياً أصلاً كَمَا فِى النَّاس المدنيين والعُزَّل عَنْ السّلاح، فبأىِّ حقّ تهريق دمه.

ولذا صدور هكذا تصرفات سوداويه وعنجهيّه تصدر مِنْ بَعْض ما يحسب عَلَى الإسلام سواء كَانَ بفتح أو غزو أو حرب أو غيرها تقف سدّاً عَنْ انتشار النّور الشفيق للقُرْآن وَالنَّبِىّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، فَإِنَّهُ بحسب اصطلاحات علم القانون الحديث: أنَّ للحرب ضوابط وقوانين أخلاقيّه وأعراف إنسانيه مِنْ عدم الغدر وعدم الغيله وَغَيْر ذَلِكَ وَمَعَ عدم مراعاتها يصبح مُفْسِداً فِى الأرض.

فتحصَّل مما تَقَدَّمَ أنَّ أسباب النُّزول المزعومه المُزيَّفه للآيات القُرآنيه

تقلب معانى ألفاظ الآيات وفيها نوع مِنْ التلاعب الخطير فِى الـذّهنيه الإنسانيه والذى هُوَ نوع مِنْ التسـخير الفكرى الكاذب الذى لا يشـعر به الإنسان؛ ولذا يجب عَلَى الباحث الكريم التوثّق مِنْ أسـباب النُّزول فَإِنَّهُ أمر مصـيرى للغايه وإنْ كَانَ بعضهم ينظر إليها نظرةً هينه متساهلاً ـ فيها إلَّا أنَّ الواقع أنَّها عظيمه فِى التأثير، لِإِنَّهُ إذَا أخـذت روايات أسـباب النُّزول مِنْ دون توثق فَإِنَّها ترسم لك صوره وموقفاً مُعيّناً ولعلّك تُسْحَر به إلَّا أنَّهُ بَعْدَ التّحقيق تجد أنَّ كُلّ شىء فيها مقلوب وأنَّ العكس هُوَ الصحيح، ولذا ينبغى أخذ الحيطه والحذر مِنْ أوَّل الأمر.

والخلاصه: أنَّ أسباب النُّزول المُلفَّقه تجوّز بَلْ توجب قتل الأسير فِى بَعْض الحالات كَمَا فِى حاله عدم انتشار الإسلام فِى الأرض وضعفه وعدم اشتداد أمره، ولذا يُقتل الأسير لأجل إلقاء الرُّعب فِى قلوب الكفّار والمشركين.

وَهَـذَا بخلاف منهاج مـدرسه أهل البيت عليهم السـلام بَعْـدَمَا تقدّمت الآيتين المباركتين(١) فَهُمَا صـريحتان فِى عـدم جواز قتل الأسـير بَعْـدَ وضـع الحرب أوزارهـا فَـأمَّا فـداءً أو مَنَّاً، ومـا ذكرته أسـباب النُّزول المُلفَّقه إلَّا قلب للحقـائق وإشـباع العينين بـأمواج روايات مُزيّفه كى تكون حجاباً عَنْ إبْصَار معانى ألفاظ الآيات المُبَارَكه، وَلَهُ موارد كثيره ولسنا بمُبالغين فِى ذَلِكَ.

وَهُنَاك تساؤل يدور فِى الأذهان وَهُوَ: ما هِىَ النسبه بين الآيتين المُباركتين

١- (١) سوره الأنفال: الآيه ٦٧؛ وسوره مُحمَّد: الآيه ۴.

(ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكونَ لَهُ أَسْرى حَتّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَ اللّهُ يُرِيدُ الْآخِرَهَ وَ اللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۶۷)۱ وبين قوله تَعَالَى: (فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ فَإِمّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمّا فِداءً...)۲ هل النسبه نسبه النّاسخ والمنسوخ أم التّوافق أم التباين أم غَيْر ذَلِكَ؟

الجواب: اختلفت كلمات المدارس الإسْلاميَّه - مدارس العامّه - فِي ذَلِكَ اختلافاً كبيراً ووقعت بحيص وبيص فِي الجمع بين الآيتين مَعَ مدرسه أهل البيت عليهم السلام، وَعَلَى أقوال أهمها: -

القول الأول: ذهبت مدرسه الخلفاء - العامّه - إلى أنَّ النسبه بينهما نسبه التباين، أىّ يوجد تدافع وتنافى وَذَلِكَ، بأنَّ سوره الأنفال تحكم بقتل الأسير، وسوره مُحمَّد صلى الله عليه وآله تبيّن أنَّ حكم الأسير بَعْدَ انتهاء الحرب عدم القتل، وبين القتل وعدمه نسبه التنافى والتعارض.

القول الثانى: إنَّ الآيه فِي سوره مُحمَّد صلى الله عليه وآله ناسخه، وفى سوره الأنفال منسوخه.

القول الثالث: عكس القول الثَّانِى بأنْ تكون سوره مُحمَّد منسوخه وسوره الأنفال ناسخه، وفيه: أنَّهُ كيف يَكُون المُتأخِّر نزولاً منسوخاً والمتقدِّم نزولاً ناسخاً، وإنْ كُنَّا لا نمنع مِنْهُ، إلَّا أنَّهُ سيأتى فِي بحث قَاعدِه النّاسخ

والمنسوخ، أنَّ الغالب وفى العاده يَكون النّاسخ هُوَ المُتأخِّر زماناً عَنْ المنسوخ، والمنسوخ مُتقدِّم زماناً.

وَهَذِهِ الأقوال الثّلاثه لمدرسه العامّه.

القول الرابع: وَهُوَ ما ذهبت إليه مـدرسه أهل البيت عليهم السـلام أنَّ بين الآيتين المباركتين تمام التّوافق وَلَيْسَ بينهما أدنى تنافى فِى المعنى، وإذا تبيَّن أنَّ بينهما - الآيتين - تمام التّوافق فسوف يتّضح جليّاً زيف روايات أسباب النُّزول المُلفَّقه فِى سوره الأنفال، وَلَيْسَ الغرض كَذَلِكَ هُوَ جنى الغنائم لِإنَّهُ كَانَ أحد أسباب الهزيمه والفشل فِى معركه أُحُد مثلاً؛ لِأنَّ الحرص والطمع والتكالب والشرَه عَلَى الغنائم - حَتّى الأسير يعتبر غنيمه والاشتغال بأسره - يُعَطِّل القتال عَنْ المقاتله؛ إنَّما الهدف الأصلى هُوَ هزيمه العدو.

والعتاب الوارد بالآيه بطلب الغنائم والأسرى وَغَيْر ذَلِكَ والحرب قائمه هُوَ أحـد أسـباب الهزيمه والفشل فِى غزوه أُحُد، بَلْ وفى كُـلّ حرب وغزوه ومعركه... الـخ فبـدلاً أنْ تنصب همّه المقاتل فِى كيفيه هزيمه الأعـداء وإيقاع الخسائر فيهم، تكون همّه بَعْض المنافقين وَالَّذِيْنَ فِى قلوبهم مَرَضٌ منصـبه عَلَى طلب عَرَض الدُّنْيَا والغنائم ويتلهون عَنْ طلب النصـر والحرب قائمه، بطلب عرض الحياه الدُّنْيَا، والله عنده مغانم كثيره، وَهَذَا كُلَّهُ بحسب أسباب النُّزول الصحيحه.

والحاصل أنَّ الآيتين فِى صـدد النَّهى عَنْ أخـذ الأُسارى أثناء الحرب والطمع فِى تأسـيرهم؛ وأنَّ حكم المقاتل أثناء الحرب يُقتل ولا يُؤسر طمعاً

بالغنائم، وليست فِي صدد قتل الأسير بَعْدَ وضع الحرب أوزارها، كَمَا تصف الآيه الكريمه أنَّ أخذ الأسير أثناء الحرب هُوَ لأجل عَرَض الدُّنْيَا أىّ الطمع فِي أخذ المقاتل أسيراً والحرب قائمه الغرض مِنْهُ الطمع فِي الغنائم وعرض الدُّنْيَا.

وَهَذَا بخلاف أسباب النزول المُلفَّقه وَالَّتِي يُروَّج فيها أنَّ سبب النُّزول كَانَ منصباً عَلَى معاتبه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله عَلَى عدم قتل الأسرى وأنَّهم لماذا كانوا عَلَى قيد الحياه، وَقَدْ انتهت الحرب ووضعت أوزارها فالمفروض يقتلون هكذا اقترح الثَّانِى.

بيان ضابطه مهمه: هُنَاك ضابطه مُهمّه بيّنتها الرُّوايات الوارده عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السلام وعمل عَلَى ضوءها مُفسِّرى الإماميه وسيأتى تفصيلها فِي مبحث قَاعده النسخ - إنَّ شاء الله تَعَالَى - ولكن نشير إليها باختصار: إنَّ الضابط فِي استعمال مصطلح النّاسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد يأتى بناءاً عَلَى وجود تنافى بين مورد النّاسخ ومورد المنسوخ، وَذَلِكَ بأنْ يُعْمَلَ بالمنسوخ زماناً قبل أنْ يأتى زمان النّاسخ ثمَّ يأتى النّاسخ، وَمَعَ وجود التّنافى بينهما فينفسخ الأوَّل، أمَّا إذَا فُرِض وجود توافق بينهما فكيف يُفرَض النّسخ مَعَ عدم تحقّق شرطه وَهُوَ التنافى؛ ولذا مَعَ الأسف الشّديد إنَّ مدرسه الطرف الآخر - العامَّه - استغلّتْ مصطلح وعَلَّقت عَلَيْهِ الكثير مِنْ الأفكار الغريبه والبعيده عَنْ منطق القُرآن الكريم لتمريرها ولصقها بالقرآن ليلتبس الأمر بذلك عَلَى أجيال المسلمين، ولتجميد مَعْنَى كثير مِنْ الآيات الَّتِي أدُعى أنَّها منسوخه بُغيه تعطيلها؛ لِأنَّ تفعيلها فيه ضرر

وخطوره عَلَى مُدّعياتهم، وفيه تداعيات سياسيّه عَلَى الأنظمه الظالمه وأصحاب المصالح والمطامع؛ ولذا خيرُ سبيل للتخلّص مِنْ هكذا تداعيات تشكل خطوره عليهم، دعواهم أنَّ هَذِهِ الآيه منسوخه يعنى معطله ولا يُعْمل بها، علماً أنَّ ادّعاء هكذا أمر خاصّه مسأله النّسخ وتعطيل مَعْنَى الآيات لَهُ تداعيات خطيره عَلَى تفسير القُرآن وَالفِقْه والعقائد وجُمله مِنْ المعارف الدِّينيه.

تنبيه هام: إنَّ مِنْ أخطر وأعظم أنواع التحريف هُوَ تحريف فَهُمْ الآيات؛ لِأنَّ مَعْنَى التحريف - هُوَ إلغاء ستار أمواج ضبابيّه عَلَى ظهور ألفاظ القُرآن كى لا يُبصر المسلمون حقائق القُرآن، وسبب عِظَم خطورته؛ لِأنَّ القُرآن أعظم مصدر للمعرفه الإسْلاميَّه وَالدِّينيه، ومثل هكذا تحريف لسبب نزول آياته معناه المساعَدَه عَلَى إيجاد خطوات ومواطئات مجهضه للعقل الإسلامى، ولعقل أجيال علميّه فاضله للبشر، وفى هَذَا دعوه للأخوه الباحثين إلى مضاعفه الجهود فِى سبيل كشف الحقائق وإزاله الستار والحجاب عَمَّا حُرِّف.

تنبيه: ينبغى التنبيه عَلَى أنَّ ما جرى فِى معركه بدر وأنَّ ما مِنْ بيتٍ مِنْ بيوت قريش إلَّا وقُتِل مِنْهُ كافر إلَّا بيت بنى هاشم والسبب هُوَ أنَّ بنى هاشم قَدْ أُوتِى بهم قهراً وقسراً وإرهاباً وإرعاباً مِنْ قريش الكافره إذْ ألجأتهم عَلَى ذَلِكَ مِنْ مَكَّه إلى المدينه لمقاتله النَّبِىّ صلى الله عليه وآله فِى واقعه بدر وَلَمْ يرفع بنو هاشم سلاحاً فِى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين ولذا أوصى النَّبِىّ صلى الله عليه وآله المسلمين بهم قبل معركه بدر أنْ يتجنّبوا بنى هاشم مثل العباس بن

عبدالمطلب وعقيل بن أبى طالب وغيرهما.

كُلّ ذَلِكَ لأجل أنَّهم لَمْ يريدوا لرسول الله والمسلمين سوءاً، بَلْ كانوا يتمنّون الظفر لرسول الله صلى الله عليه وآله عَلَى قريش، ولذا فَإنَّ مَنْ وقع فِى الأسر مِنْ بنى هاشم لَيْسَ موقفهم عدائياً مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين، وَعَلَيْهِ فما وراء طلب الثَّانِى بقتلهم؟ مَعَ أنَّهُ كَانَ قبل الحرب يطالب بعدم مقاتله كُلّ قريش.

يظهر بالتدبّر أنَّهُ لمّا خُلِقَتْ أسباب النُّزول المُلفَّقه هَذِهِ مِنْهَا وَهُوَ لأجل التغطيه عَلَى الوصمه الَّتِى وصِمَ بها بَعْض الصحابه فِى بدر بسبب موقفه العدائى لبنى هاشم، والآن تَبيَّن بعدالتدبّر والفحص أنَّ الآيه المُبَارَكه مِنْ سوره الأنفال، وَعَلَيْهِ فَإنَّ العتاب فيها لَيْسَ عَلَى بقاء الأسرى أحياء بَعْدَ انتهاء الحرب، بَلْ كَانَ العقاب عَلَى أخذ الأسرى أثناء الحرب - والحرب قائمه - ولماذا تلتهون بجمع الغنائم التى بضمنها الأسرى لان مثل هكذا أفعال وتصرّفات تُعَرِّض معسكر المسلمين للهزيمه وَلَيْسَ العتاب عَلَى عدم قتل الأسرى بَعْدَ الحرب كَمَا أدعته روايات أسباب النُّزول المُلفَّقه، وَهَذَا التحريف والتلفيق فِى أسباب النُّزول يُتعَدَى فيها مِنْ سوره الأنفال إلى سوره مُحمَّد صلى الله عليه وآله، بينما مَعْنَى الآيتين صريحٌ وواضحٌ فِى أنَّ الأسير لا يُقتل بَعْدَ انتهاء الحرب.

فلسفه الجهاد لَيْسَ الإرغام عَلَى العقيده الفرديه

أو الباطنه وقتل الأسرى:

القُرآن الكريم عِنْدَمَا يذكر فلسفه الجهاد نتيجةً لطغيان الكفّار وتمرّدهم وعصيانهم لا لأجل نفس الكفر بما هُوَ كفر كَمَا فِى الآيات المُبَارَكه:

الآيه الأولى: (الَّذِينَ عاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَ هُمْ لا يَتَّقُونَ (۵۶) فَإِمّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (۵۷)۱ .

بتقريب: أنَّ مثل هؤلاء الكُفّار فِي كذلك مَرَّه يغدرون وذوى غيله فإذا ظفرت بهم فَشَرَّد بهم، أمَّا إذَا كَانَ الكافر ذميّاً لا ينكث العهد ولا يغدر أو كَانَ مُسالماً، ففى مثل هَذَا لَيْسَ مِنْ أخلاق الإسلام وَالقُرآن أنْ تَشُنَّ عَلَيْهِ الحرب ويُقتل.

نعم، قَدْ يَكُون ذَلِكَ الكافر حاكماً ظالماً لشعبه مُستبداً ولو كَانَ الشعب كافِراً أو مُستضعفاً، نعم مِنْ غايات الجهاد الابتدائى أسلمه الأنظمه لا إلجاء الأفراد عَلَى إسلام العقائد أىّ أنَّ هدفهم حمايه المُستضعفين كَمَا هُوَ مفاد قوله تَعَالَى: (وَ ما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَهِ الظّالِمِ أَهْلُها وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً (۷۵)۲ ، فَهَذَا بحث آخر لا يُبرِّر أنْ يصوِّر الجهاد بأنه عباره عَنْ إرغام عَلَى العقيده، فَقَدْ يقول قائل: - إنَّ إثبات الشىء لا ينفى ما عداه، فَإنَّهُ مَرَّ أنَّ ذكر القُرآن لفلسفه الجهاد لَيْسَ لأجل كفر الكافر، وَإنَّما لأجل شىء أهم مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ لأجل التخوّف مِنْ ظهور بوادر الخيانه بالغدر والمباغته بالعدوان، وَهُوَ أعظم مِنْ الكفر.

الآيه الثانيه: قوله تَعَالَى: (وَ إِمّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَهً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ (۵۸) .

بتقريب: أنَّ المُرَاد بالخوف أىّ العلم فَأَنْتَ يا رسول الله وَهُمْ عَلَى سواء فِى العلم بنقض العهد، وَيَكُون المعنى إذَا كَانَ بينك يا مُحمَّد صلى الله عليه وآله وبين قوم عهد وعلمت أنَّهم خائنون بظهور أمارات قاطعه عَلَى أنَّهم يضمرون الغدر والاغتيال ويتّخذون مِنْ العهد سِتاراً فشدّد عَلَى أخذ الحيطه والحذر منهم؛ لأنَّهم يُدَّبرون مِنْ ورائه - العهد - المكر السىء فإذا كَانَ كَذَلِكَ فألقِ إليهم عهدهم واعلمهم أنَّكَ قَدْ انقضته، بحيث تكون أَنْتَ وَهُمْ فِى العلم بالنقض سواء، ولا تبدأهم بقتال قبل أنْ تعلمهم بذلك كى لا تُنْسَب إلى الغدر والخيانه(إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ) فَإنَّ الإسلام يأمر بوجود الوفاء بالعهد لأهل الوفاء، أمَّا الَّذِيْنَ يتّخذون مِنْ العهد وسيله للغدر والخيانه فَإنَّ الإسلام يأمر بنقضه لِإنَّهُ كيدٌ لا عهد حَتّى يلتزم ويجب العهد به وَإنَّما كيدٌ(وَ أَنَّ اللّهَ لا يَهْدِى كَيْدَ الْخائِنِينَ)١ .

وَقَالَ أمير المؤمنين عليه السلام: «الوفاء لأهل الغدر غدرٌ، والغدر بأهل الغدر وفاءٌ»(١).

بتقريب: إنَّهُ عَلَى الحاكم الإسلامى إذْ رأى ظهور بوادر الخيانه مِنْ هؤلاء الكفّار، فَالقُرآن والمُشرِّع الإلهى يقول لَهُ: لا تغدر بهؤلاء الَّذِيْنَ

۱- (۲) خطب أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغه: ج ۴، ص ۵۷؛ بحار الأنوار: ج ۷۲، ص ۹۷.

ظهرت منهم بوادر خيانه، وَإِنَّما عَلَى ذَلِكَ الحاكم الإسلامى أنْ يفك عقد الأمان والهُدْنه بينه وبين الدوله الكافره بلا غيله ولا غدر ولا خدعهٍ وَإِنَّما بنحو مُتكافئ وعادل، وَهُنَا القُرآن الكريم يُريد أنْ يُبيِّن: أَنَّهُ حَتّى فِى هَذَا المورد عَلَى المسؤول أنْ يَعْدِل ويساوى بين أفراد البشر بغضّ النظر عَنْ مُعتقدهم.

شعار مدرسه أهل البيت عليهم السَّلامُ

لا للقتل وسفك الدماء، نعم للحوار والعيش بأمان:

وَعَلَيْهِ إذَا كَانَ الجهاد مشروعاً فكيف يمكن أنْ نفترض أنَّ هَذِهِ الآيه المُبَارَكه منسوخه، وَهِىَ:

الآيه الثَّالثه: قوله تَعَالَى: (إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ)١ .

بتقريب: أنَّ الآيه المُبَارَكه مطلقه وتبيَّن أحد جهات أخلاقيات الجهاد فِى دين الله وأنَّ الله تَعَالَى لا يُحِب مَنْ كَانَ فِى قلبه مرضٌ وخيانه فِى تحمّل المسؤوليه فِى كُلّ زمان ومكان وحادثه.

والغرض مِنْ التركيز عَلَى ذكر هَذِهِ الآيات هُوَ لأجْل أنَّ أسباب النُّزول المُلفَّقه تدّعى أنَّ عمر بن الخطاب - المستولى الثَّانِى عَلَى الخلافه - طالب بقتل الأسير بَعْدَ انتهاء معركه بدر، ويُريدون بذلك تثبيت أنَّ فلسفه الجهاد هُوَ قتل الأسير والكافر وإنْ لَمْ يكن مُقاتلاً ولا مُعادياً ولا مُحارباً،

وَإِنَّما لمجرَّد كفره، أو يسلم بَعْدَ انتهاء الحرب، فحرَّفوا - أىّ العامّه - فلسفه الجهاد فِى الإسلام بتحريف مَعْنَى الآيات بتوسّط أسباب النُّزول المُزيَّفه، كُلّ ذَلِكَ لأجل التغطيه عَلَى موقف عمر العدائى لبنى هاشم، وتغطيه ما وقع مِنْهُ مِنْ موقف خاطئ.

وَهَذِهِ ليست مِنْ أخلاقيات القُرآن والإسلام، وَإِنَّما فيه تشويه وطمس للحقائق النوريّه فِى القُرآن، بخلاف ما بيّنته أسباب النُّزول الصحيحه الوارده عَنْ طريق أهل البيت عليهم السلام فِى كيفيه التّعامل مَعَ الأسير(فَإِمّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ)١ .

فَهَذِهِ الآيات تدحض دعوى أسباب النُّزول المُلفَّقه فَإِنَّ فقه مدرسه الخلاف - أىّ فقه المدارس الأربعه وغيرها، فَإِنَّهُ يجوز عندهم قتل الأسير بَعْدَ انتهاء الحرب بمبرر أَنَّهُ كافر مهدور الدم، بينما الفِقْه الوحيد مِنْ بين المدارس الإسّلاميَّه بَلْ وَحَتّى المدارس البشريّه المُتمثِّل بمدرسه أهل البيت عليهم السلام فضلاً عَنْ المواثيق الدوليّه الجديده فِى أحكام التّعامل مَعَ الأسير أَنَّهُ بَعْدَ انتهاء الحرب لا يُقتَل ولا يُبَرَر هدر دَمِهِ، وَهَذَا يرسمُ لنا بنوداً عظيمه فِى الدوله الإسلاميّه، أو المجتمع الإسلامى مَعَ المُجتمعات غَيْر الإسّلاميَّه.

ومما يُؤيِّد أنَّ الكافر لمجرد كفره لا يهدر دَمُه وجود آيات قرآنيه تدعم

ذَلِكَ.

وهكـذا فِی فقه مـدرسه أهـل البیت علیهم السـلام، یَـلْ الروایات الوارده عَنْ مـدرسه أهل البیت علیهم السـلام تُؤکِّد عَلَی هـدایه الکـافر بالحوار والعقل والعقلانیه، لا بثقافه القتل وسـفک الـدماء، وَهَـذَا هُوَ موضع القوّه فِی أسـلوب ومنهـج مـدرسه أهل البیت علیهم السـلام، وَلَیْسَ إرغـام النَّاس عَلَی العقیـده الإسْـلامیَّه، وَإلَّا لو کَانَ الإرغام کَمَا تقوله المـذاهب الأربعه لکان حکم الأسـیر الکافر بَعْدَ أنْ تضع الحربُ أوزارها إمَّا أنْ یَسْلِمَ أو یُقتل، وَهَذَا بخلاف الضروری الثابت فِی مدرسه أهل البیت علیهم السلام فِی أحکام التّعامل مَعَ الأسـیر الکافر مَعَ بقاء الأسـیر إلی فتره هُوَ بالخیار بین أمرین: إمَّا فداءاً، کَمَا کَانَ رسول الله صلی الله علیه وآله یُفادی الأسـری قدر أموالهم، وَکَانَ أهل مَکَّه یکتبون وأهل المدینه لا یکتبون فَمَنْ لَمْ یکن لَهُ فداء وَکَانَ یکتب یدفع إلیه عشره مِنْ الَّذِیْنَ لا یکتبون مِنْ غلمان مسـلموا المدینه فیعلمهم - الکتابه - فإنْ حَذَقوا - فِی الکتاب فَهُوَ فداؤه کُلّ ذَلِکَ نقله ابن سـعد فِی الطّبقات(۱).

أو مَنّاً لِمَنْ لَمْ یکن عنده مال.

واما بحسب روایات أسباب النُّزول المُلفَّقه فِی غزوه بدر، فَإنَّهُ یجوز للمسلمین عَلَی بَعْض الشقوق والاختیارات قتل الأسیر المسلم بَعْدَ انتهاء الحرب.

۱- (۱) ابن سعد فِی الطّبقات: ۱۴:۲.

وسبب هَـذَا الاختلاف بين مدرسه أهل البيت عليهم السلام وغيرها هُوَ بسبب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقه، مما يوجب تباعد بونٍ شاسعٍ بين مسار علاقه المجتمع المسلم والدوله المسلمه مَعَ الدول والمجتمعات البشريّه الأُخْرَى، فتتولَّد نتيجه هَذَا الاختلاف نشوء أحزاب وتيارات وَقَواعِد انتحاريّه لقتل البشر تحت غطاء شرعى مُزَّيف ومُلفَّق محسوب عَلَى الإسلام حسب أسباب النُّزول المُلفَّقه، وبين واقع التّعايش السلمى المدنى والحوار والبيان الذى تدعو إليه مدرسه أهل البيت عليهم السلام هَـذَا ما يضمن ويتكفَّل لكافه الأديان السماويه والمذاهب البشريه العيش بأمان مَعَ أتباع مدرسه أهل البيت عليهم السلام؛ لان شعار هَـذِهِ المدرسه المقدسه لا للقتل وسفك الدماء للمُسالم، نعم للحوار والعيش بأمان وسلْم، وَلَمْ يأتِ هَـذَا الفرق مِنْ باب الصِّدفه أو نتيجه حدث أو ظرف مُعيَّن، وَإِنَّما هُوَ عَنْ نصوص ثابته فِى مدرسه أهل البيت فِى تبيان آيات حكم الأسير وسيره متمرّسه لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام لقرون مِنْ الزمن نتيجه اختلاف أسس مدرسه أهل البيت عليهم السلام عَنْ أسس المدارس الأُخْرَى وبينهما فرق شاسع.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أحد أسباب الابتعاد عَنْ مدرسه أهل البيت عليهم السلام هُوَ القول بروايات أسباب النُّزول الَّتِى رووها - كَمَا تَقَدَّمَ - وتأييداً للثانى فِى مسأله قتل الأسير بَعْدَ الحرب ومحاوله اختلاق بَعْض المسوِّغات لقتله لكونه كافراً وأنَّ الكافر مهدور الدم حسب أحكام الشريعه الإسّلاميَّه المقدّسه إلى غَيْر ذَلِكَ، وتخطأه ومُعاتبه رسول الله صلى الله عليه وآله عَلَى عدم قتل

الأسرى بَعْدَ انتهاء الحرب وفيهم المسلم وإنْ شاع واشتهر فِى الألسن أنَّهُ - الكافر - مهدور الدم؛ إلَّا أنَّ هَذَا مُقررٌ فِى فقه العامّه لا فِى فقه مدرسه أهل البيت عليهم السلام فَإنَّ الكافر عندهم وإنْ لَمْ يكن محترم الدم بدرجه المسلم فضلاً عَنْ المؤمن، كَمَا أنَّه لَيْسَ محترم الدم مِنْ جهه الضمان المالى، إلَّا أنَّهُ لَيْسَ مهدور الدم.

القُرآن يُبيّن فلسفه الجهاد فِى الإسلام:

فلسفه القوّه العسكريه فِى دين الإسلام:

أحد أهم القَوَاعِد الَّتِى تمثِّل منهاجاً للنّشاط الدّينى السياسى الاجتماعى والعسكرى هِىَ قَاعدِه إعداد القوّه الَّتِى تمثِّل عناصر مشتركه، أو عمومات فوقانيّه لِكُلِّ القَوَاعِد الَّتِى تدخل فِى رسم خارطه المسؤوليات فِى النشاط الوظيفى الدينى العسكرى للمؤمنين.

الآيه الرابعه: لابُدَّ مِنْ ذكر تسلسل لآيات فلسفه الجهاد، ثلاث آيات:

ومدرك ومستنده قَاعدِه إعداد القوّه هِىَ قوله تَعَالَى: (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ)١ .

بتقريب: إنَّ أحد أهم فلسفات القوَّه العسكريّه فِى دين الإسلام - لا لسفك الدماء وإرغام الآخرين عَلَى العقيده - هِىَ لأجل تشكيل قوَّه رادعه

عَنْ بغى وعدوان غَيْر المسلمين لئلا يعتدوا عَلَى المسلمين ومُقدّساتهم وأعراضهم وأموالهم و... الخ.

وَهَذِهِ الفريضه القُرآنيه - قَاعدَه إعداد القوه - ليست مختصّه بباب الجهاد وحال مناجزه العدوّ، بَلْ هِيَ مطلقه عَلَى الدوام وتشمل مطلق إعداد القوّه وبناءها للمسلمين بما فِي ذَلِكَ القوَّه الاقتصاديه والتّجاريّه والصناعيّه والزراعيّه والفكريّه والتنمويّه و... الخ، غايتها قهر الطغيان والتكبر والتجبر، وأنْ يبنى المؤمنون أنفسهم وقوّتهم صرحاً يهابه العدوّ رادعاً لَهُ عَنْ التّطاول(وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَ عَدُوَّكُمْ)١ .

أىّ الفلسفه الردعيّه أمام التعدّى والعدوان ترغمون وتردعون أعداء الله ورسوله والإنسانيه عَنْ سفك الدماء وقتل النفس المحترمه بلا ذنب والإفساد فِي الأرض وردعهم بالتخويف كأسلوب وقائى لا هجومى، هَذَا هُوَ مَعْنَى ترهبون به عدو الله فِي منطق القُرآن الذى هُوَ منطق دفاعى لَيْسَ الغرض مِنْهُ إرغام الآخرين عَلَى ما أنتم عَلَيْهِ مِنْ دين أو معتقد، وَهَذَا المعنى للإرهاب فِي منطق القُرآن يختلف عما هُوَ عَلَيْهِ بحسب المصطلح العصرى والدولى للإرهاب الذى هُوَ عَلَى طرف نقيض مَعَ منطق القُرآن وبينهما فرق كبير، مُضَافاً إلى ذَلِكَ أنَّ هَذِهِ الآيه المُبَارَكه(وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ) ترسم أصلاً محكماً وَقَاعدِه خطيره إستراتيجيه ألا

وَهِيَ [أنَّ بناء القوّه لَيْسَ لَهُ سقف يقف عنده، بَلْ هُوَ أفق مفتوح لا يتناهى، وأنَّ بناء القدره والقوّه لَيْسَ لَهُ سقف فِي دعوه القُرآن، نعم استخدام القوّه تّجاه الآخرين ولو كانوا مِنْ الأعداء المُعتدين لَهُ سقف وَحَدّ محدود، كَمَا أنَّ استخدام القوَّه تّجاه الآخرين حاله استثنائيه واضطراريه وليست حاله أوليّه فِي منطق القُرآن ومدرسه أهل البيت عليهم السلام].

وهاتان قاعدتان فِي الفِقْه السياسى، إلَّا أنَّ الكثير يخلط بين القاعدتين إمَّا بحمل الأولى عَلَى الثَّانيه أو الثَّانيه عَلَى الأولى لا سيّما عِنْدَ العامّه.

الدعوه للدين بفتح القلوب عبر الإلفه

والمعرفه لا السيف والإرغام:

ثمَّ قالت الآيه: (وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها)١ .

بتقريب: إنَّ هَذِهِ الآيه حسب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقه والمزعومه أنَّها منسوخه بخلاف أسباب النُّزول الصحيحه الوارده عَنْ أهل البيت عليهم السلام فَإنَّها ليست بمنسوخه وأنَّ منطق القُرآن يُبيِّن فلسفه الجِّهَاد فِي الإسلام وأنَّ المسلم إذَا تَعَرَّض لاعتداء مِنْ قبل غَيْر المسلم فعليك بردعه والتصدّى لَهُ، بخلاف ما إذَا مَدَّ غيرُ المسلم يدَه للسلم فاجنح لَهُ، وخير شاهد ونموذج تطبيقى لقاعِده السلم هُوَ ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وسبطه الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام إذْ لَمْ يستخدم الرسول صلى الله عليه وآله القوَّه

العسكريه حَتّى فِى مَكّه مَعَ الطرف الآخر ما دام الطرف الآخر سلمىٌّ وَهُوَ الأهم حَيْثُ يصف القُرآن الكريم ما حصل مِنْ تأليف لقلوب المسلمين إبّان عصر الرِّساله بَعْدَ أنْ كانوا أعداءاً وإحلال روح الأخوَّه بينهم إنَّها مِنْ نعم الله الَّتِى مَنْ الله سُبْحَانَهُ بها عَلَى المجتمع الإسلامى الأوَّل، ووُهِبَتْ لهم ببركه البعثه النبويّه.

وأمَّا الأحاديث والرُّوايات فَقَدْ وصف النَّبِىّ صلى الله عليه وآله المُتآلفون بقوله صلى الله عليه وآله: «خيارُكمُ أحاسِنككم أخلاقاً الَّذِيْنَ يألفون ويؤلفون»(۱).

وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «طوبى لِمَنْ يألَف النَّاس ويألفون عَلَى طاعه الله»(۲).

وقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام بشأن أهمىّ صلى الله عليه وآله هَذِهِ النعمه: «... فَإنَّ الله سُبْحَانَهُ قَدْ أمتنَّ عَلَى جماعه هَذِهِ الأُمَّه فيما عَقَدَ بينهم مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الألفَهِ الَّتِى ينتقلون فِى ظِلَّها ويـاوونَ إلى كنفِها، بنعمَهٍ لا يَعْرفُ أحدٌ مِنْ المخلوقين لها قيمهً، لأنها أرجَحُ مِنْ كُلّ ثَمَنٍ، وأجَلُّ مِنْ كُلّ خَطَرٍ...»(۳).

عَنْ عمّار بن أبى الأحوص، قَالَ: - قلتُ لأبى عبدالله عليه السلام:... فأجابه - الإمام عليه السلام(۴): «أمَّا علمت أنَّ أماره بنى أُميّه كَانَتْ بالسّيف والعسف

۱- (۱) تحف العقول: ص ۴۵، عَنْه بحار الأنوار: ج ۷۷، ص ۱۴۹، ح ۷۳.

۲- (۲) بحار الأنوار: ج ۷۱، ص ۳۸۳ ح ۱۷.

۳- (۳) الإمام عليه السلام ليس الرُّوايه وإنما ذكرتها للتوضيح.

۴- (۴) الوسائل: ج ۱۶، كتاب الأمر بالمعروف والنهى عَنْ المنكر: ب ۱۴ ح ۹.

والجور، وأنَّ إمامتنا - أمارتنا - بالرِّفق والتألّف والوقار والتقيِّه وحسن الخِلطه والورع والاجتهاد فرغّبوا النَّاس فِی دینکم وفی ما أنتم فیه» (۱).

وقول الإمام زین العابدین علیه السلام: «حَقُّ أهلِ مِلَّتکَ إضمار السّلامه والرَّحمه لهم والرِّفق بِمُسیئهم وتآلفهم واستصلاحهم»(۲).

بتقریب: إنَّ تألیف القلوب - وبالخصوص المُتنافِره - عمل فیه مشقّه، وَقَدْ یُصبِحُ أحیاناً مُتعذِّراً وإنْ کَانَتْ البشریه الیوم بکافه أدیانها ومذاهبها وأشکالها تنشد الإلفه بین قلوب البشر والمُسلمین منهم خاصّه؛ ولذا فَإنَّ أمیر المؤمنین علیه السلام یقول فِی هَذَا الصدد: «إزالهُ الرَّواسی أسَهلُ مِنْ تألیف القلوب المُتنافِرَه»(۳).

والإلفه عباره عَنْ أمنٍ وسلام ومصدر الألفه کَمَا دلَّت عَلَیْهِ الآیه المُبَارَکه(اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَیْکُمْ...) هُوَ مصدرٌ إلهی ولیست ولیده قوَّه عسکریه أو أمنیه أو مُزایدات عسکریه، وَعَلَیْهِ فإذا کَانَ مصدر الإلفه إلهی فَهَذَا معناه مصدرها حصر العظمه والکبریاء والصلاحیات بالباری تَعَالَی شأنه: (قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ تَعالَوْا إِلی کَلِمَهٍ سَواءٍ بَیْنَنا وَ بَیْنَکُمْ)۴ .

بتقریب: إنَّهُ بالتّوحید یَکُون العدل، وبالعدل یَکُون تنسیق القلوب

۱- (۱) نهج البلاغه، الخطبه: ۱۹۲؛ بحار الأنوار: ج ۱۴، ص ۴۷۴ ح ۳۷.

۲- (۲) الخصال للصدوق: ج ۱، ص ۵۷۰؛ تحف العقول: ص ۲۷۱، ح ۴۹.

۳- (۳) الکافی، للکلینی: ج ۸، ص ۲ ح ۱.

واتّساقها – أىّ تآلفها – بَلْ وَحَتّى بَعْدَ هجره النَّبِىّ صلى الله عليه وآله إلى المدينه المنوّره وقريش الَّتِى ما انفكت تشنّ الهجوم والغارات الليليه عَلَى المدينه المنوّره والرسول صلى الله عليه وآله لَمْ يبدأهم بقتال، وهكذا صنع سبطه الإمام الحسين عليه السلام مَعَ أجلاف الشَّام والكوفه – «أكره أنْ ابدأهم بقتال».

ولذا كَانَ تجهيز الرسول صلى الله عليه وآله للجيش والسّلاح وما يستلزمه الأمر هُوَ لأجل غرض دفاعى هَذَا بحسب منطق مدرسه أهل البيت عليهم السلام وَهُوَ غَيْر منطق مدرسه الخُلفاء.

فمثلاً ـ فِى مدرسه أهل البيت عليهم السلام تختلف فيها معامله الكافر الحربى عَنْ الكافر غَيْر الحربى – المعاهد أو الذمّى – فَإنَّ الكافر الحربى أىّ العدوانى المعنوى الذى يرهبونه بتهيئه العِدَّه والعدد وَكُلّ مايستلزم دحره، مَعَ أخذ جانب الحيطه والحذر مِنْ بَعْض الكفّار وإنْ ادّعوا أنَّهم يُريدون السِّلم ولكنَّهم يُضمرون الغيله والغدر، وَعَلَيْهِ فَهُمْ ليسوا بصادقين فِى سلمهم كَمَا وصفهم القُرآن الكريم بقوله: (وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ (۶۲)۱ .

بتقريب: أنَّ كفار قريش يخبئون خدعةً فيها عدوان وغيله وغدر، فخذوا حِذْركم وحيطتكم منهم، نعم لو كانوا صادقين بطلبهم السّلم فاجنح لها.

وأمَّا الكافر غَيْر الحربى – المعاهد أو الذِّمى – فبمنطق مدرسه أهل

البيت عليهم السلام لَهُ ما للمسلمين مِنْ حقوق وتَحَمُّل بَعْض المسؤوليات وفق شرائط الذِّمه الَّتِى يتّفق معه المسلمون عَلَيْهَا، فَيكُون لَهُ مالهم وَعَلَيْهِ ما عليهم.

وأمَّا بحسب مدرسه الطرف الآخر - العامّه - فالأمرُ مختلف فِى ذَلِكَ.

أسباب الإلفه البشريه ولايه الله وولايه الرسول

وقرَّ بها الرسول - أىّ محبه الله ومحبه الرسول

ومحبه أهل بيت النَّبِىّ صلى الله عليه وآله:

البشريه تنشد الإلفه:

مِنْ المباحث الأخلاقيه المُهِمَّه فِى الإسلام وَالَّتِى أَكَّدَ عَلَيْهَا القُرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام هُوَ بحث الإلفه الذى فيه تأليف القلوب الذى هُوَ مِنْ أهم الأولويات التربويّه والسياسيّه فِى المدرسه الإسّلاميَّه.

والإلفه تارةً بمعنى: التأليف المادّى حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يُزْجِى سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً)١ .

وَأُخْرَى بمعنى التأليف المعنوى: (وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ)٢ .

والمقيم للعدل هُوَ الله تَعَالَى ورسوله صلى الله عليه وآله(ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ

أَهْلِ الْقُرى فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ کَیْ لا یَکُونَ دُولَهً بَیْنَ الْأَغْنِیاءِ مِنْکَمْ)۱ .

بتقریب: إنَّهُ یجب أنْ تستند ثروات الأرض ویوکل أمرها إلی الله ورسوله الخاتم صلی الله علیه وآله؛ لِإنَّهُ لَمْ ولن یتحقّق العدل الإلهی المنشود فِی الأرض بشکل کامل إلَّا بالنبی صلی الله علیه وآله وآله صلوات الله علیهم أجمعین؛ لِأنَّ إسناد أمرها إلی غَیْر الله ورسوله - کَمَا رأته البشریّه - جرَّ إلی حروب وویلات ودمار وأدَّت إلی الفتن والعداوات بین البشر.

هَـذَا کُلَّهُ بحسب البیانات الَّتِی یـذکرها القُرآن کملحمه إعجازیّه ونبوءه قرآنیه، إنَّهُ بالنبی صلی الله علیه وآله وآله تتّسق وتتآلف قلوب جمیع البشر فضلًا عَنْ المسلمین.

وَمِنْ لطیف وجمیل ما أشار إله الزمخشری فِی تفسیر قوله تَعَالَی: (قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّهَ فِی الْقُرْبی)۲ .

بتقریب: أنَّ فرض أمر المودَّه بأهل البیت علیهم السلام - أیّ قُربی النَّبِیّ صلی الله علیه وآله - أمرٌ مفروغ عَنْهُ، بَلْ القُرآن یُطالب بحصر المودَّه بأهل البیت علیهم السلام وأنَّ (آل) فِی المودَّه للجنس أیّ حصر جنس المودَّه والولایه فِی القُربی فإذا حَصَرْتم الولایه فِی القُربی فلسوف تنعم البشریه بحیاه طیّبه کریمه.

وتعبیر الآیه: (قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّهَ فِی الْقُرْبی) نظیر الآیه

(إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ (۵۵)۱ بحصر الولايه بالله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام.

إذَنْ القُرآن يُبيِّن ويرسم لنا واقع الإلفه الحقيقيه والمحبه والتعايش السِّلمى الذى تنشده البشريّه بكافه أطيافها ومذاهبها وأديانها ومنظماتها المدنيه والامنيه، وأنَّ ذَلِكَ لا يتحقّق إلَّا عَنْ طريق تحقّق شيئين وَهُمَا الثقلان؛ الكتاب والعتره الطاهره فَهُمَا كفيلان بتحقّق ونشر الأمان فِى عالم الوجود، وأمَّا تحقُّق أحدهما دون الآخر فالسّلم مُؤقت.

ص:۲۸۹

تحريف أسماء سور القُرآن

من نماذج أسباب النزول المحرفه

ما جاء فِي سوره براءه التوبه:

هُنَاك مبحثاً هامّاً تحت عنوان: - قَاعدَه تسميه السُّور القرآنيه - وَقَدْ تلاعبت به مدارس الطرف الآخر - العامّه - الَّتِي تبنَّت الفكر الأموى والعباسى وغيرهما تلاعباً خطيراً، واختاروا مِنْ أسماء السُّور ما يطمس حقائق خطيره فيها؛ كى لا تنتشر فِي الذهنيّه الإسّلاميَّه استعمالها وصَدَها، وَمِنْ أسماء تلك السُّور الَّتِي تُلوعِب فيها هِيَ سوره - براءه - أىّ التّوبه، فَإِنَّ قُريشاً سَمّتها بِهَذَا الاسم - التَّوبه - تعميه وتغطيةً عَلَى حقائق نوريه فِي القُرآن، علماً أنَّ اسمها الحقيقى (سوره براءه).

وذكر صاحب تفسير مجمع البيان العلّامه الطبرسى أسماؤها عشره، سوره براءه سُمِيت بذلك لأنها مفتتحه بها، ونزلت بإظهار البراءه مِنْ الكفّار - التوبه - سُمِيت بذلك لكثره ما فيها مِنْ التّوبه كقوله: (وَ يَتُوبُ اللّهُ عَلى مَنْ يَشاءُ) ، (فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ) ، (ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ

لِيَتُوبُوا) ، الفاضحه: - عَنْ سعيد بن جُبير، قَالَ: قلتُ لابن عباس سوره التّوبه، فَقَالَ: تلك الفاضحه ما زال ينزل حَتّى خشينا أنْ لا يبقى منهم أحدٌ إلَّا ذُكِر، وسُمِيت بذلك لأنَّها فضحت المنافقين بإظهار نفاقهم، والمبعثره: عَنْ ابن عباس أيضاً سمّاها بذلك لأنَّها تبعثر عَنْ أسرار المُنافقين أى تبحث عنها: المقشقِشه: عَنْ ابن عباس سمّاها بذلك لأنَّها تبرئ مَنْ آمن بها مِنْ النِّفاق والشرك لما فيها مِنْ الدُّعاء إلى الإخلاص، وفى الحديث كَانَ يُقَال لسورتى: قل يا أيُّهَا الكافرون، وقل هُوَ الله أحد المقشقشتان سميتا بذلك لأنَّهما تبرئان مِنْ الشِّرك والنِّفاق يُقَال قشقش إذَا برأه وتقشقش المريض مِنْ علته إذَا أفاق وبرئ مِنْهَا، البحوث: عَنْ أبى أيوب الأنصارى سمّاها بذلك لأنَّها تتضمَّن ذكر المنافقين والبحث عَنْ سرائرهم، المدمدمه: - عَنْ سفيان بن عُيينه أىّ المُهلكه وَمِنْهُ قوله(فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ)١ .

الحافره: عَنْ الحسن لأنَّها حفرت عَنْ قلوب المُنافقين ما كانوا يسترونه.

المثيره: عَنْ قتاده لأنَّها أثارت مخازيهم ومقابحهم.

سوره العذاب: عَنْ حُذيفه بن اليمان لأنَّها نزلت بعذاب الكفّار، وروى عاصم عَنْ زرّ بن حبيش عَنْ حُذيفه قَالَ: يسموها التّوبه وَهِىَ سوره العذاب فَهَذِهِ عشره أسماء(١).

١- (٢) مجمع البيان للطبرسى: ج ٥، ص ١.

فتبيَّن أنَّ لسوره براءه – التوبه – عشره أسماء وَكُلَّهَا أسماء غضب وحمم إلهيه عَلَى فئات المنافقين مِنْ قريش وغيرها.

وَعَلَى أىّ حال فَإنَّ التّلاعب والتّحريف والتّغيير، وصل به الحال إلى تغيير أسماء السُّور وتحريفها والإتيان بغيرها، وَلَمْ يقتصر التّلاعب والتّحريف عَلَى روايات أسباب النُّزول، فحسب بَلْ نفذوها بتغيير أسماء السُّور وَهَذَا نوع آخر مِنْ التّحريف والتّلاعب.

إذَنْ لَيْسَ فِى أسباب النُّزول المُحرَّفه تغييب للحقائق وللبصائر والأنوار الموجوده فِى القُرآن بَلْ تعدّى الأمر إلى تحريف وتعميه أسماء السُّور.

وَعَلَيْهِ فأين يُظن حَدْسُك أنْ تطمئن بما يُبنى لديهم – العامّه؟!

فإنَّهم تلاعبوا حَتّى بأسماء السُّور عَلَى غَيْر ما كَانَتْ عَلَى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إذْ لو أبقوها عَلَى ما هِىَ عَلَيْهِ فِى زمن النَّبِىّ صلى الله عليه وآله لاستفادت الأُمَّه وارتشفت مِنْ حقائق وجواهر وبصائر القُرآن الكريم.

سوره البراءه والمؤمنون مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله:

تعرَّضت سوره البراءه إلى ذكر (١٣) ثلاثه عشر فرقه مذمومه مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فِى أواخر حياه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله عَلَى القول بأنَّ سوره البراءه هِىَ آخر سوره نزلت فِى القُرآن الكريم – وإنْ كَانَ الصحيح عَلَى القول الآخر أنَّ سوره المائده هِىَ آخر سوره نزلت –

ولذا مِنْ أسماء سوره البراءه هِيَ سوره الفاضحه لأنَّها نزلت قبل رحيل رسول الله بسنتين تقريباً وَهِيَ لا زالت تَنْزُل بفضائح رجال مِمَّن هُمْ مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله، حَتّى قالت الرُّوايه: «حَتّى خشينا أنْ لا يبقى منهم أحد إلَّا ذُكِر»(۱).

فَإنَّ العين المجهريّه للقُرْآن الكريم ركَّزت عَلَى أنَّ جماعات منافقه مِنْ أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله، منهم مَنْ عاهَدَ الله، ومنهم مَنْ كَانَ يؤدى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، ومنهم منافق، ومنهم مَنْ فِي قلبه مَرَضٌ ومنهم... الخ حَتّى أنَّ مِنْ بَعْض أسماء سوره البراءه هِيَ سوره القارعه؛ لأنَّها تقرع رؤوسهم بالفضائح والدفائن والمُخططات العدوانيّه الَّتِي أضمروها وانطوت عَلَيْهَا سرائرهم.

النموذج الثَّالِث عَلَى دحض أسباب النُّزول المُلفَّقه(۲):

ذُكِرَ فِي سوره براءه (التوبه) أنموذجاً ثالثاً لدحض أسباب النُّزول المُلفَّقه عَلَى غرار النموذجين السّابقين فِي سورتى آل عمران والأنفال وَهُوَ قوله تَعَالَى: (وَ لا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ)۳.

بتقريب: أنَّ روايات أسباب النُّزول المُزيّفه ادّعتْ أنَّ الثَّانِي اعترض عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله بشدّه أو مسك رداء النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وَقَالَ لَهُ: كيف تصلى

۱- (۱) مجمع البيان للطبرسى: ج ۵، ص ۱.
۲- (۲) تَقَدَّمَ النموذج الأوَّل لدحض أسباب النُّزول المُلفَّقه وَهُوَ آيات مِنْ سوره آل عمران فِي خصوص معركه أُحُد، والنموذج الثَّانِي كَانَ فِي آيات مِنْ سوره الأنفال حول معركه بدر، وَهَذَا هُوَ النّموذج الثَّالِث لدحض أسباب النُّزول المُلفَّقه فِي سوره براءه.

عَلَى عبدالله بن أَبى بن سلول وتقوم عَلَى قبره... الخ إلى أنْ اضطر النَّبِىّ صلى الله عليه وآله أنْ يقول للثّانى: «ما يُدْريك أدعوا لَهُ أو أدعو عَلَيْهِ».

عَنْ أبى عبدالله عليه السلام، قَالَ: لما مات عبدالله بن أبى سلول حضر النَّبِىّ صلى الله عليه وآله - جنازته، فَقَالَ عمر لرسول الله صلى الله عليه وآله يا رسول الله: ألم ينهك الله أنْ تقوم عَلَى قبره؟ فسكت، فَقَالَ يا رسول الله ألم ينهك الله أنْ تقوم عَلَى قبره؟ فَقَالَ لَهُ: ويلك وما يُدريك ما قلت إنِّى قلت: اللَّهُمَّ احشِ جوفه نارداً واملأ قبره ناراً واصله ناراً، قَالَ أبو عبدالله عليه السلام: فأبدى مِنْ رسول الله ما كَانَ يكره(1) وادّعت أسباب النُّزول المُزيّفه أنَّ هَذِهِ الآيه نزلت دعماً وتأييداً وتصويباً لموقف الثَّانِى، وتخطئه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله، هَذَا هُوَ ديدن أسباب النُّزول المُلفَّقه بأنْ تنسب الخطأ إلى النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وتلومه عَلَى ذَلِكَ، وَبَعْدَ معرفه هَذَا هل يُعْقل الاعتماد عَلَى مثل هكذا موازين مغلوطه ومخلوقه ومدسوسه ومصطعنه تشكِّل خطراً يمسّ معتقد المسلمين كعقيده النبوّه مثلاً، وَهَذَا ما ذهب إليه واعتمد عَلَيْهِ بَعْض مَنْ هُوَ محسوب عَلَى الإسلام وَهُوَ منهم بُراء كالفكر السّلفى بَلْ وعامَّه المسلمين؛ غير أهل البيت عليهم السلام مثلاً الَّذِيْنَ تبنوا تخطأه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وَأَنَّهُ صلى الله عليه وآله كباقى المجتهدين فِى الوقوع فِى الخطأ ورتّبوا - السّلفيه - عَلَى ذَلِكَ أموراً مِنْهَا:

١ - حرمه زياره القبور.

١- (١) الكافى، للكلينى: ج ٣، ص ١٨٨.

٢ – حرمه زياره الأضرحه.

٣ – حرمه الدُّعاء عِنْدَ القبر والتّوسل لله بحرمه صاحب القبر و... الخ.

فيا أيُّهَا الباحث الكريم المُتأمّل انظر إلى ما جَرَّت إليه روايات أسباب النُّزول المُلفَّقه وما جَرَى عَلَى المسلمين مِنْ ويلات ومأسات وكلفتهم دماء وأموال بسببها إذَا ابتدأت بالبحث العقائدى وانتهت ببحث فقه الفروع.

وَهُنَاكَ قسمٌ آخر مِنْ روايات أسباب النُّزول المُحرَّفه لديهم أشدّ شناعه عَلَى الرسول صلى الله عليه وآله إذْ يقول: إنَّ هَذِهِ الآيه ٨۴ مِنْ سوره البراءه، نزلت قبل أنْ يُصلى النَّبِىّ صلى الله عليه وآله عَلَى عبدالله بن أبى بن سلول، وَكَانَ اعتراض الثَّانِى عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّهُ لماذا لَمْ تتقيّد يا رسول الله بهذه الآيه الكريمه، أَوَ لَمْ يُنهِكَ الله عَنْ الصَّلاه عَلَى المُنافقين فكيف إذَنْ تُصلّى عليهم، وَهَذَا القسم مِنْ الرُّوايات أعظم شناعه عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله فإنَّها تذكر أنَّ الآيه نزلت بنهى النَّبِىّ صلى الله عليه وآله عَنْ الصَّلاه عَلَى المُنافقين وَمَعَ ذَلِكَ حسب زعمهم يرتكب النَّبِىّ صلى الله عليه وآله المُخالفه وتكون غَيْرَه وحرص الثَّانِى عَلَى الدِّين أشدّ مِنْ غَيْرَه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله! وَهُنَا تكمن خطوره أسباب النُّزول المُزيّفه فِى التجرأ عَلَى مقام النّبوه وشخص النَّبِىّ الأكرم صلى الله عليه وآله، ما لكم كيف تحكمون، بَلْ رانَ عَلَى قلوبهم فَإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله هُوَ الغيور الأمين عَلَى الشّريعه وَالدِّين والمُحامى والمُدافع عَنْ الإسلام والمسلمين.

وَعَلَيْهِ فكيف يمكن تعقُّل هكذا أسباب نزول مُلفَّقه لا تُفَرِّق بين النَّبِىّ وغيره، وجعلت مَنْ هُوَ عين الوحى مفضولاً لِمَنْ عبد الوثن وعاقر

الحمير أربعين عاماً، والإمام والمأموم فإنَّها جعلت المفضول فاضلاً والمأموم إماماً، وَهَذَا لَهُ تداعيات خطيره جدَّاً تمس العقيده.

أولاً: أنَّ أصحاب المذاهب الإسلاميَّه الأُخْرَى غَيْر مدرسه أهل البيت عليهم السلام استدلّوا بروايات أسباب النُّزول المُلفَّقه المُتقدِّمه فِي سوره آل عمران والأنفال وسوره التوبه عَلَى عدم عصمه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فِي التّحاكم السّياسى، وفى تدبيره لِأُمُور الدَّوله وما شابه ذَلِكَ مَعَ أنَّ القُرآن يشهد للنبى صلى الله عليه وآله بالعصمه فِي تدبير الحكم مِنْ جهه بُعْد الموضوعات.

ثانياً: أنَّهم رتّبوا عَلَى روايات أسباب النُّزول المُلفَّقه بحوثاً وعناوين خطيره جدّاً فِي مثل كتبهم الأصوليّه - أصول الفِقْه - كعنوان [هل للنبى صلى الله عليه وآله أنْ يجتهد].

بتقريب: بمعنى أنَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله - والعياذ بالله - يجهل الشىء فَلابُدَّ أنْ يجتهد لتحصيل علمه، وهكذا عنوان آخر [هل يخطئ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله أو لا] و... الخ.

وبإثاره هكذا بحوث تولّد لديهم مثل هل يمكن الاعتراض عَلَى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله أو لا؟ أو هل يمكن الردّ عَلَى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله أو لا؟ هكذا بنوا عقائدهم وفقههم.

ثالثاً: يلزم مِنْ الأخذ والعمل بروايات أسباب النُّزول المُلفَّقه مِنْ دون تمحيص وتحقيق وغربله للأفكار وعرضها عَلَى مُحكمات الكتاب

والسُّنه، الإسفاف(۱) بفعل الله؛ لِأَنَّ المُرْسَل - بالفتح - وَهُوَ النَّبِیّ صلی الله علیه وآله یُنبیء عَنْ حکمهِ المُرْسِل - بالکسر - وَهُوَ الله تَعَالَی، وَیَکُون المعنی عندهم حسب روایات أسباب النُّزول المُلفَّقه: أنَّ الباری تَعَالَی اشتبه وأرْسَل النَّبِیّ صلی الله علیه وآله وَلَمْ یُرسِل غیره؟ وَلَیْسَ هَـذَا المعنی تجنی علیهم وَإِنَّما هُوَ مُدَوَّنٌ فِی روایات أسباب النُّزول المُلفَّقه الَّتِی اعتمدوها فِی فَهُمْ مَعْنَی الآیات، والمشکله الأعظم أنَّ مثل هکذا روایات أسباب نزول مُلفَّقه تسرّبت إلی کُتبنا، وسنُبیِّن لاحقاً فِی محله المُنَاسِب - إنْ شاء الله - إنَّهُ بحسب روایات وبیانات أهل البیت علیهم السلام أنَّهُ کیف جعلت هَذِهِ الرِّوایات المُزیّفه المثلبه لبعض الصّحابه منقبهً.

بیان نقاط الزیف والتلفیق فِی روایات أسباب النُّزول:

فِی سوره براءه ۸۴:

هُنَاک عِدَّه نقاط للزیف فِی سوره براءه حاولت أسباب النُّزول المُلفَّقه والأقلام المأجوره قلب الحقائق فیها وحجب الأبصار عنها إلَّا أنَّهم لَمْ یفلحوا بذلک وَهِیَ:

النقطه الأولی: إنَّ صِرْف مفاد الآیه الکریمه لا یَدُلّ عَلَی عتاب شدید مِنْ الله تَعَالَی إلی النَّبِیّ صلی الله علیه وآله أو تخطئه النَّبِیّ صلی الله علیه وآله، ولذا یصعب عَلَی المُفَسِّر والباحث الکریم أنْ یخرُجَ مِنْ هکذا أجواء موبوءه وردیئه شحنت

۱- (۱) الإسفاف: أیّ لَیْسَ لکلامه مَعْنَی.

بهكذا روايات مخلوقه ومكذوبه، وَيَكون النَّظر إلى الرُّوايه بلون لَيْسَ واقعى، وَهَذَا أحد أهم أزمات ومشاكل أسباب النُّزول الَّتِى تسبب إشباع الأذهان بجرعات خاطئه مِنْ الرُّوايات، ولذا يَكُون التشافى مِنْ هكذا روايات أسباب نزول مُلفَّقه أمرٌ فِى غايه الصعوبه، فوقع الكثير مِنْ المُفَسِّرين فِى وَحْلِ وشراك هَذِهِ الرُّوايات المُزيَّفه وَلَمْ يستطيعوا النَّجاه بأنفسهم مِنْهَا.

ولذا يجب عَلَى الباحث وَالمُفَسِّر النّاجح والفاحص عَنْ الحقيقه أنْ لا يبتعد عَنْ روايات مدرسه أهل البيت عليهم السلام والعرض عليها إذْ هِىَ كاشفه عَنْ زوايا الحقيقه والمبيِّنه لأوجه الزيف فِى روايات أسباب النُّزول والابتعاد عَنْ أسباب النُّزول المُلفَّقه ولا يُلوِّث ذهنه بها ويحرر نفسه مِنْ قيودها.

فالصحيح بحسب روايات أسباب النُّزول الوارده عَنْ أهل البيت عليهم السلام أنَّ هَذِهِ الآيه مِنْ سوره براءه/ ٨٤ لَيْسَ فيها عتاب وتنديد أصلاً وَإنَّما فيها تشريع وتأكيد عَلَى أبديّه أنَّ هؤلاء المنافقين لا يُصَلَّى عليهم أبداً ولا يُقام عَلَى قبورهم لأجل الدُّعاء لهم بخلاف الدُّعاء عليهم، أمَّا أنَّهُ فِى الآيه عتاب وتنديد بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله – وحاشاه – فَهَذَا أوَّل الكلام.

المنهى عَنْهُ مغاير لما قام به النَّبِىّ صلى الله عليه وآله:

النقطه الثانيه: ما المُرَاد مِنْ النّهى عَنْ الصَّلاه عَلَى مثل هؤلاء المُنافقين فِى الآيه المُبَارَكه(وَ لا تُصَلِّ) ؟ هل المُرَاد لا تُصَلِّ صلاه الأموات

عَلَى هَذَا المُنافق أم المُرَاد المعنى اللغوى للصلاه وَهُوَ الدُّعاء؟

إنَّهُ حسب أسباب النُّزول الصّحيحه الوارده فِى بيانات أهل البيت عليهم السلام المُرَاد مِنْ الصَّلاه معناها اللّغوى أىّ لا تدعُ للمُنافق بقرينه(وَ لا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ) ؛ لِأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كَانَ مِنْ سجيّته أنْ يقوم عَلَى قبر الميّت ويُكْثِر لَهُ مِنْ الدُّعاء ليُخَفف عَنْهُ العذاب والسؤال و... الخ.

وَلَيْسَ المُرَاد مِنْ(وَ لا تُصَلِّ) النَّهى عَنْ صلاه الأموات فالله تَعَالَى لَمْ ينه نبيّه صلى الله عليه وآله عَنْ أصل الصَّلاه الذى هُوَ شعيره إسلاميّه لا صله لها بالميّت المُنافق فَإنَّ المُنافق والنّاصبى و... الخ لا يُدْع لَهُ فِى الصَّلاه عَلَى الميّت وَإنَّما يُدْعى عَلَيْهِ، كَمَا هُوَ واضح فِى التكبيره الرَّابعه فِى الصَّلاه عَلَى الميّت فَإنَّ فيها دعاءاً فإنْ كَانَ الميّت كافراً أو مُنافقاً فَإنَّهُ لا يُدْع لَهُ وَإنَّما يُدْعى عَلَيْهِ، كَمَا فِى الآيه المُبَارَكه(مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَهً حَسَنَهً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْها وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَهً سَيِّئَهً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها وَ كانَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَىْ ءٍ مُقِيتاً (٨٥)١ .

بتقريب: أنَّ مَنْ يتشفع لمنافق أو مُعانِد فَإنَّهُ يؤزر ويؤثم إلى أنَّ بيَّنت الآيه: - أنَّ إبراهيم عليه السلام لما تبيَّن أنَّ آزر عدوَّاً لله تبرّأ مِنْهُ فَإنَّه الكافر أو المنافق لا يستغفر لَهُ؛ لِأنَّ الاستغفار لعموم المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الوارد فِى تكبيرات الصَّلاه عَلَى الميّت لا يشمل المنافق لِأنَّ الدُّعاء للمسلم وَالمُرَاد مِنْ المسلم أىّ المسلم الحقيقى الذى إسلامه بقلبه لا بلسانه أىّ لا

المسلم الصّورى الذى إسلامه بلسانه فَقَطْ ويُعاند الله ورسوله فِى قلبه والمنافق مِنْ قسم المسلم الذى أسلم بلسانه فَقَطْ دون قلبه، وَعَلَيْهِ فلا يسوّغ الدُّعاء فِى الصَّلاه عَلَى الميّت للمنافق والكافر وَإِنَّما يُدْعَى عَلَيْهِ لا لَهُ، والتعليل ظاهر فِى الآيه(إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ ماتُوا وَ هُمْ فاسِقُونَ)١.

بتقريب: أَنَّهُ لا يمكن الدُّعاء للمنافق بحسب ظاهر الآيه، وَهَذَا لا علاقه لَهُ بتعطيل معلم دينى عظيم ألا وَهُوَ الصَّلاه عَلَى الميت، وَعَلَيْهِ فما هُوَ وجه الربط بين الصَّلاه والمُنافقين.

وَمَعْنَى«لا تقم عَلَى قبره» أىّ لا تدع لَهُ، هَذَا كُلَّهُ بحسب ما نبّهت عَلَيْهِ روايات أسباب النُّزول الوارده عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السلام، مِنْ نكات فِى ألفاظ الآيات وأمَّا بحسب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقه وَالَّتِى هِىَ عِنْدَ الطرف الآخر - العامّه - فَكُلّ ما فيها هُوَ لأجل تبرير خطأ الثانى عِنْدَ اعتراضه عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله وتصويب فعله ولو انجرّ إلى تخطئه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله، وَمِنْ العجيب والغريب أنَّ غَيْر رسول الله صلى الله عليه وآله تكون عنده حميّه أكثر عَلَى الدِّين مِنْ حامى وراعى الشّريعه وَالدِّين وَهُوَ رسول الله صلى الله عليه وآله، إلَّا أنَّ هَذَا يُرَى فِى مواطن عديده مِنْ مباحث التفسير الَّتِى تُزوِّق أسباب النُّزول المُزيّفه ويحاولون إظهارها بالوجه الذى تُكتب فيه حَصانه لبعض صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله بما تفوق حصانه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله نفسه عِنْدَ الطرف الآخر.

إنَّ أعـداء الله ورسوله مِنْ الكـافرين والمنـافقين لاـ يُسـتغفر لهم ولا يترحم ولا يُترضـى عليهم ولا يُتشـفع لمثل هؤلاء وإنْ أظهروا صوره الإسلام فَإنَّ مثل هؤلاء وصفهم القُرآن الكريم(إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ ماتُوا وَ هُمْ فاسِقُونَ (۸۴)۱ .

ولذا عِنْدَمَا أَلَجَّ وأصـرَّ الثَّانِي عَلَى رسول الله صـلى الله عليه وآله وَأَنَّهُ لَمْ يصلِ الرسول صلى الله عليه وآله عَلَى هَذَا المنافق اضطر الرسول صلى الله عليه وآله أنْ يقول للثاني: «ويحك وما تدرى ما قلت فِي صلاتى دعوت عَلَيْهِ أم لَهُ».

وَهُنَاك روايه عَنْ الإمام الصادق عليه السلام فِي صدد هَذَا الاعتراض الخاطئ مِنْ الثَّانِي عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله: - أنَّ الثَّانِي كَانَ سـبباً فِي إفصاح النَّبِيّ صـلى الله عليه وآله عَنْ شـيء كَانَ صلى الله عليه وآله يكتمه، وَكَانَ غرض النَّبِيّ صلى الله عليه وآله مِنْ الصَّلاه عَلَى عبدالله بن أبى ابن سلول هُوَ احتراماً لابنه عبدالله.

وفى روايه عَنْ الباقر عليه السـلام أنَّ عمر عِنْدَمَا اعترض عَلَى النَّبِيّ صـلى الله عليه وآله فِي الصَّلاه عَلَى عبدالله بن أبى سلول فقال لَهُ رسول الله صـلى الله عليه وآله: «... مـا رأيتنـا صـلّينا لَهُ عَلَى جنازه ولا قمنا لَهُ عَلَى قبر» ثمَّ قَالَ: إنَّ ابنه رجلٌ مِنْ المؤمنين وَكَانَ يحقّ علينا أداء حقّه، وَقَالَ لَهُ عمر أعوذ بالله مِنْ سخط الله وسخطكِ يا رسول الله!(۱).

كَذَلِكَ كَانَتْ صلاه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله عَلَى عبدالله بن أبى بن سلول طمعاً فِي

۱- (۲) تفسير نور الثقلين: ج ۳، ص ۱۵۲.

هدایه جماعه مِنْ آل أبی سلول وغیرهم، وفعلًا أسلم المئات منهم، بَلْ أسلم ألف مِنْ الخزرج لمّا رؤا النَّبِیّ صلی الله علیه وآله، کَمَا فِی تفسیر مجمع البیان للطبرسی: - أَنَّهُ صلی الله علیه وآله صلّی عَلَی عبدالله بن أُبی وألبسه قمیصه قبل أنْ یُنهی عَنْ الصَّلاه عَلَی المنافقین، عَنْ ابن عباس وجابر وقتاده وَقِیلَ أَنَّهُ أراد أنْ یُصلّی عَلَیْهِ فأخذه جبرئیل بثوبه وتلا عَلَیْهِ(وَ لا تُصَلِّ عَلی أَحَدٍ مِنْهُمْ) الآیه، وَقِیلَ: إِنَّهُ قِیلَ لرسول الله صلی الله علیه وآله لَمْ وجّهت بقمیصک إلیه یکفن فیه وَهُوَ کافر، فَقَالَ: إِنَّ قمیصی لن یغنی عَنْهُ مِنْ الله شیئاً، وَإِنِّی أؤمل مِنْ الله أنْ یُدْخل بِهَذَا السبب فِی الإسلام خلقٌ کثیر، فروی أَنَّهُ أسلم ألف مِنْ الخزرج لما رؤوه یطلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلی الله علیه وآله(۱).

وَهُنَاک أهداف أُخْرَی لرسول الله صلی الله علیه وآله وَلَمْ یرتکب الرسول صلی الله علیه وآله ما نهاه الله عَنْهُ لِأَنَّ الذی نُهیَ عَنْهُ هُوَ الدُّعاء للمیت لا- أصل الصَّلاه کشعار إسلامی، کَمَا فِی قول رسول الله صلی الله علیه وآله للثانی عِنْدَمَا اعترضه فِی الصَّلاه عَلَی عبدالله بن أُبی، فَقَالَ لَهُ الرسول صلی الله علیه وآله: «ویلک وهل یُدری ما قلت لَهُ؟ إِنَّما قلت اللَّهُمَّ اغش قبره ناراً وجوفه ناراً وأصِلِه النار فبدا مِنْ رسول الله صلی الله علیه وآله ما لَمْ یکن یجب» وفی روایه أُخْرَی أَنَّ النَّبِیّ صلی الله علیه وآله، قَالَ للثانی: «ویحک أو ویلک إِنَّما أَقُوْل: اللَّهُمَّ املأه قبره ناراً واملأ جوفه ناراً وأصله یَوْم القیامه ناراً»(۲).

۱- (۱) مجمع البیان للطبرسی عَنْهُ تفسیر نور الثقلین: ج ۳، ص ۱۵۲.

۲- (۲) تفسیر الصّافی للفیض الکاشانی: ج ۲، ص ۲۵۷.

اعتراض الثَّانِی عَلَی رسول الله صلی الله علیه وآله

کادَ یُفْشِل برنامجه صلی الله علیه وآله:

إنَّ البرنامج الذی کَانَ یسیر عَلَیْهِ رسول الله صلی الله علیه وآله فِی هَذَا المجال هُوَ البرنامج الذی رسمه لَهُ القُرآن الکریم فِی الآیه المُبارکه: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْیاءَ إِنْ تُبْدَ لَکُمْ تَسُؤْکُمْ)۱ .

بتقریب: إنَّ أحد البراهین عَلَی إمامه أئمه أهل البیت علیهم السلام هُوَ أَنَّهُ لا یُفهم مغزی سیره النَّبِیّ صلی الله علیه وآله إلَّا مَنْ کَانَ مِنْ رسول الله صلی الله علیه وآله بمنزله هارون مِنْ موسی وَمَنْ قَالَ فِی حقّه رسول الله صلی الله علیه وآله: «أنا مدینه العلم وعلیّ بابها» «أنا مدینه الحکمه وعلیّ بابها» «أنا مدینه العلم وعلیّ بابها» (۱)«أنا مدینه الفِقْه وعلیّ بابها»(۲) قَالَ رسول الله صلی الله علیه وآله: «خلق النَّاس مِنْ شجرٍ شتّی وخُلقت أنا وابن أبی طالب مِنْ شجره واحده أصلی علیّ وفرعی جعفر»(۳) وَقَالَ علی علیه السلام، قَالَ: «قَالَ رسول الله صلی الله علیه وآله النَّاس مِنْ أشجار شتّی وأنا وَأَنْتَ یا علی مِنْ شجره واحده» و(فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ)۵ .

بتقریب: أنَّ هَذَا المقام - أیّ مقام أنفسنا وأنفسکم - لَمْ یثبته القُرآن

۱- (۲) أمالی الصدوق: ص ۴۲۵؛ الغدیر للأمینی: ج ۶، ص ۸۱.

۲- (۳) مستدرک سفینه البحار، علی النمازی: ج ۸، ص ۲۸۸.

۳- (۴) الخصال للصدوق: ص ۲۱.

الكريم لا ـ لنوح ولا ـ لإبراهيم ولا ـ لعيسى و... إنَّ هؤلاء الأنبياء لَمْ يكونوا بمنزله نفس النَّبِيّ صلى الله عليه وآله إلَّا على بن أبى طالب عليه السلام، وَهَذَا ما اجاب به الإمام الرضا عليه السلام عِنْدَمَا سأله المأموم العبّاسى عَنْ أعظم منقبه لعلى عليه السلام، حَيْثُ قرأ الآيه(وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ) ١ وبتقريب: أنَّ هَذِهِ المنقبه لَمْ يمتلكها لا ملكٌ مقرَّب ولا نبى مُرْسل ولا... الخ وَمَنْ كَانَتْ أوصافه ومناقبه مزيده بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله وَهُوَ على بن أبى طالب عليه السلام فيمكن أنْ يَكُون الحافظ لسُنّه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وسيرته؛ ولذا قَالَ الإمام الصادق عليه السلام: «هُمْ اخطأوا فِى فَهْم سُنّه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وَلَمْ يَرْعوها حقّ رعايتها» وَالقُرآن يقول: (وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَهٌ) ٢ بتقريب: أنَّ لَيْسَ كُلّ الصَّحابه يمتلكون أذناً واعيهً عدا أمير المؤمنين على إبن أبى طالب عليه السلام، ولذا كَانَ هُوَ الأحقّ بحفظ الشّريعه وحمايتها بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله.

الوصى هُوَ الحافظ الوحيد لسنه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله

وسيرته نُصْرَهً ورعايهً:

وَمَعَ كُلّ هَذَا تعترض مدرسه الطرف الآخر – العامَّه – وَأَنَّهُ لماذا تَخصّون كُلّ ذَلِكَ ب – (على عليه السلام) فَإنَّ سائر الصّحابه لرسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً تلقُّوا الحديث عَنْ رسول الله صلى الله عليه وآله؟

إنَّ الصّحابه الَّذِيْنَ كانوا يعيشون مَعَ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وملتفون حوله، فَإنَّ

كثيراً مِنْ الموارد والمواقف الَّتِي كَانَتْ تصدر مِنْ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله لا يفهمون دواعي وأغراض النَّبِيّ صلى الله عليه وآله مِنْهَا؛ لِإِنَّهُ صلى الله عليه وآله كَانَ يعيش فِي أفق عقلي وقلبي عظيم، لَمْ يستطع الصّحابه فهمه وَلَمْ يمتلكوا المُؤهلات الكافيه لفهمه، وما تلقوه مِنْ الحديث كَمَا يَدّعون عَنْ رسول الله صلى الله عليه وآله فَإِنَّهُ كَانَ مُجرَّد أصوات ولقلقه ألفاظ أو أنَّها مُجرَّد أفعال كانوا يرونها تصدر عَنْ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأمَّا فَهْم ما وراء ذَلِكَ فلا أحد يقوى عَلَيْهِ بَعْدَ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله إلَّا علي بن أبي طالب عليه السلام وَمِنْ بعده الحسن والحسين عليه السلام وأئمه أهل البيت عليهم السلام.

ولذا مِنْ ثوابت ومُعتقدات مدرسه ومنهج أئمه أهل البيت عليهم السلام هُوَ أنَّ الحافظ لحقيقه الشّريعه والمُؤتمن عَلَيْهَا لابُدَّ أنْ يفهم أفق النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وَهَذَا لا أحد يستطيع أنْ يدّعيه أو يتمثّله إلَّا أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام والتّسعه المعصومين عليه السلام مِنْ ذريّه الحسين عليه السلام إذَنْ لا يتسنى ذَلِكَ لمطلق البشر وَإِنَّما يتسنى للبشر بوصف كونهم يوحى إليهم، والمُصداق الأوَّل لهذا الوصف بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله هُوَ علي بن أبي طالب عليه السلام.

عباره لطيفه لابن سينا فِي حق أمير المؤمنين عليه السلام:

فِي رساله المعارج، حَيْثُ قَالَ: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مركز الحكمه، وفلك الحقيقه، وخزانه العقل، ولقد كَانَ بين الصّحابه كالمعقول بين المحسوس(١) وَهَذَا معناه أنَّ علياً بن أبي طالب عليه السلام كَانَ يعيش

١- (١) الأربعين للماحوزي: ص ٢٤٠.

فِی افق النُّبیّ صلی الله علیه وآله ووحیه وقلبه وعقله وغیبیاته صلی الله علیه وآله أمَّا سائر الصّحابه عدا أمیر المؤمنین علی علیه السلام کانوا یعیشون مَعَ بدن النُّبیّ صلی الله علیه وآله، لهذا السبب وغیره کَانَ یصف النُّبیّ صلی الله علیه وآله علیاً علیه السلام بأنه بمنزله هارون مِنْ موسی إلَّا أنَّهُ لا نبی مِنْ بعدی مَعَ أنَّ القُرآن یخبرنا عَنْ هارون«وأنزلنا عَلَی موسی وهارون»».

بتقریب: أنَّ أصل الإیحاء والإنزال کَانَ عَلَی موسی علیه السلام، إلَّا أنَّ ذبذبات الوحی کَانَتْ تنعکس عَلَی هارون، کَذَلِکَ أمواج الوحی الَّتِی کَانَ یسمعها الخاتم صلی الله علیه وآله تنعکس عَلَی أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام، فَإنَّ هَذِهِ الوحیانیات الَّتِی تُفاض مِنْ الباری عَلَی النُّبیّ صلی الله علیه وآله بواسطه الوحی فالرسول صلی الله علیه وآله یُفیضها وبأمر مِنْ الله عَلَی سید الأوصیاء علی بن أبی طالب علیه السلام وحیانیاً لا لسانیاً.

هَذَا مُضَافاً إلی أنَّهُ أولیس القُرآن ینهی عَنْ التقدّم بین یدی الله ورسوله (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیِ اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ)۱ .

بتقریب: أیُّهَا المؤمنون لا تسرعوا إلی قولٍ أو فعلٍ یرجع أمره إلی الدِّین والمصلحه العامّه وتتّخذوا أزاءه موقفاً قبل أنْ یقضی به الله عَلَی لسان رسوله الکریم صلی الله علیه وآله، فَیَکُون الاعتراض عَلَی الله ورسوله منهیّاً عَنْهُ مِنْ باب أوْلی.

وتروی أسباب النُّزول المُزیّفه أنَّ الأوَّل والثانی کادا یُهْلَکا فِی هَذِهِ الآیه(... لا تُقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیِ اللّهِ وَ رَسُولِهِ) بسبب تقدمهما عَلَی رسول

الله صلى الله عليه وآله.

فإذا كَانَ منطق القُرآن وقانونه ينهى عَنْ عدم التقدّم والمسارعه إلى استباق النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فكيف يروون بحسب أسباب النُّزول المُلفَّقه خمسه أو سته مواطن حسّاسَه وخطيره مِنْهَا - كَمَا تَقَدَّمَ - فِي سوره آل عمران فيما يتعلّق فِي معركه أُحُد، وفى سوره الأنفال ما يتعلّق بغزوه بدر، وفى سوره براءه وما يتعلّق بالعتاب الإلهى للنبى صلى الله عليه وآله وتخطئته ولومه فِي الصَّلاه عَلَى بَعْض المُنافقين كعبدالله بن أبى ابن سلول، وفى سوره الأحزاب وغيرها، علماً أنَّ القُرآن الكريم نبّه المسلمين عَلَى دقّه المعامله مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله الذى هُوَ بين ظهرانيكم، وأنَّ معاملتكم لَهُ وكونه مُرْسَلاً مِنْ قِبَل ربِّ العِزَّه، إليكم(وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ)١ .

بتقريب: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لو كَانَ يتابعكم عَلَى مثل ما تريدون وتقترحون ويُلبى رغباتكم لوقعتم فِي المشقّه والفساد والحرج(وَ لكِنَّ اللّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ)٢ .

وَالمُرَاد مِنْ الإيمان أىّ طاعه رسول الله وعدم مخالفته والاعتراض عَلَيْهِ(وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ)٣ ، بتقريب: أنَّ مخالفه رسول الله صلى الله عليه وآله كفر وفسوق وعصيان مُضَافَاً لما تَقَدَّمَ فِي سوره آل عمران(وَ شاوِرْهُمْ

فِی الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَکَّلْ عَلَی اللّهِ) ۱ بتقریب: أَنَّکَ یا رسول الله إذَا عزمت فتوکّل عَلَی الله وَلَیسَ هُمْ إذَا عزموا وَمِنْ الواضح أنَّ هَذِهِ النداءات المُتکرِّره فِی القرآن فِی موارد عدیده تُرکِّز عَلَی منهج إطاعه الرسول صلی الله علیه وآله(وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ)۲ وَقَدْ ذکر أمیر المؤمنین علیه السلام فِی نهج البلاغه: «اتقِ الله بَعْض التُقَی وإنْ قَلَّ، واجعل بینک وبین الله سِتراً وإنْ رَقَّ»(۱).

وأدنی شیء یتقی الإنسان به خالقه هُوَ أنْ یکفّ عَنْ قول: لو أحَلَّ الله هَذَا الشیء الذی حَرَّمه، أو حَرَّم ذاک الذی أحلَّ، ویا لیت النَّبیّ صلی الله علیه وآله فعل کذا أو لَمْ یفعل الذی فَعَل وقوله(ما ضَلَّ صاحِبُکُمْ وَ ما غَوی (۲) و(وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی (۳) و(لَکُمْ فِی رَسُولِ اللّهِ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ) وقوله تَعَالَی: (وَ إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ (۴) ، وما إلی ذَلِکَ مِنْ الجُرأه والجهل.

وَبَعْدَ کُلّ هَذَا فکیف نقبل هَذِهِ الرُّوایات المُزیّفه الَّتِی تقول: بأنَّ القُرآن الکریم ینزل بتصویب الثَّانِی وتخطئه موقف النَّبیّ صلی الله علیه وآله، هلّا نزل الوحی عَلَی النَّبیّ صلی الله علیه وآله قبل أنْ یخطأ ویَعترض عَلَیْهِ الثَّانِی.

والإمام زین العابدین علیه السلام یصف تعظیم الله للنبی صلی الله علیه وآله: «... إنَّ الله تَعَالَی أمر فِی القُرآن بتعظیم النَّبیّ صلی الله علیه وآله وبمراسیم وکیفیه لَمْ تعظم بها ملوک

۱- (۳) نهج البلاغه، خطب أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام.

الأرض كلهم، وَهُوَ أنَّ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النَّبِيّ صلى الله عليه وآله» (۱).

وَإنَّما لابُدَّ أنْ تكون أصواتكم عِنْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله بخشوع وخضوع وَإلَّا يحبط عملكم بما فيها العقيده والإيمان؛ لِأنَّ الأدب مَعَ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله شرط فِي قبول الإيمان، وَعَلَيْهِ فَإنَّ تركيز وتشديد القُرآن عَلَى تعظيم أمر طاعه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله لَيْسَ أمراً مجاملياً مبالغاً فيه وَإنَّما يعكس مدى حقيقه عظمه هَذَا المخلوق لله تَعَالَى فاعرفوا قَدَرُه والقُدْره الإلهيه فيه.

وأنَّ الله تَعَالَى خصَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وآله بخصائص عِدَّه كَمَا ذكرها الإمام على بن الحسين عليه السلام فِي دعائه فِي ذكر آل مُحمَّد عليهم السلام: «اللَّهُمَّ يا مَنْ خصَّ مُحمَّداً وآله بالكرامه وحَبَاهُم بالرِّساله وخَصَّصَهُم بالوسيله وجعلهم وَرَثه الأنبياء، وختم بهم الأوصياء والأئمه وجعل افدئه مِنْ النَّاس تهوى إليهم... الخ»(۲).

والخلاصه مِنْ كُلّ هَذَا: - إذَا كَانَتْ منزله النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فِي القُرآن بهذه المثابه فكيف يحتمل أنْ تنزل آيه قرآنيه تحطّ مِنْ قَدْر منزله النَّبِيّ صلى الله عليه وآله - وحاشاه مِنْ ذَلِكَ - وَهَذَا يكشف أنَّ تلك الرُّوايات الَّتِي ذكرت ذَلِكَ ما هِيَ إلَّا مُزيَّفه ومُلفَّقه ومكذوبه، ومُناقضه لمُحكمات وأصول القُرآن.

زياره القبور والدعاء عندها للميت عباده:

جرت سُنَّه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله أنَّهُ إذَا مات أحدٌ مِنْ الصّحابه فَإنَّهُ صلى الله عليه وآله يُصلّى عَلَيْهِ ويقف عَلَى قبره ويستغفر لَهُ ويقول لِمَنْ حضر: - «استغفروا

۱- (۱) المصدر.

۲- (۲) الصحيفه السجاديّه مِنْ دعائه فِي ذكر آل مُحمَّد عليهم السلام.

لأخيكم وسلوا التثبت لَهُ فَإِنَّهُ الآن يُسأل... الخ» هكذا كَانَتْ سنه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله عَلَى القيام عَلَى القبر، قبل نزول الآيه(وَ لا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ ماتُوا وَ هُمْ فاسِقُونَ (۸۴)۱ .

بتقريب: إِنَّهُ بَعْدَ نزول الآيه والخطاب فيها مُوجَّه إلى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وضمير (منهم) يعود عَلَى المُنافقين امتنع النَّبِيّ صلى الله عليه وآله مِنْ الصَّلاه عَلَى المُنافقين لصراحه الآيه فِي النَّهى عَنْ الصَّلاه عليهم والوقوف عَلَى قبورهم للدعاء لهم، ولَعَلَّ سبب هَذَا النَّهى كَانَ لأجل إصرار المُنافقين عَلَى الكفر بالله ورسوله باعتبار أنَّ المُنافق أحد أقسام الكُفّار، بَلْ هُوَ أسوأ حالاً مِنْ الكافر؛ لِإِنَّهُ يبطن الكفر ويُظهر الإسلام، فلعلَّه لأجل هَذَا السبب وغيره تحرم الصَّلاه عَلَى جنازته لصراحه الآيه فِي ذَلِكَ.

وهكذا قوله تَعَالَى فِي وصف حال هؤلاء المُنافقين والمشركين(ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ (۱۱۳)۲ هَذَا بالنِّسبه للمنافق والكافر.

وأمَّا بالنسبه إلى المسلم والمؤمن فاذهب يا رسول الله إلى قبره وزرْه وادعوا الله هُنَاك، فضلاً عَنْ الأحاديث الوارده عَنْ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام،

فما وَرَدَ عَنْ النَّبِیّ صلی الله علیه وآله: «ما بین قبری ومنبری روضه مِنْ ریاض الجنَّه»(۱).

وفی هَذَا حَثٌّ للمسلمین للتقرّب إلی الله عِنْدَ قبر النَّبِیّ صلی الله علیه وآله، نظیر الحثّ الوارد فِی الآیه(وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِیمَ مُصَلًّی)۲ .

بتقریب: أنَّ الموجود فِی مقام إبراهیم الخلیل علیه السلام عباره عَنْ حجر لامس بَدَن النَّبِیّ إبراهیم الخلیل علیه السلام، وببرکه هَذِهِ الملامسه کَانَتْ للمقام هَذِهِ المزیّه وَهُوَ أنْ یتّخذ مُصَلًّی، فکیف بقبر إبراهیم الخلیل علیه السلام فِی مدینه الخلیل الذی فیه جثمانه علیه السلام.

فما بالک بِمَن هُوَ أعظم مِنْ إبراهیم الخلیل علیه السلام وَهُوَ سید الأنبیاء وخاتمهم مُحمَّد صلی الله علیه وآله، وهکذا اعتقادُنا بسید الأوصیاء علی بن أبی طالب علیه السلام الذی نزّله القُرآن منزله نفس النَّبِیّ صلی الله علیه وآله(وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ)۳.

وَهَذَا مَعْنَی تنزیل نفس علی علیه السلام منزله نفس النَّبِیّ صلی الله علیه وآله فِی قوله تَعَالَی: (فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ)۴ کیف لا والرُّوح الأمری الذی هُوَ الرُّوح الأعظم والذی هُوَ حقیقه القُرآن وَهُوَ الکتاب المُبین الذی نُزّل عَلَی قلب النَّبِیّ صلی الله علیه وآله وأوحی إلیه قَدْ وَرِثه الوصی ویتنزّل عَلَیْهِ وَعَلَی ذریّته الأوصیاء علیهم السلام، فضلًا عَنْ أقوال النَّبِیّ صلی الله علیه وآله

۱- (۱) معانی الأخبار للصدوق: ص ۲۶۷.

فِی حَقِّ علی علیه السلام: «یا علی أنا وَأَنْتَ مِنْ شجرهٍ واحدهٍ وسائر النَّاس مِنْ شَجَرٍ شتّی» وهکذا ما وَرَدَ فِی الخصال عَنْ أمیر المؤمنین علیه السلام أَنَّهُ قَال: «زوروا موتاکم؛ فإنَّهم یفرحون بزیارتکم ولیطلب الرَّجل حاجته عِند قبر أبیه وَأُمَّه بَعْدَمَا یدعو لهما»(۱) إلی غَیْر ذَلِکَ.

وَبَعْدَ أنْ کَانَ هُنَاک مُستنداً مُعتبراً لزیاره القبور والدُّعاء عندها والقیام عَلَی قبر المیّت الذی معناه الحضور عنده وزیارته فَلَیْسَ بشرک، کَمَا یَدَّعی أصحاب المسلک السّلفی، بَلْ هُوَ توحیدٌ وعبادَه وعظمه، هَذَا إذَا أردنا أنْ نتمسَّک بأوامر القُرآن، فکیف أفتی الوهابیّه والسلفیّه بحرمه زیاره القبر وحرمه الدُّعاء لَهُ عنده، وما هُوَ مستندهم فِی ذَلِکَ؟

أنَّهُ لا مُستند لهم إلَّا تلک الرُّوایات المُلفَّقه والمُزیّفه الَّتِی اعتمدوها فِی أسباب النُّزول وفهمهم المُعْوَج للرُّوایات وَالَّتِی تُرید حجب نور أشعه حقائق القُرآن عَنْ عقول أجیال البشریّه لا سیّما المسلمین والمؤمنین ذو الکفاءات العلمیّه العالیّه.

اترکوا الفحص والتثبت مِنْ أحوال الماضین

هل هُمْ صالحون أم طالحون:

هُنَاک دعوی مِنْ مدرسه الطرف الآخر - العامَّه - یدّعون فیها ترک تتبع أحوال الماضین أهم مِنْ الصَّالحین أم مِنْ الطالحین، ویستدلون

۱- (۱) الخصال للصدوق: ۱۱/۶۱۸.

لِدعواهم هَذِهِ بظاهر الآيه(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَ لَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَ لا تُسْئَلُونَ عَمّا كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۳۴)۱ .

بتقريب: أَنَّهُ لا ينتفع أحدٌ بعمل غيره ولا يتضرّر به مِنْ حَيْثُ هُوَ عملُه هكذا يستدلون عَلَى دعواهم - العامّه بخلاف مدرسه أهل البيت عليهم السلام القائمه عَلَى التحقيق والفحص والتثبت.

والآيه تُشير إلى مبدأ عام بأَنَّ نتائج الأعمال وآثارها تعود غداً عَلَى العامل وحده، وأَنَّ الله تَعَالَى سنَّ سُنَّه لعباده وَهِيَ أَنَّهُ لا يُجْزَى أحدٌ إلَّا بكسبه وعمله ولا يُسأل إلَّا عَنْ كسبه، هَذَا هُوَ مَعْنَى الآيه بحسب تفسير روايات أسباب النُّزول المُحرَّفه، بَلْ وَحَتّى فِي أذهان كبار مُحقّقى الخاصّه هكذا مَعْنَى مقلوب راسخ وَهُوَ أَنَّهُ لا يعنيك أمر الغير، وَلَيْسَ مِنْ صلاحيتك التفتيش عَنْ تاريخ الصّحابه والتابعين والأشخاص إلى غَيْر ذَلِكَ، كُلّ ذَلِكَ جذّرته الأقلام الأمويّه ومدرسه الطرف الآخر لأجل التغطيه عَلَى أفعال وتصرفات بَعْض مَنْ كَانَ يعيش مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله وعدم كشف ملفاتهم.

بينما هُنَاكَ مَعْنَى آخر للآيه حسب روايات أسباب النُّزول الوارده عَنْ أهل البيت عليهم السلام - عكس ما تَقَدَّمَ -.

وحاصله: أنتم معنيّون بالتفتيش والفحص والتشبث وعدم التقليد

وعدم التبعيّه.

نتيجه الـدّعوى الكـل يتبرأ مِنْهَـا: إنَّ دعوى مـدرسه الطرف الآـخر – العامَّه – تنتهى إلى نتيجه لا يقبل بها أىّ عاقل وَعَلَى خلاف الموازين العقلاـئيه ويتبرؤن مِنْهَـا ألاـ وَهِىَ: أنَّهُ إذَا كُنّـا لاـ نفتش عَنْ تاريـخ الماضـين وهـل هُمْ مِنْ الصّالحين أو الطّالحين، وأنَّ البحث والتفـتيش عنهم منهى عَنْهُ فِى القُرآن الكريم، وأنَّ القُرآن الكريم ينهى عَنْ القيـام عَلَى قبـور المنـافقين ولاـ تـدع لهم ولا تسـتغفر لهم ولا... الـخ أو لَيْسَ يلزمنا القُرآن الكريم أنْ نعرف مَنْ المُنافق حَتّى نتجنّبه؟ وَمَنْ المؤمن؟ لكى تقوم عِنْدَ قبره وندعو لَهُ وتتعامل معه فِى حياته و... الـخ، وَعَلَيْهِ فلو التزمنا بمنهـج عدم الفحص والتعرّف عَلَى أحوال الماضـين كَمَا تذهب إليه أسـباب النُّزول المُحرَّفـه وَالمُلفَّقـه، لمـا أمكننـا أنْ نُميّز بيـن مـا أمرنـا بـه القُرآن الكريـم مِنْ تميّز المُنـافق عَنْ غيره، وَحَـتّى نعرف مـوقفه العقائدى والسياسى وَعَلَيْهِ فمتابعه وملاحقه ملفاه الماضين مسؤوليه الجميع.

وَهُنَاك تساؤل يُثير نفسه هُوَ أنَّ هَذَا الذى أمرنا به القُرآن أَمَا يَلزْم مِنْهُ أنْ يَكُون نوعاً مِنْ التجسس وَهُوَ منهىٌّ عَنْهُ؟

ويمكن الإجابه عَنْ هَـذَا التساؤل: بأنَّ التجسـس المنهى عَنْهُ فيما إذَا كَانَ تجسـساً يلزم مِنْهُ إظهار الأُمُور الخفيّه فِى الأُمُور الفرديّه الخاصّه وَلَمْ يكن المُتجسَّس عَنْهُ لَهُ منصبٌ مهم وَلَمْ توكل إليه مسؤوليه أُمَّه فذاك مُحَرَّمٌ.

بخلاف ما نَحْنُ فيه فإنَّنا نُريد أنْ نتعرف عَلَى هويته العقائديه أو

السياسيه أو الفقهيّه أو المعرفيّه وَلَيْسَ إنساناً عاديّاً وَإنَّما شخص لَهُ منصب ومقام تُناط به مسؤوليه مجتمع أو يُوكل إليه إداره أمَّه أو... الخ فَإنَّ مثل هكذا شخص مِنْ الضروری جداً التعرُّف عَلَى هويته ولا يعتبر هَذَا نوع مِنْ التجسس؛ لِأنَّ المسأله هُنَا أصبحت مِنْ مسؤوليه الجميع: «كُلْكُم راع وكلكم مسؤول عَنْ رعيته» (وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)١ .

وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ مِنْ يقظه وانتباه الباحث الكريم مِنْ هكذا روايات مُحَرَّفه، وأنَّ اليقظه فِي موضع مُعيّن تُؤدِّی إلى اليقظه والانتباه فِي مواضع عديده أُخْرَى؛ لِأنَّ آيات القُرآن وموضوعاته وأحكامه مترابطه ارتباطاً منظوميّاً واحداً - وَهَذَا ما ركّزنا الحديث عَلَيْهِ فِي الجزء الأوَّل مِنْ تفسير أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات - ولذا كَانَ هَذَا التفسير لأمومه الولايه يمتاز عَنْ باقی التفاسير الأُخْرَى مُضَافاً إلى التركيز عَلَى محوريّه الولايه، كَذَلِكَ فيه تركيز عَلَى جانب آخر وَهُوَ النَّظر إلى المجموعيّه والمنظوميّه فِي القُرآن، وأنَّ النَّظر لا يقتصر فيه عَلَى ملاحظه قسم مِنْ الآيات دون الآخر وَإنَّما ينظر إلى المجموع كمجوع منظومی ترابطی، وَهَذَا ما يُميّز القُرآن عَنْ غيره بأنَّ حلقاته نسيجيّه وطبيعيه مُترابطه يُصَدِّق بعضه بعضاً، فالذی يضرب القُرآن بعضه ببعض، أو يكذب بعضه بعضاً فمعناه إنَّهُ لَمْ يعرف النسيج المؤالفِ بين حلقاته.

فإذا ما التفت الباحث المُتتبع والمُفسِّر الفَطِن إلى زيف فِي موضع مُعيّن فَإنَّه تلقائياً يلتفت وتنكشف أمامه أوراق الزيف فِي مواضِعَ أُخْرَى ارتُكِبت فِي تفسير القُرآن، أو فِي روايات أسباب النُّزول.

الجهه الرابعه: مِنْ قَاعدِه أسباب النُّزول

فِي بعدها اللفظى:

لا زَالَ البحث فِي قَواعِد نظام الاستعمال اللّفظى - فِي قَاعدِه أسباب النُّزول فِي بعدها اللّفظى وَهُوَ:

قَاعدِه: [تعدد نزول الآيه لأسباب نزول متعدده فِي مواطن مُخْتَلِفَه]

[قَدْ يَكُون للآيه الواحد أكثر مِنْ سبب، أىّ هل يتكرّر سبب نزول الآيه أو لا؟].

انقسم أصحاب روايات أسباب النُّزول إلى مسلكين أو أكثر: -

المسلك الأول: الذى يبتنى عَلَى أَنَّهُ قَدْ يتكرّر نزول الآيه الواحده أو بَعْض السُّور القصيره أو المُتوسّطه فِي زمن النَّبِىّ صلى الله عليه وآله أىّ زمن النّص والتشريع فِي موارد عديده فَقَدْ تنزل الآيه فِي الموطن الأوَّل وَيَكُون ذَلِكَ الموطن سبباً لنزول الآيه، ثمَّ تكرّر فِي عهد سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله فِي موطن، وهكذا يتكرَّر نزولها، وَهَذَا أمرٌ مهم ينبغى الالتفات إليه، وَهَذَا المسلك هُوَ الصحيح كَمَا سوف يتّضح.

المسلك الثانى: وربما غَفَل هَذَا الأمر عَنْ الكثير مِنْ الباحثين والمُفسّرين

وأوقعوا التعارض بين روايات أسباب النُّزول بناءاً منهم عَلَى أنَّ سبب النُّزول إمَّا هَـٰذَا أو ذاك، ويحصر أصحاب هَذَا المسلك بالسبب الواحد، وبالتالى إذَا تعدّد سبب النُّزول للآيه عَلَى مسلكهم فَإنَّهُ سوف يقع تعارض بين روايات أسباب النُّزول.

إلَّا أنَّ المسلك الثَّانِى باطل وغير صحيح؛ لِأنَّ الأصل فِى أسباب النُّزول هُوَ إمكانيّه التكرّر، لا الوحده وعدم إمكان التكرار فِى موطن وسبب النُّزول؛ ولـذا فَإنَّ جمله مِنْ كبار المُفسّـرين ومحققيهم، قَدْ يقعون فِى مثل هَذِهِ الغفله ويخوضون فِى ترجيح طائفه مِنْ الرُّوايات الوارده فِى أسباب النُّزول عَلَى طائفه أُخْرَى فِى آيه واحده أو سوره قصيره أو متوسطه، والحال أنَّهُ لا حاجه لإيقاع هَذَا التّعارض بين الروايات ثمَّ القيام بعمليه الترجيح؛ لِأنَّ الآيه الواحده يمكن أنْ تتكرّر نزولها إلى ما شاء الله مِنْ المرّات.

ولَعَلَّ أصحاب المسلك الثَّانِى - القائلين بعدم إمكانيّه التكرّر للنزول - يستشكلون عَلَى المسلك الأوَّل - القاتل بإمكان تكرّر النُّزول بما حاصله:

إنَّ الَّذِيْنَ أجروا التّعارض بين روايات أسباب النُّزول رُبّما يَكُون الدافع لهم هُوَ أنَّ سبب النُّزول - كَمَا مَرَّ - يُضفى ويؤثِّر عَلَى مفاد مَعْنَى الآيه، أىّ أنَّ أسباب النُّزول مِنْ القرائن المؤثّره فِى عناصر الظهور للآيه المُبَارَكه فَيَكُون سبب النُّزول لَهُ أثره عَلَى تلوين ظهور الآيه.

وَعَلَيْهِ إذَا تعدّدت أسباب النُّزول وَكَانَ للآيه الواحِدَه أكثر مِنْ سبب

للنُّزول فحينئذٍ تتعدّد الظهورات وتتلون أسباب النُّزول، وبما أنَّ أصحاب المسلك الثَّانِي - أنَّ الآيه لها سبب نزول واحد - فحينئذٍ سوف يصبح لديهم تعارض بين الرّوايات المتعدّده فِي أسباب النُّزول، وَهَذَا ممّا ألجىء الكثير مِنْ المُفَسِّرِين إلى القول بالتعارض، والسبب فِي هَذَا التعارض هُوَ أنَّ كُلّ سبب نزول يُعطى طابعاً وظهوراً للآيه يختلف عَنْ سبب النُّزول الآخر والحال هُوَ ظهورٌ واحد فَلابُدَّ أنْ يَكُون لها سبب نزول واحد.

نعم لو كَانَتْ أسباب النُّزول مُتعدّده ولكن عَلَى شاكله واحِدَه وَمِنْ طراز مُعيّن متحد، بحيث تعطى كُلّ هَذِهِ الموارد المتعدده مِنْ أسباب النُّزول ظهوراً مُوَحَّداً لأمكن آنذاك أنْ يُقال: إنَّهُ مِنْ الممكن أنْ تكون أسباب نزول مُتعدّده للآيه الواحِدَه.

أمَّا إذَا اختلفت أسباب النُّزول وتعدّدت، فَهِيَ فِي كُلّ سبب مِنْهَا بمثابه قرينه حاليّه للظهور فتعطى ظهوراً للآيه غَيْر الذى يُعطيه سبب نزول آخر، وإنْ كَانَ الغالب هُنَاك جهه اشتراك فِي المعنى والتطبيق بين أسباب النُّزول فَيَكُون أحدها هُوَ الصّحيح مثلاً والباقى غَيْر صحيح، ولكن هَذَا مبنى عَلَى أنَّ لِكُلِّ آيه ظهور واحد، وتقدم فِي القَاعِدَه الرابعه قَاعدِه استعمال اللّفظ فِي أكثر مِنْ مَعْنَى(١) أنَّهُ لَيْسَ مِنْ اللازم أنْ يَكُون للآيه الواحده ظهوراً واحداً، بَلْ يمكن أنْ يَكُون لها ظهورات مُتعدّده

١- (١) قَاعدِه استعمال اللَّفْظ فِي أكثر مِنْ مَعْنَى فِي تفسير أمومه الولايه والمُحْكَمات للشيخ مُحمَّد السند: ج ١، ص ٥٣٩ القَاعِدَه الرّابعه.

وَكُلَّهَا حجّه - كَمَا تَقَدَّمَ - فِى بحث القَاعِدَه، وذكرنا لها شواهد عديده مِنْ روايات وغيرها، وهكذا تَقَدَّمَ فِى قَاعدِه الالتفات والتعريض مِنْ أَنَّهُ لا مانع مِنْ أنْ يَكُون للآيه الواحده ظهورات مُتعدّده شريطه أنْ تكون تلك الظهورات المُتعدّده مُستنده إلى شواهد مُستقله بعضها عَنْ البعض فآنذاك لا مانع مِنْ ذَلِكَ.

الفرق بين تعدد أسباب النُّزول

وبين وحده التنزيل وتعدد التأويل:

والخلاصه: إنَّ الصَّحيح فِى أسباب النُّزول هُوَ أنَّ الأصل الأولى فيها إذَا وَرَدَتْ روايات مُتعدِّده فَإنَّهُ لا مانع مِنْ أنْ يَكُون الأصل الأولى مُتعدّداً لا متوحِّداً وإنْ أدَّى ذَلِكَ إلى تعدّد الظهور ولا مانع مِنْ تعدّد الظهور، فمثلاً هَذَا ظهور أوَّل منضبط مَعَ موازين الظهور فِى سبب النُّزول الأوَّل، وَهَذَا ظهورٌ ثانٍ منضبط مَعَ سبب النُّزول الثَّانِى بقرينه حاليه، وثالث و... الخ.

فالصَّحيح والأصل فِى أسباب النُّزول المُتكرِّره هُوَ التعداد والتكرار لا الوحده والانفراد كى نوقع المعارضه فيما بينها.

علماً أنَّ هَذَا التكرار للنزول والتعدد فِى أسبابه تبّناه جمله مِنْ المُحقّقين منهم العلّامه مُحمَّد باقر المجلسى فِى بحار الأنوار وأنَّ الآيه القُرآنيه الكريمه أو السُّوره يقع مِنْهَا نزول مُتكرِّر وَلَيْسَ الأصل فِى تعدّد الرّوايات فِى

أسباب النُّزول هُوَ التّعارض بين هَذِهِ الروايات، ولا مانع مِنْ تكرر نزول الآيه الواحده أو السوره الواحده، ولا داعى لإعمال قَواعِد التّعارض بين الروايات المتعدّده.

وَعَلَى أىّ حال فَإنَّ هَذَا مِنْ البحوث المثمره وَلَهُ تطبيقات فِى موارد كثيره، حَتّى أنَّ السَّيِّد العلّامه مُحمَّد حسين الطباطبائى صاحب تفسير الميزان رحمه الله حَمَل أسباب النُّزول المُتعدِّده كُلَّهَا فِى مواردَ عديده عَلَى التأويل لا عَلَى الظّهور، بينما هِىَ مُتناسبه ومُتناسقه مَعَ الظهور.

أو حملها - السَّيِّد العلّامه الطباطبائى رحمه الله - عَلَى أنَّها مِنْ باب الجرى فِى التعبير لا التّطبيق، مَعَ أنَّ المعنى الذى انتهينا إليه فِى تحقيق قَاعدِه الجرى فِى التعبير لا التطبيق هُوَ جرىٌ حَتّى فِى الاستعمال وَلَيْسَ جرياً فَقَطْ فِى تطبيق المعنى النّظرى عَلَى المصداق العينى الخارجى، وَهَذَا أحد معانى الجرى والتّطبيق أىّ يجرى اللَّفْظ فِى ظهورات مُتعدّده وفى استعمالات مُتكثِّره.

وَمِنْ هَذَا يُعلم وجود جمله مِنْ المُفَسِّرين إنْ لَمْ يكونوا هُمْ الأغلب يحملون روايات تعدّد أسباب النُّزول إنْ لَمْ يروا خدشةً فيها - الروايات - عَلَى التأويل لا عَلَى الظهور.

إلَّا أنَّ هَذَا مبنى غَيْر سديد، والصّحيح والأصل الأولى فِى أسباب النُّزول هُوَ التعدّد وأمَّا التوحّد فَهُوَ أوَّل الكلام.

هل يتكرر تنزل الآيات النازله سابقاً وأسباب النُّزول بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله عَلَى أهل البيت عليهم السلام المصداق الأجلى لتلوت الكتاب حق تلاوته:

بيان نكته مُهمّه ولطيفه فِي تعداد أسباب النُّزول:

إذَا دقّقنا وأمعنا النَّظر فِي أسباب نزول الآيات هل تتكرّر وتعدّد أو لا؟ وهل ذَلِكَ خاص بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله أم هُوَ مستمر إلى يَوُم القيامه وما دام القُرآن حيّاً باقياً؟!

تُجيبنا روايه حنان بن سدير، قَالَ: سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: «دَخَل علىَّ أُناسٌ مِنْ أهل البصره فسألونى طلحهَ والزبير، فقلتُ لهم: كانا مِنْ أئمه الكفر، إنَّ علياً عليه السلام يَوُم البَصْرَه لما صَفَّ الخَيْل، قَالَ لأصحابه: لا تَعْجَلوا عَلَى القوم حَتّى أعْذِرَ فيما بينى وبين الله عَزَّ وَجَلَّ وبينهم، فقام إليهم، وَقَالَ: يا أهل البصره هل تجدون علىَّ جوراً فِي حكم؟ قالوا: لا، قَالَ: مُحيفاً فِي قَسْم؟ قالو: لا... ثمَّ ثَنَى إلى أصحابه، فَقَالَ: أنَّ الله تَبارَكَ وَتَعَالَى يقول فِي كتابه: (وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّهَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢) فَقَالَ أمير المؤمنين - محل الشَّاهِد - والذى فلق الحَبَّهَ وبرأ النسمه واصطفى محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوه أنَّهم لأصْحابُ هَذِهِ الآيه، وما قوتِلوا مُذْ نزلت»(١).

١- (١) البُرهان فِي تفسير القُرآن لِلْسَّيِّد هاشم البحرانى: ج ٣، ص ٣٧٤ عَنْ قرب الأُسْتاذ للحميرى: ص ۴۶۵.

وفی روایه أُخْرَی: «... ما قوتِل أهلها منذُ یومِ نزلت حَتّی الیوم»(۱).

وهکذا فِی سوره القدر: (إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ (۱) وَ ما أَدْراکَ ما لَیْلَهُ الْقَدْرِ (۲)۲ .

بتقریب: أنَّ القُرآن الکریم ربط بین إنزال القُرآن وبین تنزل الملائکه فِی کُلّ عام، وَهَـذَا معناه أنَّ القُرآن الکریم لَهُ تنزلات فِی کُـلّ عـام وَالقُرآن هُوَ القُرآن والسوره هِیَ السوره، والآیه هِیَ الآیه، فمثلاً سوره الفاتحه نزلت عَلَی رسول الله صـلی الله علیه وآله عِدَّه مَرَّات وفی مواطن عدیده، وسـمیت هَذِهِ السوره العظیمه بسوره السبع المثانی؛ لِإنَّهُ ثنی نزولها بمعنی أنَّ نزولها قَدْ تکرّر عِدَّه مَرّات، لاـ بمعنی أنَّ نزولهـا مرتین اثنین فَقَطْ وَإنَّما تکرر أکثر مِنْ ذَلِکَ، فإذا کَانَ النُّزول یتکرّر فهل معناه أنَّ الآیه بنزولها الثَّانِی تحمل مَعْنَی آخر غَیْر الأوَّل أم نفسه هَذَا أوَّلاً.

وثانیاً: هل یمکن فرض التنزّل أیضاً فِی فتره ما بَعْـدَ زمان رسول الله صـلی الله علیه وآله أو لا؟ وما حقیقه هَـذَا النُّزول بَعْـدَ رسول الله صلی الله علیه وآله، فَإنَّ النُّزول وحیٌ نبویٌّ، ولکن مَنْ یرث هَذَا الوحی أفهل یذهب سُدیً؟

أمَّا جـواب السؤال الأـوَّل: فبالإثبـات، بمعنی أنْ یَکُون فِی النُّزول الأـوَّل للآـیه مَعْنَی أوَّل وفی الثَّانِی مَعْنَی ثـانٍ وفی الثَّالِث ثـالث وهکذا، وَهَذَا

۱- (۱) المصدر السابق: ص ۳۷۶ عَنْ العیّاشی: ج ۲، ص ۸۵، ح ۲۷.

ما سيأتى التعرّض لَهُ فِى جهه أُخْرَى مِنْ بحث أسباب النُّزول.

وأمَّا جواب السؤال الثَّانِى: فَإنَّ النُّزول وحىٌ نبوى بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله وَهُنَاك خازن للوحى يستخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنْ كَانَ موطن الجواب التفصيلى فِى بحث قَواعِد النّظام المعنوى أو المعانى فِى القُرآن، وفى باب قَواعِد نظام الحقائق، إلَّا أنَّهُ نذكر جواباً ولو مُقتضباً جدّاً لارتباطه بنظام الاستعمال اللّفظى وحاصله:

ما ذكرته سوره القدر مِنْ الربط - مثلاً - بين إنزال القُرآن وتنزّل الملائكه فِى كُلّ عام وإنْ كَانَ الإنزال - إنّا أنزلناه - هُوَ فعل ماضى وَمَعْنَى المضى هُوَ الفراغ عنه، ولكن بَعْدَ ذَلِكَ ربطت الآيه هَذَا الإنزال الذى زمانه الماضى بالفعل المضارع الذى زمانه مشترك بين زمانى الحال والاستقبال (تنزل) أىّ تتنزل أىّ أنَّ هَذَا التنزل مستمرٌ إلى يَوُم القيامه، وَهَذَا معناه حصول تكرّر واستمرار التنزّل إلَّا أنَّهُ بأى كيفيه؟ وبنحو لا يتنافى مَعَ انقطاع النبوّه وختمها، إذْ هُنَاك فرق بين وراثه وحى النبوّه وبين النبوه نفسها، فَإنَّ علم وحى النبوّه لَمْ يتبدد وَلَمْ يُرْفع مِنْ الأرض بَعْدَ نزولها - النبوه - بَلْ هُوَ عِنْدَ خزنته مِنْ الَّذِيْنَ اصطفاهم الله، كَمَا تشير إليه عشرات الآيات والسّور الَّتِى نبَّه عَلَى دلالتها أئمه أهل البيت عليهم السلام نظير قوله تَعَالَى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا)١ .

وقوله تَعَالَى: (بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ)١ .

وقوله تَعَالَى(لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)٢ وقوله تَعَالَى: (وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)٣ .

إلى غير ذَلِكَ مِنْ الآيات الدَّالَّه عَلَى أنَّ الوحى الإلهى النازل عَلَى النَّبِىّ صلى الله عليه وآله لَمْ يرتفع عَنْ الأرض بَعْدَ رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله، وَلَمْ يتبدّد سُدىً، بَلْ هُوَ عِنْدَ خلفائه وأوصيائه مِنْ عترته وأهل بيته - عليهم صلوات الله -.

هَذَا مُضَافاً إلى دلاله سوره القدر والآيات المُتعرّضه لليله القدر عَلَى استمرار تنزّل القُرآن فيها.

وَقَالَ القرطبى فِي تفسيره الجامع لأحكام القُرآن: ج ٢، ص ١٣٣-١٣٧ [والصحيح أنَّها باقيه... و الجمهور عَلَى أنَّها مِنْ كُلّ عام مِنْ رمضان... وَقَالَ الفرّاء لا يقدّر الله فِي ليله القدر إلَّا السّعاده والنِعمَ ويقدّر فِي غيرها البلايا والنِّعم].

وَقَالَ ابن كثير فِي تفسيره: [... اختلف العُلَمَاء هل كَانَتْ ليله القدر فِي الأمم السالفه، أم هِيَ مِنْ خصائص هَذِهِ الأُمَّه؟ فَقَالَ الزهرى... وَهَذَا الذى قاله مالك يقتضى تخصيص هَذِهِ الأُمَّه بليله القدر، وَقِيلَ: أنَّها كَانَتْ فِي الأُمم

الماضيه كَمَا هِيَ فِي أمتنا، ثمَّ هِيَ باقيه إلى يَوُم القيامه وفى رمضان خاصّه](۱).

وَمَنْ أراد التفصيل فليرجع إلى كتبا الإمامه الإلهيه لشيخنا الأُستاذ مُحمَّد السند حفظه الله - ج ۳، الفصل السَّابع ليله القدر حقيقه الإمامه (أس المعرفه) ص ۲۷۵.

وهكذا الحال فِي سوره الدُّخان(حم (۱) وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ (۲) تَقَدَّمَ أنَّ مقام الكتاب المُبين هُوَ أحد المقامات الغيبيه للقرآ ن الكريم(إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَهٍ مُبارَكَهٍ إِنّا كُنّا مُنْذِرِينَ (۳) فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (۴) أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنّا كُنّا مُرْسِلِينَ (۵)۲ .

بتقريب: إنَّ هَذَا الفَرْقَ والفُرْقان والتدبير لأحداث البشر أو الكون فَإنَّ لَهُ صله بالكتاب المُبين، وأنَّ كُلّ ما حَدَث أو يحدث إلى يَوُم القيامه هُوَ مسطور فِي الكتاب المُبين(وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ)۳ .

وقوله تَعَالَى: (وَ ما مِنْ غائِبَهٍ فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (۷۵)) (۲) وقوله تَعَالَى: (وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْ ءٍ)۵ .

بتقريب: إنَّ الكتاب المبين الذى هُوَ مقام مِنْ مقامات القُرآن يستطر

۱- (۱) تفسير ابن كثير: ۵۶۸/۴.

۲- (۴) سوره النمل: الآيه ۷۵.

فيه كُلّ شيء.

وهكذا القضاء والقدر فَإِنَّهُ ينزل فِي كُلّ عام وَهُوَ موجود فِي القُرآن، وَهَذَا معناه أَنَّهُ هُنَاك صله وطيده بين القُرآن الكريم وبين القضاء والقدر وما ينزل فِي كُلّ عام فِي ليله القدر.

والخلاصه مِنْ كُلّ هَذَا: إنَّ القُرآن كَمَا لَهُ تنزيل أوَّل كَذَلِكَ لَهُ تنزيل مُتكرِّر ثانٍ وثالثٍ يُعْرَف بالتأويل، كَذَلِكَ للقرآن بآياته وسوره نزول وتنزل وأسباب نزول فِي كُلّ عام.

إلَّا أَنَّهُ يبقى التساؤل عَنْ ما هُوَ مَعْنَى حقيقه النُّزول لا سيما النُّزول المُتكرّر الذى يفترق عَنْ النُّزول الأوَّل، وَهَذَا ما سيأتى الجواب عَنْهُ فِي مبحث نظام المعانى للقُرْآن ونظام الحقائق مَعَ ملاحظه اختلاف سنخ نزول القُرآن عَلَى البيت المعمور فِي السّماء الرّابعه وَهُوَ قلب النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وتنزله مِنْ البيت المعمور إلى السّماء الدُّنْيَا والأرض عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله.

كُلّ ما ينزل عَلَى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله

يعلم به وصيّه على بن أبى طالب لَدُنيّاً:

إنَّ كُلّما أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله علم به وصيّه أمير المؤمنين على بن أبى طالب لَدُنيّاً، كَمَا هُوَ مُقْتَضَى قوله تَعَالَى: (وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى وَ أَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا)١ أىّ نظير النسبه بين هارون وموسى، إلَّا أنَّ تلقى هارون ما يتنزّل

عَلَى موسى بتوسّط قناه النبوّه، وأمَّا تلقى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ما يتنزل عَلَى النَّبِىّ صلى الله عليه وآله عبر الإلهام وغيره مِنْ أساليب العلم اللّدنى غَيْر النبوّه، وقول النَّبِىّ صلى الله عليه وآله لعلىّ: «إنَّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلَّا أنَّكَ لست بنبى، ولكنَّك وزير وَإنَّك لعلى خير»(۱).

وقوله تَعَالَى: (ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسى وَ أَخاهُ هارُونَ بِآياتِنا)۲ .

وقوله تَعَالَى: (وَ أَخِى هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِى رِدْءاً يُصَدِّقُنِى)۳ .

وسيأتى لهذا المبحث تتمّه فِى الجهه الخامسه.

التنزيل المتكرر تأويل(۲):

إنَّ أحد معانى التّاويل هُوَ انطباق الآيات عَلَى مصاديق مُستجده وَعَلَى بيئات موضوعيّه فِى مواطن أُخْرَى، وَهَذِهِ المواطن الأُخْرَى هِىَ مواطن لتطبيق آيات وسور القُرآن الكريم، فَإنَّ التنزيل - كَمَا مَرَّ - هُوَ التطبيق، والتأويل الحقّ بالدّقه يرجع إلى التنزيل وَالنُّزول الأوَّل للآيات

۱- (۱) الخطبه القاصعه، نهج البلاغه.

۲- (۴) تعرّضنا مفصلاً لمبحث الظهور والتأويل فِى ج ۱، ص ۳۰۳ مِنْ تفسير أمومه الولايه والمُحْكَمات للشيخ مُحمَّد السند - حفظه الله - فراجع، وكذلك تعرّضنا لَهُ فِى بدايه: ج ۲، مِنْ تفسير أمومه الولايه والمُحْكَمات فِى القَاعِدَه الخامسه: الجرى فِى التعبير لا التطبيق، تحت عنوان هل التأويل حاكم عَلَى التنزيل - التفسير - أم العكس؟ فراجع.

والسور لا أنَّ هُنَاك آيات أو سور أُخْرَى، بَلْ الآيات هِيَ الآيات والسور هِيَ السور إلَّا أنَّ التّأويل يعمّ ويشمل تطبيقات مُستجده، فإذا كَانَتْ تلك التطبيقات لـدنيّه مِنْ الله تَعَالَى، وليست بقـدره محـدوده عاجزه مِنْ ذهنيّه البشـر، فَهُنَا يُعبر عنها بدوام بقاء انطباق وتطبيق وتنزّل وتنزيل القُرآن.

وَهَـذَا أحـد معـانى أوصـاف المعصوم المختصّه الوارده: «أشـهدُ أنَّكَ تلوتَ الكتاب حقّ تلاوته» أىّ يتلو الآيه ويُنزلها فِى مواطن يحقّ أنْ تتنزَّل فيه بتنزيل مِنْ الحقّ سُـبْحَانَهُ، وَهَـذَا أحـد معانى قَاعـدَه الجرى والتطبيق - الَّتِى كشف عنها النقاب أئمه أهل البيت عليهم السلام - كَمَا مَرَّ - فِى القَاعِدَه الخامسه.

مِنْ تفسير أمومه الولايه.

إذَنْ دوام نزول القُرآن بمعنى أنَّ هَذِهِ النّظريه الكبرى القرآنيه تتنزل هُنَا فِى التطبيق.

وحى القُرآن ذو بُعْدين

بعدٌ نبوى انقطع وبعدٌ ولوىٌ مُستمرٌ

أحد خواص ونعوت الإمام فِى مدرسه أهل البيت عليهم السلام يتلو الكتاب حق تلاوته بمعنى الانطباق:

لَيْسَ المُرَاد مِنْ التلاـوه فَقَـطْ التلاوه الصّوتيه فِى قوله تَعَالَى(يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ)١ وَإنَّما المُرَاد مِنْهَا انطباق مَعْنَى أو ولايه

حقيقه القُرآن وهيمنته فِی إداره دفّه القضاء والقدر فِی کُلّ واقِعه وحادثه فالتلاوه ليست بمجرّد رتبه صوتيه ولا برتبه معانی فِی الأفکار أو تطبيق طبقات المعانی إلی سبعين بطن فِی المعنی وَکُلّ درجه مِنْ درجات المعانی لها درجه مِنْ التلاوه، فَکُلّ مورد يتلوه معنیً مُفَسِّرٌ ومبينٌ للأمر الإلهی فيه، بَلْ درجات ومراتب التّلاوه لا تقتصر عَلَی المعانی، بَلْ العمده فيها تلاوه الحقائق فَإنَّ الحقيقه العظمی القرآنيه وَهِیَ روح القدس ما مِنْ صغيره ولا کبيره لا فِی الأرض ولا فِی السّماء إلَّا يحصيها روح القدس فِی لوح القضاء والقدر والحدوث والوقوع، وَهَذَا نمط آخر مِنْ التلاوه.

فَإنَّ أیّ آيه فِی القُرآن بحسب الحقائق الغيبيّه - کَمَا سيأتی فِی النظام الثَّالِث وَهُوَ نظام الحقائق - تمتد سلطتها الولائيه لهذا المقام - أیّ يتلو الکتاب حقّ تلاوته بمعنی الانطباق - فَإنَّ الجانب الولائی فِی القرآن لَمْ ينقطع بالرُّغم مِنْ أنَّ جانب النبوّه انقطع وانتهی«... إلَّا أنَّهُ لا نبی بعدی» فَإنَّ مَعْنَی استمرار الجانب الولائی فِی القُرآن هُوَ عباره عَنْ استمرار تأويل القُرآن بمعنی تطبيق کُلّ آيه مِنْ آيات الکتاب بَعْدَ معرفه موطن تنزلها، فَإنَّ الإمام الذی يتلو الکتاب حقّ تلاوته يعلم أين هُوَ الحَقّ فيطبقها الإمام عَلَی موطنها، فالمُعتبر هُوَ التلاوه بمعنی انطباق مَعْنَی لا تلاوه صوتيه أو غيرها، کَمَا توهّمه الخوارج؛ لأنَّهم أيضاً يتلوّن الکتاب ولکن طبّقوه عَلَی غَيْر موطنه لعدم علمهم وإحاطتهم بأسباب النُّزول بسبب ابتعادهم عَنْ خطّ ولايه آل مُحمَّد صلوات الله عليهم وشتّان بينهما، فَإنَّ الخوارج طلبوا الحقّ

فاخطأوه.

وَعَلَيْهِ فَالقُرآن فيه نظام تكوينى أىّ لَهُ حقيقه تكوينيه، وبعباره أُخْرَى حقائق القُرآن حقيقه تكوينيه كبرى وَهُوَ روح القدس الذى هُوَ أعظم خِلْقَه مِنْ السماوات السّبع والأرضين وَمِنْ الجنّه والنّار وَمِنْ عالم الآخره وعالم القيامه.

فَإِنَّ كُلّ ما تَقَدَّمَ ذكره قَدْ استفاده الفيلسوف الشّيعى ملا صدرا وَرَكَّز عَلَيْهِ فِى أسفاره نتيجه اقتباسه لَهُ مِنْ بيانات أهل البيت عليهم السلام.

يتلو الكتاب خاص بالمعصوم عَلَيْهِ السَّلامُ:

حصرتْ بيانات أهل البيت عليهم السلام بأنَّ الذى يعلم أسباب النُّزول بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله هُوَ أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فَقَطْ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أسباب النُّزول ليست سبباً وموروداً واحِداً، وَإِنَّما هِىَ موارد أسباب النُّزول، فالآيه الواحده لها عِدَّه أسباب متكرره وعِدَّه مواطن ت كَمَا مَرَّ - وأنَّ القُرآن حَمّال لوجوه، ولا يَعْرِف هَذِهِ الوجوه إلَّا الأئمه المعصومين عليهم السلام مِنْ أهل البيت عليهم السلام وما عداهم مِنْ البشر فَهُوَ عاجزٌ عَنْ معرفه المواطن المناسبه لنزول الآيه بالدِّقه حَتّى يتلونها ويطبقونها فيها، وإنْ كانوا يظنّون أو يحتملون أنَّ هَذَا المورد هُوَ موردُ تطبيقها، ولكن أين هَذَا بالقياس إلى علم الإمام المعصوم اللّدُنى اليقينى فِى تطبيق مورد الآيه، فَإِنَّ الظنَّ مقابل اليقين لا يغنى عَنْ الحَقّ، واليقين الذى زوَّدَ الله به المعصوم عليه السلام شيئاً آخر، ولذلك

ذكرت أسباب النُّزول نموذج زيد بن حارثه وزينب بنت جحش وزواجهما وَأَنَّهُ لا يفهم أسباب النُّزول حاقّ فهمها إلَّا الحافظ الوحيانى للقُرْآن بعدالنبى صلى الله عليه وآله، هُوَ وصيّه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ثمَّ الحسن ثمَّ الحسين ثمَّ التسعه المعصومين عليهم السلام؛ لِأَنَّ أسباب النُّزول عباره أُخْرَى عَنْ السّيره النبويّه بتقرير وأنباء وحيانى إلهى فضلاً عمّا فِى أسباب النُّزول مِنْ سنن إلهيه وأنّى للأغيار عَنْ العلم الوحيانى الإحاطه بذلك، وَمِنْ ثمَّ كرَّر تأكيده أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام اختصاصه بعلم التّنزيل أىّ أسباب النُّزول وَإلى ذَلِكَ الإشاره فِى قوله تَعَالَى: (الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (١٢١)١ .

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مقام [يتلو الكتاب حَقَّ تلاوته] خاصّ بمنصب المعصوم.

والنتيجه (١) الَّتِى نُريد أنْ ننتهى إليها: هِىَ أنَّ العِلم التّام الكامل الشّامل المُحيط بأسباب وموارد النُّزول سواء الَّتِى سبقت أو الَّتِى ستأتى هُوَ علم خاص بالمعصومين عليهم السلام وَهُمْ النَّبِىّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسيد الأوصياء على بن أبى طالب عليه السلام وفاطمه الزهراء عليها السلام والحسن والحسين والتّسعه المعصومين مِنْ ذريّه الحسين عليه السلام، وما عدا المعصوم عليه السلام لا يتسنّى لَهُ معرفه ذَلِكَ كُلَّهُ بالتفصيل وَعَلَى نحو اليقين حَتّى مِنْ مُفسِّرى الخاصّه كالذى يعلمه

١- (٢) وَنَحْنُ فِى أواخر بحث أسباب النُّزول.

المعصوم، وَإِنَّما غايه ما لديهم - المُفَسِّرون - هُوَ الظن بمعرفه مواطن النُّزول الأوَّل، والتشبث بمثل ما لا يُدْرك كُلَّهُ لا يُتْرَك جُلُّه، وأنَّ الميسور لا يسقط بالمعسور وغيرها، وَهَذَا المقدار لا يوصل إلى اكتشاف حقائق القُرآن والموارد التطبيقيّه للآيه، نعم غايه ما يمكن أنْ يتوصل إليه المُفَسِّر الفطن هُوَ أنَّ غايه ما يتكرَّر مِنْ مواطن قَدْ يُسمّى - بالتأويل - وسيأتى تفصيله فِى نظام عالم المعانى فِى القُرآن وأنَّ أحد أقسام التأويل هُوَ عباره عَنْ مآل انطباق الآيات عَلَى مواطن عديده مُتّفقه فِى السنخ الواحد والجوهر جوهر مطلق؛ لذلك يتكرّر تلو الآيه حقّ التِلاوه مِنْ قبل المُعَلِّم الإلهى أىّ المعصوم بفضل وإراده وولايه مِنْ الله تَعَالَى يُطبِّق الآيه عَلَى ما يُسْتجَد مِنْ موارد وأحداث فِى بَعْض مواردها، وفى بَعْض مناطق أُخْرَى يُطبِّقها بولايه الرسول صلى الله عليه وآله فِى تبع وطول ولايه البارى، وبتبع وتفرّع ولايه الرسول صلى الله عليه وآله تطبق ولايه أولى الأمر أو الَّذِيْنَ آمنوا(إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا...)١ .

إذَنْ نزول وتنزيل القُرآن عَلَى مواطن بالنسبه للبُعد الثَّانِى وَهُوَ بُعْد الولايه والتّطبيق والصّلاحيّه والحاكميّه التنفيذيّه لا زالت هَذِهِ الولايه بَعْدَ ولايه الله وولايه الرسول صلى الله عليه وآله مستمره وإنْ رَحَل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى إلَّا إنَّ ارتباطه صلى الله عليه وآله بالوصى مِنْ أهل بيته المُتمثِّل الآن بالإمام الغائب الحجّه ابن الحسن المُنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف لا زال مُستمراً وَعَلَى حاله عَلَى اختلاف القنوات التكوينيه للارتباط سواء بالجانب الفقهى أو العقائدى المعرفى أو

التفسيرى أو التربوى أو الأمنى أو الاجتماعى أو العسكرى أو الجهادى أو الاقتصادى أو المالى وغيرها.

فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ يندرج تحت منصب ومقام ومنزل يتلو الكتاب حقَّ تلاوته المُختصّ بالإمام المعصوم عليه السلام وَهُوَ نوعٌ مِنْ أنواع التأويل مَعيّه الثقلين ونوع مِنْ أنواع تلازم العتره مَعَ حقيقه القُرآن فِى كُلّ مورد وموطن.

إمكانيه تعدد أسباب النُّزول للآيات القرآنيه لا ينفى وقوع

التعارض والتناقض فِى روايات أسباب النُّزول مطلقاً:

هُنَاك نوع ممكن مِنْ التناقض والتّعارض كَمَا فِى التّناقض الزمانى والمكانى، فمثلاً فِى بَعْض روايات أسباب النُّزول ذُكِرَ فيها أنَّ الآيه الفلانيه نزلت فِى السنه الثانيه للهجره مثلاً وروايه أُخْرَى ذُكِرَ فيها أنَّ نفس هَـذِهِ الآيه نزلت قبل الهجره فَإِنَّ مثل هكذا تناقض وتعارض زمانى لا يُعتبر تناقضاً؛ لإمكان تكرّر النُّزول وَإِنَّما المُرَاد مِنْ التناقض والتعارض فِى أسباب النُّزول هُوَ فِى المعنى المُفاد وَلَيْسَ فِى التعدّد؛ لِأَنَّ الاختلاف فِى المعنى المفاد هُوَ التناقض.

وتقدَّم أنَّ كُلّ سبب مِنْ أسباب النُّزول هُوَ بمثابه قرينه مُؤثِّره عَلَى ظهور وتركيب عناصر الظهور وبدلاله الآيه، وأنَّ تعدّد وتخالط القرائن فِى تركيب وبناء إطار الظهور لا يعنى وجود تناقض، وَإِنَّما التناقض الذى نُعَوِّل عَلَيْهِ فيما إذا فُرِض وجود تناقض فِى الأحكام، وتناقض فِى إثبات

شيء ونفيه، فحينئذٍ يَكون تناقضاً بين روايات أسباب النُّزول حَتّى لو كَانَ فِي المعارف والبصائر، فَهَذَا هُوَ التّناقض والتّعارض الذى ينبغى رفعه إنْ كَانَ عِنْدَ المُفَسِّر والباحث لا عِنْدَ المعصوم عليه السلام.

وأمَّا صِرْف تكرّر زمان أو مكان مورد النُّزول، فَإنَّ مثل هَذَا لا يعنى التعارض بالمعنى المصطلح كَمَا تخيله وبنى عَلَيْهِ أكثر المُفَسِّرين، وَعَلَى ضوء هَذَا التّعارض يُعْمِلون قَواعِد التّعارض بين روايات أسباب النُّزول المُتعدِّده بحَمْلِ بَعْض الروايات عَلَى التّأويل لا عَلَى النُّزول والتّنزيل والظاهر، وَهَذَا لا موجب لَهُ إلَّا موجب التنافى؛ لِإنَّ النُّزول يمكن أنْ يتكرَّر ويتعدّد كَمَا هُوَ مختارنا فِي بحث أسباب النُّزول.

الجهه الخامسه: الأدله القرآنيه عَلَى استمرار

نزول القُرآن بَعْدَ وفاه الرسول صلى الله عليه وآله:

ما هِيَ الحكمه والسر مِنْ تعدد النُّزول:

هُنَاك تساؤل يُثار وَهُوَ: - ما مَعْنَى تكرر نزول الآيه أو السوره بَعْدَ فرض تحقّق نزولها بالنزول الأوَّل إذَا كَانَ الملاحظ هُوَ المعنى الدارج للنزول وتنزل الآيه بين المُفَسِّرين مِنْ مُجرَّد صِرْف سماع البشر لألفاظ الآيه وإبلاغهم بهذه الألفاظ؟

وفى مقام الإجابه عَلَى هَذَا التساؤل: إنَّهُ إذَا كَانَ مَعْنَى النّزول هُوَ هَذَا المعنى السّاذج والمعروف بين المُفَسِّرين، فَإنَّ اعتراض المُعترض عَلَى تكرّر

النُّزول فِی محله إلَّا إنَّهُ سـنُبیِّن فِی الجهه اللاحقه أنَّ النُّزول لَهُ فوائـد ومعانی کثیره وغایات مُتعـدّده وآثار عظیمه فآنـذاک سوف یتعقّل تکرّر النُّزول، کَمَا تَقَدَّمَ ذکر شُطر مِنْهُ فِی ضمن الجهه الرابعه وَالنُّزول لَهُ نمطان: -

النمط الأوَّل: نزول ابتدائی: وَهُوَ خاص برسول الله صلی الله علیه وآله والذی جَمَعَ فیه ما بین الدفّتین، کَمَا نقرأ ذَلِکَ النّعت الذی نُعِتَ به رسول الله صـلی الله علیه وآله فِی مقـدمه زیاره أمیر المؤمنین علیه السـلام: «السَّلامُ مِنْ الله عَلَی مُحمَّد رسول الله أمین الله عَلَی وحیه ورسالاته وعزائِم أمره ومَعْـدِن الوحی والتنزیل... الـخ» أیّ التنزیل الأوَّل الذی أُنزل عَلَی رسول الله صـلی الله علیه وآله وَهُـوَ المصـحف الحقّ الـذی لاـ یـأتیه الباطـل والتّحریف مِنْ بین یـدیه ولاـ مِنْ خلفه ولاـ یزیـد ولاـ ینقص، وَهَـذِهِ هِیَ أوصـاف المصحف الذی تکرّر نزوله فِی زمن رسول الله صلی الله علیه وآله.

النمط الثَّانِی: النُّزول المُتکرِّر الذی وقع فِی عهد رسول الله صـلی الله علیه وآله، ووقع کلامٌ کثیر فِی هَذَا النّمط وَهُوَ تکرّر النُّزول، وهل هَذَا التکرّر مستمر إلی یَوُم القیامه أو لا؟

نعم إنَّهُ نزول مسـتمر کَمَـا ذکرته سوره القـدر(... تَنَزَّلُ الْمَلائِکَهُ وَ الرُّوحُ...) وربطت السوره بین تنزل الملائکه فِی کُلّ عام وبین نزول القُرآن، وَمِنْ لطیف مـا ذکرته مصادر أهل السُّنّه فضـلاً عَنْ أحادیث أهل البیت علیهم السـلام فِی فضل سوره القـدر أنَّهُ لو رُفعت لیله القدر لَرُفِعَ القُرآن، وَهَذَا یُبیِّن الصِّله الوطیده بین استمرار لیله القدر واستمرار بقاء القُرآن.

وَعَلَیْهِ فَإنَّ نزول القُرآن مُستمر ویتکرّر لا بمعنی نزول سور وآیات

جدیـده وَإِنَّمـا السوره هِیَ السوره، والآیه هِیَ الآیه، وَهِیَ بنفسـها الَّتِی نزلت عَلَی رسول الله صـلی الله علیه وآله یتکرّر نزولها إلی یَوُم القیامه، کَمَا فِی سوره الفاتحه والتّوحیـد - اللّـذان هُمَا محل وفاق بین المُفَسِّرین عَلَی أنَّ نزولهما تکرّر عَلَی رسول الله صـلی الله علیه وآله أکثر مِنْ مَرَّه، علمـاً أنَّ النُّزول فِی المَرَّه الثَّانیه والثَّالثه والرَّابعه و... الـخ أیضاً یُسَـمّی نزولاً مَعَ أنَّهُ لَیْسَ بنزول جـدید للسُّوره أو الآیه وَمَعَ ذَلِکَ تتکرَّر هَذِهِ الظاهره لنزول القُرآن.

أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام تالی الکتاب:

مِنْ النّعوت المتواتره والمُسـتفیضه لأمیر المؤمنین علیه السـلام وأئمه أهـل البیت علیهم السـلام عِنْـدَ کلا الفریقین - نعت [التالی للکتاب حقّ تلاوته] فِی مَعْنَی حقّ التلاوه.

المُرَاد - کَمَا مَرَّ - هُوَ انطباق مَعْنَی، وأنَّ کُلّ آیه قرآنیه بحسب الحقائق الغیبیه تمتدّ سلطتها الولائیه لهذا المقام.

(وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُیِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ کُلِّمَ بِهِ الْمَوْتی)(۱).

بتقریب: لَیْسَ المُرَاد مِنْ (لو) صرف امتناع لامتناع وَإِنَّما هِیَ شؤون القُرآن فِی الولایه التکوینیّه والتّصرف فِی الأحداث طبق نظام القضـاء والقـدر والمشـیئه والعلم الإلـهی بمـا للقُرآن مِنْ حقیقه متعـاظمه مُهیمنه تکوینـاً عَلَی مـا دونهـا مِنْ اللّوح والقلم والقضاء والقدر.

وتقدم أنَّهُ لَیْسَ المُرَاد مِنْ التلاوه هُوَ الإفصاح عَنْ حروف القُرآن

۱- (۱) سوره الرعد: الآیه ۳۱.

فَإِنَّهُ مَعْنَى سطحى للتلاوه، وَإِنَّما المُرَاد مِنْ التلاوه معناها الأعظم، وَهُوَ حين تقرأ وتتلو الآيه لابُدَّ أنْ تتمسَّك وتعمل بها فِى مواطنَ تستحق العمل بالآيه لِأنَّ لِكُلِّ آيه وسوره موطن لأسباب النُّزول، ولماذا لِكُلِّ آيه سبب نزول؟

لِأنَّ كُلّ آيه لها موطن تطبّق فيه بشكل حقيقى، وَهَذَا يحتاج إلى تسديد إلهى لمعرفه مواطن التطبيق يُعَبَّر عَنْهُ بمنصب أو مقام يتلو الكتاب حَقَّ تلاوته، وَهَذَا الوصف هُوَ أحد نعوت وأوصاف أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فَإِنَّهُ العارف بمواضع تطبيق الآيات الَّتِى نزلت فيها كُلّ آيه آيه.

عَنْ سليمان الأعمش، عَنْ أبيه، قَالَ: قَالَ علىٌّ عليه السلام: «ما نزلت آيه إلَّا وأنا عَلِمتُ فيمن نزلت، وأين نزلت وَعَلَى مَنْ نزلت، إنَّ ربى وهب لى قلباً عقولاً، ولساناً طلِقاً»(۱).

وَهَذَا التَّطبيق هُوَ أحد معانى النُّزول وَقَدْ مَرَّ مَعْنَى آخر(يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ) وَهُوَ تصدّى روح القُدُس فِى الوقائع والحوادث التّكوينيه عبر لوح القضاء والقدر بالتّصرف بما يجرى عَلَى وفق سنن القُرآن لا بمعنى الإلحاء والجبر، بَلْ أمرٌ بين أمرين.

۱- (۱) تفسير العيّاشى: ج ۱، ص ۹۵؛ بحار الأنوار: ج ۹۲، ص ۹۷ ح ۶۰.

أسباب النزول والتنزيل والتأويل

واستمرار ولايه الله وولايه الرسول

وولايه أئمه أهل البيت عليهم السلام

حقيقه النُّزول والتنزيل للآيات

ما هِيَ فوائد وأسرار آثار نتائج أسباب النُّزول:

بَعْدَمَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ يمكن أنْ يَكُون للآيه الواحده أو السوره الواحده أكثر مِنْ سبب للنُّزول، وأنَّ النُّزول يمكن أنْ يتكرَّر، وأنَّ السُّوره أو الآيه - كَمَا هُوَ واضح - لابُدَّ لها مِنْ موطن فما مَعْنَى نزول الآيه فِي موطن؟

إنَّ الشَّائع عِنْدَ الكثير مِنْ المُفَسِّرِين - وللأسف - أنَّهم حصروا سبب النُّزول بمناسبه وواقعه مُعيَّنه لهذه الآيه أو السوره وأنَّها نزلت عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله لمناسبه تناسبها وتناغمها مَعَ موطن مُعيّن والرَّسول صلى الله عليه وآله يُبَلِّغها للنَّاس فِي ذَلِكَ الموطن الزَّمانى والمكانى المعين، وَذَلِكَ الموطن يُسَمَّى سبب النُّزول.

إذَنْ غايه ما يمكن أنْ يُعَرِّفه جُلُّ المُفَسِّرِين لأسباب النُّزول: هُوَ أنَّ لها

دورٌ فِی بیان المعنی الکَلِّی للآیه، أیّ موطن النُّزول جغرافیاً وزمانیاً وأحداثیاً.

بینما یَکُون لمعنی الآیه فِی موطن حسب بیانات القُرآن وأهل البیت علیهم السلام حقائق وغایات وآثار أُخْرَی أحدها غَیْر الإبلاغ للبشر، وَغَیْر نزول الآیه فِی الموطن الخاصّ، هُوَ نوعٌ مِنْ إنفاد وإجراء حاکمیه الله تَعَالَی الولائیه، فالتنزیل وَالنُّزول فِی موطن مُعیَّن حقیقته حکم تنفیذی بولایه إلهیه وحاکمیه مِنْ الله فِی البُعد التنفیذی والتطبیقی والولایه السیاسیّه، وسبب النُّزول مُتمحّضٌ فِی التفسیر والتبیین للمعنی الکُلِّی للآیه حصراً، بَلْ هُوَ فِی الأصل طابع مِنْ الحاکمیه للولایه الإلهیه السیاسیه، سواء فِی مجال مرافق وأنشطه الدوله، أو فِی بُعد الأحوال الشّخصیّه، أو الأسره أو التشریع المدنی.

عمده حقیقه القُرآن بالولایه فِی النَّبِیّ صلی الله علیه وآله وعترته علیهم السلام وعمده النبوّه فِی التنزیل:

امتناع تفسیر القُرآن بمجرد النبوّه، بَلْ لابُدَّ مِنْ بَعْدَ الولایه فِی النَّبِیّ صلی الله علیه وآله وعترته علیهم السلام:

الحاکمیه السیاسیه الولائیه لله تَعَالَی مختصه بالرسول صلی الله علیه وآله وأئمه أهل البیت علیهم السلام مِنْ بعده:

إنَّ الحاکم الأوَّل السّیاسی والعسکری والاقتصادی والتّشریعی فِی حکومه رسول الله صلی الله علیه وآله هُوَ الله تَعَالَی، والحاکم الثَّانِی هُوَ رسول الله صلی الله علیه وآله وَمِنْ بعده أهل البیت علیهم السلام ومظهر تطبیق هَذِهِ الحاکمیّه السیاسیّه الإلهی هُوَ موارد

النُّزول، فمثلاً- إذَا كَانَ مورد نزول الآيه هُوَ الأمُور والشُّؤون العسكريّه والحربيّه، ففى مثل هَـذَا الأمر لا يحسمه ولا يُبتُّ به إلَّا الله عَزَّ وَجَلَّ فيأمر الله تَعَالَى رسوله صلى الله عليه وآله بأنَّ هَذَا المورد مورد حَرْب وقتال، وَهَذَا المورد مورد سِلْمٍ ومهادنه، وهكذا.

وَهَـذَا معناه إعمال لولا-يه الله عَزَّ وَجَلَّ فِى إداره شؤون العباد، مُضَافَاً ما لإعْمال ولايه الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جانب سياسى وعسكرى واقتصادى وتجارى وأمنى وغيرها، مُضَافَاً إلى ارتّباط أكثر آيات القُرآن بجانب العقيده والمعرفه وغيرها.

وَلابُدَّ مِنْ الالتفات إلى نقطه مُهمّه جدّاً فِى أسباب النُّزول تعتبر مِنْ أهم معانى وحقائق التنزيل وَالنُّزول، هِىَ أنَّ:

أسباب النُّزول حكمُ:

صرَّحتْ بَعْض آيات القُرآن الكريم بأنَّ سبب النُّزول هُوَ حكمٌ كَمَا فِى قوله تَعَالَى: (وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ حُكْماً عَرَبِيًّا)١ .

بتقريب: إنَّ كثيراً مِنْ المُفَسِّرين قَدْ يُفسِّرون - حكماً عربياً - أىّ لفظاً عربياً وليست أهميّه المسأله كون الحكم بلسان عربى أو غَيْر عربى بقدر أهميّه أنَّ المُرَاد مِنْ(حُكْماً عَرَبِيًّا) لبيان أهميّه الولا-يه والحاكميه هُنَا مِنْ الله تَعَالَى فِى الشأن الشَّخصى الخطير المنعطف فِى مسيره الدِّين المنشئ بلفظ عربى.

وَعَلَيْهِ ففى آيات عديده وصفت التّنزيل بالحكم والتّصديق وفسّرته روايات أسباب النُّزول الصّحيحه الوارده عَنْ أهل البيت عليهم السلام أنَّها فِي مقام بيان مُعتقد حقيقى خطير فِي حقائق القرآن وَهُوَ مغفولٌ عَنْهُ حَتّى عِنْدَ جمله مِنْ مُفسِّرى الخاصّه وَلَيْسَ هَذَا مُختصّاً بالتنزيل فَقَطْ، وَإنَّما يشمل حَتّى التّأويل فَإنَّ فيه - التأويل - تصديقٌ مِنْ جهه معناه الكُلّى، وفيه حكمٌ مِنْ جهه أُخْرَى.

وهكذا الآيه المُبَارَكه: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)١ .

بتقريب: أنَّ الآيه المُبَارَكه لها مفادان عام وخاص، أمَّا العام وَهُوَ الإبلاغ للبشر وأمَّا الخاصّ فَهُوَ بُعْدٌ جزئى حقيقى شخصى تطبيقى تتكفّل العنايه الإلهيه بتطبيق هَذِهِ المعادله الكُلّيّه فِي الآيه فِي هَذَا الموطن، فَإنَّ مثل هَذَا التّطبيق يُسَمَّى ب - (الحكم).

والحاكميه الإلهيه هِيَ غَيْر المفاد العام الكُلّى للآيه، ومثل هكذا بيان لأسباب النُّزول لَمْ ولن نجده فِي غَيْر مدرسه أهل البيت عليهم السلام(١).

١- (٢) مِنْ باب إتمامٌ للفائده بيان الفرق بين الفتوى والحكم والحكمه والتصديق.الفتوى: عباره عَنْ بيان للحكم الكُلّى بنحو عام كُلّى أىّ تنظير وتقنين سلطه تشريعيه.الحكم: عباره عَنْ التطبيق للحكم الكُلّى عَلَى واقعه جزئيه فِي نزاع مُعيّن أوْ لا، وَقَدْ يُعبَّر عَنْ التّنزيل والتّأويل بالحكم، ويُرَاد به التّطبيق، إذَنْ إذَا أُريد مِنْ التأويل التطبيق فيُعبَّر عَنْهُ بالحكم، وهكذا التنزيل، فيُعبَّر عَنْهُ بالحكم، وهكذا التّنزيل، فَيُعَبَّر عَنْهُ بالحكم فِي بيانات القُرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام بالتصديق.الحِكْمَه: هِيَ وضع الشىء الكُلّى فِي مواضعه الجزئيه المُناسبه لَهُ، سواء كَانَ جزئى حقيقى أو إضافى الذى هُوَ أضيق دائره مِنْ الكُلّى، وأنَّ الحُكم والحاكميّه فيها جنبه ولايه.التَّصديق: هُوَ ملاحظه البُعْد العام فِي التّنزيل يعنى المفاد الكُلّى فِي الآيه الَّتِي أبلغت للبشر وَلَمْ يلحظ موطن تطبيقهُ، فَهَذَا ما يُسمّى بالتّصديق أىّ تصديق التّنزيل.

والخلاصه: إنَّ الآيه لا تنحصر فائدتها بالإبلاغ إلى البشر فَقَطْ، بَلْ هُوَ إعمال لحاكميّه الله السياسيّه الولائيه إنْ كَانَتْ الآيه مُرتبطه بالسياسه، وَهَذَا التّطبيق الجزئى لحاكميّه الله ولولايه الله السياسيّه، وأنَّ كُلّ المُنعطفات الَّتِى تمرُّ بها مسيره الرسول صلى الله عليه وآله وحكومته فِى حياته عَلَى مُختلف الأَصْعِدَه سواء فِى النظام الاجتماعى أو الاقتصادى أو العسكرى أو... الخ فَإنَّ زمام الأمر بيد الله تَعَالَى قبل أنْ يَكُون بيد الرسول صلى الله عليه وآله - كَمَا مَرَّ -.

وتحصل مما تَقَدَّمَ أنَّ أسباب النُّزول لها مُضَافاً - لما مَرَّ - جنبه حكم بمعنى أنَّ البارى تَعَالَى يُمارس الحاكميّه والسياسيّه وَهُوَ الولايه، والحقّ تَعَالَى وإنْ كَانَ لَهُ حقّ التّشريع وحقّ الألوهيّه، وحق العبوديّه كَذَلِكَ لَهُ تَعَالَى حقّ الحاكميّه السياسيّه أىّ الولايه لله أوَّلاً، ثمَّ ولايه الرسول صلى الله عليه وآله ثانياً ثمَّ ولايه أهل البيت عليهم السلام ثالثاً، وَهَذَا المعنى لأسباب النُّزول وَهُوَ حقّ إعمال الحاكميّه وَإنَّهُ تَعَالَى حاكمٌ لا تجده إلَّا فِى مدرسه أهل البيت عليهم السلام، فَإنَّ بحوث المُتكلمين فِى المدارس الإسْلاميَّه الأُخْرَى وَغَيْر الإسْلاميَّه كاليهود والنّصارى وسائر الملل والنِّحل الأُخْرَى المُنتسبه إلى السّماء، فَإنَّهُ لَيْسَ فيها - أسباب النُّزول - مَعْنَى حقّ الحاكميّه السياسيه لله تَعَالَى وإنْ كانوا يُؤمنون

بالتّوحيد أىّ يُؤمنون بأصل وجود الله وبأصل صفات الله هُوَ التّوحيد فِى المعرفه.

كَذَلِكَ النُّبوّه توحيد فِى التشريع قبل أنْ تكون إيمان بالأنبياء هِىَ إيمان بالله، وَهَذَا شأن آخر فِى التّوحيد، وَعَلَيْهِ فالتّوحيد لَهُ مقامات وشؤون.

ولا يكفى توحيد الله فِى مقام التّشريع.

وغرضنا مِنْ ذكر هَذِهِ المُقدِّمات هُوَ لأجل تفسير حقيقه النُّزول الَّتِى خُفيت عَنْ جُمله مِنْ المُفَسِّرِين بسبب ابتعادهم عَنْ مدرسه أهل البيت عليهم السلام ومعرفه ولايه الله تَعَالَى.

التوحيد عند المدارس الإسّلاميَّه الأُخْرَى(١):

إنَّ الاعتقاد بالتوحيد عِنْدَ بَعْض المذاهب الإسّلاميَّه يُعنون به الاعتقاد بأصل وجود الله تَعَالَى، وَمِنْ الواضح حصر التّوحيد بهذه المرتبه غَيْر كافٍ لصدق التّوحيد فِى مدرسه أهل البيت عليهم السلام؛ لِأَنَّ التّوحيد لَهُ مقامات وشؤون عديده فِى مدرسه أهل البيت عليهم السلام، فمثلاً أحد مقامات التّوحيد أَنَّهُ لا موجود أزلى سرمدى إلَّا لله، وَهُنَاك مقام آخر للتوحيد هُوَ النبوّه، فَإِنَّ النبوّه هِىَ توحيد وإيمان بالله تَعَالَى قبل أنْ تكون إيمان بالأنبياء،

١- (١) غرضنا مِنْ ذكر هَذَا المطلب هُوَ لأجل تفسير البُعد الآخر لأسباب النُّزول، وأنَّ هُنَاك حقيقه خُفيت عَنْ المُفَسِّرِين بسبب ابتعادهم عَنْ مدرسه أهل البيت عليهم السلام وعدم معرفه ولايه أهل البيت عليهم السلام.

وهكذا هُنَاك مقام ثالث وَهُوَ: إنَّهُ لا مُشرِّعَ إلَّا الله تَعَالَى عِبْرَ أنبياءه ورسوله، وَمَنْ يخوّلهم الله فِي التّشريع، فَإنَّ لا إله إلَّا الله عَلَى مراتب كَمَا فِي الرّوايه عَنْ الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام: «لا إله إلَّا الله حصنى فَمَنْ دخل حصنى أمِنَ مِنْ عذابى فلما مَرَّت الراحله نادانا بشروطها، وأنا مِنْ شروطها»(١).

بتقريب: أنَّ لا إله إلَّا الله لها درجات وولايه الأئمه المعصومين وأحدهم الإمام الرضا عليه السلام هُوَ أحد درجات التّوحيد، فَكَمَا أنَّ لا إله إلَّا الله موجود سرمدى أزلى إلَّا الله ولا مُشَرِّع إلَّا الله ولا حكم إلَّا لله ولا... الخ كَذَلِكَ النبوّات والإمامه والولايه عباره أُخْرَى عَنْ شأن توحيدى، فَإنَّهُ لا نبوّه ولا إمامه ولا ولايه بالأصاله إلَّا لله تَعَالَى، فَإنَّ مبحث الولايه مِنْ أعظم أركان فروع الدِّين وَالفِقْه وَلَمْ يُنادَ بشيء أعظم مما نودى بالولايه؛ لِأنَّ الولايه بالأصل هِيَ ولايه الله، وَعَلَيْهِ كيف يَقِرّ البعض بوجود الله الأزلى السّرمى، ولكن يجحد ولايه الله تَعَالَى؟

ومثل هؤلاء وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بأنَّهم تمسَّكُوا بالشّجرَه وضيّعوا الثّمره فَإنَّ أصل شجره التّوحيد فِي الوجود الأزلى السَّرمدى هُوَ الله عَزَّ وَجَلَّ وثمرته - التّوحيد - أنَّهُ لا ولايه إلَّا لله وَهِيَ الأصل ثمَّ ولايه الرسول ثمَّ ولايه أئمه أهل البيت عليهم السلام الَّتِي هِيَ مظهر لولايه الله تَعَالَى، فالله موجود أزلى سرمدى لَهُ حاكميّه التّشريع والحاكميّه السياسيّه، كَذَلِكَ نبوّه

١- (١) الأمالى، الشَّيْخ الصّدوق: ص ٣٠٦.

الأنبياء فَإِنَّها مَظْهر وقناه لتشريع الله وَمِنْهَا ولايه الرسول صلى الله عليه وآله وولايه أئمه أهل البيت عليهم السلام هِيَ قناه الإيصال إرادات الله، ولا أحدٌ يطّلع عَلَى إرادات الله إلَّا مَنْ اصطفاهم وَهُمْ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الَّتِي أحد نعوتهم عليهم السلام أَنَّهم مهبط مشيئه الله، وإرادات الله تنزل فِي بيوتكم يعنى بيوت الأرواح والنفوس، ولذلك فَإِنَّ معتقد الإمامه وولايه أهل البيت عليهم السلام هُوَ شأن توحيدى، ولذا نعتقد بان مَنْ أخفق وخُذِل فِي هَذَا المعتقد فَقَدْ أخفق وجَحَدَ فِي مقام مِنْ مقامات توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ، وهكذا المعاد يعنى لقاء الله وَلَيْسَ المُرَاد اللقاء الجسمانى - هُوَ مظهر توحيدى، ومثل هكذا مقام لا تجده إلَّا فِي مدرسه أهل البيت عليهم السلام، ولذا إذَا قلنا أنَّ التّوحيد الكامل والخالص لَمْ ولن نجده إلَّا فِي مدرسه أهل البيت عليهم السلام لَمْ نكن مبالغين وَإِنَّما هُوَ لبيان الواقع والحقيقه.

ملحمه الحكم والحاكميه فِي قَاعده أسباب النُّزول:

تَقَدَّمَ سابقاً أنَّ المُرَاد مِنْ الولايه يعنى حاكميه الله السياسيّه وَالَّتِي لا تجدها فِي أيِّ مذهب مِنْ المذاهب الإسْلاميَّه إلَّا فِي مذهب أهل البيت عليهم السلام، وَهَذِهِ الولايه مظهرها وترجمانها هُوَ تنفيذ النَّبِيّ للأوامر الإلهيّه فِي مورد نزول الآيه الَّتِي يأمر بها الله تَعَالَى نبيّه صلى الله عليه وآله فِي هَذَا المورد أعقد السِّلْمَ، وفى مورد آخر أُخرج للحرب، وفى ثالث أعقد هدنةً ورابع فداء وضريبه ماليّه أو أخذ الخمس، أو الإداره الاقتصاديه، وَهَذِهِ وغيرها مِنْ المهام الَّتِي تلقى عَلَى عاتق النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وَمُبَاشَرَه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله إليها هِيَ بصلاحيّه مِنْ الله نظير

التّشريعات الإلهيّه الَّتِى فِى بعضها مساحه فرائض الله، وفى بعضها الآخر مساحه لسنن النَّبِىّ صلى الله عليه وآله أو سنن المعصومين عليهم السلام، وبالتّالى فَإِنَّ هَذِهِ التّشريعات لا تنسب إلى النَّبِىّ صلى الله عليه وآله أو الأئمه وَإِنَّما تُنسب إلى الله وأنَّ الله تَعَالَى رخّص النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وأعطاه صلاحيات مُعيّنه وهكذا الأئمه عليهم السلام.

فالأحداث الخطيره والعصيبه فتدبير شأنها مِنْ قسم ولايه الله تَعَالَى، وما كَانَ دون ذَلِكَ أيضاً هُوَ مِنْ ولايه الله إلَّا أنَّها فِى ضمن صلاحيّه ولايه النَّبِىّ صلى الله عليه وآله، وما دون ذَلِكَ يدخل فِى صلاحيّه المعصومين عليهم السلام كحسم الموقف السياسى أو الاقتصادى أو العسكرى أو المالى أو الحربى أو... الخ.

والخلاصه: إنَّ الحاكميّه إذَا وصلت إلى منعطف خطير فتكون لله عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذَا الذى يُعْبَر عَنْهُ بالبُعْد الآخر لأسباب النُّزول وَإِنَّها تجلّى وبروز وتطبيق للحاكميّه السياسيّه لله تَعَالَى فِى الأصعده المختلفه.

ولا يُعْقل انحسار وتقوّض هَذِهِ الحاكميّه السياسيّه برحيل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى وَإِنَّما لا زالت موجوده، بَلْ وَمِنْ مُختصّات أهل البيت عليهم السلام.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أسباب النُّزول لا تنحصر بجهه مُعيّنه، بَلْ لها جهات وحقائق أُخْرَى مُهمّه ومؤثِّره.

الولايه لا تتقزم فِى البعد السياسى والتنظيم الحربى:

إنَّ حقيقه ولايه الله عَزَّ وَجَلَّ وولايه الرسول صلى الله عليه وآله وولايه أئمه أهل

البیت علیهم السلام(۱) لا تنحصر ولا تتقزّم بالبُعْد السیاسی والتنظیم الحربی وغیرهما وَإنَّما الولایه لها دور أساسی فِی جمیع العلوم والمعارف والشؤون العسکریّه والأمنیه والاقتصادیّه والتّجاریه والاجتماعیه والتربویّه والثقافیّه وغیرها.

فَإنَّ أحد دعائم الولایه هُوَ الهدایه، فالبشر بمفرده وبمعزل عَنْ ولایه الله وولایه الرسول صلی الله علیه وآله وأهل بیته علیهم السلام لا یستطیع أنْ یُحقّق النتائج المُثمره والنَّاجحه سواء النّظریه أو العملیّه إلَّا بإعمال الولایه الإلهیه وَالَّتِی أحد دعائمها الهدایه لا سیّما الهدایه الملکوتیّه والهدایه الإیصالیّه – والهدایه غَیْر الولایه وَغَیْر الحاکمیه السیاسیّه – فَإنَّ الهدایه عَلَی قسمین:

الأول: هدایه إراءه – الهدایه الأرائیه هِیَ التعریف بالمطلوب و الغایه وتشخیصه وتنجیز – أیّ والإعلام به – وإقامه الحجّه عَلَیْهِ، فَهِیَ بالتالی إراءه وإناره للطریق مِنْ دون اصطحاب وأخذ للمُسترشد بیده إلی الغایه.

الثانی: هدایه إیصالیه: وَهِیَ الإیصال إلی المطلوب والهَدَف، فَإنَّ الله تَعَالَی هُوَ الهادی، فَإنَّ فِی بَعْض منعطفات الهدایه سواء الأرائیه أو الإیصالیّه الَّتِی تنیر لنا الطریق وتوصلنا إلی الباری هِیَ مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ(اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ (۶) صِراطَ الَّذِینَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ غَیْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ وَ لاَ الضّالِّینَ) .

بتقریب: إنَّهُ لابُدَّ أنْ نطوی الطریق مَعَ ثله الهداه المهدیین الذی یُنیرون لنا الطریق، وَهَذِهِ الهدایه مُتمثِّله بمقام النبوّه والإمامه المُمهِّدین

۱- (۱) کَمَا بیَّنه الشَّیْخ مُحمَّد السَّند فِی کتابه: الإمامه الإلهیه: ج ۳، ص ۵۷۹.

والآخِذين والكفيلين بإيصالِك إلى الولايه الحقّه وَهِيَ ولايه الله تَعَالَى بطريق نيّر.

والهدايه الإيصاليه هِيَ محطّ غرض إلهى وَإِنَّها - الهدايه الإيصاليه - هِيَ مِنْ غايات الهدايه التّشريعيه، وأنْ يَكُون المجتمع البشرى مجتمعاً فاضلاً تكامليّاً وإصلاحياً لجميع البشر، والوصول إلى الحقيقه وَهِيَ العبوديّه الخالصه لله تَعَالَى والوصول إلى الأغراض والأهداف والمطلوبه.

وَالقُرآن الكريم عَبَّر عَنْ الولايه والإمامه فِي عشرات الآيات وبعشرات العناوين كالإمامه والولايه والملك والخليفه والهادى والشّاهد والولى.

(إِنِّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً)١ . (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ)٢ وفى آيه أُخْرَى عَبَّر عَنْ الإمامه بالملك(وَ آتاهُ اللّهُ الْمُلْكَ) ٣ (فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً (٥۴)۴ .

بتقريب: أنَّ آل إبراهيم عليه السلام ملكوا ملكاً عظيماً وَهُوَ منصب ومقام الولايه الذى هُوَ مِنْ أعظم المناصب.

والهدايه(وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ)۵ .

والمودّه(قُلْ لا أَسْئَلُكَمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى)١ .

وما وَرَدَ فِى كلمات أهل البيت عليهم السلام: «ما نودى بشىء أعظم ممّا نودى بالولايه» أو لَمْ تنادَ بشىء ما نودى بالولايه(١).

مما تَقَدَّمَ تَحصَّل أنَّ منصب الولايه لا يتقزَّم ببُعْدٍ مُعيَّن كالبُعد السياسى والتنظيم الحربى وَإِنَّما الولايه لها شؤون وجوانب مُخْتَلِفَه فمثلاً ولايه الرسول صلى الله عليه وآله تشتمل عَلَى جوانب كثيره.

مِنْهَا: فِى جانب القضاء كَمَا فِى قوله تَعَالَى: (وَ إِذا دُعُوا إِلَى اللّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨)٣ وقوله تَعَالَى: (إِنَّما كانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذا دُعُوا إِلَى اللّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)٤ .

وَمِنْهَا: تدبيره صلى الله عليه وآله للأموال العامّه كقوله تَعَالَى: (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ قُلِ الْأَنْفالُ لِلّهِ وَ الرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١)٥ .

وقوله تَعَالَى: (وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْ ءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ

١- (٢) المحاسن للبرقى: ج ١، ص ٢٨۶.

وَ لِذِی الْقُرْبی)۱ .

وَمِنْهَا: الجانب السیاسی والتنظیم الحربی فلقوله تَعَالَی: (وَ إِمّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِیانَهً فَانْبِذْ إِلَیْهِمْ عَلی سَواءٍ)۲ .

وقوله تَعَالَی: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِینَ یَلُونَکُمْ مِنَ الْکُفّارِ وَ لْیَجِدُوا فِیکُمْ غِلْظَهً)۳ .

وقوله تَعَالَی: (وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها)۴ .

وقوله تَعَالَی: (ما کانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَکُونَ لَهُ أَسْری حَتّی یُثْخِنَ فِی الْأَرْضِ)۵ .

وقوله تَعَالَی: (یا أَیُّهَا النَّبِیُّ قُلْ لِمَنْ فِی أَیْدِیکُمْ مِنَ الْأَسْری إِنْ یَعْلَمِ اللّهُ فِی قُلُوبِکُمْ خَیْراً یُؤْتِکُمْ خَیْراً مِمّا أُخِذَ مِنْکُمْ)۶ .

وقوله تَعَالَی: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْکافِرِینَ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ)۷ .

وَمِنْهَا: الجانب الاجتماعی والتقنین الأسری، فلقوله تَعَالَی: (فَلَمّا

قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَيْ لا يَكونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ)١ .

وَمِنْهَا: الجانب الأمنى كَمَا فِي قوله تَعَالَى: (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ)٢ .

فضلاً عَنْ الآيات الَّتِي تحدّثت عَنْ إقامه أحكام الحدود مثل الزِّنا والسّرقه وغيرها.

كَمَا أَنَّ الولايه العامّه وغيرها ليست مرتبطه بالنبوّه، بَلْ بإمامه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وولايته لقوله تَعَالَى: (النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) ٣ بتقريب: إنَّ الآيه المُبَارَكه فِي مَعْرِض بيان صلاحيته صلى الله عليه وآله فِي إقامه المعاهدات مَعَ أهل الكتاب، أو قتالهم وحقوق المسلمين وما يتعلّق بشؤونهم.

إذَنْ فالموارد الَّتِي مارسها النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأقامها وأجراها فِي حكومته تنفيذٌ للإراده الإلهيه فيها.

وأنَّ أوامر الله تَعَالَى للنبى صلى الله عليه وآله الَّتِي وَرَدَتْ فِي القُرآن الكريم كَانَتْ بمستوى التنفيذ والتنجيز لا عَلَى مستوى التنظير الكُلِّي فَقَطْ، وَهِيَ تشريعات لإقامه الدوله، حَتّى أنَّ المسلم ليشعر أنَّ الإسلام لَهُ دخلٌ فِي كُلّ تفاصيل حياته اليوميّه فضلاً عَنْ كُلّيات أحكامها، وَالنَّبِيّ صلى الله عليه وآله كَانَ أوَّل مصداق فِي

تطبيق هَذِهِ العلاقه القُرآنيّه.

وبعباره أخرى: فَإنَّ أسباب النُّزول فِي التّشريعات القُرآنيّه فِي دوله الرسول صلى الله عليه وآله وحكومته لَيْسَ مفاد سبب النُّزول وثمرته الَّتِي هِيَ بيان المعنى الكُلِّي للتشريع وتوضيحه فَقَطْ، بَلْ هُنَاك بُعْدٌ هام بالغ الخطوره أيضاً فِي مَعْنَى أسباب النُّزول لتلك التّشريعات القُرآنيه: - هُوَ أنَّ تلك الموارد لأسباب النُّزول تصدى مِنْ الله تَعَالَى لتدبير الحكم السياسي فِي المجالات المُختلفه بإراده إلهيه لا بإراده نبويّه.

فَمِنْ ثَمَّ التّصرف الحكومي والحاكمي يسند إليه تَعَالَى، فالحاكم الأوَّل فِي حكومه الرسول صلى الله عليه وآله لَمْ يكن النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، بَلْ هُوَ الله تَعَالَى يتصدّى فِي المُنعطفات الخطيره السياسيّه والعكسريّه والاقتصاديّه والأمنيّه والقضائيّه والاجتماعيّه وغيرها فِي دوله وحكومه الرسول صلى الله عليه وآله، والحاكم الثَّانِي هُوَ الرسول صلى الله عليه وآله، وكذلك الحال فِي حكومه أمير المؤمنين على بن أبى طالب فَإنَّ الحاكم الأوَّل فِي المُنعطفات الخطيره هُوَ البارى تَعَالَى، ثمَّ الرسول صلى الله عليه وآله والحاكم الثَّالِث هُوَ أمير المؤمنين عليه السلام كَمَا فِي الأمر بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فِي برنامج حكومته عليه السلام، وكذلك فِي حكومه الحسنين عليهما السلام عَلَى العراق وحكومه الإمام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف وحكومه سائر الأئمه عليهم السلام.

والخلاصه مِنْ كُلّ هَذَا: أنَّ ممارسه القضاء وإداره السياسات الماليّه والاجتماعيّه وغيرها هِيَ مِنْ قبل الله تَعَالَى، وثانياً النَّبِيّ صلى الله عليه وآله إذْ ولايه الرسول صلى الله عليه وآله الَّتِي مِنْ خلالها يمارس صلاحياته فِي الحكم والقضاء هِيَ فرع

ولايه الله تَعَالَى، فالحكم الجزئى التنفيذى الإجرائى فضلاً عَنْ الكَلِّى هُوَ مِنْ قبل الله تَعَالَى.

ففى دوله الرسول صلى الله عليه وآله فَإنَّ الحاكم المباشر هُوَ الله تَعَالَى لا بمعنى التجسيم والتشبيه، بَلْ بمعنى أنَّ إرادته تَعَالَى تتنزّل عَلَى رسوله فينفذها مِنْ دون أنْ يَكُون التّصرف الحكومى منبعثاً مِنْ إراده الرسول صلى الله عليه وآله، فإراده الله تَعَالَى متنزّله فِى القرارات الجزئيه التفصيليّه مِنْ معاهدات وحروب وعلاقات كَذَلِكَ.

والإماميه تستشهد بذلك عَلَى الإمامه، وهل أنَّ الله تَعَالَى يُعْمِل حاكميّته السياسيّه فِى فتره مُعيّنه دون غيرها مِنْ الفترات بغضّ النّظر عَنْ ولايته تَعَالَى التّكوينيّه؟

هل ولايه وحاكميه الله للبشر انقطعت

برحيل رسول الله صلى الله عليه وآله أو لا؟

فإذا كَانَ المصدر الرئيسى للأحكام الجزئيه التنفيذيّه التفصيليّه فِى المُنعطفات الخطيره وممارستها مِنْ قبل الله تَعَالَى، فهل هَذِهِ الممارسه هِيَ لفتره محدوده تقتصر عَلَى الحقبه النبويّه المُبَارَكه - أىّ مِنْ خلال وجود النَّبِىّ صلى الله عليه وآله الشريف فَقَطْ - دون فتره ما بَعْدَ رحيله الشّريف، ثمَّ تنقطع بَعْدَ ذَلِكَ ولايه الله تَعَالَى فِى الإشراف السّياسى وتلغى؟ أم لابُدَّ لولايه الله تَعَالَى مِنْ الاستمرار والدّوام والبقاء؟

فإنْ قُلْنا بالأوَّل: وَهُوَ انقطاع ولايته تَعَالَى عِنْدَ وفاته صلى الله عليه وآله ألزمنا أنفسنا

بالتعطيل وانحسار إرادته تَعَالَى، وَمِنْ ثمَّ عجزه تَعَالَى - والعياذ بالله - عَنْ الامر، وبالتالى عزل إرادته عَنْ الحاكميه عَلَى خلقه، تَعَالَى الله عَنْ ذَلِكَ علوّاً كبيراً، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: (إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ) ١ بتقريب: إنَّ الألف واللام فِى (الحكم) للجنس أىّ كُلّ حكم سواء عَلَى صعيد التشريع أو التنفيذ أو التنظير [فالولايه لله الحَقّ] وَعَلَيْهِ فحتّى أمر التنفيذ وحسمه هُوَ لله تَعَالَى، وما عَلَى الرسول إلَّا التنفيذ؛ ولذا عِنْدَمَا يقول القُرآن(إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ) ٢ بتقريب: لَيْسَ المُرَاد مِنْ جعل الله تَعَالَى للخليفه فِى الأرض بمعنى استخلاف عُزْله عَنْ الله تَعَالَى، فَإنَّ الله تَعَالَى لا يعزل أحداً عَنْ قدرته، وَإنَّما المُرَاد مِنْ جعل الله خليفه بمعنى استخلاف تجلّى وظهور لقدره الله وولايته تَعَالَى فِى تصرفات هَذَا الخليفه، وأنكر عَلَى اليهود قولهم(وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ)٣ فيدُ تصرّفه تَعَالَى مبسوطه لا مغلوله، بتقريب: أنَّ قدره الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ انحسرت - والعياذ بالله -

ولايه الله عَزَّ وَجَلَّ فِى دوله الرسول هِىَ ظهور وتجلى

لحاكميه الله تَعَالَى عَلَى يد الرسول صلى الله عليه وآله فِى أسباب النُّزول:

أمَّا إذَا قلنا بالقول الثَّانِى - وَهُوَ عدم انحسار ولايه الله وحاكميته - كَمَا هُوَ الصّحيح والذى عَلَيْهِ مدرسه أهل البيت عليهم السلام مِنْ أنَّ ولايه الله تَعَالَى

مُستَمِره إلى أبد الآباد وليست مُختصّه بفتره زمان النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وما قبله وما بعده، بَلْ حاكميّه الله تَعَالَى لا توصف بالفتره الزمنيّه، ولا تأخذ بُرْهه وفتره وجيزه، فلا يمكن القول بها بحسب معتقدات مدرسه أهل البيت عليهم السلام، وإذا أخذنا بالقول الثَّانِي معناه استمرار ولايته وبقاؤها، فَعَنْ أيّ طريق تمرّ وتتنزّل إرادته وولايته تَعَالَى وَمِنْ أيّ قناه ستكون؟ إذْ هُوَ تَعَالَى لا يُحَسّ ولا يُجَسُّ ولا يُجبه.

فالقول بولايته تَعَالَى فِي الحاكميه السياسّه فِي النّظام البشرى يلزم مِنْهُ القول بوجود المعصوم فِي كُلّ وقت، وَهُوَ مَعْنَى قوله تَعَالَى بنحو دائم كُلِّى عام(إِنِّى جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ)١ .

وقولُ أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ الأرض لا تخلو مِنْ حجّه» فَالمُرَاد بالحجّه أيّ القناه المعصومه الَّتِي مِنْ خلالها إمرار ولايته تَعَالَى وإنفاذها عَلَى الخلق، وَهُوَ ما يدعو إلى القول بوجود الإمام المعصوم فِي كُلّ آنٍ مِنْ آنات الخلق، فَهُوَ... المعصوم سفير الله فِي خلقه.

فَمُبَاشَرَه الله تَعَالَى للتفاصيل السياسيّه فِي حاكميّه التّدبير لجزئيات الأُمُور نصَّ عَلَيْهَا القُرآن الكريم، كَمَا فِي قوله تَعَالَى(إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ)٢ .

إذْ هَذَا الاختبار لأصحاب طالوت لَيْسَ باختياره، بَلْ هُوَ بأمر الله

تَعَالَى كَمَا فِي غيرها مِنْ موارد أحكام الأنبياء، إلَّا أنَّ سيره النَّبِيّ صلى الله عليه وآله تلاحظ بشكل أكثف وأكبر تركيزاً عَلَى مستوى آيات القُرآن الكريم.

والخلاصه: المقصود مِنْ حاكميه الله تَعَالَى فِي أسباب النُّزول، سواء كَانَتْ فِي القُرآن أو الإنجيل أو التّوراه غَيْر المُحرَّفه هِيَ حاكميّه ولايه لله تَعَالَى وأبديّه مُستمره دائمه.

وَمِنْ الطبيعي أنَّ ولايه الله تَعَالَى وحاكميته تقتضي وصايا إلهيّه بوجود خليفه مِنْ قبل الله تَعَالَى، وَهَذَا الوصي يمثِّل استمرار ولايه الله وحاكميته وكيفيه ظهور وتجلّى حاكميته تَعَالَى الماضيه فِي الكون والمكان والمكين والأكوان والزّمان، تظهر عَلَى يد الملائكه، فَإنَّ أفعال جبرائيل عليه السلام هِيَ ظهور ومظهر لقدره الله تَعَالَى؛ لِأنَّ الله تَعَالَى هُوَ الذي أقدر جبرئيل عَلَى تلك القدره والأفعال.

وهكذا فِي أفعال ملك الموت عزرائيل عليه السلام: (قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)١ .

بتقريب: إنَّهُ لَيْسَ المُرَاد مِنْ (وُكِّل) بمعنى أنَّ الله تَعَالَى أعطى لعزرائيل عليه السلام وكاله عزلهٍ وتجافى وَأنَّهُ تَعَالَى معزول عَنْ عمل ملك الموت، كلا لَيْسَ هَذَا هُوَ المقصود وَإنَّما المقصود مِنْ (وُكِّل) بمعنى تجلّى وظهور لقدره الله تَعَالَى، وما يفعله عزرائيل عليه السلام هُوَ ظهور وتجلّى لعظمه فعل الله تَعَالَى عَلَى يديه.

وهكذا نفس الكلام مَعَ ميكائيل عليه السلام المُوَكّل بالأرزاق وعنده تقاديرها، وإسرافيل عليه السلام الذى يسرى إلى الأبدان وينفخ فِى الأرواح، فَإنَّ هَذِهِ وغيرها كُلَّهَا مظاهر فعل الله عَزَّ وَجَلَّ.

فمثلاً تظهر أفعال الله تَعَالَى عَلَى يد الملائكه العظام وغيرهم مِنْ طبقات الملائكه، كَذَلِكَ ولايه الله تَعَالَى فِى دوله الرسول صلى الله عليه وآله هِىَ بالحقيقه حاكميّه الله تظهر عَلَى يد الرسول صلى الله عليه وآله بأسباب النُّزول، وهكذا ولايه الله عَزَّ وَجَلَّ فِى دوله وحكومه سيد الأوصياء أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

إذَنْ حاكميّه الله تَعَالَى السياسيّه مُستمره إلى قيام السَّاعه، ولو رُفعت هَذِهِ الحاكميّه وليله القدر لرُفع القُرآن؛ لوثاقه الصِّله - والربط بين نزول القُرآن وبين ليله القدر، وبما أنَّ ليله القدر لها ارتباط وثيق بأهل البيت عليهم السلام فَهَذَا معناه أنَّ أهل البيت عليهم السلام هُمْ تجلّى وقناه لنزول ولايه الله ومشيئته: «إنِّى تاركٌ فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى» «... أهل بيتى حبل ممدود بين السّماء والأرض» وإنْ كَانَ بعضهم كالمأمون العبّاسى يستفهم مُشككاً مِنْ الإمام الرضا عليه السلام عَنْ الحسن بن الجهم، قَالَ: حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده على بن موسى الرضا عليه السلام، وَقَدْ اجتمع الفُقَهاء وأهل الكلام مِنْ الفرق المختلفه فسأله بعضهم، فَقَالَ لَهُ: يا بن رسول الله بأىِّ شىء تصحّ الإمامه لمُدّعيها؟ قَالَ: «بالنَّص والدّليل»، قَالَ لَهُ: فدلاله الإمام فيما هِىَ؟ قَالَ: «فى العلم واستجابه الدّعوه»، قَالَ: فما وجه أخباركم بما يَكُون؟

قَالَ: «ذَلِكَ بعهد معهود إلينا مِنْ رسول الله صلى الله عليه وآله»، قَالَ فما وجه أخباركم بما فِي قلوب النَّاس؟ قَالَ عليه السلام لَهُ: «أمَّا بلغك قول رسول الله صلى الله عليه وآله اتّقوا فراسه المؤمن فَإِنَّهُ ينظر بنور الله»، قَالَ: بلى، قَالَ: «وما مِنْ مؤمن إلَّا وَلَهُ فراسه ينظر بنور الله عَلَى قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه، وَقَدْ جمع الله الأئمه مِنَّا فرقه فِي جميع المؤمنين، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي محكم كتابه(إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) فأول المتوسمين رسول الله صلى الله عليه وآله ثمَّ أمير المؤمنين مِنْ بعده، ثمَّ الحسن والحسين والأئمه مِنْ ولد الحسين عليه السلام إلى يَوْم القيامه»، قَالَ: فنظر إليه المأمون، فَقَالَ لَهُ: يا أبا الحسن زدنا ممّا جعل الله لكم أهل البيت عليهم السلام، فَقَالَ الرضا عليه السلام: «إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أيّدنا بروح مِنْهُ مقدسه مطهره ليست بملك لَمْ تكن مَعَ أحد ممّن مضى إلَّا مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله وَهِيَ مَعَ الأئمه منّا تسددهم وتوفّقهم وَهُوَ عمود مِنْ نور بيننا وبين الله عَزَّ وَجَلَّ»(١).

: «إنَّكم تدعون العلم ببعض المغيبات فأجابه الإمام الرضا عليه السلام: بأنَّ المؤمن ينظر بنور الله».

بتقريب: إنَّ المؤمن كُلّما زيد فِي إيمانه وكَمُل كُلّما زيد لَهُ فِي ذَلِكَ النُّور فيرى ما لا يَرَى غيره، وَهَذَا يكشف أنَّ الأئمه الأطهار عليهم السلام مِنْ أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام إلى الإمام الثَّانِي عشر الحجّه بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف أنَّ الله ملّكهم سلك وقناه ارتباط إلهى خاص وَهُوَ العلم اللُّدنى.

١- (١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشَّيْخ الصدوق: ج ٢، ص ٢١٦-٢١٧.

استمرار حاكميه الرسول صلى الله عليه وآله بَعْدَ رحيله،

والأئمه عليهم السلام بَعْدَ رحيلهم:

ثمَّ إنَّ الاستمراريّه بالحاكميّه - كَمَا هِيَ حقيقه فِي حاكميّه الله عَزَّ وَجَلَّ - لا تنقطع ولا تزول، فكذلك هِيَ حقيقه فِي حاكميّه الرسول صلى الله عليه وآله الَّتِي هِيَ ظل وتبع لحاكميّه الله عَزَّ وَجَلَّ فما فِي عشرات الأوامر القُرآنيّه(أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ) مِنْ الأمر بإطاعه الله وإطاعه الرسول صلى الله عليه وآله وكذلك ما فِي الآيات مِنْ بيان لولايه الرسول صلى الله عليه وآله، فَإنَّ هَذِهِ الولايه والحاكميّه ولزوم الطاعه لَمْ تنقطع برحيل النَّبِيّ صلى الله عليه وآله إلى البرزخ، بَلْ لا زالت حاكميته وولايته عَلَى الأئمه الأثنى عشر عليهم السلام فضلاً عَنْ ولايته عَلَى بَقيَّه الأنبياء والرُّسل وجميع البشر لَمْ تنقطع، بَلْ هِيَ مستمره، فَالنَّبِيّ الخاتم صلى الله عليه وآله شاهدٌ عَلَى الشُّهداء إذْ ولايته صلى الله عليه وآله المقام الأوَّل الذى صَرَّحَ بها القُرآن فِي آيات ثلاث(إنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (٨)١ ، و(إنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (٨)٢ و(إنّا أَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شاهِداً عَلَيْكُمْ)٣ .

بَلْ فِي جَمٍّ مِنْ الرُّوايات أَنَّهُ صلى الله عليه وآله شاهدٌ عَلَى الإشهاد والشُّهداء عَلَى الأعمال، فَهُوَ ولى الأولياء والرَّاعى للولاه، فَهَذِهِ الولايه لَهُ صلى الله عليه وآله لَمْ تنقطع فِي

حكومه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، فَكَمَا أنَّ الحاكم الأوَّل فِى حكومه أمير المؤمنين عليه السلام هُوَ الله تَعَالَى، فَإنَّهُ فِى ظل حاكميّه الله عَزَّ وَجَلَّ حاكميّه الرسول صلى الله عليه وآله، وكذلك الحال فِى عهد إمامه بَقيَّه أئمه أهل البيت عليهم السلام وولايه فاطمه عليها السلام وحكومات دولتهم الإلهيه الخفيّه فَإنَّها فِى تبع وطول ولايه وحاكميّه الرسول صلى الله عليه وآله فَإنَّها لَمْ تنقطع برحيل أمير المؤمنين عليه السلام إلى البرزخ بَلْ هِىَ باقيّه مستمره، وإنَّ الموت لَيْسَ حجاباً عَنْ ممارستهم لدور الولايه، كَمَا أنَّ غيبه وخفاء الإمام الثَّانِى عشر ليست حجاباً عَنْ ممارسته لدور الولايه.

الفرق بين التشريع والتنزيل:

تنبيه هام: إنَّ بَعْض المُفَسِّرين لَمْ يتبلور ويتميّز لديه الفرق بين التّشريع والتنزيل مِنْ جهه، وبين مورد النُّزول ومورد التّنزيل مِنْ جهه أُخْرَى، إذْ جعلوا مورد النُّزول والتّنزيل مُجرَّد شاهد ومبينٍ لمعنى التّنزيل الكُلِّى أىّ التّشريع العام لا أكثر مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا بَخْسٌ لحقيقه التّنزيل.

فَبَعْض المُفَسِّرين فَهِمَ أنْ التّنزيل دوره تفسيرى أيضاحى للآيه دون أنْ يَكُون لَهُ دوراً آخراً، فِى حين أنَّ التّنزيل هُوَ نوع ممارسه فعليّه لحاكميّه الله تَعَالَى السياسيّه فِى الجزئيات التفصيليّه وسلطنه السياسيّه، ومفاد هَذَا غَيْر مفاد التّشريع، وَقَدْ ذهب أهل سنه الجّماعه إلى هَذِهِ الشّبهه الَّتِى تؤول إلى ما اعتقده اليهود مِنْ الله تَعَالَى شرَّعَ فَقَطْ وَلَمْ يُمارس الحاكميّه والسّلطه

السياسيّه التفصيليه فِی تدبير النّظام السياسی الاجتماعی والحكم التنفيذی وَهُوَ قوله تَعَالَی: (وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ)۱ .

بتقريب: إنَّ التعطيل الذی تصوّرته اليهود فِی حقّه تَعَالَی، قَدْ أنجرَّ إلی بعضهم حَتّی عَطّلوا إرادته، إيهاماً منهم بأنَّ الله تَعَالَی لَمْ يُمارس ولايته إلَّا فِی حدود التّشريع الكُلِّی فَقَطْ، أیّ فِی السّلطه التّشريعيه دون السّلطه السياسيه التنفيذيه والقضائيه فِی حين لو تتبّع الباحث الكريم آيات القُرآن يجد مِنْ خلالها تصدی الإراده الإلهيّه لوقائع وأحداث كبری ولوقائع قرآنيه سواء فِی منعطفات حكومه النَّبِیّ صلی الله عليه وآله ومسير دعوته، وَهَذَا سُلطانُ الإراده الإلهيه وإعمال للحاكميّه التّشريعيّه أو الماليّه أو السياسيّه أو القضائيّه وغيرها لَمْ تنفرد فيها إراده النَّبِیّ صلی الله عليه وآله دون إراده الله تَعَالَی.

فالتنزيل: لَيْسَ هُوَ لألفاظ التّشريع الكُلِّی فَقَطْ لا غَيْر كَمَا هُوَ رائج، هَذَا التعريف لدی الكثير مِنْ المُفَسِّرين والمُتكلمين، بَلْ هُوَ أحد جهاته والتنزيل حقيقةً: هُوَ إعمال ولايته تَعَالَی السياسيّه المُبَاشَره عَلَی جميع الدقائق والجزئيات التفصيليه الخطيره فِی منعطفات الحياه الاجتماعيه والسياسيّه وغيرها مِنْ مجالات البشر، كَمَا أنَّ التنزيل هُوَ تطبيق التّشريع الكُلِّی عَلَی مصاديقه، أیّ استمرار حاكميه الله تَعَالَی السياسيّه التفصيليّه فِی كُلّ الموارد.

نقطتا اشتراک وافتراق بین التنزیل والتأویل:

هُنَاک جنبه مُشترکه بین التّنزیل والتأویل وَهِیَ أنَّ کُلاً منهما هُوَ عباره عَنْ انطباق الحکم الکُلِّی عَلَی مصادیقه، إلَّا أنَّ الفرق بینهما هُوَ أنَّ التّنزیل: هُوَ بدء نزول الأحکام، والتّأویل: - هُوَ استمرار نزول الأحکام وَالقُرآن وحاکمیّه الله.

فحاکمیه الله تَعَالَی هُوَ تنزیل إرادته فِی تفاصیل الجزئیات الخطیره، إذْ لا تستند إلی النَّبِیّ صلی الله علیه وآله أو الوصی علیه السلام، وَهَذِهِ موجوده فِی دول الأنبیاء إذْ هُمْ محطّات.

وَهَذِهِ الإراده الإلهیّه تُمارس مِنْ قِبَل المعصوم علیه السلام، وَحَیْثُ وَرَدَ أنَّهم أوعیه لمشیئات الله تَعَالَی، مما یعنی أنَّ الإراده الکُلِّیّه تتوزع وتتفصّل عَلَی کُلّ الإرادات الجزئیّه إلی الإراده الإلهیه الکلیه، أیّ رجوع کُلّ الإرادات إلی الإراده الإلهیّه وطریقها المعصوم علیه السلام الذی تمرّ مِنْ خلاله إرادات الله تَعَالَی.

وَعَلَیْهِ فالذی تتنزّل عَلَیْهِ الآیات والسُّور بَعْدَ النَّبِیّ صلی الله علیه وآله هُوَ الإمام المعصوم علیه السلام وتستمر إلی یَوْم القیامه؛ لضروره استمرار ولایه الله تَعَالَی فِی الحاکمیه والسّلطه السیاسیّه عَلَی البشر، وفی زماننا هُوَ الإمام المهدی عجل الله تعالی فرجه الشریف حَیْثُ یُدبِّر ویُدیر النّظام البشری عبر خفاء الغیبه وسریتها إلی أنَّ یئنّ آن الإعلان والظهور(۱).

۱- (۱) الإمامه الإلهیه: ج ۳، ص ۵۷۹ للشیخ مُحمَّد السَّند حفظه الله.

المدارس الإسّلاميَّه تعتقد أنَّ الحاكم والمسؤول

عَنْ تفهم وتطبيق القوانين الإلهيه للبشر هُوَ نفس البشر:

وممّا تَقَدَّمَ يُعْلَم أنَّ هَذَا البيان كأدبيات سياسيّه أو عقائديه فِى تفسير النظام السياسى غَيْر موجود فِى المدراس الإسّلاميَّه الأُخْرَى عدا مدرسه أهل البيت عليهم السلام؛ ولذا جُعِلَ التوحيد - وللأسف - فِى المدارس الإسّلاميَّه الأُخْرَى بمنزله تنظير مُجَمَّدٌ ويُحْبَس فِى جَنْبَه تنفيذيّه أو إجرائيه إذَا كَانَتْ صلاحيه البارى تَعَالَى فَقَطْ فِى مقام التّشريع والتنظير الكُلِّى، فالمدارس الإسّلاميَّه الأُخْرَى غَيْر مدرسه أهل البيت عليهم السلام تعتقد وللأسف كَمَا هِىَ عَلَيْهِ الآن، أنَّ مَعْنَى ودور الدوله الإسّلاميَّه والنظام الإسلامى هُوَ تشريع القوانين وتقنينها فَقَطْ مِنْ الله تَعَالَى، وأنَّ الحاكم والمسؤول عَنْ تفهيم وتطبيق هَذِهِ القوانين الإلهيه للبشر هُوَ نفس البشرن وَهَذَا معناه أنَّ النظام والقانون صار نظاماً بشرياً لا إلهيّاً، هكذا تعتقد المدارس الإسّلاميَّه الأُخْرَى.

وأمَّا مدرسه أهل البيت عليهم السلام فتعتقد بأنَّ نظام الدوله الإلهيه شىء آخر، وأنَّ الحاكم فِى يوميات تلك الدوله ومنعطفاتها الخطيره وحوادثها العصيبه هُوَ الله تَعَالَى وَمِنْ الواضح والطبيعى عِنْدَ كافه العقلاء أنَّ رئيس كُلّ دوله يتدخل فِى كُلّ التفاصيل المصيريّه الَّتِى تجرى فِى دولته، ففى نظام الدوله المشروع الإلهى فَإنَّ الله تَعَالَى هُوَ الذى يتدخَّل فِى كُلّ التفاصيل والمنعطفات ومثل هَذِهِ الحقيقه يتواجد فِى دوله الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ودوله وصيّه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وولده إلى الحجّه بن الحسن

المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وتقدَّم مفصلًا - أنَّ الحاكم الأوَّل فِي دوله وحكومه الرسول صلى الله عليه وآله هُوَ الله ثمَّ الرسول صلى الله عليه وآله وبعده أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

إن قلت: كيف يستعلم أمير المؤمنين عليه السلام التدبيرات الجزئيه المُتشخّصه مِنْ الله تَعَالَى فِي منعطفات دولته بَعْدَ رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قلت: إنَّ أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام هُوَ الوحيد مِنْ أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله عنده علمٌ لَدُنى دون غيره مِنْ الصّحابه، وَهَذَا العلم اللّدُنى عباره عَنْ حبلٍ ممدودٍ بين الأرض والسّماء، وَهُوَ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فَإِنَّهُ صلى الله عليه وآله تتنزّل عَلَيْهِ المشيئات الإلهيه الخاصّه، والرسول صلى الله عليه وآله أخبر وعَلَّمَ سيد الأوصياء على بن أبى طالب عليه السلام بأمر مِنْ الله تَعَالَى كُلّ تلك الأُمُور، ثمَّ مِنْ بعده ولده الإمام الحسن ثمَّ الإمام الحسين ثمَّ التّسعه المعصومين مِنْ ذريّه الحسين عليهم السلام، فالحاكم الأوَّل فِي دوله الإمام الحسين عليه السلام هُوَ الله ولذا ذكر عليه السلام هَذَا المعنى فِي كلامه عِنْدَمَا خرج مِنْ مدينه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله المدينه المنوّره إلى كربلاء: «شاء الله أنْ يرانى قتيلًا» بتقريب: شاء الله لا بمشيئه الرسول ولا بمشيئه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أنْ يرانى قتيلًا، وَإِنَّما بمشيئه إلهيه، وهكذا شاءت الحكمه الإلهيّه أنْ ترى النِّساء سبايا«شاء الله أنْ يراهُنَّ سبايا»، ولذا عِنْدَمَا سمع صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله أمثال عبدالله ابن عبّاس وغيره هَذَا الكلام مِنْ الإمام الحسين عليه السلام لَمْ يعترضوا عَلَيْهِ ويناقشوه لأنَّهم يعلموا أنَّ أهل بيت النبوّه عليهم السلام ومنهم الإمام الحسين عليه السلام عَلَى اتّصال بالمشيئه الإلهيه والعلم اللّدُنى الذى زوّدهم الله به، وَهَذِهِ حقيقه

عظیمه لطیفه ینبغی الالتفات إلیها.

وهکذا الحال فِی کُلّ إمام حیٍّ حاضر یدیر دولته بأوامر إلهیّه بتنفیذ خاص، ثمَّ أوامر رسول الله صلی الله علیه وآله ثمَّ أوامر أمیر المؤمنین علیه السلام بَلْ وَحَتّی إداره الإمام المهدی عجل الله تعالی فرجه الشریف لهذه الدوله الإلهیه والمجتمعات البشریّه ولو بشکل خفی وسرّی للدوله الخفیّه، بَلْ وَحَتّی لدوله الظهور فَإنَّ الحاکم الأوَّل هُوَ الله تَعَالَی وأنَّ الأوامر الإلهیه هِیَ الحاکمه فِی الحسم القضائی والحسم الأمنی والحسم العسکری والحسم التدبیری والمالی وغیرها، ثمَّ الحاکم الثَّانِی هُوَ رسول الله صلی الله علیه وآله ثمَّ أمیر المؤمنین علیه السلام ثمَّ الحسن ثمَّ الحسین ثمَّ التسعه المعصومین مِنْ ذریَّه الحسین علیهم السلام.

أسباب النُّزول لها مَعْنَی اعتقادی ولائی

خطیر ولصیق بحقیقه تنزیل القُرآن:

إنَّ لأسباب نزول الآیات الکریمه مَعْنَی اعتقادی خطیر وعظیم ولصیق بحقیقه تنزیل القُرآن الکریم وَهُوَ مَعْنَی الولایه، فَإنَّ مَعْنَی التنزیل وَالنُّزول والإنزال هُوَ فاعلیّه وتفعیل لولایه الله فِی إداره جمیع ملفات شؤون المخلوقات لا سیّما البشر، وتدخل فِی التطبیق الجزئی لَیْسَ فَقَطْ عَلَی صعید التنظیر والتقنین الکُلِّی والتشریع العام، لا- کَمَا فهمته بَعْض المدراس الإسّلامیَّه وأنَّ حاکمیّه الله تَعَالَی وصلاحیته وولایته تقف عِنْدَ السّلطه التشریعیه العامَّه فَقَطْ، وَهَذَا مفهوم خاطئ، وَإنَّما ولایته وحاکمیته تَعَالَی تتنزّل حَتّی إلی الجزئی الخاص والحدث الشّخصی.

وَعَلَيْهِ فالنتيجه الَّتِى تنتهى إليها بيانات بَقيَّه فرق المسلمين: هِىَ أنَّ صلاحيّه الله تَعَالَى محدوده بالسّلطه التشريعيه كتشريع التّوحيد والنبوّه، أمَّا السّلطه التنفيذيّه فبياناتهم - العامّه - خُلْوٌ مِنْهَا، وهكذا السّلطه القضائيه فإنَّهم - العامَّه - لَمْ يبيِّنوا فِى بياناتهم أنَّ الحاكم والقاضى الأوَّل هُوَ الله، بخلاف ما عَلَيْهِ مدرسه أهل البيت عليهم السلام مِنْ أنَّ الحاكم الأوَّل والآخر فِى كُلّ صعيد فِى الدُّنْيَا والآخره هُوَ الله تَعَالَى.

تشريعات وولايه وحاكميه الله عَلَى درجات:

وممّا تَقَدَّمَ يُعْلَم أنَّ أسباب النُّزول تعطى وتبيِّن لنا طابعاً وحقيقه مِنْ الحقائق العظيمه ألا وَهُوَ تدخُّل السّماء واليد الإلهيه، وأنَّ التصرّف والقدره الإلهيه تتنزل إلى أدقّ التفاصيل وتفاصيل التفاصيل والحدث الشّخصى الذى فيه انعطافه خطيره ومصيريه، ولا يُفهم مِنْ هَذَا الكلام أنَّ الأحداث الشّخصيّه والتفاصيل غَيْر الخطيره لا تتدخل فيها يد السَّمَاء، بَلْ تتدخل ولكن بتنزلات أُخْرَى شبيهه بسنن النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وَأنَّها تشريعات إلهيه إلَّا أنَّها بتنزّلات أقل درجه مِنْ الفرائض.

ولذا تُقَسَّم الأحكام الشرعيّه إلى فرائض وسنن، والفرق بين الفريضه الإلهيه والسُّنّه النبويّه أنَّ الأولى - الفريضه الإلهيه - أنشأت بآيه قرآنيه وبكلام مِنْ الله أو بحديث قدسى، وأنَّ الثَّانيه - السنه النّبويّه - هِىَ الَّتِى أنشأها النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وأمر بها صلى الله عليه وآله، وأنَّ سنن النَّبِىّ صلى الله عليه وآله كُلَّهَا أحكام وجزء مِنْ الشّريعه، وَهَذَا أمر مُتّفق عَلَيْهِ(وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ

عَنْهُ فَانْتَهُوا)١ .

و(وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ)٢ .

فَكُلّ مِنْ الفريضه الإلهيه والسنّه النبويه تشتركان فِي جهه الانتساب إلى الشريعه ويفترقان فِي أنَّ فرائض الله أكبر أهميّه وامتثالها مُقدَّم عَلَى سنن النَّبِيّ صلى الله عليه وآله لأهميّه ركنيتها، وإنْ كَانَتْ سنن النَّبِيّ صلى الله عليه وآله مآلاً هِيَ أوامر الله، ولكن هَذِهِ الأوامر الإلهيّه تارةً تتجلّى بألوهيّه الله المحضه وتُسمّى فرائض الله كَمَا فِي تشريع الركعتين الأوليين فِي فريضه الصَّلاه الرُّباعيه اليوميّه، ولهما أحكامهما الخاصّه بأنْ لا يدخلهما الشّك وغيره.

وَأُخْرَى تتجلّى عَنْ طريق سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وتُسَمّى بسنن النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، كَمَا فِي الركعتين الأخيرتين مِنْ فريضه الصَّلاه الرُّباعيه اليوميّه ولا مانع مِنْ دخول الشّك عَلَيْهَا، ويمكن المُعالجه ولها صور.

وثالثه تتنزّل وتتجلّى التّشريعات الإلهيه بمظهر أقل رتبه وَهِيَ ما تُسَمّى بسنن أهل البيت عليهم السلام وسنن أولى الأمر عليهم السلام، كَمَا فِي بيان وتوضيح جمله مِنْ الأحكام الَّتِي يُطلق عَلَيْهَا تشريع - بتحفّظ - كَمَا فِي مسأله تشريع الخمس فِي غَيْر الأنفال وغنائم الحرب وباقي الأُمُور الأُخْرَى، أو بيان وتوضيح أولى الأمر لبعض موانع الصَّلاه كَمَا فِي مثل: - مانعيه الصَّلاه بجلد ما لا يؤكل لحمهُ فَإِنَّهُ وَرَدَ فِي الحديث الولوى عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السلام وَلَمْ يرد فِي

الحديث النبوّى، وهكذا فِى باقى الأبواب الأخْرَى سواء فِى باب العبادات أو المعاملات، ولهذا دأب الفُقَهاء إلى التفكيك بين الفرائض الإلهيه والسنن النبويّه وسنن المعصومين مِنْ أئمه أهل البيت عليهم السلام وَكُلَّهَا أحكام مِنْ الله تَعَالَى ولكنّها عَلَى درجات مِنْ الأهميّه.

وإطاعه أهل البيت ذكرها القُرآن الكريم(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ)١ . بتقريب: إنَّ أولى الأمر بَعْدَ الرسول صلى الله عليه وآله هُمْ أهل بيت النُّبِىّ صلى الله عليه وآله وأوّلهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وآخرهم الحجه بن الحسن المهدى المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف الَّذِيْنَ شهد القُرآن بفضلهم وطهارتهم وإمامتهم وعلمهم و... الخ.

إذَنْ تشريعات وولايه وحاكميه الله عَلَى درجات فَمِنْهَا تشريعات إلهيه عَلَى مستوى الفرض لخطورته وأهميّته أوصله البارى إلى حَدِّ الإلزام لئلا يقع المُكَلَّف فِى مخالفه ما فرضهُ الله عَلَى العباد، وَمِنْهَا: دون الفرض وَالَّتِى هِىَ سنن النُّبِىّ صلى الله عليه وآله ودونها تشريعات أولى الأمر - أئمه أهل البيت عليهم السلام.

كَذَلِكَ الحال فِى الحاكميه والولايه فَعِنْدَمَا تكون هُنَاك حاكميه لله تَعَالَى فَهَذَا معناه أنَّ أسباب النُّزول للآيات القرآنيه فيها بُعْد مهم وخطير وفيه حسمٌ وحَتْمٌ مِنْ الإراده الإلهيّه فِى الحادثه حَتّى الشخصيّه الجزئيّه، وَهَذَا ما يُعَبَر عَنْهُ بالوَلايه.

فالتنزيل يُعَبِّر عَنْ ولايه وإمامه إلهيه يتلقى فيها الرسول صلى الله عليه وآله تدخلات مصيريه حتميّه فيها حسم مِنْ الله فِي شؤون مُعيّنه خطيره، واما التدابير الَّتِي هِيَ دون ذَلِكَ فالله عَزَّ وَجَلَّ يوكلها ويجريها عَلَى يد سيد الأنبياء لا بمعنى توكيل عزلٍ عَنْ القدره الإلهيه بحيث تكون القدره الإلهيه معزوله - والعياء بالله - كَمَا مَرَّ.

ص:٣٧٠

نزول القُرآن جمله ونجوما لا ينحصر بعمليه وحقيقه الأنباء والنبوه، بل ولها حقيقه الحاكميه والولايه مستمره إلى يوم القيامه

فُقِدَ بفقدك التنزيل والتأويل:

تَقَدَّمَ أنَّ قَاعدِه أسباب النُّزول لا تنحصر فائدتها بتبيين وإبلاغ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله للأحكام والأوامر الصادره مِنْ الله تَعَالَى إلى البشر، وَإنَّما فِي التّنزيل كَذَلِكَ حُكمٌ وحاكميّه وولايه، وَهَذَا معناه أنَّ أسباب النُّزول يبزغ لها مَعْنَى فِي تفسير القُرآن، بَلْ وسائر الكتب المُنْزَله عَلَى الأنبياء عليهم السلام، وَهَذَا المعنى لأسباب النُّزول لَهُ جنبتان جنبةٌ نبويّه تنزيليّه مرتبطه بالمعنى العام للآيه الكريمه فِي أيّ سوره وَهُوَ التّصديق بالنبوّه.

وجنبةٌ أُخْرَى مُرتبطه بالولايه وأنَّ التّنزيل نوع مِنْ تحكيم حاكميه الله تَعَالَى بمعنى أنَّ الولايه لها بُعْدٌ تطبيق تنفيذى إجرائى لمفاد الآيه.

وَعَلَيْهِ فَيَكُون بُعْدُ الولايه وإنْ لَمْ يكن موطنه مِنْ الصعيد الاجتماعى أو السياسى أو الاقتصادى أو القضائى، فَقَدْ يَكُون مِنْ الصعيد الرُّوحى

والاعتقادى؛ لِأَنَّ ولايه الله وولايه الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام لا تنحصر فِى صعيد مُعيَّن، بَلْ تشمل جانب تربيه وتكامل النفوس والأرواح حَتّى فِى بُعْدِها الفردى فضلاً عَنْ بُعْدِها المجتمعى.

كَمَا أشار إليه السَّيِّد العلّامه مُحمَّد حسين الطباطبائى(۱) فِى تعريف حقيقه الإمامه والولايه وَأَنَّها رئاسه سياسيّه، أو أنَّ الإمام رائد مسيره قافله النّفوس للوصول إلى المقامات والأبواب المعنويه أىّ التكامليّه مِنْهَا، وأنَّ هُنَاك جذب وهدايه وارتباط نفسانى روحى يجذبه الإمام إلى النفوس مِنْ خلال بياناتهم.

إلَّا أنَّ ما ذكره السَّيِّد العلّامه الطباطبائى رحمه الله مِنْ تعريف لحقيقه الإمامه غيرُ تامّ وَإِنَّما يشير إلى فصل ووظيفه مِنْ فصول ووظائف الإمامه، وإنْ كَانَ هَذَا الفصل عظيم وَلَمْ يذكره المُتكلِّمون - بَعْدَ ملاحظه الآيات القرآنيه والأحاديث المعصوميه الوارده عَنْ أهل البيت عليهم السلام فِى تعريف حقيقه الإمامه أو الولايه، وَإِنَّها لا تنحصر ولا تقتصر عَلَى جانب مُعيَّن كجانب الرئاسه السياسيّه أو الاجتماعيّه وما شابه ذَلِكَ.

والشَّاهِد عَلَى ذَلِكَ ما ذكره الشَّيْخ الكلينى... عَنْ أبى خالد الكابلى، قَالَ: سألت أبا جعفر عليه السلام عَنْ قول الله عَزَّ وَجَلَّ: (فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنا)۲ فَقَالَ: «يا أبا خالد! النور والله نور الأئمه مِنْ

۱- (۱) الميزان لِلسَّيِّد الطباطبائى: ج ۲۷۴/۱.

آل مُحمَّد صلى الله عليه وآله إلى يَوُم القيامه، وَهُمْ والله نور الله الذى أنزل، وَهُمْ والله نور الله فِى السموات وفى الأرض، والله يا أبا خالد لنور الإمام فِى قلوب المؤمنين أنورُ مِنْ الشّمس المُضيئه بالنّهار؛ وَهُمْ والله ينوّرون فِى قلوب المؤمنين، ويحجب الله عَزَّ وَجَلَّ نورهم عمَّن يشاء فتظلم قلوبهم، والله يا أبا خالد لا يحبُّنا عبدٌ ويتولانا حَتّى يُطهّر الله قلبه، ولا يُطَهِّر الله قلب عبد حَتّى يُسلِّم لنا، فإذا كَانَ سلماً لنا سَلَّمه الله مِنْ شديد الحساب وآمنه مِنْ فزع يَوُم القيامه الأكبر» (۱).

بتقريب: أنَّ الإمامه فيها فصول مُتعدِّده وَحَتّى لو كَانَتْ الآيه النازله خاصه بمقام أو نظام معين كنظام الفِقْه السياسى أو العسكرى أو الأمنى أو الاجتماعى أو العقائدى وغيرها، فَإنَّ الهدايه النبويّه فيها إراءه الطريق.

وأمَّا الهدايه الولائيه هِىَ هدايه حركه وسيرٍ وطى الصراط واهدنا الصراط لَيْسَ بمعنى إضاءه الصراط وَإنَّما اهدنا الهدايه الإيصاليّه ومتابعه المأموم للإمام فِى حركته والسير معه وجذبه لَهُ مِنْ دون جبر.

إذَنْ عَلَى المُفَسِّر والباحث الكريم أنْ يضع منهج تفسيره أو خطّه بحثه فِى أسباب النُّزول عَلَى بُعْدَين.

البعد الأول: بُعْدُ النبوّه: وَأنَّها خُتِمَت فِى القُرآن، وَأنَّهُ لا نبى بَعد، وأنَّ جانب النُّزول والتنزيل انتهى بلحاظ الآيات والسور فالآيه هِىَ الآيه والسوره هِىَ السوره كَمَا هِىَ عَلَيْهِ فِى المصحف الشريف المحفوظ ما بين

۱- (۱) الكافى: ج ۱، ص ۲۵۰ ب ۷۰ مِنْ كتاب الحجّه أنَّ الأئمه عليهم السلام نور الله عَزَّ وَجَلَّ: ح ۱.

الدفّتين وما به مِنْ المعلومات الكليه والعامّه.

البعد الثانى: بُعْد الولايه سواء كَانَتْ الولايه فِى هدايه النفوس أو الولايه فِى الحاكميه السياسيّه، أو فِى أىّ مجال مِنْ المجالات الوسيعه للولايه، وَأنَّها مستمره فِى الجانب التطبيقى فِى القُرآن تطبيقاً بإشراف إلهى لا بشرى محدود، وَلَيْسَ المُرَاد مِنْ استمرار التطبيق بإشراف إلهى هُوَ لأجل إحداث مَعْنَى عام جديد أو نزول آيه أو سوره جديده، وَإنَّما هُوَ نفس التطبيق الوحيانى اللّدُنى الذى لا يصيبه إلَّا الوحى الإلهى لأجل تنفيذ مضامين القُرآن الَّتِى أنبأ عنها النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وأنَّ هَذَا التّطبيق وَهَذَا البُعد مِنْ النُّزول لا زال مستمراً، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى ليله القدر، فَإنَّ ما يتنزّل مِنْ القُرآن مِنْ تأويل فِى جانب التطبيق غَيْر تنزيل القُرآن وإنَّ التأويل الوحيانى هُوَ تلاوه القُرآن حقّ تلاوته؛ لِأنَّ الحاكم الأوَّل هُوَ الله الذى تتنزّل مشيئته وإراداته فِى إداره شؤون البشر، أو تربيه كُلّ فرد فرد منهم - البشر - ثُمَّ حاكميه وولايه الرسول صلى الله عليه وآله ثمَّ ولايه الأئمه المعصومين عليهم السلام مِنْ أهل البيت عليهم السلام، وَهَذِهِ الولايه لَمْ تنحسر وَلَمْ تنقطع وَأنَّها حبلٌ ممدود وَلَيْسَ بمنقطع بدليل حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنِّى تاركٌ فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً» «كتاب الله حبلٌ ممدود بين السَّمَاء والأرض وعترتى أهل بيتى وأنَّ اللطيف الخبير أخبرنى أنَّهما لن يفترقا حَتّى يردا علىَّ الحوض فانظروا ماذا تخلفونى»(١).

١- (١) إكمال الدِّين للصدوق: ص ٢٢٥.

هَذَا كُلَّهُ بحسب ما تعتقد به مدرسه أهل البيت عليهم السلام، وَهُوَ بخلاف ما تذهب إليه المدارس الإسّلاميَّه الأخْرَى الَّتِى تعتقد بأنه برحيل رسول الله صلى الله عليه وآله انقطعت العلقه وانقطع الحبل وَذَلِكَ لازم الانقطاع بين السَّمَاء والأرض، إلَّا أنَّ الصحيح وَكَمَا هُوَ عَلَيْهِ الواقع خلاف ذَلِكَ وَأنَّهُ بحسب بيانات القُرآن وأهل البيت عليهم السلام أنَّ الجانب الولائى وبُعْد الولايه فِى القُرآن لَمْ ينقطع ولا زال مستمراً، والذى هُوَ عباره عَنْ تأويل القُرآن بمعنى أنَّ مَنْ وُصِفَ بوصْف أنَّهُ [يتلو الكتاب] يَعْرِف مآل كُلّ آيه آيه وأين موطنها المُنَاسِب وَالحَقّ، وَإلَّا فكثير ممّن ينسب إلى الإسلام بالاسم فَقَطْ دون الفعل كالخوارج أيضاً يتلون الكتاب إلَّا أنَّهُ لَيْسَ بوصف حَقَّ تلاوته؛ فَإنَّ هَذَا الوصف مِنْ مُختصّات الإمام المعصوم الذى يشمل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسيد الأوصياء على بن أبى طالب عليه السلام والأئمه المعصومين مِنْ ذريّته - عليهم أفضل الصَّلاه وَالسَّلامُ -.

إذَنْ التنزيل لا ينحصر ببعد النبوّه وَإنَّما فيه بُعْدٌ آخر ألا وَهُوَ بُعد الولايه والحاكميّه وأنَّ النُّزول هُوَ نوع مِنْ التفصيل فِى الولايه والحاكميّه، كَمَا وَرَدَ فِى زياره الناحيه المقدّسه«... لقد قتلوا بقتلك الإسلام... ونقضوا السُنَن والأحكام... وحَرَّفوا آيات القُرآن... وعادَ كتاب الله مهجوراً... وفُقِدَ بفقدك التنزيل والتأويل».

وَعَلَيْهِ فَإنَّ موارد الولايه لا تتم إلَّا بالنزول والإنزال الذى هُوَ نوع مِنْ أعمال الولايه مِنْ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهَذَا هُوَ المفاد العقيدى والمعتقد

المهم فِی القُرآن الکریم الذی غفلت عَنْهُ المدارس والمذاهب الإسّلامیَّه الأخْرَی غَیْر مدرسه أهل البیت علیهم السلام.

حقیقه النزولَین للقُرْآن نبوه وإمامه:

النُّزول الجُملی وَالنُّزول النجومی:

مَرَّ أنَّ هُنَاک لغطٌ کبیر بین المُفَسِّرین فِی تفسیر تعدد النُّزول الثنائی للقرآن أیّ نزول القُرآن جملهً واحِدَه عَلَی البیت المعمور، ونزول ثانٍ وَهُوَ النُّزول النجومی فرقاناً، وَقَدْ تقدّمت عِدَّه تفسیرات أو أقوال أو نظریات فِی ذَلِکَ، إلَّا إنَّهُ بقی تفسیر لهذا التعدّد یمکن إبداؤه وَهُوَ تفسیر النُّزول النجومی بأنَّ نزول یرتبط بالولایه والحاکمیّه، بینما النُّزول الجُمَلی مرتبط فِی شأن مِنْهُ بالنبوّه والأنباء، کَمَا تبیَّن ذَلِکَ ممّا تَقَدَّمَ فِی بحث أسباب النُّزول والتنزیل.

إنَّ حقیقه وحقائق القُرآن جُلُّها مرتبط ببُعد الولایه

فِی النُّبیّ صلی الله علیه وآله بخلاف التنزیل

فَإنَّهُ مشتمل عَلَی البُعدین - کَمَا تَقَدَّمَ:

نماذج قرآنیه تقرن بین النبوه والولایه:

هُنَاک جمله مِنْ الموارد فِی سور متعدّده قرن فیها القُرآن بین النبوّه والولایه فِی أسباب النُّزول:

أولاً: فِی سوره القدر(إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ (۱)۱ .

بتقریب: أَنَّهُ وَرَدَتْ فِی روایات کلاـ الفریقین أَنَّ لیله القدر لها ارتّباط ببدء نزول القُرآن عَلَی النَّبِیّ صلی الله علیه وآله دُفعَه ونجوماً واستمرار لیله القدر إلی یَوُم القیامه لها ارتباط ببقاء القُرآن، وأَنَّ لیله القدر لو رُفِعت لَرُفِعَ القُرآن، وأَنَّ القُرآن الکریم فِی تنزله بُعْدان بُعْدُ النبوّه وبُعْدُ الولایه، وأَنَّ البُعد الثَّانِی مستمر بَعْدَ النبوّه إلی یَوُم القیامه کَمَا تَقَدَّمَ.

لیله القدر فِی أقوال أهل وجماعه سُنّه السلطان:

قَالَ الفخر الرازی فِی تفسیر قوله تَعَالَی: (إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ) أجمع المُفَسِّرون عَلَی أَنَّ المُرَاد هُوَ: أَنّا أنزلنا القُرآن فِی لیله القدر، ولکنَّه تَعَالَی ترک التصریح بالذکر؛ لِأَنَّ هَذَا الترکیب یَدُلّ عَلَی عِظَم القُرآن وأَنَّ حذف المتعلِّق یَدُلّ عَلَی تعظیم شأن المُتعلَّق المحذوف وَهُوَ القُرآن.

للقرآن نزولین: إِنْ قِیلَ ما مَعْنَی إِنَّهُ أُنزِلَ فِی لیله القدر مَعَ العلم بأنه أنزِل نجوماً؟ قُلنا فیه وجوهاً نذکر مِنْهَا اثنین:

الأول: قَالَ الشعبی: أُبْتُدِأَ بإنزاله؛ لِأَنَّ البعث کَانَ فِی رمضان.

الثانی: قَالَ ابنُ عباس: أُنْزِل إلی سماء الدُّنْیَا جمله لیله القدر، ثمَّ إلی الأرض نجوماً(۱).

۱- (۲) الإمامه الإلهیه، للشیخ مُحمَّد السَّند: ج ۳، ص ۲۷۵.

وَمَعْنَى القدر: اختلفوا فِى أَنَّهُ لِمَ سُمِّيت هَذِهِ الليله ليله القدر عَلَى وجوه:

أحدها: إنَّها ليله تقدير الأُمُور والأحكام، قَالَ عطاء عَنْ ابن عبّاس: إنَّ الله قدَّر ما يَكُون فِى تلك السنه مِنْ مَطَرٍ ورزقٍ وإحياءٍ وإماتهٍ إلى مثل هَذِهِ الليله مِنْ السنه الآتيه، ونظيره قوله تَعَالَى: (فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) واعلم أنَّ تقدير الله لا يحدث فِى تلك السنه، فَإِنَّهُ تَعَالَى قدَّر المقادير قبل أنْ يخلق السّموات والأرض فِى الأزل(١) بَلْ المُرَاد إظهار تلك المقادير للملائكه فِى تلك الليله بأنْ يكتبها فِى اللّوح المحفوظ (٢).

بقاء ليله القدر فِى كُلّ عام: وَهَذَا القول اختيار عامَّه العُلَمَاء... هَذِهِ الليله هل هِىَ باقيه أو لا؟ قَالَ الخليل: مَنْ قَالَ إنَّ فضلها لنزول القُرآن فيها يقول انقطعت وَكَانَتْ مَرَّه، والجمهور عَلَى أنَّها باقيه.

وَعَلَى هَذَا، هل هِىَ مختصّه برمضان أم لا؟ روى عَنْ ابن مسعود إنَّهُ قَالَ: مَنْ يُقِم الحول يصيبها، وفسّرها عِكرمه بليله البراءه فِى قوله(إِنّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَهٍ مُبارَكَهٍ)٣ والجمهور عَلَى أنَّها مختصّه برمضان، واحتجّوا عَلَيْهِ بقوله تَعَالَى: (شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) وَقَالَ: (إِنّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَهِ الْقَدْرِ) فوجب أنْ تكون ليله القدر فِى رمضان لئلا يلزم

١- (١) لا يخفى أنَّ الرازى قَدْ خلط بين علم البارى الأزلى بالأشياء ومقاديرها، وبين نفس فعل التقدير فِى اللّوح والقلم والقضاء وإبرامه، فَإِنَّ هَذِهِ أفعالٌ حادِثَهٌ فِى عالم المخلوقات كَمَا هُوَ صريح روايات الفريقين فِى شأن ليله القدر.

٢- (٢) وَهَذَا التصريح مِنْ الفخر الرازى متدافع مَعَ قوله السابق فِى نفى حدوث التقدير السابق.

التناقض.

إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ أقوال أهل سنه الجماعه.

ليله القدر فِي روايات أهل سُنّه الخلافه(۱)

دوام ليله القدر فِي كُلّ عام إلى يَوُم القيامه:

۱ - فَقَدْ روى عبدالرزّاق الصنعانى فِي (المصنَّف) بسنده عَنْ مولى معاويه، قَالَ: قلت لأبى هريره: زعموا أنَّ ليله القدر قَدْ رُفعت، قَالَ: كذَّب مَنْ قَالَ ذَلِكَ، قلت: فَهِيَ كُلّ شهر رمضان استقبله؟ قَالَ: نعم... الحديث](۲).

ورواه عَنْهُ بطريق آخر(۳) ورواه كنزل العُمّال أيضاً(۴).

وروى عبدالرزاق الصنعانى فِي المصنّف بسنده عَنْ ابن عبّاس، قَالَ: «ليله فِي كُلّ رمضان ياتى، قَالَ: وحدّثنى يزيد بن عبدالله بن الهاد: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله سُئِّل عَنْ ليله القدر، فَقِيلَ لَهُ: كَانَتْ مَعَ النبيين ثمَّ رُفعت حين قبضوا، أو هِيَ فِي كُلّ سنهٍ؟ قَالَ بَلْ هِيَ كُلّ سنه، بَلْ هِيَ فِي كُلّ سنهٍ»(۵).

۳ - وروى عَنْ ابن جرير، قَالَ: حُدِّثْتُ أنَّ شيخاً مِنْ أهل المدينه سأل أبا ذر بمنى، فَقَالَ رُفِعَت ليله القدر أم هِيَ فِي كُلّ رمضان؟ فَقَالَ أبو

۱- (۱) الإمامه الإلهيه: ج ۳، للشيخ مُحمَّد السند: ص ۲۹۷.

۲- (۲) المصنّف: ۲۱۶/۳ ح ۵۵۸۶.

۳- (۳) المصنف: ۲۵۵/۴ ح ۷۷۰۸.

۴- (۴) كنز العمال: ۶۳۴/۸ ح ۲۴۴۹۰.

۵- (۵) المصنّف: ۲۵۵/۴ ح ۷۷۰۸.

ذر: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله رَفعَت ليله القدر؟ قَالَ: بَلْ هِيَ كُلّ رمضان(۱).

النُّزول فِي ليله القدر

وحي للأنبياء، واستمراره بَعْدَ الأنبياء:

۴ - قَالَ ابن خزيمه فِي صحيحه(۲) باب ذكر أبواب ليله القدر والتأليف بين الأخبار المأثوره عَنْ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فيها ما يحسب كثيراً مِنْ حمله العلم ممّن لا يفهم صناعه العلم أنَّها متهاتره متنافيه وَلَيْسَ كَذَلِكَ، هِيَ عندنا بحمد الله ونعمته، بَلْ هِيَ مُخْتَلِفَه الألفاظ متفقه المعنى عَلَى ما سأُبيّنه إنْ شاء الله.

قَالَ أيضاً: باب ذكر دوام ليله القدر فِي كُلّ رمضان إلى قيام السّاعه، ونفى انقطاعها بنفى الأنبياء.

۵ - وروى بسنده - ابن خزيمه - إلى أبى مثرَد، قَالَ: - قَالَ لقينا أبا ذر وَهُوَ عِنْدَ الجمره الوسطى فسألته عَنْ ليله القدر، فَقَالَ ما كَانَ أحد بأسأل لها منّى: قلتُ يا رسول الله ليله القدر أنزلت عَلَى الأنبياء بوحى إليهم فيها ثمَّ ترجع؟ فَقَالَ بَلْ هِيَ إلى يَوُم القيامه... الحديث(۳).

۶ - وفى صحيح ابن حبّان، قَالَ فِي باب ذكر البيان بأنَّ ليله القدر

۱- (۱) المصدر السابق: ح ۷۷۰۹، وأخرجه هق: ۳۰۷/۴، والطحاوى: ۵۰/۲.

۲- (۲) صحيح ابن خُزيمه: ۳:۳۲۰.

۳- (۳) المصدر السابق.

تكون فِي العشر الأواخر كُلّ سنه إلى أنْ تقوم الساعه، ثمَّ روى بسند مُتّصل روايه أبى ذَر الرُّوايه المتقدِّمه وَاللَّفْظ فيها: «تكون فِي زمان الأنبياء ينزل عليهم الوحى، فإذا قُبضوا رُفِعت؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: بَلْ هِيَ إلى يَوْم القيامه»(۱).

ثانياً: سوره الدخان: (إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَهٍ مُبارَكَهٍ إِنّا كُنّا مُنْذِرِينَ (۳) فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (۴) أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنّا كُنّا مُرْسِلِينَ (۵)۲ .

بتقريب: إنَّهُ يفرق فيها كُلّ أمر حكم أىّ بحكمه فِي التدبير(أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنّا كُنّا مُرْسِلِينَ (۵) أىّ مأمورين ومُرسَلين بتنفيذ برامج إلهيه لهدايه البشر.

ثالثاً: سوره الرعد: (إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ (۷)۳ .

بتقريب: أنَّ الإنذار نبوّه والهدايه إمامهٌ وأنَّ سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله هُوَ منذِرٌ وَهُوَ هادى أيضاً وَمِنْ بعده أئمه أوصياء هداه وبالتالى يوجد مقامان مقام نبوّه ومقام إمامه.

هل يوجد فرق بين أضافه الضمير (عبده)

لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وبين (عبدنا) لسائر الأنبياء:

رابعاً: سوره النحل: (يُنَزِّلُ الْمَلائِكَهَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ

۱- (۱) صحيح ابن حبّان: ۴۳۸/۸.

عِبادِهِ)١ .

بتقريب: إنَّهُ تَعَالَى يُنزِّل الملائكه - فِى ليله القدر - وما شابه ذَلِكَ عَلَى مَنْ يشاء مِنْ عباده بامره الرُّوح الطاهره وَلَيْسَ هَذَا التنزيل خاصّاً بخاتم الأنبياء مُحمَّد صلى الله عليه وآله، وَإنَّما هُنَاك مجموعه مِنْ العباد - أنبياء وأئمه وعبادٌ صالحون - شاءت المشيئه الإلهيه أنْ يكونوا مُتعلّقاً ومُهبطاً لها وَبَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله هُمْ أئمه أهل البيت عليهم السلام، وفى إضافه الضمير (عبده) واختصاص ذَلِكَ بسيد الأنبياء ينبغى الالتفات إلى أُمُور نذكر مِنْهَا أمرين:

الأمر الأول: لو تتبعنا تعابير القُرآن حسب الاستقراء فَإنَّهُ لَمْ يرد التعبير عَنْ أحد الأنبياء السّابقين - عدا الخاتم صلى الله عليه وآله - ب - (عبده) وَهَذَا التعبير خاص بسيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله فإضافه العبوديّه إلى ضمير الهاء الغائب مختصٌّ بالنبى صلى الله عليه وآله وأمَّا سائر الأنبياء فوَردَ التعبير عنهم ب - (عبدنا)، والتعبير ب - (عبده) أعظم مِنْ التعبير ب - (عبدنا)، أو (عبدالله).

وَقَدْ يعترض بأنَّ إضافه العبد إلى الضمير المفرد الغائب، قَدْ وَرَدَ فِى شأن النَّبِىّ زكريا عليه السلام فِى سوره مريم(كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيّا (٢)٢ وَعَلَيْهِ فلا يُعَد ذَلِكَ مختصّاً بسيد الأنبياء، مَعَ أنَّ زكريا عليه السلام لَيْسَ مِنْ أُولى العزم.

فيُجاب: بأنَّ الضمير هُنَا فِى عبده فِى شأن زكريا يعود إلى اسم الرّب

قبله، أىّ عَبْدُ ربَّك فَلَيْسَ مرجع الضمير إلى الغيب المطلق، كَمَا هُوَ الشّأن فِى قوله تَعَالَى وقوله(فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى (١٠)١ وقوله فِى سوره الحديد، (هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلى عَبْدِهِ آياتٍ بَيِّناتٍ)٢ ، بخلاف الوصف الوارد فِى شأن النَّبِىّ الخاتم صلى الله عليه وآله فِى سورتى الكهف و النجم فَأنَّ الضمير لا يرجع إلى الاسم بَلْ يرجع إلى الغيب المطلق.

نعم، بَعْض ما وَرَدَ فِى سور أُخْرَى مِنْ وصف عبده لرسول الله صلى الله عليه وآله الضمير يرجع إلى أسماء إلهيه لا إلى الغيب المطلق كَمَا فِى قوله تَعَالَى(الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ)٣ . وقوله تَعَالَى: (تَبارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ)٤ . وقوله تَعَالَى: (أَ لَيْسَ اللّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ)٥ .

بتقريب: إنَّ الضمير فِى الآيات المُبَارَكه يعود إلى الاسم الإلهى.

الأمر الثانى: إنَّ التعبير عَنْ خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله ب - (عبده) بإضافه العبوديّه إلى ضمير الغائب (الهاء) فيها تعظيم للمضاف، وشرافه المضاف تأتى مِنْ شرافه المضاف إليه. وَهَذَا معناه أنَّ عبوديّه سيد الأنبياء الخاتم صلى الله عليه وآله وصلت إلى مقام الاسم العظيم الأعظم الأعظم لِأنَّ مقام واسم (هُوَ) أعظم شأناً مِنْ اسم (الله) كأسم لا مُسمَى فالأسماء متكثّره والمسمى

واحد وإنْ كَانَ كلاهما اسماً للذات الإلهيه، كَمَا فِى سوره الحشر(هُوَ اللّهُ الَّذِى لا إِلهَ إِلّا هُوَ الْمَلِكَ الْقُدُّوسُ السَّلامُ)١ ، بتقريب: إنَّ كُلّ ما بَعْدَ (هُوَ) معطوف عَلَيْهِ وَهُنَا المعطوف عَلَيْهِ أعظم مقاماً وشأناً مِنْ المعطوف، نظير التعبير [وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه].

وَعَلَيْهِ فَهَذَا الكمال مِنْ العبوديه ينزله الله عَلَى مَنْ يشاء مِنْ عباده كَمَا تَقَدَّمَ فِى سوره النحل: (يُنَزِّلُ الْمَلائِكَهَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ)٢ .

خامساً: سوره الحشر: (هُوَ اللّهُ الَّذِى لا إِلهَ إِلّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ)٣ .

بتقريب: أنَّ الأسماء الَّتِى ذُكرت فِى الآيه هِىَ فِى الأسماء الإلهيه وأنَّ اسم (هُوَ) أعظم مِنْ اسم (الله) كَمَا تَقَدَّمَ.

سادساً: سوره الشورى: (وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتابُ وَ لاَ الْإِيمانُ وَ لكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وَ إِنَّكَ لَتَهْدِى إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)٤ .

بتقريب: إنَّ الرُّوح هُوَ حقيقه القُرآن التكوينيّه، الَّتِى جعلناها يا مُحمَّد صلى الله عليه وآله

مِنْ بعدك لِمَنْ نشاء، وَالرُّوح الأمرى هُوَ الكتاب، والذى يمسُّ الكتاب هُوَ الذى يتلقى تنزّل الرُّوح الأمرى كُلّ عام فِى ليله القدر، والمطهّرون الَّذِيْنَ يمسّون الكتاب المكنون هُمْ الأئمه عليهم السلام الَّذِيْنَ يتوارثون الكتاب، وَهُوَ الرُّوح الأمرى، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا)١ ، فالهدايه الأمريه هِىَ بالروح الأمرى.

وكذلك فِى قوله تَعَالَى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا)(١).

بتقريب: إنَّ الَّذِيْنَ اصطفاهم وأصفاهم الله هُمْ أهل آيه التطهير، فَهَذِهِ الآيات تتشاهد لبعضها البعض لتدلّ عَلَى أنَّ الأئمه المطهّرون المصفّون الَّذِيْنَ يمسون الكتاب ويرثوه ويتلقون حقيقه الكتاب، وَهُوَ الرُّوح الأمرى والذى يتنزل فِى ليله القدر فِى كُلّ عام عَلَى مَنْ يشاء مِنْ عباده.

وَهَذَا يَدُلّ أيضاً عَلَى عدم حصر أسباب النُّزول ببُعْدٍ واحدٍ وَهُوَ بُعْد النبوّه وَإنَّما يتعدّى إلى مرحله الولايه والحاكميّه مِنْ بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أئمه أهل البيت عليهم السلام وعَبَّر بالآيه ب - (عبادنا) لا (عباده).

سابعاً: سوره غافر: (رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ)٣ .

بتقريب: إنَّ هَذِهِ الآيه تدل عَلَى بقاء تنزل ذَلِكَ الرُّوح كُلّ عام عَلَى

١- (٢) سوره فاطر: الآيه ٣٢.

مَنْ يشاء مِنْ عباده، فَكَمَا أنَّ تنزل الرُّوح الأعظم فِي ليله القدر دائم فِي كُلّ سنه بالضروره، فكذلك ليله القدر تعنى وراثه ولى الله تَعَالَى لمقام النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فِي تنزّل الرُّوح عَلَيْهِ.

مُضَافَاً إلى أنَّ إضافه عبوديه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام إلى الضمير (هُوَ) اسم للذات الإلهيه لَهُ مدلولات كثيره يأتى التعرّض إليها فِي بحث التفسير الإشارى إنْ شاء الله تَعَالَى.

محصل ما تقدّم:

وتحصل مِنْ خلال استعراض هَذِهِ الشّواهد والنماذج القرآنيه ما يلى:

أوَّلاً: إنَّ أسباب النُّزول لا تنحصر بِبُعْد واحد وَهُوَ بَعْدَ النبوه فَقَطْ، وَإنَّما تتعدّى إلى منصب ومقام الولايه والحاكميّه للإمامه، إلَّا أنَّهُ للأسف غفل مفسروا المذاهب الإسّلاميَّه عَنْ هَذَا البُعد الآخر للقُرْآن إلَّا أنَّ أئمه أهل البيت عليهم السلام بيّنوه ونبّهوا عَلَيْهِ.

ثانياً: هُنَاك انطباع لدى كثير مِنْ مفسرى المذاهب الإسّلاميَّه أنَّ القُرآن كتابُ تنظير فَقَطْ وفيه نظريات تجريديه بحته لَيْسَ لها ارتباط ومساس وطيد بمجريات واقع مسيره البشر، إلَّا أنَّ هَذِهِ قراءه قاصره وناقصه. وسيأتى التعرّض للمزيد تحت العنوان اللاحق [القُرآن الكريم نظام تكوينى حقائقى لإداره شؤون الموجودات] فانتظر.

ثالثاً: هَذِهِ النماذج والشواهد القرآنيه الَّتِي ذكرناها آنِفاً وغيرها الكثير

وَالَّتِی ترتبط بقاعده أسباب النُّزول تُدلِّل عَلَی أنَّ إنزال القُرآن للروح عَلَی غَیْر سید الأنبیاء مرتبط ب - (مَنْ یشاء مِنْ عبادنا) وَالقُرآن الکریم یتبّه المسلمین عَلَی أنَّهُ لا نبی بَعْدَ نبوه سید الأنبیاء وهؤلاء الَّذِیْنَ یتنزّل الرُّوح علیهم هُمْ أولیاء وخلفاء وأوصیاء للرسول صلی الله علیه وآله وأنَّ تنزیل القُرآن لَهُ صله بنبوّه سید الأنبیاء، وبوصایه سید الأوصیاء مِنْ أئمه أهل البیت علیهم السلام بَعْدَ ولایه الرسول صلی الله علیه وآله.

رابعاً: کَذَلِکَ غفلت المدارس الإسّلامیَّه - عدا مدرسه أهل البیت علیهم السلام - عَنْ الوجه الآخر للقُرْآن الذی طالما صَرَّح به رسول الله صلی الله علیه وآله لعلی علیه السلام وَقَدْ وَرَدَ مِنْ طرق الفریقین: «أنا أقاتِل عَلَی التنزیل وعلی یُقاتل عَلَی التأویل»(۱).

بتقریب: أنَّ سنخ تبلیغ النَّبِیّ صلی الله علیه وآله عَنْ الله وأهل بیته علیهم السلام عَنْهُ صلی الله علیه وآله لا یقف عِنْدَ حدّ التنزیل والألفاظ، بَلْ یتّسع إلی التأویل وما لا یحصی مِنْ مدارج المعانی وبیان الحقائق، فالحاجه إلی تبلیغهم وأداءهم عَنْ الله ووساطتهم بین الله وخلقه تمتد إلی یَوْم القیامه فِی دار التکلیف ونشأه الامتحان، ما دام البشر یحتاجون فِی کُلّ بیئه إلی رؤیه کونیه عقائدیه أعمق للحقائق والمعارف، ویحتاجون إلی هدایه مِنْ الشریعه إلی أطوار نظامهم الاجتماعی والسیاسی وحقوله.

۱- (۱) الخصال للصدوق: ۶۵۰.

فتلخّص أنَّ ما تسالم عَلَيْهِ المسلمون مِنْ وجود الظهور والبطون فِي الكتاب العزيز وكون علومه وحقائقه وكلماته لا- تتناهى، يستلزم دوام الحاجه إلى تبليغ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام مِنْ بعده، وعدم سدّ الحاجه بخصوص الظاهر بَعْدَ كون الإيمان بباطن القُرآن عَلَى حذوا الإيمان بظاهره.

خامساً: أنَّ النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بَيَّن أنَّ مرحله التنظير لها صله وارتباط بالنبوّه والأنباء وأنَّ مرحله التّطبيق لها صله بالولايه والحاكميّه والتنفيذ، والذى يتولّى التنظير هُوَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّهُ تَعَالَى يُنبئ نبيّه الذى ينفّذ حاكميه الله تَعَالَى بإراده مِنْهُ تَعَالَى، ويؤيِّد ذَلِكَ ما وَرَدَ فِي زياره الإمام الحسين الأولى وَهِيَ صحيحه السند«... إراده الربانيه مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر مِنْ بيوتكم والصادر عمّا فُضِّل مِنْ أحكام العباد...»(1).

إذَنْ القُرآن الكريم فيه تنزيل أنبائى أىّ ما يخصّ النبوّه(إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَهٍ مُبارَكَهٍ إِنّا كُنّا مُنْذِرِينَ (٣)٢ .

وفيه تنزيل ولائى مرتبط بالإمامه والولايه(فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (۴) ٣ بتقريب: إنَّهُ يُفصِّل ويُبيِّن بين نوعى نزول القُرآن ما يرتبط بولايه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، ونزول مرتبط بولايه سيد الأوصياء عليه السلام والأئمه عليهم السلام.

١- (١) مفاتيح الجنان: ص ۴٩۶.

القُرآن الكريم نظام تكوينى حقائقى لإداره شؤون الموجودات

إنَّ فِي القُرآن الكريم بيانات أكّدتها الآيات المُبَارَكه، وهكذا اكّدتها بيانات أهل البيت عليهم السلام حاصلها:

إنَّ القُرآن الكريم أُنزِل ليقود البشر والملائكه والجن وأنَّ الجنَّ مثلاً موجودات مِنْ نمط فيزيائى خاص وَمِنْ أىّ بيئه هُمْ، وكيف تُدار شؤونهم كُلّ ذَلِكَ بيّنه القُرآن الكريم، وكذلك بيَّن القُرآن شأن الموجودات غَيْر المرئيه وَهِيَ ما يُعبر عنها بالعلوم الغريبه، وكيف تُدار شؤونهم وما هُوَ المُنَاسِب لهدايتهم وبأى طريقه.

وأكَّدت وركَّزت بيانات أهل البيت عليهم السلام أنَّ قياده القُرآن للبشر وغيره لا تقتصر عَلَى الجانب النظرى والتنظيرى، وَإنَّما تتعدّى قيادته إلى تبيان الجانب العملى لإداره البشر وغيره تفصيلياً، وسيأتى التعرّض فِي محله إلى قَاعدَه مُهمّه جدّاً فِي نظام المعانى فِي القُرآن الكريم تحت عنوان: [هل القُرآن فيه تبيان لِكُلِّ شىء أو لا؟] ويجيب القُرآن عَنْ هَذَا التساؤل بقوله:

ص:٣٨٩

(وَ ما مِنْ غائِبَةٍ فِی السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ (۷۵)۱ .

بتقریب: أنَّ القُرآن الکریم مودَعٌ فیه إداره وتنظیم شؤون جمیع الموجودات بما فیها البشر وغیره، إلَّا أنَّهُ مَنْ لَهُ القُدره عَلَی استخراج ذَلِکَ؟ أنَّها لیست منهلاً لِکُلِّ ناهل، وَإنَّما هِیَ مُشرَّعه(لا یَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) (۱) لأهل آیه التطهیر وَهُمْ مُحمَّد وآل مُحمَّد علیهم السلام.

نعم، صحیح أنَّ القُرآن الکریم مِنْ حَیْثُ الألفاظ المکتوبه أیّ مِنْ حَیْثُ ألفاظ التنزیل لا یزید عَلَی ما بین الدفّتین فِی المصحف الشریف، ولکن حقائق القُرآن ومنازله ومقاماته لا تنحصر بالمصحف الشّریف لألفاظ تنزیل القُرآن وَإنَّما هُنَاک حقائق تکوینیه غیبیه کثیره للقُرْآن، وکونه ذا حقیقه غیبیه وَالَّتِی هِیَ الکتاب المبین، وأم الکتاب واللوح المحفوظ، والکتاب المکنون کَمَا فِی قوله تَعَالَی: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ (۷۷) فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ (۷۸) لا یَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (۷۹) تَنْزِیلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ (۸۰)۳ حَیْثُ تشیر آیات القُرآن إلی وجود کینونه علویّه للقُرْآن تُدعی بالکتاب المکنون، أیّ المحفوظه مِنْ أنْ یصل إلیها إلَّا المطهرون مِنْ الذنوب والرجس، وأنَّ ما بین الدفّتین مِنْ القُرآن تنزیلٌ ونزول مِنْ ذَلِکَ المقام العلوی لَهُ وَلَیْسَ هُوَ عین تلک الحقائق.

۱- (۲) سوره الواقعه: الآیه ۷۹.

ومثل هَذِهِ الإشاره نجدها فِی عِدَّه مواضع مِنْ القُرآن.

۱ - فِی قوله تَعَالَی: (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِیدٌ (۲۱) فِی لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (۲۲)۱ .

فوصف القُرآن بالمجد والعظمه لکینونته العلویه، أیّ أنَّ المجد والعظمه وصف لذلک الوجود ولا یُغرِق الباری تَعَالَی فِی وصف موجود بالعظمه إلَّا لخطوره موقعیته فِی عالم الأمر والخلقَه، وتلک الکینونه هِیَ المسمّاه باللوح المحفوظه، والوصف بلفظ المحفوظ مَعَ لفظ المکنون مترادف.

۲ - فِی قوله تَعَالَی: (حم (۱) وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ (۲) إِنّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (۳) وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ الْکِتابِ لَدَیْنا لَعَلِیٌّ حَکِیمٌ (۴)۲.

فوصف القُرآن بان لَهُ کینونه فِی أُمّ الکتاب وَهِیَ وجود علوی لَدُنی عندیَّ لدی الباری تَعَالَی، وَهَذَا الوجود موصوف بالعلوّ والإحکام فِی قبال التفصیل الذی طرأ عَلَی القُرآن حین النُّزول، کَمَا یشیر إلیه قوله تَعَالَی: (وَ لَقَدْ جِئْناهُمْ بِکِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلی عِلْمٍ هُدیً وَ رَحْمَهً لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ (۵۲)۳ .

۳ - فِی قوله تَعَالَی: (الر کِتابٌ أُحْکِمَتْ آیاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ (۱)۴ .

وقوله تَعَالَی: (وَ ما کانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ یُفْتَری مِنْ دُونِ اللّهِ وَ لکِنْ تَصْدِیقَ

اَلَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ وَ تَفْصِیلَ الْکِتابِ لا رَیْبَ فِیهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ (۳۷)۱ .

فَالقُرآن النازل هُوَ تفصیل ونجوم للکتاب العلوی، ویشیر إلی الوجودالعلوی للقُرْآن قوله تَعَالَی: (حم (۱) وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ (۲) إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهٍ مُبارَکَهٍ إِنّا کُنّا مُنْذِرِینَ (۳)۲ .

وقوله تَعَالَی: (قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً (۱۰۹)۳ إلی غَیْر ذَلِکَ مِنْ الآیات.

وبالتالی فَإِنَّ حقائق القُرآن ومنازله لا تنحصر بألفاظ التنزیل المتمثله بما یقرب مِنْ سبعه آلاف آیه ب - (۱۱۴) سوره وَإِنَّما ذاک مقام غیبی - أیّ حقائق القُرآن.

فَإِنَّ تلک المنازل والمقامات العدیده فِی القُرآن عباره عَنْ نظام وکیان تکوینی حقیقی لإداره شؤون البشر وغیره ولا تنحصر بالتنظیر وإبراز النظریّات، بَلْ القُرآن عباره عَنْ منظومه إلهیه حاکمه وهیکل تکوینی منظومی لحکومه إلهیه عَلَی الأرض تشمل الجانب التنظیری والتطبیقی العملی وغیرهما.

وأَنَّ هَذَا الفهم الذی بیّنته روایات أهل البیت علیهم السلام(۱) مِنْ فَهْمْ

۱- (۴) والذی بیّناه فِی ج ۱ مِنْ تفسیر أمومه الولایه عَلَی المُحْکَمات فِی القُرآن فضلاً عَنْ المتشابهات، للشیخ مُحمَّد السند (حفظه الله) وأنَّ القُرآن کتاب هدایه قیادیه للموجودات، وَأَنَّهُ لَیْسَ مُجرَّد تنظیر فَقَطْ.

المذاهب الإسـلاميَّه الأخْرَى الَّتِى آمنت بأنَّ القُرآن الكريم مُجرَّد مصحف شريف ولا يزيد عَلَى ما بين الدفّتين، وَلَمْ تؤمن تلك المذاهب الإسـلاميَّه وَلَمْ تعتقد بحقائقه ومقاماته الغيبيّه ومنازله الملكوتيّه، وسبب هَذَا الفهم السقيم هُوَ الابتعاد عَنْ مدرسه أهل البيت عليهم السلام الَّتِى بيَّنت أنَّ حقائق القُرآن ومقاماته كثيره - كَمَا مَرَّ - يظهر مدى خطوره الولايه فِى قَاعدَه أسباب النُّزول وَهُوَ مما يرسم ويمثل خطوره الولايه فِى منهج التفسير أىّ منهج أمومه الولايه والمُحْكَمات فِى تفسير القُرآن فيُبيِّن مَدَى تأثير محور الولايه فِى قَواعِد هَذَا المنهج التفسيرى.

وَكَمَا مَرَّ أنَّ الغرض مِنْ التأكيد عَلَى منهج أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات فِى تفسير القُرآن؛ لِإنَّهُ منهج ذو أبعاد وتداعيات مُهمّه جدّاً وخطيره وأحد قواعده قَاعدَه أسباب النُّزول؛ لِإنَّهُ إذَا لَمْ نجعل نظام تفسير القُرآن هُوَ فَهُمْ ومعرفه القُرآن، وأنَّ القُرآن فيه مقامات مِنْهَا مقام ولايه الله وولايه الرسول صلى الله عليه وآله وولايه أهل البيت عليهم السلام، وأنَّ الحاكميه بمعنى أنَّ قدره سلطه القُرآن تكوينيّه وليست تصديقيه فَقَطْ، فَقَدْ يُصَدِّق بها الإنسان أو يجحدها بدليل ما جاء فِى سوره الدخان(حم (١) وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ (٢) إِنّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَهٍ مُبارَكَهٍ إِنّا كُنّا مُنْذِرِينَ (٣)١ . بتقريب: أنَّ الله تَعَالَى لَهُ حكم وإداره وحكمه وتقسيم الأرزاق وكتابه الآجال والحوادث الَّتِى ستحدث عَلَى البشر والملائكه والجن والشجر والحيوان وغيرها؛ فَإنَّ

كُلّ تلك الملفات تُقدَّر فِى ليله القدر، وأنَّ إداره الأحداث التكوينيه للموجودات لها صله بالقرآن الكريم.

القُرآن يمتنع تفسيره بمجرد النبوه

مِنْ دون بَعْدَ الولايه فِى النُّبىّ وعترته:

ولذا لو لَمْ نفهم حقيقه القُرآن سنظنّ بأنَّ مغزى أسباب النُّزول فِى القُرآن هِىَ غايات تنظيريه فَقَطْ.

وَعَلَيْهِ فلا يستطيع أىُّ مُفسِّر أنْ يخوض فِى بيان المقامات التكوينيه الغيبيه فِى القُرآن إذَا اقتصر عَلَى الجانب الأوَّل، وَهُوَ التنظير - النبوّه - بَلْ لابُدَّ لَهُ ولأجل أنْ يُبيِّن أكبر عدد مِنْ المقامات الغيبيه أنْ يخوض فِى الجانب الثَّانِى، وَهُوَ بَعْدَ الولايه سواء بالجانب التطبيقى أو الحقائقى.

إذْ لا يتسنى لَهُ معرفه أىّ مقام أو منزل فِى القُرآن، أو يعرف علم إداره الدول أو علم إداره الوزرات أو العلم النظرى وغيرها إلَّا بملاحظه البُعد الثَّانِى.

ولذا فَإنَّ القُرآن كتاب جامع مانع - إنْ صحَّ التعبير - فلا تُحصّر قيادته وتنظيمه بالبشر وحصره بذلك عَلَى ما تظنّ أو تتوهّمه بَعْض المذاهب أو المدراس الإسْلاميَّه نتيجه ابتعادهم عَنْ مدرسه أهل البيت عليهم السلام(وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى)١ .

بتقريب: لَيْسَ المُرَاد مِنْ (لو) حرف امتناع وَإِنَّما هَذِهِ شؤون القُرآن وربط تسيير الجبال، وتقطيع الأرض أو تكليم الموتى أو... الخ بالقرآن ما ذاك إلَّا دليلٌ عَلَى أنَّ القُرآن لَهُ ارتباط بكُلِّ هَذِهِ الأُمُور(تِبْياناً لِكُلِّ شَيْ ءٍ) وتقديره وتدبيره.

وهكذا قوله تَعَالَى: (لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَهِ اللّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) (١) وقوله تَعَالَى: (فَلَمّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) (٢) وقوله تَعَالَى: (وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ)٣ .

بتقريب: أنَّ الصِّله بين خشوع وتصدّع الجبل وجعله دكّاً وإرسال الرياح لواقح وغيرها مِنْ الحقائق الَّتِي يُبيّنها القُرآن الكريم فِي مجالات شتّى، وسواء فِي الأرض أو السّماء أو عوالم أُخْرَى ما ذاك إلَّا لبيان وتأكيد ارتباط القُرآن بتلك الأُمُور وهدايتها، وأنَّ هدايه القُرآن التكوينيّه وَهِيَ الولايه غَيْر مقتصره وَغَيْر مختصّه بالبشر فَقَطْ، وَإِنَّما تتعدّى إلى سائر المخلوقات، وَلَمْ تتبيّن هَذِهِ النكات العلميّه والصناعيّه بشكل واضح إلَّا مِنْ خلال معرفتها مِنْ بيانات أهل البيت عليهم السلام، وقطع ثمرتها بواسطه أومن خلال المنهج التفسيرى المختار أمومه الولايه عَلَى المُحْكَمات فضلاً عَنْ المتشابهات ولا يُفهم مِنْ هَذَا أننا نريد تشطيب وتهميش باقى المناهج

١- (١) سوره الحشر: الآيه ٢١.

٢- (٢) سوره الاعراف: الآيه ١۴٣.

التفسيريه، وَأنَّها لا ثمره فيها كالتفسير الموضوعى، أو تفسير القُرآن بالقرآن، أو التفسير التجزيئى أو الأدبى أو الإشارى أو اللطائفى أو الأنفسى أو تفسير أسباب النُّزول وغيرها، بَلْ لها فوائد وثمار تستثمر، ولكن مِنْ الخطأ أنْ نجعلها هِيَ المدار وَأنَّها هِيَ المنهج المُهيمن.

وَإنَّما إذَا أردنا أنْ نعرف المدار وعمود خيمه فضاء القُرآن كمنهجٍ فَهُوَ كَمَا بيّنه مسعده بن صدقه عَنْ الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القُرآن وقطب جميع الكتب عَلَيْهَا يستديرُ محكم القُرآن وبها نوّهت الكتب ويُستبين الإيمان»(1).

والمُلفت فِى بيان هَذِهِ الرِّوايه الشّريفه أنَّها لَمْ تجعل النبوّه فِى النَّبِىّ صلى الله عليه وآله قطب رحى، بَلْ بُعد الولايه فِى النَّبِىّ صلى الله عليه وآله وعترته هُوَ قطب الرحى، وَهَذَا أمر بالغ العظمه والخطوره فِى حقيقه القُرآن، وإذا كَانَ هَذَا الحال فِى القُرآن، فكذلك الحال فِى قطبيّه الولايه للكتب السّماويه السابقه.

وعنوان أهل البيت عليهم السلام ينطبق بالمرتبه الأولى عَلَى سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، ثمَّ أمير المؤمنين عليه السلام سيد الأوصياء على بن أبى طالب عليه السلام، ثمَّ الحسنين ثمَّ التسعه المعصومين عليهم السلام، وَقَدْ أسند الولايه إلى أهل البيت عليهم السلام وَقَالَ: «ولايتنا أهل البيت» وَلَمْ يقل عليه السلام «نبوتنا أهل البيت عليهم السلام» وأنَّ الله جعل الولايه المجموعيّه لأهل البيت عليهم السلام مَعَ اختلاف مراتبهم قطب القُرآن وقطب جميع الكتب السماويه السبع، وَعَلَيْهَا يدور محكم القُرآن - أىّ النقطه

۱- (۱) تفسير العيّاشى: ج ۱، ص ۷۸ باب فضل القُرآن.

المركزيه فيه ونظم نظام المحكم هُوَ بتوسّط ولايه أهل البيت عليهم السلام وَإِلَّا لا نفرط وتشتت محكم القُرآن.

كَمَا أنَّ ظاهر كلامه عليه السلام، أنَّ الكتب السماويه السابقه عمدَه ما نوّهت به هُوَ ولايتهم وأنَّ الإيمان إنَّما يستبين بولايتهم وَكُلّ ذَلِكَ بيان لركنيّه ولايه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وعترته اعظم مِنْ جهه الأنباء والنبوّه فِي النَّبِيّ صلى الله عليه وآله.

وبذلك يتحصّل أنَّ قوام حقيقه القُرآن بولايه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وعترته أعظم مِنْ حيثيه النبوّه والأنباء فِي النَّبِيّ صلى الله عليه وآله

وَهَذَا سواءٌ فُسِّرت النبوّه بأنباء النَّبِيّ صلى الله عليه وآله للآخرين فالأمر واضح وأنَّ ولايه النَّبِيّ صلى الله عليه وآله أعظم رتبه مِنْهُ مِنْ مقام إنبائه للآخرين، أو فُسِّرت النبوّه بمقام تلقى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله للوحى فِي بُعد البصر الباطن، فَإِنَّ التلقى، إنَّما هُوَ مِنْ الدرجات النازله فِي ذاته صلى الله عليه وآله وأمَّا الدرجات العاليّه مِنْ ذاته صلى الله عليه وآله فَهُوَ فِي مقام التمكين والقدره وَهُوَ ولايه، أو فُسِّرت بالتلقى فَإِنَّ التلقى يَكُون بالإلهام ونحوه أوسع مدى مِنْ الرؤيه البصريه.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قوله تَعَالَى: (إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْىٌ يُوحى (٤)١ أعظم مقاماً فِي شأن النَّبِيّ صلى الله عليه وآله مِنْ الوصف الآخر(لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى (١٨)٢ وَالَّتِى هِىَ النبوّه، فَإِنَّ بَقيَّه أنماط وأنواع الوحى أعظم وأعلى شأناً مِنْ الرؤيه، وينطوى فيها ما لا ينطوى فِي الرؤيا، ألا ترى أنَّ النَّبِيّ إبراهيم عليه السلام

نال النبوّه أوَّلاً ثمَّ الخلَّه والرساله ثانياً، ثمَّ الإمامه ثالثه.

والخلاصه إنَّ منهج الأمومه التفسير المختار لَيْسَ فَقَطْ هُوَ مركز لمعانى عديده، وَإنَّما هُوَ أصل منظومى تناسجى مترابط وفيه تلاحقٌ وتعاقبٌ لمعادلات هندسيه كثيره، كُلّ ذَلِكَ تحت عنوان أمومه(هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ)١ فمثلما المُحْكَمات لها أمومه عَلَى ما دونها وَهِىَ المتشابهات كَذَلِكَ المُحْكَمات لها أمٌّ وَهِىَ الولايه، فحينئذٍ نستطيع أنْ نفهم أنَّ القُرآن كتابٌ نبوّه - تنظير - أىّ يريهم الطريق، وكتاب ولايه - تطبيق - أىّ يأخذ بيدهم وحاكم وَأنَّهُ كتاب هدايه أرائيه للبشر، وكتاب هدايه إيصاليّه أىّ يوصلهم إلى السّعاده المنشوده.

نعم، القُرآن فيه تَعَرّضٌ لبنود كثيره جدّاً(ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلاّ أَحْصاها)٢ .

وبذلك تبيَّن أنَّ حقيقه القُرآن بالولايه وتنزيله فِى أحد بعديه بالنبوّه وتبيَّن سابقاً الفرق بين الولايه فِى النُّبِىّ صلى الله عليه وآله وبين النبوّه فيه صلى الله عليه وآله هِىَ فرق الحقيقه والتنزيل، وَهَذِهِ الولايه الَّتِى عِنْدَ النُّبِىّ صلى الله عليه وآله ورّثها عترته مِنْ أهل بيته عليهم السلام.

القاعده التاسعه: قابليه ظهور الكلام الواحد للتعدد و التكثر تاويل كل شيء نهايته و ما يوول اليه طبقات المعنى التاويلى كلها تندرج فى الظهور

القاعده التاسعه(۱) [۱]: قابليه ظهور الكلام الواحد للتعدد و التكثر تاويل كل شيء نهايته و ما يوول اليه طبقات المعنى التاويلى كلها تندرج فى الظهور

التفسير التأويلى لأهل البيت جله معالجه للظهور:

تَقَدَّمَ فِي قَاعدِه أسباب النُّزول إنَّ اختلاف مدرسه أهل البيت عليهم السلام عَنْ بَقيَّه المدارس الإسّلاميَّه فِي حقيقه موردیّه مورد النُّزول أوقع الكثير مِنْ الباحثين فِي الخلط بسبب المزج بين المنهاجين، وعدم إحاطه المدارس الإسّلاميَّه الأُخْرَى بحقيقه موردیّه النُّزول، كَمَا تعيه مدرسه أهل البيت عليهم السلام وابتعاد المدارس الإسّلاميَّه الأُخْرَى عَنْ منهاج مدرسه أهل البيت عليهم السلام وَلَّدَ توهّمٌ فِي تفسير الآيات والسِّياق فِي أسباب النُّزول، كَذَلِكَ الحال فِي قَاعدِه قابليّه ظهور الكلام الواحد للتعدّد والتكثُّر، وإنَّ جُلُّ التفسير

۱- (۱) تَقَدَّمَ فِي الجزء الأوَّل مِنْ تفسير أمومه الولايه والمُحكمات للشيخ مُحمَّد السَّند ص ۳۰۳، والمقام الثَّالِث مبحث الظُّهور والتَّأويل، وَمِنْ باب إتمام الفائده، نذكر هَذِهِ القَاعِدَه تتمَّه لما تقدَّم.

التأويلى لأهل البيت عليهم السلام هُوَ فِى مُعالجه الظَّهور، فَإنَّ كثيراً مِنْ الآيات لها عِدَّه ظهورات، بَلْ الآيه الواحد لها ظهور مُتكثِّر، بَلْ لَعَلَّهُ فِى بَعْض الآيات يَكُون صدرها لَهُ ظهور فِى مَعْنَى ووسطها ظاهر فِى مَعْنَى ثانٍ، وذيلها لَهُ ظهور فِى مَعْنَى ثالث، بَلْ فِى جُمله منا لموارد الكلمه الواحده مِنْ الجُمله لها ظهور فِى مَعْنَى يختلف عَنْ بَقيَّه مُفردات الآيه والجُمله الواحده.

وهكذا الكلام فِى التأويل فَلَعَلَّ الآيه الواحده فضلاً عَنْ السوره لها عِدَّه تأويلات بَلْ اللَّفظه الواحده مِنْ الجُمله لها تأويلات مُتعدّده، ولَعَلَّ هَذَا مِنْ غرائب الأمور عَلَى مَنْ لَمْ يأنس بألوان وأنواع الاستعمال التركيبى القُرآنى بحسب ما نبَّه عَلَيْهِ أهل البيت عليهم السلام، وبيَّنوا أنَّ مِنْ أكبر العوائق أمام البشر فِى فَهْمْ كلام الله تَعَالَى هُوَ البناء عَلَى أنَّ الكلام أو المفرده لها ظهور واحد أو تأويل واحد، وما وَرَدَ فِى الرُّوايات عكس ذَلِكَ تماماً فَإنَّهُ يمكن أنْ يتعدّد الظهور بلحاظ الآيه وكلماتها، وَهُنَاك جُمله مِنْ الرُّوايات أكَّدت هَذَا المعنى.

مِنْهَا: روايه الفضل بن يسار، قَالَ: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عَنْ هَذِهِ الرُّوايه: ما فِى القُرآن آيه إلَّا ولها ظهرٌ وبطنٌ، وما فيه حرفٌ إلَّا وَلَهُ حدٌّ، وَلِكُلِّ حدٍّ مُطّلع، ما يعنى بقوله: لها ظهرٌ وبطنٌ؟ قَالَ: ظهرُه وبطنه تأويله، مِنْهُ ما مضى وَمِنْهُ ما لَمْ يكن بعدُ يجرى كَمَا تجرى الشَّمس والقمر، كُلّما جاء مِنْهُ شىء وقع، قَالَ الله تَعَالَى(وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ) (1) نَحْنُ نعلمه.

۱- (۱) تفسير العياشى: ج ۱، ص ۸۶ ح ۵.

وَمِنْهَا: روايه جابر، قَالَ: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عَنْ شيء فِي تفسير القُرآن فأجابنى... وَهُوَ كلام يتصرَّف عَلَى وجوه١.

وهكذا ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام فِي احتجاجه عَلَى الزنديق.. وَمِنْ كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ يَكُون تأويله عَلَى غَيْر تنزيله، ولا يشبه تأويله بكلام البشر، ولا فعل البشر، وسأنبئك بمثال لذلك تكتفى به إنْ شاء الله تَعَالَى، (وَ قالَ إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي) وَهُوَ حكايه الله عَزَّ وَجَلَّ عَنْ إبراهيم عليه السلام حَيْثُ قَالَ: فذهابه إلى ربِّه توجّهه إليه فِي عبادته واجتهاده ألا ترى أنَّ تأويله غَيْر تنزيله، وَقَالَ(وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَهَ أَزْواجٍ) ، وَقَالَ: (وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) فإنزاله ذَلِكَ: خلقه إيّاه.

وكذا قوله(قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ) أىّ الجاحدين، والتَّأويل فِي هَذَا القول باطنه مضادٌ لظاهره.

وَمَعْنَى قوله(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَهُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ)٢ ، فَإِنَّما خاطب نبيِّنا مُحمَّد صلى الله عليه وآله، هل ينتظر المُنافقون والمشركون إلَّا أنْ تأتيهم الملائكه، فيعاينونهم، أو يأتى بَعْض آيات ربِّك يعنى بذلك: أمر ربِّك والآيات هِيَ العذاب فِي دار الدُّنْيا، كَمَا عَذَّب الأُمم السَّالفه والقرون الخاليه، وَقَالَ(أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها) يعنى بذلك ما يهلك مِنْ القرون فسمّاه إتياناً، وَقَالَ: (قاتَلَهُمُ اللّهُ

أَنّى يُؤْفَكُونَ (۴)۱ أىّ لعنهم الله أنّى يؤفكون، فسمّى اللّعنه قتالاً وكذلك قَالَ(قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ (۱۷)۲ أى لعن الإنسان، وَقَالَ(فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللّهَ رَمى) فسمّى فعل النّبىّ صلى الله عليه وآله فعلاً لَهُ، ألا ترى تأويله غَيْر تنزيله، ومثله قوله(بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ) فسمّى البعث: لقاءاً، وكذلك قوله، (أَ لا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (۴) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (۵)۳ أىّ لَيْسَ يوقنون أنّهم مبعوثون، واللِّقاء عِنْدَ المؤمن: البعث، وَعِنْدَ الكافر المعاينه والنظر.

وَقَدْ يَكُون بَعْض ظن الكافر يقيناً، وَذَلِكَ قوله(وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها) أىّ تيقنوا أنهم مواقعوها.

وأمّا قوله فِى المُنافقين(وَ تَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا)۴ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بيقين ولكنّه شكٌّ، فاللَّفظ واحِدٌ فِى الظّاهر ومُخالف فِى الباطن(۱).

روى العيّاشى عَنْ أبى جعفر عليه السلام، قَالَ: لَيْسَ شىء أبعد مِنْ عقول الرِّجال مِنْ تفسير القُرآن، إنّ الآيه ينزل أولها فِى شىء ووسطها فِى شىء وآخرها فِى شىء، ثمّ قَالَ: (إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

۱- (۵) الاحتجاج للطّبرسى: ج ۱، ص ۳۰۲ و ۳۰۳ فِى احتجاج أمير المؤمنين عَلَى الزّنديق، وكذا المحاسن للبرقى: ص ۳۰۰.

اَلْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (۳۳) من ميلاد الجاهليه(۱).

روى العيّاشى بسنده عَنْ جابر، قَالَ: سألتُ ابا جعفر عليه السلام عَنْ شىء فِى تفسير القُرآن فأجابنى، ثمَّ سألتُه ثانيه فأجابنى بجواب آخر، فقلتُ جُعلتُ فداك كنتُ قَدْ أجبتَ فِى هَـذِهِ المسأله بجواب آخر غَيْر هَذَا قبل اليوم، فَقَالَ لى يا جابر: إنَّ للقُرآن بطناً، وللبطن ظهراً، يا جابر لَيْسَ شىءٌ أبعد مِنْ عقول الرِّجال مِنْ تفسير القُرآن، إنَّ الآيه لتكون أولها فِى شىء وآخرها فِى شىء، وَهُوَ كلام مُتّصِلٌ يتصرَّف عَلَى وجوه(۲).

وفى بصائر الدِّرجات.. عَنْ هشام عَنْ الهيثم التميمى، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله عليه السلام يا هيثم إنَّ قوماً آمنوا بالظَّاهر وكفروا بالباطن فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً وجاء قومٌ مِنْ بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظّاهر فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً، ولا أيمان بظاهر إلَّا بباطن ولا بباطنٍ إلَّا بظاهر(۳).

وَبَعْدَ هَذِهِ المُقدِّمه:

مَنْ يتتبَّع كلمات المُفَسِّرين - خاصَّه الإماميّه منهم - فِى كيفيه التّعامل مَعَ طبقات المعنى التّأويلى فِى الرِّوايات، سوف يجد منهجان أو مسلكان:

المسلك الأوَّل: وَهُوَ مسلك المشهور أو الأشهر، وتعامله مَعَ الرِّوايات الَّتِى تبدى معانى خفيّه أو باطنه الخفاء للآيات عَلَى أنَّها معانى تأويليّه محضه

۱- (۱) العيّاشى: ج ۱، ص ۹۵ باب مَنْ فسَّر القُرآن برأيه: ح ۱.
۲- (۲) المصدر السَّابق: ص ۸۷ ح ۸، باب تفسير النَّاسخ والمنسوخ والظَّاهر والباطن.
۳- (۳) تفسير البُرهان للفتونى: ص ۲۲ عَنْ بصائر الدّرجات.

أو تطبيقيه، وليست مرتبطه، بَلْ ولا صله لها بشؤون قالبِ وظهور الآيه.

المسلك الثَّانِي: إنَّ المعانى التّأويليّه تندرج فِى الظُّهور غايه الأمر أنَّ الظُّهور عَلَى مراتب وَهُوَ ما نعتمده(۱) فِى علم أُصُول الفِقْه، وَأَنَّهُ لابُدَّ مِنْ التّعامل مَعَ الرُّوايات التّأويليّه أنَّها محوريّه وليست هامشيّه وأنَّ المعنى التّنزيلى ظلّى وتبعى للمعنى التّأويلىّ ثبوتاً، وإنْ كَانَ إثباتاً المعنى التّنزيلى طريق للوصول إلى المعنى التّأويلى، وبعباره أُخْرَى المعانى التّأويليّه تندرج فِى الظُّهور، غايه الأمر أنَّ الظُّهور عَلَى مراتب، كَمَا تقدَّم مُفصَّلاً(۲) وأنَّ تعدّد الظُّهور أمر لَيْسَ بغريب، كَمَا قرّره عُلَمَاء البلاغه والأدب وَالأُصُول وغيرها، منهم الشَّيْخ المفيد والطوسى وَالسَّيِّد المُرتضى والمُحقّق الحلّى وغيرهم، فَالسَّيِّد المُرتضى فِى كتابه الشافى ذكر ما حاصله: مِنْ أنَّ دلائل القُرآن يقينيّه وقطعيّه عَلَى إمامه أمير المؤمنين عليه السلام بنصّ التّنزيل فضلاً عَنْ التّأويل الذى هُوَ مِنْ ظهور القُرآن بنحو قطعى، وإنْ كَانَ هُنَاك جماعه مِنْ الصُّوفيه يُؤمنون بإمامه أمير المؤمنين عليه السلام وَأَنَّها تأويليّه وليست تنزيليّه، كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِى زياره الإمام الهادى عليه السلام لجدّه أمير المؤمنين عليه السلام يَوْم الغدير، وأنَّ إمامه جدّه أمير المؤمنين عليه السلام نزل بها التّنزيل، أو نَصَّ عَلَيْهَا التّنزيل [... وأشهدُ أنَّكَ أمير المؤمنين الحَقّ الذى بولايتك التنزيل...].

۱- (۱) أىّ مسلك شيخنا الأُستاذ مُحمَّد السند حفظه الله فِى علم اصول الفِقْه.

۲- (۲) راجع تفسير أمومه الولايه والمُحكمات فِى القُرآن ج ۱ للشيخ مُحمَّد السند حفظه الله مبحث التّأويل.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ السَّيِّد المرتضى حكم بإسلام المُخالف رغم أنَّهُ لا يقرّ بولايه أمير المؤمنين عليه السلام فِى حين إنّنا نقول بيقينيّه نصّ تنزيل القُرآن الكريم بإمامته وولايته عليه السلام وَمَعَ ذَلِكَ لا يُحْكَم بكفر الذى لا يَقرُّ بإمامه ولايه أمير المؤمنين عليه السلام؛ لِأَنَّهُ تلبيس مِنْ الظّالمين الَّذِيْنَ استولوا عَلَى الحكم فِى بيئه الثّقافه الإسّلاميَّه والسجال العلمى الإسلامى هُوَ الذى سَبَّبَ فِى محاوله طمس هَذِهِ الأنوار البيِّنه الناصعه فِى القُرآن؛ لا أنَّها زالت، بَلْ هِىَ لا تزال تلك الأنوار موجوده ومُستمره إلى يَوُم القيامه، إلَّا أنَّ البعض يحاول بائساً وضع العراقيل ويصنع عقبات وسُحُب سوداء تحجب النَّظر عَنْ الآخرين.

هَذَا مُضَافَاً إلى أنَّ الولايه ليست مَعْنَى ظاهر أولى فِى هَذَا الوقت مِنْ السنين وإنْ كَانَ كَذَلِكَ عِنْدَ نزول القُرآن، باعتبار أنَّ أُسس الدِّين تُبنى بالحكم الأولى لا- بالحكم الثانوى، وإنَّ دور الحكم الثانوى شبيه بحالات الطوارى والمُعالجات فِى حاله الطوارىء ليست مُؤسسه عَلَى الدُّوام لا تكويناً ولا تشريعاً، ولأجل إلقاء الشُّبهه مِنْ الغاصبين والمُلبسين وعدم ترتيب سور وآيات القُرآن كَمَا أُنزِل، وَإنَّما رتبت آياته مكيّاً ومدنيّاً وما شابه ذَلِكَ.

عَنْ داود بن فَرْقَد، عمّن أخبره، عَنْ أبى عبدالله عليه السلام، قَالَ: لو قُرئ القُرآن كَمَا أنزل، لألفيتنا فيه مُسمّين(۱).

۱- (۱) تفسير العيّاشى: ج ۱، ص ۸۹ باب ما عنى به الأئمه عليهم السلام مِنْ القُرآن ح ۴؛ بحار الأنوار: ج ۹۲ ص ۵۵.

وَقَالَ سعيد بن الحسين الكندى، عَنْ أبى جعفر عليه السلام - بَعْدَ مُسَمَّين - كَمَا سُمِّى مَنْ قبلنا(۱).

وبالتّالى فَإنَّ إلغاء الشُّبه ضيَّع هَذَا التّرتيب للظُّهور بحسب النُّزول عَلَى كثير مِنْ المسلمين، فَمِنْ أدلَّه ولايه أمير المؤمنين عليه السلام هُوَ بنصّ القُرآن، وبالظُّهور إلَّا أنَّهُ خُفى أو أُخفى، ولكن لا مانع مِنْ أنْ يَكُون قطعيّاً وضروريّاً رغم أنَّهُ خفى.

والغرض مِنْ استعراض هَذَا المطلب لِلْسَّيِّد المُرتضى فِى كتابه الشَّافى - هُوَ لأجل الإشاره إلى أنَّ الباحث الكريم إذَا لَمْ يُتقِن هَذِهِ المطالب والبحوث مِنْ عِدَّه زوايا كزاويه قَاعدِه علم التّفسير، واصول الفِقْه، والكلام وغيرها فَإنَّهُ لَمْ يخرج بنتيجه رصينه ومقبوله وأنَّ الظُّهورات عَلَى مراتب.

توضيح أكثر: -

لو أخذها مثالاً عَلَى صعيد قالب الظُّهور فَقَطْ فسوف نجد لَهُ عِدَّه مداليل قَدْ تصل إلى الخمسه مداليل أو السّته، وَقَدْ لا تكون هَذِهِ المداليل المُتعددّه متطابقه فنحتاج إلى تكلف التأويل، فلو أُريد التعريض بإنسان بخيل فنلاظ وجود عِدَّه مداليل وعِدَّه دلالات:

۱) دلاله ومدلول تصورى.

۱- (۱) المصدر السابق: ح ۵.

٢) دلاله ومدلول استعمالى.

٣) دلاله ومدلول تفهيمى.

۴) دلاله ومدلول جدّى وَهِىَ عَلَى أقسام.

۵) دلاله مدلول جدّى مطابقى.

۶) دلاله مدلول جدّى التزامى، والالتزامى عَلَى أقسام.

وَهَذِهِ المداليل قَدْ تكون مطابقتها وأمثلتها واضحه فِى علوم البلاغه، وَقَدْ لا تكون واضحه.

فإذا عُرَّض بالبخيل بإنْ يُقَال لَهُ: زيد كثير الرَّماد، فنلاحظ عِدَّه مداليل:

١) المدلول التّصورى وَهُوَ الرماد، وَلَيْسَ المُرَاد إفهام مَعْنَى الرَّماد، وَإنَّما المُرَاد هُوَ إفهام معناه التّصورى، بَلْ أنَّ باب الاستعمال فِى أكثر مِنْ مَعْنَى يبتدأ مِنْ صوت الكلمه، كَمَا فِى الشِّعر الشَّعبى الدارج - المعروف بالحسچه - مثل

«يراعى الثار ما يظهر علامه وينشر لليتانونه علامه»

فضلًا عَنْ الاشتراك فِى الوضع، فَيَكُون مِنْ تعدد الاستعمال للصوت الواحد فِى اصوات مُتعدِّده، وَمِنْ باب استعمال الصُّوت فِى أسماء كلمات عديده، أو مِنْ باب الاشتراك اللَّفظى فَيَكُون مِنْ باب استعمال اللَّفْظ فِى عِدَّه معانى تصوريَّه، أو مِنْ باب استعمال المعنى التّصورى فِى عِدَّه معانى استعماليّه، وَهُوَ المبحث المعروف لدى الأصوليين استعمال اللَّفْظ فِى أكثر مِنْ معنى كَمَا نصَّ البلاغيون عَلَى جوازه فِى مبحث الكفايه ونحوها فِى

التّعريض.

فضلاً عَنْ استعمال المعنى الاستعمالى فِى عِدَّه معانى تفهيميه، وَكُلّ هَذَا التعدّد فِى الصُّوت والمعنى التّصورى والتّفهيمى فِى عَرَضٍ واحد.

وكذلك استعمال المعنى التّفهيمى فِى عِدَّه معانى جديّه فِى عرض واحد فضلاً عَنْ الاستعمال المُتكثِّر طوليّاً.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ تعدّد تركيب الظُّهور مِنْ هَذَا الباب الواسع.

٢) المدلول التّصورى الاستعمالى، وَهُوَ آله الطّبخ.

٣) المدلول التّصورى التّفهيمى، وَهُوَ الكرم.

٤) المدلول التّصورى الجدّى: أنَّ زيداً بخيلٌ.

٥) المدلول الجدّى المطابقى وما وراءه مِنْ طبقات جديّه ورائيّه خفيّه.

٦) المدلول الجدّى الالتزامى وَهُوَ عَلَى درجات.

وبناءاً عَلَى قَاعدِه استعمال اللَّفْظ فِى أكثر مِنْ معنى(١) فَإنَّ الكلام والحد - كَمَا مَرَّ - يتحمّل مداليل مُتعدِّده كُلّ مِنْهَا مُستعمل فِى صعيد طبقه المعنى التّصورى، أو المعنى الاستعمالى، أو المعنى التّفهيمى، او الجدّى وغيرها.

وَكُلّ هَذَا التّعدّد فِى اختلاف معانى الطّبقات مُتباينٌ فيما بينها بنحو أنَّ

١- (١) تَقَدَّمَ بحثها فِى تفسير أمومه الولايه: ج ١ للشَّيخ مُحمَّد السند.

لِكَلِّ طبقه لها مَعْنَى مُختلف عَنْ مَعْنَى الطبقه الأخْرَى، وَهَذَا باب واسعٌ، وأنَّ تعدّد هَذِهِ الأمُور ظهورٌ، وَهَذَا الظَّهور عباره عَنْ منظومه تتحمّل هَذَا التَّعدّد والتكثّر فِي مداخل عديده، لذلك يتسائل عَنْ كيفيه كون المعنى التأويلى مِنْ الظُّهور.

كيف يَكُون المعنى التأويلى مِنْ الظهور:

هُنَاك تساؤلٌ مِنْ قبل أصحاب المسلك الأوَّل - القائلين بأنَّ المعانى التّأويليّه غَيْر مُرتبطه بشؤون قالب الظُّهور - عَنْ كيفيه ارتباط المعنى التّأويلى بالظُّهور مَعَ أنَّ التأويل خفيٌّ.

الجواب: إنَّ ذَلِكَ خَفِىَ عَلَى مَنْ لَمْ يعلم القرائن وَلَمْ يقف عَلَى الشواهد المُؤدّيه مِنْ الظُّهور الأولى إلى المعنى الخفى، وَأنَّهُ ظهور تعبدى بخلاف مَنْ وقف عَلَى الشَّواهد والقرائن المؤدّيه مِنْ مَعْنَى الظُّهور الأوَّلى إلى المعنى الثَّانِى والثَّالث والرَّابع و... الخ فَإنَّهُ يَكُون ظاهراً، وأنَّ هَذِهِ مراتبٌ فِي الظُّهور والامتناع فِي تعدّد مراتب الظُّهور، بَلْ يتعدّى ويتوسّع الأمر إلى علم الفِقْه والاصول والتّفسير وغيرها مِنْ أنَّ الظُّهور - كَمَا هُوَ الصّحيح عَلَى ما نختاره ونبنى عَلَيْهِ قابل للتعدّد، وأنَّ المعنى التّأويلى بالدقَّه مِنْ الظُّهور، غايه الأمر أنَّ المعنى التّأويلى هُوَ مِنْ طبقات الظُّهور - كَمَا سوف يتّضح بَعْدَ ذَلِكَ -.

وَقَدْ تَقَدَّمَ الكلام(١) فِي بحث عِدَّه قَواعِد: -

١- (١) تفسير أمومه الولايه والمُحْكَمات: ج ١، الشَّيْخ مُحمَّد السَّند.

مِنْهَا: قَاعدِه استعمال اللَّفْظ فِی أکثر مِنْ مَعْنَی.

وَمِنْهَا: قَاعدِه مَعْنَی التّأویل والباطن والظَّاهر.

وَمِنْهَا: قَاعدِه الجری فِی التّعبیر لا التّطبیق وَالَّتِی تدلُّ عَلَی أنَّ الآیه تجری فِی المعانی کَمَا تجری المصادیق کَمَعْنَی وکمُراد لا أنَّهُ شیء أجنبی عَنْ المُرَاد، خلافاً لما ذهب إلیه السَّیِّد العلّامه مُحمَّد حسین الطباطبائی فِی المیزان وَالسَّیِّد الخوئی فِی تفسیره البیان، وَالسَّیِّد عبدالأعلی السبزواری فِی مواهب الرحمن وغیرهم فسّروا قَاعدِه الجری فِی التّعبیر لا التّطبیق وأنَّ المُصداق خارج عَنْ شؤون قَالَب المعنی والدِّلاله، وَأنَّهُ تطبیق مصداق لا صله لَهُ بقالب المعنی، وبعباره أُخْرَی إنَّ قَاعدِه الجری لَیْسَ هُوَ الجری فِی التطبیق کَمَا فسَّره ذَلِکَ أعلام هَذَا العصر، وَهِیَ قَاعدِه فِی الأصل مأثوره عَنْ أئمه أهل البیت علیه السلام، وَهُمْ الأعلام قَدْ فسّروها فِی التّطبیق أیّ جری قالب المعنی الواحد فِی مصادیق مُتعدِّده، بینما قَاعدِه الجری المأثوره هِیَ فِی الحقیقه جریٌ فِی التّعبیر أیّ العبور مِنْ مَعْنَی إلی مَعْنَی آخر، وجری اللَّفْظ مِنْ مَعْنَی إلی مَعْنَی آخر، أو مِنْ حقیقه إلی حقیقه، أو مِنْ حقیقه إلی مَعْنَی، أو مِنْ حقیقه إلی مصداق، فتکون قَاعدِه الجری باب واسع لکثره استعمال اللَّفْظ فِی المعانی.

وَعَلَیْهِ إذَا کَانَتْ الغایه الکبری للمُتکلِّم هُوَ الحقیقه الکبری، وباعتراف هؤلاء الأعلام (رحمهم الله) الثلاثه وغیرهم فکیف یَکُون المصداق الاکبر خارج عَنْ مراده مِنْ الکلام، وتقدم کُلّ ذَلِکَ مُفَصَّلاً فِی

قَاعدِه الجرى فِى التعبير لا التّطبيق، وَمَنْ أراد المزيد فليّراجع.

وَمِنْ مجموع ما تَقَدَّمَ مِنْ القَوَاعِد اتَّضح التأكيد والتّركيز فيها عَلَى أنَّ الرُّوايات التّأويليّه لا تُشيرالى مَعْنَى أجنبى عَنْ ظهور الكلام، وَإنَّما تشير إلى أنَّ المعانى التّأويليه وكيفيه استخراجها وانتزاعها مِنْ اللَّفْظ وشؤونه المُختلفه هِىَ أحد درجات الظُّهور ومراتبه، فَهِىَ بالتّالى تُعالج مراتب الظُّهور، كَذَلِكَ مُعالجه المعنى التّأويلى لِكُلِّ آيه لا يشير إلى مَعْنَى أجنبى عَنْ الآيه، فمثلاً ما يذهب إليه السَّيِّد العلّامه الطباطبائى مِنْ أنَّ المُرَاد بالتّأويل هُوَ التّحقّق الخارجى العينى لمعنى الآيه، وَأنَّهُ لا صله لَهُ بقالب مَعْنَى الآيه.

فيُلاحظ عَلَيْهِ: إنَّ غايه غايات المُتكلِّم هُوَ المُصداق الأعظم والأهم فِى مقام تحقّق هويّه المعنى، وإذا كَانَ أكمل المصاديق هُوَ أهم شىء عِنْدَ المُتكلِّم فكيف نجعله بعيداً عَنْ محوريّه الكلام، وَلَيْسَ هُوَ أسُّ الأساس، بَلْ حَتّى لو تنزّلنا مَعَ ما يذهب إليه السَّيِّد العلّامه الطباطائى مِنْ الجمُود عَلَى الإطار العام وعدم إراده الوجود العينى الخارجى لمعنى الآيه بإنْ كَانَ المعنى مرآةُ للفظ، وَاللَّفْظ مرآةً للمعنى وبالتالى يَكُون فِى عالم الدلاله أراءه للخارج، وحينئذٍ يَكُون للمعنى صله بالدلاله.

وَمِنْ كُلّ هَذَا يُعْلَم أنَّ الحقيقه الخارجيّه ليست خارجه عَنْ الدلاله والمدلول - كَمَا هُوَ الصحيح - ولو بتوسّط الأراءه والوجود الحكائى الذِّهنى.

وَمِنْ خلال ما تَقَدَّمَ كُلَّهُ يُعْلَم أنَّ التّأويل بدرجاته المُترامیه عرضاً

وطولاً عَنْ شؤون الظهور المُتكثّره والمتنوّعه لَيْسَ خارجاً عَنْ حاق قالب الظَّهور، بَلْ هُوَ - التأويل - مِنْ مراتب ومدارج الظَّهور.

فمثلاً: المرآه الواحده يمكن أنْ ينعكس فيها حكايات عَنْ أوجه عديده للشّاخص فِي مقابلها، وَكُلّما لاحظت زاويه تجد وجهاً مُختلفاً للحكايه والمحكى غَيْر الزاويه الأُخْرَى، هَذَا فضلاً عمّا لو كَانَت المرآه ذَاتَ تكعّبات عديده، فَإنَّ انعكاس الصور يتكاثر بتنوّعها، وكذلك التكثّر فِي المرآه الواحده فِي المشهد الواحد بلحاظ الأنوار المُنعكسه فيها فتتعدّد وتتكثّر الحكايات والمحكيات.

فائده كون التأويل درجه مِنْ درجات الظهور:

والغايه مِنْ الخوض فِي بيان أنَّ التّأويل الحَقّ الموزون لمورد أنَّهُ درجه مِنْ درجات الظُّهور، وأنَّ تأويل كُلّ شيء نهايته وغايته وما يؤول إليه، وبالتالى فَإنَّ ما يؤول إليه هُوَ لونٌ وطابعٌ لنفس التّنزيل، هُوَ لأجل الردّ عَلَى موقف مَنْ يذهب إلى أنَّ التّفسير التّأويلى هُوَ منهج باطنى ولا علاقه لَهُ بالحياه وَاللُّغَه الاجتماعيه ولدفع جمله مِنْ الأوهام المنهجيّه المنكره للمنهج التّأويلى والجاحِدَه لَهُ المتجنبه عَنْ مُراعاته فِي خطوات التفسير، حَيْثُ فعَّلُوا هَذَا المنهج ومنهم صاحب تفسير المنار رشيد مُحمَّد رضا.

وهؤلاء يزعمون: إنَّ التّأويل منهجٌ باطنىّ وتبنته الصّوفيه وأصحاب المناهج الرُّوحيّه، وَهُوَ باطل ولا علاقه لَهُ بالحياه وَاللُّغَه الاجتماعيه ممّا

ألقت هَـذِهِ النَّظره للمعنى التـأويلى مِنْ قبـل زعم هؤلاء بظلالها عَلَى المناهـج التفسـيريه الأخْرَى، وانعكس سـلباً، وبالتالى صارت هُنَاك ظاهره قلّه اكتراث بالتفسير التّأويلى.

نظير مـا ذكرنـا سابقـاً مِنْ وجود غـايه أُخْرَى لهـذا البحث وَهُوَ التنبيه عَلَى أنَّ جعـل المعنى التّـأويلى مِنْ درجـات الظُّهور، فَإِنَّهُ لا يتنـافى ولاـ يتـدافع مَعَ المعـانى الأُخْرَى لمراتب الظهور ولا يُفنِّدها، كَمَا أنَّ تقرير تلك المعانى للظهور لا يُفَنِّدُ ولا يـدفع المعنى التّأويلى مِنْ كلا الطّرفين.

نموذج تطبيقى للتأويل:

مِنْ النَّماذج التّطبيقيه للتأويل قوله تَعَالَى(وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاهِ وَ إِنَّها لَكَبِيرَهٌ إِلاّ عَلَى الْخاشِعِينَ (۴۵)۱ .

بتقريب: أنَّ المعنى التّأويلى للصَّبر هُوَ رسول الله صلى الله عليه وآله، وَالصَّلاه هِىَ ولايه أو إمامه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، وَلَيْسَ غرضنا مِنْ هَذَا الاستعراض نبذ وتفنيد المعانى الحقّه الأُخْرَى للآيه، بَلْ المعانى الأُخْرَى الحقّه للآيه باقيه عَلَى حالهـا، وَأنَّهـا احتمالاـت موجوده، وكـذلك المعنى التّـأويلى بـاقٍ عَلَى حـاله، وَعَلَى ضوء هَـذَا وجـدت التّجاذبـات بين المناهج التّفسيريه، وَعَلَى المُفسِّر الحاذِق الإلمام بالمناهج التفسيريه المختلفه.

وَمِنْ خلال هَذَا وغيره عرفنا دواعى المناهج التّفسيريه الَّتِى لا تكترث

بالمنهج التّأويلى وتُبْعِّدَه كمنهجِ التّفسير الاجتماعى ذو الصِّفه المُعيّنه كالتّقوى والذى انتهجه صاحب تفسير المنار مُحمَّد رشيد رضا، ورمى المنهج التّأويلى بانه منهج باطنى مُعَطَّل.

ويُثار تساؤل: هُوَ أنَّ هَذِهِ المُبررات الَّتِى ذكرتها المناهج التّفسيريه الأُخْرَى تّجاه المنهج التأويلى وَالَّتِى أدَّت إلى قِلَّه الاكتراث به، هل لها مُبرراتٌ موضوعيّهٌ عمليّهٌ، أو أنَّ ذَلِكَ إخفاقٌ مِنْهَا تّجاه حقيقه التّأويل؟

الجواب:

أوَّلاً: لَيْسَ الغرض مِنْ تصحيح المنهج التّأويلى هُوَ تصحيح لِكُلِّ التّأويلات الَّتِى ارتكبت مَعَ المُفَسِّرِين ذو النّزعه التّأويليّه ونفى إخفاقاتهم فِى هَذَا المنهج عِنْدَ عدم تقيدهم بالموازين والضّوابط والشّواهد.

ثانياً: هُنَاك إخفاقات مُعيَّنه فِى المنهج التفسيرى ذو البُعد الاجتماعى والذى أعطى طابعاً ثقافيّاً للسّلفيه والوهابيّه، هُوَ مِنْ أحد الأسباب الَّتِى دعت السَّيِّد العلّامه مُحمَّد حسين الطباطبائى إلى تاليف تفسير الميزان فِى القُرآن الكريم والذى هُوَ مِنْ منبع أهل البيت عليهم السلام لإنقاذ الفكر الإسلامى والإيمانى مِنْ ذَلِكَ الاستقطاب الذى أحدثه التفسير الآنف الذكر، إلَّا أنَّ الأكمل والأوسط هُوَ الجمع بين جميع ومجموع المناهج مَعَ تفادى سلبياتها المنهجيه، لأجل معالجه وتلافى الإخفاقات الَّتِى واجهت كلا المنهجين.

الإخفاقات الَّتِى واجهت كلا المنهجين:

أمَّا بلحاظ المنهج التّفسيرى التّأويلى فيمكن إجمال إخفاقاته بما يلى:

١ - إنَّ هَذَا المنهج جعل القُرآن مُعطّلاً وَلَمْ يَسْتخرج مِنْ القُرآن ما هُوَ دواءٌ ونورٌ وهدايه لمعالجه الواقع المُعاصِر.

٢ - لَمْ يُعالج الظَّواهر الاجتماعيه الَّتِى يكابدها البشر؛ ولذا صارت هُنَاك نفره مِنْ التّفسير التأويلى.

٣ - لَمْ يقتصر فِى هَـذَا التّعطيل عَلَى تفسير القُرآن، بَلْ حصل نظير ذَلِكَ فِى كيفيه إحياء الشَّعائر الحُسينيّه ومقتل سيد الشُّهداء الحسين بن على عليهما السلام بالتعامل معها - الشّعائر - كتاريخ محضٌ فَقَطْ، بَلْ حصل نظير ذَلِكَ لسيره الأئمه عليهم السلام مِنْ دون ربطها بالواقع الرَّاهن المُعاش لمعالجته واستخراج أنوار الهدايه للاسترشاد بها، وَهَـذَا معناه تعطيل للدين ولشعائر سيد الشُّهداء الإمام الحسين عليه السلام وأحداث عاشوراء الأليمه، بَلْ عطّلت حَتّى المعرفه النبويّه بقراءتها كتاريخ محض لا كعقيده لها التزاماتها فِى الواقع المُعاصر والحياه الراهنه.

٤ - عدم انضباط مُمارسه التّأويل بموازين وضوابط وشواهد، بَلْ انفلات القريحه والاستذواق هياماً فِى كُلّ وادٍ، ممّا أدّى إلى طابع الهلوسه والأوهام المُترامیه.

لهذه الأسباب مِنْ الإخفاقات وغيرها حصلت رِدَّه فعل عِنْدَ

الكثيرين عِبْرَ قرونٍ مُتعدِّده، وولّدت نفره مِنْ التّفسير التّأويلى بسبب هَذِهِ المُمارسات مِنْ قبل بَعْض مَنْ لا خبره لَهُ بممارسه المنهج التّأويلى، وَلَمْ يتقيّدوا بالموازين والضَّوابط الَّتِى بيَّنها أهلُ البيت عليهم السلام فِى ذَلِكَ.

وَهَذَا ممّا سَبَّبَ اندفاعاً قويّاً حول التفسير فِى بُعْده الاجتماعى، وحسبان أصحاب المنهج الاجتماعى فِى التفسير أنَّ منهجهم يتطلّب الابتعاد عَنْ المنهج التّأويلى والتّأويلات وما شابه ذَلِكَ، وَيَكُون التّركيز فِى منهجهم عَلَى البُعد الاجتماعى فَقَطْ عَلَى البُعد التنزيلى مِنْ التفسير.

وهكذا يُثار تجاذب هَذِهِ الجدليّه فِى المنهج الاستنباطى فِى علم الفِقْه، ولا يقتصر فيه عَلَى علم التفسير، فمثلاً إذا اقتصرنا فِى علم الفِقْه عَلَى عقد البيع، أو المُزارعه والمُساقاه والشركه وغيرها عَلَى النّمط القديم، فَهَذَا معناه أنَّ الفِقْه صار تُراثاً تأريخيّاً مِنْ دون شموليه لضّوابط العمومات المعامليّه لماهيات المُعاملات المُستحدثه المركبه ذَاتَ الأطوار الجديده، وَلَمْ يكن نظاماً قانونياً شمولياً للواقع المُعاش والمُعاصر الرَّاهن، وما هَذَا إلَّا عزلٌ للفقه عَنْ الواقع المُعاش الراهن.

ونفس الكلام يأتى بالنِّسبه إلى علم الكلام والعقائد، إذْ مِنْ الصَّعب الاقتصار فِى التَّعامل عَلَى المُصطلحات العلميّه القديمه الَّتِى مضت عَلَيْهَا قرون مِنْ السّنين مَعَ ما عَلَيْهِ الذّهنيّه البشريّه فِى الواقع المُعاصر وما حصل فيه مِنْ نضوج للمطالب العلميّه وللمُصطلحات.

ولا يفهم مِنْ هَذَا أنْ التّعامل مَعَ المُصطلحات العلميّه القديمه مُمتنع،

وَإنَّما لا يَنْبَغِى الاقتصار عَلَيْهِ مِنْ دون أنْ تُترجم تلك المُصطلحات العلميّه القديمه بلغات عصريّه يسهل فهمها عَلَى الجيل الرَّاهن والمُعاصر، إذْ لِكُلِّ زمانٍ لسانٌ، وَلِكُلِّ أوان بيانٌ، فاستعمال اللُّغَه العلميّه المعاصره فِى كُلّ علم وفنٍ تُسْلِس وَتُسَهِّل تَفَّهُم وتأثر الإنسان المعاصر وتجعله يتأثر ويتفاعل ويتعاطى شيئاً ملموساً، فيمكن تبيان علم واحد بلغات علميّه مُتعدِّده فِى عِدَّه علوم فيمكن قراءتها قانونياً وفقهياً وأمنياً وعسكرياً واقتصادياً وسياسياً، كَمَا ويمكن تبيان العقائد مثلاً بلغه فقهيّه، كَمَا استعملها النَّبِىّ صلى الله عليه وآله«لعن الله مَنْ عَقَّ أبويه، ولعن الله مَنْ أَبقَ عَنْ مواليه، ولعن الله مَنْ منع أجيراً أجرته» وَهَذَا وغيره يمكن عَدُّه نموذجاً للإخفاق فِى التّفسير التّأويلى.

الإخفاقات الَّتِى واجهت التفسير الاجتماعى:

إنَّ أَحَدَ أكبر مشاكل التّفسير ذو البُعد الاجتماعى أنَّها تقتصر وتنحبس عَلَى مَعْنَى الجانب التّنزيلى للقُرآن الكريم ومعالجه الظَّواهر الاجتماعيه بأُفق معانى التّنزيل بنحو تجزيئى، وإنْ كُنَّا لا ننكر أهميه وعظمه معالجه المشاكل الاجتماعيه الرّاهنه الَّتِى يُعانى مِنْهَا البشر بمعانى قدسيّه تنزيليه للقُرآن، إلَّا أنَّ هَذَا حلٌّ جزئى للمُشكله، فالقُرآن حبلٌ ممدود طرف مِنْهُ عِنْدَ الله، وطرف مِنْهُ عِنْدَ النَّاس، كَمَا بيَّنه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عِنْدَمَا سألوه وما الثّقلين يا رسول الله؟ الثِّقل الأكبر: كتاب الله سبب طَرَفه بيدى الله، وطرَف فِى أيديكم فاستمسَكوا به ولا تَضِلوا ولا تذِلُّوا، ألا وعترتى

أهل بيتى...(۱).

وأنَّ القُرآن لَهُ تنزيل وَهُوَ الطَّرف الـذى عِنْدَ النَّاس، وطرفٌ تأويلى، وتركيز الحديث النّبوى عَلَى أنَّ القُرآن حبلٌ ممدود يعنى أنَّ القُرآن ذو طبقـات، فـإذا أردت مُعالجه المشـكله سواء الاجتماعيه أو غيرها مِنْ القُرآن، فلا تقتصـر فِى حلَّها عَلَى الجانب التّنزيلى بالنَّمط التجزئيى، فَقَطْ، بَلْ لابُدَّ مِنْ مُلاحظه طبقات جانب التّأويل كَذَلِكَ، أمَّا مُلاحظه أحد الجانبين دون الآخر فِى حلّ مشـكله فَهُوَ أمر مُشْكِلٌ، وَحَلٌّ غَيْر جامع.

وكذلك الحال فِى نهضه سـيد الشُّهداء الإمام الحسـين عليه السلام والشَّعائر الحُسينيّه فَمَنْ يستعرض المشاكل الرَّاهنه مِنْ دون أنْ يقتبس الحلول مِنْ سنن الحسين عليه السلام فِى واقعه كربلاء فَهَذِهِ مُعالجه بعيده عَنْ الرُّؤيه الشّرعيه، ولا يكتب لها الرشاد.

وهكـذا نفس الكلام فِى مُعالجات العقائـد وَالفِقْه بلغه مُسـتحدثه مِنْ دون أنْ يربطها باللُّغه التقليديه القديمه، ويقطع التّجديد عَنْ الأصاله فَلَيْسَ بصـحيح، بينما هِىَ أصاله وتجديد؛ لِأنَّ اللُّغَه المعاصره مهما بلغت فِى معالجه المشاكل فَإنَّها ليست بالضروره تُوفى بِكُلِّ الحقائق ودقائق المعارف.

ما هُوَ المنهج التفسيرى الأمثل فِى الأتباع:

وَبَعْدَ استعراض جانب المؤاخذه عَلَى كلا المنهجين التفسيريين:

۱- (۱) تفسير العيّاشى: ج ۱، ص ۷۷، باب فضل القُرآن ح ۳.

التأويلى وذو البُعد الاجتماعى، فما هُوَ المنهج التفسيرى الأمثل فِى الأتّباع؟

إنَّ النّموذج الأمثل والمُعالجه الحقيقيه هُوَ أنْ لا نبتعد عَنْ التفسير ذو البُعد الاجتماعى، أو التفسير التّنزيلى، كَذَلِكَ لا نبتعد عَنْ التفسير التّأويلى، وَعَلَيْهِ فَإنَّ المنهج التفسيرى الأمثل والملائم هُوَ الجمع بين المنهجين مَعَ تفادى السّلبيات المتقدِّمه، لا سيّما تحت ظل نظام منهج أمومه الولايه عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِى القُرآن الرّابط بين التّنزيل والتّأويل.

مقارنه المنهج التفسيرى التأويلى مَعَ باقى المناهج التفسيريه الأُخْرَى، كالتفسير الموضوعى والاجتماعى وتفسير القُرآن بالقرآن، وأسباب النُّزول وغيرها:

مِنْ الضرورى جدّاً بيان منظومه كيفيه الجمع بين مناهج التفسير، وأمَّا بحث موضوع جهات الامتياز والاشتراك، والإيجابيات والسّلبيات لِكُلِّ منهج فَلَسْنا فِى مقام تفصيلها ها هُنَا حَتّى تبحث، وَإنَّما نُحاول تسليط الأضواء عَلَى بيان كيفيه الجمع بين المناهج التّفسيريه، كَمَا ونحاول تسليط الأضواء عَلَى دراسه أسباب العزوف عَنْ المنهج التفسيرى التّأويلى خاصّه فِى القرنين الأخيرين، وهل هَذَا بمثابه ردَّه فعل نتيجه وجود نقص فِى جانبٍ مُعيَّن مِنْ المنهج التفسيرى التأويلى، ولأجل سدِّ هَذَا النقص وملء الفراغ صار عزوفاً عَنْ التفسير التّأويلى والاهتمام بغيره كالتفسير ذو البُعد الاجتماعى وغيره، ولكن لا عَلَى حساب إحداثِ نقصٍ فِى جهات أُخْرَى أم ماذا؟

لَعَلَّ أحد أهم أسباب قله الاهتمام بالتفسير التّأويلى هُوَ أنَّ الموجود فِى أغلب التفاسير، بما فِى ذَلِكَ تفاسير الخاصه - الإماميه - مساله الإلحاح فِى تغديه الجانب الاجتماعى، وملء الفراغ برؤى قرآنيّه، وإنْ كَانَ هَذَا الأمر لا ريب فِى الحاجه إليه.

وَهَذَا السبب متينٌ وقويمٌ إلَّا أنَّ الابتعاد عَنْ التّفسير التّأويلى بالمره ينتج عَنْهُ إخفاقات - كَمَا مَرَّ - نظير ما حدث لبعض المدارس الكلاميّه، بَلْ حَتّى عِنْدَ مشارب عِدَّه مِنْ عُلَمَاء الإماميّه، فَهُنَاك مسالك مُتعدِّده رغم أنَّها مِنْ مذهب واحد، واختلاف المسالك لديها فِى تفسير التّوحيد الذى هُوَ مبحث حسَّاس وخطير، وَكَانَتْ لديهم كثيراً مِنْ البحوث تجريديّه، وَلَمْ تلحظ تداعياتها عَلَى أرض الواقع الاجتماعى، وَمِنْ ثمَّ صارت تجريديّه، وإنْ كَانَ البعض يصفها بأنَّها بحوث نظريّه تنظيريّه.

ولذا لَمْ يشغل كثير مِنْ المُفَسِّرين مساحات كثيره فِى مبحث التَّوحيد إلَّا بمقدار ما لَهُ مِنْ تداعيات مثلاً- عَلَى مستوى البُعد الاجتماعى، أو السّياسى أو التّشريعى وغيرها، وَمِنْ ثَمَّتَ سُجِّلَت مؤاخذات وإشكالات عَلَى المنهج التفسيرى ذو البُعد الاجتماعى.

المؤاخذات الَّتِى رُصدت عَلَى المنهج التفسيرى

ذو البُعد الاجتماعى:

المؤاخذه الأُولى: قراءه كُلّ بُعْدٍ ملكوتى غيبى عقائدى بقراءه اجتماعيه، ولازم هَذَا أنَّهُ لابُدَّ أنْ يَكُون لِكُلِّ بُعْدٍ غيبى أثر اجتماعى، وَإلَّا يَكُون البُعد

الغيبى شيئاً مُبهماً ومتروكاً، ولرُبَّما يجحَدُ وينعت بأنه مِنْ القضايا السفسطيه، أو مِنْ الأسطوريات أو الخرافيات وما شاكل ذَلِكَ، كَمَا قَدْ تبنّاه جمله منهم - والعياذ بالله -

وهكذا الحال فِى مباحث الرُّوح وغيرها، وكيف تقرأ المباحث العقائديه الغيبيّه بلغه اجتماعيه محضه كمعرفه الذَّات الإلهيه الأزليه السّرمديّه وأنَّ صفاته عين ذاته مَعَ أنَّ استكشاف الآثار الاجتماعيّه مِنْ المباحث العقائديّه لا يُصابُ استقصاؤه وإنْ كَانَ هُنَاكَ حقيقه ارتباط جَمٌّ بين العقيده والعقائد وتداعياتها الاجتماعيه الَّتِى لا تُحْصَى، إلَّا أنَّ اكتشاف ذَلِكَ الارتباط بنحو كامل تامّ عَلَى غَيْر المعصوم شىء فِى غايه الصّعوبه، بَلْ مُمتنع؛ لِأنَّ دين الله لا يُصاب كُلّ محيطه بالعقول، فَإنَّ هُنَاكَ أموراً لا أحد يستطيع اكتشاف بيان مدى الارتباط العميق بين البُعد الغيبى والأثر الاجتماعى، إلَّا أنَّ الذات المعصومه كَمَا وَرَدَ فِى بيان أمثال ذَلِكَ فِى بيانات أهل البيت عليهم السلام، مِنْهَا ما وَرَدَ فِى تفسير الصمد فِى سوره التوحيد عَنْ الإمام(لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنافِعُ لِلنّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) والشّرائع مِنْ الصمد...»(١).

بتقريب: أنَّ الإمام عليه السلام زوَّده الله بقدره عَلَى أنْ يستخرج كُلّ ما لَهُ ارتباط بالدِّين مِنْ لفظه الصَّمد فِى سوره التّوحيد بما فِى ذَلِكَ الفروع

١- (١) التَّوحيد للصّدوق: ص ٩٢.

المُرتبطه بالبُعد الاجتماعى وغيره، بَلْ بما فِى ذَلِكَ تداعى أىّ فقره فِى الدِّين سواء كَانَتْ مِنْ الطَّبقه العُليا أو المُتوسّطه أو الدُّنْيَا مَعَ بعضها البعض.

وهكذا قوله صلى الله عليه وآله: «إنَّما العلم ثلاثةٌ؛ آيه مُحكمةٌ، أو فريضةٌ عادِلَه، أو سُنَّه قائمه، وما خلاهن فَهُوَ فضلٌ».

بتقريب: أنَّ الآيه المُحكمه بلحاظ عالم الرُّوح والسُنّه القائمه بلحاظ عالم الاخلاق والفريضه العادله بلحاظ عالم الفروع، وَهَذَا يُدَلِّل عَلَى أنَّ كُلّ صفه أخلاقيه لها تداعيات عَلَى عمل الإنسان، وكذلك كُلّ عمل لَهُ تداعيات فِى توليد صفات أخلاقيه لدى الإنسان، وَكُلّ صفه أخلاقيه لدى الإنسان لها تداعيات فِى توليد عقيده ومعرفهٍ لدى الإنسان(ثُمَّ كانَ عاقِبَهَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللّهِ)١ .

والنتيجه مِنْ كُلّ هَذَا هُوَ أنَّ اكتشاف الصِّله بين عالَم الغيب والأثر الاجتماعى وغيره واقع موجود، إلَّا أنَّ اكتشافه لَيْسَ بمتناول كُلّ البشر إلَّا المعصوم، فَإنَّ دين الله لا يُصاب بعقول عادى البشر، واكتشاف وارتباط الحلقات مَعَ بعضها البعض وارتباطها بعقول ما وراءها مهيمنه عَلَيْهَا ولها ارتباط لا يستطيع اكتشاف هَذَا الارتباط التّام والعميق والدقيق إلَّا المعصوم.

وعدم معرفتنا بغالب الارتباط العميق لا ينفى واقع التّأثير والارتباط،

فَإنَّ واقع الارتباط والتأثير شيء والمعرفه شيء آخر.

وهكذا منظومه عقائد مدرسه أهل البيت عليهم السلام، وَمِنْهَا ما يرتبط بشعائر سيد الشُّهداء أبى عبدالله الحسين عليه السلام، وَالَّتِى لَمْ تتّضح كُلّ أسرار صورتها - إلى الآن - أمام كثير مِنْ العُلَمَاء وذوى اللُّب، حَتّى بَعْدَ مرور ما يقرب مِنْ ال - (۱۴) أربعه عشر قرناً، فإنْ لَمْ يَتِمُّ الالتفات إلى تمام وكمال الارتباط وتداعيات منظومه عقائد مدرسه أهل البيت عليهم السلام، وتأثير شعائر الإمام الحسين عليه السلام عَلَى البُعد الاجتماعى والبُعد السياسى والأخلاقى وغيرها، بَعْدَ كون كُلّ مِنْ الكتاب وسنه المعصومين قولاً وفعلاً وتقريراً لها ظاهر وطبقات مِنْ الباطن، بَلْ وسبعين بطناً، بَلْ طبقات لا تُحصى مِنْ الباطن، وعدم علمنا بكيفيه الارتباط والتّأثير لا يدعو إلى التنكّر لتلك الحقيقه الدِّينيّه.

المؤاخذه الثّانيه: تأثير البُنيه الأخلاقيه الَّتِى يدعو لها الإسلام لحلّ الأزمات الاقتصاديه، وَهَذِهِ أحد الوصايا الَّتِى أمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وَهُوَ التزام الجانب الأخلاقى فِى حَلِّ مشاكل وعُقد الاقتصاد، فَإنَّ الحرص والشره والتبذير والإسراف والبخل والطّمع والاستئثار والدناءه وغيرها مِنْ الرذائل الأخلاقيه بخلاف ما يقابلها مِنْ الفضائل هِىَ فِى قمَّه التّأثير عَلَى البناء المعاملى والاقتصادى للبشر، بَلْ ما يجرَّه الفساد الاقتصادى مِنْ تداعيات وأمواج سلبيه عَلَى الأمن والسِّلم البشرى والحرب والعدوان والجنايه والتّعدى والفاحشه والخطيئه بالغ التأثير.

وهكـذا تأثير ارتباط الأسـره المُسـلمه وَالَّتِى يدعو الإسـلام إلى المُحافظه عَلَيْهَا لأنَّها لَبَنَه أساسـيّه فِى بناء مجتمع إسـلامى وتزويد المجتمع بأفراد صالحين يُقَلِل وقوع الجرائم فِى المجتمع، علماً إنَّ نظام تأسـيس الأُسره الصالحه الذى جذَّره الإسلام هُوَ أكبر لَبَنه فِى بناء الحضاره، وما كَانَ لبشرٍ أنْ يفهمها سيّما المدّ العلمانى رغم الدّراسات والبحوث الكثيره فِى هَذَا المجال.

وَهَذَا ما أشار إليه رسول الله صـلى الله عليه وآله بقوله: «ما اسـتفاد امرءٌ مسلم فائده بَعْدَ الإسلام، أفضل مِنْ زوجه مسلمه تَسُرُّه إذَا نظر إليها، وتطيعه إذَا أمرها، وتحفظه إذَا غاب عنها فِى نفسها وماله»(۱).

إلَّا أنَّهُ وَإلى الآـن هُنَـاك مشاكـل كثيره تواجه أصـحاب المـدّ العلمـانى وَلَمْ يحاولوا حَلَّها خاصَّه المجتمع الغربى، كمسأله تجاره الرقيق الأبيض وَالَّتِى عالجها الإسـلام وحَلَّ عُقَـدَها بحلول جـذريّه قبل أكثر مِنْ (۱۴) أربعه عشـر قَرْناً، بَلْ عَلَى العكس الآن هُمْ يحاولوا أنْ يعتموا عَلَى هَذِهِ المسأله – الرقيق الأبيض – وغيرها لمنفعه تعود إليهم.

البُعد التأويلى لَهُ هيمنه محوريّه

فِى نظم ما دونه مِنْ طبقات البيئات والعلوم:

يتمتع كُلّ مِنْ المعنى التّأويلى وَمَعْنَى الولايه بأنَّ لِكُلِّ منهما أمومه نظم كُلّ معانى القُرآن وأنواره وهداياته.

۱- (۱) الكـافى: ج ۵، كتـاب النكاح: ب ۱۹۸ مَنْ وفـق لَهُ الزوجه الصـالحه، ص ۳۳۱ ح ۱.والفقيه ج ۳، باب ۱۱۰ ما يُستحب ويحمد مِنْ أخلاق النِّسَاء: ح ۷.

المؤاخذه الثّالثه: إنَّ المشكله الَّتِی أبداها أصحاب المنهج التفسیری ذو البُعد الاجتماعی هِیَ ترکیز النَّظر وَالرُّوایه عَلَی المرکز مِنْ دون الالتفات إلی شجون ومعاناه المجتمع، وَهَذَا أشبه ما یَکُون بالبحث التجریدی السفسطی، نعم یوجد ارتباط بین البُعْد الغیبی والبُعْد الاجتماعی - کَمَا مَرَّ - إلَّا أنَّ اکتشاف تمام ذَلِکَ الرَّبط لا یَکُون إلَّا للمعصوم.

وهکذا نموج آخر لبیان عمق الارتباط بین التّفسیر الاجتماعی والبُعْد التّأویلی وهیمنه المعنی التّأویلی هُوَ مسأله حصر زکاه النقدین فِی الذَّهب والفضَّه وتساؤل جماعه مِنْ أنَّهُ لا مَعْنَی للحصر بهما - النقدین - وأنَّ المُشرِّع لِمَ لا یُعمم ذَلِکَ لِکُلِّ نقد، إلی أنْ جاء الردّ عَلَی تساؤلات البعض عَنْ طریق العاصفه الماليّه الَّتِی اجتاحت الاقتصاد العالمی لأکثر مِنْ عقد مِنْ الزَّمان، وأُغْفِل أنَّ الحصر النبوی للزّکاه فِی النقدین - الذَّهب والفضَّه - لَهُ مغزی عَلَی أساس أنَّ التّعدی فِی صدق النقد إلی غَیْر الذَّهب والفضَّه کالنَّقد الورقی فضلاً عَنْ الورق الالکترونی الفضفاض کبیئه خصبه للتّلاعب والتمویه عَلَی الآخرین، ممّا یُؤدّی بالتالی إلی أکل المال بالباطل، ویُسبِّب فِی سَرِقهِ أموال المواطنین، أو سرقه دوله مال دوله أُخْرَی وهکذا.

إنْ قُلْتَ: قَدْ یتخیل البعض إنَّ حصر زکاه النقد بالذهب والفضه بأنَّها أحکام زمانیّه ومکانیّه مضت فِی وقتها، وَقَدْ أکل الدَّهر عَلَیْهَا وشرب؟

قُلْتُ: إنَّ هَذَا التّصور ناشئ مِنْ عدم الالتفات إلی ارتباط طبقه علم التّشریع مَعَ بحث المعارف، أو أمومه الولایه، والآن تبلورت براهین تزیل مثل هَذِهِ التّصورات والتخیّلات، فَإنَّ التشریعات القُرآنیّه والنبویّه لا

يتصوّر فيها عـدم إحاطه المشـروع الإلهى بجميع الأزمنه والأمكنه، وكذلك الحال فِى التّشـريعات الولويه غَيْر الراجعه إلى التّدبير الزّمانى المُؤقت.

وصيه منهجيه لأجل مراعه المعنى التأويلى

فِى كُلّ آيات القُرآن الكريم:

إنَّ المعنى التّـأويلى فِى كُـلّ آيه هُوَ المحور الأسـاس، ولكن لاـ يعنى هَـذَا إغفال لطبقات المعانى الأُخْرَى للآيه الواحِـدَه، وعـدم الاهتمـام بهـا والـذى مِنْهَـا المعـانى التّنزيليّه، وَلَيْسَ فِى المسـأله إفراط فِى كلاـ الطّرفين، بَـلْ هِىَ عمليه اسـتكشاف الارتبـاط بين الحلقـات والمنظومه مَعَ محوريّه المعنى التّـأويلى كأصـل تشـريعى فوقى مما يكشف أنَّ المعنى التّأويلى لَيْسَ معننى سفسـطيّاً ولا ترف تخيلىّ بَـلْ هُوَ أصـل محورى ناظم ونظم النِّظام يجب اكتشافه وإنْ لَمْ يكن اكتشافاً تامَّاً ومحيطاً، إلَّا أنَّ ما لا يُـدرك كُلَّهُ لا يترك جُلَّه أو كُلَّهُ.

وسـبب التّركيز عَلَى المنهـج التّـأويلى الموزون بَعْـدَ أهميته وخطورته البـالغه هُوَ هجرانه بـدرجه بـالغه مِنْ التقصـير لا تتناسب مَعَ خطورته، علماً أنَّهُ كَانَ معمولاً به عِنْـدَ جُمله مِنْ أعلام القُـدماء وغيرهم أمثال الشَّيْـخ المُفيـد وَالسَّيِّد المُرتضـى والشَّيْخ الطّوسـى والمُحقّق الحلّى – قدست أسرارهم جميعاً – وغيرهم.

لا تدافع بين آيات القُرآن الكريم

تناسق وتوالف آيات القُرآن وسوره:

ممّـا تَقَـدَّمَ يُعلَم أنَّهُ لاـ تـدافع بين آيـات القُرآن وسوره، بَلْ يوجـد تناسق وتوالف تامٌّ بنصّ القُرآن الكريم(هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ

مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ) (۱).

إنَّ القُرآن الكريم يقسم نفسه إلى قسمين: محكمٌ ومتشابه، بينما فِی موضع آخر فِی سوره العنكبوت يصف القُرآن نفسه بأنه كُلَّهُ بيِّنٌ(بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ)۲ .

بتقريب: إنَّ المُرَاد الأعظم والجّلى مِنْ الآيه المُباركه(بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) هُمْ أئمه أهل البيت المعصومين، فَإِنَّهُ لَيْسَ عندهم عليهم السلام متشابه، وَإِنَّما عندهم القُرآن كُلَّهُ بيِّنٌ، والمُتشابه فَهُوَ عِنْدَ غَيْر المعصوم، وَمِنْ هَذَا يُعْرَف أنَّ الخطاب القرآنی عَلَى درجات.

الخطاب القرآنی عَلَى درجات:

انطلاقاً ممّا وَرَدَ فِی بيانات أهل البيت عليهم السلام«إنَّما يُعرف القُرآن مَنْ خُوطِبَ به» فَإنَّ الخطاب القرآنی فِی آيهٍ واحِدَه مُتعدِّد والظهور النِّسبی عِنْدَ عقول البشر المُخاطبين مُتفاوتٌ، فَإنَّ بَعْض عقول البشر يَكُون خطاب القُرآن فِی حَقِّها كُلّهُ جَلیٌّ وبيِّنٌ، فأمثال هؤلاء لا محاله مخاطبون بكُلِّ مراتب القُرآن، بخلاف مَنْ يَكُون خطاب القُرآن فِی حقّه مُجملاً وَغَيْر بيِّن، فَيَكُون خطابه لَهُ بالظّاهر، أو يُخاطب بما هُوَ مقدورٌ لَهُ ولو بالسَّعی لكی يشمل المُقَصِّرَ، وَهَذَا خيرُ دليل عَلَى أنَّ خطاب القُرآن عَلَى درجات وطبقات.

۱- (۱) سوره آل عمران: الآيه ۷.

ولا يتوهّم أنَّ القُرآن بكَلٍّ طبقاته وبطونه وأسراره خُوطِبَ به الكل، وَلَيْسَ هَذَا إفراطٌ فِي القول، وَمِنْ ثمَّ اعترف المُفَسِّرون مِنْ الفريقين أنَّ القُرآن لَهُ نزولان:

نُزُولٌ نجوميٌّ: نزل به جبرئيل وَهُوَ نزول مُتفرِّقٌ بحسب أزمان أسباب النُّزول.

ونُزُول دفعي جُمَلي: لحقائق القُرآن، وَلَمْ يكن لجبرئيل عليه السلام فيه وساطه، بَلْ مرتبته - حقائق القُرآن - أعلى مِنْ توسّط جبرائيل عليه السلام وأنَّ أهل البيت عليهم السلام ممّن اختُصَّ بخطاب طبقات حقائق القُرآن فِي النُّزول الحقائقي الجُمَلي الدُفعي.

المعاني التأويليه والتنزيليه عَلَى طبقات

الظهور عَلَى طبقات ودرجات:

يُعْلَم ممّا تَقَدَّمَ أنَّ تعدّد الظّهور لَيْسَ بالأمر الغريب، بَلْ هُوَ مِنْ لدُن عليم حكيم طبق موازين يقدر عَلَيْهَا مَنْ يمتلك سعه وعاء الرُّوح والقلب والنُّفوس والعقل بالعلم، وَأنَّها تزداد كُلّما تزيد فيه، بحسب قدره الإنسان وبسعه وعائه لتحمُّل العلم، وهكذا المعاني التّأويليّه هِيَ الأُخْرَى عَلَى طبقات ووفق ضوابط وموازين، وبحسب قدره عَلَى الأخذ مِنْهَا وبسعه وعائه لتحمُّل العلم، وَعَلَيْهِ فَإنَّ كُلاً مِنْ المعاني التّأويليّه والتنزيليّه ليست خارجه عَنْ موازين الأدلَّه أبداً، بَلْ داخله لكنَّ غايه الأمر يحتاج إلى سعى علمى للفحص عَنْ تلك الموازين الموجوده، إلَّا أنَّ الفحص غالباً غيرُ مُتوفِّر؛ لا أنَّ الموازين غَيْر موجوده، وَهُنَاك فرق بين عدم وجود الميزان والطريق لحل تلك المسأله والمشكله فِي علم مِنْ العلوم، وبين الفحص

واكتشاف ذَلِكَ الطريق، وفى العلوم الحديثه الآن وَبَعْدَ السَّعى والفحص اكتشفتْ الحل فِى جُمله مِنْ الموارد الذى كَانَ مجهولاً، وبالتّالى فَإنَّ الطريق موجود إلَّا أنَّهُ مجهول، وَعَلَيْهِ فَهُنَاك فرقٌ بين المقولتين والتّصورين بين القول أنَّ الطّريق أصلاً غَيْر موجود ثمَّ وُجِدَ، وَهَذَا ما يُعَبَّرُ عَنْهُ بالمصطلح بالاختراع، وبين الطريق موجود غايه الأمر هُوَ مجهول ويحتاج إلى سعى وفحص علمى حَتّى يكتشف، وَهَذَا ما يُسمّى بالمصطلح بالاكتشاف.

وَهَذَا نظير المُعجزه الَّتِى يَكُون لها طرقٌ وأسبابٌ لكنَّها مجهوله ولا يستطيع أحدٌ اكتشاف أسبابها إلَّا النَّبِىّ صلى الله عليه وآله صاحب المُعجزه وغيره لا يستطيع وإنْ كَانَ نبيًّا.

وبالتالى فَإنَّ الأسباب إلى الاكتشاف يجب أنْ تقع ضمن موازين وضوابط مُعيّنه، وبالتّالى فَإنَّ ما يكتشف مِنْ طبقات الظُّهور لدى الأجيال العلميّه اللاحقه لَيْسَ وليد تكوِّن السَّاعه، بَلْ هُوَ مُتقرّرٌ فِى شؤون طبقات معانى الألفاظ وتركيباتها وَإنَّما اكتشفت بَعْدَ ذَلِكَ.

كَذَلِكَ الحال بالنِّسبه إلى المعنى التّأويلى فَإنَّهُ طيله القرون الأثنى عشر الماضيه كَانَتْ المدارس الإسّلاميَّه توجه الطعن إلى منهج مدرسه أهل البيت عليهم السلام بأنه منهج باطنى، الآن وَبَعْدَ أنْ تبيَّن أنَّ هَذَا الباطن الذى كَانَ يُطعن به عَلَى منهاج مدرسه أهل البيت عليهم السلام وَأنَّهُ مَثلَبهٌ ونقصٌ تبيَّن أنَّهُ شموخ عظمه وبنيان عملاق، وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ مِنْ الالتفات إلى جُمله موارد: -

مِنْهَا: تعدّد القراءات.

وَمِنْهَا: الالتفات إلى وجود مَعْنَى تأويلى وبطون وتنزيل وظهور،

وَمِنْ خلال هَـذَا كُلَّهُ يتبيَّن أنَّ التّعـدد فِي طبقات المعانى لَهُ نظام وموازين اكتشـفها مَنْ اكتشف، وَقَـدْ بيَّن أئمه أهل البيت عليهم السـلام طرقها - إلَّا أنَّهُ كَمَا تَقَدَّمَ - غايه الأمر قدرات الباحثين متفاوته فِي اكتشاف تلك الطرف الَّتِي بيَّنها أئمه أهل البيت عليهم السلام وَمِنْ قبلهم القُرآن، وَهَذَا يحتاج إلى تظافر جهود أجيال مِنْ البشر جيلاً بَعْدَ جيل، والسَّابق منهم يُمَهِّدُ للاحِقِ ويتحمَّل جزء مِنْ مسؤوليّه الاكتشاف كَذَلِكَ فِي المعنى التّأويلى.

التأويل منهج قرآنى عظيم، والمعنى التأويلى هُوَ الأم

الآيه الواحده مِنْ آيات القُرآن فيها درجات مِنْ الظهور:

تتمتّع الآيه الواحده مِنْ آيات القُرآن الكريم بدرجات ظهور ومحوريّه مُتعدِّده، وكذلك المعنى التّأويلى لَيْسَ مُجرَّد سعه وتعدّد موازين، وَإنَّمـا الأمومه والمحوريّه والمركزيّه للمعنى التّأويلى؛ لِأنَّ المعنى التأويلى مشـىٌ، والمعنى التنزيلى محورىٌّ مركزى، كَمَا هُـوَ مبنى جُمله مِنْ أعلام العصـر(١) بينمـا العكس هـو الصَّحيـح الـذى نتبنّـاه فِي منهجنـا التّفسـيرى المُختـار أمومه الولاـيه عَلَى المُحكمـات فِي القُرآن فضـلاً عَنْ المُتشابهـات، مِنْ أنَّ المعنى التّأويلى كُلّمـا ازداد خفـاءاً وغموضـاً كُلّما ازداد محوريّه وأمومه ومركزيّه، وَهُوَ المحور ويُعْرَض عَلَيْهِ لا العكس، وَهَذَا منهج قُرآنى عظيم.

نعم، المعنى التّنزيلى حبل ممدود طرف مِنْهُ عِنْدَ النَّاس ومُرتبط بطبقات المعانى التّأويليّه والحقائق الَّتِي هِيَ طرف عِنْدَ الله، وَمَعْنَى ممدود أىّ غَيْر مُتناهى،

١- (١) كالسـيد مُحمَّد حسـين الطباطبـائى رحمـه الله، صـاحب تفسـير الميزان فِي القُرآن، وَالسَّيِّد الخـوئى رحمـه الله فِي البيـان، وَالسَّيِّد عبدالأعلى السبزوارى رحمه الله فِي مواهب الرحمن و... الخ.

والمعنى التنزيلى هُوَ الفرع والظهر والمعنى النازل، بخلاف المعنى التأويلى الذى هو الأم والمحور والبطن، كَمَا قَالَ الإمام الصَّادق عليه السلام لهيثم التّميمى: «يا هيثم أنَّ قوماً آمنوا بالظّاهر وكفروا بالباطن فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً وجاء قومٌ مِنْ بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظّاهر فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً، ولا إيمان بظاهر إلَّا بباطن ولا بباطن إلَّا بظاهر»(۱).

بتقريب: أنَّهُ لابُدَّ فِى كُلّ علم مِنْ ظاهر وباطن، وأنَّ البطن والباطن هُوَ الأصل.

أسباب التأكيد والتركيز عَلَى طبقات المعنى التأويلى

ومحوريته فِى علم التفسير:

إنَّ أحد أهم أسباب التّركيز عَلَى المعنى التّأويلى وأهميّته وهيمنته ومركزيّته بناءاً عَلَى التّوصيه الأكيده فِى بيانات أهل البيت عليهم السلام وقبلها بيانات القُرآن الكريم مِنْ التأكيد عَلَى المعنى التأويلى، مُضَافَاً إلى أسباب أُخر:

مِنْهَا: إنَّ نظره بَعْض المُفَسِّرين والباحثين غَيْر واقعيه عَنْ المعنى التّأويلى فِى المنهج التفسيرى، والواقع أنَّ الأمر عَلَى العكس تماماً، فَإنَّ الروايات الوارده عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السلام فِى خصوص بيان المعنى التّأويلى هِىَ عَلَى موازين وضوابط - كَمَا مَرَّ - اكتشفها مَنْ اكتشف، والتّعبير عَنْ ذَلِكَ فِى المصطلح الأُصولى تعبدٌ ظنّى يعنى إدراك أجمالى مبهم، أىّ لَمْ يستطع إدراك تفصيل الحال، وَلَيْسَ هَذَا فَقَطْ فِى علم التفسير، بَلْ فِى سائر العلوم

۱- (۱) مقدمه تفسير البُرهان للعلامه الفتونى: ص ۲۲.

الأخْرَى كعلم العقائد وَالفِقْه والحديث وغيرها، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ إدراك فَهْمْ متن الحديث بلغه العلم الَّتِى يذكرها متن الحديث هِىَ علم تفصيلى بمتنه ومضمونه وَهُوَ ما يُسمّى بدرايه الحديث، وَكَمَا وَرَدَ فِى بيانات أهل البيت عليهم السلام عَنْ الإمام الصَّادق عليه السلام: «حديث تدريه خيرٌ مِنْ ألف حديث ترويه، ولا يَكُون الرَّجل منكم فقيهاً حَتّى يَعْرف معاريض كلامنا، وأنَّ الكلمه مِنْ كلامنا لتنصرِف عَلَى سبعين وجهاً لنا مِنْ جميعها المخرج»(۱).

أمَّا اعتبار السَّند - سند الحديث - فَقَطْ فَإنَّ هَـذَا منهج إبهامى إجمالى فِى معرفه الحديث، وَهُوَ المُعبِّر عَنْهُ بروايه الحديث لا درايته، وأين مرتبه الظَّن والمُبهم الإجمالى مِنْ مرتبه اليقين والعلم التفصيلى فهل يستويان فِى المرتبه أم لا؟.

نموذجٌ تطبيقى للمعنى التأويلى

التأويل مرتبه مِنْ مراتب الظهور:

قوله تَعَالَى: (وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاهِ وَ إِنَّها لَكَبِيرَهٌ إِلاّ عَلَى الْخاشِعِينَ) (۲).

فَإنَّ جُمله مِنْ الروايات الوارده عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السلام فِى تفسير هَـذِهِ الآيه المُباركه - وَالَّتِى هِىَ وصيّه مِنْ وصايا البارى عَزَّ وَجَلَّ لبنى إسرائيل - تدلُّ عَلَى أنَّ تفسير الصَّبر هُوَ رسول الله صلى الله عليه وآله، وَالصَّلاه هِىَ ولايه أمير المؤمنين عليه السلام، أو الولايه فتشمل الأئمه عليهم السلام.

۱- (۱) معانى الأخبار للصَّدوق، الكافى للكلينى: ج ۸، خاتمه المُستدرك للمحدِّث النورى: ج ۱.

۲- (۲) سوره البقره: الآيه ۴۵.

وإنْ كَانَ الغالب فِی منهج جمله مِنْ المُفَسِّرِین یتعاطی مَعَ الرِّوایات الَّتِی تُبدی معانی خفیَّه أو باطنه الخفاء للآیات أنَّها معانی تأویلیّه محضه، أو تطبیقیّه ولیست معانی مرتبطه بشؤون قالب الظهور للآیه.

إلفات نظر: إنَّ تأویل الصَّبر فِی الآیه المُبارکه برسول الله صلی الله علیه وآله الذی یعنی قوَّه التّحمل لا یعنی هَذَا ترک مَعْنَی الصَّلاه المُتبادر إلیه فِی الذِّهن، ولا ترک مَعْنَی الصَّبر المُتبادر إلیه فِی الذهن، ولا نعنی بذلک ترک البحث عَنْ کیفیه ملاحظتها المعانی وکیفیه ملاءمتها وائتلافها مَعَ هَذَا المعنی التأویلی.

إنْ قُلْتَ: ما هِیَ الشَّواهد عَلَی تفسیر الصَّبر برسول الله صلی الله علیه وآله فِی الآیه، وَالصَّلاه بالولایه؟

قُلْتُ: هُنَاک قَاعدِه تَقَدَّمَ بحثها(۱)[خُذ الغایات واترک المبادئ]، أو أنَّ الألفاظ موضوعه لأرواح المعانی، بتقریب: إنَّ الصَّبر فیه خاصیّه قدره تحمُّل رؤیه إجمالیه للغیب بلحاظ غایه مُعیّنه ورجاء، وَبِهَذَا یفترق مَعْنَی الصَّبر عَنْ مَعْنَی الیأس وَقَدْ حصل فیه خلط والتباس لدی الکثیر فِی التفریق بینهما فَإنَّ الیأس فیه نمط مِنْ التجرّع الرُّوحی إلَّا أنَّهُ لا بلحاظ غایه مُعیّنه ورجاء.

مُضَافَاً إلی ما وَرَدَ فِی زیاره النَّبِیّ صلی الله علیه وآله إلی أنَّ صَبْرَه صلی الله علیه وآله أعْظَم - مِنْ صبر علی، وصبر علی أعظم مِنْ صبر فاطمه، وأنَّ صبر فاطمه اعظم مِنْ صبر الحسن والحسین علیهما السلام، وصبر الحسنین أعظم مِنْ صبر الأئمه علیهم السلام وبالتالی فَإنَّ الصَّبر عَلَی درجات.

۱- (۱) الجزء الأوَّل مِنْ تفسیر أمومه الولایه والمُحْکَمات فِی القُرآن للشیخ السند.

ثمَّ إنَّ لِكَلِّ آيه مِنْ آيات القُرآن لها طبقات مِنْ المعانی حَتّی تصل إلی المعنی التأویلی ولا یلزم مِنْ هَذَا التعدّد فِی الطَّبقات حصول تدافع أو تناقض بین کون الآیه واحده، وبین تکثُّر وتعدُّد معانی الآیه الواحِدَه.

وَقَدْ یعترض: أولیس هَذَا تلاعبٌ بقواعد اللُّغَه وعلوم الأدب وغیرها؟

ویُجابُ: إنَّهُ دِقّه ومتانه فِی تطبیق تلک القواعد(۱) عَلَی ما سیتّضح خلال البحث، وبالتالی یمکن الحکم بالصَّحه سواء کَانَ الظهور نسبیاً أو لا.

وَقَدْ یعترض: إنَّ المقرر فِی الظهور ثابت ومطلق للجمیع، وَلَیْسَ نسبیاً لبعض دون بَعْض، فکیف یحکم بصحَّه المعنی التّأویلی بحسب ظهور الکلام.

ویُجابُ: الحکم بالصّحه معناه أنَّ المراتب الأولیّه مِنْ الظهور واضحه، فَهُوَ لَیْسَ نسبیّاً بالنسبه إلی الآیات والرّوایات، وَإلی طرف دون طرف، وأمَّا کون الظّهور نسبیاً أیّ أنَّ الالتفات وقدره الفهم والوصول إلی المراتب الخفیّه مِنْ معانی الآیات والروایات فَإنَّها - أیّ القدره والفهم - نسبیّه، وأمَّا نفس المعانی والموازین التّرکیبیه الموصّله إلیها فَهِیَ ثابتهٌ ومُطلقه، ولیست نسبیّه، ویتوسّط إلیها بالموازین فَهِیَ جلیّه واضحه وظاهره لبعض مَنْ عِندَه قدره، وخفیّه عَنْ بَعْض آخر.

۱- (۱) وَالَّتِی تَقَدَّمَ بحث قسم مِنْهَا الجزء الأوَّل مِنْ تفسیر أمومه الولایه عَلَی المُحْکَمات - فضلاً عَنْ المُتشابهات فِی القُرآن الکریم، للشیخ مُحمَّد السند.

النسبيه لها واقع علمى

وليست مِنْ السفسطه كَمَا تخيله البعض:

تنبيه: إنَّ الحكم بالصّحه سواء كَانَ الظُّهور نسبياً أو لا، فَهَذَا شأنٌ لا يختص بالقُرآن الكريم، والحديث النبوى الشَّريف وبيانات أئمه أهل البيت عليهم السلام فحسب، بَلْ هُوَ شأن كُلّ العلوم الَّتِى يتعاطاها البشر سواء علم الفيزياء، أو علم الرياضيات وغيرها، فَإِنَّهُ فِى كُلّ علم تجد طبقةً مُبَدَّهَةً وظاهِرَةً عِنْدَ الجميع، وَهُنَاك كَذَلِكَ طبقات غَيْر مُبَدَّهه ونسبيّه، فإحاطه الطبقه الأعلى مِنْ كُلّ علم تختلف عَنْ إحاطه الطبقه المتوسّطه وما دونها.

وهكذا الكلام بالنسبه إلى علم اللُّغه، فَإِنَّهُ توجد ثله مِنْ عُلَمَاء أىّ لغه يدركون ما لا يدركه الآخرون، فالأمر بالنِّسبه لِلَّذِيْنَ يدركون جليٌّ وواضِحٌ، ولغيرهم خفيٌّ.

مُضَافَاً إلى أنَّ جلاء هَذَا المطلب عِنْدَ النوابغ مِنْ ذَلِكَ العلم كعلم الرّياضيات والفيزياء وغيرها لا يزعزع حقانيّه النتيجه الرِّياضيّه أو الفيزيائيه الَّتِى يكتشفونها، وهكذا خفاؤه عِنْدَ الكثيرين لا يزعزع حقانيّه النتيجه الَّتِى يكتشفها الروَّاد القادرون، وَلَيْسَ هَذَا الكلام مِنْ قسم السفسطه، فَإِنَّ نظام النِّسبه والنسبيّه فِى قدره البشر ودرجات فهمه، ودرجات قابليّه إدراكه لا فِى الموازين نفسها، وَإِنَّما الظُّهور مبتنٍ عَلَى ضوابط وموازين، فَإِنَّ القدره بين عقول البشر متفاوته، فواقع الصّرح العلمى ثابت حقيقى، لا كَمَا قَدْ يتخيّله البعض مِنْ الحداثويين، أو أصحاب مسلك القراءات والفلسفات الألسنيّه الحديثه مِنْهَا والقديمه، مِنْ أنَّ النسبيّه سفسطيّه ولا واقع علمى

لها، فالامر لَيْسَ كَمَا تخيّلوه، فَإِنَّ واقع الصّرح العلمى أمرٌ ثابتٌ فِى الواقع، ولكن القدرات الَّتِى أودعها الله تَعَالَى فِى عقول البشر متفاوته وَمُخْتَلِفَه باختلاف قدرات البشر، ولذا نشأت مسأله أنَّ ظهور النتائج أمرٌ نسبىٌّ عِنْدَ بَعْض، وجلىٌّ عِنْدَ آخرين فِى كُلّ علم مِنْ العلوم.

تساؤلٌ: هل أنَّ هَذَا التأويل للآيه المُبَارَكه

بعيدٌ عَنْ الظهور أو لا؟

والإجابه عَنْ هَذَا التّساؤل عَلَى منهجنا التّفسيرى المُختار فِى الظُّهور والتّأويل تختلف عَنْ مسلك الأعلام، ومنهم السَّيِّد العلّامه مُحمَّد حسين الطباطبائى + فَعَلَى مسلكهم يَكُون تأويل الآيه تعبدٌ ظنّىٌ، وَعَلَى مسلكنا المُختار فِى التّأويل وأنَّ التّأويل هُوَ أحد مراتب الظُّهور، بَلْ التّأويل هُوَ المغزى للظُّهور ولبُّ لُبابه، وَهُوَ المُرَاد الأصلى مِنْ الظُّهور، وَهَذَا ما غفل عَنْهُ جُمله مِنْ أعلام المُفَسِّرين، وغفلوا كَذَلِكَ عَنْ أنَّ التّأويل كُلّما ازداد بطوناً كُلّما كَانَ هُوَ المعنى الأصلى الأساس مِنْ غايات كلام المُتكلِّم، والذى لأجله تكلَّم حَتّى يصل إلى تلك الغايه النّهائيه وَالمُرَاد الجدّى، ومداعبه ذهن السَّامع بتصوّرات ويحسّسه بمشاعره تفهيميّه حَتّى يصل إلى المعنى النّهائى الذى هُوَ أعظم مِنْ كُلّ مراد، وَلَيْسَ مُرَاد المُتكلِّم الوصول إلى غايه مُتوسّطه.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ التّأويل بحقٍ هُوَ مِنْ مُحكم المُحكمات فِى القُرآن الكريم، ولا ينحصر المُحكم فِى القُرآن الكريم بخصوص التّنزيل.

وَبَعْدَ أنْ عرفنا أهميّه ومركزيّه التّأويل وَأنَّهُ لُبُّ اللّباب وغايه الغايات فكيف نجعله بعيداً عَنْ شؤون الدلاله والكلام.

وخيرُ شاهدٍ عَلَى ذَلِكَ ما ذكره الإمام الكاظم عليه السلام فِي روايه.. عَنْ يعقوب بن جعفر، قَالَ كُنْت عِنْدَ أبى إبراهيم عليه السلام وأتاه رجلٌ مِنْ اهل نجران اليمن مِنْ الرُّهبان، فَقَالَ لى: وهل تعرف بين المَقْدِس؟ قلتُ: لا أعرف إلَّا بيت المُقَدَّس الذى بالشَّام؟ قَالَ: لَيْسَ بيت المَقْدِس ولكنَّه البيت المُقدَّس، وَهُوَ بيت آل مُحمَّد صلى الله عليه وآله، فقلتُ لَهُ: أمَّا ما سمعته به إلى يومى هَذَا فَهُوَ بيت المَقْدِس، فَقَالَ لى: تلك محاريب الأنبياء، وَإنَّما كَانَ يُقَال لها: حضيره المحاريب(١).

بتقريب: إنَّهُ مِنْ خلال جواب الإمام الكاظم عليه السلام قُرّرت قَاعدِه مُهمّه وحيويّه، وَهِيَ: «أنَّ القُرآن الكريم أو الكتب السّماويه المنزّله، الظهر مِنْهَا فِي شيء، والبطن فِي شيء آخر، وَهُوَ أنَّ البطن يؤول كُلَّهُ بمُحمَّد وآل مُحمَّد صلى الله عليه وآله وَهُوَ المغزى وغايه الغايات» وهكذا ما جاء فِي روايه مسعده بن صدقه عَنْ الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القُرآن وقطب جميع الكتب عَلَيْهَا يستدير محكم القُرآن وبها نوّهت الكتب ويستبين الإيمان»(٢).

هَذَا وغيره يكشف عَنْ محوريّه ومركزيّه التّأويل، وَلابُدَّ أنْ نتعامل مَعَ الرُّوايات التّأويليّه أنَّها محوريّه وليست هامشيّه، وأنَّ ذَلِكَ المعنى التّنزيلى ظِلِّىٌ تبعى للمعنى التّأويلى ثبوتاً وإنْ كَانَ إثباتاً المعنى التّنزيلى طريق للوصول إلى المعنى التّأويلى، وَهَذَا هُوَ الذى نتبنّاه، وَهُوَ مختارنا، عَلَى عكس

١- (١) أصول الكافى للكلينى: ج ١، ص ٥٥٤ ح ٥، باب ١٧٧ مولد أبى الحسن موسى بن جعفر عليه السلام.

٢- (٢) تفسير العيّاشى: ج ١، ص ٧٨ ح ٨.

ما بنى عَلَيْهِ الأعلام.

تنقيح التأريخ مِنْ خلال الكتاب والسنه:

تَقَدَّمَ فِى أبحاث سابقه فِى تأريخ أسباب النُّزول، إنَّهُ إذَا أردنا معرفه مصير الأُمَّه الإسّلاميَّه وَهُدَاها وصراطها، فيجب أنْ نعتبر بما جرى مِنْ سنن إلهيّه، وما ذكره القُرآن الكريم مِنْ الملاحِم عَنْ بنى إسرائيل وغيرهم مِنْ سائر الأمم والأقوام السَّابقه هِىَ سنن إلهيّه بعينها جرت فِى هَذِهِ الأُمَّه الإسّلاميَّه، وَيَكُون عِبْرَه وعِظَهً لها.

ص:۴۳۸

فهرس الموضوعات

هويه الكتاب ۴

القاعده الثامنه ۵

القاعده الثامنه ۷

أسباب النزول قاعده تفسيريه ۷

أسباب النزول بمثابه القرينه اللفظيه المقاميه ۱۹

تنبيهان ۳۳

الوجوه البلاغيه لاستعمال كل كلمه ۴۳

الترتيب داخل الآيه الواحده ۴۷

ليس المراد من ترتيب السور ترتيبها حسب ما أنزل ۴۹

التأريخ وطمس وتحريف الوقائع ۵۷

تصوير المشهد الثالث من معركه أحد ۶۷

تنقيح حقائق تاريخ الإسلام والسيره النبويه ۷۹

لماذا تُغَيَّبُ أسباب النزول ۸۴

كيف نقرأ السيره النبويه والولويه والتأريخ ۸۷

ارتباط قاعده أسباب النزول بقاعده ترتيب آيات القُرآن الكريم ۹۱

فِی السوره الواحده فضلاً عَنْ سائر سوره ۹۱

التأریخ یحتاج إلی آلات متعدده لتمحیصه ۹۵

نظریه الشوری وارتباطها بغزوه أحد ۹۷

أمثله وشواهد قرآنیه ۱۱۱

محکمات القُرآن والسنه والعقل والوجدان ۱۲۷

أسباب النصر لا تقتصر علی الجانب المادی ۱۴۱

المیزان والمدار فِی نجاح الخطاب القرآنی ۱۴۵

قاعده الشوری قاعده فقهیه وسیاسیه وعقائدیه ۱۸۷

تحریف أسماء سور القُرآن ۲۹۱

أسباب النزول والتنزیل والتأویل ۳۳۹

نزول القُرآن جمله ونجوما لا ینحصر بعملیه ۳۷۱

القُرآن الکریم نظام تکوینی حقائقی ۳۸۹

القاعده التاسعه ۳۹۹

قابلیه ظهور الکلام الواحد للتعدد والتکثر ۳۹۹

فهرس الموضوعات ۴۳۹

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹